صفة الصفوة

للإمام
جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي

تحقيق
الشيخ خالد طرطوسي

دار الكتاب العربي

صفة الصفوة

للإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي
(٥١٠ - ٥٩٧هـ)

تحقيق
خالد مصطفى طرطوسي

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

صفة الصَّفوة

© دار الكتاب العربي

1433 هـ 2012م

ISBN: 9953-27-287-5

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع،
أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية
أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلاَّ بموافقة المؤلف على ذلك كتابة ومقدماً.

الناشر

دار الكتاب العربي

شارع فردان، بناية بنك بيبلوس
ص. ب. 11-5769
بيروت 1107 2200 لبنان

DAR AL KITAB AL ARABI

Verdun St., Byblos Bank Bldg.
P.O. Box 11-5769
Beirut 1107 2200 Lebanon

Tel (+961 1) 800811 - 862905 - 861178 هاتف
Fax (+961 1) 805478 فاكس
daralkitab@idm.net.lb بريد إلكتروني

www.dar-alkitab-alarabi.com

www.kitabalarabi.com
www.academia.com.lb

صفة الصَّفوة

الإهداء

إلى الذين يَرْمُقُون الأُفُقَ الإسلاميَّ يبحثون عن مناراتِ هدىً تقيهم تيهَ الواقع الآسن... ها هي باقةٌ عَطِرةٌ من تلك المصابيح التي قادت أمتنا فيما مضى فأنتجتْ لنا ما نعيش على ذكراه في ضباب واقعنا المعاصر... مع همسةٍ مُذكِّرة مُنْهِضَةٍ: اصنَع من نفسك ما تبحث عنه في غيرك... فمن جدَّ وصل، والهدف اللَّهُ تعالى، والأمة ظَمِئةٌ إلى البُعد الربّاني في قياداتها الفكرية والفقهية والسياسية والعسكرية.. فكنْ أنت ما تبحث عنه، وبذلك نحقِّق غاية الحافظ ابن الجوزي من «**صفة الصفوة**». راجياً الله تعالى بَعْثَ الهِمَمِ نحو ذلك.

المحقق
أبو عبد الرحمٰن
خالد مصطفى طرطوسي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فها نحن ـ أخي القارىء ـ نقدّم لك كتاب الحافظ ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ «صفة الصفوة»، وقد خدمنا الكتاب وفق الخطة التالية:

١ ـ تخريج الآيات القرآنية بعَزْوِها إلى اسم السورة ورقم الآية.

٢ ـ تخريج الأحاديث النبوية المطهرة التي ذكرها الحافظ ابن الجوزي، أو أوردها في التراجم على لسان أصحابها، وقد التزمنا في التخريج ذكر رقم الحديث في الكتب الستة، وإلا فالجزء والصفحة في البقية.

٣ ـ شرحنا الغريب من الألفاظ والتعابير التي تحتاج إلى شرح.

٤ ـ ذكرنا مصادر كل ترجمة بما يجعل الباحث عنها في سعة من أمره إن أراد التوسع في دراسة الشخصية المترجم لها، وما لم نجد له ترجمة أخليناه من التعليق إشارةً إلى عدم عثورنا على ترجمة أخرى غير ما ذكره الحافظ ابن الجوزي هنا، وهو قليل لا يكاد يمثل (٥٪) من مجموع الكتاب، وهي نتيجة طيبة.

٥ ـ رقَّمنا التراجم في الكتاب كله.

٦ ـ دقَّقنا النص، وأصلحنا ما اعتوره من فساد وسقط، مما لم تخلُ منه نسخة مطبوعة مما اطّلعنا عليه. والمقارنة بين عملنا وبقية المطبوع من نسخ الكتاب يثبت أن ما قمنا به كان عملاً جاداً إن شاء الله تعالى، وقد جعلنا كتاب «الحلية» أساساً في الترميم والتصحيح وإلا فمصادر التخريج، وإلاّ فسلامةُ البيان والتعبير. وقد وضعنا بين معقوفين كل زيادة أو تصرف في ألفاظ الكتاب مع الإشارة إليه في الهامش غالباً.

٧ ـ أرفقنا الكتاب بالفهارس العلمية التالية:

أ ـ فهرس ألفبائي للمواضع الجغرافية التي ذكرها المؤلف، ووزع عليها طبقاته، وما عليك إلا الرجوع إليه ـ مراعياً الترتيب الألفبائي المعجميّ ـ عندما تريد معرفة بلدٍ ما مما ذكره ابن الجوزي في كتابه هذا.

ب ـ فهرس ألفبائي للشخصيات المترجمة في الكتاب، وقد اعتمدنا على رقم الترجمة لا رقم الصفحة.

ج ـ فهرس المصادر والمرجع المعتمدة في تحقيق هذا الكتاب.

د ـ فهرس موضوعي للكتاب كله.

٨ ـ قدّمنا للكتاب بمقدمة هي هذه التي بين يديك، وتمهيد ذكرنا فيه كلمة عن «القدوة وأثرها في نهوض الأمة» ثم كتبنا ترجمة متوسطة لمؤلف كتابنا الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ ولمؤلف الأصل الإمام الحافظ أبي نُعَيْم الأصفهاني وكتابه «الحلية»، كلمة مُقْتَضبةٌ عن انتقاد الحافظ ابن الجوزي للحافظ الأصبهاني وكتابه «الحلية».

وبعد: فأخي القارىء: هذا هو عملنا الذي قمنا به، والذي توخّينا الوفاء به في خدمتنا لهذا الكتاب، فإن وجدت الأمر على ما تحب فلا أقلَّ من دعوة تكرمنا بها، وإن وجدت غير ذلك فالمرجوُّ تنبيهٌ مشفوع بلَجَىءٍ إلى الله تعالى: أن يسدّد الخطى، ويوفق لما يحب ويرضى، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن مما لا شك فيه أن للقدوة الصالحة والأمثولة الطيبة الأثرَ الأخطر في تربية الأمم وتنشئة الأفراد، ومن هنا كان اعتناء الإسلام بإيجاد الرجل والمرأة القدوةَ في فكرهما وسلوكهما وشعورهما ومواقفهما... في الحياة كلها.

ولعل مصطلح «القدوة» الإسلامي يكاد يرادفه المصطلح الإسلامي القرآني الآخر «الأمة» الذي أطلقه ربنا سبحانه وتعالى على شخصية فذة نادرة في تاريخ البشرية، وهو خليل الرحمٰن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال الله تعالى عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢١].

قال الراغب في «مفرداته»: «وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ أي: قائماً مقام جماعة في عبادة الله، نحو قولهم: فلانٌ في نفسه قبيلة» ا.هـ[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا وصف الله تعالى نبينا إبراهيم ـ عليه السلام ـ دون غيره من الأنبياء الكرام ـ عليهم السلام ـ بصفة أنه كان «أمة»؟.

وللجواب على ذلك لابد من نظرة عَجِلةٍ في بعض آيات القرآن الكريم التي حوت صفات إبراهيم ـ عليه السلام ـ تلك الخِلال التي أهّلته لهذا الوصف، وها نحن نذكرها بإيجاز:

١ ـ براءته من كل من عادى الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

٢ ـ سلامة قلبه واعتقاده لله تعالى: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣ ـ ٨٤].

٣ ـ كان ذا بصرٍ وقوة: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥].

٤ ـ وفاؤه بما عاهد الله تعالى عليه: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٦ ـ ٣٧]، والذي وفّى به إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو إقدامُه على ذبح ابنه إسماعيل في الحادثة الشهيرة الصحيحة.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (أ ـ م ـ م). ص (٨٦)، من طبعة دار القلم بدمشق، بتحقيق صفوان داوودي.

٥ ـ كان حاسماً في موقفه من الآخر غير المؤمن: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٨ ـ ٧٩].

٦ ـ والبراءة كانت من كل عمل لا شرعية له عند الله تعالى دون نظر إلى قرابة أو مصلحة أو رغبة أو رهبة، بل قال هو والذين آمنوا معه لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

٧ ـ اعتزال الشرك والضلال، ومنه دعاءُ غير الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤١ ـ ٥٠].

فعبادة الله وحده، ودعاء الله وحده، وطاعة الله وحده، وتنفيذ ما أمر الله تعالى به على النفس والولد والمال والأهل، والحسم في الموقف من الكفر ومظاهره وسلوكياته وأهله، مع الصبر في الدعوة إلى الله تعالى، وتجرد النفس عن الهوى والرغبة والرهبة. . . كل ذلك جعل إبراهيم ـ عليه السلام ـ «أمة ـ صدّيقاً ـ نبياً ـ أوّاهاً ـ حليماً ـ صادقَ الوعد ـ وفياً ـ من الصالحين ـ مصطفًى في الدنيا ـ أتمّ الله نعمته عليه ـ قانتاً ـ حنيفاً ـ ذا قلبٍ سليم ـ من المصْطَفَين الأخيار ـ إماماً للناس ـ أسوة حسنة ـ خليلاً. . . ».

ومن هنا قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠].

فإبراهيم ـ عليه السلام ـ وصل إلى مرتبة الكمال البشري التي يمكن لبشر أن يصل إليها، وهي ـ كما رأينا ـ صفاتٌ مكتَسبة أنتجتها الممارسة والعمل والتضحية، وإن كانت النبوة جذّرتها وأصّلتها ورسختها دون شك.

ونحن إذا رجعنا إلى النص القرآني الأول الذي افتتحنا به الكلام عن خليل الله تعالى إبراهيم ـ عليه السلام ـ نجد أن الله تعالى وجّه الخطاب مباشرة إلى النبي المصطفى الأمين محمد ﷺ، فقال له: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣]. مما يعني أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ ما زال محتفظاً بمقام القدوة حتى في حقّ نبينا محمد ﷺ.

وقد قال اللّه لنا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ . . .﴾ [الممتحنة: ٤] وهذا يدلّ على أن لنا فيه أسوةً حسنة علينا اتّباعها، وكل ذلك: حتى تكون القدوةُ قدوةً حقاً وواقعاً وسلوكاً وعملاً، لا مجرد شعارات ونظريات! أو خرافات وشطحات! أو أماني وأحلاماً؟!

حاجة أمتنا إلى موقف تجاه القدوات

وأمتنا اليوم إنما تعاني من تمزق في وجهاتها وقدواتها، وتمزق في مرجعياتها ومصادرها العلمية والعَملية، وكل ذلك أنتج لنا واقعاً ممزَّقاً هشّاً خفيفاً.

والخطوة الأولى على طريق النهوض في هذا السبيل إنما هي: البحث عن «معالم القدوة» بمعاييرها القرآنية، ثم العمل على إيجاد أو إنتاج هذه القدوة في حياة الأمة.

أما مجرد الشكوى والتحسّر أو التضجر والتألم فلن يسهم إلا في بقائنا في المعاناة ذاتها!!.

ولعل أهم معايير القدوة الربانية:

١ ـ الإيمان الراسخ بالله تعالى.

٢ ـ الحياة لله تعالى: منعاً وعطاءً، قبولاً ورفضاً، رضاءً وغضباً، سلماً وحرباً، فعلاً وتركاً.

٣ ـ تحكيم النص على الشخص لا الشخص على النص، وهذا يعني الخروج من بوتقة التقديم للأشخاص إلى التقديم للنص لا غير، أي: الانتقال من عالم الشخصنة إلى عالم الفكرة، لأن الله تعالى قد ضمن لنا العصمة في كتابه الذي أنزل ورسوله الذي بعث، ولم يضمن لنا العصمة في سواهما ـ كما قال أبو سليمان الداراني، وسيمر معك هذا الكلام في ترجمته من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ـ.

٤ ـ الغَيرية المسيطرة على الفكر والشعور والسلوك، والتي تدفع صاحبها إلى العمل في خدمة الآخرين، وتفريج همومهم، وقضاء حوائجهم دون رغبة في حصول مغنم أو وقاية من مغرم، بل الحياة لله تعالى لا غير، وهذه إحدى ثمار الإخلاص في العبودية لله تعالى: **أن نعمل لله لا للنفس ولا للهوى**.

٥ ـ وهذا يعني: العلمية المسيطرة على هذه القدوة، فهي لا تفعل إلا بأمر، ولا تترك إلا بنهي، وبالتالي فلا تأمر إلا بنصّ، ولا تنهى إلا بنص، لأن: «من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردّ» كما في الصحيح من الحديث عن رسول الله ﷺ.

وفي التزام هذه القيود وخطواتها عصمة للأمة من تشظّي القدوات، وتمزّق الأمثولات، وهو ما يعاني منه واقعنا المعاصر فكراً وسلوكاً، ولا أظنني أحتاج إلى كثير تدليل على ما أقول، إذ يكفي تصفّحُ الكتب التي يربيّ عليها المربون تلاميذَهم ومريديهم حتى ندرك المآزق الخطيرة المدمّرة التي نسير بأنفسنا وبأمتنا إليها!!.

وبتوحيد النظرة نحو معايير القدوة وضوابطها وسلوكها وقيمها نعود بالأمة إلى ما يشبه عصرها الأول، يوم كان المصطفى ﷺ هو القدوة العملية والعلمية لكل مسلم على هذه الأرض، وهو ما ينبغي أن نحييه من خلال صناعة وتربية النماذج القُدْوَية التي تسير بأمتنا على هَدْي رسول الله ﷺ لا على خُطى غيره بلغ ما بلغ صلاحاً ورشاداً.

بل إن أي قدوة ستفقد قيمتها وأثرها إذا ما خرجت عن خُطى رسول الله ﷺ. وما مهمة القدوة الطيبة الصالحة إلا إصلاح أحوالنا حتى تلتقي مع ما كان عليه سلف الأمة الذين رُبُّوا على هَدْي رسول الله ﷺ، أي: الدلالة على الله تعالى كما أمر الله، ولله تعالى.

ومن هنا تتبين لنا خطورة كتب الطبقات، وبالتالي أهمية كتابنا «صفة الصفوة» الذي نقدم له، فلقد عانى الحافظ ابن الجوزي في عصره ما نعانيه نحن في واقعنا المعاصر من ضبابية القدوة، أو تقزّمها، أو انحرافها، أو ضعف جذوتها، أو سيطرة الدَّخَن عليها، فنهض لتهذيب «حلية الأولياء» الذي لم يرتضِ جميع ما فيه، فلخصه، وزاد عليه، وهذبه مُطَّرِحاً ما فقد الدليلَ، ومؤصِّلاً ما جذره البرهان.

وهكذا قدّم لنا كتاباً في طبقات الصالحين يكاد يكون - في موضوعه وتجرده له - أكثر الكتب سلامة وصواباً في هذا الموضوع حاشا كتب التاريخ العامة، وخاصة كتب مؤرخ الإسلام الذهبي «تاريخ الإسلام» «سير أعلام النبلاء» «تذكرة الحفاظ» لأنها كتب لم يقصد مؤلفها منها ما قصد الحافظ ابن الجوزي من كتابه هذا.

وبعد:

فيا أيها السائرون إلى الله تعالى: هاكم باقات من التراجم لخيرة رجال الأمة في عصرها المتقدم، بدءاً برسول الله ﷺ ووصولاً إلى القرن الخامس الهجري، محققة الدرس، موثقة النقل، مؤصلة المنهل، واطّرحوا عنكم ما ظهر دخنه وعلا غبشه! إذ الأمر خطير: فهو دين ندين الله تعالى به، وتربية نربي أنفسنا عليها، وعظماء نكوِّن تفكيراً عنهم، وكله خطير وجسيم يحتاج منّا إلى مزيد من التحرّي والدقة مع الفحص والدرس حتى تكون مناهلنا في السير إلى الله تعالى صحيحة صالحة مصلحة، راشدة مرشدة، عالمة معلِّمة، ولنتذكَّرْ ما جاء في الأثر: «يا ابن عمر: دينَك دينَك، إنما هو لحمك ودمك، خذه عن الذين استقاموا، ولا تأخذه عن الذين مالوا».

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خالد مصطفى طرطوسي

ترجمة الحافظ ابن الجوزي

١ ـ اسمه ولقبه:

الشيخ الإمام، العلاّمة، الحافظ، المفسّر، شيخ الإسلام، مَفْخَرُ العراق: جمال الدين، أبو الفرج: عبد الرحمٰن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله. ينتهي نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق؛ خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه ووزيره ـ رضي الله عنه ـ.

فهو قرشيّ، بكريّ، بغداديّ، حنبليّ، واعظ، صاحب تصانيف، ولُقِّب ـ وهو صغير ـ بالمبارك.

والجوزي: نسبة إلى جوزة كانت في منزل جد أسرته في واسط، وقيل: نسبة إلى بيع الجوز، أو «شرعة الجوز» ببغداد.

٢ ـ مولده:

وُلد سنة تسع أو عشر وخمس مئة بدرب حبيب ببغداد[١] .

٣ ـ نشأته وطلبه للعلم:

يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ عن أسرته في كتابه«لفتة الكبد» : اعلم يا بنيّ أننا من أولاد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ثم تشاغل سلفنا بالتجارة والبيع والشراء[٢] ا.هـ. فقد كان والده يتَّجر بالنحاس، وكان موسَراً، وخلّف ألوفاً من المال[٣] .

توفي أبوه وهو صغير له من العمر ثلاث سنوات، وبقيت أمه حية إلى ما بعد وفاته سنة (٥٩٧هـ).

ولما ميّز أخذته عمته إلى الفقيه اللغوي محمد بن ناصر، فتولّى تعليمه وتحفيظه القرآن الكريم والحديث الشريف، وأخذ بيده إلى العلماء الكبار في عصره.

يقول ابن الجوزي: «إن أكثر الإنعام عليَّ لم يكن بكسبي، وإنما هو بتدبير اللطيف بي، فإني أذكرُ نفسي ولِيَ همّة عالية وأنا في المكتب ابن ست سنين وأنا قرين الصبيان الكبار، وقد رُزِقتُ عقلاً

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦).

(٢) لفتة الكبد في نصيحة الولد، لابن الجوزي، ص ٤٧.

(٣) مرآة الجنان (٨/ ٣١٠)، ولفتة الكبد (٣٨).

وافراً في الصغر، فما أذكر أني لعبتُ في الطريق مع الصبيان قط، ولا ضحكت ضحكاً خارجاً. . . وكنت ولي سبع سنين أو نحوها أطلب [حلقة] المحدِّث، فيتحدَّث باليسير فأحفظ جميع ما أسمعه، وأذهب إلى البيت فأكتبه، ولقد وُفِّقَ لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر ـ رحمه الله ـ وكان يحملني إلى الشيوخ، فأسمعني «المسند» وغيره من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، وضَبَطَ لي مسموعاتي إلى أن بلغتُ، فناولني ثَبْتَها، ولازمته إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ. وكنت وأنا ـ في زمن الصغر ـ آخذ جزءاً من القرآن وأقعد حجزة من الناس فأتشاغل بالعلم(١).

وهكذا، فقد نشأ محباً للعلم لا يبالي مهما بذل في سبيله، يقول عن نفسه ـ رحمه الله ـ: «ولقد كنتُ في طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصِّبا آخذُ معي أرْغِفةً يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على «نهر عيسى» فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمةً شربت عليها، وعينُ همَّتي لا ترى إلا لذَّة تحصيل العلم.

وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يُدْرَك بالعلم، حتى إنني أذكر في زمان الصَّبْوَة ووقت الغلمة والعزبة قدرتي على أشياء كانت النفسُ تتوق إليها تَوَقانَ العطشان إلى الماء الزُّلال، ولم يمنعني عنها إلا ما أثمر عندي من العلم: من خوف الله عز وجلّ، ولولا خطايا لا يخلو منها البشر لكنتُ أخاف على نفسي من العجب(٢)» ا.هـ.

وهذا ما دفع شيخنا ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ إلى الصعود في مراقي العلم والمعرفة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فلم يكتفِ بلون ولم يقتصر على شيخ!! بل: «ولم أقنع بفنٍّ واحد، بل كنتُ أسمع الفقه، والحديث، وأتبع الزهّاد، ثم قرأت العربية، ولم أترك واحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يُقدَّم إلا وأحضره، وأتخيّر الفضائل»(٣) ا.هـ.

ولذلك قال عنه الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ: وله في كل علمٍ مشاركةٌ، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفّاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقهٌ كافٍ، وأما السَّجْعُ الوعظيّ فله فيه مَلَكَةٌ قوية(٤) ا.هـ.

وقد فسّر القرآن كله في مجلس الوعظ، ويقول في ذلك عن نفسه «ما عرفتُ واعظاً فسَّر القرآن كلَّه في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن، فالحمد لله المنعم»(٥).

وكتب الحديث وله إحدى عشرة سنة، قال أبو محمد الدبيثي: «إليه معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه وسقيمه، وله فيه المصنَّفات من المسانيد والأبواب والرجال ومعرفة ما يُحتجُّ به».

---

(١) لفتة الكبد (٢٣ ـ ٢٤). تاريخ ابن كثير (١٣/ ٢٩)، أقعد حجزة من الناس: مكاناً يحجزني عن الناس.
(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي (١٩١ ـ ١٩٢).
(٣) صيد الخاطر (١٣٥)، ولفتة الكبد (٢٤).
(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٣٤٧).
(٥) المنتظم (٧/ ١٨٢)، طبعة الهند.

وقال ابن الساعي في «الجامع المختصر»: «روى الحديث عن خلق كثير، وسمع الناسُ منه، وانتفعوا به، وكتب بخطه ما لا يدخل تحت الحصر، وخرّج التخاريج، وجمع شيوخه، وأفرد المسانيد، وبيّن الأحاديث الواهية الضعيفة[١]» ا.هـ.

وكان واعظ عصره، بل واعظ الإسلام المتقن الأصولي المنضبط، فقد بدأ الوعظَ في سن مبكرة - يقال: في التاسعة من عمره!! - وكان يحضر مجلسه الكثيرون، يسمعون منه، ويتأثرون به، يقول ابن الجوزي - رحمه الله -: «وضع الله لي القَبول في قلوب الخلق فوق الحدّ، وأوقع كلامي في نفوسهم، فلا يرتابون بصحته، وقد أسلم على يدي نحو مئتين من أهل الذِّمَّة، ولقد تاب في مجالسي أكثر من مئة ألف!! وقد قطعت أكثر من عشرين ألف سالف مما يتعاناه الجهّال»[٢] ا.هـ.

قال ابن رجب: «إن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظيرٌ، ولم يُسمَع بمثلها، وكانت عظيمة النفع، يتذكّر بها الغافلون، ويتعلّم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويُسْلِمُ فيها المشركون»[٣] ا.هـ.

وكذلك كان شأنه في شتى العلوم الإسلامية كالفقه والتاريخ والأدب واللغة والشعر، فقد قال الحافظ الذهبي عنه: «ونظم الشِّعر المليح، وكتب بخطه ما لا يوصف، ورأى من القَبول والاحترام ما لا مزيد عليه»[٤].

٤ - شيوخه:

أخذ عن كبار علماء عصره، وقد جمعهم في «مشيخته» وذكر منهم (٨٦) شيخاً و(٣) شيخات، ومنهم:

١ - أبو حكيم: إبراهيم بن دينار، كان عالماً عاملاً عابداً زاهداً فَرَضياً، قال ابن الجوزي عنه: «قرأتُ عليه القرآن، والمذهب، والفرائض» توفي سنة (٥٥٦هـ)[٥].

٢ - أحمد بن أحمد المتوكلي: انفرد ابن الجوزي بالرواية عنه: «كان سماعه صحيحاً، وسمعتُ منه الحديث، وكتب لي إجازة بخطه، فذكر فيها نسبَهُ الذي ذكرتُه» ا.هـ. توفي سنة (٥٢١هـ)[٦].

٣ - أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد البغدادي: المعروف بالعراقي، نزيل دمشق، كان عالماً بالقراءات، وسمع الحديث على العديد من العلماء، توفي سنة (٥٨٨هـ)[٧].

٤ - أحمد بن الحسن بن أحمد ابن البنّاء البغدادي: أبو غالب، المعروف بمسند العراق، سمع منه الحديث، وقال عنه: كان ثقة ا.هـ. توفي سنة (٥٢٧هـ)[٨].

٥ - أحمد بن محمد ابن أحمد بن أبي الفتح الدينوري: أبو بكر، البغدادي، كان من أئمة الحنابلة

---

(١) الجامع المختصر لابن الساعي (٩/ ٦٦).
(٢) لفتة الكبد (٢٥١).
(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٤١).
(٤) العبر للذهبي (٤/ ٢٩٧).
(٥) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٢٣٩)، والوافي بالوفيات (٥/ ٣٤٧).
(٦) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٤١).
(٧) شذرات الذهب (٤/ ٢٩٢).
(٨) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٨٨)، والعبر (٤/ ٢٧).

في بغداد، تفقّه وسمع الحديث على جماعة من العلماء، وبرع في الفقه، توفي سنة (٥٣٢هـ)[١].

٦ - أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي: أبو نصر، سمع منه ابن الجوزي، وابن ناصر. قال عنه ابن الجوزي: سمعت منه الحديث، وأجاز لي جميع رواياته، وأنشدني أشعاراً حسنة. توفي سنة (٥٢٥هـ)[٢].

٧ - إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي: أبو القاسم، سمع من شيوخ بغداد ودمشق وغيرهم. قال عنه ابن الجوزي: كان له يقظة ومعرفة بالحديث، وأملى بجامع المنصور زيادة على ثلاثمائة مجلس. توفي (٥٣٦هـ)[٣].

٨ - سعد بن نصر بن سعيد الدجاجي البغدادي: أبو الحسن، من أعيان الفقهاء وفضلاءهم، ومن شيوخ الوعاظ ونبلاءهم، كان لطيفاً حلو الكلام ملازماً للمطالعة، مخالطاً للصوفية يحضر معهم السماعات. توفي سنة (٥٦٤هـ)[٤].

٩ - شهدة بنت أحمد بن الفرج الدينوري البغدادي: المعروفة بفخر النساء، مسندة العراق، كانت من العالمات، لها خط جميل جيد، وسمع عليها خلق كثير، وكان لها سماع عالٍ ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر. توفيت سنة (٥٧٤هـ)[٥].

١٠ - عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله، المقرىء البغدادي: أبو محمد، شيخ المقرئين بالعراق، كان كثير التلاوة، لطيف الأخلاق، ظاهر الكياسة والظرافة، حسن المعاشرة للعوام والخواص[٦].

١١ - عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن: أبو البركات الأنماطي البغدادي: محدث بغداد، كان صحيح السماع، ثقة، ديِّناً، جمع الفوائد، وخرَّج التخاريج توفي (٥٣٨هـ)[٧].

١٢ - علي بن عبيد الله بن نصر السري: أبو الحسن الزاغوني، أحد أعيان شيوخ الحنابلة، صاحب التاريخ. توفي سنة (٥٢٧هـ)[٨].

١٢ - محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي، البغدادي: أبو الفضل، محدث العراق، وحافظ بغداد، ومسندها، كان حافظاً، متقناً، ثقةً لا مغمز فيه، ضابطاً. توفي (٥٥٠هـ)[٩].

وغيرهم الكثير.

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ١٩١)، وطبقات المفسرين (١/ ٢٧١).
(٢) العبر (٤/ ٦٤)، طبقات الشافعية (٦/ ٥٨).
(٣) كامل ابن الأثير (١١/ ٩٠)، دول الإسلام (٢/ ٥٥).
(٤) فوات الوفيات (٢/ ٤٦).
(٥) كامل ابن الأثير (١١/ ٤٥٤)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٧٧).
(٦) كامل ابن الأثير (١١/ ١٨).
(٧) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٨٢)، دول الإسلام (٢/ ٥٦).
(٨) العبر (٤/ ٧٢)، شذرات الذهب (٤/ ٨١).
(٩) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٨)، تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٩٢).

٥ ـ تلاميذه:

قال الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ: حدّث عنه ولدُه الصاحبُ العلاّمة محيي الدين يوسف: أستاذ دار المستعصم بالله.

وولدُه الكبير علي الناسخ، وسِبطُه الواعظ شمس الدين يوسف بن قزغلي الحنفي صاحب «مرآة الزمان» والحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين ابن قُدامة، وابن الدُّبَيْثي، وابن النجار، وابن خليل، والضياء، واليَلْداني، والنجيب الحرّاني، وابن عبد الدائم، وخلقٌ سواهم ا.هـ.

٦ ـ ثناء العلماء عليه:

قال عنه الذهبي: كان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنشر الفائق، بديهاً، ويُسهب، ويُعجب، ويُطرب، ويُطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثلُه، فهو حامل لواء الوعظ، والقيِّم بفنونه، مع الشكل الحسَن، والصوت الطيِّب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة.

وكان بحراً في التفسير، علاّمةً في السِّيَر والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقيهاً، عليماً بالإجماع والاختلاف، جيّدَ المشاركة في الطبّ، ذا تفنّن، وفهم، وذكاء، وحفظٍ، واستحضار، وإكبابٍ على الجمع والتصنيف، مع التصوّن والتجمّل، وحُسن الإشارة، ورشاقة العبارة، ولطف الشمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفتُ أحداً صنّف ما صنف[(١)] ا.هـ.

وقال عنه أيضاً: شيخ الإسلام، الإمام، العلاّمة، الحافظ، المفسّر، الشيخ الإمام، مفخر العراق[(٢)] ا.هـ.

وقال: كان ذا حظٌ عظيم وصيتٍ بعيد في الوعظ، يحضر مجالسَه الملوكُ والوزراءُ، وبعض الخلفاء، والأئمةُ والكبراء، لا يكاد المجلس يَنْقُصُ عن ألوف كثيرة، حتى قيل في مجالسه: إنه حُزِر الجمع بمئة ألف!! ولا ريب أن هذا ما وقع، ولو وقع لما قدر أنْ يُسمعهم ولا المكان يسعهم[(٣)] ا.هـ.

وقال عنه سِبطه أبو المظفّر: كان زاهداً في الدنيا، متقلّلاً منها، وكان يجلس بجامع القصر والرصافة وبباب بدر وغيرها... وما مازح أحداً قط، ولا لعب مع صبيٍّ، ولا أكل من جهةٍ لا يتيقن حِلَّها[(٤)] ا.هـ.

وقال أبو عبد الله ابن الدُّبَيْثي في «تاريخه»: شيخُنا جمال الدين صاحب التصانيف في فنون العلوم، من التفسير، والفقه، والحديث، والتواريخ، وغير ذلك.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٠).
(٤) مرآة الزمان (٨/ ٤٨٢).

وإليه انتهت معرفةُ الحديث وعلومه، والوقوفُ على صحيحه من سقيمه، وكان أحسنَ الناس كلاماً، وأتمَّهم نِظاماً، وأعذَبهم لساناً، وأجودهم بياناً[(١)].

٧ ـ محنته:

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: وقد نالته محنةٌ في أواخر عمره، ووشَوْا به إلى الخليفة الناصر عنه بأمر اختُلف في حقيقته؟ فجاء من شتمه وأهانه، وأخذه قبضاً باليد، وختم على داره، وشتّت عياله، ثم أُقعد في سفينة إلى مدينة واسط، فحُبِسَ بها في بيتٍ حرجٍ، وبقي هو يغسل ثوبَه، ويطبخُ الشيء، فبقي على ذلك خمس سنين ما دخل فيها حمّاماً، قام عليه الرُّكْنُ عبدُ السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر، وكان ابن الجوزي لا ينصف الشيخ عبد القادر، ويغضُّ من قدره فأبغضه أولادُه، ووَزَرَ صاحبُهم ابنُ القصاب ـ وقد كان الرُّكنُ رديءَ المعتَقَد، متفلسفاً، فأُحرقت كتبُه بإشارة ابن الجوزي. وقد كان ابن القصّاب الوزيرُ يترفَّضُ، فأتاه الركن وقال: أين أنت من ابن الجوزي الناصبي؟ وهو أيضاً من أولاد أبي بكر!! فَصَرَّف الركنَ في الشيخ، فجاء وأهانه، وأخذه معه في مركب وعلى الشيخ غلالةٌ بلا سراويلَ، وعلى رأسه تخفيفةٌ، وقد كان ناظر واسط شيعياً أيضاً، فقال له الركنُ: مكِّنِّي من هذا الفاعل لأرميَه في مطمورةٍ!! فزجره وقال: يا زنديق: أفعلُ هذا بمجرّد قولك؟ هاتِ خطَّ أمير المؤمنين، والله لو كان على مذهبي لبذلتُ روحي في خدمته!!.

فرُدَّ الركنُ إلى بغداد. وكان السببُ في خلاص الشيخ: أن ولده يوسفَ نشأ واشتغل وعمل في هذه المدة الوعظَ وهو صبيّ، وتوصَّل حتى شفعت أم الخليفة وأطلقت الشيخَ، وأتى إليه ابنُه يوسفُ فخرج، وما رُدَّ من واسط حتى قرأ هو وابنُه بتلقينه [بالقراءات] العشر على ابن الباقلاّنيّ، وسِنُّ الشيخ نحو الثمانين، فانظر إلى هذه الهِمَّة العالية!![(٢)]. ا.هـ.

٨ ـ من غُرَرِ ألفاظه:

ـ عقاربُ المنايا تلسَعُ، وخُدران جسم الآمال يمنع، وماءُ الحياة في إناء العمر يرشح.

ـ يا أمير: اذكر عند القدرة عَدْلَ الله فيك، وعند العقوبة قدرة الله عليكَ، ولا تَشْفِ غيظَك بسُقم دينك!.

ـ وقال لصديقٍ له: أنت في أوسع العذر من التأخُر عنّي لثقتي بكَ، وفي أضيقه من شوقي إليك.

ـ قال له رجلٌ: ما نمتُ البارحةَ من شوقي إلى المجلس! فقال: لأنك تريد الفُرجةَ، وإنما ينبغي الليلةَ أن لا تنام.

ـ وقام إليه رجل بغيضٌ فقال: يا سيدي، نريدُ كلمةً ننقلها عنك: أيُّما أفضلُ: أبو بكر أو علي؟

فقال: اجلس، فجلس، ثم قام فأعاد مقالتَهُ، فأقعده، ثم قام، فقال: اقعُدْ، فأنت أفضل [من الفُضول وهو الكلام في غير فائدة] من كل أحد.

---

(١) مرآة الزمان (٨/ ٤٨٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧).

ـ وسأله آخَرَ أيام ظهور الشيعة السؤال ذاته؟ فقال: أفضلهما مَنْ كانت بنتُه تحتَه. وهذه عبارة محتَمِلةٌ تُرضي الفريقين لأن بنت النبي ﷺ كانت تحت عليّ، وبنت أبي بكر كانت تحت رسول الله ﷺ.

ـ وسأله آخرُ: أيما أفضل: أسبّح أو أستغفر؟

فقال: الثوبُ الوسِخُ أحوجُ إلى الصابون من البخور.

ـ وقال: من قَنَعَ طابَ عيشُه، ومن طمع طال طيشُه.

ـ وقال: ما اجتمع لامرىء أملُه إلا وسعى في تفريطه أجلُه.

ـ وقال عن واعظ: احذروا جاهل الأطبّاء، فربّما سمّى سُمّاً ولم يعرفِ السُّمّ.

ـ وكان يقول: أهل الكلام يقولون: ما في السماء ربٌّ، ولا في المصحف قرآنٌ، ولا في القبر نبيّ، ثلاثُ عورات لكم!!.

ـ ورأى رجلاً تواجد في مجلسه! فقال: واعجباً! كلُّنا في إنشاد الضّالّة سواءٌ، فلِمَ وجدتَ أنت وحدَكَ؟ [ثم قال]:

قد كتمتُ الحبّ حتى شفّني ... وإذا ما كُتِمَ الداءُ قتلْ
بين عينَيك علالاتُ الكرَى ... فدعِ النومَ لربّاتِ الحَجَلْ[1]

٩ ـ مصنفاته:

المغني في التفسير ـ تذكرة الأريب في تفسير الغريب ـ نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر ـ فنون الأفنان في علوم القرآن ـ ورد الأغصان في فنون الأفنان ـ عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ ـ غريب الغريب ـ زاد المسير في علم التفسير ـ منتقد المعتقد ـ منهاج الوصول إلى علم الأصول ـ غوامض الإلهيات ـ مسلك العقل ـ منهاج أهل الإصابة ـ الردّ على المتعصب العنيد ـ السرّ المصون ـ دفع شبهة التشبيه ـ جامع المسانيد بألخص الأسانيد ـ الحدائق ـ نَقي النقل ـ المجتبى ـ عيون الحكايات ـ إرشاد المريدين في حكايات السلف الصالحين ـ ملتقط الحكايات ـ التحقيق في أحاديث التعليق ـ مناقب بغداد ـ تلقيح فهوم الأثر في عيون التواريخ والسِّيَر ـ طرائف الطرائف في تاريخ السوالف ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ الإنصاف في مسائل الخلاف ـ جنة النظر وجنّة الفطر ـ معتصر المختصر في مسائل النظر ـ ردّ اللوم والضيم في صوم يوم الغيم ـ المُذَهّب في المذهب ـ مسبوك الذهب ـ العبادات الخمس ـ تبصرة المبتدىء ـ اللطائف ـ المنتخب في النّوَب ـ واسطات العقود من شاهدٍ ومشهود ـ كنز المذكر ـ كنوز الرموز ـ لقط الجمان ـ الياقوتة ـ المدهش ـ اليواقيت في الخطب ـ القُصّاص والمذكرون ـ إحكام الأشعار بأحكام الأشعار ـ الثبات عند الممات ـ الطب الروحاني ـ مناقب عمر بن الخطاب ـ الشيب والخضاب ـ المصباح المضيء في دولة المستضيء ـ ذمّ الهوى ـ

(١) انظر نتفاً من أقواله غير ما ذكرنا في: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢ و٣٧٥ ـ ٣٧٦) وقد أحال إلى ترجمته في تاريخ الإسلام.

الحمقى والمغفّلون ـ الأذكياء ـ تلبيس إبليس ـ الشفا في مواعظ الملوك والخلفا ـ تقويم اللسان ـ صيد الخاطر ـ مناقب الحسن البصري ـ مناقب سفيان الثوري ـ مناقب عمر بن عبد العزيز ـ البازي الأشهب ـ المنتقى على مخالفي المذهب ـ سَلْوَةُ الأحزان بما رُوي عن ذوي العرفان ـ نواسخ القرآن ـ عيون الحكايات ـ مشكل الصحاح ـ الموضوعات ـ الواهيات ـ الضعفاء ـ نسيم السَّحَر ـ المنتخب ـ صفة الصفوة [وهو كتابنا هذا] ـ أخبار الأخيار ـ أخبار النساء ـ مثير الغرام الساكن ـ منافع الطب ـ صبا نجد ـ الظرفاء ـ الملهب ـ المطرب ـ منهاج القاصدين ـ الوفا بفضائل المصطفىﷺ ـ مناقب أبي بكر ـ مناقب عليّ ـ مناقب إبراهيم بن أدهم ـ مناقب الفُضيل ـ مناقب بشر الحافي ـ مناقب أحمد ـ مناقب الشافعي ـ مناقب الحَبَش ـ مناقب معروف ـ لفتة الكبد. . .

وقيل: نيّفتْ تصانيفه على الثلاث مئة[(١)] ا.هـ.

وكان يقول عن نفسه: «أنا مرتّب، ولستُ بمصنِّف»[(٢)] ا.هـ.

١٠ ـ وفاته ـ رحمه الله ـ:

بعد محنته التي ذكرنا لم يعش إمامنا إلا سنتين، فقد اختاره الباري سبحانه إلى جنابه الكريم في يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مائة للهجرة، وكانت جنازته مهيبة، ودفن والمؤذن يقول: الله أكبر، وحزن الناس عليه، وباتوا عند قبره بقية شهر رمضان الذي توفي فيه؛ يختمون القرآن الكريم.

رحم الله إمامنا ابن الجوزي، وجزاه عن هذه الأمة خير ما يُجزى عالم عن أمته، ومرشد عن تلاميذه، ونفعنا بعلومه وفنونه، إنه سميع مجيب.

أقول: ومن تقدير الله تعالى أن وفاة الشيخ رحمه الله كانت يوم الجمعة ١٢ رمضان (٥٩٧هـ) وأنا أكتب هذه الترجمة سَحَر ليلة الجمعة ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ!! والحمد لله على كل حال.

مصادر ترجمة الحافظ ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ:

«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ٣٦٥. . .) ابن الأثير في «تاريخه» (١٢/ ١٧١)، ابن الدبيثي في «الذيل» (الورقة ١٢٢ وباريس ٥٩٢٢)، ابن أبي الدم في «التاريخ المظفري» الورقة (٢٢٩)، «مرآة الزمان» لسبطه (٨/ ٤٨١)، المنذري في «التكملة لوفيات النَّقَلَة» (برقم ٦٠٨)، أبو شامة في «الذيل» (٢١)، ابن الساعي في «الجامع» (٩/ ٦٥)، «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ١٤٠)، «العبر» للذهبي (٤/ ٢٩٧)، «دول الإسلام» (٢/ ٧٩)، «المختصر المحتاج إليه» (٢/ ٢٠٥)، تذكرة الحفاظ (٤/

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ و٣٧٤ ـ ٣٧٥)، وانظر: كتابنا هذا «صفة الصفوة» عند ترجمة الأعلام الذين كتب لهم مناقب. ومرآة الزمان (٨/ ٢٨٢)، و«مؤلفات ابن الجوزي» تأليف عبد الحميد العلوجي، طبع بغداد ١٩٦٥، وعامة مصادر ترجمته الآتية.

(٢) ابن رجب في ذيله على طبقات الحنابلة (٣/ ٤١٤).

١٣٤٢)، «تاريخ ابن كثير» (١٣/ ٢٨)، «المستفاد» للدمياطي: الورقة (٦)، ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٩٩)، «العسجد» للغساني الورقة (١٠٦) «غاية النهاية» للجزري (١/ ٣٧٥)، «عقد الجُمان» للعيني (١٧/ الورقة ٣٦١). كتاب: المنتظم: دراسة في منهجه وموارده وأهميته ـ د. حسن عيسى علي الحكيم، وبواسطته: «لفتة الكبد» و«صيد الخاطر» لابن الجوزي، والحمد لله رب العالمين.

ترجمة الحافظ أبي نُعَيْم الأصبهاني(١)
مؤلف «حِلْيَة الأولياء»

١ ـ اسمه وأصله:

هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، أصله من «أصبهان» من بلاد فارس.

٢ ـ ولادته ونشأته:

ولد سنة (٣٣٦هـ)، ونشأ في بيت علم، فقد كان أبوه محدثاً.

٣ ـ ثناء العلماء عليه:

ـ ابن كثير: الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة.

ـ ابن خلّكان: من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات.

ـ الذهبي: الحافظ الكبير محدث العصر، رحلت الحفّاظ إلى بابه لعلمه وحفظه وعلوّ إسناده.

ـ أحمد بن محمد بن مردويه: كان في وقته مرحولاً إليه، لم يكن في أفق من الآفاق أحد أحفظ ولا أسند منه، فإن حفّاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده، وكل يوم نوبة أحد منهم، يقرأ ما يريد إلى قريب الظهر، فإذا قام إلى داره ربما يُقرأ عليه في الطريق جزءٌ، وكان لا يضجر.

ـ الخطيب البغدادي: لم أر أحداً أُطلق عليه اسم الحفظ غير أبي نُعيم وأبي حازم العبدوي.

ـ السبكي: الإمام الجليل، الحافظ، الصوفي، الجامع بين الفقه والتصوف والنهاية في الحفظ والضبط... أحد الأعلام الذين بين العلوّ في الرواية والنهاية في الدراية.

ـ ابن النجار: تاج المحدثين، وأحد أعلام الدين.

ـ ابن الجوزي: الحافظ.

٤ ـ وفاته:

عاش ـ رحمه الله ـ (٩٤) سنة، فقد توفي سنة (٤٣٠هـ) رحمه الله تعالى.

---

(١) رأينا ـ إتماماً للفائدة المبتغاة من الكتاب ـ ذِكْرَ كلمة مقتضبة في ترجمة الحافظ أبي نعيم الأصطبهاني مؤلف كتاب «حلية الأولياء» الذي لخّصه وزاد عليه الحافظ ابن الجوزي ـ رحمهما الله تعالى ـ.

كتاب «حِلْيَة الأولياء»:

ـ قال عنه الحافظ ابن كثير: «ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة، منها «حلية الأولياء» في مجلدات كثيرة، دلّت على اتساع روايته، وكثرة مشايخه، وقوة اطلاعه على مخارج الحديث وشعب طرقه...».

ـ وقال السِّلَفي: لم يُصَنَّف مثل كتابه «حلية الأولياء».

ـ وقال الذهبي: ولأبي نعيم تصانيف مشهورة... يعمل فيها الواهيات، ويكاسر عنها، كدأب غيره من المحدثين، والله الموعد ا.هـ!!.

ـ وقال ابن خلّكان: كتاب «الحلية» من أحسن الكتب(١).

رأيُ الحافظ ابن الجوزي بكتاب الحلية

لخَّص الحافظ ابن الجوزي رأيه بكتاب «الحلية» في مقدمته لكتابه «صفة الصفوة» هذا، فقال:

١ ـ إن الكتاب موضوعٌ لذكر أخبار الأخيار، والمقصود من ذكرهم شرحُ أحوالهم وأخلاقهم ليقتدي بها السائل، وقد ذكر أسماء جماعة ثم لم ينقل عنهم شيئاً!.

٢ ـ إنه نقل عن الرجل الذي ترجم له دون نظر: هل يليق هذا الكلام المنقول بالكتاب أم لا؟

٣ ـ أعاد أخباراً كثيرة.

٤ ـ أطال بذكر الأحاديث المرفوعة التي يرويها الشخص المترجَم له، فيَنسى ما وُضع له ذكرُ الرجل من بيان آدابه وأخلاقه!.

٥ ـ ذكر في كتابه أحاديث كثيرة باطلة موضوعة دون بيان أنها موضوعة! وجمهور المائلين إلى أعمال البِرّ يخفى عليهم الصحيح من غيره، فَسترُ ذلك عنهم غشٌ من الطبيب لا نصح!!.

٦ ـ استعماله السجع البارد الذي لا يكاد يحتوي على معنى صحيح، خصوصاً في تعريفاته للتصوف!.

٧ ـ إضافة التصوف إلى كبار السادات، وليس عندهم خبر عن التصوف؟ والتبرير بأنه عنى الزهدَ لا ينهض حجة في ذلك، لأن التصوف مذهب معروف عند أصحابه لا يُقتَصَر فيه على الزهد! والدليل على أن التصوف زائد على معنى الزهد ما رواه أبو نعيم نفسه عن بعض من ترجم لهم، كما روى عن الشافعي ـ رحمه الله ـ قوله: «التصوف مبنيّ على الكسل، ولو تصوّف رجلٌ أول النهار لم يأتِ الظهر إلا وهو أحمق».

---

(١) انظر ترجمة الحافظ أبي نُعَيْم ـ رحمه الله ـ في: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/ ١٨)، معجم البلدان (١/ ٢١٠)، ابن كثير في تاريخه (وفيات سنة ٤٣٠)، وفيات الأعيان (١/ ٩١)، تذكرة الحفاظ (ت رقم ٩٩٣ ص ١٠٩٢)، المنتظم (١٥/ ٢٦٨ سنة ٤٣٠)، الكامل لابن الأثير (٨/ ٢٣٢).

٨ ـ حكى كلاماً لا طائل فيه، تارة لا يكون فيه معنى صحيح، وتارة يكون غير لائق بالكتاب، وهذا خلل في صناعة التأليف، إذ على المصنف أن ينتقي فيتوقَّى، ولا يكون كحاطب ليل، فالنطاف العذاب تروي لا البحر!!.

٩ ـ ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها، وفيها خطر على المبتدىء فيظنها حسنة فيحتذيها!! وقد تكون سخيفة ممنوعاً منها شرعاً!!.

١٠ ـ خلط في ترتيب القوم، فقدم من ينبغي تأخيره وأخّر من ينبغي تقديمه!!.

١١ ـ وأهم ما فاته أنه لم يذكر سيد الزهاد، وإمام الكل، وقدوة الخلق: نبينا محمد ﷺ فإنه ﷺ المتَّبع طريقُه والمقتدَى بحاله؟!

ب ـ ترك ذكر الكثيرين ممن نُقل عنهم التعبد والاجتهاد الكبير.

ج ـ لم يذكر من عوابد النساء إلا القليل، ومعلوم أن ذكر العابدات مع قصور الأنوثية يوثب المقَصِّر من الذكور[1]. ا.هـ.

وهكذا، نجد أن الحافظ ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ لم يرتض ما فعله الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ في «الحلية» فلخصه، وزاد عليه، وهذبه، وقد بيّن القاعدة التي سار عليها في جمعه لكتابه، وترجمته لأعلامه، بما يحتِّم على كل قارىء لـ «صفة الصفوة» أن يقرأها بوعي ورشد حتى تعود عليه الفائدة المرجوة ـ إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر انتقاد ابن الجوزي لأبي نعيم في مقدمته لكتابنا هذا «صفة الصفوة» وقد لخصناها هنا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المُصنّف

قال الشيخ الإمام العلامة شمس الأعلام، لسان المتكلمين، أوحد العلماء العالمين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي رحمه الله:

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، حمداً إذا قابل النعم وفَى، وسلاماً إذا بلغ المصطَفَيْنَ شفَى، وخصّ الله بخاصة ذلك نبينا المصطفى، ومن احتذى حذوه من أصحابه وأتباعه واقتفى، وفقنا لسلوك طريقهم فإنه إذا وفّق كفى.

أما بعد: فإنك أيها الطالب الصادق، والمريد المحقق لمّا نظرتَ في كتاب «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني أعجبك ذكر الصالحين والأخيار، ورأيته دواء لأدواء النفس، إلا أنك شكوتَ من إطالته بالأحاديث المسندة التي لا تليق به وبكلام[1] عن بعض المذكورين كثير قليل الفائدة، وسألتني أن أختصره لك وأنتقي محاسنه، فقد أعجبني منك أنك أصبتَ في نظرك، إلا أنه لم يُكشف لك كلّ الأمر، وأنا أكشفه لك فأقول:

اعلم أن كتاب «الحلية» قد حوى من الأحاديث والحكايات جملة حسنة إلا أنه تكدّر بأشياء وفاتته أشياء. **فالأشياء التي تكدَّر بها عشرة:**

الأول ـ أن هذا الكتاب إنما وضع لذكر أخبار الأخيار، وإنما يراد من ذكرهم شرح أحوالهم وأخلاقهم ليقتدي بها السالك، فقد ذكر فيه أسماء جماعة ثم لم ينقل عنهم شيئاً من ذلك، ذكر عنهم ما يروونه عن غيرهم أو ما يسندونه من الحديث، كما ملأ ترجمة هشام بن حسان بما يروي عن الحسن، وتلك الحكايات ينبغي أن تدخل في ترجمة الحسن لا في ترجمة هشام، وكذلك ملأ ترجمة جعفر بن سليمان بما يروي عن مالك بن دينار ونظرائه، ولم يذكر له عنه شيئاً.

والثاني ـ أنه قصد ما ينقل عن الرجل المذكور، ولم ينظر هل يليق بالكتاب أم لا، مِثْل ما ملأ ترجمة مجاهد بقطعة من تفسيره، وترجمة عكرمة بقطعة من تفسيره، وترجمة كعب الأحبار بقطعة من التوراة وليس هذا بموضع هذه الأشياء.

والثالث ـ أنه أعاد أخباراً كثيرة؛ مثل ما ذكر في ترجمة الحسن البصري من كلامه، ثم أعاده في تراجم أصحابه الذين يَرْوُونَ كلامه، وذكر في ترجمة أبي سليمان الداراني من كلامه، وأعاده في ترجمة أحمد بن أبي الحواري بروايته عن أبي سليمان.

---

(١) أي: شكوت من إطالته بذكر الأحاديث المسندة ومن إطالته بذكر كلامٍ عن بعض المذكورين كثير...

والرابع ـ أنه أطال بذكر الأحاديث المرفوعة التي يرويها الشخص الواحد فيَنْسى ما وُضع له ذِكرُ الرجل من بيان آدابه وأخلاقه، كما ذكر شُعبة وسفيان ومالك وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل وغيرهم، فإنه ذكر عن كل واحد من هؤلاء من الأحاديث التي يرويها مرفوعة جملةً كثيرةً، ومعلوم أن مثل كتابه الذي يقصد به مداواة القلوب إنما وُضع لبيان أخلاق القوم لا الأحاديث، ولكل مقام مقال.

ثم لو كانت الأحاديث التي ذكرها من أحاديث الزهد اللائقة بالكتاب لَقَرُبَ الأمر، ولكنها من كل فن، وعمومها من أحاديث الأحكام والضعاف. أو لو كان اقتصر على الغريب من روايات المكثرين، أو رَخُّم[١] ما يرويه المقلّون ـ كما روي عن الجنيد أنه لم يُسنِد إلا حديثاً واحداً ـ لكان ذِكْرُ مثلِ هذا حسناً، لكنه أمعن فيما لا يتعلق ذكره بالكتاب.

والخامس ـ أنه ذكر في كتابه أحاديث كثيرةً باطلة وموضوعة، فقصد بذكرها تكثير حديثه وتنفيقَ رواياته، ولم يبين أنها موضوعة. ومعلوم أن جمهور المائلين إلى التبرّر[٢] يخفى عليهم الصحيح من غيره، فَسَتْرُ ذلك عنهم غشٌ من الطبيب لا نصح.

والسادس ـ السجع البارد في التراجم، الذي لا يكاد يحتوي على معنى صحيح، خصوصاً في ذكر حدود التصوف.

والسابع ـ إضافة التصوف إلى كبار السادات كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن وشُريْح وسفيان وشعبة ومالك والشافعي وأحمد، وليس عند هؤلاء القوم خَبَرٌ من التصوف[٣].

فإن قال قائل: إنما عنى به الزهد في الدنيا وهؤلاء زهاد! قلنا: التصوف مذهب معروف عند أصحابه لا يُقتَصر فيه على الزهد، بل له صفات وأخلاق يعرفها أربابه، ولولا أنه أمرٌ زِيدَ على الزهد ما نُقل عن بعض هؤلاء المذكورين ذمّه، فإنه قد رَوى أبو نُعيم في ترجمة الشافعي رحمة الله عليه أنه قال: «التصوف مبنيّ على الكسل، ولو تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر إلا وهو أحمق». و قد ذكرتُ الكلام في التصوف ووسّعتُ القول فيه في كتابي المسمى بـ «تلبيس إبليس».

والثامن ـ أنه حكى في كتابه عن بعض المذكورين كلاماً أطال به لا طائل فيه، تارةً لا يكون في ذلك الكلام معنى صحيح، كجمهورِ ما ذَكر عن الحارث المحاسبي وأحمد بن عاصم، وتارة يكون ذلك الكلام غير اللائق بالكتاب، وهذا خلل في صناعة التصنيف، وإنما ينبغي للمصنف أن ينتقي فيتوقّى، ولا يكون كحاطب ليل، فالنُّطاف[٤] العِذاب تروي لا البحر.

والتاسع ـ أنه ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها، فربما سمعها المبتدئ القليل العِلم فظنها

(١) هو كلامٌ رَخْمٌ: ليِّنٌ. القاموس (ر ـ خ ـ م).

(٢) التبرّر: من البِرّ، وهو طلبُ العمل الصالح.

(٣) وهذا كلام من الإمام ابن الجوزي حقّ، لأن الاستقراء أثبت أن مصطلح «التصوف» إنما نشأ بعد منتصف المئة الثانية للهجرة ـ كما ذكر إمام القوم القشيري في مقدمة رسالته المشهورة ـ.

(٤) النُّطْفة: قليلُ ماءٍ يبقى في دَلْوٍ أو قِرْبةٍ.

حسنةً فاحتذاها، مثل ما روي عن أبي حمزة الصوفي أنه وقع في بئر فجاء رجلان فَطمّاها، فلم ينطق حملاً لنفسه على التوكُّل بزعمه؟! وسكوت هذا الرجل في مثل هذا المقام إِعانة على نفسه وذلك لا يحِلُّ، ولو فهم معنى التوكُّل لعلم أنه لا ينافي استغاثته في تلك الحال، كما لم يخرج رسول الله ﷺ من التوكُّل بإِخفائه الخروج من مكة واستئجاره دليلاً واستكتامه، واستكفائه ذلك الأمر واستتاره في الغار، وقوله لسُراقة: «أخفِ عنا»[١].

فالتوكل الممدوح لا يُنال بفعل محذور، وسكوت هذا الواقع في البئر محظور عليه، وبيان ذلك أن الله عز وجل قد خلق للآدمي آلة يدافع بها عن نفسه الضرر، وآلةً يجتلب بها النفع، فإذا عطَّلها مدَّعياً للتوكل كان جهلاً بالتوكل ورداً لحكمة الواضع، لأن التوكل إنما هو اعتماد القلب على الله سبحانه، وليس من ضرورته قطع الأسباب، ولو أن إنساناً جاع فلم يأكل، أو احتاج فلم يسأل، أو عرِي فلم يلبس، فمات: دخل النار، لأنه قد دُلّ على طريق السلامة، فإذا تقاعد عنها أعان على نفسه.

[وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا محمد بن علي، ثنا محمد بن محمد بن بدر، ثنا عبد الرحمن بن يونس، ثنا مُطَرِّف بن مازن، قال: سمعتُ الثوريَّ يقول: من جاع ولم يسأل فمات دخل النار[٢]].

قلت: ولا التفات إلى أبي حمزة في حكايته «فجاء أسد فأخرجني»، فإنه إن صح ذلك فقد يقع مثله اتفاقاً، وقد يكون لطفاً من الله تعالى بالعبد الجاهل، ولا يُنكر أن يكون الله تعالى لطَفَ به، إنما يُنكر فعلُه الذي هو كسبه، وهو إعانته على نفسه التي هي وديعة الله تعالى عنده وقد أُمر بحفظها.

وكذلك روى عن الشبلي: أنه كان إذا لبس ثوباً خرقه، وكان يحرق [الثياب][٣] والخبزَ والأطعمةَ التي ينتفع بها الناسُ بالنار، فلما سئل عن هذا؟ احتجَّ بقوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، وهذا في غاية القبح لأن سليمان عليه السلام نبي معصوم فلم يفعل إلا ما يجوز له، وقد قيل في التفسير: إنه مسح على نواصيها وسُوقها، وقال: أنتِ في سبيل الله. وإن قلنا: إنه عَقرها[٤]. فقد أطعمها الناس، وأكْل لحم الخيل جائز، فأما هذا الفعل الذي حكاه عن الشبلي فلا يجوز في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٦) مطوّلاً.

(٢) في كافة النسخ المطبوعة: أخبرنا محمد بن... قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال: حدثنا محمد بن العباس بن أيوب، قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن يونس الرّقي، قال: حدثنا مُطَرّف بن مازن عن الثوري قال: «من جاع فلم يسأل الناس حتى مات دخل النار»، وهو نص ظاهر البتر، وقد آثرنا إثبات ما في الحلية بسند الأصفهاني؛ لأن الحافظ ابن الجوزي إنما ينقل عنه ا هـ. انظر «الحلية» (٦/ ٣٩٠)، في ترجمة «الثوري».

(٣) انظر «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٧٤)، وما بين معقوفتين منها.

(٤) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حباً لها، وهذا القول اختاره ابن جرير، قال: لأنه لم يكن ليعذِّب حيواناً ويهلك مالاً من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها ا.هـ. تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥).

شريعتنا، فإن رسول الله ﷺ نهى عن إضاعة المال[١]. وحكى عنه لما مات ولده وحكى حلق لحيته وقال: قد جزّت أمّه شعرَها على مفقود أفلا أحلق أنا لحيتي على موجود؟ إلى غير ذلك من الأشياء السخيفة الممنوعِ منها شرعاً.

والعاشر ـ أنه خلط في ترتيب القوم فقدّم من ينبغي أن يؤخر، وأخّر من ينبغي أن يقدّم، فعل ذلك في الصحابة وفيمن بعدهم، فلا هو ذكرهم على ترتيب الفضائل، ولا على ترتيب المواليد، ولا جمع أهل كل بلد في مكان، وربما فعل هذا في وقت ثم عاد فخلط، خصوصاً في أواخر الكتاب، فلا يكاد طالب الرجل يهتدي إلى موضعه، ومن طالع كتاب هذا الرجل ممن له أُنس بالنقل انكشف له ما أشرت إليه.

وأما الأشياء التي فاتته فأهمها ثلاثة أشياء:

أحدها: أنه لم يذكر سيد الزهاد وإمام الكل وقدوة الخلق وهو نبينا ﷺ فانه المتَّبَعُ طريقه المقتدَى بحاله.

والثاني: أنه ترك ذكر خلق كثير قد نُقل عنهم من التعبد والاجتهاد الكبير، ولا يجوز أن يُحمل ذلك منه على أنه قصد المشتهرين بالذكر دون غيرهم، فإنه قد ذكر خلقاً لم يُعرفوا بالزهد ولم ينقل عنهم شيء، وربما ذكر الرجل فأسند عنه أبيات شعرٍ فحسب، ففعلُه يدل على أنه أراد الاستقصاء، وتقصيره في ذلك ظاهر.

والثالث ـ أنه لم يذكر من عوابد النساء إلا عدداً قليلاً، ومعلوم أن ذكر العابدات مع قصور الأنوثية، يوثِب المقصّر من الذكور، فقد كان سفيان الثوري ينتفع برابعة ويتأدّب بكلامها.

وقد حداني جِدّك أيها المريد في طلب أخبار الصالحين وأحوالهم أن أجمع لك كتاباً يغنيك عنه، ويحصّل لك المقصود منه، ويزيد عليه بذكر جماعة لم يذكرهم، وأخبار لم ينقلها، وجماعة وُلدوا بعد وفاته، وينقُص عنه بترك جماعة قد ذكرهم لم ينقل عنهم كبير شيء، وحكاياتٍ قد ذكرها، فبعضها لا ينبغي التشاغل به، وبعضها لا يليق بالكتاب على ما سبق بيانه.

فصل في بيان وضع كتابنا والكشف عن قاعدته

لما كان المقصود بوضع مثل هذا الكتاب ذكرُ أخبار العاملين بالعلم، الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، المستعدين للنُّقلة بتحقيق اليقظة والتزود الصالح، ذكرت مَن هذه حاله دون مَن اشتهر بمجرد العلم ولم يشتهر بالزهد والتعبد.

ولما سَمّيتُ كتابي هذا «صفة الصفوة» رأيت أن أفتتحه بذكر نبينا محمد ﷺ فإنه صفوة الخلق وقدوة العالم.

---

(١) أخرج البخاري (١٤٧٧)، ومسلم في الأقضية (٥٩٣/ ١٢)، وغيرهما عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله كرِهَ لكم ثلاثاً: قيلَ وقالَ، وإضاعةَ المال، وكثرة السؤال».

فإن قال قائل: فهلاّ ذكرت الأنبياء قبله فإنهم صفوة أيضاً؟.

فالجواب- إن كتابنا هذا إنما وُضع لمُداواة القلوب وترقيقها وإصلاحها، وإنما نُقل إلينا أخبارٌ آحادٌ من الأنبياء! ثم لم يُنقل في أخبار أولئك الآحاد ما يناسب كتابنا إلا أن يُذكر عن عبّاد بني إسرائيل ما حملوا على أنفسهم من التشديد، أو عن عيسى عليه السلام وأصحابه ما يقتضيه الترهبن، وذلك منقسم إلى ما تبعد صحته، والى ما نُهِيَ عنه في شرعنا، وقد ثبت أن نبينا ﷺ أفضل الأنبياء، وأن أمته خير الأمم، وأن شريعته حاكمة على جميع الشرائع، فلذلك اقتصرنا على ذكره وذكر أمته.

فصل في بيان ترتيب كتابنا

أنا أبتدئ بتوفيق الله سبحانه ومعونته فأذكر باباً في فضل الأولياء والصالحين، ثم أردفه بذكر نبينا محمد ﷺ وشرح أحواله وآدابه وما يتعلق به، ثم أذكر المشتهرين من أصحابه بالعلم المقترن بالزهد والتعبد، وآتي بهم على طبقاتهم في الفضل، ثم أذكر المصطَفَيات من الصحابيات على ذلك القانون، ثم أذكر التابعين ومَن بعدهم على طبقاتهم في بلدانهم.

وقد طفت الأرض بفكري شرقاً وغرباً، واستخرجت كل من يصلح ذكره في هذا الكتاب من جميع البقاع، ورُبَّ بلدةٍ عظيمة لم أَرَ فيها من يصلح لكتابنا.

وقد حصرتُ أهل كل بلدة فيها، وترتِيبُهُم على طبقاتهم: أبدأ بمن يُعرف اسمه من الرجال، ثم أذكر بعد ذلك من لم يُعرف اسمه، فإذا انتهى ذكرت عابدات ذلك البلد على ذلك القانون، وربما كان في أهل البلد من عقلاء المجانين من يصلح ذكره من الرجال والنساء فأذكره.

وإنما ضبطت هذا الترتيب تسهيلاً للطلب على الطالب، ولما لم يكن بدّ من مركز يكون كنقطة للدائرة رأيت أن مركزنا ـ وهو بغداد ـ أولى من غيره، إلا أنه لما لم يمكن تقديمها على المدينة ومكة لشرفهما، بدأت بالمدينة لأنها دار الهجرة، ثم ثنّيت بمكة، ثم ذكرت الطائف لقربها من مكة، ثم اليمن، وعدت إلى مركزنا بغداد فذكرت المصطَفين منها، ثم انحدرت إلى المدائن ونزلتُ إلى واسط، ثم إلى البصرة، ثم إلى الأُبلّة، ثم عَبّادان، ثم تستُر، ثم شيراز، ثم كرمان، ثم أرّجان، ثم سجستان، ثم دَيْبُل، ثم البحرين، ثم اليمامة، ثم الدِينَور، ثم همذان، ثم قَزوين، ثم أصبهان، ثم الرّي، ثم دامغان، ثم بِسطام، ثم نَيسابور، ثم طُوس، ثم هراة، ثم مَرو، ثم بَلْخ، ثم تِرمِذ، ثم بخارى، ثم فرغانة، ثم نخشب.

ثم ذكرت عبّاد المشرق المجهولي البلاد والأسماء، فلما انتهى ذكر أهل المشرق عدنا إلى مركزنا وارتقينا منه إلى المغرب، وقد ذكرنا أهل عُكْبَرا، ثم الموصل، ثم البرقةِ، ثم طبقات أهل الشام، ثم المقْدِسيين، ثم أهل جبلة، ثم أهل العواصم والثغور، ثم من لم يعرف بلده من عبّاد أهل الشام، ثم عسقلان، ثم مصر، ثم الإسكندرية، ثم المغرب، ثم عبّاد الجبال، ثم عبّاد الجزائر، ثم عبّاد السواحل، ثم أهل البوادي والفَلَوات، ثم من لم نعرف له مستقراً من العبّاد، وإنما لُقي في

طريق، فمنهم من لُقيَ في مكة، ومنهم من لُقي بعرفة، ومنهم من لقي في الطواف، ومنهم من لُقي في غزاة، ومنهم من لُقي في طريق سفر أو طريق سياحة.

ثم ذكرت من لم يُعرف له اسم ولا مكان من العباد، ثم ذكرت طرفاً من أخبار بُنَيَّات صغار تكلمن بكلام العابدات الكبار، ثم ذكرت طرفاً من أخبار عبّاد الجن، فختمت بذلك الكتاب. والله الموفق.

وإنما أنقل عن القوم محاسن ما نُقل مما يليق بهذا الكتاب، ولا أنقل كل ما نقل، إذ لكل شيء صناعة، وصناعة العقل حسنُ الاختيار، وكما إني لا أذكر ما لا يصلح أن يقتدى به ممن هو في صورة العلماء والزهاد، وقد تجوزت بذكر جماعة من المتصوفة وردت عنهم كلمات منكرة وكلمات حسان، فانتخبت من محاسن أقوالهم لأن «الحكمة ضالّة المؤمن»[1] ومع تنقّينا وتوقّينا وحذف من لا يصلح وما لا يصلح، فقد زاد عدد من في كتابنا على ألف شخص، يزيد الرجال على ثمانمائة زيادة بيّنة، وتزيد النساء على مائتين زيادة كثيرة. ولم يبلغ عدد رجال «الحلية» الذين ذُكِرت أحوالُهم في تراجمهم ستمائة، بل قد ذكر جماعة لم يذكر لهم شيئا، ولا أظنه ذكر في جميع الكتاب عشرين امرأة.

وإلى الله سبحانه أرغب في النفع بكلمات المتقين، واللحوق بدرجات أهل اليقين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) أخرج الترمذي (٢٦٨٧) وابن ماجه (٤١٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الكلمةُ الحكمةُ ضالَّةُ المؤمن، فحيثُ وجدها فهو أحقُّ بها». قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

باب ذكر فضل الأولياء والصالحين

الأولياء والصالحون هم المقصود من الكون، وهم الذين علموا فعملوا بحقيقة العلم. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته». رواه البخاري[١].

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: عن جبريل، عن ربه عز وجل قال: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس مؤمن، أكره مساءته ولا بد له منه، وإن من عبادي المؤمنين من يريد باباً من العبادة فأكفه عنه لئلا يدخله عُجْب فيفسده ذلك، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتنفل حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً: دعاني فأجبته، وسألني فأعطيته، ونصح لي فنصحت له، وإن من عبادي المؤمنين من لا يُصلح إيمانَه إلا الفقرُ، وإن بسطت حاله أفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يُصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يُصلح إيمانه إلا السقم ولو أصحَحْتُهُ لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يُصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، إني أُدبّر عبادي بعلمي بقلوبهم، إني عليم خبير»[٢]. ورواه عبد الكريم الجزري[٣] عن أنس مختصراً، وقال فيه: «إني لأسرعُ شيء إلى نصرة أوليائي، إني لأغضب لهم أشدّ من غضب الليث الحَرِب»[٤].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عبادِ الله مَن لو أقسم على الله لأبرّه»[٥].

وعن عطاء بن يسار: قال موسى عليه السلام: «يا رب مَن أهلُك الذين هم أهلُك، الذين تظلّهم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) رواه بمعناه أحمد عن عائشة (٦/ ٢٥٦)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٢١ برقم ٧٨٨٠)، عن أبي أمامة والحكيم في النوادر (٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) عن أنس.

(٣) الإمام الحافظ، عالم الجزيرة: أبو سعيد الجَزري، الحرّاني، عبد الكريم بن مالك، من صغار التابعين، وثّقه ابن سعد وابن معين وأبو عَرُوبة الحرّاني وأحمد وأبو حاتم وأبو زرعة، وقال ابن عدي: إذا روى عنه ثقةٌ فأحاديثه مستقيمة ا.هـ. سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٠ برقم ١٩).

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) وهو جزء من روايته للحديث الذي قبله.

(٥) أخرجه البخاري (٢٨٠٦)، ومسلم (١٦٧٥) وهو جزء من حديث طويل.

في عرشك؟ قال: هم البريئة أيديهم، الطاهرة قلوبهم، الذين يتحابّون بجلالي، الذين إذا ذُكرت ذُكروا، وإذا ذُكروا ذُكرت بذكرهم، الذين يسبغون الوضوء في المكاره، ينيبون إلى ذكري كما تنيب النسور إلى وكورها، ويَكلَفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس، ويغضبون لمحارمي إذا استُحِلَّت كما يغضب النمر إذا حَرِبَ»[١].

وعن وهب بن منبِّه قال: لما بعث الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون قال: لا تعجبنَّكما زينته ولا ما مُتِّعَ به، ولا تمدّا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما: لفعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، وقديماً خِرتُ لهم، فإني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيق غنمَه عن مراتع الهلكة. وإني لأجنّبهم سلوتها وعيشها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العُرّة[٢]، وما ذاك لهوانهم عليّ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفّراً لم تَكْلَمْه الدنيا، ولم يُطغِهِ الهوى.

واعلم أنه لم يتزين العباد بزينة أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا، فإنها زينة المتقين، عليهم منها لباس يُعرفون به من السكينة والخشوع، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، أولئك هم أوليائي حقاً حقاً، فإذا لقيتَهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك، واعلم أنه من أهان لي ولياً أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وباراني، وعرض لي نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرَعُ شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي؟ أو يظن الذي يعاديني أن يعجزني؟ أو يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني؟ وكيف؟ وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، لا أَكِلُ نصرتهم إلى غيري»[٣].

وعنه قال: قال الحواريون: يا عيسى مَن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال عيسى عليه السلام: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا ما علموا أنْ سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذكرهم إياها فواتاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً، فما عارضهم من نائلها رفضوه، أو مِنْ رفعتها بغير الحق وضعوه، خلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها، وخربت بينهم فليسوا يعمرونها، وماتت في صدروهم فليسوا يُحيونها، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، رفضوها وكانوا برفضها فرحين، وباعوها [فكانوا][٤] ببيعها رابحين، نظروا إلى أهلها صرعى قد حلّت بهم المَثُلات فأَحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة، يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره، لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم

---

(١) أخرجه مختصراً معمر بن راشد في الجامع (١١/ ٢٠٢) والبيهقي في الشعب (٦/ ٥٠٠) عن رجل من قريش، وأخرجه (٧/ ٧١) عن مالك بن دينار: بلغنا أن موسى عليه السلام . . .» ا.هـ.

(٢) العَرَّة: الجَرَب، وبضم العين: قروح في أعناق الفصيل.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) زيادة يقتضيها السياق وليست في الأصول.

نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه علموا، فليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا، ولا أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون. رواه الإمام أحمد[١].

وعن كعب قال: «لم يزل في الأرض بعد نوح عليه السلام أربعةَ عشر يُدفع بهم العذاب» رواه الإمام أحمد[٢].

وعن ابن عُيَينة قال: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة»[٣]. قال محمد بن يونس: «ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين».

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٠) وابن أبي عاصم في الزهد (٦٠) وابن أبي الدنيا في الأولياء (١٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٠).

(٣) ذكره اللالكائي في كرامات الأولياء (٩٦) وأحمد في الورع (٧٦) وابن أبي عاصم في الزهد (٣٢٦).

١ ـ باب ذكر نبينا محمد ﷺ

ذكر نسبه ﷺ

عن عمر بن حفص السَّدوسي قال: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

وأمُّ رسول الله ﷺ آمنةُ بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرّة.

قلت: وأما نزار فهو ابن معدّ بن أدّ بن أُدَد بن الهميسع بن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليه السلام(١).

ذكر طهارة آبائه وشرفهم

عن واثلة بن الأسقع: أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم: إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل: كنانة، واصطفى من بني كنانة: قريشاً، واصطفى من قريش: بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(٢).

ذكر تزويج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب

كان عبد المطلب قد خطب آمنة لابنه عبد الله، فزوجها إياه، فبقي معها مدة، وجرت له قصة قبل حملها برسول الله ﷺ. عن أبي فياض الخثعمي، قال: مرّ عبد الله بن عبد المطلب بامرأة من خَثعم يقال لها «فاطمة بنت مرّ» وكانت من أجمل الناس وأشبِّه وأعفِّه، وكانت قد قرأت الكتب، وكان شباب قريش يتحدثون إليها، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت: يا فتى من أنت؟ فأخبرها. فقالت: هل لك أن تقع علي وأعطيك مائة من الإبل؟ فنظر إليها وقال:

أما الحَرام فالمماتُ دونه ... والحِلّ لا حلٌ فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تنوينه

ثم مضى إلى امرأته آمنة فكان معها. ثم ذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه، فأقبل إليها فلم يرَ منها من الإقبال عليه آخراً كما رآه منها أولاً، فقال: هل لك فيما قلتِ لي؟ فقالت: قد كان ذلك مرةً فاليوم لا. فذهبت مثلاً.

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (قسم السيرة النبوية: ١/ ٢٩ ـ ٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) والترمذي (٣٦٠٥).

وقالت: أيّ شيء صنعت بعدي؟ قال: وقعت على زوجتي آمنة بنت وهب. قالت: والله إني لست بصاحبة زِنْيَة، ولكني رأيت نور النبوة في وجهك فأردت أن يكون ذلك فيّ، فأبى الله إلا أن يجعله حيث جعله[١].

وبلغ شبابَ قريش ما عرضت على عبد الله بن عبد المطلب وتأبّيه لها، فذكروا ذلك لها فأنشأت تقول:

إنـي رأيـت مَـخـيـلـةً عَـرضـت ... فـتـلألأت بـحـنَـاتِـم الـقَـطْـر
فـلِـمـائـهـا نـورٌ يـضـيء لـه ... مـا حـولـه كـإضـاءة الـفـجـر
فـرأيـتـه شـرفـاً أبـوء بـه ... مـا كـلّ قـادح زَنـده يُـوري
لـلّـه مـا زُهـريـة سـلـبـت ... ثـوبـيـك مـا سـلـبـت ومـا تـدري[٢]

وقالت أيضاً:

بـنـي هـاشـم مـا غـادرتْ مـن أخـيـكـم ... أمـيـنـةُ إذ لـلـبـاه يـعـتـلـجـان
كـمـا غـادر الـمـصـبـاحُ بـعـد خُـبُـوّهِ ... فـتـائـلَ قـد مـيـثـت[٣] لـه بـدهـان
ومـا كـلّ مـا يـحـوي الـفـتـى مـن تـلاده ... لـحـزم ولا مـا فـاتـه لِـتَـوانـي
فـأجـمِـلْ إذا طـالـبـت أمـراً فـإنـه ... سـيـكـفـيـكـه جَـدّان يـصـطـرعـان
سـيـكـفـيـكـه إمـا يـد مـقـفـعـلّـةٌ[٤] ... و إمـا يـد مـبـسـوطـة بـبـنـان
ولـمـا قـضـت مـنـه أمـيـنـة مـا قـضـت ... نـبـا بـصـري عـنـه وكَـلَّ لـسـانـي[٥]

وقد روى أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه المرأة من بني أسد بن عبد العزىّ، وهي أخت ورقة بن نوفل، وكذلك قال ابن إسحاق، وقال: هي أم قتال. وقال عروة في آخرين: هي قتيلة بنت نوفل، أخت ورقة.

وروى جرير بن حازم عن أبي يزيد المدائني: أن عبد الله لما مر على الخثعمية رأت بين عينيه نوراً ساطعاً إلى السماء، فقالت: هل لك فيَّ؟ قال: نعم، حتى أرمي الجمرة. فانطلق فرمى الجمرة، ثم أتى امرأته آمنة، ثم ذكر الخثعمية فأتاها فقالت: هل أتيت امرأة بعدي؟ قال: نعم، آمنة. قالت: فلا حاجة لي فيك، إنك مررت وبين عينيك نورٌ ساطع إلى السماء، فلما وقعتَ عليها ذهب، فأخبِرْها أنها حملت بخير أهل الأرض.

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى (١/ ٩٦) وفيه: «لستُ بصاحبة ريبة» بالراء المهملة.

(٢) ذكرها ابن سعد في الكبرى (١/ ٩٧) والطبري في تاريخه (١/ ٥٠٠).
حناتم القطر: جمع حَنْتَم، ومن معانيها: الخزف. والمعنى: كأن جبينه يتساقط منه قطرات الخزف.

(٣) المَيْثاء: الأرض السهلة، والمَيْث: اللّين. والمعنى: لُيِّنت فتائلُ له بدهان، أي بشحم.

(٤) اقفَعَلَّتْ يدُه: تشنّجتْ وتقبّضَتْ.

(٥) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٩٧).

ذكر حمل آمنة برسول الله ﷺ

روى يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمته قالت: كنا نسمع أن آمنة لما حملت برسول الله ﷺ كانت تقول: ما شعرت أني حملت ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء، إلا أني أنكرت رفع حيضي، وأتاني آتٍ وأنا بين النوم واليقظة فقال: هل شعرتِ أنك حملت؟ فكأني أقول: ما أدري؟ فقال: إنك قد حملت بسيد هذه الأُمة ونبيها، وذلك يوم الاثنين. قالت: فكان ذلك مما يقّن عندي الحمل، فلما دنت ولادتي أتاني ذلك فقال: قولي: أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد.

ذكر وفاة عبد الله

قال محمد بن كعب: خرج عبد الله بن عبد المطلب في تجارة إلى الشام مع جماعة من قريش، فلما رجعوا مروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار.

فقام عندهم شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة، فأخبروا عبد المطلب، فبعث إليه ولده الحارث فوجده قد توفي ودُفن في دار النابغة ـ وهو رجل من بني عدي ـ فرجع إلى أبيه فأخبره، فوجد عليه وَجداً شديداً ورسول الله ﷺ يومئذ حمْل، ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة. وقد روي عن عوانة بن الحكم: أن عبد الله توفي بعد ما أتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون شهراً، وقيل: سبعة أشهر. والقول الأول أصح، وأن رسول الله ﷺ كان حملاً يومئذ.

وترك عبدُ الله أمَّ أيمن وخمسة أجمال وقطعة غنم، فورث رسول الله ﷺ ذلك، وكانت أم أيمن تحتضنه.

ذكر مولد رسول الله ﷺ

اتفقوا على أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل، واختلفوا فيما مضى من ذلك الشهر لولادته على أربعة أقوال؟ أحدها: أنه ولد لليلَتَيْن خلتا منه، والثاني: لثمانٍ خلون منه، والثالث: لعشر خلون منه، والرابع: لاثنتي عشرة خلت منه[١].

وروى محمد بن سعد عن جماعة من أهل العلم: أن آمنة قالت: لقد علقت به، فما وجدت له مشقة، وأنه لما فصل عنها خرج له نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ووقع إلى الأرض معتمداً على يديه[٢].

وقال عكرمة: لما ولدته وضعته برمّة[٣] فانقلعت عنه، قالت: فنظرت إليه فإذا هو قد شق بصره ينظر إلى السماء.

وقال العباس بن عبد المطلب: ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً[٤]، فأعجب ذلك عبد المطلب وحظي عنده وقال: ليكوننّ لابني هذا شأن من شأن. فكان له شأن.

---

(١) انظر «السير» قسم السيرة (١/ ٣٣ ـ ٣٧). (٢) انظر طبقات ابن سعد الكبرى (١/ ٩٨).

(٣) الرُمَّةُ: الخرقة البالية.

(٤) نسبه في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٤) إلى الطبراني في الأوسط والصغير.

وروى يزيد بن عبد الله بن وهب عن عمته: أن آمنة لما وضعت رسول الله ﷺ أرسلت إلى عبد المطلب، فجاءه البشير وهو جالس في الحجر، فأخبره أن آمنة ولدت غلاماً فسُرَّ بذلك، وقام هو ومن معه فدخل عليها، فأخبرته بكل ما رأت وما قيل لها وما أُمرت به، فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة، وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه، وروي أنه قال يومئذ:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلامَ الطيب الأردان
قد ساد في المَهد على الغلمان ... أعيذه بالله ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان ... أعيذه من شر ذي شنآن
من حاسد مضطرب العيان(١)

وفي حديث العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك، قال: «قل، لا يفضض الله فاك»، فأنشأ يقول:

من قبلها طِبْتَ في الظّلال وفي ... مستودع حيث يُخصف الورق
ثم هبطتَ البلادَ لا بشرٌ ... أنت ولاَ مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقّل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى إذا احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياءَ تحتها النطق
و أنت لمّا ولدت أشرقت ... الأرض وضاءت بنورك الأفق
فنحن من ذلك الضياء وفي ... النور، وسُبْلَ الرشاد نخترق(٢)

ذكر أسماء رسول الله ﷺ

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». رواه البخاري مسلم(٣).

وفي أفراد «مسلم» من حديث أبي موسى قال: سمّى لنا رسول الله ﷺ نفسَه فقال: «أنا محمد، وأنا أحمد، والمقفّي، والماحي، والحاشر، ونبي التوبة، والمَلْحَمة ـ وفي لفظ ـ نبي الرحمة»(٤).

وقد ذكر أبو الحسين ابن فارس اللغوي: أن لنبينا ﷺ ثلاثة وعشرين اسماً: محمد، وأحمد، والماحي والحاشر، والعاقب، والمقفي، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، و[نبيّ] الملحمة، والشاهد،

---

(١) ذكره ابن سعد في طبقاته الكبرى (١/ ١٠٣).

(٢) رواه الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٣٢٧ برقم ٥٤١٧)، وقال: تفرّد به رواتُه الأعرابُ عن آبائهم، وأمثالُهم من الرواة لا يضعون ا.هـ. ووافقه الحافظ الذهبي على قوله.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٥٤ و٢٣٥٥).

والمبشر، والنذير، والسراج المنير، والضحوك، والقتّال، والمتوكل، والفاتح، والأمين، والخاتم، والمصطفى، والنبي، والرسول، والأمي، والقُثَم.

والماحي: الذي يُمحى به الكفر، والحاشر: الذي يحشر الناس على قدميه، أي يقدمهم وهم خلفه، والعاقب: آخر الأنبياء، والمقفي: بمعنى العاقب لأنه تبع الأنبياء، وكل شيء تبع شيئاً فقد قفّاه. والمَلاحم: الحُروب، والضحوك: صفته في التوراة. قال ابن فارس: وإنما قيل له الضحوك لأنه كان طيب النفس فَكِهاً، وقال: «إني لأمزح»[(١)] .

والقُثَم من معنين: أحدهما من القَثْم وهو الإعطاء، يقال: قَثَم له من العطاء يقثم إذا أعطاه. وكان عليه السلام أجود بالخير من الريح الهبابة، والثاني: من القُثَم هو الجمع يقال للرجل الجَموع للخير: قَثوم وقُثَم. والله أعلم.

ذكر من أرضعه ﷺ

قالت برّة بنت أبي تجراة: أول من أرضع رسول الله ﷺ ثُويبة بلبن ابنٍ لها، يقال له مسروح، أياماً قبل أن تَقْدِم حليمة، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده سلمة بن عبد الأسد، ثم أرضعته حليمة بنت عبد الله السعدية[(٢)] .

وعن حليمة ابنة الحارث ـ أم رسول الله ﷺ التي أرضعته ـ السعدية ـ قالت: خرجت في نسوةٍ من بني سعد بن بكر بن هوازن نلتمس الرُّضعاء بمكة، فخرجت على أتانٍ لي قَمْراء قد أَذَمَّت[(٣)] بالرَّكْب قالت: وخرجنا في سنة شهباء لم تبقِ لنا شيئاً: أنا وزوجي الحارث بن عبد العزّى، وقالت: ومعنا شارف[(٤)] لنا والله إنْ تبضُّ[(٥)] علينا بقطرة من لبن، ومعي صبي لنا والله ما ننام ليلنا من بكائه، ما في ثديَيَّ لبن يغنيه ولا في شارفنا من لبنٍ يغذّيه، إلا أنّا نرجو الخصب والفرج. فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عُرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، وإنما كنا نرجوا الكرامة ـ في رضاعةِ من نُرضع له ـ من والد المولود، وكان يتيماً ﷺ ، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه؟ فكنا نأبى حتى لم تبق من صواحباتي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، قالت: فكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئاً وقد أخذ صواحباتي! فقلت لزوجي الحارث: والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه.

قالت: فأتيته فأخذته، ثم رجعت به إلى رَحلي. قالت: فقال لي زوجي: قد أخذتِه؟ قلت: نعم، وذلك أني لم أجد غيره؟ قال: قد أصبت، عسى أن يجعل الله فيه خيراً.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩١) عن عبيد بن عمير قال: سمعتُ رجلاً يقول لابن عمر: ألم تسمع رسولَ الله ﷺ يقول: «إني لأَمْزَحُ، ولا أقول إلا حقاً؟». قال: نعم.
قال الذهبي عن الأسماء السابقة وغيرها: وأكثر ما سُقنا من أسمائه صفاتٌ له لا أسماء أعلام، وقد تواتر أن كُنيته: «أبو القاسم ﷺ » ا.هـ. السير (قسم السيرة ١/ ٤٠).

(٢) ذكره ابن سعد في طبقاته الكبرى (١/ ١٠٨).

(٣) ذكره الذهبي في «السيرة»: (١/ ٥٠) والمعنى: أنها لضعفها تتأخر عن الركب فتُلحق الذمَّ براكبها.

(٤) شارِف: ناقة كبيرة السنّ. (٥) أي: ما ترشح بشيء.

قالت: والله ما هو إلا أن وضعته في حِجري فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب أخوه حتى روي، وقام زوجي الحارث إلى شارِفنا من الليل فإذا هي تحلب علينا ما شئنا، فشرب حتى روي، وشربت حتى رويت، قالت: فبتنا بخير ليلة شِباعاً رِواءً.

قالت: فقال زوجي: والله يا حليمةُ ما أراك إلا قد أصبت نَسَمَةً مباركةً، قد نام صَبِيَّانا وقد روينا ورَوِيا.

قالت: ، ثم خرجنا، قالت: فو الله لخرجت أتاني أمام الرَّكب قد قطعتهم حتى ما يتعلق بها منهم أحد، حتى إنهم ليقولون: ويحكِ يا بنت الحارث، كفّي علينا، أليست هذه أتانك[١] التي خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله! فيقولون: إن لها لشأناً. حتى قدمنا منازلنا من حاضر منازل بني سعد ابن بكر. قالت: فقدمنا على أجدب أرض الله. قالت: فوالذي نفس حليمة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا، وأسرح راعي غنمي وتروح غنمي حُفْلاً بطاناً[٢] وتروح أغنامهم جياعاً هالكة ما لها من لبن، فنشرب ما شئنا من اللبن، وما من الحاضر من أحد يحلب قطرة ولا يجدها. قالت: فيقولون لرعاتهم: ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي غنم حليمة؟ فيسرحون في الشِّعْب الذي تسرح فيه غنمي وتروح أغنامهم جياعاً ما لها من لبن وتروح غنمي حُفْلاً لبناً.

قالت: وكان يشبُّ في اليوم شبابَ الصبي في شهر، ويشبُّ في الشهر شبابَ الصبي في سنة. قالت: فبلغ سنين وهو غلام جفر[٣]. قالت: فقدمنا به على أمه فقلت لها أو قال لها زوجي: دعي ابني فلنرجع به فإنا نخشى عليه وباء مكة. قالت: ونحن أضنّ شيء به لِما رأينا من بركته ﷺ.

فلم نزل بها حتى قالت: ارجعا به. قالت: فمكث عندنا شهرين. قالت: فبينما هو يلعب يوماً من الأيام هو وأخوه خلف البيت إذ جاء أخوه يشتدّ فقال لي ولأبيه: أدرِكا أخي القرشي فقد جاءه رجلان فأضجعاه فشقّا بطنه! قالت: فخرجت وخرج أبوه يشتدُّ نحوه فانتهينا إليه وهو قائم منتقع لونه فاعتنقتُه واعتنقه أبوه، وقال: ما لك يا بني؟ قال: أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقّا بطني، والله ما أدري ما صنعا.

قالت: فاحتملناه فرجعنا به. قالت: يقول زوجي: والله يا حليمة ما أرى الصبي إلا قد أصيب فانطلقي فلنرده إلى أمه قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه. قالت: فرجعنا به إلى أمه، فقالت: ما ردّكما به فقد كنتما حريصين عليه؟ فقلنا: لا والله إلا أنا كفلناه وأدينا الذي علينا من الحق فيه، ثم تخوفنا عليه الأحداث، فقلنا: يكون عند أمه. فقالت: والله ما ذاك بكما فأخبراني خبركما وخبره؟ قالت: فوالله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره، قالت: أتخوفتما عليه؟ لا والله إن لابني هذا شأناً إلا أخبركما

(١) في السيرة للذهبي (١/ ٥١)، «قَطَعَتْهُنَّ» أي: الراحلة، وما في المتن هنا على معنى: أن حليمة وزوجها ورضيعَيها قد قطعوا وتجاوزوا بقية الرَّكب. والأتان: أنثى الحمار.

(٢) حَفَل الماءُ وغيرُه: اجتمع، والمعنى: امتلاء الضّرع باللَّبَن.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية: استجفر الصبيّ، إذا قوي على الأكل، وغلام جَفْرٌ: عَظُمَ واستَكْرَشَ.

عنه؟: إني حملت به فلم أحمل حملاً قط هو أخف منه ولا أعظم بركة منه، لقد وضعته فلم يقع كما يقع الصبيان، لقد وقع واضعاً يده في الأرض رافعا رأسه إلى السماء، دعاه والْحقا بشأنكما[١].

قال الشيخ: وظاهر هذا الحديث يدل أن آمنة حملت غير رسول الله ﷺ؛ وقد قال الواقدي: لا يُعرف عند أهل العلم أن آمنة وعبد الله وَلَدا غير رسول الله ﷺ[٢].

فأما حليمة: فهي بنت أبي ذؤيب، واسمه عبد الله بن الحارث بن شحنة بن جابر، السعدية، قدمت على رسول الله ﷺ وقد تزوج خديجة، فشكت إليه جَدب البلاد فكلّم خديجة فأعطتها أربعين شاة وأعطتها بعيراً، ثم قدمت عليه بعد النبوة فأسلمت وبايعت، وأسلم زوجها الحارث بن عبد العزّى.

قال محمد بن المنكدر: استأذنتِ امرأة على النبي ﷺ وقد كانت أرضعته، فلما دخلت قال: «أمي أمي»[٣]. وعمد الى ردائه فبسطه لها فجلست عليه.

فأما «ثُويبة» فهي مولاة أبي لهب، ولا نعلم أحداً ذكر أنها أسلمت غير ما حكى أبو نعيم الأصفهاني أن بعض العلماء قال: قد اختلف في إسلامها.

وروى الواقدي عن جماعة من أهل العلم: أن رسول الله ﷺ كان يكرم «ثويبة» ويصلها وهي بمكة، فلما هاجر كان يبعث إليها بكسوةٍ و صلة، فجاءه خبرها سنة سبع مرجعَه من خيبر أنها توفيت.

عن عروة قال: كانت ثويبة لأبي لهب وأعتقها، فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله في النوم، قال: ماذا لقيت يا أبا لهب؟ فقال: ما رأيت بعدكم روحاً[٤] غير أني سقيت في هذه مني بعتقي ثويبة. قال وأشار إلى [النُّقرة التي][٥] بين الإبهام والسبابة.

قال الشيخ: وقد جاء حديث شرح صدره ﷺ في الصحيح عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المِخْيَط في صدره ﷺ. انفرد بإخراجه مسلم[٦].

وقد ذكرنا أن حليمة أعادته إلى أمه بعد سنتين وشهرين. وقال ابن قتيبة: لبث فيهم خمس سنين.

---

(١) قال الذهبي في السيرة (١/ ٥٢): هذا حديث جيّد الإسناد ا.هـ. وهو عند ابن هشام (١/ ١٦٥).

(٢) ويحتمل: أنها أرادت مطلق الحَمْل لا حَمْل الولادة خصوصاً، والله أعلم.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٤٤)، بمعناه عن أبي الطفيل. وانظر السيرة للذهبي (١/ ٥٢).

(٤) في السيرة للذهبي «لم ألقَ بعدكم رخاءً» (١/ ٤٩) وهما بمعنى واحد.

(٥) الزيادة من الذهبي في السيرة (١/ ٤٩).

(٦) أخرجه به مسلم (١٦٢/ حدثنا).

ذكر وفاة أمه آمنة

لما ردته حليمة أقام رسول الله ﷺ عند أمه آمنة إلى أن بلغ ست سنين، ثم خرجت به إلى المدينة إلى أخواله بني عدي بن النجار تزورهم به ومعها أم أيمن تحضنه.

فأقامت عندهم شهراً، ثم رجعت به إلى مكة فتوفيت بالأبواء[١]، فقبرها هنالك، فلما مر رسول الله ﷺ بالأبواء في عمرة الحديبية زار قبرها وبكى.

وأخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي»[٢].

ذكر ما كان من أمره ﷺ بعد وفاة أمه آمنة

روى محمد بن سعد عن جماعة من أهل العلم، منهم مجاهد والزهري: أن آمنة لما توفيت قبض رسولَ الله ﷺ جدُّه عبد المطلب وضمه إليه، ورق عليه رقة لم يرقها على ولده، وقرّبه وأدناه، وأن قوماً من بني مدلج قالوا لعبد المطلب: احتفظ به فإنا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه. فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء. فكان أبو طالب يحتفظ به، فلما حضرت عبدَ المطلب الوفاةُ أوصى أبا طالب بحفظه، ومات عبد المطلب فدفن بالحجون وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ابن مائة وعشر سنين، ويقال: وعشرين سنة.

وسئل رسول الله ﷺ: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: «نعم، وأنا يومئذ ابن ثمان سنين»[٣]. قالت أم أيمن: رأيت رسول الله ﷺ يومئذ يبكي عند قبر عبد المطلب. وذكر بعض العلماء: أنه كان لرسول الله ﷺ يوم موت عبد المطلب ثماني سنين وشهران وعشرة أيام.

ذكر كفالة أبي طالب للنبي ﷺ

ذكر جماعة من أهل العلم أنه لما توفي عبد المطلب قبض رسولَ الله ﷺ أبو طالب، وكان يحبه حباً شديداً ويقدمه على أولاده، فلما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام ارتحل به أبو طالب تاجراً نحو الشام فنزل «تيماء» فرآه حبرٌ من اليهود يقال له «بحيرا الراهب» فقال: من هذا الغلام منك؟ فقال: هو ابن أخي. فقال: أشفيقٌ عليه أنت؟ قال: نعم. قال: فوالله لئن قدمت به الشام ليقتلنه اليهود. فرجع به إلى مكة.

حديث بَحِيْرا الراهب

عن داود بن الحصين، قال: لما خرج أبو طالب إلى الشام وبها راهب يقال له «بحيرا» في

---

(١) الأَبواء: وادٍ في الحجاز به آبار كثيرة يُسمّى اليوم «الخُرَيبة» وهي تبعد عن رابغ ٤٣ كيلاً ا.هـ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة. محمد حسن شُرّاب (١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٦). ورواه أبو داود (٣٢٣٤)، والنسائي (٢٠٣٣)، وابن ماجه (١٥٧٢).

(٣) طبقات ابن سعد (١/ ١١٩).

صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه.

فلما نزلوا بـ «بحيرا» وكانوا كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا، فصنع لهم طعاماً، ثم دعاهم، وإنما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامةٌ تظلّ رسول الله ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة وأخضلت[١] أغصانُ الشجرة على النبي ﷺ حين استظل تحتها، فلما رأى «بحيرا» ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به.

وأرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وأنا أحب أن تحضرونه كلكم ولا تخلفوا منكم صغيراً ولا كبيراً، حراً ولا عبداً، فإن هذا شيء تكرمونني به. فقال رجل: إنّ لك لشأناً يا بحيرا، ما كنت تصنع بنا هذا فما شأنك اليوم؟ قال: فإني أحببت أن أكرمكم فلكم حق.

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه ليس في القوم أصغر منه في رحالهم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده، وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم، ورآها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ، فقال بحيرا: يا معشر قريش لا يتخلفنَّ أحد منكم عن طعامي. قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام هو أصغر القوم سناً في رحالهم.

فقال: ادعوه فليحضر طعامي فما أقبح أن يتخلف رجل واحد مع أني أراه من أنفسكم[٢]. فقال القوم: هو والله أوسطنا نسباً وهو ابن أخي هذا الرجل ـ يعنون أبا طالب ـ وهو من ولد عبد المطلب. فقال الحارث بن عبد المطلب: والله إن كان بنا لَلُؤمٌ أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا؟ ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام، والغمامة تسير على رأسه، وجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزّى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما». قال: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه؟ قال: «سلني عما بدا لك». فجعل يسأله عن أشياء من حاله؛ حتى نومه؟ فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر بين عينيه، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي عنده، فقبّل موضع الخاتم. وقالت قريش: إن لمحمدٍ عند هذا الراهب لقدراً. وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه، فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال أبو طالب: ابني. قال: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً. قال: فابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: هلك وأمه حبلى به. قال: فما فعلت أمه؟ قال: توفيت قريباً. قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما

(١) أَخضَلَ الليلُ: أظلم. والمعنى: أن الأغصان أظلّت النبي ﷺ.

(٢) أنفُسِكم بضمّ الفاء: منكم ومن أهلكم، ولعلها «من أنفَسِكم» بفتح الفاء: خيركم وأحسنكم. وهو ما يؤيده ما بعده.

أعرف لَيَبْغُنَّهُ بغياً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته فأرادوا أن يغتالوه، فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره فنهاهم أشد النهي، وقال لهم: أتجدون صفته؟ قالوا: نعم، قال: فما لكم إليه سبيل. فصدقوه وتركوه.

ورجع به أبو طالب، فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه [(١)].

قال الشيخ رحمه الله: وما زال ﷺ في صغره أفضل الخلق مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذى حتى سماه قومه الأمين.

ذكر رعيه الغنم ﷺ

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟ قال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» انفرد بإخراجه البخاري [(٢)]. وقد رواه سويد بن سعيد عن عمرو بن أبي يحيى عن جده سعيد بن أحيحة، فقال فيه: «كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط» قال سويد بن سعيد: يعني: كلّ شاة بقيراط [(٣)]. وقال إبراهيم الحربي: القراريط موضع، ولم يُرِدْ بذلك القراريطَ من الفضة [(٤)].

ذكر خروجه ﷺ إلى الشام مرة أخرى

قد ذكرنا أنه خرج مع أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فلما بلغ خمساً وعشرين سنة قال له أبو طالب: أنا رجل لا مال لي وقد اشتدّ علينا الزمان، وهذه عِير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة تبعث رجالاً من قومك، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك.

وبلغ خديجة ما قال له أبو طالب فقالت: أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك. فقال أبو طالب: هذا رزق قد ساقه الله إليك.

فخرج مع غلامها ميسرة، وجعل عمومته يوصون به أهل العير، حتى قدِما «بُصْرى» من الشام فنزلا في ظل شجرة، فقال «نسطورا» الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي. ثم قال لميسرة: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم لا تفارقه. فقال: هو نبي، وهو آخر الأنبياء. ثم باع سلعته فوقع بينه وبين رجل تَلاحٍ، فقال له: احلف باللات والعزى. فقال رسول الله ﷺ «ما حلفت بهما قط، وإني [أمرّ

---

(١) انظر روايات سفر النبي ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام في السيرة للذهبي (١/ ٥٧ ـ ٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٦٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢١٤٩)، قراريط: جمع قيراط؛ وهو من أجزاء الدينار، وهو نصف عشره في أكثر البلاد، وأهل الشام يجعلونه جزءاً من أربعة وعشرين ا.هـ انظر «فتح الباري» (٥/ ١٩٩)، ومحمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على سنن ابن ماجه (٢/ ٧٢٧).

(٤) وقد ردّه الحافظ في «الفتح» لأن أهل مكة لا يعرفون فيها مكاناً يُدعى كذلك ا.هـ. فتح الباري (٥/ ١٩٩).

فأعرِض] عنهما» . فقال الرجل: القول قولك[١] . وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحرّ يرى ملكين يظلان رسول الله ﷺ من الشمس[٢] .

ودخل رسول الله ﷺ مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في عُلّيَّة[٣] لها، فرأت رسول الله ﷺ على بعيره، وملكان يظلّان عليه، فأرته نساءها فعجبن لذلك، ودخل عليها رسول الله ﷺ فأخبرها بما ربحوا في وجههم فسرّت بذلك، فلما دخل ميسرة أخبرته بما رأت، فقال: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بما قال الراهب[٤] .

ذكر تزويج رسول الله ﷺ خديجة

قالت نفيسة بنت مُنْيَة: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن العزى بن قصي امرأة حازمة جَلْدة شريفة، أوسط قريش نسباً وأكثرهم مالاً، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، وقد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع من الشام، فقلت: يا محمد: ما يمنعك أن تَزَوَّج؟ فقال: «ما بيدي ما أتزوج به» . قلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: «فمن هي؟» قلت: خديجة. قال: «وكيف [لي] بذلك؟» قلت: عَلَيَّ. قال: «وأنا أفعل» . فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه: أن ائتِ لساعة كذا وكذا. وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر، ودخل رسول الله ﷺ في عمومته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة[٥] .

وقد ذكر بعض العلماء: أن أبا طالب حضر العقد ومعه بنو مضر، فقال أبو طالب: الحمد لله الذي جعلَنا من ذرية إبراهيم، و زرع إسماعيل، وضئضئي معدّ، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به، فإن كان في المال قُلٌّ، فإن المال ظل زائل وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها الصداق ما آجله وعاجله من مالي، وهو بعد هذا والله له نبأ عظيم وخطر جليل. فتزوجها رسول الله ﷺ .

ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يُوحى إليه

قال الشيخ: قد ذكرنا أن أمه آمنة رأت عند ولادته نوراً أضاء له المشرق والمغرب، وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «رأت أمي نوراً أضاءت له قصور الشام»[٦] . وقد ذكرنا شق بطنه في صغره، وحديث

---

(١) أخرجه ابن سعد في الكبرى (١/ ١٣٠) وما بين معقوفين تصحيح من الكبرى، وجاءت في المطبوع: «الامرؤ أعرض».

(٢) طبقات ابن سعد (١/ ١٣٠ و١٥٦).

(٣) العُلّيّة ـ بضم العين وكسرها ـ: الغُرفة.

(٤) المصدر السابق (١/ ١٣٠ ـ ١٣١).

(٥) المصدر السابق (١/ ١٣١).

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٤٠٤)، وأحمد (٤/ ١٢٧)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٧٥ برقم ٧٧٢٩)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٣٤)، والسيرة للذهبي (١/ ٤٧).

ميسرة والراهب وحديث بحيرا والغمامة التي كانت تظله، والأحاديث في هذا كثير، إلا أنا نروم الاختصار فلهذا نحذف(١).

عن عمرو بن سعيد: أن أبا طالب قال: كنت بذي المجاز ومعي ابن أخي - يعني النبي ﷺ - فأدركني العطش فشكوت إليه فقلت: يا ابن أخي قد عطشت؟ وما قلت له ذلك وأنا أرى أن عنده شيئاً؛ إلا الجزع. فثنى وركه، ثم نزل فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء فقال: «اشرب يا عم» فشربت(٢).

وعن ابن عباس قال: أول شيء رأى النبي ﷺ من النبوة أن قيل له: استتر، وهو غلام، فما رئيت عورته من يومئذ(٣).

وقالت بَرَّة بنت أبي تجراة: لما ابتدأه الله تعالى بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً، ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: «السلام عليك يا رسول الله» فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً(٤).

وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلِّم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»(٥) روه الإمام أحمد، وانفرد بإخراجه مسلم.

فصل مشاركته ﷺ في بناء الكعبة

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة، وتراضت قريش بحكمه فيها، وكانوا قد اختلفوا فيمن يضع الحجر، فاتفقوا على أن يحكم بينهم أول داخل يدخل المسجد، فدخل رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا الأمين. فقال: «هلموا ثوباً». فوضع الحجر فيه وقال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من نواحيه وارفعوه جميعاً»، ثم أخذ الحجر بيده فوضعه في مكانه(٦) فلما أتت له أربعون سنة ويومٌ بعثه الله عز وجل، وذلك في يوم الإثنين.

ذكر بدوِّ الوحي

روى مسلم في الصحيح: أن النبي ﷺ سئل عن صوم [يوم] الإثنين؟ فقال: «فيه وُلدت، وفيه أُنزل عليَّ»(٧).

---

(١) انظر السيرة للذهبي (١/ ٤٢ - ٤٩). نروم: نقصد.

(٢) انظر تاريخ بغداد (٣/ ٣١٢)والإصابة (٧/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢٥٣) وذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ٥٢).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٧٠) وقال الذهبي في التلخيص: لم يصح. لكن له شواهد في الصحيح، وستأتي. وأخرجه ابن سعد في الكبرى (١/ ١٥٧)و(٨/ ٢٤٦) والطبري في تاريخه (١/ ٥٢٩).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٠٢) وأحمد (٥/ ٩٥) والطبراني في الكبير (٢/ ٢٣١) والدارمي في سننه (١/ ٢٤).

(٦) انظر ابن هشام في السيرة (١/ ١٩٢ - ١٩٧)، والذهبي في السيرة (١/ ٦٣ - ٦٥).

(٧) انفرد به مسلم (١١٦٢/ ١٩٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٠١).

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: نزل جبرائيل على رسول الله ﷺ بالرسالة يوم سبع وعشرين من رجب، هو أول يوم هبط فيه. وقال ابن إسحق: ابتدىء رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان.

وعن عائشة أنها قالت: أول ما ابتدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء فكان يأتي جبل حراء يتحنث فيه - وهو التعبُّد - الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فَجَأَهُ الحق وهو في غار حراء فجاءه الحق فيه فقال: «اقرأ» فقال رسول الله ﷺ: «فقلت: ما أنا بقارئ، [قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء] فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾» [العلق: ١] حتى بلغ ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: «يا خديجة ما لي؟» فأخبرها الخبر، فقال: «قد خشيت [على نفسي][1]» فقالت له: كلا أبشر؛ فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتحمل الكَلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي - وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي - فقالت خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك. قال ورقة: يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ، يا ليتني فيها جذعاً؛ أكون حياً حين يخرجك قومك! قال رسول الله ﷺ: «أوَمُخرجيّ هم؟» فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - حزناً غدا منه مراراً لكي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه يتبدّى له جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً. فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه ﷺ فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام، فقال مثل ذلك. أخرجاه في الصحيحين[2].

وعن جابر بن عبد الله: قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه: «فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملَك الذي جاءني بـ«حراء» جالس على كرسي بين السماء والأرض. فجئثت منه رعباً، فجئت فقلت: زملوني. فدثروني. فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]. أخرجاه في الصحيحين[3].

---

(١) في المطبوع «قد خشيت علي» والتصحيح من البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٢٦)، ومسلم (١٦١)، والترمذي (٣٣٢٥) في «فرقاً» بدل «رعباً» وهما بمعنى.

ومعنى فجئثت[١]: فرقت، يقال: رجل مجؤوث.

ذكر كيفية إتيان الوحي إليه ﷺ

عن عائشة: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة: وقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً. أخرجاه في الصحيحين[٢].

وأخرجا من حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول لعمر: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي؟ فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة جاءه رجل فسأله عن شيء؟ فجاءه الوحي، فأشار عمر إلى يعلى: أن تعالَ. فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو محمرّ الوجه يغطّ كذلك ساعةً، ثم سُرّي عنه[٣].

وعن زيد بن ثابت قال: إني قاعد إلى جنب النبي ﷺ يوماً إذ أوحي إليه وغشيته السكينة ووقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة. قال زيد: فلا والله ما وجدت شيئاً قط أثقل من فخذ رسول الله ﷺ، ثم سُرّي عنه فقال: «اكتب يا زيد»[٤].

وفي أفراد البخاري من حديث زيد بن ثابت قال: أملى علي رسول الله ﷺ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٥٩] فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها علي فقال: والله يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى. فأنزل الله عز وجل على رسوله، وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترضّ فخذي، ثم سُرّي عنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٥٩][٥].

وقال عبادة بن الصامت: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب له وتربّد وجهه.

وقال أبو أروى الدوسي: رأيت الوحي ينزل على رسول الله ﷺ وإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها حتى أظن أن ذراعها تنفصم، وربما بركت، وربما قامت موئدة[٦] يديها حتى يسرّى عنه من ثقل الوحي، وإنه ليتحدر منه مثل الجُمان.

ذكر رمي الشياطين بالشهب لمبعثه

قال العلماء بالسِّيَر: رأت قريش النجوم يرمى بها بعد عشرين يوماً من مبعث رسول الله ﷺ.

عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد

---

(١) فجُئِثْتُ: وفي رواية «فجثثتُ»، والروايتان بمعنى واحد: فزعتُ ورُعبت ا.هـ النووي على مسلم (٢/ ٣٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٢) واللفظ له، ومسلم (٢٣٣٣). ـ صلصلة الجرس: صوت الجرس.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٢٩)، ومسلم (١١٨٠) وأبو داود (١٨١٩ ـ ١٨٢٢) والترمذي (٨٣٦) وغيرهم.

(٤) رواه أحمد (٥/ ١٩٠)، وهو في «المواهب اللدنية» (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، ونسبه إلى الطبراني والبيهقي في الشعب زيادة على أحمد في المسند.

(٥) أخرجه البخاري (٢٨٣٢ و٤٥٩٢) والترمذي (٣٠٣٣) والطبراني في الأوسط (٥/ ٥٦) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٧٢).

(٦) وفي نسخة «مؤبدة».

حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشهب.

قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء؟ قال: فانطلق الذين توجّهوا نحو تِهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمّعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ و٢] وأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] أخرجاه في الصحيحين[١].

وعنه قال: كان الجن يسمعون الوحي فيسمعون الكلمة، فيزيدون عليها عشراً، فيكون ما سمعوه حقاً وما زادوه باطلاً، وكانت النجوم لا يُرْمَى بها قبل ذلك، فلما بعث النبي ﷺ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب، فشكوا ذلك إلى إبليس! فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث. فبثَّ جنوده، فإذا هم بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه. فقال: هذا الذي حدث في الأرض.

قال الشيخ: وهذا الحديث يدل على أن النجوم لم يرم بها قبل مبعث نبينا ﷺ، وقد روينا عن الزهري أنه قال: قد كان يرمى بها قبل ذلك، ولكنها غلظت حين بُعث النبي ﷺ.

ذكر اعتراف أهل الكتاب بنبوته ﷺ

قال كعب الأحبار: نجدُ نعت رسول الله ﷺ في التوراة: محمد بن عبد الله؛ عبدي المختار، مولده مكة، ومهاجره المدينة، لا فظ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق[٢].

وعن أبي هريرة قال: أتى رسول الله ﷺ بيت المدراس فقال: «أخرجوا إلي أعلمكم». فقالوا: عبد الله بن صوريا، فخلا به رسول الله ﷺ فناشده بدينه وبما أنعم الله به عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوى، وظلّلهم به من الغمام: «أتعلم أني رسول الله؟» قال: اللّهمّ نعم، وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمبين في التوراة، ولكنهم حسدوك. قال: «فما يمنعك أنت؟» قال: أكره خلاف قومي، وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم[٣].

وعن ابن عباس قال: كان يهود قُريظة والنّضير وفَدك وخيبر يجدون صفة النبي ﷺ عندهم قبل أن يبعث، وأن دار هجرته المدينة، فلما ولد رسول الله ﷺ قالت أحبار يهود: ولد أحمد الليلة. فلما نُبِّىء قالوا: قد نُبِّىء أحمد. يعرفون ذلك ويقرّون به ويصفونه، فما منعهم عن إجابته إلا الحسد والبغي.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٧٣ و٤٩٢١)، ومسلم (٤٤٩)، والترمذي (٣٣٢٣).

(٢) انظر الذهبي في «السيرة» (١/ ٨٠).

(٣) طبقات ابن سعد (١/ ١٦٤) ـ بيت المدراس: المدارس الدينية لليهود.

وعن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: كان الزبير بن باطا ـ وكان أعلم اليهود ـ يقول: إني وجدت سِفراً كان أبي يختمه عليّ، فيه ذُكِر: أن أحمد نبيٌّ صفته كذا وكذا، فحدث به الزبيرُ بعد أبيه والنبي ﷺ لم يبعث، فما هو إلا أن سمع بالنبي ﷺ قد خرج إلى مكة فعمد إلى ذلك السفر فمحاه، وكتم شأن النبي ﷺ وقال: ليس به.

وعن سلمة بن سلامة بن وقش قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل أن يبعث النبي ﷺ بيسير، حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل. قال سلمة: وأنا يومئذ أحدثُ من فيه سنّاً، عليَّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك، أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان ترى هذا كائناً: أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم والذي يُحلَف به؛ يود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمّونه، ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً! قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد ـ و أشار بيده نحو مكة واليمن ـ قالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلي وأنا من أحدثهم سناً فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه.

قال سلمة: فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسول الله ﷺ وهو حي بين أظهرنا، فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا: ويلك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى وليس به.

ذكر بدوّ دعاء رسول الله ﷺ الناسَ إلى الإسلام

روى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه: أن رسول الله ﷺ كان يدعو من أول ما أنزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفياً، ثم أُمر بإظهار الدعاء.

وقال يعقوب بن عتبة: كان أبو بكر وعثمان وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح يدعون إلى الإسلام سراً، وكان عمر وحمزة يدعوان علانية، فغضبت قريش لذلك.

ذكر طرف من معجزاته ﷺ

اعلم أن معجزات رسول الله ﷺ كثيرة، ونحن نذكر طرفاً منها، وأكبر معجزاته الدالة على صدقة القرآنُ العزيز، الذي لو اجتمعت الإنسُ والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا، وكفى به.

عن ابن مسعود قال: انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا» أخرجاه في الصحيحين[1]. والروايات في الصحيح بانشقاق القمر عن ابن عمر وعباس وأنس.

وعن عمران بن حصين قال: كنا في سفر مع رسول الله ﷺ وكنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦) و(٣٨٦٩) و(٣٨٧١) مختصراً، ورواه مسلم (٢٨٠٠)، والترمذي (٣٢٨٥ و٣٢٨٦) وأحمد (١/ ٣٧٧).

الليل وقعنا تلك الوقعة، ولا وقعة عند المسافر أحلى منها، قال: فما أيقظنا إلا حر الشمس، وكان أول من استيقظ فلان، ثم فلان، ثم فلان ـ وكان يسمّيهم أبو رجاء ونسيهم عوف ـ ثم عمر بن الخطاب الرابع. وكان رسول الله ﷺ إذا نام لم نوقظه حتى يكون هو يستيقظ؛ لأنا لا ندري ما يُحدَّث أو ما حدث له في نومه.

فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب ـ وكان رجلاً أجوف جليداً ـ قال: فكبَّر ورفع صوته بالتكبير، فما زال يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ لصوته رسول الله ﷺ، فلما استيقظ رسول الله ﷺ شكوا إليه الذي أصابهم؟ فقال: «لا ضير» أو «لا يضير، ارتحلوا» فارتحل فسار غير بعيد، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ، ونودي بالصلاة فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته إذا رجل معتزل لم يصلِّ مع القوم، فقال: «ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم؟» فقال: يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء! قال: «عليك بالصعيد الطيب فإنه يكفيك».

ثم سار رسول الله ﷺ فاشتكى إليه الناس العطش؟ فنزل فدعا فلاناً ـ كان يسميه أبو رجب ونسيه عوف ـ ودعا علياً عليه السلام فقال: «اذهبا فابغيا الماء» فذهبا فلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء على بعيرها فقالا لها: أين الماء؟ فقالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة، ونَفَرُنا خُلوف. قال: فقالا لها: فانطلقي إذاً. قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله ﷺ: قالت: هذا الذي يقال له الصابىء؟ قالا: هو الذي تعنين فانطلقي. فجاءا بها إلى رسول الله ﷺ فحدثاه الحديث، فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا رسول الله ﷺ بإناء فأفرغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين، وأوكى أفواههما، واطلق العزالي(١)، ونودي في الناس: أن اسقوا واستقوا، فسقى من شاء واستقى من شاء، فكان آخر ذلك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء، فقال: «اذهب فأفرغه عليك»، قال: وهي قائمة تنظر ما يفعل بمائها؟ قال: وايم الله لقد أقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملئة منها حين ابتدىء فيها. فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لها». فجمع لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة، حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً، وجعلوه في ثوب، وحملوه على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها، فقال لها رسول الله ﷺ: «تعلمين والله ما رزأناك من مائك شيئاً، ولكن الله عز وجل هو الذي سقانا».

قال: فأتت أهلها وقد احتبست عنهم، فقالوا: ما حبسك يا فلانة؟ قالت: العجب! لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابىء ففعل بمائي كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر من بين هذه وهذه، وقالت بإصبعها الوسطى والسبابة، فرفعتهما إلى السماء ـ تعني السماء والأرض ـ وإنه لرسول الله حقاً. قال: فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على ما حولها من المشركين ولا يصيبون الصِّرْم الذي هي منه. فقالت يوماً لقومها: ما أدري هؤلاء القوم الذين يدَعونكم عمداً! فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها فدخلوا في الإسلام. أخرجاه في الصحيحين(٢).

---

(١) العزالي: بالياء وبالألف المقصورة: جمع عَزْلاء: فم المزادة الأسفل. كما في عون المعبود (٤/٢٨).

(٢) انظر البخاري (٣٥٧١)، ومسلم (٦٨٢).

وعن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان بالزوراء، فأُتي بإناء فيه ماء لا يغمر أصابعه أو قدر ما يواري أصابعه، فأمر أصحابه أن يتوضؤوا، فوضع كفه في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه، حتى توضأ القوم قال: فقلنا لأنس: كم كنتم؟ قال: كنا ثلاثمائة. أخرجاه في الصحيحين (١).

وعن جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: «ما لكم؟» قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب ماء إلا في ركوتك، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. قال: فشربنا وتوضأنا، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. أخرجاه في الصحيحين (٢).

وعن أنس بن مالك قال: أصابت الناس سَنة على عهد رسول الله ﷺ فبينما رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ قام أعرابي فقال: يا رسول الله ﷺ هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا أن يسقينا؟! فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة، فثار سحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحدر على لحيته. قال: فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد، ومن بعد الغد، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال: يا رسول الله تهدّم البناء وغرق المال، ادع الله لنا؟ فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللّهمّ حوالينا ولا علينا» قال: فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة، حتى سال الوادي ـ وادي قناة ـ شهراً فلم يجيء أحد من ناحية إلا حدّث بالجود. أخرجاه في الصحيحين (٣).

وعن جابر بن عبد الله قال: كان جذع يقوم عليه النبي ﷺ فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده [عليها فسكنت]. رواه البخاري (٤).

وقد روى محمد بن سعد عن أشياخ له: أن قريشاً لما تكاتبت على بني هاشم حين أبوا أن يدفعوا إليهم رسولَ الله ﷺ وكانوا تكاتبوا: أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم في شيء، ولا يكلموهم. فمكثوا ثلاث سنين في شِعْبهم محصورين، ثم أطلع الله نبيه على أمر صحيفتهم، وأن الآكلة قد أكلت ما كان فيها من جور أو ظلم، وبقي فيه ما كان من ذكر الله، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب، فقال أبو طالب: أحقٌّ ما تخبرني به يا ابن أخي؟ قال: «نعم والله». فذكر ذلك أبو طالب لإخوته وقال: والله ما كذبني قط، قالوا: فما ترى؟ قال: أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا إلى قريش، فنذكر ذلك لهم قبل أن يبلغهم الخبر. فخرجوا حتى دخلوا المسجد، فقال أبو طالب: إنا قد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٢ ـ ٣٥٧٤)، ومسلم (٢٢٧٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) و(٤١٥٢)، ومسلم (١٨٥٦) مختصراً.
(٣) أخرجه البخاري (٩٣٣ و١٠٢١)، ومسلم (٨٩٧).
(٤) أخرجه البخاري (٣٥٨٤) واللفظ له، والدارمي (١/ ٢٩)، وابن حبان (٦٥٠٥).

جئنا لأمر فأجيبوا فيه؟ قالوا: مرحباً بكم وأهلاً. قال: إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط: أن الله قد سلط على صحيفتكم التي كتبتم الأَرَضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم، وبقي فيها كل ما ذكر به الله، فإن كان ابن أخي صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه إن شئتم؟ قالوا: أنصفتنا. فأرسلوا إلى الصحيفة، فلما فتحوها إذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فسُقِط في أيدي القوم، ثم نكسوا على رؤوسهم، فقال أبو طالب: هل تبين لكم من أولى بالظلم والقطيعة؟ فلم يراجعه أحد منهم، ثم انصرفوا[١].

ذكر طرف من إخباره ﷺ بالغائبات

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» أخرجاه في الصحيحين[٢].

وعنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار». فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابه جراحة، فقيل: يا رسول الله، الرجل الذي قلت من أهل النار قاتل قتالاً شديداً وقد مات. فقال رسول الله ﷺ: «إلى النار». وكاد بعض القوم يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت، ولكن به جراح شديد. فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه! فأُخبر النبي ﷺ بذلك. فقال: «الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله». ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: «إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإنّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». أخرجاه في الصحيحين[٣].

وعن عبد الله بن مسعود قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: انتظر. حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت. فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل قال: من يطوف بالكعبة؟ فقال: أنا سعد. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابه؟ قال: نعم. فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي! ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنك متجرك بالشام. قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك. وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك! قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما نكذب محمداً إذا حدث.

فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً يزعم أنه قاتلي. قالت: فوالله ما يكذب محمد.

قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟

---

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٢٧)، ومسلم (٢٩١٨)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١١) واللفظ له.

قال: فأراد أن لا يخرج. فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي فسِر معنا يوماً أو يومين، فسار معهم، فقتله الله[١].

وعن أنس قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال، وكنت حديد البصر فرأيته، فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فقال: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر، قال: إن كان رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم بالأمس، يقول: «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله» قال: فجعلوا يصرعون عليها. قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أخطأت رؤيتك، كانوا يصرعون عليها، ثم أمر بهم فطرحوا في بئر، فانطلق إليهم فقال: «يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقاً؟». فقال عمر: يا رسول الله أتكلم قوماً قد جيَّفوا. فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا» انفرد بإخراجه مسلم[٢].

ذكر طرف مما لاقى رسول الله ﷺ من أذى المشركين وهو صابر

كان أبو طالب يدافع عن رسول الله ﷺ فلما أتت لرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً مات عمه أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من المبعث، وهو ابن بضع وثمانين سنة، وتوفيت بعده خديجة بشهر وخمسة أيام، ويقال بثلاثة أيام فحسب، وهي ابنة خمس وستين سنة، وكانت قريش تكف بعض أذاها عن رسول الله ﷺ، حتى مات أبو طالب، فلما مات بالغوا في أذاه، فلما ماتت خديجة أقام بعدها ثلاثة أشهر، ثم خرج هو وزيد بن حارثة إلى الطائف، فأقام بها شهراً، ثم رجع إلى مكة في جوار المطعم بن عدي، وما زال يلقى الشدائد[٣].

وعن عبد الله قال: ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس وسَلا جزورٍ قريب منه، فقالوا: من يأخذ هذا السّلا فيلقيه على ظهره؟ قال: فقال عقبة بن أبي معيط: أنا. فأخذه فألقاه على ظهره، فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة صلوات الله عليها فأخذته عن ظهره، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم عليك بالملأ من قريش، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة، اللّهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللّهم عليك بأبي جهل بن هشام، اللّهم عليك بعقبة ابن أبي معيط، اللّهم عليك بأُبيّ بن خلف أو أمية بن خلف». قال عبد الله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً، ثم سحبوا إلى القليب غير أُبَيّ أو أمية فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع. أخرجاه في الصحيحين[٤].

وعن عروة: أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٤)، والنسائي (٢٠٧٥)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٢٣ برقم ٦٤٩٧)، وأحمد (١/ ٢٦) و(٢/ ١٠٤).

(٣) طبقات ابن سعد (١/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٠ و٥٢٠ و٢٩٣٤)، ومسلم (١٧٩٤)، السَّلا: بفتح السين: اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي في الآدمية: المشامة. ا.هـ النووي على مسلم (١٢/ ٣٦٢).

عليك من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة: إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم؟ فناداني ملَك الجبال فسلَّم عليّ، ثم قال: يا محمد؛ لك ما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً». أخرجاه في الصحيحين[١].

وعنه قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ؟ قال: بينا النبي ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم[٢]؟

فصل [الإسراء والمعراج]

فلما أتت لرسول الله ﷺ خمسون سنة وثلاثة أشهر قدم عليه جن نصيبين فأسلموا، فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به.

ذكر معراجه ﷺ

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما حدّثه: أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به، قال: «بينما أنا في الحطيم- وربما قال في الحجر - مضجعاً، إذ أتاني آتٍ فجعل يقول لصاحبه: الأوسط بين الثلاثة. قال: فأتاني وقعد».

قال: وسمعت قتادة يقول: «فشق ما بين هذه إلى هذه». قال قتادة: فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصّه إلى شعرته، قال: «فاستخرج قلبي»، قال: «فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي، ثم حُشي، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض»، قال: فقال له الجارود: أهو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم، يقع خطوه عند أقصى بصره.

قال: «فحملت عليه، فانطلق بي جبريل ﷺ حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلّم عليه. فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد حتى أتى بي السماء الثانية فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١) و(٧٣٨٩)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٥٦)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥٢٦ برقم ٦٥٦٦)، وأحمد (٢/ ٢٠٤ و٢١٨).

قال: محمد، قيل: أَوَقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء» ، قال: «ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما» ، قال: «فسلمت، فردا السلام، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى إلى السماء الثالثة فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أَوَقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء» . قال: «ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه» . قال: «فسلمت عليه. فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أَوَقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء» . قال: «ففتح، فلما خلصت إذا إدريس قال: هذا إدريس فسلم عليه» . قال: «فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح» .

قال: «ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء» . قال: «ففتح، فلما خلصت» قال: «فإذا أنا بهارون، قال: هذا هارون فسلم عليه» . قال: «فسلمت عليه، فرد السلام ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح» .

قال: «ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت» قال: «فإذا أنا بموسى قال: هذا موسى فسلم عليه. فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح» . قال: «فلما تجاوزت بكى فقيل: وما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي، يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي» .

قال: «ثم صعد حتى السماء السابعة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أَوَقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء» .

قال: «ففتح، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا إبراهيم فسلم عليه» . قال: «فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح» .

قال: «ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا أوراقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهي» ، قال: «فإذا أربعة أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات» . قال: «ثم رفع إلى البيت المعمور» .

قال قتادة: حدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه أُري البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون فيه[1] .

---

(١) روى هذه الزيادة همّام في حديثه كما قال الحافظ الذهبي في السيرة (١/ ٢١٦).

ثم رجع إلى حديث أنس، قال: «ثم أُتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل»، قال: «فأخذت اللبن قال: هذه الفطرة أنت عليها وأمتك». قال: «ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم». قال: «فرجعت فمررت على موسى فقال: بِمَ أُمرت؟ قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم.

قال: إن أمّتك لا تستطيع خمسين صلاة، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك عز وجل وسلْه التخفيف لأمتك». قال: «فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال: بِمَ أمرت؟ قلت: بأربعين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك». قال: «فرجعت فوضع عني عشراً أخر، فرجعت إلى موسى فقال: بِمَ أمرت؟ قلت: أمرت بثلاثين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك». قال: «فرجعت فوضع عني عشراً أُخر، فرجعت إلى موسى فقال: بِمَ أمرت؟ قلت: أمرت بعشرين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة كل يوم فإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك عز وجل فاسأله التخفيف لأمتك». قال: «فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بعشر صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كل يوم وإني خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك عز وجل فاسأله التخفيف لأمتك».

قال: «فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك». قال: «قلت: قد سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلّم، فلما نفذت ناداني منادٍ: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي». أخرجاه في الصحيحين(١).

عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي تبارك وتعالى». رواه الإمام(٢) أحمد.

ذِكر أمر رسول الله ﷺ أصحابَه بالهجرة إلى أرض الحبشة

لما أظهر رسول الله ﷺ الإسلام أظهر له المشركون له العداوة، فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأمر أصحابه بالخروج(٣) إلى أرض الحبشة وقال لهم: «إن بها ملكاً لا يظلم الناس ببلاده، فتحرزوا عنده

---

(١) روايات المعراج متناثرة في كتب السنة المطهرة والسيرة المشرفة، انظرها على سبيل المثال في: البخاري (٣٤٩ و٣٣٤٢ و١٦٣٦ و٣٢٠٧ و٣٨٨٧ و٣٣٩٣ و٣٤٣٠)، ومسلم (١٦٣ و١٦٤)، والنسائي (٤٤٨ و١٣٩٩ و٤٤٧)، والترمذي (٣٣٤٦)، وانظرها مجموعة مدروسة مؤصلة في السيرة للذهبي (١/ ٢٠٧ ـ ٢٢٨). والطبقات لابن سعد (١/ ٢١٣)، وما بعدها. والمواهب اللدنية (١/ ٢٧٣) وما بعدها و(٣/ ٧ ـ ١١٥).

(٢) انظر المواهب اللدنية (٣/ ٩٩...)، ففيه تفصيل القول في المسألة مع ذكر الروايات ومناقشتها.

(٣) انظر السيرة للذهبي (١/ ١٤٦).

حتى يأتيكم الله بفرج منه» فهاجر جماعة واستخفى آخرون بإسلامهم، وكان جملة من خرج إلى أرض الحبشة ثلاثة وثمانين رجلاً وإحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب.

فلما سمعوا بمهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثمان نسوة. فمات منهم رجلان بمكة، وحبس منهم سبعة، وشهد منهم بدراً أربعة وعشرون.

فلما كانت سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام فأسلم، وكتب إليه: أن يزوجه بأم حبيبة، وأن يبعث إليه من بقي من أصحابه. ففعل، فقدموا المدينة فوجدوا رسول الله ﷺ قد فتح خيبر.

ذِكر مقدار إقامة رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة

اختلفوا في ذلك؟ فروى ربيعة عن أنس، وأبو سلمة عن ابن عباس: أنه أقام عشر سنين. وهو قول عائشة وسعيد بن المسيب. وروي عن ابن عباس: أنه أقام خمس عشرة سنة.

عن ابن عباس قال: أقام النبي ﷺ بمكة خمس عشرة: سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت، وثماني توحى إليه.

والصحيح: ما أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة(١). ويُحمل قول من قال عشر سنين: على مدة إظهار النبوة؛ فإنه لما بُعث استخفى ثلاث سنين، ويُحمل قول من قال خمس عشرة سنة: على مبدأ ما كان يرى قبل النبوة من أعلامها ﷺ.

ذِكر عرض رسول الله ﷺ نفسَه بالموقف على الناس لينصروه

عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه بالموقف ويقول: «ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي؟!»، رواه الترمذي(٢). وعنه قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى، يقول: «من يؤويني؟ من ينصرني حتى أُبلغ رسالة ربي وله الجنة؟» حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مصر ـ كذا قال ـ فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله له من يثرب فآويناه ونصرناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعاً، فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويُخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في المواسم، فواعدناه شِعب العقبة واجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافقنا، فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: «بايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تتقوا فيَّ الله، ولا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٣) ومسلم (٢٣٥٠ و٢٣٥١) وانظر المواهب اللدنية (١/ ٢٨٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٣٧)، وابن ماجه (٢٠١)، عن جابر بن عبد الله.

تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني وتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة».

قال: فقمنا إليه فبايعناه، وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم وقال: رويداً يا أهل يثرب، فإنّا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإنّ إخراجه اليوم مفارقةُ العرب كافةً وقتلُ خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله؟ وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جَبِيْنَةً؟ فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا: أمط عنا يا أسعد فوالله ما ندع هذه البيعة أبداً ولا نُسلِبها أبداً. قال: فقمنا إليه فبايعناه فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة[1].

ذِكر العقبة وكيف جرى [أمرُها]

قال ابن اسحاق: لما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج فذكروا أنه قال لهم: «ممن أنتم؟» قالوا له: من الخزرج، قال: «أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، وقد كانوا يسمعون من اليهود أن نبياً مبعوثاً قد أظل زمانه، فقال بعضهم لبعض: والله يا قوم إن هذا النبيُّ الذي تعدكم به اليهود فلا يَسْبُقُنَّكم إليه. فأجابوه وهم فيما يزعمون ستة: أسعد بن زرارة، وعوف بن مالك وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة ابن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن رئاب.

فلما انصرفوا إلى بلادهم وقد آمنوا ذكروا لقومهم رسول الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل أتى الموسمَ اثنا عشر رجلاً من الأنصار فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة ـ وهي العقبة الأولى ـ فبايعوه بيعة النساء قبل أن تفترض الحرب، وفيهم عبادة بن الصامت، قال عبادة: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى: «على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف». وذلك قبل أن تفترض الحرب: «فإن وفَّيتم بذلك فلكم الجنة، وإن غشيتم شيئاً فأمركم إلى الله، إن شاء غفر وإن شاء عذب».

فلما انصرف القوم عن رسول الله ﷺ بعث معهم مصعب بن عمير إلى المدينة يفقّه أهلها ويُقرؤُهم القرآن، فنزل على أسعد بن زرارة، فكان يسمى بالمدينة: المقرىء، فلم يزل يدعو الناس إلى الإسلام حتى شاع الإسلام، ثم رجع مصعب إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية.

قال كعب بن مالك: خرجنا في الحجة التي بايعنا فيها رسول الله ﷺ بالعقبة مع مشركي قومنا، فواعدنا لرسول الله ﷺ العقبة أواسط أيام التشريق، ونحن سبعون رجلاً، ومعهم امرأتان فلما كانت

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٢)، والحاكم (٢/ ٦٢٤)، وصححه، ووافقه الحافظ الذهبي. الجبينة: الخوف وعدم الإقدام.

الليلة التي واعدنا فيها رسول الله ﷺ نمنا أول الليل مع قومنا، فلما استثقل الناس من النوم تسللنا من فراشنا تسلُّلَ القطا حتى اجتمعنا بالعقبة فأتانا رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس ليس معه غيره، فقال العباس: يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم، وهو في منعة من قومه وبلاده، وقد أبى إلا الانقطاع إليكم، فإن كنتم تخشون من أنفسكم خذلاناً فاتركوه في قومه، فإنه في منعة من عشيرته وقومه. فقلنا: قد سمعنا ما قلتَ، تكلم يا رسول الله. فتكلم رسول الله ﷺ ودعا إلى الله، ورغب إلى الإسلام وتلا القرآن. فأجبناه بالإيمان به والتصديق له، وقلنا له: يا رسول خذ لربك ولنفسك. قال: «إني أبايعكم على أن تمنعوني مما منعتم منه أبناءكم ونساءكم» . فأجابه البراء بن معرور فقال: نعم والذي بعثك بالحق مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر.

فعرض في الحديث أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين أقوام حبالاً وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعَنا؟ فقال رسول الله: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم» . فقال له البراء بن معرور: ابسط يدك يا رسول الله نبايعك. فقال رسول الله ﷺ «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً» . فأخرجوهم وهم: أسعد بن زرارة وعبد الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، ورافع بن مالك بن العجلان، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصامت، وأسيد بن حضير، وأبو الهيثم بن التيهان، وسعد بن خيثمة [والبراء بن معرور].

فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله ﷺ فضرب عليها فكان أول من بايع، وتتابع الناس فبايعوا[1] .

قال ابن إسحاق: فلما أيقنت قريش أن رسول الله ﷺ قد بويع وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، تآمروا بينهم فقالوا: والله لكأنه قد كر عليكم بالرجال فأثبتوه أو اقتلوه أو أخرجوه. فاجتمعوا على قتله، وأتاه جبريل وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه، فبات في غيره، فلما أصبح أذن له في الخروج إلى المدينة[2] .

وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ـ يريدون النبي ﷺ ـ وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فبات عليّ عليه السلام على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً، ردّ الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتصُّوا أثره.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٤٢ ـ ٤٥): رواه أحمد والطبراني (في الكبير ١٩/ ٨٩) بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرّح بالسماع ا.هـ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٠٩)، وابن هشام (١/ ٢٩١)، والسيرة للذهبي (١/ ٢٤٧ ـ ٢٥٧).

(٢) انظر السيرة للذهبي (١/ ٣٦٩).

ذِكر هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة

كانت بيعة العقبة في أوسط أيام التشريق، وقدم رسول الله ﷺ المدينة لاثنتي ليلة خلت من ربيع الأول.

قال يزيد بن أبي حبيب: خرج رسول الله ﷺ من مكة في صفر، وقدم المدينة في ربيع الأول. قال ابن إسحق: دخلها حين ارتفع الضحى وكادت الشمس تعتدل.

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة هو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، أنت تُكِسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج؛ أتخرجون رجلاً يُكِسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكَلَّ ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا! فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه! وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهَهُ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرِّين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك؟ وإما أن تُرجع إليَّ ذمتي؟ فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أردّ إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل. والنبي ﷺ يومئذ بمكة، فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين» ـ وهما الحرّتان ـ فهاجر من هاجر قِبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قِبل المدينة. فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي». فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم». فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده وَرَقَ السَّمُرِ ـ وهو الخبط ـ أربعة أشهر.

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر! قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أَخرِجْ مَن عندك». فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال: «فإني قد أذن لي في الخروج». فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال رسول الله: «نعم». قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتَي هاتين. قال رسول الله ﷺ: «بالثمن».

قالت عائشة: فجهزناهما أحثّ الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين. قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ـ وهو غلام شاب ثقف لَقِن ـ فيدلج من عندهما بسَحَر فيصبح مع قريش كبائت فلا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى لأبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رِسل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل ـ وهو من بني عبد بن عدي هادياً خِرِّيتاً ـ والخريت: الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمّناه، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبحَ ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليلُ فأخذ بهم طريق السواحل.

قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي ـ وهو ابن أخي سراقة بن جعشم ـ: أن أباه أخبره: أنه سمع سراقة بن جُعشُم يقول: جاءنا كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كلّ واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أَسْوَدة بالسواحل؛ أراها محمداً وأصحابه؟ قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبغون ضالة لهم. ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت معي رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجّه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرّب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها: أضرُّهم أم لا؟ فخرج الذي أكره فركبت فرسي ـ وعصيت الأزلام ـ تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساختْ يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم: أن سيظهر أمر

رسول الله ﷺ فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع. فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال: «أخفِ عنا».

فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير: أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر في ثياب بياض. وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحَرّة فينتظرونه حتى يردهم حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب هذا جدّكم الذي تنتظرونه! فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرّة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمر بن عوف، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيّي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسولَ الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلَّلَ عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أُسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول بالمدينة ـ وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين ـ وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل: غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل». ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً؟ فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن في بنيانه ويقول:

«هذا الحِمالُ لا حمال خيبر هذا أبرُّ ربَّنا وأطهر»

ويقول:

«اللهم إنَّ الأجرَ أجرُ الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسمَّ لي.

قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث: أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعرٍ تام غير هذه الأبيات. انفرد باخراجه البخاري(١).

وعن البراء بن عازب قال: اشترى أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً، قال: فقال أبو بكر: مر البراء فليحمله إلى منزلي. فقال: لا حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه. قال: فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا فاجتثثنا يومنا وليلنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٦)، وانظر (٣٩٠٥).

فضربت ببصري: هل نرى ظلاً نأوي إليه؟ فإذا أنا بصخرة فأويت إليها فإذا بقية ظلها، فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة، وقلت: اضطجع يا رسول الله ﷺ فاضطجع، ثم خرجت أنظر: هل أرى أحداً من الطلب؟ فإذا أنا براعي غنم فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال لرجل من قريش فسماه فعرفته فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قال: قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم. فأمرته فاعتقل شاة منها، ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ومعي إداوة على فمها خرقة فحلب لي كثبة من اللبن، فصببت على القدح حتى برد أسفله، ثم أتيت رسول الله فوافيته وقد استيقظ فقلت: اشرب يا رسول الله. فشرب حتى رضيت، ثم قلت: هل أتى الرحيل؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا! فقال: «لا تحزن؛ إن الله معنا» حتى إذا دنا منا وكان بيننا وبينه قيد رمح أو رمحين أو ثلاثة قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت. فقال: «لماذا تبكي؟» قال قلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكني أبكي عليك. قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللّهم اكفناه بما شئت» فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد، ووثب عنها، وقال: يا محمد قد علمتُ أن هذا عملك فادع الله عز وجل أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لي فيها». قال: ودعا له رسول الله ﷺ فأُطلق ورجع إلى أصحابه.

ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة فتلقاه الناس فخرجوا في الطريق وعلى الأناجير[1] واشتد الخدم والصبيان في الطريق: الله أكبر جاء رسول الله ﷺ جاء محمد. قال: وتنازع القوم أيهم ينزل عليه؟ قال: فقال رسول الله ﷺ «أنزل الليلةَ على بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك». فلما أصبح غدا حيث أمر.

قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أخو بني فهر، ثم قدم علينا عمر ابن الخطاب في عشرين راكباً، فقلنا: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: هو على أثري. ثم قدم رسول الله ومعه أبو بكر، قال البراء: ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصَّل. أخرجاه في الصحيحين[2].

وعن أنس: أن أبا بكر حدثه قال: قلت لرسول الله ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا تحت قدميه؟ فقال: «أبا بكر: ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟» أخرجاه في الصحيحين[3].

---

(١) الأناجير: جمع نَجيرة، وهي: سقيفةٌ من خشب ليس فيها قَصَب ولا غيره.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٥)، ومسلم (٢٠٠٩) مختصراً.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٣ و٣٩٢٢)، ومسلم (٢٣٨١)، وأحمد (١/ ٤)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٨١ برقم ٦٢٧٨).

حديث أُمِّ مَعْبَدٍ

عن أبي معبد الخزاعي: أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أُرَيْقِط الليثي فمروا بخيمَتَيْ أم معبد الخزاعية ـ وكانت امرأة جَلْدَةً برزة، تحتبي وتقعد بفناء الخيمة تسقي وتطعم ـ فسألوها تمراً ولحماً يشترون؟ فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، فإذا القوم مُرمِلون مسنتون، فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أُعوزكم القرى! فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: هذه شاة خلّفها الجهد عن الغنم. فقال: «هل بها من لبن؟». قالت: هي أجهد من ذلك. قال: «أتأذنين لي أن أحلبها؟» قالت: نعم بأبي وأمي إن رأيت بها حلباً.

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله، وقال: «اللّهم بارك لها في شاتها». قال: فتفاجّت ودرّت واجترّت، فدعا بإناء لها يُربض الرهط، فحلب فيه ثجاً حتى غلبه الثمال، فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب رسول الله ﷺ آخرهم، وقال: «ساقي القوم آخرهم شرباً». فشربوا جميعا عللاً بعد نهل حتى أراضوا، ثم حلب فيه ثانياً عَوْداً على بدء فغادره عندها حتى ارتحلوا عنها، فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق [أعنزاً حيلاً عجافاً هزلى ما تساوق مخُهن قليل](١) لا نقي بهن، فلما رأى اللبن عجب فقال: من أين لك هذا والشاة عازبة ولا حلوبة في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي يُطلب، صِفِيهِ لي يا أم معبد؟ قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة متبلج الوجه، حسن الخلق لم تعبه ثجلة، ولم تُزرِ به صعلة، وسيم، قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل، أزجّ أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، إذا صَمَتَ فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء وكأن منطقه خرزات عقد يتحدرن، حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هذر، أجهر الناس وأجملهم من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب، رَبْعةٌ لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنظر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفّون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند.

قال: هذا والله صاحب قريش الذي ذُكر لنا من أمره ما ذكر، ولو كنت وافقته لالتمست أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

وأصبح صوتٌ بمكة عالياً بين السماء والأرض يسمعونه ولا يُرى من يقوله وهو يقول:

جزى اللّهُ ربُّ الناسِ خيرَ جَزَائِه ... رفيقين حلّا خيمَتَيْ أم معبد
هما نزلا بالبِرّ وارتحلا به ... فأفلح من أمسى رفيقَ محمد
فيا لَقُصَيٍّ، ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجازى وسؤدد

(١) والذي في الحاكم «يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزالاً، مخهنّ قليل» ا.هـ (٣/ ٩ برقم ٤٢٧٤).

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح ضرةُ الشاة مزبد
فغادره رهناً لديها لحالب ... بدرَّتها من مصدر، ثم مورد[(١)]

فأصبح القوم وقد فقدوا نبيهم، وأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا النبي ﷺ قال: فأجابه حسان بن ثابت يقول:

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيهم ... وقُدِّس من يَسري إليه ويغتدي
تَرَحَّلَ عن قوم فزالت عقولهم ... وحلّ على قوم بنور مجدِّد
فهل يستوي ضلال قوم تسكعوا ... عمى، وهداةٌ يهتدون بمهتد؟
نبي يرى ما لا يرى الناسُ حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فإن قال في يومٍ مقالةَ غائب ... فتصديقُها في ضحوة اليوم أو غد
لِيُهْنِ أبا بكر سعادةُ جدِّه ... بصحبته، من يُسعدِ اللهُ يسعَد
ويُهنْ بني كعب مكانُ فتاتهم ... ومقعدها للمسلمين بمرصد

قال عبد الملك بن مروان: فبلغنا أن أم معبد هاجرت إلى النبي ﷺ وأسلمت[(٢)].

تفسير غريب الحديث

البَرَزة: الكبيرة، والمُرْمِلون: الذين نفد زادهم، ومسنّون من السنة وهي الجدب، وكسر الخيمة: جانبها، والجهد: المشقة، وتفاجت: فتحت ما بين رجليها للحلب، ويربض الرهط: يثقلهم فيربضوا، والثج: السيلان، والثمال: الرغوة، وقوله: عللاً بعد نهل، أي مرة بعد أخرى، حتى أراضوا: أي رووا، والحيل: اللواتي لسن بحوامل، والنقي: المخ، والشاة عازب: أي بعيدة في المرعى، متبلج الوجه: مُشرِقُهُ، والثجلة: عظيم[(٣)] البطن واسترخاء أسفله، والصعلة: صغر الرأس، والوسيم: الحسن، وكذلك القسيم، والدعج: السواد في العين، والوطف: الطول في هدب العين، والصّحل: كالبحة، والأحور: الشديد سواد أصول أهداب العين خِلقةً، والأزج: من الزجج وهو دِقّة الحاجبين وحسنهما، والأقرن: المقرون الحواجب، والسطع: الطول، وقولها: «إذا تكلم سما» تريد علا رأسه أو يده، وقولها: «لا نزر ولا هذر» تريد أنه ليس بقليل ولا كثير، وقولها: لا تقتحمه عين من قصر أي لا تحتقره، والمحفود: المخدوم، والمحشود: من قولك احتشدت لفلان في كذا إذا أعددت له وجمعت، وقولها: ليس بعابس: الوجه ولا فيه أثر هرم، والفند: الهرم، والصريح: الخالص، والضرّة: لحم الضرع[(٤)].

---

(١) في المستدرك للحاكم (٣/ ١٠): يُرَدِّدها في مصدر بعد مورد.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ٤٨ ـ ٥٠)، وانظر طبقات ابن سعد (١/ ١٨٥)، و(١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) و(٨/ ٤٠٦)، ومجمع الزوائد (٦/ ٥٥)، وقال: وفي إسناد الطبراني من لا أعرفهم. ورواه الحاكم (٣/ ٩ ـ ١٠)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) كذا في المطبوع، ولعلها: عِظَمُ البطن.

(٤) انظر المواهب اللدنية (١/ ٣٠١).

ذِكر ما جرى لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة

قال الزهري: نزل رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بقباء، فأقام فيهم بضع عشرة ليلة. وقال عروة: مكث بقباء ثلاث ليال، ثم ركب يوم الجمعة فمر على بني سالم فجمَّع بهم، وكانت أول جمعة صلاها حين قدم المدينة، ثم ركب في بني سالم فمرت الناقة حتى بركت في بني النجار على دار أبي أيوب الأنصاري فنزل عليه في سفل داره، وكان أبو أيوب في العلو، حتى ابتنى رسول الله ﷺ مسجداً ومساكنه(١).

عن عائشة قالت: قدم النبي ﷺ المدينة وهي وبيئةٌ، فمرض أبو بكر، فكان إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبَّح في رَحله ... والموتُ أدنى من شِراك نعله

وكان بلال إذا أخذته الحمى يقول:

ألا ليت شِعري هل أبيتنَّ ليلة ... بوادٍ وحولي إذخِرٌ وجليل؟

وهل أرِدَن يوماً مياهَ مِجَنَّة ... وهل يَبْدُوَنْ لي شامة وطفيل؟

اللهم العن شيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف كما أخرجونا من مكة! فلما رأى رسول الله ﷺ ما لقوا قال: «اللّهم حبِّب إلينا المدينة كحبّنا مكة أو أشد، اللّهم صحِّحها وبارك لنا في صاعها ومُدِّها، وانقل حمَاها إلى الجحفة». قالت: فكان المولود يولد بالجحفة فما يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى. أخرجاه في الصحيحين(٢).

ذِكر عمومة رسول الله ﷺ

قال ابن السائب: هم أحد عشر: الحارث والزبير وأبو طالب وحمزة وأبو لهب والغيداق والمقوّم وضرار والعباس وقثم وجحل، واسم جحل المغيرة. وقال غيره: هم عشرة. ولم يذكر قثم، وقال: اسم الغيداق جحل.

ذِكر عماته ﷺ

وهن ستٌ: أم حكيم وهي البيضاء وبرّة وعاتكة وصفية وأروى وأميمة، فأما صفية فأسلمت من غير خلاف، وأما عاتكة وأروى فقال محمد بن [سعيد]: أسلمتا وهاجرتا إلى المدينة. وقال آخرون: لم تسلم منهن إلا صفية(٣).

ذِكر أزواج النبي ﷺ

خديجة بنت خويلد، سودة بنت زمعة، عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر، أم سلمة،

---

(١) أي: وابتنى مساكنه ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٢٦)، ومسلم مختصراً (١٣٧٦).

(٣) انظر طبقات ابن سعد (٨/ ٤٤) و(٢/ ١٢٣)، وما بين معقوفتين جاء في الأصل هكذا «بن سعيد» وهي: «ابن سعد».

واسمها هند بنت أبي أمية، أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان، زينب بنت جحش أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله - صلى الله عليم وسلم - زينب بنت خُزيمة بن الحارث بن أبي ضرار، صفية بنت حُيَي بن أخطب، ميمونة بنت الحارث بن حزن.

وقد تزوج رسول الله ﷺ جماعة من النساء فلم يدخل بهنَّ، وخطب جماعة فلم يتم النكاح، ويقال: إن أم شريك وهبت نفسها للنبي ﷺ[(١)].

ذِكر سراري رسول الله ﷺ

مارية القبطية بعث بها إليه المقوقس، ريحانة بنت زيد، ويقال إنه تزوجها، وقال الزهري: استسرّها، ثم أعتقها فلحقت بأهلها، وقال أبو عبيدة: كان له أربع: مارية وريحانة وأخرى جميلة أصابها في السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش.

ذِكر أولاده ﷺ

أما الذكور: فالقاسم وبه كان يكنى ﷺ، وهو أول من مات من أولاده وعاش سنتين.

عبد الله: وهو الطاهر والطيب، ولد له في الإسلام.

وقال عروة: ولدت له خديجة: القاسم والطاهر وعبد الله والمطيَّب.

وقال سعيد بن عبد العزيز: كان للنبي ﷺ أربعة غلمة إبراهيم، والقاسم، والطاهر، والمطهر.

قال أبو بكر البرقي: ويقال إن الطاهر هو الطيب وهو عبد الله، ويقال: إن الطيب والمطيَّب ولدا في بطن، والطاهِر والمطهر ولدا في بطن.

إبراهيم أمه مارية القبطية، ولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، وتوفي ابن ستة عشر شهراً، وقيل ثمانية عشر شهراً، ودُفِن بالبقيع.

الإناث من أولاده ﷺ

فاطمة عليها السلام: ولدت قبل النبوة بخمس سنين، زينب تزوجها أبو العاص بن الربيع، رقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن عفان، [ثم] تزوج أم كلثوم بعد رقية.

وجميع أولاده من خديجة رضي الله عنها سوى إبراهيم.

ذِكر موالي رسول الله ﷺ

أسلم: ويكنى أبا رافع، أبو رافع - آخر - والدُ البهي، أحمر، أسامة بن زيد، أفلح، أنسة ويكنى أبا مسروح، أيمن ابن أم أيمن، ثوبان ويكنى أبا عبد الله، ذكوان ويقال هو مهران، وقيل طهمان، رافع، رباح الأسود، زيد بن حارثة، زيد بن بولا، سابق، سالم، سلمان الفارسي، سليم ويكنى أبا كبشة، وقيل اسمه أوس، سعيد أبو كنذير، شقران واسمه صالح، ضميرة بن أبي ضميرة، عُبَيْد الله بن

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٤).

عبد الغفار، فضالة اليماني، كيسان، مهران ويكنى أبا عبد الرحمن وهو سفينة في قول إبراهيم الحربي، وقال غيره: اسم سفينة: رومان، وقيل عيس، ومدعم، نافع، نفيع ويكنى أبا بكرة الثقفي، نبيه، واقد، وردان، هشام، يسار، أبو أثيلة، أبو الحمراء، أبو السمح، أبو ضميرة، أبو عبيد واسمه سعيد وقيل عبيد، أبو مويهبة، أبو واقد.

قال إبراهيم الحربي: ليس في موالي رسول الله ﷺ عُبَيْد، إنما هو أبو عُبَيْد، وإنما التيمي غلط في الحديث، فقال: عُبَيْد. وذكر ابن أبي خيثمة أنهما اثنان: عُبَيْد وأبو عُبَيْد.

وفرق الحربي بين رافع وأبي رافع فجعلهما اثنين، وحكى ابن قتيبة أنهما واحد.

وقال أبو بكر بن حزم: من غلمان رسول الله ﷺ كركرة، وقال مصعب: أهدى إليه المقوقس خصياً اسمه مابورا، وذكر محمد بن حبيب الهاشمي من موالي رسول الله ﷺ أبو لبابة وأبو لقيط وأبو هند.

ذِكر موليات رسول الله ﷺ

أم أيمن اسمها بركة، أميمة، خضرة، رضوى، ريحانة، سلمى، مارية، ميمونة بنت سعد، ميمونة بنت أبي عسيب، أم ضميرة، أم عياش: وقيل أم عياش مولاة ابنته رقية.

ذِكر مراكبه ﷺ

كان له فرس يقال له السكب، وفرس يقال له المرتجز، وهو الذي اشتراه من الأعرابي، وشهد فيه خزيمة بن ثابت، وربما جعل بعضهم الاسمين لواحد.

وفرس يقال له اللزاز، وفرس يقال له الظرب، وفرس يقال له الورد، وفرس يقال النحيف، وبعضهم يقول اللحيف باللام، وبعضهم يسمي بعض خيله اليعسوب.

وكان له الناقة القصواء، وهي العضباء، وهي الجدعاء، وبغلة تسمى الشهباء، والدلدل، وحمار يقال له اليعفور.

ذِكر صفة رسول الله ﷺ

عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن: أنه سمع أنس بن مالك ينعت رسول الله ﷺ فقال: كان رسول الله ﷺ رَبعة من القوم، ليس بالقصير ولا بالطويل البائن، أزهر ليس بالآدم ولا الأبيض الأمهق، رَجِلَ الشعر ليس بالسبط ولا الجعد القطط، بُعث على رأس أربعين، أقام بمكة عشراً، وبالمدينة عشراً، وتوفي على رأس ستين، ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. أخرجاه في الصحيحين[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٤٧ ـ ٣٥٤٨ و٥٩٠٠)، ومسلم (٢٣٤٧)، والترمذي (٣٦٦٣).

رَبْعَة: فسّره أنس رضي الله عنه بقوله: ليس بالقصير ولا بالطويل البائن، وهو المربوع المائل إلى الطول، أزهر ـ أمهق: ليس شديد البياض الخالي عن الحمرة، بل هو أبيض مشرب بالحمرة، آدم: أسمر. رَجِل الشعر القطط: شعره مسترسل لا التواء فيه ولا انقباض.

وعنه قال: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحاً قط وعرفاً قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ «رواه البخاري»[١].

وقال أبو عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله ﷺ. فقالت: لو رأيته لرأيت الشمس الطالعة[٢].

قال إبراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب، قال: كان علي رضي الله عنه إذا وصف رسول الله ﷺ يقول: لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد، كان ربعة من القوم، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط، كان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهم ولا بالمتكلثم، وكان في وجهه تدوير، أبيض مشرباً، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، أجرد ذو مسربة، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين أجود الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ. رواه الترمذي[٣].

شرح بعض ألفاظ الحديث:

وقال: سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول: سمعت الأصمعي يقول: الممغط الذاهب طولاً والمتردد الداخل بعضه في بعض قصراً، وأما القطط فشديد الجعودة والرجل الذي في شعره حجونة أي تثن قليل، والمطهم البادن الكثير اللحم، والمتكلثم المدور الوجه، والمشرب الذي في بياضه حمرة، والأدعج الشديد سواد العين، والأهدب الطويل الأشفار، والكتد مجتمع الكتفين وهو الكاهل، والمسربة الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة، والشثن الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين، والتقلُّع المشي بقوة، والصبب الحدور تقول: انحدرنا في صبوب وصبب، وقوله جليل المشاش يريد رؤوس المناكب، والعشرة الصحبة، والعشير الصاحب، والبديهة المفاجأة.

وعن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصَّافاً عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئا أتعلق به؟ فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفّره، أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦١) وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٢١١ برقم ٦٣٠٢).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ٣٠٠) والدارمي في السنن (١/ ٣٣ برقم ٦١) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٨٠) وقال المناوي في «الروض الباسم»: ورجاله وثقوا ا.هـ. ص(٤٩ برقم ٣٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٣٨ و٣٦٤٢)، والبيهقي في الدلائل (١/ ٢٦٩)، وحسنه البغوي في المصابيح (برقم ٤٥١٤)، الممغّط: الطويل، المطهَّم: المنتفخ الوجه الذي فيه عبوس وجهامة، وهو الكثير اللحم البادن، والمُكَلْثَم: المدور الوجه. أدعج العينين: شديد سوادهما مع سعتهما، أهدب الأشفار: طويل شعر الأشفار وهي حرف جفن العين، المُشاش: رؤوس العظام، الكتد: الكاهل وما يليه من الجسد، أجرد: لم يعمّ بدنَه الشعرُ، شثن: ضخم.

كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك سواء البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس، أنور المتجرِّد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخيط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف أو قال: شائل الأطراف، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعاً يخطو تكفّياً ويمشي هوناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صَبَبٍ، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدر من لقيه بالسلام[١]، قلت: فصِف لي منطقه؟ قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة، طويل السَّكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً، لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظِّم النعمة وإن دقت، ولا يذم منها شيئاً غير أنه لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تُعُدِّيَ الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامها اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، جُلّ ضحكه التبسم.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زماناً، ثم حدثته بها فوجدته قد سبقني إليه، فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه وشكله فلم يَدَعْ منه شيئاً.

قال الحسين: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ؟ فقال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله وجزءاً لنفسه، وجزءاً لأهله، ثم جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة ولا يدخر عنهم منه شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقَسْمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: «ليبلّغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها [فإنه من أبلغ سلطاناً حاجةَ من لا يستطيع إبلاغها][٢] ثبت الله قدميه يوم القيامة» لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون روّاداً، ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدِلَّةً ـ يعني على الخير ـ.

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله ﷺ يخزنُ لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في أيدي الناس، ويحسِّن الحسن ويقويه ويقبِّح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا،

---

(١) الحديث إلى هنا أخرجه الترمذي في الشمائل (٧)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٧٥)، والبيهقي في الدلائل (١/ ٢٨٦)، وأبو نعيم في الدلائل (٥٦٥).

(٢) ما بين معقوفين زيادة من شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ١٥٦).

لكل حالٍ عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحةً، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساةً ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكرٍ، وكان إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبهم لا يحسب جليسه أنَّ أحداً أكرم عليه ممن جالسه، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناسَ بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تُؤبن فيه الحرم، يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

قلت: وكيف كانت سيرته في جلسائه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البِشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يُؤيِس منه، ولا يخيب فيه مؤمّليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلّم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافىء، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام. رواه الترمذي.

وقد روى هذا الحديث أبو بكر ابن الأنباري فزاد فيه: قال: فسألته عن سكوت رسول الله ﷺ؟ فقال: كان سكوته على أربع، على الحلم والحذر والتقدير والتفكر، فأما التقدير ففي تسوية النظر والاستماع من الناس، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم في الصبر، ولا يغضبه شيء ولا يستفزه، وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح ليتناهى عنه واجتهاده الرأي في إصلاح أمته، والقيام لهم فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة[1].

تفسير غريب هذا الحديث

الفَخم المفخَّم: هو العظيم المعظَّم في الصدور والعيون. والمشذَّب: الطويل الذي ليس بكثير اللحم، والرَّجِلُ الشعر: الذي في شعره تكسُّر، فإذا كان الشعر منبسطاً قيل: شعر سَبِطٌ وسَبْطٌ والعقيقة: الشعر المجتمع في الرأس، الأزهر اللون: النيِّر. وأزجّ الحواجب: أي طويل امتدادهما لوفور الشعر فيهما وحسنه إلى الصدغين. فأما جمع الحواجب فله وجهان: أحدهما على مذهب من

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل مختصراً (٧) والبيهقي في الدلائل (١/ ٢٨٦ ـ ٢٩٢)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٤٢٢)، وابن حبان الثقات (٢/ ١٥٠) والسيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٧٦)، وقال الذهبي في السيرة: أخرج الترمذي أكثره مقطعاً في الشمائل ا. هـ (٢/ ٣٨٢).

يوقع الجمع على التثنية، والثاني: على أن كل قطعة من الحاجب تسمى حاجباً.

وقوله: أقنى العرنين: القنا أن يكون في عظم الأنف إحديداب في وسطه، والعرنين: الأنف، والأشم: الذي عظم أنفه طويل إلى طرف الأنف، وضليع الفم: كبيره، والعرب تمدح بذلك وتهجو بصغره، والمسرُبة: قد فسرناها في الحديث قبله، والدمية: الصورة، وجمعها دُمى.

وقوله بادن متماسك: أي تام خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللحم ولا كثيره، وقوله: سواءُ البطن والصدر، معناه: أن بطنه ضامر وصدره عريض فلهذا ساوى بطنُه صدرَه.

والكراديس: رؤوس العظام. وقوله: أنور المتجرِّد: أي نيّر الجسد إذا تجرد من الثياب. والنيّر: الأبيض المشرق.

وقوله: خُمصان الأخمصين: معناه أن أخمص رجله شديد الارتفاع من الأرض، والأخمص: ما يرتفع من الأرض من وسط باطن الرِّجل. قوله: مسيح القدمين: أي ليس بكثير اللحم فيهما وعلى ظاهرهما فلذلك ينبو الماء عنهما، والتقلّع والصبب: قد فسرناهما في الحديث قبله.

وقوله ذريع المشية: واسع المشية من غير أن يظهر منه استعجال. والمهين: الحقير. ويسوق أصحابه: يقدّمهم بين يديه ومن ورائه، يفوق: أراد يفضلهم ديناً وحلماً وكرماً. وقوله: لكل حال عنده عتاد: أي عدّة، يعني أنه قد أعد للأمور أشكالها. وقوله يرد بالخاصة على العامة فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كان يعتمد على أن الخاصة ترفع علومه وإرادته إلى العامة.

والثاني: أن المعنى يجعل المجلس للعامة بعد الخاصة، فتنوب (الباء) عن (من)، و(على) عن (إلى).

والثالث: فيرد ذلك بدلاً من الخاصة على العامة فتفيد (الباء) معنى البدل.

والروّاد: جمع رائد وهو الذي يقدم القوم إلى المنزل يرتاد لهم الكلأ وهو هنا مَثلٌ، والمعنى أنهم ينفعون بما يسمعون من وراءهم، والذواق ههنا العلم يذوقون من حلاوته ما يذوقون من الطعام، وتؤبن فيه الحرم أي تعاب، وقوله: لا يقبل الثناء إلا من مكافيء أي: من صح عنده إسلامه حَسُنَ موقع ثنائه عليه، ومن استشعر منه نفاقا أو ضعفا في دينه ألغى ثناءه ولم يحفل به، وأرفدوه بمعنى أعينوه.

ذِكر حسن خُلُقه ﷺ

عن أبي عبد الله الجدلي قال: قلت لعائشة: كيف كان خلق رسول الله ﷺ في أهله؟ قالت: كان أحسن الناس خلقاً لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح. رواه الإمام أحمد[١].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٧٠)، أبو داود الطيالسي كما في «منحة المعبود» (٢/ ١١٩)، وهو عند الذهبي في السيرة (٢/ ٣٨٧).

وعن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أفّ، ولا: لمَ صنعت، ولا ألا صنعت. رواه البخاري(١).

وعن سماك قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم؛ كان طويل الصمت قليل الضحك، وكان أصحابه يذكرون عنده الشعر وأشياء من أمورهم فيضحكون، وربما تبسم. انفرد بإخراجه مسلم(٢).

ذِكر تواضعه ﷺ

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجه البخاري(٣).

وعن جابر قال: جاءني النبي ﷺ يعودني، ليس براكب بغلاً ولا برذوناً. انفرد بإخراجه البخاري(٤).

وعن أنس قال: كانت الأَمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به في حاجتها. انفرد بإخراجه البخاري، وفي بعض ألفاظ الصحيح: فتنطلق به حيث شاءت(٥).

وعن الأسود قال: قلت لعائشة: ما كان رسول الله ﷺ يصنع إذا دخل بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى. انفرد بإخراجه البخاري(٦).

وعن البراء قال: رأيت النبي ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى الترابُ بياضَ بطنه وهو يقول:

«والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزِلنْ سكينةً علينا وثبِّت الأقدامَ إن لاقينا
إن الأُلى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنةً أبينا»

أخرجاه في الصحيحين. وفي بعض الألفاظ:

«والله لولا الله ما اهتدينا»(٧)

وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يعود المرضى، ويشهد الجنازة، ويأتي دعوة

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٨ و٦٠٣٨)، والترمذي في الشمائل (٣٤٦)، والسنن (٢٠١٥) وابن حبان في صحيحه (١٥٣/٧).
(٢) أخرجه أحمد (٨٦/٥).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).
(٤) أخرجه البخاري (٥٦٦٤).
(٥) أخرجه البخاري (٦٠٧٢)، وأبو داود (٤٨١٨)، وأحمد (٩٨/٣ و١١٩ و٢١٤)، بروايات متقاربة.
(٦) أخرجه البخاري (٦٠٣٩).
(٧) أخرجه البخاري (٢٤٧٧ و٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٢).

المملوك، ويركب الحمار، ولقد رأيته يوماً على حمار خطامه ليف[١].

وعن الحسن: أنه ذكر رسول الله ﷺ فقال: لا والله ما كانت تغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحُجّاب، ولا يُغدى عليه بالجفان، ولا يُراح عليه بها، ولكنه كان بارزاً، من أراد أن يلقى نبي الله لقيه، وكان يجلس بالأرض، ويوضع طعامه بالأرض، يلبس الغليظ ويركب الحمار، ويردف عبده، ويعلف دابته بيده ﷺ.

ذِكْر حيائه ﷺ

عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه. أخرجاه في الصحيحين[٢].

وعن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ رأى على رجل صفرة فكرهها، وقال: «لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة» قال: وكان لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه. رواه الإمام أحمد[٣].

ذِكْرُ شفقته ومداراته ﷺ

عن أنس بن مالك: أن نبي الله ﷺ قال: «إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي مما أعلم من شدة وَجْدِ أمه من بكائه». أخرجاه في الصحيحين[٤].

وعنه قال: قال رجل للنبي ﷺ: أين أبي؟ قال: «في النار» فلما رأى ما في وجهه قال: «إن أبي وأباك في النار» انفرد بإخراجه مسلم[٥].

ذِكْرُ حِلْمه وصفحه ﷺ

عن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثَّرَتْ بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك! فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء. أخرجاه في الصحيحين[٦].

وعن عبد الله قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ أناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (١٠١٧)، والشمائل (٣٣٣)، وابن ماجه (٢٢٩٦ و٤١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٢ و٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٤١٨٢) و(٤٧٨٩)، والترمذي في الشمائل (٣٤٧)، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٣ و١٥٤ و١٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٩ ـ ٧١٠)، ومسلم (٤٧٠)، وابن ماجه (٩٨٩).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٣) وأبو داود (٤٧١٨)، قوله ﷺ: «إن أبي وأباك في النار»: هو من حُسْن العشرة للتسلية بالاشتراك في المعصية، وفيه: أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار ا.هـ. النووي على مسلم (٣/ ٧٤).

(٦) أخرجه البخاري (٣١٤٩ و٥٨٠٩)، ومسلم (١٠٥٧)، وابن ماجه (٣٥٥٣).

القسمة. فقال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله! قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله ﷺ. قال: فأتيته فأخبرته بما قال، فتغير وجهه، حتى كان كالصرف، ثم قال: «من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟» ثم قال: «رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر» أخرجاه في الصحيحين(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى النبي ﷺ فقال: إن دوساً قد عصت وأبت فادعُ الله عليهم! فاستقبل القبلةَ رسولُ الله ﷺ ورفع يديه فقال: «اللّهم اهدِ دوساً وائت بهم، اللّهم اهدِ دوساً وائت بهم، اللّهم اهدِ دوساً وائت بهم». أخرجاه في الصحيحين(٢).

وعن عبد الله بن عمر: أن عبد الله بن أُبَيٍّ لما توفي جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: أعطني قميصك أكفنه فيه، وصلِّ عليه، واستغفر له. فأعطاه قميصه وقال: «آذِنِّي أصلي عليه» فآذنه فلما أراد أن يصلي جذبه عمر فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: «أنا بين خيرتين قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾» [التوبة: ٨٠] فصلى عليه، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤] أخرجاه في الصحيحين(٣).

وعن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ خادما له قط ولا امرأة له قط، وما ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله فينتقم لله عز وجل، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما إلا أن يكون مأثماً، فإن كان مأثماً كان أبعد الناس منه. أخرجاه في الصحيحين(٤).

ذِكْرُ مزاحه ومداعبته ﷺ

وعن أنس: أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، وكان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج. فقال رسول الله ﷺ: «إن زاهراً باديتُنا ونحن حاضروه». وكان رسول الله ﷺ يحبه، وكان رجلاً دميماً، فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت، فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره ببطن النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: «من يشتري العبد؟» فقال: يا رسول الله إذاً والله تجدني كاسداً! فقال رسول الله ﷺ: «لكن عند الله عز وجل لست بكاسد» أو قال: «لكن عند الله أنت غالٍ». رواه الإمام أحمد(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٠ و٣٤٠٥ و٤٣٣٥)، ومسلم (١٠٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٢٤)، والبخاري (٢٩٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠)، وتمامه عندهما: «وسأزيد على سبعين» قال عمر: إنه منافق؟! فصلى عليه رسول الله ﷺ، وأنزل الله سبحانه: ﴿ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً، ولا تقم على قبره﴾ [التوبة: ٨٤].

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٦٠ و٦١٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧)، وأبو داود (٤٧٨٥)، وأحمد (٦/ ٣١ ـ ٣٢ و٢٠٦ و٢٨١).

(٥) أخرجه الترمذي في الشمائل (٢٤٠)، وأحمد (٣/ ١٦١).

قال لنا محمد ابن أبي منصور: قال لنا أبو زكريا: الدميم بالدال المهملة في الخَلْق، وبالذال المعجمة في الخُلُق.

وعن عائشة قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدُن، فقال للناس: «تقدّموا»، ثم قال لي: «تعالي حتى أسابقك» فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت نسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدّموا»، ثم قال لي: «تعالي حتى أسابقك» فسابقته فسبقني، فجعل يضحك ويقول: «هذه بتلك». رواه الإمام أحمد[١].

وعن أنس: أن النبي ﷺ دخل على أم سُلَيم فرأى أبا عُمَير حزيناً فقال: «يا أم سليم ما بال عمير حزيناً؟» قالت: يا رسول الله مات نغيره. فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا عُمَير ما فعل النغير» أخرجاه في الصحيحين[٢].

ذِكْرُ كرمه وجوده ﷺ

عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المرسلة. أخرجاه في الصحيحين[٣].

وعن أنس: أن رسول الله ﷺ لم يكن يسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه. قال: فأتاه رجل فسأله! فأمر له بشاءٍ كثير بين جبلين من شاة الصدقة. قال: فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة. انفرد باخراجه مسلم[٤].

ذِكْرُ شجاعته ﷺ

عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجودَ الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قِبَلَ الصوت، فتلَقّاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عري في عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا؛ لم تراعوا» قال: «وجدناه بحراً أو إنه لبحر»، وكان فرساً يبطًأ. أخرجاه في الصحيحين[٥].

وعن أبي إسحاق قال: سألت البراء وسأله رجل فقال: فررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال البراء: ولكن رسول الله ﷺ لم يفرّ، كانت هوازن ناساً رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٩) و(٦/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٣) مختصراً، ومسلم (٢١٥٠)، والترمذي في الجامع (٣٣٣)، والشمائل (٢٣٧)، وأحمد (٣/ ١١٤ ـ ١١٥ و١١٩ و١٧١)، وأبو داود (٤٩٦٩) النُغَيْر: تصغير نُغَرَة، وهو طير صغير، وقيل: هو الصَّعْو. وقيل: فراخ العصافير. ا.هـ فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٢٠ و٢٨٦٦)، ومسلم (٢٣٠٧ و٢٣٠٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣١٢) وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٢٨٨).

(٥) أخرجه البخاري (٢٨٢٠ و٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

فأكببنا على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذٌ بلجامها وهو يقول:

«أنا النبيّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المطَّلِبِ»

أخرجاه في الصحيحين[(١)].

ذِكْرُ فضله على الأنبياء وعلو قدره عليه الصلاة والسلام

عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» أخرجاه في الصحيحين[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي» قال أبو هريرة رضي الله عنه: فلقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها. أخرجاه في الصحيحين[(٣)].

وعن أُبَيّ بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل فصلى، فقرأ قراءة أنكرتُها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءةِ أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه! فأمرهما رسول الله ﷺ فقرءآ، فحسَّن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية! فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً، فقال لي: «يا أُبَيّ أُرسِل إليّ: أن أقرأ القرآن على حرف. فرددت إليه: أن هوِّن على أمتي، فرد إلي الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه: أن هوِّن على أمتي، فرد إليّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها. فقلت: اللّهم اغفر لأمتي، اللّهم اغفر لأمتي، وأخَّرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ» انفرد بإخراجه مسلم[(٤)].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك». انفرد بإخراجه مسلم[(٥)].

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٠)، ومسلم (١٧٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥ و٤٣٨)، ومسلم (٥٢١).

(٣) أخرجه مسلم (٥٢٣) تنتثلونها: تستخرجون ما فيها. والضمير يعود إلى الأرض وخزائنها. ا.هـ النووي على مسلم (٥/٥).

(٤) أخرجه مسلم (٨٢٠)، وأبو داود (١٤٧٨) والنسائي (٥٣٨).

(٥) أخرجه مسلم (١٩٧).

مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر». رواه الترمذي[(١)].

قال ابن الأنباري: المعنى لا أتبجح بهذه الأوصاف، وإنما أقولها شكراً لربي ومنبهاً أمتي على إنعامه علي. وقال ابن عقيل: إنما نفى الفخر الذي هو الكبر الواقع في النفس المنهي عنه الذي قيل فيه: ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ٨١] ولم ينفِ فخر التجمل بما ذكره من النعم التي بمثلها يفتخر، ومثله قوله: ﴿لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧] يعني الأشِرين، ولم يُرِد الفرح بنعمة الله تعالى.

قال الخطابي: ما زلت أسأل عن معنى قوله «لواء الحمد بيدي» حتى وجدته في حديث يُروى عن عقبة بن عامر: «إن أول من يدخل الجنة الحمّادون الله على كل حال، يعقد لهم لواء فيدخلون الجنة»[(٢)].

وقد روى مسلم في أفراده من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «أنا أول الناس يشفع يوم القيامة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»[(٣)].

وفي أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقّ عنه القبر، وأول شافع ومشفع»[(٤)].

وعن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ. قال: فغضب وقال: «أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني». رواه الإمام أحمد[(٥)].

ذِكْرُ مثله ﷺ ومثل الأنبياء من قبله

عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون: ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك؟ فقال محمد ﷺ: فكنت أنا اللبنة». أخرجاه في الصحيحين[(٦)].

ذكر مثله ﷺ ومثل ما بعثه الله به

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاءَ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦١٠)، وقال: حسن غريب.
(٢) أخرجه بمعناه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٠).
(٣) أخرجه مسلم (١٩٦).
(٤) أخرجه مسلم (٢٢٧٨)، وأبو داود (٤٦٧٣).
(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧) والبيهقي في الشعب (١/ ٢٠٠) ـ والتَّهَوُّك: الشك.
(٦) أخرجه مسلم (٢٢٨٦)، والبخاري مختصراً (٣٥٣٤)، والترمذي (٢٨٦٢ و٢٨٦٤).

فانطلقوا على مهلتهم. وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتَّبع ما جئت به؛ ومثل من عصاني وكذب ماجئت به من الحق». أخرجاه في الصحيحين[١].

ذِكْرُ مشي الملائكة من ورائه ﷺ

عن جابر قال: كان أصحاب النبي ﷺ يمشون أمامه إذا خرج، ويدَعون ظهره للملائكة. رواه الامام أحمد[٢].

ذِكْرُ وجوب تقديم محبته ﷺ على النفس والولد والوالد

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين». أخرجاه في الصحيحين[٣].

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي! فقال: «لا؛ والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنه الآن ـ والله ـ لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر». رواه البخاري منفرداً[٤].

ذِكْرُ تعظيم الصحابة للنبي ﷺ وحبهم إياه

عن أنس قال: لقد رأيت النبي ﷺ والحلاق يحلقه وقد أطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل. انفرد بإخراجه مسلم[٥].

وعنه قال: لما كان يوم أُحُد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مجوّبٌ عليه بحجفة له، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزْع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، قال: وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل، فيقول: «انثرها لأبي طلحة» قال: ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تُشرف يُصِبْك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك. رواه البخاري[٦].

وفي الصحيحين من حديث أبي جُحَيفة قال: أتيت النبي ﷺ فخرج بلال بوضوئه، فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء، فمن أصاب منه شيئاً تمسَّح به، ومن لم يصب منه أخذ من بلل يد صاحبه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٢ و٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).
(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٢).
(٣) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، والنسائي (٥٠٢٩)، وابن ماجه (٦٧).
(٤) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).
(٥) أخرجه مسلم (٢٣٢٥) والبيهقي في الكبرى (٧/ ٦٨).
(٦) أخرجه البخاري (٤٠٦٤).

وخرج النبي ﷺ وقام الناس فجعلوا يأخذون يده ويمسحون بها وجوههم، فأخذت يده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب من ريح المسك(١).

وعن أنس قال: لما كان يوم أحد حاص الناس حَيْصة وقالوا: قُتِل محمد، حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة. قال: فخرَجت امرأةٌ من الأنصار فاستُقبلت بأخيها وأبيها وزوجها وابنها، لا أدري بأيِّهم استُقبِلَت أولاً، فلما مرَّت على آخرهم قالت: من هذا؟ قالوا: هذا أخوك وأبوك وزوجك وابنك. قالت: فما فعل النبي ﷺ؟ فيقولون: أمامك. حتى ذهبت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه، ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمتَ من عَطَبٍ(٢).

ذِكْرُ عبادة رسول الله ﷺ واجتهاده

عن علقمة قال: سألت عائشة أكان: رسول الله ﷺ يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمةً، وأيكم يطيق ما كان رسول ﷺ يطيق؟ أخرجاه في الصحيحين(٣).

وعن كُريب: أن ابن عباس أخبره أنه بات عند خالته ميمونة زوج النبي ﷺ، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشْر الأياتِ الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شَنّ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضُوءه، ثم قام يصلي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح. أخرجاه في الصحيحين(٤).

وعن عبد الله بن شَقيق، قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ من التطوع؟ فقالت: كان يصلي قبل الظهر أربعاً في بيتي، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي بهم العشاء، ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر، وكان يصلي ليلاً طويلاً قائماً، وليلاً طويلاً جالساً، فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦ و٥٧٨٦) ومسلم (٥٠٣/حدثني) وانظر المواهب اللدنية (٢/ ٢٨٠...) ففيه جمع لروايات الباب وشرحها.

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٩٩) و(٤/ ٥٠) وتاريخ الطبري (٢/ ٧٤)، والدلائل للبيهقي (٣/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٦٦ و١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٣).

(٤) انظر روايات الحديث في البخاري (١٨٣ و٩٩٢ و١١٩٨ و٤٥٧٠ و٤٥٧١، و٤٥٧٢)، ومسلم (٧٦٣).

وهو قاعد، وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين، ثم يخرج فيصلي بالناس صلاة الفجر. انفرد بإخراجه مسلم[(١)].

وقد اختلفت الرواية في عدد الركعات اللواتي كان رسول الله ﷺ يصليهن بالليل؟ فقال الترمذي: أقل ما روي عنه تسع ركعات، وأكثره ثلاث عشرة مع الوتر، وقد روي عنه إحدى عشرة ركعة.

قلت: وقد روى البخاري من حديث مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل؟ فقالت: سبع وتسع وإحدى عشرة، سوى ركعتي الفجر[(٢)]. وهذا غير ما قال الترمذي.

وعن حُميد، قال: سئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن صلاة رسول الله ﷺ من الليل؟ فقال: ما كنا نشاء من الليل أن نراه مصلياً إلا رأيناه، وما كنا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه، وكان يصوم من الشهر حتى نقول: لا يفطر شيئاً. أخرجاه في الصحيحين[(٣)].

وعن عبد الله قال: صلّيت مع النبي ﷺ ذات ليلة فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوءٍ! قلنا: ما هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه. أخرجاه في الصحيحين[(٤)].

وعن حذيفة قال: صلّيت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة. قال: ثُمّ مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مر بتعوّذ تعوّذ، ثم ركع فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم». فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده». ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: «سبحان ربي الأعلى»، فكان سجوده قريباً من قيامه. انفرد بإخراجه مسلم[(٥)].

وسورة النساء في هذا الحديث مقدمة على آل عمران، وكذلك هي في مصحف ابن مسعود.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطّر رجلاه. قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً؟» أخرجاه في الصحيحين[(٦)].

---

(١) مسلم (٧٣٠)، وأبو داود (١٢٥١)، والترمذي (٤٣٦).

(٢) انظر تخريج الحديث المتقدم قبل حديثين.

(٣) هو عن عائشة وابن عباس في البخاري (١٩٦٩)، و(١٩٧٠)، و(١٩٧١)، ومسلم (١١٥٦) و(١١٥٧).

(٤) أخرجه البخاري (١١٣٥) بنحوه، ومسلم (٧٧٣) وابن ماجه (١٤١٨).

(٥) أخرجه مسلم (٧٧٢)، وأبو داود (٨٧١) بنحوه، والترمذي (٢٦٢ ـ ٢٦٣)، وغيرهم.

(٦) أخرجه البخاري (١١٣٠) و(٤٨٣٦) و(٦٤٧١)، ومسلم (٢٨١٩) و(٢٨٢٠)، والترمذي (٤١٢) والنسائي (١٦٤٣)، وابن ماجه (١٤١٩).

ذِكْرُ عيشه وفقره

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قُوتاً». أخرجاه في الصحيحين[١].

وعن أبي حازم قال: رأيت أبا هريرة يشير بإصبعه مراراً: والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا. أخرجاه في الصحيحين[٢].

وعن عائشة قالت: كان ضجاع النبي ﷺ ينام عليه بالليل من أَدَمٍ محشوّاً ليفاً. أخرجاه في الصحيحين[٣].

وعن سماكٍ بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب، قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: رأيت رسول الله ﷺ ظل اليوم يلتوي ما يجد دَقَلا يملأ بطنه. انفرد بإخراجه مسلم[٤].

وعن قَتَادة قال: كنا نأتي أنساً وخبّازه قائم، قال: فقال يوماً: كلوا؛ فما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفاً مرّققاً ولا شاة سميطاً قط. انفرد بإخراجه البخاري[٥].

وعن أبي هريرة: أنه مرَّ بقوم وبين أيديهم شاة مصلية، فدعوه، فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير. رواه البخاري[٦].

وروي عن عائشة قالت: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البُرّ ثلاث ليال تباعاً حتى قُبض[٧].

وعن أبي حازم قال: سألت سهل بن سعد فقلت له: هل أكل رسول الله ﷺ النَقِيَّ؟ قال سهل: ما رأى رسول الله النَّقِيَّ من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. قال: فقلت: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار، فما بقي ثرّيناه فأكلناه[٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥) وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٢٥٤) والترمذي (٢٣٦١) وابن ماجه (٤١٣٩) وأحمد (٢/ ٤٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٧٠) عن عائشة. و(٢٩٧٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه والترمذي (٢٣٥٨)، وابن ماجه. انظر الروايات في زهد المصطفى ﷺ في السيرة للذهبي (٢/ ٣٩٤ وما بعدها.

(٣) أخرجه ومسلم (٢٠٨٢) وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٢٨٢) بمعناه. وانظر السيرة للذهبي (٣٩٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٧٨)، وأحمد (١/ ٥٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٥٧) وابن ماجه (٣٣٣٩) والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤٧) وأحمد (٣/ ١٢٨ و١٣٤).

(٦) أخرجه البخاري (٥٤١٤).

(٧) أخرجه البخاري (٦٤٥٤)، ومسلم (٢٩٧٠) والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤٧).

(٨) أخرجه الترمذي (٢٣٦٤) في الجامع، وقال: حسن صحيح. وفي الشمائل (١٤٧)، وابن ماجه (٣٣٣٥)، وأحمد (٥/ ٣٣٢).

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير. رواه الترمذي(١).

وعن جابر قال: لما حفر النبي ﷺ وأصحابه الخندق أصابهم جهد شديد؛ حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجراً من الجوع. رواه الإمام أحمد(٢).

وعن عروة: أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول: كان يمر بنا هلال وهلال ما توقَد في بيت من بيوت رسول الله ﷺ نار! قال: قلت: يا خالة فعلى أي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: على الأسودين: التّمرِ والماء. رواه الإمام أحمد(٣).

وعن ابن عباس قال: قبض النبي ﷺ وإن درعه لمرهونة عن رجل من يهود على ثلاثين صاعاً من شعير أخذها رزقاً لعياله. رواه الإمام أحمد(٤).

وعن عائشة، قالت: ما رَفع رسول الله ﷺ قطّ غداء لعشاء، ولا عشاء قطّ لغداء، ولا اتخذ من شيء زوجين؛ لا قميصين، ولا ردائين، ولا إزارين، ولا من النعال، ولا رئي قطّ فارغاً في بيته، إما يخصف نعلاً لرجل مسكين، أو يخيط ثوباً لأرملة(٥).

وعن أنس بن مالك: أن فاطمة عليها السلام جاءت بكسرة خبزٍ إلى النبي ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة يا فاطمة؟» قالت: قرص خبزتُه، فلم تَطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة. فقال: «أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام»(٦).

عدد غزواته وسراياه ﷺ

غزا رسول الله ﷺ سبعاً وعشرين غزاة، وقاتل منها في تسع: بدرٍ، وأحد، والمُرَيْسِيع والخندق وقريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف. وقيل: إنه قاتل في بني النضير، وفي غزاة وادي القرى مُنصَرفهُ من خيبر، وقاتل في الغابة.

ذكر فصاحته ﷺ

كان رسول الله ﷺ أفصح العرب، وكان يقول: «إن الله عز وجل أدّبني فأحسن أدبي، ونشأت في بني سعد»(٧). وقال: «بُعثت بجوامع الكلم»(٨).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٦٠) في جامعه، وفي الشمائل (١٤٦)، وابن ماجه (٣٣٤٧)، وأحمد (١/ ٢٥٥ و٣٧٤).
(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠١).
(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٧١).
(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٦).
(٥) انظر السيرة للذهبي (٢/ ٤٠٣ ـ ٤٢٢)، ففيه استقصاء لهذه الناحية من حياة رسول الله ﷺ.
(٦) أخرجه أحمد (٣/ ٢١٢).
(٧) ذكره في المواهب (٢/ ٢٣٨)، وقال: روى العسكري في الأمثال... ورواه السرقسطي في الدلائل بسندٍ واهٍ.
(٨) أخرجه مسلم (٥٢٣)، والترمذي (١٥٥٣)، والنسائي (٣٠٨٧)، وابن ماجه (٥٦٧).

وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: يا رسول الله ما بالك أفصَحُنا؟ قال: «لأن كلام إسماعيل عليه السلام كان دُرِس، فأتى جبريل به عليه السلام فعلَّمنيه»[١].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ. وسمعته يقول: «مات حتْفَ أنفه»[٢] وما سمعتها من عربي قبله. ومعنى هذا أن الميت على فراشه يتنفس حتى ينقضي رمقه.

من كلامه المتقن ﷺ وأمثاله العجيبة[٣]

قوله: «إيّاكم وخَضْرَاءَ الدِمَن»، قيل له: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «المرأة الحسناء في المنبت السُّوء».

وقوله: «إن مما يُنبت الربيع لَما يقتل حَبَطاً أو يُلِمُّ». والمعنى: أن الماشية يروقها نبت الربيع فتأكل فوق حاجتها فتهلك. والحبط: أن تَرِمَ بطونها وتنتفخ، فزجر بهذا الكلام عن فضول الدنيا.

وقوله: «لا يَنتطح فيها عنزان»، و«لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين».

وقوله: «هدنة على دَخَن، وصلح على أقذاء».

وقوله: «الآن حمي الوطيس».

وقوله: «الناس كأسنان المشط».

و«المرء كثير «بأخيه».

و«لا خير في صحبةِ مَن لا يرى لك من الحق مثلَ ما يرى لنفسه».

وقوله في الخيل: «بطُونها كنز وظهورها حِرْز».

و«خير المال مُهرة مأمورة أو سكة مأبورة».

وقوله للأنصار: «إنكم لَتقلّون عند الطمع وتكثرون عند الفزع».

وقوله: «خير المال عينٌ ساهرة لعين نائمة».

و«من بطَّأ به عملُه لم يُسرع به نَسَبُه».

وقوله «حبُّك للشيء يُعمي ويُصِمّ، وكلّ الصَّيد في جوْف الفرا».

«جُبلت القلوبُ على حبّ من أحسن إليها».

و«البلاء موكَّل بالمنطق».

«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة».

---

(١) نسبه في المواهب (٢/ ٢٣٨) لأبي نعيم وانظر فيض القدير للمناوي (١/ ٢٢٥) وكشف الخفاء للعجلوني (١/ ٧٢).

(٢) الحديث رواه أحمد (٤/ ٢٦)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٩١).

(٣) انظر هذه الأحاديث وأمثالها في المواهب اللدنية (٢/ ٢٤٠) وما بعدها.

«ما نَحَل[1] والدٌ ولداً أفضل من أدب حسن».

«زِرْ غبّاً تزدَد حباً».

«الصَّمت حكم، وقليلٌ فاعله».

«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

«إنما الأعمال بالنيات».

«نية المؤمن أبلغُ من عمله».

«إنكم لن تسَعَوا الناس بأموالكم، فسَعوهم بأخلاقهم».

«الخلق السيّيء يفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل».

«المتشبّع بما لم يُعطَ كلابس ثَوبيْ زور».

«ليس الخبرُ كالمعاينة».

«لا حليم إلا ذو أناة، ولا حكيم إلا ذو تجربة».

«الحرب خدعة».

«يا خيلَ الله اركبي».

«إن هذا الدّين مَتينٌ فأوْغلْ فيه برفق».

«إن المنبتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى».

«من يشادّ هذا الدّينَ يغلبه».

«المؤمن مرآة المؤمن».

«الكَيِّس من دان نفسه وعمل لِما بعد الموت، والعاجز من أتْبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني».

«ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى».

«من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يَعنيه».

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيقل خيراً أو ليصمت».

«تُنكح المرأة لِمالها ولجمالها ودِينها وحسبها، فعليك بذات الدين تَرِبت يداك».

«الشتاء ربيع المؤمن، قَصُر نهاره فصامه، وطال ليْلُه فقامه».

«ليس الشديدُ الذي يغلب الناس، ولكن الشديد الذي يغلب نفسه».

«من ضَمِن لي ما بين لِحْيَيْه ورجليه ضمنتُ له الجنة».

---

(١) أهدى وأعطى.

«اليد العليا خير من اليد السفلى».

«خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىً، وابدأ بمن تَعول».

«أفضل الصدقة جهدٌ من مُقِل».

«كلمة الحكمة ضالَّة كل حكيم».

«القناعة مال لا ينفد».

«أستغنوا عن الناس ولو بشوص السواك».

«الاقتصاد في النفقة نصفُ المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم».

«المؤمن من أَمِنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

«شرّ ما في الرجل شُحّ هالع وجبن خالع».

«أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تَخُن من خانك».

«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له».

«حسن العهد من الإيمان».

«جمال الرجل فصاحةُ لسانه».

«منهومان لا يشعبان: طالبُ علم وطالب دنيا».

«لا فقر أشدَّ من الجهل، ولا مال أعْوَد من العقل، ولا وحشة أشدّ من العجب».

«الذنب لا يُنسى، والبِرّ لا يبلى، والدّيان لا يموت، فكن كما شئت».

«كما تدين تُدان».

«الظلم ظلمات يوم القيامة».

«ما جُمع شيء إلى شيء أحسن من حِلْم إلى علم».

«التمسوا الرزق في خبايا الأرض».

«كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل، وعُدَّ نفسك من أهل القبور».

«العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، والتواضع لا يزيده إلا رفعة».

«ما نقص مالٌ من صدقة».

«صنائعُ المعروف تقي مصارعَ السوء».

«صلة الرحم تزيد في العمر».

«اللهم إني أسألك واقيةً كواقية الوليد».

«اللهم إني أعوذ بك من شرّ فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر».

«الدنيا عَرضٌ حاضر يأكل منه البَرُّ والفاجر، والآخرة وعدٌ صادق يحكم فيها ملك قادر، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كلّ أم يتبعها ولدها».

«أخسر الناس صفقةً من أذهب آخرته بدنيا غيره».

«المجالس بالأمانة».

«إياكم والطمع، فإنه فقر حاضر».

«استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسودٌ».

«إن من كنوز البرّ كتمانَ المصائب».

«الدّالّ على الخير كفاعله».

«نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحّةُ والفراغُ».

«الناس كإبلٍ مائةٍ لا تجد فيها راحلة».

«ليس شيء أفضل من ألفٍ مثلهِ إلا الإنسان».

«اليمين حِنْث أو ندم».

«لا تُظهر الشماتة لأخيك، فيعافيه الله ويبتليك».

«اليوم الرّهانُ، وغداً السبّاق، والغاية الجنة، والهالك من دخل النار».

قلت: ولو ذهبنا نذكر من كلام رسول الله ﷺ العجيبَ الوجيزَ البليغَ لطال، إذ كلُّ كلامه يتضمن حِكَماً، وكذلك لو ذهبنا نستقصي آدابه وأخلاقه وأحوالِه لجاءت مجلدات، وإنما اقتطفنا من كل فن قطفاً، وأشرنا إلى جملةٍ برمزٍ، لأن مثل كتابنا هذا لا يتّسع للبسط.

ذِكْرُ وفاته ﷺ

ابتدأ برسول الله ﷺ صداعٌ في بيت عائشة، قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بُدىء فيه، فقلت: وارأساه. فقال: «بل أنا وارأساه»، ثم اشتدَّ أمره في بيت ميمونة، واستأذن نساءه أن يمرَّض في بيت عائشة، فأذِنَّ له. وكانت مدة علته اثني عشر يوماً، وقيل: أربعة عشر.

عن عبيد الله بن عبد الله، قال: دخلتُ على عائشة فقلت لها: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت: بلى، ثَقُل النبي ﷺ فقال: «أصلّى الناس؟» قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله. قال: «ضعوا لي ماء في المِخضَب» ففعلنا، فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «أصلّى الناس؟» قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله. قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة. قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس. فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس. وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، فقال: يا عمر صلِّ بالناس. قال: فقال: أنت أحق بذلك. قالت: فصلّى بهم أبو بكر تلك الأيام.

ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خِفَّة فخرج بين رجلين، أحدهما العباس، لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ: أن لا يتأخر. وقال لهما: «أجلساني إلى جنبه». فأجلساه إلى جنب أبي بكر، وكان أبو بكر يصلي وهو قائم [بصلاة النبي ﷺ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد].

قال عبيد الله: فدخلتُ على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرِض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله ﷺ؟ فقال: هات. فعرضْت حديثها فما أنكر منه شيئاً، غير أنه قال: أَسمَّت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا. قال: هو علي. أخرجاه في الصحيحين(١).

قال ابن حبيب الهاشمي: صلى أبو بكر بالناس في مرض رسول الله ﷺ سبع عشرة صلاة، ويقال: ثلاثة أيام.

وعن أنس بن مالك الأنصاري: أن أبا بكر كان يصلي بهم في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً، فبهتنا ونحن في الصلاة من فرحِ بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ خارجٌ للصلاة، فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده: أن أتموا صلاتكم. قال: ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى الستر. قال: فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك. أخرجاه في الصحيحين(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يعوذ بهؤلاء الكلمات: «أذهب الْبَاسَ ربَّ الناس، اشفِ وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً». قالت: فلما ثقل رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه أخذت بيده فجعلت أمسح بها وأقولها. قالت: فنزع يده مني وقال: «رب اغفر لي، وألحقني بالرفيق الأعلى». قالت: فكان هذا آخر ما سمعت من كلامه ﷺ. أخرجاه في الصحيحين(٣).

وعنها قالت: مات رسول الله ﷺ في بيتي ويومي، وبين سَحري ونحري، فدخل عبد الرحمن ابن أبي بكر ومعه سواك رطْب فنظر إليه فظننت أن له فيه حاجة. قالت: فأخذته فمضغته ونفضته وطيّبته، ثم دفعته إليه فاستنَّ كأحسن ما رأيته مسْتناً قطُّ، ثم ذهب يرفعه إلي فسقط في يده، فجعلت أدعو الله عز وجل بدعاء كان يدعو له به جبريل عليه السلام، وكان هو يدعو به إذا مرض، فلم يدْعُ به في مرضه ذاك، فرفع بصره إلى السماء، وقال: «الرفيقَ الأعلى، الرفيقَ الأعلى» يعني: وفاضت نفسه، فالحمد لله الذي جمع بين ريقي وريقه في آخر يوم من أيام الدنيا. رواه الإمام أحمد(٤).

وعنها رضي الله عنها، كانت تقول: «إن من نِعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي، وبين سَحْري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته؛ دخل علي عبد الرحمن وبيده

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧)، ومسلم (٤١٨)، والنسائي (٨٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤١٩)، والبخاري بلفظ قريب (٦٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٤٣) و(٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).

(٤) أخرجه أحمد (٦/٤٨).

سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، فعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: أن نعم، فناولته فاشتدَّ عليه، فقلت: أُلَيِّنُهُ لك؟ فأشار برأسه: أن نعم. فليَّنته فأمرَّه - وبين يديه ركوة أو علبة - يشك أبو عمرو - فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيسمح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لَسكراتٍ» ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده». انفرد بإخراجه البخاري(١). والسَّحْر: الرئة وما يتعلق بها.

عن أبي بُردة قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبَّداً وإزاراً غليظاً، فقالت: قُبض رسول الله ﷺ في هذين. أخرجاه في الصحيحين(٢) - .

وعنها رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء. انفرد بإخراجه مسلم(٣).

عن أبي هريرة: أن جبريل أتى النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه فقال: إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول: كيف تجدك؟ قال: «أجدني وجعاً يا أمين الله». ثم جاءه من الغد فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول: كيف تجدك؟ قال: «أجدني يا أمين الله وجعاً». ثم جاءه في اليوم الثالث ومعه ملك الموت فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السَّلام ويقول: كيف تجدك؟ قال: «أجدني يا أمين الله وجعاً، مَن هذا معك؟». قال: هذا ملَك الموت عليه السلام، وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك، وآخر عهدك بها، ولن آسى على هالك من ولد آدم بعدك، ولن أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك أبداً. فوجد النبي ﷺ سكْرة الموت، وعنده قدح فيه ماء، فكلما وجد سكْرة أخذ من ذلك الماء، فمسح به وجهه ويقول: «اللهمَّ أعنّي على سكرة الموت»(٤).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قُبض رسول الله ﷺ يوم الإثنين، فمكث ذلك اليومَ وليلة الثلاثاء، ودفن من الليل(٥).

ذِكْرُ إعلام أبي بكر الناسَ بموت رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها: إن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشّىً بثوب حبرة فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موْتتين، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد مُتَّها(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٠٨ و٥٨١٨)، ومسلم (٢٠٨٠)، وأبو داود (٤٠٣٦)، والترمذي (١٧٣٣)، وابن ماجه (٣٥٥١).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٣٥)، وأبو داود (٢٨٦٣) والنسائي (٣٦٢٣ - ٣٦٢٤)، وابن ماجه (٢٦٩٥).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٧٠ و١٥١).

(٥) انظر السيرة للذهبي (٢/ ٢٧١ - ٢٧٤)، ففيه تحقيق دقيق لهذه المسألة.

(٦) أخرجه البخاري (٤٤٥٢)، وأحمد (٦/ ٢١٩)، وابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٦١ - ٢٦٨) السُّنح: محلٌ من محال المدينة، أو ناحية من نواحيها ا.هـ انظر معجم البلدان لياقوت (٣/ ٢٦٥).

قال ابن شهاب: وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس: أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر. فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى قوله ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها، فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقِرت حتى ما تقلّني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها: أن النبي ﷺ قد مات. انفرد بإخراجه البخاري(١).

ندب فاطمة عليها السلام عليه ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكَرْبُ، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرَبْ أباه؟! فقال لها: «ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم» فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب رباً دعاه، يا أبتاه مَنْ جنةُ الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟!. انفرد بإخراجه البخاري(٢).

ذِكْرُ مبلغ سنه ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين، وأقام بمكة ثلاث عشر سنة، وبالمدينة عشراً، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين. أخرجاه في الصحيحين(٣).

وقد ذكرنا في حديث ربيعة عن أنس: أنه توفي على رأس ستين، قال أبو بكر الخطيب: من قال ستين قصد أعشار السنين، ومن قال: ثلاث وستين قصد جميع السنين، والإنسان يقول سنّي أربعون، ولعله قد زاد عليها، إلا أن الزيادة لم تبلغ عشراً، وقد روى عمار مولى بني هاشم عن ابن عباس: أن النبي ﷺ توفي وهو ابن خمس وستين، وهذا وهمٌ، والصحيح الأول(٤).

ذِكْرُ غُسل رسول الله ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أَجْمَعَ القوم لغسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلا أهله: عمه العباس، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وصالح مولاه، فلما أجمعوا على غسله نادى من وراء الباب أوس بن خولي الأنصاري ـ وكان بدرياً ـ علي ابن أبي طالب فقال: يا علي نشدتك الله حظَّنا من رسول الله ﷺ؟ فقال له علي عليه السلام:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٥٤).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٢).
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٦٤) ومسلم (٢٣٥١).
(٤) انظر السيرة للذهبي (٢/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

ادخل. فدخل فحضر غسل رسول الله ﷺ ولم يلِ من غسله شيئاً. قال: فأسنده علي إلى صدره وعليه قميصه، وكان العباس والفضل وقثم يقلّبونه مع علي، وكان أسامة وصالح يصبّان الماء، وجعل علي يغسله، ولم يُرَ من رسول الله ﷺ شيءٌ مما يُرى من الميت، وهو يقول: بأبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً.

حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله ﷺ وكان يغسل بالماء والسدر جففوه، ثم صنع به ما يصنع بالميت، ثم أُدرج في ثلاثة أثواب: ثوبين أبيضين وبرد حبرة.

قال: ثم دعا العباس رجلين فقال: ليذهب أحدكما إلى أبي عبيدة بن الجراح ـ وكان أبو عبيدة يضرّح لأهل مكة ـ وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري ـ وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة ـ قال: ثم قال العباس حين سرحهما: اللّهم خر لرسولك. قال: فذهبا، فلم يجد صاحب أبي عبيدة، أبا عبيدة، ووجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فلحد لرسول الله ﷺ. رواه الإمام أحمد[١].

وروى جعفر بن محمد قال: كان الماء يستنقع في جفون النبي ﷺ فكان علي يحسوه.

ذِكْرُ موضع قبره ﷺ

عن ابن جريج قال: أخبرني أبي: أن أصحاب محمد ﷺ لم يدروا أين يُقبر النبي ﷺ؟ حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله يقول: «لم يقبر نبي إلا حيث يموت». فأخّروا فراشه وحفروا له تحت فراشه[٢].

ذِكْرُ الصلاة عليه ﷺ

لما غسل وكفن ﷺ صلى الناس عليه أفذاذاً لا يؤمّهم أحد.

فأما فضل الصلاة عليه باللسان: [فـ] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً». انفرد بإخراجه مسلم[٣].

وعن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطّ عنه عشر خطيئات» رواه الإمام أحمد[٤].

وعن عبد الله بن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أولى الناس بيَ يوم القيامة أكثرهم علي صلاةً». رواه الترمذي[٥].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٠)، وانظر السيرة للذهبي (٢/ ٤٧٧) وما بعدها، والطبقات لابن سعد (٢/ ٢٩٦).

(٢) انظر السيرة للذهبي (٢/ ٤٨١).

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٨)، وأبو داود (١٥٣٠)، والترمذي (٤٨٥)، والنسائي (١٢٩٥).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦١).

(٥) أخرجه الترمذي (٤٨٤).

ذِكْرُ بلوغ سلام أمته إليه
وردّ السلام على من يسلم عليه ﷺ

عن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عز وجل في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام»(١). رواه الإمام أحمد.

وروي أيضاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام»(٢).

آخر المتعلق بأخبار نبينا محمد ﷺ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٤١).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤١).

ذكر المشهورين بالعلم والزهد والتعبّد
من أصحاب رسول الله ﷺ
وذكر جُمَل من أحوالهم وكلامهم رضي الله عنهم

بدأت بذكر العشرة، ثم ذكرت مَنْ بعدهم على ترتيب طبقاتهم.

٢ ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه

ذكر اسمه ونسبه:

اسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.

واسم أمه: أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، ماتت مسلمةً.

وفي تسميته بعتيق ثلاثة أقوال: أحدهما ما روي عن عائشة أنها سئلت: لِمَ سُمي أبو بكر عتيقاً؟ فقالت: نظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «هذا عتيق الله من النار»(١).

والثاني: أنه اسم سمّته به أمه، قاله موسى بن طلحة.

والثالث: أنه سُمِّي به لجمال وجهه. قاله الليث بن سعد.

وقال ابن قتيبة: لقّبه النبي ﷺ بذلك لجمال وجهه فسماه النبي ﷺ صِدّيقاً، وقال: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة، أبو بكر الصديق لا يلبث إلا قليلاً»(٢).

وكان علي بن أبي طالب يحلف بالله: أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء: «الصدّيق»(٣).

ذكر صفته:

كان أبو بكر رضي الله عنه نحيفاً، خفيف العارضين، معروق الوجه، ناتيء الجبهة، أجنى لا

---

٢ ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه: سير أعلام النبلاء ـ الخلفاء الراشدون للذهبي (٧ ـ ٦٧)، الكامل لابن الأثير (١/ ٤٧٩)، الإصابة لابن حجر (رقم ٩٦٣٦)، أسد الغابة لابن الأثير (٥٧٣٧)، الاستيعاب لابن عبد البر (٢٩٠٦)، فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم لأبي نعيم (٣٤ و١٣٥ ـ ١٤١)، والعبر للذهبي (١/ ١٣)، والطبقات لاين سعد (٢/ ١٧٠)، وتهذيب الكمال (١٥/ ٢٨٢).

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٧٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٥٤ و٩٠)، وأوله عند أحمد (٥/ ٩٢)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤٣ ـ ٦٦٦١) عن جابر بن سمرة.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٥٥).

يستمسك إزاره ـ يسترخي عن حقويه ـ عاري الأشاجع، يخضب بالحناء والكتم. عن أنس قال: كان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم.

وعن قيس بن أبي حازم قال: دخلت مع أبي على أبي بكر وكان رجلاً نحيفاً خفيف اللحم، أبيض.

ذكر تقدم إسلامه:

قال حسان بن ثابت وابن عباس وأسماء بنت أبي بكر وإبراهيم النَّخعي: أول من أسلم أبو بكر.

وقال يوسف بن يعقوب الماجشون: أدركت أبي ومشيختنا محمد بن المنكدر، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وسعد بن إبراهيم، وعثمان بن محمد الأخنسي، وهم لا يشكّون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر.

وعن ابن عباس قال: أول من صلّى: أبو بكر رحمه الله، ثم تمثل بأبيات حسان:

إذا تذكَّرتَ شجْواً من أخي ثقةٍ — فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خيرَ البرية أتقاها وأعدلها — إلا النبيَّ وأوفاها بما حملا
الثانيَ التالي المحمودَ مشهدُه — وأول الناس حقاً صدّق الرُّسلا

رواه عبد الله بن الإمام أحمد[1].

وعن إبراهيم قال: «أول من صلّى: أبو بكر».

ذكر أولاده:

وكان له من الولد: عبد الله، وأسماء ذات النطاقين وأمهما قتيلة، وعبد الرحمن، وعائشة: أمهما أم رومان، ومحمد وأمه أسماء بنت عُميس، وأم كلثوم وأمها حبيبة بنت خارجة بن زيد، وكان أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على «خارجة» فتزوج ابنته.

فأما عبد الله: فإنه شهد الطائف.

وأما أسماء: فتزوجها الزبير فولدت له عدةً، ثم طلقها، فكانت مع ابنها عبد الله إلى أن قتل وعاشت مائة سنة.

وأما عبد الرحمن: فشهد يوم بدر مع المشركين، ثم أسلم.

وأما محمد: فكان من نسّاك قريش، إلا أنه أعان على عثمان يوم الدار، ثم ولاه علي بن أبي طالب مصر، فقتله هناك صاحب معاوية.

وأما أم كلثوم: فتزوجها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٣).

سياق أفعاله الجميلة:

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: جاء الصريخ إلى أبي بكر، فقيل له: أدرك صاحبك. فخرج من عندنا وإنَّ له غدائر، فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٣٨] قال: فلَهوا عن رسول الله وأقبلوا إلى أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

وعن أنس قال: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني أدخل قبلك؛ فإن كان حية أو شيء كانت لي قبلك. قال: «ادخل». فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيده كلما رأى جحراً قال بثوبه فشقه، ثم ألقمه الجُحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع.

قال: فبقي جحر فوضع عَقِبه عليه، ثم أدخل رسولَ الله، فلما أصبح قال له النبي ﷺ: «فأين ثوبك يا أبا بكر؟» فأخبره بالذي صنع، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة»(١). فأوحى الله عز وجل إليه: أن الله تعالى قد استجاب لك.

وعن الزهري قال: قال رسول الله ﷺ لحسان: «هل قلت في أبي بكر شيئاً؟» فقال: نعم، فقال: «قل؛ وأنا أسمع». فقال:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدوُّ به إذ صعَد الجبلا
وكان حِبَّ رسول الله، قد علموا ... من البرية لم يعدِل به رجلا

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «صدقت يا حسان، هو كما قلت»(٢).

وقال المدائني: وكان رِدْفَ رسول الله ﷺ.

وعن عمر بن الخطاب قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتُه يوماً. قال: فجئت بنصف مالي. قال: فقال لي رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقلتُ: لا أسابقك إلى شيء أبداً(٣).

وعن قيس قال: اشترى أبو بكر رضي الله عنه بلالاً وهو مدفون في الحجارة، بخمس أواقٍ ذهباً، فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناك. قال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته.

سياق جمل من فضائله ومناقبه رضي الله عنه:

ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير: أن أبا بكر شهد مع رسول الله ﷺ بدراً وجميع المشاهد، ولم يفُتْه منها مشهد، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحدٍ حين انهزم الناس، ودفع إليه رسول الله ﷺ رايته

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٧٥).

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٧٤) والكامل لابن عدي (٢/ ١٦٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٧٥) وأبو داود (١٦٧٨) والدارمي (١/ ٤٨٠) والبيهقي في الكبرى (٤/ ١٨٠).

العظمى يوم تبوك، وأنه كان يملك يوم أسلم أربعين ألف درهم؛ فكان يعتق منها ويقوي المسلمين، وهو أول من جمع القرآن، وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية والإسلام، وهو أول من قاء تحرُّجاً من الشبهات.

وذكر محمد بن إسحاق: أنه أسلم على يده من العشرة خمسةٌ: عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم.

عن أبي سعيد قال: خطب رسول الله ﷺ الناس فقال: «إن الله عز وجل خيّرَ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عنده» . فبكى أبو بكر رحمة الله عليه فعجبنا من بكائه أن أخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به. فقال رسول الله ﷺ : «إن أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي عز وجل لاتَّخذتُ أبا بكر، لكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقى في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر» . أخرجاه في الصحيحين[(١)] .

عن أبي الدرداء قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ : «أما صاحبكم فقد غامر» ، فسلم وقال: يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيءٌ فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك. فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثاً. ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أَثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبي ﷺ يتمعَّر حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلَمَ ـ مرتين ـ. فقال النبي ﷺ : «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟» مرتين، فما أوذي بعدها. انفرد بإخراجه البخاري[(٢)] .

وعن أبي قتادة قال: خرجنا مع النبي ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع، وأقبل عليَّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقت عمر فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله عز وجل. ثم رجعوا وجلس النبي ﷺ فقال: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سَلَبه» فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. فقال النبي ﷺ مثله. قال: ثم قال النبي ﷺ مثله. قال: فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. قال: ثم قال النبي ﷺ مثله فقمت، فقال رجل: صدق؛ وسلَبه عندي، فأرْضِه مني. فقال أبو بكر: لاها الله إذاً لا يعمد إلى أَسَدٍ من أُسُد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ فيعطيك سلبه. فقال النبي ﷺ : «صدق فأعطه» فأعطانيه فابتعت به مخرفاً في بني سلمة، فإنه لأول مال تأثّلته في الإسلام. رواه البخاري[(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦ و٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)، والترمذي (٣٦٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦١) والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٠٨) والبيهقي في الاعتقاد (٤٣٢) وكلهم جاء فيه: «تاركو. . .» وأخرجه ابن أبي عاصم «تاركون». وهو الأولى لغة.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٢١).

هكذا روي لنا في هذا الحديث أن أبا بكر قال: لاها الله إذاً. وقد ذكر أبو حاتم السجستاني فيما تلحن فيه العامة أنهم يقولون: لاها الله إذاً، والصواب: لاها الله ذا، والمعنى: لا والله لا أقسم به، فأدخل اسم الله بين (ها) و(ذا) فعلى هذا يكون هذا من الرواة، لأنهم كانوا يَرْوُون بالمعنى دون اللفظ.

وهذا الحديث يتضمن فتوى أبي بكر بحضرة النبي ﷺ وهي من المناقب التي انفرد بها.

وعن سهل بن سعد قال: كان قتال في بني عمرو بن عوف فبلغ النبيَّ ﷺ فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم، وقال: «يا بلال إن حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس». فلما أن حضرت الصلاة أقام بلال العصر، ثم أمر أبا بكر فتقدم بهم وجاء رسول الله ﷺ بعد ما دخل أبو بكر في الصلاة، فلما رأوه صفّحوا، وجاء رسول الله ﷺ يشق الناس حتى قام خلف أبي بكر. قال: وكان أبو بكر إذا دخل في الصلاة لم يلتفت، فلما رأى التصفيح لا يمسك عنه التفت فرأى النبي ﷺ خلفه، فأومأ إليه رسول الله ﷺ بيده: «أن امضِهْ» فقام أبو بكر على هيئته، فحمد الله على ذلك، ثم مشى القهقرى. قال: فمضى رسول الله ﷺ فصلى بالناس، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «يا أبا بكر ما منعك إذ أومأت إليك أن لا تكون مضيت؟» فقال أبو بكر: لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤمّ رسول الله ﷺ. فقال للناس: «إذا نابكم شيء في صلاتكم فليسبح الرجل، ولتصفح النساء» أخرجاه في الصحيحين[(١)].

وعن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة. فقال: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس». قالت: فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقم مقامك لا يُسمع الناس، فلو أمرت عمر؟ فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». قالت: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنكن لأنتن صواحب يوسف! مروا أبا بكر فليصل بالناس». قالت: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس. وقالت: فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة، فقام يهادي بين رجلين، ورجلاه تخطان في الأرض، فلما دخل المسجد، سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ: قم مكانك. فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر قالت: فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً، يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ، ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر. أخرجاه في الصحيحين[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر». فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟ رواه أحمد[(٣)].

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٠)، ومسلم (٤٢١) وأحمد (٥/ ٣٣٢) والطبراني في الكبير (٦/ ١٨٢).

(٢) انظر: تخريج الحديث في: البخاري (٦٨٧ و٤٤٤٥)، ومسلم (٤١٨ و٤٢٠)، والنسائي (١٨٣٠) والترمذي (٣٦٧٢) والدارمي (١/ ٥٢)، وابن ماجه (١٢٣٣)، وغيرهم.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣٧٣ برقم ٦٨٥٧)، وأحمد (٢/ ٢٥٣)، وابن ماجه (٩٤).

قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت!. قال ﷺ: «إن لم تجديني فائتي أبا بكر» رواه البخاري(١).

وعن ابن عمر قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خلَّها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريل فقال: يا محمد ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره؟ فقال: «يا جبريل أنفق ماله عليَّ قبل الفتح» قال: فإن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: قل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟» فقال أبو بكر عليه السلام: أسخط على ربي؟ أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ(٢).

وعن أبي رجاء العطاردي قال: دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين، ورأيت رجلا يقبِّل رأس رجل، ويقول: أنا فداء لك، لولا أنت هلكنا! فقلت: من المقبِّل ومن المقبَّل؟ قالوا: ذاك عمر يقبل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين.

وعن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ فقال: ما أبوك إلا رجل من المسلمين. انفرد بإخراجه البخاري(٣).

وعن أبي سريحة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول على المنبر: ألا إن أبا بكر منيب القلب.

وعن أبي عمران الجوني قال: قال أبو بكر الصديق: لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. رواه أحمد(٤).

وعن الحسن قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا ليتني شجرة تعضد، ثم تؤكل.

وعن زيد بن أرقم قال: كان لأبي بكر الصديق مملوك يغل عليه، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني كل ليلة، ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية، فرقيت لهم فوعدوني، فلما أن كان اليوم مررت بهم، فإذا عرس لهم فأعطوني. فقال: أف لك كدت تهلكني! فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج. فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء. فدعا بعس من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها. فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠٥) وابن حزم في المحلى (٩/ ١٤٠) وذكره الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجميع والتفريق (٢/ ٤٤١)

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧١) وأبو داود (٤٦٢٩). (٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٤).

(٥) رواه الطبراني في الكبير (١٩/ ١٢٥) والبيهقي في الشعب مختصراً (٥/ ٥٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١) وانظر الجامع الصغير (٢/ ٦٢٩٦).

وقد أخرج البخاري في أفراده من حديث عائشة طرفاً من هذا الحديث.

وعن هشام عن محمد قال: كان أغيرَ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر.

وعن محمد بن سيرين قال: لم يكن أحد أهيب لما يعلم بعد النبي ﷺ من أبي بكر.

وعن قيس قال: رأيت أبا بكر آخذاً بطرف لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وعن ابن مليكة قال: كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق. قال: فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه. قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟ قال: إن حِبّي ﷺ أمرني أن لا أسال الناس شيئاً. رواه الإمام أحمد[١].

ذكر خلافة أبي بكر رضي الله عنه

ذكر الواقدي عن أشياخه: أن أبا بكر بويع يوم قبض رسول الله ﷺ يوم الإثنين لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجَر رسول الله.

وعن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ أن علياً والزبير تخلفوا في بيت فاطمة، وتخلف عنا الأنصار بأجمعهم في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار. فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذي صنع القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، واقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا هم مجتمعون، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمَّل، فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة. فقلت: ما له؟ قالوا: وَجِعٌ. فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله، وقال: أما بعد فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفَّت دافَّة منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتحضنونا من الأمر؟[٢].

فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زوَّرتُ[٣] مقالة أعجبتني أريد أن أقولها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحدّ، وهو كان أحلم مني وأوقر. فقال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أُغضبه، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته وأفضل حتى سكت. قال: أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم أهله، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: أيهما شئتم.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١١) وذكره الهيثمي في جمع الزوائد (٣/ ٩٢).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ١٥١ ـ ١٥٢): دفّت دافّة: عدد قليل، وأصله من الدف وهو السير البطيء في جماعة.

يختزلونا: يقتطعونا عن الأمر وينفردوا به دوننا.

خذلته عن الأمر: عوقته عنه. ـ أصلنا: المراد به هنا: ما يستحقونه من الأمر.

تحضنونا: احتضنه عن الأمر وحضنه: أخرجه عنه ا. هـ.

(٣) هيَّأتُ وأعددتُ.

وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح فلم أكره مما قال غيرها، وكان والله أن أُقَدَّم فتضرب عنقي - لا يقرّبني ذلك إلى إثم - أحبّ إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، إلا أن تغير نفسي عند الموت.

فقال قائل من الأنصار: أنا جديلها المحكك، وعذيقها المرجب[١]، منا أمير ومنكم أمير: فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار. رواه الإمام أحمد[٢].

وعن إبراهيم التيمي قال: لما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح فقال: ابسط يدك فلأبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ. فقال أبو عبيدة بن الجراح لعمر: ما رأيت لك فَهَّةً[٣] مثلها منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين؟!.

وعن الحسن قال: قال علي عليه السلام: لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر.

وعن عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتَّجر بها، فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق. قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟! قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معهما: ففرضوا له كل يوم شطر شاة، وماكسُوه[٤] في الرأس والبطن.

وعن حميد بن هلال قال: لما ولي أبو بكر الخلافة قال أصحاب رسول الله ﷺ: افرضوا لخليفة رسول الله ﷺ ما يغنيه. فقالوا: نعم، برداه إذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما، وظهره إذا سافر، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف. فقال أبو بكر رضي الله عنه: رضيت.

وعن عمير بن إسحاق قال: خرج أبو بكر وعلى عاتقه عباءة له، فقال له رجل: أرني أَكْفِك. فقال: إليك عني لا تغرني أنت وابن الخطاب عن عيالي.

قال علماء السِّيَرِ: وكان أبو بكر يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا. فسمعها فقال: بلى لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خُلق كنت فيه. فكان يحلب لهم، وإنه لما ولي استعمل عمر على الحج، ثم حج أبو بكر من قابل، ثم اعتمر في رجب سنة اثنتي عشرة فدخل مكة ضحوة، فأتى منزله وأبو قحافة جالس على باب

---

(١) جُذَيْلها: الجُذَيل تصغير جذل، وهو عودٌ يُنصب للإبل الجرباء لتحتك فيه.
- المحكك: أراد: أنه يستشفى برأيه.
- العذيق: تصغير عِذْق، وهو النخلة.
- المرجب: أي: يدعم النخلةَ إذا كثر حملُها. ا.هـ فتح الباري (٧/ ٣١)

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٥٥) والبزار في مسنده (١/ ٣٠١).

(٣) الفَهَّةُ والفهاهةُ والفَهْفَهةُ: العِيُّ.

(٤) ماكَسُوه: المَكْس: النقص، وتماكَسا: تشاحّا، وماكَسَه في البيع: شاححه. وفي قول عمر: لا بأس بالمماكسة في البيع. وهو انتقاص الثمن وانحطاطه ا.هـ. القاموس (م - ك - س).

داره معه فتيان يحدثهم، فقيل له: هذا ابنك فنهض قائماً وعجل أبو بكر أن ينيخ راحلته فنزل عنها وهي قائمة فجعل يقول: يا أبة لا تقم. ثم التزمه وقبّل بين عيني أبي قحافة وجعل أبو قحافة يبكي فرحاً بقدومه، وجاء والي مكة عتاب بن أسيد وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام فسلموا عليه فقالوا: السلام عليك يا خليفة رسول الله. وصافحوه جميعاً، فجعل أبو بكر يبكي حين يذكرون رسول الله ﷺ، ثم سلموا على أبي قحافة، فقال أبو قحافة: يا عتيقُ؛ هؤلاء الملأُ فأحسِنْ صحبتهم. فقال أبو بكر: يا أبة لا حول ولا قوة إلا بالله طُوِّقتُ عظيماً من الأمر لا قوة لي به ولا يدان إلا بالله.

وقال: هل من أحد يتشكى ظلامة؟ فما أتاه أحد، فأثنى الناس على واليهم.

سياق طرف من خطبه ومواعظه وكلامه رضي الله عنه

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما ولي أبو بكر خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخيركم، ولكن قد نزل القرآن، وسنَّ النبي ﷺ السنن فعلَّمنا، اعلموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحمق الحمق الفجور، أن أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق، أيها الناس إنما أنا متَّبع ولست بمبتدع ،فان أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوّموني.

وعن الحسن قال: لما بويع أبو بكر قام خطيباً فلا والله ما خطب خطبته أحد بعد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني وُلّيت هذا الأمر وأنا له كاره، والله لوددت أن بعضكم كفانيه، ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم مثل عمل رسول الله ﷺ لم أقم به، كان رسول الله ﷺ عبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به، ألا وإنما أنا بشر، ولست بخير من أحد منكم فراعوني، فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني، وإذا رأيتموني زغت فقوموني، واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني، لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم.

وعن يحيى: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول في خطبته: أين الوِضاءُ الحسنةُ وجوهُهم المعجبون بشأنهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور، الوَحاءَ الوَحاءَ! النَّجاءَ، النجاءَ![1].

وعن عبد الله بن عكيم قال: خطبنا أبو بكر فقال: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] اعلموا عبادَ الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ولا يُطفأ نوره، فصدقوا قوله

---

(١) الوَحى: العجلة والإسراع، ويُمَدّ: «الوَحاء».

وانتصحوا كتابه، واستضيئوا منه ليوم القيامة، وإنما خلقكم لعبادته، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلموا عبادَ الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيِّبَ عنكم علمُه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحا الوحا النجاء!! النجاء!! إن وراءكم طالباً حثيثاً؛ مَرُّه سريع.

ذكر مرض أبي بكر ووفاته رضي الله عنه

عن عبد الله بن عمر قال: كان سببَ موت أبي بكر وفاةُ رسول الله ﷺ؛ كمد، فما زال جسمه يَحْرَى حتى مات[1].

وعن ابن هشام: أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان حريرة أهديت لأبي بكر. فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يا خليفة رسول الله، والله إن فيها لسمَّ سنة، وأنا وأنت نموت في يوم واحد. فرفع يديه، فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة.

وقيل: كان بدء مرضه أنه اغتسل في يوم بارد فحُمَّ خمسة عشر يوماً.

وعن أبي السفر قال: مرض أبو بكر فعاده الناس، فقالوا: ألا ندعوا الطبيب؟ قال: قد رآني.

قالوا: فأيَّ شيءٍ قال لك؟ قال: إني فعَّال لما أريد.

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال: لما حضر أبا بكر الصديق الموتُ دعا عمر فقال له: اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضته، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، حق لميزان يوضع فيه الحقُّ غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحُقَّ لميزانٍ يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذَكَرَهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأخاف أن لا ألحق بهم. وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء؛ ليكون العبد راغباً راهباً، لا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائبٌ أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك، وإن أنت ضيعّت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت، ولست تعجزه.

وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي. فنظرنا فإذا عبدٌ نوبي كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح كان يسقي بستاناً له، فبعثنا بهما إلى عمر. قالت: فأخبرني جدي أن عمر بكى وقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٣ ـ ٦٤) وجاء فيه: «. . يجري»!! تقول: حَرَ الماء: أسخنه، وهو ارتفاع حرارة الجسم هنا.

وعنها قالت: لما حضر أبا بكر الوفاةُ جلس فتشهد، ثم قال: أما بعد يا بنية، فان أحب الناس غنىً إلي بعدي أنتِ، وإن أعز الناس علي فقراً بعدي أنت، وإني كنت نحلتُك جداد عشرين وسقاً من مالي[(١)]، فوددت والله أنك حزته، وإنما هو أخواك وأختاك. قالت: قلت: هذان أخواي فمن أختاي؟ قال: ذو بطن ابنة خارجة، فإني أظنها جارية. وفي رواية: قد أُلقيَ في روعي أنها جارية. فولدت أم كلثوم[(٢)].

وعنها قالت: لما ثقل أبو بكر قال: أي يوم هذا؟ قلنا: يوم الإثنين. قال: فإني أرجو ما بيني وبين الليل. قالت: وكان عليه ثوب عليه ردع من مُشق، فقال: إذا أنا مت فاغسلوا ثوبي هذا وضموا إليه ثوبين جديدين، وكفنوني في ثلاثة أثواب. فقلنا: أفلا نجعلها جدداً كلها؟ قال: لا إنما هو للمهلة. فمات ليلة الثلاثاء. أخرجه البخاري[(٣)].

قال أهل السير: توفي أبو بكر ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء، لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين، وأوصى أن تغسله أسماء زوجته، فغسلته، وأن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ، وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر، ونزل في حفرته ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة بن عبيد الله.

رحمه الله ورضي عنه، وحشرنا في زمرته، وأماتنا على سنته ومحبته.

٣ ـ أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي.

وأمه: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أسلم سنة ست من النبوة وقيل: سنة خمس.

ذكر سبب إسلامه

عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «اللّهم أعزَّ الإسلام بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام»[(٤)]. فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) جداد ـ بتثليث الجيم ـ اسم من الجد بمعنى القطع، وهو المستأصل. والمراد هنا: أنه أعطاها عشرين وسقاً (٦/ ٢٤٤) ا. هـ حاشية السندي على النسائي.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٦/ ١٦٩)

(٣) أخرجه البخاري (١٣٨٧) ردع من شق: زعفران.

٣ ـ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: الاستيعاب (٣٨٣٠)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٣٨)، خلاصة تهذيب الكمال (٢/ ٢٦٨)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٠٢) و(٣/ ٤١٨)، طبقات ابن سعد (٩/ ١٤١)، الإصابة (٥٧٥٢)، أُسد الغابة (١٨٩٩)، سير أعلام النبلاء ـ الخلفاء الراشدون (٦٩ ـ ١٤٥)، فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم لأبي نعيم (٣٤ و٩٢ و١٠١ و١٦٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٨١).

وعن شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أُسلِم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن؟! قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش. قال: فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤١] قال: قلت: كاهن. قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٢ ـ ٤٥] فوقع الإسلام في قلبي.

وعن أنس بن مالك قال: خرج عمر متقلداً السيف فوجده رجل من بني زهرة فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً. قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبأت وتركت دينك الذي أنت عليه! قال: أفلا أدلك على العجب! يا عمر إن أختك وختنك قد صَبَوَا وتركا دينك الذي أنت عليه! فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب، فلما سمع خباب حِسَّ عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ قال: وكانوا يقرأون «طه». فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما؟ فقال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئاً شديداً، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها، فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها، فقالت وهي غضبى: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فلما يئس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه ـ وكان عمر يقرأ الكتب ـ فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ. فقام فتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ: «طه» حتى انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤] فقال عمر: دلوني على محمد. فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال: أَبشرْ يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: «اللّهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام» قال: ورسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا، فانطلق عمر حتى أتى الدار. قال: وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من أصحاب رسول الله ﷺ فلما رأى حمزة وَجَلَ الناس من عمر قال حمزة: نعم هذا عمر، فإن يرد الله بعمر خيراً يسلم ويتبع النبي ﷺ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً. قال: والنبي ﷺ داخل يوحى إليه، قال: فقام رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال: «ما أنت منتهياً يا عمر حتى ينزل الله ـ يعني ـ بك من الخزي والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة! اللّهم هذا عمر بن الخطاب، اللّهم أعز الدين بعمر بن الخطاب». فقال عمر: أشهد أنك رسول الله. فأسلم، وقال: اخرج يا رسول الله.

وعن ابن عباس قال: سألت عمر بن الخطاب: لأي شيء سميت الفاروق؟ قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، ثم شرح الله صدري للإسلام، فقلت[1]: الله لا إله إلا هو، له الأسماء الحسنى، فما في الأرض نسمة أحب إلي من نسمة رسول الله ﷺ، فقلت: أين رسول الله؟ فقالت أختي: هو في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا. فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوس في الدار، ورسول الله ﷺ

---

(١) كذا هي في الأصول، ولعلها: «فقرأت...».

في البيت، فضربت الباب، فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر بن الخطاب. قال: فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه، ثم هزه هزة فما تمالك أن وقع على ركبته فقال: «ما أنت بمنتهٍ يا عمر؟» قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: فكبَّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. قال: فقلت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم» فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن. فأخرجناه في صفَّين، حمزة في أحدهما وأنا في الآخر له كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد. قال: فنظرتُ إلي قريش والى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسمّاني رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق.

قال أهل السير: أسلم عمر وهو ابن ست وعشرين سنة بعد أربعين رجلاً، وقال سعيد بن المسيب: بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة.

وقال عبد الله بن ثعلبة بن صعير: بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة.

وعن داود بن الحصين والزهري قالا: لما أسلم عمر نزل جبريل عليه السلام فقال: «يا محمد استبشر أهلُ السماء بإسلام عمر».

وقال ابن مسعود: ما زلنا أعزة مند أسلم عمر.

وقال صهيب: لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا وانتصفنا ممن غلظ علينا.

ذكر صفة عمر رضي الله عنه

كان أبيض، أمهق، تعلوه حمرة، طوالاً، أصلع، أجلح، شديد حمرة العين، في عارضه خفة. وقال وهب: صفته في التوراة: قرن من حديد، أمير شديد.

ذكر أولاده

كان له من الولد عبد الله، وعبد الرحمن، وحفصة، أمهم زينب بنت مظعون، وزيد الأكبر ورقية أمهما أم كلثوم بنت علي، وزيد الأصغر وعبيد الله أمهما أم كلثوم بنت جرول، وعاصم أمه جميلة، وعبد الرحمن الأوسط أمه لهية ـ أم ولد ـ وعبد الرحمن الأصغر أمه أم ولد، وفاطمة أمها أم حكيم بنت الحارث، وعياض أمه عاتكة بنت زيد، وزينب أمها فكيهة أم ولد.

ذكر نزول القرآن بموافقته

عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقت ربي عز وجل في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥] وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البَرُّ والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟ فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغَيرة، فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن! فنزلت كذلك. حديث متفق عليه[١].

(١) أخرجه البخاري (٤٠٢ و٤٤٨٣ و٤٧٩٠ و٤٩١٦)، ومسلم (٢٣٩٩) مختصراً.

ذكر جملة من مناقبه وفضائله

قال أهل العلم: لما أسلم عمر عزّ الإسلام، وهاجر جهراً، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها، وهو أول خليفة دعي بأمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ للمسلمين، وأول من جمع القرآن في المصحف، وأول من جمع الناس على صلاة التراويح، وأول من عسَّ في عمله، وحمل الدرة وأدّب بها، وفتح الفتوح، ووضع الخراج، ومصّر الأمصار، واستقصى القضاة، ودوّن الديوان، وفرض الأعطية، وحج بأزواج رسول الله في آخر حجة حجّها.

عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «قد كان في الأمم مُحَدَّثون، فإن يكن في أمتي فعمر». حديث متفق عليه[١].

وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال لعمر: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً قط إلا سلك فجّاً غير فجّك». أخرجاه في الصحيحين[٢].

وعن ابن عمر قال: استأذن عمرُ الرسولَ ﷺ في العمرة؟ فقال: «يا أخي أشرِكْنا في صالح دعائك، ولا تنسنا»[٣].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة»[٤].

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «أشد أمتي في أمر الله عمر»[٥].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت الناس مجتمعين في صعيد، فقام أبو بكر فنزع ذَنوباً أو ذَنوبين، وفي بعض نَزْعِهِ ضعفٌ، والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت في يده غَرْباً، فلم أرَ عبقرياً يفري فَرْيَهُ، حتى ضرب الناس بعطن» حديث متفق على صحته[٦].

وعنه قال: كان النبي ﷺ يحدث فقال: «بينما أنا نائم أُتيتُ بقدح فشربت منه حتى إني أرى الري يخرج من أطرافي، ثم أعطيت فضلي عمر» فقالوا: فما أوّلتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم». وهذا متفق على صحته[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩٨). ورواه الترمذي (٣٦٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤ و٦٠٨٥)، ومسلم (٢٣٩٦)، وهو حديث طويل.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٩)، وتمامه: «فقال عمر: ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس: أُخَيّ».

(٤) أخرجه أبو نعيم في فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم (٧٠ برقم ٥٦ ـ ٥٧)، وهو في الكامل لابن عدي (٤/ ١٥٠٧).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٧٩١).

(٦) أخرجه البخاري (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣)، بمعناه. ذَنُوباً: الدلو المملوءة. الغَرْب: الدلو العظيمة. النَّزْع: الاستقاء. استمالت: صارت وتحولت من الصغر إلى الكبر. العَبْقَرِيّ: السيد، أو الذي ليس فوقه شيء. ضرب الناس بِعَطَنٍ: أرووا إبلَهم ثم آووْها إلى عطنها، وهو الموضع الذي تُساق إليه بعد السَّقْي لتستريح ا.هـ. النووي على مسلم (١٥/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

(٧) أخرجه البخاري (٨٢ و٣٦٨١) ومسلم (٢٣٩١) والترمذي (٢٢٨٤).

ذكر خلافته

قال حمزة بن عمرو: توفي أبو بكر مساء ليلة الثلاثاء، لثمان بقين من جمادى الآخرة، من سنة ثلاث عشرة، فاستقبل عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة موت أبي بكر.

عن جامع بن شداد عن أبيه قال: كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال: اللّهم إني شديد فليِّنّي، وإني ضعيف فقوِّني، وإني بخيل فسخِّني.

ذكر اهتمامه برعيته

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر رضي الله عنه إلى السوق، فلحقت عمرَ امرأةٌ شابة فقالت: يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغاراً، والله ما ينضجون كراعاً، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع رسول الله ﷺ. فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحباً بنسب قريب. ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً في الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً، وجعل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها خطامه، ثم قال: اقتاديه؛ فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها؟ قال عمر: ثكلتك أمك والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سُهْمَانَهُما فيه. انفرد بإخراجه البخاري[1].

وعن الأوزاعي: أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة. فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني، ويُخرِج عني الأذى. قال طلحة: ثكلَتْكَ أمُّك طلحةُ أعثراتِ عمر تتبع؟.

وعن ابن عمر قال: قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن: هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيك. ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه، فأتى أمه فقال لها: ويحك إني لأراك أمَّ سوءٍ ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة؟ قالت: يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة، إني أريغه عن الفطام فيأبى. قال: و لِمَ؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطم؟ قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً. قال: ويحك لا تعجيله. فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلم قال: يا بؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين؟ ثم أمر منادياً فنادى: أن لا تعجلوا صبيانكم على الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الآفاق: أن يفرض لكل مولود في الإسلام.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان عمر يصوم الدهر، وكان زمان الرمادة إذا أمسى أتي بخبز قد ثرد في الزيت، إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً فأطعمها الناس، وغرفوا له طيبها فأتي به فإذا

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٦٠ و٤١٦١).

قدر من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم. قال: بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت أطيبها وأطعمت الناس كراديسها! ارفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام. فأتي بخبز وزيت فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز، ثم قال: ويحك يا يرفأ ارفع هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت بثَمْغٍ، فإني لم آتِهم منذ ثلاثة أيام، وأحسبهم مقفرين فضعها بين أيديهم.

ذكر زهده رضي الله عنه

عن الحسن قال: خطب عمر الناس وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة.

وعن أنس قال: كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع.

وعن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لعمر: يا أمير المؤمنين [لو] اكتسيتَ ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير؟ فقال: إني سأخاصمك إلى نفسك: أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش؟ وكذلك أبو بكر؟ فما زال يذكّرها حتى أبكاها، فقال لها: أما والله لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد، لعلّي أدرك عيشهما الرخي. رواه أحمد[(١)].

ذكر تواضعه رضي الله عنه

عن عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد ذُبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صُبّ ماء بدم الفرخين فأصاب عمرَ، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثياباً غير ثيابه، ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال: والله إنه للموضعُ الذي وضعه رسول الله ﷺ! فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ. ففعل ذلك العباس. رواه أحمد[(٢)].

ذكر خوفه من الله عز وجل وبكائه رضي الله عنه

عن عبد الله بن عمر قال: كان عمر بن الخطاب يقول: لو مات جَدْيٌ بطَفّ الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر.

وعن عبد الله بن عامر قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لم أكن شيئاً، ليتني كنت نسياً منسياً.

وعن عبد الله بن عيسى قال: كان في وجه عمر خطّان أسودان من البكاء.

ذكر تعبده رحمة الله عليه

عن ابن عمر قال: ما مات عمر حتى سردَ الصوم.

عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يحب الصلاة في جوف الليل، يعني في وسط الليل.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٧/ ٣٦٧) وأبو نعيم في الحلية (٤٨٨) ولم أجده في المسند.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢١٠).

ذكر نبذة من كلامه ومواعظه رضي الله عنه

عن ثابت بن الحجاج، قال: قال عمر حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً: أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، تزينوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

وعن الأحنف قال: قال لي عمر بن الخطاب: يا أحنف، من كثر ضحكه قلَّت هيبته، ومن مزح استُخِفَّ به، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه.

وعن وديعة الأنصاري قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول ـ وهو يعظ رجلاً ـ: لا تكلَّم فيما لا يعنيك، واعرف عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تمشِ مع الفاجر فيعلمك من فجوره، ولا تطلعه على سرك، ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل.

ذكر وفاته رضي الله عنه

عن عمرو بن ميمون، قال: إني لقائم ما بيني وبين عمر إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مرَّ بين الصفّين قال: استووا. حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبّر، وربما قرأ سورة «يوسف» أو «النحل» أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبّر فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الْكَلْبُ ـ حين طعنه ـ فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمرّ على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه بُرنساً، فلما ظنَّ العلج أنه مأخوذ نحر نفسه.

وتناول عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر؛ وهم يقولون: سبحان الله! سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلني؟ فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة.. قال: الصَّنَعُ؟ قال: نعم. قال: قاتله الله لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدّعي الإسلام! قد كنتَ أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة ـ وكان العباس أكثرهم رقيقاً ـ فقال: إن شئت فعلت ـ أي إن شئت قتلناهم ـ؟ قال: كذبت؛ بعدما تكلموا بلسانكم، وصلُّوا إلى قبلتكم، وحجُّوا حجكم؟!.

فاحتُمل إلى بيته فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس. وقائل يقول: أخاف عليه. فأُتيَ بنبيذ[1] فشربه فخرج من جوفه، ثم أتي بلَبَنٍ فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أَبْشِرْ يا أمير المؤمنين ببشرى الله، لك من صحبة رسول الله ﷺ وقِدَم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة؟! قال: وددت أن ذلك كفاف لا عليّ ولا لي.

---

(١) شراب من نقيع الثمار، وليس هو الخمر المعروفة بهذا الاسم.

فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض [فـ] قال: ردوا علي الغلام. قال: ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدَّين. فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه. قال: إن وفى له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تفِ أموالهم فسل في قريش ولا تَعْدُهُم إلى غيرهم فأدِّ عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه؟ فمضى فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه؟ فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنه به اليوم على نفسي.

فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني. فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين؛ أَذِنَتْ. قال: الحمد لله، ما كان منه شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم وقلْ: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين.

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فلما قبض خرجنا به فانطلقنا به فسلم عبد الله بن عمر وقال: يستأذن عمر؟ قالت: أدخلوه. فأُدخل فوضع هنالك مع صاحبيه. انفرد بإخراجه البخاري[(١)].

وعن عثمان بن عفان قال: أنا آخركم عهداً بعمر؛ دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله فقال له: ضع خدي بالأرض. قال: فهل فخذي والأرض إلا سواء؟ قال: ضع خدي بالأرض ـ لا أمَّ لك ـ في الثانية أو الثالثة، وسمعته يقول: ويلي وويل أمي إن لم تغفر لي. حتى فاظت نفسه.

قال سعد بن أبي وقاص: طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم، قال معاوية: كان عمر ابن ثلاث وستين.

وعن الشعبي: أن أبا بكر قبض وهو ابن ثلاث وستين، وأن عمر قبض وهو ابن ثلاث وستين.

وعن سالم بن عبد الله: أن عمر قبض وهو ابن خمس وستين، وقال ابن عباس: كان عمر ابن ست وستين، وقال قتادة: ابن إحدى وستين، وصلى عليه صهيب.

وقال سليمان بن يسار: ناحت الجن على عمر رضي الله عنه:

عليكَ سلامٌ من أمير وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الأديم الممزَّق

قضيتَ أموراً، ثم غادرتَ بعدها ... بوائق في أكمامها لم تفتق

فمن يسعَ أو يركب جناحَي نعامة ... ليدرك ما قدمت الأمس يسبق

أبعدَ قتيل بالمدينة أظلمت ... له الأرض تهتز العِضاه بأسوُق

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما غسل عمر وكفن وحمل على سريره وقف عليه علي ـ عليه السلام ـ فقال: والله ما على الأرض رجل أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجَّى بالثوب.

وعن عبد الله بن عبيد الله بن العباس قال: كان العباس خليلاً لعمر، فلما أصيب عمر جعل يدعو الله أن يريه عمر في المنام. قال: فرآه بعد حول وهو يمسح العرق عن وجهه قال: ما فعلت؟ قال: هذا أوان فرغت، إن كاد عرشي لَيُهدّ لولا أني لقيت رؤوفاً رحيماً.

قال الشيخ رضي الله عنه: أخبار عمر رضي الله عنه من أولى ما استُكثِر منه، وإنما اقتصرت ها هنا على ما ذكرت منها؛ لأني قد وضعت لمناقبه وأخباره كتاباً كبيراً يجمعها، فمن أراد استيعاب أخباره فلينظر في ذلك. والسلام.

٤ ـ أبو عبد الله عثمان بن عفان رضي الله عنه

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أسلمت.

وكان عثمان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما وَلَدَتْ له في الإسلام رقيةُ غلاماً سماه عبد الله، واكتنى به.

أسلم عثمان قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، ولما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر خلّفه على ابنته رقية يمرّضها، وضرب له بسهمه وأجره، فكان كمن شهدها.

وزوّجه رسول الله ﷺ أم كلثوم بعد رقية، وقال: «لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان»(١)، وسمي ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله ﷺ، وبايع عنه رسول الله ﷺ بيده في بيعة الرضوان.

ذكر صفته رضي الله عنه

كان رَبْعة أبيض، وقيل: أسمر رقيق البشرة، حسن الوجه، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، عظيم اللحية يصفرها.

عن الحسن قال: نظرت إلى عثمان فإذا رجل حسن الوجه، وإذا بوجنته نكات جدري، وإذا شعره قد كسا ذراعه.

---

٤ ـ عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٥٤٦٤)، أُسد الغابة (٣٥٨٩)، الاستيعاب (١٧٩٧)، تهذيب التهذيب (٧/١٣٩)، تذكرة الحفاظ (١/٨)، الكامل لابن الأثير (١/٤٦ و٢/٥٩)، المنتظم لابن الجوزي (١/١٣٧)، طبقات ابن سعد (٣/٥٣)، سير أعلام النبلاء ـ سيرة الخلفاء الراشدين ـ (١٤٧ ـ ٢٢٢)، وتهذيب الكمال (١٩/٤٤٥)، فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم لأبي نعيم (١٠١ و١٦٤).

(١) أخرجه ابن ماجه (١١٠)، وانظر سيرة الخلفاء للذهبي (١٥١).

ذكر أولاده

وكان له من الولد: عبد الرحمن بن رقية ـ عبد الله الأصغر ـ أمه فاختة بنت غزوان، وعمرو، وخالد، وإبان، وعمر، ومريم: أمهم أم عمرو بنت جندب من الأزد. والوليد، وسعيد، وأم سعيد: أمهم فاطمة بنت الوليد. وعبد الملك: أمه أم البنين بنت عيينة بن حصن. وعائشة، وأم إبان، وأم عمرو، أمهن: رملة بنت شيبة بن ربيعة. ومريم أمها نائلة بنت الفرافصة، وأم البنين أمها أم ولد.

ذكر جملة من فضائله رضي الله عنه

عن عائشة أم المؤمنين: أن رسول الله ﷺ كان جالساً كاشفاً عن فخذه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله، ثم أستأذن عمر وهو على حاله، ثم أستأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه، فلما قاموا قلت: يا رسول الله أستأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك، فلما أستأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك؟ فقال: «يا عائشة ألا أستحيي من رجل والله إن الملائكة لتستحيي منه». انفرد بإخراجه مسلم(١).

وعن عثمان ـ هو ابن موهب ـ قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القوم؟ قال: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه: هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: هل تعلم أنه تغيَّب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله اكبر.

قال ابن عمر: تعال أبين لك: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه». وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال: رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان».

فقال: له ابن عمر: اذهبْ بها الآن معك. رواه البخاري(٢).

وعن أبي سعيد الخدري قال: رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان: «اللّهم عثمانُ رضيت عنه فارضَ عنه»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠١) بألفاظ متقاربة، وهو عند أحمد (٦/ ٦٢) وابن حبان في صحيحه (٥/ ٣٣٦) والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٨).

(٣) أخرجه ابن عساكر في ترجمة عثمان ـ رضي الله عنه ـ كما في سيرة الخلفاء للذهبي (١٥٢) وذكره القرطبي في تفسيره ٣١/ ٣٠٦.

ذكر تنبيه الرسول ﷺ عثمان على ما سيجري عليه

عن عائشة قالت: كنت عند النبي ﷺ فقال: «يا عائشة لو كان عندنا من يحدثنا؟» قالت: قلت: يا رسول الله ألا أبعث إلى أبي بكر؟ فسكت، ثم قال: «لو كان عندنا من يحدثنا؟» فقلت: ألا أبعث إلى عمر؟ فسكت، قالت: ثم دعا وصيفاً بين يديه فسارَّه فذهب.

قالت: فإذا عثمان يستأذن فأذن له، فدخل فناجاه النبي ﷺ طويلاً، ثم قال: «يا عثمان إن الله عز وجل مُقَمِّصُك قميصاً، فإذا أرادك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم، ولا كرامة». يقولها له مرتين أو ثلاثا. رواه أحمد(١).

وعن أبي موسى: أنه كان مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل يستفتح. فقال النبي ﷺ: «افتح له، وبشِّره بالجنة» ففتحت، فإذا أبو بكر فبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر فقال: «افتح له، وبشّره بالجنة» فإذا عمر ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر وكان متكئاً فجلس فقال: «افتح له، وبشّره بالجنة على بلوى تصيبه أو تكون» فإذا عثمان، ففتحت له وبشرته بالجنة فأخبرته بالذي قال، فقال: الله المستعان(٢).

وعن سهل بن سعد قال: ارتجَّ أُحُدٌ وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان، فقال النبي ﷺ: «اسكنْ أُحُدٌ فما عليك إلا نبي وصِدِّيق وشهيدان». رواه أحمد(٣).

ذكر أفعاله الجميلة وطاعاته

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركضه بقدمه، ثم قال: «اسكن حراءُ ليس [عليك] إلا نبي أو صديق أو شهيد» وأنا معه؟. فانتشد له رجال.

قال: وأُنشد بالله: من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين من أهل مكة قال: «هذه يدي وهذه يد عثمان» فبايع؟ فانتشد له رجال.

قال: أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ قال: «من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد ببيت له في الجنة؟» فابتعته من مالي فوّسعْت به المسجد؟ فانتشد له رجال.

قال: وأنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال: «من ينفق اليوم نفقة متقبَّلة؟» فجهزت نصف الجيش من مالي؟ قال: فانتشد له رجال.

قال: وأنشد بالله من شهد «رومة» يباع ماؤها ابنَ السبيل، فابتعتها من مالي، فأبحتها ابن السبيل؟ فانتشد له رجال. رواه الإمام أحمد(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٧٥) والطبراني في الكبير (٥/ ١٩٢.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٣١) وفي فضائل الصحابة (٥٠٢)، والبخاري (٣٦٩٩).

(٤) أخرجه أحمد (٥٩)، وما بين معقوفتين في المطبوع «عليه».

وعن عبد الرحمن بن خبّاب السلمي قال: خطب النبي ﷺ فحثّ على جيش العسرة، فقال: عثمان: عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها. ثم حث، فقال: عثمان: علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: ثم نزل مرقاة من المنبر، ثم حثّ. فقال: عثمان: علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. فرأيت النبي ﷺ يقول بيده يحركها: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا» . رواه عبد الله بن الإمام أحمد[١] .

وعن الزبير بن عبد الله عن جَدَّةٍ له يقال لها رهيمة قالت: كان عثمان يصوم الدهر، ويقوم الليل إلا هجعةً من أوله. رواه الإمام أحمد[٢] .

وعن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين قتل عثمان: قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن؟. وعنه قال: قالت امرأة عثمان بن عفان حين أطافوا يريدون قتله: وإن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن.

وعن يونس: أن الحسن سئل عن القائلين في المسجد؟ فقال: رأيت عثمان بن عفان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة، ويقوم وأثر الحصى بجنبه. قال: فنقول هذا أمير المؤمنين هذا أمير المؤمنين. رواه أحمد[٣] .

وعنه قال: رأيت عثمان نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه، فيجيء الرجل فيجلس إليه، ثم يجيء الرجل فيجلس إليه كأنه أحدهم.

وعن سليمان بن موسى: أن عثمان بن عفان دعي إلى قوم كانوا على أمر قبيح، فخرج إليهم فوجدهم قد تفرقوا، ورأى أمراً قبيحاً، فحمد الله إذ لم يصادفهم، وأعتق رقبة. وعن شرحبيل بن مسلم: أن عثمان كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت.

عن الحسن ـ وذكر عثمان بن عفان وشدة حيائه ـ فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه[٤] .

وعن الزبير بن عبد الله قال: حدثتني جدتي: أن عثمان بن عفان كان لا يوقظ أحداً من أهله من الليل إلا أن يجده يقظاناً فيدعوه فيناوله وضوءه، وكان يصوم الدهر.

ذكر خلافته

بويع يوم الإثنين لليلة بقيت من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين، واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين، وعاش في الخلافة اثنتي عشرة سنة. قال أبو معشر: إلا اثنتي عشرة ليلة.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٧٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٧٣ و٣٢٨) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥٦).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٤٤٦) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦٠) القائلين: جمع «قائل» وهو النائم بُعَيْد الظهر نومَ القيلولة.

(٤) أي: لا يتعرّى عند اغتساله حياءً من الله تعالى.

ذكر مقتله رضي الله عنه

حصر في منزله أياماً، ثم دخلوا عليه فقتلوه يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة، ويقال: لثماني عشرة خلت من سنة خمس وثلاثين.

واختلف في قاتله؟ فقيل: الأسود التجيبي من أهل مصر، وقيل: جبلة بن الأيهم، وقيل: سودان بن رومان المرادي، ويقال: ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائماً يومئذ.

ودفن ليلة السبت بالبقيع وسنّه تسعون، وقيل: خمس وتسعون، وقيل: ثمان وثمانون، وقيل: اثنتان وثمانون.

وعن عبد الله بن فروخ قال: شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه بدمائه. وقيل: صلى عليه الزبير، وقيل: حكيم بن حزام، وقيل: جبير بن مطعم.

وعن الحسن قال: لقد رأيت الذين قتلوا عثمان تحاصبوا في المسجد حتى ما أبصر أديم السماء، وإن إنساناً رفع مصحفاً من حجرات النبي ﷺ، ثم نادى: ألم تعلموا أن محمداً ﷺ قد برىء ممن فرق دينه وكانوا شيَعاً؟

ذكر ثناء الناس عليه رضي الله عنه وأرضاه

قد صح عن أبي بكر الصديق أنه أملى على عثمان وصيته عند موته، فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أغمي عليه، فكتب عثمان: «عمر» فلما آفاق قال: من كتبتَ؟ قال: عمر. فقال: لو كتبت نفسك لكنت لها أهلاً.

وقد صح عن عمر أنه جعله في أهل الشورى، وشهد له أن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راضٍ.

وعن مطرف قال: لقيت علياً عليه السلام، فقال لي: يا أبا عبد الله ما بطّأ بك عنا؟ أَحُبُّ عثمان؟ أما لئن قلت ذاك لقد كان أوصلَنا للرحم وأتقانا للرب تعالى.

عن ابن عمر قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم. انفرد بإخراجه البخاري(١).

وعن عبد الله قال: حين استخلف عثمان استخلفنا خير من بقي ولم نأله.

وعن ابن عمر ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] قال: هو عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، وحشرنا في زمرته، وأماتنا على سنته ومحبته.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

٥ ـ أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

واسم أبي طالب: عبد مناف بن عبد المطلب، وأمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أسلمت وهاجرت، ويكنى أبا الحسن، وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال: تسع، ويقال: عشر، ويقال: خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها، ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله ﷺ خلّفه في أهله، وكان غزير العلم.

ذكر صفته رضي الله عنه

كان آدم، شديد الأدمة، ثقيل العينين عظيمهما، أقرب إلى القصر من الطول، ذا بطن، كثير الشعر، عظيم اللحية، أصلع، أبيض الرأس واللحية، لم يصفه أحد بالخضاب إلا سوادة بن حنظلة فإنه قال: رأيت علياً أصفر اللحية(١)، ويشبه أن يكون قد خضب مرة، ثم ترك.

ذكر أولاده رضي الله عنه

كان له من الولد أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة أنثى: الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى: أمهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ. ومحمد الأكبر ـ وهو ابن الحنيفة ـ وأمه: خولة بنت جعفر. وعبيد الله، قتله المختار، وأبو بكر قُتل مع الحسين، أمهما ليلى بنت مسعود. والعباس الأكبر، وعثمان، وجعفر، وعبد الله قتلوا مع الحسين: أمهم أم البنين بنت حزام بن خالد. ومحمد الأصغر قُتل مع الحسين: أمه أم ولد. ويحيى وعون: أمهما أسماء بنت عميس. عمر الأكبر ورقية، أمهما: صهباء ـ سبية ـ ومحمد الأوسط أمه: أمامة بنت أبي العاص، وأم الحسن ورملة الكبرى أمهما: أم سعيد بنت عروة. وأم هانئ، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم جعفر، وجُمانة ونفيسة، وأم سلمة: وهن لأمهاتٍ شتى، وابنة أخرى لم يُذكر اسمها ماتت صغيرة.

فهؤلاء الذين عرفنا من أولاد علي عليه السلام(٢).

ذكر ارتقائه منكب رسول الله ﷺ

عن أبي مريم عن علي، قال: انطلقت أنا والنبي عليه السلام حتى أتينا الكعبة، فقال: لي رسول

---

٥ ـ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٥٧٠٤)، الاستيعاب (١٨٧٥)، أُسْد الغابة (٣٧٨٩)، تاريخ بغداد (١/ ١٣٣)، البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣ ـ ٣٢٤)، تذهيب تهذيب الكمال (٢/ ٢٥٠)، تاريخ الإسلام (٣/ ٨)، تهذيب الكمال (٢/ ٩٧١)، سير أعلام النبلاء ـ قسم سيرة الخلفاء الراشدين ـ (٢٢٣ ـ ٢٩٠)، فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم لأبي نعيم (١٠١ و١٦٨) طبقات ابن سعد (٤/ ١٢٦)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٤).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ١٨٥) وابن سعد في الكبري (٣/ ٢٦).

(٢) وهناك «محسن» انظر ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤١٠) والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٦٦) و(٧/ ٦٣) والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٥٢) وانظر ترجمة علي رضي الله عنه في أسد الغابة لابن الأثير بتحقيقنا ـ طبع دار الكتاب ـ بيروت ـ فقد حاولنا جمع واستقصاء من ذكره. ا.هـ

الله ﷺ: «اجلس» وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفاً فنزل وجلس لي نبي الله ﷺ وقال لي: «اصعد على منكبي». قال: فنهض بي، فإنه ليخيل إلي أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاسٍ، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى استَمْكَنتُ منه. فقال: لي رسول الله ﷺ: «اقذف به» فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس. رواه أحمد[(١)].

ذكر محبة الله عز وجل له ومحبة رسول الله ﷺ

عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطيَن هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله عليه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله». قال: فبات الناس يذكرون أيهم يُعْطاها. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجوا أن يعطاها. فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: يا رسول الله يشتكي عينه، قال: «فأَرْسِلوا إليه». فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفُذْ على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النَّعم» رواه الأمام أحمد، وأخرجاه في الصحيحين عن قتيبة[(٢)].

ذكر إخاء النبي ﷺ علياً عليه السلام

عن سعد بن أبي وقاص قال: خلَّف رسول الله ﷺ علي أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلّفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي». أخرجاه في الصحيحين[(٣)].

ذكر جُمَل من مناقبه رضي الله عنه

عن زرّ بنِ حُبَيْش قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ إليّ: «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق». انفرد بإخراجه مسلم[(٤)].

وعن زاذان قال: سمعت علياً بالرُّحْبَة يقول وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله ﷺ في يوم «غدير خُمّ» وهو يقول ما قال؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه». رواه الإمام أحمد[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٨٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٦)، وهو عند البخاري (٢٩٤٢ و٣٧٠١)، وأحمد (٥/ ٣٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٤) أخرجه مسلم (٧٨)، والترمذي (٣٧٣٦)، والنسائي (٥٠٣٧)، وابن ماجه (١١٤).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٨٤ و١١٨ و١١٩ و١٥٢ و٣٣٠) وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣٧٦).

وعن هبيرة قال: خطبنا الحسن بن علي فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلْم، ولم يدركه الآخرون، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية: جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتى يُفتح له. رواه أحمد[١].

وعن سعيد بن المسيّب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلةٍ ليس لها أبو حسن.

ذكر زهده رضي الله عنه

عن علي بن ربيعة عن علي بن أبي طالب قال: جاءه ابن التياح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء؟ فقال: الله أكبر. ثم قام متوكئاً على ابن التياح حتى قام على بيت المال، فقال:

هذا جَناي وخياره فيه ... وكل جانٍ يدُه إلى فِيه

يا ابن التياح عليَّ بأشياخ الكوفة. قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول: يا صفراء يا بيضاء غرّي غيري، ها، وها!! حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين. رواه أحمد[٢].

وعن أبي صالح قال: قال: معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة: صف لي علياً؟ فقال: أوَ تعفيني؟ قال: بل صفه. قال: أو تعفيني؟ قال: لا أعفيك. قال: أما إذاً فإنه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وينطق بالحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبةً ولا نبتديه [لعظمةٍ]، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا! يا دنيا! أَبِيَ تعرضت؟ أم لي تشوّفت؟ هيهات هيهات! غرّي غيري، قد بَتَتُّكِ ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير!! آه من قلّةِ الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق؟!

قال: فذرفت دموع معاوية رضي الله عنه حتى خرَّتْ على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء، ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذُبح ولدها في حجرها فلا ترقأُ عبرتها، ولا يسكن حزنها[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٥٣١ ـ ٥٤٠) وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٥٨) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٨١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٣١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٥) وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١١٠٧ برقم ١٨٥٣) وما بين معقوفين كذا جاء في الأصول، ولعلها: «لعظمته» أو «عظمة».

وعن هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخَورَنْق وهو يرعد تحت سمل قطيفة، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيباً وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؟ فقال: وأما ما أرزؤكم من مالكم شيئاً وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي أو قال: من المدينة[1].

وعن أبي مطرف قال: رأيت علياً عليه السلام مؤتزرا بإزار مرتدياً برداء ومعه الدرة كأنه أعرابي يدور حتى بلغ سوق الكرابيس، فقال: يا شيخ أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم. فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخبره فأخذ أبوه درهماً، ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين. قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان قميصُنا ثمنَ درهمين. قال: باعني رضاي وأخذ رضاه.

وعن عمرو بن قيس: أن علياً عليه السلام رئي عليه إزار مرقوع، فعوتب في لبوسه؟ فقال: يقتدي بي المؤمن، ويخشع له القلب.

وعن أبي النوار قال: رأيت علياً اشترى ثوبين غليظين، خيَّر قنبراً أحدهما.

وعن فضيل بن مسلم عن أبيه: أن علياً اشترى قميصاً، ثم قال: اقطعه لي من ها هنا مع أطراف الأصابع. وفي رواية أخرى: أنه لبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه، فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف الأصابع.

وعن علي بن الأقمر عن أبيه قال: رأيت علياً عليه السلام وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبة لَطالَ ما كشفتُ به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته.

ذكر ورعه رضي الله عنه

عن رجل من ثقيف: أن علياً عليه السلام استعمله على عكبر، قال: قال لي: إذا كان عند الظهر فرُحْ إلي. فرحت إليه فلم أجد عنده حاجباً يحبسني دونه، فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز من ماء، فدعا بظبية فقلت في نفسي: لقد أمَّنني حين يخرج إليَّ جوهراً ولا أدري ما فيها؟ فإذا عليها خاتم، فكسر الخاتم فإذا فيها سويق، فأخرج منها، فصبّ في القدح وصب عليه ماء فشرب وسقاني، فلم أصبر فقلت: يا أمير المؤمنين أتصنع هذا بالعراق وطعام العراق أكثر من ذلك؟ قال: أما والله ما أختم عليه بخلاً عليه، ولكني أبتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره، وإنما حفظي لذلك، وأكره أن أدخل بطني إلا طيباً.

وعن عمرو بن يحيى عن أبيه قال: أُهدي إلى علي بن أبي طالب أزقاقُ سمن وعسل فرآها قد نقصت. فسأل؟ فقيل: بعثت أم كلثوم فأخذت منه. فبعث إلى المقومين فقوموه خمسة دراهم فبعث إلى أم كلثوم: ابعثي إلي بخمسة دراهم.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٢). ـ الخورنق: قصر والي الكوفة كما في معجم البلدان (٢/ ٤٠٣)

وعن مجاهد قال: قال علي عليه السلام: جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً فظننتها تريد بلّه فأتيتها فقاطعتها: كل ذَنوب على تمرة. فمددت ستة عشر ذنوباً حتى مجلت يدي، ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت: بكفي هكذا بين يديها ـ وبسط إسماعيل يديه وجمعهما ـ فعدّت لي ست عشرة تمرة فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فأكل معي منها.

كلمات منتخبة من كلامه ومواعظه عليه السلام

عن عبد خَيْر عن علي عليه السلام قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر عملك ويعظم حلمك، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى، وكيف يقل ما يُتَقَبَّلَ.

وعن مهاجر بن عمير قال: قال علي بن أبي طالب: إن أخوف ما أخاف اتّباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بَنُون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

وعن رجل من بني شيبان: أن علي بن أبي طالب عليه السلام خطب فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسلَه بالهدى ودين الحق ليزيح به علتكم وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت، ومُوَقَّفُون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها دول وسجال، ولا تدوم أهوالها، ولن يسلم من شرها نزّالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور آذاهم منها في بلاء وغرور، أحوالٌ مختلفة وتارات متصرفة، العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدَفة، ترميهم بسهامها وتقصمهم بحُمَامِها، وكلٌّ حتفُه فيها مقدورٌ، وحظُه فيها موفورٌ.

واعلموا عبادَ الله أنكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً وأعمر دياراً وأبعد آثاراً، فأصبحت أموالهم هامدة من بعد نقلتهم وأجسادهم بالية وديارهم خالية، وآثارهم عافية، فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخورَ والأحجارَ في القبور؛ التي قد بني على الخراب فناؤها، وشيد بالتراب بناؤها، فمحلها مقترب، وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين، وأهل محلة متشاغلين؛ لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان، على ما بينهم من قرب الجوار، ودنوّ الدار، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى، وأظلتهم الجنادل والثرى؟ فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً وبعد غضارة العيش رفاتاً، فجع بهم الأحباب، وسكنوا التراب، وظعنوا فليس لهم إياب، هيهات هيهات!: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار المثوى، وارتهنتم في ذلك المضجع، وضمكم ذلك المستودع؟ فكيف بكم لو قد تناهت الأمور

وبعثرت القبور وحصِّل ما في الصدور؟ ووقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل، فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحجب والأستار، وظهرت منكم العيوب والأسرار؟ هنالك: ﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧] إن الله عز وجل يقول: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] وقال: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩] جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه، متَّبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله، إنه حميد مجيد.

عن الحسن عن علي عليه السلام قال: طوبى لكل عبدٍ نُوَمةٍ، عرف الناس ولم يعرفه الناس عرفه الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه، ليسوا بالمذاييع البُذُر، ولا الجفاة المرائين(١).

وعن عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام: ألا إن الفقيه الذي لا يُقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبةً عنه إلى غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها.

وعن الشعبي: أن علياً عليه السلام قال: يا أيها الناس خذوا عني هؤلاء الكلمات، فلو ركبتم المطي حتى تَنضُوها(٢) ما أصبتم مثلها: لا يرجونَّ عبدٌ إلا ربه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه، ولا يستحي إذا لم يعلم أن يتعلم، ولا يستحيي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال: أوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء: إنه ليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لي على ما أحب فيتحولون عن ذلك إلى ما أكره إلا تحولت لهم مما يحبون إلى ما يكرهون، وليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لي على ما أكره فيتحولون من ذلك إلى ما أحب إلا تحولت لهم مما يكرهون إلى ما يحبون.

وعن عبد الله بن عباس أنه قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتب به إليّ علي بن أبي طالب، فإنه كتب إلي: أما بعد، فإن المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزناً، وليكن همك فيما بعد الموت.

---

(١) أخرجه ابن شيبة في مصنفه (٧/ ١٠٠) والبيهقي في الشعب (٧/ ١١٠) وهناد في الزهد (٢/ ٤٣٧) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٧٦) نُوَمة: على وزن «حُمَرَة» مغفَّل أو خامل ا.هـ. والمقصود: سليم الصدر والسلوك عن الظلم والعدوان، المذاييع: جمع مِذْياع وهو من لا يكتم السِّرَّ. البَذير: النمَّام ومن لا يستطيع كتم سرِّه، وجمعه: بُذُر.

(٢) نضَ يَنِضُ نضيضاً، وهو يستنِضُ معروفاً: يستقطره، والنَّضُ: الإظهار، وأَنضَّ حاجتَه: أنجزها.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده: أن علياً رضي الله عنه شيع جنازة فلما وضعت في لحدها عجَّ أهلها وبكوها فقال: ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم! إن له فيهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقي منهم أحداً. ثم قام فقال: أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ووقَّت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعاً تعي ما عناها وأبصاراً لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، إن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل أكرمكم بالنعم السوابغ وأرصد لكم الجزاء، فاتقوا الله عبادَ الله، وجدُّوا في الطلب وبادروا بالعمل قبل هادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعميها ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل وسناد مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، وازدجروا بالنذُر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضُمِّنتم بيت التراب، ودهمتكم مفظعات الأمور بنفخة الصور وبعثرة القبور وسياق المحشر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٩٦] فارتجّت لذلك اليوم البلاد ونادى المنادي، وحشرت الوحوش، وبدت الأسرار، وارتجَّت الأفئدة وبرِّزت الجحيم قد تأجج جحيمها وغلا حميمها، عبادَ الله اتقوا الله تقية من وَجَل وحذر وأبصر وازدجر فاحتثَّ طلباً ونجا هرباً وقدّم للمعاد، واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقماً ونصيراً، وكفى بالكتاب خصماً وحجيجاً، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار وبالاً وعقاباً، وأستغفر الله لي ولكم.

وعن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان[(١)] فلما أصحرنا جلس، ثم تنفس، ثم قال: يا كميل بن زياد: القلوب أوعيةٌ فخيرُها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم ربَّاني، ومتعلِّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه، و صنيعة المال تزول بزواله، ومحبة العالم دِينٌ يُدان بها، العلم يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

إن ههنا ـ وأومأ بيده إلى صدره ـ علماً لو أصبت له حَمَلة؟ بلى! أصبته لَقِناً غير مأمون عليه[(٢)] يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بنعم الله على عباده وبحججه على كتابه، أو معانداً لأهل الحق لا بصيرة له في أحيائه ينقدح الشك في قلبه، عارِضٌ من شبهةٍ، لا ذا ولا ذاك، أو منهوماً باللذات سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع المال والادّخار، ليس من دعاة الدين في شيء أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة.

كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللّهم بلى لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة لكي لا تبطل

---

(١) الجَبَّان والجبَّانة: المَقْبَرة والصحراء.

(٢) أي: وجدت من يحمله لكنه غير مأمون عليه لأنه يحرفه أو يستعمله للدنيا لا لله تعالى.

حجج الله وبيّناته، أولئك هم الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعونها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان؛ أرواحُها معلقةٌ في المحل الأعلى، آه، آه!! شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفرُ الله لي ولك، إذا شئت فقم.

وعن أبي أراكة قال: صليت مع علي بن أبي طالب عليه السلام صلاة الفجر، فلما سلم انفتل عن يمينه، ثم مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قال: وقلّب يده: لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم؟ لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً بين أعينهم أمثال وَكَب[1] المِعزى، قد باتوا لله سجَّداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبلَّ ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين. ثم نهض فما رئي مفتراً يضحك حتى ضربه ابن ملجم، والسلام.

ذكر مقتله رضي الله عنه

عن زيد بن وهب قال: قدم عليٌّ على قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له: الجعد بن بعجة، فقال: له: اتق الله يا علي فإنك ميت. فقال له علي عليه السلام: بل مقتولٌ ضربةٍ على هذا تخضب هذه ـ يعني لحيته من رأسه ـ عهد معهود، وقضاء مقضي، وقد خاب من افترى.

وعاتبه في لباسه فقال: ما لكم وللباس؟ هو أبعد من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

وعن أبي الطفيل قال: دعا عليّ الناسَ إلى البيعة، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي فرده مرتين، ثم أتاه فقال: ما يحبس أشقاها؟ لتخضبن أو لتصبغن هذه ـ يعني لحيته من رأسه ـ ثم تمثل بهذين البيتين:

اشدُد حيازيمَك للموت ... فإن الموتَ آتيك
ولا تجزَع من القتل ... إذا حلَّ بواديك

وعن أبي مجلز قال: جاء رجل من مراد إلى علي وهو يصلي في المسجد فقال: احترسْ؛ فإن ناساً من مراد يريدون قتلك؟ فقال: إن مع كل رجل ملَكين يحفظانه مما لم يقدر عليه، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه، وإن الأجلَ جُنَّةٌ حصينة.

قال العلماء بالسِّيَر: ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة، يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان، وقيل: ليلة إحدى وعشرين منه سنة أربعين، فبقي الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد، وغسله ابناه وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن في السَّحَر، وفي سنّه أربعة أقوال، أحدها: ثلاث وستون، والثاني: خمس وستون، والثالث: سبع وخمسون، والرابع: ثمان وخمسون.

---

(١) الوَكَب: الوسخ وسوادُ التمر إذا نَضِجَ. والمقصود: ما يظهر على العين وحولها من جراء السهر والتعب مما يُسمّى «عمص» ونحوه. مادوا: تحركوا.

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قُتِل علي عليه السلام وهو ابن ثمان وخمسين، ومات لها حسن، وقتل لها الحسين، ومات علي بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين. وسمعت جعفراً يقول: سمعت أبي يقول لعمته فاطمة بنت حسين أم عبد الله بن حسن: هذه [السَّنَةُ] تُوَفِّي لي ثمانياً وخمسين. فمات لها.

قال سفيان: وسمعت جعفر بن محمد يقول: وقد زدت أنا على ثمان وخمسين.

وعن أبي جعفر قال: هلك علي بن أبي طالب وله خمس وستون سنة، قال: وكان علي وطلحة والزبير في سنٍّ واحد.

٦ ـ أبو محمد طلحة بن عبيد الله

ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة كعب بن لؤي.

أمه: الصعبة بنت الحضرمي أخت العلاء، أسلمت، وأسلم طلحة قديماً، وبعثه رسول الله مع سعيد بن زيد قبل خروجه إلى بدر يتجسسان خبر العير، فمرت بهما فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فخرج ورجعا يريدان المدينة، ولم يعلما بخروج النبي ﷺ فقدما في اليوم الذي لاقى فيه رسول الله ﷺ، المشركين، فخرجا يعترضان رسول الله، فلقياه منصرفاً من بدر فضرب لهما بسهامهما وأجرهما، فكانا كمن شهدها.

وشهد طلحة أُحُداً، وثبت يومئذٍ مع رسول الله ﷺ ووقاه بيده فشُلَّت إصبعاه، وجرح يومئذ أربعاً وعشرين جراحة. ويقال: كانت فيه خمس وسبعون بين طعنة وضربة ورمية، وسماه رسول الله ﷺ يوم أحد «طلحة الخير» ويوم غزوة ذات العشيرة: «طلحة الفياض» ويوم حنين «طلحة الجود».

ذكر صفته

كان آدمَ، كثير الشعر، ليس بالجعد القطط ولا بالسبط، حسن الوجه، دقيق العرنين، لا يغيّرُ شعره رضي الله عنه.

ذكر أولاده

كان له من الولد محمد وهو السجّاد قُتل معه يوم الجمل، وعمران أمهما حمنة بنت جحش. وموسى أمه خولة بنت القعقاع، ويعقوب قتل يوم الحرة، وإسماعيل وإسحاق أمهم أم أبان بنت عتبة ابن ربيعة، وزكريا ويوسف وعائشة أمهم أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وعيسى ويحيى أمهما سعدى بنت عوم، وأم إسحاق تزوجها الحسن بن علي، والصعبة أمهما أم ولد، ومريم أمها أم ولد، وصالح أمه الفريعة.

---

٦ ـ **طَلْحة بن عُبَيد الله ـ رضي الله عنه ـ**: الإصابة (٤٢٨٥)، والاستيعاب (١٢٨٧)، وأُسد الغابة (٢٦٢٧)، العبر (١/ ٣٧)، طبقات ابن سعد (٣/ ١٥٢)، خلاصة تذهيب الكمال (١٨٠)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٦٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٠)، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٣) وفضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم لأبي نعيم (١٠١).

ذكر جملة من مناقبه رضي الله عنه

عن عبد الله بن الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ ـ يعني يوم أحد ـ: «أوجب طلحةُ حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع». يعني حين برك له طلحة فصعد رسول الله ﷺ على ظهره. رواه الإمام أحمد[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أُحُدٍ قال: ذاك كله يوم طلحة.

قال أبو بكر: كنت أول من جاء يوم أحد فقال لي رسول الله ﷺ ولأبي عبيدة بن الجراح: «عليكما» يريد طلحة وقد نزف، فأصلحنا من شأن النبي ﷺ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفار فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة و رمية، وإذا قد قطعت إصبعه، فأصلحنا من شأنه.

وعن قيس قال: رأيت يد طلحة شلاّء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد. انفرد بإخراجه البخاري[٢].

وعن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة بن عبيد الله قال: لما رجع رسول الله ﷺ من أحد صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله من هؤلاء؟ فأقبلت وعليَّ ثوبان أخضران فقال: «أيها السائل هذا منهم»[٣].

وعن سعدى بنت عوف قالت: دخل عليَّ طلحةُ ورأيته مغموماً فقلت: ما شأنك؟ فقال: المال الذي عندي قد كثر وقد كربني! فقلت: وما عليك؟ اقسمه! فقسمه حتى ما بقي منه درهم. قال طلحة ابن يحيى: فسألت خازن طلحة: كم كان المال؟ فقال: أربعمائة ألف.

وعن الحسن قال: باع طلحة أرضاً له بسبعمائة ألف، فبات ذلك المال عنده ليلة، فبات أرقاً من مخافة ذلك المال فلما أصبح فرقه كله. رواه الإمام أحمد[٤].

وعنه أن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بسبعمائة ألف فحملها إليه، فلما جاء بها قال: إن رجلاً تبيت هذه عنده في بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله لغرير بالله! فبات ورسله تختلف بها في سكك المدينة، حتى أسحر وما عنده منها درهم.

وعن سعدى بنت عوف ـ امرأة طلحة بن عبيد الله ـ قالت: لقد تصدق طلحة يوما بمائة ألف، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعتُ له بين طرفي ثوبه.

---

(١) أخرج الإمام أحمد (١/ ١٦٥) قريباً منه، والترمذي (٣٧٣٩) و(١٦٩٢)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٢٤ و٤٠٦٣)، وأحمد (١/ ١٦١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٤٢)، وانظر السير (١/ ٢٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٩) وانظر السير (١/ ٣١) و(١/ ٣٢).

ذكر وفاته رضي الله عنه

قتل يوم الجمل، وكان يومَ الخميس لعشرة خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، ويقال: [إن] سهماً غرباً أتاه فوقع في حلقه فقال: باسم الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ويقال: إن مروان بن الحكم قتله. ودفن بالبصرة وهو ابن ستين، ويقال: اثنتين وستين، ويقال: أربع وستين.

٧ ـ أبو عبد الله الزبير بن العوَّام رضي الله عنه

ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وأسلمت وأسلم الزبير قديماً وهو ابن ثماني سنين، وقيل: ابن ست عشرة سنة فعذبه عمه بالدخان لكي يترك الإسلام فلم يفعل، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ، وهو أول من سلَّ سيفاً في سبيل الله، وكان عليه يوم بدر ريطة صفراء معتجراً بها، وكان على الميمنة، فنزلت الملائكة على سيماه، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وبايعه على الموت.

ذكر صفته رضي الله عنه

كان أبيض طويلاً، ويقال: لم يكن بالطويل ولا بالقصير، إلى الخفة ما هو في اللحم، ويقال: كان أسمر اللون، أشعر، خفيف العارضين.

ذكر أولاده رضي الله عنه

كان له من الولد: عبد الله، وعروة، والمنذر، وعاصم، والمهاجر، وخديجة الكبرى، وأم الحسن، وعائشة؛ أمهم: أسماء بنت أبي بكر.

وخالد، وعمرو، وحبيبة، وسودة، وهند؛ أمهم: أم خالد، وهي أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص.

ومصعب، وحمزة، ورملة؛ أمهم: الرباب بنت أنيف بن عبيد. وعبيدة وجعفر؛ أمهما: زينب. وزينت: أمها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي سعيط. وخديجة الصغرى أمها الحلال بنت قيس.

ذكر جملة من مناقبه رضي الله عنه

عن أبي الأسود قال: أسلم الزبير بن العوام وهو ابن ثماني سنين، وهاجر وهو ابن ثماني عشرة

---

٧ ـ الزُّبَير بن العَوَّام ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٢٧٩٦)، الاستيعاب (٨١١)، أُسد الغابة (١٧٣٢)، العبر (١/ ٣٧)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣١٨)، تهذيب تاريخ ابن عساكر (٥/ ٣٥٨)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٥٣)، فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم لأبي نعيم (١٠٣)، والسير (١/ ٤١)، طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٠)، تهذيب الكمال (٤٢٩)، شذرات الذهب (١/ ٤٢).

سنة، وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول: الزبير لا أكفر أبداً[١].

وعن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل قال: كان إسلام الزبير بعد إسلام أبي بكر، كان رابعاً أو خامساً.

وعن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد.

وعن عبيد الله بن الزبير قال: لما كان يوم الخندق كنت أنا وعمر بن أبي سلمة في الأطم الذي فيه نساء رسول الله ﷺ ـ أطم حسان ـ وكان يرفعني وأرفعه، فإذا رفعني عرفت أبي حين يمر إلى بني قريظة، وكان يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم الخندق، فقال: من يأتي بني قريظة فيقاتلهم؟ فقلت له حين رجع: يا أبة إن كنت لأعرفك حين تمر ذاهباً إلى بني قريظة! فقال: يا بني أما والله إن كان رسول الله ﷺ ليجمع لي أبويه جميعاً يتفداني بهما، ويقول: «فداك أبي وأمي» أخرجاه في الصحيحين[٢].

وعن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم الخندق ندب رسول الله ﷺ الناس فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال رسول الله ﷺ: «لكل نبي حواري وحواريي الزبير». أخرجاه في الصحيحين[٣].

وعن سعيد بن المسيب قال: أول من سلَّ سيفاً في سبيل الله الزبيرُ بن العوام، بينا هو بمكة إذ سمع نغمة ـ يعني صوتاً ـ أن النبي ﷺ قد قُتِل، فخرج عرياناً ما عليه شيء في يده السيف صلتاً فتلقاه النبي ﷺ كَفُّه بكفِّه فقال له: «ما لك يا زبير؟» قال: سمعت أنك قد قُتِلت؟ قال: «فما كنت صانعاً؟» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة. قال: فدعا له النبي ﷺ[٤].

وعن عمرو بن مصعب بن الزبير قال: قاتل الزبير مع رسول الله ﷺ وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فكان يحمل على القوم.

وعن نهيك قال: كان للزبير ألف مملوك يؤدُّون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم، يقول: يتصدق بها. وفي رواية أخرى: فكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله ليس معه منه شيء.

وعن جويرية قالت: باع الزبير داراً له بستمائة ألف، قال: فقيل: له يا أبا عبد الله غُبِنت؟ قال: كلا والله لتعلمن أني لم أغبن، هي في سبيل الله.

وعن علي بن زيد قال: أخبرني من رأى الزبير وإن في صدره مثل العيون من الطعن والرمي.

وعن قيس بن أبي حازم عن الزبير بن العوام قال: من استطاع منكم أن يكون له جِنًى من عمل صالح فليفعلْ.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٢٢ برقم ٢٣٩)، والحاكم (٣/ ٣٦٠)، وانظر السير (١/ ٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦)، أحمد في المسند (١/ ١٦٤)، وانظر السير (١/ ٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٤٧) و(٢٩٩٧)، ومسلم (٢٤١٥).

(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٧٣٣).

ذكر مقتله رضي الله عنه

قتل الزبير يوم الجمل وهو ابن خمس وسبعين، ويقال: ستين، ويقال: بضع وخمسين، قتله ابن جرموز.

عن زر قال: استأذن ابن جرموز على عليّ وأنا عنده، فقال علي: بشِّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لكل نبي حواري وحواريي الزبير»[١].

وعن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني دَينه ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبة من مولاك؟ قال: الله. قال: ما وقعت في كربة من دَيْنِه إلا قلت: يا مولى الزبير اقضِ عنه. فيقضيه، وإنما دَيْنُه الذي كان عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا؛ ولكنه سَلَفٌ، فإني أخشى عليه الضيعة.

قال: فحسب ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف، ومائتي ألف، فقتل ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين، فبعتهما ـ يعني وقضيت دينه ـ فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا! فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه.

فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم.

وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كلَّ امرأة ألفُ ألفٍ ومائتا ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف. انفرد بإخراج هذا الحديث البخاري[٢].

٨ ـ أبو محمد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الحارث، وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن.

أمه الشفاء بنت عوف، أسلمت وهاجرت.

أسلم عبد الرحمن قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، وشهد المشاهد كلها، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وصلى رسول الله ﷺ خلفه في غزوة تبوك؛ ذهب للطهارة فجاء وعبد الرحمن قد صلى بهم ركعة فصلى خلفه، وأتمَّ الذي فاته وقال:

---

(١) سبق تخريجه قبل حديثين.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٩)، وانظر المستدرك للحاكم (٣/ ٣٦١)، والسير (١/ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٧).

٨ ـ عبد الرَّحمٰن بن عَوف ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٦٨)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٠٥)، العبر (١/ ٣٣)، طبقات ابن سعد (٣ ـ ١٢٤)، الإصابة (٥١٩٥)، الاستيعاب (١٤٥٥)، أُسْد الغابة (٣٣٧٠)، فضائل الخلفاء لأبي نعيم (١١١)، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٤٤)، شذرات الذهب (١/ ٣٨).

«ما قُبِض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته»(١).

وعن أبي سلمة عن أبيه أنه كان مع النبي ﷺ في سفر، فذهب النبي ﷺ لحاجته فأدركهم وقت الصلاة، فأقاموا الصلاة، فتقدمهم عبد الرحمن، فجاء النبي ﷺ فصلى مع الناس خلفه ركعة، فلما سلم قال: «أصبتم ـ أو ـ أحسنتم»(٢).

ذكر صفته رضي الله عنه

كان طويلاً رقيق البشرة، فيه جنأ أبيض، مُشْرَباً حمرة، ضخم الكفين، أقنى. وقال ابن إسحاق: كان ساقط الثنيتين، أعرج، أصيب يوم أحد فهتم، وجرح عشرين جراحة أو أكثر، إصابه بعضها في رجله فعرج.

ذكر أولاده رضي الله عنه

كان له من الولد سالم الأكبر مات قبل الإسلام؛ أمه أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة، وأم القاسم ولدت في الجاهلية، وأمها بنت شيبة بن ربيعة. ومحمد، وإبراهيم، وحميد، وإسماعيل، وحميدة، وأمة الرحمن: أمهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط. ومعن، وعمر، وزيد، وأمة الرحمٰن الصغرى: أمهم سهلة بنت عاصم بن عدي. وعروة الأكبر أمه بحرية بنت هانىء، وسالم الأصغر أمه سهلة بنت سهيل بن عمرو، وأبو بكر أمه أم حكيم بنت قارظ، وعبد الله أمه بنت أبي الحيس، وأبو سلمة وهو عبد الله الأصغر وأمه تماضر بنت الأُصبغ، وعبد الرحمن أمه أسماء بنت سلامة، ومصعب وآمنة ومريم أمهم أم حريث من سبي بهراء، وسهيل أبو الأبيض أمه مجد بنت يزيد، وعثمان أمه غزال بنت كسرى أم ولد، وعروة، ويحيى، وبلال لأمهات أولاده، وأم يحيى وأمها زينب بنت الصباح. وجويرية أمها بادية بنت غيلان.

وعن ثابت البناني عن أنس قال: بينما عائشة رضي الله عنها في بيتها إذ سمعت صوتاً رجَّت منه المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام، وكانت سبعمائة راحلة. فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً». فبلغ ذلك عبدَ الرحمن، فأتاها فسألها عما بلغه؟ فحدثته. قال: فإني أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عز وجل(٣).

وعنه قال: بينا عائشة في بيتها سمعت صوتاً في المدينة فقالت: ما هذا؟ قالوا: عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء. قال: وكانت سبعمائة بعير. قال: فارتجت المدينة من الصوت، فقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قد رأيت عبد الرحمن بن عوف

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى (٣/ ١٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٩ و٢٥٠ ـ ٢٥١)، وأبو داود (١٥١)، وانظر أحمد (٤/ ٢٤٨)، وابن ماجه (١٢٣٦)، والسير (١/ ٧٩).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١١٥)، والطبراني (٢٦٤)، وانظر السير (١/ ٧٦).

يدخل الجنة حبواً» فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال: إن استطعت لأدخلنها قائماً. فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله عز وجل. رواه الإمام أحمد(١).

وعن أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن أبيها قال: باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً له من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين، وبعث إلى عائشة معي بمال من ذلك المال، فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يحنو عليكنّ بعدي إلا الصالحون» سقى الله ابنَ عوف من سلسبيل الجنة(٢).

وعن الزهري قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله تعالى، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله تعالى، وكان عامة ماله من التجارة.

وعن جعفر بن برقان قال: بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت(٣).

وعن سعد بن إبراهيم عن أبيه: أن عبد الرحمن بن عوف أُتي بطعام وكان صائماً فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كُفِّن في بردة إن غطي رأسُهُ بدتْ رجلاه، وإن غُطِّي رجلاه بدا رأسه وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني ـ يعني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة ـ ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط ـ أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا ـ وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلت لنا. ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام. انفرد باخراجه البخاري(٤).

وعن نوفل بن إياس الهذلي قال: كان عبد الرحمن لنا جليساً، وكان نعم الجليس، وإنه انقلب بنا يوماً حتى دخلنا بيته ودخل فاغتسل، ثم خرج فجلس معنا، وأُتينا بصحفة فيها خبز ولحم، فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف! فقلنا له: يا أبا محمد ما يبكيك؟ فقال: هلك رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أُرانا أُخِّرنا لها لما هو خير لنا.

وعن سعيد بن حسين قال: كان عبد الرحمن بن عوف لا يُعرف من بين عبيده.

وعن أيوب عن محمد: أن عبد الرحمن بن عوف توفي وكان فيما ترك ذهبٌ قُطِع بالفؤوس حتى مَجِلت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة، فأُخرِجَت امرأة من ثُمنها بثلاثين ألفا.

ذكر وفاته رضي الله عنه

توفي عبد الرحمن بن عوف سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع، وهو ابن اثنتين وسبعين، ويقال: خمس وسبعين.

---

(١) انظر تخريج الأثر قبله.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٠٤ و١٣٥)، والحاكم (٣/ ٣١٠)، وصححه، وتعقّبه الحافظ بقوله: ليس بمتصل.

(٣) في المستدرك (٣/ ٣٠٨) «بيت». وفي الحلية (١/ ٩٩): «بنت». وفي الإصابة (٤/ ٣٤٦): «نسمة».

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٤٥).

٩ ـ أبو إسحاق سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه

واسمه: مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، وأمه حمنة.

أسلم قديماً وهو ابن سبع عشرة سنة، وقال: كنت ثالثاً في الإسلام وأنا أول من رمى بسهم في سبيل الله.

شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وولي الولايات من قِبَل عمر وعثمان، وهو أحد أصحاب الشورى.

ذكر صفته رضي الله عنه

كان قصيراً غليظاً ذا هامة، شثن الأصابع، آدم، أفطس، أشعر الجسد، يخضب بالسواد.

ذكر أولاده رضي الله عنه

كان له من الولد: إسحق الأكبر وبه كان يكنى، أم الحكم الكبرى أمهما ابنة شهاب بن عبد الله وعمر قتله المختار ومحمد قتله الحجاج يوم دير الجماجم. وحفصة وأم القاسم وكلثوم أمهم معاوية بنت قيس بن معدي كرب. وعامر وإسحق الأصغر وإسماعيل وأم عمران أمهم أم عامر بنت عمرو وإبراهيم وموسى وأم الحكم الصغرى وأم عمرو وهند وأم الزبير وأم موسى: أمهم زبيدة. وعبد الله أمه سلمى. ومصعب أمه خولة بنت عمرو وعبد الله الأصغر وبجير ـ واسمه عبد الرحمن ـ وحميدة أمهم أم هلال بنت ربيع بن مري.

وعمير الأكبر وحمنة: أمهما أم حكيم بنت قارظ، وعمير الأصغر، وعمرو، وعمران، وأم عمرو، وأم أيوب، وأم إسحاق أمهم سلمى بنت حفصة. وصالح أمه ظبية بنت عامر، وعثمان، ورملة أمهما أم حجير. وعمرة ـ وهي العمياء ـ أمها من سبي العرب، وعائشة.

ذكر جملة من مناقبه رضي الله عنه

عن سعيد بن المسيب قال: قال سعد: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام.

وعن علي قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يفدي أحداً بأبويه إلا سعد بن مالك، فإني سمعته يقول له في يوم أحد: «ارم سعد فداك أبي وأمي» أخرجاه في الصحيحين[١].

---

٩ ـ سعد بن أبي وقّاص ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٩٢)، تهذيب تاريخ ابن عساكر (٦/ ٩٥)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٨٣)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٨١)، العبر (١/ ٦٠)، تاريخ بغداد (١/ ١٤٤)، طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٧)، الإصابة (٣٢٠٤)، الاستيعاب (٩٥٩)، أُسد الغابة (٢٠٣٧)، فضائل الخلفاء لأبي نعيم (١٠٩)، تهذيب الكمال (١/ ٣٧١)، الكاشف (١/ ٣٥٤)، تاريخ بغداد (١/ ١٤٤)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢)، البداية والنهاية (٣/ ٣١٩ و٨/ ٧٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٩٠٥، و٤٠٥٨ و٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١)، والترمذي (٣٧٥٤)، وابن ماجه (١٢٩).

عن هاشم بن هاشم الزهري قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: نثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد وقال: «ارم فداك أبي وأمي»(١).

وعن قيس قال: سمعت سعد بن مالك يقول: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله عز وجل، ولقد رأيتنا نغزو مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام نأكله إلا ورق [الحبلة] وهذا السَّمَر(٢)، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خلط، ثم أصبحت بنو أسد يعزّروني على الدين، لقد خبت إذاً وضل عملي(٣).

وعن عبد الله بن عمر عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ أنه مسح على الخفين، وأن عبد الله بن عمر سأل عمر عن ذلك؟ فقال: نعم إذا حدثك سعد عن رسول الله ﷺ شيئاً فلا تسأل عنه غيره(٤).

وعن جابر بن عبد الله قال: أقبل سعد فقال رسول الله ﷺ: «هذا خالي، فليرني امرؤ خاله»(٥).

وعن قيس بن أبي حازم عن سعد قال: قال لي النبي ﷺ: «اللّهم سدد رميته وأجب دعوته»(٦).

وعن يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة عن جده قال: دعا سعد فقال: يا رب إن لي بنين صغاراً فأخّر عني الموت حتى يبلغوا. فأُخّر عنه الموت عشرين سنة(٧).

عن طارق ـ يعني ابن شهاب ـ قال: كان بين خالد وسعد كلامٌ فذهب رجل يقع في خالد عند سعد. فقال: مه! إن ما بيننا لم يبلغ ديننا.

ذكر وفاته رضي الله عنه

مات سعد في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، فحُمِل على رقاب الرجال إلى المدينة، وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة، ثم صلى عليه أزواج النبي ﷺ في حُجَرهن، ودفن بالبقيع، وكان أوصى أن يكفن في جبة صوف له كان لقي المشركين فيها يوم بدر، فكفن فيها وذلك في سنة خمس وخمسين، ويقال: سنة خمسين، وهو ابن بضع وسبعين ويقال: اثنتين وثمانين.

وعن مالك بن أنس أنه سمع غير واحد يقول: إن سعد بن أبي وقاص؛ مات بالعقيق فحمل إلى المدينة ودفن بها.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥٥) ومسلم (٢٤١١)، والترمذي (٢٨٣٠) و٣٧٥٣، وابن ماجه (١٢٩ ـ ١٣٠)، نَثَل: أخرج.

(٢) قال أبو عبيد: الحُبْلَة والسَّمَر: نوعان من شجر البادية. وجاء في المطبوع [حبل] والتصحيح من البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٢٨ و٥٤١٢) ومسلم (٢٩٦٦) والترمذي (٢٣٦٦).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (١/ ٢٦٩) وأحمد (١/ ١٤ ـ ١٥)، والحاكم (٣/ ٤٩٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٧٥٢)، والطبراني في الكبير (١/ ١٤٤) والحاكم (٣/ ٤٩٩) وصححه ووافقه الحافظ.

(٦) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١١٣) وقال: رواه البزار وفيه: عثمان بن عبد الرحمن الوقاضي وهو متروك.

(٧) انظر السير للذهبي (١/ ١١٧).

(٨) انظر: السِّيَر للذهبي (١/ ١٢٢ ـ ١٢٤).

وعن عائشة: أنه لما توفي سعد أرسل أزواج النبي ﷺ أن يمروا بجنازته في المسجد، ففعلوا فوُقِف به على حجَرهن فصلَّين عليه، وخرج من باب الجنائز، فبلغهن أن الناس عابوا ذلك، وقالوا: ما كانت الجنائز يدخل بها في المسجد؟ فبلغ ذلك عائشة فقالت: ما أسرع الناس إلى أن يعيبوا ما لا علم لهم به! عابوا علينا أن نمر بجنازة في المسجد، وما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن بيضاء إلا في جوف المسجد.

١٠ ـ أبو الأعور سعيد بن زيد

ابن عمرو بن نفيل بن العزى بن رياح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، أمه فاطمة بنت بعجة بن أمية، أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما خلا بدراً؛ فإنه لم يحضرها للسبب الذي ذكرناه في ترجمة طلحة، وكان آدم، طوالاً، أشعر.

وله من الولد عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وعبد الرحمن الأكبر، وعبد الرحمن الأصغر، وإبراهيم الأكبر، وإبراهيم الأصغر، وعمرو الأكبر، وعمرو الأصغر، والأسود، وطلحة، ومحمد، وخالد، وزيد، وأم الحسن الكبرى، وأم الحسن الصغرى، وأم حبيب الكبرى، وأم حبيب الصغرى، وأم زيد الكبرى، وأم زيد الصغرى، وعائشة، وعاتكة، وحفصة، وزينب، وأم سلمة، وأم موسى، وأم سعيد، وأم النعمان، وأم خالد، وأم صالح، وأم عبد الحولاء، وزجلة.

ذكر جملة من مناقبه رضي الله عنه

عن عبد الله بن ظالم قال: [خطب المغيرةُ بن شعيب فنالَ من عليّ، فخرج سعيد بن زيد] فقال: [ألا تعجب من هذا يسبُّ علياً رضي الله عنه؟ أشهد على رسول الله ﷺ أَنّا كنا على «حراء» أو «أُحُد» فقال] رسول الله ﷺ: «اثبت حراءُ فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» قال: قلت: من هم؟ فقال: «رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن مالك»، ثم سكت. قال قلت: ومن العاشر؟ قال: أنا. رواه الإمام أحمد [١].

وعن عبد الرحمن بن الأخنس قال: قال سعيد بن زيد: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رسول الله في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة» ثم قال: إن شئتم أخبرتكم بالعاشر؟ ثم ذكر نفسه. رواه الإمام أحمد [٢].

---

١٠ ـ سعيد بن زيد ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٤)، تهذيب تاريخ ابن عساكر (٦/ ١٢٩)، شذرات الذهب (١/ ٥٧)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٤)، تهذيب الكمال (٤٩١)، تاريخ الإسلام (١/ ٢٨٥)، طبقات ابن سعد (٣/ ٣٧٩)، الإصابة (٣١٦٥) و(٤٢٧٠)، الاستيعاب (٩٨٧)، أُسد الغابة (٢٠٧٦).

(١) أخرجه مسلم مختصراً (٢٤١٧) وأحمد (١/ ١٨٨)، والترمذي (٣٧٥٨ و٣٦٩٧) وما بين معقوفين سقط من المطبوع وأضفناه من المسند.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٨٨).

وعن هشام بن عروة عن أبيه: أن أروى بنت أويس استعدَتْ مروانَ على سعيد وقالت: سرق من أرضي فأدخله في أرضه! فقال سعيد: اللّهم إن كانت كاذبة فأذهبْ بصرها، واقتلها في أرضها. فذهب بصرها، ووقعت في حفرة في أرضها فماتت.

ذكر وفاته رضي الله عنه

عن نافع أن سعيد بن زيد مات بالعقيق، فحمل إلى المدينة فدفن بها. وقال ابن سعد: وقال عبد الملك بن زيد: مات بالعقيق فحمل إلى المدينة، ونزل في حفرته سعد وابن عمر، وذلك في سنة خمسين، أو إحدى وخمسين، وكان يوم مات ابنَ بضع وسبعين سنة. والله اعلم.

١١ ـ أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح رضي الله عنه

ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

وأسلم مع عثمان بن مظعون، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، ونزع يومئذٍ بفيه الحلقتين اللتين دخلتا في وَجنة رسول الله ﷺ من حِلَقَ المِغْفَر فوقعت ثنيتاه، فكان من أحسن الناس هَتماً(١).

ذكر صفته

كان طوالاً، نحيفاً، أجنى، معروق الوجه، أثرم الثنيتين، خفيف اللحية. وكان له من الولد يزيد وعمير أمهما هند بنت جابر، فدرجا، ولم يبق له عقب.

ذكر جملة من مناقبه رضي الله عنه

عن أبي قلابة قال: حدثني أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(٢).

وعنه: أن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله ﷺ سألوه: أن يبعث معهم رجلاً يعلمهم السنة والإسلام. فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح فقال: «هذا أمين هذه الأمة»(٣).

وعن شريح بنِ عبيد و راشد بن أسعد وغيرهما قالوا: لما بلغ عمر بن الخطاب سرغ(٤)، حدث

---

١١ ـ أبو عُبَيدة: عامر بن عبد الله بن الجرّاح ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٥)، شذرات الذهب (١/ ٢٩)، تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٦٠)، تهذيب التهذيب (٥/ ٧٣)، العبر (١/ ١٥)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣)، الكامل في التاريخ (٢/ ٣٢٥)، حلية الأولياء (١/ ١٠٠)، طبقات ابن سعد (٣/ ٤٠٩)، تاريخ الطبري (٣/ ٢٠٢)، الإصابة (٤٤١٧)، الاستيعاب (١٣٤٠)، أُسْد الغابة (٢٧٠٧)، فضائل الخلفاء. لأبي نعيم (١١٣).

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (٣) الهَتْم: كسر يصيب أصول الثنايا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩)، وأحمد (٣/ ١٣٣ و١٨٩)، والترمذي (٣٧٥٩)، وابن ماجه (١٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٤٥ و٤٣٨٠ ـ ٤٣٨١)، ومسلم (٢٤١٩)، والترمذي (٣٧٩٦)، وابن ماجه (١٣٥ ـ ١٣٦).

(٤) قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٣٦١): سَرْغ: قرية بوادي تبوك من طريق الشام. وقيل: على ثلاثة عشر مرحلة من المدينة.

أن بالشام وباءً شديداً، فقال: بلغني شدة الوباء بالشام. فقلت: إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته، فإن سألني الله عز وجل: لِمَ استخلفته على هذه الأمة؟ قلت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه لكل نبي أميناً وأميني أبو عبيدة بن الجراح». فإن أدركني أجلي وقد توفي أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل، فإن سألني ربي عز وجل: لم استخلفته؟ قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة»[١].

وعن عمر بن الخطاب أنه قال لأصحابه: تمنّوا؟ فقال رجل: أتمنّى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقته في سبيل الله عز وجل؟ ثم قال: تمنّوا؟ فقال رجل: أتمنّى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً أو جوهراً أنفقه في سبيل الله عز وجل وأتصدق به؟ ثم قال: تَمَنّوا؟ فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: أتمنى لو أن هذا الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض فقال: عمر أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل عليه بيته فلم يَرَ في بيته إلا سيفه وترسه ورحله! فقال له عمر: ألا اتّخذتَ ما اتّخذ أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل. رواه الإمام أحمد[٢].

وعن أبي قتادة: أن أبا عبيدة بن الجراح قال: ما من الناس من أحمر ولا أسود، حر ولا عبد عجمي ولا فصيح أعلمُ أنه أفضل مني بتقوى إلا أحببت أن أكون في مِسْلاخه.

وعن نمران بن مخمر عن أبي عبيدة بن الجراح: أنه كان يسير في العسكر فيقول: ألا رُبَّ مُبَيِّض لثيابه مدنِّس لدينه! ألا رب مُكْرِم لنفسه وهو لها مهين! بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء، ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تغمرهن.

ذكر وفاته رضي الله عنه

توفي أبو عبيدة في طاعون عمواس بالأردن، وقُبِر ببيسان، وصلى عليه معاذ بن جبل، وذلك في سنة ثماني عشرة من خلافة عمر، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

قال الشيخ رحمه الله: وإذ قد انتهينا [من] ذكر العشرة بحمد الله ومَنّه، فنحن نذكر المشتهرين من الصحابة بالعلم والتعبد والزهد على طبقاتهم. والله الموفق.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٨)، وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٦٨)، مختصراً. والذي في «السير»: «بِرَتْوَة»، بدل «نبذة»، والرَّتْوَة: رمية سهم، أو مدّ البصر. النَّبْذَة أو النُّبَذَة: الناحية.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص ١٨٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧/ ١١٥) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٠١).

من الطبقة الأولى

على السابقة في الإسلام ممن شهد بدراً من المهاجرين والأنصار وحلفائهم ومواليهم.

١٢ ـ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، يكنى أبا عمارة.

وكان له من الولد: يعلى وعامر وبنت، وهي التي اختصم بها زيد وجعفر وعلي، واسمها أمامة. انفرد الواقدي فقال: عمارة.

قال محمد بن كعب القرظي: قال أبو جهل في رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك حمزةَ، فدخل المسجد مغضَباً فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوضحته، وأسلم حمزة فعزَّ به رسول الله ﷺ والمسلمون، وذلك في السنة السادسة من النبوة بعد دخول رسول الله دار الأرقم.

قال يزيد بن رومان: وأول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة لحمزة.

وعن علي عليه السلام قال: لما كان يوم بدر و دنا الناس منا إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي نادِ لي حمزة» وكان أقربهم من المشركين: من صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟ فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال. قال: فبرز عتبة وشيبة والوليد فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار. فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بني عمّنا. فقال رسول الله ﷺ: «قم يا علي، قم يا حمزة، قم يا عبيدة بن الحارث». رواه الإمام أحمد(١).

ذكر مقتل حمزة رضي الله عنه

عن جعفر بن عمرو الضمري قال: خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار إلى الشام، فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم. وكان وحشي يسكن حمص فجئنا حتى وقفنا عليه فسلمنا فرد السلام وعبيد الله معتجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه، فقال عبيد الله: يا وحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه، ثم قال: لا؛ والله، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة فولدت له غلاماً، فاسترضعه، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه فكأني نظرت إلى قدميه.

---

١٢ ـ حمزة بن عبد المطَّلب ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ١٧١)، شذرات الذهب (١/ ١٠)، العبر (١/ ٥)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٨)، طبقات ابن سعد (٣/ ٨)، الإصابة (١٨٣١)، الاستيعاب (٥٥٩)، أُسْد الغابة (١٢٥٠).

(١) أخرجه أحمد (١/ ١١٧)، والحاكم (٣/ ١٩٤).

فكشف عبيد الله وجهه، ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ فقال: نعم؛ إن حمزة قتل طعيمة بن عدي ببدر فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر. فلما خرج الناس عام عينين ـ قال: وعينين: جبل أحد بينه وبينه واد ـ خرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة فقال: يا سباع يا ابن أم أنمار، يا ابن مقطِّعة البظور أتحارب الله ورسوله؟ ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب، وكمنتُ لحمزة تحت صخرة حتى مر عليَّ، فلما أن دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثُنّته حتى دخلت بين وركيه، وكان ذلك آخر العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً فقالوا: إنه لا يهيج الرسل. فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال: «أنت وحشي؟» قلت: نعم. قال: «أنت قتلت حمزة؟» قلت: قد كان الأمر ما بلغك يا رسول الله. قال: «أما تستطيع أن تغيب وجهك عني؟» قال: فرجعت. فلما توفي رسول الله ﷺ خرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلّي أقتله؛ فأكافىء به حمزة. فخرجت مع الناس فكان من أمرهم ما كان.

قال: وإذا رجل قائم من ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر رأسه. قال: فأرميه بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجتْ من بين كتفيه. قال: ودبّ إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

قال عبد الله بن الفضل: فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين قتله العبد الأسود. انفرد بإخراجه البخاري(١).

وعن الزبير: أنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى، حتى إذا كادت تشرف على القتلى قال: فكره رسول الله ﷺ أن تراهم. فقال: «المرأةَ المرأةَ». قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية، فخرجت أسعى إليها فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى.

قال: فلدمت في صدري ـ وكانت امرأة جلدة ـ قالت: إليك؛ لا أرض لك! قال: فقلت: إن رسول الله قد عزم عليك؟ قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مقتله، فكفنوه بهما.

قال: فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة، فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل قد فُعل به كما فعل بحمزة. قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة في ثوبين والأنصاري لا كفن له؟ فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفنّا كل واحد منهما في الثوب الذي صار له. رواه الإمام أحمد(٢).

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة حيث استشهد فنظر إلى شيء لم ينظر إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٢)، أي: قَتَلَ العبدُ الأسود وحشيٌّ أميرَهم الكافرَ مسيلمةَ. وانظر: ابن هشام (٢/ ٧٣)، وأسد الغابة (١٢٥٠)، والاستيعاب (٥٥٩)، والسير (١/ ١٧٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٦٥)، والبيهقي في السنن (٤/ ٤٠١ ـ ٤٠٢)، وانظر السير (١/ ١٨٣).

شيء قط كان أوجعَ لقلبه منه، ونظر إليه قد مثِّل به فقال: «رحمة الله عليك، فإنك كنت ـ ما علمتُ ـ فعولاً للخيرات وَصُولاً للرحم، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى، أما والله مع ذلك لأمثلن بسبعين منهم مكانك» فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بعدُ بخواتم النحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة، فصبر النبي ﷺ وأمسك عما أراد[(١)].

وعن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا صلى على جنازة كبر عليها أربعاً، وإنه كبر على حمزة سبعين تكبيرة.

وعن جابر قال: لما أراد معاوية أن يجري عينه التي بأُحُدٍ، كتبوا إليه: إنا لا نستطيع أن نجريها إلا على قبور الشهداء؟ فكتب: انبشوهم. قال: فرأيتهم يُحمَلون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام، وأصابت المسحاة طرف رِجْلِ حمزة فانبعث دماً.

وعنه قال: كتب معاوية إلى عامله بالمدينة: أنِ يجري عيناً إلى أحد. فكتب إليه عامله: إنها لا تجري إلا على قبور الشهداء؟ قال: فكتب إليه أن أنفِذْها. قال: فسمعت جابر بن عبد الله يقول: فرأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نُوَّم، حتى أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً.

١٣ ـ زيد بن حارثة بن شراحيل رضي الله عنه

ابن عبد العزى بن امرىء القيس، ويقال له: زيد الحِبّ، وأمه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر، زارت قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على أبيات بني معن فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يفعة، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له.

وكان أبوه حارثة حين فقده قال:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحيٌّ فيرجَّى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنتُ سائلاً ... أغالك سهلُ الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك اليومَ رجعةٌ ... فحسبي من الدنيا رجوعُك لي بِجَل[(٢)]
تَذكِّرنيه الشمسُ عند طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا قارب الطَفَل
وإن هبت الأرواح هيَّجنَ ذِكْرَه ... فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأُعمِل نصَّ العيس في الأرض جاهدا ... ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ١٩٧) و(٥/ ١٣٥)، والترمذي (٣١٢٨)، وابن حبان في صحيحه (١٦٩٥).

١٣ ـ زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٢٠)، تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٤)، العقد الثمين (٤/ ٤٥٩)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٠١)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٢)، طبقات ابن سعد (٤/ ٦١)، الإصابة (٢٨٩٧)، الاستيعاب (٨٤٨)، أسد الغابة (١٨٢٩).

(٢) في الاستيعاب (٢/ ٣٥١). «مَجَل» بدل «بجل».

حياتي أو تأتي علي منيتي ... وكل امريء فانٍ وإن غرَّه الأمل
وأوصي به قيساً وعمراً كليهما ... وأوصي يزيداً، ثم من بعده جَبَل

يعني: جبلة بن حارثة أخا زيد، ويزيد أخو يزيد لأمه.

فحج ناس من كعب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، فقال: أبلغوا أهلي هذه الأبيات، فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي، وقال:

[أحنُّ] إلى قومي وإن كنتُ نائيا ... فإني [قعيدُ] البيت عند المشاعر
فكفُّوا عن الوجد الذي قد شجاكم ... ولا تُعملوا في الأرض نَصَّ الأباعِر
فإني بحمد الله في خير أسرة ... كرام مَعَدٍّ كابراً بعد كابر[1]

فانطلقوا، فأعلموا أباه فخرج حارثة وكعب بن شراحيل بفدائه، فقدما مكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل هو في المسجد، فدخلا عليه فقالا: يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا، وأحسن إلينا في فدائه، فإنا سنرفع لك في الفداء؟ قال: «ما هو؟» قالوا: زيد بن حارثة، فقال: رسول الله ﷺ: «فهلا غير ذلك؟» قالوا: ما هو؟ قال: «ادعوه فخيّروه، فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً». قالوا: قد زدتنا على النَّصَف وأحسنت.

فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» قال: نعم هذا أبي وهذا عمي. قال: «فأنا من قد علمت ورأيت محبتي لكَ فاخترني أو اخترهما؟» فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمنزلة الأب والعم. فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً! فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحِجر فقال: «يا من حضر اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه» فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا.

فدُعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام، فزوجه رسولُ الله ﷺ زينب بنت جحش، فلما طلقها تزوجها النبي ﷺ فتكلم المنافقون في ذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه؟ فنزل: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الاحزاب: ٥] فدُعي يومئذ زيد بن حارثة[2].

وعن محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد عن أبيه قال: كان بين رسول الله ﷺ وبين زيد عشر سنين، رسول الله ﷺ أكبر منه، وكان زيد رجلاً قصيراً، آدم شديد الأدمة، في أنفه فطس، وكان يكنى أبا أسامة. وقال الزهري: أول من أسلم زيد.

قال أهل السير: وشهد زيد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر، واستخلفه رسول الله ﷺ

---

(١) في الأصل «ألكني» بدل «أحن» و«قطين» بدل «قعيد»، والتصحيح من أُسد الغابة (٢/ ٣٥١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢١٣)، وابن سعد في الطبقات (١٣/ ٢٨).

على المدينة حين خرج إلى المُرَيسيع، وخرج أميراً في سبع سرايا، ولم يُسَمَّ أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن باسمه غيرُه(١).

وكان له من الولد زيد؛ هلك صغيراً، ورقية أمهما أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأسامة أمه أم أيمن حاضنة رسول الله.

وقتل زيد في غزوة مؤته في جمادى الأولى سنة ثمان، وهو ابن خمس وخمسين سنة.

عن خالد بن سمير قال: لما أصيب زيد بن حارثة أتاهم النبي ﷺ قال: فجهشت بنت زيد في وجهه، فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب. فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا شوق الحبيب إلى حبيبه»(٢).

١٤ ـ سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه

كان لثُبَيْتة بنت يعار(٣) الأنصارية تحت أبي حذيفة بن عتبة، فأعتقه فتولى أبا حذيفة، وتبناه أبو حذيفة. كذا ذكره محمد بن سعد(٤).

وقال أبو بكر الخطيب: اسم التي أعتقته سلمى بنت يعار. وقال ابن عمر: كان سالم يؤم المهاجرين من مكة حتى قدم المدينة، لأنه كان أقرأهم وفيهم أبو بكر وعمر(٥).

وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ ذكر سالماً مولى أبي حذيفة فقال: «إن سالماً شديد الحب لله عز وجل»(٦).

وعن شهر بن حوشب قال: قال عمر بن الخطاب: لو استخلفت سالماً مولى أبي حذيفة فسألني عنه ربي عز وجل: ما حملك على ذلك؟ لقلت: رب سمعت نبيك ﷺ وهو ويقول: «يحب الله عز وجل حقاً من قلبه»(٧).

وعن أحمد بن عبد الله قال: استشهد سالم مولى أبي حذيفة باليمامة؛ أخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم تناولها بشماله فقطعت، ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. إلى أن قتل.

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٤٦) وأبو داود في المراسيل (٢٩٠) وذكره في السير (١/ ٢٣٠) وفيض القدير (٣/ ٥٢١).

١٤ ـ سالم: مولى أبي حذيفة ـ رضي الله عنهما ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ١٦٧)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٦)، طبقات ابن سعد (٣/ ٨٥)، حلية الأولياء (١/ ١٧٦)، أُسْد الغابة (١٨٩٢)، الاستيعاب (٨٦٦)، الإصابة (٣٠٥٩).

(٣) في بعض النسخ المطبوعة «ثُبيتة بنت تعار» بالتاء المعجمة الفوقية، والذي في كتب التراجم «يعار» بالياء المعجمة التحتية.

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٨٥).

(٥) أخرجه أبو داود (٥٨٨)، وابن الجارود في المنتقى (٢/ ٨٥)، وهو في البخاري (٣٦٢٥)، وغيره.

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٢٣٩) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٧٧) والطبري في تاريخه (٢/ ٥٨٠).

(٧) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٣٤٢).

١٥ ـ عبد الله بن جحش رضي الله عنه

ابن رئاب بن يعمر، ويكنى أبا محمد، وأمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم.

أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، وبعثه رسول الله ﷺ على سرية إلى نخلة، وفيها تَسَمَّى بأمير المؤمنين، فهو أول من دعي بذلك.

وعن سعيد بن المسيب: أن رجلا سمع عبد الله بن جحش يقول قبل يوم أحد بيوم: اللّهم إنا لاقو هؤلاء غداً، وإني أقسم عليك لما يقتلونني ويبقروا بطني ويجدعوني، فإذا قلتَ لي: لمَ فعل بك هذا؟ فأقول اللّهم فيك. فلما التقوا فعل ذلك به فقال: الرجل الذي سمعه: أما هذا فقد استجيب له وأعطاه الله ما سأل في جسده في الدنيا، وأنا أرجو أن يعطى ما سأل في الآخرة(١).

وعن إسحق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا ندعوا الله؟ فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال: يا رب إذا لقيت العدو غدا فلقّني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حَرْدُهُ أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك غداً قلت: يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك. فتقول: صدقت. قال سعد: فلقد رأيته آخر النهار وإن أذنه وأنفه لمعلقتان في خيط(٢).

قال الواقدي: قتل عبد الله بن جحش يوم أحد قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، ودفن عبد الله وحمزة بن عبد المطلب وهو خاله في قبر واحد، وكان لعبد الله يوم قتل بضع وأربعون سنة.

١٦ ـ عتبة بن غزوان رضي الله عنه

بن جابر بن وهيب: يكنى أبا عبد الله، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدراً، واستعمله عمر على البصرة والياً، فهو الذي بصَّرها واختطَّها، ثم قدم على عمر فرده إلى البصرة والياً، فمات في الطريق سنة سبع عشرة، وقيل: خمس عشرة وهو ابن سبع وخمسين، وقيل: خمس وخمسين.

عن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذُكِر لنا أن الحجر يلقى في شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً، والله لتملأنه، أفعجبتم والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ الزحام، ولقد رأيتني وأنا سابع

---

١٥ ـ عبد الله بن جحش ـ رضي الله عنه ـ: الطبقات لابن سعد (٣/ ٩٠)، والحلية (١/ ١٠٨)، وانظر السير (١/ ١١٢)، أُسْد الغابة (٣٨٥٨)، الإصابة (٤٦٠١)، حلية الأولياء (١/ ١٠٨)، الاستيعاب (١٥٠٢).

(١) الاستيعاب (٣/ ١٤). (٢) الاستيعاب: الموضع السابق.

١٦ ـ عُتبة بن غزوان ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٠٤)، شذرات الذهب (١/ ٢٧)، تهذيب التهذيب (٧/ ١٠٠)، العبر (١/ ١٧)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣١٩)، تاريخ بغداد (١/ ١٥٥)، الحلية (١/ ١٧١)، الطبقات لابن سعد (٣/ ١/ ٦٩)، الاستيعاب (١٧٨٣)، الإصابة (٥٤٢٧)، أُسْد الغابة (٣٥٥٦).

سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قَرَحتْ أشداقنا، وإني التقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد فائتزر بنصفها وائتزرت بنصفها، فما أصبح منا أحد اليوم حياً إلا أصبح أمير مصر من الأمصار، واني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى تكون عاقبتها ملكاً، وستبلون، وستجربون الأمراء بعدنا. انفرد بإخراجه مسلم. وليس لعتبة في الصحيح غيره(١).

١٧ ـ مصعب بن عمير رضي الله عنه

ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، يكنى أبا محمد، دخل على رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكتم إسلامه، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سراً، فلما علموا به حبسوه فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم خرج في الهجرة الثانية، وكان من أنعم الناس عيشاً قبل إسلامه، فلما أسلم زهد في الدنيا فتحسف جلده تحسف الحية، وبعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن بايع الأنصار البيعة الأولى يفقههم ويقرئهم القرآن، وكان يأتيهم في دورهم فيدعوهم إلى الإسلام، فأسلم منهم خلق كثير، وفشا الإسلام فيهم، وكتب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه أن يجمّع بهم؟ فأذن له، فجمع بهم في دار خيثمة.

ثم قدم على رسول الله ﷺ مع السبعين الذين وافوه في العقبة الثانية، فأقام بمكة قليلاً، ثم قدم قبل رسول الله ﷺ المدينة. فهو أول من قدمها.

وعن ابن شهاب قال: لما بايع أهل العقبة رسولَ الله ﷺ ورجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام سراً، وتلوا عليهم القرآن، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك: أن ابعث إلينا رجلاً من قِبَلك، فليدعُ الناس بكتاب الله، فإنه قَمِنٌ أن يُتَّبع؟ فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعبَ بن عمير، فلم يزل يدعو آمِناً ويهدي الله تعالى على يده حتى قلَّ دارٌ من دور الأنصار إلا قد أسلم أشرافهم.

فأسلم عمرو بن الجموح، وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعز أهل المدينة، فرجع مصعب إلى رسول الله ﷺ. وكان يدعى المقرىء.

قال ابن شهاب: وكان أول من جمّع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله.

وعن البراء قال: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير.

وعن عمر بن الخطاب قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطّق به فقال النبي ﷺ: «انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نوّر الله قلبه؟ لقد رأيته بين أبوين يغذوانه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٧)، والترمذي (٢٥٧٥)، وابن ماجه (٤١٥٦).

١٧ ـ مُصْعَب بن عُمَير ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ١٤٥)، طبقات ابن سعد (٣/ ١١٦)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٩٦)، الحلية (١/ ١٠٦)، العبر (١/ ٥)، الإصابة (٨٠٢٠)، أسد الغابة (٤٩٣٦)، الاستيعاب (٢٥٨٣).

بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون»[(١)] .

وعن محمد بن شرحبيل قال: حمل مصعب اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قميئة فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه، فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه[(٢)] .

وكان مصعب رقيق البشرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، [قُتِل][(٣)] وهو ابن أربعين سنة أو يزيد شيئاً.

وقال ابن سعد: وقال عبد الله بن الفضل: قتل مصعب وأخذ اللواء ملَكٌ في صورته، فجعل النبي ﷺ يقول له في آخر النهار: «تقدم يا مصعب» فالتفت إليه الملَك وقال: لست بمصعب! فعرف النبي ﷺ أنه ملَك أُيِّد به[(٤)] .

وعن عبيد بن عمير قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من أحد مر على مصعب بن عمير مقتولاً على طريقه، فقرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وعن خباب قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله عز وجل فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئاً؛ منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد فلم نجد له شيئاً نكفنه فيه إلا نَمِرَة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه! فأمرنا رسول الله أن نغطي بها رأسه، ونجعل على رأسه إذخراً، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها. أخرجاه في الصحيحين[(٥)] .

١٨ ـ عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه

أخو سعد: عن عامر بن سعد عن أبيه قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ، للخروج إلى بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة؟ قال: فعُرِض على رسول الله ﷺ فاستصغره. فقال: «ارجع». فبكى عمير، فأجازه رسول الله ﷺ[(٦)] .

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٧٦) بمعناه، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٥/ ١٧٧).

(٢) انظر الطبقات لابن سعد (٣/ ١٢١).

(٣) في المطبوع «وقيل».

(٤) انظر الطبقات في الموضع السابق، والاستيعاب (٥/ ١٧٧).

(٥) أخرجه البخاري (١٢٧٦) و(٣٨٩٧) و(٣٩١٤)، ومسلم (٩٤٠)، والترمذي (٣٨٥٣). قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه على مسلم (٧/ ٩): يَهْدُبها: يجنيها. اهـ.

١٨ ـ عُمَير بن أبي وقّاص [عُمَير بن مالك] ـ رضي الله عنه ـ: الاستيعاب (٣/ ٢٩٤ برقم ٢٠١٩)، المسند لأحمد (١/ ١٨٣)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٥٥) و(٣/ ١٤٩) و(٣/ ١٤٦).

(٦) انظر الطبقات لابن سعد (٣/ ١٤٩).

قال سعد: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ودّ[١]. والسلام.

١٩ ـ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

ويكنى أبا عبد الرحمن، أمه أم عبد، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، ويقال: كان سادساً في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وكان صاحب سر رسول الله ﷺ ووساده وسواكه ونعليه وطهوره في السفر، وكان يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودلّه وسمته، وكان خفيف اللحم، قصيراً، شديد الأدمة، وكان من أجود الناس ثوباً، ومن أطيب الناس ريحاً، وولي قضاء الكوفة وبيت المال لعمر وصدراً من خلافة عثمان، ثم صار إلى المدينة، فمات بها سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع، وهو ابن بضع وستين.

عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر وقد نَفَرا من المشركين فقالا: «يا غلام هل عندك من لبن تسقينا؟» فقلت: إني مؤتَمَنٌ ولست ساقيكما! فقال النبي ﷺ: «هل عندك من جذعة لم ينزُ عليها الفحل؟» قلت: نعم. فأتيتهما بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح الضرع، ودعا، فحفل الضرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فاحتلب فيها فشرب أبو بكر، ثم شربت، ثم قال للضرع: «اقلص» فقلص. قال: فأتيته بعد ذلك فقلت: علمني من هذا القول؟ قال: «إنك غلام مُعلَّم». فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد[٢].

وعن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال: قال عبد الله بن مسعود: لقد رأيتني سادس ستة وما على وجه الأرض مسلم غيرنا[٣].

ذكر قربه من رسول الله ﷺ

قال أبو موسى الأشعري: لقد رأيت رسول الله ﷺ وما أرى إلا ابن مسعود من أهله. وعن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عبد الله يُلبس رسولَ الله ﷺ نعليه، ثم يمشي أمامه بالعصا حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه، وأعطاه العصا، فإذا أراد رسول الله ﷺ أن يقوم ألبسه نعليه، ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله.

---

(١) انظر الطبقات (٣/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨).

١٩ ـ عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١)، شذرات الذهب (١/ ٣٨)، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٧)، العبر (١/ ٣٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣١)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٤)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٨٨)، تاريخ بغداد (١/ ١٤٧)، حلية الأولياء (١/ ١٢٤)، طبقات ابن سعد (٣/ ١٥٠)، أُسد الغابة (٣١٨٢)، الإصابة (٤٩٧٠)، الاستيعاب (١٦٧٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٦٢)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٣٣).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣١٢).

وعن أبي المليح عن عبد الله: أنه كان يوقظ رسول الله ﷺ إذا نام، ويستره إذا اغتسل، ويمشي معه في الأرض وحشاً[١].

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد: أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواك والنعلين.

ذكر شبهه برسول الله ﷺ

عن علقمة قال: كان عبد الله يُشبَّه بالنبي ﷺ في هديه ودلِّه، وكان علقمة يُشَبَّه بعبد الله.

وعن عبد الله بن يزيد قال: أتينا حذيفة فقلنا له: حدثنا بأقرب الناس برسول الله ﷺ هديا وسَمْتاً ودَلاًّ؛ نأخذ عنه ونسمع منه؟ قال: كان أقرب الناس برسول الله هدياً وسمتاً ودلاً عبد الله بن مسعود حتى يتوارى عنا في بيته، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفى. والسلام.

ذكر ثناء الرسول ﷺ على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر وهو بعرفة فقال: جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلبه. فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل فقال: من هو؟ ويحك! قال: عبد الله بن مسعود. فما زال يُطفأ ويسير عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه وسأحدثك عن ذلك:

كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في [أمر[٢]] من أمر المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله ﷺ يستمع قراءته، فلما كدنا نعرفه قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أُنزِل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد». قال: ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله ﷺ يقول له: «سل تعطه، سل تعطه».

قال عمر: قلت: والله لأغدون عليه فلأُبشرنه. قال: فغدوت عليه فبشرته فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره، ولا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه. رواه الإمام أحمد[٣].

وروي عن زر بن حبيش عن ابن مسعود: أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون؟» قالوا: يا نبي الله من دِقَّة ساقيه! فقال: «والذي نفسي بيده لَهما أثقلُ في الميزان من أُحُد»[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٨٣).
وحشاً أي: يمشي وحده ليس معه غيره كما قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ١٦٠).

(٢) في صحيح ابن خزيمة «في الأمر».

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٥ و٣٨) وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٨٦).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ١١٤).

ذكر ثناء الناس عليه وكثرة علمه رضي الله عنه

عن زيد بن وهب قال: أقبل عبد الله ذات يوم وعمر جالس فقال: كُنَيْفٌ[(١)] مليء علماً.

وعن الشعبي قال: ذكروا أن عمر بن الخطاب لقي ركباً في سفر له، فيهم عبد الله بن مسعود فأمر عمر رجلاً يناديهم: من أين القوم؟ فأجابه عبد الله: أقبلنا من الفج العميق. فقال عمر: أين تريدون؟ فقال عبد الله: البيت العتيق. فقال عمر: إن فيهم عالماً. وأمر رجلاً فناداهم: أي القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. حتى ختم الآية. قال: نادهم أيُّ القرآن أحكم؟ فقال: ابن مسعود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] فقال عمر: نادِهم أي القرآن أجمع؟ فقال ابن مسعود: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] فقال عمر: نادِهم أي القرآن أخوف؟ فقال ابن مسعود: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] فقال عمر: نادهم أي القرآن أرجى؟ فقال ابن مسعود: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣]. فقال عمر: نادِهم: أفيكم ابن مسعود؟ قالوا: اللّهم نعم[(٢)].

وعن أبي البختري قال: سئل علي عليه السلام عن أصحاب محمد ﷺ؟ فقال: عن أيهم تسألون؟ قالوا: أخبرنا عن عبد الله بن مسعود. قال: عَلِم القرآن وعَلِم السنة، ثم انتهى وكفى به علماً[(٣)].

وعن أبي الأحوص قال: شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين مات ابن مسعود وأحدهما يقول لصاحبه: أتراه ترك مثله؟ قال: إن قلت ذاك، إن كان لَيُؤْذَنُ له إذا حُجبنا، ويشهد إذا غبنا. رواه أحمد[(٤)].

وعن عامر قال: قال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر فيكم ـ يعني ابن مسعود ـ.

وعن شقيق قال: كنت قاعداً مع حذيفة فأقبل عبد الله بن مسعود فقال حذيفة: إن أشبه الناس هدياً ودلاً برسول الله من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع ـ ولا أدري ما يصنع في أهله ـ لعبدُ الله بن مسعود، والله لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أنه من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة.

وعن مسروق قال: قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت؟ وإلا أنا أعلم فيمَ نزلت؟ ولو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المَطِيُّ لأتيته.

---

(١) كُنَيْف: تصغير كنف، وهو: الوعاء.

(٢) أخرجه المقدسي في المختارة (٢/ ١٢٣)، وذكره الذهبي في السير (١/ ٤٩١). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣١٨) بنحوه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٣٩٠) والفاكهي في أخبار مكة (١/ ٣٩٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٦١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٩٠) والنسائي في فضائل الصحابة (٤٧) ولم أجده في المسند.

وعن تميم بن حذلم قال: جالست أصحاب النبي ﷺ أبا بكر وعمر، وما رأيت أحداً أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أحب إلي أن أكون في مسلاخه منك يا عبد الله بن مسعود.

وعن مسروق قال: شاممت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر منهم عمر، وعلي، وعبد الله، وأُبَيّ بن كعب، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت، ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين: عليّ وعبد الله.

وعنه قال: جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله من ذلك الإخاذ[1].

ذكر تعبّده رضي الله عنه

عن زر عن عبد الله: أنه كان يصوم الإثنين والخميس.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: ما رأيت فقيهاً قط أقل صوماً من عبد الله! فقيل له: لم لا تصوم؟ قال: إني أختار الصلاة على الصوم، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة.

وعن محارب بن دثار عن عمه محمد قال: مررت بابن مسعود بسَحَرٍ وهو يقول: اللّهم دعوتني فأجبتك، وأمرتني فأطعتك، وهذا سَحَرٌ فاغفر لي. فلما أصبحت غدوت عليه فقلت له؟ فقال: إن يعقوب لما قال لبنيه: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ﴾ [يوسف: ٩٨] أخرهم إلى السحر[2].

ذكر ورعه رضي الله عنه

عن عمرو بن ميمون قال: اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله ﷺ، ولا يقول فيها قال رسول الله! إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه: قال رسول الله ﷺ. فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته، ثم قال: إن شاء الله تعالى، إما فوق ذلك، وإما قريب من ذلك، وإما دون ذلك.

ذكر شدة خوفه وبكائه رضي الله عنه

عن مسروق قال: قال رجل عن عبد الله: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحبُّ إليّ! فقال عبد الله: لكن هاهنا رجل ودّ أنه إذا مات لا يُبعث ـ يعني نفسه ـ.

وعن جرير ـ رجل من بجيلة ـ قال: قال عبد الله: وددت أني إذا مت لم أبعث.

وعن الحسن قال: قال عبد الله بن مسعود: لو وقفت بين الجنة والنار فقيل لي: اختر نخيِّرك من أيهما تكون أحب إليك؟ أو تكون رماداً؟ لأحببت أن أكون رماداً.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٤٣). الإخاذ: مَجْتَمع الماء شبيه بالغدير، وجمعه: أُخُذ. ا.هـ الغريب لابن سلام (٤/ ٣٦٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٦٤). فقلت له: أي فقلت له سائلاً عما فعل.

وعن أبي وائل قال: قال عبد الله: وددت أن الله غفر لي ذنباً من ذنوبي وأنه لا يُعرف نسبي.

وعن زيد بن وهب: أن عبد الله بكى حتى رأيته أخذ بكفه من دموعه فقال به: هكذا.

ذكر تواضعه رضي الله عنه

عن حبيب بن أبي ثابت قال: خرج ابن مسعود ذات يوم فاتّبعه ناسٌ، فقال لهم: ألكم حاجة؟ قالوا: لا، ولكن أردنا أن نمشي معك. قال: ارجعوا، فإنه ذِلَّةٌ للتابع وفتنة للمتبوع.

وعن الحارث بن سويد قال قال عبد الله: لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثيتم على رأسي التراب.

ذكر إيثاره ثواب الآخرة على شهوات النفس

عن الأحوص الجشمي قال: دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون له: ثلاثة غلمان، كأنهم الدنانير حسناً، فجعلنا نتعجب من حسنهم! فقال لنا: كأنكم تغبطوني بهم؟ قلنا: إي والله بمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم. فرفع رأسه إلى سقف بيت له صغير قد عشش فيه خطّاف وباض، فقال: والذي نفسي بيده لأن أكون قد نفضت يدي عن تراب قبورهم أحب إلي أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه.

وعن قيس بن جبير قال: قال عبد الله: حبذا المكروهات: الموت، والفقر، وايم الله إنْ هو إلا الغنى والفقر، وما أبالي بأيهما بليت، إن حق الله في كل واحد منهما واجب، وإن كان الغنى ففيه العطف، وإن كان الفقرُ إنّ فيه الصبر[(١)].

وعن الحسن قال: قال عبد الله بن مسعود: ما أبالي إذا رجعت إلى أهلي على أي حال أراهم: بخير؟ أو بشر؟ أم بضر؟ وما أصبحت على حالة فتمنيت أني على سواها.

ذكر جملة من مناقبه وكلامه رضي الله عنه

عن عبد الله بن مرادس قال: كان عبد الله يخطبنا كل خميس، فيتكلم بكلمات فيسكت حين يسكت ونحن نشتهي أن يزيدنا.

وعن عبد الله بن وليد قال: سمعت عبد الرحمن بن حجيرة يحدث عن أبيه عن ابن مسعود: أنه كان يقول إذا قعد يذكر: إنكم في ممر من الليل والنهار، في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيراً فيوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً فيوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يَسْبِقُ بطيءٌ بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدّر له، فإن أعطي خيراً فالله أعطاه، ومن وقي شرا فالله وقاه. المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالسهم زيادة. رواه الإمام أحمد[(٢)].

وعن الأحوص عن عبد الله: أنه كان يوم الخميس قائماً فيقول: إنما هما اثنتان الهدي والكلام وأفضل الكلام كلام الله، وأفضل الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٠٥) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٤) وذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ١٨٩).

بدعة، فلا يطولن عليكم الأمد، ولا يلهينكم الأمل، فإن كل ما هو آت قريب، ألا وإن بعيداً ما ليس آتياً، ألا وإن الشقي من شقي في بطن أمه، وإن السعيد من وُعِظ بغيره، ألا وإن قتال المسلم كفر، وسبابه فسوق، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام حتى يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه ويعوده إذا مرض، ألا وإن شر الروايا روايا الكذب، ألا وإن الكذب لا يصلح منه هزل ولا جد، ولا أن يَعِدَ الرجل صبيه شيئاً، ثم لا ينجزه له. ألا وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة. ألا وإنه يقال للصادق: صدق وبرّ، ويقال للفاجر كذب وفجر، ألا وإنّ محمداً ﷺ حدثنا أن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله عز وجل صدّيقاً، ويكذب حتى يكتب عند الله عز وجل كذّاباً. ألا وهل أنبئكم ما العَضَهُ؟ قيل: وما هي؟ قال: هي النميمة التي تفسد بين الناس.

وعن عبد الرحمن بن عابس قال: قال عبد الله بن مسعود: إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ، وخير الهدي هدي الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ونفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وخير ما أُلقي في القلب اليقينُ، والريب من الكفر، وشر العمى عمى القلب، والخمر جماع الإثم، والنساء حبالة الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، والنَّوح من علم الجاهلية، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً، ولا يذكر الله إلا هجراً، وأعظم الخطايا الكذب، وسباب المسلم فسوق، وقتله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعقبه الله، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وُعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يكفي أحدهم[١] ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع. والأمر إلى آخرهم، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وأشرف الموت قتل الشهداء، ومن يعرف البلاء يصبر عليه، ومن لا يعرفه ينكره ومن يستكبر يضعه الله، ومن يتول الدنيا تعجز عنه، ومن يطع الشيطان يعص الله، ومن يعص الله يعذّبه[٢].

وعن المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود قال: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرَف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس فرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حليماً حكيماً سكّيتاً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا سخّاباً ولا صيّاحاً ولا حديداً. رواه الإمام أحمد[٣].

وعن الأعمش قال: كان عبد الله يقول لإخوانه: أنتم جلاء قلبي.

---

(١) في مصنف ابن أبي شيبة «أحدكم».

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٩٦ - ٩٧).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٢٩٠) وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٣١) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٠).

وعن أبي اياس البجلي قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: من تطاول تعظّماً، خفضه الله ومن تواضع تخشّعاً رفعه الله، وإن للملَك لمّة، وللشيطان لمّة. فلمّةُ الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فإذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله عز وجل، ولمة الشطان إيعادٌ بالشر وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله.

وعن عمران بن أبي الجعد عن عبد الله قال: إن الناس قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن لا يوافق قوله فعله فذاك الذي يوبخ نفسه.

وعن خيثمة قال: قال عبد الله: لا ألفين أحدكم جيفةَ ليلٍ قطربَ نهار(١).

وعن المسيب بن رافع قال: قال عبد الله بن مسعود: إني لأبغض الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة. رواه الإمام أحمد.

وروي أيضاً عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله إلا بعداً.

وروي عن عمر بن ميمون عن ابن سعود قال: إن الشيطان أطاف بأهل مجلس ذِكرٍ ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى على حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا، فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا.

وعن موسى بن أبي عيسى المزني قال: قال عبد الله بن مسعود: من اليقين أن لا يُرضى الناسُ بسخط الله(٢)، ولا تحمدن أحداً على رزق الله، ولا تلومن أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله لا يسوقه حرصُ الحريص، ولا يرده كره الكاره، وإن الله بقسطه وحكمه وعدله وعلمه جعل الرَّوح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط.

وعن مرة عن عبد الله قال: ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له.

وعن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعد قالا: قال عبد الله: إني لأحسب الرجل يُنسّى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها. رواه الإمام أحمد.

وعن إبراهيم بن عيسى عن عبد الله بن مسعود قال: كونوا ينابيعَ العلم، مصابيحَ الهدى أحلاس البيوت، سرج الليل، جدد القلوب، خلقان الثياب، تُعرَفون في أهل السماء، وتخفون في أهل الأرض.

وعن مسروق قال: قال عبد الله: إذا أصبحتم صياماً فأصبحوا مدهنين. رواه الإمام أحمد.

---

(١) أي: يسعى طول نهاره لدنياه، وينام طول ليله كالجيفة التي لا تتحرك اهـ. ابن الأثير في النهاية (١/ ٣٢٥) وقال (٤/ ٨١): القُطْرب: دُوَيبة لا تستريح نهارها سعياً. شبّه بها الرجل يسعى نهاره في حوائج دنياه. فإذا أمسى كان كالاً تعباً فينام ليلته حتى يصبح كالجيفة التي لا تتحرك والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٥٢).

(٢) في الحلية (١٠/ ٤١): «أن لا ترضي الناس...».

وروي عن أبي وائل قال: قال عبد الله: أنذرتكم بلوغ القول، بحسب أحدكم ما أبلغ حاجته.

وعن معن قال: قال عبد الله بن مسعود: إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإن للقلوب فترة وإدباراً فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وادبارها.

وعن عون بن عبد الله قال: قال عبد الله: ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشيةُ.

وعن منذر قال: جاء ناس من الدهاقين إلى عبد الله بن مسعود فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم! فقال عبد الله: إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسماً وأمرضه قلباً، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلباً وأمرضه جسماً، وايم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجُعلان.

وعن عوف بن عبد الله قال قال عبد الله بن مسعود: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته[1] حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء. قال: ففسرها أصحاب عبد الله قالوا: حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام، والتواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصية الله، وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء. رواه الإمام أحمد.

وعن طارق بن شهاب عن عبد الله قال: إن الرجل يخرج من بيته ومعه دِينُه، فيرجع وما معه شيء، يأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً، فيقسم له بالله: إنك لذيتَ وذيتَ، فيرجع وما حُبي من حاجته بشيء، ويسخط الله عليه.

وعن إبراهيم قال: قال عبد الله بن مسعود: الإثم حوّاز القلوب، وما كان من نظرة فإن للشيطان فيها مطمعاً.

وعنه عن عبد الله قال: مع كل فرحة ترحة، وما مليء بيت حبرة إلا مليء عبرة. رواه أحمد.

وعن الضحاك بن مزاحم قال: قال عبد الله، ما منكم إلا ضيف، ومالُه عارية، فالضيف مرتحل والعارية مؤدّاة إلى أهلها.

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن علّمني كلمات جوامع نوافع؟ فقال له عبد الله: لا تشرك به شيئاً، وزُلْ مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضاً، ومن جاءك بالباطل فاردده عليه وإن كان حبيباً قريباً.

وعن مالك بن مغول قال: قال عبد الله بن مسعود: يكون في آخر الزمان أقوام أفضل أعمالهم التلاؤم بينهم، يسمون الإنتان.

وعن خيثمة قال: قال عبد الله: إذا أحب الرجل أن ينصف من نفسه فليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه.

---

(١) أي: لا يُصل إلى ذروة الإيمان وقمته حتى..

وروي أيضاً عن خيثمة قال: قال عبد الله: الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وَبيءٌ، ورب شهوة تورث حزناً طويلاً.

وعن عنبس بن عقبة قال: قال عبد الله بن مسعود: والله الذي لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أُذِن بهلاكها.

وعن أبي عبيدة قال: قال عبد الله: من استطاع منكم أن يجعل كنزه في السماء حيث لا تأكله السوس ولا يناله السرّاق فليفعل، فإن قلب الرجل مع كنزه.

وعن القاسم قال: قال رجل لعبد الله: أوصني يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ليسعك بيتك، واكفف لسانك، وابكِ على ذكر خطيئتك.

وعن عبد الرحمن بن زيد عن عبد الله قال: أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا أفضل منكم. قيل له: بأي شيء؟ قال: إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم.

وعن زاذان عن عبد الله بن مسعود قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: أدِّ أمانتك. فيقول: من أين يا رب، قد ذهبت الدنيا؟ فتُمَثَّل على هيئتها يوم أخذها في قعر جهنم، فينزل فيأخذها فيضعها على عاتقه فيصعد بها حتى إذا ظن أنه خارج بها هوى في إثرها أبد الآبدين.

وعن أبي الأحوص عن عبد الله قال: لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً فإن آمن آمن، وإن كفر كفر! وإن كنتم لا بد مقتدين فاقتدوا بالميت، فإن الحي لا تُؤمَن عليه الفتنة[1].

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: لا تكونن إِمَّعة! قالوا: وما الإمعة؟ قال: يقول: أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت!! ألا ليوطنن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر.

وعن سليمان بن مهران قال: بينما ابن مسعود يوماً معه نفر من أصحابه إذ مر أعرابي فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود: على ميراث محمد ﷺ يقتسمونه.

وعن خيثم بن عمرو: أن ابن مسعود أوصى أن يكفن في حلة بمائتي درهم.

وقد سبق ذكر وفاته وموضع دفنه في أول أخباره.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٥٢) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٠) وأخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٦) بلفظ: «ألا لا يقلدن رجلٌ رجلاً دينَه. . .».

٢٠ ـ المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك رضي الله عنه

كان حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية فتبنّاه، فكان يقال له: المقداد بن الأسود. فلما نزل قوله تعالى ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥] قيل: المقداد بن عمرو.

وشهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وكان طويلاً آدم، ذا بطنٍ، كثير شعر الرأس، أعين، مقرون الحاجبين، أقنى، يصفر لحيته.

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال: أول من عدا به فرسُه في سبيل الله المقداد بن الأسود.

وقال علي عليه السلام: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد.

وعن طارق بن شهاب قال: قال عبد الله: لقد شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به! أتى النبيَّ ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: والله يا رسول الله لا نقول كما قالت: بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن يسارك، وبين يديك، ومن خلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره ذلك. رواه الإمام أحمد(١).

وعن أنس قال: بعث النبي ﷺ المقداد على سرية، فلما قدم قال له: «أبا معبد كيف وجدت الإمارة؟» قال: كنت أحمل وأُوضع حتى رأيت أنّ لي على القوم فضلاً. قال: «هو ذاك، فخذ أو دَعْ». قال: والذي بعثك بالحق لا أتأمر على اثنين أبداً(٢).

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد يوماً فمر به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لودِدنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت. فاستغضب. فجعلت أعجب! ما قال إلا خيراً. ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيّبه الله عنه؟ ما يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟ والله لقد حضر رسولَ الله ﷺ أقوامٌ كبّهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدّقوه، أَوَلا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم؛ مصدقين بما جاء به نبيكم؟ ولقد كفيتم البلاء بغيركم؟ والله لقد بعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافراً، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار فلا تقرّ عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار، وإنها للتي قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ [الفرقان: ٧٤].

---

٢٠ ـ المقداد بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٥)، شذرات الذهب (١/ ٣٩)، تهذيب التهذيب (٩/ ٢٧٣)، الأسماء واللغات (٢/ ١١١)، الحلية (١/ ١٧٢)، طبقات ابن سعد (٣/ ١٦١)، الإصابة (٨٢٠١)، والاستيعاب (٢٥٩١)، أسد الغابة (٥٠٧٦).

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٢) وأحمد (١/ ٣٨٩) والطبراني في الكبير (١٠/ ٢١٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٤٩)، وصححه، ووافقه الحافظ.

ذكر وفاته رضي الله عنه

قال أهل السِّيَر: شرب المقداد دُهن الخَرْوَع فمات، وذلك بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة، فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن سبعين سنةً أو نحوها.

٢١ ـ خَبَّاب بن الأَرَتِّ بن جندلة رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الله، أصابه سِباء فبِيعَ بمكة، واشترته أم أنمار، وأسلم خباب قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وقيل: كان سادس ستة الإسلام، له سدس الإسلام.

وعن طارق بن شهاب قال: جاء خباباً نفرٌ من أصحاب محمد ﷺ فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله، إخوانُك تقدم عليهم غداً! فبكى وقال: أما إنه ليس بي جزع، ولكن ذكّرتموني أقواماً، وسمّيتم لي إخواناً، وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هي، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم.

وعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: دخلنا على خباب بن الأرت في مرضه فقال: إن في هذا التابوت ثمانين ألف درهم، والله ما شددت لها من خيط، ولا منعتها من سائل. ثم بكى فقيل: ما يبكيك؟ فقال: أبكي أن أصحابي مضوا ولم تُنْقِصهم الدنيا شيئاً، وإنّا بقينا بعدهم حتى ما نجد موضعاً إلا التراب.

وعن قيس بن أبي حازم قال: أتينا خبّاب بن الأرت نعوده وقد اكتوى في بطنه سبعاً، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعوا بالموت لدعوت به، فقد طال مرضي.

ثم قال: إن أصحابنا الذين مضوا لم تُنقِصهم الدنيا شيئاً، وإنا أُعطِينا بعدَهُم ما لا نَجد لَهُ مَوضِعاً إِلا التراب، وشكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّد برداً له في ظل الكعبة فقلنا: يا رسول الله ألا تستنصر الله لنا؟ فجلس محمراً وجهه فقال: «والله لقد كان مَن قبلكم يؤخذ فتُجعل المناشير على رأسه فيفرق فرقتين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت لا يخاف إلا الله تبارك وتعالى والذئب على غنمه». أخرجاه في الصحيحين(١).

وعن طارق بن شهاب قال: كان خبّاب من المهاجرين الأولين، وكان ممن يُعذَّب في الله عز وجلّ.

وعن الشعبي قال: سأل عمرُ خباباً: عما لقي من المشركين؟

---

٢١ ـ خبَّاب بن الأَرَتّ ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٢٢١٥)، أُسْد الغابة (١٤٠٧)، الاستيعاب (٦٤٦)، طبقات ابن سعد (٣/ ١٦٤)، تهذيب الكمال (٣٧٣)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٧٥)، العبر (١/ ٤٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ١٣٣) شذرات الذهب (١/ ٤٧)، وانظر: السير (١/ ١٤٦).

(١) أخرجه البخاري (٦٩٤٣)، والطبراني في الكبير (٤/ ٦٣)، وأحمد (٥/ ١١٠).

فقال خبّاب: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري. فقال عمر: ما رأيت كاليوم! قال: أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا وَدَكُ[١] ظهري.

ذكر وفاته رضي الله عنه

توفي خبّاب بالكوفة سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وصلى عليه علي بن أبن طالب حين منصرفه من صفين، وهو أول من قُبر بظهر الكوفة.

٢٢ ـ صهيب بن سنان رضي الله عنه

ابن مالك بن النمر بن قاسط، سُبِيَ وهو غلام فنشأ بالروم، فابتاعته منهم كلب، فقدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه، وأسلم قديماً، وكان من المستضعفين المعذبين في الله تعالى، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو من السابقين الأولين، وهو سابق الروم، وأمره عمر أن يصلي بالناس في زمن الشورى، فقدموه فصلى على عمر، وكان أحمر شديد الحمرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، كثير شعر الرأس، يخضب بالحناء.

عن سعيد بن المسيب قال: لما أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ وتبعه نفر من قريش، نزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وايم الله لا تصلون إليَّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، افعلوا ما شئتم! وإن شئتم دللتكم على مالي وثيابي بمكة وخليتم سبيلي؟ قالوا: نعم. فلما قدم على رسول الله ﷺ المدينة قال: «ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى». ونزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧][٢].

وعن صهيب قال: لم يشهد رسول الله ﷺ مشهداً قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة إلا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاةً قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو عن شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله ﷺ.

ذكر وفاته رضي الله عنه

توفي صهيب بالمدينة في شوال سنة ثمان وثلاثون وهو ابن سبعين سنة.

---

(١) دهن ظهري.

٢٢ ـ صُهَيب بن سِنان الروميّ ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧)، تهذيب الكمال (٦١٣)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٨٥)، طبقات ابن سعد (٣/ ٢٢٦)، العبر (١/ ٤٤)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٣٨)، شذرات الذهب (١/ ٤٧)، الإصابة (٤١٢٤)، الاستيعاب (١٢٣١)، أُسْد الغابة (١٥٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣٦) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٥١).

٢٣ ـ عامر بن فهيرة رضي الله عنه

مولى أبي بكر رضي الله عنهما، يكنى أبا عمر، واشتراه أبو بكر وأعتقه قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، فكان من المستضعفين يعذَّب بمكة ليرجع عن دينه، وشهد بدراً وأُحداً، وقُتل يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة وهو ابن أربعين سنة.

قال العلماء بالسِّيَرِ: طعنه جبار بن سلمى فأنفذه، فقال عامر: فزتُ ـ والله ـ جبارُ.

أما قوله: «فزت والله» قالوا: بالجنةَ ـ فأسلم جبار، ولم يوجد عامر[١]، قال عروة بن الزبير: يرون أن الملائكة دَفَنَتْهُ.

روى البخاري عن عائشة قالت: لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبل، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، ويدلج من عندهما بسَحَرٍ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحةً من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل ـ وهو لبن منحتهما ـ حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلسٍ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث[٢].

وعن عائشة قالت: لم يكن مع رسول الله ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة إلا أبو بكر، وعامر بن فهيرة، ورجل من بني الديل دليلهم[٣].

وعن الزهري قال: أخبرني ابن كعب بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ إلى بني سليم نفراً فيهم عامر بن فهيرة، فاستجاش عليهم عامر بن الطفيل، فأدركوهم ببئر معونة فقتلوهم. قال الزهري: فبلغني أنهم التمسوا جسد عامر بن فهيرة فلم يقدروا عليه. قال: فيرون أن الملائكة دفنته[٤].

وعن عروة: أن عامر بن الطفيل كان يقول عن رجل منهم: لما قتل رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونَهُ؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة[٥].

٢٤ ـ بلال بن رباح مولى أبي بكر رضي الله عنه

اسم أمه حمامة، أسلم قديماً فعذبه قومه وجعلوا يقولون له: ربُّك اللات والعزى. وهو يقول:

---

٢٣ ـ عامر بن فهيرة ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٤٤٣٣)، أُسْد الغابة (٢٧٢٤)، الاستيعاب (١٣٤٦)، الحلية (١/ ١٠٩)، تهذيب التهذيب (٥/ ٦٩)، طبقات ابن سعد (٣/ ٢٣٠).

(١) كذا في الأصول والذي في طبقات ابن سعد الكبرى (٣/ ٢٣١): طعن جبار بن سلمى عامر بن فهيرة فأنفذه، فقال عامر: فزت والله! قال: وذهب بعامر علواً في السماء... وسأل جبار بن سلمى: ما قوله «فزتُ والله»؟ قالوا: الجنة. فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر بن فهيرة. وحسن إسلامه ا. هـ. وهو نصّ واضح لا إشكال فيه ولا اضطراب.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٩٣)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٨٣)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ١٠٧).

(٣) الطبقات الكبرى (١/ ٢٢٩)، والمصادر السابقة في التعليق الذي قبله.

(٤) الطبقات الكبرى (٢/ ٥٤) و(٤/ ٢٣١).

(٥) المصدر السابق نفسه.

٢٤ ـ بلال بن رَباح ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٧)، تهذيب ابن عساكر (٣/ ٣٠٤)، طبقات ابن سعد =

أحد أحد. فأتى عليه أبو بكر فاشتراه بسبع أواقٍ، وقيل: بخمس، فأعتقه فشهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

وهو أول من أذّن لرسول الله ﷺ، كان يؤذن له حضراً وسفراً، وكان خازنه على بيت ماله، وكان آدم شديد الأدمة، نحيفاً، طُوالاً، أجنأ، له شعر كثير، خفيف العارضين، به شمط كثير لا يغيره.

عن مجاهد قال: إن أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وبلال وصهيب، وخباب، وعمار، وسمية أم عمار. فأما رسول الله ﷺ فمنعه عمه، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأُخذ الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم ما بلغ، فأعطوهم ما سألوا، فجاء إلى كل رجل منهم قومُه بأنطاع الأدم فيها الماء وألقوهم فيه وحملوا بجوانبه إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله حتى ملوه وجعلوا في عنقه حبلاً، ثم أمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أخشبي مكة، فجعل بلال يقول: أحد أحد. وقد روي هذا عن ابن مسعود إلا أنه جعل مكان خباب: المقداد(١).

عن زر بن حبيش، عن عبد الله، قال: كان أول من أظهر إسلامه: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سميّة، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله عز وجل، وهان على قومه، فأعطوه الولدانَ، فأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول أحد أحد. رواه الإمام أحمد(٢).

وعن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذب، وهو يقول: أحد أحد. فيقول: أحَدْ أحَدْ الله يا بلال، ثم أقبل ورقة على أمية بن خلف وهو يصنع ذلك ببلال فيقول: أحلف بالله عز وجل إن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً. حتى مر به أبو بكر الصديق يوماً وهم يصنعون ذلك به فقال لأمية: ألا تتقي الله عز وجل في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت أفسدته؛ فأنقذه مما ترى؟ قال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلت. قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، فأخذ أبو بكر بلالاً فأعتقه، ثم أعتق معه ـ على الإسلام قبل أن يهاجر من مكة ـ ست رقابٍ؛ بلالٌ سابعهم.

قال محمد بن إسحاق: وكان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر

= (٣/ ٢٣٢)، شذرات الذهب (١/ ٣١)، تهذيب التهذيب (١/ ٥٠٢)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣١)، العبر (١/ ٢٤)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٣٦)، الحلية (١/ ١٤٧)، الإصابة (٧٣٦)، الاستيعاب (٢١٤)، أسد الغابة (٤٩٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٠٤) وفضائل الصحابة (١/ ١٨٢) وابن سعد (٣/ ١/ ١٦٦) والحاكم (٣/ ٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٤)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٥٨).

بمحمد وتعبد اللات والعزى. فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد[١].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال عمر رضي الله عنه: كان أبو بكر سيدنا وأعتق بلالاً سيدنا.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «بلال سابق الحبشة»[٢].

عن القاسم بن عبد الرحمن قال: أوّل من أذن بلال.

وعن أبي عبد الله الهوزني قال: لقيت بلالاً فقلت: يا بلال حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان له شيء، كنت أنا الذي ألي له ذلك منذ بعثه الله عز وجل حتى توفي، وكان إذا أتاه الرجل المسلم فرآه عارياً يأمرني فأنطلق فأستقرض وأشتري البردة فأكسوه وأطعمه.

وعن عبد الله قال: دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صُبرة من تمرٍ، قال: «ما هذا يا بلال؟» قال: يا رسول الله ادّخرته لك ولضيفانك. فقال: «أما تخشى أن يكون له بخار في النار؟ أنفق بلالُ ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً»[٣].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أُخِفت في الله وما يخافُ أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون ما بين ليلة ويومٍ ما لي ولبلال طعامٌ يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال». رواه الترمذي[٤].

وعن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي يقول: أصبح النبي ﷺ فدعا بلالاً فقال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قطُ إلا سمعت خشخشتك أمامي، إني دخلت البارحة فسمعت خشخشتك». قال: ما أحدثت إلا توضأت وصليت ركعتين. فقال رسول الله ﷺ: «بهذا»[٥].

قال محمد بن إبراهيم التيمي: لما توفي رسول الله ﷺ أذّن بلال ورسول الله ﷺ لم يُقبر، فكان إذا قال: أشهد أن محمداً رسول الله، انتحب الناس في المسجد، فلما دفن رسول الله ﷺ قال له أبو بكر: أذّن يا بلال. فقال: إن كنتَ إنما أعتقتني لأكون معك فسبيل ذلك، وإن كنت أعتقتني لله فخلّني ومن أعتقتني له! فقال: ما أعتقتك إلا لله. قال: فإني لا أؤذن لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ. قال: فذاك إليك.

قال: فقام حتى خرجت بعوث الشام فخرج معهم حتى انتهى إليها[٦].

وعن سعيد بن المسيب قال: لما كانت خلافة أبي بكر تجهز بلال ليخرج إلى الشام فقال له أبو بكر: ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذا الحال، لو أقمت معنا فأعنتنا؟. قال: إن كنت إنما أعتقتني

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٣٣٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٢٣٢) و(٧/ ٣٨٦)، الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٨٥).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٨٦) والكبير (١/ ٣٤٠) والبيهقي في الشعب (٢/ ١١٨) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٢٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٧٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٣٣٧).

(٦) المصدر السابق نفسه.

لله عز وجل فدعني أذهب إليه، وإن كنت إنما أعتقتني لنفسك فاحبسني عندك. فأذن له فخرج إلى الشام فمات بها.

قال الشيخ رحمه الله: وقد اختلف أهل السير أين مات؟ فقال بعضهم: مات بدمشق، وقال بعضهم: مات بحلب سنة عشرين، وقيل: سنة ثمان عشرة وهو ابن بضع وستين سنة. رحمه الله[١].

٢٥ ـ أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال رضي الله عنه

أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ومعه امرأته أم سلمة.

وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف: أول من قدم علينا المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ للهجرة أبو سلمة.

وشهد أبو سلمة بدراً، وجُرِح بأُحد فمكث شهراً يداوي جراحه، ثم بعثه رسول الله ﷺ في سرية فلما قدم انتقض جرحه، ثم توفي، فحضره رسول الله ﷺ عند وفاته، أو أغمضه بيده.

توفي في سنة ثلاث من الهجرة.

٢٦ ـ الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الله، أسلم بعد ستة نفر، وكانت داره على الصفا بمكة، وفيها استتر رسول الله ﷺ ودعا الناس فيها إلى الإسلام، وتصدق بها الأرقم على ولده، فلم يزل المنصور يرغِّب ولدَه في المال حتى باعوه إياها، ثم أعطاها المهدي الخيزرانَ.

وشهد الأرقم بدراً وأُحداً والمشاهد كلها، وتوفي ابنَ بضع وثمانين سنة، في سنة خمس وخمسين بالمدينة، وصلى عليه سعد بن أبي وقاص.

٢٧ ـ عمار بن ياسر بن عمار بن مالك رضي الله عنه

وأمه سُميّة، أسلم قديماً، وكان من المستَضْعَفِين الذين يُعذَّبون بمكة ليرجعوا عن دينهم، أحرقه

---

(١) انظر: مصادر ترجمته حول هذه المسألة.

٢٥ ـ أبو سَلَمَة: عبد الله بن عبد الأسد ـ رضي الله عنه ـ: الحلية (٢/ ٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٨٧)، تاريخ الإسلام (١/ ٨٠)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٤٠)، الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٣٩) و(٨/ ٨٧)، الإصابة (٤٨٠١)، الاستيعاب (١٦٠٧)، أسد الغابة (٣٠٣٨)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٠١)، تقريب التهذيب (١/ ٣١٠).

٢٦ ـ الأَرْقم بن أبي الأَرْقم ـ رضي الله عنه ـ: العبر (١/ ٦١)، شذرات الذهب (١/ ٦١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٤٢)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٩)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٠٩)، الإصابة (٧٣)، الاستيعاب (١٣٣)، أسد الغابة (٧٠)، سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٧)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٣).

٢٧ ـ عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٦)، شذرات الذهب (١/ ٤٥)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٠٨)، طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٦)، الحلية (١/ ١٣٩)، تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٣٧)، تاريخ بغداد (١/ ١٥٠)، الإصابة (٥٧٢٠)، الاستيعاب (١٨٨٣)، أُسد الغابة (٣٨٠٤)، البداية والنهاية (٧/ ٣١٢)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٤٦). وفي السير والإصابة «عمار بن ياسر بن عامر» بدل «بن عمار».

المشركون بالنار، وشهد بدراً ولم يشهدها ابن مؤمنَيْن غيره، وشهد أُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وسماه: «الطيب المطيَّب»[١].

عن عمرو بن ميمون قال: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار، وكان رسول الله ﷺ يَمُرّ به، ويُمرّ يده على رأسه، ويقول: «يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنتِ على ابراهيم عليه السلام»[٢].

وعن عثمان بن عفان قال: أقبلت أنا ورسول الله ﷺ آخذٌ بيدي نتماشى في البطحاء، حتى أتينا على أبي عمار وعمارٍ وأمّه وهم يعذبون. فقال ياسر: الدهرَ هكذا؟ فقال له النبي ﷺ: «اصبر، اللّهم اغفر لآلِ ياسر». قال: «وقد فعلتَ»[٣].

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سبَّ رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير. فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شرٌّ يا رسول الله، ما تُركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير! فقال: رسول الله ﷺ: «فكيف تجد قلبك؟» قال: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان. قال: «فإن عادوا فعُد»[٤].

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه»[٥].

وعن علي قال: جاء عمار يستأذن على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له، مرحباً بالطيب المطيَّب». رواه أحمد[٦].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن صالح[٧].

وعن خالد بن سمير قال: كان عمار بن ياسر طويل الصمت، طويل الحزن والكآبة، وكان عامة كلامه: عائذاً بالله من فتنة. رواه أحمد[٨].

وعن عامر قال: سئل عمار عن مسألة؟ فقال: هل كان هذا بعدُ؟ قالوا: لا. قال: فدعونا حتى يكون، فإذا كان تجشمناها لكم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩٩)، وابن ماجه (١٤٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٨) وصححه، ووافقه الحافظ. ونصه: «مرحباً بالطيِّب المطيِّب».

(٢) ابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ١٧٧)، وهو في السير (٦/ ٤١١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٦٢)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ١٧٧).

(٤) ابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ١٧٨)، وابن حجر في الإصابة (٥٧٢٠) وقال: اتفقوا على أنه نزلت فيه هذه الآية ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

(٥) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٩٢)، بلفظ: «إلى مُشاشه» وهو بمعنى قدمه؛ لأن المُشاش جمع مشاشة وهي: رؤوس العظام الليّنة.

(٦) تقدم تخريجه أول ترجمته.

(٧) أخرجه الترمذي (٣٧٩٧).

(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٢) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣٥٦).

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن عمار بن ياسر أنه قال وهو يسير إلى صفّين إلى جنب الفرات: اللّهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردّى فأسقط فعلتُ، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في الماء فأُغرِق نفسي فعلتُ، وإني لا أقاتل إلا أريد وجهك، وأنا أرجو أن لا تُخيِّبني، وأنا أريد وجهك.

وعن عبد الله بن سلمة قال: رأيت عمار بن ياسر يوم صفين شيخاً آدم في يده الحربة وإنها لترعد، فنظر إلى عمرو بن العاصي معه الراية فقال: إن هذه الراية قد قاتلتُها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، والله لو ضربونا حتى يبلغونا سعاف هجر لعرفت أن صاحبنا على الحق وأنهم على الضلالة[(١)].

وعن أبي سنان الدؤلي صاحب رسول الله ﷺ قال: رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب، فأتي بقدح من لبن فشرب منه، ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقى الأحبّة، محمداً وحزبه، إن رسول الله ﷺ قال: «إن آخر شيء يرويه من الدنيا صبحة لبن»[(٢)]، ثم قال: والله لو هزمونا حتى يبلغونا سعاف هجر لعلمنا أنّا على حق وأنهم على باطل[(٣)].

قال أهل السير: قتل عمار بصفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قتله أبو الغادية، ودفن هناك في سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث، وقيل: أربع وتسعين سنة.

٢٨ ـ زيد بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنهما

يكنى أبا عبد الرحمن، كان أسنَّ من أخيه عمر، وأسلم قبل عمر، وكان طُوالاً أسمر، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

عن ابن عمر قال: قال عمر بن الخطاب لأخيه زيد يوم أحد: أقسمت عليك إلا لبست درعي.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٥٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٧ و٥٥٠ ـ ٥٥١) والطيالسي في مسنده (٨٩) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٢).

ورواية ابن حبان أوضح وأدق، وهي: «... فقال: والذي نفسي بيد. لقد قاتلتُ بهذه الراية مع الرسول الله ﷺ ثلاث مرات، وهذه الرابعة... حتى يبلغوا بنا سعفات هجر عرفنا...» سَعَفات: جمع سَعَفَة وهي أغصان النخيل ا. هـ النهاية (٢/ ٣٦٨). هجر: قرية من قرى المدينة ا.هـ النهاية (٥/ ٢٤٦).

أما الشُّعْفُ فمن كل شيء أعلاه، ومنه يقال لأعلى نشعر الرأس: شَعْفَةً ا.هـ النهاية (٢/ ٤٨١).

(٢) في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٨): «ضحية لبن» وفي الاستيعاب (٣/ ١١٣٩): «شربة» وفي الطبقات الكبرى: «ضيح من لبن». الضّيح: قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ١٠٧): اللبن الخاثر يصيب فيه الماء ثم يُخلط ا. هـ صبحة: شَرْبة ا.هـ النهاية (٣/ ٦).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٨٩) وانظر التعليق قبله.

٢٨ ـ زيد بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٧)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤١١)، تاريخ الإسلام (١/ ٢٦٧)، العبر (١/ ١٤)، طبقات ابن سعد (٣/ ٣٧٦)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٣)، الحلية (١/ ٣٦٧)، الإصابة (٢٩٠٤)، الاستيعاب (٨٥١)، أُسد الغابة (١٨٣٤)، البداية والنهاية (٦/ ٣٣٦).

فلبسها، ثم نزعها. فقال له عمر: ما لك؟ فقال: إني أريد بنفسي ما تريد بنفسك.

وعنه قال: قال عمر لأخيه زيد يوم أُحد: خذ درعي. قال: إني أريد الشهادة كما تريد. فتركاها جميعاً.

وعن الجحاف بن عبد الرحمن ـ من ولد زيد بن الخطاب ـ عن أبيه قال: كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة وقد انكشف المسلمون، حتى غلبت بنو حنيفة على الرّحال، فجعل زيد يقول: أما الرحال فلا رحال، وأما الفرار فلا فرار. ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللّهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ اليك مما جاء به مسيلمة. وجعل يشتد بالراية ينفذ بها في نحر العدوّ، ثم ضارب بسيفه حتى قتل، ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فقال المسلمون: يا سالم إنا نخاف أن نؤتى من قبلك! فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أُتيتم من قبلي.

٢٩ ـ عامر بن ربيعة بن مالك رضي الله عنه

أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين جميعاً، ولم يقدم إلى المدينة للهجرة قبله غير أبي سلمة، وشهد بدراً والمشاهد كلها.

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: قام عامر بن ربيعة يصلي من الليل، وذلك حين نشب الناس في الطعن على عثمان، فصلى من الليل، ثم نام فأُتِيَ في المنام فقيل له: قم فسَلِ الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها صالح عباده. فقام فصلى، ثم اشتكى فما خرج إلا على جنازة.

قال ابن سعد: قال الواقدي: كان موت عامر بن ربيعة بعد قتل عثمان بأيام، وكان قد لزم بيته فلم يشعر الناس إلا بجنازته قد أُخرِجت رضي الله عنه.

٣٠ ـ عثمان بن مظعون رضي الله عنه

ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح، يكنى أبا السائب، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وحرَّم الخمر في الجاهلية وقال: لا أشرب شيئاً يُذهب عقلي، ويُضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أُنكح كريمتي من لا أريد.

وشهد بدراً، وكان متعبداً، توفي في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة، وقبَّل النبي ﷺ خده وسماه: «السلف الصالح»[(١)].

---

٢٩ ـ عامر بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٤٣٩٩)، أسد الغابة (٢٦٩٣)، الاستيعاب (١٣٣٥)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ٦٢)، العبر (١/ ٣٥)، طبقات ابن سعد (٣/ ٣٨٦)، تهذيب الكمال (٦٤٢).

٣٠ ـ عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ١٥٣)، الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٩٣)، شذرات الذهب (١/ ٩)، العبر (١/ ٤)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٢٥)، الحلية (١/ ١٠٢)، الإصابة (٥٤٦٩)، الاستيعاب (١٧٩٨)، أسد الغابة (٣٥٩٤).

(١) لما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إلحق بالسلف الصالح: عثمان بن مظعون» أسد الغابة (٣/ ٥٩١).

وهو أول من قبر بالبقيع، وكان له من الولد: عبد الله والسائب، أمهما خولة بنت حكيم.

عن عثمان قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غُدوّي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبني، لنقصٌ كبير في نفسي. فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال: له: يا أبا عبد شمس وفَتْ ذمتك، قد رددتُ إليك جوارك. قال: لِم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلِقْ إلى المسجد فاردُد عليّ جِواري علانيَةً كما أَجَرْتُك علانية.

قال: فانطلقنا، ثم خرجنا حتى أتينا المسجد فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري. قال: قد صدق، وقد وجدته وفياً كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عثمان، ولبيدُ بن ربيعة في مجلس من مجالس قريش يُنشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد وهو ينشدهم: ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل. فقال: عثمان صدقت. فقال: وكلُّ نعيم لا محالةَ زائل. فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث فيكُم هذا؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجِدنّ في نفسك من قوله. فرد عليه عثمان حتى شريَ أمرهما[1]، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضّرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ. فقال: أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابَها لغنيّة، لقد كنت في ذمة منيعة. فقال عثمان: بلى والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله، وإني في جوار مَن هو أعزّ منك وأقدر.

وعن عائشة قالت: دخلت عليّ امرأة عثمان بن مظعون وهي باذّة الهيئة، فسألتها عن ذلك؟ فقالت: زوجي يصوم النهار ويقوم الليل. فدخل النبي ﷺ فذكرتُ ذلك له.

فلقي رسولَ الله ﷺ فقال: «يا عثمان إن الرهبانية لم تُكتب علينا، أفما لك فيّ أسوة؟ فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا»[2].

وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت. قال: فرأيت دموع رسول الله ﷺ تسيل على خد عثمان بن مظعون[3].

وعن خارجة بن زيد الأنصاري: أن أم العلاء ـ امرأةً من نسائهم قد بايعت رسول الله ﷺ ـ أخبرته أنه اقتُسم المهاجرون قُرعةً، قالت: فطار لنا عثمان بن مظعون، [وأنزلناه في أبياتنا] فاشتكى فمرّضناه، حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله ﷺ فقالت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله. فقال لي النبي ﷺ: «وما يدريكِ أن الله أكرمه؟» فقلت: لا

---

(١) أخرجه في الحلية (١/ ١٠٤): «حتى سرى، أي: عظم أمرهما». وفي ابن هشام (٢/ ٢١٥): «حتى شري أمرهما». قال في النهاية (٢/ ٤٦٨): شَرِيَ الأمرُ. عظم وتفاقم. ا.هـ.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٢٦) والطبراني في الكبير (٩/ ٣٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٦٣).

أدري، بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما عثمان فقد جاءه والله اليقينُ، إني لأرجو له الخير، والله ما أدري - وإني رسول الله - ما يُفعل بي؟» قالت: فوالله لا أزكّي أحداً بعده أبداً، فأحزنني ذلك.

قالت: فنمت فأُريت لعثمان عيناً تجري، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته. فقال: «ذلك عمله». انفرد باخراجه البخاري[١].

٣١ ـ عبد الله بن سهيل بن عمرو رضي الله عنه

هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، فلما قدم مكة أخذه أبوه فأوثقه وفتنه.

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر بن عطاء: خرج عبد الله بن سهيل إلى نفير بدر مع المشركين، مع أبيه سهيل ولا يشك أبوه أنه قد رجع إلى دينه، فلما التقوا انحاز عبد الله إلى المسلمين حتى جاء رسولَ الله ﷺ قبل القتال، فشهد بدراً مسلماً وهو ابن سبع وعشرين، فغاظ ذلك أباه غيظاً شديداً.

قال عبد الله: فجعل الله لي وله في ذلك خيراً كثيراً.

قال ابن سعد: وشهد عبد الله أُحداً والخندق والمشاهد كلها، وقُتل باليمامة شهيداً وهو ابن ثمانٍ وثلاثين سنة، فلما حج أبو بكر في خلافته أتاه سهيل بن عمرو فعزّاه أبو بكر بعبد الله، فقال سهيل: لقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «يشفع الشهيد لسبعين من أهله»[٢]. فأنا أرجو أن لا يبدأ إبني بأحد قبلي.

٣٢ ـ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس رضي الله عنه

ابن زيد بن عبد الأشهل. يكنى أبا عمرو، وأمه كبشة بنت رافع من المبايعات. أسلم سعد على يد مصعب بن عمير، فأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل، وهي أول دار أسلمت من الأنصار.

وشهد بدراً وأُحداً، وثبت مع النبي ﷺ يومئذ، ورمي يوم الخندق، ثم انفجر كَلِمُه بعد ذلك فمات في شوال سنة خمس من الهجرة وهو ابن سبع وثلاثين سنة، وصلى عليه رسول الله ﷺ ودفن بالبقيع. وله من الولد: عبد الله وعمرو.

عن عائشة قالت: خرجت يوم الخندق أقفو أثر الناس، فسمعت وئيد الأرض من ورائي،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٠٣) والبيهقي في الكبرى (٣/ ٤٠٦) وأحمد (٦/ ٤٣٦).

٣١ ـ عبد الله بن سهيل بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ١٩٣)، طبقات ابن سعد (٣/ ٤٠٦)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٦)، الإصابة (٤٧٥٤)، الاستيعاب (١٥٨٦)، أسد الغابة (٢٩٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٢٢).

٣٢ ـ سعد بن مُعاذ ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٩)، الطبقات لابن سعد (٣/ ٤٢٠)، شذرات الذهب (١/ ١١)، العبر (١/ ٧)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٨١)، تهذيب الكمال (٤٧٧)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٤)، الإصابة (٣٢١٢)، الاستيعاب (٢٠٤٦)، أسد الغابة (٩٦٣).

فالتفتّ فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجنّه قالت: فجلست إلى الأرض. قالت: فمر سعد وهو يرتجز:

لَبِّثْ قليلاً يدركِ الهيجا حَمَلْ ما أحسن الموتَ إذا جاء الأَجلْ[1]

قالت: وعليه درع قد خرجت منه أطرافه، فأنا أتخوّف على أطراف سعد، وكان سعد من أطول الناس وأعظمهم. قالت: فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وفيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تسبغة له ـ تعني المغفَر ـ قالت: فقال لي عمر: ما جاء بك؟ والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون تحوّز أو بلاء؟ قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت ساعتئذ، فدخلتُ فيها.

قالت: فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيد الله. قالت: فقال: ويحك يا عمر إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوز والفرار إلا إلى الله.

قالت: ويرمي سعداً رجلٌ من المشركين يقالُ له ابن العرقة بسهم، فقال: خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكحله. فدعا اللَّهُ سعدٌ فقال: اللّهم لا تمتني حتى تشفيني من قريظة. وكانوا مواليه وحلفاءه في الجاهلية.

قال: فرقأ كَلْمه، وبعث الله الريح على المشركين: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]. فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم، ورجع رسول الله ﷺ المدينة، وأمر بقبة من أدم فضُربت على سعد بن معاذ في المسجد. قال: فجاءه جبريل وعلى ثناياه النقع فقال: أَوَقد وضعتم السلاح؟ فوالله ما وضعت الملائكة السلاح بعدُ، اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم. قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأْمَتَهُ وأذَّن في الناس بالرحيل.

قالت: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء عليهم قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ.

فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر؟ فأشار إليهم: إنه الذبح! فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ.

فبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ، فحُمِل على حمار على إِكاف من ليف، فحفَّ به قومه فجعلوا يقولون: يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك ومن قد علمت! ولا يُرجع إليهم شيئاً، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم. فقال له رسول الله ﷺ: «احكم فيهم» قال: فإني أحكم فيهم أن تُقتّل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم، وتُقسم أموالهم. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله وبحكم رسوله**».

قالت: ثم دعا اللَّهَ عز وجل سعدٌ فقال: اللّهم إن كنت أبقيتَ على نبيك من حرب قريش شيئاً

---

(١) في الإصابة: لَبِّثْ قليلاً يلحقِ الهيجا حَمَلْ ـ ما أَحْسَنَ الموتَ إذا حان الأجل (٣/ ٧١).

فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك. قالت: فانفجر كَلْمُه وقد كان برأ. قالت: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عُمر وأنا في حجرتي، قال: فقلت: فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وَجَدَ فإنما هو آخذٌ بلحيته[١].

وعن الحسن قال: لما مات سعد بن معاذ وكان رجلاً جسيماً جزلاً، جعل المنافقون وهم يمشون خلف سريره يقولون: لم نر كاليوم رجلاً أخف. قالوا: أتدرون لِم ذلك؟ لحكمه في بني قريظة. فذُكر للنبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده لقد كانت الملائكة تحمل سريره»[٢].

عن جابر عن النبي ﷺ قال: «اهتزَّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ». أخرجاه في الصحيحين[٣].

وعن البراء: أن النبي ﷺ أُتي بثوب حريرٍ، فجعلوا يتعجبون من حسنه ولينه. فقال: «لمناديلُ سعد بن معاذ في الجنة أفضل ـ أو خير ـ من هذا». أخرجاه في الصحيحين[٤].

٣٣ ـ عاصم بن ثابت بن قيس رضي الله عنه

يكنى أبا سليمان، شهد بدراً وأُحداً، وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ حين ولّى الناس وبايعه على الموت.

وكان من الرماة المذكورين، وقَتل يوم أحد من أصحاب لواء المشركين مسافعاً والحارث. فنذرت أمهما سُلافة بنت سعد أن تشرب في قحف عاصم الخمر، وجعلت لمن جاءها برأسه مائة ناقة. فقدم ناس من هذيل على رسول الله ﷺ فسألوه: أن يوجه معهم من يعلمهم؟ فوجه عاصماً في جماعة، فقال لهم المشركون: استأسروا، فإنا لا نريد قتلكم، وإنما نريد أن نُدخلكم مكة فنصيب بكم ثمناً. فقال عاصم: لا أقبل جوار مشرك. وجعل يقاتلهم حتى فنيت نبله، ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه، فقال: اللّهم إني حميت دينك أول النهار فاحمِ لحمي آخره.

فجرح رجلين وقتل واحداً، وقتلوه، فأرادوا أن يحتزّوا رأسه فبعث الله الدبر فحمته، ثم بعث الله إليه سيلاً في الليل فحمله. وذلك يوم الرجيع. هكذا رواه محمد بن سعد[٥].

وعن بُريدة بن سفيان الأسلمي: أن رسول الله ﷺ بعث عاصم بن ثابت وزيد بن الدَثِنَّة، وخُبيب ابن عدي، ومَرثَد بن أبي مَرثد، إلى بني لِحيان بالرجيع فقاتلوهم حتى أخذوا أماناً لأنفسهم إلا عاصماً

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٤١) وابن حبان (١٥/ ٤٩٨) وابن سعد في الكبرى (٣/ ٤٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦)، وابن ماجه (١٥٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٠٢)، ومسلم (٢٤٦٨).

٣٣ ـ عاصم بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٤٣٦٦)، أسد الغابة (٢٦٦٦)، الاستيعاب (١٣١٣)، الحلية (١/ ١١٠).

(٥) الطبقات لابن سعد (٨/ ٣٤٥)، و(٢/ ٧٩)، و(٢/ ٥٦).

فإنه أبى وقال: لا أقبل اليوم عهداً من مشرك. ودعا عند ذلك فقال: اللّهم إني أحمي لك دينك فاحمِ لي لحمي. فجعل يقاتل وهو يقول:

مـا عـلّـتـي وأنـا جَـلـدٌ نـابـلُ ... والـقـوس فـيـهـا وتَـرٌ عُـنـابِـل
إن لـم أقـاتـلـهـم فـأمـي هـابـل ... الـمـوت حـقّ والـحـيـاة بـاطـل
وكُـلُّ مـا حَـمَّ الإلـهُ نـازل ... بـالـمـرء والـمـرء إلـيـه آئـل

قال: فلما قتلوه قال بعضهم لبعض: هذا الذي آلت فيه المكية - وهي سلافة - فأرادوا أن يحتزوا رأسه ليذهبوا به إليها، فبعث الله عز وجل رِجلاً من دَبرٍ فلم يستطيعوا أن يحتزوا رأسه. رواه أبو يعلى الأصبهاني[1].

٣٤ - أبو الهيثم بن التَّيِّهان رضي الله عنه

واسمه مالك، كان يكره الأصنام في الجاهلية، ويقول بالتوحيد هو وأسعد بن زُرارة، وكانا أول من أسلم من الأنصار الذين لقوا رسول الله ﷺ بمكة، ثم شهد العقبة مع السبعين.

وهو أحد النقباء الإثني عشر، شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنهما.

٣٥ - قتادة بن النعمان بن زيد رضي الله عنه

شهد العقبة مع السبعين، وكان من الرماة المذكورين، وشهد بدراً وأُحداً فرُميت يومئذ عينه فسالت.

عن الهيثم بن عدي عن أبيه قال: أصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أُحد فأتى النبي ﷺ وهي في يده فقال: «ما هذا يا قتادة؟» قال: هذا ما ترى يا رسول الله. قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت رددتُها ودعوتُ الله لك فلم تفتقد منها شيئاً؟**». فقال: والله يا رسول الله إن الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل، ولكني رجل مبتلىً بحب النساء، وأخاف أن يقلن: أعور فلا يُرِدنني! ولكن تردّها لي،

---

(١) انظر المواضع السابقة من طبقات ابن سعد، وانظر الطبراني في الكبير (٤/ ٢٢٣) آلت فيه المكية: حلفت أن تشرب في قحف رأسه!! - الدَّبْر: النحل وقيل: الزنابير ا.هـ. النهاية (٢/ ٩٩) - الرِجلُ من الشيء: الكثير. ا.هـ. النهاية (٢/ ٢٠٣) أما قوله «رواه أبو يعلى الأصبهاني» فلم أعرفه، وصاحب المسند هو الموصلي، ولم ينسبه أحد إلى أصبهان، ولم أجده في مسنده أيضاً؟!.

٣٤ - أبو الهيثم: مالك بنَ التَّيِّهان - رضي الله عنه -: سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٩)، طبقات ابن سعد (٨/ ٣٢٥)، شذرات الذهب (١/ ٣١)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧٩)، العبر (١/ ٢٤)، الإصابة (٧٦١٧)، الاستيعاب (٢٢٨٦)، أسد الغابة (٤٥٧٢)، الثقات لابن حبان (٣/ ٣٧٦).

٣٥ - قتادة بن النعمان - رضي الله عنه -: تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٩)، البداية والنهاية (٨/ ٧٨)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣١)، الطبقات لابن سعد (١/ ١٨٧)، و(٢/ ١٩٠)، و(٣/ ٤٥٢)، تهذيب الكمال (١١٢٣)، تاريخ الإسلام (٢/ ٥٠)، العبر (١/ ٢٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٥٧)، شذرات الذهب (١/ ٣٤)، الإصابة (٧٠٩١)، الاستيعاب (٢١٣١)، أسد الغابة (٤٢٧٧).

وتسأل الله لي الجنة. فقال: «أفعل يا قتادة»، ثم أخذها رسول الله ﷺ بيده فأعادها إلى موضعها، فكانت أحسن عينيه إلى أن مات، ودعا الله له بالجنة[١]. فدخل ابنه على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: من أنت يا فتى؟ فقال:

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينُه فرُدَّت بكفِّ المصطفى أحسن الردِّ
فعادت كما كانت لأحسن حالها فيا حُسن ما عينٍ ويا طيب ما يد

فقال عمر: بمثل هذا فليتوسل إلينا المتوسلون، ثم قال:

تلك المكارم لا قَعبان من لبنٍ شِيْبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا[٢]

وشهد قتادة مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، وكانت معه يوم الفتح راية بني ظفر. وتوفي سنة ثلاث وعشرين وهو ابن خمس وستين، وصلى عليه عمر.

٣٦ ـ عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك رضي الله عنه

شهد بدراً وأُحداً، وكان فيمن خرج في غزوة الرجيع فأخذه المشركون ليدخِلوه مكة مع خُبيب. فلما كان بمر الظهران قال: والله لا أصاحبهم، إن لي بهؤلاء أسوة ـ يعني أصحابه الذين قتلوا ـ ونزع يده من رباطه، وأخذ سيفه، وجعل يشتدّ فيهم، فرموه بالحجارة فقتلوه، فقَبْرُهُ بمر الظهران.

وكان يوم الرجيع على رأسه ستة وثلاثين شهراً من الهجرة.

٣٧ ـ معن بن عدي رضي الله عنه

شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

[قال] محمد بن سعد: قال الزهري: قال عروة: بلغنا أن الناس بكوا على النبي ﷺ حين مات، وقالوا: والله لوددنا أنا متنا قبله نخشى أن نفتتن بعده. فقال معن: لكني والله ما أحب أني متّ قبله حتى أصدّقه ميتاً كما صدقتُهُ حياً[٣].

٣٨ ـ أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنه

شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقتل يوم اليمامة شهيداً.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٨٧)، وابن هشام (٢/ ٨٢)، وانظر السير (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).
(٢) الإصابة (٥/ ٣١٨ برقم ٧٠٩١).
٣٦ ـ عبد الله بن طارق ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٤٧٨٧)، أسد الغابة (٣٠٢٦)، الاستيعاب (١٥٩٩).
٣٧ ـ معن بن عدي ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٠)، الطبقات لابن سعد (٣/ ٢/ ٣٥)، العبر (١/ ٥٣)، الإصابة (٨١٧٦)، الاستيعاب (٢٥٠٠)، أسد الغابة (١٥٠٥٢).
(٣) أخرجه ابن سعد في الكبرى (٣/ ٤٦٥).
٣٨ ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة: أبو عقيل ـ رضي الله عنه ـ: ذكره ابن حجر في الإصابة باقتضاب (١٠٢٦٨)، وقال: قيل: اسمه عبد الله بن عبد الرحمن، وقيل: عبد الرحمن بن عبد الله ا.هـ. (٧/ ٢٣٤) في الكنى. وذكره ابن الأثير في أسد الغابة في الكُنى باسم: أبو عقيل البَلَوي، واسمه: عبد الرحمن بن عبد الله البلوي ثم الأنصاري الأوسي اهـ. (برقم ٦١١٢: ٦/ ٢١٤)، والاستيعاب (٣١٢٨).

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم، قال: لما كان يوم اليمامة واصطفَّ الناس كان أولَ من جُرح أبو عقيل، رمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مقتل، فأخرج السهم ووهن له شِقُّه الأيسر في أول النهار، وجُرّ إلى الرَّحْل.

فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم، وأبو عقيل واهِن من جرحه، سُمع معن ابن عدي يصيح: يا للأنصار! الله الله، والكرّةَ على عدوكم. قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد؟ ما فيك قتال!! قال: قد نوَّه المنادي باسمي. قال ابن عمر: فقلت له: إنما يقول: يا للأنصار، ولا يعني الجرحى. قال أبو عقيل: أنا من الأنصار وأنا أجيبه ولو حبواً. قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي: يا للأنصار! كرّةً كيوم حُنين، فاجتمعوا رحمكم الله جميعاً، تقدموا؛ فالمسلمون دريئة دون عدوهم. حتى أقحموا عدوهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب، فوقعت إلى الأرض، وبه من الجراح أربعة عشر جرحاً، كلها قد خلصت إلى مقتل، وقُتل عدو الله مسيلمة.

قال ابن عمر: فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت: يا أبا عقيل! قال: لبيك ـ بلسان ملتاث ـ لمن الدَّبْرة؟ قلت: أبشر؛ قد قُتِل عدو الله. فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله.

ومات يرحمه الله.

قال ابن عمر: فأخبرت عمر ـ بعد أن قدمت ـ خبره كله. فقال: رحمه الله، ما زال يسعى للشهادة ويطلبها، وإن كان ـ ما علمت ـ من خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديم إسلامهم. رضي الله عنه.

٣٩ ـ سعد بن خيثمة بن الحارث رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الله، أحد نقباء الأنصار الإثني عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين.

ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك. فأبى سعد وقال: لو كان غيرَ الجنة آثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا.

فاستهما، فخرج سهم سعد فخرج فقُتل ببدر. أخبرنا بذلك أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أخبرنا الجوهري قال: أنبأنا ابن حيوة قال: أنبأنا ابن معروف قال: أنبأنا ابن الفهم قال: أنبأنا محمد بن سعد. رحمه الله ورضي الله عنه، وحشرنا في زمرته وزمرة أصحابه.

---

٣٩ ـ سعد بن خيثمة ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٦)، الطبقات لابن سعد (٣/ ٤٨١)، شذرات الذهب (١/ ٩)، الجرح والتعديل (٤/ ٨٢)، الإصابة (٣١٥٥)، الاستيعاب (١٩٨٦)، أسد الغابة (٩٣٤)، الثقات لابن حبان (٣/ ١٤٨)، البداية والنهاية (٣/ ٣١٩).

٤٠ ـ أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري رضي الله عنه

شهد العقبة مع السبعين، ونزل عليه رسول الله ﷺ حين رحل من قُباء إلى المدينة، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

عن أفلح مولى أبي أيوب، عن أبي أيوب: أن رسول الله ﷺ لما نزل المدينة نزل على أبي أيوب، فنزل النبي ﷺ أسفل وأبو أيوب في العلو، فانتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ! فتحول، فباتوا في جانب. فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أسفل أرفقُ بي». فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفةً أنت تحتها. فتحول أبو أيوب في السفل، والنبي ﷺ في العلو(١).

وعن ابن عباس قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يخرج من خيبر قال القوم: الآن نعلم: أسريةٌ صفيةُ أم امرأة؟ فإن كانت امرأة فسيحجبها، وإلا فهي سرية. فلما خرج أمر بسترٍ فستر دونها، فعرف الناس أنها امرأة، فلما أرادت أن تركب أدنى فخذه منها لتركب عليها، فأبت ووضعت ركبتها على فخذه، ثم حملها، فلما كان الليل نزل فدخل الفُسطاط ودخلت معه، وجاء أبو أيوب فبات عند الفسطاط معه السيف، واضع رأسه على الفسطاط، فلما أصبح رسول الله ﷺ سمع الحركة فقال: «من هذا؟» فقال: أنا أبو أيوب. فقال: «ما شأنك؟» فقال: يا رسول الله جارية شابة حديثة عهدٍ بعرس وقد صنعتَ بزوجها ما صنعتَ فلم آمنها؛ قلت: إن تحركتْ كنت قريباً منك. فقال: رسول الله ﷺ: «رحمك الله يا أبا أيوب». مرتين(٢).

قال الواقدي: توفي أبو أيوب عام غزا يزيد بن معاوية القسطنطنيةَ في خلافة أبيه معاوية سنة اثنتين وخمسين، وصلى عليه يزيد، وقبره بأصل حصن القسطنطنية بأرض الروم، فلقد بلغنا أن الروم يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا(٣).

٤١ ـ حارثة بن النعمان بن نَفيع الأنصاري رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الله. شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. عن محمد بن سعد قال: قال حارثة: رأيت جبريل مرتين: حين خرج النبي ﷺ إلى بني قُريظة مرّ بنا في صورة دحية، ويوم موضع

---

٤٠ ـ أبو أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٠٢)، شذرات الذهب (١/ ٥٧)، تهذيب التهذيب (٣/ ٩٠)، العبر (١/ ٥٦)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣٢٧)، الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٣٧) و(٣/ ٤٨٤) و(٨/ ٤٤٩)، الإصابة (٢١٦٨)، الاستيعاب (٦١٨)، أسد الغابة (١٣٦١)، الثقات (٣/ ١٠٢)، تهذيب الكمال (١/ ٣٥٣)، تاريخ بغداد (١/ ١٥٣)، الحلية (١/ ٣٦١)، البداية والنهاية (٨/ ٥٨).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٥).

(٢) أخرجه ابن سعد في الكبرى (٢/ ١١٦).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٤٦١)، والطبراني في الكبير (٤/ ١١٩).

٤١ ـ حارثة بن النعمان ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٨)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٥)، طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٧)، أسد الغابة (١٠٠٣)، الإصابة (١٥٣٧)، الاستيعاب (٤٥٨).

الجنائز حين رجعنا من حُنين؛ مررت وهو يكلم النبي ﷺ فلم أسلِّم، فقال جبريل: من هذا؟ قالوا: حارثة. قال: لو سلّم لرددنا عليه[1].

قال ابن سعد: وقال الواقدي: كانت لحارثة منازل قرب منازل النبي ﷺ بالمدينة، فكان كلما أحدث النبي ﷺ أهلاً تحول له حارثة عن منزل بعد منزل، حتى قال النبي ﷺ: «لقد استحييت من حارثة مما يتحول لنا عن منازله»[2].

وتوفي حارثة في خلافة معاوية.

عن محمد بن عثمان، عن أبيه: أن حارثة بن النعمان كان قد كُفَّ بصره، فجعل خيطاً من مصلاه إلى باب حجرته، ووضع عنده مِكتلاً فيه تمر وغير ذلك، فكان إذا سلّم المسكينُ أخذ من ذلك التمر، ثم أخذ على ذلك الخيط حتى يأخذ إلى باب الحجرة فيناوله المسكين، فكان أهله يقولون: نحن نكفيك. فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن مناولة المسكين تقي ميتة السوء»[3].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «نمت فرأيتني في الجنة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان». فقال: رسول الله ﷺ «كذاك البرُّ». وكان أبرّ الناس بأمه[4].

٤٢ ـ معاذ بن عفراء رضي الله عنه

وعفراء: أمه، نسب إليها. وأبوه: الحارث بن رفاعة بن الحارث. شهد العقبتين وبدراً.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان معاذ بن عفراء لا يدع شيئاً إلا تصدق به، فلما ولد له استشفعتْ إليه امرأته بأخواله، فكلموه وقالوا له: إنك قد أعلت، فلو جمعت لولدك؟ قال: أبت نفسي إلا أن أستتر بكل شيء أجده من النار.

فلما مات ترك أرضاً إلى جنب أرضٍ لرجل، قال عبد الرحمن ـ وعليه ملاءة صفراء ما تساوي ثلاثة دراهم ـ: ما يسرني الأرض بملاءتي هذه. فامتنع وليّ الصبيان، فاحتاج إليها جار الأرض فباعها بثلاثمائة ألف.

وروي عن عمر بن شَبّة قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي قال: سمعت محمد بن سيرين يحدّث عن أفلح مولى أبي أيوب قال: كان عمر يأمر بحُللٍ تُنسج لأهل بدر يتنوّق فيها. فبعث إلى معاذ بن عفراء حلةً. فقال لي معاذ: يا أفلح بع هذه الحلة. فبعتها له بألف وخمسمائة درهم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٢٣٤).

(٢) أخرجه ابن سعد في (٣/ ٤٨٨)، والذهبي في السير (٢/ ٣٨٠).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٨٨)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٥٨)، وذكره الذهبي في السير (٢/ ٣٧٩).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ١٥١ ـ ١٥٢)، والحاكم (٣/ ٢٠٨)، وصححه ووافقه الحافظ. وصححه ابن حجر في الإصابة (١٥٣٧).

٤٢ ـ معاذ بن عفراء ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (٤٩٦١)، والإصابة (٨٠٥٧)، والاستيعاب (٢٤٤٦)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٨)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٠٠)، كلهم تحت اسم: معاذ بن الحارث الأنصاري نسبةً إلى أبيه لا إلى أمه التي عُرف بنسبته إليها.

ثم قال: اذهب فابتع لي بها رقاباً. فاشتريت له خمس رقاب، ثم قال: والله إن امرأً اختار قشرين يلبسهما على خمس رقاب يعتقها لغبين الرأي، اذهبوا فأنتم أحرار.

فبلغ عمر أنه لا يلبس ما يبعث به إليه، فاتخذ له حلةً غليظة أنفق عليها مائة درهم، فلما أتاه بها الرسول قال: ما أراه بعثك بها إلي. قال: بلى والله. فأخذ الحلة فأتى بها عمر فقال: يا أمير المؤمنين بعثت إلي بهذه الحلة؟ قال: نعم، إنا كنا لنبعثُ إليك بحلة مما نتخذ لك ولإخوانك فبلغني أنك لا تلبسها. فقال: يا أمير المؤمنين إني ـ وإن كنت لا ألبسها ـ فإني أحب أن يأتيني من صالح ما عندك. فأعاد له حلته.

توفي معاذ بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

٤٣ ـ أُبَيُّ بن كعب بن قيس بن عبيد رضي الله عنه

يكنى أبا المنذر، شهد العقبة مع السبعين وبدراً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يكتب له الوحي، وهو أحد الذين حفظوا القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ، وأحد الذين كانوا يُفتون على عهد رسول الله ﷺ.

ولم يكن بالطويل ولا بالقصير. وله من الولد: الطفيل، ومحمد، وأم عمرو.

قال عمر بن الخطاب في حقه: «هذا سيد المسلمين»، ومات في سنة ثلاثين.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبيّ بن كعب: «إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾» [البيِّنة: ١]. قال: وسمّاني لك؟ قال: «نعم». فبكى. أخرجاه في الصحيحين(١).

وعن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أُمرت أن أعرض عليك القرآن». فقال: بالله آمنتُ، وعلى يدك أسلمت، ومنك تعلمت. قال: فرد النبي ﷺ القول. فقال: يا رسول الله وذُكرتُ هناك؟ قال: «نعم باسمك ونسبك في الملأ الأعلى». قال: فاقرأ إذاً يا رسول الله(٢).

وقد روى مسلم في أفراده من حديث أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أيّ آية من كتاب الله [معك] أعظم؟» قال: قلت: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» قال: فضرب في صدري وقال: «لِيَهْنِكَ العلم يا أبا المنذر»(٣).

وعن أبي المهلب، عن أبي بن كعب: إنه كان يختم القرآن في كل ثماني ليالٍ، وكان تميم الداري يختمه في سبع.

---

٤٣ ـ أُبيُّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٩)، تهذيب تاريخ ابن عساكر (٢/ ٣٢٥)، طبقات ابن سعد (٣/ ٤٩٨)، الحلية (١/ ٢٥٠)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٠٨)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦)، العبر (١/ ٢٣)، تهذيب التهذيب (١/ ١٨٧)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧)، الإصابة (٣٢)، الاستيعاب (٦)، أُسد الغابة (٣٣).

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٠ و٦٢٩٢)، ومسلم (٧٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩٨). (٣) أخرجه مسلم (٨١٠)، وابو داود (١٤٦٠).

وعن عمران بن عبد الله قال: قال أُبَيٌّ لعمر: ما لك لا تستعملني؟ قال: أخاف أن يدنَّس دِيْنك.

وعن أبي العالية عن أبي بن كعب قال: عليكم بالسبيل والسنّة فإنه ليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنّة ذكر الرحمنَ ففاضَت عيناه من خشية الله فتمسَّه النار، وليس من عبد على سبيلٍ وسنة ذكر الرحمن فاقشعرَّ جلدُه من خشيةِ الله إلا كان مَثَلُه كمَثَل شجرة يبس ورقُها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتَحَاتَّ عنها ورقها إلا تحاتَّت عنه ذنوبه كما تحاتَّ عن هذه الشجرة ورقُها، وإن اقتصاداً في سبيلٍ وسنَّةٍ خيرٌ من اجتهاد في خلافِ من سبيل وسنَّةٍ.

وعن عبيد بن عمير، عن أُبي بن كعب قال: ما من عبد ترك شيئاً لله عز وجل إلا أبدله الله عز وجل به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، وما تهاون به عبد فأخذه من حيث لا يصلح إلا أتاه الله عز وجل بما هو أشد عليه منه، من حيث لا يحتسب.

وعن أُبي بن كعب أنه قال: يا رسول الله ما جزاء الحمّى؟ قال: «تُجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عِرقٌ». فقال أبي بن كعب: اللّهم إني أسألك حُمّى لا تمنعني خُروجاً في سبيلك، ولا خُروجاً إلى بيتك ولا مسجد نبيك. قال: فلم يُمسِ أُبيّ قطُّ إلا وبه حُمّى[(١)].

٤٤ ـ أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود رضي الله عنه

شهد العقبة مع السبعين وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله، وكان من الرماة المذكورين، وله من الولَد: عبد الله، وأبو عمير؛ أمهما أم سليم بنت ملحان.

عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، اللّهم إن أحبَّ أَموالي إليَّ بيرحاءُ، وإنها صدقة لله أرجو بِرَّها وذُخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال: النبي ﷺ: «بخ، ذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين».

فقال: أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. قال: فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. أخرجاه في الصحيحين[(٢)].

وعنه قال: كان أبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٦٩٢)، وأحمد (٣/ ٢٣)، والحاكم (٤/ ٣٠٨)، بمعناه.

٤٤ ـ أبو طلحة: زيد بن سهل ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧)، شذرات الذهب (١/ ٤٠)، تهذيب ابن عساكر (٦/ ٤)، طبقات ابن سعد (٣/ ٥٠٤)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤١٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٦٩)، الإصابة (٢٩١٢)، الاستيعاب (٨٥٥)، أسد الغابة (١٨٤٣)، العبر (١/ ٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨). وهي في مسلم «بَيْرَحى». وانظر النووي على مسلم (٧/ ٨٥)، لضبط هذه اللفظة وبيان معناها.

ينظر إلى مواقع نبله. قال: فيتطاول أبو طلحة بصدره يقي به رسول الله ﷺ ويقول: يا رسول الله نحري دون نحرك. رواه الإمام أحمد(١).

وروي أيضاً عنه عن النبي ﷺ قال: «لصوتُ أبي طلحة في الجيش خيرٌ من فئةٍ». رواه الإمام أحمد(٢).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «من قتل قتيلاً فله سلبه». فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً فأخذ أسلابهم(٣).

وعنه: أن النبي ﷺ لما حلق في حجته بدأ بشقه الأيمن وقال: «هكذا». فوزعه بين الناس فأصابهم الشعرةُ والشعرتان وأقل من ذلك وأكثر، ثم قال بشقه الآخر: «هكذا»، فقال: «أين أبو طلحة؟» فدفعه إليه(٤).

وعنه: أن أبا طلحة ما أفطر بعد رسول الله ﷺ إلا في مرض أو سفرٍ، حتى لقي الله.

وعنه: أن أبا طلحة سرد الصومَ بعد رسول الله ﷺ أربعين عاماً.

وعنه: أن أبا طلحة غزا البحر فمات فلم يوجد له جزيرة يدفن فيها سبعة أيام، فلم يتغير.

قال الواقدي: أهل البصرة يرون أنه دفن في جزيرة، وإنما دفن بالمدينة سنة أربع وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة، وصلى عليه عثمان.

قلت: وما روينا عن: أنس أنه صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة يخالف هذا. والله أعلم.

٤٥ ـ سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير رضي الله عنه

أحد النقباء، شهد العقبة وبدراً وأُحداً، وقتل يومئذ رضي الله عنه.

عن يحيى بن سعيد قال: لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «من يأتيني بخبر سعد بن الربيع؟» فقال: رجل: [أنا] يا رسول الله. فذهب الرجل يطوف بين القتلى [فوجده وبه رَمَقٌ] فقال له سعد بن الربيع: ما شأنك؟ قال: بعثني النبي ﷺ لآتيه بخبرك. قال: فاذهب إليه وأقرئه مني السلام، وأخبره: أني قد طُعنت اثنتي عشرة طعنة، وأني قد أُنفِذَتْ مَقاتلي، وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله إن قُتل رسول الله ﷺ وأَحَدٌ منهم حي(٥).

قال ابن سعد: قال الواقدي: ومات من جراحاته تلك.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٠٦). (٢) أخرجه أحمد (٣/ ١١١).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٠٠) بمعناه وغيره. (٤) أخرجه الترمذي (٩١٢).

٤٥ ـ سعد بن الربيع ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٣١٨)، العبر (١/ ٣٦٠)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٠)، الطبقات لابن سعد (٣/ ٥٢٢)، أسد الغابة (١٩٩٣)، الاستيعاب (٩٣٦)، الإصابة (٣١٦٠)، الثقات لابن حبان (٣/ ١٤٧)، البداية والنهاية (٣/ ٣١٩).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢١)، وابن سعد (٣/ ٢/ ٧٧)، والسير (١/ ٣٢٠)، وما بين معقوفتين سقط من المطبوع فأتممناه من الأصول المذكورة.

٤٦ ـ عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس رضي الله عنه

يكنى أبا محمد، أحد النقباء الإثني عشر، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً، وأُحداً، والخندق، والحديبية، وخَيبر وعُمرة القضية.

واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوة بدر الموعد، وبعثه سرية في ثلاثين إلى أُسير بن رزام اليهودي بخيبر فقتله، وأرسله إلى خيبر خارصاً فلم يزل يخرُص عليهم إلى أن قتل بمؤتة.

وعن أبي الدرداء قال: لقد رأيتُنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحر، حتى إن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة ـ أخرجاه في الصحيحين(١).

وعن قيس عن عبد الله بن رواحة: أنه بكى، فبكت امرأته. فقال: ما يُبكيك؟ قالت: رأيتك بكيتَ فبكيتُ لبكائك. قال: إني أُنبئت أني وارد، ولم أُنبأ أني صادرٌ. رواه الإمام أحمد(٢).

وعن النعمان بن بشير قال: أغمي على عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته تبكي عليه وتقول: واجبلاه، واكذا، واكذا. وتعدِّد عليه. فقال ابن رواحة لما أفاق: ما قلت شيئاً [إلا] وقد قيل لي: أنت كذا(٣)؟

وعن عروة بن الزبير قال: لما تجهز الناس وتهيئوا للخروج إلى مؤتة قال المسلمون: صبحكم الله ودفع عنكم. فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمنَ مغفرةً ... وضربةً ذاتَ فَرغ تقذف الزَّبدا
أو طَعنَةً بيدي حرّان مجهزة ... بحربةٍ تنفذ الأحشاءَ والكبدا
حتى يَقولوا إذا مروا على جدثي ... أرشدك ربك من غازٍ وقد رَشدا

قال: ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلي، في مائة ألف. فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدوّنا. قال: فشجّع عبد الله بن رواحة الناس، ثم قال: والله يا قوم إن الذي تكرهون: الذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل

---

٤٦ ـ عبد الله بن رَوَاحة ـ رضي الله عنه ـ: الطبقات لابن سعد (٣/ ٥٢٥)، تهذيب ابن عساكر (٧/ ٧٩٠)، شذرات الذهب (١/ ١٢)، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٠)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢١٢)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٥)، الحلية (١/ ١١٨)، أسد الغابة (٢٩٤٣)، والإصابة (٤٦٩٤)، الاستيعاب (١٥٤٨)، الثقات لابن حبان (٣/ ١٢١)، البداية والنهاية (٤/ ٢٥٧)، العبر (١/ ٩).

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢)، وابن ماجه (١٦٦٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٣٠) وابن المبارك في الزهد (١٠٤) وهناد في الزهد (١/ ١٦٣). وقال السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٨٢): أخرجه ابن المبارك وأحمد في الزهد وابن عساكر ا.هـ. وانظر السير (١/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢/ ٨٢)، وهو عند البخاري أيضاً (٤٢٦٧).

الناس بعدَّة ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا لهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحُسنيين: إما ظهور وإما شهادة. فقال الناس: صدق والله ابن رواحة. فمضى الناس.

وعن الحكَم بن عبد السلام بن نعمان بن بشير الأنصاري: إن جعفر بن أبي طالب حين قُتل دعا الناسُ: يا عبد الله بن رواحة، يا عبد الله بن رواحة. وهو في جانب العسكر ومعه ضِلع جملٍ ينهشه ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاث، فرمى الضلع، ثم قال: وأنتِ مع الدنيا، ثم تقدم فقاتل فأصيبت إصبعه، فارتجز فجعل يقول:

هل أنتِ إلا إصبع دَميتِ ... وفي سبيل الله ما لَقيتِ
يا نفسُ إلا تُقتلي تموتي ... هذا حِياض الموت قد صُليْتِ
وما تمنيتِ فقد لقيتِ ... إن تفعلي فِعْلَهُما هُديتِ
وإن تأخَّرتِ فقد شقيتِ

ثم قال: يا نفس إلى أي شيء تتوقين؟ إلى فلانة؟ هي طالق ثلاثاً. وإلى فلانٍ وإلى فلان؟ غلمان له ـ وإلى معجف ـ حائط له ـ فهو لله ولرسوله:

يا نفسُ ما لكِ تكرهين الجنّه ... أقسم بالله لتنزلنَّه
طائعةً أو لا لتُكْرَهِنّه ... فطال ما قد كنتِ مطمئنّه
هل أنت إلا نُطفة في شَنّه ... قد أَجْلَبَ الناسُ وشدُّو الرَّنه

وروى مصعب بن شيبة قال: لما نزل ابن رواحة للقتال طُعِن، فاستقبل الدم بيده فدلك به وجهه، ثم صُرِع بين الصَّفَّين فجعل يقول: يا معشر المسلمين ذُبُّوا عن لحم أخيكم. [فجعل المسلمون يحملون حتى يحوزوه، فلم يزالوا كذلك حتى مات مكانه. وذلك في سنة ثمان للهجرة][(١)].

٤٧ ـ أبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة رضي الله عنه

ابن لوذان، شهد بدراً وأُحداً وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ وبايعه على الموت، وقتل يوم اليمامة.

عن أنس: أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: «من يأخذ هذا السيف [بحقّه]؟» فأحجم القوم فجعلوا ينظرون إليه. فقال: «من يأخذه بحقه؟» فأحجم القوم. فقال أبو دُجانة سِماك: أنا آخذه بحقه. فأخذه ففلق هام المشركين. رواه الإمام أحمد[(٢)].

وعن زيد بن أسلم قال: دُخِلَ على أبي دجانة وهو مريض، وكان وجهه يتهلل. فقيل [له]: ما

---

(١) في المطبوع انقطاع للكلام على غير عادة المؤلف رحمه الله، فآثرنا ترميمه من أسد الغابة (٣/ ٢٣٨ برقم ٢٩٤٣) ذات فرغ: أي تفرغ وتنهي حياتي فأستشهد في سبيل الله تعالى.

٤٧ ـ أبو دجانة: سِماك بن خَرَشة ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٣)، العبر (١/ ١٤)، تاريخ الإسلام (٦/ ٣١٧)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٢٧)، طبقات ابن سعد (٣/ ٥٥٦)، أسد الغابة (١٥٨٦٣)، الإصابة (٩٨٦٦)، الاستيعاب (٢٩٦٨)، وقيل: اسمه سماك بن أوس بن خراشة كما في الإصابة (٧/ ٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٣) وانظر سير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٤).

لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين: أما إحداهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى: فكان قلبي للمسلمين سليماً.

٤٨ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة رضي الله عنه

أبو جابر: أحد النقباء. شهد العقبة مع السبعين، وبدراً، وأحداً، وقتل يومئذ.

عن جابر بن عبد الله، قال: لما قتل أبي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني والنبي ﷺ لا ينهاني، قال: وجعلت عمتي فاطمة بنت عمرو تبكي عليه. فقال النبي ﷺ: «ابكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه»(١).

وعن جابر قال: قتل أبي يوم أحد فبلغني ذلك فأقبلت فإذا هو بين يدي النبي ﷺ مسجًّى. فتناولت الثوب عن وجهه وأصحاب رسول الله ﷺ ينهوني، كراهية أن أرى ما به من المُثلة، ورسول الله ﷺ لا ينهاني، فلما رُفِع قال رسول الله ﷺ: «ما زالت الملائكة حافَّةً بأجنحتها حتى رُفع»، ثم لقيني بعد أيام فقال: «أي بني ألا أبشّرك؟ إن الله تعالى أحيا أباك فقال: تمنَّه. فقال: يا رب، أتمنى يا رب أن تعيد روحي وتردني إلى الدنيا حتى أُقتل مرةً أخرى. قال: إني قضيت: أنهم إليها لا يرجعون»(٢).

وعن جابر قال: صُرخ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين أجرى معاوية العين، فأخرجناهم بعد أربعين سنةً لينةً أجسادُهم تتثنى أطرافهم.

٤٩ ـ عُمَير بن الحُمام رضي الله عنه

قتل ببدر. قال عاصم بن عمر: هو أول قتيل قُتل من الأنصار في الإسلام.

عن أنس قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين في بدر، فدنا المشركون فقال النبي ﷺ: «قوموا إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض» قال: نعم. قال: بَخٍ بَخٍ. قال رسول الله ﷺ: «ما حملك على قولك بَخٍ بَخٍ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءَ أنْ أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها». قال: فأخرجَ تمَرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل رضي الله عنه(٣).

---

٤٨ ـ عبد الله بن عمرو بن حَرَام ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٤)، الطبقات لابن سعد (٣/ ٦٢٠)، الحلية (٢/ ٤)، الجرح والتعديل (٥/ ١٦٦)، الإصابة (٦٦٠٩)، أُسْد الغابة (٢٨٩٢)، الاستيعاب (٢٨٩٢)، قال في الإصابة: الصواب أنه: عبد الله بن أم حَرَام (٥/ ١٤٢).

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٤)، ومسلم (٢٤٧١). (٢) أخرجه البخاري (١٢٩٣)، ومسلم (٢٤٧١).

٤٩ ـ عُمَير بن الحُمام ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (٤٠٧٢)، الإصابة (٦٠٤٥)، الاستيعاب (٢٠٠٤)، الثقات (٣/ ٢٩٩)، البداية والنهاية (٣/ ٢٧٧)، طبقات ابن سعد (٢/ ١٧) و(٣/ ٥٦٥).

(٣) أسد الغابة (٤/ ٣٧٨ برقم ٤٠٧٢)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٢٩٦).

٥٠ ـ قطبة بن عامر بن حَديدة رضي الله عنه

يكنى أبا زيد. لقي رسول الله ﷺ في الستة الذين أسلموا أول من أسلم من الأنصار، وشهد العقبتين وبدراً، ورمى يوم بدر حجراً بين الصفين وقال: لا أفر حتى يفر هذا الحجر.

وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من الرماة المذكورين، وجرح يوم أُحد تسع جراحات. وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنهما.

٥١ ـ معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الرحمن. وأسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وشهد العقبة مع السبعين وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وأردفه رسول الله ﷺ وراءه، وبعثه إلى اليمن بعد غزوة تبوك، وشيعه ماشياً في مخرجه وهو راكب.

وكان له من الولد: عبد الرحمن، وأم عبد الله، وولد آخر لم يُذكر اسمه.

ذكر صفته رضي الله عنه

عن أبي بحرية قال: دخلت مسجد حمص فإذا أنا بفتى حوله الناس جعدِ قططِ، فإذا تكلم كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ. فقلت: من هذا؟ قالوا: معاذ بن جبل.

اسم أبي بحرية: يزيد بن قطيب السكوني.

وعن أبي مسلم الخولاني قال: أتيت مسجد دمشق فاذا حلقةٌ فيها كهولٌ من أصحاب محمد ﷺ، وإذا شاب فيهم أكحل العين برّاق الثنايا، كلما اختلفوا في شيء ردّوه إلى الفتى، قال: قلت لجليسٍ لي: من هذا؟ قالوا: هذا معاذ بن جبل.

وعن الواقدي، عن أشياخ له قالوا: كان معاذ رجلاً طُوالاً أبيض، حسن الشعر، عظيم العينين مجموع الحاجبين، جعداً قططاً.

ذكر نبذة من زهده رضي الله عنه

عن مالك الداري: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرّة فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تَلَهَّ ساعةً في البيت حتى تنظر ما يصنع.

فذهب الغلام، قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. قال: وصله الله

---

٥٠ ـ قُطبَة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ: الثقات لابن حبان (٣/ ٣٤٧)، طبقات ابن سعد (١/ ٤٨٩)، أسد الغابة (٤٣٠٨)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ١٥)، الاستبصار (١٦٣).

٥١ ـ معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٤٣)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٩٨)، شذرات الذهب (١/ ٢٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٦)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣١٩)، العبر (١/ ٢٢)، طبقات ابن سعد (٣/ ٥٨٣) الحلية (١/ ٢٢٨)، الإصابة (٨٠٥٥)، الاستيعاب (٢٤٤٥)، أسد الغابة (٤٩٦٠).

ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها.

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتَلَهَّ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها إليه قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: رحمه الله ووصله. تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأته فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران، فدحا بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك فقال: إنهم إخوةٌ بعضهم من بعض.

ذكر نبذة من ورعه رضي الله عنه

عن يحيى بن سعيد قال: كانت تحت معاذ بن جبل امرأتان، فاذا كان عند إحداهما لم يشرب في بيت الأخرى الماء.

وعن يحيى بن سعيد: أن معاذ بن جبل كانت له امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم الذي بالشام، والناس في شغل، فدفنتا في حفرة، فأسهم بينهما أيتهما تُقدَّم في القبر.

ذكر نبذة من تعبُّده واجتهاده رضي الله عنه

عن ثور بن يزيد قال: كان معاذ بن جبل إذا تهجَّد من الليل قال: اللّهم قد نامَت العُيون وغارت النجوم، وأنت حي قيوم، اللّهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف، اللّهم اجعل لي عندك هُدىً ترده إليّ يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد.

ذكر جوده وكرمه رضي الله عنه

عن ابن كعب بن مالك قال: كان معاذ بن جبل شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، حتى ادّان دَيناً أغلق ماله، فكلم رسول الله ﷺ أن يكلم غُرماءه أن يضعوا له شيئاً ففعل، فلم يضعوا له شيئاً، فدعاه النبي ﷺ فلم يبرح حتى باع ماله فقسمه بين غرمائه، فقام معاذ لا مال له.

قال الشيخ رحمه الله: كان غرماؤه من اليهود، فلهذا لم يضعوا له شيئاً!.

ذكر ثناء رسول الله ﷺ على معاذ ومشيه معه وهو راكب

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل». رواه الإمام أحمد(١).

وعن عاصم بن حميد، عن معاذ بن جبل قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٨١) وابن سعد في الكبرى (٢/ ٣٤٧).

رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك تمر بمسجدي هذا وقبري». فبكى معاذ خشعاً لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»(١).

ذكر ثناء الصحابة عليه رضي الله عنه

عن شهر بن حوشب قال: قال عمر بن الخطاب: لو استخلفت معاذ بن جبل فسألني عنه ربي عز وجل: ما حملك على ذلك؟ لقلت: سمعت نبيك ﷺ يقول: «إن العلماء إذا حضروا ربهم عز وجل كان بين أيديهم رتوةً بحجر»(٢).

وعن الشعبي قال: حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود: إن معاذ بن جبل كان أمّة قانتاً لله حنيفاً. فقيل: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]. فقال: ما نسيتُ، هل تدري ما الأمّة؟ وما القانت؟ فقلت: الله أعلم. فقال: الأمّة الذي يعلم الخير، والقانت: المطيع لله عز وجل وللرسول، وكان معاذ بن جبل يعلّم الناس الخير، وكان مطيعاً لله عز وجل ورسوله.

وعن شهر بن حوشب قال: كان أصحاب محمد إذا تحدّثوا وفيهم معاذ نظروا إليه هيبةً له. والسلام.

ذكر نبذة من مواعظه وكلامه رضي الله عنه

عن أبي إدريس الخولاني: أن معاذ بن جبل قال: إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يقرأه المؤمن والمنافق، والصغير والكبير، والأحمر والأسود، فيوشك قائل أن يقول: ما لي أقرأ على الناس القرآن فلا يتبعوني عليه؟ فما أظنهم يتبعوني عليه حتى أبتدع لهم غيره! إياكم وإياكم وما ابتُدِعَ! فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان يقول: عليّ في الحكيم كلمة الضلالة، وقد يقول المنافق كلمة الحق، فاقبلوا الحق فإن على الحق نوراً. قالوا: وما يدرينا رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة؟ قال: هي كلمة تنكرونها منه وتقولون ما هذه؟ فلا يُثْنِكم، فإنه يوشك أن يفيء ويراجع بعض ما تعرفون.

وعن عبد الله بن سلمة قال: قال رجل لمعاذ بن جبل: علّمني؟ قال: وهل أنت مطيعي؟ قال: إني على طاعتك لحريصٌ. قال: صم وأفطر، وصل ونَمْ، واكتسب ولا تأثم، ولا تموتنّ إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم.

وعن معاوية بن قُرّة قال: قال معاذ بن جبل لابنه: يا بني إذا صليت فصلّ صلاة مودّع لا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين، حسنة قدمها وحسنة أخّرها.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٥).

(٢) سبق تخريجه في ترجمة أبي عبيدة ـ رضي الله عنه ـ.

وعن أبي إدريس الخولاني قال: قال معاذ: إنك تجالس قوماً لا محالة يخوضون في الحديث، فإذا رأيتهم غفلوا فارغب إلى ربك عند ذلك رغباتٍ. رواهما الإمام أحمد[١].

وعن محمد بن سيرين قال: أتى رجل معاذ بن جبل ومعه أصحابه يسلمون عليه ويودعونه، فقال: إني موصيك بأمرين إن حفظتَهما حُفِظتَ، إنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، فآثر من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى ينتظمه لك انتظاماً فتزول به معك أينما زلت.

وعن الأسود بن هلال قال: كنا نمشي مع معاذ فقال: اجلسوا بنا نُؤمِن ساعةً.

وعن أشعث بن سليم قال: سمعت رجاء بن حيوة، عن معاذ بن جبل قال: ابتليتم بفتنة الضرَّاء فصبرتم، وستبتلون بفتنة السرَّاء، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورنَ الذهب، ولبسن رياط الشام، وعصب اليمن، فأتعبن الغني، وكلفن الفقير ما لا يجد[٢].

ذكر مرضه ووفاته رضي الله عنه

عن طارق بن عبد الرحمن قال: وقع الطاعون بالشام فاستغرقها فقال الناس: ما هذا إلا الطوفان، إلا أنه ليس بماء! فبلغ معاذ بن جبل فقام خطيباً فقال: إنه قد بلغني ما تقولون، وإنما هذه رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، ولكن خافوا ما هو أشد من ذلك: أن يغدو الرجل منكم من منزله لا يدري أمؤمنٌ هو أو منافق؟ وخافوا إمارة الصبيان.

وعن شهر بن حوشب، عن رابّه ـ رجل من قومه، كان شهد طاعون عمواس ـ قال: لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة بن الجراح في الناس خطيباً فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوةُ نبيكم، وموتُ الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه.

قال: وطُعن فمات رحمة الله عليه، واستخلف على الناس معاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمةُ ربكم، ودعوةُ نبيكم، وموتُ الصالحين قبلكم، وإن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظه.

قال: فطعن ابنه عبد الرحمن، قال: ثم قام فدعا ربه لنفسه، فطعن في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها، ثم يقبِّل ظهر كفه، ثم يقول: ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا. فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص.

وعن عبد الله بن رافع قال: لما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف على الناس معاذ ابن جبل، واشتد الوجع. فقال الناس لمعاذ: ادع الله أن يرفع عنا هذا الرجز! فقال: إنه ليس برجز،

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١٨٣) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١٨٣). ـ الرياط: جمع رِيطة، وهي: كل مَلاَءَةٍ بِلِفْقَيْن. وقيل: كل ثوب رقيق ليّن. والجمع: رَيْط ورياط ا.هـ. النهاية (٢/ ٢٨٩).

ولكنه دعوة نبيكم، وموتُ الصالحين قبلكم، وشهادةٌ يختص الله بها من يشاء من عباده منكم، أيها الناس: أربع خلال من استطاع منكم أن لا يدركه شيء منها فلا يدركه شيء منها. قالوا: وما هنَّ؟ قال: يأتي زمان يظهر فيه الباطل، ويصبح الرجل على دين، ويمسي على آخر، ويقول الرجل: والله لا أدري على ما أنا؟ لا يعيش على بصيرة، ولا يموت على بصيرة، ويعطي الرجل من المال ـ مال الله ـ على أن يتكلم بكلام الزور الذي يسخط الله، اللّهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة.

فطُعن ابناه. فقال: كيف تجدانكما؟ قالا: يا أبانا: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٠]، قال: وأنا ستجداني إن شاء الله من الصابرين.

ثم طُعنت امرأتاه فهلكتا، وطُعن هو في إبهامه فجعل يمسّها بفيه ويقول: اللّهم إنها صغيرة فبارِك فيها، فإنك تبارك في الصغيرة. حتى هَلك.

وعن الحارث بن عمير قال: طُعن معاذ، وأبو عبيدة، وشُرحبيل بن حسنة، وأبو مالك الأشعري في يوم واحد. فقال معاذ: إنه رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وقبضُ الصالحين من قبلكم، اللّهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة. فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن ـ بِكْرُه ـ الذي كان يكنى به وأحبَّ الخلق إليه، فرجع من المسجد فوجده مكروباً فقال: يا عبد الرحمن كيف أنت؟ فقال: يا أبة: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران: ٦٠]. فقال معاذ: وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين. فأمسكه ليلته، ثم دفنه من الغد.

فطعن معاذ فقال ـ حين اشتد به نزع الموت ـ يُنزع نزعاً لم ينزعه أحد، وكان كلما أفاق من غمرة فتح عينيه، ثم قال ـ: رب اخنقني خنقك، فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك.

وعن عمر بن قيس عمن حدثه عن معاذ قال: لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟ قال: فأتي فقيل: لم نصبح. حتى أتي في بعض ذلك فقيل له: قد أصبحت. فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحُها النار، مرحباً بالموت مرحباً، زائر مُغبٌّ، حبيب جاء على فاقة، اللّهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، إنك لتعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

اتفق أهل التاريخ أن معاذاً رضي الله عنه مات في طاعون عمواس بناحية الأردن من الشام سنة ثماني عشرة، واختلفوا في عمره على قولين: أحدهما ثمان وثلاثون سنة، والثاني: ثلاث وثلاثون.

وعن سعيد بن المسيب قال: رُفع عيسى ابن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين، ومات معاذ وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

وعن سعيد بن المسيب قال: قبض معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين سنة.

٥٢ ـ أُسَيْد بن حُضَيْر بن سماك بن عتيك رضي الله عنه

يكنى أبا يحيى، كان من النقباء، وكان أبو أسيد رئيس الأوس يوم بُعاث، وقتل يومئذ، وكان ابنه بعده شريفاً في الجاهلية وفي الإسلام، وكان يكتب بالعربية، ويحسن العوم والرمي، وكانوا في الجاهلية يسمون من كانت فيه هذه الخصال: الكامل.

أسلم أسيد على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ بساعة، وشهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ولم يشهد بدراً، ولكنه شهد أُحداً، وجُرح يومئذ سبع جراحات، وثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس، وشهد الخندق والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ، وتوفي في شعبان سنة عشرين.

عن أنس قال: كان أسيد بن حضير وعبَّاد بن بشر عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حندس، فتحدثا عنده حتى إذا [خرجا] أضاءت لهما عصا أحدهما، فمشيا في ضوئها، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه، فمشى في ضوئها. انفرد باخراجه البخاري[(١)].

٥٣ ـ سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة رضي الله عنه

يكنى أبا ثابت، أمه عمرة بنت مسعود من المبايعات، وهو أحد النقباء، شهد العقبة مع السبعين والمشاهد كلها ما خلا بدراً؛ فإنه تهيأ للخروج فلُدِغ فأقام.

وكان جواداً، وكانت جفنته تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه، وكان له من الولد سعيد ومحمد وعبد الرحمن وأمامة وقيس ومندوس.

وكان سعد يكتب في الجاهلية بالعربية، ويحسن الرمي والعوم، وقد ذكرنا أن العرب كانت تسمي من اجتمعت هذه الأشياء فيه: الكامل.

عن محمد بن سيرين قال: كان أهل الصُفَّة إذا أمسوا انطلق الرجل بالرجل والرجل بالرجلين والرجل بالخمسة، فأما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين كل ليلة.

وعن يحيى ابن أبي كثير قال: كانت لرسول الله ﷺ من سعد بن عبادة جفنة من ثريد في كل يوم تدور معه أينما دار من نسائه، وكان إذا انصرف من صلاة مكتوبة قال: اللّهم ارزقني مالاً أستعين به على فعالي، فإنه لا يصلح الفعالَ إلا المالُ.

---

٥٢ ـ أُسَيْد بن حضير ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٠)، شذرات الذهب (١/ ٣١)، تهذيب ابن عساكر (٣/ ٥٣)، العبر (١/ ٢٤)، الطبقات لابن سعد (٢/ ٣٩)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٤٧)، الإصابة (١٨٣)، الاستيعاب (٥٥)، أسد الغابة (١٦٨).

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠٥).

٥٣ ـ سعد بن عُبادة ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٠)، شذرات الذهب (١/ ٢٨)، تهذيب ابن عساكر (٦/ ٨٦)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٧٥)، تاريخ الإسلام (١/ ٣٧٩)، العبر (١/ ١٩)، تهذيب الأسماء والصفات (١/ ٢١٢)، الطبقات لابن سعد (٣/ ٦١٣) و(٧/ ٣٨٩)، الإصابة (٣١٨٠)، الاستيعاب (٩٤٩)، أسد الغابة (٢٠١٢).

وعن عروة عن أبيه: أن سعد بن عبادة كان يدعو: اللّهم هب لي حمداً، وهبْ لي مجداً، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللّهم لا يصلحني القليل، ولا أصلح عليه.

قال محمد بن سعد: توفي سعد بن عبادة بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر، كأنه مات في سنة خمس عشرة.

قال عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة: ما عُلم بموته بالمدينة حتى سُمِع غلمانٌ قد اقتحموا في بئر نصفَ النهار في حر شديد قائلاً يقول في البئر:

نحن قتلنا سيدَ الخزرج سعدَ بن عبادة رميناه بسهمين فلم تُخطِ فؤاده

فذُعِر الغلمان، فحفُظِ ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذي مات فيه سعد، وإنما جلس يبول في نفق، فاقْتُتِل، فمات من ساعته، فوجدوه قد اخضرَّ جلده(١).

٥٤ ـ البراء بن مَعْرُور بن صخر بن خنساء رضي الله عنه

أحد النقباء، شهد العقبة، وله من الولد بشير ومبشر وهند وسلافة والرباب: مبايعاتٍ، وهو أول من مات من النقباء، مات في صفر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة بشهر.

عن محمد بن سعد قال: كان البراء أول من تكلم من النقاء ليلة العقبة حين لقي رسولَ الله ﷺ السبعون من الأنصار فبايعوه وأخذ منهم النقباء، فقام البراء، فحمد الله، وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد، وحبانا به فكنَّا أول من أجاب، فأجبنا الله ورسوله، وسمعنا وأطعنا. يا معشر الأوس والخزرج قد أكرمكم الله بدينه، فإن أخذتم السمع والطاعة والمؤازرة بالشكر فأطيعوا الله ورسوله. ثم جلس رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير مختصراً (٦/ ١٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٠٦).

٥٤ ـ البَراء بن مَعْرُور ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٧)، الطبقات لابن سعد (٣/ ٦١٨)، العبر (١/ ٣)، شذرات الذهب (١/ ٢٩)، الإصابة (٦٢٢)، الاستيعاب (١٧١)، أسد الغابة (٣٩٢).

ومن الطبقة الثانية
من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهد بدراً وله إسلام قديم

٥٥ ـ العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه

ابن هاشم أبو الفضل، أمه نتيلة بنت جناب، وكان أسنَّ من رسول الله ﷺ بثلاث سنين، وله من الولد الفضل وهو أكبر ولده، وبه يكنى. وعبد الله وهو الحبر، وعبيد الله وكان جواداً، وعبد الرحمن وقثم ومعبد وحبيبة وأمهم جميعاً أم الفضل، واسمها لبابة بنت الحارث بن حزن. وكثير وتمام وصفية وأميمة أمهم أم ولد. والحارث، وأمه حجيلة بنت جندب.

أسلم العباس قديماً، وكان يكتم إسلامه، وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي ﷺ: «من لقي العباس فلا يقتله، فإنه خرج مستكرَهاً» فأسره أبو اليسر كعب بن عمر ففادى نفسه، ورجع إلى مكة، ثم أقبل إلى المدينة مهاجراً[١].

قال أهل السير والتواريخ: جاء قوم من أهل العقبة يطلبون رسول الله ﷺ فقيل لهم: هو في بيت العباس. فأُدخلوا عليه، فقال العباس: إن معكم من قومكم من هو مخالف لكم من دينكم فأخفوا أمركم حتى ينصدع هذا الحاج، ونلتقي نحن وأنتم فنوضح لكم هذا الأمر فتدخلون فيه على أمر بيِّن. فوعدهم رسول الله ﷺ الليلة التي في صبيحتها النفر الآخر: أن يوافيهم أسفل العقبة، وأمرهم أن لا ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً.

فخرج القوم تلك الليلة بعد هذه يتسللون وقد سبقهم رسول الله ﷺ ومعه العباس ليس معه غيره، وكان يثق به في أمره كله، فلما اجتمعوا كان أول من تكلم العباس فقال: يا معشر الخزرج - وكانت الأوس والخزرج تدعى الخزرج - إنكم قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه، ومحمد من أعز الناس في عشيرته يمنعه والله من كان منا على قوله، ومن لم يكن منعه للحسب والشرف، وقد أبى محمدٌ الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجَلَد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة [التي] سترميكيم عن قوس واحدة فارتؤوا رأيكم، وائتمروا أمركم، ولا تفترقوا إلا عن اجتماع فإن أحسن الحديث أصدقه، وأخرى: صفوا لي الحرب كيف تقاتلون عدوكم؟ فأسكِتَ القومُ، وتكلم عبد الله بن عمرو بن حرام فقال: نحن والله أهل الحرب، غذينا بها، ومرنّا، ورثناها عن آبائنا كابراً

---

٥٥ ـ العبّاس بن عبد المُطّلِب ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٧٨)، الطبقات لابن سعد (٤/ ٥)، شذرات الذهب (١/ ٣٨)، الإصابة (٤٥٢٥)، الاستيعاب (١٣٨٦)، تهذيب ابن عساكر (٧/ ٢٢٩)، أسد الغابة (٢٨٩٩)، تاريخ الإسلام (٢/ ٩٨)، الثقات لابن حبان (٣/ ٢٨٨).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٢٦٨).

فكابراً، نرمي بالنبل حتى تفنى، ثم نطاعن بالرماح حتى تكسُّرِها، ثم نمشي بالسيوف فنضارب بها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا.

فقال العباس: هل فيكم دروع؟ قالوا: نعم شاملة. قال البراء بن معرور: قد سمعنا ما قلت، إنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله ﷺ. فبايعهم رسول الله ﷺ والعباسُ آخذ بيد رسول الله ﷺ يؤكد له البيعة تلك الليلة على الأنصار.

وعن الشعبي قال: انطلق النبي ﷺ بالعباس إلى السبعين عند العقبة تحت الشجرة فقال العباس: ليتكلم متكلم ولا يطيل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عيناً، وإن يعلموا بكم يفضحوكم. فقال قائلهم وهو أسعد: يا محمد سل لربك ما شئت، ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله إذا فعلنا ذلك؟ فقال: «أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم»، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «الجنة» قالوا: فلك ذلك(١).

وعن يزيد بن الأصم قال: لما كانت أسارى بدر فيهم العباس فسهر نبي الله ﷺ ليلته. فقال: له بعض أصحابه: ما يسهرك يا نبي الله؟ قال: «أنين العبّاس»: فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه. فقال: رسول الله ﷺ: «ما لي لا أسمع أنين العباس؟» فقال الرجل من القوم: إني أرخيت من وثاقه شيئاً. قال: «فافعل ذلك بالأسارى كلهم»(٢).

وعن أنس بن مالك: أنهم كانوا إذا قحطوا على عهد عمر خرج بالعباس فاستسقى به، وقال: اللّهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا إذا قحطنا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. انفرد بإخراجه البخاري(٣).

توفي العباس يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ودفن بالبقيع. والله اعلم.

٥٦ ـ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

أمه فاطمة بنت أسد. وكان أسنَّ من عليّ عليه السلام بعشر سنين، وله من الولد عبد الله؛ وبه يكنى، ومحمد وعون ولد بأرض الحبشة؛ أمهم أسماء بنت عميس، أسلم جعفر قديماً، وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته أسماء، فلم يزل هنالك حتى قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٩) وابن سعد في الكبرى (٤/ ٩).

(٢) أخرجه ابن سعد في الكبرى (٤/ ١٣). (٣) أخرجه البخاري (٣٧١٠).

٥٦ ـ جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٦)، الطبقات (٤/ ٣٤)، أسد الغابة (٧٥٩)، الاستيعاب (٣٣١)، الإصابة (١١٦٩)، شذرات الذهب (١/ ١٢)، تهذيب التهذيب (٢/ ٩٨)، الحلية (١/ ١١٤)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٨).

سنة سبع، فقال: النبي ﷺ: «ما أدري بأيهما أنا أفرح: بقدوم جعفر أم بفتح خيبر»(١)

عن أم سلمة قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خيرَ جارٍ النجاشيَّ، آمنَنّا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يهدوا إلى النجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريقٍ هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدِّموا إلى النجاشي هداياه، ثم سلوه ان يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

فخرجا، فقدما على النجاشي، فدفعا إلى كل بطريق هديتّه وقالا: إنه قد صبأ إلى بلدكم منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتَدَع، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا على الملك بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً. فقالوا: نعم.

ثم قربوا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهم، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد صبأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم! فقالت بطارقته: صدقوا؛ فأسلِمهم إليهما.

فغضب النجاشي، ثم قال: لا ـ هَيْمُ اللّهِ إذاً ـ لا أُسلمهم إليهما ولا أكاد(٢) قوماً جاورني نزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم: ماذا يقول هذان في أمرهم؟ فإن كانوا كما يقولان سلمتهم إليهما، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قال: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فلما أن جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دينٍ آخر من هذه الأمم؟ قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهلَ جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القويُّ [منّا] الضعيفَ، فكنا على ذلك حتى بعث الله عز وجل إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، وكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور،

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/ ١/ ٢٣)، والحاكم (٣/ ٢١١) في المستدرك، وانظر السير (١/ ٢١٣).

(٢) الذي في السير (١/ ٢١٥)، عن ابن هشام (١/ ٣٣٤)، وأحمد (١/ ٢٠١): «لا، لعَمْرُ اللّهِ لا أردّهم إليهم حتى أكلمهم، قوم لجؤوا إلى بلادي واختاروا جواري...» ا.هـ. وهو أوضح.

وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله؛ لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام، فصدّقناه وآمنا به، فعبدنا الله عز وجل وحده لم نشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذّبونا وفَتنونا على ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين قومنا خرجنا إلى بلدك فاخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله عز وجل شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم: قال: فاقرأه عليّ. فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم] فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفكم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً.

قالت: فلما خرج من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً أعيبهم عنده بما أستاصل به خضراءهم. فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإن لهم أرحاماً؟ فقال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبدٌ.

قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً! فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه؟.

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه؟ قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال فيه الله عز وجل، وما جاء به نبينا، كائن في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ هو عبد الله وروحه ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قال: فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتَ هذا العود، ثم قال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي ـ والسيوم الآمنون ـ من سبّكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، رُدُّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي. رواه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه[1].

وعن أبي بردة عن أبيه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشي هدية فأتياه بها فقبلها، ثم قالا: إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرض الملك. فبعث إلينا فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحدٌ، أنا خطيبكم اليوم. فلما انتهينا بَدَرنا مَن عنده فقال: اسجدوا للملك! فقال جعفر: لا نسجد إلا لله. فذكر نحو الحديث المتقدم. فقال النجاشي: مرحباً بكم وبمن جئتم من

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٦٧) بمعناه، وأخرجه أحمد (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) و(٥/ ٢٩٠) وابن هشام في السيرة (٢/ ١٧٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥). والذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

عنده، وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه بشّر به عيسى عليه السلام، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبِّل نعله.

وعن عمير بن إسحاق قال: حدثني عمرو بن العاص قال: لما أتينا باب النجاشي ناديت: ائذن لعمرو بن العاص، فنادى جعفر من خلفي: ائذن لحزب الله. فسمع صوته فأُذن له قبلي.

وعن أبي هريرة قال: كان جعفر يحب المساكين، ويجلس إليهم، ويحدثهم ويحدثونهم، وكان رسول الله ﷺ يسميه: «أبا المساكين»[(١)].

ذكر وفاته رضي الله عنه

قتل جعفر بن أبي طالب بمؤتة سنة ثمان من الهجرة.

عن ابن عمر قال: وجدنا فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعين ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف.

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ نعى جعفراً وزيداً، نعاهما قبل أن يجيء خبرهما وعيناه تذرفان.

٥٧ ـ أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب

ابن هاشم رضي الله عنه، واسمه المغيرة، وكان أخا رسولِ الله ﷺ من الرضاعة، أرضعته حليمة أياماً، وكان تِرْبَ رسول الله ﷺ يألفه إلفاً شديداً، فلما بُعث رسول الله ﷺ عاداه وهجاه وهجا أصحابه. وكان شاعراً.

فلما كان عام الفتح ألقى الله في قلبه الإسلام، فخرج متنكراً فتصدى لرسول الله ﷺ فأعرض عنه فتحول إلى الجانب الآخر فأعرض عنه، قال: فقلت: أنا مقتول قبل أن أصل إليه. فأسلمت وخرجت معه حتى شهدت فتح مكة وحنيناً، فلما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف صلتاً، والله يعلم أني أريد الموت دونه وهو ينظر إليّ. فقال العباس: يا رسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه. فقال: «**قد فعلت؛ يغفر الله له كل عداوة عادنيها**»، ثم التفت إلي فقال: «**أخي لعَمْرِي**»، فقبلت رجله في الركاب[(٢)].

وعن أبي إسحاق قال: لما حضر أبا سفيان بن الحارث الوفاة قال لأهله: لا تبكوا علي، فإني لم أتنطق بخطيئة منذ أسلمت.

قال أهل السير: مات أبو سفيان بن الحارث بعد أن استخلف عمر بسنة وسبعة أشهر. ويقال:

---

٥٧ ـ أبو سفيان بن الحارث ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (١٠٠٢٨)، الاستيعاب (٣٠٣٣)، أسد الغابة (٥٩٦٦)، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٢)، الطبقات لابن سعد (٤/ ٤٩)، العبر (١/ ٢٤).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٥٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٢٧٧) وأبو نعيم في الحلية (١/١١٧).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤٠/ ٥٠) والحاكم في المستدرك (٣/٢٥٦).

بل مات سنة عشرين وصلى عليه عمر، ودفن بالبقيع.

٥٨ ـ أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما

ويقال له: أسامة الحِبُّ، وهو حِبُّ رسول الله ﷺ، ويكنى بأبي محمد، وأمه أم أيمن حاضنة رسول الله.

عن ابن عمر: أن النبي ﷺ بعث سرية فيهم أبو بكر وعمر فاستعمله عليهم، فكأن الناس طعنوا فيه ـ أي لصغره ـ فبلغ رسول الله ﷺ فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: «إن الناس قد طعنوا في إمارة أسامة، وقد كانوا طعنوا في إمارة أبيه من قبله، وإنهما لخليقان لها ـ أو كانا خليقين لذلك ـ وإنه لمن أحب الناس إليّ، وكان أبوه من أحب الناس إليّ، ألا فأوصيكم بأسامة خيراً»[(١)].

وعن حنش قال: سمعت أبي يقول: استعمل النبي ﷺ أسامة وهو ابن ثمان عشرة سنة.

وعن محمد بن سيرين قال: بلغت النخلة من عهد عثمان بن عفان ألف درهم، قال: فعمد أسامة إلى نخلة فعقرها فأخرج جمارها فأطعمه أمه. فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إن أمي سألَتْنِيهِ ولا تسألني شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها.

قال ابن سعد: قال الواقدي: قبض النبي ﷺ وأسامة ابن عشرين سنة، وكان قد سكن بعد النبي ﷺ وادي القرى، ثم نزل المدينة، فمات بالجرف في آخر خلافة معاوية.

قال الزهري: حمل أسامة حين مات من الجرف إلى المدينة.

٥٩ ـ سلمان الفارسي رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الله؛ من أصبهان من قرية يقال لها جي، وقيل من رامهرمز، سافر يطلب الدين مع قوم فغدروا به فباعوه من اليهود، ثم إنه كوتب فأعانه النبي ﷺ في كتابته. أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة ومنعه الرقُّ من شهود بدر وأحد.

وأول غزاة غزاها مع النبي ﷺ الخندق وشهد ما بعدها، وولاه عمر المدائن.

عن عبد الله بن العباس قال: حدثني سلمان الفارسي قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها «جي» وكان أبي دهقان قريته.

وكنت أحبّ خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية،

---

٥٨ ـ أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ: الإصابة (٨٩)، الاستيعاب (٢١)، أسد الغابة (٨٤)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٦١)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٦)، تهذيب ابن عساكر (٢/ ٣٩٤)، تهذيب التهذيب (١/ ٢٠٨)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٠)، العبر (١/ ٥٩).

(١) أخرجه ابن سعد في الكبرى (٤/ ٦٦).

٥٩ ـ سلمان الفارس ابن الإسلام ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٥٠٥)، شذرات الذهب (١/ ٤٤)، الطبقات لابن سعد (٤/ ٥٤)، الاستيعاب (١٠١٩)، أسد الغابة (٢١٥٠)، الإصابة (٣٣٦٩)، تهذيب التهذيب (٤/ ١٣٧)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٢٦)، الحلية (١/ ١٨٥)، تاريخ بغداد (١/ ١٦٣).

واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة.

قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة. قال: فشغل في بنيان له يوماً، فقال لي: لي يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب فاطّلعها. وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعته فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته؟.

فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليه أنظر ما يصنعون؟ قال: فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الذي نحن عليه.

فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصلُ هذا الدين؟ قالوا: بالشام؟ قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبة مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس! قال: أي بني ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا. قال: فخافني فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثتُ إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجاراً من النصارى فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركب من الشام ـ تجار من النصارى ـ قال: فأخبروني بقدوم تجار فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم. قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. قال: فجئته فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك، وأصلي معك؟ قال: فادخل. فدخلت معه.

قال: فكان رجلَ سوءٍ، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها شيئاً اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب. قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع. قال: ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه. فقلت لهم: إن هذا كان رجلَ سوءٍ يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعطِ المساكين منها شيئاً؟ قالوا: وما علمك بذلك؟ قلت: أنا أدلكم على كنزه. قالوا: فدُلَّنا عليه. قال: فأريتهم موضعه. قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً ووَرِقاً. قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً. قال: فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة.

ثم جاؤوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلاً يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه وأزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه. قال: فأحببته حباً لم أحبه أحداً من قبل، فأقمت معه زماناً، ثم حضَرَتْهُ الوفاةُ قلت له: يا فلان إني كنت معك فأحببتك حباً لم أحبه مَن قبلك، وقد حضرتك الوفاة فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل، وهو فلان، وهو

على ما كنت عليه، فالحقْ به.

قال: فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره. قال: فقال لي: أقم عندي. قال: فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين؛ وهو فلان فالحقْ به.

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين، فجئت فأخبرته بما جرى وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي. فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان، إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم أحداً بقي على أمرنا آمرك إن تأتيه إلا رجلاً بعمورية، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فائته فإنه على مثل أمرنا.

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمُّورية وأخبرته خبري فقال: أقم عندي. فأقمت عند رجل على هدي أصحابه وأمرهم. قال: وكنت اكتسبت، حتى كانت لي بقرات وغُنيمة. قال: ثم [نزل] به أمر الله عز وجل فلما حُضِر قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحدٌ من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى؛ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغيِّب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجاراً فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من يهود، فكنت عنده ورأيت النخل، ورجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي. فبينا أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبعث الله رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم؛ زعم أنه نبي.

قال: فلما سمعتها أخذتني العُرَواء حتى ظننت أني ساقط على سيدي.

قال: ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة وقال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك. قال: قلت: لا شيء؛ إنما أردت أن أستثبته عما قال.

وقد كان شيء عندي قد جمعته فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم. قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا» وأمسك يده هو فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة.

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها. فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان.

قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغَرْقد قد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان، وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره: هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وُصِفَ لي. قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي. فقال رسول الله ﷺ: «تحوّل».

فتحولت فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس! فأعجب رسولَ الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابُه.

ثم شغل سلمانَ الرقُّ حتى فاته مع رسول الله: بدر وأحد. قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كاتبْ يا سلمان». فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفَقِير وبأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أعينوا أخاكم». فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين وَدِيّة[1]، والرجل بعشرين، والرجل بخمسة عشر، والرجل بعشرة، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلثمائة وَدِيّة، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب يا سلمان فَفقِّر لها، فإذا فرغت أكون أنا أضعها بيدي».

قال: ففقرتُ لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الوَدِيّ ويضعه رسول الله ﷺ بيده. فو الذي نفس سلمان بيده ما مات منها وَدِيّة واحدة، فأديت النخل، فبقي علي المال فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال: «ما فعل الفارسي المُكاتب؟». قال: فدعيت له. قال: «فخذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان». قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: «خذها؛ فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك». قال: فأخذتها فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعُتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد. رواه الإمام أحمد[2].

وقد رويت بداية سلمان من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة وأنه قال: كنت من أهل جَيّ، وكان أهل قريتي يعبدون الخيل البُلْق فطلبت الدِّين. فذكر نحو ما ذكرناه وأنه قدم على رسول الله ﷺ

---

(١) الوُدْية: جمع وَدِيّة وهي صغار الفَسيل.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٤١ ـ ٤٤٤)، وابن هشام (٢/ ٤٠)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/ ١٦٤)، وهو عند الطبراني برقم (٦٠٦٥)، وأسد الغابة برقم (٢٥٠)، والسير (١/ ٥٠٦ ـ ٥١١).

مكة. والذي ذكرناه من لقائه له بالمدينة هو الصحيح.

وفي الصحيح عن سلمان أنه قال: تداولني بضعة عشر من ربّ إلى ربّ[١].

ذكر نبذة عن فضائله رضي الله عنه

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «السُّبّاق أربعة، أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة»[٢].

وعن كثير بن عبد الله المُزَني، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ خط الخندق وجعل لكل عشرةٍ أربعين ذراعاً، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان ـ وكان رجلاً قوياً ـ فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: لا؛ بل سلمان منا. فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منّا أهل البيت»[٣].

وعن أبي حاتم عن العُتْبي قال: بعث إلي عمر بحللٍ فقسمها، فأصاب كل رجل ثوبٌ، ثم صعد المنبر وعليه حلة ـ والحلة ثوبان ـ فقال: أيها الناس ألا تسمعون؟ فقال سلمان: لا نسمع. فقال عمر: لِمَ يا أبا عبد الله؟ قال: إنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة؟ فقال: لا تعجل يا أبا عبد الله. ثم نادى: يا عبد الله. فلم يجبه أحد فقال: يا عبد الله بن عمر. فقال: لبيك يا أمير المؤمنين.

فقال: نشدتك الله، الثوبُ الذي اتزرت به أهو ثوبك؟ قال: اللّهم نعم. قال سلمان: فقل، الآن نسمع.

ذكر غزارة علمه رضي الله عنه

عن أبي جحيفة قال: آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذِّلة. فقال لها: وما شأنكِ؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا؟ قال: فلما جاء أبا الدرداء قرب طعاماً فقال: كُل، فإني صائم. قال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكل. قال: فأكل.

فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم. فقال له سلمان: نم. فنام، فلما كان من آخر الليل قال له سلمان: قم الآن. فقاما فصليا. فقال: إن لنفسك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فأعطِ كلّ ذي حقٍ حقه. فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له. فقال: «صدق سلمان». انفرد باخراجه البخاري[٤].

وعن محمد بن سيرين قال: دخل سلمان على أبي الدرداء في يوم جمعة فقيل له: هو نائم.

فقال: ما له؟ فقالوا: إنه إذا كانت ليلة الجمعة أحياها، ويصوم يوم الجمعة. فقال: فأمرهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٤٦).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٢٨٥)، وهو في الحلية (١/ ١٤٩)، والسير (١/ ٣٨٩ و٥٣٩).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٨٣)، والحاكم (٣/ ٥٩٨)، وضعفه الذهبي.

(٤) أخرجه البخاري (١٩٦٨، ٦١٣٩)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١١٢) وفيه: «مبتذلة». بدل «متبذِّلة» كما عند البخاري.

فصنعوا طعاماً في يوم جمعة، ثم أتاهم فقال: كل. قال: إني صائم. فلم يزل به حتى أكل. فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له. فقال النبي ﷺ: «عويمرُ! سلمان أعلم منك. وهو يضرب بيده على فخذ أبي الدرداء - عويمرُ: سلمان أعلم منك. ثلاث مرات - لاتخصَّنّ ليلة الجمعة بقيامٍ من بين الليالي، ولا تخصنّ يوم الجمعة بصيامٍ من بين الأيام»(١).

وعن ثابت البناني: أن أبا الدرداء ذهب مع سلمان يخطب عليه امرأة من بني ليث، فدخل فذكر فضل سلمان وسابقتَه وإسلامه، وذكر أنه يخطب إليهم فتاتهم فلانة. فقالوا: أما سلمان فلا نزوجه ولكنّا نزوجك. فتزوجها، ثم خرج فقال له: إنه قد كان شيء وأنا أستحيي أن أذكره لك.

قال: وما ذاك؟ فأخبره الخبر. فقال سلمان: أنا أحق أن أستحيي منك أن أخطبها، وقد قضاها الله لك. رضي الله عنهما.

ذكر نبذة من زهده رضي الله عنه

عن الحسن قال: كان عطاء سلمان الفارسي خمسة آلاف، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين، وكان يخطب الناس في عباءةٍ يفترش بعضها ويلبس بعضها، فإذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف يديه.

وعن عمار - يعني الدُّهني - قال: كان عطاء سلمان الفارسي أربعة آلاف وكارة من ثياب، فيتصدق بها، ويعمل الخُوص.

وعن مالك بن أنس: أن سلمان الفارسي كان يستظل بالفيء حيثما دار، ولم يكن له بيت. فقال له رجل: ألا نبني لك بيتاً تستظل به من الحر؛ وتسكن فيه من البرد؟ فقال له سلمان: نعم. فلما أدبر صاح به فسأله سلمان: كيف تبنيه؟ قال: أبنيه؛ إن قمتَ فيه أصاب رأسك، وإن اضطجعت فيه أصاب رجليك. فقال سلمان: نعم.

وقال عبادة بن سيلم: كان لسلمان خباء من عبَاء وهو أمير الناس.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي، عن سلمان: أنه تزوج امرأة من كندة، فلما كان ليلة البناء مشى معه أصحابه حتى أتى بيت المرأة، فلما بلغ البيت قال: ارجِعوا، أجرُكم عند الله. ولم يُدخلهم، فلما نظر إلى البيت - والبيت منجَّد - قال: أمحموم بيتكم أم تحولت الكعبة في كِندة؟ فلم يدخل حتى نزع كل سترٍ في البيت غير ستر الباب، فلما دخل رأى متاعاً كثيراً فقال: لمن هذه المتاع؟ قالوا: متاعك ومتاع امرأتك. فقال: ما بهذا أوصاني خليلي رسول الله ﷺ أوصاني خليلي: أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الراكب. ورأى خدماً فقال: لمن هذه الخدم؟ قالوا: خدمك وخدم امرأتك. فقال: ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ أوصاني خليلي أن لا أمسك إلا ما أنكَحُ، أو أُنكح، فإن فعلتُ فبَغَيْنَ كان علي مثل أوزارهن من غير أن ينقص من أوزارهن شيء. ثم قال للنسوة اللاتي عند امرأته: هل أنتنّ

(١) أخرجه مسلم البخاري (١٩٨٥) (١١٤٤) عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما، مختصراً دون الحادثة، والحادثة بتمامها ذكرها الطبراني في الكبير (٦/ ٢١٨)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٤٦) و(٤/ ٨٥).

مخلّيات بيني وبين امرأتي؟ قلن: نعم. فخرجن، فذهب إلى الباب فأجافه وأرخى الستر، ثم جاء فجلس عند امرأته فمسح ناصيتها ودعا بالبركة. فقال لها: هل أنت مطيعتي في شيء آمرك به؟ قالت: جلستُ مجلس من يطيع. قال: فإن خليلي أوصاني إذا اجتمعتُ إلى أهلي أن أجتمع على طاعة الله. فقام وقامت إلى المسجد فصلّيا ما بدا لهما، ثم خرجا فقضى منها ما يقضي الرجل من امرأته. فلما أصبح غدا عليه أصحابه فقالوا: كيف وجدت أهلك؟ فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم. ثم قال: إنما جعل الله عز وجل الستور والخُدُر والأبواب لتواري ما فيها، حسْبُ كل امرئ منكم أن يسأل عما ظهر له، فأما ما غاب عنه فلا يسألنّ عن ذلك، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المتحدّث عن ذلك كالحمارَيْن يتسافدان في الطريق»[(١)].

وعن أبي قِلابة: أن رجلاً دخل على سلمان وهو يَعجن فقال: ما هذا؟ قال: بعثْنا الخادم في عملٍ؛ فكرهنا أن نجمع عليه عملين. ثم قال: فلان يقرئك السلام. قال: متى قدمت؟ قال: منذ كذا وكذا. فقال: أما إنك لو لم تؤدّها كانت أمانة لم تؤدّها. رواه أحمد[(٢)].

ذكر كسبه وعمله بيده رضي الله عنه

عن النعمان بن حميد قال: دخلت مع خالي على سلمان الفارسي بالمدائن وهو يعمل الخوص، فسمعته يقول: أشتري خوصاً بدرهم فأعمله، فأبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهماً فيه، وأنفق درهماً على عيالي، وأتصدق بدرهم، ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت.

وعن الحسن قال: كان سلمان يأكل من سفيف يده.

ذكر نبذة من ورعه رضي الله عنه

عن أبي ليلى الكندي قال: قال غلام سلمان لسلمان: كاتِبْني. قال: ألك شيء؟ قال: لا. قال: فمن أين؟ قال: أسال الناس. قال: تريد أن تطعمني غُسالة الناس.

ذكر نبذة من تواضعه رضي الله عنه

عن ثابت قال: كان سلمان أميراً على المدائن فجاء رجل من أهل الشام ومعه حِملُ تُبْنٍ وعلى سلمان [أَنْدَرٌ][(٣)] وبُرْدٌ وعباءة. فقال لسلمان: تعالَ احمل، وهو لا يعرف سلمان. فحمل سلمان، فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير. فقال: لم أعرفك. فقال له سلمان: لا؛ حتى أبلغ منزلك. وفي رواية أخرى: إني قد نويت فيه نيةً فلا أضعه حتى أبلغ بيتك.

وعن عبد الله بن بُريدة قال: كان سلمان إذا أصاب الشيء اشترى به لحماً، ثم دعا المجذومين

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠١) وابن أبي عاصم في الزهد (١٥٥) والبيهقي في الشُّعَبِ (٦/ ٤٦٥) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ٩٠).

(٣) في الأصل «أندرا» وقد آثرنا ضبطها «أَنْدَرٌ» وهو البَيْدَر أو كُدْسُ القمح. والثاني هو المقصود هنا.

فأكلوا معه.

وعن عمر بن أبي قرة الكندي قال: عرض أبي على سلمان أخته أن يزوجه فأبى، فتزوج مولاة يقال لها بقيرة. فأتاه أبو قرّة فأخبر أنه في مَبْقَلة له، فتوجه إليه فلقيه معه زنبيل فيه بَقْل قد أدخل عصاه في عروة الزنبيل وهو على عاتقه.

وعن ميمون بن مهران، عن رجل من عبد القيس قال: رأيت سلمان في سرّية وهو أميرها على حمار عليه سراويل وخَدَمتاه تَذِبْذَبان[1]، والجند يقولون: قد جاء الأمير. قال سلمان: إنما الخير والشرّ بعد اليوم.

وعن أبي الأحوص قال: افتخرتْ قريش عند سلمان، فقال سلمان: لكنّي خلقت من نطفة قذرة، ثم أعود جيفةً مُنتنة، ثم يُؤدّى بي إلى الميزان، فإن ثقلت فأنا كريم، وإن خفت فأنا لئيم.

وعن أبي البَختَريّ قال: صحب سلمانَ رجلٌ من بني عبس ليتعلم منه، فخرج معه فجعل لا يستطيع أن يفضُله في عمل: إن عجن جاء سلمان فخبز، وإن هيأ الرجل علفاً للدواب ذهب سلمان فسقاها. حتى انتهوا إلى شطّ دجلة وهي تطفح فقال سلمان للعبسي: انزل فاشربْ. فنزل فشرب. فقال له سلمان: ازدد. فازدادَ. فقال له سلمان: كم تراكَ نَقصتَ منها؟ فقال العبسي له: وما عسى أن أنقص منها؟ فقال سلمان: كذلك العِلم تأخذ منه ولا ينقص، فعليك بالعلم بما ينفعك.

قال: ثم عبر إلى نهر دَنّ[2] فإذا الأكداس عليه من الحنطة والشعير. فقال سلمان: يا أخا بني عبس أما ترى إلى الذي فتح خزائن هذه علينا كان يراها ومحمد حيّ؟ قال: فقلت: بلى. قال: فوالذي لا إله غيره لقد كانوا يمسون ويصبحون وما فيهم قفيز من قمح. قال: ثم سرنا حتى انتهينا إلى جَلُولاء. قال: فذكر ما فتح الله عليهم، وما أصابوا فيها من الذهب والفضة، فقال: يا أخا بني عبس أما ترى إلى الذي فتح خزائن هذه علينا كان يراها ومحمد حيّ؟ قال: قلت: بلى. قال: والذي لا إله غيره لقد كانوا يُمْسون ويُصْبحون وما فيهم دينار ولا درهم[3].

ذكر ثناء الناس على سلمان واعترافهم بفضله رضي الله عنه

عن ابن عباس قال: قدم سلمان من غيبة له فتلقاه عمر فقال: أرضاك لله عبداً! قال: فزوّجني. فسكت عنه. فقال: أترضاني لله عبداً ولا ترضاني لنفسك؟ فلما أصبح أتاه قوم فقال: حاجةٌ؟ قالوا: نعم. قال: ما هي؟ قالوا: تضرب عن هذا الأمر ـ يعنون خطبته إلى عمر ـ فقال: أما والله ما حملني على هذا إمرته ولا سلطانه، ولكن قلت: رجل صالح؛ عسى الله عز وجل أن يخرج مني ومنه نسمة صالحة.

وعن أبي الأسود الدؤلي قال: كنا عند علي ذات يوم فقالوا: يا أمير المؤمنين حدثنا عن سلمان؟

---

(١) الخَدَمةُ: الخلخال، والمراد هنا: الساقان؛ لأنهما موضع الخَدَمتين. تذبذبان: تتحركان. ا.هـ. النهاية (٢/ ١٥).

(٢) نهرُ دَنّ: نهر في بغداد قرب إيوان كسرى؛ احتفره أنو شروان ا.هـ. معجم البلدان (٢/ ٤٧٨).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (٢٩) وهناد في الزهد (٢/ ٣٨٠).

قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم؟ ذلك امرؤ منا وإلينا أهلَ البيت، أدرك العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والآخر، وبحر لا ينزف.

وأوصى معاذ بن جبل رجلاً أن يطلب العلم من أربعة؛ سلمان أحدهم.

ذكر نبذة من كلامه ومواعظه رضي الله عنه

عن حفص بن عمرو السعدي عن عمه قال: قال سلمان لحذيفة: يا أخا بني عبس العلم كثير والعمر قصير فخذ من العلم ما تحتاج إليه في أمر دينك، ودعْ ما سواه فلا تعانِهِ.

وعن أبي سعيد الوهبي عن سلمان قال: إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهى ما يضره منعه وقال: لا تقربه؛ فإنك إن أتيته أهلكك، فلا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة مما قد فُضِّل به غيره من العيش فيمنعه الله عز وجل إياه، ويحجره حتى يتوفاه فيدخله الجنة.

وعن جرير قال: قال سلمان: يا جرير تواضع لله عز وجل، فإنه من تواضع لله عز وجل في الدنيا رفعه الله يوم القيامة. يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا. قال: ظلم الناس بينهم في الدنيا. قال: ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين إصبعيه قال: يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده؟ قال: قلت: يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر.

وعن أبي البختري عن سلمان قال: مثل القلب والجسد مثل أعمى ومُقْعَد، قال المقعد: إني أرى تمرة ولا أستطيع أن أقوم إليها فاحملني فحمله فأكل وأطعمه.

وعن قتادة قال: قال سلمان: إذا أسأت سيئة في سريرة فأحسن حسنة في سريرة، وإذا أسأت سيئة في علانية فأحسن حسنة في علانية لكي تكون هذه بهذه.

وعن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد: أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: هلم إلى الأرض المقدسة. فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس الإنسانَ عملُه، وقد بلغني أنك جعلت طبيباً، فإن كنت تُبرِىء فنعمّا لك، وإن كنت متطبباً فاحذر أن تقتل إنساناً فتدخل النار. فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه نظر إليهما وقال: متطبب والله. ارجعا إليّ؛ أعيدا قصتكما.

عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض عنه؟ وثلاث أَحزَنَّني حتى أبكينني: فراق محمد وحزبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي ربي عز وجل، ولا أدري إلى جنة أو إلى نار؟

وعن حماد بن سلمة عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قال: ما من مسلم يكون بفيء من الأرض فيتوضأ أو يتيمم، ثم يؤذن ويقيم إلا أمَّ جنوداً من الملائكة لا يرى طرفهم ـ أو قال طرفاهم ـ.

وعن ميمون بن مهران قال: جاء رجل إلى سلمان فقال: أوصني؟ قال: لا تتكلم!، قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم! قال: فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت. قال: زدني. قال: لا تغضب. قال: إنه ليغشاني ما لا أملكه! قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك. قال: زدني. قال: لا تلابس الناس. قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يلابسهم! قال: فإن لابستهم فاصدق الحديث وأدِّ الامانة.

وعن أبي عثمان عن سلمان قال: إن العبد إذا كان يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء فدعا قالت الملائكة: صوت معروف من آدمي ضعيف. فيشفعون له، وإذا كان لا يدعو الله في السراء فنزلت به الضرّاء قالت الملائكة: صوت مُنكَرٌ من آدميٍّ ضعيف!! فلا يشفعون له.

وعن حارثة بن مضرب قال: سمعت سلمان يقول: إني لأعد العراق على الخادم خشية الظن[1]. ورواه زهير عن أبي إسحاق قال: إني لأعد عراق القِدْر مخافة الظن بخادمي.

وعن سالم مولى زيد بن صوحان قال: كنت مع مولاي زيد بن صوحان في السوق فمر علينا سلمان الفارسي وقد اشترى وسقاً من طعام، فقال له زيد: يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وتفرغت للعبادة، ويئس منها الوسواس.

وعن أبي عثمان عن سلمان قال: لما افتتح المسلمون جَوْخَى دخلوا يمشون فيها وأكداس الطعام فيها أمثال الجبال. قال: ورجل يمشي إلى جنب سلمان فقال: يا أبا عبد الله ألا ترى ما أعطانا الله؟ فقال سلمان: وما يعجبك؟ فما ترى إلى جنب كل حبة مما ترى حساباً؟!. رواه الإمام أحمد[2].

وعن سعيد بن وهب قال: دخلت مع سلمان على صديق له من كندة نعوده. فقال له سلمان: إن الله عز وجل يبتلي عبده المؤمن بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كفارة لما مضى، فيستعتب فيما بقي، وإن الله عز وجل يبتلي عبده الفاجر بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كالبعير عَقَلَهُ أهله، ثم أطلقوه، فلا يدري فيم عقلوه ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه؟

وعن محمد بن قيس عن سالم بن عطية الأسدي قال: دخل سلمان على رجل يعوده وهو في النزاع فقال: أيها المَلَك ارفق به. قال: يقول الرجل: إنه يقول: إني بكل مؤمن رفيق. والسلام.

ذكر وفاة سلمان رضي الله عنه

عن حبيب بن الحسن وحميد بن مورق العجلي: أن سلمان لما حضرته الوفاة بكى! فقيل: له ما

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٢٩٧) والبخاري في الأدب المفرد (٧٠) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ٨٩) وفيه: «العراقة».

العراق: العظم الذي لا لحم فيه. كما في فتح الباري (٩/ ٥٤٥). وقال الأصمعي: العِرْق: قطعة اللحم. وقال الأزهري: العظام يؤخذ منها هبر اللحم ويبقى عليها لحم رقيق، فَيُكسر ويطبخ ويؤكل ما على العظام من لحم رقيق ا.هـ. الزرقاني على المواطا (١/ ٣٧٩).

(٢) في تاريخ البخاري الكبير (٤/ ١٦١): «... مما ترى نجاسة. وأخرجه البيهقي في الشعب (٧/ ٣٧٩) ونسبه لأحمد.

يبكيك؟ قال: عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ قال: «ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب». قال: فلما مات نظروا في بيته فلم يجدوا في بيته إلا إكافا ووطاء ومتاعاً؛ قوّم نحواً من عشرين درهماً(١).

وعن عامر بن عبد الله عن سلمان: أنه حين حضر الموت عرفنا به بعض الجزع، فقالوا: ما يجزعك يا أبا عبد الله وقد كان لك سابقة في الخير؟ شهدت مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة وفتوحاً عظاما؟ قال: يحزنني أن حبيبنا محمداً ﷺ عهد إلينا حين فارقنا فقال: «لِيَكْفِ المؤمنَ كزاد الراكب». فهذا الذي أحزنني.

قال: فجُمع مال سلمان، فكان قيمته خمسة عشر ديناراً. هكذا قال عامر، والباقون من الرواة يذكرون الدراهم(٢).

عن أبي سفيان عن أشياخه قال: ودخل سعد بن أبي وقاص على سلمان يعوده، فبكى سلمان فقال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، وترد عليه الحوض؟ قال: فقال سليمان: أما إني ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: «لتكن بلغة أحدكم مثل زاد الراكب»(٣). وحولي هذه الأساود!! وإنما حوله إجّانة أو جفنة أو مطهرة قال: فقال له سعد: يا أبا عبد الله اعهد إلينا بعهد فنأخذ به بعدك؟ فقال: يا سعد اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يَدِك إذا قسمت.

وعن الشعبي قال: أصاب سلمان صرةَ مسك يوم فتح جلولاء فاستودعها امرأته، فلما حضرته الوفاة قال: هاتي المسك. فمرسها في ماء، ثم قال: انضحيها حولي، فإنه يأتيني زوار الآن ليس بإنس ولا جان. ففعلت. فلم يمكث بعد ذلك إلا قليلاً حتى قبض. وفي [رواية] أخرى أنه قال: يجدون الريح ولا يأكلون الطعام.

وعن سعيد بن سوقة قال: دخلنا على سلمان نعوده وهو مبطون فقال لامرأته: ما فعلت بالمسك الذي جئنا به من بلنجر؟ قالت: هو ذا. قال: ألقيه في الماء، ثم اضربي بعضه ببعض، ثم انضحي حول فراشي فإنه الآن يأتينا قوم ليس بإنس ولا جن. ففعلت، وخرجنا عنه، ثم أتيناه فوجدناه قد قبض رضي الله عنه.

عن الشعبي قال: حدثني الجزل عن امرأة سلمان بقيرةَ قالت: لما حضر سلمان الموت دعاني وهو في علّية لها أربعة أبواب فقال: افتحي هذه الأبواب يا بقيرة فإن لي اليوم زواراً لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون عليَّ!! ثم دعا بمسك له، ثم قال لها: أديفيه في تور. ففعلت، ثم قال: انضحيه حول فراشي، ثم انزلي فامكثي فسوف تطلعين فتريني على فراشي. فاطلعت فإذا قد أُخذ روحه، كأنه نائم على فراشه، أو نحو هذا.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٦١) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٩٦) و(٢/ ٢٣٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٦٨).

(٣) هو في الطبراني (٦/ ٢٦١)، وفيه: «دخل سعد بن مالك وابن مسعود»

قال أهل العلم بالسِّيَرِ: كان سلمان من المعمَّرين، أدرك وصي عيسى ابن مريم عليه السلام، وعاش مائتين وخمسين سنةً. ويقال: أكثر (١).

وتوفي بالمدائن في خلافة عثمان، وقيل: مات سنة ثنتين وثلاثين.

قال أبو بكر بن أبي داوود: لسلمان ثلاث بنات؛ بنت بأصبهان وبنتان بمصر.

وعن عبد الله بن سلام أن سلمان قال له: يا أخي أينا مات قبل صاحبه فليترايا له. قال عبد الله ابن سلام: أوَ يكون ذلك؟ قال: نعم؛ إن نَسَمَةَ المؤمن مخلَّاة، تذهب في الأرض حيث شاءت، ونَسَمَةَ الكافر في سجِّين. فمات سلمان. قال عبد الله: فبينا أنا ذات يوم قائلٌ بنصف النهار على سرير لي فأغفيت إغفاءة إذ جاء سلمان فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقلت: السلام عليك ورحمة الله يا أبا عبد الله كيف وجدت منزلك؟ قال: خيراً، وعليك بالتوكل، فنعم الشيء التوكل. ردده ثلاث مرات رحمه الله.

٦٠ ـ أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

عبد الله بن قيس بن سليم، أسلم بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخيبر، وبعضهم ينكر هجرته إلى الحبشة.

عن أبي موسى: أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، وأمرهما: أن يعلما الناس القرآن. رواه الإمام أحمد (٢).

وقد صح من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة! لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داوود» فقلت: يا رسول الله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبَّرته لك تحبيراً (٣).

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسى قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر على بعير نعتقبه. قال: فنَقِبتْ أقدامنا، ونقبت قدمي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخِرَق فسميت غزاة «ذات الرقاع» لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق. قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث، ثم كره ذلك وقال: ما كنت أصنع بأن أذكره؟ قال: كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه (٤).

---

(١) قال الحافظ الذهبي في السير (١/ ٥٥٦): وقد ذكرتُ في تاريخي الكبير: أنه عاش مئتين وخمسين سنة، وأنا الساعة لا أرتضي ذلك، ولا أصححه.

٦٠ ـ أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٠)، طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٤)، شذرات الذهب (١/ ٢٩ ـ ٦٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٤٩)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٥٥)، العبر (١/ ٥٢)، الإصابة (١٠٥٩٠)، الاستيعاب (٣٢٣٧). أسد الغابة (٦٢٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٧) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٤٣) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٤٨) مختصراً.

(٤) أخرجه البخاري (٤١٢٨) ومسلم (١٨١٦).

وعن أبي سلمة قال: كان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى: ذكِّرنا ربنا تعالى. فيقرأ.

وعن أبي عثمان النهدي قال: صلى بنا أبو موسى الأشعري صلاة الصبح، فما سمعت صوت صنج ولا بُرْبُطٍ كان أحسن صوتاً منه.

وعن أبي كبشة السدوسي قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال: إن الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء، ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب العطر إلا يحذُك يعبق بك من ريحه، ألا وإن مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير، إلا يحرق ثيابك يعبق من ريحه، ألا وإنما سمي القلب من تقلبه، وإن مثل القلب كمثل ريشة بأرض فضاء تضربها الريح ظهراً لبطن، ألا وإن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب.

قالوا: فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاس البيوت.

وعن أبي كنانة عن أبي موسى الأشعري: أنه جمع الذين قرأوا القرآن فإذا هم قريب من ثلاث مائة فعظم القرآن، وقال: إن هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن تبعه القرآن زجَّ في قفاه، فقذفه في النار.

وعن أنس: أن أبا موسى كان له تبان ينام فيه مخافة أن ينكشف(١).

وعن أبي مجلز قال: قال أبو موسى: إني لأغتسل في البيت المظلم، فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياء من ربي عز وجل.

وعن قسامة بن زهير قال: خطبنا أبو موسى فقال: أيها الناس ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع، ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت. روى هذه الأحاديث الثلاثة الإمام أحمد رحمه الله.

وعن أبي بردة عن أبي موسى قال: خرجنا غازين في البحر والريح لنا طيبة، والشراع لنا مرفوع، فسمعنا منادياً ينادي: يا أهل السفينة قفوا أخبركم. حتى والى بين سبعة أصوات. قال أبو موسى: فقمت على صدر السفينة فقلت: من أنت؟ ومن أين أنت؟ أَوَ ما ترى أين نحن؟ وهل نستطيع وقوفاً؟ قال: فأجابني الصوت: ألا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه؟ قال: قلت: بلى أخبرنا. قال: فإن الله قضى على نفسه أنه من عطّش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة. قال: فكان أبو موسى يتوخّى ذلك اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسان فيصومه.

وعن أبي إدريس قال: صام أبو موسى حتى عاد كأنه خلال. فقيل له: لو أجممت نفسك؟ فقال: أيهات إنما يسبق من الخيل المضمرة. قال: وربما خرج من منزله فيقول لامرأته: شدي رحلك، فليس على جسر جهنم معبر؟

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١٩٧). التُّبّان: سراويلُ صغيرٌ يستر العورة المغلظة فقط، ويُكثِر لُبْسَه الملاّحون ا.هـ. النهاية لابن الأثير (١/ ١٨١).

عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب قال: دعا أبو موسى فتيانه حين حضرته الوفاة فقال: اذهبوا فاحفروا وأوسعوا وأعمقوا. فجاؤوا فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا. فقال: والله إنها لإحدى المنزلتين إما ليوسعن عليَّ قبري حتى يكون كل زاوية منه أربعين ذراعاً، ثم ليفتحن لي باب إلى الجنة فلأنظرن إلى أزواجي ومنازلي وما أعدَّ الله عز وجل لي من الكرامة، ثم ليصيبني من ريحها ورَوحها حتى أُبعث، ولئن كانت الأخرى ـ ونعوذ بالله منها ـ ليضيقن عليَّ قبري حتى أكون في أضيق من القناة في الزج، ثم ليفتحن لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرن إلى سلاسلي وأغلالي وقرنائي، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث.

وعن أبي بردة قال: لما حضرت أبا موسى الوفاة قال: يا بني اذكروا صاحب الرغيف. قال: كان رجل يتعبد في صومعته ـ أراه قال: سبعين سنة ـ لا ينزل إلا في يوم واحد. قال: فشبه ـ أو شب ـ الشيطان في عينه امرأة. قال: فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال قال: ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائباً، فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد، فآواه الليل إلى دكان عليه اثنا عشر مسكيناً فأدركه الإعياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم، وكان ثَمَّ راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة فيعطي كل إنسان رغيفاً، فجاء صاحب الرغيف فأعطى كل إنسان رغيفاً. فقال المتروك لصاحب الرغيف: ما لك لم تعطني رغيفي؟ قال: أتراني أمسكه عنك؟ سل: هل أعطيت أحداً منكم رغيفين؟ قالوا: لا. قال: أتراني أمسكه عنك؟ والله لا أعطيك الليلة شيئاً. فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه فدفعه إلى الرجل الذي تُرك.

فأصبح التائب ميتاً. قال: فوزنت السبعون سنة بالسبع ليالي فرجحت الليالي.

فوزن الرغيف بالسبع الليالي فرجح الرغيف. فقال: أبو موسى: يا بُني اذكروا صاحب الرغيف. رضي الله عنه.

قال أصحاب السِّير: توفي أبو موسى سنة اثنتين وخمسين. وقيل: اثنتين وأربعين، وقيل: أربع وأربعين، ودفن بمكة، وقيل: دفن بالثوِية على ميلين من الكوفة.

٦١ ـ ياسر بن عامر بن مالك «أبو عمار» رضي الله عنه

قَدمَ مكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة، فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها: «سُمية بنت خياط» فولدت له عمّاراً. رحمهم الله.

ثم جاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وعمار، فلما أسلم ياسر أخذته بنو مخزوم فجعلوا يعذبونه ليرجع عن دينه.

قال عثمان بن عفان: أقبلت أنا ورسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي حتى أتينا على أبي عمار وعمار

٦١ ـ ياسر بن عامر: أبو عمار ـ رضي الله عنهما ـ: أسد الغابة (٥٥٠٣)، الإصابة (٩٢٣٠) ذكراه باسم: ياسر العَنْسيّ، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٣٤٦) و(٤/ ١٣٦).

وأمه وهم يعذبون، فقال ياسر: الدهرَ هكذا؟ فقال النبي: «اصبر، اللّهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلتَ»[١]. رضي الله عنه.

٦٢ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

يكنى أبا عبد الرحمن، أمه زينب بنت مظعون، أسلم بمكة مع أبيه، ولم يكن بالغاً حينئذ، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعُرض على رسول الله ﷺ يوم بدر فرده، ويوم أحد فرده لصغر سنه، وعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه.

عن نافع عن ابن عمر: أن النبي ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشر فلم يجزه، ثم عرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه.

وعن سالم عن ابن عمر: قال: كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على النبي ﷺ. قال: وكنت غلاماً شاباً عزباً، فكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملَكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان وأرى فيها ناساً قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار. فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن تُرَع. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله لو كان يصلي من الليل». قال سالم: فكان عبد الله بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً. أخرجاه في الصحيحين[٢].

وعن نافع قال: قال لي عبد الله بن عمر: رأيت في المنام كأن بيدي قطعة من إستبرق، ولا أشير بها إلى مكان من الجنة إلا طارت بي إليه، فقصتها حفصة على النبي ﷺ. فقال: «إن أخاك رجل صالح» أو: «إن عبد الله رجل صالح». أخرجاه في الصحيحين[٣].

وعنَ أبي الزناد قال: اجتمع في الحُجْر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير وعبد الله بن عمر فقالوا: تمنُّوا؟ فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم. وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. قال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنَّى المغفرة.

قال: فنالوا ما تمنّوا، ولعل ابن عمر غفر له.

وعن نافع قال: دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

---

(١) سبق تخريجه في ترجمة عمار بن ياسر ـ رضي الله عنهما.

٦٢ ـ عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: الإصابة (٤٨٥٢)، الاستيعاب (١٦٣٠)، أسد الغابة (٣٠٨٢)، الثقات (٣/ ٢٠٩)، تاريخ بغداد (١/ ١٧١)، سيرة ابن هشام (٤/ ٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٧)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٣)، الحلية (٢/ ٧)، شذرات الذهب (٢/ ١٥)، تهذيب الكمال (٢/ ٧١٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٣٨)، ومسلم (٢٤٧٩)، وابن ماجه (٣٩١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٤٠) مختصراً و(١١٥٦)، ومسلم (٢٤٧٨).

عن طاووس قال: ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر، ولا رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس.

وقال سعيد بن المسيب: لو كنت شاهداً لرجل من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله ابن عمر.

وعن عروة قال: سئل ابن عمر عن شيء؟ فقال: لا علم لي به. فلما أدبر الرجل قال لنفسه: سئل ابن عمر عما لا علم له به فقال: لا علم لي به(١).

وعن نافع: أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة؟ فطأطأ رأسه ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته. فقال له: يرحمك الله أما سمعت مسألتي؟ قال: بلى، ولكنكم كأنكم ترون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه؟ اتركنا ـ رحمك الله ـ حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا، وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به.

وعن إبراهيم قال: قال عبد الله: إن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر.

وعن محمد قال: نبئت أن ابن عمر كان يقول: إني لقيت أصحابي على أمر، وإني أخاف إن خالفتهم أن لا ألحق بهم.

وعن سعيد بن المسيب قال: كان أشبه ولد عمر بعمر عبدُ الله، وأشبه ولد عبد الله بعبد الله سالمٌ.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: ما ناقة أضلت فصيلها في فلاة من الأرض بأطلب لأثرها من ابن عمر لعمر بن الخطاب.

وعن المطعم بن مقدام الصنعاني قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن عمر: بلغني أنك طلبت الخلافة، وأن الخلافة لا تصلح لعيٍّ ولا بخيل ولا غيور.

فكتب إليه ابن عمر: أما ما ذكرت من أمر الخلافة أني طلبتها: فما طلبتها وما هي من بالي، وأما ما ذكرت من العي والبخل والغيرة فإن من جمع كتاب الله عز وجل فليس بعيّ، ومن أدى زكاة مالِه فليس ببخيل، وأما ما ذكرت فيه من الغيرة فإن أحق ما غرت فيه: ولدي أن يشركني فيه غيري.

وعن عائشة قالت: ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر.

وعنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه بأصحاب رسول الله ﷺ الذين دفنوا في النِّمار(٢) من عبد الله ابن عمر.

وعن عبد الله بن أبي عثمان قال: كان عبد الله بن عمر أعتق جاريته التي يقال لها: «رميثة» [فقال:](٣) إني سمعت الله عز وجل قال في كتابه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٧٤) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ١٤٤).

(٢) أصل النِّمار: ثوب مخطط، وقد يراد به هنا «الكفن» بجامع ستر بدن الإنسان. والله أعلم.

(٣) في الأصل: «فقيل».

٩٢] وإني والله إن كنتُ لأحبك في الدنيا، اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال: خطرت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فتذكرت ما أعطاني الله، فما وجدت شيئاً أحب إلي من جاريتي رميثة فقلت: هذه حرة لوجه الله، فلا أعود في شيء جعلته لله، ولولا ذلك لنكحتها. فأنكحها نافعاً وهي أم ولده.

قال: وعن نافع قال: كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل. قال نافع: كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم إلا أن يخدعوك؟ فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله انخدعنا له.

قال نافع: فلقد رأيتنا ذات عشية وراح ابن عمر على نجيب له قد أخذه بمال، فلما أعجبه سيره أناخه مكانه، ثم نزل عنه، فقال: يا نافع انزعوا زمامه ورحله، وجلّلوه وأشعروه وأدخلوه في البدن.

وعن سعيد بن أبي هلال: أن عبد الله بن عمر نزل الجحفة وهو شاكٍ. فقال: إني لأشتهي حيتاناً. فالتمسوا له فلم يجدوا إلا حوتاً واحداً، فأخذته امرأته صفية بنت أبي عبيد فصنعته، ثم قربته إليه، فأتى مسكينٌ حتى وقف عليه، فقال له ابن عمر: خذه. فقال أهله: سبحان الله قد عنّيتنا، ومعنا زاد نعطيه؟ فقال: إن عبد الله يحبه.

وعن أبي بكر بن حفص قال: لما اشتكى ابن عمر اشتهى حوتاً، فصُنع له، فلما وضع بين يديه جاء سائل. فقال: أعطوه الحوت. فقالت امرأته: نعطيه درهماً فهو أنفع له من هذا، واقض أنت شهوتك منه. فقال: شهوتي ما أريد.

وعن نافع عن ابن عمر: أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله عز وجل. قال: وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً. قال: وأعطاه ابن عمار مرتين ثلاثين ألفاً. قال: فقال ابن عمر: يا نافع إني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عمار، اذهب فأنت حر.

وكان لا يدمن اللحم شهراً إلا مسافراً أو رمضان. قال: وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه مزعة لحم.

وعن ميمون بن مهران قال: أتت ابنَ عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس، فلم يقم حتى فرقها.

وعن عاصم بن محمد عن أبيه قال: أعطي ابن عمر بنافع عشرة آلاف أو ألف دينار، فقلت: يا أبا عبد الرحمن فما تنظر أن تبيع؟ قال: فهلا ما هو خير من ذلك؟ فهو حر لوجه الله عز وجل. روى هذه الأحاديث الثلاثة الإمام أحمد.

وعن أبي بكر بن حفص: أن عبد الله بن عمر كان لا يأكل طعاماً إلا وعلى خوانه يتيم. رواه عبد الله بن أحمد.

وعن نافع قال: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد.

وعنه قال: أُتي ابن عمر ببضعة وعشرين ألفاً، فما قام من مجلسه حتى أعطاها وزاد عليها. قال: ولم يزل يعطي حتى أنفد ما كان عنده، فجاءه بعض من كان يعطيه فاستقرض من بعض من كان أعطاه فأعطاه إياه.

وعنه قال: كان يُرسَل إلى عبد الله بن عمر بالمال فيقبله، ويقول: لا أسأل أحداً شيئاً، ولا أرد ما رزقني الله.

وعنه قال: كان ابن عمر يقبض على لحيته ويأخذ ما جاوز القبضة.

وعنه: أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمائة ألف، فلما أراد أن يبايع ليزيد قال: أرى ذلك أراد؟ إن دِيني عندي إذاً لرخيص. رواه محمد بن سعد.

وعنه: أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمائة ألف، فما حال الحول وعنده منها شيء.

وعن أبي الوازع قال: قلت لابن عمر: لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم. قال: فغضب ثم قال: إني لأحسبك عراقياً؟ وما يدريك ما يغلق عليه ابنُ أمك بابَه؟

عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن نافع: أن ابن عمر اشتكى، فاشتُرِي له عنقود عنب بدرهم، فجاء مسكين. فقال: أعطوه إياه. فخالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم، ثم جاء به إليه فجاءه المسكين يسأل؟ فقال: أعطوه إليه. ثم خالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم، فأراد أن يرجع فمنع، ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه.

وفي رواية أخرى: اشتهى ابن عمر عنباً وهو مريض. فذكر نحو ذلك.

وعن ميمون بن مهران: أن امرأة ابن عمر عوتبت فيه، فقيل لها: ما تلطِّفين هذا الشيخ؟ قالت: فما أصنع؟ لا نصنع له طعاماً إلا دعا عليه من يأكله، فأرسلت إلى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه إذا خرج من المسجد فأطعمتهم، وقالت لهم: لا تجلسوا بطريقه، ثم جاء إلى بيته فقال: أرسلوا إلى فلان وإلى فلان ـ وكانت امرأته أرسلت إليهم بطعام ـ وقالت: إن دعاكم فلا تأتوه. فقال ابن عمر: أردتم أن لا أتعشى الليلة! فلم يتعشَّ تلك الليلة.

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: لو أن طعاماً كثيراً كان عند عبد الله بن عمر ما شبع منه بعد أن يجد له آكلاً، فدخل عليه ابن مطيع يعوده فرآه وقد نحل جسمه. فقال لصفية: ألا تلطفيه؛ فلعله أن يرتد إليه جسمه؛ تصنعين له طعاماً؟ قالت: إنا لنفعل ذلك، ولكنه لا يدع أحداً من أهله ولا من يحضره إلا دعاه عليه، فكلمه أنت في ذلك. فقال ابن مطيع: يا أبا عبد الرحمن لو اتخذت طعاماً فرجع إليك جسمك؟

فقال: إنه ليأتي علي ثماني سنين ما أشبع فيها شبعة واحدة ـ أو قال لا أشبع فيها إلا شبعة واحدة ـ فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظِمْءُ[1] حمار.

---

(١) الظِّمْءُ ـ بكسر الظاء ـ: ما بين الشَّرْبَتَيْن، وقولهم: ما بقي منه إلا ظِمْءُ الحمار: أي: إلا شيء يسير، لأنه ليس شيء =

وعن عبد الله بن عدي ـ وكان مولى لابن عمر ـ أنه قدم من العراق فجاءه فسلم عليه فقال: أهديت لك هدية. قال: وما هي؟ قال: جوارش، قال: وما جوارش؟ قال: يهضم الطعام[1]. قال: ما ملأت بطني طعاماً منذ أربعين سنة فما أصنع به؟

وعن ميمون بن مهران: أن رجلاً من بني عبد الله بن عمر استكساه إزاراً وقال: قد تخرّق إزاري. فقال: ارقع إزارك، ثم البسه. فكره الفتى ذلك. فقال له عبد الله: ويحك اتق الله، ولا تكونن من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله عز وجل في بطونهم وعلى ظهورهم.

وعن سفيان قال: أراد ابن عمر مرة الصدر من مكة، فاتخذ له ابنُ صفوان سفرة من نقي وفالوذج وأخبصة، وبعث بها إليه، فأُتي بها، فلما نظر إليها بكى، وقال: ما هكذا كنا! ما شبعت منذ أسلمت. وأمر بها فقسمت على أهل الماء، ودعا بسفرته وقال: لا خير إلا فيما يبقى نفعُه غداً.

وعن القاسم بن أبي بزة قال: حدثني من سمع ابن عمر قرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٦] قال: فبكى حتى حنّ وامتنع من قراءة ما بعد.

وعن البراء بن سليم قال: سمعت نافعاً يقول: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد. رواهما الإمام أحمد.

وعن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال: جاء سائل إلى ابن عمر فقال لابنه: أعطه ديناراً. فلما انصرف قال له ابنه: تقبَّل الله منك يا أبتاه. فقال: لو علمتُ أن الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحبَّ إلي من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ إنما يتقبل الله من المتقين.

وعن مجاهد قال: صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه، فكان يخدمني أكثر.

وعن وهيب: أن ابن عمر رحمه الله باع جملاً. فقيل: لو أمسكته؟ فقال: لقد كان موافقاً، ولكنه أذهب شعبة من قلبي، فكرهت أن أشغل قلبي بشيء. رواهما الإمام أحمد.

وعن محمد بن زيد: أن أباه أخبره أن عبد الله بن عمر كان له مهراس فيه ماء فيصلي ما قدر له، ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاء الطير، ثم يَثِبُ فيتوضأ، ثم يصلي، يفعل ذلك الليلة أربع مرار أو خمس مرار.

وعن نافع عن ابن عمر: أنه كان يحيي الليل صلاةً، ثم يقول: يا نافع أَسْحَرْنا؟ فأقول: لا. فيعاود الصلاة، ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: نعم. فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح.

وعنه عن ابن عمر: أنه كان يحيي ما بين الظهر والعصر.

= أقصرَ ظِماً منه. والأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٩٩) وابن المبارك في الزهد (٢١٤). وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ١٨٥).

(١) نوع من الشراب هاضم كالمشروبات الغازية حالياً.

وعن طاووس قال: ما رأيت مصلياً كهيئة عبد الله بن عمر أشد استقبالاً للكعبة بوجهه وكفيه وقدميه.

وعن عبد الله بن سبرة قال: كان ابن عمر إذا أصبح قال: اللّهم اجعلني من أعظم عبادك نصيباً في كل خير تقسمه الغداة، ونورٍ تهدي به، ورحمةٍ تنشرها، ورزقٍ تبسطه، وضرٌ تكشفه، وبلاءٍ ترفعه، وفتنةٍ تصرفها.

وعن سمير الرياحي عن أبيه قال: شرب عبد الله بن عمر ماء مبرَّداً فبكى فاشتد بكاؤه! فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً شهوتَهم الماء، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وعن جابر بن عبد الله قال: ما أدركنا أحداً ـ أو قال ما رأينا أحداً ـ إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها إلا عبد الله بن عمر.

وعن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] بكى حتى يغلبه البكاء.

وعن مجاهد عن ابن عمر قال: لا يصيب عبد شيئاً من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل؛ وإن كان عليه كريماً.

وعن عمر بن ميمون عن أبيه قال: قيل لعبد الله بن عمر: تُوفي فلان الأنصاري. قال: رحمه الله. فقيل: ترك مائة ألف. قال: لكن هي لم تتركه.

وقال رجل لابن عمر: يا خير الناس وابن خير الناس؟ فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله عز وجل، أرجو الله عز وجل وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تُهلكوه.

وعن نافع قال: كان البرُّ لا يعرف في عمر ولا في ابنه حتى يقولا أو يعملا[(١)].

وعنه عن ابن عمر: أنه نزل على رجل فلما مضت ثلاث قال: يا نافع أنفق علينا من مالنا.

وعن قتادة قال: سئل ابن عمر عن «لا إله إلا الله» هل يضر معها عمل كما لا ينفع مع تركها عمل؟ قال ابن عمر: عِشْ ولا تغترَّ.

وعن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبَّ في الله، وأبغض في الله، وعادِ في الله، فإنك لن تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، وصارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا، وإن ذلك لايجزىء عند الله شيئاً».

قال: وقال: لي ابن عمر: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك، فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً.

---

(١) أي: لا يكتفيان بالقول والدعوى، بل عملهما هو الذي يظهر أعمال البرّ والخير فيهما.

قال: وأخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «كن في الدنيا غريباً أو عابر سبيل، وعُدَّ نفسك من أهل القبور». رواه الطبراني[(١)].

ذكر وفاة ابن عمر رضي الله عنهما

عن عطية العوفي قال: سألت مولى لعبد الله بن عمر عن موت عبد الله بن عمر؟ فقال: أصابه رجل من أهل الشام بزجه[(٢)] في رجله، فأتاه الحجاج يعوده فقال: لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقه؟ فقال عبد الله: أنت الذي أصبتني. قال: كيف؟ قال: يوم أدخلتَ حرمَ الله السلاحَ.

وعن أيوب قال: قلت لنافع: ما كان بدء موت ابن عمر؟ قال: أصابته عارضة محمل بين إصبعين من أصابعه عند الجمرة في الزحام فمرض، فأتاه الحجاج يعوده فغمض عينيه، فكلمه الحجاج فلم يكلمه.

وعن نافع قال: كان زج رمح رجل من أصحاب الحجاج قد أصاب رِجل ابن عمر فاندمل الجرح، فلما صدر انتقض عليه، فدخل الحجاج يعوده فقال: من أصابك؟ قال: أنت قتلتني. قال: وفيم؟ قال: حملت السلاح في حرم الله فأصابني بعضُ أصحابك.

فلما حضرته الوفاة أوصى أن لا يُدفن في الحرم، فغُلب فدفن في الحرم، وصلى عليه الحجاج.

وفي رواية عن نافع قال: لم يُقدَر على ذلك من الحُجَّاج، فدفناه في مقبرة المهاجرين بفجٍّ نحو ذي طوى، ومات بمكة سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وثمانين سنة، رضي الله عنه.

٦٣ ـ عمرو ابن أم مكتوم رضي الله عنه

وهو عمرو بن قيس، وقيل: اسمه عبد الله، واسم أمه عاتكة، وتكنى أم مكتوم. أسلم بمكة وهو ضرير البصر، وهاجر إلى المدينة، وكان يؤذن للنبي ﷺ بالمدينة مع بلال.

وكان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزواته.

وعن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى. رواه أحمد[(٣)].

وعن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عُتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام ـ وذكر آخر ـ

---

(١) انظر جميع هذه الآثار المتقدمة في الطبراني (١٢/ ٢٥٧) وما بعدها.

(٢) الزُّج ـ بضم الزاي ـ: الحديدة في أسفل الرّمح.

٦٣ ـ عمرو ابن أم مكتوم ـ رضي الله عنه ـ: أُسد الغابة (٤٠١١)، الطبقات لابن سعد (١/ ٥٣)، الحلية (٢/ ٤)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٩٥)، العبر (١/ ١٩)، الشذرات (١/ ٢٨)، والاستيعاب (١٩٦٩)، الإصابة (٥٩٤٩)، تهذيب التهذيب (٨/ ٩٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٤)، وهو في صحيح ابن حبان (١٤/ ١٩٠) و(١٥/ ٢٩٠) والكبرى للبيهقي (٩/ ١٠) والطبقات لابن سعد (٢/ ١١٧) و(٤/ ٢٠٦ و٢٦٧).

وكان يتصدى لهم كثيراً، ويُقبل عليهم رجاء أن يؤمنوا، فأقبل عليه رجل أعمى يقال له عبد الله ابن أم مكتوم وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرىء رسولَ الله ﷺ من القرآن، وقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه، وتولى عنه، وكره كلامه وأقبل على الآخرين. فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه، وأخذ ينقلب إلى أهله أنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ [عبس: ١ ـ ٢] فلما نزل فيه ما نزل أكرمه النبي ﷺ وكلمه، يقول له: «ما حاجتك؟ وهل تريد مني شيئاً؟» وإذا ذهب من عنده قال: «هل لك حاجة في شيء؟»[(١)] . وعن البراء أن النبي ﷺ قال: «ائتوني بالكتف أو اللوح» فكتب: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥]» وعَمْرو ابن أم مكتوم خلف ظهره فقال: هل لي من رخصة؟ فنزلت: ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥].

وعن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: نزلت: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾ فقال ابن أم مكتوم: ايْ ربِّ عُذري؟ فأنزل الله: ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ فجعل بينهما.

وكان بعد ذلك يغزو ويقول: ادفعوا إليّ اللواء، فإني أعمى لا أستطيع أن أفرّ، وأقيموني بين الصفّين. قال أنس بن مالك: كان مع ابن أم مكتوم يوم القادسية راية ولواء.

قال الواقدي: مات ابن أم مكتوم بالمدينة، ولم نسمع له بذكر بعد عمر، رضي الله عنهما.

٦٤ ـ أبو ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه

وفي اسمه خلاف كثير قد ذكرته في كتابي المسمى «بالتلقيح».

وكانَ أبو ذر طوالاً آدم، وكان يتعبد قبل مبعث رسول الله ﷺ وأسلم بمكة قديماً، وقال: كنت في الإسلام رابعاً. ورجع إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق، ثم قدم المدينة. قال خفاف بن إيماء: كان أبو ذر شجاعاً ينفرد وحده فيقطع الطريق ويغير على الصّرم كأنه السبع، ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام، وسمع بالنبي ﷺ بمكة فأتاه[(٢)] .

وعن عبد الله بن صامت قال: قال أبو ذر: لقد صليتُ يابن أخي قبل [أن] ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين. قال: فقلت: لمن؟ قال: لله. قلت: فأين تتوجه؟ قال: حيث وجهني الله عز وجل. قال: وأصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء حتى تعلوني الشمس.

قال أبو ذر: فانطلقنا حتى نزلت بحضرة مكة، وانطلق أخي أنيس فراثَ عليّ، فقلت: ما حبسك؟ قال: لقيت رجلاً يزعم أن الله عز وجل أرسله على دينك. قال: فقلت: ما يقول الناس فيه؟ قال: يقولون: إنه شاعر وساحر وكاهن.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٥١).

٦٤ ـ أبو ذَرّ: جُنْدُب بن جَنادة ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٩٨٧٧)، الاستيعاب (٢٩٨٥)، أسد الغابة (٥٨٦٩)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦)، الشذرات (١/ ٢٤ و٥٦ و٦٣)، الطبقات لابن سعد (٤/ ٢١٩)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٩٠) تاريخ الإسلام (٢/ ١١١)، العبر (١/ ٣٣)، الحلية (١/ ١٥٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٢٢).

قال أنيس: قد سمعت قول الكهان فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على أقراء الشعراء فوالله ما يلتام، ووالله إنه لصادق، وانهم لكاذبون.

قال: فقلت له: هل أنت كافيَّ حتى أنطلق فأنظر؟ قال: نعم فكن من أهل مكة على حذر، فإنهم قد شَنِفوا له وتجهموا له. فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعَّفت رجلاً منهم فقلت له: أين هذا الرجل الذي يدعونه الصابىء؟ قال: فأشار إلي، قال: الصابىء؟ قال: فمال أهل الوادي عليَّ بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً عليَّ، فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها، وغسلت عني الدم فدخلت بين الكعبة وأستارها، فلبثت به - يا ابن أخي - ثلاثين من بين ليلة ويوم ما لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عُكُنُ بطني، وما وجدت في كبدي سَخفة جوع[1].

قال: بينما أهل مكة في ليلة قمراء - أي مضيئة - أضحيان وضرب الله على أصمخة أهل مكة، وما يطوف بالبيت غير امرأتين فأتتا عليَّ وهما تدعوان إسافاً ونائلة. فقلت: أنكِحا أحدهما الآخر قال: فما ثناهما ذلك. قال: فأتتا علي فقلت: هَنٌ مثل الخشبة، غير أني لم أَكْنِ. فانطلقتا تولولان وتقولان: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا؟ قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان الجبل فقالا: ما لكما؟ قالتا: الصابىء بين الكعبة وأستارها؟ قالا: فما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم.

قال: فجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر فطاف بالبيت، ثم صلى ركعتين. قال: فأتيته فكنت أول من حياه بتحية الإسلام فقال: «وعليك السلام ورحمة الله، ممن أنت؟» قال: قلت: من غفار. قال: فأهوى بيده فوضعها على جبهته، قال: فقلت في نفسي: كره أن انتميت إلى غفار! قال: فأردت أن آخذ بيده فَقَدعني صاحبه وكان أعلم به مني. قال: «متى أنت ها هنا؟» قال: قلت: كنت هاهنا منذ ثلاثين من يوم وليلة. قال: «فمن كان يطعمك؟» قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع. فقال رسول الله ﷺ: «إنها مباركة، إنها طعامُ طُعْم».

قال أبو بكر: ائذن لي يا رسول الله ﷺ في طعامه الليلة؟ قال: ففعل. قال: فانطلق النبي ﷺ وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف.

قال: فكان ذلك أول طعام أكلته بها.

فلبثت ما لبثت، ثم قال لي رسول الله ﷺ: «إني وُجِّهتُ إلى أرض ذات نخل فلا أحسبها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك؟ لعل الله عز وجل ينفعهم بك ويأجرك فيهم». قال: فانطلقت حتى أتيت أخي أُنيساً قال: فقال لي: ما صنعت؟ قال: قلت: صنعت أني قد أسلمت وصدقت. قال: فما

(١) عُكُن: العُكْنة بالضمّ: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سِمَناً. السَّخْفَة: كشط الشَّعر عن الجِلْد حتى لا يبقى منه شيء. والمعنى: لم أجد أثراً للجوع.

بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمت وصدقت. ثم أتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت.

فتحملنا حتى أتينا قومنا غفاراً فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان يؤمهم خُفاف بن إيماء بن رَحَصة الغفاري، وكان سيدهم يومئذ.

وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا. فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم بقيتهم فقال: رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله» انفرد بإخراجه مسلم(١).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس: أن أبا ذر لما دخل على رسول الله ﷺ وأسلم، قال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك حتى يأتيك أمري». فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله». وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العبّاس فأكب عليه فقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟ - يعني: عليهم - فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها، وثاروا إليه فضربوه فأكب عليه العباس فأنقذه(٢).

وعن أبي حرب بن أبي الأسود قال: سمعت عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر». رواه الإمام أحمد(٣).

وعن محمد بن واسع: أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موته فسألها عن عبادة أبي ذر؟ قالت: كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر.

وعن عبد الله بن سيدان عن أبي ذر أنه قال: في المال ثلاثة شركاء: القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت، والوارث ينتظر أن تضع رأسك، ثم يستاقها وأنت ذميم، وأنت الثالث، فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن. إن الله عز وجل يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن هذا الجمل مما كنت أحب من مالي فأحببت أن أقدّمه لنفسي.

وعن سفيان الثوري قال: قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال: يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق. فاكتنفه الناس فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى. قال: فإن سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا ما يصلحكم. قالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يوماً شديداً حرُه لطول النشور، وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها، اجعل الدنيا مجلسين: مجلساً في طلب الحلال ومجلساً في طلب الآخرة، الثالث يضرك ولا ينفعك لا تَرِدْهُ. اجعل المال درهمين: درهماً تنفقه على عيالك من حله، ودرهماً تقدمه لآخرتك، الثالث يضرك ولا ينفعك لا تَرِدْهُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٩) و(٢٥١٦ - ٢٥١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٢٢ و٣٨٦١) ومسلم (٢٤٧٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٦٣).

ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبداً.

وعن عطاء بن محمد [قال:] قال إبراهيم التيمي: قال أبي: خرجنا حجاجاً فوجدنا أبا ذر بالربذة قائماً يصلي، فانتظرناه حتى فرغ من صلاته، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: هلم إلى الأخ الناصح الشفيق. ثم بكى فاشتد بكاؤه، وقال: قتلني حب يوم لا أدركه! قيل: وما يوم لا تدركه؟ قال: طول الأمل.

وعن بكر بن عبد الله عن أبي ذر قال: يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح.

وعن عراك بن مالك قال: قال أبو ذر: إني لأقربكم مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها»، وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث بشيء منها غيري(١).

وعن أبي السليل قال: جاءت ابنة أبي ذر وعليها صوف، سفعاء الخدين(٢)، ومعها قفة لها، فمكثت بين يديه وعنده أصحابه فقالت: يا أبتاه زعم الخازنون والزارعون أن أَفْلُسَك هذه بهرجةٌ؟ فقال: يا بنية ضعيها فإن أباك أصبح بحمد الله لا يملك من صفراء ولا بيضاء إلا أفلسه هذه.

وعن نافع الطاحي قال: مررت بأبي ذر، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق. قال: أتعرف عبد الله بن عامر؟ قلت: نعم. قال: فإنه كان يتقرأ معي ويلزمني، ثم طلب الإمارة، فإن قدمت البصرة فترايا له فإنه سيقول: ألك حاجة؟ فقل له: أخلني. فقل له: أنا رسول أبي ذر إليك وهو يقرئك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش.

فلما قدمت تراءيت له، فقال: ألك حاجة؟ فقلت: أُخلني أصلحك الله! فقلت: أنا رسول أبي ذر إليك ـ فلما قلتها خشع لها قلبه ـ وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء، ونعيش كما تعيش. قال: فحلل إزاره، ثم أدخل رأسه في جيبه، ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء.

وعن أبي بكر ابن المنكدر قال: بعث حبيب بن مسلمة وهو أمير بالشام إلى أبي ذر بثلاث مئة دينار وقال: استعن بها على حاجتك. فقال أبو ذر: ارجع بها إليه؛ أَوَ ما وجد أحداً أغرَّ بالله عز وجل منا؟ ما لنا إلا ظل نتوارى به، وثلة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها، ثم إني لأتخوف الفضل.

وعن جعفر بن سليمان قال: دخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ قال: لنا بيتٌ نوجه إليه صالح متاعنا. قال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا! قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي ذر قال: والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم، ولا تقاررتم على فرشكم، والله لوددت أن الله عز وجل خلقني يوم خلقني شجرة تُعضد ويؤكل ثمرها.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٠٨) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٢).

(٢) سفعاء الخدين: السُّفع: تغيّر في الوجه غضباً وقهراً وذلاً، والمراد تغيّر خديهما من أثر الجوع ا.هـ. فتح الباري (١٠/ ٢٠٢).

عن ابن عمر بن الخطاب عن أبيه قال: قال أبو ذر: الصاحب الصالح خير من الوَحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، وممللي الخير خير من الصامت، والصامت خير من مملي الشر، والأمانة خير من الخاتم، والخاتم خير من ظن السوء.

ذكر خروج أبي ذر رضي الله عنه إلى الربذة

روى البخاري في أفراده من حديث زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فقلت لأبي ذر: ما أنزلك هنا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]. فقال: نزلتْ في أهل الكتاب. فقلت: فينا وفيهم. فكتب يشكوني إلى عثمان؟ فكتب عثمان: أُقدم المدينةَ. فقدمت فكثر الناس عليَّ كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكر ذلك لعثمان فقال: إن شئت تنحَّيت فكنت قريباً؟ فذلك الذي أنزلني هذا المنزل(١).

وروى ابن سيرين قال: قدم أبو ذر المدينة، فقال عثمان: كن عندي تغدو عليك وتروح اللقاح. قال: لا حاجة لي في دنياكم. ثم قال: ائذن لي حتى أخرج إلى الربذة؟ فأذن له فخرج.

ذكر وفاة أبي ذر رضي الله عنه

عن إبراهيم الأشتر عن أبيه عن أم ذر قالت: لما حضر أبا ذر الوفاة بكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض ولا يدانِ لي بنعشك، وليس معنا ثوب يسعك كفناً، ولا لك؟ فقال: لا تبكي، وأبشري فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً» وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين». وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات في قرية أو جماعة، وإني أنا الذي أموت بالفلاة، والله ما كَذَبتُ فأبصري الطريق. قالت: فقلت: أنّى؟ وقد ذهب الحاجُّ وتقطعت الطرق؟ قال: انظري. فكنت أشتدّ إلى الكثيب فأقوم عليه ثم أرجع إليه فأمرِّضه. قالت: فبينما أنا كذلك إذا أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرَّخْمُ، فألحتُ لهم، فأسرعوا إليَّ ووضعوا السياط في نحورها يَسْتَبِقُون إليّ، فقالوا: ما لك يا أمة الله؟ فقلت: امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه؟ قالوا: ومن هو؟ قلتُ: أبو ذر. قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم. قالت: ففدوه بآبائهم وأماتهم، وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه، فَرحَّب بهم، وقال: أبشروا فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرأين من المسلمين وَلَدان أو ثلاثة فيصبرا، ويحتسبان فيريان النار أبداً» وسمعته يقول لنفس أنا فيهم: «ليموتن رجلٌ منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين»، وليس من أولئك النفر أَحد إلا وقد هلك في قرية أو جماعة، وأنا الذي أموت بفلاة، ولا كُذِبت وإنه لو كان عندي ثوب أو لامرأتي ثوبٌ يَسَعَني كفناً لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها، وإني أنشدكم الله: لا يُكفِّنّي رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً. قال: فليس من القوم أحدٌ إلا وقد قارف من ذلك شيئاً إلا فتىً من الأنصار؟ فقال: أنا أكفنّك في ردائي هذا، وفي

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٦).

ثوبين في عيبتي من غَزْل أمي. قال: فكفِّنّي. فكفنّه الأنصاريّ ودفنه في النفر الذين معه، منهم: حِجْر بن عديّ بن الأدبر ومالك بن الأشتَر في نَفَر كلهم يمانٍ. وقد ذكر محمد بن إسحاق في «المغازي»: أن أبا ذرٍّ مات بالرَّبَذَة سنة اثنتين وثلاثين، وصلى عليه ابن مسعود منصَرَفَه من الكوفة (١).

وعن القُرَظي قال: خرج أبو ذر إلى الرّبذة، فأصابه قَدَرُه، فأوصاهم: أن كفّنوني، ثم ضَعُوني على قارعة الطريق، فأولُ ركب يمرّون بكم فقولوا لهم: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على غَسْله ودفنه. فأقبل ابن مسعود في ركبٍ من أهل العراق. رضي الله عنه.

٦٥ ـ الطُّفَيْل بن عمرو بن طريف الدَّوْسي رضي الله عنه

عن عبد الواحد بن أبي عون قال: كان طفيل الدوسي رجلاً شريفاً شاعراً كثير الضيافة، فقدم مكة فلقيه رجال من قريش، فقالوا: إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا وفرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين ابنه وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينا، فلا تسمع منه.

قال: فوالله ما زالوا حتى أجمعت إلا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، فغدوت إلى المسجد وقد حشوت أذني قطناً، فكان يقال لي «ذو القطنتين»، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، فقمت قريباً منه فسمعت بعض قوله، فقلت في نفسي: واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا؟ فإن كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

فمكثت حتى انصرف إلى بيته فدخل فدخلتُ معه فقلت: إن قومك قالوا لي كذا وكذا فاعرض أمرك عليّ. فعرض علي الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فقلت: لا والله ما سمعت قولاً قط أحسن من هذا، ولا أمراً أعدل منه! فأسلمت وقلت: يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يكون لي عوناً عليهم؟ فقال: «اللّهم اجعل له آية» (٢).

فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت: اللّهم في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلة وقعت في وجهي لفراق دينهم. فتحوَّل النور فوقع في رأس سوطي فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، فأتاني أبي فقلت: إليك عني فإنك لست مني ولست منك! قال: ولِمَ يا بني؟ قلت: إني أسلمت واتبعت محمداً. قال: يا بني ديني دينُك. فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك. ففعل، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، ثم أتتني صاحبتي فقلت: إليكِ عني فلست منك ولست مني. قالت: ولِمَ بأبي أنت؟ قلت: فرّق بين وبينك الإسلام، إني أسلمت وتابعت دين محمد. قالت: فديني دينُك. فأسلمتْ.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٣١) وأخرجه ابن سعد في الكبرى (٤/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤).

٦٥ ـ الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسي ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٤)، الطبقات لابن سعد (١/ ٣٥٣) و(٢/ ١٥٧) و(٤/ ٢٣٧)، تهذيب تاريخ ابن عساكر (٧/ ٦٢)، العبر (١/ ١٤)، الإصابة (٤٢٧٣)، الاستيعاب (١٢٨١)، أسد الغابة (٢٦١٣).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٣٨).

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطؤوا علي، ثم جئت رسول الله ﷺ إلى المدينة فقلت: قد غلبتني دوس، فادع الله عليهم! فقال: «اللّهم اهد دوساً»[1]، وقال لي: «اخرج إلى قومك فادعُهم وارفق بهم». فخرجت أدعوهم حتى هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ومضت بدر وأحد والخندق، ثم قدمت بمن أسلم ورسول الله ﷺ بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس، ولحقنا رسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين، وقلنا: يا رسول الله اجعلنا في ميمنتك، واجعل شعارنا «مبروراً» ففعل.

فلم أزل مع النبي ﷺ حتى فتح مكة فقلت: ابعثني يا رسول الله إلى ذي الكفين ـ صنم عمرو بن حممة ـ أحرقه. فبعثه إليه فحرقه، فلما أحرقه بان لمن تمسّك به أنه ليس على شيءٍ فأسلموا جميعاً، ورجع الطفيل، فكان مع النبي ﷺ حتى مات.

فلما ارتدَّت العربُ خرج مع المسلمين، فجاهد، ثم خرج إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو فقُتل الطفيل باليمامة، وجرح ابنه عمرو وقطعت يده، ثم استبلّ وصحت يده.

فبينا هو عند عمر بن الخطاب إذ أُتي بطعام فتنحّى عنه، فقال عمر: ما لك؟ لعلك تنحَّيت لمكان يدك؟ قال: أجل. قال: والله لا أذوقه حتى تذوقه، فوالله ما في القوم أحدٌ بعضُه في الجنة غيرك.

ثم خرج عام اليرموك في خلافة عمر مع المسلمين فقتل شهيداً.

٦٦ ـ ضماد [بن ثعلبة] الأزدي من أزد شنوءة

عن ابن عباس: أن ضماداً قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقي من الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون! فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي.

قال: فلقيه فقال: يا محمد إني أرقي من الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد».

قال: فقال: أَعِدْ عليَّ كلماتك هؤلاء! فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، لقد بلغن قاموس البحر! هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه. فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومك» فقال: وعلى قومي. فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه فقال صاحب الجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل: أصبت منهم مطهرة. فقال: ردها، فإن هؤلاء قوم ضماد. انفرد بإخراجه مسلم[2].

---

(١) صحيح ابن حبان (٣/ ٢٥٩)، وابن سعد في الموضع السابق، وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٣).

٦٦ ـ ضِماد الأَزْدي ـ رضي الله عنه ـ: هو: ضماد بن ثعلبة الأزدي. الإصابة (٤١٩٧)، أسد الغابة (٢٥٦٩)، الاستيعاب (١٢٦٧)، الثقات لابن حبان (٣/ ٢٠٠)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٨)، والنسائي (٣٢٧٨)، وابن ماجه (١٨٩٣).

٦٧ - أبو رهم كلثوم بن الحصين الغفاري رضي الله عنه

قال محمد بن سعد: أسلم أبو رُهْم بعد قدوم النبي ﷺ المدينة، وشهد معه أُحداً، ورمي يومئذ بسهم فوقع في نحره، فجاء إلى رسول الله ﷺ فبصق عليه فبرأ، فكان يسمى «المنحور»(١).

قال: وقال محمد بن عمر: وبينا رسول الله ﷺ يسير من الطائف إلى الجِعْرانة وأبو رُهم إلى جنبه على ناقة له وفي رجليه نعلان له غليظان، إذ زحمت ناقة ناقةَ رسول الله ﷺ. قال أبو رهم: فوقع حرف نعلي على ساقه فأوجعه. فقال رسول الله ﷺ: «أوجعتني، أخِّرِ رجْلَك» وقَرع رجلي بالسوط. فأخذني ما تقدم وما تأخر، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآنٌ لعظيمِ ما صنعتُ.

فلما أصبحنا بالجعرانة خرجت أرعى الظَّهْرَ، وما هو يومي فَرَقاً أن يأتي للنبي ﷺ رسولٌ يطلبني. فلمّا روّحتُ الرِّكابَ سألتُ؟ فقالوا: طلبك النبي؟ فقلت: إحداهن والله. فجئته وأنا أترقب، فقال: «إنك أوجعْتني برِجلك فقرعتك بالسوط فأوجعتك، فخذ هذه الغنم عوضاً من ضربتي»(٢).

قال: فرِضاه عني كان أحبَّ إليّ من الدنيا وما فيها.

قال: وبعثه رسول الله ﷺ إلى قومه يستنفرهم حين أراد تبوكاً.

٦٨ - وهب بن قابوس المزني رضي الله عنه

قال محمد بن سعد: أقبل وهب بن قابوس ومعه ابن أخته الحارث بن عقبة بغنَم لهما من جبل مُزَينة فوجدا المدينة خلية. فسألا: أين الناس؟ فقالوا: بأحد، خرج رسول الله ﷺ يقاتل المشركين. فقالا: لا نسأل أثراً بعد عين. فأسلما، ثم خرجا فأتيا النبي ﷺ بأحد فإذا الدَّولة للمسلمين، فأغارا مع المسلمين في النهب، وقاتلا أشد القتال، وكانت قد انفرقت فِرقة من المشركين. فقال النبي ﷺ: «مَن لهذه الفرقة؟» فقال وهب: أنا. فرماهم بالنبل حتى انصرفوا، ثم رجع، فانفرقت أخرى. فقال النبي ﷺ: «من لهذه؟» فقال المزني: أنا. فقام فذبّها بالسيف حتى ولَّوْا ورجع المزني، ثم طلعت كتيبة أخرى فقال: «من يقوم لهؤلاء؟» فقال المزني: أنا. فقال: «قم وأبشر بالجنة» فقام المزني مسروراً يقول: والله لا أقيل ولا أستقيل. فجعل يقوم فيهم فيضرب بالسيف حتى يخرج من أقصاهم حتى قتلوه ومثّلوا به. ثم قام ابن أخته الحارث فقاتل كنحو قتاله حتى قُتل، فوقف عليهما رسول الله ﷺ وهما مقتولان فقال: «رضي الله عنك، فإني عنك راض». يعني: وهْباً. ثم قام على قدميه وقد نال ما ناله من الجرح، وإن القيام ليشقّ عليه، فلم يزل قائماً حتى وُضع المزنيُّ في لحده، فكان عمر وسعد بن مالك يقولان: ما حالٌ نموت عليها أحب إلينا من أن نلقى الله على حال المُزني(٣).

---

٦٧ - أبو رهم: كلثوم بن الحصين الغفاري - رضي الله عنه -: الإصابة (٧٤٥٧)، أسد الغابة (٤٤٩١)، الاستيعاب (٢٢٣٥)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٤٣)، ذيل الكاشف (١٢٩٧)، طبقات ابن سعد (٤/ ٢٤٤).

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٤٤).

(٢) طبقات ابن سعد الموضع نفسه. الجِعْرَانة: قال الإمام الشافعي: المحدِّثون يخطئون في تشديد «الجعرانة» وتخفيف «الحديبية» ا.هـ. وهي ماء بين مكة والطائف. ا.هـ. معجم البلدان (٢/ ١٤٢).

٦٨ - وهب بن قابوس المزني - رضي الله عنه -: ذكره ابن حجر باسم «وهب بن قابس أو قابوس المزني» الإصابة (٩١٩٢)، أسد الغابة (٥٤٩٧)، الاستيعاب (٢٧٧٢).

(٣) الطبقات الكبرى (٤/ ٢٤٧).

٦٩ ـ حنظلة بن أبي عامر الراهب رضي الله عنه

وكان أبوه ـ أبو عامر ـ يسأل عن ظهور رسول الله ﷺ ويستوصف صفته الأحبارَ، ويلبس المُسوح ويترهّب، فلما بُعث رسول الله ﷺ حسده فلم يؤمن به، وكان ابنه حنظلة من خيار المسلمين، واستأذن رسول الله ﷺ أن يقتل أباه؟ فنهاه عن قتله.

وتزوج حنظلةُ جميلة بنت عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، فأُدخلت في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أُحد، وكان قد استأذن رسولَ الله ﷺ أن يبيت عندها، فأذن له.

فلما أسفر الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ بأحد، ثم مال إلى الجميلة فأجنب منها، وكانت قد أرسلت أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها. فقيل لها في ذلك؟ فقالت: رأيت كأن السماء قد فُرجت له فدخل فيها، ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة. وعلقت بعبد الله بن حنظلة.

وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبي ﷺ وهو يسوّي الصفوف، فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عُرقوب فرسه فوقع أبو سفيان، فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذه بالرمح، فقال رسول الله ﷺ: «إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المُزن في صحاف الفضة»(١).

قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماءً، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته: أنه خرج وهو جنب؟ فوُلْدُه يقال لهم «بنو غسيل الملائكة»(٢).

٧٠ ـ حُذَيفة بن اليَمان رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الله رضي الله عنه، واسم اليمان: حُسَيْل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن حزوة. وقيل حزوة هو اليمان.

خرج حذيفة وأبوه فأخذهما كفار قريش، فقالوا: إنكما تريدان محمداً؟ فقالا: ما نريد إلا المدينة.

فأتيا رسول الله ﷺ فأخبراه وقالا: إن شئت قاتلنا معك؟ قال: «بل نَفِي، ونستعين بالله عليهم»(٣). ففاتهما بدر، وشهد حذيفة أحداً وما بعدها.

---

٦٩ ـ حنظلة بن أبي عامر الراهب ـ رضي الله عنه ـ: حنظلة بن أبي عامر بن صيفي: الإصابة (١٨٦٨)، أسد الغابة (١٢٨١)، الاستيعاب (٥٦٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٤٣) و(٣/ ٢٤٥) و(٥/ ٦٦)، والجرح والتعديل (٣/ ١٠٦١).

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٠٤).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٦٦).

٧٠ ـ حُذَيفة بن اليَمان ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦١)، تهذيب تاريخ ابن عساكر (٤/ ٩٦)، شذرات الذهب (١/ ٣٢)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢١٩)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٥٢)، العبر (١/ ٢٦)، الحلية (١/ ٢٧٠)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٥) و(٧/ ٣١٧)، الإصابة (١٦٥٢)، الاستيعاب (٥١٠)، أسد الغابة (١١١٣).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٧٩).

عن أبي إدريس الخولاني قال: سمعت حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافةَ أن يدركني.

وعن أبي عمار، عن حذيفة قال: إن الفتنةُ تعرض على القلوب، فأي قلبٍ أنس بها نكتت في نُكتةً سوداء، فإن أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا؟ فلينظر فإن كان يرى حراماً كان يراه حلالاً أو يرى حلالاً كان حراماً فقد أصابته الفتنة.

وعن إبراهيم بن همام، عن حذيفة قال: ليأتينّ على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاءٍ كدعاء االغريق.

وعن ساعدة بن سعد، عن حذيفة أنه كان يقول: ما من يوم أقرَّ لعيني ولا أحب لنفسي من يوم أني آتي أهلي فلا أجد عندهم طعام أو يقولون: ما نقدر على قليل ولا كثير، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى أشد حِمْيةً للعبد من الدنيا من المريض أهلَه [من] الطعامَ، والله تعالى أشدُّ تعاهداً للمؤمن بالبلاء من الوالد لولده بالخير»(١).

ذكر ولاية حذيفة رضي الله عنه

عن ابن سيرين قال: كان عمر بن الخطاب إذا بعث أميراً كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلاناً وأمرته بكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا. فلما بعث حذيفة إلى المدائن كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلاناً فأطيعوه. فقالوا: هذا رجل له شأن، فركبوا ليتلقّوه، فلقوه على بغل تحته إكاف وهو معترض عليه ـ رجلاه من جانب واحد ـ فلم يعرفوه فأجازوه.

فلقيهم الناس فقالوا: أين الأمير؟ قالوا: هو الذي لقيتم. قال: فركضوا في إثره، فأدركوه وفي يده رغيف، وفي الأخرى عَرْق وهو يأكل، فسلموا عليه فنظر إلى عظيم منهم فناوله العرق والرغيف قال: فلما أغفل ألقاه، وقال: أعطاه خادمه.

وفي رواية أخرى عن ابن سيرين: أن حذيفة كان راكباً على حمار له إكاف وبيده رغيف وعَرْق من لحم، فقالوا: سلْنا ما شئت؟ فقال: أسألكم طعاماً آكله، وعلفاً لحماري هذا ما دمتُ فيكم.

فأقام ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر: أن أقدم. فقدم فلما بلغ عمر قدومه كَمَنَ له على الطريق في مكان لا يراه، فلما رآه على الحال التي خرج من عنده عليها أتاه فالتزمه وقال: أنت أخي، وأنا أخوك.

عن ابن سيرين قال: إن حذيفة لما قدم المدائن قدم على حمارٍ له إكاف وبيده رغيف وعرق، وهو يأكل على الحمار.

عن طلحة بن مصرف مثله، وزاد: وهو سادِلٌ رجلَيه من جانب.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٦٢)، وما بين معقوفتين منه.

ذكر نبذة من كلامه رضي الله عنه

عن يوسف بن أسباط، عن سفيان قال: قال حذيفة: إن الرجل ليدخل المدخل الذي يجب أن يتكلم فيه لله ولا يتكلم، فلا يعود قلبه إلى ما كان أبداً. قال يوسف: فحدثت به أبا إسحاق الفزاري حين قدم من عند هارون فبكى، ثم قال: أنت سمعت هذا من سفيان؟.

عن عمارة بن عبد عن حذيفة قال: إياكم ومواقف الفتن؟ قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدّقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه.

وعن أم سلمة قالت: قال حذيفة: والله لوددت أن لي إنساناً يكون في مالي، ثم أغلق عليّ باباً فلا يدخل عليّ أحد حتى ألحق بالله عز وجل«أم سلمة: هي أم موسى بن عبد الله».

وعن الأعمش قال: بكى حذيفة في صلاته، فلما فرغ التفت فإذا رجل خلفه فقال: لا تُعلِمنّ بهذا أحداً.

ذكر وفاة حذيفة رضي الله عنه

عن زياد مولى ابن عياش قال: حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال: لولا أني أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول من الآخرة لم أتكلم به: اللّهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم. ثم مات رحمه الله.

وعن أبي وائل قال: لما ثقل حذيفة أتاه أناس من بني عبس، فأخبرني خالد بن الربيع العبسي قال: أتيناه وهو بالمدائن حين دخلنا عليه جوفَ الليل فقال لنا: أي ساعة هذه؟ قلنا: جوف الليل أو آخر الليل. فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار. ثم قال: أجئتم معكم بأكفان؟ قلنا: نعم. قال: فلا تغالوا بأكفاني، فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خيرٌ فإنه يبدل بكسوته كسوة خيراً منها، وإلا يسلب سلباً.

وعن أبي إسحاق أن صلة بن زفر حدثه: أن حذيفة بعثني وأبا مسعود فابتعنا له كفناً: حلة قصب بثلثمائة درهم قال: أرياني ما ابتعتما لي؟ فأريناه. فقال: ما هذا لي بكفن؟ إنما يكفيني ريطيتين بيضاوين ليس معهما قميص، فإني لا أُترَك إلا قليلا حتى أُبدَّل خيراً منهما. فابتعنا له ريطتين بيضاوين.

قال أهل السير: مات حذيفة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأشهر.

٧١ ـ أبو الدَّحْداح ثابت بن الدَّحْداح رضي الله عنه

شهد أحداً وقتل يومئذ. روى الواقدي عن عبد الله بن عامر قال: قال ثابت بن الدحداح يوم أحد والمسلمون أوزاع: يا معشر الأنصار إليّ إليّ، إن كان محمد قد قتل فإن الله حيّ لا يموت،

---

٧١ ـ أبو الدحداح: ثابت بن الدحداح ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٨٨٠)، الاستيعاب (٢٥٤)، أسد الغابة (٥٤٥).

فقاتلوا عن دينكم. فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه وقد وقفت له كتيبة خشناء فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فأنفذه فوقع ميتاً، وقتل من كان معه.

قال الواقدي: وبعض أصحابنا من رواة العلم يقولون: إنه برأ من جراحه، ومات على فراشه من جرح كان أصابه وانتقض عليه مرجعَ رسول الله ﷺ من الحديبية.

وعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾[البقرة: ٢٤٥]. قال أبو الدحداح الأنصاري: وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح» قال: أرني يدك يا رسول الله؟ قال: فناوله رسول الله يده قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي. قال: وحائطه له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح فنادى: يا أم الدحداح. قالت: لبّيك. قال: اخرجي من الحائط، فقد أقرضته ربي عز وجل.

وفي رواية أخرى: أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تُخْرِج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم. فقال النبي ﷺ «كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح»(١).

وعن أنس: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول إن لفلان نخلة، وإن قوام حائطي بها فأمره أن يعطيني إياها حتى أقيم بها حائطي؟ فقال النبي ﷺ «أعطها إياه بنخلة في الجنة» فأبى فأتى أبو الدحداح الرجلَ فقال: بعني نخلتك بحائطي؟ ففعل فأتى أبو الدحداح النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إني ابتعت النخلة بحائطي فاجعلها له، فقد أعطيتكها. فقال النبي ﷺ «كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة»(٢). قالها مراراً، فأتى أبو الدحداح امرأته فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط، فقد بعته بنخلة في الجنة. فقالت: ربح البيع، ربح البيع. أو كلمة تشبهها.

٧٢ ـ خُبَيب بن عدي بن مالك رضي الله عنه

شهد أحداً مع النبي ﷺ وكان فيمن بعثه رسول الله ﷺ مع بني لحيان فأسروه هو وزيد بن دَثِنَة فباعوهما من قريش، فقتلوهما وصلبوهما بمكة بالتنعيم.

وروى البخاري من حديث أبي هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً، فأمّر عليهم عاصم ابن ثابت حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب. فاتبعوا آثارهم. فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع فأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً. فقال عاصم: أما أنا فلا

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٦)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٠٠).

(٢) هو الحديث الذي تقدم قبله.

٧٢ ـ خُبَيْب بن عديّ ـ رضي الله عنه ـ :سير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٦)، الحلية (١/ ١١٢)، الإصابة (٢٢٢٧)، الاستيعاب (٦٥٠)، أسد الغابة (١٤١٧).

أنزل في ذمة كافر، اللّهم أخبر عنا نبيك. فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة، ونزل إليهم نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر.

فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قِسِيِّهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر فوالله لا أصحبكم، إن لي بهؤلاء أسوة - يريد القتلى - فجرروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيباً، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسىً يستحدُّ بها فأعارتْهُ، فدرج بُنَيٌّ لها وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مُجْلِسَه على فخذه والموسى بيده قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خُبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة؟ وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلّ قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين. فتركوه فركع ركعتين، وقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزعَ لزدت، اللّهم أحصِهم عدداً، واقتلهم بِددا، ولا تبقِ منهم أحداً. وقال:

ولستُ أُبالي حينَ أُقْتَلُ مسلماً ... على أي جَنْبٍ كان في الله مَصْرَعي
وذلك في ذات الإله وإن يَشَأ ... يُبارِكْ على أوصال شِلْوٍ ممزَّعِ

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله.

وكان خبيب هو سَنَّ لكل مسلم قُتل صبراً الصلاةَ.

وأبو سروعة أسلم، وروى الحديث عن رسول الله ﷺ، وأخرج له البخاري في الصحيح ثلاثة أحاديث.

وقال سعيد بن عامر بن حذيم: شهدت مصرع خبيب وقد بضَّعت قريش لحمه، ثم حملوه على جِذعة، فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً شيك بشوكة. ثم نادى: يا محمد[1].

عن إبراهيم بن اسماعيل قال: أخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه: أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلى قريش. قال: فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون فرقيت فيها، فحللت خبيباً فوقع إلى الأرض، فانتبذت عنه غير بعيد، ثم التفتُّ فلم أر خبيباً، ولكأنما ابتلعته الأرض! فلم يُر لخبيب أثر حتى الساعة.

وقد روي عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: كنت فيمن حضر قتل خبيب، فلقد رأيت أبا سفيان حين دعا خبيب فقال: «اللّهم أحصِهم عدداً» يلقيني إلى الأرض فزعاً من دعوة خبيب، وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دعي عليه فاضطجع زالت عنه الدعوة.

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٩)، وأحمد (٢/ ٢٩٤).

٧٣ ـ أنس بن النضر بن ضَمْضَم رضي الله عنه

ابن زيد عم أنس بن مالك شهد أحداً، وقتل يومئذ. قال الواقدي: لما جال المسلمون يوم أحد تلك الجولة ونادى إبليس: قتل محمد! مرّ أنس بن النضر يقاتل فرأى عمر ومعه رهط فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه. ثم جالد بسيفه حتى قتل.

وعن أنس: أن عمه غاب عن بدر فقال: غبت عن أول قتال قاتله النبي ﷺ، لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ لَيَرَيَنَّ الله ما أفعل. فلقي يوم أحد فِهُزِم الناسُ. فقال: اللّهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ وأبرأ إليك مما جاء به المشركون. فتقدم بسيفه، فلقي سعد بن معاذ فقال: إلى أين يا سعد؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد! فمضى فقُتل فما عرف، حتى عرفته أخته بشامة أو ببنانه وبه بضع وثمانون من بين طعنة وضربة ورمية بسهم. أخرجاه في الصحيحين[١].

وعن أنس: أن الرُّبَيِّع بنت النضر ـ عمته ـ لطمت جارية فكسرت سنَّها فعرضوا عليهم الأرش، فأبوا، فطلبوا العفو، فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال: يا رسول الله أتكسر سنّ الربيع؟ والذي بعثك بالحق لا تكسر سنّها! قال: «يا أنس كتابُ الله القصاص». فعفا القوم، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره». أخرجه البخاري عن الأنصاري[٢].

٧٤ ـ البراء بن مالك رضي الله عنه

ابن النضر بن ضمضم أخو أنس بن مالك لأبيه ولأمه، شهد أحداً وما بعدها مع رسول الله ﷺ وكان شجاعاً؛ قتل مائة مبارزة.

قال ابن سيرين: كتب عمر: لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين، فإنه مَهْلَكَةٌ يقدم بهم.

وقال أنس بن مالك: ركب البراء فرساً يوم اليمامة، ثم قال: أيها الناس إنها والله الجنة، وما لي إلى المدينة سبيل. فمصع فرسه مصعات، ثم كبس وكبس الناس معه فهزم الله المشركين، فكانت في مدينتهم ثُلمة.

---

٧٣ ـ أنس بن النَّضر ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٢٨٣)، الاستيعاب (٨٢)، أسد الغابة (٢٦٣)، الحلية (١/ ١٢١)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٨).

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٦)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٩٦١)، وأحمد في المسند (٣/ ١٦٧).

٧٤ ـ البراء بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٦٢٠)، الاستيعاب (١٧٣)، أسد الغابة (٣٩١)، الحلية (١/ ٣٥٠)، السير (١/ ١٩٥)، تاريخ الإسلام (٣/ ١١٩)، الثقات لابن حبان (٣/ ٢٦)، الطبقات (٧/ ٩).

وعن محمد بن سيرين: أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أُغلق بابه فيه رجال من المشركين، فجلس البراء بن مالك على ترس وقال: ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم. ففعلوا فأدركوه وقتل منهم عشرة.

وعن أنس بن مالك قال: استلقى البراء بن مالك على ظهره ثم ترنَّم. فقال له أنس: أي أخي تغني؟ إلى متى هذا؟ فاستوى جالساً فقال: أتراني أموت على فراشي وقد قتلت مائة من المشركين مبارزة سوى من شاركت في قتله؟

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من ضعيف متضعَّف ذي طِمرين لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك». وإن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فأقسمْ على الله. فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم. فمُنِحوا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين، فقالوا: أقسم يا براء على ربك. فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيي ﷺ. فمُنحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيداً.

وفي رواية أخرى: لما كان يوم «تستر» انكشف المسلمون فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك. فاستشهد.

٧٥ ـ ثابت بن قيس بن شمّاس رضي الله عنه

كان خطيب رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يقول: «نِعمَ الرجل ثابت بن قيس». فلما كان يوم اليمامة انهزم المسلمون. فقال ثابت: أف لهؤلاء ولما يعبدون! ولهؤلاء ولما يصنعون! يا معشر الأنصار خلوا ثنيتي، لعلّي أصلى بحرِّها ساعة؟ قال: ورجل قائم على ثلمة فقتله، وقُتل.

وعن أنس: أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين يكفن فيهما، وقد انهزم القوم فقال: اللّهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء. ثم قال: بئس ما عودكم أقرانكم منذ اليوم! خلوا بيننا وبينهم ساعة. فحمل فقاتل حتى قُتِل.

٧٦ ـ أبو الدرداء: عويمر بن زيد رضي الله عنه

وقيل: ابن عامر، وفي اسمه خلاف قد ذكرته في «كتاب التلقيح». ويختلفون هل شهد أحداً أم لا؟ وقد شهد مع رسول الله ﷺ مشاهد كثيرة، وولاه عمر بن الخطاب القضاء بدمشق.

---

٧٥ ـ ثابت بن قيس ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٩٠٦)، الاستيعاب (٢٥٣)، أسد الغابة (٥٦٩)، تهذيب التهذيب (٢/ ١٢)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٣٩)، تاريخ الإسلام (١/ ٣٧١)، العبر (١/ ١٤)، طبقات ابن سعد (٥/ ٢٠٦).

٧٦ ـ عُوَيمر بن زيد: أبو الدَّرداء ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣٥)، شذرات الذهب (١/ ٣٩)، طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩١)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٧٥)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٠٧)، العبر (١/ ٣٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٤)، أسد الغابة (٥٨٦٥)، الإصابة (٩٨٦٩).

عن معاوية بن قرة قال: قال أبو الدرداء: اطلبوا العلم، فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم.

وعن ميمون بن مهران قال: قال أبو الدرداء: ويلٌ للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله علمه، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات.

وعن أبي وائل قال: قال أبو الدرداء: إني لآمركم بالأمر وما أفعله، ولكني أرجو فيه الأجر، وإن أبغض الناس إليّ أن أظلمه من لا يستعين علي إلا الله.

عن سالم بن أبي الجعد عن أم الدرداء: [أن أبا الدرداء] قال: تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من قيام الليل.

عن عون ـ هو ابن عبد الله ـ قال: سئلت أم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكير والاعتبار. رواهما الإمام أحمد.

وعن الضحاك قال: قال أبو الدرداء: يا أهل دمشق أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار، والأنصار على الأعداء، ما يمنعكم من مودتي وإنما مؤنتي على غيركم؟ ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تُكُفِّل لكم به، وتركتم ما أُمِرتم به؟ ألا إن قوماً بنوا شديداً وجمعوا كثيراً وأملوا بعيداً فأصبح بنيانهم قبوراً وأملهم غروراً وجمعهم بوراً، ألا فتعلَّموا وعلموا، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما.

وعن ابن أبي ليلى قال: كتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري: أما بعد، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حببه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه الله بغّضه إلى خلقه.

وعن أنس عن أبي الدرداء قال: اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكُ الرابع فتهلك. قلت للحسن: ما الرابع؟ قال: المبتدع.

وعن حبيب بن عبيد أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال له: أوصني؟ فقال له: اذكر الله عز وجل في السراء يذكرك في الضراء، فإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ماذا يصير. رواه أحمد.

أنبأنا أبو سعيد الكندي عمن أخبره عن أبي الدرداء أنه قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم؟ ومثقال ذرة من بر مع تقوى ودِين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترينَ[1].

وعن علي بن حوشب عن أبي الدرداء قال: أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت: علمت. لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها الآمرة: هل ائتمرت؟ والزاجرة: هل ازدجرت؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع. رواه الإمام أحمد.

(١) في المطبوع زيادة لا معنى لها وهي: «من الحلية لأبي نعيم عن الإمام أحمد» إلا أن تكون عن مسودة الشيخ الأولى أثناء جمعه للكتاب أو من تعليق بعض النسّاخ.

وعن لقمان بن عامر عن أبي الدرداء قال: إنما أخشى على نفسي أن يقال لي على رؤوس الخلائق: يا عويمر هل علمت؟ فأقول: نعم. فيقال: ماذا عملت فيما علمت؟

عن سالم عن أم الدرداء قالت: دخل علينا يوماً أبو الدرداء مغضباً. فقلت: ما لك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعاً.

وعن سالم بن أبي الجعد: أن رجلاً صعد إلى أبي الدرداء إلى غرفة له وهو يلتقط حباً، فقال أبو الدرداء: إن من فقه الرجل رفقه في معيشته.

عن عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر عن صاحب له: أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: يا أخي اغتنم صحتك وفراغك قبل أن ينزلِ بك من البلاء ما لا يستطيع العباد رده، واغتنم دعوة المبتلى، يا أخي ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المساجد بيت كل تقي». وقد ضمن الله عز وجل لمن كانت المساجد بيوتهم بالرَّوح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله عز وجل، ويا أخي ارحم اليتيم، وأدْنِهِ، وأطعمه من طعامك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ وأتاه رجل يشتكي قساوة قلبه، فقال رسول الله ـ: «أتحب أن يلين قلبك؟» فقال: نعم. قال: «أدْنِ اليتيم منك، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك». وتقدر على حاجتك يا أخي لا تجمع ما لا تستطيع شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله عز وجل فيها وهو بين يدي ماله، وماله خلفه، وكلما تكفأ به الصراط قال له صاحبه: امض فقد أديت الحق الذي كان عليك، قال: ويجاء بالذي لم يطع الله عز وجل فيه وماله بين كتفيه، فيعثره ماله ويقول له: ويلك! هلا عملت بطاعة الله عز وجل؟ فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل!» ويا أخي حدِّثت أنك اشتريت خادماً، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال العبد من الله وهو منه ما لم يُخدَم، فإذا خُدم وجب عليه الحساب» وإن أم الدرداء سألتني خادماً وأنا يومئذ موسر، فكرهت ذلك لما سمعت من الحساب! ويا أخي لا تغترن بصحابة رسول الله ﷺ فإنا عشنا بعده دهراً طويلاً، والله أعلم بالذي أصبنا بعده[1].

وعن جابر قال: خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء ابنة أم الدرداء، فقال رجل من جلساء يزيد: أصلحك الله تأذن لي أن أتزوجها؟ قال: أعزبْ ويلك[2]! قال: فأْذن لي أصلحك الله، فأذن له فأنكحها أبو الدرداء الرجلَ، قال: فسار ذلك في الناس: أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فرده، وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه. قال: فقال أبو الدرداء: إني نظرت للدرداء، فما ظنكم بالدرداء إذا قامت على رأسها الخصيانُ، ونظرتْ في بيوت يلتمع فيها بصرها، أين دينها منها يومئذ؟ رواه الإمام أحمد.

وروي أيضاً من حديث لقمان بن عامر عن أبي الدرداء قال: معاتبة الأخ خير له من فقده، ومن لك بأخيك كله، أعط أخاك، ولِنْ له، ولا تطع به حاسداً، فتكون مثله. غداً يأتيك الموت فكفَّكَ قتله، كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصله؟.

وقال: إن ناقدت الناس ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن هربت منهم أدركوك. قال: يا أبا

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٤).

(٢) في المطبوع والحلية (١/ ٢١٥) «أغرب» فضبطناه كما رأيت.

الدرداء فما تأمرني؟ قال: هب عِرضك ليوم فقرك، وما تجرّع مؤمن جرعة أحب إلى الله عز وجل من غيظ كظمه، فاعفوا يعزكم الله.

وقال: إياكم ودعوة اليتيم ودعوة المظلوم، فإنها تسري بالليل والناس نيام.

وقال: ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله عز وجل من موعظة يعظ بها قومه، فيفترقون قد نفعهم الله عز وجل بها.

وعن حزام بن حكيم قال: قال أبو الدرداء: لو تعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت لَمَا أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شراباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون به، ولخرجتم إلى الصُعُدات تضربون نفوسكم وتبكون على أنفسكم! ولوددت أني شجرة تعضد، ثم تؤكل.

وعن يزيد بن مرثد ـ أبو عثمان ـ عن أبي الدرداء أنه قال: ذروة الإيمان الصبر للحكم، والرضا بالقدر، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب عز وجل.

وروى أحمد عن فرات بن سليمان: أن أبا الدرداء كان يقول: ويل لكل جمّاع فاغرٍ فاهُ، كأنه مجنون، يرى ما عند الناس، ولا يرى ما عند الله عزوجل، لو يستطيع لوَصَلَ الليل بالنهار! ويله من حساب غليظ وعذاب شديد.

قال: وكان يقول: أحب الموت وتكرهونه، وأحب الفقر وتكرهونه، أين الذين أمّلوا بعيداً وجمعوا كثيراً وبنوا شديداً فأصبح أملهم غروراً، وأصبح جمعهم بوراً، وأصبحت منازلهم قبوراً؟

وفي رواية أخرى: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي عز وجل، وأحب الفقر تواضعاً لربي عز وجل، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي.

وعن ابن جابر قال: كان أبو الدرداء يقول: تبنون شديداً، وتأملون بعيداً، وتموتون قريباً.

وعن محمد بن سعد الأنصاري عن أبي الدرداء قال: استعيذوا بالله من خشوع النفاق! قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع. رواه الإمام أحمد.

وعن معاوية بن صالح عن أبي الدرداء قال: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله، فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان هواه تبعاً لعمله فيومه يوم صالح.

وعن عبد الرحمن بن محمد المحاربي قال: بلغني أن أبا الدرداء كتب إلى أخ له: أما بعد فلستَ في شيء من أمر الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك، وهو صائر له أهل بعدك، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك، فآثِرها على المصلح من ولدك، فإنك تقدم على من لا يعذرك، وتجمع لمن لا يحمدك، وإنما تجمع لواحد من اثنين: إما عامل فيه بطاعة الله عز وجل فيسعد بما شقيت! وإما عامل فيه بمعصية الله عز وجل فيشقى بما جمعت له! وليس والله واحد منهما بأهل أن تبرد له على ظهرك، وأن تؤثره على نفسك! ارج لمن مضى منهم رحمة الله، وثق لمن بقي منهم برزق الله عز وجل. والسلام[1].

(١) في هذا الموضع زيادة: «من الحلية».

وعن محمد بن يزيد الرحبي قال: قيل لأبي الدرداء: ما لك لا تشعر؟ فإنه ليس رجل له بيت في الأنصار إلا وقد قال شعراً؟ قال: وأنا قد قلت فاسمعوا:

يريد المرء أن يُعطى مُناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

وعن يحيى بن سعيد قال: قال أبو الدرداء: أدركت الناس ورقاً لا شوك فيه فأصبحوا شوكاً لا ورقة فيه، إنْ نقدتهم نقدوك، وإن تركتهم لا يتركوك. قالوا: فكيف نصنع؟ قال: تقرضهم من عِرضك ليوم فقرك.

وعن قتادة قال أبو الدرداء: ابنَ آدم طأ الأرضَ بقدمك، فإنها عما قليل تكون قبرك! ابن آدم إنما أنت أيام فكلما ذهب يومٌ ذهب بعضُك! ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك من يوم ولدتك أمك.

وعن روح بن الزبرقان قال: قال أبو الدرداء: ما من أحد إلا وفي عقله نقص عن حلمه وعلمه وذلك أنه إذا أتته الدنيا بزيادة في مال ظل فرحاً مسروراً، والليل والنهار دائبان في هدم عمره لا يحزنه ذلك، ضل ضلاله: ما ينفع مالٌ يزيد وعمرٌ ينقص؟

وعن جبير بن نفير قال: لما فتحت قبرس فُرِّق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيتُ أبا الدرداء جالساً وحده يبكي. فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا تركوا أمره؟ بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فرأيتهم كما ترى!

وعن شرحبيل: أن أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة قال: اغدوا؛ فإنا رائحون، وروحوا فإنا غادون موعظة بليغة وغفلة سريعة، كفى بالموت واعظاً، يذهب الأول فالأول، ويبقى الآخر لا حلم له.

عن الأوزاعي وعن بلال بن سعد أنه سمعه يقول: كان أبو الدرداء يقول: اللّهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يوضع في كل واد مال.

وعن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال: إن الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك.

وعن حسان بن عطية: أن أصحاباً لأبي الدرداء تضيّفوه، فضيّفهم، فمنهم من بات على ثيابه كما هو، فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال: إن لنا داراً لها نجمع، وإليها نرجع.

وعن محمد بن كعب: أن ناساً نزلوا على أبي الدرداء ليلة قرّةً فأرسل لهم بطعام سُخْن ولم يرسل إليهم بلُحُفٍ. فقال بعضهم: لقد أرسل إلينا بالطعام فما هنّأنا مع القرّ، لا أنتهي أو أُبيِّنُ له.

قال الآخر: دعه. فأبى، فجاء حتى وقف على الباب فرآه جالساً وامرأته ليس عليها من الثياب إلا ما لا يذكر، فرجع الرجل وقال: ما أراك بتَّ إلا بنحو ما بتنا به. قال: إن لنا داراً ننتقل إليها، قدّمنا فُرُشَنا ولحفنا إليها، ولو ألفيتَ عندنا منه شيئاً لأرسلنا إليك به، وإن بين أيدينا عقبة كَؤوداً، المخفّ فيها خير من المثقل، أفهمت ما أقول لك؟ قال: نعم. رواه أحمد.

وعن أبي قلابة: أن أبا الدرداء مرّ على رجل قد أصاب ذنباً، فكانوا يسبُّونه. فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله عز وجل الذي عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي. رواه الطبراني(١).

وعن سليم بن عامر عن أبي الدرداء قال: نِعْم صومعة المرء المسلم بيته، يكفّ لسانه وفرْجه وبصره، وإياكم ومجالس الأسواق فإنها تلهي وتُلغي.

ذكر وفاة أبي الدرداء رضي الله عنه

عن معاوية بن قرة: أن أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي. قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: أفلا ندعوا لك طبيباً؟ قال: هو الذي أضجعني.

عن لقمان بن عامر عن أم الدرداء أنها قالت: اللّهم إن أبا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا، اللّهم فأنا أخطبه إليك، فأسألك أن تزوجنيه في الجنة. فقال لها أبو الدرداء: فإن أردت ذلك، وكنت أنا الأول فلا تزوّجي بعدي. قال: فمات أبو الدرداء وكان لها جمال وحسن فخطبها معاوية، فقالت: لا والله لا أتزوج زوجاً في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله عز وجل في الجنة.

قال عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه قالت أم الدرداء: إن احتجت بعدك أآكُل الصدقة؟ قال: لا، اعملي وكُلي. قالت: فإن ضعفت عن العمل؟ قال: التقطي السنبل ولا تأكلي الصدقة.

عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء أن أبا الدرداء لما احتُضِر جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل ساعتي هذه؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟ ثم يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

إسماعيل بن عبيد الله أن أبا مسلم قال: جئت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه فقال: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه؟ ثم قبض رحمه الله.

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: رأيت في المنام كأني أتيت مرجاً أخضر فيه قبة من أدم، حولها غنم ربُوض تجترُّ وتبعر العجوة، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: لعبد الرحمن بن عوف، فانتظرته حتى خرج من القبة فقال: يا عوف بن مالك هذا ما أعطانا الله عز وجل بالقرآن، ولو أشرفت على هذه الثنية لرأيت ما لم تر عينك، وسمعت ما لم تسمع أذنك، ولم يخطر على قلبك، أعده الله عز وجل لأبي الدرداء لأنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والنحر.

قال محمد بن سعد: أخبرنا الواقدي: توفي أبو الدرداء بدمشق سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان، وله عقب بالشام.

وأخبرني غير الواقدي عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال: توفي أبو الدرداء بالشام سنة إحدى وثلاثين.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٩٠) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٥) ولم أجده في معاجم الطبراني.

٧٧ ـ عمرو بن الجَموح بن زيد بن حرام السلمي رضي الله عنه

شهد أحداً، وله من الولد معاذ ومعوذ وخلاد، شهدوا بدراً، وقتل عمرو بن الجموح وهو وابنه خلاد يوم أحد.

عن عكرمة: أن عمرو بن الجموح كان منافٌ في بيته ـ يعني صنماً ـ فلما قدم مصعب بن عمير المدينة يعلم الناس القرآن بعث إليهم عمرو: ما هذا الذي جئتمونا به؟ فقالوا: إن شئت جئناك فأسمعناك؟ فواعدهم يوماً، فقرأوا عليه: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ١ ـ ٢] فقال: إن لنا مؤامرة في قومنا. وكان سيد بني سلمة قال: فخرجوا فدخل على مناف فقال: يا مناف تعلم والله ما يريد القومُ غيرَك، فهل عندك من نكير؟ فقلده السيف وخرج لحاجته فقام أهله فأخذوا السيف، فلما رجع دخل عليه فلم ير السيف، فقال: أين السيف ويحك؟ والله إن العنز لتمنع أُسْتَها! والله ما أرى في أبي جعار غداً من خير، ثم قال: إني ذاهب إلى مالي بعلياء المدينة، فاستوصوا بمناف خيراً، فإني أكره أن أرى له يومَ سوءٍ. فذهب فأخذوه فربطوه وكسروه وربطوه إلى جنب كلب ميت، وألقوه في بئر. فلما جاء قال: كيف أنتم؟ قالوا: بخير يا سيدنا وسّع الله عز وجل في منازلنا وطهر بيوتنا من الرجس. قال: والله إني لأراكم قد أسأتم خلافتي في مناف! قالوا: هو ذاك، انظر إليه في جنب البئر! فأشرف فإذا هم قد ربطوه إلى جنب كلب فبعث إلى قومه فجاؤوا فقال: ألستم على ما أنا عليه؟ قالوا: بلى أنت سيدنا. قال: فإني أشهدكم أني قد آمنت بما أنزل على محمد.

فلما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «قوموا بنا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين». فقام وهو أعرج فقال: والله لأَحْفِزَن عليها في الجنة. فقاتل حتى قتل[(١)].

وفي رواية أخرى: أنه لما رأى صنمه في البئر أنشأ يقول:

الحمد لله العلي ذي المِنَن ... الواهب الرزاق ديّان الدِّيَن
هو الذي أنقذني من قبل أن ... أكون في ظلمة قبر مرتهن
والله لو كنتَ إلهاً لم تكن ... أنت وكلبٌ وسط بئر في قرن
فالآن فتشناك عن شر الغبن

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني سلمة من سيدكم؟» قالوا: جد بن قيس على أننا نُبخله. قال: «وأي داء أدوأ من البخل؟ بل سيدكم الأبيض: عمرو بن الجموح»[(٢)].

محمد بن سعد: أنبأنا الواقدي: لم يشهد عمرو بدراً، وكان أعرج فلما أراد رسول الله ﷺ

---

٧٧ ـ عمرو بن الجَموح ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٥٨١٤)، الاستيعاب (١٩٢٥)، أسد الغابة (٣٨٩١)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٥)، مسند أحمد (٣/ ٤٣٠)، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٥٢)، طبقات ابن سعد (٢/ ٥٦٠).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤٩٤).

(٢) أخرجه الطبراني المعجم الكبير (١١/ ٣٩٧) و(٢٠/ ٣٦٣)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٥٦٥).

الخروج إلى أحد منعه بنوه، وقالوا: قد عذرك الله. فأتى النبي ﷺ فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك! والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله، ولا جهاد عليك»، ثم قال لبنيه: «لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة» فخلوا عنه.

قالت امرأته هند بنت عمرو بن حرام: كأني أنظر إليه مولياً وقد أخذ درقته وهو يقول: اللّهم لا تردني إلى أهل حزبي ـ وهي منازل بني سلمة ـ قال أبو طلحة: فنظرت إلى عمرو حين انكشف المسلمون، ثم ثابوا وهو في الرعيل الأول لكأني أنظر إلى ظلع في رجله يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنة. ثم أنظر إلى ابنه خلاد يعدو في أثره حتى قتلا جميعاً[1].

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة: أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاريين كان السيل قد خرّب قبرهما، وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم أحد، فحفر عنهما ليغيِّرا من مكانهما فوُجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس. وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأمطيت يده عن جرحه، ثم أُرسلت فعادت كما كانت! وكان بين أحد ويوم حُفِر عنهما ست وأربعون سنة رضي الله عنهما.

٧٨ ـ أبو قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه

شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وكان من الفرسان المذكورين، ودعا له رسول الله ﷺ فقال: «اللّهمّ بارك له في شَعْره وبشَرَه» فتوفي وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمسة عشر سنة، وبصق رسول الله ﷺ على جرح كان به؛ قال: فما ضرب عليّ قط ولا قاح. وتوفي بالمدينة سنة أربع وخمسين، وقيل بالوقفة[2].

٧٩ ـ جابر بن عبد الله بن عامر بن حَرَام رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الله، شهد العقبة مع السبعين وكان أصغرهم يومئذ، وأراد شهود بدر فخلفه أبوه على أخواته ـ وكن تسعاً ـ وخلفه أيضاً يوم أحد، ثم شهد ما بعد ذلك.

عن جابر قال: أقبلت عيرٌ يومَ الجمعة ونحن مع رسول الله ﷺ فانفتل الناس فلم يبق مع

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٤)، والدلائل (٣/ ٢٤٦).

٧٨ ـ أبو قَتادة: الحارث بن ربعي ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (١٠٤١١)، أسد الغابة (٨٧٩)، الاستيعاب (٤١٤)، الطبقات لابن سعد (٦/ ١٥)، مسند أحمد (٤/ ٣٨٣)، تاريخ الإسلام (١/ ٣٤٠)، البداية والنهاية (٨/ ٦٨)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٦٥)، سيرة ابن هشام (٢/ ٩١)، الطبراني في الكبير (٣/ ٢٧٠)، تهذيب التهذيب (٢/ ٤١).

(٢) انظر الطبراني في الكبير (٣/ ٢٧٠)، وأبو داود في سننه (٥٢٢٨)، وأحمد (٥/ ٢٩٨).

٧٩ ـ جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (٦٤٧)، الإصابة (١٠٢٨)، الاستيعاب (٢٩٠)، تهذيب ابن عساكر (٣/ ٣٨٩)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٢)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٤٣)، العبر (١/ ٨٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٠)، شذرات الذهب (١/ ٨٤)، تهذيب التهذيب (٢/ ٤٢)، الكبير للطبراني (٢/ ١٩٤).

النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً؛ أنا فيهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[الجمعة: ١١].

توفي جابر سنة ثمان وسبعين بالمدينة بعد أن ذهب بصره.

٨٠ - زيد بن الدَّثِنَّة بن معاوية رضي الله عنه

شهد أحداً، واستؤسِر يوم الرجيع مع خبيب بن عدي فباعوهما من قريش فقُتِلا بمكة، وكان الذي ابتاع زيداً صفوان بن أمية فقتله بأبيه، فحضره نفر من قريش فيهم أبو سفيان، فقال قائل: يا زيد أنشدك بالله أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمداً عندنا مكانك؟! فقال: والله ما أحب أن محمداً يُشاك في مكانه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي! فقال أبو سفيان: والله ما رأيت من قوم قط أشد حباً لصاحبهم من أصحاب محمد له.

٨٠ - زيد بن الدَّثِنَّة - رضي الله عنه -: الغابة (١٨٣٥)، الإصابة (٢٩٠٥)، الاستيعاب (٨٥٢)، الثقات لابن حبان (٣/ ١٤٠)، تجريد أسماء الصحابة (١٩٩).

من الطبقة الثالثة ممن شهد الخندق

من المهاجرين والأنصار ممن شهد الخندق وما بعدها

٨١ ـ خالد بن الوليد رضي الله عنه

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. يكنى أبا سليمان. وأمه عصماء، وهي لبابة الصغرى بنت الحارث أخت أم الفضل امرأة العباس.

المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث قال: سمعت أبي يحدّث قال: قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي حب الإسلام، وحضرني رشدي وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، فليس موطن أشهده إلا انصرفت وأنا أرى في نفسي أني مُوضِعٌ في غير شيء، وأن محمداً سيظهر، ودافعته قريش بالراح يوم الحديبية فقلت: أين المذهب؟ وقلت: أخرجُ إلى هرقل. ثم قلت: أخرجُ من ديني إلى نصرانية أو يهودية فأقيم مع عجم تابعاً لها، مع عيب ذلك علي؟ ودخل رسول الله ﷺ مكة عام القُضَيَّة فتغيّبت، فكتب إلي أخي: لم أرَ أعجب [من] ذهاب رأيك عن الإسلام؟ وعقلُك عقلُك!! ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك؟ فقال: «أين خالد؟» فقلت: يأتي الله به. فقال: «ما مثل خالد جهل الإسلام» فاستدركْ يا أخي ما فاتك.

فلما أتاني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام وسرتني مقالةُ النبي ﷺ، فأرى في المنام كأني في بلاد ضيقة جَدْبة، فخرجت إلى بلد أخضر واسع، فقلت: إن هذه لرؤيا. فذكرتها بعدُ لأبي بكر فقال: هو مخرجك الذي هداك الله فيه للإسلام، والضيق الشِرْك. فأجمعت الخروج إلى رسول الله وطلبت: مَن أصاحب؟ فلقيت عثمان بن طلحة فذكرت له الذي أريد فأسرع في الإجابة وخرجنا جميعاً، فأدلجنا سَحَراً، فلما كنا بالهدة إذا عمرو بن العاص فقال: مرحباً بالقوم. فقلنا: وبك. فقال: أين مسيركم؟ فأخبرناه، وأخبرنا أنه يريد أيضاً النبي [ﷺ]، فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة على رسول ﷺ أول يوم من صفر سنة ثمان، فلما طلعتُ على رسول الله ﷺ سلمتُ عليه بالنبوّة، فردّ عليّ السلام بوجه طلق، فأسلمت. فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يُسلِمك إلا إلى خير». وبايعت رسول الله ﷺ، وقلت: استغفر لي كل ما أوضعتُ فيه من صدٍّ عن سبيل الله. فقال: «إن الإسلام يجبُّ ما قبله»، ثم استغفر لي. وتقدم عمرو وعثمان بن طلحة فأسلما،

---

٨١ ـ خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٦٦)، تهذيب ابن عساكر (٥/ ٩٥)، شذرات الذهب (١/ ٣٣٢)، تهذيب التهذيب (٣/ ١٤٢)، العبر (١/ ٢٥)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٧٢)، ابن هشام (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٩ و٥٩٢ ـ ٥٩٤)، طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩٤)، الإصابة (٢٢٠٦)، الاستيعاب (٦٢١)، أسد الغابة (١٣٩٩).

فو الله ما كان رسول الله ﷺ من يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يُجزئه.

وعن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت قال: لما كان يوم مؤتة وقُتِل الأمراء أخذ اللواء ثابت بن أقرم وجعل يصيح: يا للأنصار! فجعل الناس يثوبون إليه، فنظر إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان. فقال: لا آخذه أنت أحق به، لكل سنٌّ، وقد شهدتَ بدراً. قال ثابت: خذه أيها الرجل، فوالله ما أخذته إلا لك. وقال ثابت للناس: أصطلحتم على خالد؟ قالوا: نعم. فحمل اللواء وحمل بأصحابه ففضَّ جمعاً من المشركين.

وعن قيس بن أبي حازم قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد انقطع في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وصبرت في يدي صفيحة لي يمانية.

وعن عبد الملك بن عمير قال: استعمل عمر أبا عبيدة بن الجراح على الشام، وعزل خالد بن الوليد. قال: فقال خالد بن الوليد: بعث عليكم أمينَ هذه الأمة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خالد سيف من سيوف الله، نِعْمَ فتى العشيرة»(١).

قال العلماء بالسير: بعث رسول الله خالد بن الوليد في سرايا، وخرج معه في غزاة الفتح وإلى حنين وتبوك، وفي حجة الوداع، فلما حلق رسول الله ﷺ رأسه أعطاه ناصيته، فكانت في مقدَّم قلنسوته، فكان لا يلقى أحداً إلا هزمه.

ولما خرج أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل الردة كان خالد بن الوليد يحمل لواءه، فلما تلاحق الناس به استعمل خالداً ورجع إلى المدينة، وكان خالد يقول: ما أدري من أي يومي أفرّ: من يوم أراد الله عز وجل أن يهدي لي فيه شهادة؟ أو من يوم أراد الله عز وجل أن يهدي لي فيه كرامة؟

ولما عزله عمر بن الخطاب لم يزل مرابطاً بحمص حتى مرض، فدخل عليه أبو الدرداء عائداً فقال: إن خيلي وسلاحي على ما جعلتهُ في سبيل الله عز وجل، وداري بالمدينة صدقة قد كنت أشهدت عليها عمر بن الخطاب، ونعم العون هو على الإسلام، وقد جعلت وصيتي وإنفاذ عهدي إلى عمر. فقدم بالوصية على عمر فقبلها، وترحم عليه، ومات خالد، فقُبِر في بعض قرى حمص ـ على ميل من حمص ـ سنة إحدى وعشرين، فحكى من غسّله: أنه ما كانَ في جسمه موضع صحيح من بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم.

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد: أن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة بكى. فقال: لقد لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي حَتْفَ أنفي كما يموت العِيْرُ! فلا نامت أعين الجبناء.

وعن شقيق بن سلمة قال: لما مات خالد بن الوليد اجتمع نسوة بني المغيرة في دار خالد يبكينَ عليه، فقيل لعمر: إنهن قد اجتمعن فانهَهُنّ؟ فقال عمر: وما عليهن أن يُرِقْنَ دموعهن على أبي

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩٧)، و(٧/ ٤١٨).

سليمان. ما لم يكن نقع أو لقلقة.

قال وكيع: النقع الشق، واللقلقة الصوت. رضي الله عنه.

٨٢ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل رضي الله عنه

أسلم قبل أبيه، واستأذن النبي ﷺ في كتابة ما يسمع منه فأذن له رسول الله ﷺ. وقال: قد حفظت عن رسول الله ﷺ ألف مثل. وكان عالماً متعبداً.

عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال: استأذنت النبي ﷺ في كتابة ما سمعت منه. فأذن لي، فكتبته، فكان عبد الله يسمّي صحيفته «الصادقة».

وعن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت عليّ جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة من الصلاة والصوم، فجاء عمرو بن العاص إلى كنّته حتى دخل عليها، فقال: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال أو كخير البعولة من رجل لم يفتش لنا كنفاً، ولم يعرف لنا فراشاً. فأقبل عليّ فعذلني وعضلني بلسانه. فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها وفعلت؟

قال: ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني، فأرسل إلى النبي ﷺ فأتيته، فقال لي: «أتصوم النهار؟» قلت: نعم. قال: «وتقوم الليل؟» قلت: نعم. قال: «ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأمسّ النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني». وقال: «اقرأ القرآن في كل شهر» قلت إني أجدني أقوى من ذلك. قال: «فاقرأه في كل عشرة أيام» قلت: إني أجدني أقوى من ذلك. قال: أحدهما ـ إما حصين وإما مغيرة ـ قال: «فاقرأه في كل ثلاث». قال: «صُمْ في كل شهر ثلاثة أيام» قلت: إني أقوى من ذلك. قال: فلم يزل يرفقني حتى قال: «صم يوماً وأفطر يوماً، فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخي داود». قال حصين في حديثه: ثم قال ﷺ: «فإن لكل عابد شرة، ولكل شرة فترة، فإما إلى سنة وإما إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك».

قال مجاهد: فكان عبد الله بن عمرو حين ضعف وكبر يصوم الأيام يصل بعضها إلى بعض ليتقوى بذلك، ثم يفطر بعدد تلك الأيام. قال: وكان يقرأ من حزبه كذلك يزيد أحياناً وينقص أحياناً غير أنه يوفي العدد إما في سبع وإما في ثلاث. قال: ثم كان يقول بعد ذلك: لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحب إلي مما عدل به، لكني فارقته على أمرٍ أكره أن أخالفه إلى غيره. انفرد باخراجه البخاري[(١)].

وعن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو قال: تُجْمَعُون، فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ قال

---

٨٢ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (٣٠٩٢)، الإصابة (٤٨٦٥)، الاستيعاب (١٦٣٦)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٣٧)، شذرات الذهب (١/ ٦٢)، العبر (١/ ٧٢)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤١).

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٥).

فيبرزون. فيقال: ما عندكم؟ فيقولون: يا رب ابتلينا فصبرنا، وأنت أعلم، ووليت الأموال والسلطان غيرنا. قال: فيقال: صدقتم. قال: فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال.

وعن خالد بن معدان عن ابن عمر قال: أرواح المؤمنين في جوف طير خضر كالزرازير يتعارفون ويُرزقون من ثمر الجنة.

وعن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال: لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تنقصف ظهوركم، ولصرختم حتى تنقطع أصواتكم، فابكوا! فإن لم تجدوا البكاء فتباكوا.

وعن يعلى بن عطاء عن أمه: أنها كانت تصنع الكحل لعبد الله بن عمرو قالت: وإن كان ليقوم بالليل فيطفىء السراج، ثم يبكي حتى رصعت عيناه[1].

وعن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لأن أدمع دمعة من خشية الله عز وجل أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار.

وعن سلمان بن ربيعة: أنه حج في عصابة من قرّاء أهل البصرة فقال: والله لا نرجع حتى نلقى رجلاً من أصحاب محمد ﷺ مُرْضِياً يحدثنا بحديث. فلم نزل نسأل حتى حُدِّثنا: أن عبد الله بن عمرو نازل في أسفل مكة، فعمدنا إليه فإذا نحن بثقل عظيم، ويرتحلون ثلثمائة راحلة، منها مائة راحلة ومائتا زاملة، فقلنا: لمن هذا الثقل؟ فقالوا: لعبد الله بن عمرو، فقلنا: أكل هذا له؟ وكنا نحدّث أنه من أشد الناس تواضعاً! فقالوا لنا: أما هذه المائة راحلة فلإخوانه يحملهم عليها، وأما المائتان فلمن نزل عليه من أهل الأمصار ولأضيافه. فعجبنا من ذلك! فقالوا: لا تعجبوا من هذا لأن عبد الله رجل غني، وإنه يرى حقاً عليه أن يكثر من الزاد لمن نزل عليه من الناس. فقلنا: دلونا عليه. فقالوا: إنه في المسجد الحرام. قال: فانطلقنا نطلبه حتى وجدناه في دبر الكعبة جالساً بين بردتين وعمامة ليس عليه قميص، قد علق نعليه في شماله.

وعن هارون بن رئاب قال: لما حضرت عبدَ الله بن عمرو الوفاةُ قال: إنه كان خطب إلي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني إليه شبيهٌ بالوعد، فوالله لا ألقى الله عز وجل بثلث النفاق: اشهدوا أني قد زوجتها اياه.

قال محمد بن سعد: قال محمد بن عمر: وتوفي عبد الله بن عمرو بالشام سنة خمس وستين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

قلت: وقد زعم قوم أنه مات بمكة، ويقال: بالطائف، ويقال: بمصر. رحمه الله، ورضي الله عنه[2].

---

(١) قال في النهاية: رَصَعَتْ: فَسَدَتْ. ا.هـ (٢/ ٢٢٧).

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٣)، وما بعدها.

٨٣ ـ سعيد بن عامر بن حذيم رضي الله عنه

ابن سلامان بن ربيعة الجمحي، أسلم قبل خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ وما بعدها.

عن عبد الرحمن بن سابط قال: أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر فقال: إنا مستعملوك على هؤلاء، فسرْ بهم إلى أرض العدو، فتجاهد بهم. فقال: يا عمر لا تفتنّي. فقال عمر: والله لا أدعكم، جعلتموها في عنقي، ثم تخلّيتم!.

وعنه قال: دعا عمر بن الخطاب رجلاً من بني جمح يقال له سعيد بن عامر بن حذيم فقال له: إني مستعملك على أرض كذا وكذا؟ فقال: لا تفتنّي يا أمير المؤمنين. فقال: والله لا أدعك، قلّدتموها في عنقي وتركتموني؟ فقال عمر: ألا نفرض لك رزقاً؟ قال: قد جعل الله تعالى في عطائي ما يكفيني دونه أو فضلاً على ما أريد.

قال: وكان إذا خرج عطاؤه ابتاع لأهله قُوتهم، وتصدق ببقيته. فتقول له امراته: أين فَضْل عطائك؟ فيقول لها: قد أقرضته. فأتاه ناس فقالوا: إن لأهلك عليك حقاً، وإن لأصهارك عليك حقاً فقال: ما أنا بمستأثر عليهم ولا بملتمس رضا أحد من الناس لطلب الحور العين، ولو اطلعت خيْرة من خيرات الجنة لأشرقت لها الأرض كما تشرق الشمس، وما أنا بمتخلف عن العنق الأول بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجمع الله عز وجل الناس ليوم، فيجيء فقراء المؤمنين فيزِفُّون كما يزفّ الحَمَام فيقال لهم: قفوا عند الحساب، فيقولون: ما عندنا حساب ولا آتيتمونا شيئاً. فيقول ربهم عز وجل: صدق عبادي. فيفتح لهم باب الجنة فيدخلونها قبل الناس بسبعين عاماً»(١).

فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يُدَخّنُ في بيته، فأرسل إليه عمر بمال، فأخذه فصرره صرراً فتصدق به يميناً وشمالاً وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن حوراء أطلعت إصبعا من أصابعها لوجد ريحها كل ذي روح، فأنا أدعهن لكنّ! فوالله لأنتن أحرى أن أدعكن لهن منهن لكنّ»(٢).

وعن حسان بن عطية قال: لما عزل عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان عن الشام بعث سعيد ابن عامر بن حِذْيم الجمحي، قال: فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه. قال: فما لبث إلا يسيراً حتى أصابته حاجة شديدة. قال: فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه بألف دينار. قال: فدخل بها على امرأته فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين! فقالت: لو أنك اشتريت أدماً وطعاماً، وادَّخرت سائرها؟ فقال لها: أوَلا أدلك على أفضل من ذلك؟ نعطي هذا المال من يتَّجر لنا فيه، فنأكل من ربحها وضمانها عليه؟ قالت: فنعم إذاً. فاشترى أدماً وطعاماً، واشترى غلامين وبعيرين يمتاران عليهما حوائجهم، وفرقها على المساكين وأهل الحاجة.

قال: فما لبث إلا يسيراً حتى قالت له امرأته: إنه قد نفد كذا وكذا، فلو أتيت ذلك الرجل

---

٨٣ ـ سعيد بن عامر بن حِذْيم الجُمَحي ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٣٢٨٠)، الاستيعاب (٩٩٣)، أسد الغابة (٢٠٨٤)، البداية والنهاية (٦/١٠٣)، الثقات لابن حبان (٣/ ١٥٥)، طبقات ابن سعد (٧/٢٤٢)، الحلية (١/٣٦٨).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٥٨). (٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٥٩).

فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه؟ قال: فسكت عنها، ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته. ولم يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل.

قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله فقال لها: ما تصنعين؟ إنك قد آذيته، وإنه قد تصدق بذلك! قال: فبكت أسفاً على ذلك المال.

قال: ثم إنه دخل عليها يوماً فقال: على رِسلك؛ إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب، ما أحب أني صددت عنهم وأن لي الدنيا وما فيها، ولو أن خيرة من خيرات الجنان اطّلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض، ولقَهَرَ ضوءُ وجهها الشمسَ والقمرَ، ولَنصيفٌ تُكسى خير من الدنيا وما فيها، فلأنت في نفسي أحرى أن أدعك لهنّ من أن أدعهن لك! قال: فسمحت ورضيت.

وعن مالك بن دينار قال: لما أتى عمر رضي الله عنه الشام طاف بكورها، قال: فنزل بحضرة حمص فأمر أن يكتبوا له فقراءهم. قال: فرفع إليه الكتاب، فإذا فيه سعيد بن عامر بن حذيم أميرها. فقال: من سعيد بن عامر؟ قالوا: أميرنا. قال: أميركم! قالوا: نعم. فعجب عمر، ثم قال: كيف يكون أميركم فقيراً؟ أين عطاؤه؟ أين رزقه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين لا يمسك شيئاً. قال: فبكى عمر، ثم عمد إلى ألف دينار فصرَّها، ثم بعث بها إليه وقال: أقرئوه مني السلام، وقولوا: بعث بهذه إليك أمير المؤمنين تستعين بها على حاجتك. قال: فجاء بها إليه الرسول فنظر فإذا هي دنانير. قال: فجعل يسترجع، قال: تقول له امرأته: ما شأنك يا فلان؛ أمات أمير المؤمنين؟ قال: بل أعظم من ذلك؟ قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا أتتني، الفتنة دخلت عليّ. قالت: فاصنع فيها ما شئت. قال: عندك عون؟ قالت: نعم. قال: فأخذ دريعة فصر الدنانير فيها صراراً، ثم جعلها في مخلاة، ثم اعترض جيشاً من جيوش المسلمين فأمضاها كلها. فقالت له امرأته: رحمك الله لو كنت حبست منها شيئاً نستعين به؟ قال: فقال لها: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لملأت [الأرض] ريحَ مسك»(1) وإني والله ما كنت لأختارك عليهن. فسكتت.

وعن خالد بن معدان قال استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحمص سعيد بن عامر بن حذيم فلما قدم عمر حمص قال: يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه، وكان يقال لأهل حمص «الكويفة» الصغرى لشكايتهم العمال، قالوا: نشكوا أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظِمْ بها! قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل. قال: وعظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: له يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا! قال: عظيمة! قال: وماذا؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام ـ أي تأخذه موتة ـ.

قال: فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللّهم لا تُفَيِّلْ رأيي فيه اليوم، ما تشتكون منه؟ قالوا: لا يخرج حتى يتعالى النهار. قال [سعيد]: والله إن كنت لأكره ذكره: إنه ليس لأهلي خادم، فأعجن عجينهم، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم.

---

(1) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١٨٥) وما بين معقوفين منه، وهو عند ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤١٢) والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٨١) وأحمد (٣/ ١٤٧).

فقال: ما تشتكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل. قال: ما يقولون؟ قال: إن كنت لأكره ذكره إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل. قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه. قال: ما يقولون؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي، ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار. قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام. قال: ما يقولون؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذع فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدا شيك بشوكة. ثم نادى: يا محمد! فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نُصْرَتَه في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً! فتصيبني تلك الغنظة. فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيل فراستي. فبعث إليه بألف دينار، وقال: استعن بها على حاجتك. فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها؟ قالت: نعم. فدعا رجلاً من أهله يثق به فصررها صرراً، ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وآل مبتلى آل فلان. فبقيت منها ذُهَيْبَة فقال: أنفقي هذه. ثم عاد إلى عمله، فقالت: ألا تشتري لنا خادماً؟ ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين.

ذكر وفاة سعيد رضي الله عنه

[قال] محمد بن سعد قال الواقدي: مات سعيد في سنة عشرين في خلافة عمر رضي الله عنه.

٨٤ ـ أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنه

أسلم قديماً بمكة فحبسه أبوه في الحديد ومنعه الهجرة، فلما نزل رسول الله ﷺ صلح الحديبية وأتاه سهيل بن عمرو فقاضاه على ما قاضاه عليه أقبل أبو جندل يرسف في قيده إلى رسول الله ﷺ فلما رآه أبوه قال: يا محمد هذا أول من أقاضيك عليه. فرده رسول الله ﷺ إلى أبيه لأن الصلح كان قد تم بينهم، وكان فيه: أن من جاء المسلمين إلى المشركين لم يردوه عليهم، ومن جاء من المشركين إلى المسلمين ردوه عليهم. فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين أُرَدُّ إلى المشركين ليفتنوني عن ديني؟ فقال النبي ﷺ: «يا أبا جندل إنا قد قاضيناهم، ولا بد من الوفاء، فاصبر، فإن الله عز وجل سيجعل لك فَرَجاً ومخرجاً».

ثم إنه أفلت منهم، ولم يزل يغزو مع رسول الله ﷺ حتى مات [رسولُ الله ﷺ]، ثم خرج إلى الشام مجاهداً فمات بها في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة[1].

---

٨٤ ـ أبو جندل: سهيل بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ١٩٢)، الطبقات لابن سعد (٧/ ٤٠٥)، شذرات الذهب (١/ ٣٠)، تهذيب ابن عساكر (٧/ ١٣٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٦)، العبر (٢/ ٢٢)، والإصابة (٩٦٩٩)، الاستيعاب (٢٩٢٨)، أسد الغابة (٥٧٧٥).

(١) الإصابة (٧/ ٥٩ برقم ٩٦٩٩).

٨٥ ـ عياض بن غَنْم بن زهير رضي الله عنه

أسلم قبل الحديبية، وشهدها مع رسول الله ﷺ، ولما حضرت أبا عبيدة الوفاةُ ولاه عمله، فأقره عمر.

وكان سمحاً يعطي ما يملك فكُلِّم عمر فيه؟ وقيل: يبذِّر المال؟ فقال: إن سماحه في ذات يده، فإذا بلغ مال الله عز وجل لم يعطِ منه شيئاً، ولا أعزل من ولاه أبو عبيدة. وكان عياض على حمص فكان افتتاح الجزيرة والرهاء وحران والرقة على يديه سنة ثمان عشرة: صالحهم فكتب كتاباً.

وعن موسى بن عقبة قال: لما ولي عياض بن غنم قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته فلقيهم بالبِشر وأنزلهم وأكرمهم فأقاموا أياماً، ثم كلموه في الصلة وأخبروه بما لقوا من المشقة في السفر رجاءَ صلته، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير ـ وكانوا خمسة ـ فردوها وتسخطوا ونالوا منه فقال: أي بني عم والله ما أنكر قرابتكم ولا حقكم ولا بُعْدَ شقتكم، ولكن والله ما حصلت على ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي وببيع ما لا غنى بي عنه، فاعذروني. قالوا: والله ما عذرك الله فإنك والي نصف الشام وتعطي الرجل منا ما جهده أن يبلغه إلى أهله؟ قال: فتأمرونني أسرق مال الله! فوالله لأن أُشَقَّ بالمنشار أحب إلي من أن أخون فلساً أو أتعدى. قالوا: قد عذرناك في ذات يدك فولّنا أعمالاً من أعمالك نؤدي ما يؤدي الناس إليك، ونصيب من المنفعة ما يصيبون، وأنت تعرف حالنا، وإنا ليس نعدو ما جعلت لنا. قال: والله إني لأعرفكم بالفضل والخير، ولكن يبلغ عمر أني وليت نفراً من قومي فيلومني! قالوا: فقد ولاك أبو عبيدة وأنت منه في القرابة بحيث أنت؟ فأنفذ ذلك عمرُ، فلو وليتنا لأنفذه! قال: إني لست عند عمر كأبي عبيدة. فمضوا لائمين له.

ومات رضي الله عنه وما له مال في سنة عشرين، وهو ابن ستين سنة رضي الله عنه.

٨٦ ـ ثوبان مولى رسول الله ﷺ

يكنى أبا عبد الله، أصابه سِباءٌ فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، فلم يزل معه حتى قُبِض، ثم نزل حمص فمات سنة أربع وخمسين.

عن عبد الرحمن بن يزيد عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يتقبل لي بواحدة وأتقبل له بالجنة؟**». قال: قلت: أنا. قال: «**فلا تسأل الناس شيئاً**»[(١)].

فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه؛ حتى ينزل فيتناوله.

---

٨٥ ـ عياض بن غَنْم ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣٦)، العبر (١/ ٢٤)، شذرات الذهب (١/ ٣١)، المستدرك للحاكم (٣/ ٢٨٩)، الإصابة (٦١٥٥)، الاستيعاب (٢٠٣٦)، أسد الغابة (٤١٥٨).

٨٦ ـ ثوبان مولى رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنه ـ: ذكره الذهبي تحت اسم «ثوبان النبوي» في السير (٣/ ١٥)، وانظر طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠٠)، الجرح والتعديل (٢/ ٤٦٩)، الطبراني في الكبير (٢/ ٨٥)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٠)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٣)، العبر (١/ ٥٩)، تهذيب التهذيب (١/ ٩٨)، شذرات الذهب (١/ ٥٩)، تهذيب ابن عساكر (٣/ ٣٨١)، الإصابة (٩٦٩)، الاستيعاب (٢٨٦)، أسد الغابة (٦٢٤).

(١) أخرجه أبو داود (١٦٤٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢)، والطبراني في الكبير (٢/ ٩٥).

٨٧ ـ سفينة مولى رسول الله ﷺ

واسمه مهران، ويكنى أبا عبد الرحمن، من مولّدي الأعراب.

عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال: اشترتني أم سلمة فأعتقتني واشترطتْ عليَّ: أن أخدم النبي ﷺ ما عشت. فقلت: أنا ما أحب أن أفارق النبي ﷺ ما عشت.

وعن سعيد بن جمهان قال: سألت سفينة عن اسمه؟ فقال: سماني رسول الله ﷺ سفينة، قلت: وبِمَ سمّاك سفينة؟ قال: خرج معه أصحابه فثقل عليهم متاعهم فقال لي: «ابسط كساءك» فبسطته فحولوا فيه متاعهم، ثم حملوه عليه، فقال رسول الله ﷺ: «احمل؛ فما أنت إلا سفينة»(١).

وعن محمد بن المنكدر عن سفينة: أنه ركب سفينة في البحر فانكسرت بهم. قال: فتعلقت بشيء منها حتى خرجت إلى جزيرة، فإذا فيها الأسد فقلت: أبا الحارث أنا سفينةُ مولى رسول الله ﷺ! فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه يدلني على الطريق، فلما خرجت إلى الطريق هَمْهَمَ. فظننت: أنه يودعني. رضي الله عنه.

٨٨ ـ الحكم بن عمرو بن مجدع رضي الله عنه

صحب رسول الله ﷺ حتى قُبض، ثم تحول إلى البصرة فولاه زياد بن أبي سفيان خراسان فخرج إليها.

عن الحسن: أن زياداً بعث الحكم بن عمرو على خراسان، ففتح الله عز وجل عليهم، وأصابوا أموالاً عظيمة، فكتب إليه زياد: أما بعد؛ فإن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصفي الصفراء والبيضاء، ولا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة.

فكتب إليه: سلام عليك، أما بعد؛ فإنك كتبت تذكر كتاب أمير المؤمنين، وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد فاتقى الله عز وجل لجعل الله له منهما فرجاً ومخرجاً. والسلام عليك.

ثم قال للناس: اغدوا على فيئكم فاقتسموه.

قال ابن سعد: وأنبأنا علي بن محمد القرشي قال: فلم يزل الحكم على خراسان حتى مات بها سنة خمسين رحمه الله.

---

٨٧ ـ سفينة ـ مولى رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٣٣٤٦)، أسد الغابة (٢١٣١)، الاستيعاب (١١٤٠)، تاريخ الإسلام (٢/ ٤١١)، البداية والنهاية (٨/ ٣٢٣)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٢٥)، الحلية (١/ ٣٦٨)، ثقات ابن حبان (٤/ ٣٤٨).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢١).

٨٨ ـ الحكم بن عمرو بن مُجَدَّع ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (١٧٨٩)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٤)، تهذيب التهذيب (٢/ ٤٣٦)، تهذيب الكمال (١/ ٣١٣)، ثقات ابن حبان (٣/ ٨٤).

٨٩ ـ جندع بن ضمرة الضمري رضي الله عنه

عن يزيد بن عبد الله بن قسيط: أن جندع بن ضمرة كان بمكة فمرض، فقال: لأهله أخرجوني من مكة، فإنه قد قتلني غمها! فقالوا: إلى أين؟ فأوما بيده إلى هاهنا نحو المدينة يريد الهجرة، فخرجوا فلما بلغوا أضاة بني غفار مات. فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] رحمه الله.

٩٠ ـ واثلة بن الأسقع رضي الله عنه

يكنى أبا قرصافة، عن محمد بن سعد قال: أتى واثلة رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تصفح أصحابه فلما دنا من واثلة قال: «من أنت؟» فأخبره فقال: «ما جاء بك؟» قال: جئت أبايع. فقال رسول الله ﷺ: «فيما أحببت وكرهت؟» قال: نعم. قال: «فيما أطقت؟» قال: نعم. فأسلم وبايعه.

وكان رسول الله ﷺ يتجهز يومئذ إلى تبوك فخرج واثلة إلى أهله فلقي أباه الأسقع فلما رأى حاله قال: قد فعلتها؟ قال: نعم. قال أبوه: والله لا أكلمك أبداً.

فأتى عمه فسلم عليه، فقال: قد فعلتها؟ قال: نعم قال: فلامه أيسر من ملامة أبيه، وقال: لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمر.

فسمعت أخت واثلة كلامه فخرجت إليه وسلمت عليه بتحية الإسلام. فقال واثلة: أنى لك هذا يا أخية؟ قالت: سمعت كلامك وكلام عمك فأسلمت. فقال: جهزي أخاك جهاز غازٍ، فإن رسول الله على جناح سفر. فجهزته فلحق برسول الله ﷺ قد تحمّل إلى تبوك وبقي غُبَّرات[1] من الناس وهم على الشخوص، فجعل ينادي بسوق بني فينقاع: من يحملني وله سهمي؟ قال: وكنت رجلاً لا راحلة بي. قال: فدعاني كعب بن عجرة فقال: أنا أحملك عقبة بالليل وعقبة بالنهار ويدك أسوة يدي وسهمك لي. قال واثلة: نعم. قال واثلة: جزاه الله خيراً، لقد كان يحملني ويزيدني وآكل معه ويرفع لي حتى إذا بعث رسول الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل خرج كعب في جيش خالد وخرجت معه فأصبنا فيئاً كثيراً، فقسمه خالد بيننا، فأصابني ست قلائص، فأقبلت أسوقها حتى جئت بها خيمة كعب بن عجرة فقلت: اخرج رحمك الله، فانظر إلى قلائصك فاقبضها. فخرج وهو يبتسم ويقول: بارك الله لك فيها؛ ما حملتك وأنا أريد أن آخذ منك شيئاً؟ أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أحمد بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: أخبرنا محمد بن علي قال:

---

٨٩ ـ جندع بن ضمرة الضمري ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (١٢٣٦)، أسد الغابة (٨١٣)، الإكمال (٣/ ١٢٥).

٩٠ ـ واثلة بن الأَسْقع ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٩١٠٧)، أسد الغابة (٥٤٢٩)، الاستيعاب (٢٧٧٥)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣١٠)، شذرات الذهب (١/ ٩٥)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٠١)، العبر (١/ ٩٩)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ١٤٢).

(١) غُبَّرات: جماعات.

أخبرنا عبد الله بن سلام قال: أخبرنا هشام بن عمارة قال: أخبرنا صدقة بن خالد قال: أخبرنا زيد بن واقد عن بشر بن عبد الله عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: كنا أصحاب الصُفّة في مسجد رسول الله ﷺ وما فينا رجل له ثوب، ولقد اتخذ العرق في جلودنا طرقاً من الغبار، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ليبشر فقراء المهاجرين»(١) ثلاثاً.

كان واثلة من أهل الصفة، فلما قبض رسول الله خرج إلى الشام، فمات بها سنة خمس وثمانين، وهو ابن ثمان وتسعين سنة.

٩١ ـ معاوية بن معاوية الليثي العلائي رضي الله عنه

أبو محمد الثقفي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال له: «يا جبريل ما لي أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت به فيما مضى؟» قال: ذاك أن معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم، فبعث الله عز وجل إليه سبعين ألف مَلَك يصلون عليه، قال: «وفيم ذاك؟» قال كان يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] بالليل والنهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده. قال يزيد: أو قائماً أو قاعداً فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض حتى تصلي عليه؟ قال: «نعم» قال: فصلى عليه، ثم رجع رحمة الله عليه. والسلام(٢).

٩٢ ـ ذو البِجادين رضي الله عنه

واسمه عبد الله بن عبد نهم بن عفيف رضي الله عنه.

عن محمد بن سعد قال: كان ذو البجادين يتيماً لا مال له فمات أبوه ولم يورثه، وكفله عمه حتى أيسر، فلما قدم النبي المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه، حتى مضت السنون والمشاهد، فقال لعمه: يا عم إني قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمداً، فائذن لي في الإسلام؟ فقال: والله لئن اتبعت محمداً لا أترك بيدك شيئاً كنت أعطيتكه إلا نزعته منك حتى ثوبيك! قال: فأنا والله متبع محمداً وتارك عبادة الحجر، وهذا ما بيدي فخذه. فأخذ ما أعطاه حتى جرده من إزاره، فأتى أمه فقطعت بِجاداً(٣) لها باثنين، فائتزر بواحد وارتدى بالآخر، ثم أقبل إلى المدينة، وكان

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٤٢٧) و(٢٢/ ٧٠).

٩١ ـ معاوية بن معاوية الليثي ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (٤٩٨٢)، الإصابة (٨٠٩٩)، الاستيعاب (٢٤٦٧)، البداية والنهاية (٥/ ٤٠)، المنتظم لابن الجوزي (٣/ ٣٧٨).

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٤٠)، وشكك في صحته، وانظره في الإصابة (٨٠٩٩)، وهو في السنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٥٠).

٩٢ ـ ذو البجادين ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٢٤٥١)، و(٤٨٢٢)، أسد الغابة (١٥٣٧)، الاستيعاب (١١٧٠)، ثقات ابن حبان (٣/ ٢٣٢).

(٣) البَجِد: كساءٌ مُخَطّط.

بورقان، فاضطجع في المسجد في السَّحَر، وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح، فنظر إليه فقال: «من أنت؟» فانتسب له، وكان اسمه: عبد العزى. فقال: «أنت عبد الله ذو البجادين». ثم قال: «انزل مني قريباً» فكان يكون في أضيافه حتى قرأ قرآنا كثيراً، فلما خرج النبي ﷺ إلى تبوك قال: «ادع لي بالشهادة»، فربط النبي ﷺ على عضده لِحَى[١] سَمُرة وقال: «اللّهم إني أحرّم دمه على الكفار». فقال: ليس هذا أردت! قال النبي ﷺ: «إنك إذا خرجت غازياً فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد، أو وقصتك دابتك فأنت شهيد» فأقاموا بتبوك أياماً، ثم توفي.

قال بلال بن الحارث: حضرت رسولَ الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلةٌ من نار عند القبر واقفاً بها، وإذا رسول الله ﷺ وهو يقول: «أدنيا إليّ أخاكما» فلما هيّأه لشقه في اللحد قال: «اللّهم إني قد أمسيت عنه راضياً فارضَ عنه». فقال ابن مسعود: ليتني كنت صاحب اللحد[٢].

وعن أبي وائل عن عبد الله قال: والله لكأني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبر عبد الله ذي البجادين؛ وأبو بكر وعمر يقول: «أدنيا إليّ أخاكما» وأخذه من قبل القبلة حتى أسكنه في لحده، ثم خرج النبي ﷺ ووليّاهما العمل، فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعاً يديه يقول: «اللّهم إني أمسيت عنه راضياً فارضَ عنه» وكان ذلك ليلاً، فوالله لوددت أني مكانه، ولقد أسلمت قبله بخمس عشر سنة.

٩٣ ـ عبد الله بن مغفل رضي الله عنه

أبو سعيد رضي الله عنه وكان من البكّائين، ومن الذين بعثهم عمر إلى البصرة يفقهونهم.

عن خزاعي بن يزيد قال: أُرِيَ عبد الله بن مُغَفّل أن الساعة قد قامت والناس يعرضون على مكانٍ. قال: قد علمت أنه من جاز ذلك المكان نجا. فذهبت أدنو منه فقال: وراءك؛ أتريد أن تنجو وعندك ما عندك؟ قال: كلا والله. قال: فاستيقظت من الفزع. فأيقظ أهله وعنده تلك الساعة عيبة[٣] مملوءة دنانير، فقال: يا فلانة أريني تلك العيبة قبّحها الله وقبّح ما فيها. فما أصبح حتى قسمها فلم يدع ديناراً، فلما كان المرض الذي مات فيه أوصى أهله فقال: لا يليني إلا أصحابي، ولا يصلي عليّ ابنُ زياد.

فلما مات أرسلوا إلى أبي برزة وعائذ بن عمرو ـ نفرٍ من أصحاب النبي ﷺ ـ فولوا غسله وتكفينه، فلما أخرجوه إذا بابن زياد في موكبه بالباب، فقيل له: إنه قد أوصى: ألا تصلي عليه. فسار معه حتى إذا بلغ حدّ «البيضاء» مال إلى «البيضاء» وتركه.

وتوفي عبد الله بالبصرة، رحمة الله عليه.

---

(١) سَمُرة: نوع من الشجر، لِحىً ـ وتمدّ لِحاء ـ قشر الشجر.

(٢) انظر معجم الزوائد (٩/ ٣٦٩).

٩٣ ـ عبد الله بن مغفل ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٤٩٨٨)، الاستيعاب (١٦٨٥)، أسد الغابة (٣٢٠٢)، تهذيب التهذيب (٦/ ٤٢)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٣)، طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٥)، ثقات ابن حبان (٣/ ٢٣٦).

(٣) قال ابن قتيبة في الغريب (٢/ ٥٩): عَيْبَةُ الثياب: كانوا يجعلون فيها حرّ متاعهم وأفضل ما يُحرِزون ويُخفون.

٩٤ ـ عمران بن حُصين بن عُبيد رضي الله عنه

يُكنى أبا نُجَيد، أسلم قديماً، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، ولم يزل في بلادِ قومه، ثم تحول إلى البصرة فنزلها، ومرض بها فسُقي بطنُه، فبقي ثلاثين سنة على سرير مثقوب.

عن محمد بن سيرين قال: ما قدم البصرة أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفضل على عمران بن حصين.

وعنه قال: سقي بطن عمران بن حصين ثلاثين سنة؛ كل ذلك يعرض عليه الكي فيأبى أن يكتوي حتى كان قبل وفاته بسنتين فاكتوى.

وعن مطرف عن عمران قال: قد اكتوينا وما أفلحنا وما أنجحن ـ يعني المكاوي ـ.

وعنه قال: أرسل إلي عمران بن حصين في مرضه فقال: إنه كان يُسَلِّم علي ـ يعني الملائكة ـ فإن عشت فاكتم عليّ، وإن مت فحدِّث به إن شئت.

وفي رواية عن قتادة: كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين حتى اكتوى فتنحّتْ.

وقال مطرف: قلت لعمران: ما يمنعني من عيادتك إلا ما أرى من حالك؟ قال: فلا تفعل فإن أحبه إلي أحبه إلى الله عز وجل.

وعن مطرف قال: قال لي عمران بن حصين: أشعرت أنه كان يُسَلِّم علي فلما اكتويتُ انقطع التسليم؟ فقلت له: أمن قِبَلِ رأسك كان يأتيك التسليم؟ أم من قبل رِجلك؟ قال: بل من قبل رأسي. فقلت: إني لأرى ألا تموت حتى يعود ذلك. فلما كان بعدُ قال لي: أشعرتَ أن التسليم عاد إليّ؟ ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى مات رحمه الله.

قال الواقدي: توفي عمران بالبصرة قبل وفاة زياد بن أبي سفيان، وكانت وفاة زياد في سنة ثلاث وخمسين.

٩٥ ـ سلمة بن الأكوع رضي الله عنه

غزا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وقال رسول الله ﷺ يوماً: «خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجّالتنا سلمة»[1].

وعن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع: أنه كان لا يسأله أحد بوجه الله تعالى إلا أعطاه، وكان يكرهها ويقول: هي الإلحاف.

وتوفي سلمة بالمدينة سنة أربع وسبعين، وهو ابن ثمانين سنة رحمه الله.

---

٩٤ ـ عمران بن الحُصَين ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٠٨)، شذرات الذهب (١/ ٦٢)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٥)، العبر (١/ ٥٧)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣٠٦)، طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٧)، مسند أحمد (٤/ ٤٢٦).

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٧)، وهو حديث طويل.

٩٦ ـ ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه

أسلم قديماً، وكان من أهل الصُّفَّة، وكان يخدم النبي ﷺ ويبيت على بابه لحوائجه.

عن نعيم بن ربيعة بن كعب قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع حتى يصلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة، فأجلس على بابه إذا دخل بيته أقول لعلها أن تحدث لرسول الله ﷺ حاجة؟ فما أزال أسمعه يقول: «سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله وبحمده» حتى أملّ فأرجع أو تغلبني عيني فأرقد، فقال لي يوماً لما رأى من حفَّتي له وخدمتي إياه: «يا ربيعة سلني أعطك». قال: فقلت أنظر: في أمري يا رسول الله، ثم أعلمك ذلك. فقال: ففكرت في نفسي فعلمت أن الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقاً سيأتيني. قال: فقلت: أسال رسول الله ﷺ لآخرتي، فإنه من الله عز وجل بالمنزل الذي هو به. فجئته فقال: «ما فعلت يا ربيعة؟» فقلت: أسألك يا رسول الله أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار. فقال: «من أمرك بهذا يا ربيعة؟» فقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ولكنك لما قلت: «سلني أعطك» وكنتَ من الله بالمنزل الذي أنت به نظرت في أمري فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقاً سيأتيني فقلت: أسال رسول الله ﷺ لآخرتي. قال: فصمتَ رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قال لي: «إني فاعل، فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود»[1].

ما زال ربيعة يلزم رسول الله ﷺ ويغزو معه، فلما مات رسول الله ﷺ خرج فنزل على بريد من المدينة، وبقي إلى أيام الحرة رحمه الله.

٩٧ ـ أبو هريرة رضي الله عنه

واختلفوا في اسمه واسم أبيه على ثمانية عشرة قولاً قد ذكرتها في «التلقيح» وأشهرها عبد شمس بن عامر، فسمي في الإسلام عبد الله، وكان له هرة صغيرة فكني بها.

وقدم المدينة في سنة سبع ورسول الله ﷺ بخيبر، فسار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله ﷺ المدينة.

عن قيس عن أبي هريرة قال: لما قدمت على النبي ﷺ قلت في الطريق شعراً:

يا ليلة في طولها وعنائها ... على أنها من دارة الكفر نجَّت

---

٩٦ ـ ربيعة بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٢٦٢٩)، أسد الغابة (١٦٦٠)، الاستيعاب (٧٦٧)، ثقات ابن حبان (٣/ ١٢٨)، الحلية (٢/ ٣١)، البداية والنهاية (٥/ ٣٣٥)، طبقات ابن سعد (٤/ ٣١٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٦٢)، الجرح والتعديل (٣/ ٢١١١).

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩)، وبمعناه عن ثوبان برقم (٤٨٨) مختصراً، ورواه أبو داود (١٣٢٠)، والنسائي (١١٣٧)، و(١٦١٧)، وابن ماجه (٣٨٧٩).

٩٧ ـ أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٨)، شذرات الذهب (١/ ٦٣)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٢)، البداية والنهاية (٨/ ١٠٣)، العبر (١/ ٦٣)، طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٢)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣٣)، الحلية (١/ ٣٧٦)، مسند أحمد (٢/ ٢٢٨)، الإصابة (١٠٦٨٠)، الاستيعاب (٣٢٥٢)، أسد الغابة (٦٣٢٦).

قال: وأبق مني غلام لي في الطريق، فلما قدمت على رسول الله ﷺ بايعته، فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة هذا غلامك» فقلت: هو حر لوجه الله تعالى فأعتقته[(١)].

وعن سليمان بن حيان قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة يقول: نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً وكنت أجيراً لبرّةَ بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رحلي، فكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدوا إذا ركبوا، فَزوَّجنيها الله عز وجل، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة إماماً.

وعن أبي كثير قال: حدثني أبو هريرة قال: ما خلق الله عز وجل مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا أحبني. قلت: وما علمت[(٢)] بذلك يا أبا هريرة؟ قال: إن أمي كانت مشركة وإني كنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى عليّ، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أُمي إلى الإسلام فكانت تأبى علي، وإني دعوتها اليوم فأسمعَتني فيك ما أكره، فادع الله عز وجل إن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم اهد أم أبي هريرة» فخرجت أعدو لأبشرها بدعاء رسول الله ﷺ فلما أتيت الباب إذا هو مجاف، وسمعت خضخضة الماء، وسمعت خشخشة رِجلٍ فقالت: أبا هريرة كما أنت. ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت: إني أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: يا رسول الله أبشر، فقد استجاب الله دعاءك، وقد هدى أم أبي هريرة. وقلت: يا رسول الله ادع الله لي أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا. فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم حبب عُبَيْدك هذا إلى عبادك المؤمنين» فما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحبني[(٣)].

وعن الأعرج قال: قال أبو هريرة: إنكم تقولون: ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بهذه الأحاديث؟ وما بال الأنصار لا يحدثون بهذه الأحاديث؟ وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق، وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أَرَضوهم والقيام عليها، وإني كنت امرأً معتكفاً، وكنت أكثر مجالسة رسول الله ﷺ؛ أحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وإن النبي ﷺ حدثنا يوماً فقال: «من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي، ثم يقبضه إليه، فإنه ليس ينسى شيئاً سمعه مني أبداً» فبسطت ثوبي - أو قال: نمرتي - ثم حدثنا، فقبضته إلي، فوالله ما نسيت شيئاً سمعته منه، وايم الله لولا آية من كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبداً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] الآية كلها. أخرجاه في الصحيحين[(٤)].

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٦) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٩).
(٢) كذا في المطبوع، ولعلها «ما يعلمُكَ؟».
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩١).
(٤) أخرجه البخاري (١١٨ و٢٣٥٠) و(٧٣٥٤ و٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٢)، وابن ماجه (٢٦٢).

وعن مجاهد: أن أبي هريرة رضي الله عنه كان يقول: والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على [الطريق] الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل؟ ما سألته إلا ليستتبعني! فلم يفعل، ثم مر عمر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل؟ ما سألته إلا ليستتبعني! فلم يفعل، فمر أبو القاسم ﷺ فعرف ما في وجهي وما في نفسي فقال: «يا أبا هريرة» فقلت: لبيك يا رسول الله. فقال: «الْحَقْ» فتبعته فدخل، فأستأذنت فأذن لي، فوجد قدحاً فيه لبن فقال: «من أين لكم هذا اللبن؟» فقالوا: أهداه لنا فلان. أو آل فلان. فقال: «أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «انطلق إلى أهل الصفة» قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام ولم يأووا إلى أهل ولا مال، إذا جاءت رسولَ الله ﷺ هديةٌ أصاب منها، وبعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم، ولم يصب منها.

قال: فأحزنني ذلك، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي، فقلت: أنا الرسول، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم، فما يبقى لي من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد! فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت، ثم قال: «أبا هر خذْ فأعطهم» فأخذت القدح فجعلت أعطيهم، فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يُروى، ثم يرد القدح حتى أتيت إلى آخرهم، ودفعتُه إلى رسول الله ﷺ فأخذ القدح فوضعه في يده وقد بقي فيه فضلة، ثم رفع رأسه إليّ وتبسم فقال: «أبا هر؟» فقلت: لبيك يا رسول الله قال: «بقيت أنا وأنت» . فقلت: صدقت يا رسول الله. قال: «فاقعد فاشرب» . قال: فقعدت فشربت، ثم قال لي: «اشرب» فشربت فما زال يقول لي: «اشرب واشرب» حتى قلت: والذي بعثك بالحق ما أجد لها في مسلكاً. قال: «ناولني القدح» فرددت إليه القدح فشربت من الفضلة ـ انفرد باخراجه البخاري(١) .

وعن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي هريرة قال: إن كنت لأتبع الرجل أسأله عن الآية من كتاب الله عز وجل لأنا أعلمُ بها منه ومن عشيرته، وما أتبعه إلا ليطعمني القبضة من التمر أو السفة من السويق أو الدقيق أسدُّ بها جوعي.

فأقبلت أمشي مع عمر بن الخطاب ذات ليلة أحدثه، حتى بلغ بابه فأسند ظهره إلى الباب فاستقبلني بوجهه، فكلما فرغت من حديث حدثته آخر حتى إذا لم أر شيئاً انطلقت، فلما كان بعد ذلك لقيني فقال: أبا هريرة أما لو أنه في البيت شيء لأطعمناك.

وعن أبي رافع: إن أبا هريرة قال: ما أحد من الناس يهدي لي هدية إلا قبلتها، فأما أن أسأل فلم أكن لأسأل.

وعن عكرمة: أن أبا هريرة كان يُسبِّح في كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، ويقول: أسبِّح بقدر ذنبي.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٥).

عن نعيم بن محرز بن أبي هريرة عن جده أبي هريرة: أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به.

وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: لقد رأيتني أُصْرَع بين منبر رسول الله ﷺ وبين حجرة عائشة، فيقول الناس: إنه لمجنون! وما بي جنون، ما بي إلا الجوع.

وعن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه قال: رأى أبو هريرة زنجية كأنها شيطان، فقال: يا أبا سليمان اشتر لي هذه الزنجية. فانطلقت فاشتريتها وهو على حمار معه ابن له، فقال لابنه: أردفها خلفي فكره ابنه، فجعل ابنه يزجيه ليخرجه من السوق. فقال: أردفها خلفي ويحك، والله لشعلة من نار أجد مسَّها خلفي أحب إلي من أن أرغب عن هذه الا أحملها، إني لو انتسبتُ وانتسبتْ لم نتجاوز إلا قليلاً حتى نجتمع. أردفها! فأردفها خلفه.

وعن أبي المتوكل: أن أبا هريرة كانت له زنجية فرفع عليها السوط يوماً فقال: لولا القصاص لأغشيتك به، ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت [حرة] لله عز وجل.

وعن أبي عثمان النهدي قال: تضيفت أبا هريرة سبعاً، فكان هو وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثاً يصلي هذا، ثم يوقظ هذا ويصلي هذا، ثم يوقظ هذا.

وعن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال: ما وجع أحب إلي من الحمّى، لأنها تعطي كل مفصل قسطه من الوجع، وإن الله تعالى يعطي كل مفصل قسطه من الأجر.

وعن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ بتمرات فدعا فيهن بالبركة وقال: «اجعلهن في مِزْوَدك، فإذا أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل يدك فخذه ولا تنثره» فجعلته في مزودي، فوجهت منه رواحل في سبيل الله تعالى، وكنت آكل منه، وأُطعم، وكان من حقوتي حتى كان يوم قتل عثمان فوقع فذهب[1].

وعن ثعلبة بن أبي مالك القرظي: أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك.

فقلت: أصلحك الله يكفي هذا. فقال: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه.

ذكر وفاة أبي هريرة رضي الله عنه

عن سالم بن بشير بن حجل: أن أبا هريرة بكى في مرضه! فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إنه ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري، وقلّة زادي! وإني أصبحت في صعود مُهبِطٍ على جنة ونار لا أدري [إلى] أيهما يؤخذ بي[2].

وعن ابن شوذب قال: لما حضرت أبا هريرة الوفاةُ بكى. فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: بُعد المفازة، وقلّة الزاد، وعقبة كؤود، المهبطُ منها إلى الجنة أو النار.

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ١١٧)، عن البيهقي، والحديث رواه أحمد (٢/ ٣٢٤) وانظر السير (٢/ ٦٣١).

(٢) انظر الجرح والتعديل (٤/ ٢٦٦)، والسير (٢/ ٦٢٥).

توفي أبو هريرة بالمدينة، ويقال: بالعقيق، سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة تسع في آخر خلافة معاوية وله ثمان وسبعون سنة رحمه الله.

٩٨ ـ العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه

واسم الحضرمي عبد الله بن عماد بن سلمى: من حضرموت، أسلم قديماً وبعثه رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، وولاه رسول الله ﷺ البحرين، ثم عزله عنها، وولاها أبان بن سعيد، ثم أعاد أبو بكر الصديق العلاء إلى البحرين، وكتب إليه عمر رضي الله عنه: أن سر إلى عتبة بن غزوان فقد ولّيتك عمله ـ يعني البصرة ـ فسار إليها فمات في الطريق سنة إحدى وعشرين، وقيل: أربع عشرة، وقيل: خمس عشرة.

عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي «دارِين» فدعا بثلاث دعوات فاستجيب له فيهن، نزلنا منزلاً فطلب الماء ليتوضأ فلم يجده، فقام فصلى ركعتين وقال: اللّهم إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللّهم اسقنا غيثاً نتوضأ منه ونشرب إذا توضأنا، لم يكن لأحد فيه نصيب غيرنا. فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت عنه السماء فتوضأنا منه وتزودنا وملأت إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر: هل استجيب له أم لا؟ فسرنا قليلاً، ثم قلت لأصحابي: نسيت إداوتي. فجئت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط، ثم سرنا حتى أتينا «دارين» والبحر بيننا وبينهم فقال: يا عليم، يا حليم، يا عليّ، يا عظيم؛ إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللّهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً. فتقحَّم البحرَ فخضنا ما يبلغ لبودنا، فخرجنا إليهم، فلما رجع أخذه رجع البطن فمات فطلبنا ماء نغسله فلم نجده، فلففناه في ثيابه ودفناه.

فسرنا غير بعيد فإذا نحن بماء كثير فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فاستخرجناه فغسلناه! فرجعنا فطلبناه فلم نجده، فقال رجل من القوم: إني سمعته يقول: يا عليّ، يا عظيم، يا حليم، أخفِ عليهم موتي ـ أو كلمة نحوها ـ ولا تطلع على عورتي أحداً. فرجعنا وتركناه.

وعن عمرو بن ثابت قال: دخلت في أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجتها الأطباء فلم يقدروا عليه حتى وصلت إلى صماخه، فأسهرت ليله، ونغّصت عيش نهاره، فأتى رجلاً من أصحاب الحسن فشكا ذلك إليه؟ فقال: ويحك إن كان شيء ينفعك الله به فدعوةُ العلاء بن الحضرمي التي دعا بها في البحر وفي المفازة.

قال: وما هي رحمك الله؟ قال: يا عليُّ، يا عظيم، يا حليم، يا عليم. فدعا بها، فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين حتى صكّت الحائط، وبرىء رحمه الله.

---

٩٨ ـ العلاء بن الحَضْرَمي ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٢)، طبقات ابن سعد (٤/ ٣٥٩)، شذرات الذهب (١/ ٣٢)، تهذيب التهذيب (١/ ١٧٨)، العبر (١/ ٢٥)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٤١)، مسند أحمد (٤/ ٣٣٩)، أسد الغابة (٣٧٤٥)، الاستيعاب (١٨٦٠)، الإصابة (٥٦٥٨).

٩٩ ـ عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس رضي الله عنه

صحب رسول الله ﷺ وولاه عمر رضي الله عنه حمص، فأما أبوه سعد فشهد بدراً، ويقال له سعد القارىء، وهو الذي يروي الكوفيون: أنه أبو زيد الذي جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ. وقتل سعد بالقادسية شهيداً.

عن أبي طلحة الخولاني قال: أتينا عمير بن سعد في داره بفلسطين، وكان يقال له: نسيج وحده.

وعن عبد الله بن هارون بن عنترة قال: حدثني أبي عن جدي عن عمير بن سعد الأنصاري قال: بعثه عمر بن الخطاب عاملاً على حمص، فمكث حولاً لا يأتيه خبره. فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير، فوالله ما أراه إلا قد خاننا: إذا جاءك كتابي هذا فأقبلْ، وأقبل [معك] بما جَبَيْتَ من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا.

قال: فأخذ عمير جرابه فوضع فيه زاده وقصعته، وعلق إداوته، وأخذ عَنَزَته، ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة. قال: فقدم وقد شحب لونه واغبرّ وجهه، وطالت شعرته، فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله. قال عمر: ما شأنك؟ قال: ما ترى من شأني؟ ألست تراني صحيح البدن، ظاهر الدم، معي الدنيا أجرّها بقرونها! قال عمر: وما معك؟ وظن عمر أنه جاءه بمال! قال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها [وأغسل فيها] رأسي وثيابي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواً إن عرض لي، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. قال عمر: فجئت تمشي؟ قال: نعم. قال: أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها! قال: ما فعلوا، وما سألتهم ذلك. فقال عمر: بئس المسلمون خرجت من عندهم! فقال عمير: اتق الله يا عمر! قد نهاك الله عن الغيبة، وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة! قال عمر: فأين بعثتك؟ وأي شيء صنعت؟ قال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: سبحان الله! فقال: عمير: أما إني لولا أخشى أن أغمك ما أخبرتك! بعثتني حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه، ولو نالك منه شيء لأتيتك به. قال: فما جئتنا بشيء؟ قال: لا. قال: جددوا لعمير عهداً. قال: إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك، والله ما سلمت بل لم أَسْلَم، لقد قلت لنصراني: أخزاك الله. فهذا ما عرضتني له يا عمر! وإن أشقى أيامي يوم خُلِّفت معك.

ثم استأذنه فأذن له فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال، فقال عمر حين انصرف عمير: ما أراه إلا قد خاننا. فبعث رجلاً يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار وقال: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف، فإن رأيت أثر شيء فأقبل، وإن رأيت حالاً شديداً فادفع إليه هذه المائة الدينار. فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يفلي قميصه إلى جنب الحائط، فقال له عمير: انزل رحمك الله. فنزل ثم ساءله فقال: من أين جئت؟ فقال: من المدينة. فقال: كيف تركت أمير المؤمنين؟ فقال: صالحاً.

---

٩٩ ـ عُمَير بن سعد ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (٤٠٧٦)، الاستيعاب (٢٠٠٦)، الإصابة (٦٠٥١)، طبقات ابن سعد (٤/ ٣٧٥)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٤٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ٨٩).

قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين. قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى، ضرب ابناً له على فاحشة فمات من ضربه. فقال عمير: اللّهم أعنْ عمرَ فإني لا أعلمه إلا شديداً حبُّه لك.

قال: فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصّونه بها ويطوون، حتى أتاهم الجهد. فقال له عمير: إنك قد أجعتنا، فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل.

قال: فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث بها أمير المؤمنين، فاستعن بها. قال: فصاح وقال: لا حاجة لي فيها. فَردَّها، فقالت له امرأته: إن احتجت إليها، والا فضعها في مواضعها؟ فقال عمير: والله ما لي شيء أجعلها فيه. فشقت المرأة أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها، ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء، ثم رجع والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئاً، فقال له عمير: أقرىء مني أمير المؤمنين السلام.

فرجع الحارث إلى عمر فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين حالاً شديداً! قال: فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدري! قال: فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تُقبل. فأقبل إلى عمر فدخل عليه، فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير؟ قال: صنعتُ ما صنعت، وما سؤالك عنها؟ قال: أنشد عليك لتخبرني ما صنعت بها؟ قال: قدمتها لنفسي. قال: رحمك الله. فأمر له بوسق من طعام وثوبين. فقال: أما الطعام فلا حاجة لي فيه، قد تركت في المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل ذلك [يكون] قد جاء الله بالرزق ـ ولم يأخذ الطعام ـ وأما الثوبان فإن أم فلان عارية. فأخذهما ورجع إلى منزله.

فلم يلبث أن هلك رحمه الله، فبلغ ذلك عمر فشق عليه وترحم عليه، وخرج يمشي ومعه المشّاؤون إلى بقيع الغرقد، فقال لأصحابه: ليتمنَّ كل رجل منكم أمنية؟ فقال رجل: يا أمير المؤمنين وددت أن عندي مالاً فأعتق لوجه الله كذا وكذا، وقال آخر: وددت أن عندي مالاً فأنفق في سبيل الله. وقال آخر: وددت أن لي قوة فأميح بدلو زمزم لحجاج بيت الله. فقال عمر بن الخطاب: وددت أن لي رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين. رحمه الله ورضي الله عنه.

١٠٠ ـ خزيمة بن ثابت بن الفاكه رضي الله عنه

ويكنى أبا عمارة رضي الله عنه، كانت معه راية بني خطمة في غزاة الفتح، وكان يقال له: «ذو الشهادتين» وشهد صفّين مع علي عليه السلام، وقتل يومئذ سنة سبع وثلاثين.

عن عمارة بن خزيمة الأنصاري: أن عمه حدثه ـ وهو من أصحاب النبي ﷺ ـ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي، فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومون بالفرس ـ لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه ـ حتى زاد بعضهم

---

١٠٠ ـ خُزَيمةُ بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٥)، شذرات الذهب (١/ ٤٥)، مسند أحمد (٥/ ٢١٣)، طبقات ابن سعد (٤/ ٣٧٨)، الإصابة (٢٢٥٦)، الاستيعاب (٦٦٦)، أسد الغابة (١٤٤٥)، تهذيب التهذيب (٣/ ١٤٠)، الطبراني الكبير (٤/ ٩٤).

الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ، فنادى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته.

فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الاعرابي فقال: «أَوَ ليس قد ابتعته منك؟» قال الأعرابي: لا والله ما بعتك! فقال النبي ﷺ: «بلى قد ابتعته منك» فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك. فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقاً. حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي، وطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك؟ فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «بم تشهد؟» قال: بتصديقك يا رسول الله. فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين(1).

وقد روي في بعض طرق هذا الحديث: أن النبي ﷺ قال لخزيمة: «بم تشهد ولم تكن معنا؟» قال: يا رسول الله أنا أصدقك بخبر السماء، ألا أصدقك بما تقول؟

قال الواقدي: لم يسمّ لنا أخو خزيمة الذي روى هذا الحديث، وله أخوان يقال لأحدهما: عبد الله وللآخر وَحْوَح.

قال الخطابي: ووجه هذا الحديث: أن النبي ﷺ حكم على الأعرابي بعلمه، إذ كان النبي ﷺ صادقاً بارّاً، وجرت شهادة خزيمة في ذلك مجرى التوكيد لقوله له ﷺ والاستظهار بها على خصمه، فصارت في التقدير مع قول رسول الله ﷺ كشهادة رجلين في سائر القضايا رحمه الله.

١٠١ - زيد بن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه(2)

أبو سعيد، وقيل: أبو خارجة، قدم رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة، وأجيز في الخندق، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وأمره أبو بكر رضي الله عنه أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وأبي بن كعب يملي عليه.

عن الزهري قال: أخبرني ابن السباق: أن زيد بن ثابت الأنصاري كان ممن يكتب الوحي. قال أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحرَّ القتلُ بالقرّاء في المواطن فيذهب كثير من القرآن! وإني أرى أن يُجمع القرآن؟ قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله عز وجل لذلك صدري، ورأيت الذي رأى

(1) أخرجه أبو داود (٣٦٠٧).

(2) زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٢٨٨٧)، الاستيعاب (٨٤٥)، أسد الغابة (١٨٢٤)، طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٨)، تاريخ الإسلام (١/ ٥٣)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٦)، العبر (١/ ٥٣)، تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٤٦)، الطبراني في الكبير (٥/ ١١١)، ثقات ابن حبان (٣/ ١٣٥)، ابن هشام في السيرة (٢/ ١٨٠)، شذرات الذهب (١/ ٥٤)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٩).

عمر. قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّعِ القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قال: قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير. فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.

فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ التوبة: ١٢٨] إلى آخرها، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله عز وجل، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر. انفرد بإخراجه البخاري[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عز وجل عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت»[٢].

وعن ابن عباس: أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب. فقال: تنحَّ يا ابن عم رسول الله ﷺ؟ فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا.

وعن موسى بن علي قال: سمعت أبي قال: إن كان الرجل ليأتي زيد بن ثابت فيسأله عن الشيء؟ فيقول: الله أنزل هذا؟ فإن قال: الله أنزل هذا. أفتاه، وإن لم يحلف تركه.

وعن محمد بن سيرين قال: خرج زيد بن ثابت يريد الجمعة، فاستقبله الناس راجعين فدخل داراً فقال: إنه من لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله.

وعن ثابت بن عبيد قال: كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته، وأزْمَتِه إذا خرج إلى الرجال.

وعنه قال: ما رأيت أحداً كان أفكه في بيته، ولا أحلم في مجلسه، إذا جلس مع القوم من زيد ابن ثابت.

ذكر وفاة زيد رضي الله عنه

قال الواقدي: مات زيد بن ثابت بالمدينة سنة خمس وأربعين وهو ابن ست وخمسين سنة. وقال غير الواقدي: مات سنة إحدى أو اثنتين وخمسين، وقال آخر: مات سنة خمس وخمسين.

وعن عمار بن أبي عمار قال: لما مات زيد بن ثابت جلسنا إلى ابن عباس في ظل قصر، فقال: هكذا ذهاب العلم، لقد ذهب اليوم علم كثير.

وعن يحيى بن سعيد قال: لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة: مات حبر هذه الأمة، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٨٤).

١٠٢ ـ أبو جهم عبد الله بن الحارث بن الصمة رضي الله عنه

الأنصاري رضي الله عنه، عن ابن غزية قال: كان أبو جهم بن الحارث بن الصمة الأنصاري لا يجالس الأنصار، فإذا قيل له؟ قال: الناس شر من الوحدة.

وكان يقول: لا أؤمُّ أحداً ما عشت، وكان ـ فيما زعموا ـ من أعبد الناس وأشدهم اجتهاداً، وكان لا يفارق المسجد.

١٠٣ ـ شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر رضي الله عنه

يكنى أبا يعلى، وكانت له عبادة واجتهاد. عن حسان بن عطية قال: كان شداد بن أوس في سفر فنزل منزلاً فقال لغلامه: ائتنا بالسفرة نعبث بها. فأنكرتُ عليه! فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه! فلا تحفظوها عليّ، واحفظوا عني ما أقول لكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللّهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، وأسألك لساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب»[(١)].

وعن ثابت البناني قال: قال شداد بن أوس يوماً لرجل من أصحابه: هات السفرة نتعلل بها. قال فقال رجل من أصحابه: ما سمعت منك مثل هذه الكلمة منذ صحبتك. فقال: ما أفلتت مني كلمة منذ فارقت رسول الله ﷺ إلا مخطومة أو [مزمومة][(٢)] غير هذه وايم الله لا تنفلت.

وعن أسد بن وداعة عن شداد بن أوس: أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم فيقول: اللّهم إن النار أذهبت مني النوم. فيقوم فيصلي حتى يصبح.

وعنه: قال كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلى! فيقول: اللّهم إن النار قد أسهرتني. ثم يقوم إلى الصلاة.

وعن زياد بن ماهك قال: كان شداد بن أوس يقول: إنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه، ولن تروا من الشر إلا أسبابه، الخير كله بحذافيره في الجنة، والشر بحذافيره في النار، وإن الدنيا عَرَض حاضر يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، ولكل بنونٌ، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا.

---

١٠٢ ـ أبو جَهْم: عبد الله بن الحارث ـ رضي الله عنه ـ: الاستيعاب (٢٩٤١)، أسد الغابة (٥٧٨٢)، الإصابة (٩٧٠٤)، تهذيب الكمال (١٥٩٤٠)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩١)، مسند أحمد (٤/ ١٢٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠١)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣١٥)، ومنهم من ذكره باسم: «أبو الجهم» ومنهم باسم «أبو الجُهَيم».

١٠٣ ـ شدّاد بن أَوْس ـ رضي الله عنه ـ: الاستيعاب (١١٦٣)، الإصابة (٣٨٦٦)، أسد الغابة (٢٣٩٣)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠١)، الحلية (١/ ٢٦٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩١)، العبر (١/ ٦٢)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣١٥)، شذرات الذهب (١/ ٦٤).

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٠٧).

(٢) في المطبوع «مزعومة».

وقال أبو الدرداء: إن من الناس من يؤتى علماً ولا يؤتى حلماً، وإن أبا يعلى قد أوتي علماً وحلماً.

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول: إن لكل أمة فقيهاً، وإن فقيه هذه الأمة شداد بن أوس.

وعن محمود بن الربيع قال: قال شداد بن أوس لما حضرته الوفاة: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة الرئاء والشهوة الخفية.

قال ابن سعد: نزل شداد بن أوس فلسطين، ومات بها سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة رضي الله عنه.

١٠٤ ـ أنس بن مالك بن النضر بن ضَمْضَم رضي الله عنه

أمه أم سُلَيم بنت مِلْحان، ذهبت به أمه إلى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، فكان يخدمه، وكان له يومئذ تسع سنين. ويقال: ثمان، ويقال: عشر.

عن حميد عن أنس قال: أخذت أم سليم بيدي مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتت بي رسول الله ﷺ فقالت: هذا ابني وهو غلام كاتب.

قال: فخدمته تسع سنين، فما قال لشيء صنعته «أسأت أو بئس ما صنعت».

وعن سيار بن ربيعة قال سمعت أنس بن مالك يقول: ذهبت بي أمي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله خويدمك، ادع الله له. فقال: «اللّهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره، واغفر ذنبه»[1].

قال أنس: فلقد دفنت من صلبي مائة غير اثنين، أو قال: مائة واثنين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأنا أرجو الرابعة.

وعن ثمانة بن عبد الله بن أنس قال: كان أنس يصلي فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دماً.

وكان كَرْمُ أنس يحمل في كل سنة مرتين.

وعن ثابت: أن أبا هريرة قال: ما رأيت أحداً أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من ابن أم سليم ـ يعني: أنس بن مالك ـ.

وعن معتمر بن سليمان قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ما بقي أحد صلى القبلتين كليهما غيري.

وعن ثابت البناني قال: شكا قيّم لأنس بن مالك في أرضه العطش؟ فصلى أنس فدعا، فثارت

---

١٠٤ ـ أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٥)، طبقات ابن سعد (١٧/٧)، المستدرك للحاكم (٣/ ٥٧٣)، تهذيب ابن عساكر (٣/ ١٤٢)، شذرات الذهب (١/ ١٠٠)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٧٦)، ابن كثير في تاريخه (٩/ ٨٨)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ١٢٧)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٣٩)، الإصابة (٢٧٧)، الاستيعاب (٨٤)، أسد الغابة (٢٥٨)، ثقات ابن حبان (٣/ ٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٤).

سحابة حتى غشيت أرضه، ثم ملأت صهريجه، فأرسل غلامه فقال: انظر أين بلغت هذه؟ فنظر فإذا هي لم تعدُ أرضه.

وعن أبي غالب قال: لم أر أحداً كان أضنَّ بكلامه من أنس بن مالك.

وعن ثابت قال: كان أنس إذا أشفى على ختم القرآن من الليل بقّى منه سورة حتى يختمه عند عياله.

وعنه قال: كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم.

وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال: كان لأنس ثوبان على المشجب كل يوم، فإذا صلى المغرب لبسهما، فلم نقدر عليه ما بين المغرب والعشاء قائماً ـ يصلي ـ.

وعن يزيد بن خصيفة قال: تنخم أنس بن مالك في المسجد، ونسي أن يدفنها، ثم خرج حتى جاء إلى أهله، فذكرها فجاء بشعلة من نار فطلبها حتى وجدها، ثم حفر لها فأعمق فدفنها.

قال أهل السير: مات أنس بالبصرة سنة اثنتين وتسعين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقيل: إحدى وتسعين وهو ابن تسع وتسعين.

عن حميد: أن أنساً عُمِّر مائة سنة إلا سنة، ومات سنة إحدى وتسعين.

قلت: وقد قيل: إنه مات ابن مائة وثلاث سنين، وقيل: تسع سنين، وغسله محمد بن سيرين، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة. رضي الله عنهم أجمعين.

١٠٥ ـ أبو سعيد الخدري رضي الله عنه

واسمه سعد بن مالك بن سنان، استُصغِر يوم أحد فرُدَّ، فخرج فيمن يتلقى رسول الله ﷺ حين رجع من أحد، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «سعد بن مالك؟» قال: قلت: نعم بأبي وأمي أنت. قال: فدنوت منه فقبّلت ركبتيه. فقال: «آجرك الله في أبيك» وكان قد قتل يومئذ شهيداً، ثم شهد أبو سعيد الخندق وما بعدها.

عن أبي نضرة عن أبي سعيد: أن رجلاً من الأنصار كانت له حاجة؟ فقال له أهله: ائت النبي ﷺ فاسأله. فأتاه وهو يخطب ويقول: «من استعفَّ أعفَّه الله، ومن استغنى أغناه الله، ومن سألنا فوجدنا له أعطيناه»(١). فذهب ولم يسأل.

قلت: إنما أشار بهذا إلى نفسه فهو الأنصاري الذي جرت له هذه القصة، وقد بين ذلك في حديث آخر، وقد قال فيه أبو سعيد: أصبحت وليس عندنا طعام وقد ربطت حجراً من الجوع، فقالت

---

١٠٥ ـ أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (١٠٠١٣ و٣٢٠٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ٥٥٢)، شذرات الذهب (١/ ٨١)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٧٩)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٣)، مسند أحمد (٣/ ٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٤٧)، ثقات ابن حبان (٣/ ١٥٠)، الحلية (١/ ٣٦٩)، المعجم الكبير (٦/ ٤٠)، تهذيب ابن عساكر (٦/ ١١٠)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٣٧)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٨)، الاستيعاب (٣٠٢٧)، أسد الغابة (٥٩٦١).

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٣ و٤٤) و(٤/ ١٣٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٩٥).

لي امرأتي: ائت النبي ﷺ فاسأله، فقد أتاه فلان فسأله فأعطاه، وأتاه فلان فسأله فأعطاه، وأتاه فلان فسأله فأعطاه؟ فقلت: لا؛ حتى لا أجد شيئاً. فطلبت فلم نجد شيئاً، فأتيت النبي ﷺ وهو يخطب، فأدركت من قوله: «من يستغنِ يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله» قال: فما سألت أحداً بعده، وما زال الله يرزقنا حتى ما أعلم أهلَ بيت من الأنصار أكثر أموالاً منا. رضي الله عنه[1].

١٠٦ - قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه

وكان من رسول الله ﷺ بمنزلة الشرط من الأمير.

عن داود بن قيس ومالك بن أنس وإبراهيم بن محمد الأنصاري وخارجة بن الحارث وبعضهم قد زاد على صاحبه في الحديث. قالوا: بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في سرية فيها المهاجرون والأنصار وهم ثلاث مائة رجل، وكان فيهم قيس بن سعد بن عبادة فأصابهم جوع شديد، فقال قيس بن سعد: من يشتري مني تمراً بِجُزُرٍ يوفيني الجزر هاهنا، وأوفيه التمر بالمدينة؟ فجعل عمر يقول: واعجباً لهذا الغلام! لا مال له؛ يُدينُ في مال غيره؟ فوجد رجلاً من جهينة يعطيه ما سأل، وقال: والله ما أعرفك ومن أنت؟ قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة. فقال الجهني: ما أعْرَفني بنسبك.

فابتاع منه خمس جزائر كل جزور بوسقين من تمر، فقال الجهني: أشهِدْ لي، فقال قيس: أشْهِد من تحب؟ فكان فيمن استشهد عمر بن الخطاب فقال: لا أشهدُ على هذا بدين ولا مال له، إنما المال لأبيه؟ فقال الجهني: والله ما كان سعد ليخني بابنه في سفة في تمر، وأرى وجهاً حسناً وفعالاً شريفاً.

وأخذ قيس الجزر فنحرها في مواطن ثلاثة، كل يوم بعير، فلما كان الرابع نهاه أميره، وقال: تريد أن تخرب ذمتك ولا مال لك؟ قال قيس: يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت وهو يقضي ديون الناس ويحمل الكَلَّ، ويطعم في المجاعة لا يقضي عني سَفَّة من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله عز وجل؟.

فبلغ سعداً ما أصاب القوم من المجاعة فقال: إن يكن قيس كما أعرف فسوف ينحر لهم.

فلما قدم قيس لقيه سعد فقال: ما صنعت في مجاعة القوم حيث أصابتهم؟ قال: نحرت لهم قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: ثم نحرت. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نُهِيتُ! قال: ومن نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري. قال: ولِمَ؟ قال: زعم أنه لا مال لي، إنما المال لك، فقلت: أبي يقضي عن الأباعد ويحمل الكَلّ، ويطعم في المجاعة، أفلا يصنع هذا لي؟ قال: فلك أربع حوائط.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٩)، ولفظه: عن أبي سعيد: أن أمه سرّحته إلى رسول الله ﷺ يسأله، فأتاه فقعد، فاستقبله النبي ﷺ فقال: «من استغنى أغناه الله، ومن استعفَّ أعفّه الله، ومن استكف كفاه الله، ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف» قال: فقلت: ناقتي «الياقوتة» هي خير من أوقية، فرجعتُ ولم أسأله ا.هـ. وهو ما سيذكره الحافظ ابن الجوزي فيما يأتي بعد هذا الكلام.

١٠٦ - قيس بن سعد بن عبادة - رضي الله عنه -: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢)، طبقات ابن سعد (٦/ ٥٢)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٩٥)، تاريخ ابن كثير (٨/ ٩٩)، تاريخ بغداد (١/ ١٧٧)، الكامل لابن الأثير (٣/ ٢٦٨)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٦١)، الإصابة (٧١٩٢)، الاستيعاب (٢١٥٨)، أسد الغابة (٤٣٥٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣١١).

فكتب له بذلك كتاباً، وأتي بالكتاب إلى أبي عبيدة فشهد فيه، أدنى حائط منها يجد خمسين وسقاً، وقدم البدوي مع قيس فأوفاه أوسقته، وحمله وكساه، فقال الأعرابي لسعد: يا أبا ثابت والله ما مثل ابنك ضيعت ولا تركت بغير مال، فابنك سيد من سادات قومه، نهاني الأمير أن أبيعه وقال: لا مال له. فلما انتسب إليك عرفته، فتقدمت إليه لما أعرف أنك تسمو إلى معالي الأخلاق وجسيمها.

وبلغ النبي ﷺ فِعْلَ قيس فقال: «إنه في بيت جود»[1].

وتوفي قيس بالمدينة في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه.

١٠٧ ـ عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه

يكنى أبا يوسف، وكان اسمه الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وهو حليف القواقلة من بني عوف بن الخزرج.

عن زرارة بن أبي أوفى عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن أتى، فلما رأيت وجهه عرفت أنه غير وجه كذاب، فسمعته يقول أيها الناس: «أفشوا السلام وصِلُوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[2].

عن أنس: أن عبد الله بن سلام: أتىٰ رسول الله ﷺ مقدمه المدينة فقال: يا رسول الله إني سائلك عن ثلاث خصال لا يعلمها إلا نبي؟ قال: «سل» قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول ما يأكل منه أهل الجنة؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه؟ قال رسول الله ﷺ: «أخبرني بهن جبريل آنفاً» قال [أنس]: قال عبد الله بن سلام! جبريل! ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: «أما أول أشراط الساعة فنارٌ تخرج من المشرق تحشر الناس إلى المغرب، وأما أول ما يأكل منه أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما شبه الولد أباه وأمه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها».

قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وقال: يا رسول الله إن اليهود قوم بُهتٌ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي يبهتوني عندك، فأرسل إليهم، فسلهم عني: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قال: فأرسل إليهم فقال: «أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟» قالوا: خيرنا، وابن خيرنا، وعالمنا، وابن عالمنا، وأفقهنا، وابن أفقهنا. قال: «أرأيتم إن أسلم تسلمون؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك! قال: فخرج ابن سلام فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا! فقال ابن سلام: هذا الذي كنت أتخوف منهم. انفرد بإخراجه البخاري[3].

---

(١) انظر السير للذهبي (٣/ ٦).

١٠٧ ـ عبد الله بن سَلَامَ ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٤٩)، العبر (١/ ٥١)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣٠)، مسند أحمد (٥/ ٤٥٠)، طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٢)، الإصابة (٤٧٤٣)، الاستيعاب (١٥٧٩)، أسد الغابة (٢٩٨٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٥١) بنحوه والترمذي (٢٤٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٢٩).

أخرجاه في الصحيحين من حديث قيس بن عبادة قال: كنت جالساً في مسجد المدينة في ناس فيهم بعض أصحاب النبي ﷺ فجاء رجل في وجهه أثر خشوع، فقال بعض القوم: هذا رجل من أهل الجنة فصلى ركعتين تجوّز فيهما.

ثم خرج فاتبعته، فدخل منزله، فدخلت فأخبرته، فقال: لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لِمَ ذاك؟ رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه: رأيتني في روضة، وسط الروضة عمود من حديد؛ أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة، فقيل لي: ارقَهْ. فقلت: لا أستطيع. فجاءني منصف - يعني خادماً - فقال بثيابي من خلفي فأخذتُ بالعروة، فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال: «تلك الروضة الإسلام، وذاك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة العروة الوثقى، وأنت على الإسلام حتى تموت، والرجل عبد الله بن سلام»(١).

وعن أبي بردة بن أبي موسى قال: قدمت المدينة فأتيت عبد الله بن سلام، فإذا رجل متخشّع فجلست إليه. فقال: يا ابن أخي إنك جلست إلينا وقد حان قيامنا فتأذن؟

قال ابن سعد: وتوفي عبد الله بن سلام بالمدينة سنة ثلاث وأربعين رحمه الله.

١٠٨ - جليبيب الصحابي رضي الله عنه

عن أبي برزة الأسلمي: أن جليبيباً كان امرأ من الأنصار، وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيِّم لم يزوجها حتى يَعلَمَ النبيُّ ﷺ: هل له فيها حاجة أم لا؟.

فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار: «يا فلان زوجني ابنتك». قال: نعم ونعمة عين. قال: «إني لست لنفسي أريدها». قال: لمن؟ قال: «لجليبيب». قال: يا رسول الله حتى أستأمر أمها. فأتاها فقال: إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك، قالت: نعم ونعمة عين؛ زوِّج رسول الله ﷺ. قال: إنه ليس لنفسه يريدها؟ قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب.

قالت: حلقي، ألجليبيب؟ لا، لعمر الله، لا أزوج جليبيباً.

فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها: من خطبني إليكما؟ قالا: رسول الله ﷺ. قالت: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني.

فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال: شأنك بها. فزوَّجها جليبيباً(٢).

قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت: أتدري ما دعا لها به النبي ﷺ؟ قال: وما دعا لها به النبي عليه السلام؟ قال: «اللّهم صبَّ عليها الخير صبّاً صبّاً، ولا تجعل عيشها كدّاً كدّاً».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٣ و٧٠١٠ و٧٠١٤)، ومسلم (٢٤٨٤).

١٠٨ - جُلَيْبيب - رضي الله عنه -: الإصابة (١١٨٢)، أسد الغابة (٧٧٢)، الاستيعاب (٣٦٦)، صحيح ابن حبان (٩/ ٣٤٣)، تاريخ بغداد (٤/ ٤٠٨)، المنتظم لابن الجوزي (٣/ ٣٤١)، والمسند (٣/ ١٣٦).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٩/ ٣٤٣) وأحمد (٤/ ٤٢٥) وابن أبي عاصم في والآحاد والمثاني (٤/ ٣٢٧) وانظر تاريخ بغداد (٤/ ٤٠٨)، والمنتظم (٣/ ٣٤١).

قال ثابت: فزوجها إياه، فبينما رسول الله ﷺ في مغزى له قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نفقد فلاناً ونفقد فلاناً ونفقد فلاناً، ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نفقد فلاناً ونفقد فلاناً، ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا، قال: «لكني أفقد جليبيباً، فاطلبوه في القتلى» فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فقال رسول الله: «هذا مني وأنا منه، أَقَتَلَ سبعة، ثم قتلوه؟ هذا مني وأنا منه أقتل سبعة ثم قتلوه؟ هذا مني وأنا منه» فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه، ثم حفروا له، ما له سرير إلا ساعدي رسول الله ﷺ حتى وضعه في قبره[1].

قال ثابت: فما في الأنصار أيِّم أنفق منها.

قال ابن سعد: وسمعت من يذكر أن جليبيباً كان رجلاً في بني ثعلبة حليفاً في الأنصار والمرأة التي زوجها النبي ﷺ إياه من بني الحارث بن الخزرج. رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٢).

من الطبقة الرابعة
ممن أسلم عند الفتح وفيما بعد ذلك

١٠٩ ـ حكيم بن حزام رضي الله عنه

ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى، يكنى أبا خالد. قال: مصعب بن عثمان دخلت أم حكيم بن حزام الكعبة مع نسوة من قريش وهي حامل مُتِمٌّ بحكيم بن حزام فضربها المخاض في الكعبة، فأتيَتْ بنطع حيث أعجلها الولادة فولدت حكيم بن حزام في الكعبة على النطع، وكان حكيم من سادات قريش ووجوهها في الجاهلية وفي الإسلام.

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب بن عبد الله قال: جاء الإسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام، فباعها بعد من معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم، فقال له عبد الله بن الزبير: بعت مكرمة قريش؟ فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى، يا ابن أخي إني اشتريت بها داراً في الجنة، أشهدك أني قد جعلتها في سبيل الله.

وعن أبي بكر بن سليمان قال: حج حكيم بن حزام معه مائة بدنة قد أهداها وجلَّلَها الحِبَرَة، وكفَّها عن أعجازها، ووقف مائة وصيفٍ يوم عرفة في أعناقهم أطوقةُ الفضةِ قد نقش في رؤوسها: «عتقاء الله عز وجل عن حكيم بن حزام» وأعتقهم وأهدى ألف شاة.

وعن محمد بن سعد ـ يرفعه ـ: أن حكيم بن حزام بكى يوماً فقال له ابنه: ما يبكيك؟ قال: خصال كلها أبكاني، أما أولها فبطء إسلامي حتى سُبِقتُ في مواطن كلها صالحة، ونجوت يوم بدر وأُحُد، فقلت: لا أخرج أبداً من مكة، ولا أوضع مع قريش ما بقيت.

فأقمت بمكة ويأبى الله عز وجل أن يشرح صدري للإسلام، وذلك أني أنظر إلى بقايا من قريش لهم أسنان متمسكين بما هم عليه من أمر الجاهلية فأقتدي بهم، ويا ليت أني لم أقتدِ بهم! فما أهلكَنا إلا الاقتداء بآبائنا وكبرائنا.

فلما غزا النبيُّ ﷺ مكة، جعلت أفكّر! فخرجت أنا وأبو سفيان نستروِح الخبرَ، فلقي العباسُ أبا سفيان فذهب به إلى النبي ﷺ ورجعت، فدخلت بيتي فأغلقته علي، ودخل النبي ﷺ مكة، فآمن الناس فجئته فأسلمت وخرجت معه إلى حنين.

---

١٠٩ ـ حَكيم بن حِزَام ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤)، تهذيب ابن عساكر (٤/ ٤١٩)، شذرات الذهب (١/ ٦٠)، مسند أحمد (٤/ ٤٠١)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ١٦٦)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٧)، العبر (١/ ٦٠)، ابن كثير في تاريخه (٨/ ٦٨)، تهذيب التهذيب (٢/ ٤٤٧)، الإصابة (١٨٠٥)، الاستيعاب (٥٥٣)، أسد الغابة (١٢٣٤).

وعن عروة: أن حكيم بن حزام أعتق في الجاهلية مائة رقبة، وفي الإسلام مائة رقبة، وحمل على مائة بعير.

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: قدم حكيم بن حزام المدينة ونزلها وبنى بها داراً، ومات بها سنة أربع وخمسين، وهو ابن مائة وعشرين سنة، رحمه الله.

١١٠ ـ شيبة بن عثمان بن [أبي] طلحة رضي الله عنه

قال الواقدي عن أشياخٍ له: إن شيبة بن عثمان كان يحدث عن إسلامه فيقول: ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات، فلما كان عام الفتح ودخل النبي ﷺ عنوة قلت: أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرّة فأثأر منه، فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول: ولو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمداً ما اتبعته أبداً.

فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته، وأصلتُّ السيف فدنوت أريد ما أريد منه، ورفعت سيفي فرُفع لي شواظ من نار كالبرق حتى كاد يمحشني، فوضعت يدي على بصري خوفاً عليه، فالتفت إلي رسول الله ﷺ وناداني: «يا شيبُ، ادنُ مني» فدنوت منه، فمسح صدري وقال: «اللّهم أعذه من الشيطان» فوالله لهو كان ساعتئذٍ أحبَّ إليَّ من سمعي وبصري ونفسي، وأذهب الله عز وجل ما كان بي.

ثم قال: «ادنُ فقاتلْ» فتقدمت أمامه أضرب بسيفي، الله يعلم أني أحب أن أقيه بنفسي كل شيء، ولو لقيت تلك الساعةَ ـ أبي لو كان حياً ـ لأوقعت به السيف.

فلما تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد قربت بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها، فخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه، ورجع إلى معسكره، فدخل خباءه، فدخلت عليه، فقال: «يا شيبُ الذي أراد الله بك خيرٌ مما أردت بنفسك».

ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط، فقلت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. ثم قلت: استغفر لي يا رسول الله. فقال: «غفر الله لك»[(١)].

قال الواقدي: كان عثمان بن أبي طلحة يلي فتح البيت إلى أن توفي، فدفع ذلك إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ـ وهو ابن عمه ـ فبقيت الحجابة في ولد شيبة، وبقي شيبة حتى أدرك يزيد بن معاوية.

---

١١٠ ـ شيبة بن عثمان ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢)، طبقات ابن سعد (٥/ ٢٤٨)، تهذيب ابن عساكر (٦/ ٣٤٩)، شذرات الذهب (١/ ٦٥)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٧٦)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩٣)، تاريخ ابن كثير (٨/ ٢١٣)، أسد الغابة (٢٤٦٧)، الإصابة (٣٩٦٤)، الاستيعاب (١٢١٠)، ثقات ابن حبان (٣/ ١٨٦).

(١) انظر السير (٣/ ١٣).

١١١ ـ عِكْرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

واسمه: عمرو بن هشام. عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح ركب عكرمة بن أبي جهل البحر هارباً، فخبَّ بهم البحر، فجعلت الصراري يدعون الله ويوحدونه، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله. قال: هذا إله محمدٍ الذي يدعونا إليه فارجعوا بنا. فرجع فأسلم.

وعن مصعب بن سعد عن عكرمة بن أبي جهل قال: قال النبي ﷺ يوم جئته: «مرحباً بالراكب المهاجر، مرحباً بالراكب المهاجر». قلت: والله يا رسول الله لا أدع نفقة أنفقتها عليك إلا أنفقت مثلها في سبيل الله[(١)].

وعن عبد الله بن أبي مليكة: أن عكرمة بن أبي جهل كان إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نجَّاني يوم بدر. وكان يضع المصحف على وجهه ويقول: كتابُ ربي، كتاب ربي[(٢)].

استشهد عكرمة يوم اليرموك في خلافة أبي بكر، فوجدوا فيه بضعاً وسبعين من بين ضربة وطعنة ورمية.

١١٢ ـ سهيل بن عمرو بن عبد شمس رضي الله عنه

ابن عبدِ وُدّ بن نصر، يكنى أبا يزيد، أُسِر يوم بدر، وفدي، وهو الذي تولى المصالحة على القضية التي كتبت بالحديبية، وأقام على دينه إلى يوم الفتح، وكان ابنه عبد الله من المهاجرين الأولين، وممن شهد بدراً فبعث إليه يسأله: أن يستأمن له رسول الله ﷺ؟ فأمَّنه يوم الفتح، ثم خرج مع رسول الله ﷺ إلى حنين وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة.

عن ابن قمادين قال: لم يكن أحد من كبراء قريش الذين تأخر إسلامهم فأسلموا يوم فتح مكة أكثر صلاة ولا صوماً ولا صدقة، ولا أقبل على ما يعنيه من أمر الآخرة من سهيل بن عمرو، حتى إنْ كان لقد شحب لونه، وكان كثير البكاء، رقيقاً عند قراءة القرآن، لقد رئي يختلف إلى معاذ بن جبل حتى يقرئه القرآن وهو بمكة، حتى خرج معاذ من مكة، فقال له ضرار بن الخطاب: يا أبا يزيد تختلف إلى هذا الخزرجي يقرئك القرآن! ألا يكون اختلافك إلى رجل من قومك من قريش؟ فقال: يا ضرار هذا الذي صنع بنا ما صنع حتى سبقنا كل السبق، أيْ ـ لعمري ـ أختلف إليه، لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية، ورفع الله بالإسلام قوماً كانوا لا يذكرون في الجاهلية، فليتنا كنا مع أولئك فتقدمنا.

---

١١١ ـ عِكرِمةُ بن أبي جهل ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (٣٧٤١)، طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٩)، الاستيعاب (١٨٥٧)، الإصابة (٥٦٥٤)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٣)، شذرات الذهب (١/ ٢٧)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٣٨)، العبر (١/ ١٨)، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٥٧).

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٤٥)، بمعناه مختصراً والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٧٢) والخبر قبله ذكره في المجمع (٥/ ٥) والصَّراري: الملاَّح. ا.هـ. لسان العرب (مادة صَرَرَ).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٥٣٢)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٧١).

١١٢ ـ سُهَيل بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ١٩٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٦)، شذرات الذهب (١/ ٣٠)، طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥٣)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٣٩)، الجرح والتعديل (٤/ ٢٤٥)، كنز العمال (٤/ ٢٨٧)، أسد الغابة (٢٣٥٦)، الاستيعاب (١١١١)، الإصابة (٣٥٨٦).

وعن الحسن قال: حضر باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه سهيلُ بن عمرو والحارث وبلال وتلك الموالي الذين شهدوا بدراً، فخرج آذنُ عمر فأذن لهم وترك هؤلاء، فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ونحن على بابه لا يلتفت إلينا؟! فقال سهيل بن عمرو ـ وكان رجلاً عاقلاً ـ: أيها القومُ إني والله لقد أرى الذي في وجوهكم، إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعِيَ القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دُعوا يوم القيامة وتُرِكتم؟ أما والله لَمَا سبقوكم إليه من الفضل مما لا ترون أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي كنتم تنافسونهم عليه. قال: ونفض ثوبه وانطلق.

قال الحسن: وصدق ـ والله ـ سهيل لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه.

خرج سهيل بن عمرو إلى الشام مرابطاً فمات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة. رضي الله عنه.

١١٣ ـ أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه

واسمه صُدَي بن عجلان. عن رجاء بن حيوة عن أبي أمامة قال: أنشأ رسول الله ﷺ غزواً، فأتيته فقلت: يا رسول الله ادع لي بالشهادة؟ فقال: «اللّهم سلمهم وغنّمهم» قال: فغزونا وسلمنا وغنمنا.

ثم أتيته بعد ذلك فقلت: يا رسول مُرني بعمل آخذه عنك ينفعني الله عز وجل به؟ قال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له»(١).

قال: فكان أبو أمامة وامرأته وخادمه لا يُلقَون إلا صياماً، فإذا رأوا ناراً أو دخاناً بالنهار في منزلهم عرفوا أنه قد اعتراهم ضيف.

قال: ثم أتيته بعد ذلك فقلت: يا رسول الله إنك قد أمرتني بأمر، وأرجو أن يكون الله عز وجل قد نفعني به، فمُرني بأمر آخر ينفعني الله عز وجل به؟ قال: «اعلم أنك لا تسجد لله عز وجل سجدة إلا رفع الله عز وجل لك بها درجة، أو حطَّ بها عنك خطيئة»(٢).

وعن مولاة لأبي أمامة الباهلي قالت: كان أبو أمامة رجلاً يحب الصدقة، ويجمع لها من بين الدينار والدرهم والفلوس وما يأكل حتى البصلة ونحوها، ولا يقف به سائل إلا أعطاه ما تهيأ له، حتى يضع في يد أحدهم البصلة.

قالت: فأصبحنا ذات يوم وليس في بيته شيء من الطعام لذلك، ولا لنا وليس عنده إلا ثلاثة

---

١١٣ ـ أبو أُمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (٩٥٤٦ و٤٠٧٩)، أسد الغابة (٥٦٩٥)، الاستيعاب (٢٨٨٢)، العبر (١/ ١٠١)، ثقات ابن حبان (٣/ ١٩٥)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٠)، شذرات الذهب (١/ ٩٦)، تاريخ الإسلام (٣/ ٨٩)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤١١)، الجرح والتعديل (٤/ ٢٠٠).

(١) أخرجه النسائي (٤/ ١٦٥ برقم ٢٢٢٩ ـ ٢٢٣٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٨) وابن سعد في طبقاته (٧/ ٤١١).

دنانير، فوقف به سائل فأعطاه ديناراً، ثم وقف به سائل فأعطاه ديناراً، ثم وقف سائل فأعطاه ديناراً.

قالت: فغضبت وقلت: لم يبق لنا شيء؟ فاستلقى على فراشه، وأغلقت عليه باب البيت حتى أذّن المؤذن للظهر فجئته فأيقظته فراح إلى المسجد صائماً، فرققت عليه، فاستقرضت ما اشتريت به عشاء فهيأت سراجاً وعشاء ووضعت مائدة، ودنوت من فراشه لأمهّده فرفعت المِرفقة فإذا بذهبٍ فقلت في نفسي: ما صنع إلا ثقةً بما جاء به؟ قالت: فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار، فتركتها على حالها حتى انصرف على العَشاء.

قالت: فلما دخل ورأى ما هيأت له حمد الله تعالى وتبسم في وجهي وقال: هذا خير من غيره. فجلس فتعشى، فقلت: يغفر الله لك، جئت بما جئتَ به ثم وضعته بموضع مضيعة؟ فقال: وما ذاك؟ فقلت: ما جئت به من الدنانير؟ ورفعت المرفقة عنها، ففزع لما رأى تحتها وقال: ويحك ما هذا؟ فقلت: لا علم لي به إلا أني وجدته على ما ترى.

قالت: فكثر فزعه رحمه الله ورضي الله عنه.

١١٤ ـ لبيد بي ربيعة بن مالك الشاعر رضي الله عنه

عن الشعبي قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المغيرة بن شعبة ـ وهو عامله على الكوفة ـ: أن ادعُ مَنْ قِبَلك من الشعراء فاستنشدهم ما قالوا من الشعر في الجاهلية والإسلام، ثم اكتب بذلك إلي.

فدعاهم المغيرة فقال للبيد بن ربيعة: أنشدني ما قلتَ من الشعر في الجاهلية والإسلام؟ فقلت: لقد أبدلني الله بذلك سورة البقرة وآل عمران.

وقال للأغلب العجلي: أنشدني؟ فقال:

أرجزاً تريد أم قصيدا   لقد سألتَ هيناً موجودا

قال: فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فكتب عمر: أن أنقص الأغلب خمسمائة من عطائه، وزدها في عطاء لبيد.

فرحل إليه الأغلب وقال: أتنقصني أن أطعتك؟ فكتب عمر إلى المغيرة: أن ردّ على الأغلب الخمس مائة التي نقصته، وأقرّها زيادةً في عطاء لبيد.

قال ابن سعد: وقال عبد الملك بن عمير: مات لبيد ليلة نزل معاوية النخيلة لمصالحة الحسن ابن علي عليهما السلام.

---

١١٤ ـ لبيد بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (٤٥٢٧)، الاستيعاب (٢٢٦٠)، الإصابة (٧٥٥٧)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٣)، تاريخ الإسلام (١/ ١١٠)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧٠)، سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢ و١٧٥).

١١٥ ـ تميم بن أوس بن خارجة بن سويد الداري رضي الله عنه

وفد على رسول الله ﷺ في جماعة من الداريين منصرفَه من تبوك، فأسلم واستأذن عمر رضي الله عنه في القَصص، فكان يقصّ.

عن حماد بن زيد قال: حدثنا أيوب عن محمد: أن تميماً الداريَّ اشترى حلة بألف، فكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته. قالوا لحماد بن زيد: ألف درهم! قال: نعم.

وعن ثابت: أن تميماً الداري كانت له حلة قد ابتاعها بألف درهم، وكان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر(١).

وعن محمد بن سيرين قال: كان تميم الداري يقرأ القرآن في ركعة.

وعن أبي قلابة قال: كان تميم الداري يختم القرآن في سبع ليال.

وعن مسروق قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، صلى ليلة حتى أصبح أو [كاد] أن يصبح، يقرأ آية ويرددها، ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾(٢) [الجاثية: ٢١] الآية.

وعن محمد بن أبي بكر عن أبيه قال: زارتنا عمرة فباتت عندنا، فقمت من الليل فلم أرفع صوتي بالقراءة، فقالت: يا بن أخي ما منعك أن ترفع صوتك بالقراءة؟ فما كان يوقظنا إلا صوت معاذ القارىء وتميم الداري.

وعن يزيد بن عبد الله قال: قال رجل لتميم الداري: ما صلاتك بالليل؟ فغضب غضباً شديداً، ثم قال: والله لركعة أصليها في جوف الليل في سرٍّ أحب إلي من أن أصلي الليل كله ثم أقصَّه على الناس. فغضب الرجل فقال: الله أعلم بكم يا أصحاب رسول الله ﷺ إن سألناكم عنّفتمونا، وإن [لم] نسألكم جفيتمونا؟ فأقبل عليه تميم فقال: أرأيتك لو كنت مؤمناً قوياً وأنا مؤمن ضعيف؟ سأعطيك أنا على ما أعطاك الله، ولكن خذ من دينك لنفسك، ومن نفسك لدينك حتى تستقيم على عبادة تطيقها(٣).

وعن صفوان بن سليم قال: قام تميم الداري في المسجد بعد أن صلى العشاء فمر بهذه الآية: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح.

---

١١٥ ـ تميم بن أَوس الداريّ ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٢)، تهذيب ابن عساكر (٣/ ٣٤٧)، تهذيب التهذيب (١/ ٥١١)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٨٨)، مجمع الزوائد (٩/ ٣٩٢)، الطبراني في الكبير (٢/ ٣٧)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠٨)، الجرح والتعديل (٢/ ٤٤٠)، الإصابة (٨٣٨)، الاستيعاب (٢٣٨)، أسد الغابة (٥١٥).

(١) ذكره الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٦) والمناوي في فيض القدير (٢/ ٣٢٨).

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٤٨) والطبراني في الكبير (٢/ ٥٠) وابن المبارك في الزهد (٣١)، والفاكهي في أخبار مكة (١/ ٤٦٣). وما بين معقوفين جاء في المطبوع ومصادر التخريج عدا أخبار مكة: «كرب» وفي أخبار مكة «كاد» وهو الأصح.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١٩٩).

وعن محمد بن المنكدر: أن تميماً الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فيها حتى أصبح، فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع.

١١٦ ـ جرير بن عبد الله بن جابر رضي الله عنه

قدم المدينة في رمضان سنة عشر، وقال: لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي، ثم حللت عيبتي ولبست حلتي، فدخلت ورسول الله ﷺ يخطب، فسلمت عليه فرماني الناس بالحدق! فقلت لجليسي: هل ذكر رسول الله ﷺ من أمري شيئاً؟ قال: نعم ذكرك فأحسن الذكر؛ بينا هو يخطب إذ قال: «إنه سيدخل عليكم من هذا الفج أو من هذا الباب الآن خير ذي يُمن، ألا وإن على وجهه مسحة ملَك». فحمدت الله عز وجل على ما أبلاني(١).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إن جريراً يوسفُ هذه الأمة ـ يعني بذلك حسنه ـ.

وبعثه رسول الله ﷺ إلى هدم ذي الخُلَصة ـ وهو بيت لخثعم كان يسمى الكعبة اليمانية ـ فأضرمه بالنار.

وعن الشعبي: أن عمر رضي الله عنه كان في بيت ومعه جرير بن عبد الله فوجد عمر ريحاً فقال: عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ؟ فقال جرير: يا أمير المؤمنين أوْ يتوضأ القوم جميعاً؟ فقال عمر رضي الله عنه: رحمك الله، نِعْمَ السيد كنت في الجاهلية، ونِعْمَ السيد أنت في الإسلام.

وعن قيس قال: شهدت الأشعث وجريراً حضرا جنازة، فقدم الأشعث جريراً، ثم التفت إلى الناس فقال: إني ارتددت وإنه لم يرتد.

قال ابن سعد: وقال يزيد بن جرير عن أبيه: إن عمر قال له والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم: سِرْ بقومك، فما غلبتَ عليه فلك ربعه.

فلما جمعت الغنائم ـ غنائم جلولاء ـ ادّعى جرير أن له ربع ذلك كله. فكتب سعد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك؟ فكتب عمر: صدق جرير، قد قلت ذلك له ـ قال ـ فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جُعل فأعطوه جُعله، وإن يكن إنما قاتل لله ولدينه وجنته فهو رجل من المسلمين؛ له ما لهم وعليه ما عليهم.

فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جريراً بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين، لا حاجة لي بذلك، أنا رجل من المسلمين.

---

١١٦ ـ جرير بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (٧٣٠)، الإصابة (١١٣٩)، الاستيعاب (٣٢٦)، تهذيب التهذيب (٢/ ٧٣)، شذرات الذهب (١/ ٥٧)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٤)، العبر (١/ ٥٧)، مسند أحمد (٤/ ٣٥٧)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢)، الجرح والتعديل (٢/ ٥٠٢)، الطبراني في الكبير (٢/ ٢١١).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٤).

١١٧ ـ حممة رضي الله عنه

قال حميد بن عبد الرحمن: كان رجل يقال له حممة من أصحاب رسول الله ﷺ خرج إلى أصبهان غازياً ـ وفتحت في خلافة عمر ـ فقال: «اللّهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك، فإن كان صادقاً فاعزم له عليه بصدقه، وإن كان كاذباً فاعزم له عليه وإن كره، اللّهم لا ترد حممة في سفره هذا»[(١)]. فمات بأصبهان.

فقام أبو موسى فقال: ألا إنّا والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم وما بلغ علمنا إلا أن حممة شهيد.

وعن عبد الأعلى بن عبد الله قال: أصابت حممة شرارة، فكان لا يضحك! فقيل له: ما لك لا تضحك؟ قال: حتى أعلم في الجنة أنا أم في النار؟

قلت: وقد روينا أن حممة هذا هبط وادياً فأقام يصلي فيه أربعين يوماً، وسيأتي ذكر هذا في أخبار عامر بن عبد قيس.

وروينا: أنه بات عند هرم بن حيان، فبات يبكي إلى الصباح. وسيأتي في أخبار هرم إن شاء الله تعالى.

١١٨ ـ حدير رضي الله عنه

عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم رجل يقال له حدير. وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة من قلة الطعام، فزودهم رسول الله ﷺ ونسي أن يزود حديراً. فخرج حدير صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ويقول: نِعْمَ الزاد هو يا رب.

فهو يرددها وهو في آخر الركب.

قال: فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له: «إن ربي أرسلني إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حديراً وهو في آخر الركب؛ يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول: نعم الزاد هو يا رب، قال: فكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض، فابعث إليه بزاد».

فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حدير، وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول، وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول، ويقول له: «إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله، ويخبرك أنه كان

---

١١٧ ـ حُمَمَة بن أبي حُمَيَة ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (١٨٣٧)، الاستيعاب (٥٩٤)، أسد الغابة (١٢٦١)، تقريب التهذيب (١/ ٢٠١)، طبقات ابن سعد (١/ ٣٦)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٥)، ذكره في أسد الغابة «حممة بن أبي حمية» وفي الإصابة «حممة الدّوسي».

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٨)، والطبراني في الكبير (٤/ ٥٤).

١١٨ ـ حُدَير ـ رضي الله عنه ـ: الإصابة (١٦٤٧)، أسد الغابة (١١٠٥).

نسي أن يزودك، وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إلَ جبريل يذكرني بك، فذكره جبريل وأعلمه مكانك».

فانتهى إليه وهو يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ويقول: نعم الزاد هذا يا رب. قال: فدنا منه، ثم قال له: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله، وقد أرسلني إليك بزاد معي ويقول: «إني إنما نسيتك فأرسل إليَّ جبريل من السماء يذكرني بك» قال: فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: الحمد لله رب العالمين ذكرني ربي من فوق سبع سموات ومن فوق عرشه، ورحم جوعي وضعفي، يا رب كما لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك.

قال: فحفظ ما قال، ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه وبما قال حين أخبره، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيتَ لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض»(١).

---

(١) قال في أسد الغابة (١١٠٥١): رواه ابن منده وأبو نعيم مختصراً.

من الطبقة الخامسة

وهم الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهم أحداث الأسنان

١١٩ ـ عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

يكنى أبا العباس، ولد في الشِّعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسيرٍ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين.

وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان حَبر الأمة، ويسمّى الحَبْر لغزارة علمه، وكان عمر وعثمان رضي الله عنهما يدعوانه، فيشير عليهما مع أهل بدر، وكان يفتي في عهدهما إلى أن مات.

وكان له من الولد: العباس، وعلي السجّاد، والفضل، ومحمد، وعُبيد الله، ولُبابة، وأسماء.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة فوضعت له وَضوءاً من الليل، قال: فقالت له ميمونة: وَضَعَ هذه لك يا رسول الله عبدُ الله بنُ عباس. فقال ﷺ: «اللهم فقّهه في الدين، وعلِّمه التأويل»[(١)].

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: ضمّني رسول الله ﷺ وقال: «اللهم علّمه الحكْمة»[(٢)].

وعنه، عن ابن عباس قال: رأيت جبريل عليه السلام مرّتيْن، ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس فقال: «اللهم بارك فيه وانشر منه»[(٣)].

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر رضي الله عنه يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم. فقال بعضهم: أتأذن لهذا الفتى، ومن أبنائنا من هو مثله؟ فقال: فإنه ممّن قد علمتم.

---

١١٩ ـ عبد الله بن العبّاس ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣١)، أسد الغابة (٣٠٣٧)، الاستيعاب (١٦٠٦)، الإصابة (٤٧٩٩)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٢٧٤)، تاريخ بغداد (٩/ ٦٣)، الحلية (١/ ٣١٤) تاريخ الإسلام (٣١/ ٣٠)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٩٥)، تاريخ ابن كثير (٨/ ٢٩٥)، العبر (١/ ٧٦)، ثقات ابن حبان (٣/ ٢٠٨).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٣١ برقم ٧٠٥٤)، وأحمد (١/ ٢٣٥)، وانظر الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٤٢)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٣٠ برقم ٧٠٥٣)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٣٨)، وهو في البخاري أيضاً.

(٣) رواه الزبير بن بكّار من طريق داود عن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر كما في الإصابة (٤/ ١٢٥ برقم ٤٧٩٩).

فأذن لهم يوماً وأذن لي معهم، فسألهم عن هذه السورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النصر: ١ ـ ٢] فقالوا: أمر الله عز وجل نبيّه إذا فتح الله عليه أن يستغفر وأن يتوب إليه. فقال لي: ما تقول يا ابن عباس؟ فقلت: ليس كذلك، ولكنه أخبر نبيّه ﷺ بحضور أجله فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ أي فعند ذلك علامة موتك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

فقال لهم: كيف تلومونني عليه بعد ما ترونه؟.

وعن الأوزاعي قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس: والله إنك لأصبح فتياننا وجهاً، وأحسنهم عقلاً، وأفقهَهُم في كتاب الله عز وجل.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان عمر يسألني مع أصحاب محمد، وكان يقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتموني أن تأتوا بمثل ما جاء به هذا الغلام، الذي لم يجتمع شؤون رأسه.

قال ابن إدريس: وشؤون رأسه الشيب الذي يكون في الرأس.

وعن الحسن قال: كان ابن عباس يقوم على منبرنا هذا فيقرأ: «البقرة» و«آل عمران» فيفسرهما آية آية.

وكان عمر إذا ذكره قال: ذاكم فتى الكهول، له لسانٌ سَؤُولٌ وقلب عَقُول.

وعن المغيرة: قيل لابن عباس: أنّى أصبت هذا العلم؟ قال: بلسان سَؤُول، وقلب عقول.

وعن مسروق قال: قال عبد الله: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد. قال: وكان يقول: نعْم تُرْجُمان القرآن ابنُ عباس.

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قُبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلمّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ؟ فإنهم اليوم كثير! فقال: واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فتركت ذلك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائلٌ فأتوسد التراب فيخرج فيراني فيقول: يا بن عم رسول الله! ما جاء بك؟ ألا أرسلتَ إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك فأسالك عن الحديث.

فعاش ذلك الفتى الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقلَ مني.

وعن أبي صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً، رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب. قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه. فقال: ضع لي وضوءاً. قال: فتوضأ وجلس، وقال:

اخرج فقل لهم: من أراد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل.

قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه، وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر.

ثم قال: إخوانكم! قال: فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل. قال: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر.

ثم قال: إخوانكم! قال: فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل. قال: فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله.

ثم قال: إخوانكم! قال: فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل. قال: فخرجتُ فآذنتُهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثله.

ثم قال: إخوانكم! قال: فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل.

قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثله.

قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلّها فخرت بذلك لكان لها فخراً، فما رأيت مثل هذا لأحدٍ من الناس.

وعن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر: أن رجلاً أتاه يسأله عن السموات والأرض: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]؟ قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فَسلْه، ثم تعال فأخبرني ما قال؟

فذهب إلى ابن عباس فسأله؟ فقال ابن عباس: كانت السموات رتقاً لا تُمطر، وكانت رتقاً لا تُنبت، ففتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات. فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره. فقال: إن ابن عباس قَد أُوتي علماً، صدق، هكذا كانت.

ثم قال ابن عمر: لقد كنت أقول: ما يُعجبني جرأةُ ابنِ عباس على تفسير القرآن، فالآن علمتُ أنه قد أوتي علماً.

وعن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمّى البحر ـ من كثرة علمه ـ.

وعن شقيق قال: خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة ﴿البقرة﴾ فجعل يقرأ ويفسّر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجلٍ مثله، ولو سمعتْه فارسُ والروم لأسلمت.

وكان طاووس يقول: كان ابن عباس قد بسق على الناس في العلم كما بسق النخلةُ السّحوقُ على الوَدِيّ الصغار.

وعن ابن بريدة قال: شتم رجلٌ ابن عباس! فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وَفيَّ ثلاثُ خِصال:

إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل، فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدِل في حكمه فأفرح به ولعلّي لا أقاضى إليه أبداً، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي به من سائمة.

وعن ميمون بن مهران قال: سمعت ابن عباس يقول: ما بلغني عن أخ مكروهٌ قطّ إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فَوقي عرفتُ له قدره، وإن كان نظيري تفضّلت علَيه، وإن كان دوني لم أحفل به، هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرضُ الله واسعة.

وعن أبي حمزة، عن ابن عباس قال: لأن أقرأ ﴿البقرة﴾ في ليلة وأتفكر فيها أحبُّ إلي من أن أقرأ القرآن هذرمةً.

وعن الضحّاك، عن ابن عباس أنه قال: يا صاحب الذنب لا تأمننّ سوء عاقبته، ولَمَا يتبع الذنب أعظمُ من الذنب إذا عملته: قلّة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال؟ وأنت على الذنب أعظمُ من الذنب الذي صنعته، وضحكك ـ وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك ـ أعظم من الذنب.

وفرحك بالذنب إذا عملته أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب ـ إذا فاتك ـ أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظمُ من الذنب إذا عملته.

وعن عبد الله بن أبي مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شطر الليل يرتل، ويكثر في ذلك التسبيح.

وعن أبي رجاء قال: كان هذا الموضع من ابن عباس ـ مجرى الدموع ـ كأنه الشراك البالي.

وعن طاووس، كان يقول: ما رأيت أحداً أشدّ تعظيماً لحرمات الله عز وجل من ابن عباس، والله لو أشاء ـ إذا ذكرته ـ أن أبكي لبكيت.

وعن سماك: أن ابن عباس سقط في عينيه الماءُ فذهب بصره، فأتاه هؤلاء الذين ينقبون العيون ويسيلون الماء، فقالوا: خلِّ بيننا وبين عينيك نسيّل ماءهما، ولكنك تمكث خمسة أيام لا تصلّي ـ يعني قائماً ـ. قال: لا والله ولا ركعة واحدة، إني حُدّثت أنه: «من ترك صلاة واحدة متعمداً لقي الله ـ عز وجل ـ وهو عليه غضبان».

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: لأن أعول أهل بيتٍ من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله، أحبُّ إلي من حَجّة بعد حَجة، ولطبقٌ بدانقٍ أهديه إلى أخٍ لي في الله أحبّ إلي من دينارٍ أنفقه في سبيل الله عز وجل.

وعن الضحّاك، عن ابن عباس قال: لما ضُرب الدينار والدرهم أخذه إبليس فوضعه على عينيه وقال: أنتَ ثمرة قلبي وقُرّة عيني، بك أُطغي، وبك أُكفِر، وبك أُدخلُ الناسَ النار، رضيتُ من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدني.

وعن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: آخر شدّةٍ يلقاها المؤمن: الموتُ.

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: خذ الحكمة ممن سمعت؛ فإن الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم، فتكون كالرمية خرجت من غير رامٍ.

ذكر وفاة ابن عباس رضي الله عنه

توفي ابن عباس بالطائف سنة ثمانٍ وستين، وهو ابن احدى وسبعين سنة.

وعن ميمون بن مهران قال: شهدت جنازة عبد الله بن عباس بالطائف، فلما وضع ليصلّىٰ عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتُمس فلم يوجد، فلما سُوي عليه سمعنا صوتاً ـ نسمع صوته ولا نرى شخصه ـ: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاةُ ابن عباس صفّق بإحدى يديه على الأخرى وقال: مات أعلم الناس، وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا تُرتَق.

وعن منذر قال: لما مات ابن عباس قال ابن الحنفية: اليومَ مات ربّانيّ هذه الأمة.

١٢٠ ـ الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

يكنى أبا محمد، ولد في النصف من رمضان سنة ثلاثٍ من الهجرة، وأذّن رسول الله ﷺ في أذنه، وكان له من الولد خمسة عشر ذكراً وثمان بنات.

عن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ واضعاً الحسن بن عليّ على عاتقه وهو يقول: «اللهم إني أُحبه فأَحِبه» أخرجاه في الصحيحين(١).

وعن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليالٍ، وعليّ يمشي إلى جنبه، فمرّ بالحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي. قال: وعليّ يضحك. انفرد باخراجه البخاري(٢).

وفي «أفراده» من حديث أبي بكرة قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يُقبل على الناس مرّة وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيّد، ولعل الله عز وجل أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(٣).

وأخرجا من حديث أبي جُحيفة قال: رأيت النبي ﷺ، وكان الحسن يشبهه.

---

١٢٠ ـ الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٥)، شذرات الذهب (١/ ٥٥)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٥)، تاريخ ابن كثير (٨/ ١٤ و٣٣ و٤٥)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٦)، وفيات الأعيان (٢/ ٦٥)، تهذيب الأسماء والصفات (١/ ١/ ١٥٨)، الطبراني الكبير (٣/ ٥)، تاريخ ابن الأثير (٣/ ٤٦٠)، تاريخ بغداد (١/ ١٣٨)، الحلية (٢/ ٣٥)، تهذيب ابن عساكر (٤/ ٢٠٢)، الإصابة (١٧٢٤)، الاستيعاب (٥٧٣)، أسد الغابة (١١٦٥).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٩)، ومسلم (٢٤٢٢)، والترمذي (٣٧٨٢ ـ ٣٧٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٥٠). (٣) أخرجه البخاري (٣٧٤٦).

وعن أنس بن مالك قال: كان الحسن بن علي أشبههم وجهاً برسول الله ﷺ.

وعن سعيد بن عبد العزيز: قال: إن الحسن بن علي سمع رجلاً يسأل ربَّه عز وجل أن يرزقه عشرة آلاف؟ فانصرف الحسن فبعث بها إليه.

وعن محمد بن علي قال: قال الحسن: إني لأستحيي من ربي عز وجل أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته. فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليه.

وعن علي بن زيد قال: حجَّ الحسن خمس عشرةَ حجّةً ماشياً وإن النجائبَ لَتُقاد بين يديه.

وخرَج من ماله لله مرّتين، وقاسم الله عز وجلّ مالَه ثلاث مرار حتى إن كان لَيُعطي نعلاً ويُمسك نعلاً.

ذكر وفاة الحسن عليه السلام

عن عُمير بن إسحق قال: دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي نعوده، فقال: يا فلان سلني؟ فقال: لا، والله لا نسألك حتى يعافيك الله. قال: ثم دخل، ثم خرج إلينا فقال: سلني قبل ألا تسألني.

قال: بل يعافيك الله عز وجل. قال: لقد ألقيتُ طائفةً من كبدي، وإني قد سقيت السمّ مراراً، فلم أُسقَ مثل هذه المرّة.

ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه، قال: يا أخي من تتهم؟ قال: لِمَ؟ لتقتله؟. قال: نعم. قال: إن يكن الذي أظن فالله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً، وإلا يكن، فما أُحِبُّ أن يُقتل بي بريء. ثم قضى رضي الله عنه.

وعن رقبة بن مصقلة قال: لما نزل بالحسن بن علي الموت قال: أَخرِجوا فراشي إلى صحن الدار. فأُخرج، فقال: اللّهم إني أحتسِب نفسي عندك، فإني لم أُصَبْ بمثلها؛ غير رسول الله ﷺ.

وقد ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه: أن بنت الأشعث بن قيس كانت تحت الحسن بن علي، فزعموا أنها هي التي سمَّته.

مرض الحسن بن علي عليه السلام أربعين يوماً، وتوّفي لخمس ليالٍ خلون من ربيع الأول سنة خمسين، وقيل: سنة تسع وأربعين، ودفن بالبقيع. رضي الله عنه.

١٢١ ـ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

ولد في شعبان سنه أربعٍ من الهجرة، وله من الولد: عليّ الأكبر، وعليّ الأصغر ـ وله العقب ـ وجعفر، وفاطمة، وسكينة.

---

١٢١ ـ الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: أسد الغابة (١١٧٣)، الاستيعاب (٥٧٤)، الإصابة (١٧٢٩)، ثقات ابن حبان (٣/ ٦٧)، تهذيب التهذيب (١/ ١٦٨)، تاريخ الإسلام (٢/ ٩٤)، تاريخ بغداد (٧/ ٣٦٨)، طبقات ابن سعد (٩/ ٤٩)، شذرات الذهب (١/ ١٠ ـ ١٦)، الحلية (٢/ ٣٥)، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١) و(٣/ ٤١٩)، المسند لأحمد (١/ ٢٠١)، الطبراني في الكبير (٣/ ٩٨)، تاريخ ابن كثير (٨/ ١١)، تاريخ بغداد (٧/ ٣٦٨).

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «هما ريحانتاي من الدنيا» يعني: الحسن والحسين عليهما السلام. انفرد بإخراجه البخاري(١).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(٢).

وعن زِرّ، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «هذان ابناي، فمن أحبَّهما فقد أحبَّني»، يعني: الحسن والحسين عليهما السلام(٣).

وعن علي عليه السلام قال: الحسن أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه الناس بالنبي ﷺ، ما كان أسفل من ذلك.

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: حجّ الحسين بن علي رضي الله عنه خمساً وعشرين حجَّة ماشياً ونجائبُه تُقاد معه.

قتل الحسين صلوات الله عليه يوم الجمعة يوم عاشوراء في محرم سنة إحدى وستين، وهو ابن ستٍ وخمسين سنة وخمسة أشهر، وقيل: كان ابن ثمان وخمسين رضي الله عنهما.

١٢٢ ـ عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه

يكنى أبا بكر. أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنها، وهو أول مولودٍ وُلد للمهاجرين بالمدينة بعد الهجرة، وأذن أبو بكر الصديق في أذنه، وحنَّكه رسول الله ﷺ بتمرة.

عن هشام، عن أبيه عن أسماء: أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجت وأنا مُتِمٌّ فأتيت المدينة، فنزلنا بقُباء، فولدته بقُباء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حِجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه. فكان أوَّلَ ما دخل في جوفه ريقُ رسول الله ﷺ.

قال: ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرَّك عليه، وكان أوّل مولودٍ ولد في الإسلام.

قال الشيخ: إنما تعني أوَّل مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة.

وفي رواية أخرى: خرجت أسماء بنت أبي بكر مهاجرةً إلى النبي ﷺ وهي حُبلى بعبد الله بن الزبير، فوضعته ولم ترضعه، حتى أتت به رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٣)، وابن حبان في صحيحه (١٥١/ ٤٢٥)، والطبراني في الصغير (١/ ١٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٦٩).

١٢٢ ـ عبد الله بن الزُّبَير ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (٢٩٤٩)، الاستيعاب (١٥٥٣)، الإصابة (٤٧٠٠)، الحلية (١/ ٣٢٩)، ثقات ابن حبان (٣/ ٢١٢)، شذرات الذهب (١/ ٤٢)، تاريخ ابن كثير (٨/ ٢٣٨)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢١٣)، تاريخ الإسلام (٢/ ٤٣٥)، طبقات ابن سعد (٩/ ١١٧)، سيرة ابن هشام (١/ ٤٠)، وفيات الأعيان (٣/ ٧١)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٦)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٣).

وعن مجاهد بن جبير قال: ما كان باب من العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلفه عبد الله بن الزبير، ولقد جاء سيلٌ طَبَّقَ البيتَ فجعل ابن الزبير يطوف سباحةً.

وعن عمرو بن دينار قال: رأيت ابن الزبير يصلي في الحِجر خافضاً بصره، فجاء حجر قُدَّامَه فذهب ببعض ثوبه فما انفتل.

وعن مجاهد قال: كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عودٌ من الخشوع.

وعن يحيى بن وثّاب: أن ابن الزبير كان يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره ولا تحسبه إلا جِذمَ حائط.

وعن عمرو بن دينار قال: ما رأيت مصلِياً قطُّ أحسن صلاة من عبد الله بن الزبير.

وعن ابن المنكدر قال: لو رأيتَ ابن الزبير يصلي؛ كأنه غصن شجرة تصفقها الريح والمنجنيق، يقع ها هنا وها هنا. قال سفيان: كأنه لا يبالي.

وعن عمر بن قيس، عن أمه أنها قالت: دخلتُ على عبد الله بن الزبير بيته فاذا هو يصلي. قالت: فسقطت حيّة من السقف على ابنه هاشم فتطوّقت على بطنه وهو نائم! فصاح أهل البيت: الحيّة! ولم يزالوا بها حتى قتلوها، وعبد الله بن الزبير يصلّي، ما التفت ولا عجَّل، ثم فرغ بعد ما قُتلت، فقال: ما بالكم؟ قالت أم هاشم: أي رحمك الله! أرأيت إن كُنا هُنَّا عليك أيهون عليك ابنك؟ قال: فقال: ويحك، ما كانت التفاتة ـ لو التفتُّها ـ مبقيةً من صلاتي.

وعن محمد بن حميد قال: كان عبد الله بن الزبير يحيي الدهر أجمع، ليلةً قائماً حتى يصبح، وليلةً يحييها راكعاً حتى الصباح، وليلةً يحييها ساجداً حتى الصباح.

وعن مسلم بن يَنَاق المكي قال: ركع ابن الزبير يوماً ركعةً، فقرأتُ ﴿البقرة﴾ و﴿وَءَالَ عِمْرَانَ﴾ و﴿النِّسَآءَ﴾ و﴿المائدة﴾، وما رفع رأسه.

قال الزبير: وحدثني محمد بن الضحاك بن زامي، وعبد الملك بن عبد العزيز، ومن لا أحصي كثرةً من أصحابنا: أن عبد الله بن الزبير كان يواصل الصيام سبعاً: يصوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى، ويصوم بالمدينة فلا يفطر إلا بمكة، ويصوم بمكة ولا يفطر إلا بالمدينة[١].

قال عبد الملك: وكان إذا أفطر كان أول ما يفطر عليه لبن لقحة بسمن بقر. وزادني غيره: وصبر.

وعن أم جعفر بنت النعمان، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: كان ابن الزبير قوّام الليل، صوّام النهار، وكان يسمى حمام المسجد.

وعن ابن أبي مليكة قال: كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام، ويصبح اليوم السابع وهو أَلْيَثُنا.

وعن محمد بن عبيد الله الثقفي قال: شهدتُ خطبة ابن الزبير بالموسم، خرج علينا قبل يوم التروية بيوم وهو مُحرِم، فلبّى بأحسن تلبية سمعتُها قطّ، ثم حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنكم جئتم من آفاقٍ شتّى وفوداً إلى الله عز وجل، فحقّ على الله أن يُكرم وفده، فمن كان جاء يطلب

---

(١) أي يواصل الصوم في نهارها.

ما عند الله، فإن طالب الله لا يخيب، فصدّقوا قولكم بفعلٍ، فإنَّ مِلاكَ القول الفعلُ، والنيَّةَ النيةَ، القلوبَ القلوبَ، الله الله في أيامكم هذه، فإنها أيام تغفر فيها الذنوب.

وعن وهب بن كيسان قال: كتب إليَّ عبد الله بن الزبير بموعظة: أما بعد؛ فإنَّ لأهل التقوى علاماتٍ يُعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم، من صبرٍ على البلاء، ورضىً بالقضاء، وشكرٍ للنعماء، وذُلٍّ لحكم القرآن، وإنما الإمام كالسوق: ما نَفَق فيها حُمِل إليها، إن نَفق الحَقُّ عندهُ حُمل إليه وجاءه أهل الحَق، وإن نَفق عندَهُ الباطل جاءَهُ أهل الباطل.

وعن أبي الضحى قال: رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأسَ مال.

ذكر مقتل ابن الزبير رضي الله عنه

عن عروة قال: لما كانت الغداة التي قُتل فيها ابن الزبير دخل على أمّه أسماء بنت أبي بكر وهي يومئذ ابنة مائة سنة لم يسقط لها سن. فقالت: يا عبد الله ما بلغتَ في حربك؟ قال: بلغوا مكان كذا وكذا، وضحك. وقال: إن في الموت لراحَةً. فقالت أسماء: يا بنيِّ لعلك تتمنّاه لي؟ ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد طرفَيك: إما أن تملك فتقرَّ بذلك عيني، وإما أن تُقتَلَ فأحتسبك.

ثم ودَّعها، فقالت له: يا بنيِّ إياك أن تعطي خصلةً من دينك مخافة القتل. وخرج عنها وأنشأ يقول:

ولستُ بمبتاعِ الحياة بسُبَّةٍ ولا مُرتَقٍ من خشيةِ المَوتِ سُلَّما

وقال: والله ما لقيتَ زحفاً قط إلا في الرعيل الأول، وما ألِمتُ جرحاً قطّ إلا أن آلم الدواء.

ثم حمل عليهم فأصابته آجرّة في مَفرقه حتى فلقت رأسه، فوقف قائماً وهو يقول:

ولسنا على الأعقاب تُدمى كُلومنا ولكن على أقدُمِنا تقطر الدِما

وعن عروة قال: أتيت عبد الله بن الزبير حين دنا الحجاج منه فقلت: قد لحق فلان بالحجّاج ولحق فلان بالحجاج، فقال:

فرت سلامانُ وفرَّتِ النمِر وقد نُلاقي معهم فلا نَفِر

فقلت له: لقد أُخذت دار فلان ودار فلان. فقال:

اصبرْ عصامُ إنَّه شرٌّ باق قَدْ سَنَّ أصحابَك ضربُ الأَعناق

وقامت الحربُ بنا على ساق قال: فعرفت أنه لا يُسلم نفسه. قال: فغاظَني، فقلت: إنهم والله إن يَأخذوك يقطِّعوك إرباً إرباً! فقال:

ولست أبالي حين أُقتل مُسلماً على أيّ جَنبٍ كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يَشأ يبارك على أَوصالِ شِلوٍ ممزّعِ

قال: فعرفت أنه لا يمكِّن من نفسه.

وعن مجاهد قال: كنت مع ابن عمر، فمرَّ على ابن الزبير فوقف عليه فقال: يرحمك الله فإنك

كنتَ ـ ما علمتُ ـ صوّاماً، قوّاماً، وصولاً للرحم، وإني لأرجو ألاّ يعذِّبك الله عزَّ وجل.

وقال الواقدي، عن أشياخ له، قالوا: حُصِر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة ثنتين وسبعين وستة أشهر وسبع عشرة ليلة، ونصب الحجاج المنجنيق يرمي به أحثَّ الرمي، وألحّ عليهم بالقتال من كل وجهٍ، وحبس عنهم المِيرة، وحصرهم أشدَّ الحصار، فقامت أسماء يوماً فصلّت ودعت فقالت: اللّهم لا تخيِّب عبد الله بن الزبير، اللّهم ارحم ذلك السجود والنّحيب والظمأ في تلك الهواجر.

وقُتل يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جُمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

١٢٣ ـ المِسْوَر بن مَخْرَمة بن نوفل رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الرحمن، قُبض رسولُ الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين، وقد حفظ عنه أحاديث ورواها.

عن محمد بن سعد قال: احتكر المِسور طعاماً، فرأى سحاباً من سحاب الخريف فكرهه، فلما أصبح أتى السوق فقال: مَن جاءَني ولّيته. فبلغ ذلك عمر فأتاه بالسوق فقال: أجُنِنتَ يا مِسوَر؟ قال: لا؛ والله يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت سحاباً فكرهته، فكرهت ما ينفع الناس، فكرهت أن أربح فيه. فقال عمر: جزاك الله خيراً.

وكان المِسور لا يَشرب من الماء الذي يوضع في المسجد ويكرهه، ويرى أنه صدقة، وكان يصوم الدهر. وتوفي سنة أربع وستين وهو ابن اثنتين وستين.

١٢٤ ـ رجل من الأنصار

لم يُذكر اسمه: عن جابر بن عبد الله الأنصاري ـ فيما يذكر من اجتهاد أصحاب النبي ﷺ في العبادة ـ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فغشينا داراً من دور المشركين، فأصبنا امرأة رجل منهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً وجاء صاحبها وكان غائباً، فذُكر له مصابُها، فحلف: لا يرجع حتى يُهريق في أصحاب رسول الله ﷺ دماً. فلما كان رسول الله ﷺ في بعض الطريق، نزل في شِعب من الشعاب، وقال: مَن رجلان يكلآننا في ليلتنا هذه من عدوّنا؟ قال: فقال رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار: نحن نكلؤك يا رسول الله. قال: فخرجا إلى فم الشعب دون العسكر.

---

١٢٣ ـ المِسْوَر بن مَخْرَمة ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٠)، شذرات الذهب (١/ ٧٢)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٥١)، الجرح والتعديل (٨/ ٢٩٧)، المستدرك (٣/ ٥٢٣)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٩٤)، تاريخ الإسلام (٣/ ٧٩)، الإصابة (٨٠١١)، الاستيعاب (٢٤٣٤)، أسد الغابة (٤٩٢٦)، ثقات ابن حبان (٣/ ٣٩٤)، طبقات ابن سعد (٣/ ٣٨٣) و(٥/ ٩٣ و١٦٠ و١٧٩) و(٨/ ٢٢٣).

١٢٤ ـ رجلٌ من الأنصار: ذكره الطبري في تاريخه (٢/ ٨٧) وابن المبارك في الجهاد (١٥٠) والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٥٠) وأحمد في المسند (٣/ ٣٥٩) وابن حبان (٣/ ٣٧٦) وابن خزيمة (١/ ٢٤) في صحيحيهما.

ثم قال الأنصاري للمهاجري: أتكفيني أول الليل وأكفيك آخرَه؟ أو تكفيني آخره وأكفيك أوَّله؟ قال: فقال له المهاجري: بل اكفني أوَّله وأكفيك آخره.

فنام المهاجريّ وقام الأنصاريّ يصلي، قال: فافتتح سورة من القرآن، فبينا هو فيها يقرؤها جاء زوج المرأة، فلما رأى الرجل قائماً عرف أنه ربيئةُ القوم، فنزع له بسهم فوضعه فيه.

قال: فينتزعه فيضعه وهو قائم يقرأ في السورة التي هو فيها ولم يتحرك كراهية أن يقطعها. قال: ثم عاد له زوج المرأة بسهم آخر فوضعه فيه. قال: فانتزعه فوضعه وهو قائم يصلّي في السورة التي هو فيها ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، ثم عادَ له زوج المرأة الثالثةَ بسهم فوضعه فيه. قال: فانتزعه فوضعه، ثم ركع وسجد. ، ثم قال لصاحبه: اقعد فقد أُتيت. قال: فجلس المهاجري فلما رآهما صاحب المرأة هرب وعرف أنه قد نُذِرَ به. قال: وإذا الأنصاري يفوح دماً من رَمَيات صاحب المرأة. قال: فقال له أخوه المهاجري: يغفر الله لك ألا كنت آذنتني أوّلَ ما رماك؟ قال: كنت في سورة من القرآن قد افتتحتُها أصلّي بها فكرهت أن أقطعها، وايمُ الله لولا أني أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها.

هذا آخر المختار ذِكرُهم من علماء الصحابة ومتعبّديهم.

ذكر المصطَفَيات من طبقات الصحابيات
رضى الله عنهن

١٢٥ ـ خديجة بنت خُوَيْلد رضي الله عنها

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي رضي الله عنها.

خرج رسول الله ﷺ لها في تجارة فرأت عند قدومه غمامةً تظلّه فتزوجته.

وقد كانت عرفت قبله زوجين، وكانت يوم تزوجها بنت أربعين سنة، وجاءت النبوة فأسلمت فهي أول امرأة آمنت به، ولم ينكح امرأة غيرها حتى ماتت. وجميع أولاده منها سوى إبراهيم.

عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة عليها السلام»[١]. أخرجاه في الصحيحين.

عن أبي هريرة قال: أتى جبرئيل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنّي، وبشّرها ببيت في الجنة من قصبٍ، لاصخب فيه ولا نصب» أخرجاه في الصحيحين[٢].

وعن عائشة قالت: ما غِرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان رسول الله ﷺ يُكثر ذِكْرَها، وربما ذبح الشاة يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة! فيقول: «إنها كانت وكان لي منها ولد» - أخرجاه في الصحيحين[٣].

وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغَيرة فقلت: هل كانت الا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها؟ قالت: فغضب حتى اهتزّ مقدم شعره من الغضب، ثم قال: «لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها،

---

١٢٥ ـ خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنه ـ: طبقات ابن سعد (٨/ ٥٢١)، تاريخ الإسلام (١/ ٤١)، مجمع الزوائد (٩/ ٢١٨)، المستدرك (٣/ ١٨٢)، شذرات الذهب (١/ ١٤)، الإصابة (١١٠٩٢)، الاستيعاب (٣٣٤٨)، أسد الغابة (٦٨٧٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٥)، ومسلم (٢٤٣٠)، والترمذي (٣٨٧٧)، وبقية الحديث: قال أبو كُرَيب: وأشار وكيع إلى السماء والأرض ا.هـ. والأظهر أن معناه: أن كل واحدة منهما خيرُ نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما؟: فمسكوت عنه ا.هـ. النووي على مسلم (١٥/ ١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٤٣٥) ولفظ مسلم. «إني قد رُزِقت حُبَّها».

لقد آمنت اذ كفر الناس، وصدقتني اذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرَمني الناس، ورزقني الله عز وجل أولادها اذ حرمني أولاد النّاس». قالت: فقلت بيني وبين نفسي: لا أذكرها بسوءٍ أبداً(١).

توفيت خديجة رضي الله عنها بعد أن مضى من النبوة عشر سنين، وهي بنت خمس وستين سنة. قال حكيم بن حزام: دفنّاها بالحجون، ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها، ولم يكن يومئذ سنةُ الجنازة: الصلاةَ عليها، رضي الله عنها.

١٢٦ ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ

أمها خديجة بنت خويلد، ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين، وهي أصغر بناته.

تزوجها علي ـ عليه السلام ـ في السنة الثانية من الهجرة في رمضان، وبنى بها في ذي الحجة.

وقيل: تزوجها في رجب، وقيل في صفر على بدن من حديد، فولدت له الحسن والحسين وزنيب وأم كلثوم، فتزوج زينب عبد الله بن جعفر، فولدت له عبد الله وعوناً، وماتت عنده، وتزوج أمَّ كلثوم عمرُ بن الخطاب، فولدت له زيداً، ثم خلف عليها بعد عمر عون بن عبد الله بن جعفر فلم تلد له شيئاً، ثم مات وخلف عليها محمد بن جعفر فولدت له جارية، ثم خلف عليها بعده عبد الله بن جعفر فلم تلد له، وماتت عنده.

وزاد ابن إسحق في أولاد فاطمة من علي: محسناً. قال: ومات صغيراً. وزاد الليث بن سعد: رقيّة. قال: وماتت ولم تبلغ.

عن عامر الشعبي قال: قال علي عليه السلام: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها.

وعن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدمٍ حشوها ليف ورحيين، وسقاء، وجرّتين. فقال علي عليه السلام لفاطمة ذات يوم: والله سنوت(٢) حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبيٍ فاذهبي فاستخدميه.

فقالت: وأنا والله لقد طحنت حتى مجلتْ(٣) يداي. فأتت النبي ﷺ فقال: «ما جاء بك؟ وما حاجتك أي بنية؟» قالت: جئت لأسلم عليك. واستحيَتْ أن تسأله فرجعت. فقال: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله. فأتياه جميعاً فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١١٨).

١٢٦ ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنه ـ: أسد الغابة (٧١٧٥)، الاستيعاب (٣٤٩٩)، الإصابة (١١٥٨٧)، شذرات الذهب (١/ ٩)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٠)، تاريخ الإسلام (١/ ٣٦٠)، العبر (١/ ١٣)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٠١)، الحلية (٢/ ٣٩)، المستدرك (٣/ ١٥١)، مسند أحمد (٦/ ٢٨٢)، طبقات ابن سعد (٨/ ١٩).

(٢) رَحْيَيْن: تثنية رَحَى. سَنَوْت: أحضرتُ السَّقْيَ للأرض والبيت.

(٣) مَجَلَتْ يده: نَفِطَتْ من العمل، والمَجْلُ: أن يكون بين الجلْد واللحم ماءٌ بتكوّن قشرة رقيقة يجتمع فيها ماء من أثر العمل.

وقالت فاطمة: لقد طحنت حتى مجلتْ يداي، وقد جاءك الله عز وجل بسبي وسَعْةٍ فأخدمنا؟ فقال: «والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تُطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم! ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم». فرجعا وأتاهما النبي ﷺ ـ وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما ـ فثارا، فقال: «مكانكما»، ثم قال: «ألا أخبركما بخيرٍ مما سألتماني؟» قالا: بلى. قال: «كلمات علّمنيهن جبريل: تسبحان في دبر كلّ صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين». قال: فو الله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله.

قال: فقال له ابن الكُواء: ولا ليلة صفّين؟ قال: قاتلكم الله يا أهل العراق نعم ولا ليلة صفّين(١).

وعن أبي ليلى قال: حدثني علي عليه السلام: أن فاطمة عليها السلام: أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى من يدها في الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة. قال: فجاءنا وقد أخذْنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم فقال: «على مكانكما». فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما: فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم». أخرجاه في الصحيحين(٢).

وعن عائشة قالت: أقبلت فاطمة عليها السلام كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: «مرحباً بابنتي». ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسرّ إليها حديثاً فبكت. فقلت لها: اختصّك الله رسول الله ﷺ بحديثه، ثم تبكين؟ ثم إنه أسرّ اليها حديثاً فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن؟ فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ. فلما قبض ﷺ سألتها؟ فقالت: إنه أسرَّ لي فقال: «إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني به العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وانك أول أهل بيتي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك». فبكيت لذلك. ثم قال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو سيدة نساء المؤمنين؟» قالت: فضحكت لذلك. أخرجاه في الصحيحين(٣).

وليس لفاطمة عليها السلام في الصحيحين غير هذا الحديث.

وعن المسور بن مخرمة: أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بَضعة مني، فمن أغضبها أغضبني» أخرجه مسلم أيضاً في صحيحيه(٤).

وعنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول وهو على المنبر: «إن بني هشام بن المغيرة استاذنوني في أن يُنكحوا ابنتهم من عليّ بن أبي طالب؟ فلا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي

---

(١) أخرجه أحمد (١/١٠٦) (٢٧٢٨). (٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٢٣ و٣٦٢٤ و٣٦٢٥)، ومسلم (٢٤٥٠)، وابن ماجه (١٦٢١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٤٩).

ويَنكِح ابنتهم، فإنها بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها» أخرجاه في الصحيحين[١].

وهذه المرأة المذكورة في هذا الحديث [هي] جويرية بنت أبي جهل بن هشام بن المغيرة كان علي عليه السلام قد خطبها، فجاء بنو هشام يستأمرون رسول الله ﷺ في ذلك؟ فلم يأذن لهم أن يزوجوه.

وأسلمت جويرية وبايعت وتزوجها عتاب بن أسيد، ثم تزوجها أبان بن سعيد بن العاصي.

وعن ابن أعبد قال: قال علي عليه السلام: يا ابن أعبد ألا أخبرك عني [و] عن فاطمة؟ كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرّتْ بالرحى حتى أثرت الرحى بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمّت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القِدر حتى دنست ثيابها، وأصابها من ذلك ضرّ.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: إن كانت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ لتعجن وإن قصتها لتضرب الأرض والجفنة[٢].

توفيت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، في ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، وهي بنت ثمان وعشرين سنة ونصف، وغسلها عليٌّ عليه السلام، وصلى عليها. وقالت عمرة: صلى عليها العباس بن عبد المطلب، ودفنت ليلاً.

وعن عائشة قالت: عاشت فاطمة بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر.

عن أبي جعفر[٣] قال: ماتت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر. قيل لسفيان: عمرو عن أبي جعفر؟ قال: نعم.

عن عمرو بن دينار قال: توفيت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله ﷺ بثلاثة أشهر.

عن الزهري: ماتت بعد النبي ﷺ بثلاثة أشهر، يعني فاطمة عليها السلام.

عن عائشة قالت: كان بين النبي ﷺ وبين فاطمة شهران.

عن أبي الزبير قال: لم تمكث بعده إلا شهرين. والأول أصح.

١٢٧ ـ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها

كانت مسماة لجبير بن مطعم، فخطبها رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: دعني حتى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧١٤)، ومسلم (٢٤٤٩)، وأبو داود (٢٠٦٩ ـ ٢٠٧١)، واللفظ له.

(٢) القَصَّةُ: من معانيها: الصدر والرأس والعَظْم ومنه: قَصَّت الشاةُ أو الفرس: استبان حملُها.

(٣) في مجمع الزوائد (٩/ ٢١١): «وعن أبي جعفر ـ يعني محمد بن علي ـ ...». وانظر الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٥/ ٣٥٤) والكبير للطبراني (٢٢/ ٣٩٨).

١٢٧ ـ عائشة بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ: شذرات الذهب (١/ ٩)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩٤)، الحلية (٢/ ٤٣)، الإصابة (١١٤٦١)، الاستيعاب (٣٤٧٦)، مسند أحمد (٦/ ٢٩)، طبقات ابن سعد (٨/ ٥٨)، المستدرك (٤/ ٤)، تاريخ ابن كثير (٨/ ٩١)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٥)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٣٣)، كنز العمال (١٣/ ٦٩٣)، أسد الغابة (٧٠٩٣).

أسلها من جبير سلاً رفيقاً. فتزوجها رسول الله ﷺ بمكة في شوال قبل الهجرة بسنتين. وقيل: بثلاث وهي بنت ست سنين، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين، وبقيت عنده تسع سنين، ولم يتزوج بِكراً غيرها.

وعن عباد بن حمزة عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله ألا تكنيني؟ قال: «تكني بابنك»، يعني عبد الله بن الزبير، فكانت تكنى أم عبد الله(١).

وعن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أُريتُكِ في المنام مرتين ورجل يحملك في سَرَقة من حرير فيقول: هذه امرأتك. فأقول: إن كان هذا من عند الله عز وجل يُمْضِهِ». أخرجاه في الصحيحين(٢).

وعنها قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوُعكت فتمزَّق شعري، فوفَّى جميمَه(٣) فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرختْ بي، فأتيتها ما أدري ما تريد مني؟ فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر. فأسلمتني إليهنّ، فأصلحنَ من شأني، فلم يرعني الا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمنني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين. أخرجاه في الصحيحين(٤).

وعن عمرو بن العاص: أنه أتى النبي ﷺ فقال: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة». قال: من الرجال؟ قال: «أبوها». قال: ثم من؟ قال: «ثم عمر». أخرجاه في الصحيحيْن(٥).

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». أخرجاه في الصحيحين(٦).

عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن جبريل عليه السلام يقرأ عليك السلام». قلت: وعليه السلام ورحمة الله. أخرجاه في الصحيحين(٧).

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٢٥)، ومسلم (٢٤٣٨)، سَرَقة من حرير: قطعة حرير بيضاء ا.هـ. النووي على مسلم (١٥/ ١٩٩).

(٣) فوفَّى جُميمه: الجَمّ: الكثير، والجميم: الثبت الكثير. والمعنى: أزال وأسقط أكثره.

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٩٤) ومسلم (١٤٢٢) وابن سعد في الطبقات (٨/ ٥٨ و٥٩).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)، والترمذي (٣٦٧٦)، وتمامه: «فعدّ رجالاً».

(٦) أخرجه البخاري (٣٤١١ و٣٤٣٣)، ومسلم (٢٤٣١) ووالترمذي (١٨٣٤).

(٧) أخرجه البخاري (٦٢٥٣)، ومسلم (٢٤٤٧)، والترمذي (٣٨٨٧)، وابن ماجه (٣٦٩٦).

وعن أبي سلمة عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أُكل منها ووجدت شجرةً لم يؤكل منها: في أيهما كنت ترتع بعيرك؟ قال: «في التي لم يرتع منها». تعني: أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها. انفرد بإخراجه البخاري(١).

وعن الزهري قال: أخبرني محمد بن عبد الرحمن بن هشام: أن عائشة زوجة النبي ﷺ قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت النبي ﷺ فاستأذنت النبي ﷺ - والنبي ﷺ مع عائشة في مرضها - فَأَذِنَ لها فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. فقال النبي ﷺ: «أي بنية ألست تحبين ما أحب؟» فقالت: بلى. قال: «فأحبي هذه» لعائشة. قالت: فقامت فاطمة عليها السلام فخرجت، فجاءت أزواج النبي ﷺ فحدّثتْهنّ بما قالت وبما قال لها، فقلن: ما أغنيت عنّا من شيء! فارجعي إلى النبي ﷺ، فقالت فاطمة عليها السلام: والله لا أكلمه فيها أبداً. فأرسل أزواج النبي زينب بنت جحش فاستأذنت، فأذن لها، فدخلت فقالت: يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة.

قالت عائشة: ووقعتْ فيّ زينبُ. قالت عائشة: فطفقت أنظر إلى النبي ﷺ متى يأذن لي فيها؟ فلم أزل حتى عرفت النبي ﷺ لا يكره أن أنتصر، فقالت: فوقعت بزينب، فلم أنشبها أن أفحمتها، فتبسم النبي ﷺ، ثم قال: «إنها ابنة أبي بكر»(٢).

وعن عروة عن عائشة أن: رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه: «أين أنا غداً؟ أين أنا غداً» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها.

قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور فيه نوبتي، فقبضه الله عز وجل وإن رأسه بين نحري وسحري وخالط ريقه ريقي. أخرجاه في الصحيحين(٣).

وعنه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي الى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة: والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أو حيثما دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ. قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذاك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له، فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه ما نزل عَلَيَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»(٤).

وعنه عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل فجاءه جبريل عليه السلام فقال: «أَوَ قد وضعتم السلاح؟ ما وضعنا أسلحتنا بعد! انهد إلى بني قريظة».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨١) تعليقاً ومسلم (٢٤٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٧٤)، تعليقاً، ومسلم (٢٤٤٣)، والنسائي (٣٩٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٧٥).

فقالت عائشة: كأني أنظر إلى جبريل عليه السلام من خلل الباب قد عصب رأسه الغبارُ[(١)].

وعن أبي سلمة قال: قالت عائشة: رأيت النبي ﷺ واضعاً يديه على مَعْرَفة فرس دحية الكلبي وهو يكلمه قالت: فقلت: يا رسول الله رأيتك واضعاً يدك على معرفة دحية الكلبي وأنت تكلمه؟ قال: «أو رأيته؟» قلت: نعم. قال: «ذاك جبريل وهو يقرئك السلام». قالت: وعليه السلام، جزاه الله من صاحب ـ أو دخيلٍ ـ خيراً، فنعم الصاحب، ونعم الدخيل.

قال سفيان: الدخيل: الضيفُ[(٢)].

وعن القاسم عن عائشة قالت: وثب رسول الله ﷺ وثبةً شديدة، فنظرت فإذا رجل معه واقف على برذَوْن وعليه عِمامة بيضاء طرفها بين كتفيه، ورسول الله ﷺ واضعٌ يده على معرفة برذونه. فقلت: يا رسول الله لقد راعتني وثبتك، من هذا؟ قال: «أرأيتهِ؟» قلت: نعم. قال: «ومَن رأيتِ؟» قلت: دحْية بن خليفة الكلبي. قال: «ذلك جبريل عليه السلام»[(٣)].

حديث الإفك

عن الزهري قال: أخبرني سعيد المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبيﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرّأها الله مما قالوا، وكلُّهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل منهم الحديث الذي حدثني، وبعض حديثهم يُصدِّق بعضاً.

ذكروا: أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه، فَأَيَّتُهُنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه.

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ ـ وذلك بعدما أُنزل الحجابُ ـ فأنا أُحْمَل في هودجي وأنزل فيه مَسِيْرَنا، حتى إذا فرغ رسول الله من غزوه، وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلةً بالرحيل، فقمت حتى آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت من شأني أقبلت الى الرَّحْل فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظَفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عِقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحِّلون لي هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه.

قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يُهَبَّلْنَ ولم يغْشهُنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلْقةَ من الطعام، فلم يستنكر القوم ثِقَلَ الهودج حيت رحلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عِقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب.

فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلَيَّ، فبينا أنا جالسة في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٣).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٧٤ و١٤٦).

(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده (٣٥٣).

منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطَّل السُلَمِيُّ، ثم الذَّكوانِيُّ قد عَرَّسَ من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني ـ وقد كان يراني قبل أن يُضرب الحجابُ عَلَيّ ـ فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فَخَمَّرتُ وجهي بجلبابي، ووالله ما يكلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطىء على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني.

وكان الذي تولّى كِبَرَهُ عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفكِ، ولا أشعر بشيءٍ من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطفَ الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: «كيف تيكم؟» فذاك يريبني ولا أشعر بالشر! حتى خرجت بعد ما نقهت، وخرجت معي أم مِسْطَح قبل المناصع ـ وهو مُتَبَرَّزُنا ـ ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرُنا أَمرُ العرب الأُوُل في التنزُّهِ.

وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح ـ وهي بنت أبي رُهْم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثَة بن عباد بن المطلب ـ فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قِبَلَ بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطحٌ. فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً قد شهد بدراً؟ قالت: أي هنتاه! أوَ لم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك.

فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت الى بيتي دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فسلم، ثم قال: «كيف تيكم؟» قلت: أتاذن لي أن آتي أبَوَيَّ؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبواي، فقلت لأمي: يا أمتاه: ما يتحدث الناس؟ فقالت: يا بنية هوّني عليك، فو الله لقلَّما امرأة قط وضيئةٌ عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها. قلت: سبحان الله، وقَدْ تحدّث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي.

ودعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد بن حين استَلْبَثَ الوحيُ يستشيرهما في فراق أهله؟ قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودّ، فقال: يا رسول الله هم أهلك، ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: لن يضيّق الله عليك، والنساء سِواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟» قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إنْ رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجنُ فتأكله!!.

قالت: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فاستعذر من عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول. قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟

فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما عملت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي».

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عبادة ـ وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن أجهلته الحَمِيّة ـ فقال لسعد بن معاذ: كذبت، والله لا تقتله ولا تقدر على قتله! فقام أسيد بن حُضير ـ وهو ابن عم سعد بن معاذ ـ فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين! فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفّضهم حتى سكتوا وسكتَ.

قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأُ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل لي نوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالقٌ كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فَبَيْنا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم، ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء. قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: «أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله عز وجل، وإن كنت ألْممت بذنب فاستغفري الله عز وجل، وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب، ثم تاب تاب الله عليه».

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحسّ منه قطرة. فقلت لأبي: أجبْ عني رسول الله ﷺ فيما قال! فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ؟ فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله؟ فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ؟ فقلت ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ـ: إني والله لقد عرفتُ أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقرّ في نفوسكم، وصدقتم به، ولئن قلت لكم: إني بريئة ـ والله يعلم أني بريئة ـ لا تصدّقوني بذلك، ولأن اعترفت لكم بأمر ـ والله يعلم أني بريئة، تصدّقوني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي. قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني والله بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحيٌ يُتلى، ولشَأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيَّ بأمر يُتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت: فو الله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه كان ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتِ من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ [نظر إليّ] وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري يا عائشة، أما إن الله فقد برأك». فقالت لي أمي: قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي. قالت: فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] العشر آيات، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات ببراءتي. فقال أبو بكر ـ وكان ينفق على

مسطح لقرابته منه وفقره ـ: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال! فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] فقال أبو بكر الصديق: والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح لنفقته التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري: «ما عَلِمْتِ؟ أو ما رأيت؟» قالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً.

قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حَمْنَةُ بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط. أخرجاه في الصحيحين(١).

ذكر نبذة من كرمها وزهدها رضي الله عنها

عن عطاء قال: بعث معاوية إلى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوّم مائة ألف، فقسمته بين أزواج النبي ﷺ.

وعن أم ذرة ـ وكانت تغشى عائشة ـ قالت: بعث إليها ابن الزبير بمال في غِرارتين. قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق ـ وهي يومئذ صائمة ـ فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هلمّي فِطْري. فجاءتها بخبز وزيت. فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تعنّفيني، لو كنت ذكرتني لفعلت!.

وعن عروة قال: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً وهي ترقّع درعها.

ذكر نبذة من خوفها من الله تعالى

عن عوف بن مالك بن الطفيل: أن عائشة حدثت: أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها. فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو لله عليَّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً. فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبداً، ولا أتحنث إلى نذري. فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ـ وهما من بني زُهرة ـ وقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة، فإنها لا يحل أن تنذر قطيعتي. فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلنا؟ قالت: نعم؛ ادخلوا كلّكم. ولا تعلم أن معهما ابن الزبير! فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣٧ و٢٨٧٩ و٤٠٢٥ و٤٦٩٠ و٤٧٥٠ و٦٦٦٢ و٦٦٧٩ و٧٥٠٠ و٧٥٤٥)، ومسلم (٢٧٧٠).

عائشة وطفق يناشدها ويبكي. وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان لها: إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال. فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرت ـ والنذر شديد ـ! فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبلّ بدموعها خمارها. انفرد بإخراجه البخاري[١].

ذكر تعبدها واجتهادها رضي الله عنها

عن عروة عن أبيه: أن عائشة رضي الله عنها كانت تسرد الصوم.

وعن القاسم: أن عائشة كانت تصوم الدهر ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر.

وعنه قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها، فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٧] وتدعو وتبكي وترددها.

فقمت حتى مللت القيام، فذهبت الى السوق لحاجتي، ثم رجعت، فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي.

ذكر طرف من مواعظها وكلامها رضي الله عنها

عن عامر قال: كتبت عائشة إلى معاوية: أما بعد: فإن العبد إذا عمل بمعصية الله عز وجل عاد حامدُه من الناس ذامّاً.

وعن ابراهيم عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنكم لن تلقوا الله بشيء خيرٍ لكم من قلة الذنوب، فمن سرّه أن يسبق الدائب المجتهد فليكفَّ نفسه عن كثرة الذنوب.

ذكر غزارة علمها رضي الله عنها

عن أبي موسى الأشعري قال: ما أشكل علينا ـ أصحابَ رسول الله ﷺ ـ حديث «قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علماً.

وعن مسروق قال: نحلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عن الفرائض.

وعن عروة عن أبيه قال: ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله عنها.

وعن هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة: يا أمّنا لا أعجب من فقهك، أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب! أقول ابنة أبي بكر ـ وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس ـ لكن أعجب من علمك بالطب؟. قال: فضربت على منكبه وقالت:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٣).

أيْ عروة إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره، فكانت تقدَم عليه وفود العرب من كل وجه، فتنعت له الأنعات، فكنت أعالجها، فمن ثمَّ.

وعن سفيان بن عيينة قال: قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة رضي الله عنها أكثر.

ذكر فصاحتها رضي الله عنها

عن هشام بن عروة ـ لا أدري ذكره عن أبيه أم لا؟ الشك من ابن يعقوب ـ قال: بلغ عائشة رضي الله عنها أن أقواماً يتناولون من أبي بكر رضي الله عنه؟ فأرسلت الى أزفلة(١) منهم، فلما حضروا سدلت أستارها، ثم دنت فحمدت الله تعالى، وصلّت على نبيه محمد ﷺ، وعذلت وقرعت، ثم قالت: أبي، وما أَبِيَهْ؟ أبي والله لا تَعطُوه الأيدي؟ ذاك طود وفرع مديد، هيهات! كذبت الظنون! أَنْجَحَ إذ أكديتم، وسبَقَ إذ ونيتم، سبق الجواد إذا استولى على الأمد، فتى قريش ناشئاً، وكهفها كهلاً، يفك عانيها، ويريش مملقها، ويرأب شعبها حتى حَلِيَتْهُ قلوبها، ثم استشرى في الله تعالى فما برحت شكيمته في ذات الله تعالى حتى اتخذ بفنائه مسجداً يحيي فيه ما أمات المبطلون، وكان رحمه الله غزير الدمعة، وقيذ الجوارح، شَجيَّ النشيج، فانقصفت إليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزئون به: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] فأكبرت ذلك رجالات قريش فحنتْ لها قسيّها، وفوقت له سهامها، وانتثلوه غرضاً فما فلُّوا له صفاة، ولا قصفوا له قناة، ومرّ على سيسائه حتى إذا ضرب الدين بجرانه ألقى بركه ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجاً، ومن كل فرقة أرسالاً وأشتاتاً، اختار الله عز وجل لنبيه ﷺ ما عنده، فلما قُبِض ﷺ نصب الشيطان رواقه، ومدّ طُنُبه، ونصب حبائله، وظنَّ رجال أن قد تحققت أطماعهم، ولات حين مناص وأبي الصديقُ بين أظهرهم، فقام حاسراً مشمراً، فجمع حاشيته ورفع قطريه، فرد نشر الإسلام على غربه، ولَمَّ شعثه بطيه، وأقام أوده بثقافه، فاندفر النفاق بوطأته، وانتاش الدين، فنعشه، فلما أراح الحق إلى أهله، وقرر الرؤوس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبها، أتته ميتته فَسَدَّ ثلمته بنظيره في المرحمة، وشقيقه في السيرة والمعدلة، ذاك عمر بن الخطاب، لله أمُّ حملت به ودرّت عليه! لقد أوحدت به، فنفخ الكفرة وديّخها، وشرّد الشرك شَذَرَ مذَرَ، وبعجَ الأرض وبخَعها فقاءت أكلها ولفظت خبيئها، تَرْأَمُه ويصدف عنها، وتصَدَّى له ويأباها، ثم ورع فيها وودعها كما صحبها، فأروني ما تريبون؟ وأي يوم تنقمون؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم؟ أم يوم ظعنه فقد نظر لكم؟ أستغفر الله العظيم لي ولكم. وقد روى هذا الحديث جعفر بن عون عن هاشم بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

تفسير كلمات غريبة فيه

الأزفلة: الجماعة، وتعطوه: تناوله، والطود: الجبل، والمنيف: المشرف، وأكديتم: خبتم ويئِس من خيركم. وونيتم: فترتم، والأمد: الغاية، والمملق: الفقير. ويرأب: يجمع، والشعب: المتفرق، واستشرى: احتدّ، والشكيمة: الأنفة والحمية، والوقيذ: العليل، والجوارح: معروفة وفي

(١) الأَزْفَلَة: الجماعة.

رواية: الجوانح، وهي الضلوع القصار التي تقرب من الفؤاد، والشجيّ: الحزين، والنشيج: صوت البكاء، وانتثلوه: مأخوذ من النثلة وهي الجعبة. وفلّوا: كسروا، والصَّفاة: الصخرة الملساء، وقولها: على سيسائه: أي على شده، والجران: الصدر وهو البرك، ومعنى «فرفع حاشيته وجمع قطريه»: تحزَّم للأمر وتأهب. والقطر: الناحية، فرد نشر الإسلام على غربه ـ كذا وقع في الرواية، والصواب على غرّه ـ أي على طيّه. والأود: العوج، والثقاف: تقويم الرماح وغيرها، واندفر: تفرّق، وانتاش الدّين: أي أزال عنه ما يخاف عليه، ونعشه: رفعه، فنخ الكفرة: أي أذلها، وديخها: أي دوّخها ـ وفي رواية: ذنخها، بالنون، أي صغّرها، شذَرَ مذر: أي تفريقاً، وبعج الأرض: أي شقها، وكذلك نجعها، وتَرأَمهُ: أي تعطف عليه، وتصدى له: تعرَّض.

وعن الأحنف بن قيس قال: سمعت خطبة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، فما سمعت الكلام مِن فِي مخلوق أحسن ولا أفخم من في عائشة رحمة الله عليهم أجمعين.

وعن سفيان قال: سأل معاوية زياداً: أيُّ الناس أبلغ؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين. قال: أعزم عليك؟ قال: إذا عزمت عليَّ فعائشة. فقال معاوية: ما فتحتُ باباً قط تريد أن تغلقُه إلا أغلقتُه، ولا أغلقتُ باباً قط تريد أن تفتحه إلا فتحته.

ذكر وفاة عائشة رضي الله عنها

عن ذكوان ـ حاجب عائشة ـ أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة، فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقلت: هذا ابن عباس يستأذن. فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال: هذا ابن عباس. فقالت: دعني من ابن عباس. فقال لها: يا أماه إن ابن عباس من صالحي بنيك يسلم عليك ويودعك. فقالت: ائذن له إن شئت. فأدخله فلما دخل قال: أبشري، فما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد! كنت أحبَّ نساء رسول الله ﷺ الى رسول الله ﷺ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحبّ إلا طيّباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ حتى تصبَّح في المنزل، وأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا﴾ [النساء: ٤٣] فكان هذا من سببك، وما أنزل الله عز وجل لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله عز وجل براءتك من فوق سبع سموات: جاء به الروح الأمين فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد الله عز وجل يُذكر فيه الله إلا تتلى فيه آناء الليل وآناء النهار.

فقالت: دعني منك يا ابن عباس، فو الذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً.

قال الواقدي: توفيت عائشة رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة من رمضان سنة ثمانٍ وخمسين، وهي ابنة ستٍ وستين سنة.

وقال غيره: توفيت سنة سبع وخمسين، وأوصت أن تدفن بالبقيع مع صواحباتها، وصلّى عليها أبو هريرة، وكان خليفة مروان بالمدينة.

وعن هشام بن عروة قال: مات أبو هريرة وعائشة سنة سبعٍ وخمسين.

١٢٨ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

كانت عند خُنيس بن حذافة السهمي، وهاجرت معه الى المدينة، فمات عنها بعد الهجرة مقْدَمَ النبي ﷺ من بدر، فخلف عليها رسول الله ﷺ.

وعن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال: تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً فتوفي بالمدينة.

قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة؟ فقال: سأنظر في ذلك. فلبثت ليالي فلقيني، فقال: ما أريد أن أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة؟ فلم يُرجع إلي شيئاً، فكنت أوجد عليه مني على عثمان.

فلبثت ليالي فخطبها إلي رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال: قلت نعم. قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئاً حين عرضتها علي إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها، ولم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ؛ ولو تركها لنكحتها. انفرد بإخراجه البخاري[١].

وعن قيس بن زيد: أن النبي ﷺ طلّق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت وقالت: والله ما طلّقني عن شِبَع. وجاء النبي ﷺ فتجلببت. فقال: «قال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة، وإنها زوجتك في الجنة»[٢].

عن عمار بن ياسر قال: أراد رسول الله ﷺ أن يطلّق حفصة، فجاء جبريل عليه السلام فقال: «لا تطلّقها، فإنها صوّامة قوّامة، وإنها زوجتك في الجنة»[٣].

قال الواقدي: توفيت حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية، وهي ابنة ستين سنة. وقيل: ماتت في خلافة عثمان بالمدينة.

١٢٩ ـ أم سلمة رضي الله عنها

واسمها هند بنت أبي امية، واسمه سهيل، ويقال له: زاد الركب بن المغيرة بن عبد الله بن

---

١٢٨ ـ حَفْصَةُ بنت عمر ـ رضي الله عنهما ـ: شذرات الذهب (١/ ١٠)، مسند أحمد (٦/ ٢٨٣)، طبقات ابن سعد (٨/ ٨١)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١١)، الإصابة (١١٠٥٣)، أسد الغابة (٦٨٥٢)، الاستيعاب (٣٣٣٣)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٠)، العبر (١/ ٥).

(١) أخرجه البخاري (٥١٢٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٦٥)، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٨٤).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٨٨).

١٢٩ ـ أم سلمة ـ زوج المصطفى ﷺ ـ رضي الله عنها ـ: أسد الغابة (٧٤٧٢)، الإصابة (١٢٠٦٥)، الاستيعاب (٣٦١٧)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧١)، الجرح والتعديل (٩/ ٤٦٤). طبقات ابن سعد (٨/ ٨٦)، العبر (١/ ٦٥)، كنز العمال (١٣/ ٦٩٩)، مسند أحمد (٦/ ٢٨٨).

عمرو بن مخزوم، وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد، فهاجر بها الى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً. ، ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة فتزوجها رسول الله.

عن ابن أم سلمة: إن أبا سلمة جاء الى أم سلمة فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً أحب إلي من كذا وكذا لا أدري ما عدل به! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصيب أحداً مصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول: اللّهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، اللّهم اخلفني فيها خيراً منها، إلا أعطاه الله عز وجل»[1]. قالت أم سلمة: فلما أُصِبت بأبي سلمة قلت: اللّهم عندك احتسب مصيبتي هذه، ولم تطب نفسي أن أقول: اللّهم اخلفني فيها بخير منها. ثم قالت: مَن خيرٌ من أبي سلمة؟ أليس؟ أليس؟، ثم قالت ذلك.

فلما انقضت عِدّتها أرسل إليها أبو بكر يخطبها، فأبت، ثم أرسل إليها عمر يخطبها، فأبت، ثم أرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها. فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ إن فيّ خلالاً ثلاثاً: امرأة شديدة الغَيرة، وأنا امرأة مُصْبية، وأنا امرأة ليس لي ها هنا أحد من أوليائي فيزوجني.

فغضب عمر لرسول الله ﷺ أشد مما غضب لنفسه حين ردته. فأتاها عمر فقال: أنت التي تردّين رسول الله ﷺ بما تردينه؟ فقالت: يا ابْنَ الخطاب لي كذا وكذا.

فأتاها رسول الله ﷺ فقال: «أما ما ذكرت من غيرتك فإني أدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك، وأما ما ذكرت من صِبْيَتك فإن الله عز وجل سيكفيكهم، وأما ما ذكرتِ من أنه ليس من أوليائك أحد شاهد فليس من أوليائك أحد شاهد ولا غائب يكرهني»[2]. وقال لابنها: زوّجْ رسولَ الله ﷺ. فزوّجه. فقال رسول الله ﷺ: «أما إني لم أنقصكِ مما أعطيت فلانة». قال ثابت: قلت لابن أم سلمة: ما أعطى فلانة؟ قال: أعطاها جرّتين تضع فيهما حاجتها، ورحىً ووسادة من أدم حشوها ليف.

ثم انصرف رسول الله ﷺ، ثم أقبل رسول الله ﷺ بابنها، فلما رأته وضعت زينب أصغر ولدها في حجرها، فلما رآها انصرف وأقبل رسول الله ﷺ بابنتها، فوضعتها في حجرها، وأقبل عمار مسرعاً بين يدي رسول الله ﷺ فانتزعها من حُجرها وقال: هاتي هذه المشقوحة التي قد منعت رسول الله ﷺ حاجته. فجاء رسول الله ﷺ فلما [لم] يرها في حجرها قال: «أين زناب؟» قالت: أخذها عمار. فدخل رسول الله ﷺ على أهله.

قال: وكانت في النساء كأنها ليست فيهن: لا تجد ما يجدْن من الغيرة.

توفيت أم سلمة في سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة اثنتين وستين. وقُبرت بالبقيع، وهي ابنة أربع وثمانين سنة. رضي الله عنها.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٢/ ٣٣٧) وابن سعد في طبقاته الكبرى (٨/ ٩٠).

١٣٠ ـ أم حبيبة واسمها رملة رضي الله عنها

بنت أبي سفيان بن حرب: كانت عند عبيد الله بن جحش، وهاجر بها الى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم ارتدّ عن الإسلام وتنصر ومات هنالك، وثبتت أم حبيبة على دينها، فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ليخطبها عليه فزّوجها إياه، وأصدق عنه النجاشي أربعمائة دينار، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة. وقيل: وكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها، وذلك في سنة سبع من الهجرة.

قال سعيد بن العاص: قالت أم حبيبة: رأيت في النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورةٍ وأشوهه، ففزعت فقلت: تغيّرت ـ واللّهِ ـ حالهُ! فإذا هو يقول حين أصبح: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أرَ ديناً خيراً من النصرانية، وكنت قد دِنت بها، ثم دخلت في دين محمد، ثم رجعت في النصرانية.

فقلت: والله ما خير لكَ. وأخبرته بالرؤيا التي رأيتها فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات، فأرى في النوم كأن آتياً يقول: يا أم المؤمنين! ففزعت فتأوّلتها: أن رسول الله ﷺ يتزوجني.

قالت: فما هو إلا أن قد انقضت عِدتي، فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها أبرهة، كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فدخلت عليَّ فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه. فقالت: بشَّرك الله بخير. قالت: يقول لك الملك: وكّلي من يزوجك.

فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته، وأعطت أبرهة سوارين من فضة وخَدَمتَين كانتا في رجليها، وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سروراً بما بشّرتها.

فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشّر به عيسى ابن مريم.

أما بعد: فإن رسول الله ﷺ كتب إليّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقْتها أربعمائة دينار.

ثم سكب الدنانير بين يدي القوم. فتكلم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى

---

١٣٠ ـ أم حبيبة ـ زوج رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١١١٩١ و١١٩٦٧)، أسد الغابة (٧٤٠٩)، الاستيعاب (٣٥٩٢)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٩)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٨)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٥٣)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٨)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٩)، المستدرك (٣/ ٢٠)، أحمد (٦/ ٣٢٥)، طبقات ابن سعد (٨/ ٩٦)، الجرح والتعديل (٩/ ٤٦١)، سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٠)، المعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ٢١٨).

ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون: أما بعد: أجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوّجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسول ﷺ.

ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد العاص فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعامٌ على التزويج. فدعا بطعام وأكلوا، ثم تفرقوا.

قالت أم حبيبة: فلما وصل إلي المال أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني فقلت لها: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي، فهذه خمسون مثقالاً فخُذيها فاستعيني بها. فأبت وأخرجت حُقّاً فيه كل ما كنت أعطيتها فردته عليَّ وقالت: عزم عليَّ الملك أن لا أرزأك شيئاً، وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ، وأسلمت لله عز وجل، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر.

قالت: فلما كان الغد جاءتني بعود ووَرْسٍ وعنبر وزبادٍ كثير، فقدمتُ بذلك كله على رسول الله ﷺ فكان يراه علي وعندي فلا ينكره. ثم قالت أبرهة: فحاجتي إليك أن تقرئي على رسول الله ﷺ مني السلام، وتعلميه أني قد اتبعت دينه. قالت: ثم لطفت بي، وكانت التي جَهَّزتني، وكانت كلما دخلت عليَّ تقول: لا تنسَيْ حاجتي إليك.

قالت: فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة؟ وما فعلت بي أبرهة؟ فتبسم، وأقرأته منها السلام فقال: «وعليها السلام ورحمة الله وبركاته».

قال الزهري: لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء الى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة، فكلّمه: أن يزيد في هدنة الحديبية. فلم يُقبل عليه رسول الله ﷺ، فقام ودخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجسٌ مشرك. فقال: يا بُنيّة لقد أصابك بعدي شرّ.

قالت عائشة رضي الله عنها: دعتني أم حبيبة عند موتها فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك. فقلت: غفر الله لك ذلك كلّه، وتجاوز، وحلّك من ذلك كله. فقالت: سررتِني سرّك الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك.

وتوفيت سنة أربع وأربعين في خلافة معاوية.

١٣١ - زينب بنت جحش بن رئاب رضي الله عنها

أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ، زوّجها رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة، فلما طلقها زيد بن حارثة تزوجها رسول الله ﷺ في سنة خمس من الهجرة، وكانت من المهاجرات.

---

١٣١ - زينب بنت جحش - زوج المصطفى ﷺ - رضي الله عنها -: الإصابة (١١٢٢٧)، الاستيعاب (٣٣٨٩)، أسد الغابة (٦٩٥٥)، طبقات ابن سعد (٨/ ١٠١)، المستدرك (٤/ ٢٣)، مسند أحمد (٦/ ٣٢٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣٤)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٠)، شذرات الذهب (١/ ١٠)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٦).

عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «اذهب فاذكرني لها». [قال فأتاها وهي تخمِّر عجينَها، قال: فلما رأيتها] عظمت في نفسي، فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت: يا زينب بعثني إليك رسول الله ﷺ يَذْكُرك. فقالت: ما كنت لأُحدِث شيئاً حتى أوامرَ ربي عز وجل. فقامت الى مسجدِ لها، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] فجاء رسول الله ﷺ فدخل بغير إذن. أخرجه مسلم(١).

وقد أخرج البخاري من حديث أنس: أن زينب كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سموات(٢).

وعنه قال: كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبي ﷺ تقول: إن الله عز وجل أنكحني من السماء. وأطعم النبيُّ ﷺ يومئذ عليها خبزاً ولحماً، قال: وكان القوم جلوساً في البيت فخرج النبي ﷺ فلبث هُنَيَّةً، فرجع والقوم جلوس فشق ذلك عليه، وعرفت ذلك [في] وجهه فنزلت آية الحجاب(٣).

قلت: نزول آية الحجاب في قصة زينب في الصحيحين من حديث أنس بن مالك الأنصاري.

وفيهما من حديثه أيضاً قال: ما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أَوْلَمَ على زينب، فقال ثابت البناني: بما أَوْلَمَ؟ قال: أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه.

وعن عائشة قالت: كانت زينب بنت جحش هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله عز وجل بالورع، ولم أرَ امرأة أكثر خيراً وأكثر صدقة وأوصل للرحم وأبذل لنفسها في كل شيء يُتَقَرَّبُ به الى الله عز وجل من زينب ما عدا سَوْرة من حِدَّةٍ كانت فيها، يوشك منها الفيئة.

وعن برزة بنت رافع قالت: لما جاء العطاء بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر، لغيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني! قالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله! وأسترت دونه بثوب، وقالت: صبوه واطرحوا عليه ثوباً، فصبّوه وطرحوا عليه ثوباً. فقالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي إلى آل فلان وآل فلان. من أيتامها وذوي رحِمِها فقسمته، حتى بقيت منه بقيةٌ فقالت لها برزة: غفر الله لك، والله لقد كان لنا في هذا حظ؟ قالت: فلكم ما تحت الثوب. قالت: فرفعنا الثوب فوجدنا خمسةً وثمانين درهماً.

ثم رفعت يديها إلى الأعلى فقالت: اللّهم لا يدركني عطاءٌ لعمر بعد عامي هذا. قال: فماتت.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: «أولكن يتبعني أطولكن يداً».

قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الحائط نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا يداً، فعرفت ان

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٢٨)، والنسائي (٣٢٥١) والذي في المطبوع: «فلما قال ذلك» فآثرنا: إثبات عبارة مسلم في صحيحه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٢١).

النبي ﷺ أراد بطول اليد الصدقة[١]. وكانت امرأة صناعاً، وكانت تعمل بيدها وتتصدق به في سبيل الله عز وجل.

توفيت زينب بنت جحش في سنة عشرون، وهي بنت ثلاث وخمسين سنة. رحمها الله.

١٣٢ ـ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رضي الله عنها

قالت عائشة: أصاب رسول الله ﷺ نساءَ بني المصطلق، فوقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع أواق، وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه. فبينا رسول الله ﷺ عندي إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتُها فكرهت دخولها على النبي ﷺ؛ عرفتُ أنه سيرى منها مثل الذي رأيت، فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتَبَني على تسع أواق؟ فأعنِّي في كتابتي؟ فقال: «أَوَ خير من ذلك؟» فقالت: «ما هو؟» فقال: «أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك». قالت: نعم يا رسول الله. فقالت: قد فعلت. فخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يُسْتَرَقُّون؟ فأعتقوا ما كان في أيديهم من نساء بني المصطلق، فبلغ عتقهم مائة [أهل بيت] بتزويجه إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها[٢].

قال ابن عباس: كان اسمها «برة» فحوله رسول الله ﷺ فسماها «جويرية» كره أن يقال: خرج من عند برة.

وعن ابن عباس عن جويرية: انطلق عليَّ رسول الله ﷺ غدوة وأنا أسبِّح، ثم انطلق لحاجته، ثم رجع قريباً من نصف النهار فقال: «أما زلت قاعدة؟» قلت: نعم قال: «ألا أعلمك كلمات لو عدلن بهن لعدلنهن، ولو وُزِنّ بهنّ وَزَنَّهُنّ؟» ـ يعني جميع ما سبحت ـ «سبحان الله عدد خلقه ثلاث مرات، سبحان الله زنة عرشه ثلاث مرات، سبحان الله رضا نفسه ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات»، انفرد باخراجه مسلم[٣].

تزوج رسول الله ﷺ جويرية وهي بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين، وفي رواية: ست وخمسين، وهي بنت خمس وستين رحمها الله.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥)، وذكره في مجمع الزوائد (٨/ ٢٩٢).

١٣٢ ـ جويرية بنت الحارث ـ زوج رسول الله ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١١٠١٩)، أسد الغابة (٦٨٢٩)، الاستيعاب (٣٣٢٩)، ثقات ابن حبان (٣/ ٦٦)، تهذيب الكمال (٣/ ١٦٨٠)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٧)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٥)، شذرات الذهب (١/ ٦١)، طبقات ابن سعد (٨/ ١١٦)، مسند أحمد (١/ ٣٢٤)، المستدرك (٤/ ٢٥)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٠)، العبر (١/ ٧ و٦١).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٣١) وابن حبان في صحيحه (٩/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) وما بين معقوفين جاء في الأصل «بنت» فصححناه من طبقات ابن سعد الكبرى (٨/ ١١٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٢٦)، والترمذي (٣٥٥٥)، والنسائي (١٣٥٣) واللفظ له.

١٣٣ ـ صفية بنت حُيَيّ بن أخطب رضي الله عنها

من سبط هارون بن عمران، سباها النبي ﷺ يوم خيبر، فاصطفاها لنفسه، فأسلمت، وأعتقها، وجعل عِتْقَها صداقَها، وقيل: وقعت في سهم دِحية الكلبي، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس.

عن جابر: أن رسول الله ﷺ أتى بصفية يوم خيبر ـ وإنه قَتَلَ أخاها وزوجها ـ وقال لبلال: «خذ بيد صفية» فأخذ بيدها، فمر بها بين القتلى، فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى رؤي في وجهه.

ثم قام رسول الله ﷺ فدخل عليها فنزعت شيئاً كانت عليه جالسة فألقته لرسول الله ﷺ، ثم خيّرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقي من أهلها؟ أو تسلم فيتخذها لنفسه؟ فقالت: أختار الله ورسوله. فلما كان عند رواحه احتقب بعيره، ثم خرجت معه تمشي حتى ثنى لها ركبته على فخذه فأجلّت رسولَ الله ﷺ أن تضع قدمها على فخذه، فوضعت ركبتها على فخذه، فركبت، ثم ركب النبي ﷺ، فألقى عليها كساء، ثم سارا، فقال المسلمون: حجبها رسول الله ﷺ. حتى إذا كان على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها فأبت صفية، فوجد النبي ﷺ عليها في نفسه.

فلما كان بالصهباء مال إلى دُوْمة هناك فطاوعته، فقال لها: «ما حملك على إبائك حين أردت المنزل الأول؟» قالت: يا رسول الله خشيت عليك قرب يهود. فأعرس بها رسول الله ﷺ بالصهباء، وبات أبو أيوب ليلته يحرس رسول الله ﷺ يدور حول خباء رسول الله ﷺ، فلما سمع رسول الله ﷺ الوطء قال: «من هذا؟» قال: أنا خالد بن زيد. فقال: «ما لك؟» قال: ما نمت هذه الليلة مخافة هذه الجارية عليك! فأمره رسول الله ﷺ فرجع.

توفيت صفية سنة خمسين، وقيل: اثنتين وخمسين، وقيل: ست وثلاثين، ودفنت بالبقيع.

١٣٤ ـ أم شريك رضي الله عنها

واسمها غُزَية بنت جابر بن حكيم الدوسية، قال الأكثرون: هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت.

عن ابن عباس قال: وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة، وكانت تحت أبي العسكر الدوسي، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا! لكنا سنردك إليهم.

---

١٣٣ ـ صفية بنت حُيَيّ ـ زوج المصطفى ﷺ ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١١٤٠٧)، الاستيعاب (٣٤٥٢)، أسد الغابة (٧٠٦٣)، تهذيب التهذيب (٢/ ٤٢٩)، شذرات الذهب (١/ ١٢)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٨)، طبقات ابن سعد (٨/ ١٢٠)، مسند أحمد (٦/ ٣٣٦)، العبر (١/ ٧ و٦١).

١٣٤ ـ أم شريك ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١١٥٦٢) و(١٢٠٩٩)، أسد الغابة (٧١٥٨)، الاستيعاب (٣٤٩٣)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٠)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣٠)، طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٤)، الجرح والتعديل (٩/ ٤٦٤)، قال الحافظ في الإصابة: غُزَيلة بالتصغير، ويقال غُزَيّة بالتشديد بدل اللام، ويقال: بفتح أوله مع التشديد بلام، هي أم شَريك.

قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوْثقوني في الشمس واستظلّوا هم منها، وحبسوني عن الطعام والشراب، فبينا هم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس إذا أنا ببرد شيء على صدري فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً، ثم نزع مني فرفع، ثم عاد فتناولته فشربت منه، ثم رفع، ثم عاد فتناولته، ثم رفع مراراً، ثم تركت فشربت حتى رويت، ثم أفضتُ سائره على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة فقالوا لي: أنحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟ قلت: لا والله لكنه كان من الأمر كذا وكذا. قالوا: لئن كنت صادقة لدينُك خيرٌ من ديننا.

فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها، فأسلموا عند ذلك، وأقبلت الى النبي ﷺ فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها.

١٣٥ ـ فاطمة بنت أسد بن هاشم رضي الله عنها

ابن عبد المناف: أم علي بن أبي طالب عليه السلام، أسلمت وكانت صالحة، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل في بيتها، ولما ماتت نزع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه.

وقال علي بن أبي طالب: قلت لأمي فاطمة بنت أسد: أكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك خدمة الداخل والطحن والعجين.

١٣٦ ـ أم أيمن واسمها بركة رضي الله عنها

مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، ورثها من أبيه فأعتقها حين تزوج خديجة، فتزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث فولدت له أيمن، ثم تزوجها زيد بن حارثة بعد النبوة فولدت له أسامة رضي الله عنه.

عن عثمان بن القاسم قال: خرجت أم أيمن مهاجرة إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد، وهي صائمة في يوم شديد الحر، فأصابها عطش شديد حتى كادت تموت من شدة العطش، قال: وهي بالروحاء أو قريباً منها. قالت: فلما غابت الشمس إذا أنا بحفيف شيء فوق رأسي فرفعت رأسي فإذا أنا بدلو من السماء مدلى برشاء أبيض. قالت: فدنا مني حتى إذا كان بحيث أستمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويت. قالت: فلقد كنت بعد ذلك في اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعدها.

وعن أنس قال: ذهبت مع النبي ﷺ إلى أم أيمن نزورها فقربتْ له طعاماً أو شراباً، فإما كان صائماً وإما لم يرده، فجعلت تخاصمه ـ أي: كلّ ـ فلما توفي النبي ﷺ قال أبو بكر لعمر رضي الله

---

١٣٥ ـ فاطمة بنت أسد ـ أم عليّ ـ رضي الله عنهما ـ: الإصابة (١١٥٨٩)، أسد الغابة (٧١٧٧)، الاستيعاب (٣٥٠١)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٧)، طبقات ابن سعد (٨/ ٢٢٢)، كنز العمال (١٣/ ٦٣٥)، المستدرك (٣/ ١٠٨).

١٣٦ ـ أم أيمن: بركة مولاة رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١١٩٠٢)، الاستيعاب (٣٥٧٩)، أسد الغابة (٧٣٧١)، الحلية (٢/ ٦٧)، شذرات الذهب (١/ ٥١)، العبر (١/ ١٣)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٩)، طبقات ابن سعد (٨/ ٢٢٣)، مسند أحمد (٦/ ٤٢١).

عنهما: مُرّ بنا الى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها. فلما رأتهما بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما أبكي أني لأعلم أن رسول الله ﷺ قد صار إلى خير مما كان فيه! ولكنني أبكي لخبر السماء انقطع عنا! فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها.

قال الواقدي: حضرت أم أيمن أُحُداً وكانت تسقي الماء، وتداوي الجرحى، وشهدت خيبر، وتوفيت في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه.

١٣٧ ـ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط رضي الله عنها

أسلمت بمكة، وبايعت قبل الهجرة، وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وهاجرت في هدنة الحديبية.

عن ربيعة بن عثمان وقدامة قالا: لا نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم. قالت: كنت أخرج إلى بادية لنا فيها أهلي فأقيم بها الثلاث والأربع ـ وهي ناحية التنعيم ـ ثم أرجع إلى أهلي فلا ينكرون ذهابي البادية، حتى أجمعت المسير فخرجت يوماً من مكة كأني أريد البادية، فلمّا رجع من تبعني إذا رجل من خزاعة قال: أين تريدين؟ قلت: ما مسألتك؟ ومن أنت؟ قال: رجل من خزاعة. فلما ذكر خزاعة اطمأننت إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده فقلت: إني امرأة من قريش وإني أريد اللحوق برسول الله ﷺ، ولا علم لي بالطريق؟ فقال: أنا صاحبك حتى أوردك المدينة. ثم جاءني ببعير فركبته فكان يقود بي البعير، ولا والله ما يكلمني بكلمة، حتى إذا أناخ البعير تنحى عني، فإذا نزلت جاء إلى البعير فقيده بالشجرة وتنحى إلى فيء شجرة، حتى إذا كان الرواح حدج البعير فقرّبه وولى عني، فإذا ركبت أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى أنزل، فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة، فجزاه الله من صاحب خيراً، فدخلت على أم سلمة وأنا متنقبة فما عرفتني حتى انتسبت وكشفت النقاب فالتزمتني، وقالت: هاجرت إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم، وأنا أخاف أن يردني كما رد أبا جندل وأبا بصير، وحالُ الرجال ليس كحال النساء، والقوم مصبحي! قد طالت غيبتي اليوم عنهم خمسة أيام منذ فارقتهم، وهم يتحينون قدر ما كنت أغيب، ثم يطلبوني فإن لم يجدوني رحلوا.

فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة فأخبرته خبر أم كلثوم، فرحب بها وسهّل، فقلت: إني فررت إليك بديني فامنعني ولا تردني إليهم يفتنوني ويعذبوني، ولا صبر لي على العذاب، إنما أنا امرأة وضعف النساء إلى ما تعرف، وقد رأيتك رددتَ رجلين حتى امتنع أحدهما. فقال: «إن الله عز وجل قد نقض العهد في النساء، وحكم في ذلك بحكم رضَوه كلهم» ـ وكان يردُّ النساء ـ فقدم أخواها

---

١٣٧ ـ أم كُلثوم بنت عقبة ـ رضي الله عنها ـ: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٧١)، المستدرك للحاكم (٤/ ٦٦)، الإصابة (١٢٢٣١)، أسد الغابة (٧٥٨٥)، الاستيعاب (٣٦٦٣)، ثقات ابن حبان (٣/ ٤٥٨)، مسند أحمد (٦/ ٢٣٠)، طبقات ابن سعد (٨/ ٢٣٠)، تاريخ الإسلام (١/ ١٣٦)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٧)، كامل ابن الأثير (٢/ ٢٠٦) و(٣/ ٧٢).

الوليد وعمارة من الغد فقالا: أوفِ لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه. فقال: «قد نقض الله العهد فانصرفا».

قلت: واعلم أن نقض العهد في النساء معناه نزول الامتحان في حقوقهن، فامتحنها رسول الله ﷺ وامتحن النساء بعدها، وذلك أنه كان يقول لهن: «والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام، وما خرجتن لزوج ولا مال؟» فاذا قلن ذلك تركهن، ولم يُرددن الى أهليهن، وكانت أم كلثوم عاتقاً حينئذ فتزوجها زيد بن حارثة(١).

فلما قتل عنها تزوجها الزبير فولدت له زينب، ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميداً، ثم تزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده رحمها الله.

١٣٨ ـ الحولاء بنت تُوَيت بن حبيب رضي الله عنها

ابن أسد بن عبد العزى أسلمت وبايعت رضي الله عنها.

عن عائشة رضي الله عنها: إن الحولاء مرت بها وعندها رسول الله ﷺ فقال: «هذه الحولاء» وزعموا أنها لا تنام الليل!. فقال: «لا تنام الليل؟ خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا»(٢).

١٣٩ ـ أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

أسلمت بمكة قديماً، وبايعت وشقّت نطاقها ليلة خرج رسول الله ﷺ إلى الغار فجعلت واحداً لسفرة رسول الله ﷺ والآخر عصاماً لقُربته، فسميت ذات النطاقين.

تزوجها الزبير، وكانت صالحة، كانت تمرض المرضة فتعتق كل مملوك لها.

عن عبد الله بن الزبير قال: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف: أما عائشة فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسّمت.

وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغد. رواه البخاري(٣).

وروي أيضاً من حديث عروة قال: دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء قبل قتل عبد الله بعشر ليال ـ وأسماء وجعة ـ فقال لها عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة. قال: إن في الموت لراحة؟ قالت: لعلك تشتهي موتي فلذلك تمناه! فلا تفعل، فوالله ما أشتهي أن أموت حتى آتي على

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٢٣٠).

١٣٨ ـ الحولاء بنت تُوَيت ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١١٠٧٢)، الاستيعاب (٣٣٥٤)، الحلية (٢/ ٦٥)، ثقات ابن حبان (٣/ ١٠٠)، أعلام النساء (١/ ٢٥٩)، أسد الغابة (٦٨٦٥)، الحلية (٢/ ٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٥) ابن حبان في صحيحه (٦/ ٣٢٢) وأحمد (٦/ ٢٤٧).

١٣٩ ـ أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ: الإصابة (١٠٧٩٨)، و(١٠٨٠٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣٥٤)، مسند أحمد (٦/ ٣٤٤)، تاريخ ابن كثير (٨/ ٣٤٦)، طبقات ابن سعد (٨/ ٢٤٩)، الحلية (٢/ ٥٥)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٢٨)، شذرات الذهب (١/ ٤٤)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٩٧)، أسد الغابة (٦٧٠٥)، الاستيعاب (٣٢٧٠).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٦).

أحد طرفيك: إما أن تقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقرّ عيني، فإياك أن تعرض عليك خصلة لا توافقك فتقبلها كراهية الموت.

وإنما عنى ابن الزبير أنْ يقتل فيحزنها ذلك.

توفيت أسماء بعد قتل ابنها عبد الله رضي الله عنه بليالٍ.

١٤٠ ـ سُمَيَة بنت خَيَاط[1] رضي الله عنها

مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، وهي أم عمار بن ياسر، أسلمت بمكة قديماً، وكانت ممن يعذب في الله عز وجل لترجع عن دينها فلم تفعل، فمر بها يوماً أبو جهل فطعنها في قُبُلها فماتت عجوزاً كبيراً، فهي أول شهيدة في الإسلام رحمها الله.

عن مجاهد قال: أول شهيد كان في الإسلام استشهد: أم عمار [طعنها] أبو جهل بحربة في قبلها.

١٤١ ـ فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها

أخت عمر: أسلمت قبل عمر هي وزوجها سعيد بن عمرو بن نفيل، فلما علم عمر بإسلامها دخل عليها فشجّها فبكت. وقالت: يا ابن الخطاب ما كنت صانعاً فاصنعه فقد أسلمت.

وقد ذكرنا هذا في قصة إسلام عمر. رحمها الله.

١٤٢ ـ أم رومان بنت عامر رضي الله عنها

أسلمت بمكة قديماً، وبايعت، وتزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فولدت له عبد الرحمن وعائشة، وهاجرت الى المدينة.

وقد ذكر محمد بن سعد وإبراهيم الحربي: أنها توفيت على عهد رسول الله ﷺ. وقال آخرون: بل عاشت بعده دهراً طويلاً رحمها الله.

١٤٣ ـ أم الفضل رضي الله عنها

وهي لبابة الكبرى ابنة الحارث بن حَزْن، وهي أول امرأة أسلمت بعد خديجة.

---

١٤٠ ـ سُمَيَّة بنت خياط ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١١٣٤٢)، أسد الغابة (٧٠٢١)، ثقات ابن حبان (٣/ ١٨٤)، أعلام النساء (٢/ ٢٦١)، الاستيعاب (٢٤٢١).

(١) ويقال لها: بنت خياط: بالياء والباء كما في الإصابة (١١٣٤٢).

١٤١ ـ فاطمة بنت الخطاب ـ رضي الله عنها ـ: أسد الغابة (٧١٨٢)، الاستيعاب (٣٤٩٠)، الإصابة (١١٥٩٤)، الحلية (٣٨/١).

١٤٢ ـ أم رومان بنت عامر ـ رضي الله عنها ـ: أسد الغابة (٧٤٥٠)، الإصابة (١٢٠٢٧)، الاستيعاب (٣٦٠٩)، ثقات ابن حبان (٣/ ٤٥٩)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٦٧)، الكاشف (٣/ ٤٨٨).

١٤٣ ـ أم الفضل: لبابة الكبرى ـ رضي الله عنها ـ: أسد الغابة (٧٥٦٦)، الإصابة (١٢٢٠٤)، الاستيعاب (٣٦٥٤)، الجرح والتعديل (٩/ ٤٦٥)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٦)، مسند أحمد (٦/ ٣٣٨).

تزوجها العباس فولدلت له الفضل وعبد الله وعبيد الله ومعبداً وقُثماً وعبد الرحمن وأم حبيب، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي:

ما وَلَدت نجيبةٌ من فحل ... كستة من بطن أم الفضل
أكرِمْ بها من كهلة وكهل

وهاجرت إلى المدينة بعد إسلام العباس، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل في بيتها، وكانت تصوم الإثنين والخميس.

١٤٤ ـ أسماء بنت عميس رضي الله عنها

أسلمت بمكة قديماً، وبايعت، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، ثم قتل عنها فتزوجها أبو بكر رضي الله عنه، ومات عنها وأوصى أن تغسله، ثم تزوجها علي بن أبي طالب.

عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم، إما قال: بضع؟ وإما قال: ثلاثة وخمسون؟ وإما اثنان وخمسون رجلاً من قومي، قال: فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده. فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ها هنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا. قال: فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً.

قال: فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا، أو قال: أعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا من شهد معه؛ إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم. قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا ـ: يعني لأهل السفينة ـ نحن سبقناكم بالهجرة.

قال: فدخلت أسماء بنت عميس ـ وهي ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس. قال عمر: الحبشية هذه، البحرية هذه؟ فقالت أسماء: نعم. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم. فغضبت وقالت: كلا يا عمر، كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ يُطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بعدُ بالحبشة، وذلك في الله عز وجل وفي رسوله، وايم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيد على ذلك.

فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «فما قلت له؟» قالت: قلت له كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة

---

١٤٤ ـ أسماء بنت عُمَيْس ـ رضي الله عنها ـ: أسد الغابة (٦٧١٣)، الإصابة (١٠٨٠٩)، الاستيعاب (٣٢٧٥)، تاريخ الإسلام (١/ ١٧٩)، الحلية (٢/ ٧٤)، شذرات الذهب (١/ ١٥ و٤٨)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٩٨)، سير أعلام النبلاء (٢٤/ ٢٨٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٣٠)، طبقات ابن سعد (٨/ ٢٨٠)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٣).

واحدة، ولكم أنتم أهلَ السفينة هجرتان». قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً ليسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم أفرح به ولا أعظم في أنفسهم مما قال رسول الله ﷺ لهم. أخرجاه في الصحيحين[١].

١٤٥ ـ أم عمارة رضي الله عنها

واسمها نسيبة بفتح النون وكسر السين بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية: أسلمت وبايعت وشهدت أحداً والحديبية وخيبر وحنيناً وعمرة القضية ويوم اليمامة.

وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما التفتُّ يوم أُحُد يميناً ولا شمالاً إلا وأراها تقاتل دوني»[٢].

قال الواقدي: قاتلت يوم أحد، وجرحت اثنتي عشرة جراحة، وداوت جرحاً في عنقها سنة، ثم نادى منادي رسول الله ﷺ إلى «حمراء الأسد» فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم.

وعن محمد بن إسحاق: قال: وحضرت البيعة بالعقبة امرأتان قد بايعتا، إحداهما نسيبة بنت كعب، وكانت تشهد الحرب مع رسول الله ﷺ شهدت معه أحداً، وخرجت مع المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر في الردة، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة، ورجعت وبها عشر جراحات من طعنة وضربة.

قال ابن اسحاق: حدثني بهذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة. والسلام.

١٤٦ ـ أم سُلَيط الأنصارية رضي الله عنها

أسلمت وبايعت وشهدت أحداً وخيبر وحنيناً قال ثعلبة بن أبي مالك: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً بين نساء من نساء أهل المدينة، فبقي منها مرط جيد فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك؟ ـ يريدون أم كلثوم بنت علي ـ فقال عمر: أم سليط أحق به منها ـ وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ ـ قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد. انفرد بإخراجه البخاري[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٦ و٣٨٧٦ و٤٢٣٠)، ومسلم (٢٥٠٢).

١٤٥ ـ أم عِمارة: نَسِيْبة بنت كعب ـ رضي الله عنها ـ: أسد الغابة (٧٥٥١)، الاستيعاب (٣٦٢٤)، الإصابة (١٢١٨٣)، طبقات ابن سعد (٨/ ٤١٢)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٤)، مسند أحمد (٦/ ٤٣٩).

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٨/ ٤١٥).

١٤٦ ـ أم سُليط الأنصارية ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١٢٠٧١)، أسد الغابة (٧٤٧٧)، الاستيعاب (٣٦١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٨١)، تَزْفِر: تحمل الماء.

١٤٧ ـ أم سُلَيْم بنت ملحان بن خالد رضي الله عنها

ابن زيد بن حرام: وهي الغُمَيصاء، وقيل الرُّمَيْصاء. واختلفوا في اسمها؟ فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل: أنيفة. تزوجها مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك، ثم قُتِل فخطبها أبو طلحة.

عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم فقالت: أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذلك مهري لا أسالك غيره. فأسلم أبو طلحة وتزوجها.

وعنه: إن أبا طلحة خطب أم سليم فقالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده خشبةٌ نبتت من الأرض، نجرها حبشي بني فلان؟ قال: بلى. قالت: أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشي بني فلان؟ لئن أنت أسلمت لم أرد منك من الصداق غيره. قال: حتى أنظر في أمري؟ فذهب، ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. قالت: يا أنس زوِّج أبا طلحة.

عن أنس بن مالك قال: خطب أبو طلحة أمَّ سليم، فقالت: ما مثلك يرد، ولكن لا يحل أن أتزوجك، أنا مسلمة وأنت كافر، فإن تسلم فذاك مهري لا أسألك غيره. فأسلم فتزوجها.

قال: ثابت فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم: الإسلامَ.

وعنه: أَن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، فقيل له؟ فقال: «إني أرحمها، قتل أخوها معي»[(١)].

وعنه قال: كان النبي ﷺ يدخل على أم سليم فتبسط له النطع، فيقيل عندها، فتأخذ من عرقه فتجعله في طيبها.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي، فإذا هي الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك»[(٢)].

وعنه قال: جاء أبو طلحة يوم حنين يُضحك رسولَ الله ﷺ من أم سليم، فقال: يا رسول الله ﷺ ألم تر إلى أم سليم معها خنجر؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «ما تصنعين به يا أم سليم؟» قالت: أردت إن دنا أحد منهم مني طعنته.

وعنه قال: كان يوم أحد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدَم سوقهما، تنقلان

---

١٤٧ ـ أم سُلَيم بن مِلْحان ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١٢٠٧٧)، الاستيعاب (٣٦٢٠)، أسد الغابة (٧٤٧٩)، الحلية (٢/ ٥٧)، ثقات ابن حبان (٣/ ٤٦١)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧١)، الجرح والتعديل (٩/ ٤٦٤)، الطبراني في الكبير (٢٥/ ١٠٥).

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٤) ومسلم (٢٤٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٧٠) بمعناه ومسلم (٢٤٥٦) واللفظ له.

القرب على متونهما، ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم.

وعنه قال: زار رسول الله ﷺ أم سليم فصلى في بيتها تطوعاً وقال: «يا أم سليم إذا صليت المكتوبة فقولي: سبحان الله عشراً، والحمد لله عشراً، والله أكبر عشرا، ثم سلي الله عز وجل ما شئت فإنه يقال لك: نعم، نعم، نعم».

وعنه قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي فخرج أبو طلحة فقُبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان. فقربت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبيَّ. فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «أعرَّستم الليلة» قال: نعم. قال: «اللّهم بارك لهما» فولدت له غلاماً. فقال لي أبو طلحة: احمله حتى نأتي به النبي ﷺ، وبعث معه بتمرات فقال: «أمعك شيء؟» قلت: نعم؛ تمرات. فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي، ثم حنكه وسماه عبد الله. أخرجاه في الصحيحين(١).

وعنه قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت له عشاء فأكل وشرب. قال: ثم تصنَّعت له أحسن ما كانت تصنع له قبل ذلك فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة ا رأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم: ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك.

فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان. فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في ليلتكما» قال: فحملت.

قال: وكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً، فدنوا من المدينة فضربها المخاض، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ، فقال أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب أنه ليعجبني أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى!؟ قال: تقول له أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد. فانطلقنا.

قال: فضربها المخاض حين قدمنا، فولدت غلاماً. فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعنه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ. قال: فلما أصبحت احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فصادفته ومعه ميسم، فلما رآني قال: «لعل أم سليم ولدت؟» قلت: نعم. فوضع الميسم، وجئت به فوضعته في حجره قال: ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابت، ثم قذفها في في الصبي فجعل الصبي يتلمّظ. فقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى حب الأنصار التمرَ». قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله(٢).

وقد روي لنا من طريق آخر: أن الولد الذي مات كان اسمه حفص، وكان قد ترعرع.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤٤) وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٣٩٣).

وعن عباية بن رفاعة عن أم سليم قالت: توفي ابن لي وزوجي غائب، فقمت فسجّيته في ناحية من البيت، فقدم زوجي فقمت فتطيبت له، فوقع علي، ثم أتيته بطعام فجعل يأكل. فقلت: ألا أُعجبك من جيراننا؟ قال: وما لهم؟ قلت: أعيروا عارية فلما طُلِبت منهم جزعوا! فقال: بئس ما صنعوا! فقلت: هذا ابنك؟ فقال: لا جرم لا تغلبيني على الصبر الليلة. فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فأخبره. فقال: «اللّهم بارك لهم في ليلتهم». فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأ القرآن[1].

١٤٨ ـ أم حَرَام بنت ملحان رضي الله عنها

أخت أم سليم أسلمت، وبايعت رسول الله ﷺ، وكان يقيل في بيتها.

عن أنس بن مالك عن أم حرام أنها قالت: بينا رسول الله ﷺ قائل في بيتي إذ استيقظ وهو يضحك. فقلت: بأبي أنت وأمي ما يضحكك؟ قال: «عُرِض عليَّ ناسٌ من أمتي يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسِرَّة» فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «اللّهم اجعلها منهم»، ثم نام أيضاً فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: بأبي أنت وأمي ما يضحكك؟ قال: «عُرِضَ عليَّ ناسٌ من أمتي يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسِرَّة» فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «أنت من الأولين» فغزت مع عبادة بن الصامت ـ وكان زوجها ـ فوقصتها بغلة لها شهباء فوقعت فماتت. أخرجاه في الصحيحين[2].

وعن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عمير بن الأسود العنسي أنه حدثه: أنه أتى عبادة بن الصامت وهو بساحل حمص في بناء له ومه امرأته أم حرام. قال عمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا» قالت أم حرام: يا رسول الله أنا منهم؟ قال «أنت منهم؟»[3].

قال هشام: رأيت قبرها، ووقفت عليه بالساح بقاقيس.

وعن هشام بن الغاز قال: قبر أم حرم بنت ملحان بقبرس، وهم يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة رحمها الله.

١٤٩ ـ عفراء بنت عبيد بن ثعلبة رضي الله عنها

أسلمت، وبايعت رسول الله ﷺ ورزقها الله سبعة بنين كلهم شهدوا بدراً مسلمين، وذلك أنها

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ١٢٨) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٥٩).

١٤٨ ـ أم حَرَام بنتِ مِلْحان ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١١٩٧١)، الاستيعاب (٩٥٩٣)، أسد الغابة (٧٤١١)، ثقات ابن حبان (٣/ ٤٦٢)، الحلية (٢/ ٦١)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٨) ومسلم (١٩١٢).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٤٨) ومسند الشاميين (١/ ٢٥٧) والمعجم الكبير (٢٥/ ١٣٣) وابن أبي عاصم في الآحاد المثاني (٦/ ٩٨) وغيرهم.

١٤٩ ـ عفراء بنت عبيد ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١١٤٨٥)، أسد الغابة (٧١١٢).

تزوجت الحارث بن رفاعة فولدت له معاذاً ومعوذاً، ثم طلقها فقدمت مكة فتزوجت بكير بن عبد ياليل فولدت له خالداً وإياساً وعاقلاً وعامراً.

ثم رجعت إلى المدينة فراجعها الحارث بن رفاعة فولدت له عوفاً، فشهدوا كلهم بدراً مسلمين فاستشهد معاذ ومعوذ وعاقل ببدر، وخالد يوم الرجيع، وعامر يوم بئر معونة، وإياس يوم اليمامة، والبقية منهم لعوف.

١٥٠ ـ الرُّبَيِّع بنت معوّذ بن عفراء رضي الله عنها

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ وحدثت عنه، وكانت تخرج معه في الغزوات.

عن خالد بن ذكوان عن الرُّبَيِّع قالت: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنخدم القوم ونسقيهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة.

١٥١ ـ أم عطية الأنصارية رضي الله عنها

واسمها نُسَيْبة بنت كعب: أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ، وهذه بضم النون على خلاف اسم أم عمارة المتقدمة.

عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وكنت أخلفهم في الرحال، وأصنع لهم الطعام، وأقوم على المرضى، وأداوي الجرحى.

١٥٢ ـ أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث رضي الله عنها

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ.

أخبرنا ابن الحصين بالإسناد عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية، وكانت قد جمعت القرآن، وكان النبي ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذن، وكانت تؤم أهل دارها[(١)].

وعنه عن جدته عن أمها أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الانصاري: وكان رسول الله ﷺ يزورها يسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن، وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدراً قالت له: ائذن

---

١٥٠ ـ الرُّبَيِّع بنت معوّذ ـ رضي الله عنها ـ: أسد الغابة (٦٩١٨)، الإصابة (١١١٧٢)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٨)، تاريخ الإسلام (٢/ ٤٠٢)، طبقات ابن سعد (٨/ ٤٤٧)، مسند أحمد (٦/ ٣٥٨)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٤٣)، الاستيعاب (٣٣٨٢).

١٥١ ـ أم عطية الأنصارية ـ رضي الله عنها ـ: أسد الغابة (٧٥٤٢)، الإصابة (١٢١٧١)، الاستيعاب (٣٦٤٦)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٨٩)، طبقات ابن سعد (٨/ ٤٥٥)، مسند أحمد (٦/ ٤٠٧)، الجرح والتعديل (٩/ ٤٦٥)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٦٤).

١٥٢ ـ أم ورقة بنت عبد الحارث ـ رضي الله عنها ـ: الإصابة (١٢١٧١)، أسد الغابة (٧٥٤٢)، الاستيعاب (٣٦٤٦)، طبقات ابن سعد (٨/ ٤٥٥)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٨٩)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٦٤)، مسند أحمد (٦/ ٤٠٧)، الجرح والتعديل (٩/ ٤٦٥).

(١) أخرجه أبو داود (٥٩٢).

لي فأخرج معك فأداوي جرحاكم، وأمرض مرضاكم، لعل الله عز وجل يهدي إلي الشهادة. قال: «إن الله عز وجل مُهْدٍ لك الشهادة»(١).

وكان رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها، حتى عدا عليها جاريةٌ وغلامٌ لها كانت قد دبَّرتهما فقتلاها في إمارة عمر رضي الله عنه، فقيل: إن أم ورقة قد قتلها غلامها وجاريتها. فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة»(٢). رحمها الله.

١٥٣ ـ امرأة من المهاجرات لم يُذكر اسمها

عن أنس قال: دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل، فلم نبرح حتى قضى، فبسطنا عليه ثوبه وأم له عجوز كبيرة عند رأسه فالتفت إليها بعضنا فقال: يا هذه احتسبي مصيبتك عند الله عز وجل. قالت: وما ذاك؟ أمات ابني؟ قلنا: نعم. قالت: أحق ما تقولون؟ قلنا: نعم. قالت: أحق ما تقولون؟ قلنا: نعم. فمدت يدها الى الله فقالت: اللّهم إنك تعلم أني أسلمت وهاجرت إلى رسولك ﷺ رجاء أن تعينني عند كل شدة ورخاء فلا تحمّلني هذه المصيبة اليوم. قال: فكَشفَ عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه.

١٥٤ ـ امرأة أخرى من المهاجرات

عن ابن سيرين: إن أبا بكر أُتي بمال، فقسمه بين الناس، فبعث منه إلى امرأة من المهاجرات، فلما أُتِيَتْ به قالت: ما هذا؟ قالوا: أبو بكر جاءه مال فقسمه في الناس فقسم منه في نظرائك. قالت: أتخافوني أن أدع الإسلام؟ قالوا: لا. قالت: أفترشونني على ديني؟ قالوا: لا. قالت: فلا حاجة لي فيه.

١٥٥ ـ اليمنية

عن أبي هريرة قال: جاءت امرأة من اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله عز وجل أن يشفيني. قال: «إن شئت دعوت الله لك فشفاك، وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك». قالت: بل أصبر ولا حساب عليّ. رحمها الله.

١٥٦ ـ امرأة من الأنصار

عن أنس قال: لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة وقالوا: قتل محمد.

حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار فاستُقبلت بأخيها وأبيها

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٩٣).

(٢) أخرجه ابن حبان صحيحه (٧/ ١٦٩ برقم ٢٩٠٨).

١٥٥ ـ اليمنية: أخرج خبرها ابن حبان في صحيحه (٧/ ١٦٩) والبيهقي شُعَب الإيمان (٧/ ١٩٥) وابن حجر في الإصابة (٢/ ٤١٨)، (٨/ ٢١٠).

١٥٦ ـ ذكر خبرها الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٨٠) وذكرها الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٥).

وزوجها وابنها: لا أدري بأيهم استُقبلت أولاً، فلما مرت على آخرهم قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك. قالت: فما فعل النبي ﷺ؟ قالوا: أمامك. فذهبت الى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه، ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ لا أبالي إذ سلمت من عطب.

١٥٧ ـ أَمَةٌ لبعض العرب

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أسلمت أمة سوداء لبعض العرب، فكان لها حفش[(١)] في المسجد. قالت: فكانت تأتينا فتحدّث عندنا، فإذا فرغت من حديثها قالت:

ويومُ الوشاح من تعاجيب ربنا ... إلا أنه من بلدة الكفر نجّاني

فلما أكثرت [من ترداده] قلت لها: وما يوم الوشاح؟ قالت: خرجت جويرية لبعض أهلي وعليها وشاح من أدم فسقط منها، فانحطت عليه الحدأة وهي تحسبه لحماً، فأخذته فاتهموني به فعذبوني حتى بلغ من أمري أنهم طلبوه في قُبُلي!! فبينا هم حولي وأنا في كربي إذ أقبلت الحِدَأَةُ حتى وازت رؤوسنا، ثم ألقته فأخذوه. فقلت لهم: هذا الذي اتهمتموني به وأنا منه بريئة.

انتهى ذكر المصطَفيات من عالمات الصحابيات ومتعبداتهن.

---

١٥٧ ـ ذكر خبرها ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٨٦) والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٤) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٧١).

(١) الحِفْشُ: من معانيها: وعاءُ المغازل والسَّفَط والشيء البالي وما كان من أسقاط الآنية كالقوارير وغيرها، والجوالقُ العظيمُ البالي، جمعه: أحفاش، وأحفاش البيت: قُماشُه ورُذال متاعه.

ذِكرُ المصطَفَين من التابعين ومن بعدهم
على طبقاتهم في بلدانهم

عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يأتي بعد ذلك قوم تسبق شهاداتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم». أخرجاه في الصحيحين(١).

[وعن] عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» لا أدري مرتين أو ثلاثاً. أخرجاه في الصحيحين(٢).

ذكر المصطفَين من طبقات أهل المدينة من التابعين ومن بعدهم من الطبقة الأولى

١٥٨ ـ محمد بن علي بن أبي طالب ـ ابن الحنفية ـ رضي الله عنه

وهو ابن الحنفيّة، ويكنى أبا القاسم، أمه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس، ويقال: بل كانت أَمَةً من سبي اليمامة فصارت إلى علي.

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: رأيت أم محمد ابن الحنفية سنديّة سوداء، وكانت أَمَة لبني حنيفة.

عن ابن الحنفية قال: قال علي: يا رسول الله أرأيت إن وُلد لي ولد بعدك أسمّيه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال: «نعم». فكانت رخصةً من رسول الله ﷺ لعلي.

وعن محمد ابن الحنفية قال: ليس بحكيم مَن لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بُدّاً حتى يجعل الله له فرجاً، أو قال: مخرجاً.

قال محمد ابن الحنفية: من كرمت عليه نفسُه لم يكن للدنيا عنده قَدْر.

وعنه قال: إن الله عز وجل جعل الجنة ثمناً لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها.

قال أبو بكر بن عبيد، وحدثنا محمد بن عبد المجيد أنه سمع ابن عيينة يقول: قال محمد ابن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢ و٣٦٥١ و٦٤٢٩ و٦٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٣)، والترمذي (٣٨٥٩)، وابن ماجه (٢٣٦٢).

(٢) وتمامه: «ثم يكون بعدهم قومٌ يَشهدون ولا يُستَشهَدون، ويَخونون ولا يُؤتَمنون، ويَنذُرون ولا يُوفون، ويظهر فيهم السِّمَنُ» أخرجه البخاري (٢٦٥١ و٣٦٥٠ و٦٤٢٨ و٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥)، والنسائي (٣٨١٨).

١٥٨ ـ ابن الحنفية: محمد بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ: العبر (١/ ٩٣)، الحلية (٣/ ١٧٤)، البداية والنهاية (٩/ ٣٨)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢٩٤)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٥٤)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٨٨)، طبقات ابن سعد (٥/ ٩١).

الحنفية: يا منذر. قلت: لبيك. قال: كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحلُّ.

وعن علي بن الحسين قال: كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتواعده ويحلف له: ليحملنّ إليه مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر، أو يؤدي إليه الجزية! فسُقط في ذَرْعه[١]! فكتب إلى الحجاج: أن اكتب إلى ابن الحنفية فتهدّده وتواعده، ثم أعلمني ما يرد وتواعده عليك منه.

فكتب الحجاج إلى ابن الحنفية بكتاب شديد يتهدده ويتواعده بالقتل. قال: فكتب إليه ابن الحنفية: إن لله عز وجل ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه، وأنا أرجو أن ينظر الله عز وجل إليَّ نظرة يمنعني بها منك.

قال: فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك بن مروان، فكتب عبد الملك إلى ملك الروم نسخته.

فقال ملك الروم: ما خرج هذا منك، ولا أنت كتبت به، ولا خرج إلا من بيت نُبوّة.

أسند محمد ابن الحنفية الحديثَ عن جماعة من الصحابة، وعامّةُ حديثه عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهما السلام.

فمن حديثه عن أبيه علي بن أبي طالب قال: كثر على مارية أم إبراهيم عليه السلام في قبطي ابن عم لها كان يزورها ويختلف إليها.

فقال لي رسول الله ﷺ: «خذ هذا السيف فانطلق إليه، فإن وجدته عندها فاقتله». فقلت: يا رسول الله أكون في أمرك ـ إذا أرسلتني ـ كالسكة المحماة لا يثنيني شيء، حتى أمضي لما أرسلتني به، أو الشاهدُ يرى ما لا يرى الغائب؟ قال: «بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب». فأقبلتُ متوشحاً السيف فوجدته عندها فاخترطت السيف، فلما أقبلت نحوه عرف أني أريده فأتى نخلة فرقى فيها، ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه، فإذا هو أجبّ أمسح ما له ما للرَّجُل، لا قليل ولا كثير، فأغمدت السيف، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت»[٢].

وعن محمد بن سعد قال: بعث ابن الزبير إلى محمد ابن الحنفية: بايع لي. وبعث إليه عبد الملك. فقال: أنا رجل من المسلمين فإذا اجتمعوا على أحدكما بايعتُ. فلما قتل ابن الزبير بايع لعبد الملك، ومات في سنة إحدى وثمانين وله خمس وستون سنة، ودفن بالبقيع. رحمه الله.

١٥٩ ـ سعيد بن المسيب بن حزن

يكنى أبا محمد، ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر رضي الله عنه.

---

(١) الذَّرْع: من معانيه: الوسع والطاقة ـ كما في النهاية (ذ ـ ر ـ ع) ـ والمقصود: خاف.

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٢/ ٢٣٧) وهو في مجمع الزوائد (٤/ ٣٢٩) مطولاً.

١٥٩ ـ سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٢١٩)، تاريخ الإسلام (٤/ ٤) و(٤/ ١٨٨)، تذكرة الحفاظ (١/ ٥١)، تهذيب التهذيب (٤/ ٨٤)، الحلية (٢/ ١٦١)، شذرات الذهب (١/ ١٠٢)، طبقات ابن سعد (٥/ ١١٩)، العبر (١/ ١١٠)، سير أعلام النبلاء (٢٤/ ٤٥٣).

عن سعد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيب قال: ما بقي أحد أعلم بقضاءٍ قضاه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر مني.

وعن عبد الرحمن بن حرملة قال: ما كان إنسان يجترئ على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يُستأذن الأمير.

وعن مالك: أن رجلاً جاء إلى سعيد بن المسيب ـ وهو مريض ـ فسأله عن حديث وهو مضطجع، فجلس فحدثه. فقال له ذلك الرجل: وددت أنك لم تتعنّ. فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع.

وعن مالك قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: ما كان عالم بالمدينة إلا يأتيني بعلمه وأوتى بما عند سعيد بن المسيب[١].

وعن أبي عيسى الخراساني عن سعيد بن المسيب قال: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكارٍ من قلوبكم، لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة.

وعن يزيد بن حازم قال: كان سعيد بن المسيب يَسرُد الصومَ.

وعن بُرد ـ مولى ابن المسيب ـ قال: ما نودي بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد.

وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العَتَمة خمسين سنة.

وعن علي بن زيد عن سعيد بن المسيّب قال: ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قِبل النساء.

وقال لنا سعيد ـ وهو ابن أربع وثمانين سنة، وقد ذهبت إحدى عينيه، وهو يعشو بالأخرى ـ: ما من شيء أخوف عندي من النساء.

وعن عبد الله بن محمد، قال: قال سعيد بن المسيب: ما أكرمت العبادُ أنفسها بمثل طاعة الله عز وجل، ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نصرة من الله عز وجل أن يرى عدوّه يعمل بمعصية الله.

وعن سعيد بن المسيب قال: من استغنى بالله افتقر إليه الناس.

وعن سفيان بن عيينة قال: قال سعيد بن المسيب: إن الدنيا نذالةٌ، هي إلى كل نذلٍ أَمْيَلُ، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها، ووضعها في غير سبُلها.

وعن مالك بن أنس قال: قال سعيد بن المسيب: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيبٌ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذكر عيوبه: من كان فضله أكثر من نقصه وُهِب نقصه لفضله.

اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة من أخبار سعيد بن المسيب؛ لأنا قد أفردنا لجميع أخباره كتاباً مبسوطاً، فمن أراد الزيادة في أخباره فلينظر في ذلك.

---

(١) كذا في المطبوع، ولعله: وكنت أنا آتي إلى ما عند سعيد بن المسيب ا.هـ. والله أعلم.

وقد أسند سعيد عن عمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وأُبَيّ بن كعب، وعمار بن ياسر، ومعاذ بن جبل، وابن عمر، وأبي الدرداء، وعقبة بن عامر، وصهيب، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وسلمان، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وابن عباس وعمرو بن أبي سلمة، وعائشة، وأم سلمة في آخرين.

ومات رضي الله عنه بالمدينة، وهو ابن أربع وثمانين سنة على خلافٍ بينهم في ذلك. رحمه الله.

١٦٠ ـ سليمان بن يَسار

مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ. ويقال: كان مكاتباً لها، يكنى أبا أيوب.

عن مصعب بن عثمان قال: كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهاً، فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه؟ فامتنع عليها. فقالت له: ادنُ. فخرج هارباً عن منزله وتركها فيه. قال سليمان: فرأيت بعد ذلك يوسف عليه السلام فيما يرى النائم، وكأني أقول له: أنت يوسف؟ قال: نعم أنا يوسف الذي هممتُ، وأنت سليمان الذي لم تهمّ(١).

وقد رُويت لنا هذه القصة عن عطاء بن يسار أخي سليمان. والله أعلم.

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجّين من المدينة، ومعهما أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلاً، فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم، وبقي عطاء بن يسار قائماً في المنزل يصلي.

قال: فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجةً، فأوجزَ في صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قال: ما هي؟ قالت: قم فأصِب مني، فإني قد ودِقتُ ولا بعل لي! فقال: إليك عنّي لا تحرقيني ونفسَك بالنار.

ونظر إلى إمرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسه، ويأبى إلا ما يريد. قال: فجعل عطاء يبكي ويقول: ويحكِ إليكِ عني. قال: [و] اشتد بكاؤه فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه. قال: فجعل يبكي والمرأة بين يديه تبكي، فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته فلما نظر إلى عطاء يبكي والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدري ما أبكاهما؟ وجعل أصحابهما يأتون رجلاً رجلاً كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم، لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت، فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت.

قال: فقام القوم فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالاً له وهيبةً. قال: وكان أسنَّ منه.

---

١٦٠ ـ سُليمان بن يَسار ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٠)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٩٩)، طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٤)، شذرات الذهب (١/ ١٣٤)، الحلية (٢/ ١٩٠)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٢٨)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٢٣٤)، تاريخ الإسلام (٤/ ٤١).

(١) ولا ينبغي مثل هذا الكلام، وفي صحة هذه الرواية عنه نظر دون هلاك عقائد. لأنه يوسف ـ عليه السلام ـ إنما همَّ بالدفع لا بالمباشرة والإقبال!! وانظر التعليق الآتي.

قال: ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله، فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكي، فقال سليمان: مايبكيك يا أخي؟ قال: فاشتدّ بكاؤه. قال: ما يبكيك يا أخي؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة. قال: وما هي؟ قال: لا تخبر بها أحداً ما دمتُ حياً: رأيت يوسف النبي ﷺ في النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه، فلما رأيت حسنه بكيت، فنظر إليّ في الناس فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ فقلت: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، ذكرتك وامرأةَ العزيز وما ابتُليتَ به من أمرها، وما لقيتَ من السجن وفرقة يعقوب، فبكيت من ذلك، وجعلت أتعجّب منه. قال: فهلا تعجّبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذي أراد فبكيت، واستيقظت باكياً(١).

قال سليمان: أي أخي وما كان من حال تلك المرأة؟ فقصّ عليه عطاء القصة، فما أخبر بها سليمان أحداً حتى مات عطاء، فحدث بها بعده امرأة من أهله قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار رضي الله عنهما.

وعن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: كان سليمان بن يسار يصوم الدهر، وكان عطاء بن يسار يصوم يوماً ويفطر يوماً.

أسند سليمان عن أبي هريرة وابن عمرو، وابن عباس في خلق كثير من الصحابة.

وتوفي سنة سبع ومائة. وقيل: سنة ثلاث ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

وأسندَ عطاء بن أُبَيّ بن كعب، وابن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري في خلق كثير من الصحابة.

توفي سنة ثلاث ومائة. وقيل: سنة أربع وتسعين، وكان يكنى أبا محمد، وهو مولى ميمونة أيضاً رضي الله عنهما.

---

(١) أقول: لعل هذه الرواية هي الصحيحة، وهي لا بأس بها، أما السابقة فمُقْلِقَةٌ جداً.

ومن الطبقة الثانية من أهل المدينة

١٦١ ـ عروة بن الزبير بن العوام

أمه: أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: يا بُنيّ سَلُوني، فلقد تُركت حتى كدت أنسى، وإني لأسأل عن الحديث فيفتح لي حديث يومي. وعن أبي الزناد قال: اجتمع في الحِجر قوم فقالوا: تمنوا.

فقال عروة: أنا أتمنى أن يؤخذ عني العِلْم.

وعن الزُهري قال: كان عروة يتألف الناس على حديثه.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال عروة بن الزبير: رُبّ كلمة ذُلٍّ احتملتها أورثتني عزاً طويلاً.

وعنه عن أبيه قال: إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أختها، وإن السيئة تدل على أختها.

وعنه قال: قال عروة لبنيه: يا بَنيّ تعلموا، فإنكم إن تكونوا صغارَ قومٍ عسى أن تكونوا كبارهم. واسوأتاه! ماذا أقبح من شيخ جاهل؟!..

وعن ابن شوذب قال: كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب ثلم حائطه فيدخل الناس فيأكلون ويحملون، وكان إذا دخله ردّد هذه الآية فيه حتى يخرج منه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩][1].

وكان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم نظراً في المصحف، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قُطِعت رجله، ثم عاود من الليلة المقبلة.

وعن هشام بن عروة قال: خرج أبي إلى الوليد بن عبد الملك فوقعت في رجله الأكلة، فقال له الوليد: يا أبا عبد الله أرى لك قطعَها؟ قال: فقطعت، وإنه لصائم فما تضوَّر وجهه. قال: ودخل ابنٌ له ـ أكبر ولده ـ اصطبله فرفسته دابة فقتلته، فما سُمِع من أبي في ذلك شيء، حتى قدم المدينة فقال: اللّهم إنه كان لي بنون أربعة فأخذت واحداً، وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وكان لي أطراف أربعة

---

١٦١ ـ عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ انظر التاريخ الكبير (٧/ ٣١) حلية الأولياء (٢/ ١٩٠) الجرح والتعديل (٦/ ٣٩٥) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٨).

(١) في المطبوع زيادة لا معنى لها: «حتى يخرج».

فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وايم الله لئن أخذت فلقد أبقيت، ولئن ابتليت طالما عافيت.

وعن مسلمة بن محارب قال: وقعت في رِجل عروة الأكلة، وقطعت ولم يَدَع تلك الليلة وِرده، وقطعت ولم يمسكه أحد.

قال العباس بنْ مزيد: أخبرني أبي قال: قال أبو عمرو الأوزاعي: خرجتْ في بطن قدمه ـ يعني عروة ـ بثرة، فترامى به ذلك إلى أن نُشرَت ساقه، فقال لما نشرت: اللَّهم إنك تعلم أني لم أمش بها إلى حرامٍ قط أو إلى سوءٍ قَط.

وعن نافع بن ذؤيب قال: لما قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك فخرج برجله الأكلة فبعث إليه ـ يعني الوليد ـ بالأطباء فأجمع رأيهم على [أنهم] إن لم ينشروها قتلته، فقال: شأنكم بها؟ قالوا: نسقيك شيئاً لئلا تحس بما نصنع بك. قال: لا، شأنكم بها. قال: فنشروها بالمنشار فما حرك عضواً عن عضو، وصبر، فلما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها في يده، ثم قال: أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أنه ما مشيت بك إلى حرام قط ـ أو قال: معصية ـ.

وعن هشام بن عروة: أن أباه كان يسرد الصوم.

وعن مالك بن أنس قال: رأى عروة رجلاً يصلي فخفف فدعاه، وقال: أما كانت لك إلى ربك سبحانه وتعالى حاجة؟ إني لأسأل الله تبارك وتعالى في صلاتي؛ حتى أسأله الملح.

وعن هشام عن أبيه قال: إذا جعل أحدكم لله عز وجل شيئاً فلا يجعل له ما يستحي أن يجعله لكريمه، فإن الله تبارك وتعالى أكرم الكرماء، وأحق من اختير له.

قال هشام: كان أبي لا يفطر، ولقد مات يوم مات وهو صائم.

أسند عروة عن علي بن أبي طالب عليه السلام، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمرو، وأبي أيوب الأنصاري، وأسامة، وأبي هريرة، وابن عباس، ومعاوية، والمسور بن مخرمة، والنعمان بن بشير، وعبد الله بن الأرقم، وعائشة في خلق يطول إحصاؤهم. توفي سنة أربع وتسعين في ناحية الفرع، ودفن هنالك. رحمه الله.

١٦٢ ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رحمهم الله تعالى

وأمه أم ولد، يكنى أبا محمد، عن يحيى بن سعيد قال: ما أدركنا أحداً بالمدينة نفضّله على القاسم بن محمد.

---

١٦٢ ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ: سير أعلام النبلاء (٢٤/ ٥٤٣)، تاريخ الإسلام (٤/ ١٨٢)، شذرات الذهب (١/ ١٣٥)، وفيات الأعيان (٤/ ٥٩)، العبر (١/ ١٣٢)، الحلية (٢/ ١٨٣)، طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٢٣)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٥).

وعن أيوب قال: رأيت على القاسم رداء قد صُبغ بشيءٍ من زعفران، ويدَعُ مائة ألفٍ لم يتلجلج في نفسه شيء منها.

وعنه قال: ما رأيت رجلاً أفضل من القاسم، ولقد ترك مائة ألفٍ وهي له حلال.

وعن مالك: أن عمر بن عبد العزيز قال: لو كان لي من الأمر شيء لولّيت القاسم بن محمد الخلافة.

وعن أبي الزناد قال: ما رأيت أحداً أعلم بالسنّة من القاسم بن محمد، وكان الرجل لا يُعدّ رجلاً حتى يعرف السنّة.

وعن أيوب قال: سمعت القاسم يُسألَ بمنىً؟ فيقول: لا أدري، لا أعلم. فلما أكثروا عليه، قال: والله لا نعلم كلّ ما تسألونا عنه، ولو علمنا ما كتمناكم ولا حلّ لنا أن نكتمكم.

وعن يحيى بن سعيد قال: سمعت القاسم يقول: ما نعلم كل ما نُسأل عنه، ولأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله تعالى عليه خيرٌ له من أن يقول ما لا يعلم.

وعن محمد بن إسحاق قال: جاء أعرابي إلى القاسم بن محمد فقال: أنت أعلم أم سالم؟ قال: ذاك منزل سالم. لم يزده عليها، حتى قام الأعرابي.

قال محمد بن إسحاق: كره أن يقول: هو أعلم مني فيكذب، أو يقول: أنا أعلم منه فيزكي نفسه.

وعن أبي الزناد عن أبيه قال: ما كان القاسم يجيب إلا في الشيء الظاهر.

وعن سفيان قال: اجتمعوا إلى القاسم بن محمد في صدقة قسّمها، قال: وهو يصلي، فجعلوا يتكلمون، فقال ابنه: إنكم اجتمعتم إلى رجل والله ما نال منها درهماً ولا دانِقاً. قال: فأوجز القاسم، ثم قال: يا بُني قل: فيما علمت. قال سفيان: صدق ابنُه، ولكنه أراد تأديبه في النطق، وحِفْظَه.

أسند القاسم عن أبي هريرة، وابن عباس، وعائشة، وأسلم مولى عمر، وصالح بن خوّات في آخرين.

وتوفي سنة ثمانٍ ومائة. وقيل: سنة تسع، وهو ابن سبعين أو اثنتين وسبعين سنة، وكان قد ذهب بصره.

عن رجاء بن أبي سلمة قال: مات القاسم بن محمد بين مكة والمدينة حاجّاً أو معتمراً، فقال لابنه: سُنَّ عليَّ التراب سَنّاً، وسَوِّ عليَّ قَبري، والْحقْ بأهلك، وإياك أن تقول: كان وكان ـ رحمه الله ـ.

١٦٣ ـ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمهم الله تعالى

أمه أم ولد، يكنى أبا عمر، وكان أشبه أولاد أبيه به، وكان أبوه يحبه حباً شديداً، فإذا قيل له في ذلك؟ أنشد:

يـلـومـونـنـي فـي سـالـمٍ، وألـومـهـم وجـلـدةُ بـيـن الـعـيـن والأنـفِ سـالـمُ

عن حنظلة قال: رأيت سالم بن عبد الله بن عمر يخرج إلى السوق فيشتري حوائج نفسه.

وعن هوذة بن عبد العزيز قال: رحم سالمَ بنَ عبد الله بن عمر رجلٌ. فقال سالم: بعض هذا رحمك الله؟ فقال له الرجل: ما أراك إلا رجل سوء.

فقال سالم: ما أحسبك أبعدتَ.

عن مالك قال: لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه، كان يلبس الثوب بدرهمين، قال له سليمان بن عبد الملك ورآه حسن السُّحنة: أي شيء تأكل؟ قال: الخبز والزيت، وإذا وجدتُ اللحمَ أكلته. فقال له: أَوَ تشتهيه؟ قال: إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيه.

وعن محمد بن أبي سارة قال: رأيت سالم بن عبد الله قدم علينا حاجّاً فصلّى العشاء، ثم قام إلى ناحية مما يلي باب بني سهم في الصلاة، فلم يزل يميل يميناً وشمالاً حتى طلع الفجر، ثم جلس فاحتبى بثوبه.

وعن سفيان بن عيينة قال: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجةً؟ فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله!

فلما خرج خرج في أثره فقال له: الآن قد خرجتَ فسلني حاجةً؟ فقال له سالم: حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا. فقال له سالم: ما سألتُ مَن يملكها، فكيف أسأل مَن لا يملكها.

أسند سالم عن أبيه، وأبي أيوب، وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. وتوفي في آخر ذي الحجة سنة ستٍ ومائة. وقيل: سنة ثمانٍ. رحمه الله تعالى.

١٦٤ ـ أبو بكر بن عبد الرحمن

ابن الحارث بن هشام بن المغيرة ليس له اسم، كنيته اسمه. ولد في خلافة عمر رضي الله عنه.

---

١٦٣ ـ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهم ـ: سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٢٤)، تاريخ الإسلام (١١٥/٤)، وفيات الأعيان (٣٤٩/٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٧/١/١)، تهذيب التهذيب (٤٣٦/٣)، الحلية (١٩٣/٢)، شذرات الذهب (١٣٣/١)، طبقات ابن سعد (١٩٥/٥).

١٦٤ ـ أبو بكر بن عبد الرحمٰن ـ رضي الله عنه ـ: تاريخ الإسلام (٧٢/٤)، شذرات الذهب (١٠٤/١)، تاريخ ابن كثير (١١٥/٩)، تهذيب التهذيب (٢٩٥/٩ و٣٠/١٢)، الحلية (١٨٧/٢).

قال محمد بن إسحاق الثقفي: رأيت في كتاب أبي بكر بن حسان: أن أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث كان يقال له «راهب قريش» لكثرة صلاته.

وقال الزبير بن بكّار: كان أبو بكر بن عبد الرحمن يقال له «راهب المدينة».

أسند أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبي مسعود الأنصاري، وأبي هريرة، وعائشة، وأم سلمة وغيرهم، وكان حارساً لعرضه حتى إنه أودع مالاً فأُصيب، فقال له عروة: لا ضمان عليك.

قال: قد علمتُ، ولكن لا تتحدث قريش أن أمانتي خرِبت. فباع مالاً له فقضاه، وكان قد ذهب بصره.

ودخل يوماً إلى مغتَسله فمات فيه فُجَاءَةً، وذلك في سنة أربع وتسعين، وهي سنة الفقهاء.

١٦٥ ـ علي بن الحسين بن علي

ابن أبي طالب عليهم السلام: أمه أم ولد اسمها غزالة، وهو عليّ الأصغر، وأما الأكبر فإنه قُتل مع الحسين عليهما السلام.

وكان عليّ هذا مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، إلا أنه كان مريضاً نائماً على فراش فلم يُقتل. وكان يكنى أبا الحسين، وقيل: أبا محمد.

عن عبد الرحمن بن حفص القرشي قال: كان علي بن الحسين إذا توضأ يصفرّ! فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي مَنْ أريد أن أقوم؟

وعن عبد الله بن أبي سليم قال: كان علي بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يدُه فخذَه، ولا يخطر بيده، وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعدة، فقيل له: ما لك؟ فقال: ما تدرون بين يدي مَن أقوم؟ ومن أناجي؟

وعن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد، فجعلوا يقولون له: يا ابن رسول الله النار! يا ابن رسول الله النار! فما رفع رأسه حتى أُطفئت! فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ قال: ألهتني عنها النار الأخرى.

وعن سفيان قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنه فقال له: إن فلاناً قد آذاكَ ووقع فيك. قال: فانطلقْ بنا إليه. فانطلقَ معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه، فلما أتاه قال: يا هذا إن كان ما قلتَ فيّ حقاً فغفر الله لي، وإن كان ما قلتَ فيّ باطلاً فغفر الله لك.

وعن أبي يعقوب المدني قال: كان بين حسن بن حسن وبين علي بن الحسين بعض الأمر،

---

١٦٥ ـ علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٦)، طبقات ابن سعد (٥/ ٢١١)، تاريخ ابن كثير (٩/ ١٠٣)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٤)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٦)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٣٤٣)، العبر (١/ ١١١).

فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين ـ وهو مع أصحابه في المسجد ـ فما ترك شيئاً إلا قاله له. قال: وعليٌ ساكتٌ، فانصرف حسن، فلما كان في الليل أتاه في منزله، فقرع عليه بابه فخرج إليه فقال له علي: يا أخي إن كنت صادقاً فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك، السلام عليكم. وولى. قال: فاتّبعه حسن فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له، ثم قال: لا جرم؛ لا عدت في أمر تكرهه. فقال علي: وأنت في حِلٍّ مما قلتَ لي.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال علي بن الحسين: فَقْدُ الأحبةِ غربةٌ.

وكان يقول: اللّهم إني أعوذ بك أن تَحْسُنَ في لوامع العيون علانيتي وتقبح سريرتي، اللّهم كما أسأتُ وأحسنتَ إليّ فإذا عدتُ فعُدْ علي.

وكان يقول: إن قوماً عبدوا الله عز وجل رهبةً فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار.

وعنه: عن أبيه: أن علي بن الحسين كان لا يحب أن يعينه أحد على طَهوره، وكان يستقي الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام، فإذا قام من الليل بدأ بالسواك، ثم يتوضأ ثم يأخذ في صلاته، وكان يقضي ما فاته من صلاة النهار بالليل، ثم يقول: يا بَنيَّ ليس هذا عليكم بواجب، ولكن أحبُّ لِمن عوَّد نفسه منكم عادة من الخير أن يدوم عليها.

وكان لا يدع صلاة الليل في الحضر والسفر، وكان يقول: عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة، ثم هو غداً جيفةٌ؟! وعجبت كل العجب لمن شكَّ في الله وهو يرى خلقه؟! وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى؟! وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء؟!

وكان إذا أتاه السائل رحّب به وقال: مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة. وكلّمه رجل فافترى عليه. فقال: إن كنّا كما قلتَ فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلتَ فغفر الله لك. فقام إليه الرجل فقبّل رأسه وقال: جُعِلتُ فداك، ليس كما قلتُ أنا، فاغفر لي. قال: غفر الله لك. فقال الرجل: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وعن شيبة بن نعامة قال: كان علي بن الحسين يبخل، فلما مات وجدوه يَقُوْت مائة أهل بيت بالمدينة.

وعن محمد بن إسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم؟. فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتَون به بالليل.

وعن أبي حمزة الثمالي قال: كان علي بن الحسين يحمل جَراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به، ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل.

وعن عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سُوْدٍ في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل جُرُب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة.

وعن ابن عائشة قال: قال: إني سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين.

وعن سفيان قال: أراد علي بن الحسين الخروج في حجٍّ أو عمرة، فاتخذت له سكينة بنت الحسين سُفْرَةً أنفقت عليها ألف درهم أو نحو ذلك، وأرسلت بها إليه، فلما كان بظهر الحرَّة أمر بها فقُسِّمت على المساكين.

وعن سعيد بن مرجانة أنه قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرْب منها إرباً منه من النار، حتى إنه يعتق باليد اليدَ، وبالرِّجل الرِّجلَ، وبالفَرْجِ الفَرْج».

فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ قال سعيد: نعم. فقال لغلام له ـ أفره غلمانه ـ: ادعُ مطرفاً. فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حر لوجه الله عز وجل. أخرجاه في الصحيحين[1].

وكان عبد الله بن جعفر قد أعطى عليَّ بن الحسين بهذا الغلام الذي أعتقه ألفَ دينار.

وعن محمد بن حاطب، عن علي بن الحسين: أنه أتاه نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم؟! فلما فرغوا فقال: ألا تخبروني: أنتم المهاجرون الأوّلون ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]؟ قالوا: لا. قال: فأنتم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]؟ قالوا: لا. قال: أمّا أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين. ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠] اخرجوا، فعل الله بكم.

وقال نافع بن جبير لعلي بن الحسين: أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه؟ ـ يعني زيد بن أسلم ـ فقال: إنه ينبغي للعلم أنْ يتَّبع حيثما كان.

وعن ابن عائشة، عن أبيه قال: حجَّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة، فاجتهد أن يستلم الحَجَر، فلم يمكنه. قال: وجاء علي بن الحسين فوقف له الناس وتنحَّوا حتى استلم. فقال الناس لهشام: من هذا؟ قال: لا أعرفه.

فقال الفرزدق: لكني أعرفه، هذا علي بن الحسين:

هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهمِ ... هذا التقيُّ [النَّقِيُّ] الطاهرُ العلَمُ
هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَه ... والبيتُ يعرِفه والحِلُّ والحَرَمُ

---

(١) أخرجه مسلم البخاري (٢٥١٧ و٦٧١٥) ومسلم (١٥٠٩) مختصراً، وابن الجارود في المنتقى (١/ ٢٤٣) وأبو عوانة في مسنده (٣/ ٢٤٢) والترمذي (١٥٤١).

يـكـاد يـمـسـكـه عـرفـانُ راحـتـه ركنَ الـحـطـيـم إذا مـا جـاء يـسـتـلـم
إذا رأتـه قـريـشٌ قـال قـائـلُـهـا إلـى مـكـارم هـذا يـنـتـهـي الـكـرمُ
إنْ عُـدَّ أهـلُ الـتـقـى كـانـوا أئـمـتَـهـم أو قيل: من خيرُ أهل الأرض؟ قيل: همُ
هـذا ابـنُ فـاطـمـةَ إن كـنـتَ جـاهـلَـه بـجَـدِّه أنـبـيـاءُ الله قـد خُـتِـمـوا
ولـيـس قـولُـك: مـن هـذا؟ بـضـائـره الـعُـرْبُ تـعـرف مَـنْ أنـكـرتَ والـعـجـمُ
يُـغْـضـي حَـيـاءً ويُـغـضـى مـن مـهـابـتـه ولا يُـكَـلَّـم إلا حـيـن يـبـتـسـم

وعن صالح بن حسان قال: قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحداً أورع من فلان! قال: هل رأيت علي بن الحسين؟ قال: لا. قال: ما رأيتُ أحداً أورع منه.

وقال الزهري: لم أرَ هاشمياً أفضل من علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه.

وعن طاووس قال: رأيت علي بن الحسين ساجداً في الحِجر. فقلت: رجل صالح من أهل بيتٍ طيب، لأسمعن ما يقول! فأصغيت إليه فسمعته يقول: عُبَيْدُك بفِنائك، مسكينك بفِنائك، سائلُك بفِنائك، فقيرُك بفِنائك. فوالله ما دعوت الله بها في كرب إلا كشف الله عني.

وعن أبي جعفر قال: كان علي بن الحسين - رحمه الله - يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعةٍ، وتهيج الريح فيسقط مغشياً عليه.

وعن عبد الغفار بن القاسم قال: كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد، فلقيه رجل، فسبّه فثارت إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلاً عن الرجل. ثم أقبل على الرجل فقال: ما سُتِر عنك من أمرنا أكثر! ألك حاجة نُعينُك عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم. فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ﷺ.

وعن رجل من ولد عمار بن ياسر قال: كان عند علي بن الحسين قومٌ فاستعجل خادماً له بشواء كان له في التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً وسقط السَّفُّود من يده على بُنَيٍّ لعلي أسفل الدرجة فأصاب رأسه فقتله! فقال علي للغلام: أنت حر، لم تعمَّده. وأخذ في جهاز ابنه.

وعن عمرو بن دينار قال: دخل عليّ بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل محمد يبكي، فقال علي: ما شأنك؟ قال: عليَّ دين. قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار. قال: فهو علي.

وعن أبي جعفر محمد بن علي قال: أوصاني أبي قال: لا تصحبن خمسة، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في طريق. قال: قلت: جُعِلتُ فداءك يا أبت من هؤلاء الخمسة؟ قال: لا تصحبن فاسقاً فإنه يبيعك بأكلةٍ فما دونها. قال: قلت: يا أبة وما دونها؟ يطمع فيها، ثمّ لا ينالها.

قال: قلت: يا أبة ومن الثاني؟ قال: قال: لا تصحبن البخيل، فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه.

قال: قلت: يا أبت ومن الثالث؟ قال: لا تصحبن كذاباً، فإنه بمنزلة السراب يُبعِد منك القريب ويقرِّب منك البعيد.

قال: قلت: يا أبت ومن الرابع؟ قال: لا تصحبن أحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

قال: قلت: يا أبت ومن الخامس؟ قال: لا تصحبن قاطع رحم، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع.

أسند علي بن الحسين عن أبيه، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وصفية، وأم سلمة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وعن خلق كثير من التابعين.

وتوفي بالمدينة سنة أربع وتسعين، وقيل: ثنتين وتسعين، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة. رضي الله عنه.

١٦٦ ـ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

يكنى أبا عبد الله، وكان بحراً من البحور في العلم.

عن الزهري قال: أدركت أربعة بحور من قريش: سعيد بن المسيب، وأبا سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله، وعروة بن الزبير.

وعن المغيرة: قال عمر بن عبد العزيز: لو أدركني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة إذ وقعت فيما وقعت فيه لهان عليّ ما أنا فيه.

وعن ابن أبي الزناد، عن أبيه قال: ربما كنت أرى عمر بن عبد العزيز في إمارته يأتي عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة فربما حجبه، وربما أذن له!

أسند عبيد الله عن أبي طلحة، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وابن عباس، وسهل بن حنيف، وزيد بن خالد الجهني، وعائشة في آخرين، وذهب بصره.

وتوفي بالمدينة في سنة ثمانٍ وتسعين، ويقال: سبع وتسعين. رحمه الله تعالى.

١٦٧ ـ بسر بن سعيد

مولى الحضرميين. روى عن سعد بن أبي وقاص، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وكان من العبّاد المنقطعين، وأهل الزهد في الدنيا.

عن مالك قال: مات بسر ولم يدَعْ كفناً.

---

١٦٦ ـ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ: سير أعلام النبلاء (٢٤/ ٥١٠)، تاريخ الإسلام (٤/ ٣٠)، العبر (١/ ١١٦)، وفيات الأعيان (٣/ ١١٥)، طبقات ابن سعد (٥/ ٢٥٠)، شذرات الذهب (١/ ١١٤)، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٣)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٣١٢).

١٦٧ ـ بسر بن سعيد ـ مولى الحضرميين ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٢٤/ ٣٩٦)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢٤٥)، العبر (١/ ١١٩)، تهذيب التهذيب (١/ ٤٣٧)، طبقات ابن سعد (١/ ١/ ٤٢٣).

وعن مالك بن أنس قال: مات رجل من بني أمية من مترفيهم، ومات يومئذ بسر بن سعيد، فقال عمر بن عبد العزيز: إن كان المدخلان واحداً فعيش فلان أحبّ إلينا. فقال مزاحم: إنك لا تزال توغر من أخيك عليك!. فقال: إذا رأيتُ الحقَّ قلته.

١٦٨ ـ عكرمة مولى عبد الله بن عباس

يكنى أبا عبد الله، مات ابن عباس وهو عبد، فاشتراه خالد بن يزيد بن معاوية من علي بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار، فبلغ ذلك عكرمة فأتى علياً فقال: بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار؟ فراح علي إلى خالد فاستقاله، فأقاله، فأعتقه.

وعن الزبير بن الخرّيت عن عكرمة قال: كان ابن عباس يجعل في رِجلي الكبل، ويعلمني القرآن والسنن.

وعن جابر بن زيد قال: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا أعلم الناس.

وقال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة.

وقال قتادة: أعلمهم بالتفسير عكرمة.

وعن إبراهيم بن الحكم بن أبان قال: حدثنا أبي قال: كنت جالساً مع عكرمة بالساحل، فذكروا الذين يغرقون في البحار. فقال عكرمة: إن الذين يغرقون في البحار تتقسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شيء إلا العظام تلوح فتلقيها الأمواج إلى البَرّ، فتمكث العظام حيناً حتى تصير نَخِرة فتمرّ بها الإبل فتأكلها، ثم تسير الإبل فتبعر، ثم يجيء قوم فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه، ثم تخمد تلك النار فتجئ ريح فتلقي ذلك الرماد على الأرض، فإذا جاءت النفخة خرج أولئك وأهل القبور سواءً.

قال إبراهيم: وحدثني أبي عن عكرمة قال: لكل شيء أساس، وأساس الإسلام الخلقُ الحسن.

أسند عكرمة عن ابن عمرو، وابن عباس، وأبي سعيد، وأبي هريرة، والحسين بن علي، وعائشة في آخرين.

وعن خالد السختياني عن عكرمة قال: أدركت مئين من أصحاب رسول الله ﷺ في هذا المسجد.

ومات عكرمة في سنة أربعٍ ومائة، وقيل: سنة خمسٍ، وقيل: سنة ستٍّ، وقيل: سنة سبعٍ وهو ابن ثمانين سنة.

ومات هو وكُثَيِّرُ عَزَّة في يوم واحدٍ فقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس.

---

١٦٨ ـ عكرمة ـ مولى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: سير أعلام النبلاء (٢٤/٥١٧)، تاريخ الإسلام (٤/١٥٦)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٥)، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٥)، طبقات ابن سعد (٥/ ٢٨٧)، الحلية (٣/ ٣٢٦)، شذرات الذهب (١/ ١٣٠)، العبر (١/ ١٣١).

١٦٩ ـ زياد بن أبي زياد

مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي، واسم أبي زياد ميسرة، وكان زياد عبداً، وكان عمر بن عبد العزيز يستزيره ويكرمه، وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه فأبى وأعتقه.

وقد روى زياد عن أنس بن مالك. وقال مالك بن أنس: كان زياد عابداً معتزلاً، لا يزال يذكر الله تعالى، ويلبس الصوف، ولا يأكل اللحم.

وقال محمد بن المنكدر: إنني خلّفت زياد بن أبي زياد وهو يخاطب نفسه في المسجد، يقول: اجلسي! أين تريدين أن تذهبي؟ أتخرجين إلى أحسنَ من هذا المسجد؟ انظري إلى ما فيه؟ تريدين أن تبصري دار فلان، ودارَ فلان، ودار فلان؟ قال: وكان يقول لنفسه: ما لك من الطعام يا نفسُ إلا هذا الخبز والزيت؟ وما لك من الثياب إلاّ هذان الثوبان؟ وما لك من النساء إلا هذه العجوز؟ أفتحبّين أن تموتي؟ فقالت: أنا أصبر على هذا العيش.

من الطبقة الثالثة
من أهل المدينة

١٧٠ ـ علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

أمُه زُرعة بنت مشرح، ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب عليه السلام في رمضان سنة أربعين فسمي باسمه، وكني بكنيته. فقال له عبد الملك بن مروان: لا أحتمل لك الاسم والكنية! فغير كنيته فصيرّها أبا محمد، وكان أجمل قُرشي على وجه الأرض، وأكثره صلاة. وكان يقال له: السجَّاد.

وعن علي بن أبي جملة والأوزاعي قالا: كان علي بن عبد الله بن عباس يسجد كل يوم ألف سجدة.

وعن هشام بن سليمان المخزومي: أن علي بن عبد الله بن عباس كان إذا قدم مكة حاجّاً أو معتمراً عطّلت قريش مجالسها في المسجد الحرام، وهجرت مواضع حلقها، ولزمت مجلس علي بن عبد الله إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً، فإن قعد قعدوا، وإن نهض نهضوا، وإن مشى مشوا جميعاً حوله، وكان لا يُرى لقرشي في المسجد الحرام مجلسُ ذكر يجتمع إليه فيه حتى يخرج علي بن عبد الله من الحرم.

عامّة مسانيد علي بن عبد الله عن أبيه، وتوفي بالشام سنة سبعَ عشرة ومائة. ويقال: ثماني عشرة رضي الله عنه.

---

١٦٩ ـ زياد بن أبي زياد ـ مولى ابن عياش ـ: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٤٥)، تاريخ الإسلام (٥/ ٧٢)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٦٧)، الجرح والتعديل (٣/ ٥٣٢)، الحلية (٩/ ٢٩٧)، تاريخ بغداد (٨/ ٤٧٤)، المنتظم (٧/ ٩١).

١٧٠ ـ علي بن عبد الله بن العباس ـ رضي الله عنهم ـ: تاريخ الإسلام (٤/ ٢٨٢)، شذرات الذهب (١/ ١٤٨)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٧)، الجرح والتعديل (٦/ ١٩٣).

١٧١ ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين

ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام: أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب. واسم ولده: جعفر وعبد الله. وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وإبراهيم وعلي وزينب وأم سلمة.

وعن زياد بن خيثمة عن أبي جعفر قال: الصواعق تُصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكر.

وعن منصور قال: سمعت محمد بن علي يقول: الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن، فإذا وصلا إلى مكان التوكل أَوْطِناهُ.

وعن عمر ـ مولى غفرة ـ عن محمد بن علي أنه قال: ما دخل قلبَ امرئ شيءٌ من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك، قلّ أو كثُر.

وعن جابر ـ يعني الجعفي ـ قال: قال لي محمد بن علي: يا جابر إني لمحزون، وإني لمشتغل القلب! قلت: وما حزنك؟ وما شغل قلبك؟ قال: يا جابر إنه من دخل قلبَه صافي خالص دين الله شغله عما سواه، يا جابر: ما الدنيا؟ ما عسى أن تكون؟ هل هو إلا مركب ركبته؟ أو ثوب لبسته؟ أو امرأة أصبتها؟ يا جابر: إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاءٍ فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يُصِمَّهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يُعْمِهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونةً وأكثرهم لك معونةً، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك، قوّالين بحق الله، قوامين بأمر الله، فأنزل الدنيا كمنزلٍ نزلت به وارتحلتَ منه، أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء! واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته.

وعن حسين بن حسن قال: كان محمد بن علي يقول: سلاح اللئام قبيح الكلام.

وعنه قال: والله لموت عالمٍ أحبُّ إلى إبليس من موت سبعين عابداً.

وعن خالد بن أبي الهيثم، عن محمد بن علي بن الحسين قال: ما اغْرَورَقَتْ عينٌ بمائها إلا حرّم الله وجه صاحبها على النار، فإن سالت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، وما من شيء إلا له جزاء إلا الدمعة، فإن الله يكفّر بها بحور الخطايا، ولو أن باكياً بكى في أمّة لحرّم الله تلك الأمّة على النار.

وعن الأصمعي قال: قال محمد بن علي لابنه: يا بنيّ إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شرٍّ، إنك إن كسلت لم تؤدّ حقاً، وإن ضجرتَ لم تصبر على حق.

---

١٧١ ـ محمد بن علي بن الحسين: أبو جعفر ـ رضي الله عنهم ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦ و٢١٣ ـ ٢١٦) و(٢/ ٢٢٠ و٢٢٥ و٢٤٩ و٢٧٦) و(٣/ ١٤١ و٢١٣ و٢٦٢ و٢٦٦ و٢٦٨ و٢٧٣ و٢٨٤ و٣٠٦ و٣٩٣ و٣٩٧ و٤٠٥) و(٤/ ٣٩٢ و٣٩٣ و٣٩٧ و٤٠٠ و٤٠٥ و٤٠٧ و٤٠٨) و(٥/ ٨١ و١٢٠ و٣٢٠) و(١٠/ ٢٣٥) و(١٣/ ٧٦) و(١٦/ ٣٥).

عن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي: عن حلية السيوف؟ فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه. قال: قلت: وتقول: الصديق؟ قال: فوثب وثبةً، واستقبل القبلة، ثم قال: نعمْ؛ الصدّيق، نعم، الصديق، نعم؛ الصدّيق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة.

وعن عمرو بن شمر عن جابر قال: قال لي محمد بن علي: يا جابر بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبُّوننا وينالون أبا بكر وعمر، ويزعمون أني أمرتهم بذلك؟! فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده لو وُلّيت لتقربت إلى الله عز وجل بدمائهم، لا نالتني شفاعةُ محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحَّم عليهما! إن أعداء الله لغافلون عنهما.

وعن أفلح ـ مولى محمد بن علي ـ قال: خرجت مع محمد بن علي حاجّاً، فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته. فقلت: بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك، فلو رفقت بصوتك قليلاً! قال: ويحك يا أفلح، ولم لا أبكي؟ لعل الله ينظر إليّ منه برحمة فأفوز بها عنده غداً. قال: ثم طاف بالبيت، ثم جاء حتى ركع عند المقام، فرفع رأسه من سجوده، فإذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه.

وعن خالد بن دينار عن أبي جعفر: أنه كان إذا ضحك قال: اللّهم لا تمقتني.

وعن عبد الله بن عطاء قال: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم علماً عند أبي جعفر: محمد ابن علي، لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم.

وعن أحمد بن يحيى قال: قال محمد بن علي: كان لي أخ في عيني عظيمٌ، وكان الذي عظمه في عيني صغرَ الدنيا في عينه.

وعن موسى بن عمير، عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أنه كان يقول في جوف الليل: أمرتني فلم آتمر، وزجرتني فلم أزدجر، هذا عبدك بين يديك، ولا أعتذر[1].

قال محمد بن مسعر: قال جعفر بن محمد: فَقَدَ أبي بغلةً له؟ فقال: لئن ردها الله عز وجل لأحمدنّه محامد يرضاها. فما لبث أن أُتيَ بها بسرجها ولجامها، فركبها، فلما استوى عليها وضمّ عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال: الحمد لله. لم يزد عليها. فقيل له في ذلك؟ فقال: وهل تركتُ أو أبقيت شيئاً؟ جعلت الحمد كله لله عز وجل.

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ما من عبادةٍ أفضل من عفّة بطن أو فرج، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يُسأل، وما يدفع القضاءَ إلا الدعاء، وإن أسرع الخير ثواباً البرُّ، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه.

---

(١) أي أعترف بذنوبي وتقصيري، ولا أبررها معتذراً مخفِّفاً من جنايتي فيها.

وعن عبد الله بن الوليد قال: قال لنا أبو جعفر ـ محمد بن علي ـ: يُدخل أحدُكم يده كيس صاحبه فيأخذ ما يريد؟ قال قلنا: لا. قال: فلستم إخواناً كما تزعمون.

وعن سلمى ـ مولاة أبي جعفر ـ قالت: كان يدخل إليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيّب، ويكسوهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم. قالت: فأقول له: بعض ما تصنع؟ فيقول: يا سلمى؛ ما يؤمَّل في الدنيا بعد المعارف والإخوان؟

وعن سليمان بن قرم قال: كان محمد بن علي يجيز بالخمسمئة والتسعمئة إلى الألف، وكان لا يملّ من مجالسة إخوانه غنياً[١].

وعن الأسود بن كثير قال: شكوت إلى محمد بن علي الحاجة وجفاء الإخوان؟ فقال: بئس الأخ أخٌ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً! ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبع مائة درهم فقال: استنفق هذه، فإذا نفدت فأعلمني.

وعن أبي جعفر قال: اعرِف المودة لك في قلب أخيك بما له في قلبك.

أسند أبو جعفر عن جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وابن عباس، وأنس، والحسن، والحسين.

وروى عن سعيد بن المسيب وغيره من التابعين، ومات في سنة سبع عشرة ومائة، وقيل: ثماني عشرة، وقيل: أربع عشرة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقيل: ثمان وخمسين. وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه. رضي الله عنه وأرضاه.

١٧٢ ـ عمر بن عبد العزيز بن مروان

يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

قال محمد بن سعد: قال ابن شوذب: لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر بن عبد العزيز قال لقيِّمه: اجمع لي أربع مائة دينار من طيب مالي، فإني أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح. فتزوج أم عمر بن عبد العزيز.

قال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم.

قال حميد بن زنجويه: قال أحمد بن حنبل: يُروَى في الحديث: «أن الله تبارك وتعالى يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها»[٢]، فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز، ونظرنا في المائة الثانية فإذا هو الشافعي.

---

(١) أي: لا يملّ من المجالسة لأنه غني.

١٧٢ ـ عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢١) و(٥/ ١١١)، و(١١/ ٢٨٥)، طبقات ابن سعد (٥/ ٣٣٠)، تاريخ ابن كثير (٩/ ١٩٢)، تاريخ الإسلام (٤/ ١٦٤)، العبر (١/ ١٢٠)، شذرات الذهب (١/ ١١٩)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٧٥)، الحلية (٥/ ٢٥٣)، وفيات الأعيان (٦/ ٢٨٦)، كامل ابن الأثير (٤/ ٣٢٦).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ١٥٧) و(١٤/ ٢٠٢) و(١٧/ ١٩٥).

وعن الضحاك بن عثمان قال: لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صُفَّت له مراكب سليمان فقال:

ولولا التقى، ثم النهى خشيةَ الردى لعاصيت في حب الصبا كل زاجر
قضى ما قضى فيما قضى، ثم لا يرى له صبوة أخرى الليالي الغوابر

ثم قال: إن شاء الله، لا قوة إلا بالله، قدموا إلي بغلتي.

وعن سهل بن يحيى محمد المروزي قال: أخبرني أبي عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما دفن عمرُ بن عبد العزيز سليمانَ بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للأرض هدَّةً أو رجَّة فقال: ما هذه؟ فقيل: هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين، قُرِّبت إليك لتركبها. فقال: ما لي ولها! نحُوها عني، قرّبوا إلي بغلتي. فقربت إليه بغلته فركبها، فجاءه صاحب الشرط يسير بين يديه بالحربة. فقال: تنحَّ عني ما لي ولك! إنما أنا رجل من المسلمين.

فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد، فصعد المنبر، واجتمع الناس إليه فقال: يا أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم.

فصاح المسلمون صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك، فَلِ أمرنا باليُمن والبركة. فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضي به الناس جميعاً حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ وقال: أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلَف من كل شيء، ليس من تقوى الله عز وجل خلف، فاعملوا لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم، وأكثروا ذكر الموت، وأحسنوا الاستعداد [له] قبل أن ينزل بكم. فإنه هادم اللذات، وإن من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلام أباً حياً لمعرق في الموت، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ولا في نبيها، ولا في كتابها، إنما اختلفوا في الدنيار والدرهم! وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقاً.

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال: يا أيها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم.

ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت، وأمر ببيعها وإدخال أثمانها في بيت مال المسلمين، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً، فأتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع؟ قال: أي بني أقيل. قال: تقيل ولا ترد المظالم؟ قال: أي بني إني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر رددُت المظالم. قال: يا أمير المؤمنين: من لك أن تعيش إلى الظهر؟ قال: ادنُ مني أي بني. فدنا منه فالتزمه وقبَّل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني. فخرج ولم يَقِلْ، وأمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها. فقام رجل إليه ذمِّي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله؟ قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي - والعباس

جالس! ـ فقال له: يا عباس ما تقول؟ قال: أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكتب لي بها سجلاً. فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل. فقال عمر: كتاب الله أحق أن يُتَّبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، قم فارددْ عليه يا عباس ضيعته. فردّ عليه فجعل لا يدع شيئاً مما كان في يده وفي يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمةً مظلمةً، فلما بلغت الخوارجَ سيرةُ عمر وما رد من المظالم اجتمعوا فقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل. فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب إليه: إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء، وعِبْتَ عليهم، وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشنئاً لمن بعدهم من أولادهم، قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها في بيت المال جوراً وعدواناً، ولن تُتْرَك على هذا.

فلما قرأ كتابه كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد السلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، أما بعد فإنه بلغني كتابك وسأجيبك بنحوٍ منه أما أول شأنك ـ ابنَ الوليد ـ كما زُعم ـ فأمُّك بنانة ـ أمة السكون ـ كانت تطوف في سوق حمص وتدخل وتدور في حوانيتها، ثم الله أعلم بها، اشتراها ذبيان من فيء المسلمين فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود، ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً. تزعم أني من الظالمين لم حرمتك وأهل بيتك فيء الله عز وجل الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل؟ وإن أظلمَ مني وأتركَ لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك! ولم تكن له في ذلك نية إلا حب الوالد لولده، فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماءكما يوم القيامة! وكيف ينجو أبوك من خصمائه؟ وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدم الحرام ويأخذ المال الحرام، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جافياً على مصر أذن له في المعارف واللهو والشرب، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من جعل لعالية البربرية سهماً في خُمس العرب! فرويداً يا ابن بنانة، فلو التقى حلَقتا البطان ورد الفيء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق، وأخذتم في بنيات الطريق، ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته: بيعُ رقبتك، وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل، فإن لكلٍّ فيك حقاً، والسلام علينا، ولا ينال سلامُ الله الظالمين.

عن عمر بن ذر قال: قال مولى لعمر بن عبد العزيز حين رجع من جنازة سليمان: ما لي أراك مغتماً؟ قال: لمثل ما أنا فيه يُغتم، إنه ليس من أمة محمد ﷺ أحدٌ في شرق الأرض وغربها إلا وأنا أريد أن أؤدي إليه حقه غيرَ كاتبٍ إليَّ فيه ولا طالِبه مني.

وعن بعض خاصة عمر بن عبد العزيز: أنه حين أفضت إليه الخلافة سمعوا في منزله بكاء عالياً، فسئل عن البكاء؟ فقيل: إن عمر بن عبد العزيز خيَّر جواريه فقال: إنه قد نزل بي أمر قد شغلني عنكن، فمن أحب أن أعتقه أعتقته، ومن أراد أن أمسكه أمسكته، ولم يكن مني إليها شيء. فبكين يأساً منه.

وعن مالك بن دينار قال: لما وُلِّي عمر بن عبد العزيز قالت رعاء الشاء في رؤوس الجبال: من

هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس؟ قال: فقيل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: إنه إذا قام خليفة صالح كفَّت الذئاب والأُسْد عن شائنا.

وعن مسلم قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتب وشمعة تزهر وهو ينظر في أمور المسلمين، قال: فخرج الرجل، فأُطفئت الشمعة، وجيء بسراج إلى عمر، فدنوت منه فرأيت عليه قميصاً فيه رقعة قد طبق ما بين كتفيه قال: فنظر في أمري.

وعن الثقة: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أما بعد فإنك كتبت إلى سليمان كتباً لم ينظر فيها حتى قُبض رحمه الله، وقد بليت بجوابك، كتبت إلى سليمان تذكر أنه يقطع لعمال المدينة من بيت مال المسلمين ثمن شمع كانوا يستضيئون به حين يخرجون إلى صلاة العشاء وصلاة الفجر، وتذكر أنه قد نفد الذي كان يُستضاء به، وتسأل أن يقطع لك من ثمنه بمثل ما كان للعمال، وقد عهدتك وأنت تخرج من بيتك في الليلة المظلمة الماطرة الوحلة بغير سراج، ولعمري لأنت يومئذ خير منك اليوم، والسلام.

وعن رجاء بن حيوة قال: كان عمر بن عبد العزيز من أعطر الناس وأخْيَلهم في مشيته، فلما استُخلف قوّموا ثيابه: اثني عشر درهماً؛ كُمَّته وعمامته وقميصه وقباءه وقرطقه[1] ورداءه وخُفَّيه.

وعن يونس بن أبي شبيب قال: شهدت عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبيت وإن حجزة إزاره لغائبة في عُكَنه، ثم رأيته بعدما استُخلف ولو شئت أن أعدّ أضلاعه من غير أن أمسّها لفعلت.

وعن مسلمة بن عبد الملك قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسخ! فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين. قالت: نفعل إن شاء الله. ثم عدت فإذا القميص على حاله! فقلت: يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين؛ فإن الناس يعودونه؟ قالت: والله ما له قميص غيره.

وعن الفهري عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفيء، فتناول ابنٌ له صغيرٌ تفاحة فانتزعها من فيه فأوجعه، فسعى إلى أمه مستعبِراً، فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحاً، فلما رجع عمر وجد ريح التفاح، فقال: يا فاطمة هل أتيت شيئاً من هذا الفيء؟ قالت: لا. وقصَّت عليه القصة، فقال: والله لقد انتزعتها من ابني لكأنما نزعتها من قلبي، ولكن كرهت أن أضيع نصيبي من الله عز وجل بتفاحة من فيء المسلمين.

وعن شيخ من أهل الشام قال: لما مات عمر بن عبد العزيز كان استودع مولى إليه سَفَطاً يكون عنده فجاؤوه فقالوا: السَّفط الذي كان استودعك عمر؟ قال: ما لكم فيه خير! فأبوا حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك، فدعا بالسفط ودعا بني أمية، وقال: خيركم هذا، فقد وجدنا له سفطاً وديعة قد استودعها. ففتحوه فإذا فيه مقطعات من مسوح كان يلبسها بالليل.

وعن عبد السلام ـ مولى مسلمة بن عبد الملك ـ قال: بكى عمر بن عبد العزيز، فبكت فاطمة فبكى أهل الدار لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء؟ فلما تجلت عنهم العبرة قالت له فاطمة: بأبي أنت يا

---

(١) القُرْطَق: قَبَاء يُلبس ا.هـ. النهاية (ق ـ ر ـ ط ـ ق).

أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله عز وجل: فريق في الجنة وفريق في السعير، ثم صرخ وغُشِيَ عليه.

وعن زياد بن أبي زياد المديني قال: أرسلني ابن عامر بن أبي ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز في حوائج له، فدخلت عليه وعنده كاتب يكتب فقلت: السلام عليكم.

فقال: وعليك السلام، ثم انتبهت فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال: يا ابن أبي زياد إننا لسنا ننكر الأولى التي قلتَ. والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة فقال لي: اجلس. فجلست على أَسْكُفَّة الباب وهو يقرأ وعمر يتنفس صعُداً، فلما فرغ أخرج من كان في البيت حتى وصيفاً كان فيه، ثم قام يمشي إليّ حتى جلس بين يدي ووضع يديه على ركبتي، ثم قال: يا ابن أبي زياد استدفأت في مدْرَعتك هذه! ـ قال: وعليَّ مِدْرعة من صوف ـ واسترحت مما نحن فيه، ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة رجالهم ونسائهم فما ترك منهم أحداً إلا سألني: عن أمور كان أمر بها بالمدينة؟ فأخبرته، ثم قال لي: يا ابن أبي زياد ألا ترى ما وقعت فيه؟ قال: قلت: أبشر يا أمير المؤمنين إني أرجو لك خيراً؟! قال: هيهات هيهات! قال: ثم بكى حتى جعلت أرثي له فقلت: يا أمير المؤمنين بعض ما تصنع، فإني أرجو لك خيراً. قال: هيهات هيهات، أشتمُ ولا أُشتم وأضرب ولا أُضرب وأوذي ولا أوذى. ثم بكى حتى جعلت أرثي له فأقمت حتى قضى حوائجي، ثم أخرج من تحت فراشه عشرين ديناراً فقال: استعن بهذه، فإنه لو كان لك في الفيء حق أعطيناك حقك، إنما أنت عبد. فأبيت أن آخذها. فقال: إنما هي نفقتي. فلم يزلْ بي حتى أخذتها، وكتب إلى مولاي يسأله أن يبيعني منه؟ فأبى وأعتقني.

وعن عمرو بن مهاجر قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي، ثم هزني، ثم قل: يا عمر ما تصنع؟

وعن عبيد الله بن محمد التميمي قال: سمعت أبي وغيره يحدث أن عمر بن عبد العزيز لما ولي منع قرابته ما كان يجري عليهم، وأخذ منهم القطائع التي كانت في أيديهم. فشكوا إلى عمته أم عمر. فدخلت فقالت: إن قرابتك يشكونك ويزعمون أنك أخذت منهم خير غيرك؟ قال: [ما] منعتهم حقاً، ولا أخذت منهم حقاً. فقالت: إني رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهجوا عليك يوماً عصيباً. فقال: كل يوم أخافه دون القيامة فلا وقاني الله شره! قال: ودعا بدينار وخبث ومجمرة فألقى الدينار في النار وجعل ينفخ على الدينار حتى إذا احمر تناوله بشيء فألقاه على الخبث فنشّ فقال: أي عمة أما تأدين[1] لابن أخيك من مثل هذا؟ فقامت فخرجت على قرابته فقالت: تزوجون إلى آل عمر، فإذا نزعوا الشُّبَهَ جزعتم، اصبروا له[2].

وعن أبي سليم الهذلي قال: وخطب عمر بن عبد العزيز فقال: أما بعد فإن الله عز وجل لم

---

(١) كذا في المطبوع «تأدين» ولعلها «تألمين».

(٢) أي: تتزوجون من آل عمر بن الخطاب وتستغربون أن تكون الذرية متطبعةً بشيمهم؟!

يخلقكم عبثاً، ولم يدع شيئاً من أمركم سدى، وإن لكم معاداً فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض، واشترى قليلاً بكثير، فانياً بباق، وخوفا بآمن! ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفها بعدكم الباقون؟! كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين، في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدع، ثم تَدَعُونه غير ممهد ولا موسّد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب وسكن التراب، وواجه الحساب مرتهناً بعمله فقيراً إلى ما قدم غنياً عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت، وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندي، وما يبلغني عن أحد منكم ما يسعه ما عندي إلا وددت أنه يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا وعيشه، وايم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكن سبق من الله عز وجل كتاب ناطق وسنة عادلة دلّ فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته.

ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وشهق وبكى الناس. وكانت آخر خطبة خطبها.

قال سعيد بن محمد الثقفي: سمعت القاسم بن غزوان قال كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات:

أيقظانُ أنت اليوم أم أنت نائم ... وكيف يطيق النومَ حيرانُ هائم
فلو كنت يقظانَ الغداة لحرّقتْ ... مدامعَ عينيك الدموعُ السواجم
بل أصبحت في النوم الطويل وقد دنت ... إليك أمورٌ مُفظِعات عظائم
نهارك يا مغرورُ سهوٌ وغفلة ... وليلُك نومٌ والردى لك لازم
يَغرُّك ما يغني وتُشغَل بالمُنى ... كما غُرَّ باللذات في النوم حالم
وتُشغَل فيما سوف تكره غِبَّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم(١)

وعن القاسم بن غزوان قال: كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات.

وعن هاشم قال: لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال، وتركتهم عيلة لا شيء لهم، فلو وصّيت بهم إليّ وإلى نظرائي من أهل بيتك؟

قال فقال: أسندوني. ثم قال: أما قولك أني أفقرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله إني ما منعتهم حقاً هو لهم، ولم أعطهم ما ليس لهم. وأما قولك لو أوصيت بهم فإن وصيي ووليي فيهم الله والذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، بَنيَّ أحد الرجلين؛ إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجاً، وإما رجل مكبّ على المعاصي فإني لم أكن أقوّيه على معاصي الله.

ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكراً قال: فنظر إليهم فذرفت عيناه، ثم قال: بنفسي الفِتْيَةُ الذين

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٠٩) وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٣١٩).

تركتهم عيلة لا شيء لهم، فإني بحمد الله قد تركتهم بخير، أي بَنيَّ إن أباكم مَثَل بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة؟ فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار! قوموا عصمكم الله.

وعن ليث بن أبي رقية عن عمر: أنه لما كان مرضه الذي قبض فيه قال: أجلسوني. فأجلسوه، ثم قال: أنا الذي أمرتني فقصّرت، ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله. ثم رفع رأسه وأحدَّ النظر فقالوا له: إنك لتنظر نظراً شديداً؟ فقال: إني لأرى حضرة ما هم بأنس ولا جانّ. ثم قُبِض رضي الله عنه.

أسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعمر بن أبي سلمة، والسائب بن يزيد، ويوسف بن عبد الله بن سلام.

وقد أرسل الحديث عن القدماء، منهم: عبادة بن الصامت، والمغيرة بن شعبة، وتميم الداري، وعائشة، وأم هانئ.

وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين كسعيد بن المسيب، وعبد الله بن إبراهيم بن قارظ، وسالم، وأبي سلمة، وعروة، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد، وعامر بن سعد بن أبي وقاص، وأبي بردة بن أبي موسى، والربيع بن سَبرة، وعراك بن مالك، وأبي حازم، والزهري، والقرظي في خلق كثير يطول ذكرهم، وقد ذكرنا مسنداته عنهم في كتاب أفردناه لأخباره وفضائله، ولهذا اقتصرنا على هذه النبذة من أخباره ها هنا.

وتوفي ـ رضي الله عنه ـ لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، ومات بدير سمعان، وقُبِرَ هناك، وكان له رضي الله عنه أولاد إلا أنه كان عينَهم.

١٧٣ ـ عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

ونحن نذكر ها هنا طرفاً من أخباره، وإن كان دون طبقة أبيه لكنّا ألحقناه به لأنه مات في حياة أبيه.

وعن بعض مشيخة أهل الشام قال: كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك.

وعن إسماعيل بن أبي حكيم قال: غضب عمر بن عبد العزيز يوماً فاشتدّ غضبه ـ وكان فيه حِدّة وعبد الملك حاضر ـ فلما سكن غضبه قال: يا أمير المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك

---

١٧٣ ـ عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ـ رحمهما الله تعالى ـ: تاريخ الإسلام (٥/ ٩١)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٤٠)، تاريخ ابن كثير (٩/ ١٩١)، الحلية (٥/ ٣٣٠)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦١) و(٢٢/ ٣٤٥)، تهذيب التهذيب (٥/ ٧٤)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٢٥).

الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب بما أرى؟ قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه كلامه. فقال: أما تغضب يا عبد الملك؟ فقال: ما تغني سعة جوفي إن لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شيء أكرهه؟

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فأخلِني ـ وعنده مسلمة بن عبد الملك ـ فقال عمر: أسرٌّ دون عمك؟ قال: نعم. فقام مسلمة وخرج وجلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك غداً إذا سألك فقال: رأيت بدعة [فلم] تمتها؟ أو سنة فلم تحيها؟ فقال له: يا بني أشيء حمّلك الرغبة إلي؟ أم رأي رأيته من قبل نفسك؟ قال: لا والله، ولكن رأي رأيته من قبل نفسي عرفت أنك مسؤول، فما أنت قائل؟ فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيراً، فوالله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير، يا بني إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة، ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيدهم لم آمن أن يفتقوا علي فتقاً تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي مِحْجَمَةٌ من دم، أوَ ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين؟!.

وعن إسماعيل بن أبي حكيم قال: دخل عبد الملك على أبيه عمر فقال: أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من رد المظالم؟ فقال: علي إنفاذه. فرفع عمر يده، ثم قال: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني، نعم يا بني أصلي الظهر إن شاء الله، ثم أصعد المنبر فأردها على رؤوس الناس. فقال عبد الملك: يا أمير المؤمنين من لك بالظهر؟ ومن لك إن بقيت أن تسلم لك نيتك؟ فقال عمر: فقد تفرق الناس للقائلة! فقال عبد الملك: تأمر مناديك فينادي الصلاة جامعة، ثم يجتمع الناس. فأمر مناديه فنادى.

وعن ابن أبي عبلة قال: جلس عمر يوماً للناس، فلما انتصف النهار ضجر وملّ فقال للناس: مكانكم حتى أنصرف إليكم. ودخل ليستريح ساعة، فجاء إليه ابنه عبد الملك فسأل عنه؟ فقالوا: دخل فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين ما أدخلك؟ قال: أردت أن أستريح ساعة. قال: أوَ أمِنت الموتَ أن يأتيك ورعيتُك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم؟ فقام عمر فخرج إلى الناس.

وعن زياد بن أبي حسان: أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك استوى قائماً وأحاط به الناس فقال: والله يا بني لقد كنت بَراً بأبيك، والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسروراً بك ولا والله ما كنت قط أشد سروراً ولا أرجى لحظّي من الله فيك منذ وضعتك في المنزل الذي صيَّرك الله إليه، فرحمك الله، وغفر لك ذنبك، وجزاك بأحسن عملك، ورحم كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب، رضينا بقضاء الله، وسلمنا لأمره، الحمد لله رب العالمين. ثم انصرف.

اقتصرنا على هذا القدر من أخبار عبد الملك؛ لأنّا قد أدرجنا أخباره في الكتاب الذي جمعنا فيه أخبار أبيه، والله الموفق. رحمه الله ورحم أباه.

١٧٤ ـ عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام

عن مالك بن أنس قال: كان عامر بن عبد الله بن الزبير يقف عند موضع الجنائز يدعو وعليه قطيفة فربما سقطت عنه القطيفة وما يشعر بها.

وعنه قال: ربما خرج عامر بن عبد الله بن الزبير منصرفاً من العتمة من مسجد رسول الله ﷺ فيعرض له الدعاء قبل أن يصل إلى منزله فيرفع يديه فما يزال كذلك حتى ينادى بالصبح فيرجع إلى المسجد، فيصلي الصبح بوضوء العتمة. قال معن: وسمعت أن عامر بن عبد الله ربما أخرج البدرة فيها عشرة آلاف درهم فيقسمها، فما يصلي العتمة ومعه منها درهم.

وعن سفيان بن عيينة قال: اشترى عامر بن عبد الله بن الزبير نفسه من الله عز وجل بتسع دياتٍ.

وعن أبي مودود قال: كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتحيّن العُبّاد وهم سجود: أبا حازم، وصفوان بن سليم، وسليمان بن شحم، وأشباههم فيأتيهم بالصرّة فيها الدنانير والدراهم فيضعها عند نعالهم بحيث يحسّون بها ولا يشعرون بمكانه.

فيقال له: ما يمنعك أن ترسل بها إليهم؟ فيقول: أكره أن يتمعَّر وجه أحدهم إذا نظر إلى رسولي وإذا لقيني.

وعن عياش بن المغيرة قال: كان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا شهد جنازة وقف على القبر فقال: ألا أراك ضيقاً؟ ألا أراك دقعاً[1]؟ ألا أراك مظلماً؟ إن سلمت لأتأهبن لك أُهبتك. فأول شيء تراه عيناه من ماله يتقرب به إلى ربه، وإن كان رقيقه ليتعرضون له عند انصرافه من الجنائز ليعتقهم.

وعن مصعب بن عبد الله قال: سمع عامر بن عبد الله المؤذن وهو يجود بنفسه ومنزله قريب من المسجد. فقال: خذوا بيدي. فقيل له: إنك عليل! قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعةً، ثم مات.

أسند عامر عن أبيه وغيره من الصحابة، وحدث عن خلق كثيرٍ من التابعين.

قال محمد بن سعد: توفي عامر قبل هشام بن عبد الملك أو بعده بقليل، ومات سنة أربع وعشرين ومائة.

١٧٥ ـ أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

وكان على قضاء المدينة، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ولاه إمرة المدينة، روى عطاف بن خالد عن أمه عن امرأة أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم أنها قالت: ما اضطجع أبو بكر على فراشه منذ أربعين سنة بالليل.

توفي أبو بكر في سنة عشرين ومائة وهو ابن أربع وثمانين سنة رحمه الله.

---

١٧٤ ـ عامر بن عبد الله بن الزُّبير ـ رضي الله عنهم ـ: الجرح والتعديل (٩/ ٣٣٧)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٨)، تاريخ الإسلام (٥/ ٢٢).

(١) الدُّقع: الشدة، أي: شديداً هولُه على صاحبه.

١٧٥ ـ أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ـ رحمهم الله تعالى ـ: تاريخ الإسلام (٤/ ١٩٩)، شذرات الذهب (١/ ١٣٦)، الحلية (٣/ ٢١٢)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٢٠)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٢٥٧)، الجرح والتعديل (٨/ ٦٧).

١٧٦ ـ محمد بن كعب القرظي

يكنى أبا حمزة: عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال: إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خصال: فقهاً في الدين، وزهادة في الدنيا، وبصراً بعيوبه.

عن يزيد بن عبد الملك بن المغيرة عن محمد بن كعب قال: من قرأ القرآن متِّع بعقله وإن بلغ مائتي سنة.

روى أبو كثير النصري قال: قالت أم محمد بن كعب القرظي لمحمد: يا بني لولا أني أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً لظننت أنك أحدثت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار؟ قال: يا أماه وما يؤمنني أن يكون الله قد اطّلع عليَّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتني فقال: اذهب لا أغفر لك! مع أن عجائب القرآن ترد بي على أمور حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي.

وقال محمد بن كعب: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة] و﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١﴾ [القارعة] لا أزيد عليهما وأتفكر فيهما وأتردد أحب إلي من أن أهذَّ القرآن هذا ـ أو قال: أنثره نثراً ـ.

وعن عيسى بن يونس قال: كنا عند محمد بن كعب القرظي فأتاه رجل فقال: يا عبد الله ما تقول في التوبة؟ قال: ما أحسنها! قال: أفرأيت إن أعطيت الله عهداً أن لا أعصيه أبداً. فقال له محمد: فمَنْ حينئذ أعظمُ جرماً منك؟ تتألّى على الله أن لا ينفذ فيك أمره.

أسند محمد بن كعب عن زيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة، وأبي هريرة، وأنس، وابن عباس، وعبد الله بن يزيد الخطمي في آخرين من الصحابة. رضي الله عنهم.

قال الواقدي: مات سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة ومائة. وقال غيره: سنة تسع وعشرين، وقيل: كان يقصّ على أصحابه فسقط المسجد عليه وعليهم فقتلهم. رحمه الله.

١٧٧ ـ أبو عمرو بن حماس

وقد اختلف علينا في اسمه؟ فقيل: يوسف بن يونس، وقيل: يونس بن يوسف.

قال محمد بن طلحة: كان أبو عمرو متعبداً متهجداً يصلي الليل، وكان شديد النظر إلى النساء فدعا الله أنْ يذهب بصرِه فذهب بصره، فلم يحتمل العَمَى فدعا الله أن يرد عليه بصره! فبينا هو في المسجد إذ رفع رأسه فنظر إلى القنديل فدعا غلامه فقال: ما هذا؟ قال: القنديل. قال: وذاك؟ وذاك؟ يعد قناديل المسجد وخرَّ ساجداً شكراً لله إذ ردَّ عليه بصره، فكان بعد ذلك إذا رأى المرآة طأطأ رأسه. وكان يصوم الدهر.

وعن مالك بن أنس قال: كان يونس بن يوسف من العبّاد أو من خيار الناس ـ شك عبد الرحمن

---

١٧٦ ـ محمد بن كعب القرظي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن كثير (٩/ ٣٤٠)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٣٦)، العبر (١/ ١٥٨)، الحلية (٣/ ٣٦٠)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥).

١٧٧ ـ أبو عمرو بن حماس ـ رحمه الله ـ: الكاشف (٢/ ٤٤٦)، تقريب التهذيب (١/ ٦٦٠)، تهذيب التهذيب (١٢/ ١٩٧).

ـ فأقبل ذات يوم وهو رائح من المسجد، فلقيته امرأة فوقع في نفسه منها فقال: اللّهم إنك جعلت لي بصري نعمةً، وقد خشيت أن يكون علي نقمةً فاقبضه إليك! قال: فعمي. وكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخ له فإذا استقبل به الأسطوانة اشتغل الصبي يلعب مع الصبيان فإن نابته حاجة حصبه فأقبل إليه، فبينا هو ذات يوم ضحوة في المسجد إذ أحسَّ في بطنه بشيء فحصب الصبي فشُغِل الصبي مع الصبيان، حتى خاف الشيخ على نفسه، فقال: اللّهم إنك كنت جعلت لي بصري نعمة وخشيت أن يكون نقمة فسألتك فقبضتَه إليك، وقد خشيت الفضيحة فرده إلي. فانصرف إلى منزله صحيحاً يمشي.

قال مالك: فرأيته أعمى ورأيته صحيحاً.

من الطبقة الرابعة
من أهل المدينة

١٧٨ ـ محمد بن مسلم بن شهاب الزهري

يكنى أبا بكر. عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: ما أرى أحداً جمع بعد رسول الله ﷺ ما جمع ابن شهاب.

وقال مالك بن أنس: ما أدركت فقيهاً محدّثاً غير واحد. فقلت: من هو؟ فقال: ابن شهاب الزهري.

وعنه أنه قال: إن هذا الحديث دينٌ فانظروا عمّن تأخذون دينكم، والله لقد أدركت ها هنا ـ وأشار إلى مسجد رسول الله ﷺ ـ سبعين رجلاً كلّهم يقول: قال فلان: قال رسول الله ﷺ، فلم آخذ عن أحد منهم حرفاً لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، ولقد قدم علينا محمد بن شهاب الزهري وهو شاب فازدحمنا على بابه، لأنه كان من أهل هذا الشأن.

وقال أيوب: ما رأيت أحداً أعلم من الزهري! فقال صخر بن جويرية: ولا الحسن؟ قال: ما رأيت أحداً أعلم من الزهري.

وعن جعفر بن ربيعة قال: قلت لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أما أعلمُهُم بقضايا رسول الله ﷺ وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان وأفقههم فقهاً وأعلَمُهُم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيب، وأما أغزرهم حديثاً فعروة بن الزبير، ولا تشاءُ أن تفجّر من عبيد الله بن عبد الله بحراً إلاّ فجرته. قال عراك: فأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب، فإنه جمع علمهم جميعاً إلى علمه.

وعن معمر: قال رجل من قريش: قال لنا عمر بن عبد العزيز: أتأتون الزهري؟ قلنا: نعم. قال: فأتوه، فإنه لم يبق أحد أعلم بسنّة ماضية منه ـ قال: والحسن ونُظَراؤه أحياء ـ.

وقال سفيان: مات الزهري يوم مات وليس أحد أعلم بالسنّة منه. وعن ابن شهاب: أنه كان يقول: ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته.

---

١٧٨ ـ ابن شهاب الزهري ـ رحمه الله ـ: شذرات الذهب (١/ ١٧٧)، الحلية (٣/ ١٤٦)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٧٣)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٥٥)، الجرح والتعديل (٨/ ٩٧).

وعن الليث قال: ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علماً منه، ولو سمعت ابن شهاب يحدّث في الترغيب لقلتَ: لا يحسن إلا هذا، وإن حدّث عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلتَ: لا يُحسن إلا هذا، وإن حدّث عن الأعراب والأنساب لقلتَ: لا يحسن إلا هذا، وإن حدّث عن القرآن والسنة كان حديثه جامعاً.

وعن مالك بن أنس قال: أول من دوّن العلم ابن شهاب.

وعن الزهري قال: ما استعدتُ حديثاً ولا شككتُ في حديثٍ قط إلا حديثاً واحداً فسألت صاحبي؟ فإذا هو كما حفظت.

وعن يونس بن يزيد قال: سمعت الزهري يقول: إنَّ هذا العلم إنْ أخذتَه بالمكابرة غلبك، ولم تظفر منه بشيء، ولكن خُذه مع الأيام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به.

وعن سفيان قال: سمعت الزهري يقول: العلم ذَكَرٌ لا يحبه إلا الذكور من الرجال.

وعن معمر، عن الزهري قال: ما عُبِد الله بشيء أفضل من العلم.

وعن عمرو بن دينار قال: ما رأيت أحداً أهون عليه الدينار والدرهم من ابن شهاب، وما كانت عنده إلا مثل البعر.

وعن عقيل بن خالد، عن ابن شهاب أنه كان يكون معه في السفر، قال: فكان يعطي من جاءه وسأله حتى إذا لم يبق معه شيء تسلّف من أصحابه، فلا يزالون يسلفونه حتى لا يبقى معهم شيء، فيحلفون أنه لم يبق معهم شيء. فيستسلف من عبيده فيقول: أي فلان أسلفني وأُضعف لك كما تعلم. فيسلفونه، ولا يرى بذلك بأساً، فربما جاءه السائل فيقول: أبشرْ؛ فسيأتي الله بخير.

فيقيّض الله لابن شهاب أحد رجلين: إما رجل يهدي له ما يسعهم، وإما رجل يبيعه ويُنظِره قال: وكان يطعمهم الثريد ويسقيهم العسل.

أسند ابن شهاب عن ابن عمر، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، والسائب بن يزيد، وعبد الله ابن ثعلبة، وأبي أمامة بن سهل بن حنيف، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وعبد الرحمن بن زهر، ومحمود بن الربيع، ومحمود بن لبيد، ومسعود بن الحكم، وكثير بن العباس، وسُنَيْنٍ أبي جميلة، وأبي مويهبة، وأبي الطفيل في آخرين من الصحابة.

ويُذكر: أنه رأى ابن الزبير، والحسن، والحسين، وسمع منهم.

قال الواقدي: ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية، وهي السنة التي ماتت فيها عائشة، ومرض وأوصى أن يُدفن على قارعة الطريق، ومات لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

قال الحسن بن المتوكل: رأيت قبره بأدامى، وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

رحمه الله.

١٧٩ ـ محمد بن المنكدر

ابن عبد الله بن الهدير محرز بن عبد العزّى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة: يكنى أبا عبد الله، أمه أم ولد.

عن الزبير بن بكّار قال: جاء المنكدر بن عبد الله إلى عائشة أم المؤمنين فشكا إليها الحاجة فقالت: أول شيء يأتيني أبعث به إليك. فجاءتها عشرة آلاف درهم فقالت: سَرُعَ ما امتُحِنت به يا عائشة! وبعثت بها إليه، فاتخذ منها جارية، فولدت له بنيه: محمداً وأبا بكر وعمر، وكلّهم يُذكر بالصلاح والعبادة، ويُحمل عنه الحديث.

وعن أبي معشر قال: دخل المنكدر على عائشة فقالت: لك ولد؟ قال: لا. فقالت: لو كان عندي عشرة آلاف درهم لوهبتها لك. قال: فما أمست إلا بعث إليها معاوية بمال فقالت: ما أسرع ما ابتليت؟! وبعثت إلى المنكدر بعشرة آلاف فاشترى منها جارية، فهي أمُّ محمدٍ وعُمر وأبي بكر.

قال الشيخ رحمه الله: وإنما شكا المنكدر إلى عائشة للقرابة التي بينهما، فإنه من ولد حارثة ابن سعد بن تيم، وأبو بكر رضي الله عنه من ولد كعب بن سعد بن تيم.

وعن الحارث بن الصواف قال: قال محمد بن المنكدر: كابدتُ نفسي أربعين سنة حتى استقامت.

وعن سفيان قال: كان محمد بن المنكدر ربما قام من الليل يصلّي ويقول: كم من عين الآن ساهرةٌ في رزقي.

وكان له جارٌ مبتلىً، فكان يرفع صوته من الليل يصيح، وكان محمد يرفع صوته بالحمد. فقيل له في ذلك؟ فقال: يرفع صوته بالبلاء وأرفع صوتي بالنعمة.

قال يحيى بن الفضل الأبيسي: سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلّي إذ استبكى فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله! فسألوه: ما الذي أبكاك؟ فاستعجم عليهم، فتمادى في البكاء فأرسلوا إلى أبي حازم وأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه، فإذا هو يبكي فقال: يا أخي ما الذي أبكاك؟ قد رُعتَ أهلك؟ فقال له: إني مرّت بي آية من كتاب الله عز وجل. قال: ما هي؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] قال: فبكى أبو حازم معه واشتدّ بكاؤهما. قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرّج عنه فزدته! قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما.

وعن عمر بن محمد المنكدر قال: كنت أمسكُ على أبي المصحف، قال: فمرّت مولاةٌ له فكلمها فضحك إليها، ثم أقبل يقول: إنّا لله! إنا لله! حتى ظننت أنه قد حدث شيء. فقلت: ما لك؟ فقال: أما كان لي في القرآن شُغل حتى مرّت هذه فكلمتُها؟

---

١٧٩ ـ محمد بن المنكدر ـ رحمه الله ـ: شذرات الذهب (١/ ١٧٣)، الجرح والتعديل (٤/ ٧٩)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٦٣)، تاريخ الإسلام (٥/ ٧٧).

وعن محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر قال: إن الله تعالى يحفظ المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظه في دُويرته وفي دُويراتٍ حوله، فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين أظهرهم.

وعن سفيان قال: صلى ابن المنكدر على رجل. فقيل له: تصلي على فلان؟ فقال: إني أستحيي من الله عز وجل أن يعلم مني أنّ رحمته تعجز عن أحدٍ من خلقه.

وعن أبي معشر قال: بعث محمد بن المنكدر إلى صفوان بن سليم بأربعين ديناراً، ثم قال لبنيه: يا بَنيَّ ما ظنكم برجل فرّغ صفوان لعبادة ربه عز وجل؟

وعن عبد الله بن المبارك قال: قال محمد بن المنكدر: بات عمر ـ يعني أخاه ـ يصلي وبتّ أغمز رِجْل أمي، وما أحبّ أن ليلتي بليلته.

وعن جعفر بن سليمان، عن محمد بن المنكدر: أنه كان يضع خدّه بالأرض، ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك على خدي.

وعن محمد بن سوقة قال: سمعت محمد بن المنكدر يقول: نعم العون على تقوى الله عز وجل الغنى.

قال سفيان بن عيينة: قيل لمحمد بن المنكدر: أيُّ العمل أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن. قيل: فما بقي من لذّتك؟ قال: الإفضال على الإخوان.

وعن عبد العزيز بن يعقوب الماجشون ـ أخي يوسف ـ قال: قال أبي: إن رؤية محمد بن المنكدر تنفعني في ديني.

وعن سفيان بن عيينة قال: قال محمد بن المنكدر: الفقيه يدخل بين الله عز وجل وبين عباده، فلينظر كيف يدخل؟.

أسند محمد بن المنكدر عن ابن عمر، وأبي قتادة، وجابر، وأبي هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأميمة بنت رقيقة.

وروى عن كبار التابعين كالحسن، وعروة، وسعيد بن جُبَير، والزهري، وأبي حازم، ويحيى بن سعيد، وأيوب، ويونس بن عبيد، في خلقٍ يطول ذكرهم.

ذكر وفاته رضي الله عنه

عن عكرمة عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت، فقيل له: لمَ تجزع؟ قال: أخشى آيةً من كتاب الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فإني أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

وعن ابن زيد قال: أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد الله: كأني أراك قد شقّ عليك الموت؟ قال: فما زال يهوّن عليه الأمر وينجلي عن محمد حتى لكأن في وجهه المصابيح، ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه لقرّت عينك. ثم قضى رحمه الله.

توفي محمد بن المنكدر بالمدينة سنة ثلاثين أو إحدى وثلاثين ومائة

١٨٠ ـ عمر بن المنكدر

عن نافع بن عمر قال: قالت أم عمر بن المنكدر لعُمر: إني أشتهي أن أراك نائماً. فقال: يا أماه والله إن الليل ليرد عليَّ فيهولني فينقضي عني [النوم] وما قضيت منه أربي.

وعن سالم أبي بسطام قال: كان عمر بن المنكدر لا ينام الليل ـ يُكثر البكاء على نفسه ـ فشق ذلك على أمه فقالت لأخيه محمد بن المنكدر: إن الذي يصنع عمر يشقّ عليّ، فلو كلّمته في ذلك؟

فاستعان عليه بأبي حازم فقالا له: إن الذي تصنع يشق على أمك! قال: فكيف أصنع؟ إن الليل إذا دخل عليَّ هالني، فأستفتح القرآن وما تنقضي نهمتي فيه! قالا: فالبكاء[1]؟ قال: آية من كتاب الله أبكتني! قالا: وما هي؟ قال: قوله عز وجل: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

وعن عبد الرحمن بن حفص القرشي قال: بعث بعض الأمراء إلى عمر بن المنكدر بمال فجاء به الرسول فوضعه بين يديه، فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، ثم جاء أبو بكر فلما رأى عمر يبكي جلس يبكي لبكائه، ثم جاء محمد فجلس يبكي لبكائهما، فاشتد بكاؤهم جميعاً، فبكى الرسول أيضاً لبكائهم، ثم أرسل إلى صاحبه فأخبره بذلك فأرسل ربيعة بن أبي عبد الرحمن ليستعلم علم ذلك البكاء؟ فجاء ربيعة فذكر ذلك لمحمد؟ فقال محمد: سلْه فهو أعلم ببكائه؟ فاستأذن عليه ربيعة فقال: يا أخي ما الذي أبكاك من صلة الأمير؟ قال: والله إني خشيت أن تغلب الدنيا على قلبي فلا يكون للآخرة فيه نصيب، فذلك الذي أبكاني! قال: وأمر بالمال فتصدق به على فقراء أهل المدينة. قال: فجاء ربيعة فأخبر الأمير بذلك، فبكى وقال: هكذا يكون ـ والله ـ أهل الخير. رحمه الله.

١٨١ ـ سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن

ابن عوف: يكنى أبا إسحاق، ولي قضاء المدينة. عن شعبة قال: كان سعد يصوم الدهر، ويقرأ القرآن في كل يوم وليلة.

وعن عبيد الله بن سعد الزهري قال: قال عمّي عن أبيه قال: سَرَد أبي سعد بن إبراهيم الصوم أربعين سنة.

وعن مِسْعِر عن سعد بن إبراهيم قال: قيل له: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أتقاهم لربه.

وعن ابن سعد بن إبراهيم قال: كان أبي يحتبي فما يحلّ حبوته حتى يقرأ القرآن.

وعنه قال: كان أبي سعد بن إبراهيم إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين لم يفطر حتى يختم القرآن[2]، وكان يفطر فيما بين المغرب

---

١٨٠ ـ عمر بن المنكدر: انظر حلية الأولياء (٨/ ١٥٢) ضعفاء العقيلي (٤/ ٦٩) جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الحنبلي (١/ ٢٩٧).

(١) أي: لماذا يكون منك بكاء شديد؟

١٨١ ـ سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٤/ ١٤٠)، تهذيب التهذيب (٦/ ١١٩ و١٣٠)، الجرح والتعديل (٥/ ٢١٠)، الكاشف (١/ ٦١٩).

(٢) أي: من شهر رمضان المبارك، فيقرأ القرآن في نهارها ولا يفطر حتى ينتهي من قراءة كتاب الله تعالى.

والعشاء الآخرة، وكان كثيراً إذا أفطر يرسلني إلى مساكين فيأكلون معه رحمه الله.

أسند سعد بن إبراهيم عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأنس بن مالك، ومحمد بن حاطب، وسهل بن حنيف، ورأى ابن عمر.

وروى عن أبيه، وأبي سلمة، وابن المسيب في خلق كثير من كبار التابعين.

وروى عنه من التابعين: أيوب، ويحيى بن سعيد.

وتوفي بالمدينة سنة سبع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. رحمه الله.

١٨٢ ـ عبد الرحمن بن أبان بن عثمان

ابن عفان رحمهم الله: روى عن أبيه.

عن مصعب بن عثمان قال: كان عبد الرحمن بن أبان يشتري أهل البيت، ثم يأمر بهم فيُكسَون ويُدهَنون، ثم يُعرضون عليه، فيقول: أنتم أحرار لوجه الله، أستعين بكم على غمرات الموت. قال: فمات وهو قائم في مسجده يصلّي السُّبحة ـ يعني الضحى ـ.

١٨٣ ـ ربيعة بن أبي عبد الرحمن

واسم أبي عبد الرحمن فَرُّوخ ـ مولى آل المنكدر ـ ويكنى ربيعة أبا عثمان. ويقال: أبا عبد الرحمن.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز بالإسناد عن مشيخة أهل المدينة: أن فرّوخاً أبا عبد الرحمن ـ أبا ربيعة ـ خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً وربيعة حَمْلٌ في بطن أمه وخلّف عند زوجته أمّ ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً وفي يده رمح، فنزل عن فرسه، ثم دفع الباب برمحه، فخرج ربيعة فقال له: يا عدو الله أتهجم على منزلي؟ فقال: لا. وقال فروخ: يا عدو الله أنت رجل دخلت على حرمي! فتواثبا وتلبّب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران؟! فبلغ مالكَ بن أنس والمشيخةَ فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان. وجعل فرّوخ يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان وأنت مع امرأتي! وكثر الضجيج فلما بصروا بمالك سكت الناس كلُّهم. فقال مالك: أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الديار؟ فقال الشيخ: هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان. فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت: هذا زوجي، وهذا ابنه الذي خلّفه وأنا حامل به. فاعتنقا جميعاً، وبكيا، فدخل فروخ المنزل فقال: هذا ابني؟ قالت: نعم. قال: فأخرجي المال الذي عندك، وهذه معي أربعة آلاف دينار. فقالت: المال قد دفنته، وأنا أخرجه بعد أيام.

---

١٨٢ ـ عبد الرحمٰن بن أبان ـ رحمه الله ـ: وفيات الأعيان (٢/ ٢٨٨)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٥٨)، شذرات الذهب (١/ ١٩٤)، العبر (١/ ١٨٣)، تاريخ بغداد (٨/ ٤٢٠)، الطبراني في الكبير (٥/ ١٤٣)، الكاشف (١/ ٦١٩).

١٨٣ ـ ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٥/ ٢٦٢)، شذرات الذهب (١/ ١٨٩)، الحلية (٣/ ١٥٨)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٥)، الجرح والتعديل (٤/ ٤٢٣)، الكاشف (١/ ٣٩٣)، تقريب التهذيب (١/ ٢٠٧).

فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته، وأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبي علي اللَّهْبيّ والمساحقي، وأشراف المدينة، وأحدق الناس به فقالت امرأته: اخرج فصلّ في مسجد رسول الله ﷺ. فخرج فنظر إلى حلقةٍ وافرة، فأتاه فوقف عليه ففرّجوا له قليلاً، ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره. فقال: من هذا الرجل؟ فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن. فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني. فرجع إلى منزله فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالةٍ ما رأيت أحداً من أهل الفقه والعلم عليها؟ فقالت أمه: فأيّما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلاّ هذا. قالت: فإني أنفقت المال كله عليه. قال: فوالله ما ضيَّعته[1].

وعن ابن زيد قال: مكث ربيعة دهراً طويلاً عابداً يصلي الليل والنهار، فجالس القاسم فنطق بلبٍّ وعقل، فكان القاسم إذا سئل عن شيء قال: سلوا هذا ـ لربيعة ـ.

وعن يحيى بن سعيد قال: ما رأيت أحداً أفطن من ربيعة.

قال الليث: وقال لي عبيد الله بن عمر في ربيعة: هو صاحب معضلاتنا وأعلَمُنا وأفضَلُنا.

وعن يحيى بن سعيد أنه قال: ما رأيت أحداً أَسَدَّ عقلاً من ربيعة.

وعن سوّار بن عبد الله قال: ما رأيت أحداً أعلم من ربيعة الرأي! قلت: ولا الحسن وابن سيرين؟ قال: ولا الحسن وابن سيرين.

وعن يونس بن يزيد قال: رأيت أبا حنيفة عند ربيعة، وكان مجهودُ أبي حنيفة أن يفهم ما يقول ربيعة.

وعن بكر بن عبد الله الشّرود الصنعاني قال: أتينا مالك بن أنس، فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي، فكنّا نستزيده من حديث ربيعة. فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة؟ هو نائم في ذاك الطاق.

فأتينا ربيعة فأنبهناه فقلنا له: أنت ربيعة الذي يحدث عنك مالكٌ؟ قال: نعم. فقلنا له: كيف حَظِيَ بك مالكٌ؟ ولم تحظَ أنت بنفسك؟ قال: أما علمتم أن مثقالاً من دولةٍ خيرٌ من حمل علمٍ.

قال الشيخ رحمه الله: وكان السفَّاح قد أقدم عليه ربيعةَ الأنبارَ ليولِّيه القضاء فلم يفعل، وعرض عليه العطاء فلم يقبل.

وعن مالك قال: قال لي ربيعة حين أراد الخروج إلى العراق: إن سمعت أني حدثتهم شيئاً أو أفتيتهم فلا تَعُدَّني شيئاً. فكان كما قال، لمّا قدمها لزم بيته فلم يخرج إليهم ولم يحدثهم بشيء حتى رجع. قال مالك: لمّا قدم على أمير المؤمنين أبي العباس أمر له بجائزة فأبى أن يقبلها. فأعطاه خمسة آلاف درهم ليشتري بها جارية فأبى أن يقبلها.

---

(١) ذكر الحادثة الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٤) والحافظ المزي في تهذيب الكمال (٩/ ١٢٧) والحافظ الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٨/ ٤٢٢).

وعن سفيان قال: كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً جالساً فغطى رأسه، ثم اضطجع فبكى! فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: [رياء][1] ظاهر وشهوة خفية.

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: لقد رأيت مشيخة المدينة وإن لهم لغدائر وعليهم الممصَّر والمورَّد في أيديهم مخاصر، وفي أيديهم آثار الحِنّاء في هيئة الفتيان، ودين أحدهم أبعدُ من الثريا إذا أُريدَ على دينه.

قال الشيخ: قد سمع ربيعة من أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، وعامة التابعين من أهل المدينة.

وروى عنه: مالك، والثوري، وشعبة، والليث بن سعد.

وقال أحمد بن حنبل: ربيعة بن أبي عبد الرحمن ثقة. وتوفي بالأنبار، وقيل: بل رجع إلى المدينة فمات بها، وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة.

وعن مالك بن أنس قال: ذهبت حلاوةُ الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن.

١٨٤ ـ صفوان بن سُليم الزهري

مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف، يكنى: أبا عبد الله.

عن عبد العزيز بن أبي حازم قال: عادَلني صفوان بن سُليم إلى مكة فما وضع جنبه في المحمل حتى رجَع.

وعن سليمان بن سالم قال: كان صفوان بن سليم في الصيف يصلّي بالليل في البيت، فإذا كان الشتاء صلّى في السطح لئلا ينام.

عن أبي ضمرة ـ أنس بن عياض ـ قال: رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له: غداً القيامة؟ ما كان عنده مَزيد على ما هو عليه من العبادة.

وعن أبي علقمة المديني قال: كان صفوان بن سليم لا يكاد يخرج من مسجد النبيّ ﷺ، فإذا أراد أن يخرج بكى، وقال: أخشى أن لا أعود إليه.

وعن محمد بن أبي منصور قال: قال صفوان بن سليم: أعطي الله عهداً أن لا أضع جنبي على فراشٍ حتى ألحق بربي. قال: فبلغني أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه، فلما نزل به الموت، قيل له: رحمك الله ألا تضطجع؟ قال: ما وفيتُ لله بالعهد إذاً.

قال: فأُسنِد، فما زال كذلك حتى خرجت نفسه، قال: ويقول أهل المدينة: إنه ثَفِنتْ[2] جبهته من أثر السجود.

---

(١) كذا في المطبوع «رثاء».

١٨٤ ـ صفوان بن سليم الزهري ـ رحمه الله ـ: الكاشف (١/ ٥٠٣)، الحلية (٣/ ٢٢٩)، الجرح والتعديل (٤/ ١٥٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٣٣)، تهذيب التهذيب (٤/ ١٤٣).

(٢) ثَفِنَتْ: غلظت ا.هـ. اللسان (ث ـ ف ـ ن).

وعن أبي مروان ـ مولى بني تميم ـ قال: انصرفت مع صفوان بن سليم من العيد إلى منزله، فجاء بخبز يابس، فجاء سائل فوقف على الباب وسأل؟ فقام صفوان إلى كوّة في البيت فأخذ منها شيئاً فأعطاه، فاتّبعت ذلك السائل لأنظر ما أعطاه؟ فإذا هو يقول: أعطاه الله أفضل ما أعطى أحداً من خلْقه. فقلت: ما أعطاك؟ قال: أعطاني ديناراً.

وعن سفيان قال: جاء رجل من أهل الشام فقال: دلّوني على صفوان بن سليم؟ فإني رأيته دخل الجنة. فقلت: بأي شيء؟ قال: بقميص كساه إنساناً.

قال بعض إخوان صفوان: سألت صفوان عن قصة القميص؟ قال: خرجت من المسجد في ليلة باردة فإذا رجل عُريان، فنزعت قميصي فكسوته.

عن سعيد بن كثير بن يحيى قال: قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وعمر بن عبد العزيز عامله عليها. قال: فصلى بالناس الظُهر، ثم فتح باب المقصورة واستند إلى المحراب، واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم عن غير معرفة فقال: يا عمر مَن هذا الرجل؟ ما رأيت سَمْتاً أحسن منه! قال: يا أمير المؤمنين هذا صفوان بن سليم. قال: يا غلام كيسٌ فيه خمس مائة دينار. فأُتي بكيس فيه خمس مائة دينار فقال لخادمه: ترى هذا الرجل القائم يصلي. فوصفه للغلام حتى أثبته فخرج الغلام بالكيس حتى جلس إلى صفوان، فلما نظر إليه صفوان ركع وسجد، ثم سلّم، وأقبل عليه فقال: ما حاجتك؟ قال: أمرني أمير المؤمنين ـ وهو ذا ينظر إليك وإليّ ـ أن أدفع هذا الكيس وفيه خمسُ مائةِ دينارٍ إليك، وهو يقول: استعِنْ بهذا على زمانك وعلى عيالك. فقال صفوان للغلام: ليس أنا بالذي أُرْسِلْتَ إليه. فقال له الغلام: ألست صفوان بن سليم؟ قال: بلى أنا صفوان بن سليم. قال: فإليك أُرسِلتُ. قال: اذهب فاستثبت، فإذا أُثبِتَّ فهلمّ. فقال الغلام: فأمسك الكيسَ معك وأذهب. قال: لا، إذا أمسكتُ كنتُ قد أخذتُ، ولكن اذهب فاستثبت، فأنا ها هنا جالس. فولّى الغلام فأخذ صفوان نعلَيْه وخرج فلم يُرَ بها حتى خرج سليمان من المدينة.

قال أبو مصعب: قال لي ابن أبي حازم: دخلت أنا وأبي نسأل عنه ـ يعني صفوان بن سليم ـ وهو في مصلاّه؟ فما زال به أبي حتى ردّه إلى فراشه، فأخبرتْني مولاته أنْ ساعةَ خرجتُم ماتَ.

أسند صفوان بن سليم عن ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن جعفر، وسهل بن حنيف في آخرين، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب، وأبي سلمة، وعروة، وسالم، وعكرمة، وطاووس في خلقٍ كثير.

عن أبي بكر بن صدقة قال: ذُكر لأحمد بن حنبل صفوان بن سليم، وقلّةُ حديثه، وأشياء خُولِف فيها. فقال: هذا رجل إنما كان يُستشفَى بحديثه، ويُستنزَل القَطْرُ بذكْره. توفي صفوان بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ـ .

١٨٥ ـ أبو حازم سَلَمة بن دينار الأعرج

مولى لقوم من بني ليث بن بكر: عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: ما رأيت أحداً الحكمةُ إلى فِيهِ أقربُ من أبي حازم.

وعن سفيان قال: قيل لأبي حازم ما مالُك؟ قال: ثقتي بالله عز وجل، ويأسي مما في أيدي الناس.

وعن ثوابة بن رافع قال: قال أبو حازم: ما مضى من الدنيا فحُلْمٌ، وما بقي فأمانيّ.

وعن محمد بن مطرف قال: ثنا أبو حازم قال: لا يُحسِن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يُعْوِر فيما بينه وبين الله عز وجل إلا أعوِر فيما بينه وبين العباد، ولمصانَعَةُ وجهِ واحد أيسرُ من مصانعة الوجوه كلّها، إنك إذا صانعت هذا الوجه مالت الوجوه كلها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شَنِفتْك الوجوه كلّها.

وعن عمر بن سعيد بن حسين عن أبي حازم قال: إذا رأيت الله عز وجل يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذرْه.

قال محمد بن عبيد: أخبرنا بعض أهل الحجاز قال: قال أبو حازم: كلّ نعمة لا تقرّب من الله عز وجل فهي بليّة.

وعن أبي معشر قال: رأيت أبا حازم [و(١)هو] يقصّ في المسجد ويبكي ويمسح بدموعه وجهه. فقلت: يا أبا حازم لِمَ تفعل هذا؟ قال: بلغني أن النار لا تصيب موضعاً أصابتْه الدموع من خشية الله تعالى.

وعن سفيان قال: قال أبو حازم: ينبغي للمؤمن أن يكون أشدَّ حفْظاً للسانه منه لموضع قدميه.

وعن سعيد بن عامر قال: قال أبو حازم نعمة الله فيما زُوي عني من الدنيا أفضل من نعمته فيما أعطاني منها.

وقال أبو حازم: إنْ وُقينا شرَّ ما أُعطينا لم نُبالِ ما فاتَنا.

وقال ابن عُيينة: قال أبو حازم: إن كان يُغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى عيشٍ من الدنيا يكفيك، وان كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس شيء يكفيك.

وعن عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم قال: حدثني أبي قال: بعث سليمان بن عبد الملك إلى أبي حازم فجاءه فقال: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخربتم آخرتَكُم وعمّرتُم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب! قال: صدقت، فكيف القُدوم على الله عز وجل؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه. فبكى

---

١٨٥ ـ أبو حازم: سَلَمة بن دينار ـ رحمه الله ـ: الحلية (٣/ ١٩٢)، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٥)، كامل ابن الأثير حوادث سنة (١٤٥)، وفيات الأعيان (١/ ٣٢٧)، تهذيب التهذيب (٢/ ١٠٣)، الجرح والتعديل (٢/ ٤٨٧).

(١) في المطبوع «لم».

سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم؟ قال: اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل، فإنك تعلم ما لك عند الله! قال: يا أبا حازم أين أصيب ذلك؟ قال: عند قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤] فقال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] قال: ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: اعفني عن هذا! قال سليمان: نصيحة تلقيها.

قال أبو حازم: إن أناساً أخذوا هذا الأمر عنوةً من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماع من رأيهم، فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا، ثم ارتحلوا عنها؛ فليت شعري ما قالوا وما قيل لَهم؟ فقال بعض جلسائه: بئس ما قلتَ يا شيخ! قال أبو حازم: كذبتَ، إن الله تعالى أخذ على العلماء لَيُبَيِّنُنَّ للناس ولا يكتمونه. قال سليمان: إِصْحَبْنا يا أبا حازم تُصِبْ مَنا ونُصِبْ منك. قال: أعوذ بالله من ذلك! قال: ولِمَ؟ قال: أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقني ضِعْفَ الحياة وضِعْفَ الممات.

قال: فأشِرْ عليَّ. قال: اتق الله أن يراك حيث نهاكَ وأن يفقدك حيث أمرك. قال: يا أبا حازم ادعُ لنا بخير. قال: اللّهم إن كان سليمان وليَّك فَيسِّره للخير، وإن كان عدوَّك فخذ إلى الخير بناصيته. فقال: يا غلام هات مائة دينار، ثم قال: خذها يا أبا حازم. فقال: لا حاجة لي فيها، إني أخاف أن يكون لِما سمعتَ من كلامي.

فكأن سليمان أعجب بأبي حازم. وقال الزهري: إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلّمته قط. قال أبو حازم: إنك نسيت الله فنسيتني، ولو أحببتَ الله لأحببْتني. قال الزهري: أتشتمني؟ قال سليمان: بل أنت شتمت نفسك! أما علمت أنّ للجار على جاره حقاً؟ قال أبو حازم: إن بني إسرائيل لمّا كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء، وكانت العلماء تفر بدينها من الأمراء، فلما رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا ذلك العلْم وأتوا به إلى الأمراء، فاستغنت به عن العلماء، واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وانتكسوا، ولو كان علماؤنا يصونون علمهم لم تَزَلْ الأمراءُ تهابهم. قال الزهري: كأنك إياي تريد؟ وبي تعرّض؟! قال: هو ما تسمع.

وعن الذيال بن عبّاد قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: عافانا الله وإياك ـ أبا بكر ـ من الفتن، فقد أصبحت بحالٍ ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك: أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نِعمُ الله عليك فيما أصحّ من بدنك، وأطال من عمرك، وعلمتَ حُجَج الله تعالى مما علّمك من كتابه، وفقّهك فيه من دينه، وفهّمك من سنة نبيه ﷺ، فرمى بك في كلّ نعمة أنعمها عليك وكل حُجّة يُحتَج بها عليك، الغرضُ الأقصى ابتلَى في ذلك شكَرك، وأبدى فيه فضله عليك، وقد قال عز وجل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] فانظر: أي رجل تكون إذا وقفتَ بين يدي الله عز وجل فسألك عن نِعَمه عليك كيف رعيتها؟ وعن حججه عليك كيف قَضيتها؟ فلا تحسبَن الله عز وجل راضياً منك بالتعذير، ولا قابلاً منك التقصير! هيهات ليس ذاك، أَخَذَ على العلماء في كتابه إذ قال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] إنك تقول: إنك جَدِلٌ ماهرٌ عالم قد جادلت الناسَ فَجدلتهم وخاصمتَهم فخصمتهم إدلالاً منك بفَهمك واقتداراً منك برأيك، فأين تَذهب عن قول الله عز وجل: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ

ٱلْقِيَـٰمَةِ؟﴾ [النساء: ١٠٩] اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت أن آنستَ الظالم، وسهّلت له طريق الغي بدنوك حين أُدنيت، وإجابتك حين دُعيت، فما أخلقك أن ينوّه غداً باسمك مع الجَرَمة، وأن تُسأل عما أردت بإغضائك عن ظُلم الظَلَمَة، إنك أخذت ما ليسَ لمن أعطاك، جعلوك قطباً تدور عليه رَحى باطِلهم، وجسْراً يَعبُرون بك إلى بلائهم، وسلَّماً إلى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسرَ ما عَمروا لكَ في جنْب ما خرَّبوا عليك، وما أقَّل ما أعطوك في قدْر ما أخذوا منك، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حسابَ رجل مسؤول! وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وانظر كيف إعظامُك أمرَ من جعلك بدينهِ في الناس مبجلاً؟ وكيْف صيانتُك لكسْوةِ من جعلك بكسوته مستتراً، وكيف قربك وبُعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً؟ ما لك لا تتنبه من نعستك، وتستقيل من عثرتك؟ فتقول: والله ما قمت لله عز وجل مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً ولا أميت له فيه باطلاً؟ أين شُكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه؟ ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٦٩] إنك لست في دار مقام، قد أوذِنتَ بالرحيل فما بقاء المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان في الدنيا على وجَلٍ ما يؤمَن من أن يَموت وتبقى ذنوبه من بعده! إنك لم تؤمَر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلاً أن ترد له على ظهرك، ذهبت اللذة وبقيت التَبِعة، ما أشقى من سَعِد بكسبه غيره، احذر فقد أُتيت! وتخلّصْ فقد وهِلت! إنك تعامل مَن لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل.

تجهز فقد دنا منك سَفر بعيد، وداو دينك فقد دخَله سقمٌ شديد، ولا تحسبنّ أني أردت توبيخك وتعييرك وتعنيفك! ولكني أردت أن تُنعِشَ ما فات من رأيك، وتردّ عليك ما عزب عنك من حلمك، وذكرتُ قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك، وبقيتَ بعدهم كَقْرن أعضب، فانظر: هل ابتُلوا بمثل ما ابتليت به؟ أو دخَلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه دَخَر لك خيراً مُنِعُوه؟ أو علَّمك شيئاً جهلوه؟ فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك كَبرَ هذا في سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن يلوم الحَدَث في سنّه، الجاهلَ في علمه، المأفون في رأيه، المدخولَ في عقله؟ ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وعن محمد بن إسحاق الموصلي قال: قال أبو حازم: إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها في أوانِ كسادِها، فإنه لو جاء يومُ نَفاقها لم تصل منها إلى قليل ولا إلى كثير.

قال ابن أبي الحواري: وسمعت مروان بن محمد يقول: قال أبو حازم: ويحك يا أعرجُ يدعى يوم القيامة بأهل خطيئةٍ كذا وكذا فتقوم معهم، ثم يُدعى بأهل خطيئة [أُخرى؟ فتقوم معهم!! فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة!!] (١).

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من الحلية لأبي نعيم (٣/ ٢٣٠) خلت منه النسخ كلها.

وعن عبد الرحمن بن جرير قال: سمعت أبا حازم يقول: عند تصحيح الضمائر تُغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح.

وعن محمد بن مطرف قال: قال أبو حازم: ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد أُلزق به شيء يسوءك.

وعن سعيد بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: إن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله من سيئة هي عليه أضرُّ منها، وإن العبد ليعمل السيئة، ثم تسوءه حين يعملها، وما خلق الله عز وجل من حسنة أنفع له منه، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتجبّر فيها ويرى أن له فضلاً على غيره، ولعل الله عز وجل يحبطها ويحبط معها عملاً كثيراً، وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه، ولعل الله عز وجل يحدث له فيها وجلاً، فيلقَى الله وإن خوفها لفي جوفه باقٍ.

وعن عون بن جرير قال: سمعت أبي يقول: كان أبو حازم يمرّ على الفاكهة فيقول: موعدُك الجنة.

وعن جُويرية بن أسماء قال: مرّ أبو حازم بجزّار. فقال: يا أبا حازم خذ من هذا اللحم، فإنه سمين! قال: ليَس معي درهم. قال: أُنْظِرُك. قال: أنا أُنْظِرُ نفسي.

وعن الفضل قال: قال حازم المَديني: وجدت الدنيا شيئين: فشيء منها هو لي فلن أعجّله قبل أجلِه ولو طلبته بقوة السموات والأرض، وشيء منها هو لغيري فلم أنله فيما مضى، ولا أرجوه فيما بقي، يَمنع الذي لي من غيري كما يَمنع الذي لغيري مني، ففي أي هذين أفني عمري؟ ووجدت ما أُعطيتُ من الدنيا شيئين: فشيء يأتي أجله قبل أجلي فأغلَب عليه، وشيء يأتي أجلي قبل أجله فأموت وأخلفه لمن بعدي، ففي أي هذين أعصي ربي عز وجل؟.

وعن حفص بن ميسرة قال: قال أبو حازم: عجباً لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحَلة، ويَدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كلَّ يوم مرحلة.

وعن ابن عُيينة: قال أبو حازم: إني لأَعظ وما أرى له موضعاً وما أريد إلا نفسي. وقال: لو أن أحدكم قيل له: ضع ثوبك على هذا الهوف(١) حتى يُرمى! لقال: ما كنتُ لأخرق ثوبي، وهو يخرق دينه.

وحلف أبو حازم لجلسائه: لوددت أنّ أحدكم يُبقي على دينه كما يُبقى على نَعله.

وعن فُضَيل بن عياض قال: قال أبو حازم: اضْمنُوا لي اثنين أضمنْ لكم الجنة: عملاً بما تكرهون إذا أحبّه الله تعالى، وتَرْكَ ما تحبّون إذا كرِهَهُ الله عز وجل.

وعن يعقوب بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا حازم يقول: يسيرُ الدنيا يشغَلُ عن كثير من الآخرة.

---

(١) الهَوْف: الريح الحارّة.

وقال: ما أحببتَ أن يكون معك في الآخرة فقدّمه اليومَ، وما كرهتَ أن يكون معك في الآخرة فاتركْه اليوم.

وقال: كل عمل تكره الموتَ من أجله فاتركه، ثم لا يضرّك متى متّ.

وقال: إنك لتجد الرجل يعمل بالمعاصي فإذا قيل له: أتحبّ أن تموت؟ قال: يقول: وكيف، وعندي ما عندي؟! فيقال له: أفلا تترك ما تعمل من المعاصي؟ فيقول: ما أريد تركَه، وما أحب أن أموت حتى أتركَه.

وقال: شيئان إذا عملت بهما أصبتَ بهما خير الدنيا والآخرة، لا أطوّل عليك!

قيل: وما هما يا أبا حازم؟ قال: تحمّل ما تكره إذا أحبّه الله، وتترك ما تحبّ إذا كرهه الله.

وعن محمد بن يحيى المازني قال: قال أبو حازم: رضِيَ الناسُ من العَمل بالعلم، ومن الفعل بالقول.

وعن سليمان بن سليمان العُمَري قال: رأيت أبا جعفر القاري - يعني في المنام - على الكعبة فقلت له: يا أبا جعفر. قال: نعم، أقرِئ إخواني مني السلام، وخبّرهم أن الله عز وجل جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين، وأقرىء أبا حازم السلام وقل له: يقول لك أبو جعفر: الكَيْسَ الكَيْسَ، فإن الله وملائكته يتراءوْن مجلسك بالعشيّات.

أسند أبو حازم عن ابن عمر، وسهل بن سعد، وأنس بن مالك. وقيل: إنه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب، وأبي سلمة، وعروة وغيرهم.

وتوفي في بعد سنة أربعين ومائة في خلافة المنصور.

من الطبقة الخامسة

من أهل المدينة

١٨٦ - جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام

يكنى أبا عبد الله، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، كان مشغولاً بالعبادة عن حب الرياسة.

وعن عمرو بن أبي المقدام قال: كنتَ إذا نظرتَ إلى جعفر بن محمد علمتَ أنه من سلالة النبيين.

وعن مالك بن أنس قال: قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال في كتابه:

---

١٨٦ - جعفر بن محمد بن علي بن الحسين - رضي الله عنهم -: تاريخ الإسلام (٦/ ٢٨١)، شذرات الذهب (١/ ٤٥)، تاريخ بغداد (٢/ ٢٩٦)، وفيات الأعيان (٤/ ١٨٣)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٠٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٩١).

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ يعني: في الدنيا ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [نوح: ١١ ـ ١٢] في الآخرة، يا سفيان إذا حزَبك أمرٌ من سلطان أو غيره فأكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» فإنها مفتاح الفرَج، وكنز من كنوز الجنة.

وعن ابن أبي حازم قال: كنت عند جعفر بن محمد إذ جاءه آذنه فقال: سفيان الثوري بالباب؟ فقال: ائذن له. فدخل، فقال جعفر: يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان وأنا أتّقي السلطان، قم فاخرج غير مطرود! فقال سفيان: حدثني حتى أسمع وأقوم. فقال جعفر: حدثني أبي عن جدي: أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله، ومن استبطأ الرزق فليستغفِر الله، ومن حزبه أمر فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله**» فلما قام سفيان. قال جعفر: خذها يا سفيان؛ ثلاثٌ وأيُّ ثلاث.

وعن الهياج بن بسطام قال: كان جعفر بن محمد يُطعم حتى لا يبقي لعياله شيء.

وعن يحيى بن الفرات قال: قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله وتصغيره وستره.

وسئل جعفر بن محمد: لم حرم الله الربا؟ قال: لئلا يتمانع الناسُ المعروفَ.

وعن بعض أصحاب جعفر الصادق قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه، وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أن قال: يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي، فإنك إن حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً؛ يا بني إنه من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مدّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله عز وجل له اتهم الله تعالى في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سلَّ سيف البغي قُتِل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حُقِّر، ومن خالط العلماء وُقِّر، ومن دخل مداخل السوء اتُّهم، يا بني قلِ الحقَّ لك وعليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه.

وعن أحمد بن عمرو بن المقدام الرازي قال: وقع الذباب على المنصور فذبّه عنه، فعاد فذبّه حتى أضجره، فدخل جعفر بن محمد، فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله عز وجل الذباب؟ قال: ليُذِلَّ به الجبابرة.

وعن الحسن بن سعيد اللخمي عن جعفر بن محمد قال: من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة.

وعن الحرمازي قال: كان رجل من أهل السواد يلزم جعفر بن محمد، ففقده، فسأل عنه؟ فقال له رجل: إنه نبطي ـ يريد أن يضع منه ـ! فقال جعفر: أصل الرجل عقلُه، وحَسَبُه دينه، وكرمه تقواه، والناس في آدم مستوون.

وعن سفيان الثوري قال: سمعت جعفر بن محمد الصادق يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن طُلِبتْ في الخمول ولم توجد فيوشك

أن تكون في التخلّي، وليس كالخمول، فإن طلبت في التخلي ولم توجد فيوشك أن تكون في الصمت، وليس كالتخلي، فإن طُلِبتْ في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها.

وعن عبد الله بن الفضيل بن الربيع عن أبيه ـ ولم يحفظ عليّ الدعاء، وبعضه عن غيره ـ قال: حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومائة، فقدم المدينة وقال: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به مُتْعَباً، قتلني الله إن لم أقتله! فتغافل عنه الربيع لينساه، ثم أعاد ذكره للربيع وقال: أرسل إليه من يأتي به متعباً. فتشاغل عنه، ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة في جعفر، وأمره أن يبعث إليه، ففعل، فلما أتاه قال له: يا أبا عبد الله اذكر الله، فإنه قد أرسل إليك التي لا سوى لها. قال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم أعلم أبا جعفر حضورَه، فلما دخل أوعده وقال: أي عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني، وتبغيه الغوائل! قتلني الله إن لم أقتلك. فقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظُلِم فغفر، وأنت من ذلك السنخ[1]. فقال له أبو جعفر: إليّ وعندي ـ أبا عبد الله ـ البريء الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم.

ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه، ثم قال: علي بالمنجفة[2]، فأُتي بدهن فيه غالية فغلفه بيده حتى خِلتُ لحيته قاطرة، ثم قال: في حفظ الله وفي كلاءته. ثم قال: يا ربيع أَلحِقْ أبا عبد الله جائزته وكسوته؛ انصرف ـ أبا عبد الله ـ في حفظ الله وفي كنفه. فانصرف ولحقته فقلت له: إني قد رأيت قبل ذلك ما لم تره، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت؟ قال قلت: اللّهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يُرام، واغفر لي بقدرتك علي، لا أهلِكُ وأنت رجائي، اللّهم إنك أكبر وأجلُّ ممن أخاف وأحذر، اللّهم بك أدفع في نحره، وأستعيذ بك من شره.

وعن الليث بن سعد قال: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة، فلما أن صليت العصر رقيت أبا قبيس فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو فقال: يا رب يا رب. حتى انقطع نفَسُه. ثم قال: يا رباه، حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا رب. حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا الله يا الله. حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا حي يا حي. حتى انقطع نفَسه، ثم قال: يا رحيم. حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه سبع مرات، ثم قال: اللّهم إني أشتهي من هذا العنب فأطعمنيه، اللّهم إن بُردَي قد أخلقا. قال الليث: فوالله ما استتمَّ كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً وليس على الأرض يومئذ عنب، وبردين موضوعين فأراد أن يأكل، فقلت: أنا شريكك! فقال لي: تقدم وكُلْ، ولا تأخذ منه شيئاً.

---

(١) السِّنْخُ: الأصل ا.هـ النهاية (س ـ ن ـ خ).

(٢) المنجفة: الزبيل، والزبيل: نوع وعاء من جلد ا.هـ اللسان (ن ـ ج ـ ف).

فتقدمت فأكلت شيئاً لم آكل مثله قط، وإذا عنب لا عجم له، فأكلت حتى شبعت والسلة بحالها، ثم قال لي: خذ أحب البردين إليك. فقلت له: أما البردان فأنا غني عنهما، فقال لي: توارَ عني حتى ألبسهما. فتواريت عنه فارتدى أحدهما واتتزر الآخر، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلهما على عاتقه، فنزل فاتبعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال: اكسني كساك الله يا ابن رسول الله. فدفعهما إليه.

فلحقت الرجل فقلت له: من هذا؟ قال: جعفر. قال ابن محمد: قال الليث: فطلبته لأسمع منه فلم أجده.

أسند جعفر بن محمد عن أبيه، وعن عطاء بن أبي رباح، وعكرمة في آخرين.

وروى عنه من التابعين جماعة منهم أيوب السختياني، ومن الأئمة مالك، والثوري، وشعبة في آخرين.

وتوفي بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة رحمه الله.

١٨٧ ـ محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة

ابن الحارث بن أبي ذئب: عن محمد بن عمر قال: كان محمد بن عبد الرحمن يكنى أبا الحارث، ولد في سنة ثمانين عام الجُحاف، وكان من أورع الناس، وكانوا يرمونه بالقدر، وما كان قدرياً، وكان يصلي الليل أجمع.

وأخبرني أخوه قال: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، فوقعت الرجفة بالشام، فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة ـ وكان يوم إفطاره ـ فقلت له: قم تغذى. قال: دعه اليوم. فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات، وكان يتعشى بالخبز والزيت، وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف، ويحفظ حديثه كله.

ودخل على عبد الصمد بن علي وهو والي المدينة فكلمه في شيء، فقال له عبد الصمد: إني لأراك مرائياً. فأخذ عوداً أو شيئاً من الأرض فقال: من أرائي؟ فوالله للناسُ عندي أهونُ من هذا.

وحج أبو جعفر فدعا ابن أبي ذئب فقال: نشدتك بالله ألست أعمل بالحق؟ أليس تراني أعدل؟ فقال ابن أبي ذئب: أما إذا نشدتني بالله فأقول: اللّهم لا، ما أراك تعدل، وإنك لجائر، وإنك لتستعمل الظلمة وتدع أهل الخير.

قال محمد بن عمر: فحدثني محمد بن إبراهيم وإبراهيم بن يحيى، وأخبرت عن عيسى بن علي قالوا: فظننا أن أبا جعفر سيعالجه، فجعلنا نكفّ إلينا ثيابنا مخافة أن يصيبنا من دمه، فجزع أبو جعفر واغتمّ وقال له: قم فاخرج.

ومات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة وهو ابن تسع وسبعين.

---

١٨٧ ـ محمد بن عبد الرحمٰن بن المغيرة ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٦/ ٢٩٠)، العبر (١/ ٢٢٨)، شذرات الذهب (١/ ٢٤٢)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٥٨).

وعن أحمد بن علي الحافظ قال: سمع ابن أبي ذئب من عكرمة، ونافع، وسعيد المقبري، وأبي الزناد، ومحمد بن المنكدر، والزهري وغيرهم.

وكان فقيهاً صالحاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أقدمه المهدي بغداد فحدَّث بها، ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة.

وقال أحمد بن حنبل: كان ابن أبي ذئب يُشبَّه بسعيد بن المسيب. قيل لأحمد: خلَّف مثله ببلاده؟ قال: لا، ولا بغيرها.

١٨٨ ـ مصعب بن ثابت بن عبد الله

ابن الزبير؛ أبو عبد الله القرشي: عن الزبير بن بكار قال كان: مصعب بن ثابت من أعبد أهل زمانه، صام خمسين سنة.

قال الزبير: وحدثني يحيى بن مسكين قال: ما رأيت أحداً قط أكثر ركوعاً وسجوداً من مصعب ابن ثابت، كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، ويصوم الدهر.

قال محمد بن سعد: توفي مصعب بن ثابت سنة سبع وخمسين ومائة رحمه الله.

من الطبقة السادسة

من أهل المدينة

١٨٩ ـ مالك بن أنس

ابن مالك بن أبي عامر الأصبُحي: عن محمد بن عمر قال: سمعت مالك بن أنس يقول: قد يكون الحمل ثلاث سنين، وقد حُمل ببعض الناس ثلاث سنين ـ يعني نفسه ـ قال: وسمعت غير واحد يقول: حمل بمالك ثلاث سنين.

وعن مطرف بن عبد اللّٰه قال: كان مالك بن أنس طويلاً، عظيم الهامة، أصلع، أبيض الرأس واللحية، شديد البياض إلى الشقرة، ولباسه الثياب العدنية الجياد، ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المُثَل.

وعن أبي مصعب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهلٌ لذلك.

وعنه قال: ما أجبتُ في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني: هل يراني موضعاً لذلك؟ سألت

---

١٨٨ ـ مصعب بن ثابت بن عبد الله ـ رحمه الله ـ: العبر (١/ ٢٧٢)، وتاريخ ابن الأثير (٦/ ١٤٧)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٣٥)، شذرات الذهب (٢/ ١٢)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٥)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧٥)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ١٧٤).

١٨٩ ـ مالك بن أنس ـ الإمام ـ رحمه الله ـ: الحلية (٨/ ٢٨٣)، الجرح والتعديل (٥/ ١٠٣)، شذرات الذهب (١/ ٣٠٦)، العبر (١/ ٢٨٩)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٠٢).

ربيعة وسألت يحيى بن سعيد فأمراني بذلك. فقلت: يا أبا عبد الله فلو نَهَوكَ؟ قال: كنت أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه.

وقال خلف: دخلت على مالك بن أنس فقال لي: انظر ما تحت مصلاي أو حصيري. فنظرت فإذا بكتاب. فقال: اقرأه. فإذا فيه رؤيا رآها له بعض إخوانه فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام في مسجده وقد اجتمع الناس عليه فقال لهم: «إني قد خبأت لكم تحت منبري طيباً أو علماً وأمرت مالكاً أن يفرقه على الناس». فانصرف الناس وهم يقولون: إذاً ينفذ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ، ثم بكى فقمت عنه.

وعن ابن أبي أويس قال: كان مالك إذا أراد أن يُحدِّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته، وتمكن في الجلوس بوَقار وهيبة، ثم حدث. فقيل له في ذلك؟ فقال: أحب أن أعظم حديث النبي ﷺ ولا أحدِّث به إلا على طهارة متمكناً.

وكان يكره أن يحدث في الطريق وهو قائم أو مستعجل فقال: أحب أن يُفهم ما أحدث به عن رسول الله.

قال إبراهيم بن المنذر: سمعت معن بن عيسى يقول: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يُحدِّث بحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتبخر وتطيب، وإذا رفع أحد صوته عنده قال: اغضض من صوتك فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله.

وعن عبد الله بن وهب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في القلب.

وعنه: قيل لمالك بن أنس: ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسَنٌ جميل، ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزَمه.

وعن ابن مهدي قال: سأل رجل مالكاً عن مسألة؟ فقال: لا أحسنها. فقال الرجل: إني ضربت إليك كذا وكذا لأسألك عنها. فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم أني قلت لك: لا أُحسِنها.

وعن حنبل بن إسحاق قال: سألت أبا عبد الله عن مالك؟ فقال: مالك سيدٌ من سادات أهل العلم، وهو إمام في العلم والفقه. ثم قال: ومن مثل مالك؛ متَّبعٌ لآثار من تقدم مع عقل وأدب؟ مسانيد مالك أشهر من أن تُذكر، وهو النجم الثاقب في أهل النقل.

وعن ابن أبي أويس قال: اشتكى مالك بن أنس أياماً يسيرة، فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت؟ فقال: تشهد، ثم قال: لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ.

وتوفي صبيحة أربع عشرة من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة في خلافة هارون، ودفن بالبقيع وهو ابن خمس وثمانين سنة، فذكرت ذلك لمصعب الزبيري، فقال: مات في صفر رحمه الله.

من الطبقة السابعة

من أهل المدينة

١٩٠ ـ عبد الله بن عبد العزيز العمري

ويكنى أبا عبد الرحمن. عن عبد الله بن خبيق قال: تعبّد عبد الله العمري وسكن المقابر، وكان لا يُرى إلا وفي يده كتاب يقرؤه، وترك مجالسة الناس، فسئل عن فعله؟ فقال: لم أر أوعظ من قبر، ولا آنسِ من كتاب، ولا أسلم من الوحدة. فقيل له: قد جاء في الوحدة ما جاء؟ قال: لا تفسِد إلا جاهلاً.

وعن الفضل بن غسان عن أبيه قال: رأى العمري رجلاً من آل علي يمشي يخطُر فأسرع إليه فأخذ بيده فقال: يا هذا إن الذي أكرمك الله به[1] لم تكن هذه مشيته! قال: فتركها الرجل بعد.

عن أبي المنذر إسماعيل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الرحمن العمري يقول: إن من غفلتك عن نفسك إعراضُك عن الله بأن ترى ما يسخطه فتجاوزه، ولا تأمر ولا تنهى خوفاً ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً.

وقال: سمعته يقول: من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الله تعالى، فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لاستخفّ به.

وعن أبي قدامة السرخسي قال: قام العمري للخليفة على الطريق، فقال له: فعلت وفعلت؟ فقال له: ماذا تريد؟ ماذا تريد؟ قال: تعمل بكذا وتعمل بكذا. فقال له هارون: نعم يا عم، نعم يا عم.

وعن سعيد بن سليمان قال: كنت بمكة في زقاق الشطوي وإلى جنبي عبد الله بن عبد العزيز العمري وقد حج هارون الرشيد فقال له إنسان: يا أبا عبد الرحمن هو ذا أمير المؤمنين يسعى! قد أخلي له المسعى. قال العمري للرجل: لا جزاك الله عني خيراً، كلفتني أمراً كنت عنه غنياً. ثم تعلّق نعليه، وقام، فتبعته وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به: يا هارون! فلما نظر إليه قال: لبيك يا عم. قال: ارق الصفا. فلما رقيه قال: ارم بطرفك إلى البيت.

قال: قد فعلت. قال: كم هم؟ قال: ومن يحصيهم؟ قال: فكم في الناس مثلهم؟ قال: خلق لا يحصيهم إلا الله! قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يُسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم! فانظر كيف تكون؟ قال: فبكى هارون وجلس، وجعلوا يعطونه منديلاً للدموع. قال العمري: أو أخرى أقولها؟ قال: قل يا عم. قال: والله إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحَجْر عليه، فكيف بمن يسرف في مال المسلمين؟ ثم مضى وهارون يبكي.

قال محمد بن خلف: سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول: بلغني أن هارون الرشيد قال: إني لأحب أن أحج كل سنة، ما يمنعني إلا رجل من ولد عمر ثُمَّ يُسمِعُني ما أكره!

وقد روي لنا من طريق آخر: أنه لقيه في المسعى فأخذ بلجام دابته فأهوت إليه الأجناد فكفّهم

---

١٩٠ ـ عبد الله بن عبد العزيز العُمَري ـ رحمه الله ـ: طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٣)، الجرح والتعديل (٢/ ٤٠٩)، الحلية (٣/ ٢٦٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٧)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٥)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٩٠).

(١) يقصد: رسول الله ﷺ، لأن آل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ إنما شَرَفُهم مُكتَسَبٌ من رسول الله ﷺ.

عنه الرشيد، فكلمه فإذا دموع الرشيد تسيل على مَعرفة دابته، ثم انصرف. وإنه لقيه مرة فقال: يا هارون فعلت وفعلت؟ فجعل يسمع منه ويقول: مقبول منك يا عم على الرأس والعين. فقال: يا أمير المؤمنين من حال الناس كيت وكيت؟ فقال: عن غير علمي وأمري.

وخرج العمري إلى الرشيد مرة ليعظه فلما نزل الكوفة زحف العسكر حتى لو كان نزل بهم مائة ألف من العدو ما زادوا على هيبته، ثم رجع ولم يصل إليه.

وعن أبي يحيى الزهري قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العمري عند موته: بنعمة ربي أحدِّث: إني لم أصبح أملك إلا سبعة دراهم، من لحاء شجر فتلته بيدي، وبنعمة ربي أُحدِّث: لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي ما يمنعني أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها.

وعن أبي إسماعيل المؤدب قال: جاء رجل إلى العمري فقال: عظني؟ قال: فأخذ حصاة من الأرض فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك خيرٌ لك من صلاة أهل الأرض. قال: زدني؟ قال: كما تحب أن يكون الله عز وجل لك غداً فكن له اليوم.

أسند العمري الحديث، وأدرك من التابعين أبا طوالة، وروى عن أبيه، وعن إبراهيم بن سعد.

وتوفي بالمدينة سنة أربع وثمانين ومائة وهو ابن ست وستين سنة.

١٩١ ـ موسى بن جعفر بن محمد بن علي

ابن الحسين بن علي، أبو الحسن الهاشمي عليهم السلام.

كان يُدعى العبد الصالح لأجل عبادته واجتهاده وقيامه بالليل، وكان كريماً حليماً، إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمال.

عن الفضل بن الربيع عن أبيه: أنه لما حبس المهديُّ موسى بن جعفر رأى المهدي في النوم علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: يا محمد ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٢٢] قال: الربيع فأرسل إلي ليلاً، فراعني ذلك، فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية، وكان أحسن الناس صوتاً فقال: عليَّ بموسى بن جعفر. فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال: يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم يقرأ علي كذا فتؤمنني أن [لا] تخرج عليّ أو على أحد من ولدي؟ فقال: والله لا فعلت ذلك، ولا هو من شأني! قال: صدقت. يا ربيع أعطِه ثلاثة آلاف دينار. ورده إلى أهله إلى المدينة.

قال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق.

وعن شقيق بن إبراهيم البلخي قال: خرجت حاجّاً في سنة تسع وأربعين ومائتين، فنزلت القادسية، فبينا أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة، يعلو فوق ثيابه ثوب من صوف مشتمل بشملة، في رجليه نعلان وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا

١٩١ ـ موسى بن جعفر بن محمد بن علي ـ رضي الله عنهم ـ: تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٠٢)، وتقريب التهذيب (١/ ٤٠٥)، وانظر سنن الترمذي (٣٧٤٩).

الفتى من الصوفية يريد أن يكون كَلًّا على الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنه. فدنوت منه فلما رآني مقبلا قال: يا شقيق: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ثم تركني ومضى: فقلت في نفسي: إن هذا لأمر عظيم؛ قد تكلم على ما في نفسي ونطق باسمي! وما هذا إلا عبد صالح! لألحقنه ولأسألنه أن يحالّني. فأسرعت في إثره فلم ألحقه وغاب عن عيني، فلما نزلنا واقصة إذا به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري، فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه وأستحله. فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه، فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق اتلُ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، ثم تركني ومضى. فقلت: إن هذا الفتى لمن الأبدال[1]، وقد تكلم على سري مرتين، فلما نزلنا رمالاً إذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي ماء فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه، فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول:

أنت ربي إذا ظمئتُ من الما ء وقوتي إذا أردت الطعاما

اللهم سيدي ما لي سواها فلا تُعدِمنيها. قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمد يده فأخذ الركوة وملأها ماء وتوضأ وصلّى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب، فأقبلت إليه وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك؟

فقال: يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك. ثم ناولني الركوة، فشربت منها فإذا سويق وسكر، فوالله ما شربت قط ألذَّ منه، ولا أطيب ريحاً منه، فشبعت ورويت فأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً، ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب في نصف الليل يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبّح الله، ثم قام فصلى الغداة، وطاف بالبيت أسبوعاً، وخرج فتبعته فإذا له حاشية وموالٍ وهو على خلاف ما رأيته في الطريق، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه، فقلت لبعض من رأيته يقرب منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد.

وعن أحمد بن إسماعيل قال: بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من الحبس رسالة، كانت: إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نفضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون.

ولد موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة في سنة ثمان وعشرين، وقيل: تسع وعشرين ومائة، وأقدمه المهدي بغدادَ، ثم رده إلى المدينة، فأقام بها إلى أيام الرشيد، فقدم الرشيد المدينة فحمله معه، وحبسه ببغداد إلى أن توفي بها لخمس بقين من رجب في سنة ثلاث وثمانين ومائة.

آخر المصطفين من المدنيين المعروفين

---

(١) انظر «الحاوي للفتاوى» للإمام السيوطي بتحقيقنا ـ طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ فقد بحثنا المسألة وأصّلنا لها ـ زيادة على ما ذكره الحافظ السيوطي ـ بما ينير لك الفهم في هذه المسألة إن شاء الله تعالى.

ذِكْرُ المصطَفَين من عبّاد المدينة الذين لم تُعرف أسماؤهم

١٩٢ ـ عابد من رعاة المدينة

قال عبد العزيز: قال نافع خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا سفرة، فمر بهم راع، فقال له عبد الله: هلم يا راعي فأصب من هذه السفرة؟ فقال: إني صائم. فقال له عبد الله: في مثل هذا اليوم الشديد حرُّه وأنت في هذه الشِّعاب في آثار هذه الغنم وبين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم؟ فقال الراعي: أبادر أيامي الخالية. فعجب ابن عمر وقال: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك نجتزرها ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: إنها ليست لي، إنها لمولاي. قال: فما عسيت أن يقول لك مولاك إن قلتَ: أكلها الذئب؟ فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟ قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي: فأين الله؟ فما عدا أن قدم المدينة، فبعث إلى سيده فاشترى منه الراعي والغنم، فأعتق الراعي، ووهب له الغنم رحمه الله.

١٩٣ ـ عابد آخر

قال ابن يزيد بن أسلم: قال محمد بن المنكدر: إني لليلة مواجهٌ هذا المنبر جوف الليل أدعو، إذا أنا بإنسان عند أسطوانة مقنّع رأسه فأسمعه يقول: أي رب إن القحط قد اشتدّ على عبادك، وإني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم؟ قال: فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت، ثم أرسلها الله عز وجل. وكان عزيزاً على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير. فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه؟ فلما سلم الإمام تقنَّع وانصرف واتبعه، ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس فدخل موضعاً فأخرج مفتاحاً، ثم دخل. قال: فلما أصبحت أتيته فإذا أنا أسمع نجراً في بيته فسلمت وقلت: أدخل؟ قال: ادخل. فإذا هو ينجر أقداحاً يعملها. فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستَشْهَرَها وأعظَمَها مني. فلما رأيت ذلك قلت: أخي سمعت إقسامك البارحة على الله عز وجل، يا أخي هل لك في نفقة تغنيك عن هذا، وتفرغك لما تريد من الآخرة؟ قال: لا؛ ولكن غير ذلك، لا تذكرني لأحد حتى أموت، ولا تأتيني يا ابن المنكدر، فإنك إن تأتني تُشهرني للناس! فقلت: إني أحب أن ألقاك؟ قال: إلقني في المسجد ـ وكان فارسياً ـ قال: فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل.

---

١٩٢ ـ عابد من رعاة المدينة: ذكره الطبري في الكبير (٢١/ ٢٦٣).

١٩٣ ـ عابد آخر: ذكره أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٥٢) و(١٠/ ١٧٢) والذهبي في السير (٥/ ٣٥٧).

قال ابن وهب: بلغني أنه انتقل من تلك الدار، فلم يُر، ولم يُدْرَ أين ذهب؟ فقال أهل تلك الدار: الله بيننا وبين ابن المنكدر أخرج عنا الرجل الصالح.

١٩٤ ـ عابد آخر

عن محمد بن المنكدر قال: كانت لي سارية في مسجد رسول الله ﷺ أجلس أصلي إليها بالليل، فقحط أهل المدينة سنة فخرجوا يستقون، فلم يُسقوا، فلما كان من الليل صليت عشاء الآخرة في مسجد رسول الله ﷺ، ثم جئت فتساندت إلى ساريتي فجاء رجل أسود تعلوه صفرة متّزر بكساء وعلى رقبته كساء أصغر منه فتقدّم إلى السارية التي بين يديّ وكنت خلفَه، فقام فصلّى ركعتين، ثم جلس، فقال: أي رب خرج أهل حرم نبيك يستسقون فلم تسقهم، فأنا أقسم عليك لما سقيتهم.

قال ابن المنكدر: فقلت: مجنون! قال: فما وضع يده حتى سمعت الرعد، ثم جاءت السماء بشيء من المطر، [و] أهمني الرجوع إلى أهلي، فلما سمع المطر حمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها قط، قال: ثم قال: ومن أنا؟ وما أنا حيث استجبتَ لي؟ ولكن عذت بحمدك وعذت بطَولك. ثم قام فتوشح بكسائه الذي كان متزراً به، وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره في رجليه، ثم قام فلم يزل قائماً يصلي، حتى إذا أحس الصبح سجد وأوتر وصلى ركعتي الصبح، ثم أقيمت صلاة الصبح فدخل في الصلاة مع الناس ودخلت معه، فلما سلم الإمام قام فخرج وخرجت خلفه، حتى انتهى إلى باب المسجد، فخرج يرفع ثوبه ويخوض الماء، فخرجت خلفه رافعاً ثوبي أخوض الماء فلم أدر أين ذهب.

فلما كانت الليلة الثانية صليت العشاء في مسجد رسول الله ﷺ، ثم جئت إلى ساريتي فتوسدت إليها، وجاء فقام فتوشح بكسائه وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره في رجليه، وقام يصلي فلم يزل قائماً حتى إذا خشي الصبح سجد، ثم أوتر، ثم صلى ركعتي الفجر، وأقيمت الصلاة، فدخل مع الناس في الصلاة، ودخلت معه، فلما سلم الإمام خرج من المسجد وخرجت خلفه، فجعل يمشي واتّبعتُه حتى دخل داراً قد عرفتها من دُور المدينة، ورجعت إلى المسجد.

فلما طلعت الشمس وصليت خرجت حتى أتيت الدار، فإذا أنا به قاعد يَخرِز، وإذا هو إسكاف، فلما رآني عرفني وقال: أبا عبد الله مرحباً، ألك حاجة؟ تريد أن أعمل لك خفًا؟ فجلست فقلت: ألست صاحبي بارحةَ الأولى؟ فاسْوَدّ وجهُه وصاح بي وقال: ابنَ المنكدر ما أنت وذاك؟ قال: وغضب! قال: ففرقت والله منه وقلت: أَخْرُجُ من عنده الآن.

فلما كان في الليلة الثالثة صليت العشاء الآخرة في مسجد رسول الله ﷺ، ثم أتيت ساريتي فتساندت إليها فلم يجيء. قال: قلت: إنا لله؛ ما صنعت؟ فلما أصبحت جلست في المسجد حتى طلعت الشمس، ثم خرجت حتى أتيت الدار التي كان فيها فإذا باب البيت مفتوح، وإذا ليس في البيت شيء. فقال لي أهل الدار: يا أبا عبد الله ما كان بينك وبين هذا أمس؟ قلت: ما له؟ قالوا: لما خرجت من عنده أمس بسط كساءه في وسط البيت، ثم لم يدع في بيته جلداً ولا قالباً إلا وضعه في

كسائه، ثم حمله، ثم خرج، فلم ندر أين ذهب؟ قال محمد بن المنكدر: فما تركت بالمدينة داراً أعلمها إلا طلبته فيها فلم أجده. رحمه الله.

١٩٥ ـ عابد آخر

عن محمد بن المنكدر قال: جئت إلى المسجد فإذا أنا برجل عند المنبر يدعو بالمطر، فجاء المطر بصوت ورعد، فقال: يا رب ليس هكذا. قال: فمطرت. قال: فتبعته حتى دخل دار آل حزم أو دار آل عمر فعرفت مكانه، فجئته من الغد فعرضت شيئاً فأبى وقال: لا حاجة لي بهذا. فقلت: حج معي؟ فقال: هذا شيء لك فيه أجر فأكره أن أنفس عليك، فأما شيء آخذه فلا.

١٩٦ ـ عابد آخر

عن محمد بن سويد: أن أهل المدينة قحطوا وكان فيها رجل صالح [ملازماً][1] لمسجد النبي ﷺ فبينما هم في دعائهم إذا أنا برجل عليه طمران خِلقان، فصلى ركعتين أوجز فيهما، ثم بسط يديه إلى الله تعالى فقال: يا رب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة. فلم يرد يده ولم يقطع دعاءه حتى تَغَشَّتْ بالغيوم، ومطروا حتى صاحَ أهل المدينة: الغرَق! فقال: يا رب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم. فسكن.

وتبع الرجلَ صاحبَ المطر حتى عرف موضعه، ثم بكر عليه فنادى أهل البيت، فخرج الرجل فقال: قد أتيتك في حاجة؟ قال: وما هي؟ قال: تخصني بدعوة! فقال: سبحان الله أنت أنت! وتسألني أن أخصك بدعوة؟ ما الذي بلغك؟ ما رأيت عني؟ فأخبره، فقال: ورأيتني؟ قال: نعم. قال: أطعتُ الله فيما أمرني ونهاني وسألته فأعطاني.

١٩٧ ـ عابد علوي من أهل المدينة

عن أبي عامر الواعظ قال: بينا أنا جالس في مسجد رسول الله ﷺ إذ جاءني غلام أسود برقعة فقرأتها، فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، متعك الله بمسامرة الفكرة، ونعَّمك بمؤانسة العبرة، وأفردك بحب الخلوة، يا أبا عامر أنا رجل من إخوانك بلغني قدومك المدينة فسررت بذلك، وأحببت زيارتك، وبي من الشوق إلى مجالستك والاستماع إلى محادثتك ما لو كان فوقي لأظلني، ولو كان تحتي لأقلني، فسألتك بالذي حباك بالبلاغة لما ألحفتني جناح التوصل بزيارتك. والسلام.

قال أبو عامر: فقمت مع الرسول حتى أتى بي إلى قباء فأدخلني منزلاً رحباً خرباً، فقال لي: قف ها هنا حتى أستأذن لك. فوقفت فخرج فقال لي: لُجْ. فدخلت عليه فإذا ببيت مفرد في الخربة له باب من جريد النخل، وإذا بكهل قاعد مستقبل القبلة تخاله من الولَه مكروباً ومن الخشية محزوباً، قد

١٩٥ ـ عابد آخر: الحلية (٣/ ١٥١).

١٩٧ ـ عابد علَوي: من أهل المدينة: الحلية (١٠/ ١٨٤).

(١) في المطبوع «لازما».

ظهرت في وجهه أحزانه، وذهبت من البكاء عيناه، ومرضت أجفانه، فسلمتُ عليه، فرد علي السلام، ثم تحلل فإذا هو أعمى أعرج مسقام فقال لي: يا أبا عامر ـ غسل الله من ران الذنوب قلبك ـ لم يزل قلبي إليك تواقاً وإلى استماع الموعظة منك مشتاقاً، وبي جرح نِغْلٌ قد أعيا الواعظين دواؤه، وأعجز المتطببين شفاؤه، وقد وصف لي نفع مراهمك للجراح والألم، فلا تَأْلُ يرحمك الله في إيقاع الترياق وإن كان مرَّ المذاق، فإني ممن يصبر على ألم الدواء رجاء الشفاء.

قال أبو عامر: فنظرت إلى منظر بهرني، وسمعت كلاماً قطعني، فأفكرت طويلاً، ثم تأتّى لي من كلامي ما تأتّى، وسهل من صعوبته ما منه رقّ لي، فقلت: يا شيخ ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء، وأجِلْ سمع معرفتك في سكان الأرجاء فتنقّل بحقيقة إيمانك إلى جنة المأوى فترى ما أعد الله فيها للأولياء، ثم تشرف على نار لظى فترى ما أعد الله للأشقياء، فشتان ما بين الدارين؟ أليس الفريقان في الأموات سواء؟ قال أبو عامر: فأَنَّ أنّةً وصاح صيحة وزفر والْتَوى، وقال: الله يا أبا عامر! وقع دواؤك على دائي، وأرجو أن يكون عندك شفائي، زدني يرحمك الله؟ قال: فقلت له: يا شيخ، الله عالم بسريرتك، مطّلع على حقيقتك، شاهدك في خلوتك، بعينه كنت عند استتارك من خلقه ومبارزته؟ قال: فصاح صيحة كصيحته الأولى، ثم قال: من لفقري؟ من لفاقتي؟ من لذنبي من لخطيئتي؟ أنت لي يا مولاي وإليك منقلبي. ثم خر ميتاً. رحمه الله.

قال أبو عامر: فأُسقِط في يدي وقلت: ماذا جنيت على نفسي؟ إذ خرجت عليَّ جاريةٌ عليها مدرعة من صوف وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبهتها وأنفها، واصفرَّ لطول القيام لونُها وتورمت قدماها فقالت: أحسنت والله يا حادي قلوب العارفين ومثير أشجان غليل المحزونين، لا نسيَ لك هذا المقامَ ربُّ العالمين! يا أبا عامر! هذا الشيخ والدي؛ مبتلى بالسقم؛ منذ عشر سنين صلى حتى أُقعد، وبكى حتى عَمِيَ، وكان يتمنّاك على الله ويقول: حضرت مجلس أبي عامر البناني فأحيا موات فكري، وطرد وسن نومي، وإن سمعتُه ثانياً قتلني! فجزاك الله من واعظ، ومتعك من حكمتك بما أعطاك.

ثم أكبَّتْ على أبيها تقبل عينيه وتبكي، وتقول: يا أبي، يا أبتاه، يا من أعماه البكاء على ذنبه! يا أبي يا أبتاه يا من قتله ذكر وعيد ربه! ثم علا البكاء والنحيب والاستغفار والدعاء، وجعلت تقول: يا أبي يا أبتاه يا حليف الحرقة والبكاء! يا أبي يا أبتاه يا جليس الابتهال والدعاء! يا أبي يا أبتاه يا صريع المذكِّرين والخطباء، يا أبي يا أبتاه يا قتيل الوعاظ والحكماء.

قال أبو عامر: فأجبتها وقلت: أيتها الباكية الحَيرى النادبة الثكلى: إن أباك نحبَه قد قضى، ووَرَدَ دارَ الجزاء، وعاين كل ما عمل، وعليه يحصى في كتاب عند ربي لا يضل ربي ولا ينسى، فمحسن فله الزلفى، أو مسيء فوارد دار من أساء.

فصاحت الجارية كصيحة أبيها، وجعلت ترشح عرقاً، وخرجتُ مبادراً إلى مسجد المصطفى محمد ﷺ وفزعت إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والتضرع والبكاء حتى كان عند العصر، فجاءني

الغلام الأسود فآذنني بجنازتهما! فقلت: أحضر الصلاة عليهما ودفنهم. فحضرت وسألت عنهما؟ فقيل لي: من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب.

قال أبو عامر: فما زلت جزعاً مما جنيت حتى رأيتهما في المنام عليهما حلّتان خضراوان، فقلت: مرحباً بكما وأهلاً، فما زلت حذِراً مما وعظتكما به، فماذا صنع الله بكما؟ فقال الشيخ:

أنت شريكي في الذي نلتُه ... مستأهلا ذاك أبا عامر
وكلُّ من أيقظ ذا غفلة ... فنصف ما يُعطاه للآمر
من ردّ عبداً آبقاً مذنباً ... كان كمن قد راقب القاهر
واجتمعا في دار عدن وفي ... جِوار رب سيّدٍ غافر

١٩٨ ـ عابد آخر

عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ـ وكان مصعب يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ويصوم الدهر ـ قال: بت ليلة في المسجد بعد ما خرج الناس منه، فإذا برجل قد جاء إلى بيت النبي ﷺ فأسند ظهره إلى الجدار فقال: اللّهم إنك تعلم أني كنت أمس صائماً، ثم أمسيت فلم أفطر على شيء، اللّهم فإني أمسيت أشتهي الثريد فأطعمنيه من عندك؟ قال: فنظرت إلى وصيف داخل من خوخة المنارة ليس في خِلْقَةِ وصفاء الناس ومعه قصعة، فأهوى بها إلى الرجل فوضعها بين يديه، وجعل الرجل يأكل، وحصبني فقال: هلمّ. فجئته وظننت أنها من الجنة، فأحببت أن آكل منها، فأكلت منها لقمة، فأكلت طعاماً لا يشبه طعام أهل الدنيا، ثم احتشمت فقمت فرجعت لمجلسي، فلما فرغ من أكله أخذ الوصيفُ القَصعة، ثم أهوى راجعاً من حيث جاء، وقام الرجل منصرفاً فتبعته لأعرفه فلا أدري أين سلك؟ فظننته الخضر عليه السلام.

ومن عقلاء المجانين بالمدينة

١٩٩ ـ أبو نصر المصاب

عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك قال: كان عندنا رجل مجنون يكنى أبا نصر من جهينة ذاهب العقل في غير ما الناسُ فيه، لا يتكلم حتى يُكَلَّمَ، وكان يجلس مع أهل الصفة في آخر مسجد الرسول ﷺ وكان إذا سئل عن شيء، أجاب فيه جواباً حسناً معجباً، فأتيته يوماً وهو في آخر المسجد مع أهل الصفة منكساً رأسه واضعاً جبهته بين ركبتيه، فجلست إلى جنبه فحركته فانتبه فزِعاً فأعطيته شيئاً كان معي فأخذه وقال: قد صادف منا حاجة. فقلت له: يا أبا نصر ما الشرف؟ قال: حمل ما ناب العشيرة أدناها وأقصاها، والقبول من محسنها، والتجاوز عن مسيئها. قلت له: فما المروءة؟ قال: إطعام الطعام وإفشاء السلام، وتوقّي الأدناسِ. قلت له: فما السخاء؟ قال: جهد مقلٍّ. قلت له: فما البخل؟ قال: أف. وحوّل وجهه عني فقلت: تجيبني؟ قال: قد أجبتك.

قال: وقدم علينا هارون [الرشيد] فأُخلِيَ له المسجد، فوقف على قبر رسول الله ﷺ وعلى منبره

وفي موقف جبريل عليه السلام، واعتنق أسطوانة التوبة، ثم قال: قفوا بي على أصحاب الصفة. فلما أتاهم حُرِّك أبو نصر وقيل: هذا أمير المؤمنين! فرفع رأسه وقال: أيها الرجل إنه ليس بين عباد الله وأمة نبيه ﷺ ورعيتك وبين الله خلقٌ غيرك، وإن الله سائلك عنهم، فأعدَّ للمسألة جواباً، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو ضاعت سخلة على شاطئ الفرات لخاف عمر أن يسأله الله عنها! فبكى هارون وقال: يا أبا نصر إن رعيتي ودهري على غير رعية عمر ودهره؟ فقال له: هذا والله غير مغنٍ عنك؛ فانظر لنفسك، فإنك وعمر تسألان عما خولكما الله.

فدعا هارون بصرّة فيها ثلاث مائة دينار وقال: ادفعوها إلى أبي نصر. فقال أبو نصر: ما أنا إلا رجل من أهل الصفة، فادفعوها إلى فلان يفرقها عليهم ويجعلني رجلاً منهم.

وكان أبو نصر يخرج في كل يوم جمعة صلاة الغداة، فيدخل السوق مما يلي الثنية، فلا يزال يقف على مِرْبَعة مِرْبَعة ويقول: أيها الناس: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] إن العبد إذا مات صحبه أهله وماله وعمله، فإذا أوضع في قبره رجع أهله وماله وبقي عمله، فاختاروا لأنفسكم ما يؤنسكم في قبوركم، رحمكم الله. ثم لا يزال كذلك مربعة مربعة حتى يأتي مصلَّى رسول الله ﷺ، ثم يمضي إلى الجمعة فلا يخرج من المسجد حتى يصلي العشاء الأخيرة. رحمه الله.

ذكر المصطَفَيات من عابدات المدينة: فمن المعروفات

٢٠٠ ـ مليكة بنت المنكدر

عن موسى بن عبد الملك ـ أبو عبد الرحمن المروزي ـ قال: قال مالك بن دينار: بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة جهيرة في الحجر وهي تقول: أتيتك من شُقَّة بعيدة مؤمِّلة لمعروفك؛ فأنلني معروفاً من معروفك تغنيني به عن معروف من سواك، يا معروفاً بالمعروف. فعرفت أيوب السختياني فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب: قولي خيراً يرحمك الله. قالت: وما أقول؟ أشكو إلى الله قلبي وهواي، فقد أضرا بي وشغلاني عن عبادة ربي، قوما فإني أبادر طي صحيفتي.

قال أيوب: فما حدثت نفسي بامرأة قبلها فقلت لها: لو تزوجت رجلاً كان يعينك على ما أنت عليه؟ قالت: لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختياني ما أردته؟ فقلت: أنا مالك بن دينار وهذا أيوب السختياني! فقالت: أف، لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء! وأقبلت على صلاتها، فسألنا عنها؟ فقالوا: هذه مليكة بنت المنكدر.

وعن أبي خالد البراد قال: كلمنا ابنة المنكدر في تخفيف بعض العبادة. فقالت: دعوني أبادر طي صحيفتي. رحمها الله.

٢٠١ ـ فاطمة بنت محمد بن المنكدر

عن إبراهيم بن مسلم القرشي قال: كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمة،

---

٢٠١ ـ فاطمة بنت محمد بن المنكدر: ذكرها البيهقي في الشعب (٣/ ١٦٤).

فإذا جنّها الليل تنادي بصوت حزين: هدأ الليل، واختلط الظلام، وأوى كل حبيب إلى حبيبه، وخلوتي بك أيها المحبوب أن تعتقني من النار. رحمها الله.

من المجهولات الأسماء

٢٠٢ ـ امرأة كانت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعسّ المدينة إذ أعيا واتكأ على جانب جدار في جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء. فقالت لها: يا أمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته يا بنية؟ قالت: إنه أمر منادياً فنادى: ألا يُشابَ اللبن بالماء. فقالت لها: يا بنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عمر! ولا منادي عمر. فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء! وعمر يسمع كل ذلك. فقال: يا أسلم علّم الباب، واعرف الموضع. ثم مضى في عسسه حتى أصبح فلما أصبح قال: يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها؟ وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أَيِّمٌ لا بعل لها، وإذا تيك أمها، وإذ ليس لهم رجل. فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته، فدعا عمر ولدَه فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه المرأة! فقال عبد الله: لي زوجة. وقال عبد الرحمن: لي زوجة وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوِّجني. فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتاً، وولدت البنت بنتاً وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز.

قال الشيخ: كذا وقع في رواة الآجري، وهو غلط. ولا أدري من أي الرواة؟

وإنما الصواب: فولدت لعاصم بنتاً، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز، كذلك نسبه العلماء.

٢٠٣ ـ عابدة أخرى

عن عبد الله بن المبارك: أن امرأة قالت لعائشة: اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ؟ فكشفت لها عنه، فبكت حتى ماتت.

٢٠٤ ـ عابدة أخرى

عن إبراهيم بن عبد الله المديني قال: حدثني أصحابنا أن امرأة كانت بالمدينة ترهق، فدخلت المقابر ذات يوم فإذا هي بجمجمة قد بدث. قال: فصرخت، ثم رجعت منيبة فدخل عليها نساؤها فقلن: ما هذا؟ فقالت:

بكى قلبي لذكر الموت لما ... رأيت جماجماً جوف القبور

ثم قالت: اخرجن عني؛ فلا تأتيني منكن امرأةٌ ترغب في خدمة الله تعالى.

ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت على ذلك.

٢٠٥ ـ عابدة أخرى

عن أبي أيوب ـ رجل من قريش ـ أن امرأة من أهله كانت تجتهد في العبادة وتديم الصيام وتطيل القيام، فأتاها الملعون فقال: إلى كم تعذبين هذا الجسم وهذه الروح؟ ولو أفطرت وقصرت عن الصيام والقيام كان أدومَ لك وأقوى؟ قالت: فلم يزل يوسوس لي حتى هممت والله بالتقصير! قالت: ثم دخلت مسجد رسول الله ﷺ معتصمة بقبره ـ وذلك بين المغرب والعشاء ـ فحمدت الله وصليت على رسوله، ثم ذكرت ما نزل بي من وسواس الشيطان واستغفرت، وجعلت أدعو الله أن يصرف عني كيده ووساوسه. قالت: فسمعت صوتاً من ناحية القبر يقول: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] قالت: فرجعت مذعورةً وَجِلةَ القلبِ. فوالله ما عاودتني تلك الوسوسة بعد تلك الليلة.

٢٠٦ ـ عابدتان مدنيتان

بلغنا عن عبد الله ابن أخت مسلم بن سعد أنه قال: أردت الحج، فدفع إليَّ خالي مسلم عشرة آلاف درهم، وقال لي: إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعطهم إياها. فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة؟ فدللت على أهل بيت، فطرقت الباب، فأجابتني امرأة: من أنت؟ فقلت: أنا رجل من أهل بغداد، أُودِعْتُ عشرة آلاف، وأُمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة، وقد وُصِفتُم لي فخذوها. فقالت: يا عبد الله إن صاحبك اشترط أفقر أهل بيت، وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منّا. فتركتهم وأتيت أولئك فطرقت الباب فأجابتني امرأة، فقلت لها مثل الذي قلت لتلك المرأة، فقالت: يا عبد الله نحن وجيراننا في الفقر سواء فاقسمها بيننا وبينهم.

انتهى ذكر أهل المدينة

ذِكْر المصطَفَين من طبقات أهل مكة
من التابعين ومن بعدهم من الطبقة الأولى

٢٠٧ ـ عبيد بن عمير بن قتادة الليثي

يكنى أبا عاصم. عن مجاهد قال: كنا نفتخر بفقيهنا وقاضينا، فأما فقيهنا فابن عباس، وأما قاضينا فعبيد بن عمير.

وعنه، عن عبيد بن عمير قال: إنْ أعظَمَكم هذا الليل أن تكابدوه وبخلتم بالمال أن تنفقوه وجَبُنْتُمْ عن العدو أن تقاتلوه فأكثروا من ذكر الله عز وجل.

وعنه، عن عبيد بن عمير قال: ما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيما مضى.

وعن قيس بن سعد عن عبيد بن عمير قال: إن أهل [القُبور] ليتلقون الميت [كما] يُتَلَقّى الراكب يسألونه، فإذا سألوه: ما فعل فلان؟ فمن كان قد مات يقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: إن لله وإنا إليه راجعون أُذهِبَ به إلى أمه الهاوية.

أسند عبيد بن عمير عن أُبَيّ بن كعب، وأبي ذر، وأبي قتادة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وابن عباس، وعائشة في جماعة من الصحابة.

وروى عنه من كبار التابعين مجاهد، وعطاء، وأبو حازم في آخرين رحمه الله.

من الطبقة الثانية

٢٠٨ ـ مجاهد بن جَبْر

يكنى: أبا الحجاج. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: هو مولى عبد الله بن السائب بن أبي السائب المخزومي، ويقال: مولى زيد بن الحارث المخزومي.

عن الأعمش قال: كنتَ إذا رأيتَ مجاهداً ظننتَ أنه ضَلّ حماره فهو مهتمّ.

وعن ليث عن مجاهد قال: من أعز نفسه أذل دينه، ومن أذل نفسه أعز دينه.

وعنه عن مجاهد قال: إن الله عز وجل لَيُصْلِح بصلاح العبد ولَدَه وولَدَ ولده.

---

٢٠٧ ـ عُبَيد بن عمير ـ رحمه الله ـ: البداية والنهاية (٩/ ٢٢٤)، تاريخ الإسلام (٤/ ١٩٠)، العبر (١/ ١٢٥)، شذرات الذهب (١/ ١٢٥)، طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٦)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٨٣)، الكاشف (١/ ٦٩١)، تقريب التهذيب (١/ ٣٧٧).

٢٠٨ ـ مجاهد بن جبر ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٤/ ٢٧٨)، البداية والنهاية (٩/ ٣٠٦)، العبر (١/ ١٤١)، الطبقات لابن سعد (٥/ ٤٦٧)، تهذيب التهذيب (٧/ ١٩٩)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦١)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٣٠).

وعنه عن مجاهد قال: إن العبد إذا أقبل إلى الله عز وجل بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه.

وعنه عن مجاهد قال: لا تُحِدَّ النظرَ إلى أخيك، ولا تسأله من أين جئت؟ وأين تذهب؟

وعنه عن مجاهد قال: كانوا يكتفون من الكلام باليسير.

عن محمد بن إسحاق بن أبان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أَقِفُه على كل آية، أسأله كيف أُنزلت؟ وكيف كانت؟

وعن خالد بن زيد عن مجاهد قال: إن القرآن يقول: إني معك ما اتبعتني، فإذا لم تعمل بي اتبعتك.

وعن مجاهد قال: إن لبني آدم جلساء من الملائكة، فإذا ذكر الرجل أخاه المسلم بخير قالت الملائكة: ولك بمثله. وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة: ابن آدم ـ المستور عورته ـ ازبَع على نفسك، واحمد الله الذي ستر عورتك.

وعن عمر بن ذر قال: قال مجاهد: ما من مرض يمرضه العبد إلا ورسول ملَك الموت عنده، حتى إذا كان آخر مرض يمرضه العبد أتاه ملك الموت فقال: أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به؟ وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا.

وعن مجاهد قال: يؤمر بالعبد إلى النار يوم القيامة فيقول: ما كان هذا ظني؟ فيقال: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تغفر لي. فيقول: خلوا سبيله.

وعن الأعمش عن مجاهد قال: كان بالمدينة أهل بيت ذوو حاجة عندهم رأس شاة، فأصابوا شيئاً فقالوا: لو بعثنا هذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا. قال: فبعثوا به، فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم.

وعنه قال: كنا عند مجاهد فقال: القلب هكذا ـ وبسط كفه ـ فإذا أذنب الرجل ذنباً قال: هكذا ـ وعقد واحداً ـ ثم أذنب ـ وعقد اثنين ـ ثم ثلاثاً، ثم أربعاً، ثم رد الإبهام على الأصابع في الذنب الخامس، ثم يطبع على قلبه.

قال مجاهد: فأيكم يرى أنه لم يطبع على قلبه؟

وعن عمر بن ذر عن مجاهد قال: إذا أراد أحدكم أن ينام فليستقبل القبلة، ولينمْ على يمينه، وليذكر الله، وليكن آخر كلامه عند منامه: لا إله إلا الله، فإنها وفاء لا يدري لعلها تكون منيته، ثم قرأ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

أسند مجاهد عن ابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، ورافع بن خديج في آخرين.

وحدث عن عائشة، إلا أن حديثه عنها مرسَل؛ لأنه لم يسمع منها.

وحدث عنه من أعلام التابعين عطاء، وطاووس، وعكرمة في خلق كثير.

ذكر وفاته

قال الفضل بن دُكين: مات مجاهد سنة اثنتين ومائة يوم السبت وهو ساجد.

وقال يوسف بن سليمان: توفي مجاهد بمكة سنة ثلاث ومائة.

وعن يحيى بن سعيد قال: مات مجاهد سنة أربع ومائة.

وقال ابن جريج: بلغ مجاهد يوم مات ثلاثاً وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

٢٠٩ ـ عطاء بن أبي رباح

واسم أبي رباح: أسلم، وكان عطاء من مولّدي الجند، نشأ بمكة، وهو مولى آل أبي ميسرة الفهري، وكان عطاء يكنى أبا محمد.

عن أبي عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ قال: العلم خزائن يقسم الله لمن أحب، لو كان يُخَصُّ بالعلم أحدٌ لكان بيت النبي ﷺ أولى، كان عطاء بن أبي رباح حبشياً، وكان يزيد بن أبي حبيب نوبياً أسود، وكان الحسن مولى للأنصار، وكان ابن سيرين مولى للأنصار.

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي: كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسود لامرأة من أهل مكة، وكان أنفه كأنه باقلاة! قال: وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما. فقاما. فقال: يا بنيَّ لا تَنِيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذُلّنا بين يدي هذا العبد الأسود.

وعن أحمد بن محمد قال: كانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام لابن عباس، وبعد ابن عباس لعطاء بن أبي رباح.

وعن سلمة بن كهيل قال: ما رأيت أحداً يريد بهذا العلم وجه الله عز وجل غير هؤلاء الثلاثة: عطاء وطاووس ومجاهد.

وعن ابن جريج قال: كان المسجدُ فراشَ عطاء بن أبي رباح عشرين سنة.

وعن عمر بن ذر قال: ما رأيت مثل عطاء قط، وما رأيت على عطاء قميصاً، ولا رأيت عليه ثوباً يساوي خمسة دراهم.

وعن إسماعيل بن أمية قال: كان عطاء يطيل الصمت، فإذا تكلم يُخَيَّل إلينا أنه يُؤَيَّدُ.

وعن عمرو بن سعيد عن أمه قالت: قدم ابن عمر مكة فسألوه؟ فقال: أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبي رباح؟

---

٢٠٩ ـ عطاء بن أبي رَباح ـ رحمه الله ـ: العبر (١/ ١٠٨ و١٦٣ و١٨٢ و١٩٠ و٢٠٤ و٢٠٦)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٦٨)، طبقات ابن سعد (٥/ ٤٧٤)، الحلية (٣/ ٣٥٤)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٠٨).

وعن عبد الله بن إبراهيم بن عمرو بن كيسان قال: أخبرني أبي قال: أذكُرُهم في زمان بني أمية يأمرون في الحاجّ صائحاً يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن أبي نجيح.

وعن الأوزاعي قال: ما رأيت أحداً أخشع لله من عطاء، ولا أطول حزناً من يحيى بن أبي كثير.

وعن يعلى بن عبيد قال: دخلنا على محمد بن سوقة فقال: أحدثكم بحديث لعله أن ينفعكم فإنه قد نفعني، ثم قال: قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا بني أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضوله ما عدا كتاب الله عز وجل، وأن تقرأَه وتأمرَ بمعروف أو تنهى عن منكر، أو تنطق بحاجتك ـ في معيشك ـ التي لا بد لك منها، أتنكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد؟ أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أملَّ صدر نهاره؟ فإن أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

وعن ابن جريج قال: كان عطاء بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من «البقرة» وهو قائم ما يزول منه شيء ولا يتحرك.

وعن ابن عيينة قال: قلت لابن جريج: ما رأيت مصلياً مثلك؟ قال: لو رأيت عطاء.

وعن معاذ بن سعيد قال: كنا عند عطاء بن أبي رباح فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله ما هذه الأخلاق؟ ما هذه الأخلاق؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به فأُريه أني لا أحسن منه شيئاً.

وعن عثمان بن الأسود قال: قلت لعطاء: الرجل يمر بالقوم فيقذفه بعضهم أيخبره؟ قال: لا، المجالسُ بالأمانة.

وعن ابن أبي ليلى قال: حج عطاء سبعين حجة. وعاش مائة سنة. أسند عطاء عن ابن عمر، وابن عمرو، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وزيد بن خالد الجهني، وابن عباس، وابن الزبير في آخرين من الصحابة.

وروى عنه جماعة من التابعين كعمرو بن دينار، والزهري، وقتادة، وأيوب في آخرين. ومات عطاء بمكة في سنة خمس عشرة ومائة، وقيل: سنة أربع عشرة وهو ابن ثمان وثمانين سنة. رحمه الله.

٢١٠ ـ عبد الله بن عبيد بن عمير

وكان من أفصح أهل مكة. عن هارون البربري عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: الإيمان قائد والعمل سائق والنفس حرون، فإذا ونى قائدها لم تستقم لسائقها، وإذا ونى سائقها لم تستقم لقائدها،

---

٢١٠ ـ عبد الله بن عبيد بن عمير ـ رحمه الله ـ: العبر (١/ ٢١٣) كامل ابن الأثير (٥/ ٥٩٤)، تهذيب التهذيب (٦/ ٤٠٢)، طبقات الحفاظ (١/ ١٦٩)، الكاشف (١/ ٥٧١)، طبقات ابن سعد (٥/ ٤٧٤).

ولا يصلح هذا إلا مع هذا حتى تقوم على الخير: الإيمان بالله مع العمل لله، والعمل لله مع الإيمان بالله.

وعن الوصافي عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى ووزن بالورع أن يذل لصاحب الدنيا.

وعن وهب بن جرير قال: أنبأنا أبي قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول: بعث سليمان بن داود إلى مارد من مردة الجن فأتي به، فلما كان على باب سليمان أخذ عوداً وذرعه بذراعه، ثم رمى به من وراء الحائط فوقع بين يدي سليمان، فقال: ما هذا؟ فأخبر بما صنع المارد، فقال: أتدرون ما أراد؟ قالوا: لا. قال: يقول: اصنع ما شئت فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض.

أسند عبد الله عن أبيه وغيره، وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائة بمكة، وكان صالحاً.

من الطبقة الثالثة من أهل مكة

٢١١ ـ عبد الملك بن عبد العزيز: ابن جُرَيْج

مولى أمية بن خالد، يكنى أبا الوليد. عن عبد الرزاق قال: كنتَ إذا رأيت ابن جريج علمت أنه يخشى الله، وما رأيت مصلياً مثله قط.

وعنه قال: أهل مكة يقولون: أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء، وأخذها عطاء من ابن الزبير، وأخذها ابن الزبير من أبي بكر الصديق، وأخذها أبو بكر من النبي ﷺ.

قال عبد الرزاق: وكان ابن جريج حسن الصلاة. وعن مالك بن أنس قال: كان ابن جريج صاحب ليل.

سمع ابن جريج من طاووس مسألة واحدة، ومن مجاهد حرفين من القرآن، وسمع الكثير من عطاء بن أبي رباح.

وكان عطاء يقول: هو سيد شباب أهل الحجاز.

وسمع من عمرو بن دينار، وأبي الزبير، وابن المنكدر، ونافع، والزهري في خلق كثير. وقيل: إنه أول من صنف الكتب. وتوفي سنة خمسين. وقيل: إحدى وخمسين ومائة، وقيل: تسع وأربعين.

٢١٢ ـ محمد بن طارق المكي

روى عن طاووس، وروى عنه الثوري.

---

٢١١ ـ عبد الملك بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (١/ ٩٥ ـ ٢١٩ ـ ٢٩٤) و(٢/ ٦٠ و١٨٨ و٢٨٤) و(٣/ ٤٧ و٨٣ و٣٥٠) و(٤/ ٤٥١ ـ ٤٥٦)، وغير ذلك، تاريخ الإسلام (٦/ ٣١٥)، وابن الأثير في كامله (٥/ ٦١٣)، والحلية (٨/ ١٤٠)، والشذرات (١/ ٢٣٦)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٤٩)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٧٠)، تقريب التهذيب (١/ ٣٦٣)، والكاشف (١/ ٦٦٦)، والطبقات لابن سعد (٥/ ٤٩٢).

٢١٢ ـ محمد بن طارق المكي ـ رحمه الله ـ: تهذيب التهذيب (٩/ ٢٠٨)، تقريب التهذيب (١/ ٤٨٥).

عن محمد بن فضيل قال: رأيت ابن طارق في الطواف قد انفرج له أهل الطواف، عليه نعلان مطرقتان، فحزروا طوافه في ذلك الزمان فإذا هو يطوف في اليوم والليلة عشرة فراسخ.

وعنه قال: سمعت ابن شُبْرُمة يقول:

لـو شئـت كـنـت كـكـرز فـي تـعـبـده ... أو كـابـن طـارق حـول الـبـيـت والـحـرم
قـد حـال دون لـذيـذ الـعـيـش خوفُـهـمـا ... وسـارعـا فـي طِـلاب الـفـوز والـكـرم

قال: وكان محمد بن طارق يطوف في اليوم والليلة سبعين أسبوعاً، وكان كرز يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث ختمات.

وعن ابن شبرمة قال: لو اكتفى أحدٌ بالتراب كفى ابنَ طارق كفٌّ من تراب رحمه الله.

٢١٣ ـ عثمان بن أبي دهرش المكي

يروي عن رجل من آل الحكم عن النبي ﷺ، روى عنه ابن عيينة عن عبد الله بن المبارك عن عثمان بن أبي دهرش أنه كان إذا رأى الفجر قد أقبل عليه تنبه وقال: أصير الآن مع الناس ولا أدري ما أجني على نفسي.

وقال عثمان بن أبي دهرش: ما صليت صلاة قط إلا استغفرت الله تعالى من تقصيري فيها.

٢١٤ ـ وهيب بن الورد بن أبي الورد

مولى بني مخزوم: يكنى أبا أمية، وقيل: أبا عثمان، وكان اسمه عبد الوهاب، فُصغِّر فقيل: وهيب.

عن سفيان بن عيينة عن وهيب بن الورد قال: بينا أنا واقف في بطن الوادي، إذا أنا برجل قد أخذ بمنكبي فقال: يا وهيب؛ خفِ الله لقدرته عليك، واستحيي منه لقربه منك. قال: فالتفتُّ فلم أرَ أحداً.

وعن بشر بن الحارث قال: أربعة رفعهم الله بطيب المطعم: وهيب بن الورد، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسالم الخواص.

وعن زهير بن عباد قال: كان فضيل بن عياض ووهيب بن الورد وعبد الله بن المبارك جلوساً فذكروا الرطب، فقال وهيب: أو قد جاء الرطب؟ فقال عبد الله بن المبارك: رحمك الله هذا آخره، أوَلَمْ تأكله؟ قال: لا. قال: ولِمَ؟ قال وهيب: بلغني أن عامة أجنة مكة من الصوافي والقطائع فكرهتها! فقال عبد الله بن المبارك: يرحمك الله أوَليس قد رخص في الشرى من السوق إذا لم تعرف الصوافي والقطائع منه؟ وإلا ضاق على الناس خبزهم! أو ليس عامة ما يأتي من قمح مصر إنما هو من الصوافي والقطائع؟ ولا أحسبك تستغني عن القمح! فسهِّل عليك! قال: فصعق.

---

٢١٤ ـ وهيب بن الورد بن أبي الورد ـ رحمه الله ـ: شذرات الذهب (١/ ٢٤٦)، طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩٣)، تاريخ الإسلام (٦/ ٢٣٩)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣٣٨)، العبر (١/ ٢٣٢) (٢/ ٦٢٥) و(٤/ ٥٥٠)، و(٥/ ١٣٨).

قال فضيل لعبد الله: ما صنعت بالرجل؟ فقال ابن المبارك: ما علمت أن كل هذا الخوف قد أُعطِيه. فلما أفاق وهيب قال: يا ابن المبارك دعني من ترخيصك، لا جرم، لا آكل من القمح إلا كما يأكل المضطر من الميتة.

فزعموا أنه نحل جسمه حتى مات هزلاً.

قال أبو بكر المروزي: قال قادم الديلمي: قيل لوهيب بن الورد: ألا تشرب من زمزم؟ قال: بأي دلو؟ قال شعيب بن حرب: ما احتملوا لأحد ما احتملوا لوهيب؛ كان يشرب بدلوه.

وعن أحمد بن عبيد بن ناصح قال: قال يوسف بن أسباط: عن القعقاع بن عمارة عن وهيب المكي قال: يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي وعظمتي ما من عبد آثر هواي على هواه إلا أقللت همومه وجمعت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، واتَّجرت له من وراء كل تاجر، وعزتي وعظمتي وجلالي ما من عبد آثر هواه على هواي إلا كثّرت همومه، وفرقت عليه ضيعته، ونزعت الغنى من قلبه، وجعلت الفقر بين عينيه، ثم لم أبالِ في أي أوديتها هلك.

وقال عبد الرحمن العراقي: قال وهيب بن الورد: خالطتُ الناس خمسين سنة فما وجدت رجلاً غفر لي ذنباً فيما بيني وبينه، ولا وصلني إذا قطعته، ولا ستر عليَّ عورة، ولا أمِنته إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير.

وكان سفيان الثوري إذا حدّث الناسَ في المسجد الحرام وفرغ قال: قوموا إلى الطبيب. يعني وهيباً.

وعن ابن المبارك قال: ما جلست إلى أحد كان أنفع لي مجالسة من وهيب، كان لا يأكل من الفواكه، وكان إذا انقضت السنة وذهبت الفواكه يكشف عن بطنه وينظر إليه ويقول: يا وهيب ما أرى بك بأساً؟ ما أرى تركك الفواكه ضرك شيئاً.

وعن محمد بن مزاحم عن وهيب بن الورد قال: وجدت العزلة اللسانَ.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وهيب بن الورد: كان يقال: الحكمة عشرة أجزاء، فتسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس. قال: فعالجت نفسي على الصمت فلم أجدني أضبط كل ما أريد منه، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس.

وعن ابن أبي رواد قال: انتهيت إلى رجل ساجد خلف المقام في ليلة باردة مَطيرة يدعو ويبكي، فطفت أسبوعاً، ثم عدت فوجدته على حاله، فقمت قريباً منه الليل كله، فلما أدبر الليل سمعت هاتفاً يقول: يا وهيب بن الورد ارفع رأسك فقد غُفِر لك؟ قال [ابن أبي رواد: فرفعت رأسي] فلم أر شيئاً. فلما برق الصبح رفع رأسه ومضى فاتبعته فقلت: أوَ ما سمعت الصوت؟ فقال: وأي صوت؟ فأخبرته. فقال: لا تخبر به أحداً. فما حدثت به أحداً حتى مات وهيب.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وهيب: عجباً للعالم كيف تجيبه دواعي قلبه إلى ارتياح الضحك وقد علم أن له في القيامة روعات ووقفات وفزعات!؟ ثم غشي عليه.

وعنه قال: كانوا يرون الرؤيا لوهيب أنه من أهل الجنة، فإذا أُخبر بها اشتد بكاؤه، وقال: قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان.

وعنه قال: حلف وهيب بن الورد ألا يراه الله ضاحكاً، ولا أحد من خلقه، حتى يعلم ما يأتي به رسل ربه، قال: فسمعوه عند الموت يقول: وفَّيت لي ولم أفِ لك.

وعن عبد الرزاق قال: سمعت وهيب بن الورد يقول: من عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وهيب بن الورد: لو أن علماءنا ـ عفا الله عنا وعنهم ـ نصحوا لله في عباده فقالوا: يا عباد الله اسمعوا ما نخبركم عن نبيكم ﷺ وصالح سلفكم من الزهد في الدنيا فاعملوا به، ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفَسْلة، كانوا قد نصحوا الله في عباده، ولكنهم يأبون إلا أن يجروا عباد الله إلى فتنتهم وما هم فيه.

وعن عبد الله بن المبارك قال: قيل لوهيب بن الورد: أيجد طعم العبادة من يعصي الله؟ قال: لا، ولا من يَهَمّ بالمعصية.

وعن جرير بن حازم عن وهيب قال: بلغني أن موسى عليه السلام قال: يا رب أخبرني عن آية رضاك عن عبدك؟ فأوحى الله تعالى إليه: إذا رأيتني أهيئ له طاعتي وأصرفه عن معصيتي فذاك آية رضاي عنه.

وعن محمد بن يزيد قال: سمعت وهيباً يقول: ضُرب لعلماء السوء مثل، فقيل: إنما مثل عالم السوء كمثل الحجر في الساقية؛ فلا هو يشرب الماء، ولا هو يخلي الماء إلى الشجر فيحيا به.

وعنه، عن وهيب قال: بلغنا أن عيسى عليه السلام مر هو ورجل من حوارييّه بلص في قلعة له، فلما رآهما اللص ألقى الله في قلبه التوبة، قال: فقال في نفسه: هذا عيسى ابن مريم عليه السلام روح الله وكلمته، وهذا فلان حواريه، ومن أنت يا شقي؟! لص بني إسرائيل! قطعت الطريق، وأخذت الأموال، وسفكت الدماء، ثم هبط إليهما تائباً نادماً على ما كان منه.

فلما لحقهما قال لنفسه: تريد أن تمشي معهما! لست لذلك بأهل، امش خلفهما كما يمشي الخطّاء المذنب مثلك. قال: فالتفتَ إليه الحواري فعرفه فقال في نفسه: انظر إلى هذا الخبيث الشقي ومشيه وراءنا! قال: فاطّلع الله على ما في قلوبهما من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحواري إياه وتفضيله نفسه عليه.

قال: فأوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم: أن مُرِ الحواري ولص بني إسرائيل أن يأتنفا العمل جميعاً، أما اللص فقد غفرت له ما قد مضى لندامته وتوبته، وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدرائه هذا التوّاب.

قال وهيب: وبلغنا أن الخبيث إبليس تبدَّى ليحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له: إني أريد أن أنصحك. قال: كذبت؛ أنت لا تنصحني، ولكن أخبرني عن بني آدم؟ قال: هم عندنا على ثلاثة أصناف: أما صنف منهم فهم أشدّ الأصناف علينا: نقبل حتى نفتنه، ونستمكن منه، ثم يفزع إلى

الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه، ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه، ولا نحن ندرك منه حاجتنا! فنحن من ذلك في عَناء.

وأما الصنف الآخر: فهم بين أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا، فقد كفونا أنفسهم.

وأما الصنف الآخر: فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء.

فقال له يحيى: على ذاك، هل قدرت مني على شيء؟ قال: لا؛ إلا مرة واحدة، فإنك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل أشهِّيه إليك حتى أكلت أكثر مما تريد، فنمت تلك الليلة، ولم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها.

قال: فقال له يحيى: لا جرم، لا شبعت من طعام أبداً حتى أموت! فقال له الخبيث: لا جرم، لا نصحت آدمياً بعدك.

محمد بن يزيد قال: رأيت وهيب بن الورد صلى ذات يوم العيد فلما انصرف الناس جعلوا يمرون به، فنظر إليهم، ثم زفر، ثم قال: لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مستيقنين أنه قد تُقُبِّل منهم شهرهم هذا لكان ينبغي لهم أن يكونوا مشاغيل بأداء الشكر عما هم فيه، وإن كانت الأخرى: لقد كان ينبغي لهم أن يصبحوا أشغلَ وأشغل.

ثم قال: كثيراً ما يأتيني من يسألني من إخواني فيقول: يا أبا أمية ما بلغك عمن طاف سبعاً بهذا البيت ما له من الأجر؟ فأقول: يغفر الله لنا ولكم، بل سلوا عما أوجب الله تعالى من أداء الشكر في طواف هذا السبع ورزقه إياه حين حرم غيره.

قال: فيقولون: إنا نرجوا؟ فيقول وهيب: فلا والله ما رجا عبد قط حتى يخاف. ثم يقول: كيف تجترىء أن ترجو رضا من لا يُخاف غضبه؟ إنما كان الراجي خليل الرحمن إذ يخبرك الله عز وجل عنه قال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة ١٢٧]، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء ٨٢].

وعن علي بن أبي بكر قال: اشتهى وهيب لبناً فجاءته خالته به من شاة لآل عيسى بن موسى. قال: فسألها عنه؟ فأخبرته، فأبى أن يأكله! فقالت له: كُلْ. فأبى، فعاودته وقالت له: إني أرجو إن أكلته أن يغفر الله لك ـ أي باتباع شهوتي ـ. فقال: ما أحب أني أكلته وإن الله تعالى غفر لي. فقالت: لِمَ؟ قال: إني أكره أن أنال مغفرته بمعصيته.

عن عمرو بن محمد بن أبي رزين قال: وسمعت وهيباً يقول: إن العبد ليصمت فيجتمع له لبُّه.

وسمعته يقول: لا يكن همّ أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همه في إحكامه وتحسينه، فإن العبد قد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه.

وعن مؤمل قال: سمعت وهيباً يقول: لو قمت قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك: حلال أو حرام؟.

وعن محمد بن يزيد عن وهيب قال: بلغنا ـ والله أعلم ـ أن موسى عليه السلام قال: يا رب أوصني؟ قال: أوصيك بي ـ قالها ثلاثاً ـ كلّ ذلك يقول: أوصيك بي. حتى قال في الآخرة: أوصيك بي ألا يعرض لك أمر إلا آثرت فيه محبتي على ما سواها، فمن لم يفعل ذلك لم أرحمه ولم أزكّه.

وعن ابن المبارك عن وهيب قال: اتق أن تسب إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر.

وعن أبي صالح الجدي قال: صليت إلى جنب وهيب العصر، فلما صلى جعل يقول: اللّهم إن كنت نقصت منها شيئاً أو قصرت فيها فاغفر لي. قال: فكأنه قد أذنب ذنباً عظيماً يستغفر منه.

وعن بشر بن الحارث قال: كان وهيب بن الورد تبين خضرة البقل من بطنه من الهزال.

وعنه قال: بلغنا أن وهيباً كان إذا أتي بقُرصته بكى حتى يبلّها.

أدرك وهيب بن الورد جماعة من التابعين كعطاء بن أبي رباح، ومنصور بن زاذان، وأبان بن أبي عياش، وكان مشغولاً عن الرواية بالتعبّد، على أنه قد نُقل عنه حديث حسن.

ومات في سنة ثلاث وخمسين ومائة رحمه الله.

من الطبقة الرابعة

٢١٥ ـ عبد العزيز بن أبي رَوَّاد

مولى المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة: عن شقيق البلخي قال: ذهب بصر عبد العزيز بن أبي رواد عشرين سنة لم يعلم به أهله ولا ولده، فتأمله ابنه ذات يوم فقال له: يا أبت ذهبت عينك؟ قال: نعم يا بني؛ الرضا عن الله تعالى أذهب عين أبيك منذ عشرين سنة.

وعن شعيب بن حرب قال: جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد خمسمائة مجلس فما أحسب صاحب الشمال كتب شيئاً.

وعن يوسف بن أسباط قال: مكث عبد العزيز بن أبي رواد أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء، فبينما هو يطوف حول الكعبة إذ طعنه المنصور أبو جعفر في خاصرته بإصبعه، فالتفتَ إليه فقال: قد علمتُ أنها طعنة جبّار.

وعن خلاد بن يحيى قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد قال: كان يقال: من رأس التواضع الرضا بالدون من شرف المجالس. وكان يقول: في رأس كل إنسان حكمة آخذ بها ملَك، فإن تواضع لربه رفعه وقال: انتعشْ ـ رحمك الله ـ وإن تكبر قمعه وقال: اخسأ خسّأك الله.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال رجل لعبد العزيز بن أبي رواد: كيف أصبحت؟ فبكى وقال: أصبحت والله في غفلة عظيمة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بي، وأجل يسرع كل يوم في عمري، وموئل لست أدرى علام أهجم؟، ثم بكى.

---

٢١٥ ـ عبد العزيز بن أبي رَوَّاد ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٣١ و٢٣٥) و(٥/ ٢٧ و٩٩ و٣٤٣) و(٧/ ٢١٠ و٤٠٨)، طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩٣)، الحلية (٧/ ٢٧٠) و(٤/ ٢٢٥)، تهذيب التهذيب (٤/ ١١٧)، الجرح والتعديل (١/ ٣٢)، تاريخ بغداد (٩/ ١٧٤)، الكاشف (١/ ٦٥٥)، تقريب التهذيب (١/ ٣٥٧).

وعن سعيد بن سالم القداح قال: سمعت عبد العزيز بن أبي رواد يقول لرجل: من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشيء: الإسلام والقرآن والمشيب.

أسند عبد العزيز بن أبي رواد عن جماعة من كبار التابعين كعطاء وعكرمة ونافع.

وتوفي بمكة سنة تسع وخمسين ومائة.

٢١٦ ـ زمعة بن صالح المكي

روى عن سلمة بن وهرام وابن طاووس. وروى عنه وكيع.

عن القاسم بن راشد الشيباني قال: كان زمعة نازلاً عندنا، وكان له أهل وبنات، وكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً، فإذا كان السَّحَر نادى بأعلى صوته:

يا أيها الركب المُعَرِّسونا أَكُلَّ هذا الليل ترقدونا

ألا تقومون فترحلونا؟

قال: فيتواثبون فيسمع من ههنا باك؟ ومن ههنا داع؟ ومن ههنا قارئ؟ ومن ههنا متوضئ؟ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: عند الصباح يحمد القومُ السرى ـ رحمه الله.

من الطبقة الخامسة

٢١٧ ـ سفيان بن عيينة بن أبي عمران

يكنى أبا محمد، وهو مولى لبني عبد الله بن رويبة، ولد بالكوفة، وسكن مكة.

عن محمد بن عمر قال: أنبأ سفيان أنه ولد سنة سبع ومائة، وكان أصله من الكوفة، وكان أبوه من عمال خالد بن عبد الله القسري، فلما عزل خالد عن العراق ووُلِّي يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهربوا منه فلحق عيينة بمكة فنزلها.

إبراهيم بن أزداد الرافقي قال: قال سفيان بن عيينة: لما بلغت خمس عشرة سنة دعاني أبي فقال لي: يا سفيان قد انقطعت عنك شرائع الصبا فاحتفظ من الخير تكن من أهله، ولا يغرنّك من اغترّ بالله فمدحك بما يعلم الله خلافه منك، فإنه ما من أحد يقول في أحد من الخير إذا رضي إلا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء، لا تنقل أحسن ظني بك إلى غير ذلك، ولن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم.

قال سفيان: فجعلت وصية أبي قبلةً أميل معها ولا أميل عنها.

---

٢١٦ ـ زمعة بن صالح المكي ـ رحمه الله ـ: تهذيب الكمال (٩/ ٣٨٦ رقم ٢٠٠٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٣٨)، تقريب التهذيب (١/ ٣١٥).

٢١٧ ـ سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ: شذرات الذهب (١/ ٣٦١)، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩٤)، الحلية (٨/ ٨٤)، العبر (١/ ٣٩٨)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٤٥)، سير أعلام النبلاء (٢٤/ ٤٥٥)، تقريب التهذيب (١/ ٢٤٥)، الكاشف (١/ ٤٤٩)، طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩٧).

وعن صامت بن معاذ قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: من تزين للناس بشيء يعلم الله منه غير ذلك شانه الله.

وعن النعمان قال: سمعت ابن عيينة يقول: ليس من حب الدنيا طلبك ما لا بد منه.

وعن محمد بن ميمون الخياط قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: إذا كان نهاري نهار سفيه، وليلي ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذي كتبت؟.

وعن علي بن الجعد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: من زيد في عقله نقص من رزقه.

وعن ابن الأعرابي قال: قال سفيان بن عيينة: أرفع الناس منزلةً: من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء.

وعن علي بن الحسن قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: من رأى أنه خير من غيره فقد استكبر، وذلك أن إبليس إنما منعه من السجود لآدم عليه السلام استكبارُه.

وعن سعيد بن داود عن ابن عيينة قال: من كانت معصيته في الشهوة فارجُ له التوبة، فإن آدم عصى مشتهياً فغفر له، فإذا كانت معصيته في كبر فاخشَ على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصى مُسْتَكِبراً فلُعِن.

وعن بقية عن سفيان قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: إن أول من مات إبليس، وذلك أنه أول من عصاني، وأنا أَعُدُّ من عصاني من الموتى.

وعن إسحاق بن منيب قال: قال سفيان بن عيينة: لم يُعْرَفوا حتى أحبوا أن لا يُعْرَفوا.

وعن بكر العابد قال: قلت لسفيان بن عيينة: يا أبا محمد أبلَغك أن الناس يزدحمون يوم القيامة؟ فقال: الأقدام يوم القيامة هكذا ـ ووضع يده فوق الأخرى ـ ثم قال بكر: بلغني أن الناس يخرجون من قبورهم وهم يقولون: الماءَ الماءَ، العطشَ العطش.

وعن موسى بن إسماعيل قال: سمعت ابن عيينة يقول: أصابتني ذات يوم رقّة فبكيت، فقلت في نفسي: لو كان بعض أصحابنا لرقَّ معي! ثم غفوت فأتاني آت في منامي فرفسني وقال: يا سفيان خذ أجرك ممن أحببت أن يراك.

قال ابن وهب: قال سفيان بن عيينة: إنما منزلة الذي يطلب العلم ينتفع به بمنزلة العبد يطلب كل شيء يُرضي سيدَه، يطلب التحبب إليه، والتقرب إليه، والمنزلة عنده لئلا يجد عنده شيئاً يكرهه.

وعن حرملة بن يحيى قال: أخذ سفيان بن عيينة بيدي فأقامني في ناحية، فأخرج من كمه رغيف شعير وقال لي: دَع يا حرملة ما يقول الناس، هذا طعامي منذ ستين سنة.

وعن أبي جعفر الحذاء قال: سمعت ابن عيينة يقول: إذا وافقت السريرةُ العلانيةَ فذلك العدل، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجور.

يقول محمد بن صباح: أنبأنا سفيان بن عيينة: إذا ترك العالم: «لا أدري» أصيبت مقاتله.

وعن حيان بن نافع بن صخر بن جويرية قال: كان سفيان بن عيينة بعدما أسنّ يتمثل بهذا البيت:

يعمَّر واحد فيغرّ قوماً ... وينسى مَن يموت من الصغار

وعن عبيد الله بن عائشة قال: قال: سفيان بن عيينة: لولا أن الله عز وجل طمأن ابن آدم بثلاث ما أطاقه شيء، وإنهن [لاقِيَنَهُ][1]، وإنه على ذلك لوثَّاب: الفقر والمرض والموت.

وعن حيان بن صخر بن جويرية قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: ليس يضر المدحُ من عرف نفسه.

وعن أبي معمر عن ابن عيينة قال: العلم إن لم ينفعك ضرّك.

وعن أبي موسى الأنصاري قال: قال سفيان: إن من توقير الصلاة أن تأتي قبل الإقامة.

وعن إسحاق بن أبي إسرائيل قال: سمعت سفيان بن عيينة قال: كان يقال: اسلكوا سبل الحق، ولا تستوحشوا من قلة أهلها.

وعن الحسن بن هارون عن سليمان قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: كان يقال: الأيام ثلاثة: فأمس: حكيمٌ مؤدِّب ترك حكمته وأبقاها عليك، واليومَ: صديقٌ مودِّع كان عنك طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته وهو عنك سريع الظعن، وغداً: لا تدري أتكون من أهله أو لا تكون؟!.

وعن عبد الله بن وهب قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: لم يجتهد أحد قط اجتهاداً ولم يتعبد أحد قط عبادة أفضلَ من ترك ما نهى الله عنه.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: كان يقال: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه، ورجل [كان] له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلّم غيره فانتفع به.

وعن أبي السري ـ منصور بن عرار ـ قال: تكلمت في مجلس فيه سفيان بن عيينة وفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك، فأما سفيان فتغرغرت عيناه، ثم نَشَفَت الدموع، وأما ابن المبارك فسالت دموعه، وأما الفضيل فانتحب! فلما قام فضيل وابن المبارك قلت لسفيان: يا أبا محمد ما منعك أن يجيء منك مثلُ ما جاء من صاحبيك؟ قال: هكذا أكمَدُ للحزن، إن الدمعة إذا خرجت استراح القلب.

وعن عيسى بن أبي موسى الأنصاري قال: سمعت سفيان بن عيينة ـ وسئل عن حد الرضا عن الله تعالى؟ ـ فقال: الراضي عن الله لا يتمنّى سوى المنزلة التي هو فيها.

وعن حامد بن عمرو البكراوي قال: سمعت عبد الله بن ثعلبة يقول لسفيان بن عيينة: يا أبا محمد واحزناه على الحزن؟ فقال سفيان: يا عبد الله هل حزنت قط لعلمِ الله جل وعزّ فيك؟ فقال: عبد الله: آهِ؛ تركتني لا أفرح.

وعن سفيان قال: قال الأحنف: قال لنا عمر بن الخطاب: تفقّهوا قبل أن تسوَّدوا. قال سفيان: لأن الرجل إذا فقه لم يطلب السؤدد.

---

(١) في المطبوع «لقينه».

أدرك سفيان بن عيينة ستة وثمانين نفساً من أعلام التابعين، وأسند عن جمهورهم كعمرو بن دينار، والزهري، وابن المنكدر، وأبي حازم، والأعمش، وأيوب.

وحدث عنه من كبار الأئمة الثوري، وشعبة، والأعمش، والأوزاعي.

ذكر وفاته ومبلغ سِنّه

عن سليمان بن أيوب قال: سمعت ابن عيينة يقول: شهدت ثمانين موقفاً.

وعن الحسن بن عمران بن عيينة ـ ابن أخي سفيان بن عيينة ـ قال: حججت مع عمي سفيان آخر حجة حجها سنة سبع وتسعين ومائة، فلما كنا بجمع وصلى استلقى على فراشه، ثم قال: قد وافيت هذا الموضع سبعين عاماً أقول في كل سنة، اللّهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك. فرجع فتوفي في السنة الداخلة؛ يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، ودفن بالحجون، وهو ابن إحدى وتسعين سنة.

وعن الحميدي قال: [كان] سفيان بن عيينة يقول: ولدت سنة سبع ومائة.

قال الحميدي: ومات سفيان سنة ثمان وتسعين في آخر يوم من جمادى الأولى رحمه الله.

٢١٨ ـ الفضيل بن عياض

التميمي، ثم أحدُ بني يربوع، يكنى أبا علي، وُلد بخراسان بكُورة أبي ورد، وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث، ثم تعبَّد وانتقل إلى مكة فمات بها.

عن إبراهيم بن أحمد الخزاعي قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لو أن الدنيا كلها بحذافيرها جُعِلت لي حلالاً لكنت أتقذَّرها.

وعن أبي الفضل الخزاز قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: أصلح ما أكون أفقر ما أكون، وإني لأعصِي الله فأعرف ذلك في خُلق حماري وخادمي.

وعن إسحاق بن إبراهيم قال: كانت قراءة الفضيل حزينة، شهية، بطيئة، مترسّلة كأنه يخاطب إنساناً، وكان إذا مرَّ بآية فيها ذِكرُ الجنة يرددها.

وكان يُلقى له حصير بالليل في مسجده فيصلي من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه فيلقي نفسه على الحصير، فينام قليلاً، ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام، ثم يقوم هكذا حتى يصبح.

قال: وسمعت الفضيل يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبَّل، كبَّلتك خطيئتك.

---

٢١٨ ـ الفُضَيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: طبقات الأولياء لابن الملقن (٢٦٦)، الحلية (٨/ ٨٤)، طبقات الشعراني (١/ ١٩)، الرسالة القشيرية (١١)، شذرات الذهب (١/ ٣١٦)، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٣٤)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٩٨)، طبقات ابن سعد (١/ ٥/ ٣٦٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٥٢٥)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥١)، طبقات الصوفية للسلمي (٦).

وعن منصور بن عمار قال: تكلمت يوماً في المسجد الحرام، فذكرت شيئاً من صفة النار فرأيت الفضيل بن عياض صاح حتى غُشي عليه فطرح نفسه.

وعن أبي إسحاق قال: قال الفضيل بن عياض: لو خيرت بين أن أعيش كلباً أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة لاخترت أن أعيش كلباً أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة.

وعن مهران بن عمرو الأسدي قال: سمعت الفضيل بن عياض عشية عرفة بالموقف وقد حال بينه وبين الدعاء البكاءُ، يقول: واسوأتاه! وافضيحتاه وإن عفوتَ!

وعن أحمد بن سهل قال: قدم علينا سعد بن زنبور فأتيناه فحدثنا قال: كنا على باب الفضيل بن عياض فاستأذنّا عليه فلم يؤذن لنا، فقيل لنا: إنه لا يخرج إليكم أو يسمع القرآن. قال: وكان معنا رجل مؤذن وكان صَيّتاً فقلنا له اقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] [فقرأها] ورفع بها صوته، فأشرف علينا الفُضيل وقد بكى حتى بلَّ لحيته بالدموع ومعه خرقة ينشف بها الدموع من عينيه وأنشأ يقول:

بلغت الثمانين أو جُزتُها ... فماذا أؤمّل أو أنتظر؟
أتى لي ثمانونَ من مولدي ... وبعدَ الثمانين ما يُنتظَرْ

علتني السنون فأبلينني.

قال: ثم خنقته العبرة. وكان معنا علي بن خشرم فأتمّه لنا فقال:

علتني السنون فأبلينني ... فَرَقّتْ عظامي وكلَّ البَصَر

وعن أبي جعفر الحذاء قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: أخذت بيد سفيان بن عيينة في هذا الوادي فقلت له: إن كنت تظن أنه بقي على وجه الأرض شر مني ومنك فبئس ما تظن.

وعن علي بن الحسن قال: بلغ فضيلاً أن جريراً يريد أن يأتيه، قال: فأقفل الباب من خارج قال: فجاء جرير فرأى الباب مقفلاً فرجع. قال علي: فبلغني ذلك فأتيته فقلت له: جرير؟ فقال: ما يصنع بي؟ يظهر لي محاسن كلامه وأظهر له محاسن كلامي! فلا يتزين لي ولا أتزين له خير له.

وعن الفيض بن إسحاق قال: سمعت فضيلاً يقول: لو قيل لك: يا مرائي: لغضبت، ولشق عليك وتشكو فتقول: قال لي: يا مرائي! عساه قال حقا! من حُبّك للدنيا تزينت للدنيا وتصنعت للدنيا! ثم قال: اتقِّ [أن][1] تكون مرائياً وأنت لا تشعر! تصنّعتَ وتهيأتَ حتى عرفك الناس فقالوا: هو رجل صالح! فأكرموك وقضوا لك الحوائج ووسعوا لك في المجالس، وإنما عرفوك بالله ولولا ذلك لهنت عليهم.

قال: وسمعت الفضيل يقول: تزينت لهم بالصوم فلم تَرَهُم يرفعون بك رأساً! تزينت لهم بالقرآن فلم تَرَهُم يرفعون بك رأساً! تزينت لهم بشيء بعد شيء إنما هو لحب الدنيا.

وعن الحسين بن زياد قال: دخلت على فضيل يوماً فقال: عساك أن رأيت في ذلك المسجد ـ

---

(١) في المطبوع «ألا».

يعني المسجد الحرام ـ رجلاً شراً منك، إن كنت ترى أن فيه شراً منك فقد ابتُليت بعظيم.

وعن يونس بن محمد المكي قال: قال فضيل بن عياض لرجل: لأعلمنك كلمة هي خير من الدنيا وما فيها، والله لئن علم الله منك إخراج الآدمين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره لم تسأله شيئاً إلا أعطاك.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقَتك عليه فأغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك، كيف ترى تكون حالك؟.

وعن عبد الصمد بن يزيد قال: سمعت الفضيل يقول: أدركت أقواماً يستحيون من الله في سواد الليل من طول الهجعة، إنما هو على الجَنْب، فإذا تحرك قال: ليس لكِ هذا، قومي خذي حظك من الآخرة.

وعن محمد بن حسان السمني قال: شهدت الفضيل بن عياض وجلس إليه سفيان بن عيينة فتكلم الفضيل فقال: كنتم معشر العلماء سُرُجَ البلاد يُستضاء بكم فصرتم ظُلْمَةً، وكنتم نُجوماً يُهتدى بكم فصرتم حيرة، ثم لا يستحي أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء الظلمة؟ ثم يسند ظهره يقول: حدثنا فلان عن فلان. فقال سفيان: لئن كنا لسنا بصالحين فإنّا نحبّهم.

وعن بشر بن الحارث قال: قال فضيل بن عياض: لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحبُّ إليَّ من أن أطلبها بالعبادة.

وعن الفضل بن الربيع قال: حج أمير المؤمنين الرشيد، فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليَّ أتيتك؟ فقال: ويحك قد حَكَّ في نفسي شيء، فانظر لي رجلاً أسأله؟ فقلت: ها هنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه.

فأتيناه فقرعت الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أجبْ أمير المؤمنين. فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك؟ فقال له: خذ لما جئناك له ـ رحمك الله ـ.

فحدثه ساعة، ثم قال له: عليك دَيْنٌ؟ قال: نعم. فقال: أبا عباس اقض دينه. فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله؟ فقلت له: هاهنا عبد الرزاق بن همام [الصنعاني] قال: امض بنا إليه. فأتيناه فقرعت الباب فقال: من هذا؟ قلت: أجبْ أمير المؤمنين. فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك! قال: خذ لما جئناك له.

فحادثه ساعة، ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم. قال: أبا عباس اقضِ دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى [عني] صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله؟ قلت: ها هنا الفضيل بن عياض. قال: امض بنا إليه. فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها، فقال: اقرع الباب. فقرعت الباب فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين. فقال: ما لي ولأمير المؤمنين! فقلت: سبحان الله أما عليك طاعة؟ أليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس للمؤمن أن يُذلّ نفسه»[1].

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٤٦٦) وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٢٣٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧٢).

فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كفُّ هارون قبلي إليه فقال: يا لها من كفٍّ ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل؟ فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقيٍّ من قلب تقيٍّ. فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله. فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما وُلّي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليَّ. فعدَّ الخلافة بلاء وعددتَها أنت وأصحابك نعمة! فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصمْ عن الدنيا، وليكن إفطارك من الموت، وقال له محمد بن كعب القرظي: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوقّرْ أباك وأكرمْ أخاك وتحننْ على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحبَّ للمسلمين ما تُحبّ لنفسك، واكره لهم ما تكرهُ لنفسك، ثم مُت إذا شئت. وإني أقول لك: إني أخاف عليك أشد الخوف يومَ تزلُّ فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاء شديداً حتى غُشي عليه، فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين. فقال: يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا؟ ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله. فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه. فكتب إليه عمر: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن يُنصَرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء. قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل.

قال: فبكى هارون بكاء شديداً، ثم قال له: زدني رحمك الله. فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أمّرني على إمارة؟ فقال له النبي ﷺ: «**إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل**»(١).

فبكى هارون بكاء شديداً وقال له: زدني رحمك الله. فقال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة! فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل؟ وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غشّ لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال: «**من أصبح لهم غاشاً لم يُرِح رائحة الجنة**»(٢).

فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال: نعم، دين لربي يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني؟ والويل لي إن ناقشني؟ والويل لي إن لم أُلهَمْ حجتي! قال: إنما أعني دين العباد. قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمرني ربي أن أوحده وأطيع أمره فقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٠٧) وذكره الذهبي في السير (٨/ ٤٣٠) والمِزّي في تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٩٦).

(٢) أخرجه الروياني في مسنده (٢/ ٩٣) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٠٧).

فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادتك. فقال: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا؟ سلمك الله ووفقك.

ثم صمت، فلم يكلمنا فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب قال هارون: أبا عباس إذا دللتني على رجل فدُلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين.

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به؟ فقال لها: مَثَلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال؟ فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله! فانصرفنا.

اقتصرنا على هذا القدر من أخبار الفضيل لأنا قد أفردنا لكلامه ومناقبه كتاباً، فمن أراد الزيادة فلينظر في الكتاب.

وقد أسند الفضيل عن جماعة من كبار التابعين منهم الأعمش، ومنصور بن المعتمر، وعطاء بن السائب، وحصين بن عبد الرحمن، ومسلم الأعور، وأبان بن أبي عياش، وروى عنه خلق كثير من العلماء، وقد ذكرنا جملة من رواياته في ذلك الكتاب.

وتوفي رضي الله عنه في سنة سبع وثمانين ومائة.

٢١٩ ـ علي بن الفضيل بن عياض

ألحقناه بدرجة أبيه لأنه مات في حياة أبيه، واقتصرنا من أخباره على اليسير، لأنّا قد أدرجناها في كتاب فضائل أبيه رضي الله عنهما.

عن فضيل بن عياض قال: بكى ابني علي، فقلت: يا علي ما يبكيك؟ قال: يا أبة أخاف ألاّ تجمعنا القيامة.

وعن بشر بن الحارث قال: كان عشرة ينظرون في الحلال النظرَ الشديد، لا يدخل بطونهم إلا حلال ولو استفّوا التراب، فذكر منهم علي بن الفُضيل.

وعن محمد بن الحسن قال: كان علي بن الفُضَيل يصلّي حتى يزحف إلى فراشه، ثم يلتفت إلى أبيه فيقول: يا أبة سبَقني العابدون.

وعن سفيان بن عيينة قال: ما رأيت أحداً أخْوَفَ من الفضيل وابنه.

أسند عليّ عن عبد العزيز بن أبي رَوّاد، وسفيان بن عيينة وغيرهما. رضي الله عنهما.

---

٢١٩ ـ علي بن الفُضَيل بن عياض ـ رحمهما الله تعالى ـ: تاريخ ابن كثير (١٠/ ٢٥١)، تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٦١)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٤٤)، تهذيب التهذيب (٩/ ٢٥)، الجرح والتعديل (٧/ ٢٠١)، الحلية (٩/ ٦٣)، شذرات الذهب (٢/ ٩)، الكاشف (٣/ ١٧).

٢٢٠ ـ محمد بن إدريس

الإمام الشافعي رضي الله عنه: يكنى أبا عبد الله. عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم قال: قال الشافعي: ولدت بغزّة سنة خمسين ومائة، وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين.

قال: وأخبرني غيره عن الشافعي قال: لم يكن لي مالٌ فكنت أطلب العلم في الحداثة أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور أكتب فيها[1].

وعن حسين الكرابيسي قال: سمعت الشافعي يقول: كنت امرءاً أكتب الشعر وآتي البوادي فأسمع منهم، وقدمت مكة وخرجت وأنا أتمثل بشعر لِلَبيد، وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من ورائي من الحجَبة فقال: رجل من قريش، ثم ابن المطلب رضيَ من دِينه ودنياه أن يكون معلِّما؟ ما الشعر؟ الشعر إذا استحكمتَ فيه قعدتَ معلماً، تفقَّه يُعْلِكَ اللَّهُ.

قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحَجَبي، ورجعت إلى مكة وكتبت عن ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجي، ثم قدمت على مالك فكتبت موطّأه فقلت له: يا أبا عبد الله أقرأ عليك؟ فقال: يا ابن أخي تأتي برجل يقرؤه علي وتسمع. فقلت: أقرأ عليك فتسمع إلى كلامي. فقال: اقرأ. فلما سمع [ما] قرأت عليه حتى بلغت كتاب السِّيَر قال لي: اطوِهِ يا ابن أخي تفقَّه تعلُ.

وعن محمد بن إسماعيل الحميري عن أبيه قال: كان الشافعي يطلب اللغة العربية والشعر، وكان كثيراً ما يخرج الى البدو فيحمل ما فيه من الأدب، فبيما هو يوماً في حي من أحياء العرب جاء إليه بدوي فقال له: ما تقول في امرأة تحيض يوماً وتطهر يوماً؟ قال: ما أدري. قال: يا ابن أخي الفريضةُ أولى بك من النافلة! فقال له: إنما أريد هذا لذاك، وعليه قد عزمت، وبالله التوفيق. ثم خرج الى مالك بن أنس.

وعن الحميدي عن الشافعي قال: كنت يتيماً في حِجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة، فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة، وكانت لنا جرة عظيمة فإذا امتلأ العظم تركته في الجرة. وفي رواية أخرى: فامتلأ من ذلك حبان.

وعن إسماعيل بن يحيى قال: سمعت الشافعي يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين.

---

٢٢٠ ـ محمد بن إدريس الشافعي ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (١١/ ٢٩ ب) شذرات الذهب (٢/ ٩)، العبر (٥/ ١٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥)، الجرح والتعديل (٧/ ٢٠١)، الحلية (٩/ ٦٣)، تاريخ بغداد (٢/ ٥٦)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٤٤)، وفيات الأعيان (٤/ ١٦٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٦١)، الكاشف (٣/ ١٧)، ابن كثير في تاريخه (١٠/ ٢٥١)، تهذيب التهذيب (٩/ ٢٥)، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (١/ ١٩١)، طبقات السبكي (الجزء الأول).

(١) الظهور: الأوراق التي استُعمل أحدُ وجهَيْها وهي ما تُسمّى بالمسوّدات ونحوها.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: يروى في الحديث: «إن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يصحح لهذه الأمة دينها[1]» فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز، ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي.

وقال مسلم بن خالد الزنجي للشافعي: يا أبا عبد الله أفتِ الناس، آن والله أن تفتي. وهو ابن دون عشرين سنة.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: يا أبة أي رجل كان الشافعي؟ سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟

وعن الميموني قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ستة أدعو لهم في السّحَرِ، أحدهم الشافعي.

وعن ابن راهويه قال: كنت مع أحمد بمكة فقال لي: تعالَ حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله! فأراني الشافعي.

وعن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي و[قد] حضر ميتاً، فلما سجَّينا عليه نظر إليه وقال: اللّهم بغناكَ عنه وفقره إليك اغفر له.

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: ما أوردتُ الحقَّ والحجةَ على أحد فقبلهما مني إلا هِبتُه واعتقدت مودته، ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني.

وعن أحمد بن خالد الخلال قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً فأحببت أن يُخطىء.

وعن الحسين الكرابيسي يقول: سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحدا قط إلا أحببت أن يُوفَّق ويُسدَّد ويُعان، ويكون عليه رعايةٌ من الله وحفظٌ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبالِ: بيَّن اللّهُ الحقَّ على لساني أو لسانه.

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يُرجى ويُخاف.

وعنه قال: سمعت الشافعي يقول: لوددت أن الخلق يتعلمون مني ولا يُنسب إليّ منه شيءٌ. وسمعته يقول: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وعن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال: سمعت الشافعي يقول: طالب العلم يحتاج إلى ثلاث، إحداها: حسن ذات اليد، والثانية: طول عمر، والثالثة: يكون له ذكاء.

وعن الربيع قال: قال الشافعي: من طلب الرياسة فرَّت منه، وإذا تصدر الحديثَ فاته علم كثير.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥٢٢)، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ١٣٧)، وانظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦).

وعن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي: يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك! ولكن الْقَهُ وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، واحذر أن تُسمِّيَ له المبلِّغَ! فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر. لا تزيدن على ذلك شيئاً! وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهاً لعذر فاقبل منه، وإن لم تر ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وَجْهٌ من العذر فاَقْبلْ منه، وإن لم تر لذلك وجهاً لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة، ثم أنت في ذلك بالخَيار: ان شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى، وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠] فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدَّها، ثم [ابذِل] له إحساناً بهذه السيئة، ولا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلمُ بعينه، يا يونس إذا كان لك صديق فشدّ يديك به، فإن اتخاذ الصديق صعب، ومفارقته سهل.

قال: وسمعت الشافعي يقول: يا يونسُ الانقباضُ عن الناس مكسبةٌ للعدواة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط.

وعن أحمد بن الوزير قال: حدثنا محمد بن إدريس الشافعي قال: قبول السعاية شر من السعاية، لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز.

قال: وتنقَّصَ رجلٌ محمدَ بن الحسن عند الشافعي! فقال له: مَهْ؛ لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام.

وعن الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي: استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر.

وعنه قال: سمعت الشافعي يقول: من ضَحِكَ منه في مسألة لم ينسها أبداً(١).

وعنه قال: قال لي الشافعي: يا ربيع رضا الناس غايةٌ لا تُدْرَك فعليك بما يصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أنه من تعلم القرآن جلَّ في عيون الناس، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هِيْبَ، ومن تعلم العربية رقَّ طبعه، ومن تعلم الحساب جَزُل رأيه، ومن تعلم الفقه نَبُل قدرُه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه! وملاك ذلك كله التقوى.

وعن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظُمَت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل مقداره، ومن تعلم اللغة رقَّ طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

---

(١) في المطبوع «ابدر».

وعن أبي الوليد الجارودي قال: سمعت الشافعي يقول: لو علمت أن الماء البارد يُنقص من مروءتي ما شربته.

وعن الربيعي قال: سأل رجلٌ الشافعيَّ عن سِنّه؟ قال: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه! سأل رجل مالكاً عن سنهِ؟ فقال: أَقْبِلْ على شأنك.

قال لنا أبو بكر بن أبي طاهر: وجدت في هذه الحكاية زيادة من رواية أخرى: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه، لأنه إن كان صغيراً استحقروه، وإن كان كبيراً استهرموه.

وعنه قال: كان الشافعي قد جزّأ الليل ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام.

وعنه قال: كان للشافعي في رمضان ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ في الصلاة.

قال أبو بكر النيسابوري: سمعت الربيع يقول: كان الشافعي يختم كل شهر ثلاثين ختمة، وفي رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة.

وعن نهشل بن كثير عن أبيه قال: دخل الشافعي يوماً إلى بعض حُجَر هارون الرشيد ليستأذن له ومعه سراجٌ الخادم، فأقعده عند أبي عبد الصمد ـ مؤدب أولاد هارون الرشيد ـ فقال سراج للشافعي: يا أبا عبد الله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم، فلو أوصيته بهم! فأقبل عليه فقال: ليكن أولَ ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحُك نفسك، فإن أعيُنَهم معقودةٌ بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تكرهه، علِّمهم كتاب الله ولا تُكرِهْهم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روِّهم من الشعر أَعَفَّه، ومن الحديث أشرفه، ولاَ تخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم.

وقال الحميدي: قدم الشافعي مرة من اليمن ومعه عشرون ألف دينار، فضرب خيمته خارجاً من مكة فما قام حتى فرقها كلها.

وعن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: من نظَّف ثوبه قل همُّه، ومن طاب ريحُه زاد عقله.

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: لن يجفو فعل من يصفو.

وعنه قال: سمعت الشافعي يقول ـ وسأله رجل عن مسألة ـ فقال: روي فيها كذا وكذا عن النبي ﷺ. فقال له السائل: يا أبا عبد الله تقول به؟ فرأيت الشافعي أُرْعِدَ وانتفض وقال: يا هذا أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً فلم أقلْ به! نعم على السمع والبصر.

قال: وسمعت الشافعي وقد روى حديثاً. فقال له بعض من حضر: تأخذ بهذا؟ فقال: إذا رويت عن رسوله الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأنا أشهدكم أن عقلي قد ذهب، ومد يديه.

وعنه قال: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت.

وعن أبي بيان الأصبهاني قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله محمد بن إدريس الشافعي ابن عمك: هل نفعته بشيء؟ أو خصصته بشيء؟ فقال: نعم، سألت الله ألا يحاسبه. فقلت: بماذا يا رسول الله؟ قال: إنه كان يصلي عليّ صلاة لم يصلّ بمثل تلك الصلاة أحد. فقلت: وما تلك الصلاة يا رسول الله؟ قال: كان يصلي علي: اللّهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون، وصل على محمد كلما غفل عنه الغافلون.

قال المصنف: أخبرنا محمد بن أبي منصور قال: قرأت في كتاب محمد بن طاهر النيسابوري بخطه للشافعي رضي الله عنه:

إن امرؤٌ وجد اليَسار فلم يُصِبْ ... حمداً ولا شكراً لغيرُ موفَّق
الجَدُّ يُدني كلَّ شيءٍ شاسع ... والجَدُّ يفتح كلَّ باب مغلق
فإذا سمعتَ بأن مجدوداً حوى ... عوداً فأثمر في يديه فصدِّق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى ... ماء ليشربه فغاض فحقِّق
ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤسُ اللبيب وطيبُ عيش الأحمق

وعن المزني قال: دخلت على الشافعي في علته التي مات فيها فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، لسوء أعمالي ملاقياً، وعلى الله تعالى وارداً، فلا أدري: روحي تصير إلى الجنة فأهنئها؟ أو إلى النار فأعزيها؟، ثم بكى وأنشأ يقول:

ولمَّا قسا قلبي وضاقتْ مذاهبي ... جعلتُ الرجا مني لعفوك سلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنتُه ... بعفوك ربي كان عفوُك أعظَما
ومازلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو مِنَّةً وتكرُّما

سمع الشافعي رضي الله عنه من مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبد العزيز الدراوردي، ومسلم بن خالد الزنجي في خلق كثير.

وحدث عنه أحمد بن حنبل وغيره من العلماء.

وتوفي سنة أربع ومائتين.

قال: الربيع بن سليمان توفي الشافعي ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة، آخر يوم من رجب، ودفناه يوم الجمعة، فانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين.

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: ولد الشافعي في سنة خمسين ومائة، ومات في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، عاش أربعاً وخمسين.

وعن الربيع قال: كنا جلوساً في حلقة الشافعي بعد موته بيسير، فوقف علينا أعرابي فسلَّم، ثم قال لنا: أين قمر هذه الحلقة وشمسها؟ فقلنا: توفي رحمه الله.

فبكى بكاء شديداً، ثم قال: رحمه الله وغفر له، فلقد كان يفتح ببيانه منغلِقَ الحجة، ويسدُّ على خصمه واضح المَحَجَّة، ويغسل من العار وجوهاً مسودَّة، ويوسع بالرأي أبواباً منسدَّة. ثم انصرف.

وعنه قال: رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب، ونثر عليّ اللؤلؤ الرطب. والسلام.

ممن بعدهم من الطبقات

٢٢١ ـ أبو غياث المكي

مولى جعفر بن محمد. قال أبو حازم المعلى بن سعيد البغدادي: سمعت أبا جعفر محمد بن جرير الطبري في سنة ثلاثمائة يقول: كنت بمكة سنة أربعين ومائتين فرأيت خراسانياً ينادي: معاشر الحاجّ من وجد همياناً فيه ألف دينار فردّه عليّ أضعف الله له الثواب. قال: فقام إليه شيخ من أهل مكة كبير من موالي جعفر بن محمد فقال له: يا خراساني بلدنا فقير أهلُه، شديدٌ حاله، أيامه معدودة، ومواسمه منتظرة، لعله يقع بيد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله له حلالاً يأخذه ويرده عليك! قال الخراساني: فكم يريد؟ قال: العُشْر؛ مائة دينار. قال: لا أفعل، ولكنا نحيله على الله عز وجل. قال: وافترقا.

قال ابن جرير: فوقع لي أنه الشيخ صاحب القريحة والواجد للهميان فاتبعته فكان كما ظننت فنزل إلى دار مستفلة خَلِقة الباب والمدخل، فسمعته يقول: يا لبابة. قالت له: لبيك أبا غياث. قال: وجدت صاحب الهميان ينادي عليه مطلَقاً، فقلت له: قيده بأن تجعل لواجده شيئاً؟ فقال: كم؟ فقلت: عشرة. فقال: لا، ولكنا نحيله على الله عز وجل فأي شيء نعمل ولا بد لي من رده؟ فقالت له: نقاسي الفقر معك منذ خمسين سنة ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمي وأنت تاسع القوم أشبِعْنا واكسُنا، ولعل الله عز وجل يغنيك فتعطيه، أو يكافئه عنك ويقضيه. فقال لها: لست أفعل ولا أحرق حشاشتي بعد ست وثمانين سنة.

قال: ثم سكت القوم وانصرفت، فلما أن كان من الغد على ساعات من النهار سمعت الخراساني يقول: يا معاشر الحاج وَفْدَ الله من الحاضر والبادي: من وجد همياناً فيه ألف دينار فرده أضعف الله له الثواب؟ قال: فقام إليه الشيخ فقال: يا خراساني قد قلت لك بالأمس ونصحتك، وبلدنا والله فقير قليلُ الزرع والضرع، وقد قلت لك: أن تدفع إلى واجده مائة دينار فلعله أن يقع بيد رجل مؤمن يخاف الله عز وجل فامتنعت. فقل: له عشرة دنانير منها، فيرده عليك ويكون له في العشرة الدنانير ستر وصيانة؟ قال: فقال له الخراساني: لا نفعل، ولكن نحيله على الله عز وجل. قال: ثم افترقا.

قال الطبري: فما اتبعتُ الشيخ ولا الخراساني، وجلست أكتب كتاب «النسب» للزبير بن بكار فلما كان من الغد سمعت الخراساني ينادي ذلك النداء بعينه، فقام إليه الشيخ فقال له: يا خراساني قلتُ لك أول أمس: العشر منه؟ وقلت لك أمس: عشر العشر، أعط ديناراً عشرَ عشرِ العشر يشتري بنصف دينار قُرَيْبَةً يستقي عليها للمقيمين بمكة بالأجرة، وبنصف دينار شاة يحلبها، ويجعل ذلك لعياله غذاء؟ قال: لا نفعل، ولكن نحيله على الله عز وجل.

---

٢٢١ ـ أبو غياث المكي ـ رحمه الله ـ: ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣١٣).

قال: فجذبه الشيخ وقال له: تعال خذ هميانك، ودعني أنام الليل، وأرحنا من محاسبتك! فقال له: امش بين يدي. فمشى الشيخ وتبعه الخراساني وتبعتهما فدخل الشيخ، فما لبث أن خرج وقال: ادخل يا خراساني. فدخل ودخلتُ فنبش تحت درجة له مزبلة، فأخرج منها الهميان أسود من خرق بخارية غلاظ فقال: هذا هميانك. فنظر إليه وقال: هذا همياني. قال: ثم حل رأسه من شد وثيق، ثم صب المال في حجر نفسه وقلّبه مراراً وقال: هذه دنانيرنا. وأمسك فم الهميان بيده الشمال ورد المال بيده اليمنى فيه، ثم شده شداً سهلاً ووضعه على كتفه، ثم أراد الخروج فلما بلغ باب الدار رجع فقال للشيخ: يا شيخ مات أبي رحمه الله وترك من هذه ثلاثة آلاف دينار فقال لي: أخرجْ ثلثها ففرقه على أحقّ الناس عندك، وبعْ رحلي واجعله نفقة لحجتك، ففعلت ذلك، وأخرجت ثلثها: ألف دينار وشددتها في هذا الهميان، وما رأيت منذ خرجت من خراسان إلى هاهنا رجلاً أحق به منك، خذه بارك الله لك فيه. قال: ثم ولى وتركه. قال: فوليت خلف الخراساني فعدا أبو غياث فلحقني وردّني وكان شيخاً مشدود الوسط بشريط معصب الحاجبين، ذَكر أن له ستاً وثمانين سنة، فقال لي: اجلس فقد رأيتك تتبعني في أول يوم وعرفتَ خبرنا بالأمس، واليوم سمعت أحمد بن يونس اليربوعي يقول: سمعت مالكاً يقول: سمعت نافعاً يقول: عن عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ قال لعمر وعلي رضي الله عنهما: «**إذا أتاكما الله بهدية بلا مسألة ولا استشراف نفس فاقبلاها ولا تردّاها فتردّاها على الله عز وجل**»[1] وهذه هدية من الله، والهدية لمن حضر.

ثم قال: يا لبابة وفلانة فصاح ببناته وأخواته وزوجته وأمها وقعد وأقعدني، فصرنا عشرة فحلَّ الهميان وقال: ابسطوا حجوركم. فبسطت حجري وما كان لهن قميص له حجر يبسطونه فمدوا أيديهم، وأقبل يعدُّ ديناراً ديناراً حتى إذا بلغ العاشرُ إليَّ قال: ولك دينار. حتى فرغ الهميان، وكانت ألفاً فيها ألف فأصابني مائة دينار، فداخلني من سرور غناهم أشد مما داخلني من سرور صيانتي بالمائة دينار.

فلما أردت الخروج قال لي: يا فتى إنك لمبارك، وما رأيت هذا المال قط ولا أمّلته، وإني لأنصحك إنه حلال فاحتفظ به، واعلم أني كنت أقوم فأصلي الغداة في هذا القميص الخَلِق، ثم أنزعه فيصلينَ فيه واحدة واحدة، ثم أكتسب إلى ما بين الظهر والعصر، ثم أعود في آخر النهار بما فتح الله عز وجل لي من أقط وتمر وكسيرات ومن بُقُولٍ نُبِذَت، ثم أنزعه فيتداولنه فيصلين فيه المغرب وعشاء الآخرة فنفعهن الله بما أخذن، ونفعني وإياك بما أخذنا، ورحم صاحب المال في قبره، وأضعف ثواب الحامل للمال، وشكر له.

قال ابن جرير: فودعته وكتبت بها العلمَ سنتين أتقوَّت بها، وأشتري منها الورق، وأسافر، وأعطي الأجرة، فلما كان بعد سنة ست وخمسين سألت عن الشيخ بمكة؟ فقيل: إنه مات بعد ذلك بشهور، ووجدت بناته ملوكاً تحت ملوك، وماتت الأختان وأمهن، وكنت أنزل على أزواجهن

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١١١) بمعناه.

وأولادهن فأحدثهم بذلك فيأنسون بي ويكرمونني، ولقد حدثني محمد بن حيان البجلي في سنة تسعين ومائتين: أنه ما بقي منهم أحد، فبارك الله لهم فيما صاروا اليه.

٢٢٢ ـ أبو جعفر المزيِّن الكبير

جاور بمكة، وبها مات، وكان من العبّاد.

عن أحمد بن عبد الله ـ هو أبو نعيم ـ قال: سمعت أبا جعفر الخياط الأصبهاني بمكة يقول: سمعت أبا جعفر المزين يقول: محنتنا وبلاؤنا صفاتنا، فمتى فنيت حركاتُ صفاتِنا أقبلت القلوب منقادة للحق.

وقال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا جعفر المزين الكبير يقول: إن الله لم يؤمِّن الخائفين بقدر خوفهم، ولكن بقدر جوده وكرمه، ولم يُفرح المحزونين بقدر حزنهم، ولكن بقدر رأفته ورحمته.

٢٢٣ ـ أبو الحسن علي بن محمد المزين الصغير

أصله من بغداد، ولكنه أقام بمكة.

عن أبي عبد الله بن خفيف قال: سمعت أبا الحسن المزين بمكة يقول: كنت في بادية تبوك فتقدمت إلى بئر لأستقي منها فزلقت رجلي فوقعت في جوف البئر، فرأيت في البئر زاوية واسعة فأصلحت موضعاً وجلست عليه، وقلت: إن كان مني شيء لا أفسد الماء على الناس! وطابت نفسي وسكن قلبي، فبينا أنا قاعد إذا بخشخشة فتأملت فإذا بأفعى ينزل على البئر فراجعت نفسي، فإذا هي ساكنة، فنزل ودار بي وأنا هادىء السر لا يضطرب علي، ثم لفّ بي ذنبه وأخرجني من البئر وحلل عني ذَنَبَه، فلا أدري: أرض ابتلعته أو سماء رفعته؟ وقمت ومشيت.

وعن جعفر الخلدي قال: ودّعت المزين الصوفي فقلت: زودني شيئاً. فقال: إن ضاع منك شيء أو إن أردت [أن] يجمع الله بينك وبين إنسان فقل: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد اجمعْ بيني وبين كذا، فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان. فما دعوت بها في شيء إلا استجيب.

وعن أبي بكر الرازي قال: سمعت أبا الحسن المزين يقول: الذنب بعد الذنب عقوبةُ الذنب، والحسنة [بعد] الحسنة ثوابُ الحسنة.

وقال أبو الحسن المزين: من استغنى بالله أحوَجَ الله الخلقَ اليه.

وقال: المعجَب بعلمه مستدرَجٌ، والمستحسن لشيء من أفعاله ممكور به.

قال السلمي: صحب أبو الحسن المزين الجنيدَ وسهلَ بن عبد الله، وأقام بمكة مجاوراً حتى توفي بها سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

---

٢٢٢ ـ أبو جعفر المزيِّن الكبير ـ رحمه الله ـ: ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٧٣)، أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣٤٠) والذهبي في السير (٥/ ٢٣٢).

٢٢٣ ـ أبو الحسن المزيِّن الصغير ـ رحمه الله ـ: ذكره في الحلية (١٠/ ٣٤٠) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٣٢).

٢٢٤ ـ أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني

طاف الآفاق، ولقي المشايخ، وسكن مكة فصار شيخ الحرم، وكان إذا خرج إلى الحرم يُخلون المطاف ويقبِّلون يده أكثر من تقبيل الحجر، وكانت له كرامات.

عن أبي عبد الله محمد بن أحمد قال: لما عزم الشيخ سعد على الإقامة بالحرم عزم على نفسه نيفاً وعشرين عَزْمةً يُلزمها إياها من المجاهدات والعبادات، ومات بعد ذلك بأربعين سنة، ولم يخلَّ منها بعزيمة واحدة.

قال المصنف: انبأ إسماعيل بن أحمد عن سعد بن علي الزنجاني قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن أحمد الواعظ قال: أنشدني علي بن عبد العزيز الجرجاني:

ما تطعَّمتُ لذَّةَ العيش حتى ... صرتُ للبيت والكتاب جليسا
ليس شيء أعزَّ عندي من العلم ... فلم أبتغي سواه أنيسا؟
إنما الذل في مخالطة الناس ... فدعْهم وعِش عزيزاً رئيسا

توفي الزنجاني في سنة سبعين أو احدى وسبعين وأربع مائة رحمه الله.

ذكر المصطَفَين من عبّاد كانوا بمكة لَم تُعرف أسماؤهم

٢٢٥ ـ عابد

عن عبد الله بن المبارك قال: كنت بمكة فأصابهم قحط، فخرجوا إلى المسجد الحرام يستسقون فلم يُسقوا، وإلى جانبي [عبد] أسود منهوك فقال: اللّهم إنهم قد دعوك فلم تُجِبْهم، وإني أقسم عليك أن تسقينا. قال: فوالله ما لبثنا أن سقينا.

قال: فانصرف [العبد] الأسود واتبعته حتى دخل داراً في الخياطين فعلّمتها، فلما أصبحت أخذت دنانير وأتيت الدار، فإذا رجل على باب الدار فقلت: أردت رب هذه الدار؟ فقال: أنا. قلت: مملوك لك أردت شراءه؟ فقال: لي أربعة عشر مملوكاً أُخرجهم إليك. فأخرجهم فلم يكن منهم. فقلت له: بقي شيء؟ فقال: لي غلام مريض! فأخرجه فإذا هو الأسود. فقلت: بعنيه. قال: هو لك يا أبا عبد الرحمن، فأعطيته أربعة عشر ديناراً وأخذت المملوك، فلما صرنا إلى بعض الطريق، قال لي: يا مولاي أي شيء تصنع بي وأنا مريض؟ فقلت: لِمَا رأيت عشية أمس! قال: فاتكأ على الحائط فقال: اللّهم إذ شهرتني فاقبضني إليك. قال: فخرَّ ميتاً. قال: فانحشر عليه أهل مكة.

وقد رويت لنا هذه الحكاية على صفة أخرى؛ قال ابن المبارك: قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر وهم يستسقون في المسجد الحرام، وكنت في الناس مما يلي باب بني شيبة إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه، فصار في موضع خفي إلى جانبي فسمعته يقول: إلهي أخلقت الوجوهَ كثرةُ الذنوب ومساوىء الأعمال! وقد منعتنا غيث السماء

---

٢٢٥ ـ عابد ـ: ذكره اللالكائي في كرامات الأولياء (١٨٠).

لتؤدب الخليقة بذلك فأسألك يا حليماً ذا أناة، يا من لا يعرف عبادهُ منه إلا الجميلَ اسقهم الساعةَ الساعةَ.

قال ابن المبارك: فلم يزل يقول: الساعةَ الساعةَ حتى استوت بالغمام، وأقبل المطر من كل مكان، وجلس مكانه يسبِّح، وأخذت أبكي، إذ قام فاتبعته حتى عرفت موضعه، فجئت إلى فضيل بن عياض فقال لي: ما لي أراك كئيباً؟ فقلت: سبقنا إليه غيُرنا فتولاه دوننا. فقال: وما ذاك؟ فقصصت عليه القصة فصاح وسقط وقال: ويحك يا ابن المبارك خذني إليه. فقلت: قد ضاق الوقت! وسأبحث عن شأنه.

فلما كان من الغد، صليت الغداة وخرجت أريد الموضع، فإذا شيخ على الباب قد بُسطِ له وهو جالس فلما رآني عرفني وقال: مرحباً بك يا أبا عبد الرحمن: حاجتك؟ فقلت له: احتجت إلى غلام أسود.

قال: نعم عندي عدَّةٌ، فاختر أيهم شئت؟ فصاح: يا غلام. فخرج غلام جلد فقال: هذا محمود العاقبة أرضاه لك! فقلت: ليس هذا حاجتي. فما زال يخرج واحداً بعد واحد حتى أخرج إلي الغلام فلما بصرت به بدرت عيناي، فقال: هذا هو؟ قلت: نعم. قال: ليس إلى بيعه سبيل. قلت: ولِمَ؟ قال: قد تبركت بموضعه من هذه الدار، وذلك أنه لا يرزؤني شيئاً! قلت: ومن أين طعامه وشرابه؟ قال: يكسب من فتل الشريط نصف دانق أو أقل أو أكثر فهو قُوتُهُ، فإن باعه في يومه وإلا طوى ذلك اليوم، وأخبرني الغلمان عنه أنه لا ينام هذا الليل الطويل، ولا يختلط بأحد منهم؛ مهتم بنفسه، وقد أحبه قلبي. فقلت له: أنصرف إلى سفيان بن عيينة وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة؟ فقال: إن ممشاك عندي كبير خذه بما شئت.

قال: فاشتريته فأخذت نحو دار فضيل بن عياض فمشيت ساعة فقال لي: يا مولاي! فقلت: لبيك. قال: لا تقل لي لبيك؛ فإن العبد أولى أن يلبي من المولى.

قلت: حاجتك يا حبيبي؟ قال: أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة، وقد كان لك في غيري سعة، وقد أخرج إليك من هو أجلد مني. فقلت: لا يراني الله أستخدمك، ولكن أشتري لك منزلاً وأزوجك وأخدمك أنا بنفسي! قال: فبكى. فقلت له: ما يبكيك؟ قال: أنت لم تفعل هذا إلا وقد رأيت بعض متَّصلاتي بالله تعالى، وإلا فلِمَ اخترتني من بين أولئك الغلمان؟ فقلت له: ليس بك حاجة إلى هذا. فقال لي: سألتك بالله إلا ما أخبرتني! فقلت له: بإجابة دعوتك. فقال لي: إني أحسبك إن شاء الله تعالى رجلاً صالحاً، إن لله عز وجل خيرة من خلقه لا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده، ولا يظهر عليهم إلا من قد ارتضى.

ثم قال لي: ترى أن تقف علي قليلاً، فإنه قد بقيت علي ركعات من البارحة؟ فقلت: هذا منزل فضيل قريب. قال: لا ههنا أحب إليَّ، أمرُ الله عز وجل لا يؤخَر. فدخل من باب الباعة إلى المسجد فما زال يصلي حتى إذا أتى على ما أراد التفت إليّ وقال: يا أبا عبد الرحمن هل من حاجة؟ قلت: ولِمَ؟ قال: لأني أريد الانصراف! قلت: إلى أين؟ قال: إلى الآخرة! قلت: لا تفعل دعني أُسَرُّ بك.

فقال لي: إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بيني وبينه تعالى، فأما إذ اطلعت عليها أنت فسيطّلع عليها غيرك، فلا حاجة لي في ذلك! ثم خرّ لوجهه فجعل يقول: إلهي اقبضني الساعةَ الساعةَ الساعةَ.

فدنوت منه فإذا هو قد مات! فوالله ما ذكرته قط إلا طال حزني وصغرت الدنيا في عيني رحمه الله.

٢٢٦ ـ عابد آخر

عن أبي سعد الخراز قال: كنت بمكة معي رفيق لي من الورعين، فأقمنا ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً، وكان بحذائنا فقير معه كويزة[١] وركوة مغطاة بقطعة خيش، وربما كنت أراه يأكل خبز حوّاري فقلت في نفسي: والله لأقولن لهذا: نحن الليلة في ضيافتك. فقلت له. فقال: نعم وكرامة. فلما جاء وقت العشاء جعلت أراعيه ولم أر معه شيئاً فمسح يده على سارية فوقع على يده شيء فناولني فإذا درهمان لا تشبه الدراهم، فاشترينا خبزاً وأدماً.

فلما مضى لذلك مدة جئت إليه، وسلمت عليه، وقلت له: إني ما زلت أراعيك منذ تلك الليلة، وأنا أحب أن تعرّفني: بم وصلت إلى ذلك؟ فإن كان يبلغ بعمل حدثتني؟ فقال: يا أبا سعيد ما هو إلا حرف واحد! قلت: وما هو؟ قال: تخرج قدر الخلق من قلبك تصل إلى حاجتك.

٢٢٧ ـ عابد آخر

عن بيان المصري قال: كنت في مكة قاعداً وشاب بين يدي فجاءه إنسان وحمل إليه كيساً فيه دراهم، فوضعه بين يديه، فقال: لا حاجة لي فيه. فقال: فرّقه على المساكين. ففرقه، فلما كان العشاء رأيته في الوادي يطلب شيئاً لنفسه.

فقلت: لو تركتَ شيئاً لنفسك مما كان معك؟ فقال: لم أعلم أني أعيش إلى هذا الوقت.

٢٢٨ ـ عابد آخر

عن عبيد الله بن أبي نوح قال: قال لنا عابد كان بمكة: ما تركت النارُ للعاقل سروراً في أهل ولا ولد، ولبئس المصير مصيرُ مفرطٍ في المهلة ومتّكل على الغِرة وطول الغفلة.

وقال لنا: لتكن الأثرة لله في قلوبكم المستولية على جميع أموركم، يوشك أن تفوزوا بذلك يوم يخسر المبطلون. رحمه الله.

---

(١) تصغير كُوْز، وهو ما يُشرَب به.

ذِكْرُ المصطَفَيات
من عابدات مكة

٢٢٩ ـ حكيمة المكية

عن سلمة بن خالد المخزومي قال ـ وكان من خيار بني مخزوم ـ قال: كان هاهنا امرأة من بني مخزوم مجاورة، وكان يقال لها «حكيمة» وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة قد فُتِح صرخت كما تصرخ الثكلى، فلا تزال تصرخ حتى يُغمى عليها، وكانت لا تكاد تفارق المسجد إلا للأمر الذي لا بد منه. قال: ففُتِحت الكعبة يوماً وهي في بعض حاجتها فلما جاءت قالت لها امرأة كانت تجالسها: حكيمةُ؛ فتح اليوم بيت ربك، فلو رأيت الطائفين يطوفون بالبيت والباب مفتوح وهم ينتظرون الرحمة من مليكهم؟ لقد قرت عينك! قال: فصرخت حكيمة صرخة، ثم لم تزل تضطرب حتى ماتت. رحمها الله.

٢٣٠ ـ نقيش بنت سالم

عن أبي المورق قال: حدثني من سمع نقيش بنت سالم بمكة وهي تقول: يا سيد الأنام رحلت بي الشُّقَّة، وهذا مقام العائذ بعفوك من سخطك، وبرحمتك من غضبك، يا حبيب الأوَّابين، يا من لا يُكديه الإعطاء، يا ذا المنِّ والآلاء: زدني بالثقة منك وَصْلة، واجعل قرايَ عتقَ رقبتي، وأقرِر عيني برضاك.

قال: ورأيتها بالموقف وهي تقول: بَهَظَتني الآثام يا سيد الآنام، كحلت عيني بمُلْمُول[1] الحزن فوعزتك لا نعمتُ بضحك أبداً حتى أعلم أين قراري وإلى أين تصير داري؟ فلما رأت أيدي الناس مبسوطة للدعاء قالت: يا رب أقامهم هذا المُقام خوفُ النار، يا قرة عيني وعيون الأبرار يلتمسون نائلك ويرجون فضلك.

فلما رجعوا وضعت خدَّها وصرخت: انصرف الناس ولم أُشعِر قلبي منك اليأسَ.

٢٣١ ـ عائشة المكية

عن أبي عبيد القاسم بن سلّام، قال: دخلتُ مكة وكنتُ ربما أَقعد بحذاء الكعبة، وربما كنت أستلقي وأمد رجلي فجاءتني عائشة المكية ـ وكانت من العابدات ممن صحب الفضيل ـ فقالت لي: يا عبد الله يقال إنك عالم! اقبل مني كلمة: لا تجالسه إلا بأدب فيمحو اسمك من ديوان القرب.

---

٢٢٩ ـ حكيمة المكية: أعلام النساء (١/ ٢٨٨)، نقلاً عن صفة الصفوة!!

٢٣٠ ـ نُقَيش بنت سالم: أعلام النساء (٥/ ١٩١)، نقلاً عن صفة الصفوة!!

(١) المُلْمُول: الحديدة التي يُكتب بها في ألواح الدفتر ا.هـ. اللسان (١١/ ٦٣٩). والمراد: أنزلتَ الحزنَ قلبها، فلا تفرح بالدنيا وأهلها.

٢٣١ ـ عائشة المكية ـ رحمها الله ـ: أعلام النساء (٣/ ١٩٣) نقلاً عن صفة الصفوة!!.

٢٣٢ ـ ابنة أبي الحسن المكي

عن عبد الله بن أحمد بن بكر قال: كان لأبي الحسن المكي ابنة مقيمة بمكة أشد ورعاً منه، وكانت لا تقتات إلا ثلاثين درهماً ينفذها إليها أبوها في كل سنة مما يستفضله من ثمن الخُوص الذي يسفّه ويبيعه.

فأخبرني ابن الرواس التمّار ـ وكان جاره ـ قال: جئت أودعه للحج وأستعرض حاجته، وأسأله أن يدعو لي؟ فسلم إلي قرطاساً وقال: تسأل بمكة عن الموضع الفلاني عن فلانة؟ وتسلم هذا إليها. فعلمت أنها ابنته.

فأخذت القرطاس وجئت فسألت عنها، فوجدتها بالعبادة والزهد أشدّ اشتهاراً من أن تخفى، فتتبعت نفسي أن يصل إليها شيء من مالي يكون لي ثوابه، وعلمتُ أنني إن دفعت إليها ذاك لم تأخذه، ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين خمسين درهماً، ورددته كما كان وسلّمته إليها، فقالت: أي شيء خبر أبي؟ فقلت: سلامة. فقالت: قد خالط أهل الدنيا وترك الانقطاع إلى الله تعالى؟ [ثم قالت][1]: أسألك بالله وبمن حججت إليه عن شيء فتصدقني؟ فقلت: نعم. فقالت: خلطت بهذه الدراهم شيئاً من عندك؟ فقلت: نعم؛ فمن أين علمت بهذا؟ قالت: ما كان أبي يزيدني على الثلاثين شيئاً لأن حاله لا يحتمل أكثر منها، إلا أن يكون ترك العادة، فلو أخبرتني بذلك ما أخذت منه أيضاً شيئاً.

ثم قالت لي: خذ الجميع فقد عققتني من حيث قدَّرت أنك تبرّني! فقلت: ولم؟ قالت: لا آكل شيئاً ليس هو من كسبي ولا كسب أبي، ولا آخذ من مال لا أعرف كيف هو شيئاً. فقلت: خذي منها الثلاثين كما أنفذ إليك أبوك وردي الباقي؟ فقالت: لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لأخذتها، ولكن قد اختلطت بما لا أعرف جهته، فلا آخذ منها شيئاً، وأنا الآن أقتات إلى الموسم الآخر من المزابل، لأن هذه كانت قوتي تلك السنة فقد أجعتني، ولولا أنك ما قصدت أذايَ لدعوت عليك[2].

قال: فاغتتمت وعدت إلى البصرة، وجئت إلى أبي الحسن فأخبرته واعتذرت إليه، فقال: لا آخذها وقد اختلطت بغير مالي، وقد عققتني وإياها! قال: فقلت: فما أعمل بالدراهم؟ قال: لا أدري. فما زلت مدة أعتذر إليه وأسأله ما أعمل بالدراهم؟ فقال لي بعد مدة: تصدق بها، ففعلت.

ذِكْر المصطَفَيات من عابدات مكة المجهولات الأسماء

٢٣٣ ـ جارية سوداء

عن المثنّى بن الصباح قال: كان عطاء ومجاهد يختلفان إلى جارية سوداء في ناحية مكة تُبكيهما، ثم يرجعان.

٢٣٤ ـ عابدة أخرى

عن مالك بن دينار قال: رأيت امرأة بمكة من أحسن الناس عينين، قال: فكان النساء يجئن

---

(١) في المطبوع: «فقالت».

(٢) ولا ريب أن ذلك من الورع المتكلّف، إذ كيف أجازت أكلَ ما في المزابل ولم تجز أن تأخذ مقدار حقّها؟!

فينظرن إليها، فأخذتْ في البكاء. فقيل لها: تذهب عيناك؟ فقالت: إن كنت من أهل الجنة فيبدلني الله عينين أحسن من هاتين، وإن كنت من أهل النار فسيصيبهما أشد من هذا! فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها. رحمها الله.

٢٣٥ ـ عابدة أخرى

عن أبي عبد الرحمن المغازلي قال: كانت حكيمة مجاورة بمكة، فدخلنا عليها ذات يوم، فقالت لها امرأة كانت تخدمها: إخوانك جاؤوك يحبون أن يسمعوا كلامك.

قال: فبكت طويلاً، ثم أقبلت علينا فقالت: أخوتي وقرة عيني مثْلوا القيامة نصب أبصار قلوبكم، وردوا على أنفسكم ما تقدم من أعمالكم، فما ظننتم أنه يجوز في ذلك اليوم: فارغبوا إلى السيد في قبوله وتمام النعمة فيه، وما خفتم أن يرد في ذلك اليوم عليكم: فخذوا في إصلاحه من اليوم، ولا تغفلوا عن أنفسكم فترد عليكم حيث لا يوجد البدل ولا يقدر على الفداء.

قال: ثم بكت طويلاً، ثم أقبلت علينا فقالت: إخوتي وقرة عيني إنما صلاح الأبدان وفسادها من حسن النية وسوئها، إخواني وقرة عيني إنما نال المتقون المحبةَ لمحبتهم له وانقطاعهم إليه، ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك، ولكنهم أحبوا الله ورسوله فأحبهم عبادُ الله لحبهم الله ورسوله، إخواني وقرة عيني كَلَمَ الخوفُ قلوبَ أهله فاقتطعهم ـ والله ـ شغلهم عن مطاعم اللذات والشهوات، إخوتي وقرة عيني بقدر ما تعرضون عن الله يعرض عنكم بخيره، وبقدر ما تقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله، والله واسع كريم.

٢٣٦ ـ عابدة أخرى

عن ابن أبي رَوَّاد قال: كان عندنا امرأة بمكة تسبِّح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، [فماتت،] فلما بلغت القبر اختُلِست من أيدي الرجال. رحمها الله.

٢٣٧ ـ عابدة أخرى

عن ابن شوذب قال: كتب عبدة بن أبي لبابة إلى شريك [له] يقال له الحسن بن الخزاز: ادفع ثلاث مائة درهم إلى أحوج أهل بيت بمكة. فسأل فدُلّ على أهل بيت، فوقف بهم فخرجت إليه امرأة كبيرة حسنة السمت، فقال لها: بُعث إلي بثلاث مائة درهم، وأُمرت أن أدفعها إلى أحوج أهل بيت بمكة. فقالت المرأة: إن كنت أمرت بهذا فما نحن هم، وما لنا فيها من حق، وأنا أعرف أهل بيت أحوج منا.

فسألها، فدلّته عليهم فأعطاهم الدراهم، وكتب إلى عبدة يخبره بحال المرأة، فكتب عبدة: أن أَضعِفْها وأعطها ستمائة درهم.

وقد ذكرنا نحو هذه الحكاية عن عابدة من أهل المدينة[1].

---

(١) انظر خبر العابدتين المدنيتين برقم (٢٠٦) فيما تقدّم.

٢٣٨ ـ عابدة أخرى

عن أبي الحسن الرام ـ وكان من خيار الناس ـ قال: كانت امرأة بمكة يأتيها العبّاد فيتحدثون عندها ويتواعظون، فقالت لهم يوماً: حجبت قلوبَكم الدنيا عن الله عز وجل، فلو جليتموهما لجالت في ملكوت السموات، ولأتتكم بُطرَف الفوائد.

٢٣٩ ـ عابدة أخرى

عن صالح بن عبد الكريم قال: دللت على امرأة بمكة أو بالمدينة تتعبّد فأتيتها وهِي تتكلم. قال: فأحسنت حتى سكتت. قال: فصبرت حتى تفرق الناس عنها، ثم دنوت منها فقلت: لقد تكلمت، ولقد خشيت عليك العجب! فقالت: إنما العجب من شيء هو منك، فأما ما كان من غيرك ففيم العجب؟ ثم قالت:

وله خصائص مصطَفَون لحبه ... اختارهم في سالف الأزمان
اختارهم من قبل فطرة خلقه ... بودائع وبحكمة وبيان

ثم قالت: انهض إذا شئت.

٢٤٠ ـ عابدة أخرى

عن عبد الرحمن بن الحكم قال: كانت عجوز من قريش بمكة تأوي في سرب ليس لها بيت غيره. فقيل لها: أترضين بهذا؟ فقالت: أوَليس هذا لمن يموت كثيراً.

٢٤١ ـ عابدة أخرى

عن محمد بن بكار قال: كانت عندنا بمكة امرأة عابدة فكانت لا تمرّ بها ساعة إلا وهي صارخة، فقيل لها يوماً: إنا لنراك على حالٍ ما نرى غيرك عليها، فإن كان بك داء عالجناك؟ قال: فبكت وقالت: من لي بعلاج هذا الداء؟ وهل أقرح قلبي إلا التفكر في نيل معالجته؟ أوَليس عجيباً أن أكون حية بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي عز وجل مثل شعلة النار التي لا تطفأ حتى أصير إلى الطبيب الذي عنده برء دائي، وشفاء قلب، قد أنضجه طول الأحزان في هذه الدار التي لا أجد فيها على البكاء مسعداً[(١)]؟. انتهى ذكر أهل مكة.

من المصطفَين من أهل الطائف

٢٤٢ ـ سعيد بن السائب الطائفي

روى عن أبيه ونوح بن صعصعة وغيرهما، وروى عنه وكيع ومعن بن عيسى.

عن سفيان قال: كان سعيد بن السائب الطائفي لا تكاد تجفُّ له دمعة، إنما دموعه جارية دهرَه،

---

(١) كذا في المطبوع، ولعلها «مساعداً».

٢٤٢ ـ سعيد بن السائب الطائفي ـ رحمه الله ـ: الكاشف (١/ ٤٣٦)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٣٢)، طبقات ابن سعد (٥/ ٥٣١)، تاريخ ابن معين (٣/ ١٣٦).

إن صلى فهو يبكي، وإن طاف فهو يبكي، وإن جلس يقرأ في المصحف فهو يبكي، وإن لقيته في طريق فهو يبكي.

قال سفيان: فحدثوني أن رجلاً عاتبه على ذلك! فبكى، ثم قال: إنما ينبغي أن تعذلني وتعاتبني على التقصير والتفريط فإنهما قد استوليا علي.

قال الرجل: فلما سمعت ذلك انصرفت وتركته.

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: ما رأيت أحدا قطُّ أسرع دمعة من سعيد بن السائب، إنما كان يُجريه أن يُحرِّك فترى دموعه كالقطر.

عن محمد بن يزيد ين خنيس قال: قيل لسعيد بن السائب: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أنتظر الموت على غير عدة.

وعنه قال: سمعت الثوري يقول: جلست ذات يوم أحدث ومعنا سعيد بن السائب الطائفي، فجعل سعيد يبكي حتى رحمته، فقلت: يا سعيد ما يبكيك وأنت تسمعني أذكر أهل الخير وفعالهم؟ فقال: يا سفيان وما يمنعني من البكاء إذا ذكرتَ مناقب أهل الخير وكنتُ عنهم بمعزل؟ قال: يقول سفيان: حق له أن يبكي رحمه الله.

ذِكْرُ المصطَفَين من طبقات أهل اليمن

من التابعين ومن بعدهم من الطبقة الثانية

٢٤٣ ـ طاووس بن كيسان

يكنى أبا عبد الرحمن، قال الواقدي: كان طاووس مولى بحير بن ريسان الحميري، وكان ينزل الجند. وقال الفضل بن دكين: هو مولى لهمدان، وقال عبد المنعم بن إدريس: هو مولى لابن هوذة الهمداني.

عن الحسن بن حصين قال: رأيت طاووساً مرّ برءاس بمكة وقد أخرج رأساً فلما رآه صعق.

وعن عبد الله بن بشر: إن طاووساً اليماني كان له طريقان إلى المسجد: طريق في السوق، وطريق آخر، فكان يأخذ في هذا يوماً، وفي هذا يوماً، فإذا مرّ في طريق السوق فرأى تلك الرؤوس المشوية لم يتعشَّ تلك الليلة. وقد روي لنا [أنه] لم ينعس.

وعن مسعر عن رجل قال: أتى طاووسُ رجلاً في السَّحَر فقالوا: هو نائم. فقال: ما كنت أرى أن أحداً ينام في السَّحَر؟

وعن عبد الرزاق قال: حدثني أبي قال: كان طاووس يصلي في غداة باردة، فمر به محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف أو أيوب بن يحيى وهو ساجد في موكبه فأمر بساج أو طليسان مرتفع فطرح عليه، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته، فلما سلم نظر فإذا الساج عليه قال: فانتفض ولم ينظر إليه، ومضى إلى منزله.

وعن أبي إسحاق الصنعاني قال: دخل طاووس ووهب بن منبّه على محمد بن يوسف أخي الحجاج ـ وكان عاملاً علينا ـ في غداة باردة فقعد طاووس على الكرسي فقال محمد: يا غلام هلم ذلك الطيلسان فألقه على أبي عبد الرحمن.

فألقوه عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى عنه الطيلسان، وغضب محمد بن يوسف فقال له وهب: والله إن كنتَ لغنياً أن تغضبه علينا لو أخذت الطيلسان فبعته وأعطيت ثمنه المساكين؟ فقال: نعم؛ لولا أن يقال من بعدي: أخذه طاووس، فلا يصنع فيه ما أصنع لفعلت.

وعن النعمان بن الزبير أن محمد بن يوسف وأيوب بن يحيى بعثا إلى طاووس بخمسمائة دينار وقالوا للرسول: إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك! فخرج بها حتى قدم على طاووس

---

٢٤٣ ـ طاووس بن كيسان ـ رحمه الله ـ: الحلية (٤/٣)، تهذيب التهذيب (٥/٨)، تاريخ الإسلام (٤/١٢٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٠)، الجرح والتعديل (٤/ ٥٠٠)، شذرات الذهب (١/ ١٣٣)، العبر (١/ ١٣٠).

فقال: يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها إليك الأمير. قال: ما لي بها من حاجة. قال: فأراده على قبضها، فأبى، فغفل طاووس فرمى بها في كوة في البيت ثم ذهب، فقال لهم: قد أخذها. فلبثوا حيناً، ثم بلغهم عن طاووس شيء يكرهونه، فقالوا: ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالِنا! فجاءه الرسول فقال: المال الذي بعث به إليك الأمير؟ قال: ما قبضت منه شيئاً! فرجع الرسول فأخبرهم فعرفوا أنه صادق.

فقيل للرجل الذي ذهب بها فبعثوه إليه، فقال: المال الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: هل قبضت منك شيئاً؟ قال: لا. قال: فهل تدري أين وضعته؟ قال: نعم في تلك الكوة. قال: فأبصِرْه حيث وضعته. قال: فمد يده فإذا هو بالصرة قد بنت عليها العنكبوت، فأخذها فذهب بها إليهم.

وعن سفيان قال: جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس، فلم يلتفت إليه فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه؟ قال: أردت أن يعلم أن لله عباداً يزهدون فيما في يديه.

وعن سفيان عن عمرو قال: ما رأيت أحداً أشد تنزهاً مما في أيدي الناس من طاووس.

وعن ابن أبي رواد قال: رأيت طاووساً وأصحابه إذا صلوا العصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحداً، وابتهلوا في الدعاء.

وعن الصلت بن راشد قال: كنت عند طاووس فسأله سلم بن قتيبة عن شيء؟ فزبره وانتهره قال: قلت: هذا سلم بن قتيبة صاحب خراسان؟ قال: ذاك أهون له علي.

وعن عبد الرزاق قال: قدم طاووس مكة فقدم أمير قال: فقيل له: إن من فضله، ومن، ومن، فلو أتيته؟ قال: ما لي إليه حاجة. قالوا: إنا نخافه عليك! قال: فما هو كما تقولون.

وعن ابن طاووس قال: قلت لأبي: أريد أن أتزوج فلانة. قال: اذهب فانظر إليها. قال: فذهبت فلبست من صالح ثيابي وغسلت رأسي وادَّهنت فلما رآني في تلك الهيئة قال: اقعد لا تذهب.

وعن بلال بن كعب قال: كان طاووس إذا خرج من اليمن ـ يعني إلى مكة ـ لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة الجاهلية.

وعن يوسف بن أسباط قال: مر طاووس بنهر قد كُرِيَ فأرادت بغلته أن تشرب فأبى أن يدعها ـ يعني كراه السلطان ـ .

وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: صلى وهب بن منبه وطاووس اليماني الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة.

وعن ابن جريح قال: قال لي عطاء: قال لي طاووس: يا عطاء لا تُنزِلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجَّابه، ولكن أنزلها بمن بابُه مفتوحٌ لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك.

وعن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان قال: كان طاووس يفترش فراشه، ثم

يضطجع فيتقلّى كما تتقلى الحبة في المَقْلى، ثم يثب فيدرجه، ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول: طيَّر ذكرُ جهنم نومَ العابدين.

وعن ليث عن طاووس قال: ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أحصي عليه حتى أنينه في مرضه.

وعن عبد الله بن أبي صالح المكي قال: دخل طاووس يعودني. فقلت: يا أبا عبد الرحمن ادع الله لي! فقال: ادع لنفسك؛ فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

وعن سفيان قال: قال طاووس: إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً، فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام.

وعن داود بن إبراهيم: إن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج، فدق الناس بعضهم بعضاً، فلما كان في السَّحَر ذهب عنهم، فنزل الناس يميناً وشمالاً فألقوا أنفسهم فناموا، وقام طاووس يصلي، فقال ابن طاووس: ألا تنام فقد نصبت الليلة؟ فقال طاووس: ومن ينام السَّحَر؟

أدرك طاووس خلقاً كثيراً من الصحابة، وأكثر روايته عن ابن عباس.

وروى عنه من كبار التابعين: مجاهد، وعطاء، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير، ومحمد بن المنكدر، والزهري، ووهب بن منبه.

وعن عبد الملك بن ميسرة عن طاووس قال: أدركت خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ. وعن سفيان قال: قلت لعبيد الله بن أبي يزيد: مع من كنت تدخل على ابن عباس؟ قال: مع عطاء والعامة، وكان طاووس يدخل مع الخاصة.

ذكر وفاته رحمه الله

توفي طاووس بمكة قبل يوم التروية بيوم، وكان هشام بن عبد الملك قد حج في تلك السنة وهو خليفة سنة ست ومائة، فصلى على طاووس، وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة.

وعن ضمرة عن ابن شوذب قال: شهدت جنازة طاووس بمكة سنة ست ومائة فسمعتهم يقولون: رحمك الله أبا عبد الرحمن! حج أربعين حجة رحمه الله.

٢٤٤ ـ وهب بن منبِّه

من الأبناء الغرماء، يكنى: أبا عبد الله.

عن عبد العزيز بن رفيع عن وهب بن منبه قال: الإيمان عُرْيان ولباسُه التقوى، وزينتُه الحياء، وماله الفقه.

وعن عبد الصمد بن معقل: أن وهب بن منبه قال في موعظة له: يا ابن آدم إنه لا أقوى من

---

٢٤٤ ـ وهب بن مُنَبِّه ـ رحمه الله ـ: شذرات الذهب (١/ ١٥٠)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٦٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٥)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٤)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٢٧٦)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ١٤٩)، الحلية (٤/ ٢٣)، طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٣)، العبر (١/ ١٤٣).

خالق، ولا أضعف من مخلوق، ولا أقدر ممن طُلبته في يده، ولا أضعف ممن هو في يد طالبه! يا ابن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك، وأقام معك ما سيذهب.

يا ابن أدم أقصر عن تناول ما لا تنال، وعن طلب ما لا تدرك، وعن ابتغاء ما لا يوجد، واقطع الرجاء منك عما فقدت من الأشياء، واعلم أنه رُبَّ مطلوبٍ هو شر لطالبه! يا ابن آدم إنما الصبر عند المصيبة، وأعظم من المصيبة سوءُ الخُلُف منها.

يا ابن آدم: فأي الدهر ترتجي؟ أيوماً يجيء في غرة؟ أو يوماً تستأخر فيه عن أوان مجيئه؟ انظر إلى الدهر تجده ثلاثة أيام: يوماً مضى لا ترتجيه، ويوماً لا بد منه، ويوماً يجيء لا تأمنه! فأمسِ شاهدٌ مقبولٌ وأمينٌ مؤدٍّ وحكيم وارد، قد فجعك بنفسه وخلف في يديك حكمته، واليوم صديق مودِّع كان طويل الغيبة وهو سريع الظعن، أتاك ولم تأته، وقد مضى قبله شاهد عدل، فإن كان ما فيه لك فأشفعه بمثله.

يا ابن آدم: مضت لنا أصول نحن فروعُها، فما بقاء الفرع بعد أصله؟.

يا ابن آدم: إنما أهل هذه الدار سَفَرٌ لا يحلون عقدة الرحال إلا في غيرها، وإنما يتبلّغون بالعواري، فما أحسن الشكر للنعم والتسليم للمعير، فاعلم يا ابن آدم أنه لا رزية أعظم من رزيةٍ في عقلٍ ممن ضيع اليقين.

أيها الناس: إنما البقاء بعد الفناء، وقد خلقنا ولم نكن، سنبلى، ثم نعود، ألا وإنما العوارى اليوم والهبات غداً! ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش أو إعطاء جزيل، فاستصلحوا ما تقدمون بما تظعنون عنه.

أيها الناس: إنما أنتم في هذه الدار غرض، فيكم المنايا تنتضل، وإن الذي أنتم فيه من دنياكم نهب للمصائب، لا تتناولون فيها نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يستقبل معمَّر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله، ولا تجدد زيادة في أجله إلا بنفاد ما قبله من رزقه، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر، فنسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه العظة.

وعن بكّار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: مرَّ رجل عابد على رجل عابد فقال: ما لَكَ؟ قال: أعجب من فلان أن كان قد بلغ من عبادته فمالت به الدنيا؟ فقال: لا تعجب ممن تميل به، ولكن اعجب ممن استقام.

وعن أشرس عن وهب بن منبه قال: أوحى الله عز وجل إلى داود: يا داود هل تدري من أغفر له ذنوبه من عبيدي؟ قال: من هو يا رب؟ قال: الذي إذا ذكر ذنوبه ارتعدت منها فرائصُه، فذلك العبد الذي آمرُ ملائكتي أن يمحوا عنه ذنوبه.

قال: وقال داود: إلهي أين أجدك إذا ما طلبتك؟ قال: عند المنكسرة قلوبُهم من مخافتي.

وعن بكار بن عبد الله عن وهب قال: قرأت في بعض الكتب: أن منادياً ينادي من السماء الرابعة كل صباح: أبناءَ الأربعين: زرعٌ قد دنا حصاده! أبناءَ الخمسين: ماذا قدمتم؟ وماذا أخرتم؟ أبناءَ

الستين: لا عذر لكم، ليت الخلق لم يخلقوا، وإذ خُلقوا علموا لماذا خلقوا؟ قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم.

وعن عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقول: قرأت في التوراة: أيما دار بنيت بقوة الضعفاء جعلت عاقبتها للخراب! وأيما مال جمع من غير حِلّ جعلت عاقبته إلى الفقر.

وعن عبد الرزاق قال: أخبرني أبي قال: سمعت وهب بن منبه يقول: ربما صليت الصبح بوضوء العتمة. وقد روي لنا من طريق آخر.

وعن المثنى بن الصباح قال: لبث وهب بن منبه عشرين سنة لم يجعل له بين العشاء والصبح وضوءاً.

وقد روينا في ترجمة طاووس: أن وهب بن منبه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة.

وعن أبي سنان القسملي قال: سمعت وهب بن منبه ـ وأقبل على عطاء الخراساني ـ فقال: ويحك يا عطاء ألم أُخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا؟ ويحك يا عطاء تأتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره ويواري عنك غناهِ وتدع من يفتح لك بابه، ويظهر لك غناءه، ويقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾؟ [غافر: ٦٠].

ويحك يا عطاء ارضَ بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا! ويحك يا عطاء إن كان يغنيك ما يكفيك فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء يكفيك! ويحك يا عطاء إنما بطنك بحر من البحور وواد من الأودية فليس يملؤه إلا التراب.

وعن منير ـ مولى الفضل بن أبي عياش ـ قال: كنت جالساً مع وهب بن منبه، فأتاه رجل فقال: إني مررت بفلان وهو يشتمك. فغضب!! وقال: ما وجد الشيطان رسولاً غيرك؟! فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الرجل الشاتم فسلَّم على وهب، فردّ عليه ومدّ يده وصافحه وأجلسه إلى جنبه.

وعن إبراهيم بن عمر قال: قال وهب بن منبه: إذا مدحك الرجل بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمَّك بما ليس فيك.

وعن جعفر بن برقان عن وهب بن منبه قال: الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس بينهما حرون، فإذا قاد القائد ولم يسق السائق لم يغن ذلك شيئاً، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئاً، وإذا قاد القائد وساق السائق اتبعته النفس طوعاً وكرهاً وطاب العمل.

أسند وهب بن منبه عن جابر بن عبد الله، والنعمان بن بشير، وابن عباس، وخلق كثير يطول شرحهم.

وقد روى عن معاذ بن جبل، وأبي هريرة، في آخرين، وروى [عن] خلق كثير من كبار التابعين كطاووس.

وروى عنه من التابعين جماعة، منهم: عمرو بن دينار، وأبان بن أبي عياش، وموسى بن عقبة في آخرين.

قال الواقدي: مات وهب بن منبه بصنعاء سنة عشر ومائة، وقيل: سنة أربع عشرة.

٢٤٥ ـ المغيرة بن حكيم الصنعاني

من الأبناء. عن عبد الله بن إبراهيم قال: أخبرني أبي قال: سافر المغيرة بن حكيم إلى مكة أكثر من خمسين سفراً حافياً محرِماً صائماً لا يترك صلاة السَّحَر في سفره، إذا كان السَّحَر نزل فصلى، ويمضي أصحابه، فإذا صلى الصبح لحق متى ما لحق.

وعن إبراهيم بن عمر قال: كان جزء المغيرة بن حكيم في يومه وليلته القرآنَ كله يقرأ في صلاة الصبح من «البقرة» إلى «هود» ويقرأ قبل الزوال إلى أن يصلي العصر من «هود» إلى «الحج»، ثم يختم.

سمع المغيرة بن حكيم من ابن عمر وأبي هريرة وغيرهما.

٢٤٦ ـ الحكم بن أبان العدني أبو عيسى

عن إسحاق بن الضيف قال: سمعت مشيخة يقولون: كان الحكم بن أبان سيد أهل اليمن، وكان يصلي الليل، فإذا غلبه النوم ألقى نفسه في البحر وقال: أسبِّح لله عز وجل مع الحيتان.

سمع الحكم من عكرمة وغيره، وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة رحمه الله.

٢٤٧ ـ ضرغام بن وائل الحضرمي

عن الطلحي، قال: كان رجل بأرض اليمن يقال له: ضرغام بن وائل الحضرمي، وكان زاهدَ قومه، فقال لغلامه ذات يوم: اشدد كتافي، وعفِّر خدي بالثرى. ففعل.

فقال: مليكي دنا الرحيل إليك، ولا براءة لي من ذنب، ولا عذر لي فأعتذر، ولا لي قوة فأنتصر، أنت أنت لي فتغمدني. قال: ومات. فسمعوا قائلاً يقول: إسكان العبد لمولاه فقَبِلَه.

ذِكْرُ المصطَفَين من عُبَّاد اليمن المجهولي الأسماء

٢٤٨ ـ عابد

عن علي بن زيد قال: قال طاووس: بينا أنا بمكة بعث إليّ الحجاج، فأجلسني إلى جنبه وأتكأني على وسادة إذ سمع ملبياً يلبي حول البيت رافعاً صوته بالتلبية، فقال: عليّ بالرجل. فأُتي به فقال: ممن الرجل؟ فقال: من المسلمين. قال: ليس عن الإسلام سألت؟ قال: فعمَّ سألت؟ قال:

---

٢٤٥ ـ المغيرة بن حكيم الصنعاني ـ رحمه الله ـ: تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٦)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٣٢)، الجرح والتعديل (٨/ت ٩٨٩)، والكاشف (٣/ت ٥٦٨٠).

٢٤٦ ـ الحكم بن أبان العدني ـ رحمه الله ـ: تقريب التهذيب (١/ ٢٣٠)، تهذيب الكمال (٧/ ٨٦ برقم ١٤٢٢)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٣٧٩)، الجرح والتعديل (٣/ت ٥٢٦)، ميزان الاعتدال (١/ت ٢١٦٩)، والكاشف (١/ ٢٤٤).

سألتك عن البلد؟ قال: من أهل اليمن قال: كيف تركت محمد بن يوسف ـ يريد أخاه ـ قال: تركته عظيماً جسيماً لبَّاساً ركَّاباً خرَّاجاً ولاَّجاً. قال: ليس عن هذا سألتك؟ قال: فعمَّ سألت؟ قال: سألتك عن سيرته؟ فقال: تركته ظلوما غشوماً مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق.

فقال له الحجاج: ما حملك أن تتكلم بهذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني؟ قال الرجل: أتراه بمكانه منك أعز مني بمكاني من الله عز وجل وأنا وافد بيته ومصدق نبيه وقاضي دينه؟! قال: فسكت الحجاج فما أحار جواباً، وقام الرجل من غير أن يؤذن له فانصرف.

قال طاووس: وقمت في إثره وقلت: الرجل حكيم. فأتى البيت فتعلق بأستاره، ثم قال: اللّهم بك أعوذ، وبك ألوذ، اللّهم اجعل لي في اللّهَف إلى جودك والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين، وغنىً عما في أيدي المستأثرين، اللّهم فَرَجَك القريب القريب، ومعروفك القديم، وعادتك الحسنة.

ثم ذهب في الناس فرأيته عشية عرفة وهو يقول: اللّهم إن كنت لم تقبل حجي وتعبي ونصبي فلا تحرمني الأجر على مصيبتي بتركك القبول مني! ثم ذهب في الناس، فرأيته غداة جُمَعٍ يقول: واسوأتاه ـ والله ـ منك وإن عفوت! يردد ذلك.

٢٤٩ ـ عابد آخر

قال موسى بن علي الأخميمي: قال ذو النون: وصف لي رجل باليمن قد برز على الخائفين وسما على المجتهدين، وذُكِر لي باللُّب والحكمة، فخرجت حاجاً، فلما قضيت نسكي مضيت إليه لأسمع من كلامه وأنتفع بموعظته أنا وناس كانوا معي يطلبون منه مثل ما أطلب.

وكان معنا شاب عليه سيماء الصالحين ومنظر الخائفين، كان مصفار الوجه من غير مرض، أعمش العينين من غير عمش، ناحل الجسم من غير سقم، يحب الخلوة ويَيْئَسُ بالوحدة، تراه أبداً كأنه قريب العهد بالمصيبة، فخرج إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالسلام عليه وصافحه، فأبدى الشيخ له البشر والترحيب، ثم سلمنا عليه فقال الشاب: إن الله بمنه وفضله قد جعلك طبيباً لسقام القلوب معالجاً لأوجاع الذنوب، وبي جرح نغل وداء قد استكمل، فإن رأيت أن تلطف لي ببعض مراهمك وتعالجني برفقك؟

فقال له الشيخ: سل ما بدا لك يا فتى؟ فقال له الشاب: يرحمك الله ما علامة الخوف من الله تعالى؟ قال: أن يؤمنه خوفه كل خوف غير خوفه. قال: متى يتبين للعبد خوفه من الله تعالى؟ قال: إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة السقيم فهو يحتمي من أكل الطعام مخافة السقام، ويصبر على مضض كل دواء مخافة طول الضنى.

فصاح الفتى صيحة، ثم بقي باهتاً ساعة، ثم قال: رحمك الله ما علامة المحب لله تعالى؟ فقال له: حبيبي إن درجة المحب درجة رفيعة! قال: وأنا أحب أن تصفها لي؟ قال: فإن المحبين لله تعالى شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عز جلال الله فصارت أبدانهم دنياوية وأرواحهم حجبية

وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة، وتشاهد تلك الأمور باليقين، فعبدوه بمبلغ استطاعتهم حباً له، لا طمعاً في جنة ولا خوفاً من نار.

فشهق الفتى وصاح صيحة كانت فيها نَفْسُه. قال: فأكب الشيخ عليه يلثمه ويقول: هذا مصرع الخائفين، وهذه درجة المجتهدين.

٢٥٠ ـ عابدان

أبو بكر القرشي قال: قرأت في كتاب جعفر الأدمي بخطه: قال سلامة: كنت باليمن في بعض مخاليفها، فإذا رجل معه ابن له شاب فقال: إن هذا أبي وهو من خير الآباء، ولي بقر تأتيني مساء فأحلبها، ثم آتي أبي وهو في الصلاة فأحب أن يكون عيالي يشربون فضله، فلا أزال قائماً عليه والإناء في يدي وهو مقبل على صلاته، وعسى أن لا ينفتل ويُقبل علي حتى يطلع الفجر.

قلت للشيخ: ما تقول؟ قال: صَدَقَ. وأثنى على ابنه، ثم قال: إني أخبرك بعذري: إذا دخلت في الصلاة فاستفتحت القرآن ذهب بي مذاهب وشغلني حتى ما أذكره حتى أُصبح.

قال سلامة: ذكرت أمرهما لعبد الله بن مرزوق فقال: هذان يُدفع بهما عن أهل اليمن. قال: وذكرت أمرهما لابن عيينة. فقال: هذان يدفع بهما عن أهل الأرض. رضي الله عنهما.

ذكر المصطَفيات
من عابدات اليمن

٢٥١ ـ خنساء بنت خِدَام

وليست بالصحابية: عن حفص بن عمرو الجعفي قال: كانت باليمن امرأة من العرب جليلة جَهْوَرية حسناً وجمالاً كأنها بدنة، يقال لها خنساء بنت خدام، فصامت أربعين عاماً حتى لصق جلدها بعظمها، وبكت حتى ذهبت عيناها، وقامت حتى أُقعِدَت من رجليها.

وكان طاووس ووهب بن منبه يعظِّمان قدرها، وكانت إذا جن عليها الليل، وهدأت العيون، وسكنت الحركات تنادي بصوت لها حزين: يا حبيب المطيعين: إلى كم تحبس خدود المطيعين في التراب؟ ابعثهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذي أتعبوا له أنفسهم، ثم أنصبوها.

قال: فيسمع البكاء من الدور حولها.

٢٥٢ ـ سوية

عن أبي هشام ـ رجل من قريش من بني عامر ـ قال: قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها «سوية» فنزلت في بعض رباعنا، فكنت أسمع لها من الليل نحيباً وشهيقاً، فقلت للجارية: أشرفي على هذه المرأة فانظري ما تصنع؟ فإذا هي قائمة مستقبلة القبلة رافعة رأسها إلى السماء، فقلت: ما تصنع؟ قالت: ما أراها تصنع شيئاً غير أنها لا ترد طرفها عن السماء! فقلت: اسمعي ما تقول. قالت: لا أفهم كثيراً من قولها؛ غير أني أسمعها تقول: أراك خلقت «سوية» من طينة لازبة غمرتها بنعمتك تغذوها من حال إلى حال، وكل أحوالك لها حسنة، وكل بلائك عندها جميل، وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثُّب على معاصيك فلتةً في إثر فلتة، أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعالها؟ بلى، وأنت على كل شيء قدير.

ثم صرخت وسقطت، ونزلت الجارية فأخبرتني بسقطتها، فلما أصبحنا نظرنا فإذا هي قد ماتت. والسلام.

---

٢٥١ ـ خنساء بن خِدَام ـ رحمهما الله ـ: تقريب التهذيب (٢/ ٦٣٧)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٦٤)، لكن قال عنها: صحابية معروفة.

٢٥٢ ـ سوية: ذكرها في أعلام النساء (٢/ ٢٧٣)، نقلاً عن كتابنا هذا!!.

من عابدات اليمن المجهولات الأسماء

٢٥٣ ـ عابدة

عن محمد بن سليمان القرشي، قال: بينا أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف في الطريق في أذنيه قرطان، في كل قرط جوهرة يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة، وهو يمجد ربه بأبيات من الشعر؛ فسمعته يقول:

مـليـكٌ فـي الـسـمـاء بـه افـتـخـاري عـزيـز الـقـدر لـيـس بـه خـفـاء

فدنوت منه فسلمت عليه فقال: ما أنا برادٍّ حتى تؤدي من حقي ما يجب لي عليك! قلت: وما حقك؟ قال: أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ﷺ لا أتغذَّى ولا أتعشَّى كل يوم حتى أسير الميل والميلين في طلب الضيف.

فأجبته إلى ذلك، فرحب بي، وسرت معه حتى قربنا من خيمة شَعْرٍ، فلما قربنا من الخيمة صاح: يا أختاه! فأجابته جارية من الخيمة: يا لبَّيْكاه. فقال: قومي إلى ضيفنا. فقالت الجارية: حتى أبدأ بشكر المولى الذي سبب لنا هذا الضيف.

فقامت فصلت ركعتين شكراً لله عز وجل.

فأدخلني الخيمة وأجلسني، وأخذ الغلامُ الشفرةَ وأخذ عناقاً ليذبحها، فلما جلست في الخيمة نظرت إلى أحسن الناس وجهاً! فكنت أسارقها النظر. ففطنت لبعض لحظاتي إليها فقالت لي: مه! أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب ﷺ: «إن زنى العينين النظر»[1] أما إني ما أردت بهذا أن أوبخك، ولكني أردت أن أؤدبك لكي لا تعود إلى مثل هذا.

فلما كان النوم بتُّ أنا والغلام خارجاً وباتت الجارية في الخيمة، وكنت أسمع دوَيّ القرآن الليلَ كله بأحسن صوت يكون وأرقِّه، فلما أصبحت قلت للغلام: صوت مَن كان ذلك؟ فقال: تلك أختي تحيي الليل كله إلى الصباح. فقلت: يا غلام أنت أحق بهذا العمل من أختك، أنت رجل وهي امرأة؟ قال: فتبسم وقال لي: ويحك يا فتى أما علمت أنه موفق ومخذول؟

انتهى ذِكْرُ أهل اليمن

---

(١) أخرجه الطبراني في تفسيره (٢٧/ ٦٥).

ذِكرُ المصطَفين
من أهل بغداد

نزل بغدادَ خلْقٌ كثير من العلماء والزهاد والأولياء والعبّاد، وإنما ننتخب منهم من يدخل في شرط كتابنا هذا، ونذكرهم على طبقاتهم. والله الموفق.

٢٥٤ ـ أبو هاشم الزاهد

قال أبو نعيم الحافظ: أبو هاشم من قدماء زهاد بغداد، ومن أقران أبي عبد الله البراثي، وبلغني أن سفيان الثوري جلس إليه وقال: ما زلت أرائي وأنا لا أشعر حتى جالست أبا هاشم فأخذت منه ترك الرياء.

محمد بن حسين قال: حدثني بعض أصحابنا قال: قال أبو هاشم الزاهد: إن الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة ليكون أُنس المريدين به دونها، وليُقبل المطيعون له بالإعراض عنها، وأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون، وإلى الآخرة مشتاقون.

وعن حكيم بن جعفر قال: نظر أبو هاشم إلى شريك القاضي يخرج من دار يحيى بن خالد فبكى وقال: أعوذ بالله من علم لا ينفع.

وعن محمد بن الحسين قال: قال أبو هاشم الزاهد: أَخْذُ المرءِ نفسَه بحسن الأدب تأديبُ أهله.

٢٥٥ ـ أسود بن سالم

أبو محمد العابد، كان صالحاً ورعاً، وكان بينه وبين معروف الكرخي مؤاخاة ومودة.

عن علي بن محمد بن إبراهيم الصفار قال: حضرت أسود بن سالم ليلة فقلت:

أمامي موقفٌ قُدّام ربي ... يسائلني وينكشف الغطاء
وحسبي أن أمرّ على صراط ... كحدّ السيف أسفَلُه لِظَاءُ

قال: فصرخ أسود صرخة ولم يزل مغشياً عليه حتى أصبح.

وعن أحمد بن الحكم الصاغاني قال: جاء رجل إلى ابن حميد فقال: إني اغتبت أسود بن سالم، فأُتيت في منامي فقيل لي: تغتاب ولياً من أولياء الله لو ركب حائطاً ثم قال له: سر. لسار؟

وعن محمد بن إبراهيم السائح قال: قال أسود بن سالم: ركعتان أصليهما أحب إليّ من الجنة بما

---

٢٥٤ ـ أبو هاشم: قديم ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ١١٢).

٢٥٥ ـ أسود بن سالم ـ رحمه الله ـ: ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ١١١).

فيها! فقيل له: هذا خطأ! فقال: دعونا من كلامكم، رأيت الجنة رضا نفسي، وركعتين أصليهما رضا ربي، ورضا ربي أحب إلي من رضا نفسي[١].

أسند أسود عن حماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، وإسماعيل بن علية في آخرين.

وتوفي في سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة ومائتين.

٢٥٦ ـ منصور بن عمار بن كثير

أبو السري الواعظ. أصله من خراسان، قال: أبو عبد الرحمن السلمي: هو من أهل مرو. وقيل: هو من أهل بوشنج، وقيل: من البصرة، سكن بغداد.

عن أبي سعيد بن يونس قال: كان منصور بن عمار في قصصه وكلامه شيئاً عجباً، لم يقص على الناس مثله.

وعن سليم بن منصور قال: رأيت أبي في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إن الرب قربني وأدناني وقال لي: يا شيخ السوء تدري لم غفرت لك؟ قلت: لا يا إلهي. قال: إنك جلست للناس يوماً مجلساً فبكّيتهم فبكى فيه عبد من عبادي لِمَ يبك من خشيتي قط فغفرت له، ووهبت أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت له.

وعن أبي الحسين السعداني قال: رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: وقفت بين يديه. فقال لي: أنت الذي كنت تزهّد الناس في الدنيا وترغّب فيها؟ قلت: قد كان ذاك، ولكن ما اتخذت مجلساً إلا وبدأت بالثناء عليك، وثنيت بالصلاة على نبيك ﷺ، وثلثت بالنصيحة لعبادك. فقال: صدق، ضعوا له كرسياً في سمائي فيمجدني في سمائي بين ملائكتي كما مجدني في أرضي بين عبادي.

أسند منصور عن معروف أبي الخطاب صاحب واثلة بن الأسقع، وروى عن الليث، وابن لهيعة في أخرين، وتوفي ببغداد.

٢٥٧ ـ ولد الرشيد المعروف بالسبتي

ويقال: اسمه أحمد رضي الله عنه.

عن عبد الله بن الفرج قال: خرجت يوماً أطلب رجلاً يرم[٢] لي شيئاً في الدار.

فذهبت فأشير لي إلى رجل حسن الوجه بين يديه مر وزبيل[٣] فقلت: تعمل لي؟ قال: نعم

---

(١) لكن رضا الله تعالى إنما يكون بالرضى بدار الرضوان؟!

٢٥٦ ـ منصور بن عمار ـ رحمه الله ـ: الحلية (٩/ ٣٢٥)، طبقات السلمي (١٣٠)، تاريخ بغداد (١٣/ ٧١)، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٠٢)، وهو من رجال القشيرية (٢٣)، طبقات ابن الملقن (٢٨٦).

(٢) رَمَّ يَرِمُّ ويَرُمُّ: أصلح.

(٣) المَرُّ: الحبل والمِسْحاة أو مَقبِض المِسْحاة. زَبِيْل: القُفَّة؛ وهي المقطف الكبير.

بدرهم ودانق. فقلت: قم. فقام فعمل عملاً بدرهم ودانق، ودرهم ودانق، ودرهم ودانق.

قال: ثم أتيت يوماً آخر فسألت عنه؟ فقيل لي: ذلك رجل لا يُرى في الجمعة إلا يوماً واحداً يوم كذا، قال: فجئت ذلك اليوم فقلت: تعمل لي؟ قال: نعم بدرهم ودانق. فقلت أنا: بدرهم. قال: بدرهم ودانق. فقلت: قم؛ ولم يكن بي [رغبة في منعه] الدانق، ولكن أحببت أن أستعلم ما عنده؟ فلما كان المساء وزنت درهماً. فقال لي: ما هذا؟ قلت: درهم. قال: ألم أقل لك درهم ودانق؟ أُف لقد أفسدت عليّ.

فقلت: وأنا ألم أقل لك بدرهم؟ فقال: لست آخذ منه شيئاً! قال: فوزنت درهماً ودانقاً فقلت: خذ. فأبى أن يأخذه. وقال: سبحان الله، أقول لا آخذه وتلحُ عليّ؟ فأبى أن يأخذه ومضى.

قال: فأقبل علي أهلي وقالت: فعل الله بك: ما أردت إلى رجل عمل لك عملاً بدرهم أن أفسدت عليه؟ قال: فجئت يوماً أسأل عنه فقيل لي مريض، فاستدللت على بيته فأتيته فأستأذنت عليه فدخلت وهو مبطون وليس في بيته شيء إلا ذلك المر والزبيل، فسلمت عليه وقلت له: لي إليك حاجة وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن، أحب أن تجيء إلى بيتي أمرضك؟ قال: وتحب ذلك؟ قلت: نعم. قال: بشرائط ثلاث! قلت: نعم. قال: لا تعرض علي طعاماً حتى أسألك، واذا أنا مت أن تدفنني في كسائي وجُبّتي هذه. قلت: نعم. قال: والثالثة أشد منهما وهي شديدة! قلت: وإن كان.

قال: فحملته إلى منزلي عند الظهر فلما أصبحت من الغد ناداني: يا عبد الله. فقلت: ما شأنك؟ قال: قد احتضِرت، افتح صرة على كُمّ جبتي. قال: ففتحتها فإذا فيها خاتم عليه فص أحمر، فقال: إذا أنا مت ودفنتني فخذ هذا الخاتم، ثم ادفعه إلى هارون أمير المؤمنين، وقل له: يقول لك صاحب هذا الخاتم: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه، فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت.

فلما دفنته سألت عن يوم خروج هارون أمير المؤمنين؟ وكتبت قصة وتعرضت له. قال: فدفعتها إليه وأوذيت أذى شديداً، فلما دخل قصره وقرأ القصة قال: عليَّ بصاحب، هذه القصة؟ قال: فأدخلت عليه وهو مغضب قال: تتعرضون لنا وتفعلون؟ فلما رأيت غضبه أخرجت الخاتم، فلما نظر إلى الخاتم قال: من أين لك هذا الخاتم؟ قلت: دفعه إلى رجل طيان. فقال لي: طيان طيان! وقرّبني منه.

فقلت له: يا أمير المؤمنين إنه أوصاني بوصية! فقال لي: ويحك قل؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنه أوصاني إذا أوصلت إليك هذا الخاتم فقل له: يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام، ويقول لك: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه؛ فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت.

فقام على رجليه قائماً وضرب بنفسه على البساط، وجعل يتقلّب عليه ويقول: يا بُنَيَّ نصحتَ أباك.

فقلت في نفسي: كأنه ابنه! ثم جلس، وجاؤوا بالماء فمسحوا وجهه، وقال لي: كيف عرفته؟ فقصصت عليه قصته قال: فبكى وقال: هذا أول مولود ولد لي، وكان أبي المهدي ذكر إلى زبيدة أن يزوجني، فبصرت بهذه المرأة فوقعت في قلبي وكانت حسنة فتزوجتُ بها سراً من أبي، فأولدتها هذا المولود، وأحدرتها إلى البصرة، وأعطيتها هذا الخاتم وأشياء وقلت: اكتمي نفسك، فإذا بلغك أني قد

قعدت للخلافة فأتيني، فلما قعدت للخلافة سألت عنهما؟ فذكر لي أنهما ماتا، ولم أعلم أنه باقٍ؟ فأين دفنته؟ قلت: يا أمير المؤمنين دفنته في مقابر عبد الله بن مالك. قال: لي إليك حاجة؟ إذا كان بعد المغرب فقف لي بالباب حتى أخرج إليك فأخرج متنكراً إلى قبره.

فوقفت له فخرج متنكراً والخدم حوله، ووضع يده بيدي، وصاح بالخدم فتنحُّوا، وجئت به إلى قبره، فما زال ليلته يبكي إلى أن أصبح، ويدير رأسه ولحيته على قبره يقول: يا بني لقد نصحت أباك.

قال: فجعلت أبكي لبكائه رحمةً مني له، ثم سمع كلاماً فقال: كأني أسمع كلام الناس؟ قلت: أجل؛ أصبحتَ يا أمير المؤمنين، قد طلع الفجر فقال لي: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، واكتب عيالك مع عيالي مع من تهتم به، فإن لك علي حقاً بدفنك ولدي، وإن أنا مت أوصيت من يلي بعدي أن يُجري عليك ما بقي لك عقب.

ثم أخذ بيدي حتى إذا بلغ قريباً من القصر ويده بيدي إذا الخدم فلما صاروا إلى القصر قال لي: انظر ما وصّيتك به، إذا طلعت الشمس قفْ لي حتى أنظر إليك وأدعو بك، فتحدثني حديثه. قلت: إن شاء الله. فلم أعد إليه.

قلت: وقد رويت لنا قصته من طريق آخر، وفيها نوع مخالفة لهذه:

عن أبي بكر بن أبي الطيب قال: بلغنا عن عبد الله بن الفَرَج العابد قال: احتجت إلى صانع يصنع لي شيئاً من أمر الرَّوْزَجاريين[1] فأتيت السوق فجعلت أرمق الصُّنَّاع، فإذا في آواخرهم شاب مصفرٌ بين يديه زبيل كبير ومرٌ، وعليه جبة صوف، ومئزر صوف، فقلت له: تعمل؟ قال: نعم. قلت: بكم؟ قال: بدرهم ودانق. قلت له: قم حتى تعمل. قال: على شريطة؟ قلت: ما هي؟ قال: إذا كان وقت الظهر وأذَّن المؤذن خرجت وتطهرت وصليت في المسجد جماعة، ثم رجعت، فإذا كان وقت العصر فكذلك. قلت: نعم. فقام معي، فجئنا المنزل فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع فشد وسطه وجعل يعمل ولا يكلمني بشيء.

حتى إذا أذَّن المؤذن للظهر قال: يا عبد الله قد أذَّن المؤذن. قلت: شأنك.

فخرج فصلى، فلما رجع عمل أيضاً عملاً جيداً إلى العصر، فلما أذَّن المؤذن قال: يا عبد الله قد أذَّن المؤذن! قلت: شأنك. فخرج فصلى، ثم رجع فلم يزل يعمل إلى آخر النهار، فوزنت له أجرته وانصرف.

فلما كان بعد أيام احتجت إلى عمل، فقالت لي زوجتي: اطلب لنا ذلك الصانع الشاب، فإنه قد نصحنا في عملنا. فجئت السوق فلم أره، فسألت عنه؟ فقالوا: تسأل عن ذلك المصفر المشؤوم الذي لا نراه إلا من سبت إلى سبت لا يجلس إلا وحده في آخر الناس! فانصرفت.

---

(١) راز ضَنْعَتَه رَوْزاً: أقام عليها وأصلحها، والرَّازُ: رئيس البنّائين، جمعه: الرَّازَةُ. والرَّزجاريين: لعلها نسبة إلى البنّائين (الرازيين).

فلما كان يوم السبت أتيت السوق فصادفته فقلت: تعمل؟ فقال: قد عرفت الأجرة والشرط قلت: استخرِ الله تعالى. فقام فعمل على النحو الذي كان عمل.

قال: فلما وزنت له الأجرة زدته، فأبى أن يأخذ الزيادة، فألححت عليه فضجر وتركني ومضى فغمني ذلك فاتبعته وداريته حتى أخذ أجرته فقط.

فلما كان بعد مدة احتجنا أيضاً إليه فمضيت في يوم السبت فلم أصادفه. فسألت عنه؟ فقيل لي: هو عليل. وقال لي من كان يخبُرُ أمره: إنما كان إلى السوق من سبت إلى سبت يعمل بدرهم ودانق يتقوّت كل يوم دانقاً وقد مرض.

فسألت عن منزله؟ فأتيته وهو في بيت عجوز فقلت لها: هذا الشاب الروزجاري؟ فقالت: هو عليل منذ أيام! فدخلت عليه [فوجدتُ ألَماً به][1] وتحت رأسه لبنة.

فسلمت عليه وقلت: لك حاجة؟ قال: نعم إن قبلت؟ قلت: أقبل إن شاء الله تعالى. قال: إذا أنا مت فبع هذا المَرَّ، واغسل جبتي هذه الصوفَ وهذا المئزر وكفنِّي بهما، وافتق جيب الجبة فإن فيها خاتماً فخذه، ثم انظر يوم يركب هارون الرشيد ـ الخليفة ـ فقف له في موضع يراك فكلمه وأره الخاتم، فإنه سيدعو بك، فسلم إليه الخاتم، ولا يكن هذا إلا بعد دفني! قلت: نعم.

فلما مات فعلت ما أمرني، ثم نظرت اليوم الذي يركب فيه الرشيد فجلست له على الطريق، فلما مر ناديته: يا أمير المؤمنين لك عندي وديعة. ولوّحت بالخاتم. فأمر بي فأُخذت وحملت حتى دخل إلى داره، ثم دعا بي ونحَّى جميع من عنده وقال: من أنت؟ فقلت: عبد الله بن الفَرَج. فقال: هذا الخاتم من أين لك؟ فحدثته قصة الشاب، فجعل يبكي حتى رحمته.

فلما أنس إلي قلت: يا أمير المؤمنين من هو منك؟ قال: ابني. قلت: كيف سار إلى هذه الحال؟ قال: ولد لي قبل أن أبتلى بالخلافة فنشأ نشوءاً حسناً، وتعلم القرآن والعلم، فلما وليت الخلافة تركني ولم ينل من دنياي شيئاً، فدفعت إلى أمه هذا الخاتم وهو ياقوت ويساوي مالاً كثيراً فدفعته إليها وقلت لها: تدفعين هذا إليه ـ وكان براً بأمه ـ وتسأليه أن يكون معه، فلعله أن يحتاج إليه يوماً من الأيام فينتفع به، وتوفيت أمه فما عرفت له خبراً إلا ما أخبرتني به أنت! ثم قال لي: إذا كان الليل فاخرج معي إلى قبره.

فلما كان الليل خرج وحده معي يمشي حتى أتينا قبره، فجلس إليه فبكى بكاء شديداً، فلما طلع الفجر قمنا فرجع، فقال لي: تعاهدني في الأيام حتى أزور قبره.

فكنت أتعاهده بالليل، فيخرج حتى يزور قبره، ثم يرجع.

قال عبد الله بن الفَرَج: ولم أعلم أنه ابن الرشيد حتى أخبرني الرشيدُ أنه ابنه ـ أو كما قال: ابن أبي الطيب ـ.

---

(١) في المطبوع «فوجدته كما هو».

قلت: هذا طريق حسن، والطريق الذي قبله أصحُّ لأنه متصل، ورواته ثقات، وقد زاد القُصَّاص في حديث السبتي، وأبدأوا وأعادوا، وذكروا أن هذا الرجل كان من زبيدة، وأنه خرج يتصيد فوعظه صالح المري فوقع فرسه؛ في أشياء كلها محال. فاقتصرنا على ما صح، والله الموفق.

٢٥٨ ـ عبد الله بن مرزوق

أبو محمد: زعم أبو عبد الرحمن السلمي: أنه كان وزير هارون الرشيد فخرج من ذلك وتخلّى من ماله، وتزهّد.

عن موسى بن أبي داود قال: استأذنت على عبد الله بن مرزوق، فدخلت عليه فإذا هو قاعد كأن حزن الخلق عليه.

وعن الصلت بن حكيم قال: كان عبد الله بن مرزوق كأنه رجل والِهٌ، كأنه رجل قد فاته شيء، وكانت له شعرات طوال عند صدغيه، فكان إذا ذَكَرَ، فرَقَّ، نتفها، أو مدها ففاض دمعه.

وعن سلامة ـ وَصِيُّ عبد الله بن مرزوق ـ قال: قال عبد الله بن مرزوق في مرضه: يا سلامة إن لي إليك حاجة؟ قال: قلت: ما هي؟ قال: تحملني فتطرحني على تلك المزبلة لعلّي أموت عليها، فيرى مكاني فيرحمني. رحمه الله.

٢٥٩ ـ عبد الله بن الفَرَج

أبو محمد القنطري: كان متعبِّداً، وكان بشر بن الحارث يودُّه ويزوره، وقد حكى عن فتح الموصلي وغيره حكايات.

عن إبراهيم بن سهل قال: قال عبد الله بن الفَرَج: سلوا الله عفواً جميلاً. قال: فقلنا: يا أبا محمد أي شيء العفو الجميل؟ قال: أن يأمر بك من الموقف إلى الجنة ـ يعني لا يفتشك ـ.

وعن صاعد قال: لما مات عبد الله بن الفَرَج حضرتُ جنازته فلما واريته رأيته في الليل في النوم جالساً على شفير قبره معه صحيفة ينظر فيها، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولكل من شيّع جنازتي؟ قال: قلت: أنا كنت معهم؟ قال: هوذا اسمك في الصحيفة. والسلام.

٢٦٠ ـ معروف بن الفيرزان الكرخي

يكنى أبا محفوظ، وهو منسوب إلى كرخ بغداد.

---

٢٥٨ ـ عبد الله بن مرزوق ـ رحمه الله ـ: شذرات الذهب (٤/ ١٦)، تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٤٦)، تاريخ الإسلام (٤/ ١٨١).

٢٥٩ ـ عبد الله بن الفَرَج ـ رحمه الله ـ : ذكره البيهقي في الزهد الكبير (٢/ ١٥٥) والربعي في مولد العلماء ووفياتهم (٢/ ٤٨٦) وابن الجوزي ـ المؤلف ـ في الضعفاء والمتروكين (٢/ ١٩٦) والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٤١).

٢٦٠ ـ معروف الكرخي ـ رحمه الله ـ: طبقات السُلَمي (٤٨ و٨٣ ـ ٩٠ و١٦٥)، الحلية (٨/ ٣٦٠)، القشيرية (١٢)، شذرات الذهب (١/ ٣٦٠)، تاريخ بغداد (١٣/ ١٩٩)، طبقات ابن الملقن (٢٨٠)، وفيات الأعيان (٢/ ١٣٦)، العبر (١/ ٣٣٥).

عن أبي صالح ـ عبد الله بن صالح ـ قال: كان أبو محفوظ ـ معروفٌ ـ قد ناداه الله عز وجل بالاجتباء في حال الصبا.

يُذكر: أن أخاه عيسى قال: كنت أنا وأخي معروف في الكتّاب وكنا نصارى، وكان المعلم يعلم الصبيان «آب وابن» فيصيح أخي معروف: أحدٌ أحدٌ. فيضربه المعلم على ذلك ضرباً شديداً حتى ضربه يوماً ضرباً عظيماً فهرب على وجهه.

فكانت أمي تبكي وتقول: لئن رد الله عليّ ابني معروفاً لأتبعنه على أي دين كان! فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة. فقالت له: يا بني على أي دين أنت؟ قال: على دين الإسلام. قالت: أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فأسلمت أمي وأسلمنا كلنا.

وعن ابن أخت معروف قال: قلت لخالي معروف: يا خال أراك تجيب كل من دعاك؟ قال: يا بني إنما خالك ضيق ينزل حيث يُنزّل.

وعن السري بن سفيان الأنصاري قال: أقام معروف الصلاة، ثم قال لمحمد بن أبي توبة: تقدم فصلِّ بنا، وذلك أن معروفاً كان لا يؤمّ إنما يؤذن ويقيم ويقدم غيره. قال محمد بن أبي توبة: إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم صلاة أخرى! قال معروف: وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى! نعوذ بالله من طول الأمل! طول الأمل يمنع خير العمل.

قال محمد بن منصور الطوسي: كنا عند معروف الكرخي وجاءت امرأة سائلة فقالت: أعطوني شيئاً أفطر عليه فإني صائمة؟ فدعاها معروف وقال لها: يا أختي سرُّ الله أفشيتِهِ، وتأملين أن تعيشي إلى الليل؟

وعن يحيى بن جعفر قال: رأيت معروفاً الكرخي يؤذن، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله رأيت شعر لحيته وصدغيه قائماً كأنه زرع.

وعن عيسى ـ أخي معروف ـ قال: دخل رجل على معروف في مرضه الذي مات فيه فقال: يا أبا محفوظ أخبرني عن صومك؟ قال: كان عيسى عليه السلام يصوم كذا. قال: أخبرني عن صومك؟ قال: كان داود عليه السلام يصوم كذا.

قال: أخبرني عن صومك؟ قال: كان النبي ﷺ يصوم كذا. قال: أخبرني عن صومك؟ قال: أما أنا فكنت أصبح دهري كله صائمه، فإن دعيت إلى الطعام أكلت ولم أقل: إني صائم.

وعن أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول: يا نفس كم تبكين؟! أخلصي وتخلّصي.

وعن عمرو بن موسى قال: سمعت معروفاً يقول ـ وعنده رجل يذكر رجلاً فجعل يغتابه فجعل معروف يقول له ـ: اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك! اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك!

وقال سري: سألت معروفاً عن الطائعين لله: بأي شيء قدروه على الطاعة لله عز وجل؟ قال: بخروج الدنيا من قلوبهم، ولو كانت في قلوبهم ما صحَّت لهم سجدة.

وعن القاسم بن نصر قال: جاء قوم إلى معروف فأطالوا عنده الجلوس. فقال: أما تريدون أن تقوموا وملك الشمس ليس يفتر عن سوقه؟

وعن محمد بن حماد بن المبارك قال: قال رجل لمعروف: أوصني؟ قال: توكل على الله حتى يكون جليسَك وأنيسَك وموضع شكواك، وأكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره، واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانهُ، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك.

وعن القاسم بن محمد البغدادي قال: كنت جار معروف الكرخي فسمعته في السَّحَر ينوح ويبكي وينشد:

أيُّ شيء تريد مني الذنوبُ ... شُغِفتْ بي فليس عني تغيب
ما يضر الذنوبَ لو أعتقتني ... رحمةً لي فقد علاني المشيبُ

وعن إبراهيم الأطرش قال: كان معروف الكرخي قاعداً على دجلة ببغداد إذ مر بنا أحداث في زورق يضربون الملاهي ويشربون، فقال له أصحابه: أما ترى إلى هؤلاء في هذا الماء يعصون الله؟ ادع عليهم! فرفع يده إلى السماء وقال: إلهي وسيدي أسألك أن تفرحهم في الجنة كما فرحتهم في الدنيا! فقال له أصحابه: إنما قلنا لك ادع الله عليهم، لم نقل لك ادع الله لهم! فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم بشيء.

أبو بكر بن الزيات قال: سمعت ابن شيرويه يقول: كنت أجالس معروفاً الكرخي، فلما كان ذات يوم رأيت وجهه قد خلا، فقلت: يا أبا محفوظ بلغني أنك تمشي على الماء! فقال لي: ما مشيت قط على الماء، ولكن إذا هممت بالعبور يجمع لي طرفاها فأتخطّاها.

وعن محمد بن منصور قال: مضيت يوماً إلى معروف الكرخي، ثم عدت إليه من غد فرأيتُ في وجهه أثر شَجَّة، فهبت أن أسأله عنها، وكان عنده رجل أجرأ عليه مني فقال له: كنا عندك البارحة فلم نر في وجهك هذا الأثر؟ فقال له معروف: خذ فيما تنتفع به! فقال له: أسألك بحق الله؟ فانتفض معروف، ثم قال له: وما حاجتك إلى هذا؟ مضيت البارحة إلى بيت الله الحرام، ثم صرت إلى زمزم فشربت منها فزلّت رجلي فنطح وجهي الباب، فهذا الذي ترى من ذلك.

وعن خليل الصياد ـ وكفاك به ـ قال: غاب ابني إلى الأنبار فوجَدَتْ أمه وجْداً شديداً، فأتيت معروفاً فقلت له: يا أبا محفوظ ابني قد غاب فوجدت أمه وجداً شديداً؟ قال: فما تشاء؟ قلت: تدعو الله أن يرده عليها. فقال: اللّهم إن السماء سماؤك والأرض أرضُكَ وما بينهما لك فأتِ به! قال خليل: فأتيت باب الشام فإذا ابني قائم منبهر. فقلت: يا محمد! فقال: يا أبة الساعة كنت بالأنبار.

وعن محمد بن صبح قال: مرَّ معروف على سقَّاء يسقي الماء وهو يقول: رحم الله من شرب. فشرب وكان صائماً، وقال: لعل الله أن يستجيب له.

وعن سري قال: هذا الذي أنا فيه من بركات معروف، انصرفت من صلاة العيد فرأيت مع معروف صبياً شعثاً، فقلت له: من هذا؟ قال: رأيت الصبيان يلعبون وهذا واقف منكسر، فسألته: لِمَ

لا تلعب؟ قال: أنا يتيم. قال سري: فقلت له: فما ترى أنك تعمل به؟ قال: لعلّي أخلو فأجمع له نُوى يشتري به جوزاً يفرح به! فقلت له: أعطنيه أغيّر من حاله؟ فقال لي: أَوَ تفعل؟ فقلت: نعم. فقال لي: خذه، أغنى الله قلبك. فسويت الدنيا عندي أقل من كذا.

قال عبد الله بن سعيد الانصاري: رأيت معروفاً الكرخي في المنام كأنه تحت العرش فيقول الله عز وجل: ملائكتي من هذا؟ فقالت الملائكة: أنت أعلم، هذا معروف الكرخي وقد سكر من حبك؛ لا يفيق إلا بلقائك.

وقال أحمد بن الفتح: رأيت بشر بن الحارث في منامي وهو قاعد في بستان وبين يديه مائدة وهو يأكل منها، فقلت له: يا أبا نصر ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني، وأباحني الجنة بأسرها. وقال لي: كلْ من جميع ثمارها، واشرب من أنهارها، وتمتّع بجميع ما فيها كما كنت تحرم نفسك الشهوات في دار الدنيا. فقلت له: فأين أخوك أحمد بن حنبل؟ قال: هو قائم على باب الجنة يشفع لأهل السنة ممن يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق. فقلت له: فما فعل معروف الكرخي؟ فحرك رأسه، ثم قال لي: هيهات! حالت بيننا وبينه الحجب، إن معروفاً لم يعبد الله شوقا إلى جنته ولا خوفاً من ناره، وإنما عبده شوقاً إليه، فرفعه الله إلى الرفيق الأعلى، ورفع الحجب بينه وبينه، ذاك الترياق المقدس المجرب، فمن كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره، وليدعُ فإنه يُستجاب له إن شاء الله تعالى.

وعن أبي بكر الزجاج قال: قيل لمعروف الكرخي في علته: أوصِ. فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلت إليها عرياناً.

أسند معروف عن بكر بن خنيس، وعبد الله بن موسى، وابن السماك.

وتوفي سنة مائتين، وقبره ظاهر ببغداد يُتبرَّك به. وكان إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف الترياق المجرَّب (١).

وإنما اقتصرنا ها هنا على اليسير من أخباره؛ لأنا قد جمعنا أخباره ومناقبه في كتاب أفردناه لها، فمن أراد الزيادة من أخباره فعليه بذلك الكتاب. والله الموفق. رحمه الله ورضي عنه.

٢٦١ ـ بِشْر بن الحارث الحافي

يكنى أبا نصر، ولد في سنة خمسين ومائة.

---

(١) المقصود: أنه مكان طيب مبارك لحلول هذا الرجل الصالح فيه، وليس المراد أن صاحب القبر ـ عياذاً بالله ـ هو المستجيب لله!!

٢٦١ ـ بِشْر الحافي ـ رحمه الله ـ: شذرات الذهب (٢/ ٦٠)، طبقات ابن سعد (٧/ ٣٤٢)، طبقات ابن الملقن (١٠٩)، العبر (١/ ٣٩٩)، وفيات الأعيان (١/ ٢٧٤)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٩ و٣٦٣ و٣٩٠ و٤٦١ و٤٩٣) و(٨/ ٤٢٥ و٤٩٢ و٥٠٠ ـ ٥٠٣) و(٩/ ٢٨٢ و٣١٧)، و(١٠/ ٤٧٦). تهذيب التهذيب (١/ ٤٠٦)، تقريب التهذيب (برقم ٦٨١)، الجرح والتعديل (١/ ١/ ٣٥٦)، الحلية (٨/ ٣٣٦)، تاريخ بغداد (٦/ ٦٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٤٢)، طبقات السُلَمي (١٢ و٧٦ و١٣٧ و١٥٠ و٢٢٨ و٢٤٩ و٢٥٢ و٢٥٩).

عن أيوب العطار قال: قال لي بشر بن الحارث الحافي: أحدثك عن بُدِّو أمري: بينا أنا أمشي رأيت قرطاساً على وجه الأرض فيه اسم الله تعالى، فنزلت إلى النهر فغسلته، وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهماً فيه خمسة دوانق، فاشتريت بأربعة دوانيق مسكاً، وبدانق ماء ورد، وجعلت أتتبع اسم الله تعالى وأطيبه، ثم رجعت إلى منزلي، فنمت، فأتاني آتٍ في منامي فقال: يا بشر كما طيَّبتَ اسمي لأُطيبن اسمك، وكما طهَّرته لأطهرن قلبك.

وعن محمد بن بشار قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: إنا لله! عشت إلى زمان إن لم أعمل فيه بالجفاء لم يسلَمْ ديني.

وعن الحسين بن محمد البغدادي قال: سمعت أبي يقول: زرت بشر بن الحارث فقعدت معه ملياً فما زادني على كلمة؛ قال: ما اتقى الله من أحب الشهرة.

وعن أحمد بن نصر قال: كنا قعوداً قدَّام بشر بن الحارث نفسين. قال: فجاء الثالث فقام فدخل.

وعن أحمد بن الفتح قال: سمعت بشراً يقول: بعث إليّ عاصم بن علي بأبي زكريا الصفار فقال: يا أبا نصر إن أبا الحسن يقرأ عليك السلام ويقول: قد اشتد شوقي إليك، حتى لقد كدت أن آتيك من غير إذن، فعلمت كراهيتك لمجيء الرجال، فإن رأيت أن تأذن لي فآتيك لأسلم عليك، فلعل الله أن ينفعني برؤيتك؟ قال: فقلت له: قد فهمت رسالة الشيخ، فأبلِغْهُ السلامَ، وقل له: لا تأتني، فإن في مجيئك إليَّ شهرة عليَّ وعليك.

وعن أبي حفص ـ عمر بن موسى ـ قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لقد شهرني ربي في الدنيا فليته لا يفضحني في القيامة، ما أقبح بمثلي [أن] يُظَنَّ فيَّ ظَنٌّ وأنا على خلافه؟ إنما ينبغي لي أن أكون أكثر مما يُظن بي، إنّي أكره الموت، وما يكره الموت إلا مريب، ولولا أني مريب: لأي شيء أكره الموت؟.

وقال أحمد بن الصلت: سمعت بشر بن الحارث يقول: غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه، وإخفاء مكانه عنهم.

قال أبو بكر ـ محمد بن الفياض ـ: سمعت زريقاً الدلاّل يقول: سمعت بشر بن الحارث يقول: اللّهم استر، واجعل تحت الستر ما تحب، فربما سترتَ على ما تكره. قال: ثم التفت إلي فقال: يا أخي بادر بادر؛ فإن ساعات الليل والنهار تُذهب الأعمال[1].

وعن محمد بن يوسف الجوهري قال: سمعت بشر بن الحارث يقول ـ يوم ماتت أخته ـ: إن العبد إذا قصَّر في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه.

وعن محمد بن قدامة قال: لقي بشرَ بن الحارث رجلٌ سكران فجعل يقبله ويقول: يا سيدي يا أبا نصر. ولا يدفعه بشر عن نفسه، فلما ولّى تغرغرت عينا بشر وقال: رجل أحب رجلاً على خيرٍ توهمه! لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله؟.

وقال رجل: رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر. فقلت: يا أبا نصر

---

(١) كذا هي في المطبوع، ولعلها: «تذهب بالأعمال» لانقضاء ظرفها.

لعلك تشتهي من هذا شيئاً؟ قال: لا، ولكن نظرت في هذا: إذا كان يُطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه؟

وعن أبي بكر المروزي قال: سمعت بعض القطانين يقول: أهدى إلي أستاذي رطباً، وكان بشر يقيل في دكاننا في الصيف، فقال له أستاذي: يا أبا نصر هذا من وجه طيِّب، فإن رأيت أن تأكل؟ قال: فجعل يمسه بيده، ثم ضرب بيده إلى لحيته وقال: ينبغي أن أستحي من الله، إني عند الناس تارك لهذا وآكله في السر!

وعنه قال: سمعت أبا حفص ابن أخت بشر قال: سمعت بشراً يقول: ما شبعت منذ خمسين سنة.

وعنه قال: سمعت قَرابة بشر الحافي يقول: قدم بشر عبادان ليلاً، أو قال: من سفر، وهو متزر بحصير.

عن يحيى بن عثمان قال: كان لبشر بن الحارث في كل يوم رغيف.

قال: وقال لي بشر: كان لي سِنَّور فكنت إذا وضعت طعامي بين يديّ جاءت، فعيناها في عينَيّ فآكل وأرمي لها، قال: فقلت: إليك عني تأكلين قوتي.

وعن أبي بكر بن عثمان قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: إني لأشتهي شواء منذ أربعين سنة ما صفا لي درهمه.

وعن أبي عمران الوركاني قال: تخرق إزار بشر، فقالت له أخته: يا أخي قد تخرّق إزارك، وهذا البرد؛ فلو جئت بقطن حتى أغزل لك؟ قال: فكان يجيء [بالإسارَيْن][1] والثلاثة، قال: فقالت له: يا أخي إن الغزل قد اجتمع أفلا تَسَلَّم إزارك؟ قال: فقال لها: هاتيه. قال: فأخرجته إليه فوزنه فأخرج ألواحه فجعل يحسب الأساتير فلما رآها قد زادت فيه قال لها: كما أفسدتِهِ فخذيه.

وعن الحسن بن عمرو بن الجهم قال: سمعت أبا نصر التمار يوم مات بشر يقول: لولا أن بشراً قد مات ما حدثتكم بهذا: أتاني ليلة فقلت: يا أبا نصر الحمد لله الذي جاء بك، جاءنا قطن من خراسان فغزلته الابنة وباعته لفلان، واشترت به لحماً وأشياء على أن أفطر عليه، فالحمد لله الذي جاء بك. فقال: يا أبا نصر لا تكثر عليّ، فلو أكلت عند أحد من أهل الدنيا أكلت عندك! ثم قال: إني لأشتهي الباذنجان منذ ثلاثين عاماً! قلت: فإن فيها باذنجاناً؟ فقال: حتى تصفو لي حبة الباذنجان من أين هي؟

وعن إبراهيم بن هاشم قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: إني لأشتهي شواء ورقاقاً منذ خمسين سنة ما صفا لي درهمه.

---

(١) في الأصل: «بالاستان» وما أثبته أقرب ما في معاجم اللغة إلى صورة اللفظة وموضعها، والإِسار: ما يُشدُّ به. والله أعلم.

قال الفتح بن شخرف: قال عمر ابن أخت بشر: سمعت خالي بشراً يقول لأمي: جوفي وجِعٌ وخواصري تضرب علي! فقالت له أمي: ائذن لي حتى أصلح لك قليل حِساء بكف دقيق عندي تتحساه يرمّ جوفك! فقال لها: ويحك أخاف أن يقول: من أين لك هذا الدقيق؟ فلا أدري أي شيء أقول له؟ فبكت أمي وبكى معها وبكيت معهم.

قال عمر: ورأت أمي ليلةً ما به من شدة الجوع، وجعل يتنفس تنفساً ضعيفاً، فقالت له أمي: يا أخي ليت أمك لم تَلِدْني! فقد والله تقطع كبدي مما أرى بك.

فسمعته يقول لها: وأنا فليت أمك لم تلدني، وإذ قد ولدتني لم يدرَّ لها ثديٌ عليَّ.

قال عمر: وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار.

قال عبد الله بن خبيق: قال رجل لبشر: ما لي أراك مغموماً؟ قال: ما لي لا أكون مغموماً وأنا رجل مطلوب؟

وعن أبي الحسن ـ أحمد بن محمد الزعفراني ـ قال: سمعت أبي يحكي عن بشر أنه قال: ربما رفعت يدي في الدعاء فأردها أو قال: فأستلُها؛ أقول: إنما يفعل هذا من له عنده وجه.

وعن الفتح بن شخرف قال: كنت جالساً عند بشر إذ جاءه رجل، فسأله عن مسألة؟ فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه، ثم أطرق، ثم رفع رأسه فقال: اللّهم إنك تعلم أني أخاف أن أتكلم، اللّهم إنك تعلم أني أخاف أن أسكت، اللّهم إنك تعلم أني أخاف أن تأخذني فيما بين السكوت والكلام.

وعن زبدة ـ أخت بشر بن الحارث ـ قالت: دخل بشر علي ليلة من الليالي فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار، وبقي كذلك يتفكر حتى أصبح، فلما أصبح قلت له: في ماذا تفكرت طول الليلة؟ قال: تفكرت في بشر النصراني وبشر إليهودي وبشر المجوسي ونفسي واسمي بشر؟ فقلت: ما الذي سبق منك حتى خصَّك؟ فتفكرت في تفضله علي، وحمدته على أن جعلني من خاصته، وألبسني لباس أحبائه.

وعن أحمد بن نصر قال: سمعت بشراً يقول: يا مازني ليت لا يكون حظي من الله هذا الذي يقول الناس: بشر بشر! ورأيت أشفار عينيه قد ذهبت من البكاء.

وعن الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لو علمت أن رضاه أن أشُدَّ في رجلي حجراً، ثم ألقي نفسي في البحر لفعلت.

وعن عباس بن دهقان قال: قلت لبشر بن الحارث: أحب أن أخلو معك! قال: إذا شئت. فبكرت يوماً فرأيته قد دخل قبة فصلى فيها أربع ركعات لا أُحسِن أن أصلّي مثلها، فسمعته يقول في سجوده: اللّهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلي من الشرف، اللّهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى، اللّهم إنك تعلم فوق عرشك أني لا أوثر على حبك شيئاً. فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء، فلما سمعني قال: اللّهم إنك تعلم أني لو أعلم أن هذا ههنا لم أتكلم.

وقال أحمد بن حنبل: والله إن بين أظهركم رجلاً ما هو عندي بدون عامر بن عبد الله! ـ يعني: بشر بن الحارث ـ .

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد قال: سئل أحمد بن حنبل عن مسألة في الورع؟ فقال: أنا أستغفر الله؛ لا يحل لي أن أتكلم في مسألة في الورع، أنا آكل من غلة بغداد! لو كان بشر بن الحارث صلح أن يجيبك عنه، فإنه كان لا يأكل من غلة بغداد، ولا من طعام السواد؛ يصلح أن يتكلم في الورع.

وعن أبي بكر ـ أحمد بن عبد الرحمن المروزي ـ قال: سمعت بشراً يقول: إن الجوع يصفّي الفؤاد ويورث العلم الدقيق. وسمعت بشراً يقول: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره.

وعن أحمد بن الصلتِ قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: حادثوا الآمال بقرب الآجال.

وعن أبي بكر الباقلاوي قال: سمعت أبي يقول: سمعت بشر بن الحارث ـ ونحن معه بباب حرب وأراد الدخول إلى المقبرة ـ فقال: الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور.

وعن أحمد بن الصلت، قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: ليس من المودة أن تحب ما يبغض حبيبك.

وعن عمرو بن موسى بن فيروز قال: رأيت بشراً ومعه رجل، فتقدم إلى بئر ليشرب منها فجذبه بشر وقال: تشرب من البئر الأخرى. حتى جاوز ثلاثة آبار. فقال له الرجل: أبا نصر أنا عطشان! فقال له بشر: اسكت، فهكذا ندفع الدنيا.

وعن إبراهيم الحربي قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: بحسبك أن أقواماً موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن أقواماً أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم.

وعن عمرو بن موسى الأحول قال: سمعت بشراً يقول: يكون الرجل مرائياً في حياته مرائياً بعد موته! قيل: كيف يكون مرائياً بعد موته؟ قال: يحب أن يكثر الناس على جنازته[1].

وعن الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد، ثم قال: ذاك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يعطي سراً لا يراه إلا الله عز وجل.

وسمعت بشراً يقول: ما أقبح أن يُطلب العالم فيقال هو بباب الأمير.

وعن أبي عبد الله الأسدي قال: قال لي بشر الحافي يوماً:

قَطْعُ الليالي مع الأيام في خلق ... والنوم تحت رواق الهم والقلق
أحرى وأعذَرُ لي من أن يقال غداً ... إني التمستُ الغنى من كفّ مختلق
قالوا: قنعت بذا، قلت: القُنوع غنى ... ليس الغنى كثرة الأموال والورق

(١) إلا إن أحبَ ذلك تكثيراً للشُّفعاء له عند الله تعالى، فإنه مطلبُ الصالحين: أن يكثر المصلّون على جنائزهم طمعاً بمزيد رحمة الله تعالى بدعائهم.

رضيت بالله في عسري وفي يسري فلست أسلك إلا أوضح الطرق

رحل بشر بن الحارث ـ رضي الله عنه ـ في طلب العلم إلى مكة والكوفة والبصرة، وسمع من وكيع، وعيسى بن يونس، وشريك بن عبد الله، وأبي معاوية، وأبي بكر بن عياش، وحفص بن غياث وإسماعيل بن علية، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس، وأبي يوسف القاضي، وابن المبارك، وهشيم والمعافى بن عمران، والفضيل بن عياض، وأبي نعيم في خلق كثير.

غير أنه لم يتصدَّ للراوية، فلم يضبط عنه من الحديث إلا اليسير.

وقد ذكرنا ما وقع إلينا من حديثه وأخباره في كتاب أفردناه لمناقبه وأخباره، فلذلك اقتصرنا ههنا على ما ذكرنا.

وتوفي ـ رضي الله عنه ـ عشية الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول، وقيل: لعشر خلون من المحرم سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد بلغ من العمر خمساً وسبعين سنة. وقيل: سبعاً وسبعين.

عن يحيى بن عبد الحميد الحماني قال: رأيت أبا نصر التمار وعلي بن المديني في جنازة بشر ابن الحارث يصيحان: هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة.

وذلك أن بشراً خرجت جنازته بعد صلاة الصبح، ولم يُجعل في القبر إلا في الليل! وكان نهاراً صائفاً، ولم يستقر في القبر إلى العتمة.

وعن الكندي قال: رأيت بشر بن الحارث في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وأقعدني على طيار من لؤلؤة بيضاء، وقال لي: سر في ملكي.

وعن الحسن بن مروان قال: رأيت بشر بن الحارث في المنام فقلت: يا أبا نصر ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وغفر لكل من تبع جنازتي. قال: قلت: ففيم العمل؟ قال: افتقد الكسرة.

وقال ابن خزيمة: لما مات أحمد بن حنبل بتُّ من ليلتي فرأيته في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب، وقال لي: يا أحمد هذا بقولك: القرآن كلامي؟ قلت: فما فعل بشر؟ فقال لي: بخ بخ من مثل بشر؟ تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام، والجليل مقبل عليه وهو يقول له: كُلْ يا من لم يأكل، واشربْ يا من لم يشرب، وانعَمْ يا من لم تنعم. رحمه الله ورضي عنه.

٢٦٢ ـ أحمد بن محمد بن حنبل

أبو عبد الله الشيباني: جيء به من مرو حَمْلاً، فولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة.

---

٢٦٢ ـ أحمد بن حنبل ـ الإمام ـ رضي الله عنه ـ: سير أعلام النبلاء (٢٤/٣٦٣)، الحلية (٩/ ١٦١)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ٣٢٥)، تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٣١)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١١٠)، وفيات الأعيان (١/ ٦٣)، طبقات السبكي (٢/ ٢٧)، طبقات الحنابلة (١/ ٤)، طبقات ابن سعد (٧/ ٣٥٤)، شذرات الذهب (٢/ ٩٦)، الجرح والتعديل (١/ ٢٩٢)، و(٢/ ٦٨)، تهذيب التهذيب (١/ ٢٢)، تهذيب الكمال (١/ ٤٣٧).

فأما نسبه: فأخبرنا أبو منصور القزاز قال: أنبأنا أبو بكر بن ثابت قال: أنبأنا أحمد بن عبد الله الحافظ: أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد حدثنا أبي أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى ابن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أدّ بن أدد بن الهميسع بن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

وعن أبي بكر المروزي قال: قال أبو عفيف ـ وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل ـ فقال: كان في الكتّاب معنا وهو غُلَيم يُعرف فضله، وكان الخليفة بالرقة، فيكتب الناس إلى منازلهم، فيبعث نساؤهم إلى المعلم: ابعث إلينا بأحمد بن حنبل ليكتب لهم جواب كتبهم، فيبعثه، فكان يجيء إليهم مطاطىء الرأس، فيكتب جواب كتبهم، فربما أملو عليه الشيء من المنكر فلا يكتبه لهم.

وعن إدريس بن عبد الكريم قال: قال خلف: جاءني أحمد بن حنبل يستمع حديث أبي عوانة، فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال: لا أجلس إلا بين يديك، أُمِرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه.

وعن أبي زرعة قال: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذَاكَرْتُه فأخذت عليه الأبواب.

قال أبو جعفر بن أحمد بن محمد بن سليمان التستري: قيل لأبي زرعة: من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟ فقال: أحمد بن حنبل، حزرت كتبه اليومَ الذي مات فيه فبلغت اثني عشر حملاً وعِدلاً، ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان، ولا في بطنه حديث فلان، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه.

وعن إبراهيم الحربي قال: رأيت أحمد بن حنبل كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف يقول ما شاء، ويُمْسِك ما شاء.

وعن أحمد بن سنان قال: ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشدَّ تعظيماً منه لأحمد بن حنبل، ولا رأيته أكرم أحداً كرامته لأحمد بن حنبل، وكان يقعد إلى جنبه إذا حدثنا، وكان يوقره ولا يمازحه، ومرض أحمد فركب إليه فعاده.

قال المصنف ـ رحمه الله ـ قلت: كانت مخايل النجابة تظهر من أحمد ـ رضي الله عنه ـ من زمان الصبا، وكان حفظه للعلم من ذلك الزمان غزيراً، وعمله به متوفراً. فلذلك كان مشايخه يعظمونه: فكان إسماعيل بن علية يقدمه وقت الصلاة يصلي بهم، وضحك أصحابه يوماً فقال: أتضحكون وعندي أحمد بن حنبل؟

وقال عبد الرزاق: ما رأيت أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل.

وقال وكيع وحفص بن غياث: ما قدم الكوفة مثل أحمد بن حنبل.

وقال أبو الوليد الطيالسي: ما بالمِصرَين أحد أحب إليَّ من أحمد بن حنبل.

وكان ابن مهدي يقول: ما نظرت إليه إلا ذكرت به سفيان الثوري، ولقد كاد هذا الغلام أن يكون إماماً في بطن أمه.

وقال يحيى بن سعيد: ما قدم عليَّ مثل أحمد بن حنبل.

وقال أبو عاصم النبيل ـ وقد ذكر طلاب العلم ـ فقال: ما رأينا في القوم مثل أحمد بن حنبل.

وقد ذكرنا هذه الأطراف وأمثالها في كتاب فضائل الإمام أحمد بأسانيدها، فكرهنا الإعادة ههنا.

وعن أبي بكر المروزي قال: كنت مع أبي عبد الله نحواً من أربعة أشهر بالعسكر لا يدع قيام الليل، وقراءة النهار، فما علمت بختمة ختمها! كان يُسِرُّ ذلك.

وعن أبي عصمة بن عصام البيهقي قال: بتُّ ليلة عند أحمد بن حنبل فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر في الماء فإذا هو كما كان، فقال: سبحان الله! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل؟

وعن أبي داود السجستاني قال: لم يكن أحمد بن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلم.

وعن أبي عبيد القاسم بن سَلَّام قال: جالست أبا يوسف ومحمد بن الحسن ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي، فما هِبْتُ أحداً منهم ما هبت أحمد بن حنبل! ولقد دخلت عليه في السجن لأسلِّم عليه، فسألني رجل عن مسألة؟ فلم أجبه هيبةً له.

وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوباً وأشده بياضاً من أحمد بن حنبل.

وعن علي بن المديني قال: قال لي أحمد بن حنبل: إني لأحب أن أصحبك إلى مكة، وما يمنعني من ذاك إلا أني أخاف أن أملّك أو تملّني. قال: فلما ودعته قلت: يا أبا عبد الله توصيني بشيء؟ قال: نعم، أَلزِمْ التقوى قلبَكَ والزم الآخرةَ أمامك.

وقال أبو داود السجستاني: كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة، ولا يُذكَر فيها شيء من أمر الدنيا، ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط.

وعن أحمد بن عتبة قال: لما ماتت أم صالح قال أحمد لامرأة عندهم: اذهبي إلى فلانة ابنة عمي فاخطبيها لي من نفسها. قال: فأتتها فأجابته فلما رجعت إليه قال: كانت أختها تسمع كلامك؟ ـ قال: وكانت بعين واحدة ـ قالت له: نعم. قال: فاذهبي فاخطبي تلك التي بعين واحدة. فأتتها فأجابتها وهي أم عبد الله، فأقام معها سبعاً. ثم قالت له: كيف رأيت يا ابن عم؟ أنكرت شيئاً؟ قال: لا، إلا أن نعلك هذه تصرّ.

وعن إبراهيم الحربي قال: كان أحمد بن حنبل يأتي العرس والختان والأملاك يجيب ويأكل.

وعن إسحاق بن راهويه قال: لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه من بعض الجمّالين إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئاً.

وعن الرمادي قال: سمعت عبد الرزاق ـ وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه فقال ـ: قدِم وبلغني أن نفقته نفدت، فأخذت عشرة دنانير وأقمته خلف الباب وما معي ومعه أحد، وقلت: إنه لا تجتمع عندنا الدنانير، وقد وجدت الساعة عند النساء عشرة دنانير فخذها، فأرجو ألا تنفقها حتى يتهيأ عندنا شيء. فتبسم وقال لي: يا أبا بكر لو قبلت شيئاً من الناس قبلت منك. ولم يقبل.

وعن صالح بن أحمد قال: جاءتني حُسْن فقالت: يا مولاي قد جاء رجل بتليسة[1] فيها فاكهة يابسة وبهذا الكتاب، قال صالح: فقمت فقرأت الكتاب فإذا فيه: يا أبا عبد الله أبضعت لك بضاعة إلى سمرقند فوقع فيها كذا وكذا، ورددتها فيها كذا وكذا، وقد بعثت بها إليك وهي أربعة آلاف درهم، وفاكهة أنا لقطتها من بستاني ورثته عن أبي، وأبي ورثه عن أبيه.

قال: فجمعت الصبيان فلما دخل دخلنا عليه فبكيت وقلت له: يا أبة أما ترق لي من أكل الزكاة؟ ثم كشفت عن رأس الصبية وبكيت، فقال: من أين علمت؟ دع حتى أستخير الله تعالى الليلة! قال: فلما كان من الغد قال: يا صالح[2] إني قد استخرت الله تعالى الليلة فعزم لي ألا آخذها، وفتح التليسة ففرقها على الصبيان، وكان عنده ثوب عُشاري فبعث به إليه، ورد المال قال صالح: فبلغني أن الرجل اتخذه كفناً.

وعن علي بن الجهم قال: كان له جار فأخرج إلينا كتاباً فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: هذا خط أحمد بن حنبل، كيف كتب لك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة ففقدنا أحمد بن حنبل أياما لم نره، ثم جئنا إليه لنسأل عنه فقال لنا أهل الدار التي هو فيها: هو في ذلك البيت. فجئنا إليه والباب مردود عليه واذا خُلقان، فقلنا له: يا أبا عبد الله ما خبرك؟ لم نرك منذ أيام! فقال: سُرِقت ثيابي.

فقلت له: معي دنانير فإن شئت فخذ قرضاً، وإن شئت فصِلَةً! فأبى أن يفعل. فقلت: تكتب لي بأجرة؟ قال: نعم. فأخرجت ديناراً فأبى أن يأخذه وقال: اشتر لي ثوباً واقطعه بنصفين ـ فأومأ إلي أنه يأتزر بنصف ويرتدي بالنصف الآخر ـ وقال: جئني بنفقته. ففعلت وجئت بورق فكتب لي وهذا خطه.

وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال: دخلت على أبي في أيام الواثق ـ والله يعلم في أي حالة نحن ـ وخرج لصلاة العصر، وكان له جلد يجلس عليه قد أتت عليه سنون كثيرة حتى قد بلي، فإذا تحته كتاب فيه: بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه [من][3] الضيق وما عليك من الدين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان لتقضي بها دَيْنَك، وتوسّع بها على عيالك، وما هي من صدقة ولا زكاة، إنما هو شيء ورثته من أبي.

---

(١) التَلِّيسَة: على وزن سِكِّينة: هِنَةٌ أو شيء يُسَوَّى من الخُوص، أي: وعاء.

(٢) في المطبوع: «قال: يا صالح صبي فإين..» والذي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٠) هو بدونها، فآثرنا حذفها لعدم فائدتها.

(٣) في المطبوع «وعن».

فقرأت الكتاب ووضعته، فلما دخل قلت له: يا أبة ما هذا الكتاب؟ فاحمرَّ وجهه وقال: رفعته منك! ثم قال: تذهب بجوابه إلى الرجل وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتابك إلي ونحن في عافية، فأما الدَّين فإنه لرجل لا يُرهقنا، وأما عيالنا فهم بنعمة الله. والحمد لله.

فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل فقال: ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء و[رماه][1] مثلاً في دجلة كان مأجوراً، لأن هذا الرجل لا يُعرف له معروف.

فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك، فرد عليه الجواب بمثل ما ردّ، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال: لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت.

وعن محمد بن موسى بن حماد الزيدي قال: حمل إلى الحسن بن عبد العزيز الحروي من ميراثه من مصر مائة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس في كل كيس ألف دينار، فقال: يا أبا عبد الله هذه ميراث حلال فخذها، فاستعن بها على عائلتك. فقال: لا حاجة لي فيها، أنا في كفاية. فردها ولم يقبل منها شيئاً.

وعن السري بن محمد ـ خال ولد صالح ـ قال: جاء أحمد بن صالح يوضِّىء أبا عبد الله يوماً وقد بلَّ أبو عبد الله خرقة فألقاها على رأسه، فقال له أحمد بن صالح: يا جدي أنت محموم! قال أبو عبد الله: وأنّى لي بالحمى؟

وعن رحيلة قال: كنت على باب أحمد بن حنبل والباب مُجافٍ وأم ولده تكلمه وتقول له: أنا معك في ضيق! منزل بيت صالح يأكلون ويفعلون؟ وهو يقول: قولي خيراً. وخرج الصبي معه فبكى فقال له: أي شيء تريد؟ قال: زبيب. قال: اذهب فخذ من البقال حبة.

وعن أبي بكر المروزي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل! وقال: سمعت أبا عبد الله يقول: أَسَرُّ أيامي إليَّ يوم أصبح وليس عندي شيء.

وعن صالح بن أحمد قال: ربما رأيت أبي يأخذ الكسر فينفض الغبار عنها، ثم يصيرها في قصعة، ثم يصب عليها ماء حتى تبتلّ، ثم يأكلها بالملح! وما رأيته قط اشترى رماناً ولا سفرجلاً ولا شيئاً من الفاكهة؛ إلا أن يكون يشتري بطيخة فيأكلها بخبز، أو عنباً أو تمراً، فأما غير ذلك فما رأيته قط اشتراه، وربما خُبِز له، فيجعل في فخارة عدساً وشحماً وتمرات شهريز فيخص الصبيان بقصعة فيصوِّت ببعضهم فيدفعه إليهم فيضحكون ولا يأكلون، وكان كثيراً ما يأتدم بالخل، وكان يُشترى له شحم بدرهم، فكان يأكل منه شهراً، فلما قدم من عند المتوكل أدمن الصوم، وجعل لا يأكل الدسم، فتوهمت أنه كان جعل على نفسه إن سلِم أن يفعل ذلك.

وعن النيسابوري ـ صاحب إسحاق بن إبراهيم ـ قال لي الأمير: إذا جاء إفطاره أرنيهِ. قال: فجاؤوا برغيفين خبزٍ وخيارة فأريته الأمير، فقال: هذا لا يجيبنا إذا كان هذا يقنعه.

وعن الحسن بن خلف الصائغ قال: جاءني المروزي في علة أبي عبد الله فقال: أبو عبد الله عليل! فذهبت بالمتطبب فدخلنا عليه قال: ما حالك؟ قال: احتجمت أمس .قال: وما أكلت؟ قال:

---

(١) في المطبوع: «رمى».

خبزاً وكامخاً. قال: يا أبا عبد الله تحتجم وتأكل خبزاً وكامخاً؟ قال: فما آكل؟

وعن محمد بن الحسن بن هارون قال: رأيت أبا عبد الله إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد.

وقال المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب، فما أشتهيه.

قال المروزي: وبال أبو عبد الله في مرضه دماً، فأريته عبد الرحمن المتطبب، فقال: هذا رجل قد فتت الغمُّ والحزن كبده.

وعن إبراهيم بن شماس قال: كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام يحيي الليل.

وعن المروزي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قد وجدت البرد في أطرافي، ما أراه إلا من إدماني أكل الخل والملح.

وعن فوران قال: كنا عند أحمد بن حنبل قبل أن يموت بليلتين، وكان ثَمَّ غلام أسود لأبي يوسف ـ يعني عمه ـ اشتراه من هذا المال، فذهب بروح[1] أحمد فنهاه [!!].

وعن سليمان بن داود الشاذكوني: أن أحمد رهن سطلاً عند فاميّ فأخذ منه شيئاً يتقوته، فجاء فأعطاه فكاكه، فأخرج إليه سطلين فقال: انظر أيهما سطلك فخذه.

قال: لا أدري، أنت في حِلٍّ منه ومما أعطيتك. ولم يأخذ. قال الفامي: والله إنه لسطله وإنما أردت أن أمتحنه فيه.

وعن أحمد بن محمد التستري قال: ذكروا لي أن أحمد بن حنبل أتى عليه ثلاثة أيام ما كان طَعِم فيها، فبعث إلى صديق له فاستقرض شيئاً من الدقيق، فعرفوا في البيت شدة حاجته إلى الطعام، فخبزوا عاجلاً، فلما وُضِع بين يديه قال: كيف خبزتم هذا بسرعة؟ قيل له: كان التنور في دار صالح ـ ابنه ـ مسجوراً فخبزنا عاجلاً.

فقال: ارفعوا. ولم يأكل، وأمر بسد بابه إلى دار صالح.

وعن عبد الله بن أحمد قال: كان أبي أصبر الناس على الوحدة، لم يره أحد إلا في مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض، وكان يكره المشي في الأسواق.

وعنه قال: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاث مائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفَتْهُ، فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة، وقد كان قرب من الثمانين، وكان يقرأ في كل يوم سبعاً، يختم في سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار، وكان ساعةَ يصلي عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو، وحج أبي خمس حجات: ثلاث حجج ماشياً واثنتين راكباً، وأنفق في بعض حجّاته عشرين درهماً.

وعنه قال: كنت أسمع أبي كثيراً يقول في دبر الصلاة: اللّهم كما صنتَ وجهي عن السجود لغيرك صِنْه عن المسألة لغيرك.

---

(١) كذا هي في المطبوع ولعلها: «يروّح».

وعن أبي عيسى عبد الرحمن بن زاذان قال: صلينا وأبو عبد الله أحمد بن حنبل حاضرٌ فسمعته يقول: اللّهم من كان على هوى أو على رأي وهو يظن أنه على الحق وليس هو الحقَّ فرده إلى الحق حتى لا يضل من هذه الأمة أحداً، اللّهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به، ولا تجعلنا في رزقك خَوَلاً لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بشرِّ ما عندنا، ولا تَرَنا حيث نهيتنا، ولا تفقدنا حيث أمرتنا، أعزنا ولا تذلنا، أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعصية.

وعن علي بن أبي حرارة قال: كانت أمي مقعدة نحو عشرين سنة، فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو الله لي؟ فمضيت فدققت عليه الباب فقال: من هذا؟ فقلت: رجل من أهل ذلك الجانب سألتني أمي وهي زَمِنَةٌ مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها! فسمعت كلامه ـ كلام رجل مغضب ـ وقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا! فوليت منصرفاً، فخرجت عجوز من داره فقالت: أنت الذي كلمت أبا عبد الله؟ قلت: نعم. قالت: قد تركتُه يدعو الله لها.

قال: فجئت من فوري إلى البيت، فدققت الباب، فخرجت على رجليها تمشي حتى فتحت لي الباب وقالت: قد وهب الله لي العافية.

وعن ميمون بن الأصبغ قال: كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أحمد بن حنبل يُمتَحن. فدخلت فلما ضُرب سوطاً قال: باسم الله. فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق. فلما ضرب الرابع قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] فضرب تسعة وعشرين سوطاً.

وكانت تِكة أحمد حاشية ثوب فانقطعت فنزل السراويل إلى عانته فرمى أحمد طرفه إلى السماء وحرك شفتيه فما كان بأسرع أن بقي السراويل لم ينزل. فدخلت إليه بعد سبعة أيام فقلت: يا أبا عبد الله رأيتك تحرك شفتيك فأي شيء قلت؟ قال: قلت: اللّهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي ستراً.

وعن محمد بن إسماعيل بن أبي سمينة قال: سمعت «شاباص» النائب يقول: لقد ضربت أحمد ابن حنبل ثمانين سوطاً لو ضربته فيلاً لهدّته.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت كثيراً أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم. فقلت: يا أبة من أبو الهيثم؟ فقال: لما أخرجت للسيّاط ومدت يداي للعقابين إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا. قال: أنا أبو الهيثم العيّار اللص الطرّار مكتوب في ديوان أمير المؤمنين: أني ضربت ثمانية عشر ألف سَوْطٍ بالتفاريق، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين. قال: فضربت ثمانية عشر سوطاً بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفاً، وخرج الخادم فقال: عفا عنه أمير المؤمنين.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال لي أبي: يا بني لقد أعطيت المجهود من نفسي.

قال: وكتب أهل المطامير إلى أحمد بن حنبل: إن رجعت عن مقالتك ارتددنا عن الإسلام.

وعن أحمد بن سنان قال: بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حِلٍّ في يوم فتح «بابك» أو في فتح «عمُّورية» فقال: هو في حِلٍّ من ضربي.

وقال إبراهيم الحربي: أحلَّ أحمد بن حنبل من حضر ضربَه، وكل من شايع فيه والمعتصم، وقال: لولا أن ابن أبي دؤاد داعيةٌ لأحللته.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: ورد كتاب علي بن الجهم: إن أمير المؤمنين - يعني المتوكل - قد وجه إليك يعقوب المعروف بقوصرة ومعه جائزة، ويأمرك بالخروج، فالله الله أن تستعفي أو ترد المال فيتسع القول لمن يبغضك.

فلما كان من الغد ورد يعقوب فدخل عليه فقال: يا أبا عبد الله أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول: قد أحببت أن آنس بقربك وأن أتبرك بدعائك، وقد وجهت إليك عشرة آلاف درهم معونةً على سفرك.

[ثم] أخرج صرة فيها بدرة نحو مائتي دينار، والباقي دراهم صحاح، فلم ينظر إليها، ثم شدها يعقوب وقال له: أعود غداً حتى أبصر ما تعزم عليه. وانصرف.

فجئت بإجّانة خضراء فكببتها على البدرة فلما كان عند المغرب قال: يا صالح خذ هذا صيِّره عندك. فصيرتها عند رأسي فوق البيت، فلما كان سَحَراً إذا هو ينادي: يا صالح. فقمت فصعدت إليه فقال: ما نمتُ ليلتي هذه. فقلت: لِمَ يا أبة؟ فجعل يبكي وقال: سلمت من هؤلاء، حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم! قد عزمت على أن أفرق هذا الشيء إذا أصبحت. فقلت: ذاك إليك. فلما أصبح قال: جئني يا صالح بميزان. وقال: وجهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار. ثم قال: وجهه إلى فلان يفرق في ناحية، وإلى فلان، فلم يزل حتى فرقها كلها، ونفضتُ الكيس ونحن في حالةٍ الله تعالى بها عليمٌ.

فجاء بُنَيٌّ لي فقال: يا أبة أعطني درهماً. فنظر إلي فأخرجت قطعة فأعطيته. وكتب صاحب البريد: إنه قد تصدق بالدراهم من يومه حتى تصدق بالكيس.

قال علي بن الجهم: فقلت: يا أمير المؤمنين قد علم الناس أنه قد قبل منك، وما يصنع أحمد بالمال وإنما قوْتُه رغيفٌ؟ فقال لي: صدقت يا علي.

قال صالح: ثم أُخرِجنا ليلاً معنا حراس معهم النفاطات، فلما أضاء الفجر قال لي: يا صالح معك دراهم؟ قلت: نعم. قال: أعطهم. فأعطيتهم درهماً درهماً، ودخلنا العسكر وأبي منكِّس الرأس، ثم أنزل دار إيتاخ وجاء علي بن الجهم فقال: قد أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف مكان التي فرقها، وأمر أن لا يعلم بذلك فيغتم.

ثم جاءه أحمد بن معاوية فقال: إن أمير المؤمنين يكثر ذكرك، ويشتهي قربك، وتقيم ههنا تحدِّث؟ فقال: أنا ضعيف.

ثم حُمل إلى دار الخلافة، فأخبرني بعض الخدم أن المتوكل كان قاعداً وراء ستر فلما دخل أبي الدارَ قال لأمه: يا أماه قد أنارت الدار. ثم جاء خادم بمنديل فيه ثياب فأُلبس وهو لا يحرك يديه، فلما صار إلى الدار نزع الثياب عنه، ثم جعل يبكي، ثم قال: سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة، حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم! ثم قال: يا صالح وجِّه هذه الثياب إلى بغداد تُباع وتصدّق بثمنها، ولا يشتري أحد منكم شيئاً منها.

وأجريت له مائدة وثلج وضرب الخيش، فلما رآه تنحّى فألقى نفسه على مضربة له، وجعل يواصل ويفطر في كل ثلاث على تمر شهريز، فمكث كذلك خمسة عشر يوماً، ثم جعل يفطر ليلة وليلة، ولا يفطر إلا على رغيف، وكان إذا جيء بالمائدة توضع في الدهليز لكي لا يراها فيأكل من حضر.

وأمر المتوكل أن تُشتَرى لنا دار. فقال: يا صالح لئن أقررت لهم بشراء دار لتكونن القطيعة بيني وبينك! فلم يزل يدفع شَرْيَ الدار حتى اندفع.

ثم انحدرت إلى بغداد وخلفت عبد الله عنده فإذا عبد الله قد قدم، وقد جاء بثيابي التي كانت عنده فقلت له: ما جاء بك؟ فقال: قال لي: انحدر، وقل لصالح: لا تخرج فأنتم كنتم آفتي، والله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أخرجت واحداً منكم معي، ولولا مكانكم لِمَنْ كانت توضع هذه المائدة؟ وفي رواية أخرى: ثم إنه مرض فأذن له المتوكل في العَوْد إلى بغداد فعاد.

قال الشيخ: وإنما اقتصرنا على هذا اليسير من أخبار الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ لأنا قد أفردنا لمناقبه وفضائله كتاباً كبيراً يستوفيها، فكرهنا الإعادة في التصانيف، وذكرنا في ذلك الكتاب أسماء الأشياخ الذين لقيهم وروى عنهم.

وتوفي ـ رضي الله عنه ـ في سنة إحدى وأربعين ومائتين، وقد استكمل سبعاً وسبعين سنة.

قال المروزي: مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين، ومرض تسعة أيام، وتسامع الناس فأقبلوا لعيادته، ولزموا الباب الليل والنهار يبيتون، فربما أذن للناس فيدخلون أفواجاً يسلمون عليه فيرد عليهم بيده.

وقال أبو عبد الله: جاءني حاجب لابن طاهر فقال: إن الأمير يقرئك السلام، وهو يشتهي أن يراك؟ فقلت له: هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره.

ووضأته فقال: خلِّل الأصابع. فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس حتى ملأوا السكك والشوارع فلما كان صدر النهار قُبِض ـ رحمه الله ـ فصاح الناس وعَلَتِ الأصواتُ بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت.

وعن اسحاق قال: مات أبو عبد الله وما خلف إلا ستة قطع أو سبعة، وكانت في خرقة كان يمسح بها وجهه قدر دانقين.

وعن حنبل قال: أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله ـ وهو في الحبس ـ ثلاث

شعرات فقال: هذا من شعر النبي ﷺ، فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة، وشعرة على لسانه. ففُعِل ذلك به بعد موته.

وعن صالح بن أحمد قال: قال لي أبي: جئني بالكتاب الذي فيه حديث ابن إدريس عن ليث عن طاووس: أنه كان يكره الأنين، فقرأته عليه فلم يئنّ إلا في الليلة التي مات فيها.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: لما حضرت أبي الوفاةُ جلست عنده وبيدي الخرقة لأشد بها لحييه فجعل يعرق، ثم يفيق، ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا: لا؛ بعدُ! لا؛ بعدُ! ففعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبة أي شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت تعرق حتى نقول قد قضيت، ثم تعود فتقول: لا؛ بعدُ! لا؛ بعدُ.

فقال لي: يا بني ما تدري ما قلت؟ قلت: لا. فقال: إبليس ـ لعنه الله ـ قائم حذائي عاضٌّ على أنامله يقول لي: يا أحمد فُتّني! فأقول: لا؛ بعد! لا؛ بعد! حتى أموت.

وعن بنان بن أحمد القصباني: أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل فيمن حضر. قال: فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة، وحزر من حضرها من الرجال ثمان مائة ألف، ومن النساء ستين ألف امرأة.

وعن موسى بن هارون قال: يقال: إن أحمد بن حنبل لما مات مسحت الأمكنة المبسوطة التي وقف الناس عليها للصلاة فحزر مقادير الناس بالمساحة على التقدير ستمائة ألف وأكثر سوى ما كان في الأطراف والجوالي والسطوح والمواضع المتفرقة أكثر من ألف ألف.

وقال أبو بكر المروزي: رأيت أحمد بن حنبل في النوم كأنه في روضة وعليه حلّتان خضراوان وعلى رأسه تاج من النور، وإذا هو يمشي مشية لم أكن أعرفها، فقلت: يا أحمد ما هذه المشية التي لم أكن أعرفها لك؟ فقال: هذه مشية الخدام في دار السلام. فقلت: ما هذا التاج الذي أراه على رأسك؟ فقال: إن ربي عز وجل أوقفني وحاسبني حساباً يسيراً، وحباني وقربني وأباحني النظر إليه، وتوجني بهذا التاج، وقال لي: يا أحمد هذا تاج الوقار توّجتك به كما قلت القرآن كلامي غير مخلوق.

وعن أبي يوسف بن لحيان قال: لما مات أحمد بن حنبل رأى رجل في منامه كأن على كل قبر قنديلاً، فقال: ما هذا؟ فقيل له: أما علمت أنه نُوِّرَ لأهل القبور قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم، قد كان فيهم [مَنْ] يُعذَّبُ فرُحِم.

وعن أبي علي بن البناء قال: لما ماتت أم القطيعي دفنها في جوار أحمد بن حنبل، فرآها بعد ليالٍ فقال: ما فعل الله بك؟ فقالت: يا بني رضي الله عنك فلقد دفنتني في جوار رجل تنزل على قبره في كل ليلة ـ أو قال: في كل ليلة جمعة ـ رحمة تعمُّ جميع أهل المقبرة وأنا منهم.

٢٦٣ ـ محمد بن مصعب أبو جعفر الدعَّاء

عن حسين بن فهم قال: ـ وذكر محمد بن مصعب فقال ـ: استسقى ماء فحطت برادة فسمع صوتها فشهق وصاح وقال: يا محمد بن مصعب من أين لك في النار برادة؟ قال: رفع صوته فقرأ ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩].

وعن محمد بن نصر بن منصور الصائغ قال: كان المأمون قد أمر محمد بن مصعب إلى الحبس فقال ـ وقد ذهب به إلى الحبس ورفع رأسه إلى السماء ـ وقال: أقسمت عليك إن حبستني عندهم الليلة فأخرج في جوف الليل. فصلى الغداة في منزله.

أسند محمد بن مصعب عن ابن المبارك وغيره، وكان أحمد بن حنبل يثني عليه، ويقول: كان رجلاً صالحاً.

وتوفي ببغداد في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين.

٢٦٤ ـ سعيد بن وهب

أبو عثمان مولى بني سلمة بن لؤي، كان شاعراً ماجناً كثير القول في الغزل والخمر، وكان يسكن البصرة، ثم توّطن ببغداد، وتاب، وتعبّد، وحج راجلاً.

عن الحسين بن عبد الرحمن قال: حج سعيد بن وهب ماشياً فبلغ منه، وجهد، فقال:

قدميّ اعتورا رملَ الكثيب ... واطرُقا الآجن من ماء القليب
رُبَّ يومٍ رُحتُما فيه على ... زهرة الدنيا وفي واد خصيب
وسماعٍ حسن من حسن ... صخب المزهر كالظبي الربيب
فاحسبا ذاك بهذا واصبرا ... وخذا من كل فن بنصيب
إنما أمشي لأني مذنب ... فلعل الله يعفو عن ذنوبي

توفي سعيد في زمان المأمون رحمه الله.

٢٦٥ ـ يحيى بن أيوب أبو زكريا

العابد المعروف بالمقابري، كان من خيار عباد الله ومن أهل السنة. عن العباس بن محمد بن عبد الرحمن الأشهلي قال: حدثني أبي قال: مررت بالمقابر فسمعت همهمة فاتَّبعت الأثر فإذا يحيى ابن أيوب في حفرة من تلك الحفر، وإذا هو يدعو ويبكي ويقول: يا قرة عين المطيعين، ويا قرة عين العاصين، ولِمَ لا تكون قرة عين المطيعين وأنت مننت عليهم بالطاعة؟ ولم لا تكون قرة عين العاصين

---

٢٦٣ ـ أبو جعفر الدعَّاء ـ رحمه الله ـ: ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٢٧٩).

٢٦٤ ـ سعيد بن وهب ـ رحمه الله ـ: الجرح والتعديل (١/ ٢/ ٦٩)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٠)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٥٦)، و(٤/ ٧).

٢٦٥ ـ يحيى بن أيوب ـ رحمه الله ـ: شذرات الذهب (٢/ ٢٠٢)، العبر (٢/ ٨٣)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٨٥)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٦) و(٨/ ١٨٢ و٢٩٠ و٣٧٢ و٣٧٧ و٤٣٨ و٤٩٩).

وأنت سترت عليهم الذنوب؟ قال: ويعاود البكاء. قال: فغلبني البكاء، ففطن لي فقال لي: تعال، لعل الله إنما بعث بك لخير.

سمع يحيى بن أيوب من شريك، وإسماعيل بن علية في خلق كثير، وتوفي سنة أربع وثلاثين ومائتين.

٢٦٦ ـ سريج بن يونس

يكنى أبا الحارث المروزي، سكن بغداد.

عن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد قال: سمعت سريج بن يونس يقول: رأيت ربَّ العزة تعالى في المنام فقال لي: يا سريج سلني؟ فقلت: يا رب سرٌّ بسرٍّ.

وعن إسحاق بن إبراهيم الجيلي قال: سمعت سريج بن يونس ـ الشيخ الصالح الصدوق ـ يقول: رأيت فيما يرى النائم كأن الناس وقوف بين يدي الله وأنا في أول صف في آخره، ونحن ننظر إلى رب العزة تعالى، إذ قال: أي شيء تريدون أن أصنع بكم؟ فسكت الناس قال سريج: فقلت أنا في نفسي: ويحهم قد أعطاهم كل ذا من نفسه وهم سكوت؟ فقنعت رأسي بملحفتي وأبرزت عيناً، وجعلت أمشي وجزت الصف الأول بخُطاً فقال: أي شيء تريد؟ فقلت: رحمنُ سِرٌّ بسِرٍّ، إن أردت أن تعذبنا فلِمَ خلقتنا؟ قال: قد خلقتكم ولا أعذبكم أبداً! ثم غاب في السماء فذهب.

وعن موسى بن هارون قال: بلغني أن سريج بن يونس رأى رب العزة تعالى في المنام. فأتيته فسألته؟ فأخبرنا: أنه رأى فيما يرى النائم كأن صفاً من الناس، قال: وأنا على يمين الصف، فقال: أي شيء تريدون؟ فلم يجبه أحد. فقلت: ويحكم ما لكم لا تتكلمون؟ ثم قنعت رأسي، ثم تقدمت وأنا أتمايل ـ أراه قال: من الهول ـ فقلت: رحمنُ سرٌّ بسرٍّ، إذ خلقتنا فلا تعذبنا! قال: فإني لا أعذبكم ـ أو قال: قد غفرت لكم ـ ثم رأيت بعد ذلك في رمضان كأنه قد نزل إلى الأرض فقال رجل: اللّهم اغفر لي. فقال: شيئاً معناه: سننزل إلى الأرض فنغفر لواحد. قال سريج: فقلت بيدي هكذا ولم أتكلم، وفي نفسي أن يغفر للمؤمنين. فقال: إني قد غفرت للمؤمنين.

وعن أحمد بن عبد العزيز بن الجعد قال: حدثني بقال سريج بن يونس قال: جاءني سريج ليلاً وقد ولد له مولود فأعطاني ثلاثة دراهم، وقال: أعطني بدرهم عسلاً، وبدرهم سمناً، وبدرهم سويقاً، ولم يكن عندي شيء قد عزلت الظروف لأبكّر وأشتري، فقلت: ما عندي شيء، قد عزلت الظروف لأبكر وأشتري! فقال لي: انظر قليلاً إيش ما كان! امسح البرَّاني. فجئت فوجدت البراني والجراب مِلاء، فأعطيته شيئاً كثيراً. فقال لي: ما هذا؟ أليس قلت ما عندي شيء؟ قال: قلت: خذ واسكت. فقال: ما آخذ أو تصدقني؟ فحدثته القصة، فقال: لا تحدث به أحداً ما دمت حياً.

أسند سريج عن سفيان بن عيينة وهشيم وغيرهما.

وتوفي في ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين.

---

٢٦٦ ـ سريج بن يونس ـ رحمه الله ـ: العبر (١/ ٤٢١)، تاريخ بغداد (٩/ ٢١٩)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٥٧)، الجرح والتعديل (٤/ ٣٠٥).

٢٦٧ ـ أحمد بن نصر الخزاعي

يكنى أبا عبد الله، كان من كبار العلماء الآمرين بالمعروف، وسمع الحديث من مالك بن أنس، وحماد بن زيد، وهشيم وغيرهم.

امتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول إنه مخلوق، فقتله في يوم السبت غرة رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائتين بسر من رأى، فصلب جسده هناك، وأنفذ رأسه إلى بغداد، فنصبه. فلم يزل كذلك ست سنين، ثم حُطَّ وجمع بين رأسه وبدنه ودفن بالجانب الشرقي من بغداد في المقبرة المعروفة بالمالكية في يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وثلاثين ومائتين.

وعن داود بن سليمان قال: حدثني أبي قال: سمعت أحمد بن نصر الخزاعي يقول: رأيت مصاباً قد وقع فقرأت في أذنه، فكلمتني الجنية من جوفه: يا أبا عبد الله بالله دعني أخنقه فإنه يقول: القرآن مخلوق.

وعن أبي بكر المروزي قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وذكر أحمد بن نصر فقال: رحمه الله ما كان أسخاه لقد جاد بنفسه.

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمدُ بن نصر خُلِّيَ، فلما قتل في المحنة وصلب أخبِرت أن الرأس يقرأ القرآن، فمضيت وبتُّ بقرب من الرأس مشرفاً عليه وكان عنده رجالة وفرسان يحفظونه، فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٢]. فاقشعرَّ جلدي، ثم رأيته بعد ذلك في المنام وعليه السندس والإستبرق وعلى رأسه تاج فقلت: ما فعل الله بك يا أخي؟ قال: غفر لي وأدخلني الجنة، إلا أني [بقيت] مغموماً ثلاثة أيام! قلت: ولِمَ؟ قال: كان رسول الله ﷺ مر بي فلما بلغ خشبتي حول وجهه عني: فقلت بعد ذلك: يا رسول الله قتلت على الحق أو على الباطل؟ فقال: أنت على الحق، ولكن قَتَلَكَ رجلٌ من أهل بيتي، فإذا بلغت إليك أستحيي منك!.

وعن إبراهيم بن الحسن قال: رأى بعض أصحابنا أحمد بن نصر في النوم بعد ما قُتِل فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل. فضحك إلي. رحمه الله.

٢٦٨ ـ أبو محمد الطيب بن إسماعيل

ابن إبراهيم الذهلي، ويعرف بأبي حمدون الدلال، كان أحد القراء المشهورين، والزهاد الصالحين.

---

٢٦٧ ـ أحمد بن نصر الخزاعي ـ رحمه الله ـ: شذرات الذهب (٢/ ٦٩)، العبر (١/ ٤٠٨)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ٣٠٣)، تاريخ بغداد (٥/ ١٧٣)، تهذيب التهذيب (١/ ٧٩ برقم ١٣٠).

٢٦٨ ـ الطيب بن إسماعيل: أبو محمد ـ رحمه الله ـ: ذكره الذهبي في طبقات القراء (معرفة القراء الكبار) (١/ ٢١١ برقم ١٠٦)، تاريخ بغداد (٩/ ٣٦٠)، غاية النهاية (١/ ٣٤٣)، تاريخ الإسلام (ط ٢٣ وط ٢٤).

روى القراءة عن الكسائي ويعقوب الحضرمي، وحدث عن المسيب بن شريك، وسفيان بن عيينة وشعيب بن حرب.

عن أبي العباس ـ أحمد بن مسروق ـ قال: سمعت أبا حمدون المقرىء يقول: صليت ليلة فقرأت فأدغمت حرفاً فحملتني عيني فرأيت كأن نوراً قد تلبب بي وهو يقول لي: بيني وبينك الله! قال: قلت: من أنت؟ قال: أنا الحرف الذي أدغمتني.

قال: قلت: لا أعود. فانتبهت فما عدت أدغم حرفاً.

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن صليح قال: إن أبا حمدون الطيب بن إسماعيل كُفَّ بصره فقاده قائده ليدخله المسجد، فلما بلغ المسجد قال له قائده: يا أستاذ اخلع نعليك. قال: يا بني لِمَ أخلعهما؟ قال: لأن فيهما أذى! فاغتمّ أبو حمدون وكان من عباد الله الصالحين فرفع يده ودعا بدعوات ومسح بها وجهه، فرد الله إليه بصره ومشى.

وعن أبي عبد الله ابن الخطيب قال: كان لأبي حمدون صحيفة فيها مكتوب ثلثمائة من أصدقائه، قال: وكان يدعو لهم كل ليلة، فتركهم ليلة، فنام، فقيل له في نومه: يا أبا حمدون لم تسرجْ مصابيحك الليلة! قال: فقعد وأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ.

وعن أبي الحسين ابن المنادي قال: أبو حمدون الطيب بن إسماعيل الذهلي من خيار الزهاد المشتهرين بالقرآن كان يقصد المواضع التي ليس فيها أحد يقرىء الناس فيقرئهم حتى إذا حفظوا انتقل إلى آخرين بهذا النعت، وكان يلتقط المنبوذ كثيراً رحمه الله.

٢٦٩ ـ مسرور بن أبي عوانة

واسم أبي عوانة الوضاح، مولى يزيد بن عطاء الواسطي، نزل بغداد، وكان عابداً مجتهداً.

عن إسماعيل بن زياد أبو يعقوب قال: قد رأيت العبّاد والمجتهدين، ما رأيت أحداً قط أصبر على صلاة الليل والنهار وطول السهر والقيام من مسرور بن أبي عوانة.

كان يصلي الليل والنهار لا يفتر.

قال: وقدم علينا مرة فقال: أخرجوني إلى الساحل أنظر إلى الماء حتى لا أنام.

وعن الفضل بن عبد الوهاب ـ أبو المساور ختن أبي عوانة ـ قال: كان أبو عوانة من أكثر الناس صلاة بالليل، وأطوله اجتهاداً، فلما قدم علينا مسرور بن أبي عوانة قال لي أبو عوانة: يا أبا المساور احتقرت والله نفسي. أو قال: تصاغرت إليّ نفسي.

٢٧٠ ـ الحارث بن أَسَد المُحاسبي

أبو عبد الله عن أحمد بن محمد بن مسروق قال: سمعت حارثاً المحاسبي يقول: ثلاثة أشياء

---

٢٦٩ ـ مسرور بن أبي عوانة ـ رحمه الله ـ: ذكره الذهبي في السير (١٣/ ٥٧٣) والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٤٦).

٢٧٠ ـ الحارث المحاسبي ـ رحمه الله ـ: طبقات السُّلَمي (٥٦)، الحلية (١٠/ ٧٣)، القشيرية (١٥)، وفيات الأعيان =

عزيزة أو معدومة: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة.

وقال الجنيد: كنت كثيراً أقول للحارث: عزلتي أنسي. فيقول: كم تقول أنسي وعزلتي؟ لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنساً! ولو أن نصف الخلق الآخر نأى عني ما استوحشت لبعدهم.

وقال: كان الحارث كثير الضر، فاجتاز بي يوماً وأنا جالس على بابنا فرأيت على وجهه زيادة الضر من الجوع، فقلت له: يا عم لو دخلت إلينا فنلت من شيء عندنا! وعمدت إلى بيت عمي ـ كان أوسع من بيتنا ـ لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها في بيتنا سريعاً فجئت بأنواع كثيرة من الطعام، فوضعته بين يديه فمد يده فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه فرأيته يلوكها ولا يزدردها، ثم وثب فخرج وما كلمني.

فلما كان الغد لقيته فقلت: يا عمّ سررتني، ثم نغّصت علي؟ فقال: يا بني أما الفاقة فكانت شديدة، وقد اجتهدت في أن أنال من الطعام الذي قدمت إلي، ولكن بيني وبين الله علامة، إذا لم يكن الطعام مَرْضياً ارتفع إلى أنفي منه زفورة فلم تقبله نفسي، فقد رميت بتلك اللقمة في دهليزكم وخرجت.

وقال الجنيد: مات أبو حارث المحاسبي وإن الحارث لمحتاج إلى دانق فضة.

وخلف أبوه مالاً كثيراً وما أخذ منه حبة واحدة، وقال: أهل ملتين لا يتوارثان. وكان أبوه واقفياً.

أسند الحارث عن يزيد بن هارون وطبقته. وتوفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين رحمه الله.

٢٧١ ـ عبد الوهاب بن الحكم

ويقال: ابن الحكم بن نافع الوراق، يكنى أبا الحسن.

عن أبي بكر الحسن بن عبد الوهاب الوراق قال: ما رأيت أبي ضاحكاً قط إلا تبسماً، وما رأيته مازحاً قط، ولقد رآني مرة وأنا أضحك مع أمي فجعل يقول لي: صاحبُ قرآن يضحك هذا الضحك؟ وعن أبي بكر المروزي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: عبد الوهاب الوراق رجل صالح، مثله يوفق لإصابة الحق.

وعنه قال: قال لي عبد الوهاب ـ يعني الوراق ـ: أنت كيف استخرت تقيم بسر من رأى؟ فذكرت ذلك لأحمد فقال: فَلِمَ لَمْ تقل له: ما كان بد للأسير ممن يخدمه. ثم قال: لا نزال بخير ما كان في الناس من ينكر علينا.

= (١/ ١٥٧)، شذرات الذهب (٢/ ١٠٢)، تاريخ بغداد (٨/ ٢١١)، ميزان الاعتدال (١/ ١٩٩)، طبقات الأولياء لابن الملقن (١٧٥)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ٣٤٥)، تهذيب التهذيب (٢/ ١٣٤)، العبر (١/ ٤٤٠).

٢٧١ ـ عبد الوهاب بن الحكم ـ رحمه الله ـ: ذكره في سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٠)، وانظر تاريخ بغداد (١١/ ٢٥)، تهذيب التهذيب (٦/ ٤٤٨)، الجرح والتعديل (٦/ ٧٤).

وعنه قال: سمعت إسحاق بن داود يقول: كنت أدعو عبد الوهاب فأضع الطعام بين يديه فآكل وأتركه فيقول لي: يا أبا يعقوب قل لي: كُلْ. فأتغافل عنه وآكل، فيأخذ بيدي يقول لي: قل لي: كُلْ. فأقول له: فلِمَ دعوتك؟

أسند عبد الوهاب عن يحيى بن سليم الطائفي، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، ومعاذ بن معاذ العنبري في آخرين.

وكان مختصاً بصحبة أحمد بن حنبل، وكان أحمد يقول: إني لأدعو الله له، ومن يقوى على ما يقوى عليه عبد الوهاب؟ وقيل له عند موته: من نسأل بعدك؟ فقال: سلوا عبد الوهاب.

وتوفي سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين ومائتين.

عن عاصم الحربي قال: رأيت في المنام بشر بن الحارث الحافي، فقلت: من أين يا أبا نصر؟ فقال: من عليين. قلت: ما فعل أحمد بن حنبل؟ قال: تركت الساعة أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان ويتنعمان رحمهما الله.

٢٧٢ ـ السَّري بن المُغَلِّس السَّقَطِي

يكنى أبا الحسن؛ خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه، وقد ذكرنا في أخبار معروف أنه دعا له وقال: أغنى الله قلبك. فوقع الزهد في قلبه حينئذ.

عن أبي القاسم ـ سليمان بن محمد الضراب ـ قال: حدثني بعض إخواني أن سرياً السقطي مرت به جارية معها إناء فيه شيء فسقط من يدها فانكسر، فأخذ سري شيئاً من دكانه فدفعه إليها بدل ذلك الإناء، فنظر إليه معروف الكرخي فأعجبه ما صنع! فقال له معروف: بغَّض الله إليك الدنيا.

وعن مظفر بن سهل المقري قال: سمعت علان الخياط ـ وجرى بيني وبينه مناقب سري السقطي ـ فقال علان: كنت جالساً مع سري يوماً فوافته امرأة فقالت: يا أبا الحسن أنا من جيرانك أخذ ابني الطائفُ(١) وأنا أخشى أن يؤذيه! فإن رأيت أن تجيء معي أو تبعث إليه.

قال علان: فتوقعت أن يبعث إليه فقام وكبر وطوّل في صلاته. فقالت المرأة: يا أبا الحسن االلّهَ االلّهَ فيَّ هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان. فسلم وقال لها: أنا في حاجتك.

قال علان: فما برحت حتى جاءت امرأة إلى المرأة فقالت: الحقي قد خلوا ابنك.

قال علان: وأي شيء يُتَعَجَّب من هذا؛ اشترى كُرَّ لَوْزٍ بستين ديناراً وكتب في روزنامجه: ثلاثة دنانير ربحه فصار كر اللوز بتسعين ديناراً، فأتاه الدلال وقال: أريد ذاك اللوز. فقال: خذه. فقال: بكم؟ قال: بثلاثة وستين دينار! قال له الدلال: إن اللوز قد صار الكر بتسعين! فقال له: قد عقدت

---

٢٧٢ ـ السَّرِيُّ السَّقَطي ـ رحمه الله ـ: طبقات السُّلَمي (٤٨)، الحلية (١٠/ ١١٦)، القشيرية (١٢)، وفيات الأعيان (٨/ ٢٥١)، شذرات الذهب (٢/ ١٢٧)، تاريخ بغداد (٩/ ١٨٧)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٣)، طبقات ابن الملقن (٢٣٢).

(١) رجال الشرطة التي تطوف الشوارع.

بيني وبين الله عقداً لا أحله: ليس أبيعه إلا بثلاثة وستين ديناراً! فقال له الدلال: إني قد عقدت بيني وبين الله تعالى: لا أغش مسلماً، لست آخذ منك إلا بتسعين ديناراً! فلا الدلال اشترى منه، ولا سريٌّ باعه، فكيف لا يستجاب دعاء من هذا فعله؟!

وعن ابن أبي الورد قال: دخلت على سري السقطي وهو يبكي ودورقه[1] مكسور فقلت: ما لك؟ قال: انكسر الدورق، فقلت: أنا أشتري لك بدله، فقال لي: تشتري بدله وأنا أعرف من أين الدانق الذي نشتري به الدورق؟ ومن عمله؟ ومن أين طينه؟ وأي شيء أكل عامله حتى فرغ من عمله.

وعن سعيد بن عثمان قال: سمعت سري بن المغلس يقول: غزونا أرض الروم فمررت بروضة خضرة فيها الخيار وحجر منقور فيه ماء المطر، فقلت في نفسي: لئن أكلت يوماً حلالاً فاليوم. فنزلت عن دابتي وجعلت آكل من ذلك الخيار، وشربت من ذلك الماء، فإذا هاتف يهتف بي: يا سري النفقة التي بلغت بها إلى ها هنا من أين؟

وعن الجنيد قال: سمعت سري بن المغلس يقول: أشتهي منذ ثلاثين سنة جزرة أغمسها في الدبس وآكلها فما يصح لي.

وعن حسن المسوحي قال: دفع إلي سري السقطي قطعة فقال: اشتر لي باقلّى من رجل، قِدرُه داخل الباب. فطفت الكرخ كله فلم أجد إلا من قدره خارج الباب، فرجعت إليه فقلت: خذ قطعتك فإني لا أجد إلا من قدره خارج.

وعن أبي عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال: سمعت سرياً السقطي يقول: إني لأذكر مجيء الناس إلي فأقول: اللّهم هب لهم من العلم ما يشغلهم عني فإني لا أريد مجيئهم، ولا أن يدخلوا علي.

وعن علي بن عبد الحميد الغضائري قال: سمعت السري السقطي ودققت عليه الباب فقام إلى الباب فسمعته يقول: اللّهم اشغل من يشغلني عنك بك.

قال ابن المقري: وزادني بعض أصحابنا عنه أنه قال: فكان من بركة دعائه أني حججت أربعين حجة على رِجلي من حلب ذاهباً وراجعاً.

وعن جنيد قال: دخلت على سري وهو جالس يبكي وبين يديه كوز مكسور. فجلست حتى سكتَ فقلت: ما يبكيك؟ قال: كنت صائماً فجاءت ابنتي بكوز فيه ماء فعلقته هناك فقالت: يبرد لك لتفطر عليه. فحملتني عيني فرأيت كأن جارية قد دخلت علي من هذا الباب عليها قميص فضة وفي رجلها نعلان لم أر قدماً قط في نعل أحسن منهما! فقلت لها: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يبرد الماء في الكيزان الخضر. وضربت بكمها الكوز فرمت به وهو هذا، ثم انتبهتُ.

قال جنيد: فمكثت أختلف إليه مدة طويلة أرى الكوز بين يديه مكسوراً عليه التراب وهو لا يرفعه.

---

(١) الدَّرَق: نوع من الترس ـ واحدته: درقة ـ تُتَّخذُ من الجلود وغيرها. ا.هـ. انظر لسان العرب (د ـ ر ـ ق).

وعنه قال: قال لي سري: إن أمكنك ألا تكون آلةُ بيتك إلا خزفاً فافعل. قال لي الجنيد: وهكذا كانت آلة بيته. وسمعت سرياً يقول: رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل. قال: وكان سري إذا جنّ عليه الليل دافع أوله، ثم دافع، ثم دافع فإذا غلبه الأمر أخذ في النحيب والبكاء.

يقول جعفر بن محمد بن نصير: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري قال: ما أرى لي على أحد فضلاً. قيل: ولا على المخنثين؟ قال: ولا على المخنثين؟.

قال السلمي: وسمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: من أراد أن يسلم دينه ويستريح قلبه وبدنه، ويقلَّ غمه فليعتزل الناس، لأن هذا زمان عزلة ووحدة.

وعن عبدوس بن القاسم قال: سمعت السري يقول: كل الدنيا فضول إلا خمس خصال: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره، وبيت يكنه، وعلم يستعمله.

وعن علي بن عبد الحميد الغضائري قال: سمعت السري يقول: من لم يعرف قدر النعم سُلِبها من حيث لا يعلم، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها.

وعنه قال: سمعت السري يقول: قليل في سنَّةٍ خيرٌ من كثير في بدعة، كيف يقلُّ عمل مع تقوى؟ وسمعته يقول: أقوى القوة غِلْبَتُك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز، ومن أطاع مَنْ فوقه أطاعه مَنْ دونه، ومن خاف الله خافه كل شيء.

وقال: إن اغتممت بما ينقص من مالك فابكِ على ما ينقص من عمرك.

وقال: من قلة الصدق كثرةُ الخلطاء، ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس.

وعنه قال: سمعت السري يقول: أجلد الناس من ملك غضبه، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله، ولن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

وعن الجنيد قال: سمعت سرياً يقول: ما أحب أن أموت حيث أُعرَف، أخاف ألا تقبلني الأرض فأُفتَضَح.

وقال: سمعت سرياً يقول: إني لأنظر إلى أنفي في كل يوم مرتين مخافة أن يكون قد اسودَّ وجهي.

قال أحمد بن عبد الله: أخبرني جعفر بن محمد في كتابه قال: سمعت الجنيد قال: سمعت السري بن مغلس يقول: لو أحسست بإنسان يريد أن يدخل عليّ فقلت بلحيتي: كذا ـ وأمرَّ يده على لحيته كأنه يريد تسويتها من أجل دخول الداخل ـ لخفت أن يعذبني الله على ذلك بالنار.

وسمعته يقول: أحب أن آكل أكلة ليس لله عليّ فيها تبعة، ولا لمخلوق علي فيها منة فما أجد إلى ذلك سبيلاً.

وسمعته يقول: خرجنا يوماً من مكة، فلما أصحرنا رأيت في مجرى السيل طاقة بقل، فمددت

يدي فأخذتُها وقلت: الحمد لله، ورجوت أن تكون حلالاً ليس لمخلوق فيها منة، فقال لي بعض من رآني: وقد أخذتها يا أبا الحسن! التفتْ. فالتفتُ. فإذا مثل تلك الطاقة كثير فقال لي: خذ. فقلت له: الطاقة الأولى ليس لأحد فيها منة، وهذا بدلالتك، وإنما أريد ما لا منة فيه لمخلوق، ولا لله فيه تبعة.

قال: وسمعته يقول: كنت بطرسوس فكان معي في الدار فتيان متعبدون، وكان في الدار تنّور يخبزون فيه، فانكسر التنور، فعملت بدله من مالي فتورعوا أن يخبزوا فيه.

وقال له رجل: كيف أنت؟ فأنشأ يقول:

مــن لــم يـبـت والـحـب حـشـوُ فـؤاده لــم يــدرِ كـيـف تَـفَـتُّـتُ الأكـبـاد

وسمعته يقول: اللّهم ما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذلِّ الحجاب.

وسمعته يقول: إذا فاتني جزء من وِردي لا يمكنني أن أقضيه أبداً.

وسمعته يقول: إذا ابتدأ الإنسان ثم كتب الحديث فتر، وإذا ابتدأ بكتبه الحديث، ثم تنسّك نفذ.

وذكر له أهل الحقائق من العباد فقال: أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى.

وسمعته يقول: احذر لا تكون ثناءً منشوراً وعيباً مستوراً.

وسمعته يقول: ـ وقد ذكر الناس فقال ـ : لا تعمل لهم شيئاً، ولا تترك لهم شيئاً، ولا تعط لهم شيئاً، ولا تكشف لهم عن شيء. يريد بهذا أن تكون أعمالك كلها لله تعالى.

قال: وسمعت الحسن البزار يقول: سألت أحمد بن حنبل عن السري بعد قدومه من الثغر؟ فقال: أليس الشيخ الذي يعرف بطيب الغذاء؟ قلت: بلى. فقال: هو على سترة عندنا قبل أن يخرج.

وقد كان السري يكثر من ذكر طيّب الغذاء، وتصفية القوت، وشدة الورع حتى انتشر ذلك، وبلغ أحمد بن حنبل.

قال الجنيد: وكان السري يقول لنا ونحن حوله: أنا لكم عبرة يا معشر الشباب، اعملوا فإنما العمل في الشبيبة. وكان يقول: من الناس ناسٌ لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر، ولا أحسبني إلا منهم.

وسمعت السري يقول: قلوب المؤمنين معلقة بالسوابق، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، هؤلاء يقولون: بماذا يختم لنا؟ وأولئك يقولون: ماذا سبق من الله لنا؟.

وعن أبي عباس المؤدب قال: دخلت على سري السقطي يوماً فقال: لأعجبنك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرواق، فأكون قد أعددت له لُقَيْمة، فأفتُّها في كفي، فيسقط على أطراف أناملي فيأكل، فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتتُ الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان، ففكرت في سري: ما العلة في وحشته مني؟ فوجدتني قد أكلت ملحاً مطيّباً، فقلت في نفسي: أنا تائب من الملح المطيَّب، فسقط على يدي فأكل وانصرف.

وعن الجنيد قال: دخلت على سري فقال: ألا أعجبك من عصفور؟ فذكره.

وعن أبي القاسم الجوهري قال: دخلت على سري فقال: لأعجبنك من عصفور فذكر نحوه.

وعن أبي عبيد بن حربوية قال: سمعت السري السقطي يقول: من النذالة أن يأكل الإنسان بدينه.

وعن علي بن عبد الحميد قال: سمعت السري السقطي يقول: من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه. وسمعته يقول: من عرف ما يَطلب هان عليه ما يبذل.

وعن أبي عبيد بن حربوية قال: سمعت سرياً السقطي يقول: سلب الدنيا عن أوليائه، وحماها عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أوِدَّائه لأنه لم يرضها لهم.

وعن أحمد بن محمد الصوفي قال: سمعت السري بن مغلس يقول: انقطع من انقطع عن الله بخصلتين، واتصل من اتصل بالله بأربع خصال، فأما من انقطع عن الله فإنه يتخطى إلى نافلة بتضييع فرض، والثاني عمل بظاهر الجوارح لم يواطيء عليه صدق القلوب، وأما الذي اتصل به المتصلون: فبلزوم الباب، والتشمير في الخدمة، والصبر على المكاره، وصيانات الكرامات.

وعن أبي بكر النساخ قال: سمعت السري يقول: لو علمت أن جلوسي في البيت أفضل من خروجي إلى المجلس ما خرجت، ولو علمت أن جلوسي معكم أفضل من جلوسي في البيت ما جلست، ولكني إن دخلت اقتضاني العلم لكم، وإن خرجت نافرتني الحقيقة، فأنا عند منافرتي مُسْتَحْيٍ، وأنا عند اقتضاء العلم محجوج.

وعن الجنيد قال: سمعت السري يقول: وددت أن حزن الخلق كلهم علي.

وسمعته يقول: إن في النفس لشغلاً عن الناس.

وعن محمد بن علي الحربي قال: سمعت سرياً يقول: حمدت الله مرة وأنا أستغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة! قيل: وكيف ذلك؟ قال: كان لي دكان وكان فيه متاع، فوقع الحريق في سوقنا، فقيل لي، فخرجت أتعرّف خبر دكاني، فلقيت رجلاً فقال: أبشر؛ فإن دكانك قد سلم! فقلت: الحمد لله. ثم أفكرتُ فرأيتها خطيئة.

وعن الجنيد بن محمد قال: دخلت على سري السقطي فسلمت وجلست. فقال لي: اقرب مني. فقربت منه فأخذ بيدي وقال لي: اعلم يا بني أن الشوق والأنس يرفرفان على القلب، فإن وجدا هنالك الهيبة والإجلال حلاّ، وإلا رحلا.

وعن ابن مسروق قال: سمعت سرياً يقول: ثلاث من كنّ فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

وعن جنيد قال: سمعت سرياً يقول: إذا فاتني شيء من وردي لم أقدر أن أعيده.

قال جنيد: كان سري متصل الشغل، وكان إذا فاته شيء لا يقدر أن يعيده، وكذا كان عمر بن الخطاب لم يكن له وقت ينام فيه، فكان ينعس وهو قاعد! فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا تنام؟ فقال: كيف أنام؟ إن نمت بالنهار ضيعت أمور المسلمين! وإن نمت بالليل ضيعت حظي من الله عز وجل!.

وعنه قال: أخبرنا سري السقطي قال: صليت ليلة، ثم جلست ساعة ومددت رجلي، فنوديت في سري: يا سَرِي مَنْ جالس الملوك ينبغي أن يُحسن الأدب.

وعن حسن البزار قال: كان أحمد بن حنبل ههنا، وكان بشر بن الحارث ههنا، وكنا نرجو أن يحفظنا الله بهما، ثم ماتا وبقي سَرِيُّ، فإني أرجو أن يحفظنا الله بسَرِيٍّ.

وعن الجنيد قال: ما رأيت أعبد لله من السري السقطي: أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في علة الموت.

وعن القاسم بن عبد الله البزار قال: سمعت سري بن المغلس يقول: لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الأشجار، عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار، فخاطبه كل طائر منها بلغته وقال: السلام عليك يا ولي الله، فسكنت نفسه إلى ذلك [كان][1] في يدها أسيراً.

وعن إبراهيم بن السري السقطي قال: سمعت أبي يقول: عجبت لمن غدا وراح في طلب الأرباح وهو مثلَ نفسه لا يربح أبداً.

وسمعت أبي يقول: لو أشفقت هذه النفوس على أديانها شفقتها على أولادها لاقت السرور في معادها.

وعن الجنيد بن محمد قال: سمعت سرياً يقول: لولا الجمعة والجماعة لسددت على نفسي الباب، ولم أخرج.

وعن ابن مسروق قال: سمعت سرياً يقول لإخوانه: الدهر ثلاثة أيام: يوم مضى بؤسه وشدته وغمه لم يبق منه شيء، واليوم الذي أنت فيه صديقٌ مودِّع لك، طويل الغيبة عنك، سريع الرحلة عنك، وغداً في يديك تأميله، ولعلك من غير أهله.

وقال: أمس أجلٌ، واليوم عملٌ، وغداً أملٌ.

وقال الجنيد: كنت نائماً عند سري رحمه الله فأنبهني فقال لي: يا جنيد رأيت كأني قد وقفت بين يدي الله تعالى، فقال لي: يا سَرِي خلقت الخلق، فكلهم ادّعى محبتي، وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العشر، وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي معي عشر العشر، فسلطت عليهم ذرة من البلاء، فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر! فقلت للباقين معي: لا الدنيا أردتم، ولا الجنة أخذتم، ولا من النار هربتم، فماذا تريدون؟ قالوا: إنك تعلم ما نريد. فقلت لهم: فإني مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسي أتصبرون؟ قالوا: إذا كنت أنت المبتلي لنا فافعل ما شئت. فهؤلاء عبادي حقاً.

وعنه قال: كنت يوماً عند السري بن مغلس وكنا خاليين وهو متزر بمئزر، فنظرت إلى جسده

---

(١) في المطبوع «كانت».

كأنه جسد سقيم دنف مضنى كأجهد ما يكون، فقال: انظر إلى جسدي هذا لو شئت أن أقول: إن ما بي من المحبة لله تعالى لكان كما أقول. وكان وجهه اصفرّ، ثم أُشرب حمرة حتى تورّد، ثم اعتلَّ فدخلت عليه أعوده فقلت له: كيف تجدك؟ فقال:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي؟ والذي بي أصابني من طبيبي

فأخذت المروحة أروحه فقال لي: كيف يجد روح المروحة مَنْ جوفُه يحترق من داخل؟ ثم أنشأ يقول:

القلب محترق، والدمع مستبق والكرب مجتمع، والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق؟
يا رب: إن كان شيء فيه لي فرَج فامننْ عليَّ به ما دام بي رمق

وعنه قال: دخلت على سري السقطي ـ وهو في النزع ـ فجلست عند رأسه، فوضعت خدي على خده فدمعت عيناي، فوقع دمعي على خده؟ ففتح عينيه، فقال لي: من أنت؟ قلت: أنا خادمك الجنيد. فقال: مرحباً. فقلت له: أيها الشيخ أوصني بوصية أنتفع بها بعدك؟ قال: إياك ومصاحبة الأشرار، وأن تنقطع عن الله بصحبة الأخيار.

وقد رواها جعفر الخلدي عن الجنيد أيضاً.

أسند سري عن هشيم، وأبي بكر بن عياش، ويزيد بن هارون، وغيرهم، وصحب معروفاً الكرخي.

قال أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي: توفي سري بن المغلس يوم الثلاثاء لستٌ خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

وعن أبي الحسن بن مقسم المقري قال: مات سري سنة إحدى وخمسين ومائتين.

وقال المصنف رحمه الله: والأول أصح.

وعن أبي عبيد بن حربوية قال: حضرت جنازة سري السقطي فسررت، فحدثنا رجل عن آخر أنه حضر جنازة سري السَّقَطي، فلما كان في بعض الليل رآه في النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلى علي. فقلت: فإني ممن حضر جنازتك، وصلى عليك. قال: فأخرج درجاً فنظر فيه فلم ير لي فيه اسماً، فقلت: بلى قد حضرت! قال: فنظر فإذا اسمي في الحاشية. رحمه الله، ورضي عنه.

٢٧٣ ـ علي بن الموفق أبو الحسن العابد

عن محمد بن أحمد بن المهدي قال: سمعت علي بن الموفق ما لا أحصيه يقول: اللّهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفاً من نارك فعذبني بها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حباً مني لجنتك وشوقاً

---

٢٧٣ ـ علي بن الموفق ـ رحمه الله ـ: طبقات ابن الملقن (٣٤٠)، تاريخ بغداد (١٢/ ١١٠)، طبقات الحنابلة (١/ ٢٣٠)، تاريخ ابن كثير (١١/ ٣٨)، تاريخ ابن الجوزي «المنتظم» (٥/ ٥٣)، الحلية (١٠/ ٣١٢).

مني إليها فاحرمينها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حباً مني لك وشوقاً مني إلىٰ وجهك الكريم فأبِحْنِيه واصنعْ بي ما شئت.

قال: وسمعتُهُ يقول: خرجت يوماً لأؤذن فأصبتُ قرطاساً فأخذته ووضعته في كمي، وأقمت وصليت، فلما صليت قرأته فإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي يا ابن الموفق: تخاف الفقر وأنا ربك؟

وعن عبد الله بن العباس الطيالسي قال: سمعت علي بن الموفق يقول: قام رجل من إخوانكم في ليلة باردة فلما تهيأ للصلاة إذا شِقاق[1] في يديه ورجليه فبكى! فهتف به هاتف من البيت: أيقظناك وأنمناهم وتبكي علينا!

وعن عبد الرحمن بن عبد الباقي بطرسوس قال: سمعت بعض مشايخنا يقول: قال علي بن الموفق: لما تم لي ستون حجة خرجت من الطواف وجلست بحذاء الميزاب، وجعلت أتفكر: لا أدري أي شيء حالي عند الله؟ وقد كثر ترددي إلى هذا المكان، قال: فغلبتني عيني فكأن قائلاً يقول: يا علي أتدعو إلى بيتك إلا من تحبه؟ فانتبهت وقد سرِّي عني ما كنت فيه.

وعن محمد بن إسحاق السراج قال: سمعت علي بن الموفق يقول: حججت نيِّفاً وخمسين حجة فنظرت إلى أهل الموقف وضجيج أصواتهم فقلت: اللّهم إن كان في هؤلاء أحد لم تتقبّل حجّه فقد وهبت حجتي له، فرحت إلى مزدلفة فبتُّ بها فرأيتُ رب العزة تعالى في المنام فقال لي: يا علي يا ابن الموفق تتسخَّى عليَّ؟ قد غفرت لأهل الموقف ولأمثالهم، وشفعت كل واحد منهم في أهل بيته وعشيرته وذريته، وأنا أهل التقوى، وأهل المغفرة.

وعن أحمد بن عبد الله الحفار قال: رأيت أحمد بن حنبل في النوم فقلت: يا أبا عبد الله ما فعل الله بك؟ قال: حباني وأعطاني وقربني وأدناني. قال: قلت: الشيخ الزمِن علي بن الموفق ما صنع الله به؟ قال: الساعة تركته في زُلال ـ يريد العرش ـ.

قال المؤلف: أسند ابن الموفق عن منصور بن عمار، وأحمد بن أبي الحواري.

وتوفي سنة خمس وستين ومائتين. رحمه الله.

٢٧٤ ـ أبو شعيب البراثي العابد

قال الجنيد بن محمد: أبو شعيب البراثي أول من سكن براثا في كوخ يتعبّد، فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار أبناء الدنيا فتجردت مما كانت فيه، وتزوجت به، مكثا سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة، وتوفيا على ذلك متعاونين. رحمهما الله.

---

(١) شقاق: من انشقّ الشيء: تفرّق.

٢٧٤ ـ أبو شعيب البراثي العابد ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ٣٢٣).

٢٧٥ ـ أبو عبد الله بن أبي جعفر البراثي

عن أبي مريم قال: قلت لأبي عبد الله البراثي: كم تبكي؟ كم هذا البكاء؟ فأخرج إلي يده وإذا على إصبعه شعرة ملفوفة فنشرها، ثم قال: إذا كان المَجَاز على مثل هذه فأي قدم يثبت على مثل هذا؟ ثم بكى.

وعن حكيم بن جعفر قال: سمعت أبا عبد الله البراثي يقول: لن يرد القيامة أرفعُ درجة من الراضين عن الله على كل حال، ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات، ومن زهد على حقيقة كانت مؤنته خفيفة، ومن لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال.

وعنه قال: سمعت أبا عبد الله البراثي يقول: كرمك أَطْمعَنا سيدي في عفوك، وجودك أَطْمعَنا في فضلك، وذنوبنا قد تؤيسنا من ذلك، وتأبى قلوبنا لمعرفتها بك أن تقطع رجاءها بك منك، فتفضل أيها الكريم، وجُدْ بعفوك يا رحيم.

وعنه قال: سمع أبا عبد الله البراثي يقول: بالمعرفة هانت على العاملين العبادة، وبالرضا عن الله عز وجل في تدبيره زهدوا في الدنيا، ورضوا منها لأنفسهم بتقديره.

وعنه قال: سمعت أبا عبد الله البراثي يقول: من كرمت نفسه عليه رغب بها عن الدنيا.

وعن البرجلاني قال: سمعت أبا عبد الله البراثي يقول: حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع، نذلّ لمن لا يقدر لنا على ضرر ولا على نفع، ونخضع لمن لا يملك لنا رزقاً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً، فكيف أزعم أني أعرف ربي حق معرفته وأنا أصنع ذلك؟ هيهات هيهات!!.

٢٧٦ ـ أبو جعفر المحولي

سكن باب المحول من بغداد فنسب إليه.

عن إسماعيل بن إبراهيم الترجماني قال: سمعت أبا جعفر المحولي ـ وكان عابداً عالماً ـ يقول: حرام على قلب محب الدنيا أن يسكنه الورع الخفي، وحرام على نفس عليها رياسة الناس أن تذوق حلاوة الآخرة، وحرام على كل عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذه المتقون إماماً.

وعن عبد الله بن أبي حبيب قال: سمعت أبا جعفر المحولي يقول: إليك أشكو بدناً غذي بنعمتك، ثم توثب على معاصيك.

وعن الصلت بن حكيم قال: قال أبو جعفر المحولي يوماً ـ وذكر عنده الفالوذج فقال ـ: إن قلباً يتفرغ لصنعة الفالوذج حتى يأكله لقلب فارغ جداً! ثم بكى.

وعنه قال: سمعت أبا جعفر المحولي يقول: إذا جاع العبد صفا بدنه، ورقّ قلبه، وهطلت دمعته، وأسرعت إلى الطاعة أطواره وجوارحه، وعاش في الدنيا كريماً.

---

٢٧٥ ـ أبو عبد الله بن أبي جعفر البراثي ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ٣٥٤).

٢٧٦ ـ أبو جعفر المحولي ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ١٤٤).

٢٧٧ ـ إبراهيم الآجري الكبير

عن عبدون الزجاج قال: قال إبراهيم الآجري ـ وكان من الفاضلين ـ: لأن تردّ همك إلى الله عز وجل ساعة خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس.

٢٧٨ ـ أبو بكر: محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطري

عن ابن المنادي قال: أبو بكر محمد القنطري كان ينزل قنطرة البردان، وكان يشبه في الزهد والورع والشغل عن الدنيا وأهلها ببشر بن الحارث، وكان قوته شيئاً يسيراً، إنما كان فيما أخبرت عنه يكتب «جامع سفيان الثوري» لقوم لا يشك في صلاحهم ببضعة عشر درهماً، فمنها قُوْتُه.

وقالوا: كان له ابن أخت حَدَثٌ فرآه يلعب بالطيور، فدعا الله أن يميته، فما أمسى يومه ذلك إلا ميتاً[١].

وعن أبي بكر أحمد بن محمد المروزي قال: دخلت على أبي بكر بن مسلم صاحب قنطرة البردان يوم عيد فوجدته عليه قميص مرفوع نظيف ومطبق، وقدّامه قليلُ خرنوب يقرضه فقلت: يا أبا بكر اليوم عيد الفطر وتأكل خرنوباً؟ فقال لي: لا تنظر إلى هذا، ولكن انظر إن سألني عنه من أين هو؟ إيش أقول؟ وقال الجنيد بن محمد: عبرت يوماً إلى أبي بكر بن مسلم في نصف النهار فقال: ما كان لك في هذا الوقت عمل يشغلك عن المجيء إلي؟ قلت: إذا كان مجيئي إليك عملاً فما أعمل!!

وعنه قال: كان لي شيوخ كانت رؤيتهم لي قوة من الأسبوع إلى الأسبوع، وإن أبا بكر بن مسلم منهم.

وعن أبي بكر المروزي قال: سمعت أبا بكر بن مسلم يقول: الدنيا لأي شيء تُراد؟ إن كان إنما تراد للذة فلا كانت الدنيا ولا كان أهلها! إنما تراد الدنيا أن يطاع الله فيها.

توفي أبو بكر بن مسلم يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة ستين ومائتين.

٢٧٩ ـ أبو جعفر بن السماك العابد

عن سري السقطي قال: دخل عليَّ أبو جعفر بن السماك ـ وكان شيخاً متعبِّداً متروياً ـ فرأى عندي جماعة فوقف ولم يقعد، ثم نظر إليَّ وقال: يا سري صرت مناخ البطّالين! ورجع ولم يقعد، وكره اجتماعهم حولي.

قال المؤلف: هكذا روي لنا في نسبه أبو جعفر بن السماك!.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: هو أبو جعفر السماك بغدادي من مشايخ سري السقطي.

---

٢٧٧ ـ إبراهيم الآجري الكبير ـ رحمه الله ـ: ذكره في ترجمة ابنه الخطيبُ البغدادي في تاريخ بغداد (٦/ ٢١١).

٢٧٨ ـ أبو بكر القنطري ـ رحمه الله ـ: ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٢٥٦).

(١) ولا شكّ أن ذلك مخالفٌ للسنّة الناهية عن الدعاء على الآخر المسلم، ولا حجة في وهم المشابهة مع ما ورد في سورة الكهف إلى «وما فعلته عن أمري» وأين الأمر هنا؟

٢٧٩ ـ أبو جعفر بن السماك ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (١٤/ ٤١١).

٢٨٠ ـ أيوب الحمال

يكنى أبا سليمان، من العباد المجتهدين من ذوي الكرامات، وهو من أقران بشر وسري، وصحب سهل بن عبد الله.

عن محمد بن خالد قال: سمعت أيوب الحمال يقول: عقدت على نفسي ألا أمشي غافلاً ولا أمشي إلا ذاكراً، فمشيت مشية فأخذتني عرجة فعلمت من أين أُتيتُ؟ فبكيت واستغثت وتُبتُ فزالت العلة والعرجة، فرجعت إلى الموضع الذي غفلت فيه، فرجعت إلى الذكر، فمشيت سليماً.

وعن أحمد بن محمد بن وهب عن بعض أصحابه: أنه حج مع أيوب الحمال. قال: فلما أن ظعنَّا في البادية وسرنا منازل إذا عصفور يحوم علينا وحولنا فرفع أيوب رأسه فنظر إليه فقال له: قد جئت إلى ههنا، وأخذ خبزاً ففتَّه له في كفه فوقع العصفور على يده وجعل يأكل منها، ثم صب له ماء فشرب، ثم قال له: اذهب الآن. فطار العصفور، فلما كان من الغد رجع العصفور ففعل به أيوب مثل ما فعل في اليوم الأول، ثم لم يزل يفعل به ذلك حتى انتهى إلى آخر السفرة.

٢٨١ ـ محمد بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن عبد الصمد

مولى سعيد بن العاص القرشي، يكنى أبا الحسن، ويلقب بحبش، ويعرف: بابن أبي الورد.

عن علي بن عبد الحميد قال: سمعت محمد بن أبي الورد يقول: هلاك الناس في حرفين: اشتغال بنافلة، وتضييع فريضة، وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه، وإنما منعوا الوصول بتضييع الأصول.

وعن أبي بكر الصوفي الإسكاف قال: سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن أبي الورد يقول: أشكرُ الخلق لله عز وجل من لم ير أنه شكر الله عز وجل قط.

وعن جعفر بن محمد قال: سئل محمد بن أبي الورد عن قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨] قال: من ظن في إساءته أنه محسن.

وقال: من آداب الفقير في فقره تركُ الملامة والتعيير لمن ابتلي بطلب الدنيا، والرحمة والشفقة عليه، والدعاء له ليريحه الله من تعبه فيها.

وعن عبد الرحمن بن أحمد قال: سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن أبي الورد يقول: إن لله عز وجل يوماً لا ينجو من شره منقادٌ لهواه، وإن أبطا الصرعى نهضةً يوم القيامة صريعُ الشهوة، وإن العقل معدن، والفكرمعول، فبقدر الطاقة والقوة يكون انتهاؤه، وعلى العاقل مراعاة قلبه، وحفظ ساعته لا غير.

وعن أبي الحسين ابن المنادي قال: أبو الحسن محمد بن محمد ـ المعروف بحبش بن أبي الورد

---

٢٨٠ ـ أيوب الحمال ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ٣١٣).

ـ ما زال مشهوراً بالورع والزهد والفضل والانكماش في العبادة حتى فارق الدنيا.

قال المؤلف: أسند محمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم، وبشر الحافي، وصحب سرياً والمحاسبي.

وتوفي في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين. رحمه الله.

٢٨٢ ـ أخوه أحمد بن محمد بن أبي الورد

وقيل: يكنى أبا الحسن أيضاً.

وعن جعفر بن محمد قال: قال أحمد بن أبي الورد: ولي الله إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

وقال: وصل القوم بخمس: بلزوم الباب، وترك الخلاف، والنفاذ في الخدمة، والصبر على المصائب، وصيانة الكرامات.

وعن أبي علي الروذباري قال: كان أحمد ومحمد ابنا محمد بن أبي الورد صحبا أبا عبد الله الساجي، وكان أبو عبد الله يقول: من أراد أن يخدم الفقراء فليخدم خدمة ابنَي الورد؛ صحباني عشرين سنة ما سألاني مسألة قط، وما رأيت منهما منكراً قط.

صحب أحمد بن أبي الورد بشراً الحافي، والحارث المحاسبي، وسرياً، ومات قبل أخيه محمد.

٢٨٣ ـ الحسن الفلاس

تأدب ببشر الحافي، وعاصر سرياً السقطي، وكان سري يفخِّم أمره.

عن وهب بن نعيم بن الهيصم قال: جاء حسن الفلاس إلى بشر بن الحارث مرة ومرتين وثلاثاً يتردد إليه في مسألة ليكون الحجة فيما بينه وبين الله تعالى، فتركه بشر وقام مرة ومرتين وثلاثاً. فلما كان بعد ذلك تبعه إلى المقابر، فلما صار إلى المقابر وقف بشر فقال له: يا حسن أيودُّ هؤلاء أن يُرَدَّوُا فيصلحوا ما أفسدوا؟ ألا فاعلم يا حسن أنه من فرح قلبُه بشيء من الدنيا أخطأ الحكمة قلبُه، ومن جعل شهوات الدنيا تحت قدميه فَرَق الشيطان من ظله، ومن غلب هواه فهو الصابر الغالب، ألا واعلم أن البلاء كله في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إياه، فإذا لقيته فقل قال لي.

فرجع الحسن فعاهد الله ألا يأكل ما يباع ولا ما يشترى، ولا يلبس ما يباع ولا ما يشترى، ولا يمسك بيده ذهباً ولا فضة، ولا يضحك أبداً. وكان يأوي ستة أشهر في العباسية، وستة أشهر حول دار البطيخ، ويلبس ما في المزابل.

ولقيه رجل بالذندرن منصرفاً على هذه الصورة فقال: يا حسن من ترك شيئاً لله عوضه الله ما هو خير منه ـ يعني فما عوضك؟ قال الحسن: الرضا بما ترى.

فلما رجع من غزاته خرج به خراج وكانت فيه ميتته، فلما اشتد به الأمر قال لمولاة له: لا

تسقيني ماء حتى أطلب منك. فلما قرب منه الأمر طلب منها الماء فشرب وقال: لقد أعطاني ما يتنافس فيه المتنافسون.

وعن سري السقطي قال: تعجبني طريقة حسن الفلاس؛ وكان حسن الفلاس لا يأكل إلا القمامة(١) رحمه الله.

٢٨٤ ـ محمد بن منصور الطوسي

يكنى أبا جعفر، أصله من طوس، سكن بغداد، ومات بها، أثنى عليه أحمد بن حنبل.

وعن أحمد بن محمد بن الفضل المؤذن قال: سمعت محمد بن منصور الطوسي وحواليه قوم فقالوا له: يا أبا جعفر أي شيء عندك اليوم، فقد شك الناس فيه: يوم عرفة هو أو غيره؟ فقال: اصبروا. فدخل البيت، ثم خرج فقال: هو عندي يوم عرفة. فاستحيوا أن يقولوا: من أين لك ذلك؟ فعدوا الأيام والليالي فكان اليوم الذي قال. فجاء إليه ابن سلام فقال: من أين علمت أنه يوم عرفة؟ قال: دخلت البيت فسألت ربي تعالى فأراني الناس في الموقف.

وعن الحسن بن علوية قال: قال محمد بن منصور: ست خصال يعرف بها الجاهل: الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعظة في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه.

أسند محمد بن منصور عن هاشم بن القاسم وغيره، ومسانيده كثيرة.

وتوفي يوم الجمعية لستٍّ بقين من شوال سنة أربع وخمسين ومائتين رحمه الله.

٢٨٥ ـ محمد السمين الخلدي

قال الجنيد: قال لي محمد السمين: كنت في وقت من الأوقات أعمل على الشوق، وكنت أجد من ذلك شيئاً أنه به مشتغل، فخرجت إلى الغزو وهذه الحالة حالي، وغزا الناس وغزوت معهم، فكثر العدو على المسلمين، وتقاربوا والتقوا، ولزم المسلمين من ذلك خوفٌ لكثرة الروم.

قال أحمد: فرأيتُ نفسي في ذلك الموطن وقد لحقها روع فاشتدّ ذلك عليّ وجعلت أوبخ نفسي وألومها وأؤنبها وأقول لها: كذابة! تدّعين الشوق فلما جاء الموطن الذي يؤمل في مثله الخروج اضطربت وتغيرت؟! فأنا أوبخها إذ وقع لي: انزل إلى النهر فاغتسل. فخلعت ثيابي واتزرت ودخلت النهر فاغتسلت وخرجت، وقد اشتدت لي عزيمة لا أدري ما هي؟ فخرجت بقوة تلك العزيمة ولبست ثيابي وأخذت سلاحي ودنوت من الصفوف، وحملت بقوة تلك العزيمة حملة وأنا لا أدري كيف أنا؟ فخرقت صفوف المسلمين وصفوف الروم حتى صرت من ورائهم، ثم كبرت تكبيرة فسمع الروم تكبيراً فظنوا أن كميناً قد خرج عليهم من ورائهم فولّوا، وحمل عليهم المسلمون فقتل من الروم بسبب تكبيرتي تلك نحو أربعة آلاف، وجعل الله عز وجل ذلك سبباً للفتح والنصر.

---

(١) أي: الطعام البائت، لا الملقَيّ في القمامة لفساده.

٢٨٦ - زهير بن محمد بن قمير

ابن شعبة: أبو محمد، مروزي الأصل، سكن بغداد.

عن أبي القاسم - أحمد بن منيع - قال: ما رأيت بعد أبي عبد الله أحمد بن حنبل أزهد من زهير ابن قمير.

وعن محمد بن زهير بن قمير قال: كان أبي يجمعنا في وقت ختمة القرآن في شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث مرات: تسعين ختمة في شهر رمضان.

وعن عبد الله بن البغوي قال: سمعت زهيراً يقول: أشتهي لحماً من أربعين سنة ولا آكله حتى أدخل الروم. فأكله من مغانم الروم.

أسند زهير بن محمد بن قمير عن الحسين بن محمد المروزي، والحسن بن موسى الأشيب، ويعلى بن عبيد، والقعنبي، وعبد الرزاق، في آخرين.

وانتقل في آخر عمره إلى طرسوس، فرابط بها إلى أن توفي بها في سنة سبع وخمسين، وقيل: ثمان وخمسين ومائتين.

وذكر أبو الحسن ابن المنادي: أنه دفن في مقابر باب حرب. والصحيح الأول.

٢٨٧ - إبراهيم بن هانىء

أبو إسحاق النيسابوري. رحل في طلب العلم إلى البلدان، واستوطن بغداد، واختفى عنده أحمد بن حنبل، وكان يثني عليه ويقول: لا أطيق ما يطيق إبراهيم من العبادة.

عن أبي بكر النيسابوري قال: حضرت إبراهيم بن هانىء عند وفاته، فقال لابنه إسحاق: أنا عطشان. فجاءه بماء فقال: غابت الشمس؟ قال: قال لا. قال: فرده.

ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] ثم خرجت روحه.

وعنه قال: حضرت إبراهيم بن هانىء النيسابوري يوم وفاته فدعا ابنه إسحاق فقال: هل غربت الشمس؟ قال: لا. ثم قال: يا أبة رخص لك في الإفطار في الفرض وأنت متطوع؟ قال: أمهل. ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، ثم خرجت نفسه.

وعن أبي بكر بن زنجويه قال: قال أحمد بن حنبل: إن كان ببغداد من الأبدال أحدٌ فأبو إسحاق إبراهيم بن هانىء.

أسند إبراهيم بن هانيء عن يعلى، ومحمد ابني عبيد، وقبيصة، وأبي اليمان في خلق كثير.

---

٢٨٦ ـ زهير بن محمد بن قمير ـ رحمه الله ـ: شذرات الذهب (٢/ ١٣٦)، تاريخ بغداد (٨/ ٤٨٤)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥١)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٤٧)، تاريخ ابن الجوزي (٥/ ٤)، الكاشف (١/ ٤٠٧)، تقريب التهذيب (١/ ٢١٧).

٢٨٧ ـ إبراهيم بن هانىء ـ رحمه الله ـ: شذرات الذهب (٢/ ١٤٩)، العبر (٢/ ٣٠)، تاريخ ابن الجوزي (٥/ ٥٠)، تاريخ بغداد (٦/ ٢٠٤)، الجرح والتعديل (٢/ ١٤٤).

وتوفي يوم الأربعاء لأربع خلون من ربيع الآخر خمس وستين ومائتين رحمه الله.

٢٨٨ ـ فتح بن شحرف بن داود

ابن مزاحم: أبو نصر الكشي، قال: البربهاري: سمعت ابن شحرف يقول: رأيت رب العزة جلّ وعز في النوم فقال: يا فتح احذر لا آخذك على غِرة! قال: فتهت في الجبال سبع سنين.

وعن رويم بن أحمد قال: لقيني يوماً الفتح بن شحرف فقال: يا أبا محمد أنت أمين الله على نفسك لا ترى عليَّ شيئاً محتاج إليه ولا عندي شيء تزحمك الحاجة إليه فتتخلف عن أخذه.

وعن محمد بن المسيب قال: قال الإمام أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثلَ فتح بن شحرف.

وعن الحسين بن يحيى الأرموي قال: كتب فتح بن شحرف على باب بيته: رحم الله ميتاً دخل على هذا الميت فلم يذكر الموتى عنده إلا بخير.

وقال أحمد بن عبد الجبار: سمعت أبي يقول: صحبت فتح بن شحرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء، ثم رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه ونظر إلى السماء، ثم قال: قد طال شوقي إليك، فعجِّل قدومي عليك.

وعن أبي الحسين الحمادي القاضي قال: سمعت الفتح بن شحرف يقول: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ في النوم فقلت له: يا أمير المؤمنين أوصني؟ قال لي: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء، وأحسن من ذلك تيهُ الفقراء على الأغنياء. قال: فقلت له: زدني فأوما إلي بكفِّه فإذا فيه مكتوب:

قد كنت ميتاً فصرت حياً ... وعن قليل تصير ميتاً
[أعيى] بدار الفناء بيتٌ ... فابنِ بدار البقاء بيتا[1]

حدث الفتح بن شحرف عن رجاء بن مرجا، وجعفر بن عبد الواحد، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه وغيرهم.

وتوفي يوم الثلاثاء للنصف من شوال من سنة ثلاث وسبعين ومائتين، ودفن في المقبرة التي بين باب حرب وباب قطر بل، وصلى عليه بدر المغازلي.

قال أبو محمد الحريري: غسلت الفتح بن شحرف فقلَّبته على يمينه فإذا على فخذه الأيمن مكتوب «خلقه الله» كتابةً بينة قال جعفر: ورأيت الفتح بين شحرف هذا وكان رجلاً صالحاً زاهداً لم يأكل الخبز ثلاثين سنة، وكان ذا أخلاق حسنة، وكان يطعم الفقراء ومن يزوره من الأصحاب الطعام الطيب، وكان حسن العبادة والورع والزهد.

---

٢٨٨ ـ فتح بن شحرف ـ رحمه الله ـ: ذكره في السير باسم «فتح بن سخرف» بالسين بدل الشين المعجمة (٨/ ٣٨٧) وذكره البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٩٨) كذلك، وفي تاريخ الإسلام للذهبي (٢٨ برقم ٣١٢) «شخرف» بالشين والخاء. والذي في المطبوع من صفة الصفوة «شحرف» بالشين والحاء في المواضع كلها.

(١) ذكره في تاريخ بغداد (٩/ ٤٢٥) و(١٢/ ٣٨٧) وما بين معقوفين منه. وفي المطبوع «أغنى». .

عن أبي محمد الحريري قال: غسلنا الفتح بن شحرف فرأينا على فخذه مكتوباً: «لا إله إلا الله» فتوهمناه مكتوباً فإذا هو عرق داخل الجلد.

وعن إسحاق بن إبراهيم بن هانىء قال: لما مات فتح بن شحرف ببغداد صُلِّي عليه ثلاثاً وثلاثين مرة، أقل قوم كانوا يصلون عليه يعدون خمسة وعشرين ألفاً إلى ثلاثين ألفاً. رحمه الله.

٢٨٩ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة، وأصله من مرو، وكان إماماً في جميع العلوم، وله التصانيف الحسان، وكان زاهداً في الدنيا، وكان يقول: صحبت قوماً من الكرخ في طلب الحديث فسموني الحربي لأن عندهم أن من جاوز قنطرة العتيقة من الحربية.

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد قال: سمعت إبراهيم بن إسحاق الحربي يقول: أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهنّ بعيشه. كان يكون قميصي أنظف قميص وإزاري أوسخ إزار ما حدثت نفسي أنهما يستويان قط، وفرد عقبي مقطوع والآخر صحيح أمشي بهما وأدور بغداد كلها هذا الجانب وذاك الجانب لا أحدث نفسي أن أصلحها، وما شكوت إلى أمي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي قط حمّى وجدتُها. الرجلُ الذي يدخل غمه على نفسه ولا يغمّ عياله، وكان برأسي شقيقة خمساً وأربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت به أحداً، وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيفين؛ إن جاءتني بهما أمي أو أختي أكلت وإلا بقيت جائعاً عطشان إلى الليلة الثانية، وأفنيت ثلاثين سنة من عمري برغيف في اليوم والليلة إن جاءتني امرأتي أو إحدى بناتي به أكلته وإلا بقيت جائعاً عطشان إلى الليلة الأخرى، والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة إن كانت برنياً أو نيفاً وعشرين إن كان دقلاً، ومرضت ابنتي فمضت امرأتي فأقامت عندها شهراً فقام إفطاري في هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف، ودخلت الحمام واشتريت لهم صابوناً بدانقين، فقام نفقة شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دوانيق ونصف.

وعن القاسم بن بكير قال: سمعت إبراهيم الحربي يقول: ما كنا نعرف من هذه الأطبخة شيئاً، كنت أجيء من عشاء إلى عشاء وقد هيأت لي أمي باذنجانة مشوية ،أو لعقة بن، أو باقة فجل.

وقال أبو بكر بن علي الخراط: كنت يوماً جالساً مع إبراهيم بن إسحاق على باب داره، فلما أن أصبحنا قال لي: يا أبا علي قم إلى شغلك، فإن عندي فجلة قد أكلت البارحة خضرتها أقوم أتغذّى بجزرتها.

وعن أبي عثمان الرازي قال: جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد، يسأله عن أمر أمير المؤمنين يفرق ذلك فرده، فانصرف الرسول، ثم عاد

---

٢٨٩ ـ إبراهيم بن إسحاق الحربي ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٦)، شذرات الذهب (٢/ ١٩٠)، طبقات الحفاظ (٢٥٩)، تاريخ ابن كثير (١١/ ٧٩)، طبقات السبكي (٢/ ٢٥٦)، العبر (٢/ ٧٤)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٣)، تاريخ بغداد (٦/ ٢٨)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٤).

فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك. فقال: عافاك الله، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه، فلا نشغلها بتفرقته! قل لأمير المؤمنين: إن تركتنا، وإلا تحولنا من جوارك.

وعن أبي القاسم الجبلي قال: اعتلّ إبراهيم الحربي علة حتى أشرف على الموت فدخلت إليه يوماً فقال لي: يا أبا القاسم أنا في أمر عظيم مع ابنتي. ثم قال لها: قومي اخرجي إلى عمّك. فخرجت فألقت على وجهها خمارها فقال لها إبراهيم: هذا عمك كلّميه. فقالت لي: يا عم نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في الآخرة، الشهر والدهر ما لنا طعام إلا كِسَرٌ يابسة وملح وربما عُدِمنا الملح! وبالأمس قد وجه إليه المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها، ووجه إليه فلان وفلان فلم يأخذ منهما شيئاً وهو عليل.

فالتفت الحربي إليها وتبسم وقال: يا بنية إنما خفتِ الفقر؟ قالت: نعم. قال: انظري إلى تلك الزاوية. فنظرت فإذا كتبٌ فقال: هناك اثنا عشر ألف جزء لغة وغريب كتبته بخطي، إذا مت فوجهي كل يوم بجزء فبيعيه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقير.

وقال أحمد بن سليمان القطيعي: أضقت إضاقة فمضيت إلى إبراهيم الحربي لأبثه ما أنا فيه، فقال لي: لا يضيق صدرك فإن الله من وراء المعونة، إني أضقت مرة إلى أن انتهى أمري في الإضاقة إلى أن عدم عيالي قوتهم، فقالت لي الزوجة: هب أني وإياك نصبر فكيف نعمل بهاتين الصبيتين؟ فهات شيئاً من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه؟ فضننت بذلك فقلت: اقترضي لهما شيئاً وأنظريني بقية اليوم والليلة. وكان لي بيت في دهليز داري فيه كتبي وكنت أجلس فيه للنسخ والنظر.

فلما كان في تلك الليلة إذا داقٌّ يدق الباب فقلت: من هذا؟ فقال: رجل من الجيران. فقلت: ادخل. فقال: أطفىء السراج حتى أدخل، فكببت على السراج شيئاً وقلت: ادخل. فدخل وترك إلى جانبي شيئاً وانصرف، فكشفت على السراج ونظرت فإذا منديل له قيمة وفيه أنواع من الطعام، وكاغد فيه خمسمائة درهم، فدعوت الزوجة وقلت: أنبهي الصبيان حتى يأكلوا.

ولما كان من الغد قضينا دَيناً كان علينا من تلك الدراهم، وكان وقت مجيء الحاج من خراسان فجلست على بابي من غد تلك الليلة، فإذا جمّال يقود جملين عليهما حملان ورقاً وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربي؟ فانتهى إلي فقلت: أنا إبراهيم الحربي. فحطَّ الحملين وقال: هذان الحملان أنفذهما لك رجل من أهل خراسان. فقلت: من هو؟ فقال: قد استحلفني ألا أقول من هو؟.

وعن ثعلب قال: ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس نحوٍ أو لغةٍ نحوَ خمسين سنة.

وعن محمد بن صالح الأنماطي قال: لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربي في الأدب والحديث والفقه والزهد.

وقال أبو الحسن العتكي: سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنده: من تعدون الغريب في زمانكم هذا؟ فقال واحد منهم: الغريب من نأى عن وطنه. قال آخر: الغريب من فارق أحبابه. وقال كل واحد منهم شيئاً، فقال إبراهيم: الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين: إن أمر

بالمعروف آزروه، وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى شيء من الدنيا مانوه، ثم ماتوا وتركوه.

وعن مقاتل بن محمد بن بنان العتكي قال: حضرت مع أبي وأخي عند ابن إسحاق ـ يعني إبراهيم الحربي ـ فقال إبراهيم لأبي: هؤلاء أولادك؟ قال: نعم. قال: احذر لا يرونك حيث نهاك الله فتسقط من أعينهم.

وعن محمد بن خلف وكيع قال: كان لإبراهيم الحربي ابن، وكان له إحدى عشرة سنة حفظ القرآن ولقنه من الفقه شيئاً كثيراً. قال: فمات. فجئت أعزيه فقال: كنت أشتهي موت ابني هذا؟ قال قلت: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم؛ رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكأن الصبيان بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوماً حاراً شديداً حره. قال: فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء؟ قال: فنظر إلي وقال: ليس أنت أبي. فقلت: أي شيء أنتم؟ قال: فقال: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء. قال: فلهذا تمنيت موته.

وعن عيسى بن محمد الطوماري قال: دخلنا على إبراهيم الحربي ـ وهو مريض ـ وقد كان يحمل ماؤه إلى الطبيب ـ فجاءت الجارية وردت الماء وقالت: مات الطبيب، فبكى وأنشأ يقول:

إذا مات المعالِج من سقامي ... فيوشك للمعالَج أن يموتا

وعن علي بن الحَسن البزار قال: سمعت إبراهيم بن إسحاق الحربي يقول ـ وقد دخل عليه قوم يعودونه فقالوا: كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال ـ : أجدني كما قال الشاعر:

دبَّ فيَّ البلاءُ سفلاً وعلواً ... وأراني أموت عضواً فعضواً
ذهبت جِدَّتي بطاعة نفسي ... وتذكرت طاعة الله نضْواً

أسند إبراهيم الحربي عن أبي نعيم الفضل بن دُكَين، وعفان، ومسدَّد، وأحمد بن حنبل، وخلق كثير لا يُحصون.

وتوفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين، وقبره ظاهر يتبرك الناس به. رحمه الله.

٢٩٠ ـ يحيى الجلَّاء

كان من خيار الناس، وصحب بشر بن الحارث.

قال محمد بن الحسين بن الحسن: سمعت أبا عبد الله ابن الجلاء قال: قلت لذي النون: لم سمي أبي الجلاء، أكان يصنع صنعة؟ قال: لا؛ نحن سميناه الجلاء، كان إذا تكلم علينا جلا قلوبنا.

وعن أبي عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء قال: مات أبي فلما وضع في المغسل رأيناه يضحك

---

٢٩٠ ـ يحيى الجلّاء ـ رحمه الله ـ: الحلية لأبي نعيم (١٠/ ٣١٤) تاريخ بغداد (٥/ ٢١٣) و(١٤/ ٢٠٤) والسنة للخلال (٢/ ٤٨٠).

فالتبس على الناس أمره! فجاؤوا بطبيب وغطوا وجهه فأخذ مجسه فقال: هذا ميت. فكشفوا عن وجهه الثوب فرآه يضحك! فقال الطبيب: ما أدري أحي هو أم ميت؟ فكان إذا جاء إنسان ليغسله لبسته منه هيبة لا يقدر على غسله، حتى جاء رجل من إخوانه فغسله وكفّنه وصلى عليه ودفن.

٢٩١ ـ أبو إبراهيم السائح

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كان في دهليزنا دكان، وكان إذا جاء إنسان يريد أن يخلو معه أجلسه على الدكان، واذا لم يرد أن يخلو معه أخذ بعضادتي الباب وكلّمه.

فلما كان ذات يوم جاءنا إنسان فقال لي: قل له: أبو إبراهيم السائح. فجلسنا على الدكان فقال لي أبي: سلِّم عليه فإنه من كبار المسلمين ـ أو من خيار المسلمين ـ فسلمت عليه فقال له أبي: حدثني يا أبا إبراهيم؟ فقال له أبو إبراهيم: خرجت إلى الموضع الفلاني بقرب الدير الفلاني فأصابتني علة منعتني من الحركة فقلت في نفسي: لو كنت بقرب الدير لعل من فيه من الرهبان يداويني! فإذا أنا بسبع عظيم يقصد نحوي حتى جاءني فاحتملني على ظهره حملاً رفيقاً حتى ألقاني عند الدير.

فنظر الرهبان إلى حالي مع السبع فأسلموا كلهم، وهم أربعمائة راهب. رحمه الله.

٢٩٢ ـ إسماعيل بن يوسف أبو علي

المعروف بالديلمي، جمع بين العلم والعبادة والحديث، وجالس أحمد بن حنبل، وحدث عن مجاهد بن موسى.

عن أبي الحسين ابن المنادي قال: كان إسماعيل الديلمي من خيار الناس، وذكر لي أنه كان يحفظ أربعين ألف حديث.

قالوا: وكان يعبر إلى الجانب الشرقي قاصداً محمد بن أشكاب الحافظ فيذاكره بالمسند.

وكان إسماعيل من أشهر الناس بالزهد والورع والتميز بالصون، وأما مكسبه فكان من المشاهرة في الإرجاء.

وعن أبي علي الأبراري قال: قلت لإسماعيل الديلمي: تشهر في هذه الإرجاءَ بثلاثة دراهم؟ وأي شيء تكفي ثلاثة دراهم؟ فقال: يا بني ما لم يتصل بنا عز التوكل فلا ينبغي أن نستعجل الذل بالتشرف.

وعن كردان قال: قال لي إسماعيل الديلمي: اشتهيتُ حلواً، وبلغت شهوته إلي، فخرجت من المسجد بالليل لأبول فإذا جنبتي الطريق أخاوين حلواً، فنوديت: يا إسماعيل هذا الذي اشتهيت، فإن تركته فهو خير لك. فتركته.

---

٢٩١ ـ أبو إبراهيم السائح ـ رحمه الله ـ: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (٢/ ٧).

٢٩٢ ـ أبو علي الديلمي ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (٦/ ٢٧٤).

قال ابن مخلد: وقد كتبت أنا عن كردان: كان يكون في قنطرة بني زريق، وقد رأيت إسماعيل الديلمي، وكان ما شئت من رجل رأيته عند أبي جعفر بن أشكاب.

قال المعافي إسماعيل: هذا من خيار الناس.

والناس يزورون قبره وراء قبر معروف الكرخي، وبينهما قبور يسيرة، وقد زرته مراراً، وحدثني بعض شيوخنا عنه: أنه كان حافظاً للحديث، كثير السماع، وأنه كان يذاكر بسبعين ألف حديث.

٢٩٣ ـ زكريا بن يحيى بن عبد الملك

أبو يحيى الناقد: كان من كبار الأخيار.

عن محمد بن جعفر بن سام قال: لو قيل لأبي يحيى الناقد غداً تموت؟ ما ازداد في عمله.

وقال أبو زرعة الطبري: قال أبو يحيى الناقد: اشتريت من الله تعالى حوراء بأربعة الآف ختمة، فلما كان آخر ختمة سمعت الخُطّاب من الحوراء تقول: وفيت بعهدك فها أنا التي اشتريتني، فيقال: إنه مات عن قريب.

أسند أبو يحيى الناقد عن خالد بن خداش، وفضيل بن عبد الوهاب، وأحمد بن حنبل في آخرين.

وكان أحمد يقول فيه: هذا رجل صالح.

وتوفي ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ومائتين.

٢٩٤ ـ أبو بكر الرقاق

واسمه محمد بن عبد الله عن الحسن بن أحمد بن عبد العزيز قال: سمعت الرقاق يقول: لي تسعين سنة أرُبُّ هذا الفقر، من لم يصحبه في فقره الورع أكل الحرام النص.

قال محمد السراج: قال جنيد: رأيت إبليس في منامي وكأنه عريان فقلت له: ما تستحيي من الناس؟ فقال: بالله هؤلاء عندك من الناس! لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير الناس. فقلت له: من هم؟ قال: قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأنحلوا جسمي، كلما هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أحترق.

قال جنيد: فانتبهت ولبست ثيابي وجئت إلى مسجد الشونيزي، وعلى ليل، فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس جلوس ورؤوسهم في مرقعاتهم، فلما أحسّوا بي قد دخلتُ أخرج أحدهم رأسه وقال: يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيء تُقبل.

---

٢٩٣ ـ أبو يحيىٰ الناقد ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (٨/ ٤٦١) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (١/ ٣٩٩) الإكمال لابن ماكولا (٥/ ٦).

٢٩٤ ـ أبو بكر الرّقاق ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (٥/ ٤٤٢).

قال ابن جهضم: ذكر لي أبو عبد الله بن جامار أن الثلاثة الذين كانوا في مسجد الشونيزي: أبو حمزة، وأبو الحسين النوري، وأبو بكر الرقاق.

٢٩٥ ـ أبو يعقوب الزيات

قال الجنيد بن محمد: دققت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا فقال: ما كان لكم شغل في الله يشغلكم عن المجيء إلي؟ قال الجنيد: فقلت له: إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به لم ننقطع عنه! ففتح الباب.

وقال يوماً لبعض المريدين: أتحفظ القرآن؟ فقال: لا. فقال: واغوثاه بالله! مريد لا يحفظ القرآن كأترجة لا ريح لها، فبِمَ يتنعم؟ فبِمَ يترنّم؟ فبِمَ يناجي ربه؟ رحمه الله.

٢٩٦ ـ الجنيد بن محمد بن الجنيد

أبو القاسم الخزاز القواريري: كان أبوه يبيع الزجاج، وكان هو خزازاً، وأصله من نهاوند، إلا أن مولده ومنشأه ببغداد.

عن جعفر الخلدي [قال:] قال الجنيد ذات يوم: ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وقد جعل لي فيه حظاً ونصيباً.

قال الخلدي: وبلغني عن الجنيد أنه كان في سوقه وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة.

وعنه قال: كان الجنيد عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع، ويصلي كل يوم أربعمائة ركعة.

وعنه قال: لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبي القاسم الجنيد، وأكثرهم[1] كان يكون له علم كثير، ولا يكون له حال، وآخر كان يكون له حال كثير وعلم يسير، والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير، فإذا رأيت حاله رجحته على علمه، واذا رأيت علمه رجحته على حاله.

وعن أبي محمد المرتعش قال: قال الجنيد: كنت بين يدي سري السقطي ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال لي: يا غلام ما الشكر؟ فقلت: ألا تعصي الله بنعمه. فقال لي: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك! قال الجنيد: فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري لي.

---

٢٩٥ ـ أبو يعقوب الزيات ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ٢٢٣).

٢٩٦ ـ الجنيد ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ٢٥٥)، طبقات السُلَمي (١٥٥)، القشيرية (٢٤)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ١٠٥)، تاريخ بغداد (٧/ ٢٤١)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١١٣)، طبقات السبكي الكبرى (٢/ ٢٨)، طبقات ابن الملقن (١٢٦)، العبر (٤/ ١١٠).

(١) في المطبوع: «ولا أكثرهم كان..».

وعن أبي الحسن المجلسي قال: قيل للجنيد: ممن استفدت هذا العلم؟ قال: من جلوسي بين يدي الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة. وأومأ إلى درجة في داره.

قال السلمي: وسمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول: كان الجنيد يجيء كل يوم إلى السوق فيفتح حانوته فيدخله ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة، ثم يرجع إلى بيته.

وعن أحمد بن عبد الحميد السامري قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: معاشر الفقراء: إنما عُرِفتم بالله، وتُكرَمون له، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه؟

وعن أبي الطيب بن الفرحان قال: سمعت الجنيد يقول: علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه.

وعن حامد بن إبراهيم قال: قال الجنيد بن محمد: الطريق إلى الله مسدود على خلق الله عز وجل إلا على المقتفين آثارَ رسول الله ﷺ والتابعين لسنته؛ كما قال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الاحزاب: ٢١].

وعن خير قال: كنت يوماً جالساً في بيتي فخطر لي خاطر: إن أبا القاسم جنيداً بالباب: اخرج إليه. فنفيت ذلك عن قلبي وقلت: وسوسة! فوقع لي خاطر ثان يقتضي مني الخروج: إن جنيداً على الباب فاخرج إليه، فنفيت ذلك عن سري، فوقع لي خاطر ثالث فعلمت أنه حق وليس بوسوسة، ففتحت الباب، فإذا أنا بالجنيد قائم فسلم علي وقال: يا خير ألا خرجت مع الخاطر الأول؟

وعن أبي محمد الحريري قال: سمعت الجنيد يقول: لقد مشى رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً.

وعن أبي عمرو بن علوان قال: خرجت يوماً إلى سوق الرحبة في حاجة فرأيت جنازة فتبعتها لأصلي عليها، ووقفت حتى يدفن الميت في جملة الناس، فوقعت عيني على امرأة مسفرة من غير تعمد فألححت بالنظر، واسترجعت واستغفرت الله تعالى، وعدت إلى منزلي، فقالت لي عجوز: يا سيدي ما لي أرى وجهك اسودَّ؟ فأخذت المرآة فنظرت فإذا وجهي أسود فرجعت إلى سري أنظر من أين دهيت؟ فذكرت النظرة فانفردت في موضع أستغفر الله وأسأله الإقالة أربعين يوماً! فخطر في قلبي: أن زُرْ شيخك الجنيد. فانحدرت إلى بغداد، فلما جئت الحجرة التي هو فيها طرقت الباب. فقال لي: ادخل يا أبا عمرو تذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد.

وعن أبي بكر محمد بن أحمد قال: سمعت الجنيد يقول: فتحُ كلِّ باب وكلِّ علمٍ نفيسٍ بذلُ المجهود.

وعن أحمد بن عطاء قال: قال الجنيد: لولا أنه يروى أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم.

وعن أبي القاسم المطرز قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: أضر ما على أهل الديانات الدعاوي.

وعن أبي بكر المفيد قال: سمعت الجنيد يقول: احذر أن تكون ثناء منشوراً وعيباً مستوراً.

وعن العباس بن عبد الله قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: المروءة احتمال زلل الإخوان.

وعن أبي القاسم النقاش قال: سمعت الجنيد يقول: الإنسان لا يعاب بما في طبعه، إنما يعاب إذا فعل ما ينافي طبعه.

وسأله رجل كيف الطريق إلى الله؟ فقال: توبة تحلُّ الإصرار، وخوف يزيل الغرَّة، ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله في خواطر القلوب.

وقال أبو الحسن: سمعت الجنيد يقول: ليس يتسع عليّ ما يرد عليّ من العالم لأني قد أصَّلت أصلاً وهو أن الدار دار غمّ وهم بلاء وفتنة، وأن العالم كله شر، ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره، فإن تلقاني بما أحبُّ فهو فضل، وإلا فالأصل الأول.

وعن جعفر بن القاسم قال: سمعت الجنيد يقول: كان يعارضني في بعض أوقاتي أن أجعل نفسي كيوسف، وأكون أنا كيعقوب فأحزن على ما فقدت من نفسي كما حزن يعقوب على فقد يوسف، فمكثت مدة أعمل على حسب ذلك.

وعن محمد بن نصير في كتابه قال: قال الجنيد: لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله.

وقال رجل للجنيد: علام يتأسف المحبّ؟ قال: على زمانِ بسطٍ أورث قبضاً، أو زمان أنس أورث وحشة، وأنشأ يقول:

قد كان لي مشرَب يصفو برؤيتكم فكدَّرتْه يدُ الأيام حين صفا

قال جعفر: وقال أبو العباس بن مسروق: مررت مع الجنيد في بعض دروب بغداد واذا مغنٍ يغني:

منازل كنت تهواها وتألفها أيام أنت على الأيام منصور

فبكى الجنيد بكاء شديداً، ثم قال: يا أبا العباس ما أطيب منازل الألفة والأنس، وأوحش مقامات المخالفات! لا أزال أحن إلى بُدُوّ إرادتي وجدة سعيي.

إسماعيل بن نجيد يقول: ودخل أبو العباس بن عطاء على جنيد وهو في النزع فسلم عليه فلم يرد عليه، ثم رد عليه بعد ساعة، وقال: اعذرني، فإني كنت في وردي، ثم حوّل وجهه إلى القبلة وكبر ومات. رحمه الله.

وقال أبو محمد الحريري: كنت واقفاً على رأس الجنيد في وقت وفاته وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن. فقلت: يا أبا القاسم ارفق بنفسك! فقال: يا أبا محمد ما رأيت أحداً أحوج إليه[1] مني في هذا الوقت، وهو ذا تُطوى صحيفتي.

وعنه قال: حضرت عند الجنيد قبل وفاته بساعتين فلم يزل باكياً وساجداً فقلت له: يا أبا القاسم قد بلغ بك ما أرى من الجهد؟ فقال: يا أبا محمد أحوج ما كنت إليه هذه الساعة! فلم يزل باكياً وساجداً حتى فارق الدنيا.

---

(١) إلى قراءة كتاب الله تعالى.

وعن فارس بن محمد قال: كان أبو القاسم الجنيد كثير الصلاة، ثم رأيناه في وقت موته وهو يدرس، ويقدم إليه الوسادة فيسجد عليها، فقيل له: ألا روحت عن نفسك! فقال: طريق وصلت به إلى الله لا أقطعه.

وقال أبو بكر العطار: حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من أصحابنا. قال: فكان قاعداً يصلي ويثني رجله كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقل عليه حركتها فمد رجليه وقد تورمتا، فرآه بعض أصدقائه فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ فقال: هذه نعم؛ الله أكبر. فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الحريري: لو اضطجعت؟ قال: يا أبا محمد هذا وقت يؤخذ منه، الله اكبر. فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله.

أسند الجنيد الحديث عن الحسن بن عرفة.

قال المصنف رحمه الله: أخبرنا أبو منصور الصرار، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو سعد الماليني قال: أنبأنا أبو القاسم عمر بن محمد بن مقبل قال: أنبأنا جعفر الخلدي قال: أنبأنا الجنيد بن محمد قال: حدثنا الحسن بن عرفة قال: أنبأنا محمد بن كثير الكوفي عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥][(١)].

قال أبو بكر الخطيب: لا يعرف للجنيد غير هذا الحديث.

قال المصنف: قلت وقد رويتُ له حديثاً آخر: أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: أنبأنا أحمد بن عطاء الصوفي قال: أنبأنا محمد بن علي بن الحسين قال: سئل الجنيد عن الفراسة؟ قال: فقال: أنبأنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط. وذكر الحديث، وقال في آخره: قال لي النبي ﷺ: «إنك عليم مُعَلَّم»[(٢)].

قلت: وقد لقي الجنيد خلقاً من العلماء، ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة، وصحب جماعة من العبّاد، واشتهر بصحبة خاله سري والحارث المحاسبي.

وتوفي يوم السبت في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين، وقيل: سبع وتسعين، وغسله أبو محمد الحريري، وصلى عليه ولده، وحزروا الجمع الذي صلى عليه فكانوا نحو ستين ألفاً.

وعن جعفر الخلدي ـ في كتابه ـ قال: رأيت الجنيد في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيتْ تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا رُكَيعات كنا نركعها في السَّحَر. رحمه الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٢٧) وقال: حديث غريب. والطبراني في الأوسط (٣/ ٣١٢) و(٨/ ٢٣) والكبير (٨/ ١٠٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٧٩) والبيهقي في الاعتقاد (٢٨٥) وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ٩٨٨).

٢٩٧ ـ الحسن بن علي أبو علي المسوحي

قال أبو القاسم الجنيد: كلمت يوماً حسناً المسوحي في شيء من الأنس، فقال لي: ويحك ما الأنس؟ لو مات من تحت السماء ما استوحشت.

وعن الجنيد وأبي العباس بن مسروق وأبي أحمد المغازلي وأبي محمد الحريري وغيرهم قالوا: سمعنا حسناً المسوحي يقول: كنت آوي باب الكناس كثيراً، وكنت أقرب من المسجد، ثم أتفيأ فيه من الحر، وأستكنّ فيه من البرد، فدخلت يوماً وقد كظني الحر واشتد علي، فحملتني عيني فنمت، فرأيت كأن سقف المسجد قد انشق، وكأن جارية قد نزلت عليّ من السقف عليها قميص فضة يتحشحش، ولها ذؤابتان فجلستْ عند رجلي، فقبضت رجلي عنها، فمدت يدها فنالت رجلي، فقلت لها: يا جارية لمن أنت؟ قالت: أنا لمن دام على ما أنت عليه.

أسند حسن المسوحي حديثاً عن بشر الحافي، وهو من كبار أصحاب سري السقطي.

٢٩٨ ـ أبو علي أحمد بن إبراهيم

ابن أيوب المسوحي: صحب سرياً السقطي وغيره، وروى عن حسن المسوحي أيضا.

وقال محمد بن الحسين السلمي قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم المسوحي من جلة مشايخ بغداد وظرافهم ومتوكليهم.

وعن جعفر الخواص قال: كان أحمد بن إبراهيم المسوحي يحج بقميص ورداء ونعل طاق، ولا يحمل معه شيئاً، لا ركوة ولا كوزاً، إلا كوز بلور فيه تفاح شامي يشمُّه، من جوف بغداد إلى مكة. وكان من أفاضل الناس.

٢٩٩ ـ سمنون بن حمزة

يكنى: أبا القاسم، أصله من البصرة، ولكن سكن بغداد.

عن أبي أحمد المغازلي قال: كان ورد سمنون في كل يوم وليلة خمسمائة ركعة.

وقال أبو أحمد القلانسي: فرق رجل ببغداد على الفقراء أربعين ألف درهم، فقال لي سمنون: يا أبا أحمد ما ترى إلى ما أنفق هذا؟ نحن ما نرجع إلى شيء ننفقه فامض بنا إلى موضع نصلي فيه بكل درهم أنفقه ركعة. فذهبنا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف ركعة، وزرنَا قبر سليمان وانصرفنا.

وعن خلف بن الحسن العباداني قال: سمعت سمنوناً يقول: أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه، وأول هجران العبد الحقّ مواصلته لنفسه.

---

٢٩٧ ـ أبو علي المسوحي ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (٧/ ٣٦٦).

٢٩٩ ـ سمنون بن حمزة ـ رحمه الله ـ: طبقات السّلَمي (١٩٥)، الحلية (١٠/ ٣٠٩)، القشيرية (٢٨)، تاريخ بغداد (٩/ ٢٣٤)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١١٥)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ١٠٨)، وذكره: ابن الملقن في طبقاته (٢٧٤)، طبقات الشعراني الكبرى (١٢٨).

وقال أبو الطيب العكي: ذُكِر لي أن سمنوناً كان جالساً على شط دجلة وبيده قضيب يضرب به فخذه حتى تبدد لحمه وهو يقول:

كان لي قلبٌ أعيش به ... ضاع مني في تقلُّبه
ربِّ فاردده عليَّ فقد ... ضاق صدري في تطلُّبه
وأغث ما دام بي رمَق ... يا غياث المستغيث به

وعن محمد بن حمدان قال: رأيت سمنوناً وقد أدخل رأسه في [زُرْناقته](١)، ثم أخرج رأسه بعد ساعة وزفر وقال:

تركت الفؤاد عليلاً يُعاد ... وشرَّدت نومي فما لي رُقاد

وعن أبي بكر الواسطي قال: قال سمنون: يا رب قد رضيت بكل ما تقضيه علي.

فاحتبس بوله أربعة عشر يوماً، فكان يتلوى كما تتلوى الحية على الرمل يتقلب يميناً وشمالاً، فلما أطلق بوله قال: يا رب تبت إليك.

وعن علي بن أحمد بن جعفر قال: أنشدني ابن فراس لسمنون:

وكان فؤادي خالي قبل حبكم ... وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه ... فلست أراه عن فنائك يبرحُ
رُميت ببينٍ منك إن كنتُ كاذباً ... وإن كنتُ في الدنيا بغيرك أفرح
وإن كان شيء في البلاد بأسرها ... إذا غبت عن عيني لعيني يملُح
فإن شئت واصِلْني وإن شئتَ لا تصل ... فلستُ أرى قلبي لغيرك يصلح

وقال أبو الفضل بن عبد السميع الهاشمي: سمعت سمنوناً يقول:

أمستوحش أنت مما جنيت ... فأحسن إذا شئت واستأنس

وقال:

أسفاً عليكَ وحسرة وتلهّفا ... ألا أكون بحيث ما ترضاني

قد صحب سمنون سرياً السقطي وأبا أحمد القلانسي ومحمد بن علي القصاب في آخرين.

ولا نعلمه أسند حديثاً أصلاً، وكان قد وُسوِس، فانتخبنا ما ذكرنا من كلامه، وتوفي بعد الجنيد.

٣٠٠ ـ إبراهيم بن سعد

أبو إسحاق العلوي: من أهل بغداد، ثم انتقل عنها إلى الشام فاستوطنها.

---

(١) في الأصل «زرمانقته» ولم أجد فيما بحثت لفظاً له معنى أقرب إلى صورة الكلمة من «زَرْنوت» وهو آلة أو أداة كان يستقى بها من الآبار مصنوعة من أعواد، كانت تُنصب على الآبار وتعلّق عليها بَكَرةٌ. ا.هـ. معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية ـ مصطفى عبد الكريم الخطيب، طبع الرسالة، (٢٢١).

٣٠٠ ـ إبراهيم بن سعد ـ رحمه الله ـ: انظر: سير أعلام النبلاء (٢٤/ ٣٥٥).

قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين: قال إبراهيم بن سعد العلوي: أبو إسحاق كان حسنياً من أهل بغداد، وكان يقال له الشريف الزاهد، وكان أستاذ أبي الحارث الأولاسي.

حكى عنه أبو الحارث قال: كنت معه في البحر فبسط كساءه على الماء وصلى عليه.

وعن أبي الحسن الدربندي قال: رأيت إبراهيم بن سعد العلوي وكان عليه كساء فبسط كساءه على البحر، ووقف، وصلى على الماء.

وقال أبو الحارث الأولاسي: خرجت من حصن أولاس أريد البحر فقال لي بعض إخواني: لا تخرج فإني قد هيأت لك عجة حتى تأكل. قال: فجلست وأكلت معه، ونزلت إلى الساحل فإذا أنا بإبراهيم بن سعد العلوي قائماً يصلي، فقلت في نفسي: ما أشك إلا أنه يريد أن يقول لي: امش معي على الماء، ولئن قال لي لأمشين معه. فما استحكم الخاطر حتى سلم، ثم قال: هيه يا أبا الحارث امش على الخاطر! فقلت: باسم الله. فمشى هو على الماء وذهبت أمشي فغاصت رجلي! فالتفت إليّ وقال: يا أبا الحارث العجة أخذتْ برِجلك.

وعنه قال: أقبلنا من جبل اللكام مع أبي إسحاق العلوي الزاهد، وكان أبو إسحاق لا يأكل إلا في كل ثلاثة أيام سَفَّات خرنوب، فلقينا امرأة وقد سخّر جندي حماراً لها فاستغاثت بنا، فكلمه العلوي فلم يرد عليها، فدعا عليه فخرّ الجندي والمرأة والحمار، ثم أفاقت المرأة، ثم أفاق الحمار، ومات الجندي. فقلت: لا أصحبك، فإنك مستجاب الدعوة، وأخشى أن يبدو مني سوء أدب فتدعو علي؟ فقال: لست تأمن؟ قلت: لا. قال: فأقلل إذاً من الدنيا ما استطعت.

وعنه قال: خرجت سنة من السنين من مكة في وسط السنة أريد الشام، فإذا في بعض الطريق ثلاثة نفر يتذاكرون، فتقدمت وسلمت عليهم وقلت: أمشي معكم؟ فقالوا: ما شئت. فمشيت معهم إلى أن تفرقوا وبقيت أنا وآخر، فقال لي: أين تريد يا شاب؟ فقلت: بلد الشام. فقال: وأنا أريد اللكام. وكان الرجل إبراهيم بن سعد العلوي.

فمشينا أياماً وافترقنا، وكانت تأتيني كتبه فما شعرت ذات يوم وأنا بالأولاس وقد خرجت أريد البحر فإذا برجل صافٌ قدميه يصلي على الماء، فاضطرب قلبي حين رأيته وغلبتني الهيبة له، فلما أحس بي أوجز في صلاته، ثم التفت إلي فإذا هو إبراهيم بن سعد العلوي، فقال لي: غيِّب شخصك عني ثلاثة أيام، ثم ائتني بعد ذلك.

قال: ففعلت ما قال، ثم جئته بعد ثلاثة أيام، فإذا هو قائم مكانه يصلي، فلما أحس بي أوجز في صلاته، ثم أخذ بيدي فوقفني على البحر وحرك شفتيه. فقلت في نفسي: إن مشى على الماء مشيت معه. فما لبث إلا يسيراً فإذا الحيتان قد برزت مد البصر وقد أقبلت إلينا رافعة رؤوسها من الماء فاتحة أفواهها فقلت في نفسي: أين ابن بشر الصياد؟ فلما ذكرته في نفسي تفرقت فالتفت إلي إبراهيم وقال: مُرَّ فلست مطلوباً لهذا الأمر، ولكن عليك بالوصال والتخلي في الجبال، ووارِ نفسك ما أمكنك حتى يشغلك بذكره عن ذكر من سواه، وعليك بالتقلل من الدنيا ما استطعت حتى يأتيك اليقين. ومضى.

وعنه قال: كان سبب رؤيتي إبراهيم بن سعد: أن خرجت من أولاس إلى مكة في غير أيام الموسم فرافقت ثلاثة، فتفرق اثنان منهم وبقيت أنا والثالث، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: الشام. قال: وأنا أريد اللكام، فإذا هو إبراهيم بن سعد العلوي وكان حسنياً، ثم تفرقنا، وكانت تأتيني كتبه.

فخرجت يوماً من أولاس فإذا إبراهيم بن سعد العلوي فلما رآني قصر في صلاته وسلم علي وجاء إلى البحر فنظر إليه وحرك شفتيه فإذا بحيتان كثيرة مصفوفة قد أقبلت، فلما رأيتها قلت: أين الصيادون؟ فنظرت فإذا السمك قد تفرق، فقال لي إبراهيم: ما أنت بمطلوب في هذا الأمر، ولكن عليك بهذه الرمال فتوارَ فيها ما أمكنك، وتقلل من الدنيا حتى يأتيك أمر الله. ثم غاب عني فلم أره. وكانت كتبه ترد علي.

فلما مات كنت قاعداً يوماً فتحرك قلبي للخروج، فلما خرجت صرت إلى المسجد، فإذا أنا بأسود فقام إلي فقال لي: أنت أبو الحارث؟ قلت: نعم. قال: آجرك الله في أخيك إبراهيم بن سعد.

وكان هذا مولى له يسمى ناصحاً فذكر أن إبراهيم بن سعد أوصاه أن يؤدي هذه الرسالة: يا أخي إذا نزل بك أمر من أمر الله فاستعمل الرضا، فإن الله مطَّلع عليك يعلم ما في ضميرك، فإن رضيت فلك الثواب الجزيل، وأنت في رضاك وسخطك لست تقدر أن تزداد في الرزق المقسوم والأمر المكتوب، فإن لم تجد إلى الرضا سبيلاً فاستعمل الصبر فإنه رأس الإيمان! فإن لم تجد فعليك بالتجمل، ولا تشكُ من ليس بأهل أن يشكى، وهو من أهل الشكر والثناء القديم ما أولى! فإذا اضطررت وقلَّ صبرك فالجأ إليه بهمك، واشكُ إليه بثَّك، واحذر أن تستبطئه وتسيء به ظناً، فإن كل شيء بسبب، وكلَّ سبب أجلٌ، ولكل أجل كتاب، ولكل هم من الله فَرَجٌ، ومن علم أنه بعين الله استحيا أن يراه يرجو سواه، ومن أيقن بنظر الله إليه أسقط اختيار نفسه، ومن علم أن الله الضار النافع أسقط مخاوف المخلوقين، فراقب الله في قربه، واطلب الأمور من معادنها، واحذر أن تعتمد على مخلوق، أو تفشي إليه سراً، أو تشكو إليه شيئاً، فإن غنيهم فقير، وفقيرهم ذليل في فقره، وعالمهم جاهل في علمه، وجاهلهم فاجر في فعله، إلا القليل ممن عصم الله، فاتقوا الفاجر من العلماء، والجاهل من العبّاد فإنهم فتنة لكل مفتون.

وقال عبد الله بن سهل: بات عندي أبو الحارث الأولاسي فسألته عن مفارقته إبراهيم بن سعد العلوي؟ فقال: كانت الدنيا طوع يديه، فلما انتهى إلى الساحل قال لي: ترجع؟ قلت: بل أصحبك. فتفل في البحر فإذا جوق من سمك مصفوف فوق الماء كأنه سرير فوثب إليه، ثم قال لي: الله خليفتي عليك. قلت: ادع لي.

قال: قد فعلت فاحفظ حدود الله، وارحم خلقه إلا من عاند.

٣٠١ ـ أبو إسحاق إبراهيم الآجري الصغير

ولا يعرف اسم أبيه، وقال أبو العباس بن مسروق وأبو محمد الحريري وأبو أحمد المغازلي

---

٣٠١ ـ أبو إسحاق الآجري الصغير ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ٢٢٣).

وغيرهم عن إبراهيم الآجري قالوا: جاء يهودي يقتضيه شيئاً من ثمن قصب، فكلمه فقال له: أرني شيئاً أعرف به شرف الإسلام وفضله على ديني حتى أسلم؟ فقال له: وتفعل؟ قال: نعم. قال له: هات رداءك. قال: فأخذه فجعله في رداء نفسه ولف رداءه عليه ورمى به في النار ـ نار أتون الآجُرّ ـ ودخل في إثره فأخذ الرداء وخرج من الباب ففتح راده نفسه وهو صحيح، وأخرج رداء اليهودي حراقاً أسود من جوف رداء نفسه، فأسلم اليهودي. رحمه الله.

٣٠٢ ـ أبو نصر المحب

جمع بين الزهد المروءة. عن أبي العباس ابن مسروق قال: اجتزت أنا وأبو نصر المحب في الكرخ وعلى أبي نصر إزار له قيمة، فإذا نحن بسائل يسأل وهو يقول: شفيعي إليكم محمد ﷺ. فشق أبو نصر إزاره فأعطاه النصف ومشى خطوتين وقال: هذه نذالة! فانصرف إليه فأعطاه النصف الآخر. رحمه الله.

٣٠٣ ـ أبو سعيد الخراز

واسمه أحمد بن عيسى، قال الجنيد: لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا! قال علي: فقلت لإبراهيم: وأي شيء كان حاله؟ قال: أقام كذا وكذا سنة يخرز، ما فاته الحق بين الخرزتين.

وقال أبو جعفر الصيدلاني: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: من ظن أنه ببذل الجهد يصل فمتمنٍّ، ومن ظن أنه بغير بذل الجهد يصل فمتعنٍّ.

أبو الفضل العباس ابن الشاعر يذكر عن تلميذة لأبي سعيد، قالت: كنت أسأله مسألة والإزار بيني وبينه مشدود فاستفزني حلاوة كلامه، فنظرت في ثقب من الإزار فرأيتُ شفته، فلما وقعت عيني عليه سكت، وقال: جرى ها هنا حدث فأخبريني ما هو؟ فعرَّفته أني نظرت إليه فقال: أما علمت أن نظرك إليّ معصية، وهذا العلم لا يحتمل التخليط؟

وعن أبي القاسم بن مروان قال: كان عندنا بنهاوند فتى يصحبني، وكنت أصحب أبا سعيد الخراز، فكنت إذا رجعت حدثت ذلك الفتى ما أسمع من أبي سعيد.

فقال لي ذات يوم: إن سهل الله لك الخروج خرجت معك حتى أرى هذا الشيخ.

فخرجت وخرج معي ووصلنا إلى مكة فقال لي: ليس نطوف حتى نلقى أبا سعيد. فقصدناه وسلمنا عليه، فقال الشاب مسألة، ولم يحدثني أنه يريد أن يسأل عن شيء، فقال له الشيخ: سل؟

---

٣٠٢ ـ أبو نصر المحب ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (١٤/ ٤٢٠) الحلية (١٠/ ٣٤٧).

٣٠٣ ـ أبو سعيد الخرّاز ـ رحمه الله ـ: طبقات الصوفية للسّلَمي (٢٢٨)، الحلية (١/ ٢٤٦)، طبقات الأولياء لابن الملقن (٤٠)، القشيرية (٢٩)، تاريخ بغداد (٤/ ٧٦)، شذرات الذهب (٢/ ١٩٢)، تاريخ ابن كثير (١/ ٥٨)، تاريخ ابن الجوزي (٥/ ١٠٥).

فقال: ما حقيقة التوكل؟ فقال له الشيخ: أن لا تأخذ الحجة من «حمولا» وكان الشاب قد أخذ حجة من «حمولا» وهو رئيس نهاوند وما علمت.

فورد على الشاب أمر عظيم وخجل، فلما رأى الشيخ ما حل به عطف عليه وقال: ارجع إلى سؤالك. ثم قال أبو سعيد: كنت أراعي شيئاً من هذا الأمر في حداثتي فسلكت بادية الموصل، فبينا أنا سائر سمعت حساً من ورائي فحفظت قلبي عن الالتفات. فإذا الحس قد دنا مني، وإذا بِسَبُعَين قد صعدا على كتفي فلحسا خدي فلم أنظر اليهما حين صعدا ولا حين نزلا.

وعن علي بن حفص الرازي قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: ذنوب المقربين حسنات الأبرار.

وعن أبي محمد الحريري قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول في معنى قول النبي ﷺ: «جُبِلت القلوب على حب من أحسن إليها[1]» يا عجبا لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته اليه؟

وعن العباس بن أحمد الرملي قال: قال أبو سعيد الخراز: المعرفة تأتي القلوب من جهتين من عين الجود ومن بذل المجهود.

أحمد بن عبد الله قال: قال أبو سعيد الخراز: إذا بكت عين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم.

وعن أحمد بن محمد الزيادي قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: العافية سترت البَرَّ والفاجر، فإذا جاءت البلوى يتبين عندها الرجال.

وقال أبو بكر الشقاق: سمعت أحمد بن عيسى الخراز يقول: كنت يوماً أمشي في الصحراء فإذا قريب من عشرة كلاب الرعاة شدوا علي، فلما قربوا مني جعلت أستعمل المراقبة، فإذا كلب أبيض قد خرج من بينهم وحمل على الكلاب فطردهم عني ولم يفارقني حتى تباعدت عني الكلاب، ثم التفتُّ فلم أره.

قال أبو سعيد: وكان لي معلم يختلف إلي يعلمني الخوف، ثم ينصرف. فقال لي يوماً: إني معلمك خوفاً يجمع لك كل شيء! قلت: ما هو؟ قال: مراقبة الله عز وجل.

أسند أبو سعيد عن عبد الله بن إبراهيم الغفاري وإبراهيم بن بشاري صاحب إبراهيم بن أدهم.

وصحب بشر بن الحارث، وسرياً، وذا النون، وأبا عبد الله الساجي، وأبا عبيد السري، ونظراءهم.

وتوفي في سنة سبع وسبعين، وقيل ست وثمانين ومائتين.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل وهو في الحلية والبيهقي في الشعب، وصحح البيهقي في الشعب وقفه ورمز له السيوطي: بالضعف ا.هـ. الجامع الصغير (١/ ٤٨٨ برقم: ٣٥٨٠).

٣٠٤ ـ أبو الحسين النوري

واسمه أحمد بن محمد: بغدادي المولد والمنشأ، خراساني الأصل من قرية بين «هراة» و«مرو الروذ» يقال لها «بغشور»، ولذلك كان يعرف بابن البغوي.

قال أبو أحمد المغازلي: ما رأيت أحداً قط أعبد من النوري! فقيل: ولا جنيد؟ قال: ولا جنيد، وكان له قنينة تَسَع خمسة أرطال ماء يشربها في خمسة أيام وقت إفطاره.

قال عبد الكريم: ثم حدثني أبو جعفر الفرغاني قال: مكث أبو الحسين النوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج ليمضي إلى السوق، فيتصدق بالرغيفين، ويدخل المسجد فلا يزال يركع حتى يجيء وقت سوقه، فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق فيظن أنه قد تغدى في بيته، ومن في بيته عندهم أنه أخذ معه غداءه وهو صائم!

قال ابن جهضم: وحدثني عمر النجاد قال: دخل أبو الحسين النوري إلى الماء ليغتسل فجاء لص فأخذ ثيابه، فخرج عن الماء فلم يجد ثيابه فرجع إلى الماء، فلم يكن إلا القليل حتى جاء اللص ومعه ثيابه فوضعها مكانه، وقد جفت يده اليمنى! فخرج أبو الحسن من الماء ولبس ثيابه، وقال: سيدي قد ردَّ عليَّ فرُدَّ عليه يدَه. فرد الله عليه يده، ثم مضى.

وقال أبو عمر الأنماطي: اعتلَّ النوري فبعث إليه الجنيد بصرة فيها دراهم، وعاده فردها النوري، ثم اعتل الجنيد فدخل عليه النوري عائداً فقعد عند رأسه ووضع يده على جبهته فعوفي من ساعته. فقال النوري للجنيد: إذا عدت إخوانك فارفق بهم بمثل هذا البر.

وعن الصاد قال: سمعت أبا الحسين النوري يقول ـ وقد سئل عن الرضا؟ ـ فقال: عن وجدي تسألون أو عن وجد الخلق؟ فقيل له: عن وجدك؟ فقال: لو كنت في الدرك الأسفل من النار لكنت أرضى ممن هو في الفردوس.

أسند النوري عن سري السقطي حديثاً واحداً.

وتوفي قبل الجنيد في سنة خمس وتسعين ومائتين.

٣٠٥ ـ عمرو بن عثمان المكي

يكنى أبا عبد الله، سكن بغداد، عن أبي بكر القناديلي قال: قال عمر بن عثمان المكي: المروءةُ التغافلُ عن زلل الإخوان.

وقال: العلم قائد، والخوف سائق، والنفس حرون بين ذلك خدّاعة رواغة، فاحذرها وراعِها بسياسة العلم، وسُقْها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد.

---

٣٠٤ ـ أبو الحسين النوري ـ رحمه الله ـ: طبقات السلمي (١٦٤)، الحلية (١٠/ ٢٤٩)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٧٧)، تاريخ بغداد (٥/ ١٣٠)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٠٦)، طبقات ابن المُلَقّن (٦٢)، القشيرية (١٦).

٣٠٥ ـ عمرو بن عثمان المكي ـ رحمه الله ـ: طبقات السلمي (٢٠٠)، الحلية (١٠/ ٢٩١)، القشيرية (٢٨)، تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٣)، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٥)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٩٣)، طبقات ابن الملقن (٣٤٣).

وعن محمد بن علي بن الحسين قال: سمعت عمرو بن عثمان يقول: واغماه من عهد لم يُقَم له بوفاء! ومن خلوة لم تُصحب بحياء! ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبداً.

وعن أبي بكر محمد بن أحمد القناديلي قال: قال عمرو بن عثمان المكي: لقد وبخ الله التاركين للصبر على دينهم بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا: ﴿ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦] فهذا توبيخ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينه.

وقال عثمان بن سهل: دخلت على عمرو بن عثمان المكي في علته التي توفي فيها فقلت له: كيف تجدك؟ فقال: أجد سِرّي واقفاً مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام.

سمع عمرو من يونس بن عبد الأعلى، والربيع بن سليمان بن سيف الحراني وغيرهم.

وكان يقول: ما صحبت أحداً كان أنفع لي صحبتُه ورؤيتُه من أبي عبد الله الساجي.

وتوفي ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين، وقيل: سبع وتسعين، وقيل: إحدى وتسعين، ويقال: مات بمكة. والأول أصح. رحمه الله.

٣٠٦ - رُوَيْم بن أحمد

ويقال: ابن محمد بن رويم بن يزيد أبو الحسن، ويقال: أبو الحسين من بني شيبان، وكان يتفقه لداود الاصبهاني.

قال ابن الهيكل الهاشمي: سمعت رويماً يقول: الفقر له حرمة، حرمتُه سترُه وإخفاؤه والغَيرة عليه والضَنُّ به، فمن كشفه وأظهره وبذله فليس هو من أهله، ولا كرامة.

وعن محمد بن إبراهيم قال: سمعت رويم بن أحمد يقول: منذ عشرين سنة لا يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر.

وقال عبد الله بن محمد الدينوري: سمعت رويم بن أحمد يقول: مكثت عشرين سنة لا يعرض في سري ذكر الأكل حتى يحضر.

وعن جعفر الخلدي في كتابه قال: سمعت رويم بن أحمد يقول: الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك، والفتوّة أن تعذر إخوانك في زَلَلهم، ولا تعاملهم بما يُحوِجك إلى الاعتذار إليهم.

وسمعته يقول: الصبر ترك الشكوى، والرضا استلذاذ البلوى، والتوكل إسقاط رؤية الوسائط.

وقال أحمد بن فارس: قال رويم: ليس إلا بذل الروح، وإلا فلا تشتغل بترُّهات الصوفية.

وعن الحسين بن هارون قال: سمعت رويماً الصوفي يقول: إذا وهب الله لك مقالاً وفعالا فأخذ منك المقال وترك عليك الفعال فلا تبالِ فإنها نعمة، وإن أخذ منك الفعال وترك عليك المقال فنُحْ على نفسك فإنها مصيبة، وإن أخذ منك المقال والفعال فاعلم أنها نقمة.

---

٣٠٦ - رويم بن أحمد - رحمه الله -: طبقات السلمي (١٨٠)، الحلية (١٠/٢٩٦)، القشيرية (٢٧)، تاريخ ابن الجوزي (٦/١٣٦)، تاريخ بغداد (٨/ ٤٣٠)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٢٥)، طبقات ابن الملقن (٢٢٨).

أسند رويم عن يزيد بن سنان البصري.

وتوفي ببغداد في سنة ثلاث وثلاثمائة رحمه الله.

٣٠٧ ـ أبو عبد الله ابن الجلاء

واسمه: أحمد بن يحيى، من أهل بغداد، لكنه انتقل فسكن الشام.

قال أبو عمر الدمشقي: سمعت ابن الجلاء يقول: قلت لأبي وأمي: أحب أن تهباني لله! فقالا: قد وهبناك لله. فغبت عنهما مدة، ثم رجعت من غيبتي وكانت ليلة مطيرة فدققت عليهما الباب فقالا: من؟ قلت: ولدك. قال: كان لنا ولد فوهبناه لله، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبناه. وما فُتِح لي الباب.

وعنه قال سمعت: أبا عبد الله بن الجلاء يقول: من بلغ بنفسه إلى رتبةٍ سقط عنها، ومن بُلِغَ به ثبت عليها.

وكان إذا سئل عن المحبة؟ قال: ما لي وللمحبة! أنا أريد أن أتعلم التوبة.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال أبو عبد الله بن الجلاء: من علت همته عن الأكوان وصل إلى مكوِّنها، ومن وقف بهمته على شيء سوى الحق فاته الحق، لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك.

قال المصنف: لا نعلم أن ابن الجلاء أسند شيئاً، وقد صحب أبا تراب النخشبي، وذا النون وغيرهما.

وتوفي يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من رجب، سنة ست وثلاث مائة.

٣٠٨ ـ أبو العباس بن عطاء

واسمه أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي.

عن الحسن بن محمد بن عيسى بن خاقان قال: كان أبو العباس بن عطاء ينام من الليل والنهار ساعتين.

وعن أبي الحسين بن حبيش ـ وذكر أبا العباس بن عطاء ـ فقال: كان له في كل يوم ختمة، وفي شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وبقي في ختمة يستنبط مُوْدَعَ القرآن بضع عشرة سنة، فمات قبل أن يختمها.

---

٢٠٧ ـ أبو عبد الله بن الجلاّء ـ رحمه الله ـ: طبقات السلمي (١٧٦)، الحلية (١٠/ ٣١٤)، القشيرية (٢٦)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ١٤٨)، تاريخ بغداد (٥/ ٢١٣)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٢٩)، طبقات الأولياء (٨١)، شذرات الذهب (٢/ ٢٤٨).

٣٠٨ ـ أبو العباس بن عطاء ـ رحمه الله ـ: طبقات السلمي (٢٦٥)، الحلية (١٠/ ٣٠٢)، القشيرية (٣١)، تاريخ بغداد (٥/ ٢٦)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٤٤)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ١٦٠)، شذرات الذهب (٢/ ٢٥٧)، طبقات ابن الملقن (٥٩).

وقال أبو جعفر ـ محمد بن عبد الله الفرغاني ـ قال: أبو العباس بن عطاء: يا أبا جعفر لي من سنين كثيرة ـ ذكرها ـ كل يوم ختمة لا تفوتني، ولي في شهر رمضان كل يوم وليلة ثلاث ختمات، ولي ختمة منذ أربع عشرة سنة ما بلغت النصف منها. يريد الفهم منها.

وعن أبي العباس بن عطاء قال: من ألزم نفسه بآداب السنَّة عمّر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه.

وعن محمد بن علي بن حبيش قال: سئل أبو العباس بن عطاء ـ وأنا حاضر ـ: عن أقرب شيء إلى مقت الله تعالى؟ قال: رؤية النفس وأفعالها، وأشد من ذلك مطالعة الأغراض عن أفعالها[1].

وسمعته يقول: علامات الولي أربعة: صيانة سره فيما بينه وبين الله، وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله، واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله، ومداراته للخلق على تفاوت عقولهم.

أسند أبو العباس بن عطاء عن يوسف بن موسى القطان، والفضل بن زياد صاحب أحمد بن حنبل ومن في طبقتهما.

وتوفي في ذي القعدة سنة تسع وثلاث مائة رحمه الله.

٣٠٩ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن الزاهد

عن أبي الحسن أحمد بن مقسم قال: سمعت أبا الحسن بن بشار يقول ـ وكان إذا أراد أن يخبر عن نفسه بشيء قال ـ: أعرف رجلاً كان حاله كذا وكذا. فقال ذات يوم: أعرف رجلاً يشتهي منذ ثلاثين سنة أن يشتهي ليترك ما يشتهي فما يجد شيئاً يُشْتَهى.

ودخل أبو محمد ابن أخي معروف الكرخي إلى أبي الحسن بن بشار وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك! صوِّف قلبك، والبس القوهي على القوهي[2].

وقال رجل لأبي الحسن بن بشار: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال له: كما عصيت الله تعالى سراً تطيعه سراً حتى يُدخل إلى قلبك لطائف البر.

وقال: منذ ثلاثين سنة ما تكلمت بكلمة أحتاج أن أعتذر منها.

وقال المصنف رحمه الله: كان ابن بشار يذكر الناس، وكان يفتتح مجلسه فيقول: وإنك لتعلم ما نريد. فسأله رجل: ما الذي تريد؟ فقال: هو يعلم أنني ما أريد من الدنيا ولا الآخرة سواه.

وحدث ابن بشار عن صالح بن أحمد بن حنبل، وأبي بكر المروزي، وكان له كرامات ظاهرة.

توفي في ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة، وقبره ظاهر بالجانب الغربي. رحمه الله.

---

(١) في الحلية (١٠/ ٣٠٢) «مطالبة الأعواض عن أفعالها» وهو الأصح والأوضح.

٣٠٩ ـ أبو الحسن الزاهد ـ رحمه الله ـ: طبقات ابن الملقن (أبو الحسن البكّاء) (٤٦١) تاريخ ابن كثير (١٣/ ٢٦٢)، جامع كرامات الأولياء (٢/ ١٧٨).

(٢) القُوهي: ثياب بِيضٌ.

٣١٠ ـ أبو محمد الحريري

واسمه أحمد بن محمد بن الحسين، عن عبد الله الرازي قال: سمعت الحريري يقول: منذ عشرين سنة ما مددت رجلي في الخلوة، فإن حسن الأدب مع الله أولى.

وقال علي بن عبد الله: اعتكف أبو محمد الحريري بمكة في سنة اثنتين وتسعين ومائتين فلم يأكل ولم ينم، ولم يمد رجليه. فقال له أبو بكر الكناني: يا أبا محمد بماذا قدرت على اعتكافك؟ فقال: علم صدق باطني فأعانني على ظاهري.

وقال أبو الحسن الفارسي: قال أبو محمد الحريري: من توهم أن عملاً من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى فقد ضل عن طريقه، لأن النبي ﷺ قال: «لن ينجي أحدَكم عملُه»[1]. فما لا ينجي من المخوف كيف يبلغ إلى المأمول؟ ومن صحّ اعتماده على فضل الله تعالى فذاك الذي يُرجى له الوصول.

وقال محمد بن داود الدينوري: سمعت أبا محمد الحريري يقول: أمرُنا هذا كلُّه مجموعٌ على فصل واحد، وهو أن تُلزِم قلبك المراقبة، ويكون العلم على ظاهرك قائماً.

وعنه قال: سمعت أبا محمد الحريري يقول ـ وكان عنده جماعة فقال ـ: هل فيكم من إذا أراد الله أن يُحدث في المملكة حدثاً أبدى علمه إلى وليه قبل إبدائه في كونه[2]؟ فقالوا: لا.

قال: مرُّوا، وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئاً من هذا.

أخبرنا ابن ناصر بالإسناد عن أبي محمد الحريري قال: من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات، محصوراً في سجن الهوى، فحرم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذ بكلامه، ولا يستحليه، وإن كثر تردده على لسانه.

أسند الحريري الحديث، وهو من كبار أصحاب الجنيد، وصحب سهل بن عبد الله.

وتوفي رحمه الله في سنة إحدى عشرة وثلاث مائة. رحمه الله.

٣١١ ـ بنان بن محمد بن حمدان الحمال

يكنى أبا الحسن، أصله من واسط، لكنه ببغداد نشأ، وأقام وسمع الحديث، إلا أنه انتقل إلى مصر فمات بها.

---

٣١٠ ـ أبو محمد الحريري ـ رحمه الله ـ: طبقات السُّلَمي (٢٥٩)، الحلية (١٠/ ٣٤٧)، القشيرية (٣٠)، تاريخ بغداد (٤/ ٤٣٠)، طبقات ابن الملقن (٧١)، تاريخ ابن الجوزي (١/ ٤٣٠)، تاريخ بغداد (٤/ ٤٣٠).

(١) أخرجه أحمد (١/ ٨٢) و(٣/ ٣٠٤) و(٤/ ٦٧) و(٤/ ٤٣١)، والطبراني في الكبير (٤/ ٢٣٧)، وهو عند الترمذي (٢١٤١)، وغيرهم.

(٢) قد يكون ذلك عن طريق رؤيا صالحة يراها المؤمن. ولكن ليست بلازمةٍ بحيث إذا افتُقدت عُدَّت مَطْعَناً؟!

٣١١ ـ بنان بن محمد بن حمدان الحمال ـ رحمه الله ـ: طبقات السُّلَمي (٢٩١)، الحلية (١٠/ ٣٢٤)، القشيرية (٣١)، شذرات الذهب (٢/ ٢٧١)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٥٨)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢١٧)، تاريخ بغداد (٣/ ١٠٠)، طبقات ابن الملقن (١٢٢).

وقال بنان الحمال: البريء جريء، والخائن خائف، ومن أساء استوحش.

وعن أبي علي الروذباري قال: سمعت بنان الحمال يقول: دخلت البرية على طريق تبوك وحدي فاستوحشت، فإذا هاتف يهتف: يا بنان نقضت العهد! لِمَ تستوحش؟ أليس حبيبك معك؟

وقال أبو علي الروذباري: كان سبب دخولي مصر حكاية بنان: وذلك أنه أمر ابنَ طولون بالمعروف فأمر أن يُلقى بين يدي السبع، فجعل السبع يشمّه ولا يضره، فلما أُخرج من بين يدي السبع قيل له: ما الذي كان في قلبك حين شمَّك السبع؟ قال: كنت أتفكر في سؤر السباع ولعابها.

وعن عمرو بن محمد بن عراك: أن رجلاً كان له على رجل مائة دينار بوثيقة إلى أجل، فلما جاء الأجل طلب الوثيقة فلم يجدها، فجاء إلى بنان فسأله الدعاء.

فقال له: أنا رجل قد كبرت وأنا أحب الحلواء اذهب فاشتر لي رطل معقود، وجئني به حتى أدعو لك. فذهب فاشترى له ما قال، ثم جاء به. فقال بنان: افتح القرطاس. ففتح الرجل القرطاس فإذا هو بالوثيقة! فقال لِبَنانٍ: هذه وثيقتي! فقال: خذ وثيقتك، وخذ المعقود أطعمه صبيانك. فأخذ ومضى.

وعن الحسين بن عبد الله القرشي قال: سمعت «بناناً» يقول: من كان يسره ما يضره متى يفلح؟

سمع بنان من الحسن بن عرفة، وحميد بن الربيع، والحسن بن محمد الزعفراني، وبكار بن قتيبة وغيرهم. وأسند الحديث.

وتوفي في رمضان سنة ست عشرة وثلاث مائة بمصر.

٣١٢ ـ أبو علي الحسين بن صالح ابن خيران

الفقيه الشافعي، جمع بين الفقه والورع، وأُريدَ على القضاء فأبى.

قال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبيد العسكري: أريد أبو علي بن خيران للقضاء فامتنع، فوكل علي بن عيسى الوزير ببابه، فشاهدت الموكلين ببابه، وختم الباب بضعة عشر يوماً، فقال لي أبي: يا بني انظر حتى تحدث بهذا ـ إن عشت ـ إن إنساناً فعل هذا به ليليَ فامتنع، وكلم الوزير فأعفاه.

وعن أبي عبد الله الحسين بن محمد الفقيه الكشفلي: أن علي بن عيسى وزير المقتدر بالله أمر «نازوك» صاحب البلد يطلب الشيخ أبا علي بن خيران الفقيه الشافعي حتى يعرض عليه قضاء القضاة فاستتر، فوكل بباب داره رجاله بضعة عشر يوماً حتى احتاج إلى الماء، فلم يقدر عليه إلا من عند الجيران.

---

٣١٢ ـ أبو علي: الحسين بن صالح ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (٨/ ٥٣)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٧١)، العبر (٢/ ١٨٤)، وفيات الأعيان (٢/ ١٣٣).

فبلغ الوزير ذلك فأمر بإزالة التوكل عنه، وقال في مجلسه والناس حضور: ما أردنا بالشيخ أبي علي بن خيران إلا خيراً، أردنا أن يُعلَم أن في مملكتنا رجلاً نعرض عليه قضاء القضاة شرقاً وغرباً وهو لا يقبل.

توفي أبو علي بن خيران في حدود العشرين وثلاث ومائة.

٣١٣ ـ خير بن عبد الله أبو الحسين النساج

أصله من «سُرّ من رأى» لكنه نزل بغداد.

وحكى السلمي عن فارس البغدادي قال: كان اسم خير محمد بن إبراهيم السامري.

قال السلمي: وتاب في مجلسه إبراهيم الخواص والشبلي.

عن جعفر الخلدي قال: سألت خيراً النساج: أكان النسج حرفتك؟ قال: لا. قلت: فمن أين سميت به؟ قال: كنت عاهدت الله ألا آكل الرطب يوماً، فغلبتني نفسي يوماً، فأخذت نصف رطل، فلما أكلت واحدة إذا رجل قد نظر إلي وقال: يا خير، يا آبق! هربت مني. وكان له غلام اسمه خير قد هرب منه فوقع علي شبهه.

فاجتمع الناس فقالوا: هذا والله غلام خير. فبقيت متحيراً وعلمت بِمَ أُخِذت؟ وعرفت جنايتي. فحملني إلى حانوته الذي كان ينسج فيه غلمانه فقالوا: يا عبد السوء تهرب من مولاك؟ ادخل فاعمل عملك الذي كنت تعمل. فأمرني بنسج الكرباس، فدليت رجلي على أن أعمل فكأني كنت أعمل من سنين فبقيت معه أربعة أشهر أنسج له.

فقمت ليلة فتمسحت، وقمت إلى صلاة الغداة، فسجدت وقلت في سجودي: إلهي لا أعود إلى ما فعلت. فأصبحت فإذا الشبه قد ذهب عني، وعدت إلى صورتي التي كنت عليها، فأُطلقت.

فثبت علي هذا الاسم، فكان سبب النسج إتياني شهوة عاهدت الله تعالى ألاّ آكلها، فعاقبني الله بما سمعت.

وكان يقول: لا نسب أشرف من نسب مَن خلقه الله بيده فلم يعصمه، ولا علم أرفع من علم من علمه الله الأسماء كلها فلم ينفعه في وقت جريان القضاء عليه.

قال الخطيب: هذه الحكاية طريفة جداً، يسبق إلى القلب استحالتها! وقد كان الخلدي كتب إلى شيخنا أبي نعيم يجيز له رواية جميع علومه عنه، وكتب أبو نعيم هذه الحكاية عن أبي الحسن بن مقسم عن الخلدي، ورواها لنا عن الخلدي نفسه إجازة، والخلدي ثقة، وكان ابن مقسم غير ثقة. والله أعلم.

وعن عيسى بن محمد قال: سمعت أبا الحسن خيراً النساج يقول: تقدم إلي شاب من البغداديين

---

٣١٣ ـ خير بن عبد الله: أبو الحسين النسّاج ـ رحمه الله ـ: طبقات السلمي (٣٢٢)، الحلية (١٠/ ٣٠٧)، القشيرية (٣٣)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٧٤)، تاريخ بغداد (٨/ ٣٤٥)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٨١).

وقد انطبقت يده فقلت له: ما لك؟ فقال: جلست إليك فحللت عقدة من طرف إزارك فجفت يدي! فقلت: كنت قد بعت به لأهلي غزلاً.

ثم مسحت يده بيدي، فرد الله عليه يده وناولته الدرهم، وقلت: اشتر به شيئاً ولا تعد.

قال أبو بكر الرازي قال خير النساج: الخوف سوط الله يقوّم به أنفسنا وقد تعودتْ سوءَ الأدب، ومتى أساءت الجوارح الأدبَ فهو من غفلة القلب وظلمة السر.

وقال: العمل الذي يبلغ إلى الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف.

علي بن هارون الحربي يحكي عن غير واحد ممن حضر موت خير من أصحابه: أنه غشي عليه عند صلاة المغرب، ثم أفاق ونظر إلى ناحية من باب البيت فقال: قف عافاك الله، فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور، ما أُمِرتُ به لا يفوتك، وما أُمرتُ به يفوتني، فدعني أمضي لما أمرت به. ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى، ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد فمات، فرآه بعض أصحابه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لا تسألني عن هذا؟ ولكن استرحت من دنياكم الوضرة.

قال المؤلف: صحب خيرالنساج أبا حمزة البغدادي، وسرياً السقطي، وكان يُذكر أن إبراهيم الخواص صحبه.

وبلغ مائة وعشرين سنة، وتوفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة.

٣١٤ ـ أبو علي الرُّوذْباري

واسمه أحمد بن القاسم، هكذا ذكر السلمي، وصححه، وقال أبو بكر الخطيب: اسمه محمد ابن أحمد. وصحح ذلك.

أصله من بغداد، لكنه سكن مصر وتقدّم بها، وكانت له معرفة بالحديث.

كان يقول: أستاذي في الحديث إبراهيم الحربي، وفي الفقه أبو العباس بن سريج، وفي النحو ثعلب، وفي التصوف الجنيد.

قال محمد بن علي بن المأمون: سمعت أبا علي الروذباري يقول: من الاغترار أن تسيء فيحسن إليك فتترك الإنابة والتوبة توهماً [أن] تُسامح في الهفوات، وترى أن ذلك من بسط الحق لك.

وعن أبي منصور بن أحمد الأصبهاني قال: بلغني عن أبي علي الروذباري أنه قال: أنفقت على الفقراء كذا وكذا ألفاً فما وضعت شيئاً في يد فقير، كنت أضع ما أدفع إلى الفقراء في يدي فيأخذونه من يدي حتى تكون يدي تحت أيديهم، ولا تكون يدي فوق يد فقير.

صحب أبو علي الجنيدَ، والنوريّ، وابن الجلاء، والمسوحي، وغيرهم، وأسند الحديث.

وتوفي بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة. وقيل: ثلاث وعشرين رحمه الله.

---

٣١٤ ـ أبو علي الروذباري ـ رحمه الله ـ: أحمد بن محمد بن القاسم: كما في طبقات السلمي (٣٥٤)، والحلية (١٠/ ٣٥٦)، والقشيرية (٣٤)، وتاريخ بغداد (١/ ٣٢٩)، وتاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٧٢)، وتاريخ ابن كثير (١١/ ١٨١)، وطبقات ابن الملقن (٥٠).

٣١٥ ـ أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكَتَّاني

أصله بغدادي لكنه أقام بمكة ومات بها، وكان المرتعش يقول: الكتاني سراج الحرم.

وقال محمد بن عبد الله بن شاذان: كان يقال: إن الكتاني ختم في الطواف اثنتي عشرة ألف ختمة.

وقال أبو جعفر الأصفهاني: صحبت الكتاني سنين فكان يزداد على الأيام ارتفاعاً، وفي نفسه اتِّضاعا. وسمعته يقول: روعة عبد عند انتباه من غفلة، وارتعاد من خوف خطيئة أعْوَدُ على المريد من عبادةَ الثقلين.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال الكتاني: إن الله تعالى نظر إلى عبيد من عبيده فلم يرهم أهلاً لمعرفته فشغلهم بخدمته.

صحب الكتاني الخراز والنوري، ولا نحفظ له مسنداً.

وتوفي بمكة سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة، وقيل: اثنتين وعشرين. رحمه الله.

٣١٦ ـ أبو بكر الشبلي

واختلفوا في اسمه؟ فقيل: دلف بن جعفر، وقيل: دلف بن جحدر، وقيل: جحدر بن دلف، وقيل: دلف بن جعبرة، وقيل: دلف بن جبعويه، وقيل: اسمه جعفر بن يونس.

أصله خراساني من أهل سروسة من قرية يقال لها «شبلية» ومولده بسر من رأى، وكان حاجب الموفق، وكان أبوه حاجب الحجَّاب، فحضر الشبلي يوماً مجلس خير النساج فتاب فيه.

وكان يقول: خلّف أبي ستين ألف دينار سوى الضياع، فأنفقت الكلّ، وقعدت مع الفقراء.

قال الحسين بن أحمد الصفار: سئل الشبلي ـ وأنا حاضر ـ: أي شيء أعجب؟ قال: قلب عرف ربه ثم عصاه.

وعن أبي الحسن علي بن المثنى التميمي قال: دخلت على أبي بكر الشبلي داره وهو يهيج ويقول:

على بُعدك لا يصبر ... من عادته القرب
ولا يقوى على هجر ... ك من تَيَّمَه الحب
فإن لم ترَكَ العينُ ... فقد أبصرك القلب

---

٣١٥ ـ أبو بكر الكتاني ـ رحمه الله ـ: طبقات السلمي (٣٧٣)، الحلية (١٠/ ٣٥٧)، القشيرية (٣٥)، تاريخ بغداد (٣/ ٤٧)، شذرات الذهب (٢/ ٢٩٦).

٣١٦ ـ أبو بكر الشبلي ـ رحمه الله ـ: طبقات ابن الملقن (٢٠٤)، الحلية (١٠/ ٣٦٦)، القشيرية (٢٣)، تاريخ بغداد (١٤/ ٣٨٩)، تاريخ ابن كثير (١١/ ٢١٥)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٣٤٧)، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٨)، طبقات السلمي (٣٣٧).

وقال أحمد بن محمد الآملي: سمعت الشبلي يقول: مجاهدة النفس بالنفس أفضل من مجاهدة الغير بالنفس.

وقال الحسين بن أحمد الصفار: كنت يوماً عند الشبلي وكان يذم الدنيا وأهلها فقال: يا من باع كل شيء واشترى لا شيء بكل شيء!.

وسمعته يقول: ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور.

وسئل ما الزهد؟ فقال: نسيان الزهد.

ودخل بعض أصحابنا يوماً على الشبلي وهو يقول: أفلا شَجَاً بحنين؟ أفلا رنة بأنين من قلب قريح حزين؟ أفلا شاربٌ بكأس العارفين؟ أفلا مستيقظ عن رقدة الغافلين؟ يا مسكين: ستقدم فتعلم، وينكشف الغطاء فتندم.

وقال الشبلي: العارف سيّار إلى الله عز وجل تعالى غير واقف.

وسئل ـ وأنا حاضر ـ: أي شيء أعجب؟ قال: قلب عرف ربه، ثم عصاه[1].

وكان الشبلي ينوح يوماً ويقول: مَكَر بك في إحسانه فتناسيت! وأمهلك في غيِّك فتماديت! وأسقطك من عينه فما دريت ولا باليت.

وقال: ليت شعري ما اسمي عندك غداً يا علام الغيوب؟ وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب؟ وبم تختم عملي يا مقلب القلوب؟ قال: وكان الشبلي يقول في جوف الليل: قرة عيني وسرور قلبي ما الذي أسقطني من عينك؟ ثم يصرخ ويبكي.

قال: وقال الشبلي: لا تأمن على نفسك وإن مشيت على الماء حتى تخرج من دار الغِرّة إلى دار الأمل[2].

وقال الشبلي: إذا وجدت قلبك مع الله فاحذر من نفسك، وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله.

وقال أحمد الحلقاني: سمعت الشبلي يقول: من عرف الله عز وجل لا يكون له غم. وسمعته يقول: أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك.

وعن أبي حاتم الطبري قال: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا! واذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفاً من تراب فإنك منه خلقت، وفيه تعود ومنه تخرج! وإذا أردت أن تنظر ما أنت فانظر ماذا يخرج منك في دخولك الخلاء! فمن كان حاله كذلك فلا يجوز أن يتطاول أو أن يتكبر على من هو مثله.

وعن الحسين بن أحمد الهروي قال: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: ليس للأعمى من رؤية الجوهرة إلا مسها، وليس للجاهل من الله إلا ذكره باللسان.

وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري ـ وكان يخدم الشبلي ـ: ما الذي رأيت منه؟ ـ يعني عند

(١) تكررت العبارة في الصفحة السابقة أول الترجمة!!.

(٢) كذا هي، ولعلها: «الأمن».

وفاته ـ فقال: قال لي: علي درهم مظلمة تصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه! ثم قال: وضئني للصلاة. ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته، ثم مات. فبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة؟

وعن بكير صاحب الشبلي قال: وجد الشبلي في يوم جمعة خفة من وجع كان به فقال: تنشط، تمضي إلى الجامع؟ قلت: نعم، فاتكأ على يدي حتى انتهينا إلى الورّاقين من الجانب الشرقي قال: فتلقانا رجل جاءني من الرصافة فقال: بُكيرُ! قلت: لبيك. قال: غداً يكون لنا مع هذا الشيخ شأن.

ثم مضينا فصلينا، ثم عدنا فتناول شيئاً من الغداء، فلما كان الليل مات رحمه الله فقيل لي في درب السقائين: رجل شيخ صالح يغسل الموتى. فدلوني عليه في سَحَر ذلك اليوم، فنقرت الباب خفياً فقلت: سلام عليكم. فقال: مات الشبلي. قلت: نعم. فخرج إلي فإذا به الشيخ فقلت: لا إله إلا الله. فقال: لا إله إلا الله تعجباً! ثم قلت: قال لي الشبلي أمس لما التقينا بك في الوراقين: غداً يكون لي مع هذا الشيخ شأن، بحق معبودك: من أين لك أن الشبلي قد مات؟ قال: يا أبله فمن أين للشبلي أن يكون له معي شأن من الشأن اليوم؟

قال: عمر بن عبيد حدثني بكير فذكر معنى الحكاية.

صحب الشبلي الجنيد وطبقته، وتفقه على مذهب مالك، وكتب الحديث الكثير، ولا نعلم له مسنداً سوى حديث واحد.

أخبرنا أبو منصور الصرار، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي، أنبأنا إسماعيل بن أحمد الحيري، أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي، أنبأنا أحمد بن محمد بن حسن الهروي، أنبأنا أبو عبد الرحمن، أنبأنا عبد الواحد بن العباس أنبأنا أحمد بن محمد بن ثابت، أنبأنا محمد بن علي الجمال قال: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: حدثنا محمد مهدي المصري، أنبأنا عمر بن أبي سلمة، أنبأنا صدقة بن عبد الله بن طلحة بن زيد عن أبي فروة الرهاوي عن عطاء عن أبي سعيد الخدري قال: قال: رسول الله ﷺ لبلال: «**القَ الله فقيراً ولا تلقَه غنياً**»، قال: يا رسول الله كيف لي بذلك؟ قال: «**ما سئلت فلا تمنع، وما رزقت فلا تُخبيء**» قال: يا رسول الله كيف لي بذلك؟ قال: «**هو ذاك وإلا فالنار**»[1].

توفي الشبلي في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة، وهو ابن سبع وثمانين سنة، رحمه الله.

٣١٧ ـ أبو أحمد المغازلي

قال جعفر الخلدي: سمعت أبا أحمد المغازلي يقول: كنت يوماً من الأيام قاعداً فخطر على قلبي ذِكْرٌ من الأذكار، فقلت: إن كان ذكر يمشى به على الماء فهو هذا. فقمت إلى الماء فوضعت

(١) ذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧) والمناوي في فيض القدير (٣/ ٦١).

٣١٧ ـ **أبو أحمد المغازلي ـ رحمه الله ـ**: تاريخ بغداد (٥/ ١٣١) و(١٤/ ٤٢١).

قدمي على الماء فتثبتت، ثم رفعت قدمي الأخرى لأضعها على الماء فخطر بقلبي كيفية ثبوت الأقدام على الماء فغاصتا جميعاً. رحمه الله.

٣١٨ ـ عيسى بن إسحاق بن موسى

أبو العباس الأنصاري: روى عن أبي الربيع الزهراني وغيره، وروى عنه أحمد بن كامل القاضي قال: وكان يمشي حافياً، ويلبس قميصاً ناتئاً تزهداً، وكان صادقاً زاهداً عابداً.

ومات قبل سنة ثمانين ومائتين.

قال أبو عمر الزاهد: أنبأ أبو العباس الأنصاري، وكان يقال: إنه من الأبدال في زمانه.

٣١٩ ـ أبو محمد عبد الله بن محمد النيسابوري

ويقال: له المرتعش، صحب الجنيد، وأقام ببغداد في مسجد الشونيزي، وكانوا يقولون: عجائب ببغداد ثلاثة: إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخواص.

وقال أبو الفرج الصائغ: قال المرتعش: من ظن أن أفعاله تنجيه من النار أو تبلغه درجة الرضوان فقد جعل لنفسه ولفعله خطراً، ومن اعتمد على فضل الله بلغه الله أقصى منازل الرضوان.

وقيل له: إن فلاناً يمشي على الماء؟ فقال: إن من مكّنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الهواء والماء.

وعن أحمد بن علي بن جعفر قال: كنت عند المرتعش قاعداً فقال رجل: قد طال الليل وطاب الهواء! فنظر إليه المرتعش وسكت ساعة، ثم قال: لا أدري ما [أقول]؟ غير أني أقول ما سمعت من بعضهم يقول:

لست أدري: أطال ليلي أم لا كيف يدري بذاك من يتقلّى؟
لو تفرغتُ لاستطالة ليلي ولِرَعْيِ النجوم كنت مُخلا

قال: فبكى من حضره، واستدلوا بذلك على عمارة أوقاته.

قال السلمي: وتوفي ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة. رحمه الله.

٣٢٠ ـ أبو جعفر المجذوم

قال أبو الحسن الدراج: كنت أحج فتصحبني جماعة، فكنت أحتاج إلى القيام معهم والاشتغال بهم، فذهبت سنة من السنين ـ يعني على الوحدة ـ وخرجت إلى القادسية، فدخلت المسجد فإذا رجل في المحراب مجذوم وعليه من البلاء شيء عظيم، فلما رآني سلم علي وقال: يا أبا الحسين عزمت

---

٣١٨ ـ عيسى بن إسحاق ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (١١/ ١٧١).

٣١٩ ـ أبو محمد المرتعش ـ رحمه الله ـ: طبقات السلمي (٣٤٩)، الحلية (١٠/ ٣٥٥)، القشيرية (٣٤)، تاريخ بغداد (٧/ ٢٢١)، شذرات الذهب (٢/ ٣١٧).

٣٢٠ ـ أبو جعفر المجذوم ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (١٤/ ٤١٥) الحلية (١٠/ ٣٣٣).

على الحج؟ قلت: نعم. على غيظ مني وكراهية له. قال: فقال لي: فالصحبة؟ فقلت في نفسي: أنا هربت من الأصحاء أقع في يدي مجذوم! قلت: لا. قال لي: افعل. قلت: لا، والله لا أفعل. فقال لي: يا أبا الحسين يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوي. فقلت: نعم. على الإنكار عليه.

قال: فتركته فلما صليت العصر مشيت إلى ناحية المغيثة، فبلغت «كالغد» ضحوة فلما دخلت إذا بالشيخ فسلم علي وقال لي: يا أبا الحسين يصنع للضعيف حتى يتعجب القوي! قال: فأخذني شبيه الوسواس في أمره.

قال: فلم أحس حتى بلغت القرعاء على الغد فبلغت مع الصبح فدخلت المسجد فإذا أنا بالشيخ قاعداً فقال لي: يا أبا الحسين يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوي.

قال: فبادرت إليه فوقعت بين يديه على وجهي فقلت: المعذرة إلى الله وإليك! قال لي: ما لك؟ قلت: أخطأت! قال: وما هو؟ قلت: الصحبة. قال: أليس حلفت؟ وإنا نكره أن نحنثك! قال: قلت: فأراك في كل منزل؟ قال: ذاك لك.

قال: فذهب عني الجوع والعطش والتعب في كل منزل ليس لي هم إلا الدخول إلى المنزل فأراه، إلى أن بلغت المدينة فغاب عني فلم أره.

فلما قدمت مكة حضرت أبا بكر الكناني وأبا الحسين المزين فذكرت ذلك لهم فقالوا: يا أحمق ذلك أبو جعفر المجذوم، ونحن نسأل الله أن نراه! فقالوا: إن لقيته فتعلق به لعلنا نراه! قلت: نعم.

فلما خرجنا إلى مِنى وعرفات لم ألقه، فلما كان يوم الجمرة رميت الجمار، فحدثني إنسان وقال: يا أبا الحسين السلام عليك. فلما رأيته لحقني من رؤيته [هيبةٌ]، فصحت، وغشي علي، وذهب عني، وجئت إلى مسجد الخيف وأخبرت أصحابنا.

فلما كان يوم الوداع صليت خلف المقام ركعتين، ورفعت يدي فإذا إنسان خلفي جذبني فقال: يا أبا الحسين عزمت عليك أن تصبح. قلت: لا، أسالك أن تدعو لي؟ فقال: سل ما شئت؟ فسألت الله تعالى ثلاث دعوات فأمَّن على دعائي فغاب عني فلم أره.

فسألته عن الأدعية؟ فقال: فأما أحدها فقلت: يا رب حبِّب إلي الفقر، فليس في الدنيا شيء أحب إلي منه، والثاني قلت: اللّهم لا تجعلني أبيت ليلة وليَ شيء أدخره لغد، وأنا منذ كذا وكذا سنة ما لي شيء أدخره، والثالث قلت: اللّهم إذا أذنت لأوليائك أن ينظروا إليك فاجعلني منهم وأنا أرجو.

قال السلمي: أبو جعفر المجذوم بغدادي من أقران أبي العباس بن عطاء.

٣٢١ ـ عباس بن المهتدي أبو الفضل

قال أبو عبد الرحمن السلمي: عباس بن المهتدي من بغداد كنيته أبو الفضل، يرجع إلى فتوة

---

٣٢١ ـ أبو الفضل: عباس بن المهتدي ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (١٢/ ١٥٢).

ظاهرة وفراسة حادة، وحب للفقراء، وميل إليهم، دخل مصر، وصحب بها أبا سعيد الخراز.

وعن محمد بن عبد الله الفرغاني قال: تزوج عباس بن المهتدي امرأة، فلما كانت الليلة التي أراد أن يدخل بها وقعت عليه ندامة، فدخل عليها وهو كاره، فلما أراد أن يدنو منها زُجِر عنها فامتنع من وطئها، وقام وخرج من عندها.

فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهر للمرأة زوج.

٣٢٢ ـ خزرج بن علي بن العباس

أبو طالب الصوفي. قال أبو عبد الله بن خفيف: دخل أبو طالب خزرج بن علي شيراز، فاعتلّ علة فكنت أخدمه وأقدم إليه الطست في الليل مراراً كثيرة، وكنت في ذلك الوقت في حال الرياضة، فكنت لا أفطر إلا على الباقلى اليابس.

فسمع أبو طالب ليلةً كَسْري للباقلى بأسناني فقال لي: ما هذا؟ فعرّفته.

فبكى وقال: يا أبا عبد الله فإني كنت كذلك حتى حضرت ليلة مع أصحابنا في دعوة ببغداد فقُدِّمَ إلينا حَمَلٌ مشوي فأمسكت يدي! فقال لي بعض أصحابنا: كُلْ. فأكلت لقمة. وأنا منذ أربعين سنة إلى خلف.

قال ابن خفيف: ثم تماثل وخرج إلى بعض البلدان، وجلس في رباط، وسوّد داخل الرباط وخارجه وقال: هكذا جلوس أهل المصائب. فما خرج منه حتى مات.

قال المؤلف: أسند أبو طالب الحديث عن أحمد بن عبد الله النرمسي، وكان من أصحاب الجنيد.

٣٢٣ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن حماد الأزدي

مولى آل جرير بن حازم، قال القاضي أبو الحسين الجراحي: ما جئت إلى إبراهيم بن حماد قط إلا وجدته قائماً يصلي أو جالساً يقرأ.

وقال أبو بكر النيسابوري: ما رأيت أعبد منه.

أسند إبراهيم عن الحسن بن عرفة وخلق، وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة.

٣٢٤ ـ أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النجاد

عن أبي إسحاق الطبري قال: كان أحمد بن سليمان يصوم الدهر ويفطر كل ليلة على رغيف ويترك منه لقمة، فإذا كان ليلة الجمعة تصدق بذلك الرغيف وكل تلك اللقم التي استفضلها.

---

٣٢٢ ـ خزرج بن علي ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (٨/ ٣٨٣).

٣٢٣ ـ أبو إسحاق الأزدي ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (٦/ ٦١).

٣٢٤ ـ أبو بكر بن الحسن النجاد ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (٦/ ٦١).

وقال أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الحربي: سمعت أبا بكر أحمد بن سليمان النجاد يقول: من نقر على الناس قلَّ أصدقاؤه، ومن نقر على ذنوبه طال بكاؤه، ومن نقَّر على مطعمه طال جوعه.

أسند النجاد عن أبي داود السجستاني في خلق لا يُحصون، وكان يمشي في طلب الحديث حافياً.

وتوفي في سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة، وقد بلغ خمساً وتسعين سنة، ودفن عند قبر بشر بن الحارث.

٣٢٥ ـ جعفر بن محمد بن نصير الخلدي

يكنى أبا محمد، حج ستين حجة.

قال علي بن المثنى التميمي: سمعت جعفراً الخلدي يقول لرجل: كن شريف الهمّة، فإن الهمم تبلغ بالرجال لا المجاهدات.

أسند جعفر الخلدي عن الحارث بن أبي أسامة وغيره، وسمع الكثير من الحديث، ولقي جماعة من المشايخ كالجنيد وغيره.

وتوفي في يوم الأحد لتسع خلون من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة.

٣٢٦ ـ جعفر بن حرب

عن علي بن المحسن المسوحي عن أبيه: أن جعفر بن حرب كان يتقلد كبار الأعمال للسلطان، وكانت نعمته تقارب نعمة الوزارة، فاجتاز يوماً راكباً في موكب له عظيم، ونعمته على غاية وفور، ومنزلته بحالها في الجلالة، فسمع رجلاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] فصاح: اللّهم بلى. يكررها دفعات، وبكى، ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه، ودخل إلى دجلة واستتر بالماء، ولم يخرج منه حتى فرق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه، وردَّها، وتصدق بالباقي، فاجتاز رجل فرآه في الماء قائماً وسمع بخبره فوهب له قميصاً ومئزراً فاستتر بهما، وخرج فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات.

٣٢٧ ـ أبو بكر محمد بن سعيد الحربي

ويُعْرَفُ بابن الضرير الزاهد.

عن عبد الواحد بن أبي الحسين الفقيه قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر بن الضرير الزاهد يقول: دافعت الشهوات حتى صارت شهوتي المدافعةَ فحسب.

---

٣٢٥ ـ جعفر بن محمد الخلدي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن كثير (١١/ ٢٣٤)، تاريخ بغداد (٧/ ٢٢٦)، الحلية (١٠/ ٣٨١)، القشيرية (٢٨)، طبقات ابن الملقن (١٧٠)، شذرات الذهب (٢/ ٣٧٨)، طبقات السلمي (٤٣٤)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٣٩١).

٣٢٦ ـ جعفر بن حرب ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (٧/ ١٦٢)، لسان الميزان (٢/ ١١٣).

٣٢٧ ـ أبو بكر الحربي ـ رحمه الله ـ: ذكره السّلَمي في طبقاته (١٩٧).

قال المصنف: كان أبو بكر ينزل الحربية من بغداد، وروى عن إبراهيم بن نصر المنصوري وغيره.

وتوفي في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة.

٣٢٨ ـ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري

كان ثقة ديِّناً عالماً مصنِّفاً، وقد سمع عن أبي مسلم الكجي، وأبي شعيب الحراني، وجعفر الفريابي في خلقٍ يطول ذكرهم.

وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاث مائة، ثم انتقل إلى مكة، فأقام بها حتى مات في محرم سنة ستين وثلاث مائة.

قال أبو سهل ـ محمود بن عمرو العكبري ـ: لما وصل أبو بكر محمد بن الحسين الآجري إلى مكة استحسنها واستطابها، فهجس في نفسه أن: اللّهم أحيني في هذه البلدة ولو سنة. فسمع هاتفاً يهتف ويقول: يا أبا بكر لِمَ سنة؟ ثلاثين سنة!

فلما كان في سنة ثلاثين سمع هاتفاً يقول: يا أبا بكر قد وفَينا بالوعد. فمات في تلك السنة.

٣٢٩ ـ يوسف بن عمر بن مسرور

[قال] أبو الفتح القواس: قال الأزهري: كان أبو الفتح من الأبدال، وكان مجاب الدعوة.

وقال أبو الحسن الدارقطني: كنا نتبرك بأبي الفتح القواس وهو صبي.

وقال أبو ذر الهروي: كنت عند أبي الفتح القواس وقد أخرج جزءاً من كتبه فوجد فيه قرض الفأر فدعا الله على الفأرة التي قرضته! فسقطت من سقف البيت فأرة ولم تزل تضطرب حتى ماتت.

سمع يوسف بن عمر القواس من البغوي، وأبي بكر بن أبي داود، ويحيى بن صاعد في خلق كثير.

وتوفي يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وثمانين وثلاث مائة، ودفن بمقبرة أحمد. رضي الله عنهما.

٣٣٠ ـ أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عبيس بن سمعون وكان يلقب الناطق بالحكمة

عن أبي بكر الأصبهاني ـ وكان خادم الشبلي ـ قال: كنت بين يدي الشبلي في الجامع يوم جمعة

---

٣٢٨ ـ أبو بكر الآجري ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٣).

٣٢٩ ـ يوسف بن عمر: أبو الفتح القوّاس ـ رحمه الله ـ: ذكره في السير في مواضع (١٣/ ٤٩٢) و(١٤/ ٥٢٨) و(١٥/ ٦٦ و٤٢١ و٥١٦)، و(١٦/ ٥٠٨). المنتظم لابن الجوزي (١٤/ ٣٨٢)، تاريخ بغداد (١٤/ ٣٢٥)، شذرات الذهب (٣/ ١١٩).

٣٣٠ ـ أبو الحسين ابن سمعون البغدادي ـ رحمه الله ـ: ذكره في السِّيَر (١٣/ ٣٦٨).

فدخل أبو الحسين بن سمعون وهو صبي على رأسه قلنسوة بشفاشك مُطَيْلَس بفوطة، فجاز علينا وما سلم فنظر الشبلي إلى ظهره وقال: يا أبا بكر أتدري أي شيء لله من الذخائر في هذا الصبي؟ وقال الحسن بن محمد الخلال قال: لي أبو الحسين بن سمعون: ما اسمك؟ فقلت: حسن. فقال: فقد أعطاك الله الاسم، فسَلْه أن يعطيك المعنى.

وقال أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن المظفر: سمعت ابن سمعون يقول: رأيت المعاصي نذالةً فتركتها مروءةً، فاستحالت ديانةً.

وقال أبو الفتح القواس: لحقتني إضاقة في وقت من الأوقات، فنظرت فلم أجد في البيت غير قوس لي وخفَّين كنت ألبسهما فأصبحت وقد عزمت على بيعهما.

وكان يوم مجلس أبي الحسين بن سمعون فقلت في نفسي: أحضر المجلس، ثم أنصرف فأبيع الخفين والقوس. فحضرت فلما أردت الانصراف ناداني أبو الحسين: يا أبا الفتح لا تبع الخفين ولا تبع القوس، فإن الله سيأتيك برزق من عنده. أو كما قال.

وعن علي بن طلحة المقري قال: سمعت أبا الحسين بن سمعون يقول: كل من لم ينظر بالعلم فيما لله عليه فالعلم حجة عليه ووبال.

وسمعته يقول: الصادقون الحذّاق هم الذين نظروا إلى ما بذلوا في جنب ما وجدوا فصغُر ذلك عندهم فاعتذروا.

وسمعته يقول: قللوا اهتمامكم لكم، ووفروا اهتمامكم بكم، وتوسدوا أوساداً من الشكر، والبسوا لباساً من الذكر، والتحفوا لحافاً من الخوف تفوزوا بمدحة الرب: الله، [وإياكم] أن تستهينوا بشيء يوجب الذم دون أن تستهينوا بما يوجب العقوبة.

وسمعته يقول: يا هذا تظلَّم إلى ربك منك، واستنصره عليك ينصرك.

وسمعته يقول: احزنوا على ما فاتكم، وأسَفوا على تقصيركم، وأحرِزوا بضائعكم من التلف لا تخرج القُطّاع عليها.

وسمعته يقول: كل داء عرف دواؤه فهو صغير، والذي لم يعرف له دواء كبيرٌ.

وسمعته يقول: اجهد يا هذا أن يُسرَق منك ولا يُسرق لك.

وسمعته يقول: احذروا الصغائر، فإن النقط الصغار آثار في الثوب النقي.

وسمعته يقول: احذر أن ترى عملك لك! فإن رأيته لك كنت ناظراً إلى [ما] ليس لك.

وسمعته يقول: من الوقاحة تمنّيك مع توانيك! استوفِ من نفسك الحقوق، ثم وفّها الحظوظ حسب ما يكفيها لا ما يطغيها، قِفْها بين الجنة والنار، تأباك الجنة بكل معنى، وتقبلك النار بجملتك.

وسمعته يقول: معنى قوله: «لا يزال عبدي يتحبب إليَّ حتى أحبه» قال: حتى أظهر له حبي لأنه لم يزل محباً.

وسمعته يقول: الخير كله في هذا الزمان تركُ ما الناس عليه، ومصّ النُّوى، وسفّ الرمل وأنشدنا:

لـو كـل جـارحـة مـنـي لـهـا لـغـة ... تثني عليك بما أوليت من حسن
لـكـان مـا زال شـكـري إذ أشـرت بـه ... إليك أزيدَ في الإحسان والمنن

وأنشدنا أيضاً:

حـاشـاك مـن أن تـرابـى ... محمد يحبك خوفا
لـم يـبـق مـنـي وفـاء ... إلا وما منك أوفى
أفـنـيـتـنـي عـن جـمـيـعـي ... فصرت أهواك طرفا

قال محفوظ بن أحمد الكلوذاني: قال لنا الشيخ الصالح أبو علي الحسن بن غالب الحربي: سمعت أبا الحسن بن سمعون يقول: يا هذا أكرمتك لما عاملتك، وصنتك لما نهيتك، فمعاملتي لك كرامة، ونهيي لك صيانة، كلفتك الصلاة، ولعلمي بتوانيك لم أجعل لها وقتا واحداً، جعلت لها أولاً وآخراً، وأنت تقول: الوقت واسع! متى ما اتسع الوقت على عاقل؟ أما علمت أن الأوقات على العقلاء أدقُّ من ثقب الإبر؟ تهتم لك كأني لست مولاك، وتدع الاهتمام بك كأني لست مطالبك؟ أما علمت أنه إذا بدا النهار أطالبك بحق ملكي، وإذا بدا الليل أطلبك بحق حبي.

قال أبو علي: وكنا جلوساً عند أبي الحسين بن سمعون في مجلسه فجاز قوم معهم كلاب الصيد، فنبحت عليها كلاب الدرب فقال: سبحان الله كأن هذه حادثت هذه فقالت هذه الأهلية لكلاب الصيد: يا مساكين رغبتم في نعيم الملوك فسوجروكم[1]، ولو قنعتم بالمنبوذ مثلنا كنتم مُخْلَين! فقالت لها كلاب الصيد: خفيَ عليكم حالُنا! نحن رأوا فينا آلة الخدمة فحبسونا على الخدمة وقاموا لنا بالكفاية، قالت الأهلية: فالواحد منكم إذا كبر خُلِّي وصار معنا! قالت كلاب الصيد: لأنه قصر عما يجب عليه، وكل من قصر فيما يجب عليه طُرد.

قال أبو علي: وسمعت أبا سعيد أحمد بن المسك بن أحمد البزاز يقول: سمعت عمي محمد ابن أحمد يقول: رأيت في المنام رسول الله ﷺ في جامع الخليفة وإلى جانبه رجل مكتهل فسألت عنه؟ فقيل: هو عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، وهو يقول للنبي ﷺ: أليس في أمتي الأحبار؟ أليس في أمتي الرهبان؟ أليس من أمتي أصحاب الصوامع؟ قال: فدخل أبو الحسين بن سمعون فقال له رسول الله ﷺ: في أمتك مثل هذا! فسكت. وانتبهت.

وعن أبي طاهر محمد بن علي العلاف قال: حضرت أبا الحسين بن سمعون يوماً في مجلس الوعظ وهو جالس على كرسيه يتكلم، وكان أبو الفتح بن القواس جالساً إلى جنب الكرسي فغلبه النعاس، فنام فأمسك أبو الحسين عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه، فقال له أبو الحسين: رأيت رسول الله ﷺ في نومك؟ قال: نعم. قال أبو الحسين: لذلك أمسكت عن الكلام خوفاً تنزعج وتنقطع عما كنت فيه! أو كما قال.

---

(١) سَوْجَروكم: وضعوا السَّاجور في أعناقكم، والساجور: خَشَبَةٌ تُعَلَّقُ في عُنُق الكلب، وسَجَره: شدّه به.

وعن أبي بكر البرقاني قال لأبي الحسين بن سمعون: أيها الشيخ أنت تدعو الناس إلى الزهد في الدنيا والترك لها وتلبس أحسن الثياب؟ وتأكل أطيب الطعام؟ فكيف هذا؟ فقال: كل ما يصلحك فافعله، إذا صلح حالك مع الله بلبس لين الثياب وأكل طيب الطعام فلايضرك.

أسند ابن سمعون عن خلق كثير يطول ذكرهم، منهم عبد الله بن أبي داود السجستاني، وأملى الحديث.

وتوفي يوم النصف من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة، وكان مولده سنة ثلثمائة، ودفن في داره، ثم نقل بعد تسع وثلاثين سنة إلى باب حرب وكَفَنُهُ لم يَبْلَ.

قال عبد القادر بن محمد بن يوسف: أخبرني أبي قال: كنت مع الذين أخرجوا أبا الحسين من داره وقد دفن فيها أربعين سنة، فأُخرج إلى قبر أحمد وأكفانه تتقعقع كما دفن. رحمه الله.

٣٣١ ـ عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق

أبو القاسم الواعظ: كان من أهل الزهد والصلاح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

عن أحمد بن علي بن ثابت قال: حدثني الضمري قال: كان عند عبد الصمد جزء عن النجاد، فأخذت من أبي بكر البقّال نسخته ومضيت أنا وأبو يعلى ابن المأمون إليه فسلمنا عليه، وسألناه: أن يحضرنا في المسجد لنسمع الجزء منه، وسبقناه إلى المسجد.

فدخل وسلم وصلى ركعتين، ثم جاء فجلس بين أيدينا فقلت له: إنما حضرنا لنسمع منك، فإن رأيت أن ترتفع إلى صدر المجلس؟ فقال: هذا ابن عم رسول الله ﷺ وأشار إلى ابن المأمون، وأنت رجل من أهل العلم، وما كنت لأرتفع عليكما في المجلس.

وعن علي بن محمد الحسن المالكي قال: جاء رجل إلى عبد الصمد بمائة دينار ليدفعها إليه، فقال له: أنا غني عنها. فقال: فرقها على أصحابك هؤلاء. فقال: ضعها على الأرض. ففعل، فقال عبد الصمد للجماعة: من احتاج منكم إلى شيء فليأخذه على قدر حاجته. فتوزعها الجماعة على صفات مختلفة من القلة والكثرة، ولم يمسها هو بيده، ثم جاء ابنه بعد ساعة فطلب منه شيئاً؟ فقال له: اذهب إلى البقّال فخذ منه ربع رطل تمراً.

وقال التنوخي: كنت يوم الجمعة في جامع المنصور والخطيب على المنبر وعلى يساري علي بن طلحة المقري البصري، فمددت عيني فرأيت عبد الصمد بالقرب مني فهممت بالنهوض إليه ـ وكان صديقاً لي ـ فاحتشمت من القيام في مثل ذلك الوقت مع قرب قيام الصلاة، فقام ومشى نحوي فقمت إليه، فقال لي: اجلس أيها القاضي، فليس إليك قصدت، ولا لك أردت بمجيئي، إنما هذا أردت، وإليه قصدت ـ يعني ابن طلحة ـ وذلك أن نفسي تأباه وتكرهه فأردت أن أذلها بقصده، وأخالف إرادتها فقصدته. فقام ابن طلحة إليه وقبّل رأسه وعاد عبد الصمد إلى موضعه.

---

٣٣١ ـ أبو القاسم الواعظ ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (١١/ ٤٣).

وعن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله السكري قال: اجتاز عبد الصمد يوماً بسوق الطعام فرأى غلاماً يقال له «عزيز» وقد خرج مع العيّارين ـ وكانت أيامهم ـ والناس مجتمعون عليه وأبواه يبكيان ويعذلانه ويأبى عليهم.

فلما أكثر عليه قال لهما: مثلي يقول شيئاً يرجع عنه؟ قد قلت لأصحابي: إني منكم، امضيا اطلبا عزيزاً غيري شاروفتي(١) في جيبي.

يقول عبد الصمد: رأيته قد تابع الهوى على الوفاء مع علمه بأنه إذا وقع في الشدائد لا يجيره، فبايعت ربي على الوفاء، مع علمي بأني إذا وقعت في الشدائد يجيرني، فاجتزت يوماً بباب درب الديزج فشممت روائح طيبة، فطالبتني نفسي بشيء منها! فقلت: اطلبي عبدَ الصمد غيري شاورفتي في جيبي.

قال: وسمعت عبد الصمد يقول: كنت يوماً أمشي في بعض الطرق، وإذا بساعٍ قد أقبل من عَدْوِه، وقد بقي عليه من الطريق بقية، والناس يستقبلونه بالتحف، فقال له رجل: أي فلان مت اليوم حتى تعيش أبداً. فقلت لنفسي: هذا لكِ: موتي اليوم حتى تعيشي أبداً.

وعن أبي علي الحسن بن علي بن فهر القلاف قال: قال عبد الصمد: يا أبا علي رأيت اليوم عجباً: اجتزت ببعض الخرابات فسمعتُ منها أنيناً، فدخلت واذا برجل قد شد حبلاً يريد أن يخنق نفسه! فزعقت عليه وقلت له: لا يحل لك أن تفعل هذا! فقال لي: فاعذُرْ. فقلت له: وما شأنك والعُذْر؟ قال: قد قامرت في قتل نفسي فقمرتها، وما أرى الغدر. فنحيت الحبل من عنقه وعجبت كيف لم يستجز الغدر في هوى الشيطان؟ فكيف يجوز الغدر في رضا الرحمن؟

وحكى أبو الوفاء بن عقيل قال: هجم عيدٌ على عبد الصمد والبيت فارغ من القوت، فجاءه رجل بدراهم فقال: خذ هذه. فقال: يا هذا بالله دعني اليوم أتلذذ بفقري كما يتلذذ الأغنياء بغناهم! وكان يقول: أبداً أوجدهم(٢) في تعذيبه عذوبة.

قال المؤلف: بلغني عن عبد الصمد أنه كان في دعوة، فقيل له: انبسط وتمكّن. فقال: وما يمكّنّي؟ من يحتشم ربه في الخلوة لا ينبسط.

وكان يحرّض أصحابه إلى الجد ويقول: هيه، قد فاتتكم الدنيا فلا تفوتنكم الآخرة.

وقال التنوخي: حدثني من حضر عبد الصمد ـ وقد احتُضِر ـ فدخلت عليه أم الحسن ابن القاضي أبي أحمد بن الأكفاني ـ وكانت أحد من يقوم بأمره ويراعيه ـ فقالت له: أسالك وأقسم عليك إلا سألتني حاجة؟ فقال لها: نعم كوني لهنية ـ يعني ابنته ـ بعد موتي كما أنت لها في حياتي. فقالت: أفعل. ثم أمسك ساعة وقال: أستغفر الله ـ وكررها ـ الله لها خيرٌ لها منكِ.

---

(١) شاروفتي: المراد: زاده وما يحتاج إليه هو معه. والله أعلم، والشُرَافي: ثياب بيضٌ أيضاً. اهـ.

(٢) كذا هي في المطبوع، ولعلها: «أوجد لهم...». والله أعلم.

وحكى ابن عقيل عن بعض من حضر عبد الصمد عند الموت قال: حضرته وهو يقول: يا سيدي لِليوم خَبَأتكِ ولهذه الساعة اقتنيتك، حقِّق حسن ظني بك.

أسند عبد الصمد عن أحمد بن سلمان النجاد.

وتوفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة، وقيل: في آخر يوم من ذي الحجة، سنة سبع وتسعين وثلاث مائة، وقيل: توفي ليلاً، وكانت وفاته بدرب شماس من نهر الغلابين، وقبره اليوم ظاهر يُتبرَّك به بمقبرة الإمام أحمد.

٣٣٢ ـ عثمان بن عيسى أبو عمر الباقلاوي

كان يقال له: العابد الصَّموت لإمساكه عن الكلام فيما لا يعنيه.

قال أحمد بن علي الحافظ: كان عثمان الباقلاوي أحد الزهاد المتعبِّدين، منقطعاً عن الخلق، ملازماً للخلوة.

قال: وسمعت بعض الشيوخ الصالحين يقول: سمعت عثمان الباقلاوي يقول: إذا كان وقت غروب الشمس أحسست بروحي كأنها تخرج ـ يعني لاشتغاله في تلك الساعة بالإفطار عن الذكر ـ.

قال وسمعته يقول: أحب الناس إلي مَنْ ترك السلام علي لأنه يشغلني بسلامه عن الذكر.

وقال محمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي: حدثني أبي قال: مضيت يوماً في صحبة خالي إلى عثمان بن عيسى الباقلاوي فتلقيناه خارجاً من المسجد إلى داره وهو يسبّح، فقال له خالي: ادع لي. فقال: يا أبا عبد الله شَغَلْتَني! انظر ما تظنه فيّ فافعله، وادعُ أنت لي. فقلت له: أنا! بالله ادع لي! فقال لي: رفق الله بك. فاستزدته! فقال: الزمان يذهب والصحائف تختم.

وعن أبي الحسين محمد بن محمد بن المهتدي قال: هذا الذي أنا فيه من بركة عثمان الباقلاوي، وذلك أنني كنت أصلي به، فكان إذا خلا بي مسح يده على صدري ودعا لي، فأنا أعتقد أن الذي أنا فيه من بركة دعائه.

قال: وكان له مغتسل وحارة في المسجد، فكان يصلي بينهما، وكنت أصلي به شهر رمضان فقرأت ليلة سورة ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ حتى أتيت هذه الآية: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥] فصاح وسقط مغشياً عليه فما بقي أحد في المسجد إلا انتحب.

وكان عثمان يتعمم بشاروفة(١)، وكان يأكل من كسب البوازي، وكان قد سأله السعيد التركي: أن يصل إليه منه شيء؟ فأبى. فقال له: إذ أبيت فتأذن لي أن نشتري دهناً نشعله في المسجد؟ وكان مأواه المسجد ما كان يخرج منه إلا إلى الجمعة، فأجاب إلى ذلك، فلما عاد الرسول على أنه يحمل إليه دهناً قال له: لا تجئني بشيء آخر، فقد أظلم عليّ البيت.

---

٣٣٢ ـ عثمان بن عيسى ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٥/ ٨٦ ـ ٨٧).

(١) انظر: التعليق (١) في الصفحة السابقة.

أسند عثمان الباقلاوي عن إبراهيم بن محمد المطوعي، والحسن بن أبي النجم - مؤدب الطائع لله - وغيرهما، وتوفي في يوم الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة اثنتين وأربع مائة، ودفن في مقبرة جامع المنصور.

عن عرس الخباز قال: لما دفن عثمان الباقلاوي رأيت في المنام بعض من هو مدفون في جوار قبره، فقلت له: كيف فرحكم بجوار عثمان؟ فقال: وأين عثمان؟ لما جيء به سمعنا قائلاً يقول: الفردوس الفردوس. أو كما قال رحمه الله.

٣٣٣ - بكر بن شاذان ابن بكر

أبو القاسم، قرأ القرآن على جماعة، وسمع الحديث من جعفر الخلدي وأبي بكر الشافعي وغيرهما، وكان يُقرىء القرآن، ويروي الحديث، ويعظ الناس، وكان من قوّام الليل وأهل التقوى.

عن الحسن بن غالب المقرىء: أن بكر بن شاذان وأبا الفضل التميمي جرى بينهما كلام فبدر من أبي الفضل كلمة ثقلت على بكر، وانصرفا، ثم ندم التميمي، فقصد أبا بكر بن يوسف. وقال له: قد كلمت بكراً بشيء قد خفي عليه، وندمت على ذلك! فأريد أن تجمع بيني وبينه؟ فقال له ابن يوسف: سيخرج لصلاة العصر.

فخرج بكر وجاء إلى ابن يوسف والتميمي عنده فقال له التميمي: أسالك أن تجعلني في حِلّ؟ فقال بكر: سبحان الله ما فارقتك حتى أحللتك. وانصرف.

قال التميمي: قال لي والدي: يا عبد الواحد احذر أن تخاصم من إذا نمت كان منتبهاً.

قال ابن غالب: وكان لبكر ورد من الليل، لا يخلُّ به.

توفي في يوم السبت التاسع من شوال، سنة خمس وأربع مائة، ودفن بمقبرة باب حرب.

٣٣٤ - أبو أحمد عبد الله بن أحمد

ابن محمد الفرضي، قال علي بن عبد الواحد بن مهدي: اختلفت إلى أبي أحمد الفرضي ثلاث عشرة سنة لم أره ضحك فيها، غير أنه قرأ علينا يوماً كتاب «الانبساط» فأراد أن يضحك فغطى فمه.

وقال عيسى: كان أبو أحمد إذا جاء إلى أبي حامد الإسفرائيني قام أبو حامد من مجلسه ومشى إلى باب مسجده حافياً مستقبلاً له.

قال: وكتب أبو حامد مع رجل خراساني كتاباً إلى أبي أحمد يشفع له: أن يأخذ عليه القرآن.

---

٣٣٣ - بكر بن شاذان - رحمه الله -: تاريخ بغداد (٧/ ٩٦)، تاريخ ابن كثير (١١/ ٣١٢)، تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٧٢)، العبر (٣/ ٢٢)، معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٣٧١ برقم ٣٠١)، غاية النهاية (١/ ١٧٨)، شذرات الذهب (٣/ ١٧٤).

٣٣٤ - أبو أحمد الفرضي - رحمه الله -: ذكره الذهبي في السير (١٧/ ٢٤٦) وابن مفلح في المقصد الأرشد (٢/ ٤٧١).

فظن أبو أحمد أنها مسألة قد استفتي فيها؟ فلما قرأ الكتاب غضب ورماه عن يده، وقال: أنا لا أقرىء القرآن بشفاعة. أو كما قال.

وقال أبو القاسم ـ منصور بن عمرو الفقيه ـ: لم أر في الشيوخ من يعلّم العلم خالصاً لله لا يشوبه شيء من الدنيا غير أبي أحمد الفرضي، فإنه كان يكره أدنى سبب حتى المدح لأجل العلم.

قال: وكان قد اجتمعت فيه أدوات الرياسة من علم وقرآن وإسناد وحالة متسعة في الدنيا وغير ذلك، وكان أورع الخلق، وكان يبتديء كل يوم بتدريس القرآن، ويحضر عنده الشيخ الكبير ذو الهيئة فيقدم عليه الحدَث لأجل سبقه، فإذا فرغ من إقراء القرآن ولي قراءة الحديث علينا بنفسه، فلا يزال كذلك حتى يستنفد قوته، ثم يضع الكتاب من يده وينصرف.

قال: وكنت أطيل القعود معه وهو على حالة واحدة لا يتحرك، ولا يعبث بشيء من أعضائه، ولا يغير شيئاً من هيئته حتى أفارقه.

وقد بلغني: أنه كان يجلس مع أهله على هذا الوصف، ولم أر في الشيوخ مثله.

سمع أبو أحمد من القاضي المحاملي، ويوسف بن يعقوب بن البهلول، وحضر مجلس أبي بكر ابن الأنباري.

وتوفي في يوم الثلاثاء للنصف من شوال سنة ست وأربعمائة، وقد بلغ اثنتين وثمانين سنة، ودفن في مقبرة جامع المدينة رحمه الله.

٣٣٥ ـ أبو العباس أحمد بن محمد

ابن عبد الرحمن بن سعد الأبيوردي: كان فقيهاً فصيحاً من أصحاب أبي حامد الإسفرائيني، توطن بغداد، وولي القضاء بها على الجانب الشرقي، ومدينة المنصور، وكان مدرساً مفتياً مناظِراً، وكانت له حلقة بجامع المنصور.

ذكر عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي عمن حدثه: أن القاضي أبا العباس الأبيوردي كان يصوم الدهر، وإن غالب إفطاره كان على الخبز والملح، وكان فقيراً يظهر المروءة. قال: ومكث شتوة لا يملك جبة يلبسها.

وكان يقول لأصحابه: فيّ علّة تمنعني عن لبس الحشو. فكانوا يظنونه يعني المرض، وإنما كان يعني بذلك الفقر، ولا يظهره تصوّناً ومروءة.

وقال ابن ثابت: حدثني الصوري: أنه سأل الأبيوردي عن مولده؟ فقال: سنة سبع وخمسين وثلاثمائة.

ومات يوم السبت السادس من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة، ودفن في مقبرة باب حرب والله اعلم.

---

٣٣٥ ـ أبو العباس الأبيوردي ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (٥/ ٥١).

٣٣٦ ـ أبو الحسن علي بن عمر بن محمد

ابن الحسن الحربي المعروف بالقزويني، وكان من كبار الصالحين، ومولده في محرم سنة ستين وثلاث مائة ببغداد، وأصل أبيه من قزوين، وقرأ القرآن بالقراءات على أبي حفص الكناني وغيره.

وسمع الحديث من ابن كيسان النحوي، والقاضي الجراحي، وأبي حفص بن الزيات، وأبي عمر بن حيوة، وأبي الحسين مظفر، وأبي الحسين بن سمعون في جماعة أخرى، وتفقه على أبي القاسم الداركي، وعلق النحو على أبي الفتح بن جني.

وكان منذ كان صبياً حسن الطريقة ملازماً للصمت عما لا يعنيه، وافر العقل، ثم كان يقرأ القرآن ويروي الحديث، ولا يخرج من بيته إلا إلى الصلاة، وله كرامات كثيرة، ولما توفي غسله أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي.

قال أحمد بن علي بن ثابت: كان أبو الحسن القزويني أحد الزهاد المذكورين ومن عباد الله الصالحين. توفي في شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، وصُلي عليه في الصحراء بين الخربية والعتابين، وحضرت الصلاة عليه، وكان الجمع متوفراً جداً يفوت الإحصاء، لم أر جمعاً على جنازة أعظم منه، وغُلق جميع البلد في ذلك اليوم.

وقال أبو الفتح بن علوس الدينوري: صلى الناس على القزويني حيث توجهوا، ولم يُحطّ إلى الأرض لكثرة الخلق، إنما كان على أيدي الرجال حيث اتجه صلوا عليه.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: شهدت جنازته وكان يوماً لم يُر في الإسلام بعد جنازة أحمد بن حنبل مثله، غلقت له المكاتب والحمامات وبلغت المَعْبَرَةُ بباب الطاق مع كون الجسر ممدوداً ربعَ دينار، ولم يسع الناس جامع، ولا أمكن أن يصلي عليه إمام معيّن، فجعل كل قبيل فيه ألوف من الناس يصلي بهم رجل يصلح للتقدم.

وكانت الضجة تمنع التبليغ للتكبير فصلى أكثر الناس وحداناً، ورأيت عدة بنانيك فيها من المداسات الكثيرة ينادى عليها ليأخذها أربابها.

عبد الله بن محمد البرداني قال: انتبه أخي أبو غالب يوسف بن محمد في الليلة التي مات فيها القزويني وهو يبكي وقد أخذته الرِعدة فسكنه والدنا، وأمسكه وقرأ عليه، وقال له: ما لك يا بني؟ قال: رأيت في المنام كأن أبواب السماء قد فتحت وابن القزويني يصعد إليها. فلما كان في صبيحة تلك الليلة سمعنا المنادي ينادي بموته.

وقال أبو الفرج عبد العزيز بن عبد الله الصائغ: صليت على أبي الحسين القزويني فهالني كثرة الخلق الذين حضروا جنازته واستعظمتهم، فرأيته تلك الليلة في المنام وهو يقول لي: استعظمت الخلق الذين صلوا علي! قد صلى علي من الملائكة في السماء أكثر من ذلك.

---

٣٣٦ ـ علي بن عمر الحربي ـ رحمه الله ـ: ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٠٣). وانظر تاريخ ابن الجوزي (١٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧).

٣٣٧ ـ أبو بكر محمد بن عبد الله الدينوري

وكان يسكن الرصافة ببغداد، وكان زاهداً حسن العيش.

وكان أبو الحسن القزويني يقول: عبر الدينوري قنطرة خلَّف من بعده وراءه.

قال أبو الوفاء بن عقيل الواعظ: كنت شاباً حديث السن أتردد إلى مجلس ابن بشران الواعظ، وكان يعتاد عيني الرمد كثيراً، فرآني ذات يوم في المجلس رجلٌ كان يبسط لابن بشران بساط المنبر يقال له بكار فقال لي: أراك تدوم على حضور هذا المجلس؟ فقلت: لعلي أستفيد شيئاً ينفعني في ديني! فقال لي: اجلس حتى ينقضي المجلس. فجلست.

فلما انقضى المجلس أخذ بيدي وحملني إلى الرصافة، وجاء بي إلى باب فطرقه. فقال قائل من داخل الدار: من؟ فقال: أنا بكار. فقال: يا بكار ألست قد كنت هاهنا اليوم؟ فقال: جئت في حاجة مهمة. ففتح الباب وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم دخلنا وإذا بشيخ جالس مستقبل القبلة على رأسه سطح كالطرحة فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقال بكار: يا سيدي هذا صبي يداوم حضور المجلس، ويحب الخير، وقد دام مرض عينه فادع له. فدعاني فأتيته فأدخل خنصره في فيه، ثم مسح عيني به، فبقيت بعد ذلك نحو ستين سنة لم ترمد عيني، فلما خرجت سألت عنه؟ فقيل لي: هذا أبو بكر الدينوري صاحب ابن سمعون.

توفي الدينوري في شعبان سنة ثلاثين وأربعمائة.

٣٣٨ ـ أبو الطيب طاهر بن عبد الله

ابن طاهر الطبري، ولد بآمل في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وسافر في طلب العلم، سمع من أبي أحمد الغطريفي والدارقطني والمعافى بن زكريا وغيرهم، وتفقه على أبي الحسن الماسرجسي، وبرع في الفقه، وجمع التقوى إلى العلم، وولي القضاء بربع الكرخ بعد أبي عبد الله الصيمري، وقد كان رأى النبي ﷺ في المنام فقال له: يا فقيه! فكان يفرح ويقول: سماني رسول الله ﷺ فقيهاً.

قال أحمد بن علي بن ثابت: أنشدني أبو الطيب الطبري لنفسه:

ما زلت أطلب علم الفقه مصطبِرا ... على الشدائد حتى أعقب الخيرا
وكان ما كرَّ من درس ومن سهر ... في عُظم ما نلت من عُقْباه مغتفرا
حفظت مأثوره حفظاً وَثِقْتُ به ... وما يقاس على المأثور معتَبرا
صنفت في كل نوع من مسائله ... غرائبَ الكتب مبسوطاً ومختصرا
أقول بالأثر المروي متّبعا ... وبالقياس إذا لم أعرف الآثر
إذا انتضيت بياني عن غوامضه ... حَسَرتُ عنها قناعَ اللبس فانحسرا

---

٣٣٨ ـ أبو الطيب الطبري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٩٨)، العبر (٣/ ٢٢٢)، شذرات الذهب (٣/ ٢٨٤)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٤٧)، تاريخ ابن كثير (١٢/ ٧٩)، تاريخ بغداد (٩/ ٣٥٨).

وإن تحريت طُرُق الحق مجتهدا | وصلت منها إلى ما أعجز الفكرا
وكنت ذا ثروة لمّا عُنيت به | فلم أدع ظاهرا منها ومدَّخَرا
وما أبالي إذا ما العلمُ صاحبني | ثم التقى فيه أن لا أصحب البشرا
ثنتْ عنانيَ عنه همةٌ طمحت | الى الهوى فاستطابت عنده الصبرا
أُصدَّى فلا أتصدى للئيم ولا | أبيت دون الغنى حزنان منكسرا
إذا أضقت سألت الله معتذرا | كفايتي فأطاب الورد والصدرا

وقرأت بخط الشيخ أبي الوفا بن عقيل قال: حكى لي بعض أهل العلم: أن القاضي أبا الطيب صعد من سميرية وقد تم له عشر المائة فقفز منها إلى الشط فقال بعض من حضر: يا سيدنا لا تفعل هذا، فإن أعضاءك تضعف! وربما أورث مثل هذه الطفرة فتقاً في المعى؟ فقال: يا هذا إن هذه أعضاءنا حفظناها من معاصي الله فحفظها الله علينا.

وقال أبو الحسن ـ محمد بن أحمد بن عبد الله الفامي ـ: ابتدأ القاضي أبو الطيب الطبري يدرس الفقه ويتعلم العلم وله أربع عشر سنة، فلم يخلّ به يوماً واحداً إلى أن مات.

قال الخطيب: وتوفي في يوم السبت لعشر بقين من ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب، وحضرت الصلاة عليه في المنصور، وكان إمامَنا في الصلاة عليه أبو الحسين بن المهتدي، وبلغ من السن مائة سنة وسنتين، وكان صحيح العقل، ثابت الفهم، يقضي ويفتي إلى حين وفاته. رحمه الله.

٣٣٩ ـ أبو الحسن البرداني

كان من الزهّاد المنقطعين بجامع المنصور.

حدثني أبو محمد عبد الله بن علي المقرىء قال: كان أبو الحسن البرداني صالحاً مقيماً بدار القطان، وكان الناس يزورونه فيقول: ترى أي شيء زاد فيّ حتى أُزار؟ أنا كنت أكاراً ولباسي اليوم لباسي الذي كان، وأكلي أكلي الذي كان، وما تركت شيئاً من الدنيا أُحمَدُ على تركه فلماذا أُزار؟ قال أبو محمد: وكان بجامع المنصور رجل يقال له ابن عبد العزيز من القراء فسمعه البرداني يقول يوماً: هؤلاء الحشوية يقولون في القرآن كذا! فبقي مدة لا يصلي خلفه، فلما شاع هذا تعصب له جماعة، وجاؤوا بتوقيع من السلطان بتقديمه وتمكينه، فجاء ابن عبد العزيز والناس معه فباتوا بباب البصرة، فقال خادم البرداني له: يا سيدي قد جاء القوم، وقد عزموا على تقدميه وتمكينه! فقال: ما يجيئون؟ وكيف يجيئون؟

فقال ابن عبد العزيز في بعض الليلة: فؤادي يوجعني، ومات من ليلته.

٣٤٠ ـ أبو بكر أحمد بن علي العلبي

كان يقرىء القرآن، ويؤم الناس، ويعمل بيده، ولا يقبل من أحد شيئاً، ويذهب بنفسه في كل ليلة إلى دجلة فيأخذ في كوز له ماءً يفطر عليه، ويمشي في حوائج نفسه، ولا يستعين بأحد.

وكان إذا حج يزور القبور بمكة، ويجيء إلى قبر الفضيل بن عياض ويخط بعصاه ويقول: يا رب ها هنا، يا رب ها هنا.

فاتُّفق أنه خرج للحج في سنة ثلاث وخمس مائة فشهد عرفة محرماً، وتوفي عشية ذلك اليوم في أرض عرفات، فحمل إلى مكة، وطيف به حول البيت، ودفن يوم النحر إلى جانب الفُضَيل بن عياض.

٣٤١ ـ أبو المعالي الرجل الصالح

ساكن باب الطاق: قال أبو الحسن بن مالان ـ وكان ثقة: ـ حدثني أبو المعالي الصالح قال: ضاق بي الأمر في رمضان حتى أكلت فيه ربعين باقلّى، عزمت على المضي إلى رجل من ذوي قرابتي أطلب منه شيئاً، فنزل طائر فجلس على منكبي وقال: يا أبا المعالي أنا الملَك الفلاني: لا تمض إليه، نحن نأتيك به. فبكّر الرجل إلي.

وحدثني أبو محمد عبد الله ابن المقرىء قال: كنت عند أبي المعالي الصالح فقيل له: جاء سعدُ الدولة «شحنةُ» بغداد، فقال: أغلقوا الباب. فجاء فطرق الباب وقال: ها أنا قد نزلت عن دابتي، وما أبرح حتى تفتح لي! ففتح له فدخل، فجعل يوبخه على ما هو فيه وسعد الدولة يبكي بكاء كثيراً، فانفرد بعض أصحابه وتاب على يده. وقال لي أبو محمد: كان أبو المعالي لا ينام إلا جالساً، ولا يلبس إلا ثوباً واحداً شتاء كان أو صيفاً، وكان إذا اشتد البرد عليه يشد المئزر بين كتفيه.

حدثني أبو محمد: أن رجلاً توفي وسلَّم إلى ابن عقيل مالاً، وأمره أن يدفعه إلى أبي المعالي الصالح ليقسمه بعد موته! فلما مات الرجل بعث ابن عقيل إلى أبي المعالي بالمال وأخبره بالقصة، فقال: ما أقبل هذه الوصية. فعاوده فأبى، فبينما هم على ذلك جاء ولد الميت فقال: إن أبي أوصى بما لا يخرج من الثلث. فقال ابن عقيل: والله لقد كوشف ذاك الرجل فهو يقبل خمسة أرطال من الخبز، ولولا أنه كوشف بهذا ما رده. رحمه الله.

٣٤٢ ـ أخو جمادي

كان منقطعاً بباب الطاق، والناس يزورونه ويتبركون به.

حدثني أبو محمد عبد الله ابن المقرىء عن أخي جمادي قال: خرجت في يدي عيون، وانتفخت فأجمع الأطباء على قطعها، فبتّ ليلة على سطح قد رقيت إليه فقلت في الليل: يا صاحب هذا الملك الذي لا ينبغي لغيره هب لي شيئاً بلا شيء. فنمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله يدي، انظر إليها!.

---

٣٤٠ ـ أبو بكر: أحمد بن علي العلبي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٠٥)، تاريخ بغداد (٤/ ٣١٤)، شذرات الذهب (٣/ ٧١)، العبر (٢/ ٣٥٤).

فقال: مدَّها. فمددتها فأمرَّ يده عليها وأعادها وقال: قم. فقمت وانتبهت والخِرَق التي شدت بها مخانق.

فقمت في الليل وذهبت إلى باب الأزج إلى قرابة لي فطرقت الباب، فقالت المرأة لزوجها: قد مات فلان ـ تعنيني ـ وظننت أن مخبراً قد جاء يخبرها بذلك، فلما فتحت الباب ورأتني تعجبت. ورجعت إلى باب الطاق فرأيت الناس من عند دار السلطان إلى منزلي خلقاً لا يحصى معهم الجرار والأباريق، فقلت: ما لكم؟ فقالوا: قيل لنا إن رجلاً قد رأى النبي ﷺ ها هنا يتوضأ في بئر. فقلت في نفسي: إن مضيت لم يكن لي معهم عيش! فاختفيت في الخرابات طول النهار.

٣٤٣ ـ عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي

ويكنى أبا البركات: سمع الكثير وكتب الكثير، وروى لنا عن أبي محمد الصريفيني وابن النقور وخلق كثير من القدماء.

وما عرفنا من مشايخنا أكثر سماعاً منه ولا أكثر كتابةً للحديث ولا أصبر على الإقراء ولا أحسن بشراً ولقاء ولا أسرع دمعة ولا أكثر بكاء.

ولقد كنت أقرأ عليه الحديث في زمان الصبا، ولم أذق بعدُ طعم العلم، فكان يبكي بكاء متصلاً، وكان ذلك البكاء يعمل في قلبي، وأقول: ما يبكي هذا هكذا إلا لأمر عظيم، فاستفدت ببكائه ما لم أستفد بروايته.

وكان مجلسه منزهاً عن غيبة الناس، وكان رضي الله عنه على طريقة السلف، وكنا نتنظره من يوم الجمعة ليأتي من داره بنهر القلائين إلى جامع المنصور فلا يأتي على قنطرة باب البصرة، وإنما يمر على القنطرة العتيقة، فسألته عن سبب هذا؟ فقال: كانت تلك دار ابن معروف القاضي فلما قُبِض عليه بنيت قنطرة. قال: وحدثنا أبو محمد التميمي عنه: أنه أحلّ من يعبر عليها، غير أني لا أفعل.

وكان مولده في رجب سنة اثنتين وستين، وتوفي يوم الخميس الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وثلاثين وخمس مائة.

وعُدْتُه في مرضه وقد بلي وذهب لحمه فقال لي: إن الله عز وجل لا يُتَّهَم في قضائه.

ذِكْر المصطَفَين من عبّاد بغداد المجهولي الأسماء

٣٤٤ ـ عابد

عن أبي عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء قال: سمعت أبي يقول: كنت عند معروف في مجلسه فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محفوظ رأيت في هذه الليلة عجباً! قال: وما رأيت رحمك الله؟ قال: اشتهى عليّ أهلي سمكاً فذهبت إلى السوق فاشتريت لهم سمكة وحملتها مع حمال فمشي معي، فلما

---

٣٤٣ ـ عبد الوهاب الأنماطي ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٣٤) طبقات الحفاظ (٤٦٤).

سمعنا آذان الظهر قال الحمال: يا عم هل لك أن نصلي؟ فكأنه أيقظني من غفلة، فقلت له: نعم نصلي.

فوضع الطبق والسمكة عليه على مستراح، ودخل المسجد فقلت في نفسي: الغلام قد جاد بالطبق أجود أنا أيضاً بالسمكة. فلم يزل يركع حتى أقيمت الصلاة فصلينا جماعة وركع بعد الصلاة، وخرجنا فإذا الطبق على حاله موضوع فجئت إلى البيت وحدثت أهلي بهذا، فقالوا لي: قل له يأكل معنا من هذا السمك؟ فقلت له: تأكل معنا من هذا السمك؟ فقال: أنا صائم. فقلت له: فأفطر عندنا. قال: نعم؛ أروني طريق المسجد. فأريته فدخل المسجد وجلس إلى أن صلينا المغرب.

فجئت إليه وقلت له: تقوم رحمك الله. فقال: أو نصلي عشاء الآخرة؟ فقلت في نفسي: هذه ثانية ـ يريد أن فيه خيراً ـ فلما صلينا جئتُ به إلى منزلي ولنا ثلاث أبيات: بيت فيه أنا وأهلي، وبيت فيه صبيةٌ مُقْعَدة ولدت كذلك لها فوق العشرين سنة، وبيت كان فيه ضيفنا.

فبينا أنا مع أهلي إذ دقَّ داقٌ الباب في آخر الليل، فقلت: من يدق الباب؟ فقالت: أنا فلانة. فقلت: فلانة قطعة لحم مطروحة في البيت، كيف يستوي لها أن تمشي؟ فقالت: أنا هي افتحوا لي! ففتحنا لها فإذا هي. فقلت: أي شيء الخبرُ؟ فقالت: سمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخير فوقع في نفسي أن أتوسل إلى الله عز وجل به فقلت: اللّهم بحق ضيفنا هذا وبجاهه عندك إلا أطلقت أسري. فاستويت وقمت، وأنا في عافية كما تروني.

فقمت إليه أطلبه في البيت فإذا البيت خالٍ ليس فيه أحد، فجئت إلى الباب فوجدته مغلَقاً بحاله فقال معروف: نعم؛ فيهم صغار وكبار ـ يعني الأولياء ـ.

٣٤٥ ـ عابد آخر مجذوم

أبو عبد الله البراثي قال: قال خلف البرزالي: أتيت برجل مجذوم ذاهب اليدين والرجلين أعمى فجعلته مع المجذومين، فغفلت عنه أياماً ثم ذكرته فقلت: يا هذا إني غفلت عنك فكيف حالك؟ فقال لي: حبيبي ومن أنا أحبه فقد أحاطت محبته بأحشائي، فلا أجد لما أنا فيه من ألم مع محبته لا يغفل عني.

فقلت له: إني نسيت! فقال: إن لي من يذكرني، وكيف لا يذكر الحبيبُ حبيبَه وهو نصب عينيه تائه العقل والقلب؟ قلت له: ألا أزوجك امرأة تنظفك من هذه الأقذار؟ قال: فبكىٰ، ثم تنفس ورمى ببصره نحو السماء وقال: يا حبيب قلبي. ثم أغمي عليه.

فأفاق، فقلت: ما تقول؟ فقال: كيف تزوجني وأنا مالك الدنيا وعروسها! قلت: أي شيء الذي عندك من ملك الدنيا وأنت ذاهب اليدين والرجلين؛ أعمى تأكل كما تأكل البهائم؟ قال: رضي عني سيدي إذ أبلى جوارحي وأطلق لساني بذكره.

قال: فوقع مني بكل موقع، فما لبث إلا يسيراً حتى مات، فأخرجت له كفناً فيه طول فقطعت

منه، فأتيت في منامي فقيل لي: يا خلف بخلت على وليِّي ومحبّي بكفن طويل؟ قد رددنا عليك كفنك وكفناه عندنا بالسندس والإستبرق! قال: فصرت إلى بيت الأكفان فإذا الكفن ملقى.

٣٤٦ ـ عابد آخر

قال إبراهيم الآجري الكبير: كنت يوماً قاعداً على باب المسجد في يوم شاتٍ إذ مر بي رجل عليه خرقتان، فظننت أنه من هؤلاء الذين يسألون. فقلت في نفسي: لو عمل هذا بيده كان خيراً له! قال: ومضى الرجل.

فلما كان الليل أتاني ملكان فأخذا بضبعي، ثم أدخلاني المسجد الذي كنت على بابه قاعداً فإذا رجل نائم عليه خرقتان، فكشف لي عن وجهه فإذا هو الذي مر بي، فقالا لي: كُل لَحمَه! فقلت: ما اغتبته! قالا لي: بلى؛ حدّثت نفسك بغيبته، ومثلك لا يُرضى منه بمثل هذا.

قال: فانتبهت فزعاً فمكثت ثلاثين يوماً أقعد على باب المسجد لا أقوم إلا لفرض أنتظر أن يمر بي فأستحلّه.

فلما كان بعد الثلاثين مر بي على حاله والخرقتان عليه فوثبت إليه فغمز وغمزت خلفه، فلما خفت أن يفوتني قلت: يا هذا قف أكلمك. قال: فالتفت إلي ثم قال: يا إبراهيم وأنت أيضاً ممن يغتاب المؤمنين بقلبه؟ قال: فسقطت مغشياً عليَّ. قال: فأفقت وهو عند رأسي فقال: أتعودُ؟ قلت: لا. ثم غاب عن عيني فلم أره بعد ذلك.

٣٤٧ ـ عابد آخر

قال الجنيد: أرقت ليلة فرمت السكون فما وجدته، ثم اجتهدت في قضاء وِرْد كان لي فلم أقدر، ثم حرصت على دراسة شيء من القرآن فلم أقدر، فوقع بي انزعاج شديد، فأخذت ثوبي على كتفي، ثم انصرفت وذاك آخر الليل.

فلما توسطت الدرب عثرت بإنسان ملتفٌ في عباء، فرفع رأسه وقال: إلى الساعة؟ فقلت: سيدي عن موعد تقدم؟ فقال: لا، ولكن سألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك! فقلت: قد فعل [ألك] حاجة؟ قال: نعم. قلت: ما هي؟ قال: يا أبا القاسم متى يكون الداءُ دواءً؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها. قال: فتنفس وقال: قد أجبتها بهذا الجواب الليلة سبع مرات فقالت: لا، أو أسمعه من جنيد، ها قد سمعتِ منه. ثم مضى فما رأيته بعد ذلك.

٣٤٨ ـ عابد آخر

عبيد الله بن عبد الله قال: كنت عند الجنيد يوم قدم أبو حفص النيسابوري فوثب إليه الجنيد وعانقه، فقال للجنيد: دعني من المعانقة، عندك شيء تطعمني؟ فقال له: أي شيء تومىء؟ فعيَّن له على شيء يطبخ، فالتفت الجنيد إلى ابن زيري فقال: قد سمعت. فمضى ابن زيري فغاب ساعة، ثم عاد ومعه ما أراد. فقال الجنيد لأبي حفص: قد حضر ما ذكرت. فقال: يا أخي قد أحببت أن أوثر

به، أتساعدني؟ فقال له: أحب ما تحب. فقال الجنيد لابن زيري: قد سمعت فأنفذه إلى مستحق. فأقبل ابن زيري إلى الحمال فقال: امش بين يدي، وحيث أعييت فقف. فمشى الحمال ساعة ووقف بين دارين فدقَّ ابن زيري أقرب الدارين إلى الحمال فإذا نداء من داخل الدار: ادخل إن كان معك كذا كذا وإلا فلا. وعين على ما كان مع الحمال. قال: ففتحت الباب فإذا شيخ قاعد وخيش مرسل على باب، فوضعت ما كان مع الحمال بين يدي الشيخ وصرفت الحمال وقعدت.

فقال لي: وراء هذا الخيش صبيان وبنات يحتاجون إلى هذا الطعام، فقلت له: لا أنصرف أو تخبرني بالحال؟ فقال: هؤلاء الصبيان يسألوني هذا الطعام منذ مدة، ولم تسامح نفسي أن أسأل الله تعالى، فوجدت البارحة مسامحة أن أسأل فجعلت علامة إجابة الله إياي وجود المسامحة من السؤال، فلما دققت الباب علمت ما معك.

٣٤٩ ـ عابد آخر

من بعض قرى بغداد: بلغنا عن جنيد قال: سمعت السري بن المغلس يقول: إن في قرى بغداد لأولياء لا يعرفهم الخلق، قال: وكنت أدور في القرى لعلي أجد منهم واحداً! فبينا أنا يوماً في بعض القرى دخلت مسجداً فرأيت فيه شاباً ساكتاً فتقدم إلي، وقال لي: أتأذن أن أسألك مسألة؟ فقلت: هات. فقال: مسألة. فسأل مسألة من أحوال القلب دقيقة فأجبته، فقلت له: يقع لك مثل هذه المسألة؟ فقال: كثير! فقلت: كيف تعمل؟ قال: أنا إنسان قد لازمت هذا الموضع، فإذا وقع لي مثل هذه المسألة قيض الله لي ولياً مثلك فيجيبني. فعلمت صدق قول السري.

٣٥٠ ـ عابد آخر

أبو جعفر السّقاء قال: خرجت يوماً من بيتي في يوم مطير فإذا [عبد] أسود مطروح على المزبلة مريض فجررته فأدخلته إلى بيتي، فلما أمسينا دعاني فقال: يا أبا جعفر لا تفسد ما صنعت، اقعد عندي. قال: وفاح البيت بريح المسك، وصار ريح جبتي وكسائي وجرتي وكوزي وكل شيء في البيت ريح المسك.

قال: فقال: اقعد عندي. قال: ثم قال بيده هكذا: لا تضيّق على جلسائي.

قال: فسمعته يقول: اندك اندك يا بار خداه، أرفق بي يا مولاي. قال: ثم خرجت نفسه.

قال: قلت: أبيع كسائي، أبيع جبتي فأشتري له كفناً، قال: فطرق بابي قريب من سبعين إنسانا كلٌّ يقول: يا أبا جعفر مات عندك إنسان يحتاج إلى كفن.

٣٥١ ـ عابد آخر

عن أبي الحسن بن خيرون ـ صاحب أبي بكر عبد العزيز ـ قال: [قال] لي أبو بكر عبد العزيز: كنت مع أستاذي ـ يعني أبا بكر الخلال ـ وأنا غلام مشتد فاجتمع جماعة يتذاكرون بعد عشاء الآخرة فقال بعضهم لبعض: أليس مقبل ـ يعني رجلاً أسود ـ كان ناطوراً بباب حرب، لنا مدة ما رأيناه؟! فقاموا يقصدونه وقال لي أستاذي ـ يعني الخلال ـ: لا تبرح، احفظ الباب.

فتركتهم حتى مضوا وأغلقت الباب وتبعتهم فلما بلَغنا بعضَ الطريق قال أستاذي: هو ذا أرى وراءنا شخصاً آخر قفوا، فقالوا لي: من أنت؟ فأمسكت فزعاً من أستاذي، فقال أحدهم لأستاذي: بالله عليك إلا تركته! فتركني، ومضيت معه فدخلنا إلى قراح فيها باذنجان مملوء والأسود قائم يصلي، فسلموا وجلسوا إلى أن سلم، وأخرج كيساً فيه يابسة وملح جريش، قال: كلوا. فأكلوا وتحدثوا وأخذوا يذكرون كرامات الأولياء وهو ساكت.

فقال واحد من الجماعة: يا مقبل قد زرناك فما تحدثنا بشيء؟ فقال: أي شيء أنا؟ وأي شيء عندي أحدثك؟ أنا أعرف رجلاً لو سأل الله تعالى أن يجعل هذا القراح الباذنجان ذهباً لفعل.

فوالله ما استتمَّ الكلام حتى رأينا القراح يتّقد ذهباً! فقال له أستاذي ـ يعني الخلال ـ: يا مقبل لأحدٍ سبيلٌ أن يأخذ من هذا القراح أصلاً واحداً؟ فقال له: خذ. وكان القراح مسقياً فأخذ أستاذي الأصل فقلعه بعروقه وجميع ما فيه ذهباً، فوقعت من الأصل باذنجانة صغيرة وشيء من الوَرقِ فأخذته وبقاياه معي إلى يومي.

قال: ثم صلى ركعتين، وسأل الله تعالى فعاد القراح كما كان، وعاد مكان ذلك الأصل أصل باذنجان آخر.

٣٥٢ ـ عابد آخر

قال محمد بن داود الرقي: كنت ماراً ببغداد وإذا بعض الفقراء يمر في الطريق، وإذا مغنٍّ يغني ويقول:

أمـد كـفـي بـالـخـضـوع إلـى الـذي جـاد بـالـصـنـيـع

قال: فشهق الفقير شهقة خر ميتاً.

قال المؤلف: وقد رويت لنا عن الرقي عن غيره.

قال الحسين بن محمد: سمعت الرقي يقول: سمعت العسقلاني يقول: كنت ماراً ببغداد فإذا أنا ببعض الفقراء ماراً في الطريق ومغنٍّ يغني ويقول:

أمـد كـفـي بـالـخـضـوع إلـى الـذي جـاد بـالـصـنـيـع

قال: فشهق الفقير شهقة خر ميتاً.

٣٥٣ ـ عابد آخر

بلغنا عن أبي الصوفي قال: دخلت في يوم عيد على بعض مشايخنا فرأيت عنده خلاً وهندباء، فاشتغل قلبي، وخرجت فدخلت على بعض أهل الدنيا فأخبرته فدفع إليّ صرة فيها دراهم، وقال: احملها إليه، فقلت: جئت بها لتستعين بها على وقتك. قال: وما الذي رأيت من حالي؟ قلت له: رأيت عندك خلاً وهندبا! فقال: كأنك افتقدت ذلك! لو كان في بيتي امرأة كنت تفتقدها! قم فوالله لا كلمتك شهراً.

فخرجت فضرب الباب في وجهي فسال الدم، فأتيت الشبلي فقلت له: يا أبا بكر: رجل مشى في طاعة الله فانفتح وجهه، ما سبب هذا؟ فقال: لعله أراد أن يأتي إلى شيء صاف يكدره.

٣٥٤ ـ عابد آخر

عن أبي الحسين بن سمعون قال: اجتزت يوماً على الصراة، فرأيت امرأة تلتقط ورق البقل الذي يأتي على الماء. فقلت: لا شك أن هذه امرأة فقيرة.

فوقفتُ، حتى رجعت فتبعتها فأتت إلى دار فدخلتْ، فرجعتُ إلى بيتي، فما استقر بي المنزل حتى أتاني خادم معه دنانير ودراهم فقال: ادفع هذا إلى محتاج.

فأخذته وقمت فأتيت بيت المرأة فطرقت الباب فخرج رجل من خواص مجلسي ومن الملازمين لي فلما رآني قال: ما لك هكذا؟ فقلت: جئتكم بهذه الدنانير تستعينون بها على الوقت. فنظر إلي مغضباً وقال: يا شيخ تحذّرنا من الدنيا وتأتينا بها؟ ثم رد الباب في وجهي ودخل فرجعتُ منكسراً إلى بيتي.

ثم قلت في نفسي: لا بد أن أعود إليه فأعتذر. فأتيته في اليوم الثاني فطرقت الباب مراراً فلم يجبني أحدٌ، وإذا امرأة من الجيران تقول: ما لك يا رجل؟ فقلت لها: ما فعل أهل هذه الدار؟ فقالت: كان في هذه الدار رجل مع والدته وكنا نتبرك بهم، فجاء بالأمس شيطان فكلمهم بما كرهوا فانتقلوا عنا.

قال: فعدت وأنا شديد الحزن على ما فعلت، وجعلت أتفقد مجلسي ولا أرى الرجل.

فلما كان يوم عرفة وأنا أتكلم على الناس رأيته في أواخرهم، فلما انقضى المجلس مضيت إليه وسلمت، فرد علي وقال: لا تُعِدْ ما فات، ولا تقل شيئاً، فلولا أني أعتقد كلامك دواء لقلبي لم أحضر، وإنما غبت عنك لأنا انتقلنا إلى مكان آخر حتى لا نُعرَف. فقلت: ما أتيت إلا معتذراً وما أعود. ثم فارقته.

ذكر المصطَفَين من عقلاء المجانين ببغداد

٣٥٥ ـ سعدون المجنون

قال يحيى بن أيوب: خرجت يوماً إلى مقابر باب خراسان، ثم جلست في موضع أرى منه من يدخل المقابر، فنظرت إلى رجل دخل المقابر مقنعاً، فجعل يجول في المقابر كلما رأى قبراً محفوراً أو منخسفاً وقف عليه وبكى.

فقمت رجاء أن أنتفع به، فلما صرت إليه إذا هو سعدون المعتوه، وكان يكون في كوخ مقابر عبد الله بن مالك فقلت له: يا سعدون أي شيء تصنع؟ فقال: يا يحيى هل لك في أن تجلس فنبكي

---

٣٥٥ ـ سعدون المجنون ـ رحمه الله ـ :طبقات الشعراني الكبرى (٩٩).

على بلى هذه الأبدان قبل أن تبلى فلا يبكي عليها باكٍ؟ ثم قال: يا يحيى البكاءُ من القدوم على الله عز وجل أولى بنا من البكاء على بلى الأبدان، ثم قال: يا يحيى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، ثم صاح صيحة شديدة وقال: واغوثاه بالله مما يقابلني في الصحف! قال يحيى: فغشي علي فأفقت وهو جالس يمسح وجهي بكُمّه وهو يقول: يا يحيى من أشرف منك لو مت؟

قال الفتح بن شحرف: كان سعدون صاحب محبة لله، صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنوناً لتردد قوله في المحبة، فغاب عنا زماناً، فبينا أنا قائم على حلقة ذي النون رأيته عليه جبة صوف وعليها مكتوب: لا تباع ولا تشترى. فسمع كلام ذي النون، فصرخ وأنشأ يقول:

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكَى ... ولا بد من سلوى إذا لم يكن صبر

قال أحمد بن عبد الله بن ميمون: سمعت ذا النون المصري يقول: خرج الناس إلى الاستسقاء بالبصرة فخرجت فيمن خرج، فبينا أنا مارّ بين الناس إذا بيدين قبضتا على رجلي فقلت: من أنت؟ خلِّ عني! فقال: أنا سعدون المجنون، أين تريد يا أبا الفيض؟ قلت: أريد المصلى أدعو الله تعالى. فقال: بقلب سماوي أو بقلب جاف؟ فقلت: بقلب سماوي. قال: انظر يا ذا النون لا تبهرج، فإن الناقد بصير! وقال: تدعو الله وأؤمن على دعائك؟ أو أدعو الله وتؤمن على دعائي؟ فقلت: تدعو أنت وأؤمنِ عليه.

قال: فصف قدميه ثم قال: إلهي بحق البارحة إلا أمطرتنا. قال ذو النون: لقد رأيت الغيوم قد ارتفعت عن اليمين والشمال حتى التقت فجاءنا المطر كأفواه العزالي[1]! فقلت له: بحق معبودك أي شيء كان بينك وبين الله البارحة؟. فقال لي: لا تدخل بيني وبين قرة عيني! قلت: لا بد أن تخبرني فأنشا يقول:

أنست به فلا أبغي سواه ... مخافة أن أضل فلا أراه
فحسبك حسرة وضنى وسقما ... بطردك عن مجالس أولياه

قال ذو النون: رأيت سعدوناً في المقبرة في يوم حار وهو يناجي ربه عز وجل بصوت عال ويقول: أحد أحد. فاتبعته فسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت له: بحق من تناجيه إلا وقفت لي وقفة! فوقف، وقال لي: قل وأَوْجِزْ. فقلت: أوصني بوصية أحفظها عنك، أو تدعو لي بدعوة؟ فقال:

يا طالب العلم ههنا وهنا ... ومعدن العلم بين جنبيكا
إن كنت تبغي الجِنان تدخلها ... فاذرف الدمع فوق خدّيكا
وقم إذا قام كل مجتهد ... وادعُ؛ لكيما يقول: لبيكا

قال: ثم مضى. فقال: يا غياث المستغيثين أغثني. قلت له: ارفق بنفسك، فلعله يلحظك بلحظه فيغفر لك! فنفض يده من يدي وغدا يقول:

---

(١) العزالَى والعَزالِي: جمع عزلاء، وهو فم المزادة الأسفل. ا هـ. عون المعبود (٤/ ٢٨).

أنست به فلا أبغي سواه ... مخافة أن أضل فلا أراه
فحسبك حسرة وضنى وسقما ... بطردك عن مجالس أوليائه

قال الأصمعي: مررت بسعدون المجنون فإذا هو جالس عند رأس شيخ سكران يذب عنه. فقلت له: سعدون ما لي أراك جالساً عند رأس هذا الشيخ؟ فقال: إنه مجنون. فقلت له: أنت مجنون؟ أو هو؟ قال: لا؛ بل هو. قلت: من أين قلت ذلك؟ قال: لأني صليت الظهر والعصر جماعة وهو لم يصل جماعة ولا فرادى. فقلت له: فهل قلت في ذلك شيئاً؟ فأنشأ يقول:

تركت النبيذ لأهل النبيذ ... وأصبحت أشرب ماء قراحا
لأن النبيذ يذل العزيز ... ويكسو الوجوه النضار الصباحا
فإن كان ذا جائزاً للشباب ... فما العذر فيه إذا الشيب لاحا؟

فقلت له: صدقت، وانصرفت.

قال صالح المري: قرأت بين يدي سعدون المجنون: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]. فصرخ ثم قال: مِلاحٌ والله! ثم أنشأ يقول:

إن في الخلد جارية ... هي حسن كما هيه
لو تراها على النما ... رق بالغنج ماشيه
لتمنيت أنها ... لك ما عشت باقيه
كتبت في شقائق ... الخد سطراً بغاليه
أنا للزاهد الذي ... عينُه الدهرَ باكيه

٣٥٦ ـ بهلول

سري السقطي قال: اجتزت يوماً بالمقابر فإذا أنا ببهلول قد دلّى رجليه في قبر وهو يلعب بالتراب فقلت: أنت ههنا؟ قال: نعم؛ أنا عند قوم لا يؤذونني، وإن غبت عنهم لا يغتابوني. فقلت: يا بهلول الخبز قد غلا! فقال: والله ما أبالي ولو حبة بمثقال! إن علينا أن نعبده كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا. ثم ولّى عني وهو يقول:

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ... ولا تنام عن اللذات عيناه
أفنيت عمرك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه

عن سري السقطي قال: خرجت يوماً إلى المقابر فرأيتُ بهلولاً قد دلى رجليه في قبر وهو يعبث بالتراب، فقلت له: أي شيء تصنع ههنا؟ فقال: أنا عند قوم لا يؤذوني، وإن غبت عنهم لا يغتابوني. فقلت: لا تكون جائعاً؟ فولى وأنشأ يقول:

نجوع! فإن الجوع من علم التُّقى ... وإن طويل الجوع يوماً سيشبع

---

٣٥٦ ـ بُهلول ـ رحمه الله ـ: طبقات الشعراني الكبرى (٩٩) والمنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢٠٢).

فقلت له: إن الخبز قد غلا؟ فقال: والله ما أبالي ولو بلغت حبة بمثقال، علينا أن نعبده كما أمر، وعليه أن يرزقنا كما وعد؟ ثم ولى وهو يقول:

أف للدنيا فليست لي بدار ... إنما الراحة في دار القرار

أَبَتْ الساعاتُ إلا سرعةً ... في بلىٰ جسمي بليل ونهار

عن الفضل بن الربيع قال: حججت مع هارون الرشيد فمررنا بالكوفة، فإذا بهلول المجنون يهذي. فقلت: اسكت، فقد أقبل أمير المؤمنين. فسكت فلما حاذاه الهودج قال: يا أمير المؤمنين حدثني أيمن بن نابل قال: أنبأنا قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت النبي ﷺ بمنى على جمل وتحته رحل رثّ فلم يكن ثَمَّ طردٌ ولا ضربٌ، ولا إليكَ إليكَ! قلت: يا أمير المؤمنين إنه بهلول المجنون! قال: قد عرفته، قل يا بهلول. فقال: يا أمير المؤمنين:

هب أنك قد ملكت الأرض طرا ... ودان لك البلاد فكان ماذا؟

أليس غداً مصيرُك ترب ... ويحثو الترب هذا ثم هذا؟

قال: أجدت يا بهلول أفغيره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، من رزقه الله جمالاً ومالاً فعفَّ في جماله واتقى في ماله كُتِب في ديوان الأبرار.

قال: فظن أنه يريد شيئاً! قال: فإنا قد أمرنا بقضاء دَيْنكَ. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين لا تقضِ ديناً بدين! اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك من نَفْسك.

قال: إنا قد أمرنا أن تجرى عليك جراية. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين لا يعطيك وينساني! أجرى علي الذي أجرى عليك، لا حاجة لي في جرايتك.

٣٥٧ ـ مجنون آخر

أبو علي المعتوه: قال خلف بن سالم: قلت لأبي علي المعتوه ـ وكان ينزل في الحرم ـ: يا أبا علي ألك مأوى؟ قال: نعم. قلت: وأين مأواك؟ قال: في دار يستوي فيها العزيز والذليل. قال: قلت له: وأين هذه الدار؟ قال: المقابر. قلت: يا أبا علي ما تستوحش في ظُلَم الليل؟ قال: إني أكثر ذكر ظلم اللحد ووحشته فهون علي ظلم الليل. قلت له: فربما رأيت في المقابر شيئاً تنكره؟ قال: ربما، ولكن في هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر.

قال الأشهلي: قلت لأبي: يا أبة مثل هذا الكلام الجيد الصحيح يتكلم به مجنون؟ قال: يا بني هؤلاء قوم كان لهم فضل ودين ومعرفة فزالت عقولهم وبقي ذلك الفضل، فلم يختلط فيما اختلط.

٣٥٨ ـ مجنون آخر

قال أبو بكر الشبلي: رأيت يوم الجمعة معتوهاً عند جامع الرصافة قائماً عرياناً وهو يقول: أنا مجنون الله، أنا مجنون الله. فقلت له: لِمَ لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي؟ فأنشد:

يقولون زرنا واقضِ واجب حقنا ... وقد أسقطت حالي حقوقهم عني

إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها ... ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

٣٥٩ ـ مجنون آخر

قال لي ابن القصاب الصوفي البغدادي: دخلنا جماعة إلى المارستان فرأينا فيه فتى مصاباً شديد الهوس، فولعنا به وزدنا في الولع فأتعبناه فصاح وقال: أَنظر إلى شعور مطررة وأجساد معطرة قد جعلوا الولع بضاعة والسخف صناعة، جانبوا العلم رأساً! فقلنا له: تحسن العلم نسألك؟ فقال: أي والله إني لأحسن علماً جمّاً فسلوني.

فقلت له: مَن السخي في الحقيقة؟ فقال: الذي رَزَقَ أمثالكم وأنتم لا تساوون قوت يوم! فضحكنا وقلنا: من أقل الناس شكراً؟ قال: من عوفي من بَلِيَّةٍ فرآها في غيره فترك العبرة والشكر إلى الطنز[١] واللهو. فكسر قلوبنا بذلك.

فقال له آخر: ما الظرف؟ قال: خلاف ما أنتم عليه! ثم بكى وقال: يا رب إن لم تردّ علي عقلي فرد علي يدي لعلي كنت أصفع واحداً من هؤلاء.

فتركناه وانصرفنا.

---

(١) طَنَزَ طَنْزاً: كلمه باستهزاء، فهو طنّاز، فالطَّنْزُ: السخرية ا.هـ. اللسان (ط ـ ن ـ ز).

ذِكْرُ المصطَفَيات من عابدات بغداد

٣٦٠ ـ جوهرة العابدة البراثية

نَزَلَت «بَراثا» مع زوجها أبي عبد الله البراثي.

قال حكيم بن جعفر: كانت جوهرة امرأة أبي عبد الله البراثي جارية لبعض الملوك فعتقت، فخلعت الدنيا، ولزمت أبا عبد الله البراثي، فتزوج بها وتعبدت.

قال أبو عبد الله البراثي: قالت لي جوهرة يوماً: يا أبا عبد الله النساء يُحلَّين في الجنة إذا دخلنها؟ قلت: نعم. قال: فصاحت صيحة غشي عليها، فلما أفاقت قلت: ما هذا الذي أصابك؟ قالت: ذكرت حالي تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة.

قال أبو عبد الله البراثي: رأت جوهرة في منامها خياماً مضروبة فقالت: لمن ضربت هذه الخيام؟ فقيل: للمجتهدين بالقرآن. فكانت بعد ذلك لا تنام.

عن أبي عبد الله البراثي قال: كانت جوهرة تنبهني من الليل وتقول: يا أبا عبد الله «كاروان رفت» معناه: قد سارت القافلة.

قال حكيم بن جعفر: كنا نأتي أبا عبد الله بن أبي جعفر الزاهد وكان يسكن «براثا» وكانت له امرأة متعبدة يقال لها جوهرة، وكان أبو عبد الله يجلس على جلة خوص بحرانية، وجوهرة جالسة حذاءه على جلة أخرى مستقبلة القبلة في بيت واحد.

قال: فأتيناه يوماً وهو جالس على الأرض ليست الجلة تحته فقلنا: يا أبا عبد الله ما فعلت بالجلة التي كنت تقعد عليها؟ قال: إن جوهرة أيقظتني البارحة فقالت: أليس يقال في الحديث: «إن الأرض تقول لابن آدم تجعل بيني وبينك ستراً وأنت غداً في بطني»؟ قال: قلت: نعم. قالت: فأخرج هذه الجلال لا حاجة لنا فيها. فقمت ـ والله ـ فأخرجتها.

٣٦١ ـ زوجة أبي شعيب البراثي العابد

قال الجنيد بن محمد: كان أبو شعيب البراثي أول من سكن براثا في كوخ يتعبد فيه فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا كانت رُبيت في قصور الملوك، فنظرت إلىٰ أبي شعيب فاستحسنت حاله وما كان عليه، فصارت كالأسير له، فعزمت على التجرد من الدنيا والاتصال بأبي شعيب.

فجاءت إليه قالت: أريد أن أكون خادمة! فقال لها: إن أردت ذلك فغيّري هيئتَكِ، وتجرّدي عما أنت فيه حتى تصلحي لما أردتِ. فتجردت عن كل ما تملكه، ولبست لبسة النساك، وحضرته فتزوجها.

فلما دخلت الكوخ رأت قطعةَ خِصافٍ كانت مجلسَ أبي شعيب تقيه من الندى، فقالت: ما أنا مقيمة فيه حتى تخرج ما تحتك، لأني سمعتك تقول: إن الأرض تقول لابن آدم: تجعل اليوم بيني وبينك حجاباً وأنت غداً في بطني، فما كنت لأجعل بيني وبينها حجاباً.

فأخذ أبو شعيب الخصاف ورمى بها، فمكثت معه سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة، وتوفيا على ذلك متعاونين.

قال المؤلف: قد ذكرنا عن جوهرة العابدة مثل هذه الحكاية، وهذا قد اتفق لهاتين المرأتين فلا نظن أن الحكايتَيْن واحدة.

٣٦٢ ـ أخوات بشر الحافي

وهن ثلاث مُضغة، ومُخة، وزبدة: بنات الحارث، وأكبرهن مضغة.

قال السلمي: أخوات بشر مخة وزبدة ومضغة.

وكانت زبدة تكنى أم علي.

وكانت مضغة أخت بشر أكبر منه، وماتت قبله، وقيل: لما ماتت مضغة توجع عليها بشر توجعاً شديداً وبكى بكاء كثيراً. فقيل له في ذلك؟ فقال: قرأت في بعض الكتب: إن العبد إذا قصر في خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه كانت أنيستي من الدنيا.

قال الخطيب: وذكر إبراهيم الحربي أن بشراً قال هذا يومَ ماتت أخته مخة. والله أعلم.

قال أبو عبد الله بن يوسف الجوهري: سمعت بشر بن الحارث يوم ماتت أخته يقول: إن العبد إذا قصّر في طاعة الله عز وجل سلبه من يؤنسه.

قال أبو عبد الله القحطبي: كان لبشر أخت صوامة قوامة.

قال غيلان القصائدي: قال بشر بن الحارث: تعلمت الورع من أختي، فإنها كانت تجتهد ألا تأكل ما للمخلوق فيه صنع.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت مع أبي يوماً من الأيام في المنزل فدقّ داقٌ البابَ فقال لي: اخرج فانظر من بالباب؟ فخرجت فإذا امرأة فقالت لي: استأذن لي على أبي عبد الله؟ قال: فاستأذنته؟ قال: أَدِخْلْها.

قال: فدخلت فسلمت عليه وقالت له: يا أبا عبد الله أنا امرأة أغزل بالليل في السراج فربما طفيء السراج فأغزل في [ضوء] القمر: فعليَّ أن أبيِّن غزل القمر من غزل السراج؟ قال: فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك. قال: قالت: يا أبا عبد الله أنين المريض شكوى؟ قال: أرجو ألا يكون، ولكنه اشتكاء إلى الله عزوجل.

قال: فودعته وخرجتْ. فقال: يا بني ما سمعت قط إنساناً يسأل عن مثل هذا؟ اتبع هذه المرأة فانظر أين تدخل؟ قال: فاتبعتها، فإذا قد دخلت إلى بيت بشر بن الحارث، وإذا هي أخته، قال: فرجعت فقلت له. فقال: محال أن تكون مثل هذه إلا أخت بشر.

قال المصنف: قلت: هذه المرأة التي سألت أحمد هي مخة، وقد نقلت عنها حكاية سميت فيها، تُشبه هذه الحكاية.

قال: عبد الله بن أحمد بن حنبل ببغداد: جاءت مخة أخت بشر بن الحارث إلى أبي فقالت: إني امرأة رأسُ مالي دانقان أشتري القطن فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأتقوت بدانق من الجمعة، فمر ابن طاهر الطائف ومعه مشعل فوقف يكلم أصحاب المسالح فاستغنمت ضوء المشعل فغزلت طاقات، ثم غاب عني المشعل فعلمتُ أنَّ لله فيَّ مطالبةً: فخلِّصْني خلصك الله؟. فقال لها: تخرجين الدانقين، ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منه.

قال عبد الله: قلت لأبي: يا أبة لو قلت لها: لو أخرجت الغزل الذي أدرجت فيه الطاقات؟ فقال: يا بني سؤالها لا يحتمل هذا التأويل: ثم قال: من هذه؟ قلت: مخة أخت بشر بن الحارث فقال: من ها هنا أُتيت.

قرأت بخط أبي علي الراذاني قال: كانت مخة من بين أخوات بشر تقصد أحمد بن حنبل وتسأله عن الورع والتقشف، وكان أحمد يعجب بمسائلها.

قال السلمي: قالت زبدة أخت بشر: أثقل شيء على العبد الذنوبُ، وأخفُّه عليه التوبةُ، فما له يدفع أثقل شيء بأخف شيء؟

٣٦٣ ـ امرأة عبد الله بن الفَرَج العابد

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري: بلغني أن عبد الله بن الفَرَج لما مات لم تُعلِم زوجته إخوانه بموته وهم جلوس بالباب ينتظرون الدخول عليه في علته، فغسلته وكفنته في كساء له، وأخذت فَرْدَ باب من أبواب بيته وجعلته فوقه وشدته بشريط، ثم قالت لإخوانه: قد مات، وقد فرغت من جهازه.

فدخلوا واحتملوه إلى قبره، وأغلقت الباب خلفهم.

٣٦٤ ـ ميمونة أخت إبراهيم

ابن أحمد الخواص لأمه، كانت تسلك مسلك أخيها إبراهيم في الزهد والتقلل والورع والتوكل.

قال أحمد بن سالم: دق داقٌ بابَ إبراهيم الخواص. فقالت له أخته: من تطلب؟ فقال: إبراهيم الخواص. فقالت: قد خرج. فقال: متى يرجع؟ فقالت: مَن روحُه بيد غيره من يعلم متى يرجع؟

٣٦٥ ـ مؤمنة بنت بهلول

قال عيسى بن إسحاق الأنصاري: سمعت مؤمنة بنت بهلول تقول: ما النعيم إلا في الأنس بالله، والموافقة لتدبيره.

---

٣٦٥ ـ مؤمنة بنت بهلول ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (١١/ ١٧١).

٣٦٦ ـ أم عيسى بنت إبراهيم الحربي

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ذكر لي: أن أم عيسى بنت إبراهيم الحربي كانت فاضلة عالمة تفتي في الفقه، ودفنت إلى جنب أبيها إبراهيم. والسلام.

٣٦٧ ـ أَمَةُ الواحد

بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي: قال أبو بكر البرقاني: كانت بنت المحاملي تفتي مع أبي علي ابن أبي هريرة.

قال أبو الحسن الدارقطني: أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل بن محمد القاضي المحاملي سمعت أباها وإسماعيل بن العباس الوراق وعبد الغافر بن سلامة الحمصي وأبا الحسن المصري وحمزة الهاشمي الإمام وغيرهم.

وحفظت القرآن والفقه على مذهب الشافعي، والفرائض وحسابها، والنحو وغير ذلك من العلوم، وكانت فاضلة في نفسها، كثيرة الصدقة، مسارعة في الخيرات، وحدثتْ، وكُتِب عنها الحديث.

وتوفيت في رمضان من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.

ذِكْرُ المصطَفَيات من العابدات البغداديات المجهولات الأسماء

٣٦٨ ـ عابدة

قال نوح الأسود: رأيت امرأة تأتي أبا عبد الله البراثي فتجلس تسمع كلامه، ولا تكاد تتكلم ولا تسأل عن شيء، فقلت لها ذات يوم: لا أراك ـ يرحمك الله ـ تتكلمين ولا تسألين عن شيء؟ فقالت: قليل الكلام خير من كثيره إلا ماكان من ذكر الله، والمنصت أفهم للموعظة، ولن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه، وجملة الأمر يا أخي: إن أردت الله بطاعة أرادك الله برحمة، وإن سلكت سبيل المعرضين فلا تلم إلا نفسك إذا صرت غداً في زمرة الخاسرين.

قال: ثم استبكتْ، فقامت: وسمعتها تعظ ابنها يوماً وتقول: ويحك يا بني احذر بطالات الليل والنهار فتنقضي مهلات الأعمار وأنت غير ناظر لنفسك ولا مستعد لسفرك! ويحك يا بني ما من الجنة عوض، ولا في ركوب المعاصي ثمن من حلول النار، ويحك يا بني مهِّد لنفسك قبل أن يُحال بينك وبين ذلك، وجدّ قبل أن يجد الأمر بك، واحذر سطوات الدهر، وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن وتقلبها بالعبر، فعند ذلك يهتم التقي: كيف ينجو من مصائبها؟.

ثم قالت: بؤساً لك يا بني إن عصيت الله وقد عرفتَه وعرفتَ إحسانه، وأطعت إبليس وقد عرفته وعرفت طغيانه؟!.

٣٦٩ ـ عابدة أخرى

قال غيلان صاحب السري: كان لسري تلميذة، وكان لها ولد عند المعلم في الكتّاب، فبعث به المعلم إلى الرحى، فنزل الصبي في الماء فغرق.

فجاء المعلم إلى سري فأخبره بذلك، فقال سري: قوموا بنا. فمضوا إلى أمه فجلس عندها وتكلم سري في علم الصبر إلى حد ما، ثم تكلم عليها في علم الرضا، فقالت له: يا أستاذي وأيّ شي تريد بهذا؟ فقال لها: إن ابنك قد غرق.

فقالت: ابني؟ قال لها: نعم. فقالت: إن ربي عز وجل ما فعل هذا! ثم عاد سري في كلامه في الصبر فقالت: قوموا بنا.

فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر، فقالت: أين غرق؟ فقالوا: ههنا. فصاحت: ابني محمد. فأجابها: لبيك يا أماه. فنزلت فأخذت بيده ومضت به إلى منزلها.

قال غيلان: فالتفت سري إلى الجنيد وقال: أي شيء هذا؟ فقال جنيد: أقول بمقال سري، قال: إن المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها، وحكمُ من كان مراعياً لما لله عز وجل عليه ألا تحدث حالة حتى يعلم بذلك، فلما لم تكن حادثة تُعلِمُها بذلك فأنكرت؛ وقالت: إن ربي عز وجل ما فعل هذا.

٣٧٠ ـ عابدة أخرى

قال أبو الحسن البحراني ـ صاحب إبراهيم الخواص ـ: سألت امرأة من المتعبِّدات إبراهيم الخواص عن تغيرٍ وجدته في قلبها وتغير وجدته في حالها؟ فقال لها: عليك بالتفقد. فقالت: قد تفقدت فما رأيت شيئاً. فأطرق الخواص ساعة، ثم رفع رأسه وقال: أما تذكرين ليلة المشعل؟ فقالت: بلى. فقال: هذا التغير من ذلك.

فبكت وقالت: نعم كنت أغزل فوق السطح فانقطع خيطي، فمرّ مشعل للسلطان فغزلت في ضوئه خيطاً، ثم أدخلت ذلك الخيط في غزل ونسجت منه قميصاً ولبسته.

ثم قامت إلى ناحية فنزعت القميص وقالت: يا إبراهيم إن أنا بعته وتصدقت بثمنه يرجع قلبي إلى الصفاء؟ فقال: إن شاء الله تعالى ذلك.

٣٧١ ـ عابدتان بغداديتان

بلغني: أنه كان ببغداد رجل بزَّاز له ثروة، فبينا هو في حانوته أقبلت إليه صبية فالتمست منه شيئاً تشتريه، فبينا هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك فتحير وقال: قد والله تحيرت مما رأيت؟ فقالت: ما جئت لأشتري شيئاً، إنما لي أيام أتردد إلى السوق ليقع بقلبي رجل أتزوجه، وقد وقعت أنت بقلبي، ولي مال، فهل لك في التزوج بي؟ فقال لها: لي ابنة عم وهي زوجتي، وقد عاهدتها ألا أغيّرها، ولي منها ولد! فقالت: قد رضيت أن تجيء إليَّ في الأسبوع نوبتين. فرضي، وقام معها، فعقد العقد ومضى إلى منزلها فدخل بها.

ثم ذهب إلى منزله فقال لزوجته: إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده! ومضى فبات عندها، وكان يمضي كل يوم بعد الظهر إليها.

فبقي على هذا ثمانية أشهر، فأنكرت ابنة عمه أحواله! فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظري أين يمضي؟ فتبعته الجارية فجاء إلى الدكان، فلما جاءت الظهر قام وتبعته الجارية وهو لا يدري، إلى أن دخل بيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم: لمن هذه الدار؟ فقالوا: لصبية قد تزوجت برجل تاجر بزّاز.

فعادت إلى سيدتها فأخبرتها! فقالت لها: إياك أن يعلم بهذا أحد. ولم تظهر لزوجها شيئاً.

فأقام الرجل تمام السنة، ثم مرض ومات، وخلف ثمانية آلاف دينار، فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة وهو سبعة آلاف دينار فأفردتها، وقسمت الألف الباقية نصفين، وتركت النصف في كيس، وقالت للجارية: خذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت المرأة، وأعلميها: أن الرجل مات، وقد خلف ثمانمائة آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقه، وبقيت ألف فقسمتها بيني وبينك، وهذا حقك. وسلّميه إليها.

فمضت الجارية فطرقت عليها الباب ودخلت، وأخبرتها خبر الرجل، وحدثتها بموته، وأعلمتها الحال، فبكت وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة، وقالت للجارية: عودي إلى سيدتك وسلمي عليها عني، وأعلميها أن الرجل طلقني وكتب لي براءة، ورُدّي عليها هذا المال، فإني ما أستحق في تركته شيئاً.

فرجعت الجارية فأخبرتها بهذا الحديث.

ذِكْرُ من اصُطفِيَ من أهل المدائن

٣٧٢ ـ شُعَيب بن حرب

ويكنى أبا صالح، نزل المدائن واعتزل بها، ثم خرج إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها.

قال ابن إسماعيل: ذهبنا إلى المدائن، إلى شعيب بن حرب، وكان قاعداً على شط دجلة، وكان قد بنى كوخاً، وخبزٌ له معلّق في شريط، ومطهرة يأخذ كل ليلة رغيفاً يبله في المطهرة ويأكله، فقال بيده هكذا، وإنما كان جلداً وعظماً. قال: فقال: أترى ههنا بعد لحماً، والله لأعملن في ذوبانه حتى أدخل القبر وأنا عظام تقعقع، أريد السِّمَنَ للدود والحيات؟ قال: فبلغ أحمد بن حنبل قوله، فقال: شعيب بن حرب حمل على نفسه الورع.

قال السري بن المغلس السقطي: أربعة كانوا في الدنيا أعملوا أنفسهم في طلب الحلال، ولم يدخلوا أجوافهم إلا الحلال. فقيل له: من هم؟ قال: وهيب بن الورد، وشعيب بن حرب، ويوسف ابن أسباط، وسليمان بن الخواص.

قال عبد الله بن خبيق: سمعت شعيب بن حرب يقول: أكلت في عشرة أيام أكلة، وشربت شربة.

[قال] ابن عبد العزيز: عن شعيب بن حرب قال: رأيت النبي في النوم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فجئت فقال: أوسعوا له؛ فإنه حافظ لكتاب الله عز وجل.

قال إبراهيم بن عبد الملك: جاء رجل إلى شعيب بن حرب وهو بمكة فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت أؤنسك. قال: جئت تؤنسني وأنا أعالج الوحدة منذ أربعين سنة.

قال الحسن بن صالح: سمعت شعيب بن حرب يقول: لا تجلس إلا مع أحد رجلين: رجل جلست إليه يعلمك خيراً فتقبل منه، أو رجل تعلمه خيراً فيقبل منك، والثالث: اهرب منه.

قال أحمد بن الحواري: سمعت شعيب بن حرب يقول لرجل: إن دخلت القبر ومعك الإسلام فأَبْشِرْ.

قال أحمد بن الفضل: رأيت شعيب بن حرب بمكة وعليه جبة صوف رقيقة نظيفة، وعليه إزار خفيف إلى الصفرة، وعمامة، وهو حافٍ، وقد صفر لحيته على لون، ووجهه مصفر، وفي كمه

---

٣٧٢ ـ شعيب بن حرب ـ رحمه الله ـ: ذكره في السير (٥/ ٣٠٧) و(٦/ ٣٥٩ و٣٨٧) و(٢٢١ و٢٢٥ و٢٣٩ و٢٧٣)، (٨/ ١٨٢ و٢٨٤ و٢٨٩) و(٩/ ١٧٠)، تاريخ ابن الجوزي (٢/ ٢٤)، طبقات ابن سعد (٧/ ٣٢٠)، تاريخ ابن معين برواية الدوري (٤/ ٣٨١)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٥٠)، العبر (٤/ ٣٥٠)، شذرات الذهب (١/ ٣٤٩).

دريهمات تكون مقدار ثلاثين درهماً، وقال: ما أصبحت أملك شيئاً من الدنيا أستطيبه إلا هذه. ورأيته بكى حتى رأيت دموعه تسيل على لحيته.

وقال لي شعيب: أهدى لي رجل صديق لي سكَّرة واحدة فأنا أتحلى بها بعد عشائي منذ ثمان ليال.

قال بشر بن الحارث: نزل على شعيب بن حرب أخ له يقال له عبدة، فلما نادوا بالنفير خرج عبدة فتبعه شعيب، فلما أراد مفارقته، قال له شعيب: اجعلني في حِلٍّ! قال: من أي شيء؟ قال: من أجل الأخوة، فإني لم أقم بأخوّتك.

قال محمد بن عيسى: سمعت شعيب بن حرب يقول: من أراد الدنيا فليتهيأ للذل.

قال عبد الوهاب: كان ههنا قوم خرجوا إلى المدائن، إلى شعيب بن حرب، فلّما رجعوا إلى دورهم، ولقد أقام بعضهم يستقي الماء، وكان شعيب يقول لبعضهم ـ الذي يستقي الماء ـ: لو رآك سفيان لقرت عينه.

قال المروزي: وقلت لأبي عبد الله: أرويه عنك؟ فأجازه.

[قال] أبو جعفر الحداد، عن شعيب بن حرب: أنه قال: لا تحقرن فلساً تطيع الله في كسبه، ليس الفلس يراد إنما الطاعة تراد، عسى أن تشتري به بقلاً فلا يستقر في جوفك حتى يغفر لك.

[قال] محمد بن عبد الله البزاز قال شعيب بن حرب قال: لك أن تطين الحائط من الخارج وليس لك أن تجصصه، لعله يخرج في الطريق.

وسمعت أبا عبد الله يقول: بلغني عن شعيب بن حرب أنه قال: لا تطيّن الحائط مما يلي السكة لعله أن يخرج في الطريق. ثم قال أبو عبد الله: لقد دقق شعيب رحمه الله.

عبد الله بن أيوب المخزومي قال: قال شعيب بن الحرب: من طلب الرياسة ناطحته الكباش، ومن رضي أن يكون ذنباً أبى الله إلا أن يجعله رأساً.

سمع شعيب بن حرب من شعبة، وسفيان الثوري، وزهير بن معاوية، في خلق كثير. وكان أحد المفردين بالزهد والتعبد، وتوفي بمكة سنة سبع وتسعين ومائة.

ذِكْرُ المصطَفَين من أهل واسط

٢٧٣ ـ منصور بن زاذان

مولى عبد الله بن أبي عقيل الثقفي: عن هشام بن حسان قال: كان منصور يأتي المسجد فيصلي ركعتين ما بين المغرب والعشاء، يختم فيهما القرآن مرتين، ويبلغ من الثالثة إلى الطواسين، وكانت عليه عمامة يجعلها كوراً كوراً يمسح بها دموعه، وإذا ابتلت وضعها بين يديه.

---

٢٧٣ ـ منصور بن زاذان ـ رحمه الله ـ: الحلية (٣/ ٥٧)، تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٩١)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢/ ٦٠)، الجرح والتعديل (٨/ ١٧٢)، شذرات الذهب (١/ ١٧٢)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٩١).

قال المؤلف: قلت: هذه الرواية ليست بمحققة، وإنما كان هذا الرجل يختم القرآن في الليل والنهار مرتين، مرة بعد المغرب والعشاء، ومرة بالنهار. يدل على صحة هذا: عن هشام بن حسان قال: كنت أصلي أنا ومنصور بن زاذان جميعاً، وكان يختم القرآن ما بين الظهر والعصر، ويختم مابين المغرب والعشاء، وكان يقوم إلى عمود فيصلي فيختم القرآن، وكان يبكي ويمسح بعمامته عينه، فلا يزال يبلها كلها بدموعه، ثم يلفها ويضعها بين يديه.

صالح بن عمر قال: كان الحسن يقعد مع أصحابه ولا يقوم حتى يختم منصور بن زاذان القرآن.

قال شيخ من أهل واسط يكنى أبا سعيد ـ وكان جاراً لمنصور بن زاذان ـ قال: رأيت منصوراً توضأ يوماً فلما فرغ دمعت عيناه، ثم جعل يبكي حتى ارتفع صوته. قلت: رحمك الله ما شأنك؟ فقال: وأي شيء أعظم من شأني؟ إني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم، فلعله أن يعرض عني! قال: فأبكاني ـ والله ـ بقوله.

عمرو بن عون قال: سمعت هشيماً يقول: مكث منصور بن زاذان يصلي الفجر بوضوء عشاء الآخرة عشرين سنة.

عن أبي عوانة قال: لو قيل لمنصور بن زاذان: إنك ميت اليوم أو غداً، ما كان عنده مزيد.

قال هشيم: لو قيل لمنصور بن زاذان: إن ملك الموت على الباب، ما كان عنده زيادة في العمل، وذلك أنه كان يخرج فيصلي الغداة في جماعة، ثم يجلس فيسبِّح حتى تطلع الشمس، ثم يصلي إلى الزوال، ثم يصلي الظهر، ثم يصلي إلى العصر، ثم يصلي العصر، ثم يجلس فيسبِّح إلى المغرب، ثم يصلي المغرب، ثم يصلي العشاء، ثم ينصرف إلى بيته فيُكتَب عنه في ذلك الوقت.

عن أبي حمزة قال: رأيت جنازة منصور بن زاذان ورأيت الرجال على حدة، والنساء على حدة، واليهود على حدة، والنصارى على حدة.

قال المؤلف: أرسل منصور الحديث عن أنس، وروى عن الحسن، وابن سيرين، وعطاء ونظرائهم، وكان قد تحول عن واسط فنزل «المَبَارك» على تسعة فراسخ من واسط، وتوفي في الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة. وقيل: سنة تسع وعشرين.

٣٧٤ ـ سيار بن دينار

وقيل: ابن وردان. أبو الحكم العنبري عن هشيم قال: دخلنا على سيار أبي الحكم وهو يبكي، فقلنا: ما يبكيك؟ قال: ما أبكى العابدين قبلي.

أبو جعفر الآدمي قال: قال سيار أبو الحكم: الفرح بالدنيا والحزن بالآخرة لا يجتمعان في قلب عبد، إلا إذا سكن أحدهما القلب خرج الآخر.

---

٣٧٤ ـ سيَّار بن دينار ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٢٢)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩١)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩١)، الحلية (٨/ ٣١٣)، تاريخ الإسلام (٥/ ٨٥)، تاريخ واسط (١٧٥)، الجرح والتعديل (٤/ ٢٥٤).

حسين بن زيادة قال: بعث بعض القضاة إلى سيار بواسط فأتاه فقال له: لم لا تجيء إلينا؟ فقال له: إن أنت أدنيتني فتنتني، وإن باعدتني غممتني، وليس عندك ما أرجوه، ولا عندي ما أخافك عليه. ثم قام.

عبد الحميد بن بيان قال: سمعت أبي يقول: خرج سيار إلى البصرة، فقام يصلي إلى سارية في المسجد الجامع، وكان حسن الصلاة، عليه ثياب جياد، فرآه مالك بن دينار فجلس إليه فسلم سيار، فقال له مالكٌ: هذه الصلاة وهذه الثياب؟ فقال له سيار: هذه ترفعني عندك أو تضعني؟ فقال: تضعك. قال: هذا أردت. ثم قال له: يا مالك إني لأحسب ثوبيك هذين قد أنزلاك من نفسك ما لم ينزلك[1] من الله! فبكى مالك وقال له: أنت سيار؟ قال: نعم. فعانقه. وفي رواية أخرى: فجاء مالك فقعد بين يديه.

قال المصنف: يُسند سيار عن طارق بن شهاب، ويقال: إن طارقاً من أصحابه.

روى عن الشعبي، وأبي حازم، في نظرائهم.

٣٧٥ ـ المستسلم بن سعيد

أبو سعيد الثقفي الواسطي: قال ابن أخت منصور مولى يزيد بن هارون: مكث المستسلم بن سعيد أربعين سنة لا يضع جنبه إلى الأرض. قال: وسمعته يقول: لم أشرب الماء منذ خمسة وأربعين يوماً.

وفي رواية أخرى: قال يزيد بن هارون: بتُّ عند المستسلم بن سعيد وكان لا يكاد ينام، إنما هو قائم وقاعد، وذكر أنه لم يضع جنبه منذ أربعين عاماً، فظننت أنه يعني بالليل، فقيل: ولا بالنهار.

٣٧٦ ـ هشيم بن بشير بن أبي خازم

واسم أبي خازم: القاسم بن دينار. ويكنى هشيم أبا معاوية السلمي، مولى لبني سليم.

قال أبو إسحاق الحربي: كان هشيم رجلاً؛ كان أبوه صاحب صحناة وكواميخ، يقال له بشير.

وطلب ابنه هشيم الحديث فاشتهاه، وكان أبوه يمنعه، فكتب الحديث حتى جالس أبا شيبة القاضي، وكان يناظر أبا شيبة في الفقه، فمرض هشيم، فقال أبو شيبة: ما فعل ذلك الفتى الذي كان يجيء إلينا؟ قالوا: عليل. فقال: قوموا بنا حتى نعوده. فقام أهل المجلس جميعاً يعودونه حتى صاروا إلى منزل بشير، فدخلوا إلى هشيم، فجاء رجل إلى بشير ويده في الصحناة فقال: الحق ابنك قد جاء القاضي يعوده! فجاء بشير والقاضي في داره! فلما خرج قال لابنه: يا بني قد كنت أمنعك من طلب الحديث فأما اليوم فلا، صار القاضي يجيء إلى بابي، متى أَمِلتُ هذا.

قال الحربي: وكان حفاظ الحديث أربعة، هشيم شيخهم، يزعمون أنه ما رئي له إلا دفتر واحد.

---

(١) كذا في المطبوع، ولعلها «يُنزِلاك».

٣٧٦ ـ هشيم بن بشير ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٩/ ٨٩)، تاريخ بغداد (١٤/ ٨٥)، تهذيب التهذيب (١١/ ٥٩)، والجرح والتعديل (٩/ ١١٥)، العبر (١/ ٢٨٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٤٨).

عبد الله بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: لزمت هشيماً أربع سنين، أو خمس سنين، ما سألته عن شيء هيبة إلا مرتين. قال لي: وكان هشيم كثير التسبيح بين الحديث، يقول بين ذلك: لا إله إلا الله، يمدّ بها صوته.

محمد بن حاتم المؤدب قال: قيل لهشيم: كم كنت تحفظ يا أبا معاوية؟ قال: كنت أحفظ في مجلس مائة، ولو سئلت عنها بعد شهر لأجبت.

نصر بن بسام وغيره من أصحابنا قالوا: أتينا أبا محفوظ معروفاً الكرخي فقال لنا: رأيت النبي في النوم وهو يقول لهشيم: يا هشيم: جزاك الله عن أمتي خيراً. قال ابن بسام: فقلت: يا أبا محفوظ أنت رأيته؟ قال: نعم، هشيم خير مما نظن، هشيم خير مما نظن، هشيم خير مما نظن. رضي الله عن هشيم.

عمرو بن عون قال: مكث هشيم يصلي الفجر بوضوء عشاء الآخرة، قبل أن يموت، عشر سنين.

قال المؤلف: سمع هشيم من عمرو بن دينار، والزهري، ويونس بن عبيد، وأيوب السختياني، وابن عون، وخالد الحذاء، ومنصور بن زاذان، في خلق كثير.

وروى عنه: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبة، وابن المبارك، ويزيد بن هارون، في جماعة من الكبار، وانتقل عن واسط إلى بغداد فسكنها إلى أن مات بها، وكان أبوه بشيرٌ طباخ الحجاج بن يوسف كان يعمل الكواميخ والصحناة.

ومات هشيم في يوم الأربعاء، لعشر مضين من شعبان من سنة ثلاث وثمانين ومائة.

٣٧٧ ـ يزيد بن هارون

يكنى أبا خالد، مولى لبني سليم، وقيل: أصله من بخارى.

علي بن المديني قال: ما رأيت رجلاً قط أحفظ من يزيد بن هارون.

قال أبو جعفر أحمد بن سنان: ما رأيت عالماً قط أحسن صلاة من يزيد بن هارون، يقوم كأنه أسطوانة، وكان يصلي بين المغرب والعشاء والظهر والعصر لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار، هو وهشيم جميعاً معروفان بطول الصلاة بالليل والنهار.

عاصم بن علي قال: كان يزيد بن هارون إذا صلى العتمة لا يزال قائماً حتى يصلي الغداة بذلك الوضوء نيفاً وأربعين سنة.

أبو جعفر محمد بن إسماعيل الصائغ بمكة قال: قال رجل ليزيد بن هارون: كم حزبك؟ فقال: وأنام من الليل شيئاً؟ إذاً لا أنام الله عيني!

---

٣٧٧ ـ يزيد بن هارون ـ رحمه الله ـ: ذكره ابن الجوزي في تاريخه (٨/٤)، و(١٠/ ١٥٥ ـ ١٥٩)، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٦٦)، الجرح والتعديل (٩/ ٢٩٥)، العبر (١/ ٣٥٠)، طبقات ابن سعد (٧/ ٣١٤)، شذرات الذهب (٢/ ١٦)، الكاشف (٣/ ٢٨٧).

محمد بن الربيع بن الحكم قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: من طلب الرئاسة في غير أوانها حرمه الله إياها في أوانها.

الحسن بن عرفة قال: رأيت يزيد بن هارون بواسط وهو أحسن الناس عينين، ثم رأيته بعين واحدة، ثم رأيته وقد ذهبت عيناه: فقلت: يا أبا خالد ما فعلت العينان الجميلتان؟ فقال: ذهب بهما بكاءُ الأسحار.

أبو نافع ابن بنت يزيد بن هارون قال: كنت عند أحمد بن حنبل وعنده رجلان، فقال أحدهما: يا أبا عبد الله رأيت يزيد بن هارون في المنام، فقلت له: يا أبا خالد ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وشفعني وعاتبني. قال: قلت: غفر لك وشفعك قد عرفتُ، ففيم عاتبك؟ قال: قال لي: يا يزيد أتحدث عن حريز بن عثمان؟ قال: قلت: يا رب ما علمت إلا خيراً! قال: يا يزيد إنه كان يبغض أبا الحسن عليَّ بن أبي طالب.

قال: وقال الآخر: وأنا رأيت يزيد بن هارون في المنام؟ فقلت له: هل أتاك منكر ونكير؟ قال: إي والله، وسألاني من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال: قلت: ألمثلي يقال هذا وأنا أعلم الناس هذا في دار الدنيا؟ فقالا لي: صدقتَ؛ فَنمْ نومة العروس لا بؤس عليك.

حوثرة بن محمد المقري قال: رأيت يزيد بن هارون في المنام بعد موته بأربع ليال فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: تقبل مني الحسنات، وتجاوز عن السيئات، ووهب لي التبعات. قلت: وما كان بعد ذلك؟ قال: هل يكون من الكريم إلا الكرم؟ غفر لي ذنوبي وأدخلني الجنة. قلت: بم نلت؟ قال: بمجالس الذكر، وقول الحق، وصدقي في الحديث، وطول قيامي في الصلاة، وصبري على الفقر.

قلت: منكر ونكير حق؟ قال: إي والله، والله الذي لا إله إلا هو لقد أقعداني وسألاني: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فجعلت أنفض لحيتي البيضاء من التراب. فقلت: مثلي يُسأل؟ أنا يزيد ابن هارون الواسطي، وكنت في دار الدنيا ستين سنة أعلم الناس. فقال أحدهما: صدق، هو يزيد بن هارون، نَمْ نومة العروس، ولا روعة عليك بعد اليوم. قال أحدهما: أكنت تكتب عن حريز بن عثمان؟ قلت: نعم، وكان ثقة في الحديث. قال: ثقة؛ ولكنه كان يبغض علياً، أبغضه الله تعالى. قال المؤلف: أسند يزيد هارون عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وسليمان التميمي، وعاصم الأحول، وحميد الطويل، وداود بن أبي هند، وعبد الله بن عون، وحسين المعلم في خلق كثير. وكان مولده ثمان عشرة ومائة، وتوفي في سنة ست ومائتين وهو ابن سبع أو ثمان وثمانين سنة.

انتهى ذكر أهل واسط

ذكر المصطَفَين من أهل الكوفة
من التابعين ومن بعدهم

من الطبقة الأولى
٣٧٨ ـ سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر

يكنى أبا أمية: رحل إلى رسول الله، فوصل إلى المدينة، وقد قُبض رسول الله!. فصحب أبا بكر وعثمان وعلياً.

وروى عنه الشعبي أنه قال: أنا أصغر من رسول الله بسنة.

عن عمران بن مسلم قال: كان سويد بن غفلة إذا قيل له: أعطي فلان، ووُلّي فلان! قال: حسبي كسرتي وملحي.

عن عثمان بن عمران قال: قال سويد بن غفلة: لو استطعت أن أكون مؤذن الحي لفعلت.

عن خثيمة عن سويد بن غفلة قال: إذا أراد الله أن ينسى أهلَ النار جعل لكل واحد منهم تابوتاً من نار على قدره ثم أقفل عليهم بأقفال من نار، فلا يضرب فيهم عرق إلا وفيه مسمار من نار، ثم يجعل ذلك التابوت في تابوت آخر من نار، ثم يقفل عليه بأقفال من نار ثم تضرم بينهم نار، ثم يجعل ذلك في تابوت آخر من نار ثم يقفل بأقفال من نار، ثم تضرم نار فلا يرى أحد منهم أن في النار غيره.

عن سويد بن غفلة قال: إن الملائكة تمشي أمام الجنازة وتقول: ما قدّم؟ ويقول الناس: ما ترك؟.

عن الوليد بن علي عن أبيه قال: كان سويد بن غفلة يؤمُّنا في شهر رمضان في القيام، وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة.

عن عاصم قال: تزوج سويد بن غفلة وهو ابن ستة عشرة ومائة سنة، وكان يمشي، يأتي الجمعة ماشياً.

حنش بن الحارث قال: رأيت سويد بن غفلة يمر بنا في المسجد إلى امرأة له من بني أسد وهو ابن سبع وعشرين ومائة سنة.

---

٣٧٨ ـ سويد بن غفلة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٢٧)، طبقات ابن سعد (٦/ ١/ ٤٥)، تاريخ واسط (١٣١)، الجرح والتعديل (٤/ ١٠٠١)، الحلية (٤/ ١٧٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ٥٣)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢٥٢).

عن عاصم بن كليب قال: تزوج سويد بن غفلة بكراً وهو ابن ست عشرة ومائة سنة، وكان يمر بنا إلى الجمعة يمشي وهو ابن ست عشرة ومائة.

قال المؤلف: أسند سويد عن أبي بكر، وعمر، وابن مسعود، وبلال وغيرهم.

قال محمد بن سعد: مات سويد ابنَ ثمان وعشرين ومائة سنة في إحدى أو ثنتين وثمانين.

٣٧٩ ـ الأسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله

يكنى أبا عمرو، وهو ابن أخي علقمة بن قيس، وهو أكبر من علقمة.

عن منصور بن إبراهيم قال: كان الأسود يختم القرآن في رمضان في ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال.

عن أبي إسحق قال: حج الأسود ثمانين من بين حج وعمرة.

عن عبد الرحمن بن تروان الأودي قال: كان الأسود بن يزيد يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يخضر جسده ويصفر، وكان علقمة يقول له: ويحك لم تُعذِّب هذا الجسد؟ فيقول: إن الأمر جد، إن الأمر جد.

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم الأسود بن زيد، وكان يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يصفر، ويخضر. فلما احتُضِر بكى! فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: لا أجزع؟ ومن أحق بذلك مني؟ والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه بما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحياً منه. قال: لقد حج الأسود ثمانين حجة.

حنش بن الحارث قال: رأيت الأسود وقد ذهبت إحدى عينيه من الصوم.

عمارة قال: ما كان الأسود إلا راهباً من الرهبان.

عن الحكم قال: كان الأسود يصوم الدهر.

أسند الأسود عن أبي بكر، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ وأبي موسى، وسلمان، وعائشة. ولم يورد عن عثمان شيئاً، وتوفي بالكوفة في سنة خمس وسبعين.

٣٨٠ ـ مسروق بن الأجدع بن مالك

أبو عائشة الهمداني: سُرِق وهو صغير، ثم وجُد فسمُيّ مسروقاً، وأسلم أبوه الأجدع، ولقي

---

٣٧٩ ـ الأسود بن قيس ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ١٦٧)، طبقات ابن سعد (٦/ ١/ ٤٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٨)، الجرح والتعديل (١/ ١/ ٢٩١)، الحلية (٢/ ١٠٢)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٣٧)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٤٢)، شذرات الذهب (١/ ٨٢)، العبر (١/ ٨٦).

٣٨٠ ـ مسروق بن الأجدع ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ١٩)، طبقات ابن سعد (٥/ ١/ ٤٦)، الجرح والتعديل (٥/ ١٣١)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٢١)، تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٣٧٣)، تاريخ الإسلام (٣/ ٧٥)، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٦)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٠٩)، العبر (١/ ٦٨)، شذرات الذهب (١/ ٧١).

مسروقاً عمرُ بن الخطاب فقال له: ما اسمك؟ فقال: مسروق بن الأجدع. فقال: الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبد الرحمن. فثبت ذلك عليه.

عن مسروق قال: بحسب المؤمن من الجهل أن يُعْجَبَ بعمله، وبحسب المؤمن من العلم أن يخشى الله.

عن مسروق قال: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله عز وجل.

عن إسماعيل بن أمية قال: قيل لمسروق: لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع ـ أي من العبادة ـ؟ فقال: والله لو أتاني آت فأخبرني أن الله لا يعذبني لاجتهدت في العبادة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: حتى تعذرني نفسي إن دخلت جهنم لا ألومها، أما بلغك في قوله عز وجل: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم واعتقبتهم الزبانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون، وانقطعت عنهم الأماني، ورفعت عنهم الرحمة، وأقبل كل امرئ منهم يلوم نفسه.

عن أبي إسحاق قال: حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع.

عن أنس وابن سيرين: أن امرأة مسروق قالت: كان يصلي حتى تورم قدماه، فربما جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه.

عن إبراهيم قال: كان مسروق يرخي الستر بينه وبين أهله ثم يقبل على صلاته ويخلِّيهم ودنياهم.

عن مسلم وغيره عن مسروق قال: إني أَحْسَنُ ما أكون ظناً حين يقول الخادم: ليس في البيت قفيز ولا درهم.

عن مسلم عن مسروق قال: إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، يتذكر ذنوبه يستغفر منها.

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم مسروق بن الأجدع، فإن امرأته قالت: ما كان يوجد إلا وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة، فلما احتُضِر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: ما لي لا أجزع وإنما هي ساعة ولا أدري أين يسلك بي؟ بين يدي طريقان لا أدري إلى الجنة أم إلى النار؟.

عن الشعبي قال: غشي على مسروق في يوم صائف وهو صائم، فقالت له ابنته: أفطر. قال: ما أردتِ بي؟ قالت: الرفق. قال: يا بنية إنما أطلب الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

أسند مسروق عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وخباب، وزيد بن ثابت، والمغيرة، وعبد الله بن عمرو، وعائشة، ولم يسند عن عثمان شيئاً، ولكنه قد رآه ورأى أبا بكر أيضاً، وكان علي بن المديني يقول: لا أقدم على مسروق أحداً من أصحاب ابن مسعود، ومات مسروق بالكوفة في سنة ثلاث وستين.

٣٨١ ـ علقمة بن قيس بن عبد الله

ابن مالك النخعي، يكنى أبا شبل، هو عم الأسود بن يزيد، وخال إبراهيم التيمي.

قال أبو ظبيان: أدركت ما شاء الله من أصحاب النبي يسألون علقمة ويستفتونه.

عن إبراهيم عن علقمة قال: كان عبد الله يشبه النبيَّ في هديه دَلِّه وسمته، وكان علقمة يُشَبَّه بعبد الله.

قال مرة بن شراحيل: كان علقمة من الربانيين.

عن إبراهيم قال: كان علقمة يختم القرآن في كل خمس.

عن المسيب بن رافع قال: قيل لعلقمة: لو جلست فأقرأت الناس القرآن وحدثتهم؟ قال: أكره أن توطأ عقبي وأن يقال: هذا علقمة. وكان يكون في بيته يعلف غنمه ويقتُّ[1] لهن.

عن مالك بن الحارث قال: قيل لعلقمة: ألا تخرج فتحدث الناس؟ قال: أخرج! يتبعون عقبي ويقولون: هذا علقمة. قالوا: أفلا تدخل على السلطان فتنتفع؟ قال: إني لا أصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من ديني مثله، ولا تؤذنوا بي أحداً، وأغلقوا الباب، ولا تتبعني امرأة، ولا تتبعوني بنار، وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا الله.

قال المؤلف: أسند علقمة عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وحذيفة، وأبي موسى، وخباب بن الأرت، وسلمان، وأبي مسعود، وعائشة.

وتوفي بالكوفة سنة إحدى وستين، وقيل: سنة اثنتين وستين، وقيل: ثلاث وستين، وقيل: اثنتين وسبعين، وقيل: ثلاث وسبعين، وله تسعون سنة ـ رحمه الله.

٣٨٢ ـ شقيق بن سلمة الأسدي

يكنى أبا وائل: عن عاصم أن أبا وائل كان له خص من قصب، وكان يكون فيه هو وفرسه فإذا غزا نقضه وتصدق به، وإذا رجع أنشأ بناءه.

عن عاصم قال: ما رأيت أبا وائل يلتفت في صلاة ولا في غيرها قط.

عن إبراهيم قال: ما من قرية إلا وفيها من يُدفع عن أهلها به، وإني لأرجو أن يكون أبو وائل منهم.

---

٣٨١ ـ علقمة بن قيس النخعي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٩)، طبقات ابن سعد (٦/ ١/ ٥٧)، تاريخ بغداد (١٢/ ٢٩٦)، الحلية (٢/ ٩٨)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٥)، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٦)، تاريخ الإسلام (٣/ ٥٠)، شذرات الذهب (١/ ٧٠)، العبر (١/ ٦٦).

(١) أي يقطع لغنمه القتُّ، وهو الفصفصة؛ وهي الرَّطبة من عَلَف الدواب.

٣٨٢ ـ شقيق بن سلمة الأسدي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٥٣)، طبقات ابن سعد (٦/ ١/ ٦٤)، الجرح والتعديل (٤/ ١٦١٣)، الحلية (٤/ ١٠١)، تاريخ بغداد (٩/ ٢٦٨)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٦١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٠)، تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٣٣٦)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٦١)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢٥٥).

سعيد بن صالح قال: رأيت أبا وائل يسمع النوح ويبكي.

عن الأعمش، عن أبي وائل قال: إن أهل بيت يضعون على مائدتهم رغيفاً حلالاً لأهل بيت غرباء.

عن مغيرة قال: كان إبراهيم التيمي يذكر في منزل أبي وائل، فكان أبو وائل ينتفض انتفاض الطير.

عن عاصم قال: كان أبو وائل إذا خلا يسبّح، ولو جُعلت له الدنيا على أن يفعل ذلك وأحد يراه لم يفعل.

عمرو بن قيس قال: كان شقيق بن سلمة يدخل المسجد يصلي، ثم ينشج كما تنشج المرأة.

عن عاصم بن أبي النجود قال: كان عطاء أبي وائل ألفين، فإذا خرج أمسك ما يكفي أهله سنة، وتصدق بما سوى ذلك.

عن عاصم قال: سمعت شقيق بن سلمة يقول وهو ساجد: رب اغفر لي، رب اعف عني، إن تعف عني [تعفُ] تطولاً من فضلك، وإن تعذبني تعذبني غير ظالم لي. قال: ثم يبكي حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد.

قال المؤلف: أدرك أبو وائل زمان رسول الله ولم يلقَه، وسمع عن عمر، وعثمان، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وعمارة، وخباب، وأبي موسى، وأسامة بن يزيد، وحذيفة، وابن عمر، وأبي مسعود، وسلمان، وأبي الدرداء، والبراء، والمغيرة بن شعبة، وأبي هريرة، وجرير، وكعب بن عجرة، وسهل بن حنيف، وقيس بن أبي غرزة، وابن عباس، وابن الزبير، وعائشة، وأم سلمة.

قال سعيد بن صالح: كان أبو وائل يؤم جنائزنا وهو ابن مائة وخمسين سنة، قال الفضل بن دكين: توفي أبو وائل في زمن الحجاج بعد الجماجم.

٣٨٣ ـ زيد بن وهب الجهني

أحد بني حسل بن نصر بن مالك، يكنى أبا سليمان، عبد الله بن داود قال: خبرتنا مولاة لزيد ابن وهب قالت: كان زيد قد أثر الرحل بوجهه من الحج والعمرة.

قال المصنف: رحل زيد إلى رسول الله، فقبض رسول الله وزيد في الطريق.

وروى عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وكبار الصحابة، وتوفي بعد الجماجم.

---

٣٨٣ ـ زيد بن وهب الجُهنيّ ـ رحمه الله ـ: نقل عنه في سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢٠ و٤٦٣ و٤٧٩ و٤٨٧ و٤٨٩ و٤٩١ و٤٩٥)، الحلية (٤/ ١٧١)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢٥١)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٢٧)، الجرح والتعديل (٢/ ١/ ٥٧٤)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٢).

٣٨٤ ـ يزيد بن شريك التميمي

وهو أبو إبراهيم: عن ليث بن أبي سليم، عن إبراهيم التميمي عن أبيه قال: قدمت البصرة فربحت فيها عشرين ألفاً، فما اكترثتُ بها فرحاً، وما أريد أن أعود إليها؛ لأني سمعت أبا ذر يقول: إن صاحب الدرهم يوم القيامة أخف من صاحب الدرهمين.

عن الأعمش، عن إبراهيم التميمي، عن أبيه: أنه خرج إلى البصرة فاشترى رقيقاً بأربعة آلاف، ثم باعهم فربح أربعة آلاف. فقلت: يا أبت لو أنك عدت إلى البصرة فاشتريت مثل هؤلاء فربحت فيهم؟ فقال: يا بني لِمَ تقول هذا؟ فوالله ما فرحت بها حين أصبتها، ولا أحدث نفسي أن أرجع فأصيب مثلها.

روى يزيد عن عمر، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، في خلق كثير.

٣٨٥ ـ زُرّ بن حُبَيْش الأسدي

يكنى أبا مريم: عن عاصم بن أبي النجود قال: أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا الليل جملاً، منهم: زر، وأبو وائل.

عن سويد الكلبي: أن زر بن حبيش كتب إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه فيه، فكان في آخر كتابه: ولا يُطْمِعَنَّك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك، فأنت أعلم بنفسك، واذكر ما تكلم به الأولون:

إذا الرجال ولدت أولادها ... وبليت من كبر أجسادُها
وجعلت أسقامها تعتادها ... فذلك زروع قد دنا حصادها

فلما قرأ الكتاب بكى حتى بلَّ طرف ثوبه، ثم قال: صدق زرّ، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق.

عن إسماعيل بن أبي خالد قال: افتض زُرّ بن حبيش جارية وهو ابن عشرين ومائة سنة.

قال المؤلف: أسند زر عن عمر، وعلي، وابن عوف، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وحذيفة وصفوان بن عسال. وتوفي وهو ابن اثنتين وعشرين ومائة.

---

٣٨٤ ـ يزيد بن شريك التميمي ـ رحمه الله ـ: الحلية (٤/ ٢١٠)، وذكره الذهبي في السير (١/ ٤٧٢ و٤٩٥)، والكاشف (٢/ ٣٨٤)، تقريب التهذيب (١/ ٦٠٢)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢٩٤)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٤).

٣٨٥ ـ زرّ بن حُبَيْش ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٤/ ١٦٦)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٤)، الجرح والتعديل (١/ ٢/ ٦٢٢)، الحلية (٤/ ١٨١)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ١٩٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٥٤)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢٤٩)، العبر (١/ ٩٥)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٢١)، شذرات الذهب (١/ ٩١)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ١٩٦).

٣٨٦ ـ عمرو بن شرحبيل

أبو مَيْسَرَة: عن زبيد سمعت أبا وائل يقول: ما رأيت همدانياً أحب إلي أن أكون في مسلاخه من أبي ميسرة! قيل: ولا مسروق؟ قال: ولا مسروق.

عن فضيل بن غزوان، عن امرأة عمرو بن شرحبيل قالت: كان عمرو إذا أوى إلى فراشه قال: وددت أني لم أكُ شيئاً قط.

قال المؤلف: أسند عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وخبّاب بن الأَرَتّ وغيرهم.

٣٨٧ ـ عبد الله بن أبي الهذيل

يكنى أبا المغيرة: عن أبي فروة: كنا نجالس عبد الله بن أبي الهذيل، فإذا جاء إنسان فألقى حديثاً من حديث الناس قال: يا عبد الله ليس لهذا جلسنا.

عن خالد أبي سنان قال: شكا عبد الله بن أبي الهذيل يوماً من ذنوبه! فقال له رجل: يا أبا المغيرة أَوَ لست التقيَّ النقيَّ؟ فقال: اللهم إن عبدك هذا أراد أن يتقرب إلي، وإني أُشهدك على مقته.

عن العوام بن حوشب عن ابن أبي الهذيل قال: لقد شغلت النار من يعقل عن ذكر الجنة.

عن العوام بن حوشب قال: ما رأيت ابن أبي الهذيل إلا وكأنه مذعور.

قال المؤلف: أسند عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي بكر، وعمر وعلي، وعبد الله بن مسعود، إلا أنه أرسل الحديث عنهم، وسمع من عمار، وخباب بن الأرت، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة، وجرير، وابن عباس، وعبد الرحمن بن أبزي.

٣٨٨ ـ مُرَّة بن شُراحيل الهَمَداني

ويقال له: مرة الطبيب، سمي بذلك لعبادته.

حصين قال: أتينا مرة بن شراحيل الطبيب نسأل عنه؟ فقالوا: إنه في غرفة له قد تعبد اثنتي عشرة سنة، فدخلنا عليه.

عن زبيد اليامي قال: كان مُرّةُ الهمداني يصلي في اليوم والليلة ستمائة ركعة.

عن عطاء بن السائب قال: كان مُرَّة يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما ثقل وبَدُن صلى أربعمائة ركعة، وكنت أنظر إلى مَبارِكه كأنها مَبارِكُ الإبل.

---

٣٨٦ ـ عمرو بن شَرَحبيل ـ رحمه الله ـ: ذكره الذهبي في السير (١/ ٢٢٩ و٢٨٥ و٢٨٩)، تاريخ الإسلام (٣/ ٥٦)، الجرح والتعديل (١/ ٣/ ٢٣٧)، الحلية (٤/ ١٤١)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٦).

٣٨٧ ـ عبد الله بن أبي الهذيل ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٣/ ٢٧٠)، تهذيب التهذيب (٦/ ٦٢)، الجرح والتعديل (٢/ ٢/ ١٩٦)، الحلية (٤/ ٣٥٨)، طبقات ابن سعد (٦/ ١١٥)، وذكره في السير (١/ ٤٢٣)، و(٣/ ٥٢٦ و٥٢٧).

٣٨٨ ـ مُرّة بن شُراحيل الهمداني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٥/ ٢٧٦)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٧٩)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٣)، الحلية (٤/ ١٦١)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٨٨).

العلاء بن عبد الكريم الأيامي قال: كنا نأتي مُرّة الهمداني فيخرج إلينا فنرى أثر السجود في جبهته وكفيه وركبتيه وقدميه، فيجلس معنا هُنَيَّةً ثم يقوم قائماً، فإنما هو ركوع وسجود.

قال المؤلف: أسند مُرَّةُ عن أبي بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود وغيرهم.

الحارث الغنوي قال: سجد مرة الهمداني حتى أكل التراب جبهته، فلما مات رآه رجل من أهله في منامه كأن موضع سجوده كهيئة الكوكب الدرّي يلمع! قال: فقلت له: ما هذا الذي أرى بوجهك؟ قال: كُسي موضع السجود بأكل التراب له نوراً. قال: فما منزلتك في الآخرة؟ قال: خير منزلة، دار لا يُنقل عنها أهلها، ولا يموتون.

٣٨٩ ـ عمرو بن ميمون الأودي

عن أبي إسحاق قال: كان عمرو بن ميمون إذا دخل المسجد فرئي ذُكر الله عز وجل.

عن أبي إسحاق: أن عمرو بن ميمون حج مائة حجة وعمرة. كذا رواه إسرائيل. ورواه شعبة عن أبي إسحاق: أنه حج ستين حجة وعمرة.

قال أبو المليح: قال عمرو بن ميمون: ما يسرني أن أمري يوم القيامة إلى أبوي.

قال المصنف: أسند عمرو عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي أيوب، وأبي مسعود عقبة بن عمرو، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وابن العباس، وآخرين.

توفي سنة أربع أو خمس وسبعين، في أول خلافة عبد الملك.

٣٩٠ ـ همام بن الحارث النخعي

عن إبراهيم، عن همام بن الحارث: أنه كان يدعو: اللهم اشفني من النوم باليسير، وارزقني سهراً في طاعتك. وكان لا ينام إلا هنية وهو قاعد.

عن إبراهيم قال: أصبح همام مترجلاً، فقال بعض القوم: إن جُمَّة همام لتخبركم أنه لم يتوسدها الليلة.

عن الأعمش قال: كانوا يأتون همام بن الحارث يتعلمون في هديه وسَمْته.

قال المؤلف: أسند همام عن عمر، وابن مسعود، وحذيفة، وأبي مسعود، وأبي الدرداء، وعدي بن حاتم، وجرير، وعائشة، وتوفي بالكوفة في ولاية الحجاج.

---

٣٨٩ ـ عمرو بن ميمون الأودي ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٣/ ١٩٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٠٩)، الجرح والتعديل (١/٣/ ٢٥٨)، الحلية (٤/ ١٨٤)، طبقات ابن سعد (٦/ ١١٧)، العبر (١/ ٨٥).

٣٩٠ ـ همام بن الحارث النخعي ـ رحمه الله ـ: الحلية (٤/ ١٧٨)، تهذيب التهذيب (١١/ ٦٦)، الجرح والتعديل (٢/ ٤/ ١٠٦)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢١٢)، طبقات ابن سعد (٦/ ١١٨).

٣٩١ ـ ربعي بن حراش بن جحش الغطفاني

عبد الله العجلي قال: حدثني أبي قال: إن ربعي بن حراش لم يكذب كذبة قط، وكان له ابنان عاصيان على الحجاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبة قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما! [فجاء به و] قال: أين ابناك؟ قال: هما في البيت. قال: قد عفونا عنهما بصدقك.

عن الحارث الغنوي قال: آلى ربعي بن حراش أن لا يضحك حتى يعلم في الجنة هو أو في النار!.

قال الحارث الغنوي: فلقد أخبرني غاسله أنه لم يزل مبتسماً على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا من غسله.

قال المؤلف: أسند ربعي عن عمر، وعلي، وحذيفة، وأبي بكر، وعمران بن حصين.

قال أبو نعيم ـ الفضل بن دكين ـ: وتوفي سنة إحدى ومائة، وقال المدائني: سنة أربع ومائة، وكذلك قال يحيى بن معين.

٣٩٢ ـ أخو ربعي بن حراش

ولم يُسَمَّ لنا: عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش قال: كنا إخوة ثلاثة، وكان أعبدنا وأصومنا وأفضلنا الأوسط منا، فغبت غيبة إلى السواد، ثم قدمت على أهلي فقالوا: أدرك أخاك فإنه في الموت! فخرجت أسعى إليه، فانتهيت إليه وقد قضى، وسُجي بثوب، فقعدت عند رأسه أبكيه، فرفع يده فكشف الثوب عن وجهه وقال: السلام عليكم. قلت: أي أخي أحياة بعد موت؟ قال: نعم، إني لقيت ربي فلقيني برَوح وريحان، ورب غير غضبان، وإنه كساني ثياباً خضراً من سندس وإستبرق، وإني وجدت الأمر أيسر مما تحسبون ـ ثلاثاً ـ وإني لقيت رسول الله، فأَقْسَمَ أن لا أبرح حتى آتيه. فعجِّلوا جهازي. ثم طُفِئ، فكأنه أسرع من حصاة لو ألقيت في ماء.

٣٩٣ ـ زياد بن حُدَيْر الأسدي

يكنى أبا المغيرة، وقيل: أبا عبد الرحمن: عن حفص بن حميد قال: كان الرجل يأتي زياد بن حدير فيقول له: إني أريد رستاق كذا وكذا.

فيقول له: اقطع طريقك بذكر الله.

عن أبي صخرة عن زياد بن حدير قال: وددت أني في حيِّز من حديد معي فيه ما يصلحني لا أكلم الناس ولا يكلموني حتى ألقى الله.

روى زياد عن علي، وعمر، وابن مسعود.

---

٣٩١ ـ رِبْعِيّ بن حراش ـ رحمه الله ـ: الحلية (٤/ ٣٦٧)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٦)، الجرح والتعديل (٢/ ١/ ٥٠٩). تاريخ الإسلام (٤/ ١١١)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٢٧).

٣٩٣ ـ زياد بن الأسدي ـ رحمه الله ـ: الكنى الأسماء لمسلم (١/ ٥١٤) التاريخ الكبير (٣/ ٣٤٨) طبقات ابن سعد الكبرى (٦/ ١٣٠).

٣٩٤ ـ شُرَيْح بن الحارث بن قيس القاضي

يكنى أبا أمية. ولاه عمر الكوفة. عن ابن عون، عن إبراهيم عن شريح، قال: سيعلم الظالمون حظ من نقصوا، إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر.

عن ابن سيرين قال: سمعت شريحاً يحلف بالله: ما ترك عبد شيئاً لله فوجد فقده.

قال ابن سيرين: ولا أرى شريحاً حلف إلا على علم.

عن الأعمش قال: اشتكى شريح رِجْلَه، فطلاها بالعسل، وجلس في الشمس، فدخل عليه عُوّاده فقالوا: كيف تجدك؟ قال: صالحاً. فقالوا: ألا أريتها الطبيب؟ فقال: قد فعلت. فقالوا: فما قال لك؟ قال: وعد خيراً.

عن إبراهيم عن شريح: أنه قضى على رَجُل باعترافه، فقال: يا أبا أمية قضيت علي بغير بينة! فقال: أخبرني ابن أخت خالك عن ميسرة عن شريح: أنه افتقد ابناً له، فبعث في طلبه فقال لطالبه: أين أصبته؟ فقال: كان يهارش بالكلاب، فقال: صليت؟ قال: لا. فقال للرسول: اذهب به إلى المؤدب وقال:

ترك الصلاة لأكلُبٍ يسعى لها ... طلب الهِراش مع الغواة الرُّجَّس
فإذا أتاك فعُضَّه بمَلامة ... وعِظْنَه موعظة الأديب الكيِّس
وإذا هممت بضربه فبِدُرَّةٍ ... وإذا ضربت بها ثلاثاً فاحبس
واعلم بأنك ما أتيت فنفسه ... مع ما يُجَرِّعني، أعز الأنفس

عن عامر: أن ابناً لشريح قال لأبيه: بيني وبين قوم خصومة فانظر فإن كان الحقُّ لي خاصمتهم، وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمهم؟ فقصَّ قصته عليه فقال: انطلق فخاصِمْهم. فانطلق إليهم فخاصمهم إليه، فقضى على ابنه. فقال له لما رجع إلى أهله: والله لو لم أتقدم إليك لم ألمك، فَضَحْتني! فقال: والله يا بني لأنت أحب إلي من ملء الأرض مثلهم، ولكن الله هو أعز عليّ منك: أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم فتذهب ببعض حقهم.

عن الشعبي قال: شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها وبكت، فقلت: يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة. فقال: يا شعبي إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون.

عن الأعمش قال: سمعتهم يذكرون عن شريح أنه رأى جيراناً له يجولون، فقال: ما لكم؟ قالوا: فرغنا اليوم. فقال: ما بهذا أمر الفارغ.

عن أبي حيان التيمي قال: أخبرنا أبي قال: كان شريح إذا مات لأهله سنّور أمر بها فألقيت في جوف داره، ولم يكن لها مثقب شارع إلا في جوف داره اتقاءً لأذى المسلمين.

قال أبو نعيم: خرج شريح من عند زياد، فلقيه رجل فقال: كبرت سنك، ورقَّ عظمك،

---

٣٩٤ ـ شُرَيْح القاضي ـ رحمه الله ـ: تذكرة الحفاظ (١/ ٥٩) السير (٤/ ١٠٠) الإصابة (٣/ ٣٣٤).

وارتشى ابنك! قال: فرجع إليه فأخبره فقال: من قال لك؟ قال: لا أعرفه فأعفني. قال: لا أعفيك حتى تشير علي برجل! فأشار عليه بأبي بردة فولاه القضاء.

قال المؤلف: أسند شريح عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب وغيرهما، وتوفي سنة ست وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين، وقد بلغ مائة وثمان سنين.

٣٩٥ ـ شبيل بن عوف بن أبي حية

أبو الطفيل الأحمسي من بجيلة أدرك الجاهلية: عن إسماعيل بن أبي خالد، عن شبيل بن عوف قال: ما اغبرّت رجلاي في طلب دنيا قط.

قال المؤلف: [روى] شبيل عن عمر بن الخطاب، وزيد بن أرقم وغيرهما.

٣٩٦ ـ سويد بن شعبة اليربوعي

من بني تميم، وكان من الذين اختطوا الكوفة أيام عمر بن الخطاب.

عن أبي حيان التيمي عن أبيه قال: دخلت على سويد بن شعبة ـ وكان من أصحاب الخطط الذين خط لهم عمر بن الخطاب بالكوفة ـ فإذا هو منكبٌ على وجهه مسجىً بثوب، فلولا أن امرأته قالت: أهلي فداؤك، ما نطعمك؟ ما نسقيك؟ ما ظننت أن تحت الثوب شيئاً! فلما رآني قال: يا ابن أخي دبرت الحراقف والصلب، فما من ضجعة غير ما ترى، والله ما أحب أني نقصت منه قلامة ظفر.

قال الأصمعي: الحرقفة: مجتمع رأس الورك ورأس الفخذين.

٣٩٧ ـ معضد بن يزيد العجلي

يكنى أبا ذر: عن بلال بن سعد عن معضد: قال: لولا ثلاث: ظمأ الهواجر، وطول ليل الشتاء، ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل: ما باليت أن أكون يعسوباً.

عن إبراهيم، عن همام قال: انتهيت إلى معضد وهو ساجد، فأتيته وهو يقول: اللهم اشفني من النوم باليسير. ثم مضى في صلاته.

قال المؤلف: لم يحفظ لمعضد حديث مسند، وإنما كان مشغولاً بالتعبد.

٣٩٨ ـ أويس بن عامر بن جرير

ابن مالك القرني، وقال علقمة بن مرثد: أويس بن أنيس، وقيل: أويس بن الحليس.

---

٣٩٥ ـ شبيل بن عوف ـ رحمه الله ـ: حلية الأولياء (٤/ ١٦٠).

٢٩٦ ـ سويد بن شعبة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٥/ ٤٦).

٣٩٧ ـ معضد بن يزيد العجلي ـ رحمه الله ـ: الحلية (٤/ ١٥٩)، تاريخ ابن الجوزي (٥/ ٣٩)، وفيات سنة (٣٢هـ).

٣٩٨ ـ أُوَيس بن عامر القرني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٤/ ٢٥٤)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٨٦)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٧٣)، الجرح والتعديل (١/ ١/ ٣٢٦)، الحلية (٢/ ٧٩)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٦١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٩).

عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتت عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم: هل فيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم.

قال: من مراد ثم قَرَن؟ قال: نعم. قال: كان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال نعم. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، وله والدة هو بها بارٌّ، لو أقسم على الله عز وجل لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»[(١)]. فاستغفر لي. فاستغفر له.

فقال عمر رضي الله عنه وروحمه الله: أين تريد؟ قال: الكوفة. فقال: ألا أكتب لك إلى عاملها فيستوصي بك؟ قال: لأن أكون في غُبَّر الناس أحب إلي.

قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم، فوافق عمر فسأله عن أويس: كيف تركته؟ قال: تركته رث الهيئة قليل المتاع. فقال: سمعت رسول الله يقول: «يأتي عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ إلا موضع درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على الله عز وجل لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»[(٢)].

فلما قدم الكوفة أتى أويساً فقال: استغفر لي. فقال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح، فاستغفر لي؛ لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفر له. ففطن له الناس، فانطلق على وجهه.

قال أُسَير: وكسوته بُرْداً، فكان إذا رآه إنسان عليه قال: من أين لأويس هذا البرد؟ انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم[(٣)].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المغبرّة وجوههم، الخمصة بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يُؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يُعادوا، وإن ماتوا لم يُشهدوا».

قالوا: يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟ قال: «ذاك أويس القرني». قالوا: وما أويس القرني؟ قال: «أشهل ذو صهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رام ببصره إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله، يتلو القرآن، يبكي على نفسه، ذو طمرين، لاَ يؤبه له، متزر بإزار صوف ورداء صوف، مجهول في أهل الأرض، معروف في السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد: ادخلوا الجنة، ويقال لأويس: قف فاشفع، فيشفعه الله عز وجل في مثل ربيعة ومضر. يا عمر، يا علي إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما؛ يغفر الله لكما»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٨٢) والقزويني في أخبار قزوين (١/ ٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٢)، والطبراني في الكبير (٦/ ١٦٤) والبزار في مسنده (١/ ٤٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

(٤) انظر: مواضع التخريجين السابقَين.

قال: فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه، فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر قام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته: يا أهل الحجيج من اليمن أفيكم أويس؟ فقام شيخ كبير طويل اللحية فقال: إنا لا ندري ما أويس؟ ولكن ابن أخ لي يقال له: أويس، وهو أخمل ذكراً وأقل مالاً، وأهون أمراً من أن نرفعه إليك، وإنه ليرعى إبلنا، حقير بين أظهرنا. فعمّى عليه عمر كأنه لا يريده وقال: ابن أخيك هذا أبِحَرَمِنا هو؟ قال نعم. قال: أين يصاب؟ قال: في أراك عرفات.

قال: فركب عمر وعلي سراعاً إلى عرفات، فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة والإبل حوله ترعى.

فشدا خماريهما ثم أقبلا إليه فقالا: السلام عليك ورحمة الله. فخفف أويس الصلاة ثم قال: السلام عليكما ورحمة الله. قالا: من الرجل؟ قال: راعي إبل وأجير قوم. قالا: لسنا نسألك عن الرعاية ولا عن الإجارة، ما اسمك؟ قال: عبد الله. قالا: قد علمنا أن أهل السموات والأرض كلهم عبيد الله! ما اسمك الذي سمّتك أمك؟ قال: يا هذان ما تريدان إليّ؟ قالا: وصف لنا محمد ﷺ أويساً القرني فقد عرفنا الصهوبة والشهولة، وأخبَرَنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا، فإن كانت بك فأنت هو. فأوضح منكبه فإذا اللمعة، فابتدراه يقبلانه وقالا: نشهد أنك أويس القرني، فاستغفر لنا يغفر الله لك. قال: ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد آدم، ولكنه في البر والبحر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، يا هذان قد شهر الله لكما حالي، وعرفكما أمري فمن أنتما؟ قال علي عليه السلام: أما هذا فعمر أمير المؤمنين، وأما أنا فعلي بن أبي طالب. فاستوى أويس قائماً وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وأنت يا علي بن أبي طالب، فجزاكما الله عن هذه الأمة خيراً. قالا: وأنت فجزاك الله عن نفسك خيراً. فقال له عمر: مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي وفضل كسوة من ثيابي، هذا المكان ميعاد بيني وبينك. قال: ميعاد بيني وبينك لا أراك بعد اليوم، فعرّفني ما أصنع بالنفقة؟ وما أصنع بالكسوة؟ أما ترى علي إزاراً من صوف ورداء من صوف؟ متى تراني أخرقهما؟ أما ترى أن نعلي مخصوفتان؟ متى تراني أبليهما؟ إني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها؟ يا أمير المؤمنين: إن بين يدي ويديك عقبة كؤوداً لا يجاوزها إلا ضامر مُخفٌّ مهزول فأخفف رحمك الله.

فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرَّتِهِ الأرض ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تلده أمه، يا ليتها كانت عاقراً لم تعالج حمْلَها، ألا من يأخذها بما فيها ولها؟ ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ أنت ها هنا حتى آخذ أنا ها هنا. فولى عمر ناحية مكة، وساق أويس إبله فوافى القوم بإبلهم، وخلى عن الرعاية، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل (١).

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية منهم أويس القرني، ظن أهله أنه مجنون فبنوا له بيتاً على باب دارهم، فكانت تأتي عليه السنة والسنون لا يرون له وجهاً، وكان طعامه مما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره، فإن أصاب حشفة حبسها لإفطاره.

---

(١) انظر أخبار أويس رحمه الله برواياتها وأحداثها مدروسة مخرجة محققة في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي رحمه الله (١٩/٤ ـ ١٣٣).

فلما ولي عمر بن الخطاب قال بالموسم: أيها الناس قوموا. فقاموا. فقال: اجلسوا، إلا من كان من اليمن. فجلسوا، فقال: اجلسوا إلا من كان من مراد. فجلسوا. فقال: [اجلسوا] إلا من كان من قرن. فجلسوا إلا رجلاً، وكان عم أويس القرني، فقال له عمر: أقَرَنيٌّ أنت؟ قال: نعم، قال: أتعرف أويساً؟ قال: وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما فينا أحمق ولا أجن ولا أحوج منه.

فبكى عمر، ثم قال: بك لا به، سمعت رسول الله ﷺ؟ يقول: «**يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضر**».

قال هرم بن حيان: فلما بلغني ذلك قدمت الكوفة فلم يكن لي همٌّ إلا طلبه، حتى سقطت عليه جالساً على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ، فعرفته بالنعت الذي نعت لي، فإذا رجل نحيل آدم شديد الأدمة، أشعث محلوق الرأس، مهيب المنظر، فسلمت عليه فرد علي ونظر إلي، ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني، فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك، كيف أنت؟ وخنقتني العبرة من حبي إياه ورِقَّتي عليه، لِما رأيت من حاله، حتى بكيت وبكى.

قال: وأنت، فحياك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخي؟ من دلّك علي؟ قلت: الله. قال: لا إله إلا الله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨]. فقلت: ومن أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتني؟ قال: نبأني العليم الخبير، عرفتْ روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضاً، ويتحابُّون بروح الله عز وجل، وإن لم يلتقوا، وإن نأتْ بهم الدار وتفرقت بهم المنازل.

قلت: حدثني رحمك الله عن رسول الله؟ قال: إني لم أدرك رسول الله ﷺ؟ ولم يكن لي معه صحبة بأبي وأمي رسول الله، ولكني قد رأيت رجلاً قد رآه، ولست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب: أن أكون محدثاً أو قاضياً أو مفتياً، في نفسي شغل عن الناس. فقلت: أي أخي اقرأ علي آيات من كتاب الله عز وجل أسمعها منك، وأوصني بوصية أحفظها عنك، فإني أحبك في الله. فأخذ بيدي فقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربي ـ وأحق القول قول ربي عز وجل، وأصدق الحديث حديث ربي عز وجل ـ ثم قرأ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدخان: ٣٨ ـ ٤٢] فشهق شهقة فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشي عليه. ثم قال: يا هرم بن حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت أنت، فإما إلى الجنة وإما إلى النار! ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء يا ابن حيان! ومات نوح نبي الله، ومات إبراهيم خليل الله، ومات موسى نجيُّ الله، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء، ومات أبو بكر خليفة رسول الله، ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فقلت له: يرحمك الله إن عمر لم يمت! قال: بلى؛ قد نعاه إلي ربي عز وجل، ونعى إلي نفسي، وأنا وأنت في الموتى.

ثم صلى على النبي ﷺ ودعا بدعوات خفاف، ثم قال: هذه وصيتي إياك: كتابَ الله ونَعْيَ المرسلين ونعيَ صالح المؤمنين، فعليك بذكر الموت؛ ولا يفارقن قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر

قومك إذا رجعت إليهم، وانصح للأمة جميعاً، وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم، فتدخل النار، وادع لي ولنفسك.

ثم قال: اللهم إن هذا زعم أنه يحبني فيك، وزارني من أجلك، فعرّفني وجهه في الجنة وأدخله على دارك، دار السلام، واحفظه ما دام حياً، وأرْضِه من الدنيا باليسير، واجعله لما أعطيته من نعمك من الشاكرين، واجزه عني خيراً.

ثم قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا أراك بعد اليوم إن شاء الله تعالى، رحمك الله فإني أكره الشهرة، والوحدة أحب إليّ لأني كثير الغمّ ما دمت مع هؤلاء الناس، فلا تسأل عني ولا تطلبني، واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك وتراني، واذكرني، وادع لي، فإني سأدعو لك وأذكرك إن شاء الله، فانطلق أنت ها هنا حتى آخذ أنا ههنا.

فحرصت على أن أمشي معه ساعة فأبى علي ففارقته أبكي ويبكي، فجعلت أنظر إليه حتى دخل بعض السكك، ثم سألت بعد ذلك وطلبته فلم أجد أحداً يخبرني عنه بشيء، وما أتت علي جمعة إلا وأراه في منامي مرة أو مرتين[1].

عن أسير بن جابر: إن أويساً القرني كان إذا حدّث يقع حديثه في قلوبنا موقعاً ما يقع حديث غيره.

عن أسير بن جابر قال: كان محدث بالكوفة يحدثنا، فإذا فرغ من حديثه يقول: تفرقوا. ويبقى رهط فيهم رجل يتكلم بكلام لا أسمع أحداً يتكلم بكلامه، فأحببته، ففقدته، فقلت لأصحابي: هل تعرفون رجلاً كان يجالسنا؟ فقال رجل من القوم: نعم أنا أعرفه، وذاك أويس القرني. قلت: وتعرف منزله؟ قال: نعم.

قال: انطلقت معه حتى جئت حجرته، فخرج إلي فقلت: يا أخي ما حبسك عنا؟ قال: العُرْي.

وكان أصحابه يسخرون به ويؤذونه، قال: قلت: خذ هذا البُرْد فالبسه. قال: لا تفعل فإنهم يؤذونني إذا رأوه! قال: فلم أزل به حتى لبسه، فخرج عليهم فقالوا: من ترون خدع عن برد هذا؟ فجاء فوضعه، فقال: أترى؟ قال: فأتيت المجلس فقلت: ما تريدون من هذا الرجل؟ قد آذيتموه، الرجل يعرى مرة ويكتسي مرة. فأخذتهم بلساني أخذاً شديداً.

قال: فقُضِيَ أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوفد رجل ممن كان يسخر به، فقال عمر: قدم علينا أويس، فقلت: أنت أخي لا تفارقني، فانمَلَسَ مني، فأنبئت أنه قدم عليكم الكوفة.

فأقبل ذلك الرجل حتى دخل عليه فقال: سمعت عمر يقول فيك كذا وكذا فاستغفر لي يا أويس.

قال: لا أفعل حتى تجعل لي عليك ألا تسخر بي فيما بعد، وألا تذكر الذي سمعته عن عمر لأحد.

---

(١) علائم الوضع والاختلاق مُتَبدِّيةٌ في ثنايا بيانها الركيك المفتَعَل.

قال أسير: فما لبثنا أن فشا أمره بالكوفة، فانملس منهم فذهب.

عمرو بن مرة قال: لما لقي عمر أويساً وظهر عليه هرب فما رئي حتى مات.

عن الشعبي قال: مر رجل من مراد على أويس القرني فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله عز وجل. قال: كيف الزمان عليك؟ قال: كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسي، وإن أمسى ظن أنه لا يصبح؟ فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار!.

يا أخا مراد إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن فرحاً، وإن علمه بحقوق الله لم يترك له فضة ولا ذهباً، وإن قيامه لله بالحق لم يترك له صديقاً.

عمار بن سيف الضبي قال: لحق رجل بأويس القرني فسمعه يقول: اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة، فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني، وليس في بيتي من شيء من الرياش إلا ما على ظهري. قال: وعلى ظهره خرقة قد تردَّى بها.

وقال: فأتاه رجل فقال له: كيف أصبحت؟ أو كيف أمسيت؟ فقال: أصبحت أحب الله، وأمسيت أحمد الله، وما تسأل عن حال رجل إذا هو أصبح ظن ألا يمسي، وإذا أمسى ظن أنه لا يصبح؟ إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحاً، وإن حق الله في مال المسلم لم يدع له من ماله فضة ولا ذهباً، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع للمؤمن صديقاً، نأمرهم بالمعروف فيشتمون أعراضنا، ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين، حتى ـ والله ـ لقد رموني بالعظائم، وايم الله لا أدع أن أقوم لله فيهم بحقه! ثم أخذ الطريق.

عن قيس بن بشر بن عمرو، عن أبيه قال: كسوت أويساً القرني ثوبين، من العُرْيِ.

عن مغيرة قال: إن كان أويس القرني ليتصدق بثيابه حتى يجلس عرياناً لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة.

عن أصبغ بن زيد قال: إنما منع أويساً أن يقدم على النبي ﷺ برُّه بأمه.

عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة السجود. فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به.

الحسن بن عمرو، قال: سمعت بشراً يقول: بلغ من عري أويس أنه جلس في قوصرة.

النضر بن إسماعيل قال: كان أويس القرني يلتقط الكسر من المزابل فيغسلها ويتصدق ببعضها ويأكل بعضها، ويقول: اللهم إني أبرأ إليك من كبد جائع.

قال هرم بن حيان لأويس القرني: أوصني؟ قال: توسد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينيك، وإذا قمت فادع الله أن يصلح لك قلبك ونيتك، فلن تعالج شيئاً أشد عليك منهما، بينا قلبك معك ونيتك إذا هو مدبر، وبينا هو مدبر إذا هو مقبل، ولا تنظر في صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

أبو عبد الله الناجي قال: زار هرم بن حيان أويساً، فقال له هرم: يا أويس واصلنا بالزيارة.

فقال أويس: قد وصلتك بما هو أنفع لك من الزيارة واللقاء: الدعاء بظهر الغيب، لأن الزيارة واللقاء قد يعرض فيهما التزين والرياء.

قلت: كان أويس مشغولاً بالعبادة عن الرواية، غير أنه قد أرسل الحديث عن النبي ﷺ.

حميد بن صالح قال: سمعت أويساً القرني يقول: قال رسول الله ﷺ: «احفظوني في أصحابي، فإن من أشراط الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها، وعند ذلك يقع المقت على الأرض وأهلها، فمن أدرك ذلك فليضع سيفه على عاتقه، ثم ليلق ربه عز وجل شهيداً، فإن لم يفعل فلا يلومن إلا نفسه»[1].

ذِكْرُ وفاة أويس القرني

قال المصنف: قد اخُتلف في وقت موته.

عن عبد الله بن سالم قال: غزونا آذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا أويس القرني، فلما رجعنا مرض علينا فحملناه، فلم يستمسك فمات، فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط، فغسلناه وكفّناه وصلينا عليه، فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فعلّمنا قبره! فرحنا فإذا لا قبر ولا أثر.

قال المؤلف: وقد روي أنه عاش بعد ذلك طويلاً.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى رجل من أهل الشام يوم صِفِّين: أفيكم أويس القرني؟ قال: قلنا نعم، وما تريد منه؟ قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أويس القرني خير التابعين بإحسان»[2] وعطف دابته فدخل مع أصحاب علي عليه السلام.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى مناد يوم صفين: أفي القوم أويس القرني؟ فوُجِد في قتلى علي عليه السلام. قال المؤلف: هذا هو الصحيح.

٣٩٩ ـ عبدة بن هلال الثقفي

عن عطاء بن السائب قال: قال عبدة بن هلال الثقفي: لله علي أن لا يشهد عليَّ ليلٌ بنومٍ ولا شمسٌ بأكل. قال: فأقسم عليه عمر بن الخطاب أن يفطر العيدين.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٣٨٩) والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٠) و(٧/ ١٩٣) والكبير (٦/ ١٠٤) (١٧/ ١٢) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٨٧). قال الحافظ الذهبي في السير: هذا حديث منكر جداً، وإسناده مظلم، وأحمد بن معاوية: تالفٌ ا.هـ. سير أعلام النبلاء (٤/ ٣١).

(٢) أخرجه اللالكائي في كرامات الأولياء (١٠٩) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٨٦) وذكره الذهبي في السير (٤/ ٣١).

٣٩٩ ـ عبدة الثقفي ـ رحمه الله ـ: ابن سعد في الطبقات (٦/ ١٦٥) الإكمال لابن ماكولا (٦/ ٣١).

٤٠٠ ـ الحارث بن سويد التيمي

عن إبراهيم قال: كان الرجل يأتي الحارث بن سويد فيشتمه، فإذا فرغ قال الحارث: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، كفى هذا إحصاء.

عن أبي حيان التميمي عن أبيه قال: صحب عبد الله بن مسعود من التيم سبعون رجلاً، وكان الحارث بن سويد من أعلاهم نفساً.

قال المؤلف: أسند الحارث عن علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وتوفي بالكوفة في آخر أيام ابن الزبير.

٤٠١ ـ أبو عبد الرحمن السلمي

واسمه عبد الله بن حبيب: أبو إسحق السبيعي قال: أقرأ أبو عبد الرحمن السلمي القرآن في المسجد أربعين سنة.

عن شمر قال: أخذ بيدي أبو عبد الرحمن السلمي فقال: كيف قوّتُك على الصلاة؟ فذكرت ما شاء الله أن أذكره، فقال أبو عبد الرحمن: كنت مثلك أصلي العشاء، ثم أقوم أصلي، فأنا حين أصلي الفجر أنشط مني أول ما بدأت به.

عن أبي عبد الرحمن: أنه كان يؤتى بالطعام إلى المسجد، ربما استقبلوه به في الطريق فيطعمه المساكين، فيقولون: بارك الله فيكم. فيقول: وبارك الله فيكم. ويقول: قالت عائشة: إذا تصدقتم فردوا حتى يبقى لكم أجر ما تصدقتم[١].

عن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن في مرضه الذي مات فيه، قال: فذهب بعض القوم يرجِّيه. فقال: أنا لا أرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان؟!.

قال المؤلف: أسند أبو عبد الرحمن عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي الدرداء وغيرهم، وكان يقرئ القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج، وقدم المدائن في حياة حذيفة. وتوفي في سنة خمس ومائة، وله تسعون سنة.

---

٤٠٠ ـ الحارث بن سويد ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٣/ ١٥٠)، الحلية (٤/ ١٢٦)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٦٧)، الجرح والتعديل (٢ برقم ٢٤٤٦)، تهذيب التهذيب (٢/ ١٤٣)، تقريب التهذيب برقم (١٠٢٨)، الكاشف (١/ ١٩٤).

٤٠١ ـ أبو عبد الرحمٰن السُّلَمي ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٥)، تاريخ بغداد (٩/ ٤٣٠)، الحلية (٤/ ١٩١)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٨٣)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٦)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢٢٢)، الجرح والتعديل (٢/ ٢/ ٣٧)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٢)، تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٠١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٧).

(١) أي: ادعوا لمن دعا لكم، لتكون دعوةٌ مقابل دعوة، ويبقى العملُ لله تعالى دون مقابل.

٤٠٢ ـ زاذان: أبو عمرو مولى كندة

سالم بن أبي حفصة، عن زاذان: أنه كان يبيع الثياب، فإذا عرض الثوبَ ناول شر الطرفين[١].
عن زبيد قال: رأيت زاذان يصلي كأنه جذع قد حفر له.

ابن نمير قال: قال زاذان: يا رب إني جائع. فسقط عليه من الروزنة رغيف مثل الرحا.

قال المصنف: أسند زاذان عن علي عليه السلام، وابن مسعود، وابن عمر، وجرير، وسلمان، والبراء بن عازب، في آخرين، وتوفي بالكوفة أيام الحجاج بعد الجماجم.

٤٠٣ ـ الربيع بن خُثَيْم الثوري

يكنى أبا يزيد: عن سعيد بن مسروق قال: قال عبد الله للربيع بن خثيم: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك.

عن أبي عبيدة قال: كان عبد الله يقول للربيع: ما رأيتك إلا ذكرت المخبتين. وكان الربيع إذا أتى عبد الله لم يكن عليه إذن حتى يفرغ كل واحد منهما من صاحبه. وكان الربيع إذا جاء إلى باب عبد الله يقول للجارية: من بالباب؟ فتقول الجارية: ذاك الشيخ الأعمى.

عن حماد بن أبي سليمان قال: كان عبد الله بن مسعود إذا نظر إلى الربيع بن خثيم قال: مرحباً وقال: أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك ولأوسع لك إلى جنبه، ثم يقول: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم الربيع بن خثيم.

وكان يقول: أما بعد: فأعدَّ زادك، وخذ في جهازك، وكن وصي نفسك.

وقيل له: ألا تذكر الناس؟ فقال: ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ من ذمها إلى أن أذم الناس! إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس وأمِنوه على ذنوبهم.

وقيل له حين أصابه الفالج: لو تداويت؟ فقال: لقد عرفت أن الدواء حق، ولكني ذكرت عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً كانت فيهم الأوجاع وكان لهم الأطباء، فما بقي المداوي ولا المداوَىٰ.

أبو حيان، عن أبيه قال: ما سمعت الربيع بن خثيم يذكر شيئاً من أمر الدنيا، إلا أني سمعته يقول: كم للتيْم مسجد.

---

٤٠٢ ـ زاذان مولى كِندة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن كثير (٩/ ٤٧)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢٤٨)، تاريخ بغداد (٨/ ٤٨٧)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٥١)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٨)، العبر (١/ ٩٤)، الحلية (٤/ ١٩٩)، الجرح والتعديل (٢/ ١/ ٦١٤).

(١) ليرى المشتري العيبَ الذي فيه.

٤٠٣ ـ الربيع بن خُثَيم ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن كثير (٨/ ٢١٧)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٥)، تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٨)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٨)، الحلية (٢/ ١٠٥)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٠٦٨)، طبقات ابن سعد (٦/ ١/ ١٨٢)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٢).

عن إبراهيم التيمي قال: أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً ما سمع منه كلمة تُعاب.

عن بكر بن ماعز قال: ما رئي الربيع متطوعاً في مسجد قومه قط إلا مرة واحدة.

سفيان قال: أخبرتني سرية الربيع بن خثيم قالت: كان عمل الربيع كله سراً، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه.

عن منذر، عن الربيع بن خثيم قال: كل ما لا يُبتَغى به وجهُ الله عز وجل يضمحلّ.

أبو حيان التيمي عن أبيه، قال: ما سمعت الربيع بن خثيم يذكر شيئاً من أمر الدنيا قط.

أحمد بن عبد الله بن مسروق، عن الربيع بن خثيم أنه سُرق له فرس أُعطي به عشرين ألفاً، فقالوا له: ادع الله عليه. فقال: اللهم إن كان غنياً فاغفر له، وإن كان فقيراً فأغنه.

عن سعيد بن مسروق قال: أصاب الربيع بن خثيم حجرٌ في رأسه فشجّه، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر له فإنه لم يتعمَّدني.

عن عيسى بن فروخ قال: كان الربيع بن خثيم إذا كان الليل ووجد غفلة الناس خرج إلى المقابر فيقول: يا أهل المقابر كنا وكنتم!!. فإذا أصبح فكأنه نُشر من قبر.

عن منذر الثوري قال: كان الربيع بن خثيم يقول: السرائر التي تختفي على الناس وهي لله بَوَادٍ التمسوا دواؤهن؛ التمسوا دواءهن. ثم يقول: وما دواؤهن؟ دواؤهن أن تتوب فلا تعود.

روى عبد الملك بن الأصبهاني، عمن حدثه عن الربيع بن خثيم أنه قال لأصحابه: تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا. قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود.

عن نسير قال: بتُّ بالربيع ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] الآية فمكث ليلته حتى أصبح، ما يجوز هذه الآية إلى غيرها، ببكاء شديد.

حماد الأصم، عمن حدثه عن بعض أصحاب الربيع قال: ربما علَّمْنا شَعرَه عند المساء، وكان ذا وفرة ثم يصبح والعلامة كما هي، فنعلم أن الربيع لم يضع جنبه ليلته على فراشه.

أبو حيان قال: حدثني أبي قال: كان ربيع بعد ما سقط شقُّه يهادي بين رجلين إلى مسجد قومه، وكان أصحاب عبد الله يقولون له: يا أبا يزيد لقد رخص الله لك لو صليت في بيتك! فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي: حي على الفلاح فمن سمع منكم فليجبه ولو زحفاً، ولو حبواً.

عن محمد، عن رجل من أسلم ـ من المبكرين إلى المسجد ـ قال: كان الربيع بن خثيم إذا سجد كأنه ثوب مطروح فتجيء العصافير فتقع عليه.

عن بلال بن المنذر قال: قال رجل للربيع: قتل ابن فاطمة [فاسترجعْ][1]، ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

(١) في المطبوع «فاسترح» والتصحيح من الحلية (٢/ ١١١).

[الزمر: ٤٦]. قال: ما تقول؟ قال: ما أقول! إلى الله إيابهم وعليه حسابهم.

عن سفيان قال: بلغنا أن أم الربيع كانت تنادي فتقول: يا بني، يا ربيع، ألا تنام؟ فيقول: يا أماه من جنّ عليه الليل وهو يخاف البَيات حق له أن لا ينام. قال: فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته فقالت: يا بني لعلك قتلت قتيلاً؟ فقال: نعم يا والدة، قتلت قتيلاً. فقالت: ومن هذا القتيل يا بني نتحَّمل على أهله فيعفوك، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك! فيقول: يا والدتي هي نفسي.

قال مالك بن دينار قالت ابنة الربيع بن خثيم: يا أبتاه ما لي أرى الناس ينامون ولا تنام؟ قال: إن جهنم لا تدعني أنام.

قال مالك: قالت ابنة الربيع بن خثيم: يا أبتاه إني أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ قال: يا بنية إن أباك يخاف البيات.

قال الربيع بن منذر: سمعت أبي يقول: كان عند الربيع بن خثيم رهط فجاءته ابنته فقال: يا أبتاه أذهب ألعب؟ فقال: اذهبي فقولي خيراً ـ غير مرة ـ قال: فقال القوم: أصلحك الله وما عليك أن تقول لها [اذهبي فالعبي]؟ قال: وما علي أن لا يكتب هذا في صحيفتي.

عن أبي حيان عن أم الأسود قالت: كانت ابنة الربيع بن خثيم تأتيه فتقول: يا أبتاه ائذن لي ألعب. فيقول: يا بنية قولي خيراً. قال: فتلقّنها أمها: قولي: أتحدث. فيقول: إني لم أسمع الله رضي لأحد اللعبَ.

عن سفيان، عن رجل من بني تيم الله، عن أبيه قال: جالست الربيع بن خثيم سنين فما سألني عن شيء مما فيه الناس، إلا أنه قال لي مرة: أمك حية؟ كم لكم مسجد؟.

عن سعيد الحارثي قال: ضرب الربيعَ بن خثيم الفالجُ فطال وجعه، فاشتهى لحم دجاج، فكفّ نفسه أربعين يوماً، ثم قال لامرأته: اشتهيت لحم دجاج منذ أربعين يوماً فكففت نفسي رجاء أن تكف فأبت. فقالت له امرأته: سبحان الله! وأي شيء هذا حتى تكفَّ نفسك عنه؟ قد أحله [الله] لك.

فأرسلت امرأته إلى السوق فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقين فذبحتها وشوتها، واختبزت له خبزاً له أصباغ، ثم جاءت بالخوان حتى وضعته بين يديه، فلما ذهب ليأكل قام سائل على الباب فقال: تصدقوا علي بارك الله فيكم! فكفَّ عن الأكل وقال لامرأته: خذي هذا فلفّيه وادفعيه إلى السائل. فقالت امرأته: سبحان الله. فقال: افعلي ما آمرك! قالت: فأنا أصنع ما هو خير له وأحب إليه من هذا. قال: وما هو؟ قالت: نعطيه ثمن هذا وتأكل أنت شهوتك. قال: قد أحسنت، ائتيني بثمنه. قال: فجاءت بثمن الدجاجة والخبز والأصباغ، فقال: ضعيه على هذا وادفعيه جميعاً إلى السائل.

عن منذر: أن الربيع قال لأهله: اصنعوا لي خبيصاً. قال: وكان يكاد لا يشتهي عليهم شيئاً.

قال: فصنعوه. قال: فأرسل إلى جار له مصاب، قال: فجعل يأكل ولعابه يسيل. قال: فقال أهله: ما يدري هذا ما يأكل! فقال الربيع: لكن الله عز وجل يدري.

عن خوات بن عبيد الله قال: كان السائل إذا أتى الربيع بن خثيم قال: أطعموه مسكَّراً؛ فإني أحب السكر.

عن سعيد بن مسروق، عن ربيع بن خثيم: أنه كان يلبس قميصاً سنبلانياً أراه ثمن ثلاثة دراهم أو أربعة دراهم، قال: فإذا مد كمه يبلغ ظفره، وإذا أرسله بلغ ساعده، وإذا رأى بياض القميص قال: أي عُبَيْد تواضع لربك. ثم يقول: أي لَحْمِيَهْ! وأيْ دَمِيَهْ كيف تصنعان إذا سُيِّرت الجبال ودُكّت الأرض دكّاً وجاء ربك والملك صفاً صفاً؟!.

عن بكر بن ماعز قال: كان بالربيع بن خثيم خبل من الفالج، فكان يسيل من فيه لُعاب. قال: فمسحته يوماً، فرآني كرهت ذلك فقال: والله ما أحب أنه بأعتىٰ الديلمِ على الله عز وجل.

عن حسين - يعني ابن صالح - قال: قيل للربيع بن خثيم: لو جالستنا؟ فقال: لو فارق قلبي ذكرُ الموت ساعة فَسَدَ عليَّ.

قال بشر بن الحارث: قال الربيع بن خثيم: أنا بعصافير المسجد آنس مني بأهلي.

عن منذر قال: كان الربيع يكنس الحش بنفسه، فقيل له: إنك تُكفَىٰ هذا. فقال: إني أحب أن آخذ نصيبي من المهنة.

عن أبي وائل قال: خرجنا مع عبد الله بن مسعود، ومعنا الربيع بن خثيم، فمررنا على حداد، فقام عبد الله ينظر حديدة في النار، فنظر الربيع إليها فتمايل ليسقط، فمضى عبد الله حتى أتينا على أتون على شاطئ الفرات، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ إلى قوله ﴿ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٢ - ١٣] فصعق الربيع فاحتملناه فجئنا به إلى أهله. قال: ثم رابطه عبد الله إلى الظهر فلم يفق، ثم رابطه إلى العصر فلم يفق، ثم رابطه إلى المغرب فلم يفق، ثم إنه أفاق، فرجع عبد الله إلى أهله.

قال الأعمش: مر الربيع بن خثيم في الحدادين فنظر إلى كير فصعق، قال الأعمش: فمررت بالحدادين لأتشبه به فلم يكن عندي خير.

عن أبي يعلى قال: كان الربيع إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا يزيد؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين؛ نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا.

قال حفص بن عمر: كان الربيع بن خثيم لا يعطي السائل أقل من رغيف، ويقول: إني لأستحي أن يرى في ميزاني أقل من رغيف.

قال سلام بن أبي مطيع: كان الربيع بن خثيم إذا أصبح قال: مرحباً بملائكة الله، اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

صالح بن موسى، عن أبيه قال: قال الربيع بن خثيم لرجل: لا تلفَّظ إلا بخير، فإن العبد مسئول عن لفظه؛ يُحصى ذلك عليه كله: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

قال الفضيل بن عياض: كان الربيع بن خثيم يقول في دعائه: أشكو إليك حاجة لا يحسن بثُّها إلا إليك.

قال أبو سليمان: بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصكَّ وجهه، فقال: لقد وُعِظت يا ربيع. فقام ودخل وأغلق الباب وما رئي في ذلك المجلس حتى مات.

قال حفص بن عمر: قال الربيع بن خثيم: إذا تكلمت فاذكر سمعَ الله إليك، وإذا هممت فاذكر علمه بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك، فإنه يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

عن نسير بن ذعلوق، عن الربيع بن خثيم: أنه كان يبكي حتى تبل لحيته من دموعه، ثم يقول: أدركنا أقواماً كنا في جنوبهم لصوصاً.

أسند الربيع بن خثيم عن ابن مسعود وغيره، وتوفي بالكوفة في ولاية عبيد الله بن زياد عليها.

٤٠٤ ـ عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي

عن عبد الله بن ربيعة قال: كنت جالساً مع عتبة بن فرقد ومعضد العجلي وعمرو بن عتبة، فقال عتبة بن فرقد: يا عبد الله بن ربيعة ألا تعينني على ابن أخيك؛ يعينني على ما أنا فيه من عملي؟ قال: فقال عبد الله: يا عمرو أطع أباك. قال: فنظر عمرو إلى معضد العجلي، فقال له معضد: لا تطعهم واسجد واقترب. قال عمرو: يا أباه إنما أنا رجل أعمل في فكاك رقبتي! فبكى عتبة ثم قال: يا بني إني أحبك حبين: حباً لله، وحب الوالد ولده. فقال عمرو: يا أبت إنك قد كنت أتيتني بمال بلغ سبعين ألفاً، فإن كنت سائلي عنه فهو هذا فخذه، أو فدعني فأمضيه. قال: يا بني فأمضه. فأمضاه حتى ما بقي منه درهم.

عن الأعمش قال: قال عمرو بن عتبة بن فرقد: سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين، وأنا أنتظر الثالثة؛ سألته أن يزهدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل وما أدبر [منها]، وسألته أن يقويني على الصلاة فرزقني منها، وسألته الشهادة فأنا أرجوها.

عن السدي قال: اشترى عمرو بن عتبة فرساً بأربعة آلاف درهم فعنفوه ـ يَسْتَغْلُونَهُ ـ! فقال: ما خطوة يخطوها يقدمها إلى الغزو، إلا وهي أحب إلي من أربعة آلاف.

عن عبد الحميد بن لاحق، عمن ذكره، قال: كان له ـ يعني عمرو بن عتبة ـ كل يوم رغيفان يتسحّر بأحدهما ويفطر بالآخر.

قال بشر بن الحارث: كان عمرو بن عتبة يصلي والحَمَام فوق رأسه، والسباع حوله تحرك أذنابها.

عن شيخ من قريش قال: قال مولى لعمرو بن عتبة: رآني عمرو بن عتبة وأنا مع رجل وهو يقع في آخر، فقال لي: ويلك ـ ولم يقلها لي قبلها ولا بعدها ـ نزّه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه

---

٤٠٤ ـ عمرو بن عتبة ـ رحمه الله ـ: الحلية (٤/ ١٥٥)، تاريخ ابن الجوزي (٤/ ٣٤٩)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٩٦).

لسانك عن القول به، فإن المستمع شريك القائل، وإنما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغها في وعائك، ولو رُدَّت كلمة سفيه في فيه لسعد بها رادُها كما شقي بها قائلها.

قال الحسن بن عمرو الفزاري: حدثني مولى عمرو بن عتبة قال: استيقظنا يوماً حاراً في ساعة حارة، فطلبنا عمرو بن عتبة فوجدناه في جبل وهو ساجد، وغمامة تظله، وكنا نخرج إلى العدو فلا نتحارس، لكثرة صلاته، ورأيته ليلة يصلي فسمعنا زئير الأسد فهربنا وهو قائم يصلي لم ينصرف، فقلنا له: أما خفت الأسد؟ فقال: إني لأستحيي من الله أن أخاف شيئاً سواه.

عن عيسى بن عمرو قال: كان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج على فرسه ليلاً فيقف على القبور فيقول: يا أهل القبور، طُوِيت الصحف، ورفعت الأعمال. ثم يبكي، ثم يصفُّ بين قدميه حتى يصبح فيرجع فيشهد صلاة الصبح.

عن علقمة قال: خرجنا ومعنا مسروق وعمرو بن عتبة ومعضد غازين، فلما بلغنا «ماسبذان» وأميرها عتبة بن فرقد؛ قال لنا ابنه عمرو بن عتبة: إنكم إن نزلتم عليه صنع لكم نزلاً ولعله أن يظلم فيه أحداً، ولكن إن شئتم قلنا في ظل هذه الشجرة، وأكلنا من كسرنا ثم رحنا. ففعلنا وقطع عمرو بن عتبة جبة بيضاء فلبسها وقال: والله إن تحدر الدم على هذه حسنٌ. فُرِميَ، فرأيت الدم يتحدر على المكان الذي وضع يده عليه فمات.

عن عبد الرحمن بن يزيد قال: خرجنا في جيش فيهم علقمة ويزيد بن معاوية النخعي وعمرو بن عتبة ومعضد، قال: فخرج عمرو بن عتبة وعليه جبة جديدة بيضاء، فقال: فتحدر عليها الدم ثم مات منها فدفناه، ولما أصابه الحجر فشجَّه جعل يلمسها بيده ويقول: إنها صغيرة؛ وإن الله ليبارك في الصغير.

عن السدي قال: حدثني ابن عم لعمرو بن عتبة قال: نزلنا في مرج حسن، فقال عمرو بن عتبة: ما أحسن هذا المرج، ما أحسن الآن لو أن منادياً ينادي: يا خيل الله اركبي! فخرج رجل، وكان في أول من لقي، فأصيب ثم جيء به فدفن في هذا المرج. قال: فما كان بأسرع من أن نادى منادٍ: يا خيل الله اركبي! فخرج عمرو في سرعان الناس في أول من خرج، فأتى عتبة فأخبر بذلك. فقال: عليّ عمراً، عليّ عَمْراً. فأرسل في طلبه فما أدرك حتى أصيب، قال: فما أراه دفن إلا في مركز رمحه وعتبة يومئذ على الناس.

قال هشام صاحب الدستوائي: لما مات عمرو بن عتبة دخل بعض أصحابه على أخته فقال: أخبرينا عنه؟ فقالت: قام ليلة فاستفتح: ﴿حم﴾ فأتى على هذه الآية ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ﴾ [غافر: ١٨] فما جاوزها حتى أصبح.

لا يعرف لعمرو بن عتبة مسند، شغلته العبادة عن الرواية، وهذه الغزاة التي استشهد فيها هي غزاة «أذربيجان»، وذلك في خلافة عثمان بن عفان.

٤٠٥ ـ عنبس بن عقبة الحضرمي

روى عن ابن مسعود: أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، عن يزيد بن حيان قال: إن كان عنبس ليسجد حتى إن العصافير ليقعن على ظهره وينزلن، ما يحسبْنَه إلا جذم حائط.

٤٠٦ ـ كردوس بن عباس الثعلبي

من غطفان، وقيل: كردوس بن هانئ، وقيل: ابن عمرو، ويعرف بالقاص، كان يقص على التابعين.

قال عبد الله بن إدريس: سمعت عمي يذكر قال: كان كردوس يقول ـ ويقصّ علينا زمن الحجاج ـ: إن الجنة لا تُنال إلا بعمل، اخلطوا الرغبة بالرهبة، ودوموا على صالح الأعمال، والقوا الله بقلوب سليمة وأعمال صادقة. وكان يكثر من أن يقول: من خاف أدلج! من خاف أدلج!.

عن أبي وائل كردوس بن عمرو قال: فيما أنزل الله عز وجل: إن الله ليبتلي العبد وهو يحبه ليسمع صوته.

قال المؤلف: أسند كردوس عن ابن مسعود، وحذيفة.

٤٠٧ ـ الفضل بن بزوان

عن النعمان بن المنذر قال: قال رجل للفضل بن بزوان: إن فلاناً يقع فيك! قال: لأغيظن مَنْ أمَرَه، غفر الله له. قيل له: من أمره؟ قال: الشيطان.

٤٠٨ ـ الحارث بن قيس الجعفي

عن خيثمة، عن الحارث بن قيس الجعفي، قال: إذا كنت في أمر الآخرة فتمكَّث، وإذا كنت في أمر الدنيا فتوخَّ، وإذا هممت بخير فلا تؤخره، وإذا أتاك الشيطان وأنت تصلي فقال: إنك ترائي. فزدها طولاً.

عن الأعمش قال: قال لي خيثمة: لقد رأيت الحارث بن قيس اجتمع عنده رجلان قام وتركهما.

٤٠٩ ـ أبو صالح: ماهان الحنفي

واسمه عبد الرحمن بن قيس أخو طليق، كذا ذكره ابن سعد، وقال البخاري: يكنى أبا سالم.

---

٤٠٥ ـ عنبس الحضرمي ـ رحمه الله ـ: ثقات ابن حبان (٥/ ٢٨٤).

٤٠٦ ـ كردوس بن عباس الثعلبي ـ رحمه الله ـ: الحلية (٤/ ١٨٠).

٤٠٧ ـ الفضل بن بزوان ـ رحمه الله ـ: ذكره ابن سعد في الكبرى (٦/ ٢١٧) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤/ ٢٩٤).

٤٠٨ ـ الحارث بن قيس الجعفي ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٥)، تهذيب التهذيب (٢/ ١٥٤)، الجرح والتعديل (٢/ ١/ ٨٦)، الحلية (٤/ ١٣٢)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٦٧).

٤٠٩ ـ أبو صالح: ماهان الحنفي ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٤/ ٧٨)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢٧)، الجرح والتعديل (٥/ ٢٧٦)، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٥٦)، الكاشف (١/ ٦٤١)، تقريب التهذيب (١/ ٣٤٩).

قال إبراهيم ـ مؤذن بني حنيفة ـ: أمر الحجاج بماهان أن يصلب على بابه، فرأيته حين رفع على خشبته يسبح ويهلل ويكبر، ويعقد بيده حتى بلغ تسعاً وعشرين. قال: فطعنه الرجل على تلك الحال. قال: فلقد رأيته بعد شهر معقوداً بيده تسعة وعشرين. قال: كنا نرى عنده الضوء بالليل شبه السراج.

عن أبي إسحاق ـ يعني الشيباني ـ قال: دنوت من ماهان لما أراد أن يُصلَب فقال: تنحَّ يا ابن أخي؛ لا تُسأل عن هذا المقام(١).

قال سفيان بن دينار التمّار: سألت ماهان الحنفي: ما كانت أعمال القوم؟ قال: كانت أعمالهم قليلة، وكانت قلوبهم سليمة.

أسند ماهان عن علي، وابن مسعود، وحذيفة، في آخرين.

ومن الطبقة الثانية

٤١٠ ـ عامر بن شُرَاحِيل الشَّعْبي

يكنى أبا عمرو: عن ابن سيرين قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثير.

عن أبي مجلز قال: ما رأيت أحداً أفقه من الشعبي.

عن ابن شُبْرُمة قال: سمعت الشعبي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته، ولا أحببت أن يعيده علي.

عن وادع بن الأسود، عن الشعبي قال: ما أروي شيئاً أقل من الشعر، ولو شئت لأنشدتكم شعراً لا أعيده.

قال مكحول: ما لقيت أحداً أعلم بسنَّةٍ ماضية من الشعبي.

قال ابن شُبْرُمة: كنت أمشي مع الشعبي إلى أهله، فقال لي: احملني أو أحملك ـ يعني حدثني أو أحدثك ـ.

عن داود بن يزيد الأودي قال: قال لي الشعبي: يا أبا يزيد قم معي حتى أفيدك! فمشيت معه وقلت: أي شيء تفيدني؟ قال: إذا سُئِلتَ عما لا تعلم فقل: الله أعلم به، فإنه علم حسن.

عن عيسى الخياط، عن الشعبي قال: لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره رأيت أن سفره لم يَضِع.

قال مجالد: سمعت الشعبي يقول: العلم أكثر من عدد القطر، فخذ من كل شيء أحسنه.

---

(١) أي: لماذا لم تنصره وقد قُتِل ظلماً.

٤١٠ ـ عامر بن شُرَاحيل: الشَّعْبي ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٦)، الجرح والتعديل (٣/ ١/ ٣٢٢)، الحلية (٤/ ٣١٠)، تاريخ ابن بغداد (١٢/ ٢٢٧)، تاريخ الإسلام (٤/ ١٣٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٤)، العبر (١/ ١٢٧)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٢٣٠)، تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥)، شذرات الذهب (١/ ١٢٦)، تهذيب ابن عساكر (٧/ ١٤١).

قال المؤلف: أدرك الشعبي خلقاً كثيراً من الصحابة.

عن منصور بن عبد الرحمن، عن الشعبي قال: أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال الشيخ رحمه الله: وإنما أشار بهذا إلى معاصرتهم، لا إلى الأخذ عنهم.

وقال إبراهيم الحربي: لقي الشعبي أربعة وثلاثين رجلاً من الصحابة.

قال الشيخ رحمه الله: ومن أعلام القوم الذين أدركهم: علي بن أبي طالب عليه السلام، وسعد ابن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، وأسامة ابن زيد، وجابر بن عبد الله، وجابر بن سمرة، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، والمغيرة بن شعبة، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، والنعمان بن بشير.

وأدرك عائشة، وأم سلمة، وميمونة: أمهات المؤمنين. وتوفي بالكوفة فجأة سنة أربع ومائة، وقيل: خمس ومائة، وهو ابن سبع وسبعين سنة، وقيل: اثنتين وثمانين.

٤١١ ـ سعيد بن جبير

مولى لبني والبة، يكنى أبا عبد الله بن الحارثية، من بني أسد بن خزيمة.

عن عبد الله بن مسلم قال: كان سعيد بن جبير إذا قام إلى الصلاة كأنه وتد.

عن القاسم بن أبي أيوب الأعرج قال: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش.

قال القاسم بن أبي أيوب: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين مرة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال يزيد بن هارون: وأنبأنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير: أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين.

عن هلال بن خباب قال: خرجت مع سعيد بن جبير في أيام مضين من رجب فأحرم من الكوفة بعمرة، ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة، وكان يخرج في كل سنة مرتين؛ مرة للحج ومرة للعمرة.

عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير، قال: لدغتني عقرب، فأقسمتْ عليَّ أمي أن أسترقي، فأعطيت الراقي يدي التي لم تُلدَغ، وكرهت أن أحنثها.

قال أصبغ بن زيد الواسطي: كان لسعيد بن جبير ديك كان يقوم الليل بصياحه، قال: فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح، فلم يصلِّ سعيد تلك الليلة، فشق عليه فقال: ما له قطع الله صوته؟ قال: فما سمع له صوت بعدها. فقالت أمه: يا بني لا تدعُ على شيء بعدها.

---

٤١١ ـ سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن كثير (٩/ ٩٦)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢)، تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٦)، والحلية (٤/ ٢٧٢)، تهذيب التهذيب (٤/ ١١)، العبر (١/ ١١٢)، شذرات الذهب (١/ ١٠٨)، الجرح والتعديل (١/ ٢/ ٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧١).

عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية، والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيحَ وتلاوةَ القرآن.

عن خصيف قال: رأيت سعيد بن جبير صلى ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح، قال: فأتيته فصليت إلى جنبه وسألته عن آية من كتاب الله؟ فلم يجبني، فلما صلى الصبح قال: إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلي الصبح.

عن يحيى بن عبد الرحمن قال: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية: ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] حتى تصبح.

عن معاوية بن إسحاق قال: لقيت سعيد بن جبير عند الميضأة فرأيته ثقيل اللسان؟ قال: قرأت القرآن البارحة مرتين ونصفاً.

عن حماد: أن سعيد بن جبير قرأ القرآن في ركعة في الكعبة، وقرأ في الركعة الثانية بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١].

قال كثير بن تميم الداري: كنت جالساً مع سعيد بن جبير فطلع عليه ابنه عبد الله، وكان به من الفقه فقال: إني لأعلم خير حالاته! قالوا: وما هو؟ قال: أن يموت فأحتسبه.

عن جعفر قال: قيل لسعيد: من أعبد الناس؟ قال: رجل اجترح من الذنوب، فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله.

مقتل سعيد بن جبير

قال المصنف: كان سعيد بن جبير فيمن خرج على الحَجَّاج من القُرَّاء، وشهد «دير الجماجم».

فلما انهزم أصحاب الأشعث هرب فلحق بمكة، فأخذه بعد مدة طويلة خالد بن عبد الله القسري ـ وكان والي الوليد بن عبد الملك على مكة ـ فبعث به إلى الحجاج.

عن أبي حصين قال: أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت: إن هذا الرجل قادم ـ يعني خالد بن عبد الله ـ ولا آمنه عليك، فأطعني واخرج! فقال: والله لقد فررتُ حتى استحييت من الله! قلت: والله إني لأراك ـ كما سمّتك أمك ـ سعيداً.

قال: فقدم مكة فأرسل إليه فأخذه، فأخبرني يزيد بن عبد الله قال: أتينا سعيد بن جبير حين جيء به فإذا هو طيب النفس، وبُنَيَّة له في حجره، فنظرتُ إلى القيد فبكت فشيعناه إلى باب الجسر، فقال له الحرس: أعطنا كفلاء، فإنا نخاف أن تُغرِق نفسك! قال يزيد: فكنت فيمن كفل به.

عن داود بن أبي هند قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم: إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الشهادة فكلا صاحبَي رُزِقها وأنا أنتظرها. فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء.

عن عمر بن سعيد قال: دعا سعيد بن جبير حين دعي ليقْتَل، فجعل ابنه يبكي، فقال: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة!

عن الحسن قال: لما أتي الحجاج بسعيد بن جبير قال: أنت الشقي ابن كسير؟ قال: بل أنا سعيد بن جبير. قال: بل أنت الشقي ابن كسير! قال: كانت أمي أعرف باسمي منك! قال: ما تقول في محمد؟ قال: تعني النبي ﷺ؟ قال: نعم. قال: سيد ولد آدم، المصطفى، خير من بقي، وخير من مضى.

قال: فما تقول في أبي بكر الصديق؟ قال: الصديق خليفة رسول الله ﷺ مضى حميداً، وعاش سعيداً، ومضى على منهاج نبيه ﷺ لم يغير ولم يبدل.

قال: فما تقول في عمر؟ قال: عمر الفاروق، خيرة الله، وخيرة رسوله، مضى حميداً على منهاج صاحبيه لم يغير ولم يبدل.

قال: فما تقول في عثمان؟ قال: المقتول ظلماً، المجهز جيش العسرة، الحافر بئر رومة، المشتري بيته في الجنة، صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه، زوجه النبي ﷺ بوحي من السماء.

قال: فما تقول في علي؟ قال: ابن عم رسول الله ﷺ، وأول من أسلم، وزوج فاطمة، وأبو الحسن والحسين.

قال: فما تقول فيّ؟ قال: أنت أعلم بنفسك. قال: بثَّ بعلمك. قال: إذاً نسوءك؛ ولا نَسُوؤُكَ. قال: بثَّ بعلمك. قال: أعفني. قال: لا عفا الله عني إن أعفيتك. قال: إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله، ترى من نفسك أموراً تريد بها الهيبة وهي التي تقحمك الهلاك، وسترد غداً فتعلم. قال: أما والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً قبلك ولا أقتلها أحداً بعدك. قال: إذاً تفسد دنياي وأفسد عليك آخرتك. قال: يا غلام السيفَ والنطعَ. فلما ولى ضحك. قال: قد بلغني أنك تضحك. قال: قد كان ذلك. قال: فما أضحكك عند القتل؟ قال: من جرأتك على الله عز وجل ومن حلم الله عنك!!

قال: يا غلام اقتله. فاستقبل القبلة فقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ٧٩] فصرف وجهه عن القبلة فقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. قال: اضرب به الأرض. قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]. قال: اذبح عدوَّ الله فما أنزعَهُ لآيات القرآن منذ اليوم.

قال ابن ذكوان: إن الحجاج بن يوسف بعث إلى سعيد بن جبير فأصابه الرسول بمكة فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله، فقال الرسول: والله إني لأعلم أني أذهب بك إلى من يقتلك، فاذهب إلى أي طريق شئت. فقال له سعيد: إنه سيبلغ الحجاج أنك قد أخذتني، فإن خليت عني خفت أن يقتلك، ولكن اذهب بي إليه.

قال: فذهب به، فلما دخل عليه، قال له الحجاج: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير. فقال: بل شقي ابن كسير. فقال: أمي سمتني. قال: شقيت. قال: الغيب يعلمه غيرك. قال له الحجاج: أما

والله لأبدلنك من دنياك ناراً تلظى. قال سعيد: لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلهاً غيرك.

ثم قال له الحجاج: ما تقول في رسول الله ﷺ؟ قال: نبي مصطفى، خير الباقين وخير الماضين. قال: فما تقول في أبي بكر الصديق؟ قال: ثاني اثنين إذ هما في الغار، أعز الله به الدين، وجمع به بعد الفرقة. قال: فما هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ قال: فاروقٌ، وخيرة الله من خلقه، أحب الله أن يعز الدين بأحد الرجلين، فكان أحقهما بالخيرة والفضيلة. قال: فما تقول في عثمان بن عفان؟ قال: مجهز جيش العسرة، والمشتري بيتاً في الجنة، والمقتول ظلماً. قال: فما تقول في علي؟ قال: أولهم إسلاماً، وأكثرهم هجرة، تزوج بنت رسول الله ﷺ التي هي أحب بناته إليه.

قال: فما تقول في معاوية؟ قال: كاتب رسول الله ﷺ. قال: فما تقول في الخلفاء منذ كان رسول الله ﷺ إلى الآن؟ قال: سيُجْزَون بأعمالهم، فمسرور ومثبور، ولست عليهم بوكيل. قال: فما تقول في عبد الملك بن مروان؟ قال: إن يكن محسناً فعند الله ثواب إحسانه، وإن يكن مسيئاً فلن يعجز الله.

قال: فما تقول فيّ؟ قال: أنت بنفسك أعلم. قال: بثّ فيّ علمك. قال: إذاً أسوءك ولا أسرك.

قال: بثّ. قال: نعم، ظهر منك جور في حد الله، وجرأة على معاصيه بقتلك أولياء الله. قال: والله لأقطعنك قطعاً، وأفرقن أعضاءك عضواً عضواً. قال: إذاً تفسد عليّ دنياي وأفسد عليك آخرتك، والقصاص أمامك. قال: الويل لك من الله. قال: [الويلُ] لمن زُحزِح عن الجنة وأدخل النار! قال: اذهبوا به، فاضربوا عنقه. قال سعيد: إني أشهدك أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة.

فلما ذهبوا به ليقْتَل تبسّم، فقال له الحجاج: مم ضحكت؟ قال: من جرأتك على الله عز وجل.

فقال الحجاج: أضجعوه للذبح. فأُضجع، فقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

فقال الحجاج: أقلبوا ظهره إلى القبلة. فقرأ سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. فقال: كبّوه على وجهه. فقرأ سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]: فذُبح من قفاه.

قال: فبلغ ذلك الحسن بن أبي الحسن البصري فقال: اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج. فما بقي إلا ثلاثاً حتى وقع في جوفه الدود فمات.

عن خلف بن خليفة، عن أبيه، قال: شهدت مقتل سعيد بن جبير، فلما بان رأسه قال: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله. ثم قالها الثالثة فلم يتمّها.

عن يحيى بن سعيد، عن كاتب الحجاج ـ يقال له يعلى ـ قال: كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذ غلام حديث السن، فدخلت عليه يوماً بعد ما قتل سعيد بن جبير، وهو في قبة لها أربعة أبواب،

فدخلت ما يلي ظهره فسمعته يقول: ما لي ولسعيد بن جبير؟ فخرجت رويداً، وعلمت أنه إن علم بي قتلني، فلم ينشب الحجاج بعد ذلك إلا يسيراً.

وفي رواية أخرى: عاش بعده خمسة عشر يوماً، وفي رواية: ثلاثة أيام، وكان يقول: ما لي ولسعيد بن جبير؟ كلما أردت النوم أخذ برِجلي.

عن عمرو بن ميمون، عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو يحتاج إلى علمه.

قال المؤلف: أسند سعيد بن جبير عن علي عليه السلام، وابن عمر، وابن عمرو، وأبي موسى، وابن المغفل، وعدي بن حاتم، وأبي هريرة، وغيرهم. وأكثر رواياته عن ابن عباس.

وقتل في سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة خمس وتسعين، وفي مدة عمره ثلاثة أقوال، أحدها: سبع وخمسون سنة، وقد رويناها آنفاً، والثاني: تسع وأربعون سنة. قاله أبو نعيم الفضل بن دكين في جماعة، والثالث: اثنتان وأربعون سنة. قاله علي بن المديني.

٤١٢ ـ إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي

يكنى أبا عمران: عن الأعمش قال: كان إبراهيم يتوقّى الشهرة فكان لا يجلس إلى الأسطوان، وكان صَيْرفيَّ الحديث، فكنتُ إذا سمعت الحديث من بعض أصحابنا عرضته عليه.

عن سفيان، عن أبيه، عن إبراهيم قال: سألته عن شيء؟ فجعل يتعجب ويقول: احتيج إليّ، احتيج إلي!!.

عن منصور قال: ما سألت إبراهيم قط عن مسألة إلا رأيت الكراهية في وجهه، ويقول: أرجو أن تكون، وعسى.

عن ميمون أبي حمزة، عن إبراهيم، أنه قال: تكلمت، ولو وجدت بداً ما تكلمت، فإن زماناً أكون فيه فقيهَ الكوفة لزمانُ سوء.

عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: لقد أدركت أقواماً لو بلغني أن أحدهم توضأ على ظفره لم أعده[1].

عن محمد بن سوقة قال: زعموا أن إبراهيم النخعي كان يقول: كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عُرف فينا أياماً، لأنا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيره إلى الجنة أو النار، قال: وإنكم في جنائزكم تحدثون بأحاديث دنياكم.

---

٤١٢ ـ إبراهيم النخعي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٠)، الحلية (٤/ ٢١٩)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٠)، الجرح والتعديل (١/ ١/ ١٤٤)، تاريخ ابن كثير (٩/ ١٤٠)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٣٥)، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٩)، العبر (١/ ١١٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠)، شذرات الذهب (١/ ١١١).

(١) قال الحافظ أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٢٧) بعد ذكره هذا القول: كذا في الأصلين والمختصر، وشدّد الدال.

عن الأعمش قال: كنت عند إبراهيم وهو يقرأ في المصحف واستأذن عليه رجل فغطى المصحف وقال: لا يرى هذا أنني أقرأ فيه كل ساعة.

عن مغيرة، عن إبراهيم: أنه كان يلبس الثوب المصبوغ بالزعفران أو بالعصفر، وكان من يراه لا يدري: أمن القرّاء هو أم من الفتيان؟.

عن شعيب بن الحبحاب، عن هنيدة ـ امرأة إبراهيم النخعي ـ: أن إبراهيم كان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

عن الأعمش، عن إبراهيم قال: كانوا يجلسون، فأطولهم سكوتاً أفضلهم في أنفسهم.

ابن عون، عن إبراهيم قال: إن كانوا ليكرهون إذا اجتمعوا أن يُخرِج الرجل أحسن حديثه، أو قال: أحسن ما عنده.

عن مغيرة، عن إبراهيم قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته، وإلى هديه، وإلى سَمْته.

عن أبي هاشم الرماني، عن إبراهيم قال: لا يستقيم رأي إلا برواية، ولا رواية إلا برأي.

عن منصور، عن إبراهيم قال: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يدك منه.

سفيان، عن الأعمش قال: جهدنا بإبراهيم أن يستند إلى سارية فأبى علينا.

عن الأعمش قال: كان إبراهيم يتوقى الشهرة، وكان لا يجلس إلى أسطوانة، وكان يجلس مع القوم، فيجيء الرجل فيوسع له، فإذا اضطره المجلس إلى أسطوانة قام.

عن مغيرة قال: كنا نهاب إبراهيم كما نهاب الأمير.

عن زبيد قال: ما سألت إبراهيم عن شيء إلا عرفت منه الكراهية.

عن أبي الحصين قال: سألت إبراهيم عن شيء؟ فقال: ما وجدت أحداً تسأله فيما بيني وبينك غيري؟.

قال أبو بكر: سألت الأعمش: أخبرني عن أكثر من رأيت عند إبراهيم قط؟ قال: أربعة أو خمسة.

عن مغيرة قال: كان رجل على حال حسنة فأحدث حدَثاً أو أذنب ذنباً فرفضه أصحابه ونبذوه. فبلغ إبراهيم فقال: مَهْ تداركوه، وعِظُوه، ولا تدعوه.

عن الأعمش، عن إبراهيم قال: إني لأرى الشيء مما يُعاب فما يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أُبتلى به.

عن إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم قال: كانوا يستحبون المريض أن يُجْهَد عند الموت.

عن منصور، عن إبراهيم أنه قال: كانوا يستحبون شدة النزع.

عن عمران الخياط قال: دخلنا على إبراهيم النخعي نعوده وهو يبكي، فقلنا له: ما يبكيك أبا عمران؟ قال: أنتظر ملك الموت: لا أدري يبشرني بالجنة أم بالنار.

عن شعيب بن الحبحاب قال: كنت ممن صلى على إبراهيم النخعي ليلاً ودفن في زمان الحجاج، ثم أصبحت فغدوت فقال: دفنتم ذلك الرجل الليلة؟ قلت: نعم. قال: دفنتم أفقه الناس! قلت: ومِنَ الحسن؟ فقال: أفقه من الحسن، ومن أهل البصرة، وأهل الكوفة، وأهل الشام، وأهل الحجاز.

وقال المؤلف: أدرك إبراهيم النخعي جماعة من الصحابة، منهم: أبو سعيد الخدري، وعائشة، وعامة ما يروي عن التابعين: كعلقمة ومسروق والأسود.

وتوفي سنة خمس وتسعين. وقيل: ست وتسعين، بالكوفة، وهو ابن تسع وأربعين، وقيل: ابن نيف وخمسين.

قال ابن عون: مات إبراهيم وهو ما بين الخمسين إلى الستين.

٤١٣ - إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي

يكنى أبا أسماء: الأعمش قال: كان إبراهيم التيمي إذا سجد تجيء العصافير فتنقر على ظهره كأنه جذم حائط.

قال الأعمش لإبراهيم التيمي: بلغني أنك تمكث شهراً لا تأكل شيئاً؟ قال: نعم وشهرين، ما أكلت منذ أربعين ليلة إلا حبة عنب ناولنيها أهلي فأكلتها ثم لفظتها، فقلت للأعمش: أصدقته؟ فقال: إبراهيم بن يزيد التيمي - يريد أنه صَدَق[1] -.

عن أبي حيان، عن إبراهيم التيمي قال: ما عرضت عملي على قولي إلا خشيت أن أكون مكذباً.

سفيان قال: قال التيمي: كم بينكم وبين القوم؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا، وأدبرت عنكم فاتبعتموها!.

قال العوام بن حوشب: ما رأيت رجلاً قط خيراً من إبراهيم التيمي رافعاً بصره إلى السماء في صلاة ولا في غيرها، وسمعته يقول: إن الرجل ليظلمني فأرحمه.

عن العوام بن حوشب قال: ما رأيت إبراهيم التيمي رافعاً رأسه في الصلاة ولا في غيرها، ولا سمعته يخوض في شيء من أمر الدنيا قط.

عن بكير أو أبي بكير، عن أبي إبراهيم التيمي قال: ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار، لأن أهل الجنة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] وينبغي لمن لا يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦].

---

٤١٣ - إبراهيم بن يزيد - رحمه الله -: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٣٠٥)، طبقات ابن سعد (٦/ ١/ ٢٨٥)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٠)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٣٧)، العبر (١/ ١٠٦)، الجرح والتعديل (٢/ ١٤٦)، تهذيب التهذيب (١/ ١٧٦).

(١) كذا في المطبوع: ولعلها: «صادق».

[عن] العوام بن حوشب، عن أبيه، عن إبراهيم التيمي قال: أعظم الذنب عند الله عز وجل أن يحدث العبد بما ستر الله عليه.

قال سفيان بن عيينة: قال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قال: قلت: فأنت في الأُمنية فاعملي.

قال المؤلف: أسند إبراهيم التيمي عن أبيه، والحارث بن سويد، في آخرين. وتوفي في حبس الحجاج في سنة اثنتين وتسعين.

قال علي بن محمد: كان سبب حبس إبراهيم التيمي: أن الحجاج طلب إبراهيم النخعي، فجاء الذي طلبه فقال: أريد إبراهيم. فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم. فأخذه وهو يعلم أنه إبراهيم النخعي. فلم يستحلَّ أن يدله عليه، فجاء به الحجاج فأمر بحبسه في الديماس ولم يكن لهم ظل من الشمس ولا كن من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم، فجاءته أمه في الحبس فلم تعرفه حتى كلمها، فمات في السجن، فرأى الحجاج في منامه قائلاً يقول: مات في هذه الليلة رجل من أهل الجنة. فلما أصبح قال: هل مات الليلة أحد بواسط؟ قالوا: نعم، إبراهيم التيمي مات في السجن. فقال: حلمٌ، نزغة من نزغات الشيطان؟ فأمر به فألقي على الكُناسة.

٤١٤ ـ خيثمة بن عبد الرحمن

ابن أبي سبرة، واسمه يزيد بن مالك الجعفي: عن الأعمش قال: ورث خيثمة بن عبد الرحمن مائتي ألف درهم فأنفقها على القراء والفقهاء.

قال الأعمش: كان خيثمة يصنع الخبيص والطعام الطيب ثم يدعو إبراهيم ـ يعني النخعي ـ ويدعونا معه فيقول: كلوا ما أشتهيه، ما أصنعه إلا من أجلكم.

قال الأعمش: ربما دخلنا على خيثمة فيخرج السلة من تحت السرير فيها الخبيص والفالوذج، فيقول: ما أشتهيه، كلوا، أما إني ما جعلته إلا لكم.

وكان موسراً، وكان يصر الدراهم، فإذا [رأى] الرجل من أصحابه مخرق القميص أو الرداء أو به خلة تحيَّنه، فإذا خرج من الباب خرج هو من باب آخر حتى يلقاه فيعطيه فيقول: اشتر قميصاً، اشتر رداء، اشتر حاجة كذا.

عن طلحة: قال خيثمة: كان يعجبهم أن يموت الرجل عند خير يعمله، إما حج، وإما عمرة وإما غزاة، وإما صيام رمضان.

---

٤١٤ ـ خَيْثَمَةُ بن عبد الرحمٰن ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢١٣)، الحلية (٤/ ١١٣)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢٤٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٠)، الجرح والتعديل (٣/ ١٨٠٨)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٨٦)، تهذيب التهذيب (٣/ ١٧٨).

عن الأعمش قال: نفست امرأة المسيب بن رافع وهو غائب، فاشترى لها خيثمة خادماً بستمائة.

عن الحكم عن خيثمة قال: إذا طلبت شيئاً فوجدتَه فاسأل الله الجنة، فلعله يكون يومك الذي يستجاب فيه.

عن الأعمش، عن خيثمة قال: تقول الملائكة: يا رب عبدُك المؤمن تزوي عنه الدنيا وتعرّضه للبلاء؟ قال: فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن ثوابه. فإذا رأوا ثوابه قالوا: يا رب لا يضره ما أصابه في الدنيا! قال: ويقولون: عبدُك الكافر تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا؟ قال: فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن عقابه. قال: فإذا رأوا عقابه قالوا: يا رب لا ينفعه ما أصابه من الدنيا.

قال المؤلف: وقد روي هذا الكلام عن خيثمة، عن عبد الله بن العاص، عن النبي ﷺ؛ إلا أن الصحيح أنه من قول خيثمة.

عن محمد بن خالد الضبي قال: لم نكن ندري كيف يقرأ خيثمة القرآن، حتى مرض فثقل، فجاءته امرأة فجلست بين يديه فبكت. فقال لها: ما يبكيك؟ الموت لا بد منه! فقالت له المرأة: الرجال بعدك عليّ حرام! فقال لها خيثمة: ما كل هذا أردت منك، إنما كنت أخاف رجلاً واحداً وهو أخي محمد بن عبد الرحمن، وهو رجل فاسق يتناول الشراب فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب بعد إذ القرآنُ يتلى فيه كل ثلاث.

عن سفيان، عن رجل، عن خيثمة: أنه أوصى أن يدفن في مقبرة فقراء قومه.

قال المصنف: أدرك خيثمة علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو، وعدي بن حاتم، والنعمان بن بشير، في جماعة من الصحابة. ومات قبل أبي وائل.

٤١٥ ـ عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد

أبو جعفر النخعي: كان يدخل على عائشة.

محمد بن إسحاق قال: قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد حاجاً فاعتلّت إحدى قدميه، فقام يصلي حتى أصبح على قدم واحدة. قال: وصلى الفجر بوضوء العشاء.

قال: وقدم علينا ليث بن أبي سليم فصنع مثلها.

٤١٦ ـ القاسم بن مخيمرة الهمداني

كوفي الأصل، ثم نزل الشام: قال سعيد بن عبد الملك: قال القاسم بن مخيمرة: ما اجتمع على مائدتي لونان من طعام واحد، ولا أغلقت بابي ولي خلفه همّ.

---

٤١٥ ـ عبد الرحمن بن الأسود النخعي ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠)، طبقات ابن سعد (٦/ ٧٠)، الجرح والتعديل (١/ ١/ ٢٩١)، الحلية (٢/ ١٠٢)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٣٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٨)، العبر (١/ ٨٦)، تاريخ ابن كثير (٩/ ١٢)، تهذيب التهذيب (١/ ٨٢).

٤١٦ ـ القاسم بن مُخَيمَرة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٥١)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٣٧)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٩٤)، الجرح والتعديل (٧/ ١٢٠)، شذرات الذهب (١/ ١٤٤)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٠٣)، العبر (١/ ٢٢٧).

قال القاسم: وأتيت عمر بن عبد العزيز فقضى عني سبعين ديناراً وحملني على بغلة، وفرض لي في كل سنة خمسين. فقلت: أغنني عن التجارة. فسألني عن حديث؟ فقلت: هيبتني يا أمير المؤمنين. كأنه كره أن يحدثه به على هذا الوجه.

عن الأوزاعي، عن القاسم: أنه كره صيد الطير أيام فراخه.

روى القاسم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأسند عن خلق من التابعين، وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز.

ومن الطبقة الثالثة

٤١٧ ـ طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب

يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا محمد، وكان قارئ أهل الكوفة؛ يقرؤون عليه القرآن، فلما رأى كثرتهم عليه كره ذلك فمشى إلى الأعمش وقرأ عليه، فمال الناس إلى الأعمش وتركوا طلحة.

قال سفيان: قال الأعمش: ما رأيت مثل طلحة، إن كنت قائماً فقعدت قطع القراءة، وإن كنت محتبياً فحللت حبوتي قطع القراءة مخافة أن يكون أَمَّلَني.

قال ابن أبي غنية: حدثني شيخ عمن حدثته [قال]: أرسل إلي طلحة بن مصرف: إني أريد أن أوتد في حائطك وتداً. فأرسلت إليه: نعم. [قال][(1)]: ودخلت خادمنا منزل طلحة تقتبس ناراً وطلحة يصلي، فقالت لها امرأته: مكانك يا فلانة حتى نشوي لأبي محمد هذا القديد على قصبتك يفطر عليه. فلما قضى صلاته قال: ما صنعت؟ لا أذوقه حتى ترسل إلى سيدتها لحبسك إياها وشوائك على قصبتها.

عن حريش بن سليم قال: كان طلحة بن مصرف يقول في دعائه: اللهم اغفر لي رئائي وسمعتي.

عبد الصمد بن يزيد قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: بلغني عن طلحة أنه ضحك يوماً، فوثب على نفسه فقال: فيم تضحك؟ إنما يضحك من قطع الأهوال وجاز الصراط! ثم قال: آليت أن لا أفتر ضاحكاً حتى أعلم بِمَ تقع الواقعة. فما رئي ضاحكاً حتى صار إلى الله عز وجل.

عن ليث قال: كنت أمشي مع طلحة فقال: لو علمت أنك أسنّ مني بليلة ما تقدمتك.

عن عبد الملك بن هانئ قال: خطب زبيد إلى طلحة ابنته. فقال: إنها قبيحة. قال: قد رضيت. قال: إن بعقبها أثراً. قال: قد رضيت.

عبد الرحمن بن عبد الملك بن الحر عن أبيه قال: ما رأيت طلحة بن مصرف في ملأ إلا رأيت له الفضل عليهم.

---

٤١٧ ـ طلحة بن مُصَرِّف ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٤/ ٢٦٠)، العبر (١/ ١٣٩)، تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٥٤)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٠٨)، الحلية (٥/ ١٤)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٩١)، الجرح والتعديل (٤/ ٤٧٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٥)، شذرات الذهب (١/ ١٤٥).

(١) في المطبوع: «قالت».

قال الصلت بن بسطام: حدثني رجل من تيم الله ـ وكان قد جالس الشعبي وإبراهيم ـ قال: ما رأيت أحداً أملك للسانه من طلحة بن مصرف.

قال حريش بن سليم: سألت زبيداً: من أعجب من أدركت إليك؟ قال: ما أدركت أحداً أعجب إلي من طلحة.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: يعجبني أخلاق طلحة بن مصرف وزيد، وقد جَرَحتهما.

عن محمد بن فضيل، عن أبيه قال: دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده، فقال له أبو كعب: شفاك الله. فقال: أستخير الله!

عن ليث قال: حدثني طلحة في مرضه الذي مات فيه: أن طاووساً كان يكره الأنين. فما سمع طلحة يئن حتى مات رحمه الله.

قال المؤلف: أدرك طلحة جماعة من الصحابة، وسمع من أنس، وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله بن الزبير. وكان قد خرج مع قراء الكوفة إلى الجماجم أيام الحج[1]، وتوفي بعد ذلك سنة اثنتي عشرة ومائة.

٤١٨ ـ زُبَيْد بن الحارث اليامي

يكنى أبا عبد الرحمن، ويقال أبا عبد الله. [عن] الأشعث بن عبد الرحمن بن زبيد عن أبيه قال: كان زبيد قد قسم علينا الليل ثلاثا: ثلثاً عليه، وثلثاً علي، وثلثاً على أخي، فكان زبيد يقوم ثلثه ثم يضربني برجله فإذا رأى مني كسلاً قال: نَمْ يا بني فأنا أقوم عنك، ثم يجيء إلى أخي فيضربه برجله فإذا رأى منه كسلاً قال: نَمْ يا بني فأنا أقوم عنك. قال: فيقوم حتى يصبح.

قال الأشج: وحدثني المحاربي عن سفيان قال: دخلنا على زبيد نعوده فقلنا: شفاك الله، فقال: أستخير الله.

قال سفيان: كان زبيد إذا كانت الليلة مطيرة أخذ شعلة من النار فطاف على عجائز الحي فقال: أُوْكِفُ عليكم بيت؟ أتريدون ناراً؟ فإذا أصبح طاف على عجائز الحي فقال: ألكم في السوق حاجة؟ أتريدون شيئاً؟.

قال وكيع: وحدثني أبي قال: كنت جالساً مع زبيد فأتاه رجل ضرير يريد أن يسأله. فقال له زبيد: إن كنت تريد أن تسأل عن شيء فإن معي غيري.

قال محمد بن الحسين: حدثني سليمان بن أيوب عن بعض أشياخه قال: قام زبيد اليامي ذات

---

(١) كذا هي في المطبوع، ولعلها «الحَجَّاج». وفي طبقات ابن سعد (٦/ ٣٠٨): «خرج مع القراء إلى الجماجم أيام الجماجم...».

٤١٨ ـ زُبَيد بن الحارث اليامي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٢١)، تاريخ الإسلام (٥/ ٦٩)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩٦)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣١٠)، الجرح والتعديل (٣/ ٦٢٣)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٠٩)، شذرات الذهب (١/ ١٦٠).

ليلة ليتهجد، قال: فعمد إلى مطهرة له قد كان يتوضأ منها فغمس يده في المطهرة، فوجد الماء بارداً شديداً كاد يجمد من شدة برده، فذكر الزمهرير ويده في المطهرة، فلم يخرجها منها حتى أصبح، فجاءت الجارية وهي على تلك الحال فقالت: ما شأنك يا سيدي لم تصلِّ الليلة كما كنت تصلي وأنت قاعد ها هنا على هذه الحال؟ قال: ويحك أدخلت يدي في هذه المطهرة فاشتد علي برد الماء فذكرت به الزمهرير، فوالله ما شعرت بشدة برد يدي حتى وقفت علي! فانظري لا تحدِّثي بها أحداً ما دمت حياً. قال: فما علم بذلك أحد حتى مات.

أنبأنا سفيان بن زبيد قال: يسرني أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في الأكل والنوم.

قال سعيد بن جبير: لو خُيِّرت عبداً ألقى الله في مسلاخه اخترت زبيداً الأيامي.

قال المنذر أبو عبد الله من أهل الكوفة: قال لي محمد بن سوقة: لو رأيت طلحة وزبيداً لعلمت أن وجوههما قد أخلقها سهر الليل وطول القيام، وكانا والله ممن لا يتوسد الفراش.

قال المؤلف: أدرك زبيد اليامي جماعة من الصحابة منهم: ابن عمر، وأنس. وتوفي في سنة اثنتين وعشرين ومائة. وقيل: في سنة ثلاث وعشرين، في أولها.

قال حنبل: سمعت أبا نعيم يقول: مات زبيد سنة اثنتين وعشرين ومائة. وكان طلحة أكبر من زبيد بعشر سنين، واستوفى زبيد عشر شنين قبل أن يموت.

٤١٩ ـ عون بن عبد الله بن عتبة

ابن مسعود الهذلي: قال مطرف بن معقل الشقري: سمعت عون بن عبد الله يقول: ذاكرُ الله في غفلة الناس كمثل الفئة المنهزمة يحميها الرجل، لولا ذلك الرجل هزمت الفئة، ولولا من يذكر الله [في](١) غفلة الناس هلك الناس.

قال سفيان: قال عون بن عبد الله: صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غمّاً مني، إن رأيت أحداً أحسن ثياباً مني وأطيب ريحاً مني، فصحبت الفقراء فاسترحتُ.

عن مسعود قال: قال عون بن عبد الله: كفى بك من الكبر أن ترى لك فضلاً على من هو دونك.

عن أبي هارون قال: كان يحدثنا وللحيته رش بالدموع.

عن المسعودي قال: قال عون بن عبد الله: ما أحسب أحداً تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه.

وقال عون: جالسوا التوّابين فإنهم أرقّ الناس قلوباً.

قال مطرِّف بن معقل الشقري: حدثني عون بن عبد الله قال: الدنيا والآخرة في قلب ابن آدم

---

٤١٩ ـ عون بن عبد الله الهذلي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٢٦)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٨٧)، الحلية (٤/ ٢٤٠)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٧١)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٨٤)، شذرات الذهب (١/ ١٤٠)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣١٣).

(١) في المطبوع «من».

ككفتي الميزان ترجح إحداهما بالأخرى، وما تحابَّ رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدَّهما حباً لصاحبه.

المسعودي قال: قال عون بن عبد الله: إن من كان قبلنا كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم.

عن عون قال: إن الله ليُكره عبده على البلاء كما يُكره أهل المريض مريضهم وأهل الصبي صبيهم على الدواء، ويقولون: اشرب هذا، فإن لك في عاقبته خيراً.

عن المسعودي، عن فرعون قال: كان رجل يجالس قوماً فترك مجالستهم فأتي في منامه، فقيل له: تركت مجالستهم؟ لقد غفر لهم بعدك سبعين مرة.

عن عون بن عبد الله: أنه كان يقول في بكائه وذكرِ خطيئته: ويح نفسي، بأي شيء لم أعص ربي؟ ويحي إنما عصيته بنعمته عندي! ويحي من خطيئة ذهبت شهوتها وبقيت تبعتها عندي! ويحي كيف أنسى الموت ولا ينساني؟ ويحي إن حُجِبت يوم القيامة عن ربي؟ ويحي كيف أغفل ولا يغفل عني؟ أم كيف تهنئني معيشتي واليوم الثقيل ورائي؟ أم كيف لا تطول حسرتي ولا أدري ما يُفعل بي؟ أم كيف يشتدّ حبي لدار ليست بداري؟ أم كيف أجمع بها وفي غيرها قراري؟ أم كيف تعظم فيها رغبتي والقليل فيها يكفيني؟ أم كيف أوثرها وقد أضرّت بمن آثرها قبلي؟ أم كيف لا أبادر بعملي قبل أن يغلق باب توبتي؟ أم كيف يشتد إعجابي بما يزايلني وينقطع عني؟ أم كيف لا يكثر بكائي ولا أدري ما يراد بي؟ أم كيف تقر عيني مع ذكر ما سلف مني؟ أم كيف تطيب نفسي مع ذكر ما هو أمامي؟ ويحي هل ضرب غفلتي أحداً سواي؟ أم هل يعمل لي غيري إن ضيعت حظي؟ ويحي كأنه قد تصرم أجلي ثم أعاد ربي خلقي كما بدأني، ثم وقّفني وسألني، ثم أُشهدت الأمر الذي أذهلني وشغلت بنفسي من غيري؟ وسارت الجبال وليس لها مثل خطيئتي، وجمع الشمس والقمر وليس عليهما مثل حسابي، وانكدرت النجوم وليست تطلب بما عندي، وحشرت الوحوش ولم تعمل مثل عملي، وشاب الوليد وهو أقل ذنباً مني! ويحي ما أشد حالي وأعظم خطري! فاغفر لي واجعل طاعتك همتي، ولا تعرض عني يوم تعرض، ولا تفضحني بسرائري، ولا تخذلني بكثرة فضائحي، بأي عين أنظر إليك وقد علمتَ سرائري؟ وكيف أعتذر إليك إذا ختمت على لساني ونطقت جوارحي بكل الذي كان مني؟! إلهي أنا الذي ذكرت ذنوبي لم تقرَّ عيني، أنا تائب إليك فاقبل ذلك مني، ولا تجعلني لنار جهنم وقوداً بعد توحيدي وإيماني برحمتك.

عن المسعودي، عن عون بن عبد الله قال: ما أحد يُنزل الموت حق منزلته إلا عد غداً ليس من أجله، كم من مستقبل يوماً لا يستكمله، وراجٍ غداً لا يبلغه، لو تنظرون إلى الأجَل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

عن ابن عجلان، عن عون بن عبد الله قال: إن تمام التقوى أن تبتغي إلى ما قد علمت منها علم ما لم تعلم، وإن النقص فيما قد علمت ترك ابتغاء الزيادة فيه، وإنما يحمل الرجل على ترك ابتغاء الزيادة قلةُ الانتفاع بما قد علم.

عن زيد العمي، عن عون بن عبد الله قال: كان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات الثلاث، ويلقى بها بعضهم بعضاً: من عمل لآخرته كفاه الله عز وجل دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين [الله][1] أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

عن أبي المحجل الأسدي قال: قال عون بن عبد الله: قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها، فالموعظة إلى قلوبهم سريعة، وهم إلى الرقة أقرب، فداووا القلوب بالتوبة، فلرب تائب دعته توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها، وجالسوا التوابين، فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب.

عن أبي معشر قال: رأيت عون بن عبد الله في مجلس أبي حازم يبكي ويمسح وجهه بدموعه.

فقيل له: لِمَ تمسح وجهك بدموعك؟ قال: بلغني أنه لا تصيب دموع الإنسان مكاناً من جسده إلا حرم الله عز وجل ذلك المكان على النار.

قال المؤلف: أدرك عون بن عبد الله جماعة من الصحابة، وسمع من ابن عمر، وابن عباس وأبي هريرة، وجمهور روايته عن أبيه.

٤٢٠ ـ أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي

ولد في ولاية عثمان، عن مغيرة قال: كنتَ إذا رأيت أبا إسحاق ذكرت به الصدر الأول.

قال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول: ذهبت الصلاة مني وضعفتُ ورقَّ عظمي، إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا «البقرة» و«آل عمران»!!.

قال العلاء بن سام العبدي: ضعف أبو إسحاق عن القيام فكان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يقام، فإذا أقاموه فاستتمّ قائماً قرأ ألف آية وهو قائم.

قال سفيان: كان أبو إسحاق يقوم ليل الصيف كله، وأما الشتاء فأوله وآخره، وبين ذلك هجعة.

عن سفيان قال: قال أبو إسحاق: أما أنا فإذا استيقظت لم أَقِلْها.

قال المؤلف: أدرك أبو إسحاق خلقاً كثيراً من الصحابة، وأسند عن ثلاثة وعشرين منهم، وسمع من علي بن أبي طالب، وسعيد بن زيد، وابن عمر، وأسامة، وابن الزبير، وانفرد بالرواية عن ثلاثة من الصحابة لم يرو عنهم غيره؛ أحدهم عبدة بن حزن، ويقال: عبيدة، ويقال: بشر، ويقال: نصر. والثاني: كدير الضبي، والثالث: مطر بن عكامس. فهؤلاء الثلاثة عدهم جماعة من أهل العلم في الصحابة، وأبى قوم أن يكون لهم صحبة.

وتوفي أبو إسحاق في سنة ثمان وعشرين ومائة، وقيل: تسع وعشرين، وهو ابن ثمان أو تسع وتسعين سنة.

---

(١) في المطبوع «الناس»!!

٤٢٠ ـ أبو إسحاق السبيعي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٦٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٣٦)، شذرات الذهب (١/ ١٧٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٦٣)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣١٣)، العبر (١/ ١٦٥)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٤٢).

٤٢١ ـ عمرو بن مرة الجملي

من مراد قال قراد: سمعت شعبة يقول: ما رأيت بالكوفة شيخاً خيراً من زبيد الأيامي، وما رأيت عمرو بن مرة في صلاته إلا ظننت أنه لا ينصرف حتى يستجاب له.

قال سفيان: قلت لمعمر: من أفضل من رأيت؟ قال: ما يخيل إلي أني رأيت أحداً أفضّله على عمرو بن مرة، ما رأيته قط يدعو إلا قلت: يستجاب له.

عن العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرة قال: من طلب الآخرة أضر بالدنيا، ومن طلب الدنيا أضر بالآخرة، فأضروا بالفاني للباقي.

قال سعيد بن سنان: قال عمرو بن مرة: ما أحب أني بصير، إني أذكر أني نظرت نظرة وأنا شاب!.

عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة قال: نظرت إلى امرأة فأعجبتني فكُفَّ بصري، فأرجو أن يكون ذلك كفارة.

قال سلام بن سليم: كنت أقرأ على عمرو بن مرة، فكنت أسمعه كثيراً يقول: اللهم اجعلني ممن يعقل عنك.

قال مسعر: سمعت عبد الملك بن ميسرة يقول ـ ونحن في جنازة عمرو بن مرة ـ: إني لأحسبه خير أهل الأرض.

قال المصنف: أسند عمرو عن عبد الله بن أبي أوفى، وعن خلق من كبار التابعين، وتوفي سنة ست عشرة ومائة، وقيل: سنة ثمان عشرة.

٤٢٢ ـ حبيب بن أبي ثابت الأسدي

مولى لبني كاهل، واسم أبي ثابت: قيس بن دينار.

أبو بكر بن عياش قال: رأيت حبيب بن أبي ثابت ساجداً، فلو رأيتَه قلتَ: ميت ـ يعني من طول السجود ـ.

عن كامل أبي العلاء قال: أنفق حبيب بن أبي ثابت على القراء مائة ألف.

قال سفيان: قال حبيب بن أبي ثابت: ما استقرضت من أحد شيئاً أحب إلي من نفسي، أقول لها أمهلي حتى تجيء من حيث أحب.

---

٤٢١ ـ عمرو بن مُرَّة الجملي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٧٢)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٥٧)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢٠)، تاريخ الإسلام (٥/ ٢٨٦)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٠٢)، شذرات الذهب (١/ ١٥٢)، العبر (١/ ٢٣٤).

٤٢٢ ـ حبيب بن أبي ثابت ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٩٦)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٤٠)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٨٨)، تذكرة الحفاظ (١/ ١١٦)، ميزان الاعتدال (١/ ٤٥١)، تهذيب التهذيب (٢/ ١٧٨)، الجرح والتعديل (٣/ ١٠٧)، شذرات الذهب (١/ ١٥٦)، العبر (١/ ١٥٠).

قال المؤلف: أسند حبيب عن عمر، وابن عباس، وجابر، وحكيم بن حزام، وأنس بن مالك، وابن أبي أوفى في آخرين، وتوفي سنة تسع عشرة ومائة.

٤٢٣ ـ مجمع بن يسار

[قال] أبو حمزة التيمي: قال أبو الربيع الواسطي: سمعت حفص بن غياث يقول: دخل سفيان الثوري على مجمع التيمي فإذا في إزار سفيان خرق. قال: فأخذ أربعة دراهم فناول سفيان فقال: اشتر به إزاراً.

فقال سفيان: لا أحتاج إليها. قال مجمع: صدقت، أنت لا تحتاج ولكني أحتاج. قال: فأخذها فاشترى بها إزاراً، فكان سفيان يقول: كساني مجمع جزاه الله خيراً.

وقال سفيان: ليس شيء من عمل أرجو أن يشوبه شيء كحبي مجمعاً التيمي.

قال سفيان: خلف لنا أبو حيان التيمي وما مر من عمله شيء أوثق في نفسه من حبه مجمعاً التيمي.

قال أبو بكر بن عياش: رأيت مجمعاً التيمي في سوق الغنم فقالوا له: كيف شاتك هذه؟ قال: ما أرضاها. قال أبو بكر: ومن كان أورع من مجمع؟ قال سفيان: قال مسعر: جاء مجمع بشاة إلى السوق يبيعها فقال: يخيل إلي أن في لبنها ملوحة.

عن الأعمش، عن مجمع: أنه نزل عليه ضيف فما سأله من أين جئت؟ وما جاء بك؟ حتى خرج من عنده.

قال المؤلف: لا نعلم مجمعاً أسند شيئاً إلا أنه قد روى عن ماهان الزاهد، وروى عنه أبو حيان التيمي وسفيان الثوري.

وقال أبو حاتم الرازي: دعا مجمع ربه عز وجل أن يميته قبل الفتنة، فمات من ليلته، وخرج زيد بن علي من الغد.

٤٢٤ ـ الربيع بن أبي راشد

ويكنى أبا عبد الله: قال عمر بن ذر: كنت إذا رأيت الربيع بن أبي راشد كأنه مخمار من غير شراب.

عن خلف بن حوشب قال: كنت مع الربيع بن أبي راشد في الجبانة، فقرأ رجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ [الحج: ٥] فقال الربيع: حال ذكر الموت بيني وبين كثير مما أريد من التجارة، فلو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لخشيت أن يفسد علي قلبي، ولولا أن أخالف من كان قبلي لكانت الجبانة مسكني إلى أن أموت.

---

٤٢٣ ـ مُجَمِّع بن يَسار ـ رحمه الله ـ: البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ١/ ٤٠٩)، وفيه: «مجمع بن صمعان ويقال: ابن سمعان». الجرح والتعديل (٨/ ٢٩٥)، تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٩٥).

٤٢٤ ـ الربيع بن أبي راشد ـ رحمه الله ـ: الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٤٨١) الحلية (٥/ ٧٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٢٧).

عن خلف بن حوشب قال: قال الربيع بن أبي راشد: اقرأ عليّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ فقرأتها عليه فبكى، ثم قال: والله لولا أن تكون بدعة لسحتُ. أو قال: لهمتُ في الجبال.

قال عمر بن ذر: قال الربيع بن أبي راشد، ورأى رجلاً مريضاً يتصدق بصدقة فقسمها بين جيرانه، فقال: الهدايا إمام الزيارة. فلم يلبث الرجل إلا أياماً حتى مات، فبكى عند ذلك الربيع وقال: أحسن والله بالموت، وعلم أنه لا ينفعه من ماله إلا ما قدم بين يديه.

عن مالك بن مغول قال: قال الربيع بن أبي راشد: لولا ما يأمل المؤمنون من كرامة الله عز وجل لهم بعد الموت لانشقت في الدنيا مرائرهم، ولتقطعت أجوافهم.

عن سفيان قال: لم يكن بالكوفة رجل أكثر ذكراً للموت من الربيع بن أبي راشد، إن كان الربيع من الموت لعلى حذر.

قال المؤلف: أسند الربيع عن منذر الثوري، وسمع من سعيد بن جبير، وفي حديثه قلة.

٤٢٥ ـ عبدة بن أبي لبابة

مولى قريش، يكنى أبا القاسم.

عن الأوزاعي عن عبدة قال: إن أقرب الناس من الرياء آمنهم له.

وعن عبيدة قال: إذا ختم الرجل القرآن نهاراً صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وإذا ختم القرآن ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح.

قال عقبة بن علقمة: سمعت الأوزاعي يقول: كان عبدة إذا كان في المسجد لم يذكر شيئاً من أمر الدنيا.

قال المؤلف: أدرك عبدةُ عبدَ الله بن عمر وسمع منه.

٤٢٦ ـ محمد بن جحادة الأودي

مولى لبني أود: عن سفيان قال: كان محمد بن جحادة من العابدين، وكان يقال: إنه لا ينام من الليل إلا أيسره.

قال: فرأت امرأة من جيرانه كأن حللاً فُرّقت على أهل مسجدهم، فلما انتهى الذي يفرقها إلى محمد بن جحادة دعا بسفط مختوم أخرج منه حلة صفراء ـ قالت: فلم يقم لها بصري ـ فكساه إياها وقال له: هذه لك بطول السهر. قالت تلك المرأة: فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فإخالها عليه.

روى محمد بن جحادة عن أبي صالح، وروى عنه الثوري.

---

٤٢٥ ـ عبدة بن أبي لبابة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٨١)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٠٦)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٢٨)، الجرح والتعديل (٦/ ٩٩)، تهذيب التهذيب (٦/ ٤٦١).

٤٢٦ ـ محمد بن جحادة الأودي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٨٣)، تاريخ الإسلام (٦/ ١٢٥)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٣٣)، الجرح والتعديل (٦/ ٩٩)، تهذيب التهذيب (٦/ ٤٦١).

ومن الطبقة الرابعة

٤٢٧ ـ منصور بن المعتمر السلمي

يكنى أبا عثاب: عن زائدة بن قدامة قال: صام منصور بن المعتمر أربعين سنة قام ليلها وصام نهارها، وكان الليل يبكي. فتقول له أمه: يا بني أقتلت قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسي. قال: فإذا أصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج إلى الناس، فأخذه يوسف بن عمر عامل الكوفة يريده على القضاء فامتنع. قال: فجاءه خصمان فقعدا بين يديه فلم يسألهما ولم يكلمهما. وقيل ليوسف بن عمر: إنك لو نثرت لحمه لم يلِ لك قضاء! فخلَّى عنه.

قال المؤلف: هكذا في هذه الرواية «صام أربعين سنة»، وفي رواية أخرى عن زائدة: صام سنة، وفي رواية: صام ستين سنة.

قال أبو عوانة: لما أُجلس منصور بن المعتمر في القضاء كان يأتيه الرجل فيقص عليه، فيقول: قد فهمت ما قلت ولا أدري ما الجواب فيه؟ فكان يفعل ذلك، فذكروا ذلك لابن هبيرة، وكان هو الذي ولاه، فقال: هذا أمر لا يصلح إلا أن يعين عليه صاحبه بشهوة. فتركه.

قال أبو بكر بن عياش: ربما كنت مع منصور في منزله جالساً فتصيح به أمه ـ وكانت فظة غليظة ـ فتقول: يا منصور يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى عليه؟ وهو واضع لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها.

قال حسن بن صالح: كان منصور في الديوان فقال له إنسان: ناولني الطين أختم به. قال: أرني كتابك حتى أنظر أي شيء فيه.

قال العلاء بن سالم العبدي: كان منصور ـ يعني ابن المعتمر ـ يصلي في سطحه، فلما مات قال غلام لأمه: يا أماه الجذع الذي كان في سطح آل فلان ليس أراه! قالت: يا بني ليس ذاك بجذع، ذاك منصور قد مات.

قال أبو بشر: كانت جارة لمنصور بن المعتمر، وكان لها ابنتان لا تصعدان السطح إلا بعد ما ينام الناس، فقالت إحداهما ذات ليلة: يا أمتاه، ما فعلت القائمة التي كنت أراها في سطح فلان؟ فقالت: يا بنية لم تكن تلك قائمة، إنما كان منصور يحيي الليل كله في ركعة لا يسجد فيها ولا يركع.

قال أبو الأحوص: إن منصور بن المعتمر كان إذا جاء الليل اتزر وارتدى إن كان صيفاً، وإن كان شتاء التحف فوق ثيابه، ثم قام إلى محرابه كأنه خشبة منصوبة حتى يصبح.

قال زائدة بن قدامة: كان منصور بن المعتمر إذا رأيته قلتَ: رجل قد أصيب بمصيبة، منكس الطرف، منخفض الصوت، رطب العينين، إن حركته جاءت عيناه بأربع، ولقد قالت له أمه يوماً: ما

---

٤٢٧ ـ منصور بن المعتمر ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٣١٩)، تاريخ الإسلام (٥/ ٣٠٥)، الحلية (٥/ ٤٠)، الجرح والتعديل (٨/ ١٧٧)، شذرات الذهب (١/ ١٨٩)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٣٥).

هذا الذي تصنع بنفسك: تبكي الليل عامته لا تكاد تسكت؟ لعلك يا بني أصبت نفساً؟ لعلك قتلت قتيلاً؟ قال: فيقول: يا أماه أنا أعلم ما صنعت بنفسي.

عن سفيان قال: كانوا يقولون في ذلك الزمان: إن أطول أهل الكوفة تهجداً طلحة وزبيد وعبد الجبار بن وائل.

قال الحميدي: فقلت: فمنصور؟ قال: نعم، إنما كان الليل عنده مطية من المطايا متى شئت أصبتَه قد ارتحله.

[قال] سفيان بن عيينة ـ وذكر منصور بن المعتمر ـ، فقال: قد كان عمش من البكاء.

عن الثوري قال: لو رأيت منصوراً يصلي لقلتَ: يموت الساعة.

قال خلف بن تميم: سمعت أبي تميم بن مالك يقول: كان منصور بن المعتمر إذا صلى الغداة أظهر النشاط لأصحابه فيحدثهم ويكثر إليهم، ولعله إنما بات قائماً على أطرافه، كل ذلك ليخفي عليهم العمل.

عن أبي عمار قال: سمعت عطاء بن جبلة يقول: سألوا أم منصور بن المعتمر عن عمله؟ فقالت: كان ثلث الليل يقرأ، وثلثه يبكي، وثلثه يدعو.

قال جرير: صام منصور وقام فكان يأكل فيُرى الطعام في مجراه.

قال ابن عيينة: رأيت منصور بن المعتمر في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: كدت أُلقى بعمل نبي.

قال سفيان: إن منصوراً أقام ستين سنة يقوم ليلها ويصوم نهارها.

قال المؤلف: أدرك منصور بن المعتمر أنس بن مالك، وروى عنه، ورأى ابن أبي أوفى، وروى عن جماعة من التابعين، كالأعمش، وسليمان التيمي، وأيوب السختياني. وتوفي في سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

٤٢٨ ـ ضرار بن مرة الشيباني

يكنى أبا سنان: قال شهاب الدين بن عباد: قال أصحابنا: كان البكّاؤون بالكوفة أربعة: ضرار ابن مرة، وعبد الملك بن أبجر، ومحمد بن سوقة، ومطرف بن طريف. وكان ضرار قد حفر قبره قبل موته بخمس عشرة سنة، فكان يأتيه فيختم فيه القرآن.

قال محمد بن فضيل: كان ضرار حفر في بيته قبراً كان يتعبّد فيه.

قال المحاربي: كان ضرار بن مرة ومحمد بن سوقة إذا كان يوم الجمعة طلب كل واحد منهما صاحبه، فإذا اجتمعا جلسا يبكيان.

---

٤٢٨ ـ ضرار بن مرة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٣٢٣)، تاريخ الإسلام (٦/ ٨٤)، الحلية (٥/ ٩١)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٣٦)، الجرح والتعديل (٤/ ٢٠٤٤)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٧).

قال عبد الله بن الأجلح: كان ضرار بن مرة يقول لنا: لا تجيئوني جماعة، ولكن ليجيء الرجل وحده، فإنكم إذا اجتمعتم تحدثتم، وإذا كان الرجل وحده لم يخلُ من أن يدرس جزأه أو يذكر ربه.

قال أبو سنان: قال إبليس: إذا استمكنتُ من ابن آدم ثلاثاً أصبت منه حاجتي: إذا نسي ذنوبه، واستكثر عمله، وأُعجب برأيه.

قال المصنف: أسند ضرار عن سعيد بن جبير وغيره.

٤٢٩ ـ محمد بن سُوقة

مولى بجيلة، يكنى أبا بكر، وكان سوقةُ بزازاً.

قال سفيان: ما بقي أحدٌ يُدفع به عن أهل الكوفة إلا ابن سوقة، كانت عنده عشرون ومائة ألف فقدمها.

قال العباس: وسمعت شهاب بن عباد قال: دخل رجل بيت محمد بن سوقة فرأى على الباب ستر مُسحٍ، فجعل ينظر إليه، ففطن ابن سوقة فقال: لعلك ترى أني ندمت، لا؛ ما ندمت.

قال سفيان بن عيينة: نزل محمد بن المنكدر على محمد بن سوقة بالكوفة فحمله على حمار، فسألوه؟ فقالوا: يا عبد الله أي العمل أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن. قالوا: فما بقي مما يستلذ؟ قال: الإفضال على الإخوان.

عن مهدي بن سابق قال: طلب ابن أخي محمد بن سوقة منه شيئاً فبكى! فقال له: والله يا عم لو علمت أن مسألتي تبلغ منك هذا ما سألتك! قال: ما بكيت لسؤالك، إنما بكيت لأني لم أبتدئك قبل سؤالك.

عن فضيل بن عياض، عن محمد بن سوقة قال: أمران لو لم نُعذَّب إلا بهما لكنا مستحقين بهما لعذاب الله: أحدُنا يُزاد الشيءَ من الدنيا فيفرح فرحاً ما علم الله أنه فَرِحه بشيء زاده قط في دينه، ويُنقَص الشيءَ من الدنيا فيحزن عليه حزناً ما علم أنه حزنه على شيء نقصه قط في دينه.

قال المؤلف: أدرك محمد بن سوقة أنس بن مالك، وأبا الطفيل، وعامة روايته عن كبار التابعين.

٤٣٠ ـ سليمان بن مهران الأعمش الأسدي

يكنى أبا محمد؛ مولى لبني كاهل، عن عيسى بن يونس قال: ما رأينا في زماننا مثل الأعمش،

---

٤٢٩ ـ محمد بن سوقة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٨٢)، تاريخ الإسلام (٦/ ١٢٠)، تهذيب التهذيب (٩/ ٢٠٩)، الجرح والتعديل (٧/ ٢٨١)، الحلية (٥/ ٣)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٣٧).

٤٣٠ ـ سليمان بن مهران: الأعمش ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١١٢)، تاريخ بغداد (٩/ ٣)، تاريخ الإسلام (٦/ ٧٥)، تاريخ ابن الأثير (٥/ ٥٨٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٥٤)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٢٢)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٤٢).

ما رأيت الأغنياء والسلاطين في مجلس أحد أحقر منهم في مجلس الأعمش وهو محتاج إلى درهم!.

قال وكيع: كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم يفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريباً من سبعين فما رأيته يقضي ركعة.

قال إبراهيم بن عرعرة: سمعت يحيى القطان إذا ذكر الأعمش قال: كان من النسّاك، وكان محافظاً على الصلاة في الجماعة، وعلى الصف الأول. قال يحيى: وهو علامة الإسلام.

قال الوليد بن صالح الطائي: قال الأعمش: إني لأحب أن أعافى في إخواني، لأنهم إن بُلوا بليت معهم إما بالمواساة وفيها مؤونة، وإما بالخذلان وفيه عار.

قال سفيان: لو رأيت الأعمش لقلت: مسكين.

قال أبو بكر بن عياش: دخلت على الأعمش في مرضه الذي توفي فيه فقلت: أدعو لك طبيباً؟ فقال: ما أصنع به؟ فوالله لو كانت نفسي في يدي لطرحتها في الحُشّ، إذا أنا مت فلا تؤذنن بي أحداً، واذهب بي فاطرحني في لحدي.

قال المؤلف: أدرك الأعمش جماعة من الصحابة وعاصرهم، ورأى أنس بن مالك، وسمعه يقرأ، ولم يحمل عنه شيئاً مرفوعاً، وأرسل عن ابن أبي أوفى.

الفضل بن دكين ووكيع قالا: ولد الأعمش يوم قتل الحسين، وذلك يوم عاشوراء سنة ستين، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

وقد قال يحيى بن عيسى الرملي: ولد سنة ثمان وخمسين. وقال الهيثم بن عدي: مات سنة سبع وأربعين ومائة.

٤٣١ ـ أبو حيان بن سعيد التيمي

سمع من الشعبي، وكان ثقة صالحاً: قال عبد الله بن إدريس: ما رأيت الليل على أحد من الناس أخف منه على أبي حيان التيمي، صحبناه مرة إلى مكة، فكان إذا أظلم الليل فكأنه مثل هذه الزنابير إذا هُيِّجت من عشها.

٤٣٢ ـ معروف بن واصل التيمي

قال أحمد بن عبد الله بن يونس: كان معروف إمام مسجد بني عمرو بن سعد، وكان يختم القرآن في كل ثلاث سفراً وحضراً، أمَّ قومهَ ستين سنة لم يسْهَ في صلاة قط لأنها كانت تهمه.

---

٤٣١ ـ أبو حيان التيمي ـ رحمه الله ـ: ذكره في الحلية (٥/ ١٠١) العجلي في معرفة الثقات (٢/ ٣٥٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٥٣).

٤٣٢ ـ معروف التيمي ـ رحمه الله ـ: لسان الميزان (٧/ ٣٩٣).

٤٣٣ ـ موسى ابن أبي عائشة

يكنى أبا بكر، مولى آل جعدة بن هبيرة الكوفي: قال جرير بن عبد الحميد: رأيت موسى ابن أبي عائشة، وإذا رأيته ذكرت الله لرؤيته، وكان بين عينيه أثر السجود.

قال أبو بكر القرشي: أخبرني إسحاق بن إسماعيل قال: أخبرنا سفيان قال: أخبروني عن عمرو ابن قيس قال: ما رفعت رأسي بليل قط إلا رأيت موسى ابن أبي عائشة قائماً يصلي. قال القرشي: وقال غير إسحاق: وكان يُدعى «المتهجِّد»، من شدة تغير لونه.

قال المؤلف: رأى عمرو بن حريث، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن شداد، وعبيد الله بن عبد الله، في آخرين، وروى عنه الثوري، وكان يثني عليه.

٤٣٤ ـ خلف بن حوشب

عن عبد السلام بن حرب قال: ما رأيت أصبر على السهر من خلف بن حوشب، سافرت معه إلى مكة فما رأيته نائماً بليل حتى رجعنا إلى الكوفة.

٤٣٥ ـ كرز بن وبرة

كوفي الأصل، إلا أنه سكن جرجان: [عن] محمد بن فضيل بن غزوان عن أبيه قال: دخلت على كرز بن وبرة بيته فإذا عند مصلاه حُفَيرة، وقد ملأها تِبناً، وبسط عليها كساء من طول القيام، وكان يقرأ القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات.

قال: أنبأنا محمد بن فضيل، عن أبيه، أو عن نفسه قال: كان كرز إذا خرج يأمر بالمعروف فيضربونه حتى يُغشى عليه.

عن شبرمة قال: صحبنا كرزاً الحارثي فكنا إذا نزلنا إلى الأرض فإنما هو قائل ببصره هكذا، ينظر، فإذا رأى بقعة تعجبه ذهب فصلى فيها حتى يرتحل.

قال ابن شبرمة: سأل كرز بن وبرة ربَّه عز وجل: أن يعطيه اسمه الأعظم، على أن لا يسأل به شيئاً من الدنيا؟ فأعطاه ذلك، فسأل الله عز وجل أن يقوى حتى يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات.

قال خلف بن تميم: سمعت أبي يذكر قال: قدم علينا كرز بن وبرة الحارثي من جرجان، فانجفل إليه قرّاء أهل الكوفة، فكنت فيمن أتاه، وما سمعت منه إلا كلمتين؛ قال: صلوا على نبيكم ﷺ فإن صلاتكم تُعرض عليه. وقال: اللهم اختم لنا بخير. وما رأيت في هذه الأمة أعبد من كرز، كان لا يفتر، وكان يصلي في المحمل، فإذا أُنزل من المحمل، افتتح الصلاة.

---

٤٣٣ ـ موسى بن أبي عائشة ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٥/ ٣٠٧)، الجرح والتعديل (٨/ ١٥٦)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٥٢)، الكاشف (٢/ ٣٠٥)، تقريب التقريب (١/ ٥٥٢).

٤٣٤ ـ خلف بن حوشب ـ رحمه الله ـ: التاريخ الكبير (٣/ ١٩٣) الحلية (٥/ ٧٣) الثقات لابن حيان (٦/ ٢٦٩).

٤٣٥ ـ كرز بن وَبْرة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١١٨)، الحلية (٥/ ٧٩).

عن صبيح مولى كرز بن وبرة قال: أخبرني أبو سليمان المكتب قال: صحبت كرزاً إلى مكة فكان إذا نزل أدرج ثيابه فألقاها في الرحل ثم تنحى للصلاة، فإذا سمع رغاء الإبل أقبل، قال: فاحتبس يوماً عن الوقت وانبثَّ أصحابُه في طلبه، فكنت فيمن طلبه، قال: فأصبته في وهدة يصلي في ساعة حارة، وإذا سحابة تظله، فلما رآني أقبل نحوي فقال: يا أبا سليمان لي إليك حاجة؟ قلت: وما حاجتك؟ قال: أحب أن تكتم ما رأيت! قال: قلت: ذلك لك. قال: أوثق لي! فحلفت أن لا أخبر به أحداً حتى يموت.

قال محمد بن فضيل: سمعت أبي يقول: لم يرفع كرز بن وبرة رأسه إلى السماء منذ أربعين سنة.

قال عمرو بن حميد: أخبرني رجل من أهل جرجان قال: لما مات كرز رأى رجل فيما يرى النائم كأن أهل القبور جلوس على قبورهم، وعليهم ثياب جدد، فقيل لهم: ما هذا؟ فقالوا: إن أهل القبور كُسوا ثياباً جدداً لقدوم كرز عليهم.

قال أبو داود الحفري: دخلت على كرز بن وبرة بيته فإذا هو يبكي! فقيل له: ما يبكيك؟ قال: إن بابي لمغلق، وإن ستري لمسبل، ومُنِعت جزئي أن أقرأه البارحة، وما هو إلا من ذنب أذنبته.

قال المؤلف: أسند كرز عن طاووس، وعطاء، والربيع بن خثيم، والقرظي في آخرين.

٤٣٦ ـ أبو يونس القوي

واسمه الحسن بن يزيد العجلي: قال إسماعيل بن زبان: إنما سمي أبو يونس العجلي «القوي» لقوته على العبادة، صلى حتى أُقعِد، وبكى حتى عمي، وصام حتى صار كالحشفة.

وقال البخاري: قال أبو عاصم: قدم علينا أبو يونس فطاف في يوم واحد سبعين طوافاً.

وسمع أبو يونس من أبي سلمة، وسعد بن جبير، ومجاهد.

٤٣٧ ـ عبد الملك بن سعيد بن أبجر المتطيب

قال الوليد بن شجاع: حدثني أبي قال: كان ابن أبجر من شدة التوقي يقول من لا يعرفه: إنه عيي، وما به إلا شدة التوقي.

قال الوليد بن شجاع: حدثني أبي قال: كان ابن أبجر من شدة التوقي إنما يتكلم بالمعاريض.

عن السليط بن بسطام التميمي، قال: قال لي أبي: الزم عبد الملك بن أبجر فتعلم من توقّيه في الكلام، فما أعلم بالكوفة أشد حفظاً للسانه منه.

---

٤٣٦ ـ أبو يونس القوي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١١٧)، تهذيب الكمال (٦/ ٣٤٢ برقم ١٢٨٤)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٣٢٧)، وتقريب التهذيب (١/ ٢١١ برقم ١٣٠٠).

٤٣٧ ـ عبد الملك بن سعيد ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٢٥)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣٩٤)، الحلية (٥/ ٨٤).

عن جعفر الأحمر قال: كان أصحابنا البكّاؤون أربعة: عبد الملك بن أبجر، ومحمد بن سوقة، ومطرف بن طريف، وضرار بن مرة.

قال سفيان: قال سلمة بن كهيل: ما بالكوفة أحد أُحِبُّ أن أكون في مِسْلاخه أحبَّ إلي من ابن أبجر.

قال سفيان الثوري: خمسة من أهل الكوفة يزدادون في كل يوم خيراً؛ منهم ابن أبجر.

عن عبد الملك بن أبجر قال: ما من الناس إلا مبتلىً بعافية لينظر كيف شكره، أو مبتلىً ببلية لينظر كيف صبره.

قال المؤلف: أسند ابن أبجر عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، وعن زر بن حبيش، والشعبي، في جماعة نظرائهم.

٤٣٨ ـ عمرو بن قيس المُلَّائي

قال إسحاق بن خف: أقام عمرو بن قيس الملائي عشرين سنة صائماً ما يعلم به أهله يأخذ غداءه ويغدو إلى الحانوت فيتصدق بغذائه ويصوم، وأهله لا يدرون.

قال: وكان إذا حضرته الرِّقة يحول وجهه إلى الحائط ويقول لجلسائه: هذا الزكام. وإذا نظر إلى أهل السوق قال: ما أغفل هؤلاء عما أعد لهم.

قال مفضل بن غسان: قال عمرو: حديث أرقق به قلبي وأتبلغ به إلى ربي عز وجل أحب إليَّ من خمسين قضية من قضايا شريح.

قال أبو خالد الأحمر: سمعت عمرو بن قيس المُلَّائي يقول: إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرة تكنْ من أهله.

[عن] عبد الرحمن بن الحكم بن بشير بن سليمان قال: أنبأ أبي قال: رأيت سفيان يجيء إلى عمرو ابن قيس يجلس بين يديه ينظر إليه لا يكاد يصرف بصره عنه، أظنه يحتسب في ذلك.

[عن] صالح بن أحمد بن عبد الله العجلي قال: حدثني أبي عن أبيه عبد الله قال: جاءت امرأة إلى عمرو بن قيس بثوب فقالت: يا أبا عبد الله اشتر هذا الثوب، واعلم أن غزله ضعيف. قال: فكان إذا جاءه إنسان يعرضه عليه، قال: إن صاحبته أخبرتني أنه كان في غزله ضعف. حتى جاء رجل فاشتراه، وقال: هذا برأناك منه.

[عن] عمر بن حفص بن غياث قال: لما احتُضر عمرو بن قيس المُلَّائي بكى، فقال أصحابه: على ما تبكي من الدنيا؟ فوالله لقد كنت تبغض العيش أيام حياتك! فقال: والله ما أبكي على الدنيا، إنما أبكي خوفاً أن أُحرم خوف الآخرة.

---

٤٣٨ ـ عمرو بن قيس المُلَّائي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٩٨)، تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٣)، تهذيب التهذيب (٨/ ٩٢)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٥٤)، التاريخ الكبير (٦/ ٣٦٣)، الحلية (٥/ ١٠٠)، تاريخ الإسلام (٦/ ١١٠).

قال المحاربي: قال لي سفيان: عمرو بن قيس هو الذي أدبني، علمني قراءة القرآن، وعلمني الفرائض، وكنت أطلبه في سوقه، فإن لم أجده في سوقه وجدته في بيته إما يصلي وإما يقرأ في المصحف، كأنه يبادر أموراً تفوته، فإن لم أجده في بيته وجدتُهُ في بعض مساجد الكوفة في زاوية من زوايا المسجد كأنه سارق قاعداً يبكي، فإن لم أجده وجدته في المقبرة قاعداً ينوح على نفسه. فلما مات عمرو بن قيس أغلق أهل الكوفة أبوابهم وخرجوا بجنازته، فلما خرجوا إلى الجبان وبرزوا بسريره، وكان أوصى أن يصلي عليه أبو حيان التيمي، تقدم أبو حيان وكبر عليه أربعاً، وسمعوا صائحاً يصيح: قد جاء المحسن! وإذا البرية مملوءة من طير أبيض لم ير على خلقتها وحسنها، فجعل الناس يعجبون من حسنها وكثرتها، فقال أبو حيان: من أي شيء تعجبون؟ هذه الملائكة جاءت فشهدت عمراً.

عن عبد الله بن سعيد الجعفي قال: حضرنا جنازة عمرو بن قيس فحضره قوم كثير عليهم ثياب بيض، فلما صلي عليه ذهبوا فلم نرهم.

[عن] محمد بن يزيد الرفاعي قال: سمعت من لا أحصي كثرة يقول: مات عمرو بن قيس بناحية فارس، فاجتمع على جنازته ما لا يحصى، فلما دفن نظروا فلم يجدوا أحداً.

قال أبو خالد ـ وهو الأحمر ـ: لما مات عمرو بن قيس الملائي رأوا الصحراء مملوءة رجالاً عليهم ثياب بيض، فلما صلي عليه ودفن لم نر في الصحراء أحداً، فبلغ ذلك أبا جعفر فقال لابن شبرمة وابن أبي ليلى: ما منعكما أن تذكرا هذا الرجل؟ فقالا: كان يسألنا أن لا نذكره لك.

قال المؤلف: سمع عمرو من عكرمة، وعطاء، والمنهال بن عمرو، وأبي إسحاق السبيعي، وابن المنكدر، في خلق كثير من التابعين، وتوفي بسجستان، ويقال: بالكوفة، ويقال: بالشام، ويقال: ببغداد. والله أعلم.

٤٣٩ ـ عطوان بن عمرو التميمي

قال سليمان بن حيان ـ أبو خالد الأحمر ـ: كان عطوان بن عمرو التميمي رجلاً منقطعاً، وكان يلزم الجبان بظهر الكوفة، فأتاه قوم يسلمون عليه فوجدوه مغشياً عليه بين القبور، فلم يزالوا عنده حتى أفاق فاستحيا منهم، فجعل يقول لهم كهيئة المعتذر: ربما غلب علي النوم، وربما أصابني الإعياء فألقَى نفسي هكذا!!

قال محمد بن السماك: ما رأيت أحداً أشد حذراً للموت من عطوان بن عمرو.

قال داود الطائي: سألت عطوان بن عمرو التميمي قلت: ما قِصَر الأمل؟ قال: ما بين تردد النفَس.

قال رستم: فحدثت به الفضيل بن عياض فبكى وقال: يقول: يتنفس، فيخاف أن يموت قبل أن ينقطع نفسه، لقد كان عطوان من الموت على حذر.

٤٤٠ ـ قيس بن مسلم الجدلي

[عن] سفيان قال: كان قيس بن مسلم يصلي حتى السَّحَرَ، ثم يجلس فيمسح البكاء ساعة بعد ساعة، وهو يقول: لأمرٍ ما خُلقنا، لئن لم [نعمل للآخرة](١) بخير لنهلكن.

قال: وزار قيس بن مسلم محمد بن جحادة ذات ليلة فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء، قال: ومحمد قائم يصلي، فقام قيس بن مسلم في الناحية الأخرى يصلي، فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر، وكان قيس بن مسلم إمام مسجده، قال: فرجع إلى الحي فأمَّهم ولم يلتقيا، ولم يعلم محمد مكانه، قال: فقال له بعض أهل المسجد: زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة فلم تنفتل إليه! قال: ما علمت بمكانه. قال: فغدا عليه، فلما رآه قيس بن مسلم مقبلاً قام إليه فاعتنقه، ثم خلوا جميعاً فجعلا يبكيان.

روى قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وسعيد ابن جبير.

ومات سنة عشرين ومائة.

ومن الطبقة الخامسة

٤٤١ ـ مِسْعَر بن كدام بن ظهير

يكنى أبا سلمة: قال سفيان بن عيينة: ما لقيت أحداً أفضِّله على مسعر.

قال سفيان الثوري: لم يكن في زماننا مثله ـ يعني مسعراً ـ.

قال أبو خالد الأحمر: لم يكن في أترابه أطول صمتاً منه ـ يعني مسعراً ـ.

قال محمد بن مسعر: كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورده لفَّ رداءه ثم هجع هجعة خفيفة، ثم يثب كالرجل الذي قد ضل منه شيء فهو يطلبه، فإنما هو السواك والطهور، ثم يستقبل المحراب كذلك إلى الفجر، وكان يجهد على إخفاء ذلك جداً.

عن أبي أسامة قال: سمعت مسعراً يقول: أشتهي أن أسمع صوت باكية حزينة.

[عن] محمد بن كناسة قال: سمعت مسعراً يقول: من أهمَّتْهُ نفسُه تبين ذلك عليه.

[عن] سفيان قال: قال رجل لمسعر: أتحب أن يخبرك الرجل بعيوبك؟ قال: إن كان ناصحاً فنعم، وإن كان يريد أن يؤنبني فلا.

---

٤٤٠ ـ قيس بن مسلم الجدلي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٠٣)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٩٧)، شذرات الذهب (١/ ١٥٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٠٣)، الجرح والتعديل (٧/ ١٠٣)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣١٧).

(١) في المطبوع «لم نعن الآخرة» وفي بعضها «لئن لم الآخرة».

٤٤١ ـ مِسْعَر بن كِدام ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٥٩)، تاريخ الإسلام (٦/ ٢٨٧)، الحلية (٧/ ٢٠٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١١٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٨٨)، شذرات الذهب (١/ ٢٣٨)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٦٤)، سير أعلام النبلاء (٢٤/ ٥٩٩).

قال عبد الله بن المغيرة: سمعت مسعر بن كدام ينشد:

ألا قد فسد الدهر فأضحى حلوُه مُرّا
وقد جربت من أهوى فقد أنكرتهم طرّا
فألزمْ نفسَك اليأس من الناس تعشْ حُرّا

[عن] عبد الرحمن بن صالح يقول: قال مسعر بن كدام:

تفنى اللذاذة ممن نال صَفْوتَها من الحرام، ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبّتها لا خير في لذة من بعدها النار

[عن] الفيض بن الفضل العجلي قال: حدثني جار لمسعر قال: بكى مسعر فبكت أمه! فقال لها مسعر: ما أبكاك يا أماه؟ فقالت: يا بني رأيتك تبكي فبكيت! فقال: يا أماه لمثل ما نهجم عليه غداً فلنُطلِ البكاء. قالت: وما ذاك؟ فانتحب فقال: القيامة وما فيها! قال: ثم غلبه البكاء فقام.

قال: وكان مسعر يقول: لولا أمي لما فارقت المسجد إلا لما لا بد منه، وكان إن دخل بكى، وإن خرج بكى، وإن صلى بكى، وإن جلس بكى.

[عن] حسين بن يحيى بن آدم، عن أبيه قال: لما حضرت مسعراً الوفاةُ دخل عليه سفيان الثوري فوجده جزعاً فقال له: تجزع؟ فوالله لوددت أني متُّ الساعة! فقال مسعر: أقعدوني. فأعاد سفيان الكلام عليه، فقال: إنك إذاً لواثق بعملك يا سفيان، لكني والله على شاهقة جبل لا أدري أين أهبط؟! فبكى سفيان وقال: أنت أخوف لله مني.

قال أحمد بن داود الحراني: [عن] مصعب بن المقدام يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام، وسفيان الثوري آخذ بيده، وهما يطوفان، فقال الثوري: يا رسول الله مات مسعر بن كدام؟ قال: نعم، واستبشر به أهل السماء.

قال المؤلف: أسند مسعر عن أعلام التابعين، وتوفي بالكوفة سنة اثنتين، وقيل: سنة خمس وخمسين ومائة.

٤٤٢ ـ داود بن نصير الطائي

يكنى أبا سليمان، سمع الحديث وتفقه، ثم اشتغل بالتعبد.

قال أحمد بن أبي الحواري: حدثني بعض أصحابنا قال: كان داود الطائي يجالس أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة: يا أبا سليمان أما الأداة فقد أحكمناها. قال داود: فأي شيء بقي؟ قال: بقي العمل به. قال: فنازعتني نفسي إلى العزلة والوحدة، فقلت لها: حتى تجلسي معهم فلا تجيبي في مسألة. قال: فكان يجالسهم سنة قبل أن يعتزل، قال: فكانت المسألة تجيء وأنا أشد شهوة للجواب فيها من العطشان إلى الماء فلا أجيب فيها. قال: فاعتزلتهم بعد.

---

٤٤٢ ـ داود الطائي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٧٨)، تاريخ بغداد (٨/ ٣٤٧)، الحلية (٧/ ٣٣٥)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٠٣)، شذرات الذهب (١/ ٢٥٦)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٦٧)، العبر (١/ ٢٣٨).

قال أبو أسامة: جئت أنا وابن عيينة داود الطائي فقال: قد جئتماني مرة فلا تعودا إلي.

قال ابن عائشة: مرَّ داود بمقبرة فسمع امرأة وهي تقول: يا حبي، ليت شعري بأي خديك بدأ البلى؟ باليمنى أم باليسرى؟ قال: فصعق.

قال: وكان الثوري إذا ذكره قال: أبصر الطائي أمره.

قال محمد بن حاتم البغدادي: سمعت الجماني يقول: كان بُدُوُّ توبة الطائي أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر وهي تقول:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يُرجى وأنت قريب

تزيد بلى في كل يوم وليلة ... وتُسلى كما تبلى وأنت حبيب

قال أحمد بن أبي الحواري: حدثني محمد يحيى عن داود الطائي قال: ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا بشر.

عن بكر بن محمد قال: قال لي داود الطائي: فَرَّ من الناس كما تفر من الأسد.

[عن] محمد بن عثمان الصيرفي قال: جاء أبو الربيع الأعرج إلى داود الطائي من واسط ليسمع منه شيئاً ويراه، فأقام على بابه ثلاثة أيام لا يصل إليه. قال: وكان إذا سمع الإقامة خرج، فإذا سلم الإمام وثب فدخل منزله.

قال: فصليت في مسجد آخر ثم جئت فجلست على بابه، فلما جاء ليدخل الدار قلت: ضيف رحمك الله! قال: إن كنت ضيفاً فادخل. فدخلت فأقمت عنده ثلاثة أيام لا يكلمني، فلما كان بعد ثلاث قلت: رحمك الله أتيتك من واسط وإني أحببت أن تزودني شيئاً؟ قال: صم الدنيا واجعل فطرك الموت. قلت: زدني رحمك الله. قال: فر من الناس فرارك من الأسد، غير طاعن عليهم، ولا تارك لجماعتهم. قال: فذهبت أستزيده فوثب إلى المحراب وقال: الله أكبر.

عن أبي الربيع الأعرج قال: أتيت داود الطائي، وكان لا يخرج من منزله حتى يقول [المؤذن]: قد قامت الصلاة. فيخرج فيصلي، فإذا سلم الإمام أخذ نعله ودخل منزله، فلما طال ذلك علي أدركته يوماً فقلت: يا أبا سليمان على رِسلك! فوقف لي، فقلت له: أبا سليمان أوصني! قال: اتق الله، وإن كان لك والدان فَبُرَّهما. ثم قال: ويحك صم الدنيا، واجعل الفطر موتك، واجتنب الناسَ غيرَ تاركٍ لجماعتهم.

[عن] عبد الله بن إدريس قال: قلت لداود الطائي: أوصني. قال: أقلل من معرفة الناس. قلت: زدني. قال: ارض باليسير من الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا مع فساد الدين. قلت: زدني. قال: اجعل الدنيا كيوم صُمْتَهُ ثم أفطرت على الموت.

[عن] إسحاق بن منصور السلولي قال: دخلت أنا وصاحب لي على داود الطائي وهو على التراب، فقلت لصاحبي: هذا رجل زاهد! فقال داود: إنما الزاهد من قَدَرَ فَتَرَك.

[عن] الوليد بن عقبة قال: كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفاً يعلّقها بشريط، يفطر كل ليلة

على رغيفين بملح وماء، فأخذ ليلة فطره فجعل ينظر إليه، قال: ومولاة له سوداء تنظر إليه، فقامت فجاءته بشيء من تمر على طبق فأفطر، ثم أحيا ليلته وأصبح صائماً، فلما جاء وقت الإفطار أخذ رغيفيه وملحاً وماء.

قال الوليد بن عقبة: فحدثني جار له قال: جعلت أسمعه يعاتب نفسه ويقول: اشتهيت البارحة تمراً فأطعمتك، واشتهيت الليلة تمراً؟ لا ذاق داود تمراً ما دام في الدنيا!

عن حماد بن أبي حنيفة قال: قالت مولاة لداود الطائي: يا داود لو طبخت لك دسماً؟ قال: فافعلي. فطبخت له شحماً ثم جاءته به، فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: على حالهم.

قال: اذهبي به إليهم. فقالت له: فديتك! إنما تأكل هذا الخبز بالماء؟ قال: إني إذا أكلته كان في الحش، وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخوراً.

[عن] صدقة الزاهد قال: خرجنا مع داود الطائي في جنازة بالكوفة، فقعد داود ناحية وهي تدفن فجاء الناس فقعدوا قريباً منه، فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب، واعلم يا أخي أن كل ما يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم، واعلم أن أهل القبور إنما يفرحون بما يقدمون ويندمون على ما يخلفون، وأهل الدنيا يقتتلون ويتنافسون فيما عليه أهل القبور يندمون.

قال أبو حفص: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود الطائي أربعين سنة ما علم به أهله، وكان خزازاً، وكان يحمل غداءه معه ويتصدق به في الطريق، ويرجع إلى أهله يفطر عشاء لا يعلمون أنه صائم.

قال الشيخ: وقد رويت لنا هذه الحكاية من طريق أبي حفص الفلاس أيضاً.

عن أبي عدي: أن هذا جرى لداود بن أبي هند، وسنذكرها في أخبار البصريين، وهي بذاك أليق من داود الطائي، وكان متشاغلاً بالعلم ثم انقطع إلى التعبد، ولم ينقل عنه أنه تشاغل بالمعاش، لعل بعض الرواة قال الطائي[1] والله أعلم.

[عن] محمد بن بشر العبدي قال: قال داود يوماً لمولاة له في الدار: أشتهي لبناً فخذي رغيفاً، فائتي به البقال فاشتري به لبناً، ولا تُعلمي البقال لمن هو؟ فذهبت، فجاءت به فأكل، وفطن البقال بعدُ أنها تريد اللبن لداود، فطيبه له، فقال لها: علم البقال لمن تريدين اللبن؟ فقالت: نعم. قال: ارفعيه. فما عاد فيه.

قال: وجاءه فضيل يوماً فلم يفتح له، فجلس فضيل خارج الباب وهو داخل، فبكى داود من داخل وفضيل من خارج، ولم يفتح له. قلت لمحمد بن بشر: كيف لم يفتح له الباب؟ قال: قد كان يفتح لهم، وكثروا عليه فغمّوه فحجبهم كلهم، فمن جاءه كلمه من وراء الباب.

---

(١) أي: عند نقله هذه الحادثة عن داود بن أبي هند أخطأ فقال: داود الطائي.

وقالت له أمه: لو اشتهيت شيئاً اتخذته لك؟ فقال: أجيدي يا أماه، فإني أريد أن أدعو إخواناً لي.

قال: فاتخذت وأجادت. قال: فقعد على الباب لا يمر سائل إلا أدخله. قال: فقدم إليهم فقالت له أمه: لو أكلت؟ قال: فمن أكله غيري.

قال: وإنما جد واجتهد حين ماتت أمه؛ قسم كل شيء تركت حتى لزق بالأرض، وكانت موسرة.

قال إسحاق بن منصور: حدثني جنيد ـ يعني الحجام ـ قال: أتيت داود الطائي فإذا قرحة قد خرجت على لسانه فبططتها وأخرجت قليل داوء فوضعته في خرقة، فقلت: إذا كان الليل فضعه عليها. فقال: ارفع ذلك اللبد. فرفعته فإذا دينار فقال: خذه. قلت: يا أبا سليمان ليس هذا ثمن هذا، ثمن هذا دانق فوضعت الدواء في كوة وخرجت ثم غدوت بعد يومين فإذا الدواء على حاله. قلت: يا أبا سليمان سبحان الله، لِم لَم تعالج بهذا الدواء؟ فقال لي: إن أنت لم تأخذ الدينار لم أمسه.

[عن] إسماعيل بن زيان قال: حجم حجّام داود الطائي فأعطاه ديناراً لا يملك غيره.

حدثنا أبو سعيد السكري قال: احتجم داود الطائي فدفع ديناراً إلى الحجّام، فقيل له: هذا إسراف. فقال: لا عبادة لمن لا مروءة له.

[عن] عبادة بن كليب قال: قال رجل لداود الطائي: لو أمرت بما في سقف البيت من نسج العنكبوت فينظف. فقال: أما علمت أنه كان يُكره فضولُ النظر.

[عن] الحسن بن عيسى قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: وهل الأمر إلا ما كان عليه داود الطائي؟!.

[عن] عبيد الله بن محمود بن سلمة بن معبد قال: لقي داود الطائي رجلاً فسأله عن حديث؟ فقال: دعني، إني أبادر خروج نفسي.

وكان الثوري إذا ذكره قال: أبصر الطائي أمره.

قال أبو خالد الأحمر: مررت أنا وسفيان الثوري بمنزل داود الطائي فقال لي سفيان: ادخل بنا نسلم عليه. فدخلنا إليه فما احتفل بسفيان ولا انبسط إليه، فلما خرجنا قلت له: يا أبا عبد الله غاظني ما صنع بك! قال: وأي شيء صنع بي؟ قلت: لم يحفل بك ولم ينبسط إليك. قال: إن أبا سليمان لا يتهم في مودة، أما رأيت عينيه؟ هذا في شيء غير ما نحن فيه.

قال أبو عمران: حدثني أسود بن سالم: أن داود الطائي كان يقول: سبقني العابدون وقُطع بي، والَهْفَاه.

قال محمد بن إشكاب: حدثني رجل من أهل داود الطائي قال: قلت له يوماً: يا أبا سليمان قد عرفت الرحم التي بيننا فأوصني؟ قال: فدمعت عيناه، ثم قال: يا أخي إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً

لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك واقض ما أنت قاض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتك، إني لأقول لك هذا وما أعلم أحداً أشد تضييعاً مني لذلك. ثم قام وتركني.

قال أبو المهنا الطائي: خرج داود الطائي إلى السوق فرأى الرطب فاشتهته نفسه، فجاء إلى البائع فقال له: أعطني بدرهم إلى غد. فقال له: اذهب إلى عملك. فرآه بعض من يعرفه فأخرج له صرة فيها مائة درهم وقال: اذهب فإن أخذ منك بدرهم فالمائة لك. فلحقه البائع وقال له: ارجع خذ حاجتك. فقال: لا حاجة لي فيه إنما جربتُ هذه النفسَ فلم أرها تساوي في هذه الدنيا درهماً وهي تريد الجنة غداً!.

قال حفص بن عمر الجعفي: كان داود الطائي قد ورث عن أمه أربعمائة درهم، فمكث يتقوتها ثلاثين عاماً، فلما نفذت جعل ينقض سقوف الدويرة فيبيعها حتى باع الخشب والبواري واللبن، حتى بقي في نصف سقف. وجاء صديق له فقال: يا أبا سليمان لو أعطيتني هذه فأبضعتها لك لعلنا نستفضل لك فيها شيئاً يُنتفع به! فما زال به حتى دفعها إليه، ثم فكر فيها فلقيه بعد العشاء الآخرة فقال: اردها علي. فقال: ولِمَ ذاك يا أخي؟ قال: أخاف أن يدخل فيها شيء غير طيب! فأخذها.

قال عثمان بن زفر: أخبرني ابن عم لداود الطائي قال: ورث داود الطائي من أبيه عشرين ديناراً، فأكلها في عشرين سنة، كل سنة ديناراً، منه يَصِلُ ومنه يتصدق، وورث بيتاً فكان يكون فيه لا يعمره، كلما خربت ناحية تركها وتحول إلى ناحية أخرى، فخرب كله إلا زاوية منه كان يكون فيها.

قال محمد بن إسحاق: سمعت محمد بن زكريا يقول: سمعت بعض أصحابنا قال: ورث داود الطائي من مولاة له عشرين ديناراً كفته عشرين سنة.

عن عبد الله بن صالح قال: قال داود الطائي: يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك، وإنما بلغته بانقضاء مدة أجلك، ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك.

عن قبيصة قال: حدثني صاحب لنا: أن امرأة من أهل داود الطائي صنعت ثريدة بسمن، ثم بعثت بها إلى داود حين إفطاره مع جارية لها، قالت الجارية: فأتيته بالقَصعة فوضعتها بين يديه فسعى ليأكل منها، فجاء سائل فقام إليه فدفعها إليه وجلس معه على الباب حتى أكلها، ثم دخل فغسل القصعة، ثم عمد إلى تمر كان بين يديه، قالت الجارية: ظننت أنه كان أعده لعشائه، ودفعه إلي وقال: أقرئيها السلام. قالت الجارية: دفع إلى السائل ما جئناه به ودفع إلينا ما أراد أن يفطر عليه! قالت: وأظنه ما بات إلا طاوياً. قال قبيصة: فكنت أراه قد نحل جداً.

قال ابن زبان: قالت داية الطائي: يا أبا سليمان أما تشتهي الخبز؟ قال: يا داية بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية.

[عن] عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي قال: دخلت على داود الطائي في مرضه الذي مات فيه ليس في بيته إلا دَنٌّ مقيَّر يكون فيه خبز يابس، ومطهرة ولَبنة كبيرة على التراب يجعلها وسادة وهي مخدته ليس في بيته بوري ولا قليل ولا كثير.

قال محمد بن بشير: قال حماد لداود الطائي: يا أبا سليمان لقد رضيت من الدنيا باليسير. قال: أفلا أدلك على من رضي بأقل من ذلك؟ من رضي بالدنيا كلها عوضاً عن الآخرة.

قال أبو محمد العابد: دخل أبو يوسف على داود الطائي فقال له: ما رأيت أحداً رضي من الدنيا بمثل ما رضيت به! فقال: يا يعقوب من رضي الدنيا كلها عوضاً عن الآخرة فذاك الذي رضي بأقل مما رضيت.

قال الحارث بن إدريس: قلت لداود الطائي: أوصني؟ فقال: عسكر الموتى ينتظرونك.

قال إسحاق بن منصور السلولي: حدثتني أم سعيد بن علقمة النخعي وكانت طائية: قالت: كان بيننا وبين داود الطائي حائط قصير، فكنت أسمع حسه عامة الليل لا يهدأ.

قالت: وربما سمعته في جوف الليل يقول: اللهم همك عطَّل علي الهموم، وحالَ بيني وبين السُّهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني، وحال بيني وبين اللذات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب.

قالت: وربما ترنم بالآية، فأرى أن جميع نعيم الدنيا جُمع في ترنمه.

قال ابن السماك: أوصاني أخي داود الطائي بوصية: انظر لا يراك الله حيث نهاك، وأن يفقدك من حيث أمرك، واستحيِه في قربه منك وقدرته عليك.

قال محمد بن إشكاب: قال داود الطائي: اليأس سبيل أعمالنا هذه، لكن القلوب تجر إلى الرجاء.

عن الحماني قال: قلت لداود الطائي: ما ترى في الرمي فإني أحب أن أتعلمه؟ فقال: إن الرمي لحسن، ولكن إنما هي أيامك فانظر بما تقطعها.

قال أبو بكر محمد بن أبي داود: سمعت شيدويه يقول لداود الطائي: أرأيت رجلاً دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر؟ قال: أخاف عليه السوط. قال: إنه يقوى قال: أخاف عليه السيف. قال: إنه يقوى! قال: أخاف عليه الداء الدفين: العجب.

عن أبي نعيم قال: رأيت داود الطائي تدور في وجهه نملة عرضاً وطولاً لا يفطن بها ـ يعني من الهم ـ.

قال أبو سعيد: حدثني سهل بن بكار قال: قالت أخت لداود الطائي: لو تنحَّيت من الشمس إلى الظل؟ فقال: هذه خُطىً لا أدري كيف تكتب!!

قال عباس الترقفي: سمعت معاوية بن عمرو يقول: كنا عند داود الطائي يوماً، فدخلت الشمس من الكوة، فقال له بعض من حضر: لو أذنت لي سددت هذه الكوة. فقال: كانوا يكرهون فضول النظر.

وكنا عنده يوماً آخر فإذا بفروه قد تخرق وخرج خمله. فقال له بعض من حضر: لو أذنت لي خيَّطته؟ فقال: كانوا يكرهون فضول الكلام.

قال أبو داود الطيالسي: حضرت داود عند الموت فما رأيت أشد نزعاً منه، أتيناه من العشي ونحن نسمع نزعه قبل أن ندخل، ثم غدونا إليه وهو في النزع، فلم نبرح حتى مات.

[عن] حفص بن عمر الجعفي قال: اشتكى داود الطائي أياماً، وكان سبب علته أنه مر بآية فيها ذكر النار فكررها مراراً في ليلته فأصبح مريضاً، فوجدوه قد مات ورأسه على لَبِنَةٍ.

قال ابن السماك حين مات داود الطائي: يا أيها الناس إن أهل الدنيا تعجلوا غموم القلب وهموم النفس وتعب الأبدان مع شدة الحساب، فالرغبة متعبة لأهلها في الدنيا والآخرة، والزهادة راحة لأهلها في الدنيا والآخرة، وإن داود الطائي نظر بقلبه إلى ما بين يديه فأغشى بصرُ قلبه بصرَ العيون، فكأنه لم يبصر ما إليه تنظرون، وكأنكم لا تبصرون ما إليه ينظر، فإنكم منه تعجبون وهو منكم يتعجب، فلما نظر إليكم راغبين مغرورين قد ذهبت على الدنيا عقولكم، وماتت من حبها قلوبكم، وعشقتها أنفسكم، وامتدت إليها أبصاركم استوحش الزاهد منكم، لأنه كان حياً وسط موتى!.

يا داود: ما أعجب شأنك! ألزمت نفسك الصمت حتى قومتها على العدل، أهنتها وإنما تريد كرامتها، وأذللتها وإنما تريد إعزازها، ووضعتها وإنما تريد تشريفها، وأتعبتها وإنما تريد راحتها، وأجعتها وإنما تريد شبعها، وأظمأتها وإنما تريد رِيَّها، وخشنت الملبس وإنما تريد لينه، وجشبت المطعم وإنما تريد طيبه، وأمتَّ نفسك قبل أن تموت، وقبرتها قبل أن تُقبر، وعذبتها قبل أن تُعذَّب، وغيبتها عن الناس كي لا تُذكر، وغبت بنفسك عن الدنيا إلى الآخرة، فما أظنك إلا قد ظفرت بما طلبت، كأن سيماك في عملك وسرك، ولم يكن سيماك في وجهك، فقهت في دينك ثم الناس يُفتون، وسمعت الأحاديث ثم تركت الناس يحدثون ويَرْوُون، وخرست عن القول وتركت الناس ينطقون، لا تحسد الأخيار، ولا تعيب الأشرار، ولا تقبل من السلطان عطية، ولا من الأخوان هدية.

آنس ما تكون إذا كنت بالله خالياً، وأوحشَ ما تكون إذا كنت مع الناس جالساً، فأوحش ما تكون آنسَ ما يكون الناس، وآنسُ ما تكون أوحشَ ما يكون الناس، جاوزت حد المسافرين في أسفارهم، وجاوزت حد المسجونين في سجونهم، فأما المسافرون فيحملون من الطعام والحلاوة ما يأكلون، فأما أنت فإنما هي خبزتك أو خبزتان في شهرك، ترمي بها في دُنٍّ عندك، فإذا أفطرت أخذت منه حاجتك فجعلته في مطهرتك، ثم صببت عليه من الماء ما يكفيك، ثم اصطنعت به ملحاً فهذا إدامك وحلواك، فمن سمع بمثلك صبر صبرك أو عزم عزمك، وما أظنك إلا قد لحقت بالماضين، وما أظنك إلا قد فضلت الآخرين، ولا أحسبك إلا قد أتعبت العابدين، وأما المسجون فيكون مع الناس محبوساً فيأنس بهم، وأما أنت فسجنت نفسك في بيتك وحدك فلا محدث و [لا] جليس معك، ولا أدري أي الأمور أشد عليك: الخلوة في بيتك تمر بك الشهور والسنون؟ أم تركك المطاعم والمشارب؟ لا ستر على بابك، ولا فراش تحتك، ولا قُلَّة يُبرَّد فيها ماؤك، ولا قصعة يكون فيها غداؤك وعشاؤك؟ مطهرتك قلتك وقصعتك تورك وكل أمرك يا داود عجب.

أما كنت تشتهي من الماء بارده؟ ولا من الطعام طيبه؟ ولا من اللباس لينه؟ بلى، ولكنك زهدت فيه لما بين يديك فما أصغر ما بذلت، وما أحقر ما تركت، وما أيسر ما فعلت في جنب ما أملت، أما

أنت فقد ظفرت بروح العاجل، وسعدت إن شاء الله في الآجل، عزلت الشهرة عنك في حياتك لكي لا يدخلك عجبها ولا يلحقك فتنتها، فلما مت شهرك ربك بموتك وألبسك رداء عملك، فلو رأيت اليوم كثرة تعبك عرفت أن ربك قد أكرمك.

قال إسحاق بن منصور: لما مات داود الطائي شيع الناس جنازته، فلما دفن قام ابن السماك على قبره فقال: يا داود كنت تسهر ليلك إذ الناس نائمون، قال: وكنت تسلَم إذ الناس يخوضون، وكنت تربح إذ الناس يخسرون، فقال الناس جميعاً: صدقت! حتى عدد فضائله كلها.

فلما فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال: يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم ومبلغ ما علموا، اللهم اغفر له برحمتك، ولا تكله إلى عمله.

قال المؤلف: أسند داود عن جماعة من التابعين، منهم: عبد الملك بن عمير، وحبيب بن أبي عمرة، والأعمش، وحميد الطويل، وإسماعيل بن أبي خالد.

وتوفي في سنة خمس وستين ومائة في خلافة المهدي.

في الطَّبَقَة السادسة

٤٤٣ ـ سفيان بن سعيد الثوري

قال عبد الله بن محمد بن أيوب المخرمي: سمعت يزيد بن هارون يقول: أُخذ العلم عن سفيان الثوري وهو ابن ثلاثين سنة.

قال يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب: سمعت أبي يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: لو لم أعلم لكان أقلَّ لحزني.

عن محمد بن يوسف الفريابي قال: قلت لسفيان الثوري: أرى الناس يقولون سفيان الثوري، وأنت تنام الليل! فقال لي: اسكت، ملاكُ هذا الأمر التقوى.

قال يحيى بن أيوب المقابري: سمعت علي بن ثابت يقول: رأيت الثوري في طريق مكة فقومت كل شيء عليه، حتى نعليه: درهماً وأربعة دوانيق.

قال يحيى بن أيوب: سمعت علي بن ثابت قال: لو لقيت سفيان في طريق مكة ومعك فلسان تريد أن تتصدق بهما وأنت لا تعرف سفيان ظننت أنك ستضعهما في يده! وما رأيت سفيان في صدر المجلس قط، إنما كان يقعد إلى جانب الحائط، ويستند إلى الحائط، ويجمع بين ركبتيه.

عن علي بن عثام بن علي قال: سمعت أبي قال: سمعت سفيان الثوري يقول: لقد خفت الله

---

٤٤٣ ـ سفيان بن سعيد الثوري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٥٣)، تاريخ بغداد (٩/ ١٥١)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩)، التاريخ الكبير (٤/ ٩٢)، تاريخ الطبري (٨/ ٥٨)، تاريخ ابن الأثير (٦/ ٥٦)، شذرات الذهب (١/ ٢٥٠)، العبر (١/ ٢٣٥)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٧١)، الجرح والتعديل (١/ ٥٥)، و(٤/ ٢٢٢)، الحلية (٦/ ٣٥٦)، تهذيب التهذيب (٤/ ١١١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٣).

خوفاً عجباً لي كيف لا أموت؟ لكن لي أجل أنا بالغه، ولقد خفت الله خوفاً وددت أنه خفف عني منه ما أخاف أنْ يذهب عقلي.

قال عبد الرحمن بن عبد الله: قال سفيان إني لأضع يدي على رأسي من الليل إذا سمعت صيحة فأقول: قد جاءنا العذاب.

عن عبثر قال: قام سفيان يصلي قبل الزوال فمر بهذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨] فخرج ناداً، فما لحقوه إلا في الحمراء، فردّوه.

قال السني: وقال عمرو العتابي، عن سفيان: ما من موطن من المواطن أشد علي من سكرة الموت! أخاف أن يُشدَّد علي، فأسأل التخفيف فلا أجاب فأفتتن.

قال يوسف بن أسباط: قال لي سفيان ـ وقد صلينا العشاء الآخرة ـ: ناولني المطهرة. فناولته فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده، ونمت فاستيقظت وقد طلع الفجر فنظرت فإذا المطهرة بيمينه، ويسارُه على خده، فقلت: يا أبا عبد الله هذا الفجر قد طلع. قال: لم أزل منذ ناولتني هذه المطهرة أتفكر في أمر الآخرة حتى الساعة.

قال يوسف بن أسباط: كان سفيان الثوري إذا أخذ في الفِكَر بال الدمَ.

قال أبو يزيد محمد بن حسان: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما عاشرت في الناس رجلاً أرقّ من سفيان، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة فما كان ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادي: النار! النار! شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات! ثم يتوضأ ويقول على إثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلَّم، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار، إلهي: إن الجزع قد أرَّقني وذلك من نعمتك السابغة علي، إلهي: لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين. ثم يُقبل على صلاته. وكان البكاء يمنعه من القراءة، حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه، وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياء وهيبة منه.

قال إسحاق بن إبراهيم الحنيني: كنا في مجلس الثوري وهو يسأل رجلاً: عما يصنع في ليله؟ فيخبره، حتى دار على القوم فقالوا: يا أبا عبد الله قد سألتنا فأخبرناك، فأخبرنا أنت كيف تصنع في ليلك؟ فقال: لها عندي أول الليل نومة تنام ما شاءت لا أمنعها، فإذا استيقظت فلا أقيلها والله.

قال صالح بن خليفة الكوفي: سمعت سفيان الثوري يقول: إن فجّار القراء اتخذوا القرآن إلى الدنيا سلّماً؛ قالوا: ندخل على الأمراء نفرج عن المكروب ونتكلم في محبوس!!.

[عن] علي بن حمزة ابن أخت سفيان قال: ذهبت ببول سفيان إلى الديراني ـ وكان لا يخرج من باب الدير ـ فأريته، فقال: ليس هذا بولَ حنيفي. قلت: بلى والله من أفضلهم. فقال: أنا أجيء معك.

فقلت لسفيان: قد جاء بنفسه. فقال: أَدخِلْه. فأدخلته فمسّ وجسّ عرقه ثم خرج. فقلت: أي شيء رأيت؟ قال: ما ظننت أن في الحنيفية مثل هذا، هذا رجل قد قطع الحزنُ كَبِده.

[عن] عبد الرحمن بن مهدي قال: بات سفيان عندي فلما اشتد به الأمر جعل يبكي، فقال له

رجل: يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب! فرفع شيئاً من الأرض فقال: والله لذنوبي أهونُ عندي من ذا، إني أخاف أن أُسْلَب الإيمان قبل أن أموت.

عن عبد الرحمن بن مهدي قال [لمّا] مات سفيان: توضأ تلك الليلة للصلاة ستين مرة، فلما كان وجه السَّحَر قال لي: يا ابن مهدي ضع خدي بالأرض فإني ميت، يا ابن مهدي ما أشد الموت ما أشد كرب الموت! قال: فخرجت لأعلم حماد بن زيد وأصحابه فإذا هم قد استقبلوني فقالوا: آجرك الله. فقلت: من أين علمتم ذلك؟ فقالوا: إنه ما منا أحد إلا أُتي البارحة في منامه فقيل له: ألا إن سفيان الثوري قد مات. رحمه الله.

عن أبي أبجر قال: لما حضرت سفيان الوفاةُ، قال: يا ابن أبجر قد نزل بي ما ترى، فانظر من يحضرني؟ [فأتيته][(1)] بقوم فيهم حماد بن سلمة، وكان حماد من أقربهم إلى رأسه. قال: فتنفس سفيان، فقال له حماد: أبشر فقد نجوت مما كنت تخاف، وتقدم على رب كريم! قال: فقال: يا أبا سلمة أترى الله أن يغفر لمثلي؟ قال: إي والله الذي لا إله إلا هو. قال: فكأنما سُرِّيَ عنه.

عن عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: لم يكن إلا أن وُضِعت في اللحد حتى وقفت بين يدي الله عز وجل فحاسبني حساباً يسيراً، ثم أمر بي إلى الجنة، فبينا أنا أدور بين أشجارها وأنهارها ولا أسمع حساً ولا حركة، إذ سمعت قائلاً يقول: سفيان بن سعيد! قال: تحفظ أنك آثرت الله على هواك يوماً؟ قلت: إي والله. فأخذتني صواني النثار من جميع الجنة.

قال المؤلف: أدرك سفيان الثوري جماعة من كبار التابعين، وروى عن الأعمش، ومنصور، ومحمد بن المنكدر، وعبد الله بن دينار، وعمرو بن دينار، في خلق لا يُحْصَون. ومسانيده أكثر من أن تعد.

وكان مولده في سنة سبع وتسعين في خلافة سليمان بن عبد الملك، وتوفي في سنة إحدى وستين ومائة، وكان مستَخْفِياً بالبصرة في خلافة المهدي. وكلامه وأخباره كثيرة، وإنما اقتصرنا ها هنا على ما ذكرنا منها، لأننا قد جمعناها في كتاب يزيد على ثلاثين جزءاً، فكرهنا الإعادة في التصانيف. والله الموفق.

٤٤٤ ـ أسيد بن صلهب

عن الحسن بن صالح قال: قال أسيد بن صلهب: إن كنتُ لأدعو فتصرع الطيرُ حولي. قال الحسن: لولا أنه قد مات ما حدثت به عنه.

٤٤٥ ـ ٤٤٦ ـ علي والحسن ابنا صالح بن حي

قال محمد بن سعد: اسم صالح: حي، وهو صالح بن صالح، والد علي والحسن توأمان في

(١) في المطبوع: «فأتيتهم».

٤٤٥ ـ علي وصالح ابنا صالح بن حَيّ: ـ رحمهما الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٧٩)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٠).

بطن واحد، وكان علي تقدمه بساعة. فكان الحسن يعظمه ويقول: قال أبو محمد.

قال عبد الله بن هاشم الطوسي: سمعت وكيع بن الجراح يقول: كان علي والحسن ـ ابنا صالح ابن حي ـ وأمهم قد جزؤوا اليل ثلاثة أجزاء، فكان علي يقوم الثلث ثم ينام، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام، وتقوم أمهما الثلث، فماتت أمهما فجزّآ الليل بينهما، فكانا يقومان به حتى الصباح، ثم مات علي فقام الحسن به كله.

وقد روي لنا عن محمد بن صالح العجلي عن أبيه قال: كان يُخْتَم القرآنُ في بيتهم كل ليلة: أمهم ثلث، وعلي ثلث، وحسن ثلث، فماتت أمهما فكانا يختمانه، ثم مات علي فكان حسن يختم كل ليلة.

قال يحيى بن آدم: قال الحسن بن حي: قال لي أخي علي في الليلة التي تُوفي فيها: أخي اسقني ماء. وكنت قائماً أصلي، فلما قضيت صلاتي أتيته بماء فقلت: يا أخي. فقال: لبيك. فقلت: هذا ماء. قال: قد شربت الساعة. قلت: ومن سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك؟ قال: أتاني جبريل الساعة بماء فسقاني، وقال لي: أنت وأخوك وأبوك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وخرجت روحه.

عن عبد الرحمن بن مطرف قال: كان الحسن بن حي إذا أراد أن يعظ أخاً له كتبه في لوح وناوله.

عبد القدوس بن بكر بن خنيس قال: كان الحسن بن صالح وأخوه علي ـ وكان علي يفضل عليه ـ وكانا وأمهما يتعاونون على العبادة بالليل لا ينامون، وبالنهار لا يفطرون، فلما ماتت أمهما تعاونا على القيام والصيام عنهما وعن أمهما، فلما مات علي قام الحسن عن نفسه وعنهما.

وكان يقال للحسن: «حية الوادي» يعني أنه لا ينام بالليل. وكان يقول: إني لأستحيي من الله تعالى أن أنام تكلفاً حتى يكون النوم هو الذي يصرعني، وإذا نمت ثم استيقظت ثم عدت نائماً فلا أرقَدَ اللّهُ عيني.

وكان لا يقبل من أحد شيئاً، فيجيء إليه صبيُّه وهو في المسجد فيقول: أنا جائع فيُعِلّه بشيء حتى تذهب الخادم إلى السوق فتبيع ما غزلت هي ومولاتها من الليل، ثم تشتري قطناً وتشتري شيئاً من الشعير فتجيء به فتطحنه ثم تعجنه فتخبز ما يأكل الصبيان والخادم، وترفع له ولأهله إفطارهما، فلم يزل على ذلك حتى مات .رحمه الله.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: ما رأيت أحداً الخوفُ أظهرُ على وجهه والخشوعُ من الحسن بن حي، قام ليلة حتى الصباح بـ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [النبا] بآية فيها ثم غشي عليه، ثم عاد إليها فغشي عليه، فلم يختمها حتى طلع الفجر.

قال عباد أبو عقبة: بعنا جارية للحسن بن صالح فقال: أخبروهم أنها تنخمت عندنا مرة دماً.

قال الحجاج: وسمعت أبا نعيم يقول: قال الحسن بن صالح: فتشنا الورع فلم نجده في شيء أقل منه في اللسان.

سليمان بن إدريس المنقري قال: اشتهى الحسن بن حي سمكاً، فلما أُتي به ضرب بيده إلى سرة السمكة فاضطربت يده، وأمر به فرُفع، ولم يأكل منه شيئاً. فقيل له في ذلك؟ فقال: إني ذكرت لما ضربت بيدي إلى بطنها أن أول ما ينتن من الإنسان بطنه فلم أقدر أن أذوقه.

[عن] عبد الله بن صالح قال: حدثني خلف بن تميم: أن حسن بن صالح كان يصلي إلى السحر، ثم يجلس فيبكي في مصلاه، ويجيء علي فيبكي معه في حجرته. قال: وكانت أمهما تبكي الليل والنهار. قال: فماتت، ثم مات علي، ثم مات حسن. قال: فرأيت حسناً في منامي فقلت: ما فعلت الوالدة؟ قال: بُدِّلت بطول ذلك البكاء سرورَ الأبد. قلت: وعلي؟ قال: وعلي على خير. قلتُ: فأنت؟ فمضى وهو يقول: وهل نتكل إلا على عفوه؟.

[عن] عبيد الله بن موسى قال: كان حسن بن صالح إذا صعد إلى المنارة أشرف على المقابر فإذا نظر إلى الشمس تحوم على القبور صرخ حتى يُحمل مغشياً عليه فيُنزل به.

قال أبو محمد: ورأيت الحسن ذات يوم شهد جنازة، فلما قرب الميت ليُدفن نظر إلى اللحد فارفضّ عرقاً، ثم قال: فغشي عليه، فحُمِل على السرير الذي كان عليه الميت فرُدَّ إلى منزله.

[عن] إسحاق بن منصور السلولي قال: نظر حسن إلى المقابر وهو قائم يؤذن فصرخ وقطع أذانه وسقط مغشياً عليه.

قال: حدثني رجل من جيرانه أنه قال: كنا نسمع صراخه ونحيبه إذا صعد إلى الأذان كما نسمع صراخ أهل المصيبة. وقال: وكثيراً ما كان يُغشى عليه حتى يؤذِّن غيره.

قال المؤلف: أسند علي وحسن عن جماعة من التابعين، وحديث الحسن أكثر.

قال حنبل: سمعت أبا نعيم يقول: مات علي بن صالح سنة أربع وخمسين، ومات أخوه الحسن بعده بثلاث عشرة سنة.

قال حنبل: وقال يحيى بن معين: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ولد الحسن بن صالح سنة مائة، وقال: مات سنة تسع وستين ومائة.

٤٤٧ ـ حمزة بن عمارة الزيات

يكنى أبا عمارة، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي، وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان.

ويجلب الجبن والجوز إلى الكوفة، وكان صاحب قرآن وسنة وفرائض.

قال أبو المنذر يعلى بن عقيل: كان الأعمش إذا رأى حمزة قد أقبل قال: هذا حَبر القرآن.

قال جرير بن عبد الحميد: مر بنا حمزة الزيات فاستسقى، فأتيته بماء. فقال: أنت ممن يحضرنا في القراءة؟ قلت نعم. قال: لا حاجة لي في مائك.

---

٤٤٧ ـ حمزة الزيّات ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٨٨)، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٨)، ميزان الاعتدال (١/ ٢٢٩٧).

قال خلف بن هشام البزاز: قال لي سليم بن عيسى: دخلت على حمزة بن حبيب الزيات فوجدته يمرغ خديه في الأرض ويبكي! فقلت: أعيذك بالله. فقال: لماذا استعذت؟ رأيت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت وقد دعي بقراء القرآن، فكنت فيمن حضر، فسمعت قائلاً يقول بكلام عذب: لا يدخل علي إلا من عمل بالقرآن. فرجعت القهقرى فهتف باسمي: أين حمزة بن حبيب الزيات؟ فقلت: لبيك داعيَ الله. فبدرني ملَك فقال: قل: لبيك اللهم، فقلت: لبيك ـ كما قال لي ـ فأدخلني داراً فسمعت فيها ضجيج القرآن، فوقفت أرعَد. فسمعت قائلاً يقول: لا بأس عليك: ارقَ واقرأ. فأدرت وجهي فإذا أنا بمنبر من در أبيض، دفتاه من ياقوت أصفر، مراقيه من زبرجد أخضر، فقال لي: ارق واقرأ. فرقيت، فقال لي: اقرأ سورة ﴿الأنعام﴾، فقرأت وأنا لا أدري على من أقرأ، حتى بلغت الستين آية فلما بلغت: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] قال لي: يا حمزة ألستُ القاهرَ فوق عبادي؟ فقلت: بلى. قال: صدقت، اقرأ. فقرأت حتى ختمتها ثم قال لي: اقرأ فقرأت ﴿الأعراف﴾ حتى بلغت آخرها، فأومأت إلى الأرض بالسجود فقال لي: حسبك ما مضى، لا تسجد يا حمزة، من أقرأك هذه القراءة؟ فقلت: سليمان. قال: صدقت، من أقرأ سليمان؟ قلت: يحيى. قال: صدق يحيى؛ على من قرأ يحيى؟ فقلت: على أبي عبد الرحمن السلمي. قال: صدق أبو عبد الرحمن السلمي، من أقرأ أبا عبد الرحمن؟ فقلت: ابن عم نبيك عليٌّ. فقال: صدق علي، فمن أقرأ علياً؟ قلت: نبيك محمد ﷺ. قال: ومن أقرأ نبيي؟ قال: قلت: جبريل عليه السلام. قال: ومن أقرأ جبريل؟ قال: فسكتُّ. فقال لي: يا حمزة قل: أنت. قال: فقلت: ما أجسر أن أقول. فقال: [قل: أنتَ] فقلت: أنت.

قال: صدقت يا حمزة، وحق القرآن لأُكرمن أهل القرآن لا سيما إذا عملوا بالقرآن، يا حمزة: القرآن كلامي وما أحب أحداً كحبي أهل القرآن، ادن يا حمزة. فدنوت فضمخني بالغالية وقال: ليس أفعل بك وحدك، قد فعلت ذاك بنظرائك ممن فوقك ومن دونك، ومن أقرأ القرآن كما أقرأته لم يُرِدْ بذلك غيري، وما خبأت لك يا حمزة عندي أكثر، فأعلِمْ أصحابك بمكاني من حبي لأهل القرآن وفعلي بهم، فهم المصطَفون الأخيار، يا حمزة وعزتي وجلالي لا أعذب لساناً تلا القرآن بالنار، ولا قلباً وعاه، ولا أذناً سمعته، ولا عيناً نظرته.

فقلت: سبحانك سبحانك وأنى تُرى؟ فقال: يا حمزة أين نظّار المصاحف؟ فقلت: يا رب أفحفاظ هم؟ قال: لا، ولكني أحفظه لهم حتى يوم القيامة، فإذا لقوني رفعت لهم بكل آية درجة [قال حمزة:] أفتلومني أن أبكي وأتمرغ في التراب!

قال المؤلف: أسند حمزة عن الأعمش، وحمران بن أعين، وسمع منه وكيع، وتوفي بحلوان سنة ست وخمسين ومائة.

قال أبو مسحل: رأيت الكسائي في النوم كأن وجهه البدر فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بالقرآن. فقلت: ما فعل بحمزة الزيات؟ قال: ذاك في علّيين، ما نراه إلا كما يُرى الكوكب الدري.

٤٤٨ ـ محمد بن النضر الحارثي

يكنى أبا عبد الرحمن: قال أبو أسامة: كان محمد بن النضر من أعبد أهل الكوفة.

قال الحسن بن الربيع: سمعت عبثراً أبا يزيد يقول: اختفى عندي محمد بن النضر من يعقوب ابن داود في هذه العلية ـ لعلية على باب داره ـ أربعين ليلة، فما رأيته نائماً ليلاً ولا نهاراً.

قال الحسن بن الربيع: سمعت ابن المبارك يقول: كنت مع محمد بن النضر في سفينة فقلت: بأي شيء أستخرج منه الكلامَ؟ فقلت: ما تقول في الصوم في السفينة؟ فقال: إنما هي المبادرة.

قال: فجاء بفتوى غيره، فتوى النخعي والشعبي.

عن أبي أسامة قال: قلت لمحمد بن النضر: كأنك تكره أن تُزار؟ فقال: أجل. قلت: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: «أنا جليس من ذكرني»(١).

قال خالد بن يزيد: سمعت محمد بن النضر يقول: شغل الموتُ قلوبَ المتقين عن الدنيا، والله ما رجعوا منها إلى سرور بعد معرفتهم بكربه وغصصه.

قال المبارك: كان محمد بن النضر إذا ذكر الموت اضطربت مفاصله حتى تبين الرِّعْدة فيها.

قال الحسن بن الربيع: حدثني رجل من ولد الزبير بن العوام قال: صحبت محمد بن النضر من عبادان إلى الكوفة فما سمعته يتكلم بكلمة حتى افترقنا.

قال جرير بن زياد الحارثي: كنت مسافراً مع محمد بن النضر إلى مكة، وكان إذا قيل له: الرحيلَ. تقدم على رأس ميلين فلا يزال يصلي حتى إذا سمع حس الإبل تقدم أيضاً فلا يزال كذلك حتى يصلي العصر ثم يركب.

قال أبو مريم: سمعت محمد بن صبيح يقول: قال محمد بن النضر الحارثي: كان يقال: الجوع يبعث على البر كما تبعث البِطْنة على الأشَر.

قال المصنف: كان محمد بن النضر مشغولاً بالعبادة عن الرواية، وقد أرسل الأحاديث عن النبي ﷺ ولم يَصِلْها.

٤٤٩ ـ ورَّاد العجلي

[عن] عمرو بن حفص بن غياث، عن أبيه قال: كنا ذات يوم عند ابن ذر وهو يتكلم، فذكر رواجف القيامة وزلزالها، فوثب رجل من بني عجل يقال له وراد، فجعل يبكي ويصرخ ويضطرب، فحمل من بين القوم صريعاً. فقال ابن ذر: ما الذي قصر بنا وكَلَّمَ قلبَهُ حتى أبكاه؟ والله إنْ هذا ـ يا أخا بني عجل ـ إلا من صفاء قلبك وتراكم الذنوب على قلوبنا.

---

٤٤٨ ـ محمد بن النضر الحارثي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٦٩).

(١) أخرج ابن حبان في صحيحه (٣/ ٩٧ برقم ٨١٤)، وأحمد (٢/ ٥٤٠)، عن أبي هريرة: «إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بيَ شفتاه» وأخرجه بلفظة ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١٠٨) و(٧/ ٧٣) والبيهقي في الشعب (١/ ٤٥١ و٤٥٨) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٤٢) و(٨/ ٢١٧).

قال عمر: قال أبي: وكنت أرى ورّاداً ـ هذا العجلي ـ يأتي إلى المسجد مقنّع الرأس، فيعتزل ناحية فلا يزال مصلياً وباكياً وداعياً ما شاء الله من النهار، ثم يخرج فيعود فيصلي الظهر، فهو كذلك بين صلاة وبكاء حتى يصلي العشاء، ثم يخرج لا يكلم أحداً ولا يجلس إلى أحد، فسألت عنه رجلاً من حيه ووصفته له؟ قلت: شاب من صفته، من هيئته؟ فقال: بخ يا أبا عمر، أتدري عمن تسأل؟ ذاك وراد العجلي، ذاك الذي عاهد الله ألا يضحك حتى ينظر إلى وجه رب العالمين.

قال أبي: وكنت إذا رأيته بعدُ هبته.

قال عمر: وحدثني سكين بن مسكين ـ رجل من بني عجل ـ قال: كان بيننا وبين ورّاد قرابةٌ، فسألت أختاً كانت له أصغر منه فقلت: كيف كان ليله؟ قالت: يبكي عامة الليل ويصرخ. قلت: فما كان طُعمُه؟ قالت: قرصاً في أول الليل وقرصاً في آخره؛ عند السَّحَر. قلت: فتحفظين من دعائه شيئاً؟ قالت: نعم، كان إذا كان السحر أو قريب من طلوع الفجر سجد ثم بكى ثم قال: مولاي عبدك يحب الاتصال بطاعتك فأَعِنه عليها بتوفيقك يا أيها المنان، مولاي عبدك يحب اجتناب سخطك فأعنه على ذلك بمنك أيها المنان، مولاي عبدك عظيم الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءه يوم يفرح الفائزون.

قالت: فلا يزال على هذا ونحوه حتى يصبح.

قال: وكان قد كَلَّ من الاجتهاد جداً وتغير لونه.

قال سكين: فلما مات وراد فحمل إلى حفرته نزلوا إليه ليدفنوه في حفرته، فإذا اللحد مفروش بالريحان، فأخذ بعض القوم الذين نزلوا إلى القبر من ذلك الريحان شيئاً، فمكث سبعين يوماً طرياً لا يتغير، يغدو الناس ويروحون وينظرون إليه، قال: فكثر الناس من ذلك حتى خاف الأمير أن يفتتن الناس، فأرسل إلى الرجل فأخذ ذلك الريحان، وفرق الناس.

قال: وفقده الأمير من منزله لا يدري كيف ذهب؟

٤٥٠ ـ أسيد الضبي

عبد الرحمن بن مالك بن مغول قال: بكى أسيد الضبي حتى عمي، وكان إذا عوتب على البكاء قال: الآن حين لا أهدأ وأنا أموت غداً؟ والله لأبكين ثم لأبكين، فإن أدركت بالبكاء خيراً فبمنٍّ الله وفضله عليّ، وإن تكن الأخرى فما بكائي في جنب ما ألقى غداً؟ قال: فكان ربما بكى حتى يتأذى به جيرانه من كثرة بكائه.

من الطبقة السابعة من أهل الكوفة

٤٥١ ـ أبو بكر بن عياش

مولى واصل بن حيان الأحدب الأسدي، وقد اختلفوا في اسمه؛ فقيل: شعبة. وقيل: محمد.

---

٤٥١ ـ أبو بكر بن عياش ـ رحمه الله ـ: ذكره المؤلف في تاريخه (٩/ ٢٣٢)، قائلاً: أبو بكر بن عياش بن سالم بن الحنّاط... ا.هـ. وانظره في تاريخ بغداد (١٤/ ٣٧١)، التاريخ الكبير (٩/ ١٤)، الحلية (٧/ ٣٠٣)، شذرات =

وقيل: مطرف. والصحيح: أنه لا يُعْرَف إلا بكنيته.

قال رستم بن أسامة: حدثني إبراهيم بن رستم الخياط، عن أبي بكر بن عياش قال: قال لي رجل مرة وأنا شاب: خلِّص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رقّ الآخرة، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبداً. قال أبو بكر: فما نسيتها أبداً.

قال يحيى الحماني: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: أتيت زمزم فاستسقيت منها عسلاً، وأتيتها فاستسقيت منها لبناً، وأتيتها فاستسقيت منها ماء.

قال دلويه: سمعت علياً ـ يعني ابن محمد ابن أخت يعلى بن عبيد ـ يقول: مكث أبو بكر بن عياش عشرين سنة قد نزل الماءُ في إحدى عينيه ما يعلم به أهله.

[عن] محمد بن الحجاج بن جعفر بن إياس بن نذير الضبي قال: كان أبو بكر بن عياش يقوم الليل في قباء صوف وسراويل وعكازة يضعها في صدره فيتكئ عليها حين كبر فيحيي ليلته.

[عن] الحسين بن إدريس قال: قال ابن عمار: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: صمت ثمانين رمضاناً.

[عن] إسحاق بن الحسين قال: كان أبو بكر بن عياش لما كبر يأخذ إفطاره، ثم يغمسه في الماء في جر(١) كان له في بيت مظلم، ثم يقول: يا ملائكتي طالتْ صحبتي لكما، فإن كان لكما عند الله شفاعة فاشفعا لي.

عن أبي هشام الرفاعي قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول لي: غرفة قد عجزت عن الصعود إليها، وما يمنعني من النزول منها إلا أني أختم القرآن كل يوم وليلة منذ [ستين](٢) سنة.

[عن] أحمد بن نصر قال: سمعت إبراهيم بن رستم يقول: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: من لم يطلب العلم لم يرزق عقلاً.

[عن] يزيد بن هارون ـ وذكر عنده أبو بكر بن عياش ـ فقال: كان أبو بكر بن عياش خيّراً فاضلاً لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة.

قال أبو عيسى النخعي: لم يُفرَش لأبي بكر بن عياش فراش خمسين سنة.

[عن] أحمد بن محمد بن مسروق قال: سمعت الحماني يقول: لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية التي في البيت قد ختم أخوكِ في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة.

[عن] إبراهيم بن أبي بكر بن عياش قال: بكيت عند أبي حين حضرته الوفاة. فقال: ما يبكيك؟ أترى الله يضيّع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة؟.

= الذهب (١/ ٣٣٤)، العبر (١/ ٣٠٤)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩٥)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٦٥)، معرفة القراء الكبار (١/ ١١٠).

(١) جَرّ: جمع جَرّة. وهي المصنوعة من الخزف.

(٢) في المطبوع «ستون».

[عن] الهيثم بن خارجة قال: رأيت أبا بكر بن عياش في النوم، قدامه طبق رطب مسكّر. فقلت له: يا أبا بكر ألا تدعونا وقد كنت سخياً على الطعام؟ فقال لي: يا هيثم هذا طعام أهل الجنة، لا يأكله أهل الدنيا. قال قلت: وبم نلت؟ قال: تسألني عن هذا وقد مضت علي ست وثمانون سنة أختم في كل ليلة منها القرآن؟.

أسند أبو بكر بن عياش عن الأعمش ومن في طبقته، وتوفي بالكوفة في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقد جاوز التسعين بثلاث سنين، وقيل: بست.

٤٥٢ ـ عبد الله بن إدريس

ابن يزيد بن عبد الرحمن أبو محمد الأودي: [عن] عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي ذكر ابن إدريس فقال: كان نسيجَ وحدِه.

وفي رواية أخرى عن أحمد أنه قال: رأيت عبد الله بن إدريس وعليه جبة لبود وقد أتى عليه الدهور والسنون.

[عن] الحسن بن الربيع قال: كنت عند عبد الله بن إدريس فلما قمت قال لي: سل عن سعر الأشنان.

فلما مشيت ردني وقال لي: لا تسأل فإنك تكتب عني الحديث، وأنا أكره أن أسأل من يسمع عني الحديث حاجة.

[عن] حماد بن المؤمل قال: حدثني شيخ على باب بعض المحدثين قال: سألت وكيعاً عن مقدَمه هو وابن إدريس وحفص على هارون الرشيد؟ فقال: كان أول من دعا به أنا، فقال لي هارون: يا وكيع إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً وسموك لي فيمن سموا، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي! فقلت: يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير وإحدى عيني ذاهبة والأخرى ضعيفة. فقال هارون: اللهم غفراً، خذ عهدك أيها الرجل وامض. فقلت: يا أمير المؤمنين، والله لئن كنتُ صادقاً إنه لينبغي أن يقبل مني، ولئن كنتُ كاذباً فما ينبغي أن تولّي القضاء كذاباً. فقال: اخرج. فخرجت.

ودخل ابن إدريس فسمعنا وقع ركبتيه على الأرض حين برك، وما سمعناه يسلم إلا سلاماً خفياً. فقال له هارون: أتدري لمَ دعوتك؟ قال: لا. قال: إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً، وإنهم سموك لي فيمن سموا، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي، وأدخلك في صالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخذ عهدك وامض. فقال له ابن إدريس: وأنا وددت أني لم أكن رأيتك! فخرج.

ثم دخل حفص فقبل عهده، فأتى خادم معه ثلاثة أكياس في كل كيس خمسة آلاف فقال لي: إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لكم: قد لزمتكم في شخوصكم مؤونةٌ؛ فاستعينوا بهذه في سفركم.

---

٤٥٢ ـ عبد الله بن إدريس الأودي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٩/ ٢٠٢)، تاريخ بغداد (٩/ ٤١٥)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ٢٠٨) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٨٣)، العبر (١/ ٣٠٨)، الكاشف (٢/ ٧١)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٨٩)، شذرات الذهب (١/ ٣٣٠)، الجرح والتعديل (٥/ ٨).

قال وكيع: فقلت له: أقرئ أمير المؤمنين السلام وقل له: قد وقعتْ مني بحيث يحب أمير المؤمنين وأنا مستغنٍ عنها. وأما ابن إدريس فصاح به: مر من ها هنا. وقبلها حفص.

وخرجت الرقعة إلى ابن إدريس من بيننا: عافانا الله وإياك، سألناك أن تدخل في أعمالنا فلم تفعل، ووصلناك من أموالنا فلم تقبل، فإذا جاءك ابني المأمون فحدثه إن شاء الله. فقال للرسول: إذا جاءنا مع الجماعة حدثناه إن شاء الله.

ثم مضينا فلما صرنا إلى الياسرية التفتَ ابن إدريس إلى حفص فقال: قد علمت أنك ستُبلى، والله لا أكلمك حتى تموت. فما كلمه حتى مات.

قال أبو بكر المروزي: سمعت علي بن شعيب يقول: لما قدم شعيب بن حرب على يوسف بن أسباط رأى عنده شاباً يكلم يوسف ويغلظ له، أو قال: رفع صوته، فقال له شعيب: ترفع صوتك؟ فقال له يوسف: يا أبا صالح إنه ابن إدريس، إنه يدري من أين يأكل؟.

قال أحمد بن إبراهيم: حدثني سهل بن محمود، عن عبد الله بن إدريس قال: لو أن رجلاً انقطع إلى رجل لعرف ذلك له، فكيف بمن له السموات والأرض.

قال محمد بن المنذر: حج الرشيد ومعه الأمين والمأمون، فدخل الكوفة فقال لأبي يوسف: قل للمحدثين يأتونا يحدثونا. فلم يتخلف عنه من شيوخ الكوفة إلا اثنان: عبد الله بن إدريس، وعيسى بن يونس.

فركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس فحدثهما بمائة حديث. فقال المأمون لعبد الله بن إدريس: يا عم أتأذن لي أن أعيدها عليك من حفظي؟ قال: افعل. فأعادها عليه، فعجب عبد الله، فقال المأمون: يا عم: إلى جانب مسجدك دار إن أذنت لنا اشتريناها ووسعنا بها المسجد.

فقال: ما لي إلى هذا حاجة، قد أجزأ من كان قبلي وهو يجزئني. فنظر إلى قَرح في ذراع الشيخ، فقال: إن معنا متطببين وأدوية، أتأذن أن يجيئك من يعالجك؟ قال: لا، قد ظهر بي مثل هذا وبرأ. فأمر له بمال، فأبى أن يقبله.

قال حسين بن عمرو العنقزي: لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته فقال: لا تبكي فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

سمع عبد الله بن إدريس من الأعمش، وأبي إسحاق الشيباني وخلق كثير، وجمع بين العلم والزهد، ومولده سنة خمس عشرة ومائة. وتوفي في سنة اثنتين وتسعين ومائة.

٤٥٣ ـ وكيع بن الجراح بن مليح

يكنى أبا سفيان الرواسي: قال عبيد الله بن ثابت الجزري: سمعت عباساً الدوري يقول: قال لي

---

٤٥٣ ـ وكيع بن الجَرَّاح ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ٤٢)، تاريخ بغداد (١٣/ ٤٦٦)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٠)، التاريخ الكبير (٨/ ١٧٩)، شذرات الذهب (١/ ٣٤٩)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٢٣)، العبر (١/ ٣٢٤)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٠٦)، الحلية (٨/ ٣٦٨)، الجرح والتعديل (١/ ٢١٩).

أحمد بن حنبل: لو رأيت وكيعاً لعلمت أنك ما رأيت مثله.

[عن] محمد بن أيوب بن المعافى قال: سمعت إبراهيم الحربي يقول: سمعت أحمد بن حنبل ذكر يوماً وكيعاً فقال: ما رأت عيناي مثله قط، يحفظ الحديث جيداً، ويذاكر بالفقه فيحسن، مع ورع واجتهاد، ولا يتكلم في أحد.

[عن] بشر بن موسى قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما رأيت رجلاً مثل وكيع في العلم والحفظ والحلم مع خشوع وورع.

[عن] يحيى بن أكثم قال: صحبت وكيعاً في السفر والحضر، وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة.

[عن] يحيى بن معين قال: ما رأيت أفضل من وكيع بن الجراح، كان يستقبل القبلة، ويحفظ حديثه، ويقوم الليل، ويسرد الصوم.

[عن] يحيى بن أيوب قال: حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه قالوا: كان وكيع لا ينام حتى يقرأ ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصَّل، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر فيصلي ركعتين.

[عن] إبراهيم بن وكيع قال: كان أبي يصلي الليل فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلى، حتى إن جارية لنا سوداء لتصلي.

[عن] أحمد بن محمد قال: أخبرني بعض أصحابنا عن وكيع قال: أغلظ رجل لوكيع بن الجراح، فدخل وكيع بيتاً فعفّر وجهه في التراب ثم خرج إلى الرجل فقال: زد وكيعاً بذنبه، فلولاه ما سُلِّطت عليه.

[عن] سلم بن جنادة قال: جالست وكيع بن الجراح سبع سنين فما رأيته بزق، ولا رأيته مسَّ حصاة بيده، وما رأيته جلس مجلسه فتحرك، وما رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله.

[عن] الحسين بن أبي زيد قال: صاحبت وكيع بن الجراح إلى مكة فما رأيته متكئاً، ولا رأيته نائماً في محمله.

[عن] علي بن خشرم قال: سمعت وكيع بن الجراح يقول: زكاة الفطر لشهر رمضان كسجدتي السهو للصلاة؛ تجبر نقصان الصوم كما يجبر السهو نقصان الصلاة.

أسند وكيع عن الأئمة الأعلام: كإسماعيل بن أبي خالد، وهشام بن عروة، والأعمش، وابن عون، وابن جريج، والأوزاعي، وشعبة، وسفيان.

وحدث وكيع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وجلس بعد موت الثوري في مكانه، وصنف التصانيف الكثيرة، وكان مولده في سنة تسع وعشرين، وقيل: ثمان وعشرين ومائة، وحج سنة ست وتسعين، فلما رجع توفي بفَيد في محرم سنة سبع وتسعين، وهو ابن ست وستين سنة.

٤٥٤ ـ حسين بن علي الجعفي

يكنى أبا عبد الله: كان من العلماء العُبَّاد، وكان سفيان الثوري إذا رآه عانقه وقال: هذا راهب جعفي. وكان سفيان بن عيينة يعظمه.

وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت بالكوفة أفضل من حسين الجعفي، كان يُشَبَّه بالراهب.

[عن] محمد بن عبيد الرحبي قال: سمعت أبا بكر بن سماعة قال: كنا عند ابن أبي عمر العدني بمكة فسمعناه يقول: قدم علينا هارون قَدْمَةً إلى هذا المسجد فأخبرني الخادم الذي كان معه قال: كنت معه ومعه جعفر بن يحيى فخرجنا جميعاً حتى صرنا إلى الثنية، فقال لي: سل عن حسين بن علي الجعفي؟. فلقيت رجلاً فقلت: حسين بن علي الجعفي؟ فقال: ها هو ذا يطلع عليك راكباً حماراً وخلفه أسود يقود أحمالاً له. فإذا هو قد طلع فقلت: هذا هو يا أمير المؤمنين. فلما حاذاه قام إليه فقبل يده، أو قال: رِجله، فقال له جعفر بن يحيى: يا شيخ تدري من المسلِّم عليك؟ أمير المؤمنين هارون! فالتفت إليه حسين فقال له: أنت يا حسن الوجه، أنت مسؤول عن هذا الخلق كلهم! فقعد يبكي.

وأتانا آتٍ ونحن عند ابن عيينة فقال لسفيان: قدم حسين بن علي الجعفي فقام إليه يتلقاه وخرجنا معه، فلما صار في الطريق إلى «باب بنى» لقيه فضيل بن عياض فقال له: أين تريد يا أبا محمد؟ فقال: قدم حسين الجعفي فأردت لقاءه. فقال: أنا معك. فخرجا يمشيان جميعاً ونحن خلفهما، فلما صرنا في أصحاب اللواء إذا حسين راكب حماراً فتقدم إليه فضيل، فقبل رجله، وتقدم سفيان فقبل يده، أو قبل سفيان رجله، وقبل فضيل يده، فقال له فضيل: بأبي رجل تعلمت القرآن على يديه، أو علمني الله القرآن على يده! ثم دخل المسجد فطاف بالكنية[1]، وجاء إلى الأسطوانة الحمراء، فقعد عندها فأكب الناس عليه.

سمع حسين الجعفي من القاسم بن الوليد، وزائدة وغيرهما، وتوفي في ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين.

٤٥٥ ـ محمد بن صبيح بن السماك

يكنى أبا العباس: قال أحمد بن حماد: كان ابن السماك يقول: يا ابن آدم إنما تغدو في كسب الأرباح فاجعل نفسك فيما تكسبه، فإنك لم تكسب مثلها.

قال أبو المغيرة بن شعيب: حضرت يحيى بن خالد البرمكي يقول لابن السماك: إذا دخلت على هارون أمير المؤمنين فأوجز ولا تكثر عليه. قال: فلما دخل عليه وقام بين يديه قال: يا أمير المؤمنين

---

٤٥٤ ـ حسين بن علي الجعفي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ١١٧).

(١) كذا هي في المطبوع «كنية» بالنون، ولعلها «بالكتبة» جمع كاتب بالتاء!

٤٥٥ ـ محمد بن صبيح بن السماك ـ رحمه الله ـ: الحلية (٨/ ٢٠٣)، تاريخ ابن الجوزي (٩/ ٨٦)، تاريخ بغداد (٥/ ٣٦٨)، شذرات الذهب (١/ ٣٠٣)، العبر (١/ ٢٨٧).

إن لك بين يدي الله تعالى مقاماً، وإن لك من مقامك منصرفاً، فانظر إلى أين منصرفك: إلى الجنة أم إلى النار؟ قال: فبكى هارون حتى كاد يموت.

قال إبراهيم بن سلمة الشعبي قال: سمعت ابن السماك يقول: من امتطى الصبر قوي على العبادة، ومن أجمع اليأس استغنى عن الناس، ومن أهمته نفسه لم يول مرمَّتها غيره، ومن أحب الخير وُفق له، ومن كره الشر جُنِّبه، ومن رضي الدنيا من الآخرة حظاً فقد أخطأ حظ نفسه.

قال عبد الله بن صالح: سمعت ابن السماك ـ وكتب إلى أخ له ـ: أما بعد، أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيُّك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعله من بالك على حالك، وخفه بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه، ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، فليعظم منه حذرك، وليكثر منه وجَلك، واعلم أن الذنب من العاقل أعظم من الأحمق، ومن العالم أعظم من الجاهل، وقد أصبحنا أَدِلاَّء بزعمنا، والدليل لا ينام في البحر، وقد كان عيسى عليه السلام يقول: حتى متى تِصفون الطريق للدالجين وأنتم مقيمون في محلة المتحيرين؟ تُصَفُّون البعوض من شرابكم وتسترطون[1] الجمال بأحمالها! أي أخي كم من مذكر بالله ناسٍ لله، وكم من مخوف بالله جريء على الله! وكم من داع إلى الله فار من الله! وكم تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله. والسلام.

قال عباية بن كليب: سمعت ابن السماك يقول: سَبُعك بين لحَيَيك تأكل به كل من مرَّ عليك، قد آذيت أهل الدور في الدور حتى تعاطيت أهل القبور، فما ترثى لهم وقد جرى البلى عليهم؟ وأنت ها هنا تنبشهم! إنما نرى أن نبشهم أخذُ الخرق عنهم، إذا ذكرت مساويهم فقد نبشتهم، إنه ينبغي لك أن يدلك على ترك القول في أخيك ثلاث خلال؛ أما واحدة: فلعلك أن تذكره بأمر هو فيك فما ظنك بربك إذا ذكرت أخاك بأمر هو فيك؟ ولعلك تذكره بأمرٍ فيك أعظمُ منه! فذلك أشد استحكاماً لمقته إياك، ولعلك تذكره بأمر قد عافاك الله منه فهذا جزاؤه إذ عافاك! أما سمعت: ارحم أخاك واحمد الذي عافاك؟.

قال الحسين بن عبد الرحمن: كان ابن السماك يقول: من أذاقته الدنيا حلاوتها لميله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها.

قال أبو الحسين علي بن الحسين الفقيه: سمعت عبد الله بن محمد بن السماك يقول: سمعت أبي يقول: إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاش ما بعده فسأل الرجعة فأُسعِف بطلبه وأُعطِي حاجته فهو متأهب مبادر: فافعل، فإن المغبون من لم يقدم من ماله شيئاً، ومن نفسه لنفسه.

قال أبو جعفر الربعي: لما حضرت ابنَ السماك الوفاةُ قال: اللهم إني ـ وإن كنت أعصيك ـ لقد كنت أحب فيك من يطيعك.

أسند ابنُ السماك عن عدة من التابعين منهم: إسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وهشام بن عروة.

---

(١) سَرَطَهُ: ابتَلَعه.

وروى عنه من الأئمة حسين الجعفي، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأحمد بن حنبل.

وهو كوفي، لكنه قدم بغداد فمكث بها مدة، ثم عاد إلى الكوفة، فتوفي فيها سنة ثلاث وثمانين ومائة.

ومن الطّبَقَة الثامنة من أهل الكوفة

٤٥٦ ـ أبو داود [الجفري]

واسمه [عمرو بن شعيب]: أبو بكر المروزي قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: رأيت أبا داود [الجفري] وعليه جبة مخرقة وقد خرج القطن منها يصلي بين المغرب والعشاء وهو يترجح من الجوع.

الحسين بن علي الصدائي قال: جئت إلى أبي داود [الجفري] فدققت الباب عليه فقال: من هذا؟ فقلت: رجل من أصحاب الحديث. فقال لي: اصبر علي. فاطلعت من كوة في الباب فإذا هو متزر بمئزر وهو يغزل صوفاً يتعيّش منه، فأخذ الصوف فوضعه في كوة وأخذ عليه ثوباً وأدخلني الدار إلى مسجد له، فقعد معي، ولم يكن في الدار سقف غير سقف رأيته على الدهليز، فأملى علي حتى فني ورقي. وقال لي: ألك حاجة؟ أو تكتب شيئاً آخر؟ فما رأيت رجلاً يحدث لله عز وجل مثله.

قال ابن عبدويه: وسمعت عباساً الدوري يقول: حدثنا أبو داود [الجفري]، ولو رأيتَ أبا داود لرأيت رجلاً كأنه اطَّلع إلى النار فرأى ما فيها.

أسند أبو داود [الجفري] عن الثوري وغيره. وتوفي سنة ثلاث ومائتين.

٤٥٧ ـ بهيم العجلي

يكنى أبا بكر، روى عن أبي إسحاق الفزاري.

قال داود بن يحيى بن يمان عن أبيه: قال بهيم: إنما أخاف أن تَدَفَّقُ علي الدنيا دفقة فتعريني[1].

قال معاوية بن عمرو: كان بهيم رجلاً طوالاً شديد الأدمة، إذا رأيته رأيت رجلاً حزيناً.

---

٤٥٦ ـ في المطبوع كله: أبو داود الحفري واسمه: عمر بن سعد ا.هـ. وبالرجوع إلى تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ١٠٩)، وفيات سنة (٢٠٣هـ)، ذكره باسم عمرو بن شعيب: أبو داود الجفري ا.هـ. ونقل قول عباس الدوري في أبي داود هذا الموجود هنا قبيل نهاية الترجمة. فسنةُ الوفاة وقولُ الدوري وقول الإمام أحمد أول الترجمة كل ذلك: رجِّح لدينا أنه عمرو بن شعيب: أبو داود الجفري، وقد ذكر محققو «المنتظم» أن نسخة مخطوطة فيها: ابن سعد ا.هـ. طبع دار الكتب العلمية. وانظر سير أعلام النبلاء (٥/ ١٦٥)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٨٥)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٣٨)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٨)، ميزان الاعتدال (٣/ ٦٣)، العبر (١/ ١٤٨)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤١)، شذرات الذهب (١/ ١٥٥).

٤٥٧ ـ بهيم العجلي ـ رحمه الله ـ: الجرح والتعديل (٢/ ٤٣٦) ثقات ابن حبان (٨/ ١٥٣) لسان الميزان (٢/ ٦٨). تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ١٥١).

(١) كذا في المطبوع، ولها وجهٌ، وربما هي: «فتُغريني»!!

قال شهاب بن عباد: رأيت بهيماً العجلي وكان قد بكى حتى سقطت أشفاره، وكان رطب العينين جداً، فقلت لابن أخ له: ما شأنه يمس عينيه كثيراً؟ قال: قد فسدت من كثرة ما يبكي، فهي تحكّة وتضرب عليه.

قال معاذ بن زياد: لما اتُّخذت «عبادان» سكنها قوم نسّاك فيهم رجل يقال له: بهيم، وكان رجلاً حزيناً يزفر الزفرة فتسمع زفيره.

قال مُخَوَّل: جاءني بهيم يوماً فقال لي: تعلم لي رجلاً من جيرانك أو إخوانك يريد الحج ترضاه يرافقني؟ قلت: نعم. فذهبت إلى رجل من الحي له صلاح ودين فجمعت بينهما وتواطيا على المرافقة. ثم انطلق بهيم إلى أهله، فلما كان بعدُ أتاني الرجل فقال: يا هذا أحب أن تزوي عني صاحبك وتطلب رفيقاً غيري[1]. فقلت: ويحك فلم؟ فوالله ما أعلم في الكوفة له نظيراً في حسن الخلق والاحتمال، ولقد ركبت معه البحر فلم أر إلا خيراً. قال: ويحك حدِّثت أنه طويل البكاء لا يكاد يفتر، فهذا ينغص علينا العيش سفرَنا كله! قال: قلت: ويحك إنما يكون البكاء أحياناً عند التذكرة يرق القلب فيبكي الرجل، أو ما تبكي أنت أحياناً؟ قال: بلى، ولكنه قد بلغني عنه أمر عظيم جداً من كثرة بكائه. قال: قلت: اصحبه فلعلك أن تنتفع به. قال: أستخير الله.

فلما كان اليوم الذي أرادا أن يخرجا فيه جيء بالإبل، ووُطِّئ لهما، فجلس بهيم في ظل حائط فوضع يده تحت لحيته وجعلت دموعه تسيل على خديه، ثم على لحيته ثم على صدره، حتى والله رأيت دموعه على الأرض.

قال: فقال لي صاحبي: يا مخول قد ابتدأ صاحبك، ليس هذا لي برفيق. قال: قلت: ارفق، لعله ذكر عياله ومفارقته إياهم فرقَّ! وسمعها بهيم فقال: يا أخي والله ما هو بذاك، وما هو إلا أني ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة. قال: وعلا صوته بالنحيب.

قال: يقول لي صاحبي: والله ما هي بأول عداوتك لي وبغضك إياي، ما لي ولبهيم؟ إنما كان ينبغي أن ترافق بين بهيم وبين داود الطائي وسلام بن الأحوصِ، حتى يَبكي بعضُهم إلى بعض حتى يشتفوا، أو يموتوا جميعاً.

قال: فلم أزل أرفق به وأقول: ويحك لعلها خير سفرة سافرتَها.

قال: وكان طويل الحج؛ رجلاً صالحاً، إلا أنه كان رجلاً تاجراً موسَراً مقبلاً على شأنه، لم يكن صاحب حزن ولا بكاء، قال: فقال لي: قد وقعت مرَّتي هذه، ولعلها أن تكون الأخيرة.

قال: وكل هذا الكلام لا يعلم به بهيم، ولو علم بشيء منه ما صاحبه.

قال: فخرجا جميعاً حتى حجا ورجعا، ما يرى كل واحد منهما أن له أخاً غير صاحبه، فلما جئت أسلم على جاري قال لي: جزاك الله يا أخي عني خيراً، ما ظننت أن في هذا الخلق مثل أبي

(١) كذا في المطبوع، ولعلها: «تزري بي بصاحبك، اطلب له رفيقاً غيري».

بكر، كان والله يتفضل علي في النفقة وهو معدم وأنا موسر، ويتفضل علي في الخدمة وأنا شاب قوي وهو شيخ ضعيف، ويطبخ لي وأنا مفطر وهو صائم.

قال: فقلت: فكيف كان أمرك معه في الذي كنت تكرهه من طويل بكائه؟ قال: ألفت والله ذاك البكاء، وُسرَّ قلبي حتى كنت أساعده عليه، حتى تأذى بنا أهل الرفقة. قال: ثم والله ألفوا ذلك فجعلوا إذا سمعونا نبكي بكوا، وجعل بعضهم يقول لبعض: ما الذي جعلهم أولى بالبكاء منا والمصير واحد؟ قال: فجعلوا والله يبكون ونبكي.

قال: ثم خرجت من عنده فأتيت بهيماً فسلمت عليه وقلت: كيف رأيت صاحبك؟ قال: كخير صاحب، كثير الذكر لله عز وجل، طويل التلاوة للقرآن، سريع الدمعة، محتمل الهفوات للرفيق، جزاك الله عني خيراً.

٤٥٨ ـ عرفجة

عن خلف بن تميم قال: كان فتى من أهل الكوفة متعبدٌ يقال له عرفجة، وكان يحيي الليل صلاة، فاستزاره بعض إخوانه ليلة فاستأذن أمه في زيارته فأذنت له.

قالت العجوز: فلما كان الليل إذا أنا في منامي برجال قد وقفوا علي فقالوا: يا أم عرفجة: لم أذنت لإمامنا الليلة؟.

ذِكْرُ المصطَفَين من عبّاد الكوفة ـ مجهولي الأسماء ـ

٤٥٩ ـ عابد

قال أبو سعيد البقال: رأيت رجلاً بالكوفة قد استعدَّ للموت منذ ثلاثين سنة، قال: ما لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء، وما أريد أن أكلم أحداً ولا يكلمني أحد من الناس إلا بذكر الله تعالى، وكان يأوي الجبان والمقابر.

قال أيوب بن موسى: سمعت شيخاً في المسجد يكنى أبا سهل الترمذي قال: سمعت سفيان الثوري يقول: رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي، لو أتاني ما أمرته بشيء، ولا نهيته عن شيء، ولا لي على أحد شيء، ولا لأحد عندي شيء.

٤٦٠ ـ عابدان كوفيان

عن الشعبي قال: جاء رجلان إلى شريح فقال أحدهما: اشتريت من هذا داراً فوجدت فيها عشرة آلاف درهم فقال: خذها. فقال له: إنما اشتريت الدار. فقال للبائع: فخذها أنت، فقال: ولم؟ وقد بعته الدار بما فيها! فأدار الأمرَ بينهما فأبيا، فأتى زياداً فأخبره فقال: ما كنت أرى أن أحداً هكذا بقي. وقال لشريح: ادخل بيت المال فألقِ في كل جراب قبضة حتى تكون للمسلمين.

---

٤٥٨ ـ عرفجة الكوفي ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ١٣٥).

٤٦١ ـ عابد آخر

قال منصور بن عمار: خرجت ذات ليلة فظننت أني قد أصبحت فإذا عليَّ ليلٌ، فقعدت عند باب صغير، فإذا بصوت شاب يبكي ويقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك حين عصيتك وما أنا بِنَكَالِكَ جاهلٌ، ولا لعقوبتك متعرض، ولا بنظرك مستخف، ولكن سوّلت لي نفسي، وغلبتني شقوتي، وغرني سترك المُرْخَىٰ علي، عصيتك بجهلي، وخالفتك بجهدي، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إن قطعت حبلك عني؟ واسوأتاه على ما مضى من أيامي في معصية ربي! يا ويلي كم أتوب وكم أعود! قد حان لي أن أستحيي من ربي عز وجل.

قال منصور: فلما سمعت كلامه قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦] فسمعت صوتاً واضطراباً شديداً فمضيت لحاجتي، فلما أصبحت رجعت وأنا بجنازة على الباب، وعجوز تذهب وتجيء. فقلت لها: من الميت؟ فقالت: إليك عني لا تجدد علي أحزاني. فقلت: إني رجل غريب. فقالت: هذا ولدي مر بنا البارحة رجل لا جزاه الله خيراً فقرأ آية فيها ذكر النار، فلم يزل ولدي يضطرب ويبكي حتى مات.

قال منصور: هكذا والله صفة الخائفين.

٤٦٢ ـ عابد آخر

قال عبد الله بن عمر الكوفي: كان عندنا بالكوفة رجل قد خرج عن دنيا واسعة وتعبد، قال: وكان الفضيل بالكوفة في أيامه. قال: فقدم ابن المبارك فقال له الفضيل: إن ها هنا رجلاً من المتعبدين قد خرج عن دنيا فامض بنا إليه ننظر عقله.

قال: فجاؤوا إليه وهو عليل وعليه عباء، وتحت رأسه قطعة لَبِنَةٍ، قال: فسلم ابن المبارك عليه ثم قال: يا أخي بلغنا أنه ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله ما هو أكثر منه[1]، فما عوضك؟ قال: الرضا بما أنا فيه. فقال ابن المبارك: حسبك. وقاما على ذلك.

٤٦٣ ـ عابد آخر

قال محمد بن منصور: كان بالكوفة رجلٌ متعبّد يأكل في يوم نصف رغيف، وكان قاعداً لا يضطجع، ويضع جبهته على ركبتيه من صلاة إلى صلاة لا يتطوع بشيء غير الفرائض، ولا يتكلم البتة. فقلت له: لو تطوّعتَ؟ فقال: افهم ما ألقيه إليك، إني لست أعصيه.

(١) أخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٣) عن أُبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: ما من عبد ترك شيئاً لله عز وجل إلا أبدله الله به ما هو خيرٌ منه من حيث لا يحتسب. وما تهاون به عبدٌ فأخذه من حيث لا يعلم إلا أتاه الله بما هو أشد عليه منه من حيث لا يحتسب ا.هـ.

ومن عقَلاء المجانين بالكوفة

٤٦٤ ـ نمير المجنون

قال العباس بن محمد بن عبد الرحمن الأشهلي: حدثني أبي عن ابن نمير قال: كان لي ابن أخت سمّته أختي باسم «أبي نمير»، وكان من نساك أهل الكوفة، وقد سمع سماعاً حسناً، وكان حسن الطهور، حسن الصلاة، يراعي الشمس للزوال. قال: فعُرض له فذهب عقله، فكان لا يأويه سقف بيت إذا كان بالنهار فهو بالجبانة، وإذا كان بالليل ففي السطح قائماً على رجليه في البرد والمطر والريح.

فنزل يوماً مبكراً يريد المقابر فقلت: يا نمير تنام؟ قال: لا. قلت: أي شيء العلة التي تمنعك من النوم؟ قال: هذا البلاء الذي تراه. فقلت: يا نمير أما تخاف الله عز وجل؟ قال: بلى. وقال: أليس يقال: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل؟ قال: قلت له: أنت أعلم مني. قال: كلا ومضى.

قال: وصعدت إليه ليلة باردة وهو قائم في السطح وأمه قائمة تبكي فقلت: يا نمير بقي منك شيء لم تنكره؟ قال: نعم. قلت: ما هو؟ قال: حب الله عز وجل وحب رسوله الله ﷺ.

قال: وصعدتُ إليه ليلة في رمضان فقلت له: يا نمير لم أفطر. قال: ولم؟ قلت: أحب أن تراك أختي تأكل معي. قال: أفعل. قال: فأُصعِدَ إلينا طعام، فجعل يأكل معي حتى فرغت وفرغ.

فلما أردت أن أقوم رحمته من أن يراني مولياً وهو في الظلمة والريح فبكيت! فقال: ما يبكيك رحمك الله؟ قلت: أنزل إلى الكن والضوء وأدعك في الظلمة والبرد؟ فغضب وقال لي: إن لي رباً هو أرحم بي منك، وأعلم بما يصلحني، فدعه يصرفني كيف يشاء، فإني لا أتهمه في قضائه. فقلت له: لئن كنت في ظلمة الليل فإن جَدَّك في ظلمة اللحد ـ أريد أن أعزيه وأطيب نفسه ـ. فقال لي: ما جعل روح رجل صالح مثل روح رجل متلوث. ثم قال لي: أتاني البارحة أبي وأبوك عبد الله بن نمير فوقف ثم أشار إلى موضع كان أبي يصلي فيه فقال لي: يا نمير أما إنك ستأتينا يوم الجمعة شهيداً.

قال: فدعوت أمه، فصعدت إليّ فأخبرتُها بما قال، فقالت: والله ما جربت عليه كذباً، وما هذا مما كان يتكلم به، وما قال إلا حقاً. قال: وقال هذه المقالة عشية الأربعاء، فجعلنا نتعجب ونقول غداً الخميس، وبعد غد الجمعة! فهبه مرض غداً ومات بعد غد فأين الشهادة؟ فلما كانت ليلة الجمعة في وسط الليل سمعنا هدّة، فإذا هو قد هاج به ما كان يهيج فبادر الدرجة فزلت قدمه فسقط منها، فاندقت عنقه فحفرت له إلى جنب أبي ودفنته، وانكببت على قبر أبي فقلت: يا أبت قد أتاك نمير وجاورك. والله ما قلت هذه المقالة إلا لما كان في قلبي من الغم.

ثم انصرفت فلما كان الليل رأيت أبي في النوم كأنه قد دخل علي من باب البيت فقال لي: يا بني جزاك الله خيراً لقد آنستني بنمير، اعلم أنه منذ أتيتمونا به إلى أن جئتك يزوَّج بالحور.

---

٤٦٤ ـ نمير المجنون ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٤٦/٦٠).

ذِكْرُ المصطَفَيات من العابدات الكوفيات

ذكر المسمَّيات منهن والمنسوبات

٤٦٥ ـ أم حسان الكوفية

كان سفيان وابن المبارك وغيرهما يزورونها.

قال عبد الله بن المبارك: ذكر سفيان الثوري امرأة بالكوفة يقال لها أم حسان ذات اجتهاد وعبادة، فدخلنا بيتها فلم نر فيه شيئاً غير قطعة حصير خلق، فقال لها الثوري: لو كتبت رقعة إلى بعض بني أعمامك لغيروا من سوء حالك؟ فقالت: يا سفيان قد كنتَ في عيني أعظم وفي قلبي أكبر مذ ساعتك هذه، إني ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها؛ فكيف أسأل من لا يقدر عليها ولا يقضي ولا يحكم فيها؟ يا سفيان والله ما أحب أن يأتي علي وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله تعالى بغير الله. فأبكت سفيان.

قال عبد الله: فبلغني أن سفيان تزوج بها.

٤٦٦ ـ أم الأسود بن يزيد

قال وكيع: حدثنا أبي عن منصور عن إبراهيم: أن أم الأسود أُقعِدَتْ من رجليها، فجزعت ابنة لها، فقالت: اللهم إن كان خيراً فزد.

٤٦٧ ـ أم مسعر بن كدام

قال محمد بن سعد: كانت لمسعر أم عابدة فكان يحمل لها لبداً ويمشي معها حتى يدخلها المسجد، فيبسط لها اللبد فتقوم فتصلي ويتقدم هو إلى مقدم المسجد فيصلي، ثم يقعد ويجتمع إليه من يريد فيحدثهم ثم ينصرف إليها، فيحمل لبدها وينصرف معها.

٤٦٨ ـ أم سفيان الثوري

قال وكيع: قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي. وقالت له: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى [في] نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك؟ فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك(١).

٤٦٩ ـ أم الحسن وعلي ابني صالح بن حي

قال عبد الله بن هاشم: سمعت وكيع بن الجراح يقول: كانت أم علي والحسن ابني صالح تقوم ثلث الليل.

قال عبد الله بن صالح: حدثني رجل من بني تميم: أن أم الحسن وعلي ابني صالح كانت تبكي

---

(١) أي: ثناء الناس عليك واجتماعهم حولك.

بالليل والنهار. قال: فرأيت حسناً بعد موته في المنام فقلت: ما فعلت الوالدة؟ قال: بُدِّلت بطول ذلك البكاء سرور الأبد.

٤٧٠ ـ أخت فضيل بن عبد الوهاب

قال محمد بن الحسين: حدثني فضيل بن عبد الوهاب قال: سمعت أختي تقول: الآخرة أقرب من الدنيا، وذلك أن الرجل يهم بطلب الدنيا فلعله أن ينشئ لذلك سفراً يكون فيه تعب بدنه وإنفاق ماله، ثم لعله أن لا ينال بغيته، والرجل يطلب الآخرة فمنتهى طلبته في حسن نيته حيث ما كان من غير أن ينشئ سفراً أو ينفق مالاً أو يُتعِب بدناً، ما هو إلا أن يجمع على طاعة الله فإذا هو قد أدرك ما عند الله.

قال: وسمعتها تقول: ما بيننا وبين أن نرى السرور أو ننادىٰ بالويل والثبور إلا خروج هذه الأرواح من الأبدان، فانظروا أيَّ عبيدٍ تكونون حينئذ؟ قال: ثم صرخت وغشي عليها.

قال فضيل: ما رأيت أحداً قط، رجلاً ولا امرأة، أطول حزناً منها.

ذكر المصطفيات من العابدات الكوفيات المجهولات الأسماء

٤٧١ ـ عابدة

قال مجرز أبو القاسم الجلاب: حدثني سعدان قال: أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم فلعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها فراعه أمرها! فأقبلت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمّى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملَك الموت فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو قد ساءلك منكر ونكير؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشياً عليها، فوالله لقد أفاقت، وبلغت من عبادة ربها أنها كانت يومَ ماتت كأنها جذع محترق.

٤٧٢ ـ عابدة أخرى

قال عبد الله بن نافع: أُتِيَ الربيع بن خثيم في منامه فقيل: إن فلانة السوداء زوجتك في الجنة، فلما أصبح سأل عنها فدُلَّ عليها، فإذا هي ترعى أعنزاً لها، فقال: لأقيمن عندها فأنظر ما عملها؟ فأقام عندها ثلاثاً لا يراها تزيد على الفريضة، فإذا أمست جاءت إلى عنيزة لها فحلبت ثم شربت، ثم حلبت فسقته. فقال لها في اليوم الثالث: يا هذه لِمَ لا تسقيني من غير هذه العنزة؟ قال: [قالت:] يا عبد الله إنها ليست لي. قال: فلِمَ تسقيني من هذه؟ قالت: إن هذه مُنِحْتُها، أشرب من لبنها، وأسقي من شئت. قال: يا هذه فليس لك من العمل أكثر مما أرى؟ قالت: لا، إلا أني ما أصبحت على حال قط فتمنيت أني على حال سواها، رضاً بما قسم الله لي. فقال: يا هذه علمت أني رأيت في المنام أنك زوجتي في الجنة. قالت له: أنت الربيع بن خثيم؟ قلت لعبد الله بن نافع: كيف علمت هذا؟ قال: لعلها أن تكون رأت في منامها مثل ما رأى.

٤٧٣ ـ عابدة أخرى

قال محمد بن يحيى بن أبي حاتم: حدثني عبد الملك بن شبيب عن رجل من ولد ابن أبي ليلى قال: دخلت عليّ امرأة وأنا أقرأ سورة «هود» فقالت لي: يا عبد الرحمن هكذا تقرأ سورة «هود»؟ والله إني لفيها منذ ستة أشهر ما فرغت من قراءتها.

٤٧٤ ـ عابدة أخرى

قال الوضاح بن حسان الأنباري: حدثني رجل من أهل الكوفة قال: كانت امرأة من التيم مجتهدة في العبادة، فكانت تفطر في كل ثلاثٍ مرةً، ولا تخرج من مسجد الحي إلا لحاجة.

فقال لها إبراهيم التيمي: صلاتك في بيتك أفضل من صلاتك في مسجد الحي. ففعلت، فلزمت بيتها فلم تزدد إلا خيراً.

٤٧٥ ـ عابدتان أختان

قال محمد بن قدامة: سمعت أبا بشر يقول: كانت جارة لمنصور بن المعتمر، وكان لها ابنتان لا تصعدان إلى السطح إلا بعد ما ينام الناس، فقالت إحداهما ذات ليلة: يا أمتاه ما فعلت القائمة التي كنت أراها في سطح فلان؟ فقالت: يا بنية لم تكن تلك قائمة، إنما كان ذاك منصور يحيي الليل كله في ركعة لا يسجد فيها ولا يركع. فقالت: يا أمتاه: بلغ به العبادةُ والفَرَقُ من النار هذا؟ فما فعل؟ قالت: مات ودفنوه. قالت: يا أمتاه انطلقي فاشتري لي مِدْرعة أتعبد فيها، فوالله لا يُجمع رأسي ورأس رجل أبداً! رجلٌ لا ينام عشرين سنة فَرَقاً من النار!!.

قال: فاشترت لها مدرعة من شعر، فدخلت البنت الأخرى معها في العبادة فتعبدتا بعد ذلك عشرين سنة لا تنامان الليل ولا تفطران النهار.

٤٧٦ ـ عابدة أخرى

عن سفيان: أنه ذكر يوماً امرأة من أهل الكوفة كانت تتعبد، فذكر عنها فضلاً. فقلت: أي شيء تحفظ من كلامها؟ قال: قالوا: إنها كانت تقول: لو نادى مناد من السماء ليمت أعظم الناس جرماً لرأيت نفسي أول نفس ذائقة للموت.

وكانت تقول: طول الأمل بطَّأ بي عن سبيل النجاة.

٤٧٧ ـ عابدة أخرى

عن ابن السماك قال: أذنب غلامُ امرأةٍ من قريش ذنباً فسعت إليه بالسوط، فلما قربت منه رمت بالسوط وقالت: ما تركت التقوى أحداً يشفي غيظه.

٤٧٨ ـ عابدة أخرى

قال أبو بكر بن عبيد: حدثني محمد بن الحسين قال: أخبرنا شهاب بن عباد قال: أخبرنا سويد

ابن عمرو الكلبي قال: كانت امرأة عابدة في غنى، فكانت لا تنام من الليل إلا يسيراً، فعوتبت في ذلك! فقالت: كفى بالموت وطول الرقدة في القبور للمؤمنين رقاداً.

قال أبو بكر: وزادني في هذا الحديث عن محمد بن الحسين بإسناده هذا: وكانت تصوم في شدة الحر حتى يسودَّ لونها ويتغير وجهها، فيقال لها في ذلك؟ فتقول: إنما أدور على طول الري والشبع في الآخرة.

وكانت قد بكت حتى اسودّ مجاري دموعها من وجهها، فكان يأتيها محمد بن النضر وأصحابه فيحادثها ساعة، ثم تقول: قوموا فالحديث هناك يطيب، في دار لا همّ فيها ولا موت ولا تعب.

ذكر المصطَفَيات من عقلاء المجانين المتعبِّدات الكوفيات

٤٧٩ ـ ميمونة السوداء

قال الفضيل بن عياض: قال عبد الواحد بن زيد: سألت الله عز وجل ثلاث ليال أن يريني رفيقي في الجنة؟ فرأيتُ كأن قائلاً يقول: يا عبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء. فقلت: وأين هي؟ فقال: في آل فلان بالكوفة.

قال: فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها؟ فقيل: هي مجنونة بين ظهرانينا ترعى غنيمات لنا، .فقلت: أريد أن أراها. قالوا: اخرج إلى الجبان. فخرجت فإذا بها قائمة تصلي، وإذا بين يديها عكاز لها، وعليها جبة من صوف، عليها مكتوب: لا تباع ولا تشترى. وإذا الغنم مع الذئاب، فلا الذئاب تأكل الغنم، ولا الغنم تخاف الذئاب.

فلما رأتني أوجزت في صلاتها ثم قالت: ارجع يا ابن زيد ليس الموعد ها هنا، إنما الموعد ثَمَّ.

فقلت: رحمك الله ومن أعلمك أني ابن زيد؟ فقالت: أما علمت أن: «الأرواح جنود مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟»(١) فقلت لها: عظيني؟ فقالت: واعجباً لواعظ يوعظ! ثم قالت: يا ابن زيد إنك وضعت معايير القسط على جوارحك لخبرتك بمكتوم مكنون ما فيها، يا ابن زيد إنه بلغني أنه ما من عبد أعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة معه، وبدله بعد القرب البعد، وبعد الأنس الوحشة. ثم أنشأت تقول:

يا واعظاً قام لاحتساب ... يزجر قوماً عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقاً ... هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا ... عيبَك أو تبت من قريب

(١) هو حديث، نصه: «الأرواح جنودٌ مُجَنَّدةٌ، فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكر منها اختلفَ» رواه أبو داود (٤٨٣٤)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٢ برقم ٦١٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٩٥)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وهو في الطبراني الكبير (٦/ ٢٦٣)، عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ.

كان لما قلت يا حبيبي موقع صدق من القلوب
تَنهى عن الغي والتمادي وأنت في النهي كالمريب

فقلت لها: إني أرى هذا الذئاب مع الغنم، فلا الغنم تفزع من الذئاب، ولا الذئاب تأكل الغنم، فأي شيء هذا؟ فقالت: إليك عني؛ فإني أصلحت ما بيني وبين سيدي فأصلح بين الذئاب والغنم.

٤٨٠ ـ بخة

عن يحيى بن إسماعيل بن سلمة بن كهيل قال: كانت لي أخت أسن مني، فاختلط عقلها فتوحشت فكانت في غرفة في أقصى سطوحنا، فمكثت بذلك بضع عشرة سنة، وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الطهور وتفقّد الصلوات، وربما غلبت على عقلها الأيام فتحفظ ذلك حتى تقضيه.

قال: فبينما أنا نائم ذات ليلة إذا باب بيتي يدق في نصف الليل، فقلت: من هذا؟ قالت: بخة. قلت: أختي؟ قالت: أختك. قلت: لبيك. وقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها بالبيت منذ أكثر من عشر سنين، فقلت لها: يا أختاه خير. قالت: خير، أُتيتُ الليلة في منامي فقيل لي: السلام عليك يا بخة. فقلت: وعليك السلام. فقيل لي: إن الله قد حفظ أباك إسماعيل لسلمة بن كهيل جدك، وحفظك لأبيك إسماعيل، فإن شئت دعوت الله لك فأذهب ما بك، وإن شئت صبرت ولك الجنة، فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد شفعا لك إلى الله عز وجل بحب أبيك وجدك إياهما. فقلت: إن كان لا بد من أن أختار أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة، والله واسع لا يتعاظمه شيء، إن شاء أن يجمعهما لي فعل. قالت: فقيل لي: قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر، قومي فانزلي. فأذهب الله ما كان بها.

انتهى ذكر أهل الكوفة ولله الحمد

ذِكرُ المصطَفَين من أهل البصرة
من التابعين ومن بعدهم

الطبقة الأولى
٤٨١ ـ الأحنف بن قيس

يكنى أبا بحر، وإنما عرف بالأحنف لأنه ولد أحنف.

عن الحسن، عن الأحنف قال: بينا أنا أطوف بالبيت إذ لقيني رجل من بني سليم فقال: أبشرك؟ فقلت: بلى. قال: أتذكر إذ بعثني رسول الله إلى قومك بني سعد أدعوهم إلى الإسلام؟ فقلتَ أنت: ما قال إلا خيراً ولا أسمع إلا حسناً؟ فإني رجعت وأخبرت النبي ﷺ بمقالتك فقال: «اللهم اغفر لأحنف». قال: فما أنا لشيء أرجى مني لها(١).

قال أبو معاوية بن هشام لخالد بن صفوان: بم بلغ فيكم الأحنف بن قيس ما بلغ؟ قال: إن شئت حدثتك ألفاً، وإن شئت حذفت لك الحديث حذفاً. قال: احذفه لي حذفاً. قال: فإن شئت فثلاثاً، وإن شئت فاثنتين، وإن شئت فواحدة؟ قال: ما الثلاث؟ قال: كان لا يشْرَه ولا يحسد ولا يمنع حقاً. قال: فما الاثنتان؟ قال: كان موفَّقاً للخير، معصوماً من الشر. قال: فما الواحدة؟ قال: كان أشد الناس على نفسه سلطاناً.

عن الحسن قال: كانوا يتكلمون عند معاوية والأحنف ساكت. فقالوا: ما لك لا تتكلم يا أبا بحر؟ قال: أخشى الله إن كذبت، وأخشاكم إن صدقت!

عن سليمان التيمي قال: قال الأحنف بن قيس: ما ذكرت أحداً بسوء بعد أن يقوم من عندي.

عن سلمة بن منصور، عن مولى لهم كان يصحب الأحنف بن قيس، قال: كنت أصحبه فكان عامّةُ صلاته بالليل الدعاء، وكان يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه ثم يقول: حسّ. ثم يقول: يا حُنَيفُ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟.

عن الحسن قال: قال الأحنف بن قيس: والله ما سمعت كلمة إلا طأطأت لها رأسي لما هو أعظم منها.

---

٤٨١ ـ الأحنف بن قيس ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٩٣)، طبقات ابن سعد (٧/ ٩٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٨٦)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٢٩)، العبر (١/ ٨٠)، شذرات الذهب (١/ ٧٨)، تاريخ ابن كثير (٨/ ٣٢٦)، تهذيب التهذيب (١/ ١٩١)، تهذيب ابن عساكر (٧/ ١٠)، واسمه: الضحاك بن قيس كما في تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٩٣).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٢) والقزويني في أخبار قزوين (١/ ١١٢).

قال الغلابي: حدثني رجل من بني تميم قال: قال الأحنف بن قيس: لا مروءة لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا حيلة لبخيل، ولا سؤدد لسيئ الخلق، ولا إخاء لملَول.

عن مغيرة قال: اشتكى ابن أخي الأحنف إلى الأحنف بن قيس وجع ضرسه؟ فقال له الأحنف: لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتُها لأحد.

قال قبيصة: قيل للأحنف بن قيس: ألا تأتي الأمراء؟ قال: فأخرج جرة مكسورة فكبَّها فإذا كِسَرٌ. فقال: من كان يجزئه مثل هذا ما يصنع بإتيانهم؟.

وقال محمد بن سعد: كان الأحنف صديقاً لمصعب بن الزبير، فوفد عليه الكوفة ومصعب واليها يومئذ، فتوفي الأحنف عنده، فرئي مصعب في جنازته يمشي بغير رداء.

أسند الأحنف عن عمر، وعلي، وأبي ذر وغيرهم.

٤٨٢ ـ أبو عثمان النهدي

واسمه: عبد الرحمن بن مل. [عن] معتمر بن سليمان، عن أبيه قال: إني لأحسب أبا عثمان كان لا يصيب ذنباً، كان ليله قائماً، ونهاره صائماً، وإن كان ليصلي حتى يُغشى عليه.

[عن] حماد بن سلمة عن ثابت قال: كان أبو عثمان إذا دعا ودعونا يقول: والله لقد استجاب الله عز وجل، قال الله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠]

أدرك أبو عثمان رسول الله ﷺ ولم يلقه، وأسند عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأبي موسى، وسلمان، وأسامة، وأبي هريرة في آخرين.

وكان من ساكني الكوفة، فلما قتل الحسين عليه السلام تحول إلى البصرة، وقال: لا أسكن بلداً قُتِل فيه ابن بنت رسول الله ﷺ.

وتوفي بالبصرة في أول ولاية الحجاج العراق، وهو ابن ثلاثين ومائة سنة.

حماد بن سلمة، عن حميد، عن أبي عثمان قال: بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة ما من شيء إلا قد عرفت النقص فيه إلا أملي كما هو.

٤٨٣ ـ حجير بن الربيع العدوي

روى عن عمر بن الخطاب. قال عبد الرحمن عن هلال بن حق: كان حجير بن الربيع يصلي حتى ما يأتي فراشه إلا زحفاً، وما يعدّونه من أعبدهم.

---

٤٨٢ ـ أبو عثمان النهدي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ١٧٢)، طبقات ابن سعد (٦/ ٦٩) و(٧/ ٦٠)، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٢)، تقريب التهذيب (١/ ٤٩٩).

٤٨٣ ـ حجير العدوي ـ رحمه الله ـ: التاريخ الكبير (٣/ ١٠٧) تهذيب التهذيب (١٢/ ١٣٥) تهذيب الكمال (٥/ ٤٧٧) طبقات ابن سعد (٧/ ١٠٢).

٤٨٤ ـ عامر بن عبد الله

وهو الذي يقال له ابن عبد قيس، يكنى أبا عمرو. وقيل: أبا عبد الله، من بني تميم.

قال جعفر: سمعت مالك بن دينار يقول: بلغنا أن كعباً رأى عامر بن عبد قيس فقال: من هذا؟ فقالوا: هذا عامر. فقال: هذا راهب هذه الأمة.

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم: عامر بن عبد الله، إن كان ليصلي فيتمثل إبليس في صورة حية، فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه. قيل له: ألا تُنَحِّي الحية عنك؟ فقال: إني لأستحيي من الله عز وجل أن أخاف سواه. فقيل له: إن الجنة لتُدرَك بدون ما تصنع، وإن النار لتُتَّقى بدون ما تصنع؟ فقال: والله لأجتهدن، ثم والله لأجتهدن، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن دخلت النار فبعد جهدي.

فلما احتضر بكى فقيل له: أتجزع من الموت وتبكي؟ فقال: ما لي لا أبكي؟ ومن أحق بذلك مني؟ والله ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على دنياكم، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء.

وكان يقول: اللهم في الدنيا الهموم والأحزانُ، وفي الآخرة العذابُ والحسابُ! فأين الرَّوح والفرح؟.

عن عبد الله بن غالب بن عامر بن يساف. قال: سمعت المعلى بن زياد يقول: كان عامر بن عبد الله قد فرض على نفسه في كل يوم ألف ركعة، وكان إذا صلى العصر جلس وقد انتفخت ساقاه من طول القيام، فيقول: يا نفس، بهذا أمرت ولهذا خلقت، يوشك أن يذهب العناء. وكان يقول لنفسه: قومي يا مأوى كل سوء، فوعزة ربك لأزحفن بك زحوف البعير، ولئن استطعت أن لا يمس الأرض من زهمك لأفعلن. ثم يتلوى كما تتلوى الحية على المقلى، ثم يقوم فينادي: اللهم إن النار قد منعتني من النوم فاغفر لي.

روى ابن وهب وغيره ـ يزيد بعضهم على بعض في الحديث ـ: أن عامر بن عبد قيس كان من أفضل العابدين، ففرض على نفسه كل يوم ألف ركعة يقوم عند طلوع الشمس فلا يزال قائماً إلى العصر، ثم ينصرف وقد انتفخت ساقاه وقدماه فيقول: يا نفس إنما خلقت للعبادة، يا أمارة بالسوء والله لأعملن بك عملاً، لا يأخذ الفراش منك نصيباً.

قال: وهبط وادياً يقال له وادي السباع وفي الوادي عابد حبشي يقال له حممة، فانفرد عامر في ناحية، وحُممة في ناحية يصليان، لا هذا ينصرف إلى هذا، ولا هذا ينصرف إلى هذا، أربعين يوماً وأربعين ليلة.

---

٤٨٤ ـ عامر بن عبد قيس ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥) طبقات ابن سعد (٥/ ٥٦٥) تاريخ الطبري (٢/ ٤٦٥ و٥٠١ و٦٤٢).

إذا جاء وقت الفريضة صليا، ثم أقبلا يتطوعان، ثم انصرف عامر بعد أربعين يوماً إلى حممة فقال: من أنت يرحمك الله؟ فقال: دعني وهمي. قال: أقسمت عليك. قال: أنا حممة. قال عامر: لئن كنت أنت حممة الذي ذُكِر لي لأنت أعبد من في الأرض، فأخبرني عن أفضل خصلة؟.

قال: إني لمقصر، ولولا مواقيت الصلاة تقطع علي القيام والسجود لأحببت أن أجعل عمري راكعاً، ووجهي مفترشاً حتى ألقاه، ولكن الفرائض لا تدعني أفعل ذلك، فمن أنت يرحمك الله؟ قال: أنا عامر بن عبد قيس. قال: إن كنت عامراً الذي ذكر لي فأنت أعبد الناس، فأخبرني بأفضل خصلة؟ قال: إني لمقصر، ولكن واحدة: عظمت هيبة الله في صدري حتى ما أهاب شيئاً غيره.

واكتنفه السباع فأتاه منها فوثب عليه من خلفه فوضع يديه على منكبيه وعامر يتلو هذه الآية ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣] فلما رأى السبع أنه لا يكترث له ذهب. فقال حممة: وبالله يا عامر ما هالَكَ ما رأيتَ؟ قال: إني لأستحيي من الله عز وجل أن أهاب شيئاً غيره.

قال حممة: لولا أن الله تعالى ابتلانا بالبطن فإذا أكلنا لا بد لنا من الحدث ما رآني ربي إلا راكعاً أو ساجداً.

وكان يصلي في اليوم والليلة ثمان مائة ركعة، وكان يقول: إني لمقصر في العبادة! وكان يعاتب نفسه.

[عن] المعلى بن إياد القردوسي، عن عامر بن عبد قيس: أنه مر بقافلة قد حبسهم الأسد من بين أيديهم على طريقهم، فلما جاء عامر نزل عن دابته فقالوا: يا أبا عبد الله إنا نخاف عليك من الأسد! فقال: إنما هو كلب من كلاب الله عز وجل، إن شاء أن يسلطه سلطه، وإن شاء أن يكفه كفه. فمشى إليه حتى أخذ بيديه أذني الأسد فنحّاه على الطريق وجازت القافلة، وقال: إني لأستحيي من ربي تبارك وتعالى أن يرى في قلبي أني أخاف من غيره.

[عن] محمد بن فضيل بن غزوان قال: أنبأ أبي قال: كان عامر بن عبد قيس يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، وما رأيت مثل النار نام هاربها. وكان إذا جاء النهار قال: أذهب حر النار النوم. فما ينام حتى يمسي، وإذا جاء الليل قال: من خاف أدلج، وعند الصباح يَحمَدُ القومُ السرى.

[عن] سهيل أخو حزم قال: بلغني عن عامر بن عبد قيس أنه كان يقول: أحببت الله عز وجل حباً سهّل عليّ كل مصيبة ورضّاني كل قضية، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت.

[عن] سعيد بن ميمون قال: قيل لامرأة عامر بن عبد قيس ـ يعني خادمته ـ: كيف كانت عبادة عامر؟ قالت: ما صنعت له طعاماً قط بالنهار فأكله إلا بالليل، ولا فرشت له فراشاً بالليل فاضطجع عليه إلا بالنهار.

عن الحسن قال: بعث معاوية إلى عبد الله بن عامر: أن انظر إلى عامر بن عبد قيس فأحسن إذنه وأكرمه، ومره أن يخطب إلى من شاء، وأمهر عنه من بيت المال.

قال: فأرسل إليه: إن أمير المؤمنين قد كتب إلي أن أحسن إذنك وأكرمك.

قال: يقول فلان أحوج مني إلى ذلك ـ يعني رجلاً كان أطال الاختلاف إليهم ولا يؤذن له ـ.

وأمرني أن آمرك أن تخطب إلى من شئت وأمهر عنك من بيت المال. قال: أنا في الخطبة دائب. قال: إلى من؟ قال: إلى من يقبل الفلقة والتمرة.

قال: ثم أقبل إلى جلسائه وقال: إني سائلكم فأخبروني: هل منكم من أحد إلا له من قلبه شعبة؟ قالوا: اللهم لا. قال: هل منكم من أحد إلا لأهله من قلبه شعبة؟ قالوا: اللهم لا. قال: هل منكم من أحد إلا لولده من من قلبه شعبة؟ قالوا: اللهم لا. قال: فوالذي نفسي بيده لأن تختلف الأسنة في جوانحي أحب إلي من أن أكون هكذا، أما والله لأجعلن الهمَّ هماً واحداً. قال الحسن: وفعل.

[عن] عبد الله بن عياش، مولى بني جشم، عن أبيه، عن شيخ قد سماه، وكان قد أدرك سبب تسيير عامر بن عبد الله، قال: مر برجل من أعوان السلطان وهو يجر ذمياً والذمي يستغيث، فأقبل على الذمي فقال: أديت جزيتك؟ قال: نعم. فأقبل عليه فقال: ما تريد منه؟ قال: أذهب به يكسح دار الأمير. قال: فأقبل على الذمي فقال: تطيب نفسك له بهذا؟ قال: يشغلني عن صنعتي. قال: دعه. قال: لا أدعه. قال له: دعه! قال: لا أدعه. قال: فوضع كساءه فقال: لا تُخْفَر ذمة محمد ﷺ وأنا حي. قال: ثم خلصه منه، قال: فتراقى ذلك حتى كان سبب تسييره.

[عن] مالك بن دينار قال: قالت المرأة التي نزل عليها عامر بن عبد الله: ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟ قال: إن ذكر جهنم لا يدعني أن أنام.

عن قتادة قال: سأل عامر بن عبد قيس ربه عز وجل أن يهون عليه الطهور في الشتاء. فكان يؤتى بالماء وله بخار، وسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه؟ فكان لا يبالي ذكراً لقي أم أنثى؟ وسأل ربه أن يحول بين الشيطان وبين قلبه في الصلاة؟ فلم يقدر على ذلك. وقيل له: هذه الأجمة نخاف عليك منها الأسد. فقال: إني لأستحيي من ربي أن أخشى غيره.

عن المعلى قال: قال عامر بن عبد قيس: أربع آيات من كتاب الله تعالى إذا ذكرتهن لا أبالي على ما أصبحت وأمسيت: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] و ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

عن مالك بن دينار: عن عامر بن عبد قيس أنه كان يقول: إن أشد أهل الجنة فرحاً في الجنة أطولهم حزناً في الدنيا.

[عن] أبو مسكين الغداني قال: قال عامر بن عبد قيس: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.

عن أبي المتوكل الناجي قال: قال عامر بن عبد قيس: يا أبا المتوكل؟ قلت: لبيك. قال: عليك بما يرغبك في الآخرة، ويزهدك في الدنيا، ويقربك إلى الله عز وجل. قلت: ما هو؟ فقال: تقصر عن

الدنيا همك، وتشحذ إلى الآخرة نيتك، وتصدق ذلك بفعلك، فإذا كنت كذلك لم يكن شيء أحب إليك من الموت، ولا شيء أبغض إليك من الحياة. فقلت: يا أبا عبد الله كنت لا أحسبك تحسن مثل هذا. فقال: كم من شيء كنت أحسنه وددت أني لا أحسنه، وما يغني عني ما أحسن من الخير إذا لم أعمل به.

عن بلال بن سعد: أن عامراً كان يشترط على رفقائه أن ينفق عليهم بقدر طاقته.

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: خرج عامر من البصرة إلى الشام ومعه شكوة(١) فيها ماء يتوضأ منه للصلاة ويشرب منه لبناً إذا شاء.

[عن] يزيد بن نعامة قال: كان عامر بن عبد قيس إذا أصبح قال: اللهم غدا الناس إلى أسواقهم، وأصبح لكل امرئ منهم حاجة، وحاجتي إليك يا رب أن تغفر لي.

عن العلاء بن سالم قال: حدثني من صحب عامر بن عبد قيس أربعة أشهر قال: فما رأيته نام بليل ولا نهار حتى فارقته، وكان له رغيفان قد جعل عليهما ودكاً، فيتسحر بواحد ويفطر بآخر.

وكان إذا أصبح علمنا القرآن حتى إذا أمكنته الصلاة قام يصلي، فلا يزال يصلي حتى يصلي العصر. قال: ثم يعلمنا القرآن حتى يمسي، فإذا صلى المغرب فهي ليلته حتى يصبح.

عن الحسن قال: كان عامر بن عبد قيس إذا صلى الصبح تنحّى في ناحية المسجد فقال: من أقرئه؟ قال: فيأتيه قوم فيقرئهم، حتى إذا طلعت الشمس وأمكنته الصلاة قام يصلي إلى أن ينتصف النهار، ثم يرجع إلى منزله فيقيل، ثم يرجع إلى المسجد إذا زالت الشمس فيصلي حتى يصلي الظهر، ثم يصلي إلى العصر، فإذا صلى العصر تنحّى في ناحية المسجد ثم يقول: من أقرئه؟ قال: فيأتيه قوم فيقرئهم، حتى إذا غربت الشمس صلى المغرب ثم يصلي حتى يصلي العشاء الآخرة، ثم يرجع إلى منزله، فيتناول أحدَ رغيفيه فيأكل ثم يهجع هجعة خفيفة، ثم يقوم.

فإذا أسحر تناول رغيفه الآخر فأكله، ثم شرب عليه شربة من ماء، ثم يخرج إلى المسجد.

قال خلف: وحدثني بعض أصحابنا قال: كان منصور بن زاذان يفعل هذا كله، ويفضل بخصلة: لا يبيت كل ليلة حتى يبل عمامته بدموعه ثم يضعها.

عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشخير قال: أخبرني ابن أخي عامر بن عبد قيس: أن عامراً كان يأخذ عطاءه فيجعله في طرف ردائه فلا يلقى أحداً من المساكين يسأله إلا أعطاه، فإذا دخل إلى أهله رمى به إليهم فيعدونها فيجدونها كما أُعطِيَها.

[عن] عمارة بن عبد الله العنبري، وابنه، وثابت أبو الفضل، قالوا: ما رأينا عامر بن عبد قيس متطوعاً في مسجدهم قط.

قال: وكان آخر من يدخل المسجد، وأول من يخرج منه.

---

(١) قال في النهاية (٢/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨): الشَّكْوة: وعاءٌ كالقِرْبة الصغيرة يُنْقَع فيها»

قال عبد الله بن الشخير: كنا نأتي عامر بن عبد الله وهو يصلي في مسجده، فإذا رآنا تجوّز في صلاته، ثم أقبل علي فقال: أرحني بحاجتك فإني أُبادَرُ؟ قلت: وما تبادر؟ قال: ملك الموت رحمك الله؟ قال: فقمت عنه وقام إلى صلاته.

عن أبي عبدة العنبري قال: لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه. فقالوا له: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به! فعرفوا أن للرجل شأناً. فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيرَكم ليقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه. فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس.

أدرك عامر الصدر الأول، وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لكنه اشتغل بالعبادة عن الرواية.

٤٨٥ ـ أبو العالية الرياحي

واسمه الرفيع: أعتقته امرأة من بني رياح. قال أبو العالية: دخلت المسجد معها فوافقها الإمام على المنبر فقبضت على يدي فقالت: اللهم أدّخره عندك ذخيرة، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبة لله. ثم ذهبت فما تراءينا بعد.

عن عاصم قال: كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام.

عن ابن أنس، عن أبي العالية قال: كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام، فأول ما أتفقده من أمره صلاتُه، فإن وجدته يقيمها ويتمها أقمت وسمعت منه، وإن وجدته يضيعها رجعت ولم أسمع منه، وقلت: هو لغير الصلاة أضيع.

عن عثمان، عن أبي العالية قال: قال لي أصحاب محمد ﷺ: لا تعمل لغير الله فَيكِلُك الله عز وجل إلى من عملت له.

قال خالج بن دينار: سمعت أبا العالية قال: كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن، ثم ينام عنه حتى ينساه.

قال سيار بن سلامة: دخلت على أبي العالية في مرضه الذي مات فيه فقال: إن أحبه إليَّ أحبُّه إلى الله عز وجل.

أسند أبو العالية عن أبي بكر الصديق، وعمر، وعلي، وأبي بن كعب، وأبي موسى، وأبي

---

٤٨٥ ـ أبو العالية الرياحي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٩٧) طبقات ابن سعد (٧/ ١١٢)، الحلية (٢/ ٢١٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ٦١)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٣١٢)، تهذيب ابن عساكر (٥/ ٣٢٦)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣١٩) و(٤/ ٧٩)، العبر (١/ ١٠٨)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٢٥١)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨٤).

هريرة، وابن عباس، في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، إلا أنه أرسل الحديث عن بعض هؤلاء، وتوفي في شوال سنة تسعين.

قال أبو خلدة: مات أبو العالية في شوال يوم الاثنين سنة تسعين.

٤٨٦ ـ عبد الله بن شقيق البصري

أبو عبد الرحمن: سمع من عائشة رضي الله عنها، وقال: جاورت أبا هريرة سنة. وقد روى عن عمر.

عن الجريري قال: كان عبد الله بن شقيق مجاب الدعوى، كانت تمر به السحابة فيقول: اللهم لا تجوز كذا وكذا حتى تمطر. فلا تجوز ذلك الموضع حتى تمطر.

٤٨٧ ـ الفضيل بن زيد الرقاشي

غزا سبع غزوات في خلافة عمر، وكان من عبّاد البصرة.

عن عاصم الأحول، عن فضيل بن زيد الرقاشي، وكان غزا مع عمر سبع غزوات قال: لا يلهينك الناس عن ذات نفسك، فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطع النهار بكيت وكيت فإنه محفوظ عليك ما قلت، ولم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم.

أسند الفضيل عن عبد الله بن مغفل وغيره من الصحابة.

٤٨٨ ـ هرم بن حيان العبدي

كان عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال قتادة، عن هرم بن حيان: ما رأيت كالنار نام هاربها، ولا كالجنة نام طالبها.

قال عدي بن أبي عمارة: قال هرم بن حيان: ما آثر الدنيا على الآخرة حكيم، ولا عصى الله كريم.

وعن الأصمعي، عن صالح المري قال: قال هرم بن حيان: صاحب الكلام على إحدى المنزلتين: إن قصَّر فيه حُصر، وإن أغرق فيه أثِم.

قال ابن شوذب: قال هرم بن حيان: لو قيل لي إنك من أهل النار لم أترك العمل لئلا تلومني نفسي فتقول: لِمَ فعلت؟ لِمَ ضيعت؟ وفي رواية أخرى: تقول لي ألا صنعت؟ ألا فعلت؟ عن الحسن

---

٤٨٦ ـ عبد الله بن شقيق البصري العُقَيلي ـ رحمه الله ـ: تهذيب التهذيب (٥/ ٢٢٦ برقم ٣٤٩٤)، والتقريب برقم (٣٣٩٦)، وتهذيب الكمال (١٥/ ٨٩ برقم ٣٣٣٣)، والتاريخ الكبير (٥/رقم ٣٤٥)، والجرح والتعديل (٥ برقم ٣٧٦)، والكاشف (٢/ برقم ٢٨٠٤)، ميزان الاعتدال (٢ برقم ٤٣٨٠).

٤٨٧ ـ الفضيل بن زيد الرقاشي ـ رحمه الله ـ: الحلية (٣/ ١٠٢).

٤٨٨ ـ هرم بن حيان ـ رحمه الله ـ: الحلية (٢/ ١١٩)، تاريخ ابن الجوزي (٥/ ٢١٨)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٣١)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢١١)، الجرح والتعديل (٢/ ٤/ ١١٠).

قال: خرج هرم بن حيان وعبد الله بن عامر يؤمّان الحجاز، فجعلت أعناق رواحلهما تتخالجان الشجر. فقال هرم لابن عامر: أتحب أنك شجرة من هذه الشجر؟ فقال ابن عامر: لا والله، لما أرجو من ربي عز وجل. فقال هرم: لكني والله لوددت أني شجرة من هذه الشجر أكلتني هذه الراحلة ثم قذفتني بعراً ولم أكابد الحساب، يا ابن عامر إني أخاف الداهية الكبرى: إما إلى الجنة وإما إلى النار.

قال الحسن: وكان هرم أفقه الرجلين وأعلمهما بالله عز وجل.

قال مطر الوراق: بات هرم بن حيان العبدي عند حممة صاحب رسول الله ﷺ. قال: فبات حممة ليلته يبكي كلها حتى أصبح، فلما أصبح قال له هرم: يا حممة ما أبكاك؟ قال: ذكرت ليلة صبيحتها تُبَعْثَرُ القبور فيخرج من فيها.

قال: وبات حممة عند هرم بن حيان فبات ليلته يبكي حتى أصبح، فسأله حين أصبح: ما الذي أبكاك؟ قال: ذكرت ليلة صبيحتها تناثر نجوم السماء فأبكاني ذاك. قال: وكانا يصطحبان أحياناً بالنهار فيأتيان سوق الريحان فيسألان الله الجنة ويدعوان، ثم يأتيان الحدادين فيعوذان من النار، ثم يتفرقان إلى منازلهما.

عن أبي نضرة: أن عمر رضي الله عنه بعث هرم بن حيان على الخيل، فغضب رجل فأمر به فوُجِئَت عنقه، ثم أقبل على أصحابه فقال: لا جزاكم الله خيراً، ما نصحتموني حين قلت، ولا كففتموني عن غضبي، والله لا آلي لكم عملاً! ثم كتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين لا طاقة لي بالرعية فابعث إليّ عامِلَك.

عن الحسن قال: مات هرم بن حيان في يوم صائف شديد الحر، فما نفضوا أيديهم عن قبره جاءت سحابة تسير حتى قامت على قبره، فلم تكن أطول منه ولا أقصر، فرشَّته حتى روته، ثم انصرفت.

عن قتادة قال: أمطر قبر هرم بن حيان من يومه، وأنبت العشب من يومه.

قلت: لا يُحفظ لهرم مسندٌ أصلاً.

٤٨٩ ـ صلة بن أشيم العدوي

يكنى أبا الصهباء: قال ثابت البناني: كان صلة بن أشيم يخرج إلى الجبان فيتعبد فيها، فكان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون، فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا النهار عن الطريق وباتوا بالليل، متى يقطعون سفرهم؟ قال: فكان كذلك يمر بهم فيعظهم، فمرّ بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة. فقال شاب منهم: يا قوم إنه والله ما يعني بهم غيرنا، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام. ثم اتبع صلة فلم يزل يختلف معه إلى الجبان ويتعبد معه حتى مات.

---

٤٨٩ ـ صلة بن أشيم العدوي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ١٦٩)، تاريخ ابن كثير (٩/ ١٧)، الحلية (٢/ ٢٣٧)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٣٤)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٩)، الجرح والتعديل (٤/ ٤٤٧).

قال حماد بن زيد: حدثنا ثابت أن صلة وأصحابه مر بهم فتى يجر ثوبه، فهمَّ أصحاب صلة أن يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديداً. فقال صلة: دعوني أكفكم أمره. فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قال أن ترفع إزارك. قال: نعم ونُعمى عين. فرفع إزاره، فقال صلة لأصحابه: هذا كان أمثل مما أردتم، لو شتمتموه لشتمكم.

قال حماد بن سلمة: أنبأ ثابت أن أخاً لصلة بن أشيم مات فجاء رجل وهو يطعم. فقال: يا أبا الصهباء إن أخاك مات! فقال: هلم فكُل، قد نعي لنا، ادن فكل! فقال: والله ما سبقني إليك أحد، فمن نعاه؟ قال: يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ الزمر: ٣٠].

عن معاذة قالت: كان أبو الصهباء يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفاً.

[عن] حماد بن جعفر بن زيد أن أباه أخبره قال: خرجنا في غزاة إلى كابل، وفي الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند العتمة، فقلت: لأرمقن عمله فأنظر ما يذكر الناس من عبادته. فصلى العتمة ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى قلت: هدأت العيون وَثَبَ فدخل غيضة قريباً منه ودخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي.

قال: وجاء أسد حتى دنا منه، قال: فصعدت في شجرة، قال: فتراه التفتَ؟ أو عده جرذاً! حتى سجد فقلت: الآن يفترسه، فجلس ثم سلّم فقال: أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر. فولّى وإن له لزئيراً تصدع الجبال منه. فما زال كذلك.

فلما كان عند الصبح جلس فحمد الله عز وجل بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار، أوَ مثلي يجترئ أن يسلك الجنة؟ ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا، وأصبحت وبي من الفترة شيء الله به عليم.

قال: فلما دنوا من أرض العدو قال الأمير: لا يَشذَّن أحد من العسكر. قال: فذهبت بغلته بثقلها فأخذ يصلي، فقالوا له: إن الناس قد ذهبوا. فمضى ثم قال: دعوني أصلي ركعتين. فقالوا: الناس قد ذهبوا. قال: إنهما خفيفتان. قال: فدعا ثم قال: اللهم إني أقسم عليك أن ترد بغلتي وثقلها. قال: فجاءت حتى قامت بين يديه. قال: فلما لقينا العدو وحمل هو وهشام بن عامر فصنعا بهم طعناً وضرباً وقتلاً، فكُسر ذلك العدو فقالوا: رجلان من العرب صنعا بنا هذا! فكيف لو قاتلونا؟ فأعطوا المسلمين حاجتهم.

عن أبي السليل: أن صلة بن أشيم حدثه قال: كنت أسير على دابة لي، إذ جعت جوعاً شديداً، فلم أجد أحداً يبيعني طعاماً، وجعلت أتحرج أن أصيب من أحد من الطريق شيئاً، فبينما أنا أسير حسبت أنه قال: أدعو ربي عز وجل وأستطعمه، إذ سمعت وَجَبة من خلفي فالتفتُّ فإذا أنا بمنديل أبيض فنزلت عن دابتي فأخذت الثوب فإذا فيه دوخلة ملأى رطباً. قال: فأخذته وركبت دابتي فأكلت منه حتى شبعت، وأدركني المساء فنزلت إلى راهب في دير له فحدثته الحديث.

قال: فاستطعمني من الرطب. فأطعمته رطباً، ثم إني مررت على ذلك الراهب فإذا نخلات

حسان جِمالٌ فقال: إنهن لمن رطباتك التي أطعمتني! وجاء بالثوب إلى أهله فكانت امرأته تريه الناس.

عن رجل من بني عدي قال: لما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيتاً مطيباً فقام يصلي فقامت فصلَّت، فلم يزالا يصليان حتى برق الفجر. قال: فأتيته فقلت: أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقمت تصلي وتركتها؟ فقال: أدخلتني أمس بيتاً أذكرتني به النار، ثم أدخلتني بيتاً أذكرتني به الجنة، فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحت.

عن جعفر بن زيد العبدي: أن صلة بن أشيم قال لمعاذة: ليكن شعارك الموت، فإنك لا تبالين على يسر أصبحت من الدنيا أم على عسر؟.

عن الحسن قال: مات أخ لنا فصلّينا عليه، فلما وضع في قبره ومُدَّ عليه الثوب جاء صلة بن أشيم فأخذ بناحية الثوب ثم نادى: يا فلان ابن فلان:

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا

قال: فبكى وأبكى الناس.

عن ابن عون قال: قال رجل لصلة بن أشيم: ادع الله عز وجل لي. قال: رغبك الله عز وجل فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين الذي لا يُسْكِن إلا إليه، ولا يعول في الدين إلا عليه.

عن ثابت البناني: أن صلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابن له فقال: أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك. فحمل فقاتل حتى قتل رحمه الله، ثم تقدم فقتل، فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: مرحباً، إن كنتن جئتن لتهنئنني فمرحباً بكم، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

لقي صلة بن أشيم جماعة من الصحابة، وأسند عن ابن عباس وغيره. وقتل شهيداً في أول إمرة الحجّاج على العراق.

٤٩٠ ـ أبو رجاء عمران بن ملحان العطاردي

ويقال: عمران بن تيم [قال] يوسف بن عطية: عن أبيه قال: دخل أبي على أبي رجاء العطاردي فقال: حدثني أبو رجاء قال: بعث النبي ﷺ ونحن على ماء لنا وكان لنا صنم مدور، فحملناه على قتب وانتقلنا من ذلك الماء إلى غيره، فمررنا برملة فانسل الحجر فوقع في الرمل فغاب فيه.

فلما رجعنا فقذفنا الحجر فرجعنا في طلبه فإذا هو في رمل قد غاب فيه فاستخرجناه ـ كان ذلك أول إسلامي ـ فقلت: إن إلهاً لم يمتنع من تراب يغيَّب فيه لإله سوء، وإن العنز لتمنع حياءها بذنبها. فرجعنا إلى المدينة وقد توفي رسول الله ﷺ.

---

٤٩٠ ـ أبو رجاء العطاردي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٦١)، الحلية (٣/ ٣٠٤)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢١٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٢)، العبر (١/ ١٢٩)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٣٨)، الجرح والتعديل (١/ ٣/ ٣٠٣)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٤٠).

قال عمارة المغولي: سمعت أبا رجاء يقول: كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نلقيه.

قال الجعد أبو عثمان اليشكري: سألت أبا رجاء العطاردي قلت: يا أبا رجاء أرأيت من أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يخافون على أنفسهم النفاق؟! قال: أما إني أدركت بحمد الله عز وجل منهم صدراً حسناً. قال أبو عثمان: وكان أدرك عمر بن الخطاب فقال: نعم شديداً، نعم شديداً.

قال أبو الأشهب: كان أبو رجاء يختم بنا في رمضان كل عشرة أيام.

قال ابن عون: سمعت أبا رجاء يقول: ما آسى على شيء أخلفه بعدي إلا أني كنت أعفِّر وجهي كل يوم وليلة خمس مرار لربي عز وجل.

أسند أبو رجاء عن عمر، وابن عباس، وأمَّ قومَه أربعين سنة. وتوفي في خلافة ابن عبد العزيز.

٤٩١ ـ إياس بن قتادة التميمي

ابن أخت الأحنف بن قيس: عن سلمة بن علقمة قال: اغتم إياس بن قتادة وهو يريد بشر ابن مروان، فنظر في المرآة فإذا بشيبة في ذقنه فقال: افليها يا جارية. فَفَلَتْها، فإذا هي بشيبة أخرى، فقال: انظروا من بالباب من قومي فأَدْخِلوه. فأُدْخِلوا عليه. فقال: يا بني تميم إني قد كنت وهبت لكم شبيبتي فهبوا لي شيبتي، ألا أراني حُمَيِّرَ الحاجات وهذا الموت يقرب مني! ثم قال: انقضي العمامةَ. فاعتزلَ يؤذنُ لقومه ويعبد ربه، ولم يغش سلطاناً حتى مات.

اسند أياس عن قيس بن عباد، وعن أبي بن كعب، وتشاغل بالتعبد عن الرواية.

ومن الطبقة الثانية من أهل البصرة

٤٩٢ ـ مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير

يكنى أبا عبد الله: قال سليمان بن المغيرة: كان مطرف بن عبد الله إذا دخل بيته سبّحت معه آنية بيته.

قال ثابت: قال مطرف: لو أخرج قلبي في يدي هذه اليسار، وجيء بالخير فجعل في هذه اليمنى ما استطعت أن أولج قلبي منه شيئاً حتى يكون الله يضعه.

قال غيلان: كان مطرف يلبس البرانس، ويلبس المطارف، ويركب الخيل، ويغشى السلطان غير أنك كنت إذا أفضيت إليه أفضيت إلى قرة عين.

---

٤٩١ ـ إياس بن قتادة التميمي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٣١٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٠٢)، الحلية (٣/ ١٢٣).

٤٩٢ ـ مطرف بن عبد الله بن الشخير ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٨١)، الحلية (٢/ ١٩٨)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٦٩)، تاريخ الإسلام (٤/ ٥٦)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٧٣)، شذرات الذهب (١/ ١١٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٠)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٤١)، العبر (١/ ١١٣).

عن ثابت البناني قال: كان مطرف يسكن البادية، فإذا كان يوم الجمعة يركب فيجيء إلى الجمعة، قال: فمر بمقابر فنعس فرأى أهل القبور على أفواه القبور، فقالوا: هذا يذهب إلى الجمعة. قال: وتعرفون يوم الجمعة من غيره؟ قالوا: نعم، ونعرف ما يقول الطير في جو السماء. قال: ما يقول؟ قالوا: يقول: سلام سلام ليوم صالح.

عن ثابت البناني قال: قال مطرف بن عبد الله: ما مدحني أحد قط إلا تصاغرت إلي نفسي.

عن ثابت، عن مطرف قال: لأن يسألني ربي عز وجل يوم القيامة فيقول: يا مطرف ألا فعلت؟ أحب إلي من أن يقول: لم فعلت؟.

عن ثابت عن مطرف بن عبد الله أنه كان يقول: يا إخوتاه اجتهدوا في العمل، فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف ونحاذر لم نقل: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]، نقول: قد عملنا فلَمْ ينفعنا ذلك.

عن خلف بن الوليد عن رجل من بني نهشل قال: قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة: اللهم لا ترد الجميع من أجلي.

قال ثابت: مات عبد الله بن مطرف، فخرج مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد ادّهن فغضبوا وقالوا: يموت عبد الله ثم تخرج في ثياب مثل هذه مدَّهناً؟ قال: فأستكين لها، وقد وعدني ربي تبارك عليها ثلاث خصال، كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا كلها؟ قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦ ـ ١٥٧] فأستكين لها بعد هذا؟.

قال ثابت: وقال مطرف: ما من شيء أُعطى به في الآخرة قدر كوز من ماء إلا وددت أنه أخذ مني في الدنيا.

قال غيلان: سمعت مطرفاً يقول: إني وجدت ابن آدم كالشيء الملقى بين يدي الله تعالى وبين الشيطان، فإن أراد الله أن ينعشه اجترّه إليه، وإن أراد به غير ذلك خلّى بينه وبين عدوه.

قال المعلّى بن زياد: كان إخوان مطرف بن عبد الله عنده، فخاضوا في ذكر الجنة، فقال مطرف: لا أدري ما تقولون؟ حال ذكر النار بيني وبين الجنة!

عن ثابت، عن مطرف: أنه أقبل من مبناه فجعل يسير بالليل فأضاء له سوطه.

عن أبي العلاء، عن مطرف أنه قال: ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل.

وكان مطرف يقول: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيماً لا موت فيه.

عن بكر بن عبد الله المزني قال: قال مطرف بن عبد الله: لو علمت متى أجلي لخشيت علي

ذهابَ عقلي، ولكن الله مَنَّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة ما تهنأوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق.

عن الأعمش قال: قال لي مطرف بن عبد الله: وجدتُ الغفلة التي ألقاها الله عز وجل في قلوب الصدِّيقين من خلقه رحمة رحمهم بها، ولو ألقى في قلوبهم الخوف على قدر معرفتهم به ما هنَّأهم العيشَ.

عن أبي العلاء، عن أخيه ـ يعني مطرفاً ـ قال: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله عز وجل: هذا عبدي حقاً.

قال محمد بن واسع: كان مطرف يقول: اللهم ارض عنا، فإن لم ترض عنا فاعف عنا، فإن المولى قد يعفو عن عبده وهو عنه غير راض.

عن سكين بن عبد العزيز، عن أبيه عن مطرف قال: إذا دخلتم على المريض فإن استطعتم أن يدعوا لكم، فإنه قد حُرِّك.

قال سفيان: قال مطرف: إن أقبحَ ما طُلِب به الدنيا عملُ الآخرةُ.

عن حميد بن هلال قال: كان بين مطرف وبين رجل من قومه شيء، فكذب على مطرف!

فقال له مطرف: إن كنت كاذباً فعجل الله حتفك. فمات الرجل مكانه! قال: فاستعدى أهلُه زياداً على مطرف، فقال لهم زياد: هل ضربه؟ هل مسه بيده؟ فقالوا: لا. فقال: دعوة رجل صالح وافقت قدراً. فلم يجعل لهم شيئاً.

قال أبو بكر السهمي: حدثني شيخ لنا يكنى أبا بكر: أن مطرف بن الشخير قال لبعض إخوانه: يا فلان إذا كانت لك حاجة فلا تكلمني فيها، ولكن اكتبها في رقعة، ثم ادفعها إلي، فإني أكره أن أرى في وجهك ذلَّ السؤال. وقال الشاعر:

لا تحسبن الموت موتَ البِلى ... وإنما الموتُ سؤالُ الرجال
كلاهما موتٌ، ولكن ذا ... أشد من ذاك لذلِّ السؤال

وقال أيضاً:

ما اعتاض باذلُ وجهه بسؤاله ... عِوَضاً، وإن نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النَّوال وَزَنْتَه ... رجح السؤالُ وخفَّ كلُّ نوال
فإذا ابتُليت ببذل وجهك سائلاً ... فابذُله للمتكرِّم المِفْضَال

عن غيلان قال: كان مطرف يقول: كأن القلوب ليست منا، وكأن الحديث يعُنى به غيرُنا.

أسند مطرف عن عثمان بن عفان، وعلي، وأُبي بن كعب، وأبي ذر، وأبيه عبد الله بن الشخير، في آخرين، وتوفي في ولاية الحجاج العراقَ بعد الطاعون الجارف، وكان الطاعون سنة سبع وثمانين في خلافة الوليد بن عبد الملك، وكان مطرف أكبر من الحسن البصري بعشرين سنة.

٤٩٣ ـ صفوان بن محرز المازني

من بني تميم: عن الحسن عن صفوان بن محرز قال: إذا أكلت رغيفاً أشد به صلبي، وشربت كوز ماء فعلى الدنيا وأهلها العفاء.

قال المعلى بن زياد القردوسي: كان لصفوان بن محرز سرب[1] يبكي فيه، وكان يقول: قد أرى مكان الشهادة لو تشايعني نفسي.

عن الحسن قال: لقيت أقواماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم، ولقد لقيت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق أن لا تقبل منهم [من إشفاقكم] من سيآتكم، ولقد صحبت أقواماً كان أحدهم يأكل على الأرض، وينام على الأرض، منهم صفوان بن محرز المازني.

وكان يقول: إذا أويت إلى أهلي وأصبت رغيفاً أكلتُه فجزى الله الدنيا عن أهلها شراً. والله ما زاد على رغيف حتى فارق الدنيا، يظل صائماً ويفطر على رغيف، ويشرب عليه من الماء حتى يتروى، ثم يقوم فيصلي حتى يصبح، فإذا صلى الفجر أخذ المصحف فوضعه في حجره يقرأ حتى يترجل النهار، ثم يقوم فيصلي حتى ينتصف النهار، فإذا انتصف النهار رمى بنفسه على الأرض فنام إلى الظهر، فكانت تلك نومته حتى فارق الدنيا، فإذا صلى الظهر قام فصلى إلى العصر، فإذا صلى العصر وضع المصحف في حجره فلا يزال يقرأ حتى تصفرَّ الشمس.

عن الحسن قال: كان لصفوان بن محرز سرب[1] لا يخرج منه إلا للصلاة.

غيلان بن جرير قال: كانوا يجتمعون، صفوان وإخوانه، فيتحدثون فلا يرون تلك الرقة!

فيقولون: يا صفوان حدِّث أصحابك. قال: فيقول: الحمد لله. فيرق القوم وتسيل دموعهم، كأنها أفواه المزاد[2].

قال ثابت البناني: أخذ عبيد الله بن زياد ابن أخ لصفوان بن محرز فحبسه في السجن، فلم يدع صفوانُ شريفاً بالبصرة يرجو منفعته إلا تحمل به عليه، فلم ير لحاجته نجاحاً، فبات في مصلاه حزيناً. قال: فهوَّم من الليل فإذا آت قد أتاه في منامه فقال: يا صفوان قم فاطلب حاجتك من جهتها. قال: فانتبه فزعاً. فقام فتوضأ ثم صلى ثم دعا. فأرِقَ ابنُ زياد فقال: علي بابن أخي صفوان بن محرز. فجاء بالحرس وجيء بالنيران ففتحت تلك الأبواب الحديد في جوف الليل، فقال: ابن أخي صفوان أخرجوه، فإني مُنِعت من النوم منذ الليلة. فأخرج، فأتي به ابن زياد فقال: انطلق بلا كفيل ولا شيء. فما شعر صفوان حتى ضرب عليه ابن أخيه بابه.

---

٤٩٣ ـ صفوان بن محرز المازني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ١٣٢)، الحلية (٢/ ٢١٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٠)، تاريخ الإسلام (٤/ ١٤)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٣٠)، الجرح والتعديل (١/ ٢/ ٤٢٣)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٤٧).

(١) السَّرَب: الحَفير تحت الأرض، وأيضاً جُحر الوحشيّ من الدوابّ.

(٢) أفواه المزاد: المزاد والمَزَادة: الرَّاوِيَة: وعاء من جلد كانوا يضعون فيه الماء لشربهم.

قال صفوان: من هذا؟ قال: أنا فلان. قال: أي ساعة هذه الساعة؟ فحدثه الحديث.

أسند صفوان عن ابن عمر، وأبي موسى، وعمران بن حصين، وحكيم بن حزام، في آخرين.

وتوفي بالبصرة في ولاية بشر بن مروان.

٤٩٤ ـ أبو الحلال العتكي

اسمه زرارة بن ربيعة، من الأزد. قال عبيد الله بن ثور: حدثتني أمي عن عمتها العيناء بنت أبي الحلال قالت: كان أبو الحلال فوق غرفة فيأتي بعض أبوابها فيشرف على شق من ناحية الحي فينادي: يا فلان يا فلان. ثم يقبل على الشق الآخر فينادي: يا فلان يا فلان. ثم يقبل على الشق الآخر فيقول مثله، حتى يأتي على كل الأركان الأربعة. قالت: ثم يقول: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨] ثم يقبل على الصلاة.

ومات يوم مات وهو ابن عشرين ومائة سنة. وكان يقول: اللهم لا تسلبني القرآن.

وسمع أبو الحلال من عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٤٩٥ ـ زرارة بن أوفى الحرشي

من بني الحريش بن كعب، يكنى أبا حاجب: قال بهز بن حكيم: صلى بنا زرارة بن أوفى في مسجد بني قشير فقرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] فخرّ ميتاً، فحُمِل إلى داره، فكنت فيمن حمله إلى داره.

قال: وكان يقص في داره، وقدم الحجاج وهو يقص في داره.

قال أبو جناب القصار: صلى بنا زرارة بن أوفى الفجر فلما بلغ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] شهق شهقة فمات. رحمه الله.

أسند زرارة عن جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة، وعمران بن حصين، وابن عباس.

وتوفي فجاءة سنة ثلاث وتسعين من خلافة الوليد بن عبد الملك.

٤٩٦ ـ أبو السوار: حسان بن حريث العدوي

من بني عدي بن زيد مناة: عن أبي التياح قال: سمعت أبا السوار يقول: وقرأ هذه الآية: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ الإسراء: ١٣] قال: هما نشرتان وطَيّةٌ، أما ما حييت يا ابن آدم فصحيفتك منشورة فأملِ فيها ما شئت، فإذا مت طويت، ثم إذا بعثت نشرت: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الإسراء: ١٤].

---

٤٩٥ ـ زرارة بن أوفى الحرشي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٣١٢)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٥)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٦٨)، الحلية (٢/ ٢٥٨)، الجرح والتعديل (٢/ ١/ ٦٠٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٢٢). شذرات الذهب (١/ ١٠٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٠)، العبر (١/ ١٠٩).

٤٩٦ ـ حسان بن حريث العدوي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١١٩)، طبقات ابن سعد (٧/ ١/ ١١٠).

قال محمد بن الحسين: إن أبا السوار العدوي أقبل عليه رجل بالأذى، فسكت، حتى بلغ منزله أو دخل. قال: حسبك إن شئت.

عن هشام قال: كان أبو السوار العدوي يَعرض له رجل فيشتمه! فيقول: إن كنتُ كما قلتَ إني إذاً لرجل سوء.

أسند أبو السوار عن علي بن أبي طالب، وعمران بن حصين وغيرهما.

٤٩٧ ـ خليد بن عبد الله العصري

وعصر بطن من عبد قيس: قال محمد بن واسع: كان خليد العصري يصوم الدهر.

عن قتادة: أن خليداً العصري قال: يا إخوتاه هل منكم من أحد لا يحب أن يلقى حبيبه؟ ألا فأحبوا ربكم، وسيروا إليه سيراً كريماً.

عن قتادة عن خليد قال: المؤمن لا تلقاه إلا في ثلاث خلال: مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة لا بأس بها.

عن محمد بن واسع قال: قال خليد العصري: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعداً! وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً! وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفاً! فعلى ما تعرجون؟ وما عسيتم [تنتظرون؟] الموت؟ فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشرٍّ، فيا إخواتاه سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً.

٤٩٨ ـ ميمون بن سياه

عن كهمس بن عبد الله قال: سمعت ميمون ين سياه ـ وكان أكبر من الحسن ـ يقول: تذاكروا عندي رجلاً من هؤلاء السلاطين، فوقعوا فيه، ولم أذكر منه خيراً ولا شراً، فانقلبت إلى بيتي فرقدت فرأيت فيما يرى النائم كأن بين يدي جيفة زنجي ميت منتفخ منتن، وكأن قائماً على رأسي يقول: كلْ. قلت: يا عبد الله ولِمَ آكل؟ قال: بما اغتيب عندك فلان! قال: قلت: ما ذكرت منه خيراً ولا شراً. فقال: ولكنك استمعت ورضيت.

عن حزم قال: كان ميمون بن سياه لا يغتاب، ولا يدع أحداً يغتاب عنده، ينهاه فإن انتهى وإلا قام عنه. أسند ميمون عن أنس بن مالك.

٤٩٩ ـ يزيد بن عبد الله بن الشخير

أخو مطرف، يكنى أبا العلاء: عن بديل بن ميسرة قال: كان مطرف يقول: لأن أعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر.

---

٤٩٧ ـ خُلَيْد بن عبد الله العصري ـ رحمه الله ـ: الحلية (٢/ ٢٣٢).

٤٩٨ ـ ميمون بن سياه ـ رحمه الله ـ: الحلية (٣/ ١٠٦).

٤٩٩ ـ يزيد بن عبد الله ـ رحمه الله ـ: الحلية (٢/ ٢١٢)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢١٢)، شذرات الذهب (١/ ١٣٥)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٥)، العبر (١/ ١٣٣).

وكان أبو العلاء يقول: اللهم أي ذلك كان خيراً لي فعجل لي.

قال أبو صالح العقيلي: كان يزيد يقرأ في المصحف حتى يغشى عليه. قال: كان يزيد أكبر من الحسن البصري بعشر سنين، وكان مطرف أكبر من يزيد بعشر سنين، وقد حدث يزيد عن أبيه وغيره. وتوفي بالبصرة سنة إحدى عشرة ومائة.

٥٠٠ ـ الحسن بن أبي الحسن البصري

يكنى أبا سعيد، وكان أبوه من أهل بيسان، فسُبِي، فهو مولى الأنصار، ولد في خلافة عمر وحنكه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي ﷺ، فربما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فيدرّ عليه ثديها فيشربه. فكانوا يقولون: فصاحتُه من بركة ذلك.

قال إبراهيم بن عيسى اليشكري: ما رأيت أطول حزناً من الحسن، وما رأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة.

عن يونس قال: كان الحسن يقول: نضحك، ولعل الله قد اطَّلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئاً.

قال حكيم بن جعفر: قال لي مسمع: لو رأيت الحسن لقلت: قد بُثَّ عليه حزنُ الخلائق، من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج.

قال محمد بن سعد: قال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تُخلق إلا لهما.

عن حفص بن عمر قال: بكى الحسن. فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي.

قال يوسف بن أسباط: مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك، وأربعين سنة لم يمزح. قال: وقال الحسن: لقد أدركت أقواماً ما أنا عندهم إلا لص.

عن حميد قال: بينما الحسن في المسجد تنفس تنفساً شديداً ثم بكى حتى أُرعدت منكباه، ثم قال: لو أن بالقلوب حياة، لو أن بالقلوب صلاحاً لأبكتكم من ليلةٍ صبيحتُها يوم القيامة، إن ليلة تمخض عن صبيحةِ يومِ القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر من عورة بادية ولا عين باكية من يوم القيامة!.

روى أبو عبيدة الناجي: أنه سمع الحسن يقول: يا ابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم

---

٥٠٠ ـ الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٣٦)، الحلية (٢/ ١٣١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧١)، ميزان الاعتدال (١/ ٥٢٧)، تاريخ الإسلام (٤/ ٩٨)، الجرح والتعديل (٣/ ١٧٧)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٢٩٩)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٣)، التاريخ الكبير (٢/ ٢٥٠٣)، طبقات ابن سعد (٧/ ١١٤).

تصلح عيباً إلا وجدت عيباً آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله تعالى من كان كذلك.

عن يحيى بن المختار عن الحسن قال: إن المؤمن قوَّام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خفَّ الحسابُ يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحسابُ يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات هيهات، حيل بيني وبينك! ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا؟ ما لي ولهذا؟ والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله، إن المؤمنين قومٌ أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه.

قال مبارك بن فضالة: سمعت الحسن ـ وقال له شاب: أعياني قيام الليل؟ ـ فقال: قيَّدتك خطاياك.

قال عبد المؤمن بن عبيد الله عن الحسن: يا ابن آدم إنك ناظر إلى عملك؟ يوزن خيره وشره فلا تحقرن من الخير شيئاً، وإن هو صغر فإنك إذا رأيته سرك مكانه، ولا تحقرن من الشر شيئاً فإنك إذا رأيته ساءك مكانه، رحم الله رجلاً كسب طيباً وأنفق قصداً وقدم فضلاً ليوم فقره وفاقته، هيهات! ذهبت الدنيا بحال بالها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم، أنتم تسوقون الناس، والساعة تسوقكم، وقد أُسرع بخياركم، فماذا تنتظرون؟ المعاينة فكأن قد! إنه لا كتاب بعد كتابكم، ولا نبي بعد نبيكم، يا ابنَ آدم بِعْ دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.

روى أبو عبيدة الناجي: أنه سمع الحسن بن أبي الحسن يقول: حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور، واقدعوا هذه الأنفس فإنها طُلَعةٌ، وإنها تنازع إلى الشر غاية، وإنكم إن لم تقاربوها لم تبق من أعمالكم شيئاً، فتصبّروا وتشددوا، فإنما هي ليال تُعد، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يُدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت، فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم، إن هذا الحق أجهد الناس، وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما صبر على هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته.

عن أبي همام الكلاعي، عن الحسن: أنه مر ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين فقال: أفرحتم حمائمكم وفرطحتم[1] نعالكم، وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم فزهدوا فيكم، أما إنكم لو جلستم ببيوتكم حتى يكونوا هم الذين يرسلون إليكم لكان أعظم لكم في أعينهم! تفرقوا فرّق الله بين أعضائكم.

عاصر الحسن خلقاً كثيراً من الصحابة، فأرسل الحديث عن بعضهم، وسمع من بعضهم، وقد

(١) فرطح: عَرّض

ذكرنا ذلك في كتاب أفردناه لمناقب الحسن وأخباره، وهو نحو من عشرين جزءاً، لذلك اكتفينا بما ذكرنا هنا لأننا نكره الإعادة في التصانيف. وتوفي الحسن في سنة عشر ومائة.

٥٠١ ـ أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي

عن عمرو بن دينار قال: أخبرني عطاء قال: سمعت ابن عباس يقول: لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم عما في كتاب الله عز وجل علماً. وقال عمرو: وما رأيت أحداً أعلم من أبي الشعثاء.

عن صالح الدهان، عن جابر بن زيد قال: نظرت في أعمال البِر فإذا الصلاة تجهد البدن ولا تجهد المال، والصيام مثل ذلك، والحج يجهد المال والبدن. فرأيت الحج أفضل من ذلك كله.

عن صالح الدهان: أن جابر بن زيد كان لا يماكس في ثلاث: في الكراء إلى مكة، وفي الرقبة يشتريها للعتق، وفي الأضحية. وكان لا يماكس في كل شيء يتقرب به إلى الله عز وجل.

عن ابن سيرين قال: كان أبو الشعثاء مُسْلِماً عند الدينار والدرهم.

عن مطر الوراق، عن جابر بن زيد قال: لأن أتصدق بدرهم على يتيم أو مسكين أحب إلي من حجة بعد حجة الإسلام.

وأسند أبو الشعثاء عن ابن عمر، وابن عباس. وتوفي سنة ثلاث ومائة.

٥٠٢ ـ أبو قلابة: عبد الله بن زيد الجرمي

عن أيوب، عن أبي قلابة قال: أي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال له صغار يعفّهم الله به ويغنيهم.

عن صالح بن رستم قال: قال أبو قلابة: إذا أحدث الله عز وجل لك علماً فأحدث له عبادة، ولا يكن همك ما يحدّث به الناس. قال: وقال لي: الزم سوقك؛ فإن الغنى من العافية.

حميد الطويل، عن أبي قلابة قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جُهْدَك، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك: لعل لأخي عذراً لا أعلمه.

قال عثمان بن الهيثم: كان رجل بالبصرة من بني سعد، وكان قائداً من قواد عبيد الله بن زياد فسقط على السطح فانكسرت رجلاه، فدخل عليه أبو قلابة يعوده فقال له: أرجو أن تكون لك خيرة. فقال له: يا أبا قلابة وأي خير في كسر رجلي جميعاً؟ فقال: ما ستر الله عليك أكثر.

فلما كان بعد ثلاث ورد عليه كتاب ابن زياد أن يخرج فيقاتل الحسين، فقال للرسول: قد

---

٥٠١ ـ أبو الشعثاء ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٨٤)، الحلية (٣/ ٨٥)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٢)، العبر (١/ ١٠٨)، تاريخ الإسلام (٤/ ٧٧)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٩٣)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٨)، الجرح والتعديل (١/ ١/ ٤٩٤)، شذرات الذهب (١/ ١٠١)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٧٩).

٥٠٢ ـ عبد الله بن زيد الجرمي: أبو قلابة ـ رحمه الله ـ: الحلية (٢/ ٢٨٢).

أصابني ما ترى! فما كان إلا سبعاً حتى وافى الخبر بقتل الحسين. فقال الرجل: رحم الله أبا قلابة لقد صدق، إنه كان خيرة لي.

عن أيوب قال: مرض أبو قلابة بالشام، فأتاه عمر بن عبد العزيز يعوده فقال: يا أبا قلابة تشدّد، لا تُشْمِت بنا المنافقون.

أسند أبو قلابة عن أنس وغيره من الصحابة، ومات بالشام سنة أربع أو خمس ومائة.

٥٠٣ ـ مُسْلِم بن يَسار

يكنى أبا عبد الله: مولى طلحة بن عبيد الله التيمي. كذا قال ابن سعد. وقال البخاري ومسلم بن الحجاج: هو مولى بني أمية. وقال أبو بكر الخطيب: مولى عثمان بن عفان.

ميمون بن جابان قال: ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً في صلاته قط، خفيفة ولا طويلة. لقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدّته وإنه لفي المسجد في صلاة فما التفتَ.

قال عبد الجبار بن النضر السلمي: حدثني رجل من آل محمد بن سيرين قال: رأيت مسلم بن يسار رفع رأسه من السجود في المسجد الجامع، فنظرت إلى موضع سجوده كأنه قد صُبَّ فيه الماء من كثرة دموعه.

قال جعفر بن حيان: ذُكر لمسلم بن يسار قلةُ التفاته في الصلاة! فقال: وما يدريكم أين قلبي؟.

عن ابن شوذب قال: كان مسلم بن يسار يقول لأهله إذا دخل في صلاته في بيته: تحدثوا فلست أسمع حديثكم.

[عن] عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال: كان مسلم إذا دخل المنزل سكت أهل البيت فلا يُسمَع لهم كلامٌ، وإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا.

[عن] ابن عون قال: رأيت مسلم بن يسار يصلي كأنه وتد، لا يميل على قدم مرة ولا على قدم مرة، ولا يتحرك له ثوب، ولا يتروح على رجل.

عن حبيب بن الشهيد: أن مسلم بن يسار كان قائماً يصلي فوقع حريق إلى جنبه فما شعر به حتى طفئت النار.

[عن] عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال: حدثني أبي قال: رأيت مسلماً وهو ساجد، وهو يقول في سجوده: متى ألقاك وأنت عني راض؟ ويذهب في الدعاء ثم يقول: متى ألقاك وأنت عني راض.

عن ابن عون قال: كان مسلم بن يسار إذا كان في غير صلاة كأنه في صلاة.

---

٥٠٣ ـ مسلم بن يَسار ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٦٢)، تاريخ ابن كثير (٩/ ١٨٦)، تاريخ الإسلام (٤/ ٥٤)، الحلية (٢/ ٢٩٠)، شذرات الذهب (١/ ١١٩)، الجرح والتعديل (١/ ٤/ ١٩٨)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٠)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٨٦)، العبر (١/ ١٢٠).

قال ابن المبارك: قال مسلم بن يسار لأصحابه يوم التروية: هل لكم في الحج؟ فقالوا: خرف الشيخُ! وعلى ذلك فلنطيعنَّه. قال: من أراد ذلك فليخرج. فخرجوا إلى الجبان برواحلهم فقال: خلوا أزمتها. فأصبحوا وهم ينظرون إلى جبال تهامة.

قال سليمان بن المغيرة: جاء مسلم بن يسار إلى دجلة وهي تقذف بالزبد، فمشى على الماء، ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون شيئاً؟.

لقي مسلم بن يسار جماعة من الصحابة، وتوفي في سنة مائة أو إحدى ومائة في خلافة عمر بن عبد العزيز.

قال مالك بن دينار: رأيت أبا عبد الله مسلم بن يسار في منامي بعد موته بسنة؛ فسلمت عليه فلم يردّ السلام! فقلت: ما يمنعك أن ترد علي السلام؟ فقال: أنا ميت فكيف أرد عليك السلام؟ قال: قلت له: فماذا لقيت بعد الموت؟ قال: فدمعت عينا مالك عند ذلك وقال: لقيت والله أهوالاً عظاماً شداداً. قال فقلت: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟ قبل منا الحسنات، وعفا لنا عن السيئات، وضمن عنا التبعات.

قال: ثم شهق مالك شهقة خرّ مغشياً عليه. قال: فلبث بعد ذلك أياماً مريضاً من غشيته ثم مات، فيرون أنه انصدع قلبه فمات. رحمه الله.

٥٠٤ ـ محمد بن سيرين

يكنى أبا بكر، مولى أنس بن مالك. كاتبه أنس، وقال ابن عائشة: كان سيرين من أهل جَرْجَرايا، وكان يعمل قدور النحاس، فجاء إلى عين التمر يعمل بها فسباه خالد بن الوليد.

عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك قال: هذه مكاتَبة [ابن] سيرين عندنا: هذا ما كاتب عليه أنس بن مالك فتاه شيرون على كذا وكذا ألفاً، وعلى غلامين يعملان عليه.

قال بكار بن محمد: حدثني أبي: أن أم محمد بن سيرين ـ صفية مولاة أبي بكر بن أبي قحافة ـ طيَّبها ثلاث من أزواج رسول الله، ودَعَوْنَ لها، وحضر إملاكها ثمانية عشر بدرياً؛ منهم أبي بن كعب يدعو وهم يؤمِّنون.

قال بكار: وأنبأ ابن عون قال: كان محمد بن سيرين إذا حدث كأنه يتّقي شيئاً، كأنه يحذر شيئاً.

قال جرير بن حازم: سمعت محمد بن سيرين يحدث رجلاً فقال: ما رأيت الرجل الأسود، ثم قال: أستغفر الله، ما أراني إلا قد اغتبت الرجل.

---

٥٠٤ ـ محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٣٦)، الحلية (٢/ ١٣١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، تاريخ الإسلام (٤/ ٩٨)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧١)، ميزان الاعتدال (١/ ٥٢٧)، تهذيب التهذيب (٩/ ٢١٤)، الجرح والتعديل (٢/ ٣/ ٢٨٠)، شذرات الذهب (١/ ١٣٨)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٣)، العبر (١/ ١٣٥).

عن ابن عون قال: كانوا إذا ذكروا عند محمد رجلاً بسيئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم.

قال طوق بن وهب: دخلت على محمد بن سيرين وقد اشتكيت. فقال: كأني أراك شاكياً؟. قلت: أجل. قال: اذهب إلى فلان الطبيب فاستوصفه. ثم قال: اذهب إلى فلان فإنه أطَبُّ منه. ثم قال: أستغفر الله أراني قد اغتبته.

قال عاصم الأحول: سمعت مورقاً العجلي يقول: ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين.

قال: وقال أبو قلابة: اصرفوه حيث شئتم فلتجدنه أشدكم ورعاً، وأملككم لنفسه.

عن أيوب قال: قال أبو قلابة: وأينا يطيق ما يطيق محمد بن سيرين؟ يركب مثل حد السنان.

قال أبو عوانة: رأيت محمد بن سيرين يمر في السوق فَيَكَبُّر الناس.

قال خلف: كان محمد بن سيرين قد أعطي هدياً وسمتاً وخشوعاً، فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله.

قال بسطام بن مسلم: كان محمد بن سيرين إذا مشى معه رجل قام وقال: ألك حاجة؟ فإن كان له حاجة قضاها، فإن عاد يمشي معه قام فقال له: ألك حاجة؟.

عن عاصم قال: لم يكن ابن سيرين يترك أحداً يمشي معه.

[عن] حماد عن حبيب عن ابن سيرين قال: إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه.

[عن] ابن عون قال: سمعت محمداً يقول في شيء راجعته فيه: إني لم أقل لك ليس به بأس، إنما قلت لك: لا أعلم به بأساً.

[عن] الأشعث قال: كان محمد بن سيرين إذا سئل عن شيء من الفقه ـ الحلال والحرام ـ تغير لونه وتبدّل، حتى كأنه ليس بالذي كان.

عن هشام قال: أوصى أنس بن مالك أن يغسله محمد بن سيرين، فقيل له في ذلك، وكان محبوساً؟ فقال: أنا محبوس. قالوا: قد استأذن الأميرَ، فأذن لك في ذلك. قال: فإن الأمير لم يحبسني إنما حبسني الذي له الحق. فأذن له صاحب الحق فخرج فغسله.

عن رجاء بن أبي سلمة قال: سمعت يونس بن عبيد يقول: أما ابن سيرين فإنه لم يعرض له أمران في دينه إلا أخذ بأوثقهما.

عن هشام، عن ابن سيرين: أنه اشترى بيعاً فأشرف فيه على ثمانين ألفاً، فعرض في قلبه منه شيء فتركه. قال هشام: والله ما هو برباً.

عن السري بن يحيى قال: لقد ترك ابن سيرين ربح أربعين ألفاً في شيء دخله.

قال سري: فسمعت سليمان التيمي يقول: لقد تركه في شيء ما يختلف فيه أحد من العلماء.

قال سعيد بن عامر: سمعت هشام بن حسان يقول: ترك محمد بن سيرين أربعين ألف درهم في شيء ما ترون به اليوم بأساً.

قال هشام بن حسان يذكره: كان ابن سيرين إذا دعي إلى وليمة أو إلى عرس يدخل منزله فيقول: اسقوني شربة سويق. فيقال له: يا أبا بكر أنت تذهب إلى الوليمة أو العرس تشرب سويقاً؟ فيقول: إني أكره أن أحمل حدَّ جوعي على طعام الناس.

عن ابن شوذب قال: كان ابن سيرين يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان اليوم الذي يفطر فيه يتغدى ولا يتعشى، ثم يتسحّر ويصبح صائماً.

قال موسى بن المغيرة: رأيت محمد بن سيرين يدخل السوق نصف النهار يكبر ويسبح ويذكر الله عز وجل. فقال له رجل: يا أبا بكر في هذه الساعة؟ قال: إنها ساعة غفلة.

روى هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين قالت: كان محمد إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تخشعاً لها.

عن ابن عون قال: دخل رجل على محمد وهو عند أمه فقال: ما شأن محمد؟ يشتكي شيئاً؟ قالوا: لا، ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه.

عن الربيع، عن ابن سيرين قال: ظلمٌ لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره.

عن ابن عون قال: أرسل ابن هبيرة إلى ابن سيرين فأتاه فقال له: كيف تركت أهل مصرك؟ قال: تركتهم والظلم فيهم فاشٍ.

قال ابن عون: كان محمد يرى أنها شهادة يُسأل عنها؟ فكره أن يكتمها.

عن جعفر بن مرزوق قال: بعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين والحسن والشعبي، قال: فدخلوا عليه، فقال لابن سيرين: يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربت من بابنا؟ قال: رأيت ظلماً فاشياً. قال: فغمزه ابن أخيه بمنكبه، فالتفت إليه ابن سيرين فقال ابن سيرين: إنك لست تُسأل إنما أُسأل أنا. فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف، وإلى ابن سيرين بثلاث آلاف، وإلى الشعبي بألفين. فأما ابن سيرين فلم يأخذها.

عن جعفر بن أبي الصلت قال: قلت لمحمد بن سيرين: ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة؟ قال: فقال لي: يا أبا عبد الله ـ أو يا هذا ـ إنما أعطاني على خير كان يظنه بي، ولئن كنتُ كما ظن بي فما ينبغي لي أن أقبل، وإن لم أكن كما ظن فبالحري أن لا يجوز لي أن أقبل.

عن عمير بن رئاب، عن ابن سيرين قال: العزلة عبادةٌ.

عن ابن عون قال: كان لابن سيرين منازل لا يكريها إلا من أهل الذمة. فقيل له في ذلك؟ فقال: إذا جاء رأس الشهر رُعته! وأكره أن أروّع مسلماً!!.

عن عبيد الله بن السري قال: قال ابن سيرين: إني لأعرف الذنب الذي حمل به علي الدين ما

هو؟ قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس! فحدثت به أبا سليمان الداراني فقال: قلَّت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون؟ وكثرت ذنوبي وذنوبك فليس ندري من أين نؤتى؟.

عن عاصم الأحول قال: كان عامة كلام ابن سيرين: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده.

عن هشام بن حسان قال: ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في جوف الليل وهو يصلي.

عن أنس بن سيرين قال: كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرؤها بالليل، فإذا فاته منها شيء قرأه من النهار.

عن هشام قال: كان ابن سيرين يحيي الليل في رمضان.

عن دهير قال: كان ابن سيرين إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته.

قال مهدي: كنا نجلس إلى محمد فيحدثنا ونحدثه، ويكثر علينا ونكثر إليه، فإذا ذكر الموت تغير لونه، واصفرّ، وأنكرناه، وكأنه ليس بالذي كان.

عن ابن عون: أن محمد بن سيرين كان إذا نام وجَّه نفسه.

قال أُبَيّ: كان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا؟ قال: اتق الله عز وجل في اليقظة، ولا يضرك ما رأيت في المنام.

قال بشر بن عمر: حدثتنا أم عباد ـ امرأة هشام بن حسان ـ قالت: نزلنا مع محمد بن سيرين في الدار، فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار.

قال الصقر ـ يعني ابن حبيب ـ: مرّ ابن سيرين برآس قد أخرج رأساً فغشي عليه.

عن حبيب بن الشهيد قال: كنت أنا وأيوب السختياني عند عمر بن دينار فحلف ما رأى أحداً أفضل من طاووس. فقال أيوب: لو رأى ابن سيرين لم يحلف.

أسند محمد بن سيرين عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد، وعمران بن حصين، وجندب، وأنس، وأبي هريرة، وأبي بكرة في آخرين.

قال علي بن المديني: لم يحفظ عن زيد بن ثابت شيئاً، إلا أنه سمع كلامه.

وتوفي في سنة عشر ومائة، بعد الحسن بمائة يوم، وهو ابن نيف وثمانين سنة.

٥٠٥ ـ بكر بن عبد الله المزني

عن كنانة بن جبل قال: قال بكر بن عبد الله: إذا رأيت من هو أكبر منك فقل: هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقته إلى الذنوب

---

٥٠٥ ـ بكر بن عبد الله المُزَني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٢١)، الحلية (٢/ ٢٢٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣٢)، تاريخ الإسلام (٤/ ٩٣)، تهذيب التهذيب (١/ ٤٨٤)، الجرح والتعديل (١/ ١/ ٣٨٨)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠٩)، شذرات الذهب (١/ ١٣٥)، العبر (١/ ١٣٣).

والمعاصي فهو خير مني، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل: هذا ذنب أحدثته.

عن صالح المري قال: وقف مطرف بن عبد الله بن الشخير وبكر بن عبد الله المزني بعرفة فقال مطرف: اللهم لا تردهم اليوم من أجلي. وقال بكر: ما أشرفه من مقام وأرجاه لأجله لولا أني فيهم.

عن معاوية بن عبد الكريم، عن بكر بن عبد الله قال: كان الرجل من بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ فمشى في الناس تظله غمامة. قال: فمر رجل قد أظلته غمامة على رجل فأعظمه لمّا رآه لِما آتاه الله عز وجل! قال: فاحتقره صاحب الغمامة، أو قال كلمة نحوها، فأُمرتْ أن تتحول من رأسه إلى رأس الذي عظم أمر الله عز وجل.

عن حميد قال: كان بكر مجاب الدعوة.

عن إبراهيم بن عيسى قال: قال بكر بن عبد الله المزني: من مثلك يا ابن آدم؟ خلي بينك وبين المحراب والماء، كلما شئت دخلت على الله عز وجل ليس بينك وبينه ترجمان.

عن حصين عن بكر بن عبد الله المزني قال: لا يكون العبد تقياً حتى يكون تقي الطمع، تقي الغضب.

عن المفضل بن غسان عن أبيه قال: قال بكر بن عبد الله: إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس ناسياً لعيبه فاعلموا أنه قد مُكِر به.

قال مسمع بن عاصم: حدثني رجل من آل عاصم الجحدري قال: رأيت عاصماً الجحدري بعد موته بسنتين فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى. فقلت: أين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة، أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى في أخباركم. قال: قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات! بليت الأجسام، وإنما تتلاقى الأرواح.

أسند بكر عن ابن عمر، وجابر، وأنس، وعبد الله بن مغفل، ومعقل بن يسار، وغيرهم. وتوفي في سنة ثمان، ويقال: سنة ست ومائة.

٥٠٦ ـ مورق بن المشمرج العجلي

يكنى أبا المعتمر: عن هشام عن مورق قال: ما تكلمت بشيء من الغضب فندمت عليه في الرضا.

عن حفصة بنت سيرين قالت: كان مورق العجلي يأتينا، فسألته عن أهله وولده؟ فقال: هم والله متوافرون. فقلت: رحمك الله لِمَ تقول هذا؟ قال: إني والله أخشى أن يحبسوني على هلكة.

وكان يقول: ما في الأرض نفسٌ في موتها لي أجر إلا وددت أنها قد ماتت.

---

٥٠٦ ـ مورّق العجلي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٢٤)، الحلية (٢/ ٢٣٤)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٠٦)، العبر (١/ ١٢٢)، الجرح والتعديل (١/ ٤/ ٤٠٣)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٣١)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢١٣).

قال المعلى بن زياد: قال مورق العجلي: ما من أمر يبلغني أحب إلي من موت أحب أهلي إلي.

عن قتادة: أن مورقاً قال: ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا مثل رجل في البحر على خشبة فهو يدعو: يا رب يا رب، لعل الله عز وجل أن ينجيه.

قال المعلى بن زياد القردوسي: قال مورق العجلي: أمرٌ أنا في طلبه منذ عشرين سنة [ولم] أقدر عليه ولست بتارك طلبه أبداً! قالوا: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: الصمت عما لا يعنيني.

عن جميل بن مرة قال: مسَّتنا حاجة شديدة، وكان مورق العجلي يأتينا بالصرة فيقول: أمسكوا هذه لي عندكم. ثم يمضي غير بعيد فيقول: إن احتجتم إليها فأنفقوها.

قال جعفر: أنبأنا بعض أصحابنا قال: كان مورق يتَّجر فيصيب المال فلا يأتي عليه جمعة وعنده منه شيء، يلقى الأخ فيعطيه أربعمائة، خمسمائة، ثلثمائة، فيقول: ضعها عندك حتى نحتاج إليها. قال: ثم يلقاه بعد ذلك فيقول الأخ: لا حاجة لي فيها. فيقول: إنا والله ما نحن بآخذيها أبداً، فشأنك بها.

عن عاصم: أن مورقاً العجلي كان يجد نفقته تحت رأسه.

أسند مورق عن أبي ذر، وسلمان وغيرهما، وتوفي في ولاية عمر بن هبيرة على العراق.

٥٠٧ ـ غزوان بن غزوان الرقاشي

وقيل: غزوان بن زيد. عن الحسن قال: قال غزوان بن زيد الرقاشي: لله علي أن لا يراني الله ضاحكاً حتى أعلم أي الدارين داري؟ قال الحسن: فعزم غزوان أن يفعل، فوالله ما رئي ضاحكاً حتى لحق بالله عز وجل.

قال عثمان بن عبد الحميد الرقاشي: سمعت مشايخنا يذكرون أن غزوان لم يضحك منذ أربعين سنة. وكان غزوان يغزو، فإذا أقبلت الرفاق راجعين تستقبلهم أمه فتقول لهم: أما تعرفون غزوان؟ فيقولون: ويحك يا عجوز ذاك سيد القوم.

قال عبد الواحد بن زيد: كان أصحاب غزوان يقولون له: ما يمنعك من مجالسة إخوانك؟ فيبكي عند ذلك ويقول: إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي.

عن هارون بن رئاب: أن غزوان كان في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر إليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال: إنك لَلَحَّاظةٌ إلى ما يضرك.

٥٠٨ ـ مذعور

قال ثابت: قال مطرف بن عبد الله: إن كان من هذه الأمة أحدٌ ممتحَنُ القلب فإن مذعوراً ممتحَنُ القلب.

---

٥٠٧ ـ غزوان الرقاشي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٠٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ١/ ١٥٧).

٥٠٨ ـ مذعور ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٩١).

قال سليمان: وأنبأ قتادة قال: قال مطرف: إن كان مذعور ليزورنا فيفرح به أهلنا.

قال سليمان: وأنبأ غيلان بن جرير، قال: قال مطرف: ما تحابّ اثنان في الله إلا كان أشدهما حباً لصاحبه أفضلهما، وأنا لِمذعورٍ أشدُّ حباً، وهو أفضل مني، فكيف هذا؟.

قال: فلما أمر بالرهط أن يخرجوا إلى الشام أمر مذعور فيهم. قال: فلقيني وأخذ بلجام دابتي فجعلت كلما أردت أن أنصرف يحبسني. فقلت: إن المكان بعيد! فجعل يحبسني فقلت: أنشدك الله إلا تركتني فلم تحبسني؟ فلما ناشدته قال كليمة يخفيها جهده مني: اللهم فيك. فعرفت أنه أشد حباً لي مني له.

٥٠٩ ـ العلاء بن زياد بن مطر العدوي

عن أوفى بن دلهم قال: كان للعلاء بن زياد مال ورقيق فأعتق بعضهم وباع بعضهم، وأمسك غلاماً أو اثنين يأكل غلتهما، فتعبد، فكان يأكل كل يوم رغيفين، وترك مجالسة الناس فلم يكن يجالس أحداً، يصلي في جماعة ثم يرجع إلى أهله، ويجمّع ثم يرجع إلى أهله، ويشيع الجنازة ويعود المرضى، ثم يرجع إلى أهله، فُطِفي، فبلغ ذلك إخوانه فاجتمعوا، فأتاه أنس بن مالك والحسن والناس وقالوا: رحمك الله أهلكت نفسك لا يسعك هذا! فكلموه وهو ساكت، حتى إذا فرغوا من كلامهم. قال: إنما أتذلل لله عز وجل لعله يرحمني.

عن حميد بن هلال قال: دخلت مع الحسن على العلاء بن زياد العدوي نعوده وقد سله الحزن، وكانت له أخت يقال لها «شادة» تندف تحته القطن غدوة وعشية. فقال له الحسن: كيف أنت يا علاء؟ فقال: واحزناه على الحزن! فقال الحسن: قوموا، فإلى هذا ـ والله ـ انتهى استقلال الحزن.

قال هشام بن زياد ـ أخو العلاء بن زياد ـ: كان العلاء بن زياد يحيي كل ليلة جمعة. قال: وجد ليلة فترة، فقال لامرأته أسماء: إني أجد فترة فإذا مضى كذا وكذا فأيقظيني. قالت: نعم. فأتاه آت في منامه فأخذ بناصيته فقال: يا ابن زياد قم فاذكر الله عز وجل يذكرك. قال: فقام. فما زالت تلك الشعرات التي أخذ بها منه قائمة حتى مات.

روى قتادة عن العلاء بن زياد قال: إنما نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار، فإن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا.

عن قتادة قال: حدثنا العلاء بن زياد: أن رجلاً كان يرائي بعمله، فجعل يشمر ثيابه ويرفع صوته إذا قرأ، فجعل لا يأتي على أحد إلا سبّه ولعنه، ثم رزقه الله تعالى يقيناً بعد ذلك فخفض من صوته، وجعل صلاته فيما بينه وبين ربه عز وجل، فجعل لا يأتي بعد ذلك على أحد إلا دعا له بخير.

---

٥٠٩ ـ العلاء العدوي ـ رحمه الله ـ: الحلية (٢/ ٢٤٢)، تاريخ الإسلام (٤/ ٤١)، الجرح والتعديل (١/ ٣/ ٣٥٥)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢١٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٨١).

عن قتادة قال: كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه عز وجل فأقاله، فليعمل بطاعة الله عز وجل.

عن قتادة قال: كان زياد بن مطر العدوي قد بكى حتى عمي، وبكى ابنه العلاء بن زياد بعده حتى عشي بصره، وكان إذا أراد أن يتكلم أو يقرأ أجهشه البكاء.

قال جعفر: سمعت مالك بن دينار يسأل هشام بن حسان العدوي عن هذا الحديث؟ فحدثناه يومئذ قال: تجهز رجل من أهل الشام وهو يريد الحج فنام، فأتاه آت في منامه فقال له: ائت العراق، ثم ائت البصرة، ثم ائت بني عدي، فأتِ العلاء بن زياد فإنه رجل ربعة، أقصم الثنية، بسّام، فبشِّره بالجنة. قال فقال: رؤيا ليست بشيء! قال: حتى إذا كانت الليلة الثانية رقد فأتاه آت فقال: ألا فَائْتِ العراق! ثم تأتي البصرة، ثم تأتي بني عدي، فتلقى العلاء بن زياد؛ رجل ربعة أقصم الثنية بسام فبشِّره بالجنة.

قال: فأصبح فأعدّ جهازه إلى العراق، فلما خرج من البيوت إذا الذي أتاه في منامه يسير بين يديه يراه ما سار، فإذا نزل فقده فلم يزل يراه حتى دخل الكوفة ثم فقده، قال: فتجهز من الكوفة فخرج فرآه يسير بين يديه حتى قدم البصرة، فأتى بني عدي فوقف على باب العلاء فسلّم.

قال هشام: فخرجتُ إليه فقال لي: أنت العلاء بن زياد؟ قلت: لا، انزل رحمك الله فتضع رحلك ومتاعك. قال: لا، أين العلاء بن زياد؟ قال: قلت: هو في المسجد. قال: وكان العلاء يجلس في المسجد يدعو بدعوات ويتحدث.

قال هشام: فأتيت العلاء فخفف من حديثه، وصلى ركعتين، ثم جاء فلما رآه العلاء تبسم فبدت ثنيته فقال: هذا والله صاحبي. قال: فقال العلاء: هلا حططت رحل الرجل؟ ألا أنزلته؟ قلت: قد قلت له فأبى. فقال العلاء: انزل رحمك الله. قال: فقال: أخلني. قال فدخل العلاء منزله وقال: يا أسماء تحولي إلى البيت الآخر. قال: فتحولت ودخل الرجل فبشره برؤياه، ثم خرج فركب، وقام العلاء فأغلق بابه فبكى ثلاثة أيام، أو قال: سبعة أيام، لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً ولا يفتح بابه.

قال هشام: فسمعته يقول في خلال بكائه: أنا؟ أنا؟ قال: فكنا نهابه أن نفتح بابه، وخشيت أن يموت! فأتيت الحسن فذكرت ذلك له وقلت: لا أراه إلا ميتاً، لا يأكل ولا يشرب، باكياً! فجاء الحسن حتى ضرب عليه بابه وقال: افتح يا أخي. قال: فلما سمع كلام الحسن قام ففتح بابه وبه من الضر شيء اللَّهُ به عليمٌ. فكلمه الحسن ثم قال: رحمك الله، ومن أهل الجنة إن شاء الله. أفقاتلٌ نفسَك أنت؟ قال هشام: حدثنا العلاء ـ أخي ـ: لي وللحسن بالرؤيا وقال: لا تحدثوا بها ما كنت حياً.

أسند العلاء عن عمران بن حصين، وأبي هريرة، وأرسل عن معاذ بن جبل، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت، وتوفي في ولاية الحجاج على العراق.

٥١٠ ـ معاوية بن قرة بن إياس

يكنى أبا إياس: عن تمام بن نجيح، عن معاوية بن قرة قال: أدركت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئاً مما أنتم عليه إلا الأذان.

قال روح: أنبأ الحجاج بن الأسود أن معاوية بن قرة قال: من يدلني على بكّاء بالليل بسّام بالنهار؟ قال عون بن موسى: حدثنا معاوية بن قرة قال: كنا عند الحسن فتذاكرنا أي العمل أفضل؟ فكلهم اتفقوا على قيام الليل، فقلت أنا: ترك المحارم. فانتبه لها الحسن فقال: تم الأمر، تم الأمر.

عن عبد الله بن ميمون البصري قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: إن الله عز وجل يرزق العبد رزق شهر في يوم واحد، فإن أصلحه أصلح الله على يديه، وعاش هو وعياله بقية شهرهم بخير، وإن هو أفسده أفسد الله تعالى على يديه، وعاش هو وعياله بقية شهرهم بشرٍّ.

قال مسلم: لقيني معاوية بن قرة وأنا جاءٍ من الكلأ فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: اشتريت لأهلي كذا وكذا. قال: وأصبتَ من حلال؟ قلت: نعم. قال: لأن أغدو فيما غدوتَ به أحب إلي من أن أقوم الليل وأصوم النهار.

عن خليد بن دعلج قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: إن القوم ليحجون ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون، وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم.

أسند معاوية عن أبيه، وعن أنس بن مالك، ومعقل بن يسار، وابن عباس.

٥١١ ـ أبو الجوزاء أوس بن خالد الربعي

قال هشام: حدثني أبي عن أبي الجوزاء قال: صحبت ابن عباس ثنتي عشرة سنة ما بقي من القرآن آية إلا سألته عنها. وفي رواية: جاورت ابن عباس ثنتي عشرة سنة في داره.

قال سليمان الربعي: كان أبو الجوزاء يواصل في الصوم بين سبعة أيام، ثم يقبض على ذراع الشاب فيكاد يحطمها.

أسند أبو الجوزاء عن ابن عباس وعائشة، وغيرهما، وخرج مع ابن الأشعث، فقتل أيام الجماجم في ثلاث وثمانين.

---

٥١٠ ـ معاوية بن قُرّة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٢٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ١/ ١٦٠)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦١)، الجرح والتعديل (٨/ ٣٨٧)، التاريخ الكبير (٤/ ١/ ٣٣٠)، الحلية (٢/ ٢٩٨).

٥١١ ـ أبو الجوزاء الربعي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٣٥)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٣)، التاريخ الكبير (١/ ٢/ ١٧)، الجرح والتعديل (١/ ١/ ٣٠٥)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣١٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧١)، الحلية (٣/ ٧٨)، شذرات الذهب (١/ ٩٣).

٥١٢ ـ طلق بن حبيب العنزي

عن الحجاج بن زيد قال: كان طلق بن حبيب يقول: إني لأحب أن أقوم لله حتى أشتكي ظهري. فيقوم فيبتدئ بالقرآن حتى يبلغ ﴿الحجر﴾ من سور القرآن الكريم ثم يركع.

روى طلق عن ابن عباس وجابر بن عبد الله.

ومن الطبقة الثالثة من أهل البصرة

٥١٣ ـ قتادة بن دعامة السدوسي

يكنى أبا الخطاب. قال معمر: سمعت قتادة يقول: ما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي.

روى سلام بن أبي مطيع عن قتادة: أنه كان يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة.

عن مطر عن قتادة قال: من يتق الله يكن الله معه، ومن يكن الله عز وجل معه فمعه الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل.

روى سعيد بن بشير عن قتادة قال: إن في الجنة كوى إلى النار فيطلع أهل الجنة من تلك الكوى إلى النار فيقولون: ما بال الأشقياء! وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم!! فقالوا: إنا كنا نأمركم ولا نأتمر، وننهاكم ولا ننتهي.

روى شهاب بن خراش، عن قتادة قال: باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حول كامل.

أسند قتادة عن أنس، وعبد الله بن سرجس، وحنظلة الكاتب، وأبي الطفيل في آخرين، وكان يرسل الحديث عن الشعبي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والنخعي، وأبي قلابة، ولم يسمع منهم، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة.

---

٥١٢ ـ طَلْق بن حبيب ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٣٩)، الحلية (٣/ ٦٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١)، تاريخ الإسلام (٤/ ١٢٩)، ميزان الاعتدال (٢/ ٢٤٥)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣١)، الجرح والتعديل (١/ ٢/ ٤٩٠)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٧).

٥١٣ ـ قتادة بن دعامة السدوسي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٨٤)، الحلية (٢/ ٣٣٣)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٩٥)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٩)، التاريخ الكبير (١/ ١٨٥)، الجرح والتعديل (٧/ ١٣٣)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٢)، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٨٥)، العبر (١/ ١٤٦)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٣١٣)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥١)، شذرات الذهب (١/ ١٥٣).

٥١٤ ـ حميد بن هلال العدوي

يكنى أبا نصر: عن قتادة قال: كان حميد بن هلال من العلماء الفقهاء، ولم يكن يذاكر ولا يسأل؛ إنما كان يعتزل في مكان.

قال موسى بن إسماعيل: سمعت أبا هلال يقول: سمعت قتادة يقول: ما كان بالمصْرَين أعلم من حميد ما أستثني الحسن ولا محمداً.

عن الجلد بن أيوب عن حميد بن هلال قال: ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة فصور صورة أهل الجنة، وأُلبس لباسهم وحُلّي حلاهم، ورأى أزواجه وخدمه ومساكنه في الجنة يأخذه سوار فرح، لو كان ينبغي أن يموت لمات فرحاً. فيقال له: أرأيت سوار فرحتك هذه؟ فإنها قائمة لك أبداً.

٥١٥ ـ ثابت بن مسلم البُنَاني

يكنى أبا محمد: عن بكر بن عبد الله قال: من سره أن ينظر إلى أعبد رجل أدركناه في زمانه فلينظر إلى ثابت البناني، فما أدركنا الذي هو أعبد منه، تراه في يوم معمعاني بعيد ما بين الطرفين يظل صائماً ويراوح ما بين جبينه وقدمه.

قال عمرو بن محمد بن أبي رزين: قال ثابت البناني: كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة.

قال سلام بن مسكين: أنبأ ثابت قال: ما دعا اللهَ ـ عز وجل ـ المؤمنُ بدعوة إلا وكّل بحاجته جبرائيل عليه السلام فيقول: لا تعجل بإجابته فإني أحب أن أسمع صوت عبدي المؤمن، وإن الفاجر يدعو الله عز وجل فيوكل جبرائيل بحاجته فيقول: يا جبرائيل أعجل إجابة دعوته فإني أحب أن لا أسمع صوت عبدي الفاجر.

قال جعفر: أنبأ ثابت البناني عن رجل من العباد أنه قال يوماً لإخوانه: إني لأعلم متى يذكرني ربي عز وجل! قال: ففزعوا من ذلك فقالوا: تعلم حين يذكرك ربك؟ قال: نعم. قالوا: متى؟ قال: إذا ذكرته ذكرني. قال: وإني لأعلم حين يستجيب لي ربي عز وجل. قال: فعجبوا من قوله! قالوا: تعلم حين يستجيب لك ربك؟ قال: نعم. قالوا: وكيف تعلم ذلك؟ قال: إذا وجل قلبي، واقشعرَّ جلدي، وفاضت عيني، وفتح لي في الدعاء فثَمَّ أعلم أن قد استجيب لي.

قال سهل بن أسلم: كان ثابت البناني يصلي كل ليلة ثلاث مائة ركعة، فإذا أصبح ضمرت قدماه، فيأخذهما بيده فيعصرهما ثم يقول: مضى العابدون وقُطع بي! والهفاه.

---

٥١٤ ـ حميد بن هلال العدوي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١١٩)، الحلية (٢/ ٢٥١)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٤٥)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٣١)، تهذيب التهذيب (٣/ ٥١)، ميزان الاعتدال (١/ ٦١٦)، الجرح والتعديل (٣/ ١٠١١).

٥١٥ ـ ثابت البُنَاني ـ رحمه الله ـ: الحلية (٣/ ١٨٠)، تاريخ الإسلام (٥/ ٥٠)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٣٢)، الجرح والتعديل (٢/ ٤٤٩)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢)، العبر (١/ ١٤٢)، شذرات الذهب (١/ ١٤٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٥)، طبقات ابن الملقن (١٢٥).

عن شعبة قال: كان ثابت البناني يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ويصوم الدهر.

قال جعفر بن سليمان: حدثنا ثابت البناني قال: كان رجل من العبّاد يقول: إذا أنا نمت ثم استيقظت، ثم أردت أن أعود إلى النوم فلا أنام الله عيني إذاً. قال جعفر: كنا نراه يعني نفسه.

قال حميد: كنا نأتي أنس بن مالك ومعنا ثابت، فكلما مر بمسجد صلى فيه، فكنا نأتي أنساً فيقول: أين ثابت؟ أين ثابت؟ إن ثابتاً دويبة أحبها.

قال عبد الله: وحدثني أبي قال: بلغني أن أنساً قال لثابت: ما أشبه عينك بعيني رسول الله ﷺ. قال: فما زال يبكي حتى عمشت عيناه.

جعفر بن سليمان قال: اشتكى ثابت البناني عينه، فقال له الطبيب: اضمن لي خصلة تبرأ عينك؟ قال: وما هي؟ قال: لا تبكِ. قال: وما خير في عين لا تبكي؟ حماد بن زيد قال: رأيت ثابتاً البناني يبكي حتى تختلف أضلاعه.

عن هشام قال: ما رأيت قط أصبر على طول المقام والسهر من ثابت البناني، صحبناه مرة إلى مكة، فكنا إن نزلنا ليلاً فهو قائم يصلي، وإلا فمتى شئت أن تراه أو تحس به مستيقظاً، ونحن نسير إما باكياً وإما تالياً.

قال مبارك بن فضالة: كان ثابت البناني يقوم الليل ويصوم النهار.

وكان يقول: ما شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل.

قال جعفر: سمعت ثابتاً يقول: ما تركت في المسجد الجامع سارية إلا وقد ختمت القرآن عندها، وبكيت عندها.

قال جعفر: أخبرنا محمد بن ثابت البناني قال: ذهبت ألقِّن أبي وهو في الموت فقلت: يا أبت قل: لا إله إلا الله. فقال: يا بني خلِّ عني فإني في وردي السادس أو السابع.

قال شبان بن جسر عن أبيه: أنا ـ والله الذي لا إله إلا هو ـ أدخلت ثابتاً البناني لحده ومعي حميد الطويل أو رجل غيره ـ شك محمد ـ قال: فلما سوينا عليه اللَّبِن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره. فقلت للذي معي: ألا ترى؟ قال: اسكت. فلما سوينا عليه وفرغنا أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل ثابت؟ قالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها. قالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان السَّحَر قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها. فما كان الله عز وجل ليرد ذلك الدعاء.

قال إبراهيم بن الضمة المهلبي: حدثني الذين كانوا يمرون بالجص بالأسحار قالوا: كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت سمعنا قراءة القرآن.

أسند ثابت عن ابن عمرو، وابن الزبير، وشداد، وأنس في آخرين، وتوفي في ولاية خالد بن عبد الله على العراق.

٥١٦ ـ إياس بن معاوية بن قرة المزني

يكنى أبا واثلة: كان قاضياً على البصرة غزير العقل والدين.

قال داود بن أبي هند: قال إياس بن معاوية: كل رجل لا يعرف عيبه فهو أحمق. قالوا: يا أبا واثلة ما عيبك؟ قال: كثرة الكلام.

عن أبي إسحاق بن حفص بن نوح قال: قيل لإياس بن معاوية: فيك أربع خصال: دمامة، وكثرة كلام، وإعجاب بنفسك، وتعجيل بالقضاء. قال: أما الدمامة فالأمر فيها إلى غيري، وأما كثرة الكلام فبصواب أتكلم أم بخطأ؟ قالوا: بصواب. قال: فالإكثار من الصواب أمثل، وأما إعجابي بنفسي أفيعجبكم ما ترون مني؟ قالوا: نعم. قال: فإني أحق أن أُعْجَب بنفسي! وأما قولكم: إنك تعجل بالقضاء فكم هذه؟ وأشار بيده خمسة فقالوا: خمسة. فقال: أعجلتم؟ ألا قلتم واحداً واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة؟ قالوا: ما نعد شيئاً قد عرفناه! قال: فما أحبس شيئاً قد تبين لي فيه الحكم.

سمع إياس من أبيه، وأنس بن مالك، وابن المسيب وغيرهم.

٥١٧ ـ أبو عمران عبد الملك.

ابن حبيب الجوني: قال جعفر بن سليمان الضبعي: سمعت أبا عمران الجوني يقول في قصصه: لا يغرنكم من ربكم عز وجل طول النسيئة وحسن الطلب، فإن أَخْذَهُ أليمٌ شديد، حتى متى تبقى وجوه أولياء الله بين أطباق التراب؟ وإنما هم محتَبسون ببقية آجالكم ـ أيتها الأمة ـ حتى يبعثهم الله عز وجل إلى جنته وثوابه.

قال جعفر: وسمعت أبا عمران الجوني يقول: وعظ موسى عليه السلام قومه فشق رجل منهم قميصه، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: قل لصاحب القميص لا يشق قميصه، ولكن ليشرح لي عن قلبه.

قال جعفر: أنبأ أبو عمران الجوني قال: تصعد الملائكة بالأعمال فينادي المَلك: ألق تلك الصحيفة، ألق تلك الصحيفة. قال: فتقول الملائكة: ربنا قالوا خيراً وحفظناه عليهم. فيقول تبارك وتعالى: لم يُرِدْ به وجهي. قال: وينادي الملك: اكتب لفلان كذا وكذا مرتين. فتقول: يا رب إنه لم يعمله! فيقول جل وعز: إنه نواه، نواه.

قال الحارث بن سعيد: كان أبو عمران الجوني إذا سمع الأذان تغير لونه وفاضت عيناه.

عن خشيش أبي محرز قال: قال أبو عمران الجوني: وهَبْكَ تنجو، بعد كم تنجو؟

---

٥١٦ ـ إياس بن معاوية ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٢٠)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥)، تاريخ الإسلام (٥/ ٤٤)، الحلية (٣/ ١٢٣)، شذرات الذهب (١/ ١٦٠)، تهذيب ابن عساكر (٣/ ١٧٨)، ميزان الاعتدال (١/ ٢٨٣).

٥١٧ ـ عبد الملك بن حبيب الجوني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٢٣)، الحلية (٢/ ٣٠٩)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٠٤)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣٨٩)، شذرات الذهب (١/ ١٧٥)، الجرح والتعديل (٥/ ٣٤٦).

اسند أبو عمران عن أنس بن مالك، وجندب بن عبد الله، وعائذ بن عمرو، وأبي برزة في آخرين.

٥١٨ ـ بُدَيل بن ميسرة العقيلي

قال مالك بن ضيغم: سمعت بشر بن منصور يقول: بكى بديل العقيلي حتى قرحت مآقيه، فكان يعاتَب في ذلك؟ فيقول: إنما أبكي خوفاً من طول العطش يوم القيامة.

روى السري بن يحيى عن بديل العقيلي قال: من أراد بعلمه وجه الله عز وجل أقبل الله عليه بوجهه، وأقبل بقلوب العباد إليه، ومن عمل لغير الله عز وجل [صرف][(١)] الله عنه وجهه. وصرف قلوب العباد عنه.

عن الوليد بن هشام عن بديل العقيلي قال: الصيام معقل العابدين.

قال سيار: قال مهدي بن ميمون: رأيت ليلة مات بديل العقيلي قائلاً يقول: ألا إن بديلاً أصبح من سكان الجنة.

أسند بديل عن أنس وغيره، وتوفي سنة ثلاثين ومائة.

٥١٩ ـ أبو ريحانة عبد الله بن مطر

روى عن ابن عمر وسفينة عن فروة الأعمى ـ مولى سعد بن أبي أمية ـ قال المقري: ركب أبو ريحانة البحر وكان يخيط فيه بإبرة معه فسقطت إبرته في البحر، فقال: عزمت عليك يا رب إلا رددت علي إبرتي. فظهرت حتى أخذها.

قال: واشتد عليهم البحر ذات يوم وهاج فقال: اسكن أيها البحر فإنما أنت عبد حبشي. فسكت حتى صار كالزيت.

٥٢٠ ـ محمد بن واسع بن جابر

يكنى أبا عبد الله: قال شبابة: أخبرني موسى بن بشار قال: صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة، فكان يصلي الليل أجمع، يصلي في المحمل جالساً يومئ برأسه إيماء، وكان يأمر الحادي

---

٥١٨ ـ بديل بن ميسرة العقيلي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٧٩)، تاريخ الإسلام (٥/ ٤٧)، الحلية (٣/ ٦٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢/ ٩)، الجرح والتعديل (١/ ١/ ٤٢٨)، تهذيب التهذيب (١/ ٤٢٤).

(١) في المطبوع: «أقبل».

٥١٩ ـ أبو ريحانة: عبد الله بن مطر ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٥٠)، تقريب التهذيب (١/ ٤٥١)، الجرح والتعديل (٥/ ١٦٨). الكاشف (١/ ٥٩٨)، الطبقات الكبرى (٧/ ٢٣٩).

٥٢٠ ـ محمد بن واسع ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٠٤)، الحلية (٢/ ٣٤٥) و(٦/ ٣٩١)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٣٨١)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٥٩)، شذرات الذهب (١/ ١٦١)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٩)، الجرح والتعديل (٨/ ١١٣).

يكون خلفه ويرفع صوته حتى لا يفطن له، وكان ربما عرَّس من الليل فينزل فيصلي، فإذا أصبح أيقظ أصحابه.

قال عبد الملك بن قريب: حدثني نسيبٌ لهشامٍ القردوسي قال: قال رجل: دخلنا على محمد ابن واسع فقالت عِلْجة في داره فذكرت كلمات بالأعجَمية معناها: هذا رجل إذا جاء الليل لو كان قتل أهل الدنيا ما زاد.

قال عبد الواحد بن زيد: شهدت حوشباً جاء إلى مالك بن دينار فقال: يا أبا يحيى رأيت البارحة كأن منادياً يقول: يا أيها الناس، الرحيلَ الرحيلَ! فما رأيت أحداً يرتحل إلا محمد بن واسع. قال: فصاح مالك صيحة وخرَّ مغشياً عليه.

قال مضر: كان الحسن يسمي محمد بن واسع «زين القرآن».

قال مخلد: كان محمد بن واسع مع قتيبة بن مسلم في جيش، وكان صاحب خراسان، وكانت الترك خرجت إليهم فبعث إلى المسجد ينظر من فيه؟ فقيل له: ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعاً إصبعه. فقال قتيبة: إصبعه تلك أحب إلي من ثلاثين ألف عَنان.

قال جعفر: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة نظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجهُ ثكلى.

قال علي بن بزيع الهلالي: قال مطر الوراق: ما اشتهيت أن أبكي قط حتى أشتفي إلا نظرت إلى وجه محمد بن واسع، وكنت إذا نظرت إلى وجهه كأنه ثُكِل عشرة من الحزن.

عن ابن شوذب قال: كان إذا قيل: من أفضل أهل البصرة؟ قالوا: محمد بن واسع، ولم يكن يُرى كثير عبادة، وكان يلبس قميصاً وساجاً، وكان له عِلِّية، فإذا كان الليل دخل ثم أغلقها عليه.

عن يونس قال: سمعت محمد بن واسع يقول: لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني، من نتن ريحي.

قال الحارث بن نبهان: سمعت ابن واسع يقول: واصحاباه، ذهب أصحابي! فقلت: يرحمك الله أليس قد نشأ شباب يصومون النهار ويقومون الليل ويجاهدون في سبيل الله عز وجل؟ قال: بلى، ولكن أُخ ـ وتفل ـ أفسدهم العجب.

عن عبد العزيز بن أبي رَوّاد قال: رأيت في يد محمد بن واسع قرحة، فكأنه رأى ما شق علي منها. فقال: تدري ما لله علي في هذه القرحة من نعمة؟ قال: فسكتُّ. فقال: حيث لم يجعلها على حدقتي، ولا على طرف لساني، ولا على طرف ذَكَري. قال: فهانت علي قرحته.

عن ابن شوذب قال: قسم أمير البصرة على أهل البصرة، فبعث إلى مالك بن دينار فقبل وأتاه محمد بن واسع فقال: يا مالك قبلت جوائز السلطان؟ قال: فقال: يا أبا بكر سل جلسائي؟ فقالوا: يا أبا بكر اشتري بها رقاباً فأعتقهم. فقال له محمد بن واسع: أنشدك الله أقلبك الساعة له على ما كان

قبل أن يجيزك؟ قال: اللهم لا. قال: ترى أي شيء دخل عليك؟ فقال مالك لجلسائه: إنما مالك حمار، إنما يعبد الله مثلُ محمد بن واسع.

عن ليث بن أبي سليم عن محمد بن واسع قال: إذا أقبل العبد بقلبه إلى الله عز وجل أقبل الله عز وجل إليه بقلوب المؤمنين.

قال سليمان التيمي: ما أحد أحب إلي أن ألقى الله عز وجل بمثل صحيفته إلا محمد بن واسع.

قال حماد بن زيد: دخلنا على محمد بن واسع نعوده في مرضه، فجاء يحيى البكّاء يستأذن فقالوا: يحيى البكّاء. فقال: إن شر أيامكم يوم نسبتم إلي البكاء.

قال عمران بن خالد: سمعت محمد بن واسع يقول: إنْ كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم.

قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل بن عياض قال: قال مالك بن دينار: إني لأغبط الرجل يكون عيشه كفافاً فيقنع به، فقال محمد بن واسع: أغبط والله عندي من ذلك أن يصبح جائعاً ويمسي جائعاً وهو عن الله عز وجل راض.

قال محمد بن عبد الله الزراد: رأى محمد بن واسع ابناً له وهو يخطر بيده. فقال: ويحك تعال، تدري من أنت؟ أمك اشتريتها بمائتي درهم، وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله تمشي هذه المشية؟ قال محمد بن مهزم: كان محمد بن واسع يصوم الدهر ويخفي ذلك.

قال حيان بن يسار: قال محمد بن واسع: اللهم إن كان أخلق وجهي كثرةُ ذنوبي فهبني لمن أحببت من خلقك.

قال ابن سلام: قال محمد بن واسع: ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث: صاحب إذا اعوججت قوَّمني، وصلاة في جماعة يُحْمَل عني سهوها وأفوز بفضلها، وقوت من الدنيا ليس لأحد فيه منّة ولا لله عز وجل فيه تبعة.

[عن] زياد بن الربيع، عن أبيه قال: رأيت محمد بن واسع بسوق مرو يعرض حماراً على البيع.

فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لك ما بعته.

[عن] قاسم الخواص قال: قال محمد بن واسع لرجل: أبكاك قط سابقُ علم الله عز وجل فيك؟

قال أبو عامر: حدثني صاحب لنا قال: لما ثقل محمد بن واسع كثر الناس عليه في العيادة، قال: فدخلت فإذا قوم قيام وآخرون قعود. فأقبل علي فقال: أخبرني: ما يغني عني هؤلاء إذا أخذ بناصيتي وقدمي غداً وألقيت في النار؟ ثم تلا هذه الآية: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤٨].

قال يونس بن عبيد: دخلنا على محمد بن واسع نعوده فقال: ما يغني عني ما يقول الناس إذا أُخذ بيدي ورجلي فألقيت في النار؟.

عن حزم قال: قال محمد بن واسع وهو في الموت: يا إخوتاه تدرون أين يُذهب بي؟ يُذهب بي والله الذي لا إله إلا هو إلى النار؛ أو يعفو عني.

قال محمد بن عبد الله ـ مولى الثقفيين ـ: دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضي. فقال: يا إخوتي؛ يا إخوتاه؛ هبوني وإياكم سألنا الله الرجعة فأعطاكموها ومنعنيها! فلا تخسروا أنفسكم.

أسند محمد بن واسع عن أنس بن مالك، وروى عن جماعة من كبار التابعين كالحسن، وابن سيرين، وتوفي بعد الحسن بعشر سنين، كأنه مات سنة عشرين ومائة.

٥٢١ ـ فرقد بن يعقوب السبخي

يكنى أبا يعقوب: قال الهيثم بن معاوية: حدثني شيخ لي قال: اجتمع عبّاد من أهل الكوفة فقالوا: تحدروا بنا إلى البصرة فننظر إلى عبادتهم. فقال بعضهم لبعض: اغدوا بنا إلى فرقد السبخي. فدخلوا عليه، فحدثهم ساعة ثم قالوا: يا أبا يعقوب، الغداء. قال: إنما طولت حديثي لتجوعوا فتأكلوا ما عندي، أنزلوا تلك القفة فأخرجوا منها كسر خبز شعير أسود. فقالوا له: ملح يا أبا يعقوب؟ فقال: قد طرحنا في العجين ملحاً مرة، لِمَ تعنّوني أن أطلب لكم؟.

عن جعفر بن سليمان قال: قال فرقد السبخي: إن ملوك بني إسرائيل كانوا يقتلون قراءهم على الدين، وإن ملوككم إنما يقتلونكم على الدنيا فدعوهم والدنيا.

قال جعفر: سمعت فرقداً السبخي يقول: قرأت في التوراة: من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه عز وجل، ومن جالس غنياً فتضعضع له ذهب ثلثا دينه، ومن أصابته مصيبة فشكا إلى الناس فإنما يشكو ربه عز وجل.

عن عبد الواحد بن زيد قال: سمعت فرقداً السبخي يقول: ما انتهبت من نومي إلا خفت أن أكون قد مسخت.

قال جعفر: سمعت فرقداً السبخي يقول: اتخذوا الدنيا ظئراً، واتخذوا الآخرة أمّاً، ألم تروا إلى الصبي يلقي نفسه على الظئر، فإذا ترعرع وعرف والدته ترك ظئره وألقى نفسه على والدته؟ وإن الآخرة والدتكم يوشك أن تجركم.

عن ابن شوذب قال: سمعت فرقداً يقول: إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل، ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه، فإذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين نقيين؟ وأنتم تلبسون ثياب الفراغ قبل العمل.

أسند فرقد عن أنس بن مالك، وسمع من جماعة من كبار التابعين كسعيد بن جبير، ومرة وإبراهيم النخعي، وأبي الشعثاء، وشغله التعبد عن حفظ الحديث، فلذلك يعرض النقلة عن حديثه، ومات في أيام الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة.

---

٥٢١ ـ فَرْقَد السبخي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٩٠)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢/ ١١)، الجرح والتعديل (٧/ ٨١)، التاريخ الكبير (٤/ ١/ ١٣١)، الحلية (٣/ ٤٤).

٥٢٢ ـ مالك بن دينار

يكنى أبا يحيى؛ مولى لامرأة بني سامة بن لؤي، كان يكتب المصاحف.

قال جعفر: سمعت مالك بن دينار يقول: ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى.

قال: وسمعته يقول: يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض، وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش فيكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضرَّ وتَحْسَن، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟ قال: وسمعته يقول: يا هؤلاء، جهالكم كثير لولا ذلك للبست المسوح، يا هؤلاء لا تجعلوا بطونكم جُرُباً[1] للشيطان [يرعى][2] فيها إبليس ما شاء.

[عن] يوسف بن عطية الصفار، عن مالك بن دينار قال: من دخل بيتي فأخذ منه شيئاً فهو له حلال، أما أنا فلا أحتاج إلى قفل ولا إلى مفتاح. وكان يأخذ الحصاة من المسجد ويقول: لوددت أن هذه أجزأتني في الدنيا ما عشت، لا أزيد على مصها من الطعام ولا الشراب.

وكان يقول: لو صلح لي أن آكل الرماد لأكلته، ولو صلح لي أن أعمد إلى بوري فأقطعه بقطعتين فأتزر بقطعة وأرتدي بقطعة لفعلت.

[عن] جعفر بن سليمان قال: قال مالك بن دينار: لقد هممت أن آمر إذا مت أن أُغلَّ فأدفع إلى ربي مغلولاً كما يُدفع الآبقُ إلى مولاه.

قال جعفر: سمعت مالك بن دينار يقول: ينطلق أحدكم فيتزوج ديباجة الحرم ـ يعني أجمل الناس ـ أو ينطلق إلى جارية قد سمنها أبوها كأنها زبدة، فيتزوجها فتأخذ بقلبه فيقول لها: أي شيء تريدين؟ فتقول: خمار خَزٍّ. وأي شيء تريدين؟ فتقول: كذا وكذا. قال مالك: فتمرطُ ـ والله ـ دين ذلك القارئ، ويدع أن يتزوجها يتيمة ضعيفة فيكسوها فيؤجر، ويدهنها فيؤجر.

قال: وسمعت مالكاً يقول: كان حبر من أحبار بني إسرائيل قال: فرأى بعض بنيه يوماً غمز النساء، فقال: مهلاً يا بني. قال: فسقط من سريره، فانقطع نخاعه فأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش، وأوحى الله تعالى إلى نبيهم: أن أخبر فلاناً الحَبر: أني لا أخرج من صلبك صدِّيقاً أبداً، ما كان غضبك لي إلا أن قلت: مهلاً يا بني مهلاً.

قال رياح بن عمرو القيسي: سمعت مالك بن دينار يقول: ما من أعمال البر شيء إلا دونه عقبة، فإن صبر صاحبها أفضت به إلى رَوح، وإن جزع رجع.

---

٥٢٢ ـ مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٨٣)، الحلية (٢/ ٣٥٧)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٢٨)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٤٣)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٨٠)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٠)، الجرح والتعديل (٨/ ٢٠٨)، شذرات الذهب (١/ ١٧٣)، التاريخ الكبير (٧/ ٣٠٩).

(١) الجُرُب: جمع جِراب وهو المِزْوَد أو الوعاء.

(٢) في المطبوع «يوعى» بالواو، وما أثبتناه أولى.

قال عثمان بن إبراهيم: سمعت مالك بن دينار يقول لرجل من أصحابه: إني لأشتهي رغيفاً بلبن رائب. قال: فانطلق فجاء به قال: فجعله على الرغيف، فجعل مالك يقلبه وينظر إليه ثم قال: اشتهيتك منذ أربعين سنة فغلبتك حتى كان اليوم، وتريد أن تغلبني؟ إليك عني! وأبى أن يأكله.

قال مسلم: قال مالك بن دينار: منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم، ولم أكره مذمّتهم. قيل: ولم ذاك؟ قال: لأن حامدهم مفرط، وذامّهم مفرط.

قال سلام بن أبي مطيع: دخلنا على مالك بن دينار ليلاً وهو في بيت بغير سراج وفي يده رغيف يكدمه. فقلنا له: أبا يحيى ألا سراج؟ ألا شيء تضع عليه خبزك؟ فقال: دعوني؛ فوالله إني لنادم على ما مضى.

قال أبو حفص عمر بن أحمد: قال مالك بن دينار: مثل قراء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخاً ونصب فيه بُرّة[1] فجاء عصفور فقال: ما غيبك في التراب؟ قال: التواضع. قال: لأي شيء انحنيت؟ قال: من طول العبّادة. قال: فما هذه البرة المنصوبة فيك؟ قال: أعددتها للصائمين.

فقال: نِعْمَ الجار أنت. فلما كان عند المغرب دنا العصفور ليأخذها فخنقه الفخ. فقال العصفور: إن كان العبّاد يخنقون خَنْقَكِ فلا خير في العبّاد اليوم.

قال جعفر بن سليمان: مر والي البصرة بمالك بن دينار يرفل، فصاح به مالك: أقلَّ من مشيتك هذه. فهمَّ خدمه به. فقال: دعوه، ما أراك تعرفني؟ فقال له مالك: ومن أعرف بك مني، أما أولك فنطفة مَذِرة، وأما آخرك فجيفة قذرة، ثم أنت بين ذلك تحمل العذرة. فنكس الوالي رأسه ومشى.

عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار: أنه كان يُرى يوم التروية بالبصرة ويوم عرفة بعرفات.

قال عون بن الحكم عن أبيه عن مالك بن دينار: قدمت من سفر لي فلما صرت بالجسر قام العشار فقال: لا يخرجن من السفينة ولا يقوم أحد من مكانه. فأخذت ثوبي فوضعته على عنقي ثم وثبت فإذا أنا على الأرض. فقال لي: ما أخرجك؟ قلت: ليس معي شيء. قال: اذهب. فقلت في نفسي: هكذا أمر الآخرة.

قال محمد بن عبد العزيز بن سلمان: سمعت أبي يقول: سمعت مالك بن دينار يقول: عجباً لمن يعلم أن الموت مصيره والقبر مورده كيف تقرّ بالدنيا عينُه؟ وكيف يطيب فيها عيشه؟ قال: ثم يبكي مالك حتى يسقط مغشياً عليه.

قال أبو سمير عن مالك: إن لكل شيء لقاحاً، وإن الحزن لقاح العمل الصالح، إنه لا يصبر أحد على هذا الأمر إلا بحزن، فوالله ما اجتمعا في قلب عبد قط: حزن بالآخرة وفرح بالدنيا، إن أحدهما ليطرد صاحبه.

عن جعفر بن سليمان قال: قال مالك بن دينار: إذا ذُكر الصالحون فأُفٍّ لي وتُفٍّ.

---

(١) حبة الحنطة.

قال سعيد بن عصام: سمعت مالك بن دينار يقول: كان الأبرار يتواصون بثلاث: بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة.

قال أبو الحسن البصري: دخل مالك بن دينار على رجل محبوس قد أُخذ بخراج خرج عليه وقيِّد. فقال: يا أبا يحيى أما ترى ما أنا فيه من هذه القيود؟ فرفع مالك رأسه فإذا سلة قال: لمن هذه السلة؟ قال: لي. قال: فمُرْ بها فلتنزل، فأنزلت فوضعت بين يديه فإذا دجاج وأخبصة فقال: هذه وضعت القيود في رجلك، لا هُم! وقام عنه.

قال: وكان مالك بن دينار يطوف بالبصرة في الأسواق فينظر إلى أشياء يشتهيها، فيرجع فيقول لنفسه: أبشري فوالله ما حرمتُكِ ما رأيتِ إلا لكرامتكِ علي.

قال جعفر: سمعت مالك بن دينار يقول: إن البدن إذا سقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علق حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ. وسمعته يقول: بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج همّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك.

عن جعفر بن سليمان قال: جاء محمد بن واسع إلى مالك بن دينار فقال: يا أبا يحيى إن كنت من أهل الجنة فطوبى لك. فقال: ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخزى.

قال عبد العزيز بن سلمان العابد: انطلقت أنا وعبد الواحد بن زيد إلى مالك بن دينار فوجدناه قد قام من مجلسه فدخل منزله وأغلق عليه باب الحجرة، فجلسنا ننتظره ليخرج أو لنسمع له حركة فنستأذن عليه، فجعل يترنم بشيء لم نفهمه، ثم بكى حتى جعلنا نأوي له من شدة بكائه.

ثم جعل يشهق، وتنفس حتى غشي عليه.

قال: فقال لي عبد الواحد: انطلق؛ ليس لنا مع هذا اليومَ عملٌ، هذا رجل مشغول بنفسه.

قال الحارث بن سعيد: كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] فجعل مالك ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] قال: فجعل مالك ـ والله ـ يبكي ويشهق حتى غشي عليه. فحمل بين القوم صريعاً.

قال عبد الله بن مرزوق: بلغني أن مالك بن دينار دخل المقابر ذات يوم فإذا رجل يدفن، فجاء حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يدفن فجعل يقول: مالكٌ غداً هكذا يصير وليس له شيء يتوسده في قبره! فلم يزل يقول: غداً مالك هكذا يصير، حتى خر مغشياً عليه في جوف القبر، فحملوه فانطلقوا به إلى منزله مغشياً عليه.

قال مسمع بن عاصم: قال مالك بن دينار ـ ورأى إنساناً يضحك ـ فقال: ما أحب أن قلبي فرغ لمثل هذا وأن لي ما حوت البصرة من الأموال والعُقَد.

قال عبد الله العبدي: حدثنا جعفر عن مالك قال: إن في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: إن أهون ما أنا صانع بالعالِم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه.

قال عبد الملك بن قريب: حدثني رجل صالح من أهل البصرة قال: وقع حريق في بيت مالك ابن دينار فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجهما. فقيل له: يا أبا يحيى، البيت! فقال: ما فيه إلا السندانة؛ ما أبالي أن يحترق.

قال الدورقي ـ وذكر عبد الله بن المبارك قال ـ: وقع حريق بالبصرة فأخذ مالك بن دينار بطرف كسائه وقال: هلك أصحاب الأثقال.

قال مجالد بن عبيد الله: حدثني عمر عن مالك بن دينار أنه كان يقول: إن الله عز وجل إذا أحب عبداً انتقصه من دنياه وكفّ عنه ضيعته، ويقول: لا تبرح من بين يدي. قال: فهو متفرغ لخدمة ربه عز وجل، وإذا أبغض عبداً دفع في نحره شيئاً من الدنيا ويقول: اعزُب من بين يدي فلا أراك بين يدي. فتراه معلق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا.

قال الحسين بن زياد: سمعت منيعاً يقول: مر تاجر بعشّار عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له، قال: فقام مالك فمشى إلى العشار فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك؟ قال: حاجتي أن تُخلوا سفينة هذا الرجل. قالوا: قد فعلنا. قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم قالوا: ادع الله لنا يا أبا يحيى. قال: قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم؟ أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف؟ [عن] محمد بن عبد الله، عن أبي قدامة الحارث بن عبيد قال: سمعت مالكاً يقول: لو أن القوم كلفوا الصحف لأقلوا المنطق.

[عن] السري بن يحيى، عن مالك بن دينار قال: والله لو وقف ملك بباب المسجد وقال: يخرج شر من في المسجد، لبادرتكم إليه.

[عن] رباح بن عمرو القيسي قال: سمعت مالك بن دينار يقول: دخل علي جابر بن زيد وأنا أكتب فقال: يا مالك ما لك عمل إلا هذا؟ تنقل كتاب الله عز وجل من ورقة إلى ورقة؟ هذا والله الكسب الحلال.

[عن] جعفر بن سليمان قال: سمعت المغيرة بن حبيب ـ أبا صالح ختن مالك بن دينار ـ يقول: قلت لنفسي: يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عمله؟ قال: فصليت معه العشاء الآخرة، ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون من الليل. قال: وجاءه مالك فدخل فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى الصلاة فاستفتح، ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرِّم شيبة مالك بن دينار على النار. قال: فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني، ثم انتبهت فإذا هو قائم على تلك الحال يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً ويقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار. فما زال كذلك حتى طلع الفجر، فقلت في نفسي: والله لئن خرج مالك بن دينار فرآني لا تبلني عنده بالة أبداً، فجئت إلى المنزل وتركته.

[عن] جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة، وكفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً ويقع بالصالحين.

قال سلم الخواص: قال مالك بن دينار: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها. قالوا: وما هو؟ قال: معرفة الله عز وجل.

قال قطر بن حماد بن واقد: أنبأ أبي قال: سمعت مالك بن دينار يقول: قولوا لمن لم يكن صادقاً: لا يتعنّى.

قال جعفر: سمعت مالك بن دينار يقول: إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن البيت إذا لم يُسكن خرب.

قال جعفر: سمعت مالكاً يقول: اتقوا السحَّارة، اتقوا السّحَّارة، فإنها تسحر قلوب العلماء.

قال: وسمعته يقول: لو أعلم أن قلبي يصلح على كناسة لذهبت حتى أجلس عليها.

وسمعته يقول: وددت أن الله عز وجل أذن لي يوم القيامة إذا وقفت بين يديه أن أسجد سجدة فأعلم أنه قد رضي عني، ثم يقول لي: يا مالك كن تراباً.

وسمعته يقول: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا.

وسمعته يقول: إنك إذا طلبت العلم لتعمل به كسرك العلم، وإذا طلبته لغير العمل به لم يزدك إلا فخراً.

قال: وكانت الغيوم تجيء وتذهب ولا تمطر، فيقول مالك: أنتم تستبطئون [المطر؟] وإنما أستبطئ الحجارة، إن لم تمطر حجارة فنحن بخير.

قال جعفر: أنبأ مالك بن دينار قال: لما وقعت الفتنة أتيت الحسن ثلاثة أيام أسأله: يا أبا سعيد ما تأمرني؟ فلا يجيبني. قال: فقلت يا أبا سعيد أتيتك ثلاثة أيام أسألك وأنت معلمي فلا تجيبني، فوالله لقد هممت أن آخذ الأرض بقدمي وأشرب من أفواه الأنهار، وآكل من بَقْل البرية حتى يحكم الله عز وجل بين عباده. قال: فأرسل الحسن عينيه باكياً ثم قال: يا مالك ومن يطيق ما تطيق؟ ولكنا والله ما نطيق هذا.

قال جعفر: وكنت عند مالك بن دينار فجاء هشام بن حسان، وكان يأتيه هشام بن حسان وسعيد ابن أبي عروبة وحوشب يطلبون قلوبهم، فجاء هشام فقال: أين أبو يحيى؟ قلنا: عند البقال. قال: قوموا بنا إليه. قال: فحانت منه نظرة إلى هشام فقال: يا هشام إني أعطي هذا البقال كل شهر درهماً ودانقين فآخذ منه كل شهر ستين رغيفاً؛ كل ليلة رغيفين، فإذا أصبتهما سخناً فهو أُدُمُهما، يا هشام إني قرأت في زبور داود: إلهي رأيت همومي وأنت من فوق العلى، فانظر ما همومك يا هشام.

عن السري بن يحيى عن مالك بن دينار قال: أخذ السبع صبياً لامرأة فتصدقت بلقمة فألقاه، فنوديت: لقمة بلقمة.

قال جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار: إن الله جعل الدنيا دار مفر والآخرة دار مقر، فخذوا لمقركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم

أسراركم، ففي الدنيا حَيِيْتُم ولغيرها خلقتم، إنما مثل الدنيا كالسم أكلَه من لا يعرفه واجتنبه من عرفه، ومثل الدنيا مثل الحية مسُّها ليِّنٌ، وفي جوفها السم القاتل، يحذرها ذوو العقول ويهوي إليها الصبيان بأيديهم.

قال الحارث بن نبهان: قدمت من مكة فأهديت إلى مالك بن دينار ركوة. قال: فكانت عنده فجئت يوماً فجلست في مجلسه. فلما قضاه قال لي: يا حارث تعال خذ الركوة، فقد شغلت علي قلبي. فقلت: يا أبا يحيى إنما اشتريتها لك تتوضأ فيها وتشرب! فقال: يا حارث إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي: يا مالك إن الركوة قد سُرِقت! فقد شغلت علي قلبي.

قال جعفر: قلنا لمالك بن دينار: ألا تدعو قارئاً؟ قال: إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة. فقلنا له: ألا تستقي؟ فقال: أنتم تستبطئون المطر؛ لكني أستبطئ الحجارة.

قال جعفر: رأيت مالك بن دينار يتقنع بعباء، أو قال بكساء، ثم يقول: إله مالك، قد علمتَ ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الدارين دار مالك؟ وأي الرجلين مالك؟ ثم يبكي.

وسمعته يقول: لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها: يا أيها الناس النارَ النارَ.

وسمعته يقول: لو كان لأحد أن يتمنى لتمنيت أن يكون لي في الآخرة خص من قصب فأروى من الماء وأنجو من النار. وسمعته يقول للمغيرة بن حبيب ـ وكان ختنه ـ: يا مغيرة كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيراً فانبذ عنك صحبته.

وسمعته يقول: يا إخوتاه بحق أقول لكم: لولا البول ما خرجت من المسجد.

وسمعته يقول: إنما العالم الذي إذا أتيته في بيته فلم تجده؛ قصَّ عليك بيتُه: رأيتَ حصيرةً للصلاة، ومصحفه ومطهرته في جانب البيت، ترى أثر الآخرة.

وسمعته يقول: إن الأبرار لتغلي قلوبهم بأعمال البر، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم، فانظروا ما همومكم رحمكم الله؟.

وسمعته يقول: إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة.

وسمعته يقول: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب. وسمعته يقول: إن لله تعالى عقوبات، فتعاهدوهن من أنفسكم في القلوب والأبدان، وضنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وسخطة في الرزق.

قال جعفر عن مالك بن دينار: خرج سليمان بن داود عليه السلام في موكبه، فمر ببلبل على غصن شوك يصفّر ويضرب بذنبه فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه يقول: قد أصبت اليوم نصف تمرة، فعلى الدنيا العفاء.

قال فضيل بن عياض: رأى مالك بن دينار رجلاً يسيء صلاته. فقال: ما أرحمني لعياله. فقيل له: يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟ قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون.

قال الحسن بن عمرو: سمعت بشر بن الحارث يقول: قال رجل لمالك بن دينار: يا مرائي! قال: متى عرفت اسمي؟ ما عرف اسمي غيرك.

قال الحسين بن علي الحلواني: دخل اللصوص إلى بيت مالك بن دينار فلم يجدوا في البيت شيئاً، فأرادوا الخروج من داره فقال مالك: ما عليكم لو صليتم ركعتين.

قال حزم القطيعي: دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه وهو يكيد بنفسه فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفَرْجٍ.

قال أبو عيسى: دخلنا على مالك بن دينار عند الموت فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دُؤُوب أبي يحيى.

قال عمارة بن زاذان: إن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد كان قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيدوني وأن يجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحال، حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق.

وقال غير أحمد بن محمد: فإذا سألني ربي تعالى؟ [قلت:] أي رب لم أرض لك نفسي طرفة عين قط.

قال حصين بن القاسم: قلت لعبد الواحد بن زيد: ما كان سبب موت مالك بن دينار؟ قال: أنا كنت سببه، سألته عن رؤيا رأى فيها مسلم بن يسار؟ فقصها علي فانتفضتُ، فجعل يشهق ويضطرب حتى ظننت أن كبده قد تقطعت في جوفه، ثم هدأ فحملناه إلى بيته، فلم يزل مريضاً يعوده إخوانه حتى مات منها، فهذا كان سبب موته.

أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك، وعن جماعة من كبار التابعين: كالحسن، وابن سيرين والقاسم بن محمد، وسالم بن عبيد الله، وتوفي قبل الطاعون بيسير، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين[(١)] ومائة.

٥٢٣ ـ هارون بن رئاب

يكنى أبا الحسن: قال ابن عيينة: كان هارون بن رئاب يخفي الزهد، وكان يلبس الصوف تحت ثيابه.

---

٥٢٣ ـ هارون بن رئاب ـ رحمه الله ـ: الحلية (٣/ ٥٥)، وذكره باسم هارون رباب. ونقل عنه في المنتظم (١/ ١٩٥)، باسم هارون بن رباب. وفي التهذيب ترجمة لهارون بن رئاب وكنّاه بأبي الحسن العابد البصري. (١١/ ٥ برقم ٧٥٤٤)، وكذلك أعاد الكلام في التقريب (٢/ ٢٥٧ برقم ٧٢٥١)، وترجمه في الكاشف (٢/ ٣٢٩)، باسم هارون بن رئاب الأسيدي البصري العابد. وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ترجمة لابن رئاب (٧/ ٢٤٤)، وفي سنن الدارقطني (٢/ ١١٩)، وسنن الدارمي (١/ ١٠٩)، ومسند أحمد (٣/ ٤٧٧)، روايات عن هارون بن رباب!! فلا أدري: هل هما اثنان أم واحد؟.

(١) في المطبوع «ثلاثون»!!.

قال سفيان بن عيينة: رأيت هارون بن رئاب وكأن النور على وجهه.

عن ابن شوذب قال: كنت إذا رأيت هارون بن رئاب فكأنما أقلع عن البكاء.

أسند هارون عن أنس وغيره.

٥٢٤ ـ يزيد بن أبان الرقاشي

عن أشعث بن سوار قال: دخلت على يزيد الرقاشي فقال: يا أشعث تعال نبكي على الماء البارد في يوم الظمأ. قال: وجعل يقول: سبقني العابدون وقُطِع بي، والهفاه! وقد صام اثنتين وأربعين سنة.

عن هشام قال: قال لي ثابت البناني: ما رأيت أحداً أصبر على طول القيام والسهر من يزيد بن أبان.

عن عبد الخالق بن موسى اللقيطي قال: جوّع يزيد نفسه لله عز وجل ستين عاماً حتى ذبل جسمه ونُهِك بدنه، وتغير لونه، وكان يقول: غلبني بطني فما أقدر له على حيلة.

عن أبي إسحاق الخميسي قال: كان يقول في قصصه: ويحك يا يزيد يُتَرَضّىَ عنك ربك؟ ومن يصوم لك أو يصلي لك؟ ثم يقول: يا معشر مَنِ القبرُ بيتُهُ والموتُ موعدُه ألا تبكون؟ قال: فبكى حتى سقطت أشفار عينيه.

قال زهير السلولي: كان يزيد الرقاشي قد بكى حتى تناثرت أشفاره، وأحرقت الدموع مجاريها من وجهه.

قال سلمة بن سعيد: قالوا ليزيد الرقاشي: أما تسأم من كثرة البكاء؟ فبكى وقال: والله لوددت أن أبكي بعد الدموع الدماء، وبعد الدماء الصديد.

وكان يقول: ابكِ يا يزيد على نفسك قبل حين البكاء! يا يزيد من يصلي لك بعدك؟ أو من يصوم؟ يا يزيد من يضرع لك إلى ربك بعدك؟ ومن يدعو؟ وكان يقول: يا إخوتاه ابكوا فإن لم تجدوا بكاء فارحموا كل بكّاء.

قال أبو محمد علي بن الحسن: قيل لابن يزيد الرقاشي: أكان أبوك يتمثل من الشعر شيئاً؟ قال: كان يتمثل:

إنـا لـنـفـرح بـالأيـام نـقـطـعـهـا ... وكـل يـوم مـضـى يُـدنـي مـن الأجـل

أسند يزيد عن أنس بن مالك، وروى عن الحسن وغيره إلا أن التعبد شغله عن حفظ الحديث فأعرضت النَّقَلَةُ عما يروي.

---

٥٢٤ ـ يزيد الرقاشي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٨٤)، الحلية (٣/ ٥٠)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٦٩)، تهذيب التهذيب (١١/ ٤).

٥٢٥ ـ الأسود بن كلثوم

عن حميد بن هلال قال: كان منا رجل يقال له الأسود بن كلثوم، وكان إذا مشى لا يجاوز بصره قدميه، فكان يمر بالنسوة، وفي الجدر يومئذ قصر، ولعل إحداهن أن تكون واضعة ثوبها أو خمارها، فإذا رأينه راعهن. ثم يقلن: كلا إنه الأسود بن كلثوم.

فلما قرب غازياً قال: إن نفسي هذه تزعم في الرخاء أنها تحب لقاءك، فإن كانت صادقة فارزقها ذلك، وإن كانت كارهة فاحملها عليه وإن كرهتْ، وأطعم لحمي سباعاً وطيراً.

فانطلق في خيل فدخلوا حائطاً، فنذر بهم العدو فجاءوا فأخذوا بثلمة الحائط، فنزل الأسود عن فرسه فضربها حتى عادت فخرج وأتى الماء فتوضأ ثم صلى.

قال: يقول العجم: هكذا استسلام العرب إذا استسلموا، ثم تقدم فقاتل حتى قتل. قال: فمر عُظْمُ الجيش بعد ذلك بذلك الحائط فقيل لأخيه: لو دخلت فنظرت ما بقي من عظام أخيك ولحمه. قال: لا، دعا أخي بدعاء فاستجيب له، فلست أعرض في شيء من ذلك.

ومن الطبقة الرابعة

٥٢٦ ـ أيوب بن أبي تميمة السختياني

يكنى أبا بكر، مولى لعنزة، واسم أبي تميمة كيسان.

قال حماد بن زيد: قال أيوب: إن قوماً يريدون أن يرتفعوا فيأبى الله إلا أن يضعهم، وآخرين يريدون أن يتواضعوا ويأبى الله إلا أن يرفعهم.

قال: وكان النساك يومئذ يشمرون ثيابهم وكان أيوب لا يفعل.

قال حماد بن زيد: كنت أمشي مع أيوب فيأخذ في طرق، إني لأعجب له كيف يهتدي لها فراراً من الناس أن يقال: هذا أيوب.

قال ميمون الغزال: كنا عند الحسن فجاء أيوب فسلم عليه، فلما مضى، وكان حيث لا يسمع، قال: أنا الحسن: هذا سيد الفتيان.

وفي رواية أخرى: قال الحسن: أيوب سيد شباب أهل البصرة.

قال حجاج: سمعت شعبة يقول: ربما ذهبت مع أيوب في الحاجة أمشي معه فلا يدعني، فيخرج ههنا وههنا لكي لا يُفطن له.

وقال شعبة: قال أيوب: ذُكِرتُ، وما أحب أن أُذكر.

---

٥٢٥ ـ الأسود بن كُلثوم ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١١٨)، الحلية (٢/ ٢٥٤).

٥٢٦ ـ أيوب السختياني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٨٨)، الحلية (٣/ ٣)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٤٦)، تاريخ الإسلام (٤/ ٩٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٣٠)، العبر (٣/ ٥٦)، شذرات الذهب (٣/ ١٤٣)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٩٧).

قال الحميدي: لقي سفيان بن عيينة ستة وثمانين من التابعين، وكان يقول: ما رأيت مثل أيوب.

قال سلام بن أبي مطيع: كان أيوب يقوم الليل يخفي ذلك، فإذا كان قبيل الصبح رفع صوته كأنه إنما قام تلك الساعة.

عن وهيب بن خالد قال: قال أيوب السختياني: إذا ذكر الصالحون كنتُ منهم بمعزل.

قال بشر بن منصور: كنا عند أيوب فلغطنا وتكلمنا. فقال لنا أيوب: كفُّوا، لو أردت أن أخبركم بكل شيء تكلمت به اليوم لفعلت.

عن معمر قال: كان في قميص أيوب بعض التذييل فقيل له؟ فقال: الشهرة اليوم في التشمير.

قال صالح بن أبي الأخضر: قلت لأيوب: أوصني! قال: أقِلِّ الكلام.

قال عبد الله بن بشر: إن الرجل ربما جلس إلى أيوب السختياني فيكون لما يرى منه أشد اتباعاً منه لو سمع حديثه.

قال حماد بن زيد: لو رأيتم أيوب ثم استسقاكم شربة من ماء على النسك لما سقيتموه، له شعر وافر، وشارب وافر، وقميص جيد هروي يشم الأرض، وقلنسوة جيدة، وطيلسان جيد، ورداء عدني.

قال حماد بن زيد: سمعت أيوب يقول: إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون.

قال عبيد الله بن شميط: سمعت أيوب السختياني يقول: لا ينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: بالعفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم.

عن المبارك بن إسماعيل قال: آذى رجل أيوب السختياني وأصحابه أذى شديداً. فلما تفرقوا قال أيوب: إني لأرحمه أنّا نفارقه وخلُقه معه.

قال حماد: رأيت أيوب لا ينصرف عن سوقه إلا معه شيء يحمله لعياله، حتى رأيت قارورة الدهن بيده يحملها، فقلت له في ذلك؟ فقال: إني سمعت الحسن يقول: إن المؤمن أخذ عن الله عز وجل أدباً حسناً، فإذا أوسع عليه أوسع، وإذا أمسك عنه أمسك.

قال حماد بن زيد: ما رأيت رجلاً قط أشد تبسماً في وجوه الرجال من أيوب.

قال إسحاق بن محمد: سمعت مالك بن أنس يقول: كنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه.

عن هشام بن حسان قال: حج أيوب السختياني أربعين حجة.

قال عبد الواحد بن زيد: كنت مع أيوب على حِراء فعطشت عطشاً شديداً حتى رأى ذلك في وجهي فقال: ما الذي أرى بك؟ قلت: العطش، قد خفت على نفسي! قال: تستر علي؟ قلت: نعم.

فاستحلفني، فحلفت له أن لا أخبر عنه ما دام حياً. قال: فغمز برجله على حراء فنبع الماء فشربت حتى رويت، وحملت معي من الماء. قال: فما حدثت به أحداً حتى مات.

عن أبي بكر بن الفضل قال: سمعت أيوب يقول: والله ما صدق عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه.

عن سلام بن أبي مطيع قال: قال رجل من أهل الأهواء لأيوب: ألا أكلمك بكلمة؟ قال: لا، ولا نصف كلمة.

عن هشام بن حسان عن أيوب السختياني قال: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا زاد من الله عز وجل بعداً.

[عن] محمد بن عمر الباهلي قال: سمعت ابن عيينة يقول: قال أيوب: إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي.

[عن] حماد بن زيد قال: كان أيوب ربما حدث بالحديث فيرقّ، فيلتفت فيمتخط ويقول: ما أشد الزكام!.

[عن] الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: دخل بديل على أيوب السختياني، أظنه قال: يعوده وقد مد على فراشه سبنية[1] حمراء يدفع بها الرثاء، فقال له بديل: ما هذا؟ فقال أيوب: هذا خير من هذا الصوف الذي عليك.

[عن] يحيى العبدي قال: سمعت حماد بن زيد يقول: كان أيوب يطلب العلم حتى مات.

أسند أيوب عن أنس بن مالك، وعمرو بن سلمة الجرمي، وروى عن أبي عثمان النهدي، وأبي رجاء العطاردي، وأبي العالية، والحسن، وابن سيرين، وأبي قلابة. وتوفي في الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة.

قال حنبل: سمعت سليمان بن حرب يقول: مات أيوب وهو ابن ثلاث وستين.

٥٢٧ ـ يحيى بن سليم

أبو مسلم البكاء. ويقال يحيى بن مسلم.

عن معاذ بن زياد قال: كان يحيى بن مسلم البكاء قد اعتم بعمامة فأدارها على حلقه وجعل لها طرفين، فكان يبكي حتى يبل هذا الطرف، ثم يبكي حتى يبل الطرف الآخر، ثم يحلها من رأسه ويبكي وينتحب حتى يبل العمامة بأسرها، ثم يبكي وينتحب حتى يبل أردانه.

٥٢٨ ـ سليمان بن طرخان التيمي

يكنى أبا المعتمر: قال محمد بن سعد: سمعت يزيد بن هارون يقول: ليس سليمان بتيمي،

---

(١) السَّبَنِيَّةُ: أُزُرٌ سودٌ للنساء.

٥٢٧ ـ يحيى بن سليم ـ رحمه الله ـ: «يحيى بن مسلم»: تاريخ ابن الجوزي (١٢/ ١٨٧)، وفيات سنة (٢٦٢هـ)، تاريخ بغداد (١٤/ ٢١٤).

٥٢٨ ـ سليمان بن طرخان التميمي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٤١ سنة ١٤٣)، الحلية (٣/ ٢٧)، تذكرة =

ولكنه مُرّي، ومنزله في التيم فنسب إليهم، وكان من العبّاد المجتهدين يصلي الغداة بوضوء العشاء الآخرة، وكان هو وابنه المعتمر يدوران بالليل في المساجد فيصليان مرة في هذا المسجد ومرة في هذا حتى يصبحا.

قال حنبل: أنبأنا علي ـ يعني ابن المديني ـ قال: سمعت يحيى ـ يعني ابن سعيد ـ وذكرنا التيمي، فقال: ما جلست إلى رجل أخوف لله منه.

[عن] محمد بن عبد الأعلى قال: سمعت معتمر بن سليمان التيمي يقول: لولا أنك من أهلي ما حدثتك عن أبي بهذا: مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويصلي الصبح بوضوء العشاء، وربما أحدث الوضوء من غير نوم.

قال الهيثم أبو علي المفلوج: صلى سليمان التيمي الغداة بوضوء العتَمة أربعين سنة.

[عن] حماد بن سلمة قال: ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يُطاع الله عز وجل فيها إلا وجدناه مطيعاً، فإن كان في ساعة صلاة وجدناه مصلياً، فإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئاً أو عائداً مريضاً، أو مشيعاً لجنازة، أو قاعداً يسبّح في المسجد. قال: فكنا نرى أنه لا يحسن أن يعصي الله عز وجل.

قال السراج: وسمعت سوار بن عبد الله يقول: سمعت المعتمر يقول: مات صاحب لي كان يطلب الحديث فجزعت عليه فرأى أبي جزعي عليه فقال: يا معتمر كان صاحبك هذا على السنّة؟ قلت: نعم. قال: فلا تجزع عليه ولا تحزن عليه.

[عن] أسود بن سالم قال: سمعت معتمر بن سليمان التيمي قال: سقط بيت لنا كان أبي يكون فيه فضرب فسطاطاً، فكان فيه حتى مات. فقيل له: لو بَنَيْتَهُ؟. فقال: الأمر أعجل من ذاك، غداً الموت.

عن يحيى بن سعيد القطان قال: مكث سليمان التيمي في قبة لبود ثلاثين سنة أو نحواً من ثلاثين.

[عن] محمد بن عبد الله الأنصاري قال: كان التيمي عامة زمانه يصلي العشاء والصبح بوضوء واحد، وليس وقت صلاة إلا وهو يصلي، وكان يسبّح بعد العصر إلى المغرب، ويصوم الدهر.

قال أبو علي البصري عن معمر ـ مؤذن التيمي ـ: صلى إلى جنبي سليمان التيمي العشاء الآخرة وسمعته يقرأ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] قال: فلما أتى على هذه الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧] جعل يرددها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا. قال: فخرجت وتركته.

قال: وعدت لأذان الفجر فإذا هو في مقامه. قال: فتسمّعت فإذا هو لم يجزها وهو يقول: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧].

= الحفاظ (١/ ١٥٠)، ميزان الاعتدال (٢/ ٢١٢)، شذرات الذهب (١/ ١١٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٨)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٠١)، الجرح والتعديل (٤/ ١٢٤).

قال الفضيل بن عياض: قيل لسليمان التيمي: أنت! أنت من مثلُك؟ قال: لا تقولوا هكذا! لا أدري ما يبدو لي من ربي عز وجل؟ سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

عن إبراهيم بن إسماعيل قال: كان بين سليمان التيمي وبين رجل شيء فنازعه، فتناول الرجل سليمان فغمز بطنه فجفّت يد الرجل.

[عن] الأصمعي عن معتمر عن أبيه قال: إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح وعليه مذلته.

[عن] ضمرة قال: السري بن يحيى حدثناه قال: قدح سليمان التيمي عينه قال: فنهاه الطبيب أن يمس ماء، قال: فمس فرجه قال: وكان يرى الوضوء من مس الفرج. قال: فنزع القطنة عن عينه وتوضأ وأعاد القطنة على حالها. قال: فجاء الطبيب فنظر فلم ير شيئاً ينكر. قال: انظر هل ترى شيئاً؟ قال: ما أرى شيئاً أنكره. قال: فإني قد توضأت. قال: فإن الله قد رزقك العافية.

[عن] سوار بن عبد الله قال: سمعت المعتمر يقول: قال لي أبي حين حضره الموت: يا معتمر حدِّثني بالرُّخص لعلّي ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به.

عن رقبة قال: رأيت رب العزة في المنام فقال: وعزتي لأكرمن مثوى سليمان ـ يعني التيمي ـ.

وبلغنا من طريق آخر عن رقبة أنه قال: رأيت رب العزة تبارك وتعالى في النوم فقال: يا رقبة وعزتي وجلالي لأكرمنَّ مثوى سليمان التيمي، فإنه صلى أربعين سنة على ظهر العتمة.

قال: فجئت إلى سليمان فحدثته. فقال: أنت رأيت هذا؟ قلت: نعم، قال: لأحدثنك بمائة حديث عن رسول الله ﷺ بما جئتني به من البشارة. قال: فلما كان بعد مُديدة مات، فرأيته مات في المنام. فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وأدناني، وقرَّبني، وغلفني بيده وقال: هكذا أفعل بأبناء ثلاث وثمانين.

أسند سليمان التيمي عن أنس بن مالك، وعن أبي مالك النهدي، وأبي مجلز، والحسن، وابن سيرين، وأبي العالية في آخرين، وتوفي بالبصرة سنة ثلاث وأربعين ومائة.

٥٢٩ ـ داود بن أبي هند

يكنى أبا بكر، مولى لآل الأعلم القشيريين، وكان يفتي في زمان الحسن، واسم أبي هند: دينار.

عن عمرو بن علي قال: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود أربعين سنة لا يعلم به أهله.

وكان خزازاً يحمل معه غداءه من عندهم، فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشياً فيفطر معهم.

قال سفيان: سمعت داود بن أبي هند يقول: أصابني ـ يعني الطاعون ـ فأغمي علي فكأن اثنين

---

٥٢٩ ـ داود بن أبي هند ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٤ وفيات ١٣٩هـ)، الحلية (٣/ ٩٢)، تاريخ الإسلام (٥/ ٢٤٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٤٦)، الجرح والتعديل (٣/ ٤١١)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٠٤).

أتياني فغمز أحدهما عُكَدة لساني وغمز الآخر أخمص قدمي فقال: أي شيء تجد؟ فقال: تسبيحاً وتكبيراً وشيئاً من خطو إلى المسجد وشيئاً من قراءة القرآن. قال: ولم أكن أخذت القرآن حينئذ، وكنت أذهب في الحاجة فأقول: لو ذكرت الله حتى آتي حاجتي فعوفيت فأقبلت على القرآن فتعلمته.

أسند داود عن أنس بن مالك، وروى عن كبار التابعين كسعيد بن المسيب، وأبي عثمان النهدي، وأبي العالية، والحسن وغيرهم، وتوفي في سنة تسع وثلاثين ومائة.

٥٣٠ ـ عاصم بن سليمان الأحول

يكنى أبا عبد الرحمن. مولى لبني، تميم، كان قاضياً بالمدائن في خلافة أبي جعفر، وكان على الحسبة في المكاييل والموازين بالكوفة.

قال محمد بن عباد: حدثني أبي قال: ربما رُئي عاصم الأحول وهو صائم ثم يفطر، فإذا صلى العشاء تنحّى فصلى فلا يزال يصلي إلى الفجر لا يضع جنبه.

أسند عاصم عن أنس بن مالك، وعبد الله بن سرجس، وروى عن أبي عثمان النهدي، وابن سيرين وغيرهما، وتوفي سنة إحدى أو اثنتين وأربعين ومائة.

٥٣١ ـ يونُس بن عُبَيد

يكنى أبا عبد الله: مولى لعبد القيس. قال رستة: سمعت زهيراً يقول: كان يونس بن عبيد خزازاً فجاء رجل يطلب ثوباً، فقال لغلامه: انشر الرزمة. فنشر الغلام الرزمة وضرب بيده عليها وقال: صلى الله على محمد. [فقال يونسُ:] ارفعه. وأبى أن يبيعه مخافة أن يكون مدحه.

[عن] مؤمل بن إسماعيل قال: جاء رجل من أهل الشام إلى سوق الخزازين فقال مطرف: بأربعمائة؟ فقال يونس بن عبيد: عندنا بمائتين. فنادى منادٍ بالصلاة فانطلق يونس إلى بني قشير ليصلي بهم. فجاء وقد باع ابن أخيه المطرف من الشامي بأربعمائة. فقال يونس: ما هذه الدراهم؟ قال: ذلك المطرف بعناه من هذا الرجل. قال يونس: يا عبد الله: المطرف الذي عرضت عليك بمائتي درهم، فإن شئت فخذه وخذ مائتين، وإن شئت فدعه. قال: من أنت؟ قال: رجل من المسلمين. قال: بل أسألك بالله من أنت وما اسمك؟ قال: يونس بن عبيد. قال: فوالله إنا لنكون في نحر العدو فإذا اشتد الأمر علينا قلنا: اللهم رب يونس فرِّج عنا. أو شبيه هذا. فقال يونس: سبحان الله سبحان الله.

قال بشر بن المفضل: جاءت امرأة بمطرف خز إلى يونس بن عبيد فألقته إليه تعرضه عليه في السوق، فنظر إليه فقال لها: بكم؟ قالت: بستين درهماً. قال: فألقاه إلى جار له: كيف تراه بعشرين

---

٥٣٠ ـ عاصم الأحول ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٣٩ سنة ١٤٢هـ)، تاريخ بغداد (١٢/ ٢٤٣)، شذرات الذهب (٣/ ١٨١)، العبر (٣/ ٩٤)، الحلية (٣/ ١٢٠)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٥٦).

٥٣١ ـ يونس بن عبيد ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٥ سنة ١٣٩هـ)، الحلية (٣/ ١٥)، تاريخ الإسلام (٥/ ٣١٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٤٥)، الجرح والتعديل (٩/ ٢٤٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٦٠)، شذرات الذهب (١/ ٢٠٧).

ومائة؟ قال: أرى ذلك ثمنه أو نحواً من ثمنه. قال: فقال لها: اذهبي فاستأمري أهلك في بيعه بخمس وعشرين ومائة. قالت: قد أمروني أن أبيعه بستين. قال: ارجعي إليهم فاستأمريهم.

قال أسماء بن عبيد: سمعت يونس بن عبيد يقول: ليس شيء أعز من شيئين: درهم طيب ورجل يعمل على سنّة.

قال: وسمعت يونس يقول: إنما هما درهمان: درهم أمسكت عنه حتى طال لك فأخذته، ودرهم وجب لله عزّ وجل عليك فيه حق فأديته.

قال جعفر بن برقان: بلغني عن يونس بن عبيد فضل وصلاح فكتبت إليه: يا أخي بلغني عنك فضل وصلاح فأحببت أن أكتب إليك، فاكتب إلي بما أنت عليه. فكتب إلي: أتاني كتابك تسألني أن أكتب إليك بما أنا عليه، وأخبرك أني عرضت على نفسي أن تحب للناس ما تحب لها، وأن تكره لهم ما تكره لها، فإذا هي من ذلك بعيد، ثم عرضت عليها مرة أخرى ترك ذكرهم إلا من خير فوجدت الصوم في اليوم الحار الشديد الحر بالهواجر بالبصرة أيسر عليها من ترك ذكرهم، هذا أمري يا أخي، والسلام.

عن سلام بن أبي مطيع أو غيره قال: ما كان يونس بأكثرهم صلاة ولا صوماً، ولكن لا والله ما حضر حق من حقوق الله عز وجل إلا وهو متهيئ له.

قال إسحاق بن إبراهيم: نظر يونس بن عبيد إلى قدميه عند موته فبكى! فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: قدماي لم تغبرّا في سبيل الله عز وجل.

قال غسان: وحدثنا سعيد بن عامر عن يونس بن عبيد قال: إنك تكاد تعرف ورع الرجل في كلامه إذا تكلم.

[عن] مبارك بن فضالة عن يونس بن عبيد قال: لا تجد شيئاً من البر واحداً يتبعه البر كله غير اللسان، فإنك تجد الرجل يكثر الصيام ويفطر على الحرام، ويقوم الليل ويشهد بالزور، وذكر شيئاً نحو هذا، ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق فيخالف ذلك علمه أبداً.

[عن] غسان بن المفضل قال: حدثني بعض أصحابنا من البصريين قال: جاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقاً من حاله ومعاشه واغتماماً منه بذلك. فقال له يونس: أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف؟ قال: لا. قال: فسمعك الذي تسمع به يسرك به مائة ألف؟ قال: لا.

قال: فؤادك الذي تعقل به يسرك به مائة ألف؟ قال: لا. قال: فيداك يسرك بهما مائة ألف؟ قال: لا. قال: فرجلاك؟ قال: فذكره نعم الله عز وجل عليه. فأقبل عليه يونس فقال: أرى لك مِئِينَ ألوفاً وأنت تشكو الحاجة!.

عن حماد بن زيد قال: شكا رجل إلى يونس بن عبيد وجعاً يجده في بطنه؟ فقال له يونس: يا عبد الله هذه دار لا توافقك، فالتمس داراً توافقك.

عن جسر قال: دخلت على يونس بن عبيد فقال: منذ دخلت علينا قد مضى من آجالنا.

[عن] أمية بن بسطام قال: جاءت يونس بن عبيد امرأة بجبة خز فقالت له: اشترها. فقال: بكم تبيعينها؟ قالت: بخمس مائة. قال: هي خير من ذلك. قالت: بستمائة. قال: هي خير من ذلك. فلم يزل يقول: هي خير من ذلك حتى بلغت ألفاً وقد بذلتها بخمس مائة.

قال أمية: وكان يونس بن عبيد يشتري الإبرسيم من البصرة فيبعث به إلى وكيله بالسوس، فكان وكيله يبعث إليه بالخز، فإن كتب وكيله إليه: أن المتاع عندهم زائد. لم يشتر منهم أبداً حتى يخبرهم أن وكيله كتب إليه أن المتاع عندهم زائد.

[عن] أمية قال: كان يونس بن عبيد إذا طلب المتاع أرسل وكيله بالسوس: أن أعلم من تشتري منه أن المتاع يطلب. وكلاماً ذا معناه.

[عن] أحمد بن سعيد الدارمي قال: سمعت النضر بن شميل وسعيد بن عامر يقولان: غلا الحرير.

وقال أحدهما: [الخَزُّ][(١)] في موضع كان إذا غلا هناك غلا بالبصرة. وكان يونس بن عبيد خزازاً علم بذلك فاشترى من رجل متاعاً بثلاثين ألفاً فلما كان بعد ذلك قال لصاحبه: هل كنت قد علمت أن المتاع قد غلا بأرض كذا وكذا؟ قال: لا، ولو علمت لم أبع. قال: هلم هلم إلى مالي وخذ مالك. ورد عليه الثلاثين ألفاً.

[عن] عبيد الله بن سلام الباهلي قال: سمعت يونس بن عبيد يقول: لو أصبت درهماً حلالاً من تجارة لاشتريت به بُراً ثم صيرته سويقاً ثم سقيته المرضى.

[عن] ضمرة عن ابن شوذب قال: اجتمع يونس بن عبيد وعبد الله بن عون فتذاكروا الحلال فكلاهما يقول: ما أرى في بتي درهماً حلالاً.

[عن] سليمان بن المغيرة قال: سمعت يونس بن عبيد يقول: ما أعلم شيئاً أقل من طيب ينفقه صاحبه في حق، أو أخ يسكن إليه في الإسلام، وما يزدادان إلا قلة.

عن هشام بن حسان قال: ما رأيت أحداً يطلب بالعلم وجه الله عز وجل إلا يونس بن عبيد.

عن ضمرة عن ابن شوذب قال: سمعت يونس بن عبيد يقول: خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواهما من أمره: صلاته ولسانه.

[عن] حماد بن زيد قال: مرض يونس بن عبيد فقال أيوب السختياني: ما في العيش بعدك من خير.

[عن] سكن الحرشي قال: جاءني يونس بن عبيد بشاة فقال: بعها، وابرأ من أنها تقلب العلف، وتنزع الوتد، ولا تبرأ بعد ما تبيع، بل قل لمن تبيع.

[عن] حماد بن سلمة قال: سمعت يونس بن عبيد يقول: ما أهم رجلاً كسبُه إلا أهمه أين يضعه.

قال ابن عائشة: وحدثنا سعيد بن عامر قال: قال يونس بن عبيد: ما لي تضيع لي الدجاجة فأجدُ لها وتفوتني الصلاة فلا أجدُ لها!!.

---

(١) في المطبوع: «بالخز».

[عن] منصور بن بشر قال: سمعت يونس بن عبيد يقول: ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك صلاحاً في سائر عمله.

عن معاذ بن الأعلم عن يونس بن عبيد قال: ما شبهت الدنيا إلا كرجل نائم، فرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك إذ انتبه.

[عن] بشر بن الحارث قال: قال يونس بن عبيد: إني لأعرف مائة خصلة من البِرّ ما فيَّ منها واحدة.

[عن] حماد بن زيد قال: قال لنا يونس بن عبيد: احفظوا عني ثلاثاً مت أو عشت: لا يدخلن أحدكم على سلطان يعظه، ولا يخلُ بامرأة شابة وإن أقرأها القرآن، ولا يمكِّن سمعه من ذي الهوى.

أسند يونس بن عبيد عن أنس بن مالك، وروى كثيراً عن الحسن، وابن سيرين، وعطاء وعكرمة ونظرائهم. وتوفي في سنة تسع وثلاثين ومائة. وقيل سنة أربع وثلاثين.

٥٣٢ ـ عبد الله بن عون بن أرطبان

يكنى أبا عون: مولى عبد الله بن ذرة المزني.

[عن] بكار قال: ما رأيت ابن عون يمازح أحداً ولا يماري أحداً، وكان مشغولاً بنفسه، وكان إذا صلى الغداة مكث مستقبلاً القبلة في مجلسه يذكر الله عز وجل، فإذا طلعت الشمس صلى، ثم أقبل على أصحابه، وما رأيته شاتماً أحداً قط عبداً ولا أمة ولا دجاجة ولا شاة، ولا رأيت أحداً أملك للسانه منه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً حتى مات، وكان إذا توضأ لا يعينه أحد، وكان طيب الريح، لين الكسوة، وكان إذا خلا في منزله إنما هو صامت لا يزيد على: «الحمد لله ربنا»، وما رأيته دخل حماماً قط، وكان إن وصل إنساناً بشيء وصله سراً، وإن صنع شيئاً صنعه سراً؛ يكره أن يطلع عليه أحد، وكان له سُبْع يقرؤه كل ليلة، فإذا لم يقرأه بالليلة أتمه بالنهار، وكان لا يحفي شاربه، وكان يأخذه أخذاً وسطاً.

[عن] سعيد بن عامر قال: لم تر بعينيك كوفياً ولا بصرياً مثل ابن عون.

[عن] يحيى القطان قال: ما ساد ابن عون الناس أن كان أتركَهم للدنيا! ولكن ابن عون إنما ساد الناس بحفظ لسانه.

[عن] معاذ بن معاذ قال: حدثني غير واحد من أصحاب يونس بن عبيد قال: إني لأعرف رجلاً منذ عشرين سنة يتمنّى أن يسلم له يوم من أيام ابن عون فلا يقدر عليه، وليس ذلك أن يسكت رجل يوماً لا يتكلم، ولكن يتكلم فيسلم كما يسلم ابن عون.

[عن] بكار بن محمد قال: صحبت ابن عون دهراً من الدهر حتى مات وأوصى إلى أبي، فما سمعته حالفاً على يمين برة ولا فاجرة حتى فرق بيننا الموت.

---

٥٣٢ ـ عبد الله بن عون ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٥٣ سنة ١٥١)، الحلية (٣/ ٣٧)، تاريخ الإسلام (٦/ ٢١١)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٤٦)، شذرات الذهب (١/ ٢٣٠)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٦١)، الجرح والتعديل (٥/ ١٣٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٥٦).

قال ابن مهدي: ما كان بالعراق أحد أعلم بالسنة من ابن عون.

قال أبو بكر بن أصرم: قيل لابن المبارك: ابن عون بما ارتفع؟ قال: بالاستقامة.

عن خارجة ـ يعني ابن مصعب ـ قال: صحبت عبد الله ـ يعني ابن عون ـ أربعاً وعشرين سنة فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة.

[عن] محمد بن إسحاق الثقفي قال: سمعت محمد بن عبيد الله المنادي يقول: سمعت روحاً ـ يعني ابن عبادة ـ يقول: ما رأيت رجلاً أعبد من ابن عون.

[عن] بكار بن محمد قال: كان ابن عون لا يغضب، وإذا أغضبه الرجل قال: بارك الله فيك.

[عن] الأصمعي عن ابن عون قال: لو أن رجلاً انقطع إلى هؤلاء الملوك في الدنيا لانتفع فكيف بمن ينقطع إلى من له السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟.

قال أبو مالك بشر بن الحسن: نازع ابنَ عون رجلٌ فقال: لولا أن يكتب عليّ لقلت!.

[عن] حماد بن زيد عن ابن عون قال: كانت له حوانيت يكريها، فكان لا يكريها من المسلمين. فقيل له في ذلك؟ فقال: إن لهذا إذا جاء رأس الشهر روعة، وإني أكره أن أروع المسلم.

[عن] هشام بن حسان قال: حدثني من لم تر عيناي مثله، فقلت في نفسي: اليوم يستبين فضل الحسن وابن سيرين. قال: فأشار بيده إلى ابن عون وهو جالس.

قال الربالي: فذكرته للخليل بن شبان فقال: سمعت عمر بن حبيب يقول: عثمان البتي يقول: ما رأت عيناي مثل ابن عون.

[عن] محمد بن عمر بن حرب قال: قال لنا بعض أصحابنا عن ابن عون: أنه نادته أمُّه فأجابها، فعلا صوتُه صوتَها فأعتق رقبتين.

[عن] قرة بن خالد قال: كنا نعجب من ورع ابن سيرين فأنساناه ابنُ عون.

قال أبو عاصم: سألت ابن عون فقلت: حدثني بهذا الحديث إن خفّ عليك؟. فقال: لا تقل: إن خف. فقلت له: لمه؟ قال: أكره أن أحدثك ولا يخف علي فيكون على خلاف ما سألت.

قال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وذكر ابن عون، فقال: كان لا يكري دوره من المسلمين. قلت: لأي علة؟ قال: لئلا يروعهم.

قال: وكان لابن عون جمل يستقي الماء، فإذا غلام ابن عون قد ضرب الجمل فذهب بعينه، فجاء الغلام وقد أُرعِبَ وظن أنهم قد شكوه. فلما رآه قد أرُعِب قال: اذهب فأنت حر لوجه الله عز وجل.

[عن] أشعث بن سعيد قال: قال ابن عون: لن يصيب العبدُ حقيقةَ الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر كرضاه عند الغنى، كيف تستقضي الله في أمرك ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفاً لهواك؟ ولعل

ما هويت من ذلك لو وفق لك فيه [أهلكك][١]، وترضى قضاءه إذا وافق هواك؟ ما أنصفت من نفسك، ولا أصبت باب الرضا.

قال محمد بن عيسى: قدم ابن المبارك قدمة فقيل له: إلى أين تريد؟ قال: إلى البصرة. قيل له: من بقي؟ قال: ابن عون آخذ من أخلاقه، آخذ من آدابه.

أدرك ابن عون أنس بن مالك وصحبه، ويقال: إنه أسند عنه وروى عن الحسين، وابن سيرين وأبي رجاء العطاردي، والقاسم بن محمد، ومجاهد، ونافع في آخرين.

محمد بن سعد قال: أخبرنا بكار قال: كان ابن عون في مرضه أصبر مَنْ أنت راءٍ، ما رأيته يشكو شيئاً من علته حتى مات، ومات في رجب سنة إحدى وخمسين ومائة.

٥٣٣ ـ هشام بن حسان

أبو عبد الله الفردوسي من الأزد: قال حماد بن زيد: حدثتني فارسية كانت تكون مع هشام في الدار قالت: أي ذنب عمل هذا؟ من قتل هذا؟ الليل كله يبكي!.

روى هشام عن عطاء وغيره وقال: جاورت الحسين عشر سنين، وتوفي في أول يوم من صفر سنة ثمان وأربعين ومائة، وقيل: سنة سبع وأربعين ومائة.

٥٣٤ ـ عمران بن مسلم القصير

قال أبو معاوية الغلابي: حدثني رجل قال: كان عمران القصير يقول لجلسائه: ألا حر كريم يصبر أياماً قلائل؟ قال عبد الله بن مغيث بن سعدان اليشكري: حدثتني أمينة بنت عمران عن أبيها، وكان قد عاهد الله أن لا ينام بليل أبداً إلا مستغلباً، قالت: قال: إني حُبِّبت إليَّ طاعة الله تعالى طول الحياة، ولولا الركوع والسجود وقراءة القرآن ما باليت أن لا أعيش في الدنيا فواقاً. قالت: فلم يزل مجهوداً على ذلك حتى مات. رحمه الله.

قالت: فرأيته في منامي فقلت: يا أبت إنه لا عهد لي بك منذ فارقتنا! قال: يا بنية وكيف تعهدين من فارق الحياة وصار إلى ضيق القبور وظلمتها؟ قالت: فقلت: يا أبت كيف حالك منذ فارقتنا؟ قال: خير حال؛ بُوِّئنا المنال، ومهدت لنا المضاجع، ونحن ها هنا يغدى ويراح برزقنا من الجنة. قالت: فقلت: فما الذي بلغك هذا؟ قال: الصبر الصالح، وكثرة التلاوة لكتاب الله تعالى.

ذكر هذه الحكاية أبو نعيم في ترجمة عمران القصير، وقد ذكرها ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات عن عمران بن زيد.

---

(١) في المطبوع: «هلكك» وما أثبتناه أوضح.

٥٣٣ ـ هشام بن حسان ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٠٩ سنة ١٤٧)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٧١)، الحلية (٦/ ٢٦٩)، تاريخ الإسلام (٦/ ١٤٤)، الجرح والتعديل (٩/ ٥٤)، شذرات الذهب (١/ ٢١٩)، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٩٥).

٥٣٤ ـ عمران بن مسلم القصير ـ رحمه الله ـ: تهذيب التهذيب (٨/ ١٣٧)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٠٤)، التاريخ الكبير (٦/ ٤١٩)، الحلية (٦/ ١٧٧)، الكاشف (٢/ ٩٥)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٦٩)، تاريخ ابن معين (٤/ ١٠٤).

قال عبد الله بن مغيث اليشكري: حدثتني أمينة بنت عمران بن زيد عن أبيها. فذكر الحكاية.

وهذا عمران بن زيد هو: أبو يحيى الملائي الطويل، وهذا أليق بالصواب.

أسند عمران القصير عن أنس بن مالك، وعن كبار التابعين كالحسن، وابن سيرين، وأبي رجاء العطاردي، ونافع ونظرائهم.

٥٣٥ ـ كهمس بن الحسن القيسي

يكنى أبا عبيد الله: [عن] الهيثم بن معاوية عن شيخ من أصحابه قال: كان كهمس يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة، فإذا ملَّ قال لنفسه: قومي يا مأوى كل سوء فوالله ما رضيتك لله ساعة قط.

[عن] عبد الملك بن قريب قال: كان كهمس يعمل في الجص كل يوم بدانقين، فإذا أمسى اشترى به فاكهة فأتى بها إلى أمه.

[عن] يحيى بن كثير صاحب البصري قال: اشترى كهمس دقيقاً بدرهم فأكل منه، فلما طال عليه كاله فإذا هو كما وضعه! فجعل بعد لا يأخذ منه شيئاً إلا نقص حتى فني.

[عن] موسى بن هلال العبدي قال: قال لي كهمس بمكة: كان لي جار يشتري هذا التمر والرطب ويسأل لي عن الحوائط فمذ مات تركت التمر.

[عن] أحمد بن الفتح قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: خرج يوماً كهمس ومعه دينار فسقط منه وطلبه فوجده. قال: فتركه وقال: لعل هذا الدينار غير ذاك الدينار! وأكل ذات يوم سمكاً فأخذ من حائط جاره طيناً فغسل به يده فقال: أنا اليوم منذ أربعين سنة أبكي على ذاك الطين: لمَ أخذته بغير علمه؟.

[عن] عمارة بن زازان قال: قال لي كهمس بن الحسن: يا أبا سلمة أذنبت ذنباً وأنا أبكي عليه أربعين سنة. قلت: وما هو يا أبا عبد الله؟ قال: زارني أخ لي فاشتريت له سمكاً بدانق، فلما أكل قمت إلى حائط جار لي فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده، فأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة.

قال أبو عطاء الرملي: كان كهمس يقول في جوف الليل: أتراك معذِّبي وأنت قرة عيني يا حبيب قلباه؟.

[عن] أحمد بن الفتح قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: كان كهمس يصلي حتى يغشى عليه.

عن إسحاق بن إبراهيم قال: دخلنا على كهمس العابد فقرب إلينا إحدى عشرة بسرة حمراء وقال: هذا الجهد من أخيكم والله المستعان.

أسند كهمس عن خلق كثير من التابعين منهم: عبد الله بن شقيق العقيلي، وعبد الله بن بريدة

---

٥٣٥ ـ كهمس بن الحسن القيسي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١١٩ سنة ١٤٩هـ)، الحلية (٦/ ٢١١)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٧٤)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٠)، الجرح والتعديل (٧/ ١٧٠)، شذرات الذهب (١/ ٢٢٥)، ميزان الاعتدال (٣/ ٤١٥).

ومحمد بن عمر، ومصعب بن ثابت. وكان مشغولاً بخدمة أمه مع تعبده، فلما ماتت خرج إلى مكة فأقام إلى أن مات هناك.

٥٣٦ ـ حبيب: أبو محمد الفارسي

كان مجاب الدعوى: حضر مجلس الحسن فتأثر بموعظته فخرج عما كان يملك.

قال يونس بن محمد: سمعت مشيخة يقولون: وكان الحسن يجلس في مجلسه الذي يذكر فيه في كل يوم، وكان حبيب أبو محمد يجلس في مجلسه الذي يأتيه فيه أهل الدنيا والتجار وهو غافل عما فيه الحسن لا يلتفت إلى شيء من مقالته، إلى أن التفت إليه يوماً فذكَّره الحسن بالجنة وخوّفه من النار فانصرف من عنده، فلم يزل في تبديد ماله حتى لم يبق له شيء، ثم جعل بعد يستقرض على الله.

قال يونس: وجاء رجل إلى أبي محمد فشكا إليه ديناً عليه فقال: اذهب فاستقرض وأنا أضمن.

فأتى رجلاً فأقرضه خمس مائة درهم وضمنها أبو محمد، ثم جاء الرجل فقال: يا أبا محمد دراهمي؟ فقد أضر بي حبسها. فقال: نعم غداً. فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا الله تعالى. وجاء الرجل فقال له: اذهب، فإن وجدت في المسجد شيئاً فخذه. فذهب فإذا في المسجد صرة فيها خمس مائة درهم فذهب فوجدها تزيد على خمس مائة فرجع إليه فقال: يا أبا محمد تلك الدراهم تزيد. فقال: اذهب فهي لك، من وزَنها وزَنها راجحة.

قال جعفر بن سليمان: سمعت حبيباً يقول: أتانا سائل وقد عجنت عمرة وذهبت تجيء بنار تخبزه فقلت للسائل: خذ العجين فاحتمله. فجاءت عمرة فقالت: أين العجين؟ فقلت: ذهبوا به يخبزونه. قال: فلما أكثرت علي أخبرتها! فقالت: سبحان الله لا بد لنا من شيء نأكله؟ قال: فإذا رجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً. فقالت عمرة: ما أسرع ما ردوه عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحماً؟.

قال جعفر: كان حبيب أبو محمد رقيقاً من أكثر الناس بكاء، فبكى ذات ليلة كثيراً فقالت عمرة بالفارسية: لمَ تبكي يا أبا محمد؟ فقال لها حبيب: دعيني فإني أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه قبل.

قال: وسمعت حبيباً يقول: والله إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز، ولو أن الله دعاني يوم القيامة فقال: يا حبيب. فقلت: لبيك. فقال: جئني بصلاة يوم أو صوم يوم أو ركعة أو سجدة أو تسبيحة اتقيت عليها من إبليس أن يكون طعن فيها طعنة فأفسدها، ما استطعتُ.

وسمعت حبيباً يقول: لا تقعدوا فراغاً؛ فإن الموت يليكم.

قال جميل أبو علي: قال حبيب: إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه.

قال خلف بن الوليد: اشترى حبيب الفارسي نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألف درهم:

---

٥٣٦ ـ حبيب الفارسي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٩٧ سنة ١١٩هـ)، الحلية (٦/ ١٤٩).

أخرج بدرة فقال: يا رب اشتريت منك نفسي بهذه. ثم أخرج بدرة أخرى فقال: إلهي إن كنت قبلت تلك فهذه شكر لها. ثم أخرج الثالثة فقال: إلهي إن كنت لم تقبل الأولى والثانية فاقبل هذه. ثم أخرج الرابعة فقال: إلهي إن كنت قبلت الثالثة فهذه شكر لها.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: كان حبيب أبو محمد يأخذ متاعاً من التجار يتصدق به، فأخذ مرة فلم يجد شيئاً يعطيهم فقال: يا رب كأنه ـ أي ينكسر وجهي عندهم ـ فدخل فإذا هو بجوالق من شعر كأنه نصب من أرض البيت إلى قريب السقف مملوءاً دراهم فقال: يا رب ليس أريد هذا، فأخذ حاجته وترك البقية.

قال مسلم بن إبراهيم: إن رجلاً أتى حبيباً فقال: إن لي عليك ثلاثمئة درهم! قال: من أين؟ قال: لي عليك ثلاثمئة درهم. قال حبيب: اذهب إلى غد. فلما كان من الليل توضأ وصلى وقال: اللهم إن كان صادقاً فأدِّ إليه، وإن كان كاذباً فابتلهِ في بدنه. قال: فجيء بالرجل من غد قد حمل وقد ضرب شقه الفالج. فقال: ما لك؟ قال: أنا الذي جئتك بالأمس، لم يكن لي عليك شيء، وإنما قلت: يستحيي من الناس فيعطيني. فقال له: تعود؟ [فقال الرجل: لا.] قال: اللهم إن كان صادقاً فألبسه العافية. فقام الرجل على الأرض كأن لم يكن به شيء.

عن السري بن يحيى قال: اشترى أبو محمد حبيب طعاماً في مجاعة أصابت الناس فقسمه على المساكين، ثم خاط أكيسة فجعلها تحت فراشه، ثم دعا الله، فجاء أصحاب الطعام يتقاضونه، فأخرج تلك الأَكْيِسَة فإذا هي مملوءة دراهم فوزنها فإذا هي حقوقهم فدفعها إليهم.

عن السري بن يحيى قال: كان حبيب أبو محمد يُرى يوم التروية بالبصرة، ويُرى يوم عرفة بعرفات.

عن حماد قال: شهدت حبيباً الفارسي يوماً فجاءته امرأة فقالت: يا أبا محمد. كأنها طلبت منه شيئاً. فقال لها: كم لك من العيال؟ فقالت: كذا وكذا. فقام حبيب أبو محمد إلى وضوئه فتوضأ ثم جاء إلى مصلاه فصلى بخضوع وسكون. فلما فرغ قال: يا رب إن الناس يحسنون ظنهم بي وذاك من سترك علي فلا تخلف ظنهم بي، ثم رفع حصيره فإذا بخمسين درهماً فأعطاه إياها. ثم قال: يا حماد اكتم ما رأيت حياتي.

قال عبد الواحد بن زيد: كنا عند مالك بن دينار ومعنا محمد بن واسع وحبيب أبو محمد، فجاء رجل فكلم مالكاً فأغلظ في قسمة قسمها وقال: وضعتها في غير حقها، وتتبعت بها أهل مجلسك ومن يغشاك لتكثر غاشيتك وتصرف وجوه الناس إليك! قال: فبكى مالك وقال: والله ما أردت هذا. قال: بلى والله لقد أردت هذا. فجعل مالك يبكي والرجل يغلظ له، فلما كثر ذلك عليهم رفع حبيب يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت.

قال: فسقط والله الرجلُ على وجهه ميتاً، فحمل إلى أهله على سرير، وكان يقال: إن أبا محمد مستجاب الدعوة.

قال أبو قرة محمد بن ثابت: قال حبيب أبو محمد: لا قرة عين لمن لم تقر عينه بك، ولا فرح لمن لم يفرح بك، وعزتك إنك لتعلم أني أحبك.

[عن] عبيد الله بن محمد التيمي قال: أصحابنا قالوا: كان حبيب أبو محمد يخلو في بيته ويقول: من لم تقر عينه بك فلا قرت، ومن لم يأنس بك فلا أنس.

[عن] إسماعيل بن زكريا ـ وكان جاراً لحبيب أبي محمد ـ قال: كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه، وإذا أصبحت سمعت بكاءه، فأتيت أهله فقلت: ما شأنه يبكي إذا أمسى ويبكي إذا أصبح؟ قال: فقالت لي: يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح، وإذا أصبح أن لا يمسي.

قال أبو زكريا: قالت امرأة حبيب أبي محمد: كان يقول: إن مت اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني، وافعلي كذا واصنعي كذا. فقيل لامرأته: أرأى رؤيا؟ قالت: هذا يقوله كل يوم.

عن عبد الواحد بن زيد: أن حبيباً أبا محمد جزع جزعاً شديداً عند الموت فجعل يقول بالفارسية: أريد أن أسافر سفراً ما سافرته قط، أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط، أريد أن أزور سيدي ومولاي وما رأيته قط، أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط، أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة ثم أوقف بين يدي الله فأخاف أن يقول لي: يا حبيب هات تسبيحة واحدة سبحتني في ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها بشيء؟. فماذا أقول؟ وليس لي حيلة! أقول: يا رب هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي.

قال عبد الواحد: هذا عبدَ الله ستين سنة مشتغلاً به، ولم يشتغل من الدنيا بشيء قط فأي شيء حالنا؟ واغوثاه بالله.

[عن] أحمد بن عبد الله قال: كان حبيب مشغولاً بالتعبد، ولا نعرف له حديثاً مسنداً. قال: وقد قيل: إنه أسند عن الحسن وابن سيرين، وهو وهمٌ من قائله، فإن حبيباً الذي أسند عنهما حبيبٌ المعلم، ويحفظ له حكاية عن الفرزدق.

٥٣٧ ـ عبد الواحد بن زيد

[عن] حاتم بن سليمان قال: شهدت عبد الواحد بن زيد في جنازة حوشب فلما دفن قال: رحمك الله يا أبا بشر فلقد كنت حذراً من مثل هذا اليوم، رحمك الله يا أبا بشر فلقد كنت من الموت جزعاً! أما والله لئن استطعت لأُعِملن رِجلي بعد مصرعك هذا. قال: ثم شمر بعدُ واجتهد.

[عن] الحارث بن عبيد قال: كان عبد الواحد بن زيد يجلس إلى جنبي عند مالك بن دينار، فكنت لا أفهم كثيراً من موعظة مالك لكثرة بكاء عبد الواحد.

[عن] زيد بن عمر قال: شهدت مجلس عبد الواحد بن زيد بعد العصر فكنت أنظر إلى منكبيه ترتعد ودموعه تتحدر على لحيته وهو ساكت والناس يبكون. فقال: ألا تستحيون من طول ما لا

---

٥٣٧ ـ عبد الواحد بن زيد ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٦٨ سنة ١٢٨)، الحلية (٦/ ١٥٥).

تستحيون؟ وفي القوم فتى فغشي عليه فما أفاق حتى غربت الشمس. فأفاق هو يقول: ما لي ما لي؟ كأنه يعمي على الناس أمره، ثم خرج فتوضأ.

قال مسمع بن عاصم: شهدت عبد الواحد ذات يوم وهو يعظ. قال: فمات يومئذ في ذلك المجلس أربعة أنفس قبل أن يقوم. قال مسمع: فأنا شهدت جنازة بعضهم.

قال مالك بن ضيغم: سمعت بكر بن مصاد يقول: عبد الواحد بن زيد يقول: إخوتاه ألا تبكون شوقاً إلى الله عز وجل؟ ألا إنه من بكى شوقاً إلى سيده لم يحرمه النظر إليه، يا إخوتاه ألا تبكون خوفاً من النار؟ ألا إنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله منها، يا إخوتاه ألا تبكون؟ بلى، فابكوا على الماء البارد أيام الدنيا لعله يسقيكموه في حظائر العرش مع خير الندماء والأصحاب من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. قال: ثم جعل يبكي حتى غشي عليه.

[عن] حصين بن القاسم الوزان يقول: لو قسم بثُّ عبد الواحد بن زيد على أهل البصرة لوسعهم، فإذا أقبل سواد الليل [نظرتَ][1] إليه كأنه فرس رهان مضمر متحزم، ثم يقوم إلى محرابه كأنه رجل مخاطَب.

[عن] حبان الأسود قال: حدثني عبد الواحد بن زيد قال: أصابتني علة في ساقي فكنت أتحامل عليها للصلاة. قال: فقمت عليها من الليل فأُجهِدْتُ وجعاً فجلست ثم لففت إزاري في محرابي ووضعت رأسي عليه، فنمت، فبينما أنا كذلك إذا بجارية تفوق الدمى حسناً تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت علي وهن خلفها. فقالت لبعضهن: ارفعنه ولا تَهِجْنَهُ. فأقبلن نحوي فاحتملنني عن الأرض وأنا أنظر إليهن في منامي. ثم قالت لغيرهن من الجواري اللائي معها: افرشنه ومهدنه ووطئن له ووسدنه. قال: ففرشن تحتي سبع حشايا لم أر لهن في الدنيا مثلاً، ووضعن تحت رأسي مرافق خضراً حساناً. ثم قالت للائي حملنني: اجعلنه على الفرش رويداً لا تهجنه. قال: فجعلت على تلك الفرش وأنا أنظر إليها وما تأمر به من شأني. ثم قالت: احففنه بالريحان. قال: فأتي بياسمين فحفت به الفرش، ثم قامت إلي فوضعت يدها على علتي التي كنت أجد في ساقي فمسحت ذلك المكان بيدها ثم قالت: قم ـ شفاك الله ـ إلى صلاتك غير مضرور. قال: فاستيقظت والله كأني قد أنشطت من عقال! فما اشتكيت تلك العلة [من] ليلتي تلك، ولا ذهبت حلاوة منطقها من قلبي: قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور.

قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان الداراني: أصاب عبد الواحد بن زيد الفالج فسأل الله أن يطلقه في وقت الوضوء؟ فإذا أراد أن يتوضأ انطلق، وإذا رجع إلى سريره عاد عليه الفالج.

قال محمد بن عبد الله الخزاعي: صلى عبد الواحد بن زيد الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة.

قال أبو سليمان الداراني: ذكر لي عن عبد الواحد بن زيد قال: نمت عن وردي ليلة؛ فإذا أنا

---

(١) في المطبوع: «فطرت» والتصحيح من الحلية (٦/ ١٦١).

بجارية لم أر أحسن وجهاً منها، عليها ثياب حرير خضر وفي رجليها نعلان، والنعلان يسبّحان، والزمامان يقدسان، وهي تقول: يا ابن زيد جدّ في طلبي، فإني في طلبك، ثم جعلت تقول:

من يشتريني ومن يكن سكني ... يأمن في ربحه من الغبن

فقلت: يا جارية ما ثمنك؟ فأنشأت تقول:

تودُدُ اللهِ مع محبته ... وطولُ فكر يُشاب بالحزن

فقلت: لمن أنت يا جارية؟ فقالت:

لمالك لا يرد لي ثمناً ... من خاطبٍ قد أتاه بالثمن

فانتبه وآلى على نفسه أن لا ينام الليل.

أسند عبد الواحد عن الحسن البصري، وأسلم الكوفي.

٥٣٨ ـ عطاء السليمي

قال أبو عبد الله بن أبي عبيدة: سمعت عفيرة تقول: لم يرفع عطاء رأسه إلى السماء ولم يضحك أربعين حجة، فرفع رأسه مرة ففتق في بطنه فتق.

قال بشر بن منصور: كنت أوقد بين يدي عطاء السليمي في غداة باردة، فقلت له: يا عطاء أيسرك الساعة لو أنك أمرت أن تلقي نفسك في هذه النار ولا تبعث إلى الحساب؟ فقال لي: إي ورب الكعبة! قال: والله مع ذلك لو أمرت به لخشيت أن تخرج نفسي فرحاً قبل أن أصل إليها.

قال نعيم بن مورع: كان عطاء السليمي إذا فرغ من وضوئه انتفض وارتعد وبكى بكاء شديداً. فقيل له في ذلك؟ فقال: إني أريد أن أقدم على أمر عظيم، إني أريد أن أقوم بين يدي الله تعالى.

عن صالح المري قال: كان عطاء السليمي قد أضر بنفسه حتى ضعف. قال: قلت له: إنك قد أضررت بنفسك، وأنا متكلف لك شيئاً فلا ترد كرامتي! قال: افعل. قال: فاشتريت له سويقاً من أجود ما وجدت، وسمناً فجعلت له شريبة ولينتها وحليتها، وأرسلتها مع ابني، وكوزاً من ماء، وقلت له: لا تبرح حتى يشربها. فرجع فقال: قد شربها. فلما كان من الغد جعلت له نحوها ثم سرحت بها مع ابني فرجع بها لم يشربها.

قال: فأتيته فلمته؛ فقلت: سبحان الله رددت علي كرامتي؟ إن هذا مما يعينك ويقويك على الصلاة وعلى ذكر الله! قال: فلما رآني قد وجدت من ذلك قال: يا أبا بشر لا يسوءك الله؛ قد شربتها أول ما بعثت بها، فلما كان الغد راودت نفسي على أن تسيغها فما قدرت على ذلك، إذا أردت أن أشربها ذكرت هذه الآية: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]. فبكى صالح عند هذا وقال: قلت لنفسي: ألا أراني في واد وأنت في آخر؟.

---

٥٣٨ ـ عطاء السليمي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢١٩ سنة ١٢١هـ)، الحلية (٦/ ٢١٥).

[عن] العلاء بن محمد قال: دخلت على عطاء السليمي وقد غشي عليه فقلت لامرأته أم جعفر: ما شأن عطاء؟ فقالت: سجرت جارتنا التنور فنظر إليه فخرّ مغشياً عليه.

[عن] إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثتني عفيرة العابدة ـ وكانت قد ذهب بصرها من العبادة ـ قالت: كان عطاء إذا بكى بكى ثلاثة أيام وثلاث ليال.

قالت عفيرة: وحدثني إبراهيم المحلمي قال: أتيت عطاء السليمي فلم أجده في بيته. قال: فنظرت فإذا هو في ناحية الحجرة جالس وإذا حوله بلل، قال: فظننت أنه أثر وضوء توضأه، فقالت لي عجوز معه في الدار: [هذا] أثر دموعه.

قال سوار أبو عبيدة: قالت لي امرأة عطاء السليمي: عاتبْ عطاءً في كثرة البكاء. فعاتبته! فقال لي: يا سوار كيف تعاتبني في شيء ليس هو إلي؟ إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله وعقابه تمثلت لي نفسي بهم! فكيف لنفس تغل يدها إلى عنقها وتسحب في النار: ألا تصيح فتبكي؟ وكيف لنفس تعذب ألا تبكي؟ ويحك يا سوار وما أقل غناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله.

[عن] بشر بن منصور قال: قلت لعطاء السليمي: يا عطاء لماذا الحزن؟ قال: ويحك الموت في عنقي، والقبر بيتي، وفي القيامة موقفي، وعلى جسر جهنم طريقي، وربي لا أدري ما يصنع بي؟ ثم تنفس فغشي عليه، فترك خمس صلوات، فلما أفاق أخبرته فقال: ويحك إذا ذهب عقلي تخاف علي شيئاً؟ ثم تنفس فغشي عليه فترك صلاتين.

[عن] العلاء بن محمد البصري قال: شهدت عطاء السليمي خرج في جنازة فغشي عليه أربع مرات حتى صلي [عليها](1) كل ذلك يغشى عليه ثم يفيق فإذا نظر إلى الجنازة خر مغشياً عليه.

[عن] بشر بن منصور قال: كنت أسمع عطاء السليمي كل عشية بعد العصر يقول: غداً عطاء في القبر.

عن إبراهيم بن أدهم قال: كان عطاء يمس جسده بالليل خوفاً من ذنوبه مخافة أن يكون قد مُسخ.

[عن] معاوية الكندي قال: كان عطاء عند حجام والمحاجم على عنقه، فمر صبي معه شعلة نار فأصابت النارَ الريحُ فسمع ذلك منها فخرّ مغشياً عليه، فحمل إلى منزله ما يعقل.

[عن] عبد الخالق قال: قال رجل لعطاء يوماً: ما هذا الذي تصنع بنفسك؟ قتلت نفساً؟ أي شيء صنعت؟ قال: اصطدت حماماً لجار لي منذ أربعين سنة، قال: ثم قال: أما إني قد تصدقت بثمنه. كأنه لم يعرفه صاحبه.

[عن] عبد الخالق بن عبد الله العبدي قال: كان عطاء إذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فوقف على أهل القبور ثم قال: يا أهل القبور متُّم! فواموتاه!! ثم يبكي ويقول: يا أهل القبور عاينتم ما عملتم؛ فواعملاه! فلا يزال كذلك حتى يصبح.

---

(1) في المطبوع: «عليه».

عن حماد بن زيد قال: رجعنا من جنازة فدخلنا على عطاء السليمي، فلما رآنا كأنه خائف أن يدخله شيء ـ أي لكثرتنا ـ فقال: اللهم لا تمقتنا ـ أو اللهم لا تمقتني ـ. ثم قال: سمعت جعفر بن زيد يقول: مر رجل بمجلس فأثنوا عليه خيراً. فلما جاوزهم قام وقال: اللهم إن كان هؤلاء لا يعرفونني فأنت تعرفني.

[عن] علي بن بكار قال: مكث عطاء السليمي أربعين سنة على فراشه لا يقوم من الخوف ولا يخرج.

قال أبو جعفر بن الطباع: سمعت مخلداً يقول: ما رأيت أحداً كان أفضل من عطاء السليمي، ولقد كانت الفاكهة تمر لا يعلم سعرها ولا يعرفها.

عن أبي جعفر السائح قال: كان عطاء السليمي يقول: التمسوا لي هذه الأحاديث في الرخص عسى الله أن يروّح عني بعض ما أنا فيه من الغمّ.

[عن] محمد بن معاوية الأزرق قال: حدثني بعض أصحابنا قال: قيل لعطاء السليمي: ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أبكي حتى لا أقدر على أن أبكي. قال: وكان يبكي الليل والنهار، وكانت دموعه الدهرَ سائلة على وجهه.

قال أبو يزيد الهدادي: انصرفت ذات يوم من الجمعة فإذا عطاء السليمي وعمر بن درهم يمشيان، وكان عطاء قد بكى حتى عمش، وكان عمر قد صلى حتى دبر، فقال عمر لعطاء: حتى متى نسهو ونلعب وملَك الموت في طلبنا لا يكف؟ قال: فصاح عطاء صيحة خر مغشياً عليه، فأنشج موضحة، واجتمع الناس، وعقد عمر عند رأسه، فلم يزل على حاله حتى المغرب. ثم أفاق فحمل.

قال سوار أبو عبيدة: انقطع عطاء السليمي قبل موته بثلاثين سنة. قال: وما رأيت عطاء إلا وعيناه تفيضان. قال: وما كنت أشبه عطاء إذا رأيته إلا بالمرأة الثكلى. قال: وكأن عطاء لم يكن من أهل الدنيا.

عن صالح المري قال: كان عطاء السليمي لا يكاد يدعو، إنما يدعو بعض أصحابه ويؤمِّن هو، قال: فحبس بعض أصحابه. فقيل له: ألك حاجة؟ قال: دعوة من عطاء أن يفرج الله عني. قال صالح: فأتيته فقلت: يا أبا محمد أما تحب أن يفرج الله عنك؟ قال: بلى والله إني لأحب ذلك. قلت: فإن جليسك فلاناً قد حُبس فادع الله أن يفرج عنه. فرفع يديه وبكى وقال: إلهي قد تعلم حاجتنا قبل أن نسألكها فاقضها لنا. قال صالح: والله ما برحنا من البيت حتى دخل الرجل.

قال صالح المري: قلت لعطاء السليمي: ما تشتهي؟ فبكى وقال: أشتهي والله يا أبا بشر أن أكون رماداً لا تجتمع منه سفة أبداً في الدنيا ولا في الآخرة. قال صالح: فأبكاني والله، وعلمت أنه إنما أراد النجاة من عسر الحساب.

قال بشر بن منصور: كان عطاء السليمي يقول: رب ارحم في الدنيا غربتي، وفي القبر وحدتي، وطول مقامي غداً بين يديك.

أدرك عطاء السليمي أيام أنس بن مالك، ولقي الحسن، ومالك بن دينار، وخلقاً من تلك الطبقة، وشغلته العبادة عن الرواية.

قال صالح بن بشير المري: لما مات عطاء السليمي حزنت عليه حزناً شديداً، فرأيته في منامي فقلت: يا أبا محمد ألست في زمرة الموتى؟ قال: بلى. قلت: فماذا صرت إليه بعد الموت؟ قال: صرت والله إلى خير كثير ورب غفور شكور. قال: فقلت: أما والله لقد كنت طويل الحزن في دار الدنيا. فتبسم فقال: أما والله يا أبا بشر لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحاً دائماً. قلت: ففي أي الدرجات أنت؟ قال: أنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

٥٣٩ ـ أبو جهير مسعود الضرير

قال صالح المري ـ وساق الحديث للحراز ـ: قال مالك بن دينار: اغدُ عليَّ يا أبا صالح إلى الجبان، فإني قد وعدت نفراً من إخواني بأبي جهير مسعود الضرير نسلّم عليه.

قال صالح المري: وكان أبو جهير هذا رجلاً قد انقطع إلى زاوية يتعبد فيها، ولم يكن يدخل البصرة إلا يوم الجمعة في وقت الصلاة ثم يرجع من ساعته.

قال: فغدوت لموعد مالك إلى الجبان، فانتهيت إلى مالك وقد سبقني وإذا معه محمد بن واسع، وإذا ثابت البناني وحبيب فلما رأيتهم قد اجتمعوا قلت: هذا والله يوم سرور. قال: فانطلقنا نريد أبا جهير. قال: فكان مالك إذا مر بموضع نظيف قال: يا ثابت صلِّ ههنا، لعله أن يشهد لك غداً. فكان ثابت يصلي، قال: ثم انطلقنا حتى أتينا موضعه، فسألنا عنه؟ فقالوا: الآن يخرج إلى الصلاة. فانتظرناه. قال: فخرج علينا رجل إن شئت قلت: قد نُشر من قبره. قال: فوثب رجل فأخذ بيده حتى أقامه عند باب المسجد، ثم أمهل يسيراً ثم دخل المسجد فصلى ما شاء ثم أقام الصلاة فصلينا معه. فلما قضى صلاته جلس كهيئة المهموم، فتواتر القوم في السلام عليه، فتقدم محمد بن واسع فسلم عليه فرد عليه السلام وقال: من أنت؟ لا أعرف صوتك؟ قال: أنا من أهل البصرة. قال: ما اسمك يرحمك الله؟ قال: أنا محمد بن واسع. قال: مرحباً بك وأهلاً، أنت الذي يقول هؤلاء القوم ـ وأومأ بيده إلى البصرة ـ: إنك أفضلهم؟ لله أنت إن قمت بشكر ذلك! اجلس. فجلس، فقام ثابت البناني فسلم عليه فرد عليه السلام وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا ثابت البناني.

قال: مرحباً بك يا ثابت البناني، أنت الذي يزعم أهل هذه القرية أنك من أطولهم صلاة؟ اجلس فقد كنت أتمناك على ربي.

قال: فقام إليه حبيب أبو محمد فسلم عليه، فرد عليه السلام، وقال: من أنت رحمك الله؟ قال أنا حبيب أبو محمد. قال: مرحباً بك يا أبا محمد، أنت الذي يزعم هؤلاء القوم أنك لم تسأل الله شيئاً إلا أعطاك؟ فهلا سألته أن يخفي لك ذلك؟ اجلس يرحمك الله.

قال: وأخذ بيده فأجلسه إلى جنبه. قال: فقام إليه مالك بن دينار فسلم عليه فرد عليه السلام

---

٥٣٩ ـ أبو جهير: مسعود الضرير ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٢٧ سنة ٥١٥٠).

وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا مالك بن دينار. قال: بخ بخ أبو يحيى إن كنت كما يقولون! أنت الذي يزعم هؤلاء القوم أنك أزهدهم؟ اجلس فالآن تمّت أمنيتي على ربي في عاجل الدنيا.

قال صالح: فقمتُ إليه لأسلم عليه فأقبل على القوم فقال: انظروا كيف تكونون غداً بين يدي الله في مجمع القيامة! قال: فسلمت عليه فرد علي وقال: من أنت يرحمك الله؟ قلت: أنا صالح المري. قال: أنت الفتى القارئ، أنت أبو بشر؟ قلت: نعم. قال: اقرأ يا صالح. فابتدأت فقرأت فما استتممت الاستعاذة حتى خر مغشياً عليه، ثم أفاق إفاقة فقال: عد في قراءتك يا صالح. فعدت فقرأت: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] قال: فصاح صيحة ثم انكب لوجهه وانكشف بعض جسده فجعل يخور كما يخور الثور، ثم هدأ فدنونا منه ننظر فإذا هو قد خرجت نفسه كأنه خشبة.

قال: فخرجنا فسألنا: هل له أحد؟ قالوا: عجوز تخدمه؛ تأتيه الأيام. فبعثنا إليها فجاءت فقالت: ما له؟ قلنا: قريء عليه القرآن فمات! قالت: حق له والله، من ذا الذي قرأ عليه؟ لعله صالح القارئ؟ قلنا: نعم؛ وما يدريك مَنْ صالحٌ؟ قالت: لا أعرفه؛ غير أني كثيراً ما كنت أسمعه يقول: إن قرأ عليَّ صالحٌ قتلني. قلنا: فهو الذي قرأ عليه. قالت: هو الذي قتل حبيبي. فهيأناه ودفناه. رحمه الله.

٥٤٠ ـ عبد الله بن غالب الحداني

قال المغيرة بن حبيب: قال عبد الله بن غالب الحداني لما برز للعدو: على ما آسى من الدنيا؟ فوالله ما فيها للبيب جذل، والله لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي وافتراش الجبهة لك يا سيدي والمراوحة بين الأعضاء في ظلم الليل رجاء ثوابك وحلول رضوانك لقد كنت متمنياً لفراق الدنيا وأهلها.

قال: ثم كسر جفن سيفه، ثم تقدم فقاتل حتى قتل، قال: فحمل من المعركة وإن به لرمقاً فمات دون العسكر، فلما دفن أصابوا من قبره رائحة المسك، قال: فرآه رجل من إخوانه في منامه فقال: يا أبا فراس ما صنعت؟ قال: خير الصنيع. قال: إلى ما صرت؟ قال: إلى الجنة. قال: ثم قال: بحسن اليقين وطول التهجد وظمأ الهواجر. قال: فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ. قال: قلت: أوصني؟ قال: اكسب لنفسك خيراً لا تخرج عنك الليالي والأيام عطلاً.

عن مالك بن دينار قال: نزلت في قبر عبد الله بن غالب فأخذت من ترابه فإذا هو مسك.

وقال: فتن الناس به، فبعث إلى قبره فسوّي.

---

٥٤٠ ـ عبد الله بن غالب الحداني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٥٤ سنة ١٢٦هـ)، الحلية (٢/ ٢٥٦)، التاريخ الكبير (٥/ ٥٢٦)، الجرح والتعديل (٥/ ٦٢٦)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٥٤)، الأنساب للسمعاني (٤/ ٧٦)، شذرات الذهب (٣/ ٢٥٤)، العبر (١/ ٢٩٩)، وفي تاريخ ابن الجوزي «الحرّاني» لا «الحداني» كما في المطبوع!!

٥٤١ ـ أشعث الحداني

قال حزم: قال لنا أشعث الحداني: انطلقوا إلى حبيب أبي محمد نسلم عليه. قال: وذاك عند ارتفاع النهار فانطلقنا معه فسلم فخرج حبيب أبو محمد فأخذ في البكاء فما زالوا يبكون حتى حضرت الظهر، قال: فصلينا. فأخذوا في البكاء فما زالوا يبكون حتى حضرت العصر [قال: فصلينا. فأخذوا في البكاء]، فما زالوا يبكون حتى حضرت المغرب، ثم أدنينا حماره فركب فقال لنا: إن ناساً ينهون عن هذا فأطيعهم؟ قلنا: أنت أعلم. قال: إذاً والله لا أطيعهم.

٥٤٢ ـ الحجاج بن فُرافصة

عن سفيان: قال: بتّ عند الحجاج بن فرافصة اثنتي عشرة ليلة ما رأيته أكل ولا شرب ولا نام.

عن سفيان الثوري قال: بت عند الحجاج بن الفرافصة إحدى وعشرين يوماً فما أكل ولا شرب ولا نام. هكذا في حديث أبي نعيم أحد وعشرين، وفي رواية أخرى إحدى عشرة ليلة.

[عن] إبراهيم بن فراسة يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: بت عند الحجاج بن فرافصة إحدى عشرة ليلة فلا أكل ولا شرب ولا نام.

قال أبو موسى الأنصاري: سمعت النضر بن شميل يقول: مكث الحجاج بن الفرافصة أربعة عشر يوماً لا يشرب ماء.

قال أبو موسى: قد سمع النضر منه ورآه.

عن ابن شوذب قال: رأيت الحجاج بن فرافصة واقفاً في السوق عند أصحاب الفاكهة. فقلت: ما تصنع ههنا؟ قال: انظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة.

أسند الحجاج عن أنس وغيره.

٥٤٣ ـ حسان بن أبي سنان

[عن] محمد بن عبد الله الزراد قال: خرج حسان إلى العيد، فقيل له لمّا رجع: يا أبا عبد الله ما رأينا عيداً أكثر نساءً منه؟ فقال: ما تلقتني امرأة حتى رجعت.

[عن] غسان بن المفضل قال: أنبأ شيخ لنا يقال له أبو حكيم قال: خرج حسان يوم العيد، فلما رجع قالت له امرأته: كم امرأة حسنة قد نظرت إليها اليوم؟ فلما أكثرت عليه قال: ويحك ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك.

---

٥٤١ ـ أشعث الحدّاني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٥٠ سنة ١٥١).

٥٤٢ ـ الحجاج بن فرافصة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٨٩ سنة ١١٨)، الحلية (٣/ ١٠٨)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٧٨)، تاريخ الإسلام (٥/ ٢٣٥)، الجرح والتعديل (٣/ ١٦٤)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٠٤)، ميزان الاعتدال (١/ ٤٦٣).

٥٤٣ ـ حسان بن أبي سنان ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٥٢ سنة ١٥١هـ)، الحلية (٣/ ١١٤)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١٤٩)، الجرح والتعديل (٣/ ١٠٤٦).

قال عبد الله: كتب غلام لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز: أن قصب السكر أصابته آفة فاشتر السكر فيما قِبَلك. قال: فاشتراه من رجل، فلم يأت عليه إلا القليل فإذا اشترى ربح ثلاثين ألفاً. قال: فأتى صاحب السكر فقال: يا هذا إن غلامي كان كتب إلي ولم أعلمك فأقِلْني فيما اشتريت منك! قال الآخر: قد أعلمتني الآن وطيبته لك! قال: فرجع فلم يحتمل قلبه. قال: فأتاه فقال: يا هذا إني لم آت الأمر من وجهه فأحب أن تسترد هذا البيع. قال: فما زال به حتى رد عليه.

قال عبد المؤمن بن عباد: لقي حسانَ بن أبي سنان رجلٌ به رهق وكان مع حسان رجل قال: فسأله حسان مساءلة لطيفة، فقال له الرجل: تساءل هذا مثل هذه المساءلة حتى يظن في نفسه أي شيء؟ قال: وما يدريك لعله تكون في هذا خصلة يحبها الله وفيك خصلة يبغضها الله عز وجل؟ قال: فقال: يا أبا عبد الله وما هذه الخصلة التي فيه يحبها الله عز وجل؟ وما الخصلة التي فيَّ يبغضها الله عز وجل؟ قال: لعله أن يكون حين رآك حدثْته نفسُه أنك خير منه! ولعلك حين رأيته حدثتك نفسك أنك خير منه!.

عن جعفر بن سليمان: أن رجلاً رأى النبي ﷺ في المنام فقال: لو أن حساناً دعا أن يتحول جبلٌ لحوّل.

قال الوليد بن بشار: جاءت امرأة فسألت حسان بن أبي سنان؟ فقال لشريكه هكذا، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى، فذهب شريكه يزن لها درهمين فوزن لها مائتين. فقالوا: يا أبا عبد الله كنت تُرضي بهذا كذا وكذا من سائل. فقال: إني ذهبت في شيء لم تذهبوا فيه، إني رأيت بها بقية من الشباب، وخشيت أن تحملها الحاجة على بعض ما أكره.

قال مهدي بن ميمون: رأيت حسان بن أبي سنان ـ أحسبه قال في مرضه ـ فقيل له: كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار! فقيل له: فما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين أحيي ما بين طرفيها.

قال أبو يحيى الزراد: كنت أسمع حسان بن أبي إسحاق يتمثل كثيراً:

لا صحة المرء في الدنيا تؤخره ... ولا يقدم يوماً موتَه الوجعُ

قال ابن شوذب: كان حسان بن أبي سنان رجلاً من تجار أهل البصرة له شريك بالبصرة وهو مقيم بالأهواز يجهز على شريكه بالبصرة ثم يجتمعان على رأس كل سنة يتحاسبان ثم يقتسمان الربح. فكان يأخذ قوته من ربحه ويتصدق بما بقي، وكان صاحبه يبني الدور ويتخذ الأرضين. قال: فقدم حسان البصرة قدمة ففرق ما أراد أن يفرق، فذُكر له أهل بيت لم تكن حاجتهم ظهرتْ. فقال: أما تخبرونا؟ فاستقرض لهم ثلاث مائة درهم فبعث بها إليهم.

قال موسى بن هلال: حدثني رجل كان جليساً لنا وكانت امرأة حسان مولاة له قال: حدثتني امرأة حسان بن أبي سنان قالت: كان يجيء فيدخل معي في فراشي، قالت: ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها، فإذا علم أني قد نمت سلّ نفسه فخرج ثم يقوم فيصلي. قالت: فقلت له يا أبا عبد الله: كم تعذب نفسك؟ ارفق بنفسك! فقال: اسكتي ويحك! فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً.

قال عبد الله بن عيسى: أخبرني أبي قال: كان حسان بن أبي سنان يحضر مسجد مالك بن دينار، فإذا تكلم مالك بكى حسان حتى يبل ما بين يديه ولا يُسمع له صوت.

عن عبد الجبار بن النضر السلمي قال: مر حسان بن أبي سنان بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه فقال: تسألين عما لا يعنيك؟ لأعاقبنك بصوم سنة! فصامها.

قال عمارة بن زاذان: كان حسان يفتح باب حانوته فيضع الدواة وينشر حسابه، ويرخي ستره، ثم يصلي، فإذا أحس بإنسان قد جاء يقبل على الحساب يريه أنه كان في الحساب.

قال أبو داود: وحدثنا سلام بن أبي مطيع قال: كان حسان بن أبي سنان يقول: لولا المساكين ما اتَّجرت.

[عن] يحيى بن سطام الأصفر التميمي ـ وكان جاراً لحسان بن أبي سنان ـ قال: وكان حسان يصوْم الدهر، ويفطر على قرص ويتسحّر بآخر، فنحل وسقم جسمه جداً حتى صار كهيئة الخيال.

فلما مات فأدخل مغتسله ليُغسَّل كشف الثوب عنه فإذا هو كهيئة الخيط الأسود قال: وأصحابه حوله يبكون.

قال حريث: فحدثني يحيى بن مسلم البكّاء وإبراهيم بن محمد القيسي قال: لما نظرنا إلى حسان وما قد أبلاه الذُّؤوبُ أكبرنا ذلك جداً، واستدمع أهل البيت وعلت أصواتهم، ثم هدؤوا، فإنا لكذلك إذ سمعنا قائلاً يقول من ناحية البيت:

تجوَّعَ للإله لكي يراه نحيل الجسم من طول الصيام

قال: فوالله ما رأينا في البيت إلا باكياً.

قال حريث: كانوا يرون أن بعض الجن بكاه.

كان حسان كثير الرواية عن الحسن وثابت البناني، ويقال: أنه أسند عن أنس، غير أنه اشتغل بالعبادة عن الرواية.

٥٤٤ ـ شميط بن عجلان

أبو عبد الله، ويقال أبو همام، قال سيار: أنبأ عبيد الله بن شميط قال: سمعت أبي يقول: بادروا بالصحة السقم، وبالفراغ الشغل، وبادروا بالحياة الموت. وسمعته يقول لي: بئس العبد عبد خلق للعاقبة فصدته العاجلة عن العاقبة فزالت عنه العاجلة وشقي في العاقبة. وسمعته يقول: أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك؟ لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع، كيف يعمل للآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته؟ العجب كل العجب لمصدق بدار الحق وهو يسعى لدار الغرور.

وسمعته يقول: إن الله عز وجل جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه، ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفاً يصوم الهواجر ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك!.

---

٥٤٤ ـ شُمَيط بن عجلان ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٥٤)، الحلية (٣/ ١٢٥).

وسمعته يقول: يعمد أحدهم فيقرأ القرآن ويطلب العلم، حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره، وحملها على رأسه، فنظر إليه ثلاثة ضعفاء: امرأة ضعيفة، وأعرابي جاهل، وأعجمي، فقالوا: هذا أعلم بالله منا، لو [لم][1] ير في الدنيا ذخيرة ما فعل هذا. فرغبوا في الدنيا وجمعوها.

وسمعته يقول: من رضي بالفسق فهو من أهله، ومن رضي أن يُعصَىٰ الله عز وجل لم يرفع له عمل.

قال أبو معاوية الغلابي: حدثني رجل قال: قالت امرأة شميط: يا أبا همام إنا نعمل الشيء فيبرد فنشتهي أن تأكل منه معنا؛ فلا تجيء حتى يفسد ويبرد! فقال: والله إن أبغض ساعاتي إلي الساعة التي آكل فيها.

قال جعفر: سمعت شميطاً يقول: رأس مال المؤمن دينه، حيثما زال معه، لا يخلفه في الرحال ولا يأمن عليه الرجال.

قال جعفر بن سليمان: سمعت شميطاً يقول: من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها.

قال إبراهيم بن عبد الملك: قال شميط بن عجلان: إن الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المطيعين به.

[عن] عبيد الله بن شميط بن عجلان، عن أبيه: أنه كان يقول في مواعظه: إذا أصبحت آمناً في سربك معافى في بدنك، عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء وعلى من يحزن عليها، إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي ثلاثة أيام فقد مضى أمس بما فيه، وغداً أمل لعلكِ لا تدركيه، إنما هو يومك هذا، فإن كنت من أهل غد فسيجيء ربُّ غدٍ برزق غد، إن دون غد يوماً وليلة تخترم فيه أنفس كثيرة فلعلك المختَرم فيه، كفى كل يوم همه، ثم حملت على قلبك الضعيف هم السنين والدهور والأزمنة، وهمَّ الغلاء والرخص، وهم الشتاء قبل أن تجيء، وهم الصيف قبل أن يجيء، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخرة؟ ما تطلب الجنة بهذا! متى تهرب من النار؟ كل يوم ينقص من أجلك ثم لا تحزن! أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك، لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع، فكيف لا يستبين للعالم جهله، وقد عجز عن شكر ما هو فيه! وهو مفتنٌّ في طلب الزيادة؟ أم كيف يعمل للآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع عنها رغبته؟ فالعجب كل العجب لمن صدق بدار الحيوان كيف يسعى لدار الغرور!

وكان يقول: إن أولياء الله آثروا رضا ربهم تعالى على هوى أنفسهم، فأرغموا أنفسهم كثيراً في رضا ربهم، فأفلحوا والله وأنجحوا، وإن المنافق عَبَد هواه، وعبد بطنه، وعبد فرجه، وعبد جلده، [و] عبد الدنيا، وعبد أهل الدنيا.

وكان يقول: الناس رجلان: فمتزود من الدنيا ومتنعم فيها، فانظر أي الرجلين أنت؟ إني أراك

---

(١) زيادة من الحلية (٣/١٢٨).

تحب طول البقاء في الدنيا فلأي شيء تحبه؟ أن تطيع الله عز وجل وتحسن عبادته وتتقرب إليه بالأعمال الصالحة؟ فطوبى لك، أم لتأكل، وتشرب، وتلهو وتلعب، وتجمع الدنيا، وتثمّرها، وتنعم زوجتك وولدك؟ فلبئس ما أردت له البقاء.

وكان يقول إذا وصف المؤمنين: أتاهم عن الله تبارك وتعالى أمر وقذهم عن الباطل فأسهروا الأعين، وأجاعوا البطون، وأظمأوا الأكباد، وأنفقوا الأموال، واهتضموا التالد والطارف في طلب ما يقربهم إلى الله عز وجل، وفي طلب النجاة مما خوفهم به.

وكان يقول: إن المؤمن اتخذ كتاب الله عز وجل مرآة، فمرة ينظر إلى ما نعت الله عز وجل به المؤمنين، ومرة ينظر إلى ما نعت الله عز وجل به المغترين، ومرة ينظر إلى الجنة وما وعد الله عز وجل فيها، ومرة ينظر إلى النار وما أعد الله عز وجل فيها، تلقاه حزيناً كالسهم المرمي به شوقاً إلى ما شوقه الله عز وجل إليه وهرباً مما خوفه الله عز وجل منه.

وكان يقول: بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود ألا ترى إلى المنافق كيف يخدعني وأنا أخدعه؟ يسبّحني ويوقر بلسانه؛ وقلبه مني بعيد! يا داود قل للملأ من بني إسرائيل: لا يدعوني والخطايا في أضبانهم[1]! ليضعوها، ثم ليدعوني أستجب لهم.

وكان يقول: اللهم اجعل القليل من الدنيا يكفينا كما يكفي الكثير أهله، اللهم ارفع رغبتنا إليك واقطع رجاءنا ممن سواك، اللهم اجعل طاعتك ألذ عندنا من الطعام عند الجوع، ومن الشراب عند الظمأ، اللهم اجعل غفلة الناس لنا ذكراً، ومرح الناس لنا شكراً، اللهم إذا تنعم المتنعمون بالدنيا فاجعلنا نتنعَّم بذكرك.

وكان يقول: بالدراهم والدنانير أزِمَّة المنافقين تقودهم إلى السَّوءات.

وكان يقول: تلقى أحدهم عنده فضول يغلق بابه دون جاره وذوي رحمه، ثم يخرج على القوم يحدثهم بما أكل وشرب، ولعل جاره الفقير وذا رحمه المحتاج يكون في القوم يسمع ما يقول، ويحك ما كفاك أن غلقت بابك دونه فلم تواسِه ولم تذكره حتى قعدت فأخبرته بما أكلت وشربت؟ فإذا أنت قد جمعت إساءة بعد إساءة.

وكان يقول: إن المؤمن أبصر الدنيا فأنزلها منزلتها، فإن هي أقبلت عليه قال: لا مرحباً ولا أهلاً، والله ما أراك جئت بخير، وما فيك من خير إلا أن تُطلب بك الجنة، ويفتدى بك من النار. فإن هي أدبرت عنه قال: عليك العفاء وعلى من يتبعك، الحمد لله الذي خار لي وصرف عني فتنتك وشغلك.

وكان يقول إذا وصف أهل الدنيا: حيارى سكارى، فارسهم يركض ركضاً، وراجلهم يسعى سعياً، لا غنيهم يشبع، ولا فقيرهم يقنع.

---

(١) الضِّبَن: الحضن أو ما بين الكِشح والإبط والمراد: في داخل نفوسهم.

وكان يقول إذا وصف المقبل على الدنيا: دائب البطنة، قليل الفطنة، إنما همه بطنه وفرجه وجلده، متى أُصِبح فآكل وأشرب وألهو وألعب، متى أُسي فأنام، جيفة بالليل بطّال بالنهار! ويحك ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ أم بهذا تطلب الجنة وتهرب من النار؟.

وكان يقول: إن العافية سترت البر والفاجر، فإذا جاءت البلايا استبان عندها الرجلان، فجاءت البلايا إلى المؤمن فأذهبت ماله وخادمه ودابته حتى جاع بعد الشبع، ومشى بعد الركوب، وخدم نفسه بعد أن كان مخدوماً، فصبر ورضي بقضاء الله عز وجل، وقال: هذا نظر من الله عز وجل لي، هذا أهون لحسابي غداً، وجاءت البلايا إلى الفاجر فأذهبت ماله وخادمه ودابته فجزع وهلع وقال: والله ما لي بهذا طاقة، والله لقد عودت نفسي عادة ما لي عنها صبر من الحلو والحامض والحار والبارد ولين العيش، فإن هو أصابه من الحلال؛ وإلا طلبه من الحرام والظلم ليعود إليه ذلك العيش.

وكان يقول: إنسانان معذبان في الدنيا: غني أعطي دنيا فهو بها مشغول، وفقير زويت عنه فهو يُتبعها نفسَه، فنفسه تقطّع عليها حسرات.

وكان يقول: الناس ثلاثة: فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه، ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا، فهذا المقرب. ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة، ثم راجع توبةً، فهذا صاحب يمين. ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه، ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا، فهذا صاحب شمال.

قال أبو عمر الضرير: أنبأنا عبيد الله بن شميط قال: سمعت أبي يقول: أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم؟ أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قط من غير عدة؟ أبالصحة تغترون؟ أم بطول العافية تمرحون؟ أم بالموت تأمنون؟ أم على ملك تجترئون؟ إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك! أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب شديد وغصص وندامة على التفريط؟ ثم يقول: رحم الله عبداً عمل لساعة الموت، رحم الله عبداً عمل لما بعد الموت، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت.

٥٤٥ ـ خويل بن محمد الأزدي

عن الهيثم بن عدي قال: سمعت خويل بن محمد ـ وكان عابداً ـ يقول: كأن خويلاً قد وقف للحساب فقيل له: يا خويلُ قد عمرناك ستين سنة، فما صنعت فيها؟ [فجمعتُ](١) نوم سنة مع قائلة النهار فإذا قطعة من عمري نوم، وجمعت ساعات أكلي فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في الأكل، وجمعت ساعات وضوئي فإذا قطعة من عمري قد ذهبت فيه، ثم [نظرتُ](٢) في صلاتي فإذا صلاةٌ منقوصة وصوم مخرق. فما هو إلا عفو الله أو الهلكة.

---

٥٤٥ ـ خويل بن محمد الأزدي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٥٦ سنة ١٥٢هـ).

(١) في المطبوع: «فجمع»!!.

(٢) في المطبوع «نظر»!.

من الطبقة الخامسة من أهل البصرة

٥٤٦ ـ هشام بن أبي عبد الله

واسمه سنبر الدستوائي: مولى لبني سدوس.

[عن] سعيد بن عامر قال: كان هشام بن أبي عبد الله قد أظلم بصره من طول البكاء، وكنت تراه ينظر إليك فلا يعرفك إلا أن تكلمه.

[عن] شاذ بن فياض قال: بكى هشام الدستوائي حتى فسدت عينه، فكانت مفتوحة وهو لا يكاد يبصر بها.

[عن] محمد بن حفص التيمي قال: كان هشام إذا فقد السراج من بيته تململ على فراشه، وكانت امرأته تأتيه بالسراج، فقالت له في ذلك؟ فقال: إذا فقدت السراج ذكرت ظلمة القبر.

[عن] عبد الصمد قال: مات هشام بن عبد الله سنة ثنتين وخمسين.

[عن] زيد بن الحباب قال: دخلت على هشام الدستوائي سنة ثلاث وخمسين ـ يعني ومائة ـ ومات بعد ذلك بأيام.

٥٤٧ ـ شعبة بن الحجاج بن ورد

من الأزد: مولى للأشاقر عتاقةً، يكنى أبا بسطام، وهو أكبر من الثوري بعشر سنين.

[عن] عمرو بن علي الفلاس قال: سمعت أبا بحر البكراوي يقول: ما رأيت أعبد من شعبة، لقد عبد الله حتى جف جلده على عظمه ليس بينهما لحم.

قال عمرو بن هارون: كان شعبة يصوم الدهر كله لا يُرى عليه، وكان سفيان الثوري يصوم ثلاثة من الشهر تُرى عليه.

قال أبو قطن: ما رأيت شعبة ركع قط إلا ظننت أنه قد نسي، ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه قد نسي.

[عن] مسلم بن إبراهيم قال: ما دخلت على شعبة في وقت صلاة قط إلا رأيته يصلي. [عن] سليمان بن حرب قال: لو نظرت إلى ثياب شعبة لم تكن تساوي عشرة دراهم: إزاره وقميصه ورداءه، وكان كثير الصدقة.

---

٥٤٦ ـ هشام بن سنبر الدستوائي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٧٢ سنة ١٥٣)، الحلية (٦/ ٢٧٨)، تاريخ الإسلام (٦/ ٣١١)، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٠٠)، العبر، (١/ ٢٢١)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٤)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٧٩)، تهذيب التهذيب (١١/ ٤٣)، الجرح والتعديل (٩/ ٥٩)، شذرات الذهب (١/ ٢٣٥).

٥٤٧ ـ شعبة بن الحجاج ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٤٣ سنة ١٦٠هـ)، تاريخ بغداد (٩/ ٢٥٥)، الحلية (٧/ ١٤٤)، تاريخ الإسلام (٦/ ١٩٠)، العبر (١/ ٢٣٤)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٩٣)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٣٨)، الجرح والتعديل (١/ ١٢٦)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٠)، شذرات الذهب (١/ ٢٤٧).

قال أبو قطن: كانت ثياب شعبة لونها لون التراب، وكان كثير الصلاة، كثير الصيام، سخي النفس.

قال أبو حميد عبد الله بن محمد المصيصي: سمعت حجاجاً يقول: ركب شعبة حماراً له فلقيه سليمان بن المغيرة فشكا إليه. [فقال له](١) شعبة: والله ما أملك إلا هذا الحمار. ثم نزل عنه ودفعه إليه.

قال قراد أبو نوح: رأى شعبة علي قميصاً فقال: بكم أخذت هذا؟ قلت: بثمانية دراهم. قال لي: ألا اشتريت قميصاً بأربعة دراهم وتصدقت بأربعة؟ رأى شعبة الحسن وابن سيرين، وسمع من قتادة، ويونس بن عبيد، وأيوب، وخالد الحذاء، وخلق كثير من التابعين، وتوفي بالبصرة في أول سنة ستين ومائة، وهو ابن سبع وسبعين سنة.

٥٤٨ ـ صالح بن بشير أبو بشر المرّي

كان مملوكاً لامرأة من بني مرة بن الحارث من بني عبد القيس فأعتقته.

قال عبد الرحمن بن مهدي: كنت أذكر صالحاً المري لسفيان فيقول: القصص القصص! كأنه يكرهه. فكان إذا كانت له حاجة بكَّر فيها، فبكر يوماً وبكرت معه فجعلت طريقنا على مسجد صالح المري فقلت: يا أبا عبد الله ندخل فنصلي في هذا المسجد. فدخل، فصلينا وكان يوم مجلس صالح، فلما صلوا ازدحم الناس فبقينا لا نقدر أن نقوم، وتكلم صالح فرأيت سفيان يبكي بكاءً شديداً، فلما فرغ وقام قلت له: يا أبا عبد الله كيف رأيت هذا الرجل؟ فقال: ليس هذا بقاص هذا نذير قوم.

قال عفان بن مسلم: كنا نأتي مجلس صالح المري نحضره وهو يقص، وكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يفزعك أمره من حزنه وكثرة بكائه كأنه ثكلى، وكان شديد الخوف من الله كثير البكاء.

قال أحمد بن إسحاق الحضرمي: سمعت صالحاً المري يقول: للبكاء دواع: الفكرة في الذنوب فإن أجابت على تلك القلوبُ؛ وإلا نقلتها إلى الموقف وتلك الشدائد والأهوال، فإن أجابت على ذلك وإلا فاعرض عليها التقلب في أطباق النيران. قال: ثم صاح وغشي عليه وتصايح الناس من نواحي المسجد.

قال الأصمعي: شهدت صالحاً المري عزَّى رجلاً على ابنه فقال: لئن كانت مصيبتك لم تحدث لك موعظة في نفسك فمصيبتك بابنك جلل في مصيبتك في نفسك، فإياها فابكِ.

أسند صالح عن الحسن، وابن سيرين، وثابت وقتادة، وبكر بن عبد الله في خلق كثير من التابعين. وتوفي سنة ست وسبعين ومائة.

---

(١) استدراك من الحلية (٧/ ١٤٦).

٥٤٨ ـ صالح بن بشير ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٩/ ٢٤ سنة ١٧٦)، تاريخ بغداد (٩/ ٣٠٥)، الحلية (٦/ ١٦٥)، العبر (١/ ٢٦٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨١)، شذرات الذهب (١/ ٢٨١)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٨٢)، الكاشف (٢/ ١٨).

٥٤٩ ـ الربيع بن عبد الرحمن

ويعرف بالربيع بن برة: قال محمد بن سنان: سمعت الربيع بن برة يقول: ابن آدم إنما أنت جثة منتّنة، طيّبَ نسيمَكَ ما ركّب فيك من روح الحياة، فلو قد نزَعَ منك روحك أُلقيتَ جثة ملقاة وجيفة منتنة وجسداً خاوياً؛ قد جَيِّف بعد طيب رائحة واستوحش منه بعد الأنس بقربه، أي الخليقة منك أعجب؟ إذ كنت تعلم أن هذا مصيرك وأن التراب مقيلك ثم أنت بعد هذا لطول جهلك تقر بالدنيا عيناً. أسمعته يقول: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩]، أما والله ما حداك على الصبر والشكر إلا لعظم ثوابهما عنده لأوليائه، فمن أعظم منك غفلة أو من أطول في القيامة منك حسرة إذ كنت ترغب عما رغب لك فيه مولاك، وأنت تقرأ في الليل والنهار ﴿مَوْلَىٰكُمْۖ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

قال عباد بن الوليد القرشي: قال الربيع بن برة: عجبت للخلائق كيف ذهلوا عن أمر حق تراه عيونهم وتشهد عليه معاقد قلوبهم إيماناً وتصديقاً بما جاء به المرسلون؟ ثم ها هم في غفلة عنه سكارى يلعبون! ثم يقول: وايم الله ما تلك الغفلة إلا رحمة من الله لهم ونعمة من الله عليهم، ولولا ذلك لألفيْ المؤمنون طائشةً عقولهم طائرةً أفئدتهم منخلعةً قلوبهم لا ينتفعون مع ذكر الموت بعيش أبداً.

[عن] داود بن المحبر عن أبيه قال: مر بنا الربيع بن برة ونحن نسوي نعشاً لميت فقال: من هذا الغريب الذي بين أظهركم؟ قلنا: ليس بغريب بل هو قريب حبيب. قال: فبكى وقال: من أغرب من الميت بين الأحياء؟ قال: فبكى القوم جميعاً.

عن محمد بن سلام قال: سمعت الربيع بن عبد الرحمن يقول: رضيت لنفسك، وأنت الحُوَّل القُلّب: أن تعيش عيش البهائم، نهارك هائم وليلك نائم والأمر أمامك جد!.

[عن] محمد بن سلام الجمحي قال: كان الربيع بن برة يقول: نصب المتقون الوعيد من الله أمامهم فنظرت إليه قلوبهم بتصديق وتحقيق، فهم والله في الدنيا منغصون، ووقفوا ثواب الأعمال الصالحة خلف ذلك فمتى سمت أبصار القلوب إلى ثواب الأعمال تشوقت القلوب وارتاحت إلى حلول ذلك، فهم والله إلى الآخرة متطلعون بين وعيد هائل ووعد حق صادق، لا ينفكون من خوف وعيد إلا رجعوا إلى شوق موعود، فهم كذلك، وعلى ذلك في الموت جعلت لهم الراحة. ثم بكى.

[عن] عاصم الخلقاني قال: قال الربيع بن عبد الرحمن: إن لله عباداً أخمصوا له البطون عن مطاعم الحرام، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام رجاء أن ينير لهم قلوبهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها، فهم في الدنيا مكتئبون، وإلى الآخرة متطلعون، نفذت أبصار قلوبهم بالغيب إلى الملكوت فرأت فيه ما رجت من عظيم ثواب الله، فازدادوا لله بذلك

---

٥٤٩ ـ الربيع بن عبد الرحمٰن ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن معين (٢/ ٥٦٠).

جداً واجتهاداً عند معاينة أبصار قلوبهم ما انطوت عليه آمالهم فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا، وهم الذين تقر أعينهم غداً بطلعة ملك الموت عليهم. قال: ثم يبكي حتى يبل لحيته بالدموع.

[عن] محمد بن سلام الجمحي قال: سمعت الربيع بن عبد الرحمن يقول في كلامه: قطعتنا غفلة الآمال عن مبادرة الآجال، فنحن في الدنيا حيارى لا ننتبه من رقدة إلا أعقبتنا في أثرها غفلة، فيا إخوتاه نشدتكم بالله: هل تعلمون مؤمناً بالله أغر ولنقمته أقل حذراً من قوم هجمت بهم العبر على مصارع النادمين فطاشت عقولهم وضلت حلومهم، رأوا العبر والأمثال، ثم رجعوا عن ذلك إلى غير قلعة ولا نقلة؟ فبالله لتبلغن من طاعة الله ورضاه أو لتنكرن به ماتعرفون من حسن بلائه وتواتر نعمائه، إن تحسن أيها المرء يحسن إليك، وإن تُسِيءُ فعلى نفسك بالعتب فارجع، فقد بيّن وحذّر وأعذر، فما للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزاً حكيماً.

زعم بعض نقلة الحديث: أن الربيع بن برة أسند عن الحسن، وذكر له حديثاً. وإنما الربيع المذكور في ذلك الحديث هو الربيع بن صبيح، وأما ابن برة فلا نعلم له مسنداً.

٥٥٠ ـ الحجاج العابد

[عن] محمد بن صالح التميمي قال: قال أبو عبد الله مؤذن مسجد بني جدار: جاورني شاب فكنت إذا أذنت للصلاة وأقمت كأنه في نقرة قفاي، فإذا صليت صلى ثم لبس نعليه فدخل منزله، فكنت أتمنى أن يكلمني أو يسألني حاجة. فقال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله عندك مصحف تعيرني أقرأ فيه؟ فأخرجت إليه مصحفاً فدفعته إليه فضمه إلى صدره، ثم قال: ليكونن اليوم لي ولك شأن.

ففقدته ذلك اليوم فلم أره يخرج، فأقمت المغرب فلم يخرج، وأقمت العشاء الآخرة فلم يخرج. فساء ظني، فلما صليت العشاء الآخرة جئت إلى الدار التي هو فيها فإذا فيها دلو ومطهرة، وإذا على بابه ستر، فدفعت الباب فإذا به ميت والمصحف في حجره، فأخذت المصحف من حجره واستعنت بقوم على حمله حتى وضعناه على سريره.

وبقيت ليلتي أفكر من أكلم حتى أكفنه؟ فأذّنت الفجر بوقت ودخلت المسجد لأركع، فإذا بضوء في القبلة فدنوت منه فإذا كفن ملفوف في القبلة، فأخذته وحمدت الله عز وجل وأدخلته البيت وخرجت فأقمت الصلاة، فلما سلمت إذا عن يميني ثابت البناني ومالك بن دينار وحبيب الفارسي وصالح المري، فقلت لهم: يا إخواني ما غدا بكم؟ قالوا: مات في جوارك الليلة أحد؟ قلت: مات شاب كان يصلي معي الصلوات. فقالوا لي: أرناه. فلما دخلوا عليه كشف مالك بن دينار الثوب عن وجهه [و] قبّل موضع سجوده، ثم قال: بأبي أنت يا حجاج إذا عُرِفت في موضع تحولت منه إلى موضع غيره حتى لا تعرف، خذوا في غسله. وإذا مع كل واحد منهم كفن، فقال كل واحد منهم: أنا أكفنه. فلما طال ذلك منهم، قلت لهم: إني فكرت في أمره هذه الليلة فقلت: من أكلم حتى يكفنه؟

---

٥٥٠ ـ الحجاج العابد ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٤٨/٧ سنة ١١١).

فأتيت المسجد فأذّنت ثم دخلت لأركع، فإذا كفن ملفوف لا أدري من وضعه؟ فقالوا: يكفن في ذلك الكفن. فكفناه وأخرجناه فما كدنا نرفع جنازته، من كثرة من حضره من الجمع.

٥٥١ ـ ضيغم بن مالك

أبو مالك العابد: قال أبو أيوب مولى ضيغم بن مالك: قال لي ضيغم ليلة: لو أعلم أن رضاه أن أقرض لحمي لدعوت بالمقراض فقرضته.

قال: قال سيار: رأيت ضيغماً صلى نهاره أجمع وليله حتى بقي راكعاً لا يقدر أن يسجد فرأيته رفع رأسه إلى السماء ثم قال: قرة عيني. ثم خر ساجداً. فسمعته يقول وهو ساجد: إلهي كيف عزفت قلوب الخليقة عنك؟ قال: وربما أصابته الفترة فإذا وجد ذلك اغتسل ثم دخل بيتاً فأغلق بابه وقال: إلهي إليك جئت. قال: فيعود إلى ما كان من الركوع والسجود.

قال: وسمعت سيار بن حاتم يقول: كان ورد ضيغم كل يوم أربعمائة ركعة.

قال عبيد الله بن عمر قال: أتيت صاحباً لي يقال له عمران بن مسلم فأراني موضعين مبتلَّين في مسجده، أحدهما بحذاء الآخر. فقلت: ما هذا؟ قال: هذا والله من دموع ضيغم البارحة بين المغرب والعشاء وهو راكع.

[عن] أزهر بن مروان الرقاشي قال: رأيت ضيغماً العابد، وكنت إذا رأيته رأيت رجلاً لا يشبه الناس من الخشوع والضر وطول الحزن.

قال القرشي: وحدثني شيخ يكنى بأبي يعقوب عن سعيد البكّاء قال: قال رجل لأم ضيغم: ما أطول حزن ضيغم؟ فبكت وقالت: لمثل ما ندب إليه فليحزن، ذهب الحسن وأصحابه بالحزن وهل رأيت يا بني محزوناً.

[عن] محمد بن الحسين قال: حدثني مالك بن ضيغم قال: قالت أمه ـ يعني ضيغماً ـ ذات يوم: ضيغم! قال: لبيك يا أماه. قالت: كيف فرحك بالقدوم على الله؟ قال: فحدثني غير واحد من أهله أنه صاح صيحة لم يسمعوه صاح مثلها قط وسقط مغشياً عليه، فجلست العجوز تبكي عند رأسه وتقول: بأبي أنت ما نستطيع أن نذكر بين يديك شيئاً من أمر ربك.

قال: وقالت له يوماً: ضيغم! قال: لبيك يا أماه. قالت: تحب الموت؟ قال: نعم يا أماه. قالت: ولِمَ يا بني؟ قال: رجاء خيرِ ما عند الله. قال: فبكت العجوز وبكى فتسامع أهل الدار فجلسوا يبكون لبكائهم.

قال: وقالت له يوماً آخر: ضيغم! قال: لبيك يا أماه. قالت: تحب الموت؟ قال: لا، أماه. قالت: لِمَ يا بني؟ قال: لكثرة تفريطي وغفلتي عن نفسي. قال: فبكت العجوز وبكى ضيغم واجتمع أهل الدار وجعلوا يبكون، وكانت أمه عربية كأنها من أهل البادية.

---

٥٥١ ـ ضيغم بن مالك ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٩٨ سنة ١٤٦)، الجرح والتعديل (٤/ ٤٧٠).

قال مالك بن ضيغم: حدثني الحكم بن نوح قال: بكى أبوك ليلة من أول الليل إلى آخره لم يسجد فيها سجدة ولم يركع فيها ركعة ونحن معه في البحر، فلما أصبحنا قلنا: يا مالك لقد طالت ليلتك لا مصلياً ولا داعياً! قال: فبكى ثم قال: لو يعلم الخلائق ما يستقبلون غداً ما لذّوا بعيش أبداً، والله إني لما رأيت الليل وهوله وشدة سواده ذكرت به الموقف وشدة الأمر هناك، وكل امرئ يومئذ تهمه نفسه! و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] قال: ثم شهق ولم يزل يضطرب ما شاء الله.

[عن] مالك بن ضيغم قال: حدثتني خالتي حبابة بنت ميمون العتكية قالت: رأيت أباك ضيغماً نزل ذات ليلة من فوق البيت بكوز وقد بَرَّد له حتى صبه، ثم اكتاز من الحُبّ ماء حاراً فشرب، فقلت له بعد ذلك: بأبي أنت قد رأيت الذي صنعت فمم ذاك؟ قال: حانت مني مرة نظرة إلى امرأة فجعلت على نفسي أن لا تذوق الماء البارد أيام الدنيا، فقلت: أنغِّصُ عليها الحياة.

[عن] محمد بن مالك بن ضيغم قال: حدثني مولانا أيوب قال: قال لي أبو مالك يوماً: يا أبا أيوب احذر نفسك على نفسك فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقضي، وايم الله لئن لم تأت الآخرة المؤمنَ بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران: هم الدنيا وشقاء الآخرة. قال قلت: بأبي أنت وكيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو ينصَب لله في دار الدنيا ويدأب؟ قال: يا أبا أيوب فكيف بالقبول وكيف بالسلامة؟ ثم قال: كم من رجل يرى أنه قد أصلح شأنه، قد أصلح قربانه، قد أصلح همته، قد أصلح عمله، يُجمع ذلك يوم القيامة ثم يضرب به وجهه.

[عن] يحيى بن بسطام قال: قلت لجار ضيغم: هل سمعت أبا مالك يذكر من الشعر شيئاً؟ قال: ما سمعته يذكر إلا بيتاً واحداً. قلت: ما هو؟ قال:

قد يُخزِن الورِع التقيُّ لسانَه ... حذرَ الكلام وإنه لمفوَّه

[عن] سعيد الوراق قال: حدثني ابن ثعلبة ـ وكان من العابدين ـ قال: رأيت ضيغماً في منامي بعد موته فقال لي: يا ابن ثعلبة أما صليت علي؟ قال: فذكرت علة كانت، فقال: أما لو كنت صليت علي لقد كنت ربحت رأسك.

٥٥٢ ـ حمّاد بن سلَمة

[عن] يكنى أبا سلمة مولى لبني تميم، وهو ابن أخت حميد الطويل.

عبد الرحمن بن مهدي قال: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غداً ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً.

---

٥٥٢ ـ حمّاد بن سَلَمة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٩٥ سنة ١٦٨)، الحلية (٦/ ٢٤٩)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٤)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٢)، العبر (١/ ٢٤٨)، ميزان الاعتدال (١/ ٥٩٠)، تهذيب التهذيب (٣/ ١١)، شذرات الذهب (١/ ٢٦٢)، الجرح والتعديل (٣/ ١٤٠)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٢)، التاريخ الكبير (٣/ ٢٢).

[عن] مقاتل بن صالح الخراساني قال: دخلت على حماد بن سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير، وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه، وجراب فيه علمه، ومطهرة يتوضأ منها، فبينما أنا عنده جالس إذ دق داق الباب فقال: يا صبية اخرجي فانظري من هذا؟ فقالت: رسول محمد بن سليمان. قال: قولي له: يدخل وحده. فدخل فناوله كتاباً فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة. أما بعد فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته.

وقعت مسألةٌ؛ فأتِنا نسألك عنها. والسلام.

قال: يا صبية هلمي الدواة. ثم قال لي: اقلب الكتاب واكتب: أما بعد: وأنت فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً، فإن كانت وقعت مسألة فأتِنا واسألنا عما بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك، ولا تأتني بخيلك ورَجلك فلا أنصحك، ولا أنصح نفسي. والسلام.

فبينا أنا عنده دق داق الباب فقال: يا صبية اخرجي فانظري من هذا؟ فقالت: محمد بن سليمان. قال: قولي له ليدخل وحده، فدخل فسلم ثم جلس بين يديه فقال: ما لي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً! فقال حماد: سمعت ثابتاً البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله عز وجل هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء»[1] فقال: أربعون ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه؟ قال: ارددها على من ظلمته بها. قال: والله ما أعطيتك إلا ما ورثته. قال: لا حاجة لي فيها؛ ازوِها عني زوى الله عنك أوزارك. قال: فتقسمها. قال: فلعلي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم يرزق منها: لم يعدل. ازوِها عني زوى الله عنك أوزارك.

قال موسى بن إسماعيل: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً قط صَدَقْتُكم، كان مشغولاً بنفسه، إما أن يحدث، وإما أن يقرأ، وإما أن يسبِّح، وإما أن يصلي، كان قد قسم النهار على هذه الأعمال.

قال سوار بن عبد الله: حدثنا أبي قال: كنت آتي حماد بن سلمة في سوقه فإذا ربح في ثوب حبة أو حبتين شد جونته فلم يبع شيئاً، فكنت أظن أن ذلك يقوتُه، فإذا وجد قوته لم يزد عليه شيئاً.

قال يونس بن محمد: مات حماد بن سلمة في المسجد وهو يصلي.

أسند حماد بن سلمة عن خلق لا يُحصَون من التابعين، وتوفي في سنة ثمان وستين ومائة.

قال أبو عبد الله التميمي عن أبيه: رأيت حماد بن سلمة في النوم فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: خيراً. قلت: وماذا؟ قال: قيل لي: طال ما كددت نفسك فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعوبين في الدنيا، بخٍ بخٍ ماذا أعددت لهم.

---

(١) ذكره الديلمي في مسند الفردوس (٣/ ٧١) والمناوي في فيض القدير (٤/ ٣٧١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

٥٥٣ ـ الحسن بن أبي جعفر

أبو سعيد الجفري، واسم أبي جعفر عجلان.

قال أبو عمران التمار: غدوت يوماً قبل الفجر إلى مسجد الجفري فإذا باب المسجد مغلق وإذا حسن جالس يدعو، وإذا ضجة في المسجد وجماعة يؤمنون على دعائه وحسن يدعو. قال: فجلست على باب المسجد حتى فرغ من دعائه فقام فأذن وفتح باب المسجد فلم أر في المسجد أحداً، فلما أصبح وتفرق عنه الناس قلت له: يا أبا سعيد إني والله رأيت عجباً! قال: ما رأيت؟ فأخبرته بالذي رأيت وسمعت. فقال: أولئك جن من أهل نصيبين يجيئون فيشهدون معي ختم القرآن كل ليلة جمعة ثم ينصرفون.

أسند الجفري عن أبي الزبير، وثابت البناني وغيرهما، وتوفي سنة ستين. وقيل: سنة سبع وستين ومائة.

٥٥٤ ـ شداد المجذوم

عن مخلد بن الحسين قال: كان بالبصرة رجل يقال له شداد، أصابه الجذام فتقطع فدخل عليه عوّاده من أصحاب الحسن فقالوا: كيف تجدك؟ قال: بخير، أما إنه ما فاتني جزئي بالليل، وقد سقطت وما بي إلا أني لا أقدر أن أحضر صلاة الجماعة.

ومن الطبقة السادسة من أهل البصرة

٥٥٥ ـ حماد بن زيد بن درهم

يكنى أبا إسماعيل: قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت أحداً أعرف بالسنة من حماد بن زيد.

قال أمية بن بسطام: سمعت يزيد بن زريع يقول يوم مات حماد بن زيد: مات اليوم سيد المسلمين.

أسند حماد بن زيد عن خلق كثير من التابعين، وتوفي لعشر ليال خلون من رمضان سنة تسع وسبعين ومائة، وهو ابن إحدى وثمانين سنة.

٥٥٦ ـ يزيد بن زريع

أبو معاوية العيشي، من بني عائش، وهم من ولد بكر بن وائل.

---

٥٥٣ ـ الحسن بن أبي جعفر ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٤٢ سنة ١٦٠هـ)، الحلية (١٠/ ١٣٩).

٥٥٤ ـ شداد المجزوم ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ١٤٥).

٥٥٥ ـ حماد بن زيد ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٩/ ٤١ سنة ١٧٩)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ٧٤)، الحلية (٦/ ٢٥٧)، العبر (١/ ٢٧٤)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٨)، تهذيب التهذيب (٣/ ٩)، الجرح والتعديل (١/ ١٧٦)، شذرات الذهب (١/ ٢٩٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٦).

٥٥٦ ـ يزيد بن زريع ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٩/ ٨٢ سنة ١٨٢هـ)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ١٨٢)، تهذيب =

قال أبو بكر المروزي: سمعت عبد الوهاب يقول: سمعت أبا سليمان الأشقر ـ وكفاك بأبي سليمان ـ يقول: تنزه يزيد بن زريع عن خمس مائة ألف من ميراث أبيه فلم يأخذه.

وقال المروزي: وسمعت أمية بن بسطام ابن عم يزيد بن زريع يقول: كان يزيد يعمل الخوص، وكان يكون في هذا البيت ـ وأشار إلى بيت لطيف في المسجد ـ وسمعت أبا الخطاب يذكر أن زريعاً كان والياً.

قال أحمد بن حنبل: يزيد بن زريع كان يعمل الخوص، وكان أبوه زريع والي البصرة، ولم يكن يأكل من ماله شيئاً، وما أتقنه وما أحفظه، صدوق متقن.

سمع يزيد من أيوب ومن ابن عروبة وغيرهما، وتوفي بالبصرة سنة اثنتين وثمانين، وقيل: سنة سبع وسبعين ومائة.

٥٥٧ ـ يحيى بن سعيد القطان

يكنى أبا سعيد: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: حدثني يحيى القطان ـ وما رأت عيناي مثله ـ.

قال سفيان: قال علي: كان يحيىٰ يختم القرآن في يوم وليلة ما بين المغرب والعشاء.

قال يحيى بن معين: أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن في كل ليلة، ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة، وما رئي يطلب جماعة قط.

قال عمرو بن علي: قلت ليحيى في مرضه الذي مات فيه: [يعافيك][1] الله. فقال: أحبه إلي أحبه إلى الله عز وجل.

قال علي بن عبد الله: كنا عند يحيى بن سعيد فقال لرجل: اقرأ. فقرأ «حم» [الدخان] فلما أخذ في القراءة نظرت إلى يحيى بن سعيد يتغير فلما بلغ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠] صعق يحيى وغشي عليه، وارتفع صدره من الأرض، وتقوص، وانقلب فأصاب البابَ فقارُ ظهره وسال الدم وصرخ النساء. فخرجنا فوقفنا بالباب حتى أفاق بعد كذا وكذا، ثم دخلنا عليه فإذا هو نائم على فراشه وهو يقول: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠] قال علي: فما زالت به تلك القرحة حتى مات. رحمه الله.

أسند يحيى بن سعيد عن كبار الأئمة كالأعمش، وابن جريج، والثوري، ومالك وغيرهم. وتوفي بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة.

= التهذيب (١١/ ٣٢٥)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٩)، العبر (١/ ٢٨٤)، الجرح والتعديل(٩/ ٢٦٣)، التاريخ الكبير (٨/ ٣٣٥).

٥٥٧ ـ يحيى بن سعيد القطّان ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ٧٢ سنة ١٩٨هـ)، تاريخ بغداد (١٤/ ١٣٥)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٥)، الحلية (٨/ ٣٨٠)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٩٣)، الجرح والتعديل (٩/ ١٥٠)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٥٤)، العبر (١/ ٣٢٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٩٨)، الكاشف (٣/ ٢٥٦)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٦)، شذرات الذهب (١/ ٣٥٥).

(١) في المطبوع: «يعاقبك» بالقاف. لا بالفاء.

قال علي بن المديني: سنح لي ليلة خالدُ بن الحارث فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي، إن الأمر شديد. قلت: فما فعل يحيى بن سعيد القطان؟ قال: نراه كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء.

٥٥٨ ـ رباح بن عمرو القيسي

يكنى أبا المعاصر: قال يحيى بن راشد: حدثني محمد بن الحرب بن عبد ربه القيسي، وكان ذا قرابة لرباح، قال: كنت أدخل عليه المسجد وهو يبكي، وأدخل عليه البيت وهو يبكي، وآتيه في الجبان وهو يبكي، فقلت له يوماً: أنت دهرك في مأتم!؟ فبكى ثم قال: يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا.

قال معاذ بن عون الضرير: كنت أكون قريباً من الجبان فكان يمر بي رباح القيسي بعد المغرب إذا خلت الطريق، فكنت أسمعه وهو يتشنج بالبكاء وهو يقول: إلى كم يا ليل يا نهار تحطّان من أجَلي وأنا غافل عمّا يراد بي؟ إنّا لله، إنا لله. فهو كذلك حتى يغيب عن وجهه.

[عن] علي بن الحسين بن أبي مريم قال: قال رباح القيسي: لي نيّف وأربعون ذنباً قد استغفرت لكل ذنب مائة ألف مرة.

عن محمد بن يحيى قال: قال رباح القيسي: كما لا تنظر الأبصار إلى شعاع الشمس، كذلك لا تنظر قلوب محبي الدنيا إلى نور الحكمة أبداً.

[عن] مالك بن ضيغم قال: جاء رباح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر؟ فقلنا: هو نائم. فقال: أنوم في هذه الساعة؟ أهذا وقت نوم؟ ثم ولى منصرفاً. فأتبعناه رسولاً فقلنا: قل له: ألا نوقظه لك؟ قال: فأبطأ علينا الرسول، ثم جاء وقد غربت الشمس فقلنا: أبطأ جداً. فهل قلت له؟ قال: هو كان أشغل من أن يفهم عني شيئاً، أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول: قلت: نوم هذه الساعة؟ أفكان هذا عليك؟ ينام الرجل متى شاء. وقلت: هذا وقت نوم؟ وما يدريك أن هذا ليس بوقت نوم؟ تسألين عما لا يعنيكِ! وتتكلمين بما لا يعنيك! أما إن لله علي عهداً لا أنقضه أبداً: ألا أوسدك الأرض لنوم حولاً إلا لمرض حائل أو لذهاب عقل زائل، سوءة لك، سوءة لك! أما تستحيين؟ كم توبخين وعن غيك لا تنتهين!.

قال: وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني، فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته.

[عن] محمد بن عبد الله قال: صليت مع رباح القيسي الظهر، فصليت إلى جانبه، فجعلت دموعه تقع على البواري مثل الوكف: طَقْ طَقْ. قال: وكان رباح ربما أخذ حفنة من تراب ثم يضعها على البوري ويسجد عليها، وربما وُجد رباح في بعض السكك وقد غشي عليه فيحمل إلى أهله مغشياً عليه.

[عن] محمد بن مسعر قال: كان لرباح القيسي غل من حديد قد اتخذه، وكان إذا جنه الليل وضعه في عنقه وجعل يتضرع ويبكي حتى يصبح.

---

٥٥٨ ـ رباح القيسي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٩٧ سنة ١٦٧هـ)، الحلية (٦/ ٢٢٦).

[عن] ذعثمان قال: أخبرتني مخة ـ وكانت إحدى العوابد ـ قالت: رأيت رباح بن عمرو القيسي ليلة خلف المقام فذهبت فقمت خلفه حتى أزحفت، ثم اضطجعت وهو قائم، وأنا أنظر إليه، فقلت بصوت حزين: سبقني العابدون وبقيت وحدي، والَهْفَ نفساه! فإذا رباح قد شهق وانكب على وجهه مغشياً عليه. فامتلأ فمه رملاً، فما زال كذلك حتى أصبحنا ثم أفاق.

[عن] الحارث بن سعيد قال: أخذ بيدي رباح فقال: هلم يا أبا محمد حتى نبكي على مَرّ الساعات ونحن على هذه الحال. قال: وخرجت معه إلى المقابر، فلما نظر إلى القبور صرخ ثم خر مغشياً عليه، قال: فجلست والله عند رأسه أبكي فأفاق فقال: ما يبكيك؟ قلت: لما أرى بك. قال: لنفسك فابكِ. ثم قال: وانفساه، وانفساه! ثم غشي عليه.

قال: فرحمته والله مما نزل به فلم أزل عند رأسه حتى أفاق فوثب وهو يقول: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] ومضى على وجهه وأنا أتبعه لا يكلمني حتى انتهى إلى منزله، فدخل وأصفق بابه، ورجعت إلى أهلي، ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات.

أسند رباح عن حسان بن أبي سنان وغيره.

٥٥٩ ـ عتبة الغلام

وهو عتبة بن أبان بن صمعة، وإنما سمي بالغلام لجده واجتهاده، لا لصغر سنه، وكان يفتل الشريط.

قال سوار أبو عبيدة: بكى عتبة الغلام في مجلس عبد الواحد بن زيد تسع سنين لا يفتر بكاء من حين يبتدئ عبد الواحد في الموعظة إلى أن يقوم لا يكاد يسكت عتبة! فقيل لعبد الواحد: إنا لا نفهم كلامك من بكاء عتبة! قال: فأصنع ماذا؟ يبكي عتبة على نفسه وأنهاه أنا؟ لبئس واعظ قوم أنا.

[عن] سليم الحنيف قال: رمقت عتبة ذات ليلة بساحل البحر فما زاد ليلته تلك حتى أصبح على هذه الكلمات وهو قائم يقول: إن تعذبني فإني لك محب، وإن ترحمني فإني لك محب. فلم يزل يرددها ويبكي حتى طلع الفجر.

قال أبو توبة: كان عتبة الغلام يأكل خبزاً وملحاً ويقول: العرس في الدار الأخرى.

[عن] عبد الله بن الفرج العابد قال: كان عتبة يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله ويقول: كسرة وملح حتى نهنأ في الدار الأخرى الشواء والطعام الطيب.

[عن] سلمة الفراء قال: كان عتبة الغلام من نساك أهل البصرة، وكان من أصحاب الفلق، وكان قد قوت لنفسه ستين فلقة يتعشى كل ليلة بفلقة ويتسحر بأخرى، وكان يصوم الدهر ويأتي السواحل والجبابين.

عن مخلد بن الحسين قال: كان عتبة يجالسنا، فقال لنا يوماً: إنه لا يعجبني رجل لا يكون في

٥٥٩ ـ عتبة الغلام ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٩٢ سنة ١٦٧)، الحلية (٦/ ٢٢٦).

يده حرفة. فقلنا: ما نراك تحترف. فقال: بلى، رأس مالي طسوج أشتري به خوصاً أعمله وأبيعه بثلاثة طساسيج، فطسوج رأس مالي وقيراط خبزي.

قال أبو عمر الضرير: سمعت رباحاً القيسي يقول: قال لي عتبة: يا رباح إن كنت كلما دعتني نفسي إلى الكلام تكلمت فبئس الناظر لها أنا! يا رباح إن لي موقفاً تغتبط فيه بطول الصمت عن الفضول.

[عن] مسلمة بن عرفجة العنبري قال: سمعت عنبسة الخواص يقول: كان عتبة الغلام يزورني فربما بات عندي، قال: [بات عندي] ذات ليلة فبكى من السَّحَر بكاءاً شديداً، فلما أصبح قلت له: قد فزّعتَ قلبي الليلة ببكائك! فمم ذاك يا أخي؟ قال: يا عنبسة إني والله ذكرت يوم العرض على الله! ثم مال ليسقط فاحتضنته، فجعلت أنظر إلى عينيه تتقلبان قد اشتدت حمرتهما. قال: ثم أزبد وجعل يخور فناديته: عتبة عتبة! فأجابني بصوت خفي: قطع ذكر يوم العرض على الله أوصال المحبين.

قال: ثم جعل يحشرج بالبكاء، ويردد حشرجة الموت ويقول: تراك مولاي تعذب محبيك وأنت الحي الكريم؟ قال: فلم يزل يرددها حتى والله أبكاني.

[عن] داود بن المحبر قال: سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: ربما سهرت مفكراً في طول حزن عتبة، وقد كلمته ليرفق بنفسه، فبكى وقال: إنما أبكي تقصيري.

[عن] الخليل بن عمرو البكري قال: سمعت مهدي بن ميمون يقول: خرجت في بعض الليالي إلى الجبان فإذا عتبة الغلام، فقال لي: جئت؟ قد دعوت الله أن يجيء بك. قلت: أطعمنا رطباً. قال: فدعا فإذا دوخلة رطب بين أيدينا فأكلنا منه.

[عن] زيدان قال: قال عتبة الغلام: كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة.

[عن] عبد الله بن مبشر قال: دعا عتبة الغلام ربه أن يهب له ثلاث خصال في دار الدنيا: دعا الله أن يمنَّ عليه بصوت حزين، ودمع غزير، وغذاء من غير تكلف.

قال: فكان إذا قرأ بكى وأبكى، وكانت دموعه جاريةً دهرَهُ، وكان يأوي إلى منزله فيصيب قوته لا يدري من أين يأتيه.

[عن] الحسن بن دعامة قال: رأيت عتبة الغلام إذا استحسن الطير دعاه فيجيء حتى يسقط على فخذه فيمسه ثم يسيبه فيطير.

عن عبد الواحد بن زيد قال: انطلقت أنا وعتبة الغلام في حاجة، حتى إذا كنا برحبة القصابين جعلت أنظر إلى عتبة يعرق عرقاً شديداً حتى رشح وذلك في يوم شاتٍ شديد البرد فقلت: عتبةُ ترشح عرقاً في مثل هذا اليوم الشديد البرد؟ فسكت ولم يخبرني فقلت: بالذي بيني وبينك. ولم أزل به؟ فقال: ذكرت ذنباً أذنبته في هذا الموضع.

[عن] إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي قال: سألت يوسف بن عطية فقلت له: ما كان لباس عتبة؟ قال: كان يلبس كساءين يأتزر بواحد ويرتدي بآخر، إذا رأيته قلت بعض الأكرة.

قال إبراهيم: كان عتبة عربياً شريفاً من عوذ.

قال إبراهيم: وحدثني مضر قال: قال رجل لعبد الواحد بن زيد: تعلم أحداً يمشي في الطريق مشتغلاً بنفسه؟ قال: ما أعرف إلا رجلاً واحداً الساعة يدخل عليكم. فدخل عتبة، قال: وطريقه على السوق فقال له: يا عتبة من تلقاك في الطريق؟ قال: ما رأيت أحداً.

قال عبد الواحد: وكان عتبة يسجد السجدة الطويلة على الحصا يوم الجمعة فما أراه يعقل بِحَرِّهِ(1).

قال أحمد بن زهير المروزي: ركب عتبة في زورق مع قوم فأراد الملاح أن يعدل ببعضهم السفينة، فلم يجد أحداً منهم أحقر في عينيه من عتبة، فضرب جنبه فقال: استوِ! فقال عتبة: الحمد لله الذي لم ير فيهم أحقر في عينه مني.

قال أبو عبد الله الشحام: كان عتبة يبيت عندي، فقلت له: ما كانت عبادته؟ قال: كان يستقبل القبلة فلا يزال في فكر وبكاء حتى يصبح، وربما جاءني مساء فيقول: أخرج إلي شربة من ماء وتمرات أفطر عليها فيكون لك مثل أجري.

قال عبد الخالق العبدي: كان لعتبة بيت يتعبد فيه، فلما خرج إلى الشام أقفله وقال: لا تفتحوه إلى أن يبلغكم موتي، فلما بلغهم قتله فتحوه فأصابوا فيه قبراً محفوراً وغلاً حديداً.

اشتغل عتبة بالعبادة عن الرواية، وقتل شهيداً في بعض الغزوات.

قال قدامة بن أيوب ـ وكان من أصحاب عتبة ـ: رأيت عتبة الغلام في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: يا قدامة دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك، فلما أصبحت أتيت إلى بيتي فإذا خط عتبة في الحائط مكتوب: يا هادي المضلين، وراحم المذنبين، ومقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، آمين ربَّ العالمين.

٥٦٠ ـ بشر بن منصور السليمي

قال العباس بن الوليد: أتينا بشر بن منصور بعد العصر فخرج إلينا وكأنه متغير. فقلت له: يا أبا محمد لعلنا شغلناك عن شيء؟ فرد رداً ضعيفاً ثم قال: ما أكتمكم ـ أو كلمة نحوها ـ كنت أقرأ في المصحف فشغلتموني. ثم قال: ما أكاد ألقى أحداً فأربح عليه شيئاً.

قال غسان بن المفضل: كان بشر بن منصور من الذين إذا رُؤُوا ذُكر الله، وإذا رأيت وجهه

---

(1) الخبر كما في الحلية (٦/ ٢٣٤): «كان عتبة يجيء إلى المسجد يوم الجمعة وقد أخذ الناسُ الظلَّ، فيقوم على الحصا، فما يستكنّ بشيء منه، ثم يقوم عليه [على الحصا] ويسجد السجدة الطويلة. قال مضر: قال عبد الواحد: يعقل. بحرّه ا.هـ. كذا!!» ولعل المعنى: أن شدة الحرّ حينها لا تمنعه من طول السجود على الحصى فهو لا يلتفت إلى الحر مع شدته.

٥٦٠ ـ بشر السليمي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ٢٠١ سنة ٢٠٩)، الأنساب (٧/ ١٢٤)، الحلية (٦/ ٢٣٩)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٦٥)، شذرات الذهب (١/ ٢٩٣)، العبر (١/ ٢٧٥)، ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٥).

ذكرت الآخرة، رجل منبسط، ليس بمتماوت، ذكي فقيه، وكان بشر رجلاً من العرب، وعلم بنيه عمل الخوص.

[عن] أسيد بن جعفر ابن أخي بشر بن منصور قال: ما رأيت عمي بشر بن منصور فاتته التكبيرة الأولى قط، ولا رأيته قام في مسجدنا سائل قط فلم يعط[1] شيئاً إلا أعطاه.

[عن] زهير السجستاني قال: سمعت بشر بن منصور يقول: ما جلست إلى أحد ولا جلس إلي فقمت من عنده أو قام من عندي إلا علمت أني لو لم أقعد إليه أو يقعد إلي كان خيراً لي.

قال عبد الخالق أبو همام الزهراني: قال بشر بن منصور لرجل: أقلل من معرفة الناس فإنك لا تدري ما يكون، فإن كان شيء ـ يعني فضيحة في القيامة ـ كان من يعرفك قليلاً.

قال علي بن المديني: بلغني عن عبد الرحمن بن مهدي قال: قال بشر بن منصور: إني لأذكر الشيء من أمر الدنيا ألهي به نفسي عن ذكر الآخرة أخاف على عقلي.

عن ابن عيينة قال: قال رجل لبشر بن منصور: عظني. قال: عسكر الموتى ينتظرونك.

[عن] عبيس بن مرحوم قال: حدثتني عبدة بنت أبي شوال قالت: رأيت رابعة في المنام فقلت: ما فعل ضيغم؟ قالت: يزور الله عز وجل متى شاء. فقلت: ما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ أعطي والله فوق ما كان يأمل.

أسند بشر عن الثوري وغيره.

٥٦١ ـ عبد العزيز بن سلمان

ويكنى أبا محمد: قال أبو طارق التبان: كان عبد العزيز بن سلمان إذا ذكر القيامة والموت صرخ كما تصرخ الثكلى، ويصرخ الخائفون من جوانب المسجد. قال: وربما رفع الميت والميتان من جوانب مجلسه.

قال مسمع بن عاصم قال: بتُّ أنا وعبد العزيز بن سلمان وكلاب بن جري وسلمان الأعرج على ساحل من بعض السواحل فبكى حتى خشيت أن يموت، ثم بكى عبد العزيز لبكائه، ثم بكى سلمان لبكائهما، وبكيت والله لبكائهم، لا أدري ما أبكاهم!.

فلما كان بعدُ سألت عبد العزيز فقلت: أبا محمد ما الذين أبكاك ليلتك؟ قال: إني نظرت والله إلى أمواج البحر تموج فذكرت أطباق النيران وزفراتها فذاك الذي أبكاني! ثم سألت كلاباً وسلمان فقالا لي نحواً من ذلك.

قال مسمع: ما كان في القوم شر مني، ما كان بكائي إلا لبكائهم رحمة لما يصنعون بأنفسهم.

عن محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال: كان أبي إذا قام من الليل ليتهجد سمعت في الدار

---

(١) كذا هي في المطبوع، ولعلها «يستعط».

٥٦١ ـ عبد العزيز بن سلمان ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٢٥ سنة ١٥٠هـ)، وفيه: ابن سليمان لا سلمان. وهو أبو محمد الراسبي.

جلبة شديدة واستسقاء للماء الكثير. قال: فنرى أن الجن كانوا يستيقظون للتهجد فيصلون معه.

[عن] محمد بن عبد العزيز سلمان العابد البصري قال: سمعت دهثماً ـ وكان من العابدين ـ يقول: اليوم الذي كنت لا آتي فيه عبد العزيز كنت مغبوناً، فأبطأت عليه ذات يوم ثم أتيته. فقال: ما الذي أبطأ بك؟ قلت: خير. قال: على حال. قلت: شغلنا العيال، كنت ألتمس لهم شيئاً. قال: فوجدته لهم؟ قلت: لا. قال: هلم فلندع. قال: فدعا وأمنت، ودعوت وأمن، ثم نهضنا لنقوم فإذا والله الدنانير والدراهم تتناثر في حجورنا، فقال: دونكها. ومضى ولم يلتفت إلي.

قال: فأخذتها فإذا مائة دينار ومائة درهم. قال محمد: فقلت له: ما صنعت بها؟ قال: احتبست قوت عيالي جمعة حتى لا يشغلني عن عبادته وشكره وخدمته فكرٌ في شيء من عرض الدنيا، ثم أمضيتها والله في سبيل الله.

قال محمد: يحق والله أن يُرزقوا بغير حساب.

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: أنبأنا عبد العزيز بن عمير قال: قيل لعبد العزيز الراسبي ـ وكانت رابعة تسميه سيد العابدين ـ ما بقي مما تلذ به؟ قال: سرداب أخلو [بنفسي][1] فيه.

[عن] محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال: حدثتني أمي قالت: قال أبوك: ما للعابدين وما للنوم؟ لا نوم والله في دار الدنيا إلا نوم غالب. قال: فكان والله لا يكاد ينام إلا مغلوباً.

[عن] محمد بن الحسين قال: حدثني محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال: حدثني واقد الصفار قال: دعا عبد العزيز بن سلمان يوماً لمُقْعَدٍ كان في مجلسه وأمَّن إخوانه، قال: فوالله ما انصرف المقعد إلى أهله إلا ماشياً على رجليه.

٥٦٢ ـ مطهر السعدي

[عن] عبد العزيز بن سلمان العابد ـ وكان يرى الآيات والأعاجيب ـ قال: حدثني مطهر السعدي، وكان قد بكى شوقاً إلى الله تعالى ستين عاماً، قال: أريت كأني على ضفة نهر يجري بالمسك الأذفر، حافتاه شجر لؤلؤ وقضبان الذهب، فإذا أنا بجوارٍ مزينات يقلن بصوت واحد: سبحان المسبَّح بكل لسان، سبحانه، سبحان الموجود بكل مكان، سبحانه. سبحان الدائم في كل الأزمان، سبحانه.

قال: فقلت: من أنتنَّ؟ فقلن: خلق من خلق الرحمن سبحانه، فقلت: ما تصنعن ههنا؟ فقلن:

ذرانا إلـه الناس ربُّ محمد ... لقوم على الأطراف بالليل قُوَّم

يناجون رب العالمين إلههم ... فتسري هموم الدنيا والناس نوّم

قال: فقلت: بخ بخ لهؤلاء، من هؤلاء؟ لقد أقر الله أعينهم بكنّ! فقلن: أَوَ ما تعرفهم؟ قلت: لا والله ما أعرفهم. قلن: بلى؛ هؤلاء المتهجدون أصحاب القرآن والسهر.

---

(١) في المطبوع: «به».

٥٦٢ ـ مطهر السعدي ـ رحمه الله ـ: ذكره أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٤٤).

٥٦٣ ـ كُلاب بن جري

قال حكيم بن جعفر: كان مسمع يحدثني بحالات كلاب بن جري فأسمع شيئاً ما كنت أرى أن يكون في هذه الأمة مثله، من شدة الخوف وطرب الشوق، فقلت له: يا أبا سيار فكيف كان ليله؟ قال: شهدته ليلة في بعض السواحل وهو يصرخ من أول الليل إلى آخره، فلما كان بعد ذلك قلت له: رحمك الله لقد أويت[1] لك من طول ما كنت فيه ليلتك. قال: فبكى ثم قال: يا أبا سيار فبمن أستغيث إذاً؟ قال: فأبكاني والله.

٥٦٤ ـ عبد الله بن ثعلبة الحنفي

قال محمد بن علي الهاشمي: قال عبد الله بن ثعلبة: الله يحفظك بحرّاسه، فإذا أصبحت غدوت على معاصيه خلافاً له! فإذا أمسيت أعاد حراسه عليك لا يمنعه ما كان منك.

قال يوسف بن أبي عبد الله: سمعت عبد الله بن ثعلبة يقول: تضحك! ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصّار.

عن حامد بن عمرو البكراوي قال: سمعت عبد الله بن ثعلبة يقول لسفيان بن عيينة: يا أبا محمد واحزناً على الحزن! فقال سفيان: هل حزنت قط لعلم الله فيك؟ فقال عبد الله: آه آه تركتني لا أفرح أبداً.

قال أبو الحسن البصري: أنا أبو عروة ـ وكان جاراً لعبد الله بن ثعلبة الحنفي ـ: [كان يكثر البكاء] حتى انمحق خداه من الدموع، وكان يقول:

لكل أناس مقبَرٌ بفنائهم ... فهم ينقصون والقبور تزيد
وما إن تزال دار حيٍّ قد أخرجت ... وبيتٌ لميتٍ بالفناء جديد
فهم جيرة الأموات، أما مزارُهم ... فدانٍ، وأما الملتقى فبعيد

ولا نعرف لعبد الله مسنداً.

٥٦٥ ـ ناشرة بن سعيد الحنفي

قال مسمع بن عاصم: انطلقت أنا وعبد العزيز بن سلمان إلى ناشرة بن سعيد الحنفي؛ وكان قد بكى حتى أظلمت عيناه، فاستأذنّا عليه فأذن لنا فدخلنا فسلم عليه عبد العزيز، فقال له ناشرة: أبو محمد؟ قال: نعم. قال: ما جاء بك؟ قال: نبكي معك على ما تقدم من سالف الذنوب. قال: فشهق شهقة خر مغشياً عليه، وجلس عبد العزيز يبكي عند رأسه.

قال: وتنادى أهله فجعلوا يبكون حوله وهو صريع بينهم، فلما رأيت البكاء قد كثر انسللت فخرجت.

---

(١) كذا في الأصل: ولعلها «حزنت» أو نحوها.

٥٦٤ ـ عبد الله بن ثعلبة الحنفي ـ رحمه الله ـ: ذكره البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٧٥).

٥٦٥ ـ ناشرة بن سعيد الحنفي ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٣/ ٢٦٢)، العبر (١/ ١٠٤)، الجرح والتعديل (٥/ ١٩)، شذرات الذهب (١/ ٩٨)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٦٥).

ومن الطبقة السابعة
من أهل البصرة

٥٦٦ ـ عبد الرحمن بن مهدي

يكنى أبا سعيد العنبري، ويقال: هو مولى للأزد، ولد في سنة خمس وثلاثين ومائة.

[عن] علي بن المديني قال: كان عبد الرحمن بن مهدي يختم في كل ليلتين، وكان ورده في كل ليلة نصف القرآن.

[عن] هارون بن سفيان قال: سمعت عبيد الله بن عمر القواريري يقول: أملى علي عبد الرحمن بن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً.

[عن] عبد الرحمن بن عمر قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: كان يقال إذا لقي الرجل مَنْ فوقه في العلم: كان يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله دارسه وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه، ولا يكون إماماً في العلم من يحدث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً في العلم من يحدث عن كل أحد، ولا يكون إماماً في العلم من يحدث بالشاذ من العلم والحفظ والإتقان.

قال: وسمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: لولا أني أكره أن يُعصى الله [لـ] تمنّيت أن لا يبقى في هذا المصر أحد إلا وقع فيَّ واغتابني، فأي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة لم يعملها ولم يعلم بها؟

وسمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول ـ وأراد أن يبيع أرضاً له ـ فقال الدلال: أعطيت بالجريب خمسين ومائتي دينار، ولكن نظر إلى أرض خراب ونخل بادية العروق، فلولا كانت مسمدة رجوت أن أبيع الجريب بفضل خمسين ديناراً، وهذا كثير أربعة آلاف دينار؟ أذهب أنا وغلامك حتى نسمّدها ونبيعها. فغضب وقال: أربعة آلاف دينار! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠] لا ولا كذا ـ أظنه قال: ولا مائة ألف. قال عبد الرحمن بن عمر: وحدثني يحيى بن عبد الرحمن بن مهدي: أن أباه كان يحيي الليل كله، قال عبد الرحمن بن عمر: وسمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: والله لا تجد فقد شيء تركتَه ابتغاءَ وجه الله، كنت أنا وأخي شريكين فأصبنا مالاً كثيراً، فدخل قلبي من ذلك شيء فتركته لله، وخرجت منه، فما خرجت من الدنيا حتى رد الله علي ذلك المال عامَّته إلي وإلى ولدي،

---

٥٦٦ ـ عبد الرحمٰن بن مهدي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ٦٩ سنة ١٩٨هـ)، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٠)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٩٧)، الحلية (٩/ ٣)، التاريخ الكبير (٥/ ٢٤٥)، العبر (١/ ٣٢٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢٩)، الكاشف (٢/ ١٨٧)، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٩)، شذرات الذهب (١/ ٣٥٥).

زوّج أخي ثلاث بنات من بنيّ، وزوجت ابنتي من ابنه، ومات أخي فورثه أبي، ومات أبي فورثته أنا، فرجع ذلك كله إلي وإلى ولدي في الدنيا.

أسند عبد الرحمن عن الأئمة كمالك بن أنس، والثوري، وشعبة، والحمَّادَين، وقد أدرك جماعة من التابعين منهم: جرير بن حازم، والمثنى بن سعيد، وصالح بن درهم.

وتوفي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

٥٦٧ ـ عفان بن مسلم

أبو عثمان الصفار جمع بين العلم والتقى: قال صالح بن أحمد بن عبد الله العجلي: حدثنا أبي قال: عفان بن مسلم بصري ثقة ثبت، صاحب سنة، جعل له عشرة آلاف دينار على أن يقف عن تعديل رجل ولا يقول: عدل ولا غير عدل. فأبى وقال: لا أبطل حقاً من الحقوق.

قال حنبل بن إسحاق: سمعت عفان يقول: دعاني إسحاق بن إبراهيم فقرأ علي الكتاب الذي كتب به المأمون وإذا فيه: امتحنْ عفان وادعُه إلى أن يقول: القرآن كذا وكذا، فإن قال ذلك فأَقِرَّه على أمره، وإن لم يجبك فاقطع عنه الذي يجري عليه. وكان يجري عليه خمسمائة درهم كل شهر. قال عفان: فقال لي: ما تقول؟ فقرأت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] حتى ختمتها وقلت: مخلوق هذا؟ فقال: إن أمير المؤمنين يقول: إن لم تجبه يقطع عنك ما يجرى عليك! فقلت: يقول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] فسكت عني، فانصرفت.

أسند عفان عن جماعة من الأئمة كشعبة، والحمادَين، وتوفي ببغداد في سنة عشرين ومائتين، وقيل تسع عشرة، وله خمس وثمانون سنة.

٥٦٨ ـ زهير بن نعيم الباني

يكنى أبا عبد الرحمن: قال أحمد بن عصام: قال زهير بن نعيم: إن هذا الأمر لا يتم إلا بشيئين: الصبر واليقين، فإن كان يقين ولم يكن معه صبر لم يتم، وإن كان صبر ولم يكن معه يقين لم يتم، وقد ضرب لهما أبو الدرداء مثلاً فقال: مثل اليقين والصبر مثل فدّانَينَ يحفران الأرض فإذا جلس واحد جلس الآخر.

قال أحمد بن عصام: وسمعت خالي عبد العزيز بن يوسف يقول: أردت الخروج من البصرة فبدأت بيحيى بن سعيد فودعته، ثم ودعت عبد الرحمن بن مهدي، ثم ودعت زهيراً فقلت: هل من حاجة؟ فقال: نعم إلا أنها مهمة. قال: ففرحت. فقال: اتق الله، فوالله لأن يتقيه عبدٌ أحبُّ إليّ من أن تتحول هذه السواري كلها ذهباً.

---

٥٦٧ ـ عفان بن مسلم ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ٦٠ سنة ٢٢٠هـ)، تاريخ بغداد (١٢/ ٢٦٩).

٥٦٨ ـ زهير بن نعيم ـ رحمه الله ـ: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٠٤)، وفيه: البابي السلولي، ويقال: العدلي. وفي التقريب (١/ ٢١٨)، ضبطه: البابي بموحدتين.

قال عبد الرحمن بن عمر: انتهى إلينا يوماً رجل من هؤلاء الخبثاء القدَرية، فقال له: يا أبا عبد الرحمن بلغني أنك رجل زنديق. فقال له زهير: أما زنديق فلا، ولكني رجل سوء.

قال عبد الله بن عبد الغفار الكرماني: سمعت زهير بن نعيم الباني يقول: لوددت أن جسدي قُرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاع الله.

قال عبد الله بن عبد الغفار الكرماني: دخلت على زهير بن نعيم الباني وقد سقط من سطح، وقد تهشم وجهه، وهو مكفوف، فقلت: يا أبا عبد الرحمن كيف خبرك؟ قال: هو ذا تراني كيف أنا؟ وهي الدنيا فلتجهد جهدها.

قال محمد بن يونس بن موسى: سمعت زهير بن نعيم الباني ـ وقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن توصي بشيء؟ ـ قال: نعم؛ احذر أن يأخذك الله وأنت على غفلة.

٥٦٩ ـ أبو عبد الله الحربي الزاهد

[عن] إبراهيم بن شبيب بن شيبة قال: كنا نتجالس في الجمعة، فأتى رجل عليه ثوب واحد ملتحف به فجلس إلينا فألقى مسألة، فما زلنا نتكلم في الفقه حتى انصرفنا، ثم جاءنا في الجمعة المقبلة فأحببناه وسألناه عن منزله؟ فقال: أنزل الحربية. فسألناه عن كنيته؟ فقال: أبو عبد الله. فرغبنا في مجالسته ورأينا مجلسنا مجلس فقه.

فمكثنا بذلك زماناً ثم انقطع عنا، فقال بعضنا لبعض: ما حالنا؟ قد كان مجلسنا عامراً بأبي عبد الله وقد صار موحشاً! فوعد بعضنا بعضاً إذا أصبحنا أن نأتي الحربية فنسأل عنه. فأتينا الحربية وكنا عدداً فجعلنا نستحي أن نسأل عن أبي عبد الله؟ فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من الكتّاب فقلنا: أبو عبد الله. فقالوا: لعلكم تعنون الصياد؟ قلنا: نعم. قالوا: هذا وقته الآن يجيء.

فقعدنا ننتظره فإذا هو قد أقبل مؤتزراً بخرقة وعلى كتفه خرقة ومعه أطيار مذبَّحة وأطيار أحياء. فلما رآنا تبسم إلينا وقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: فقدناك، وقد كنت غمرت مجلسنا، فما غيبك عنا؟ قال: إذاً أصدقكم: كان لنا جار كنت أستعير منه كل يوم ذاك الثوب الذي كنت آتيكم فيه، وكان غريباً فخرج إلى وطنه، فلم يكن لي ثوب آتيكم فيه! هل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزق الله عز وجل؟ فقال بعضنا لبعض: ادخلوا منزله. فجاء إلى الباب فسلم ثم صبر قليلاً، ثم دخل فأُذن لنا فدخلنا، فإذا هو قد أتى بقطع من البواري فبسطها لنا، فقعدنا فدخل إلى المرأة فسلم إليها الأطيار المذبحة وأخذ الأطيار الأحياء، ثم قال: أنا آتيكم إن شاء الله عن قريب، فأتى السوق فباعها واشترى خبزاً فجاء وقد صنعت المرأة ذلك الطير وهيأته، فقدم إلينا خبزاً ولحم طير، فأكلنا فجعل يقوم فيأتينا بالملح والماء، فكلما قام قال بعضنا لبعض: رأيتم مثل هذا؟ ألا تغيّرون أمره وأنتم سادة أهل البصرة؟ فقال أحدهم: علي خمسمائة. وقال الآخر: علي ثلثمائة. وقال هذا وقال هذا، وضمن بعضهم أن يأخذ له من غيره. فبلغ الذي جمعوا في الحساب خمسة آلاف درهم فقالوا: قوموا بنا نذهب فنأتيه بهذا، ونسأله أن يغير بعض ما هو فيه. فقمنا فانصرفنا على حالنا ركباناً فمررنا بالمربد فإذا محمد بن

سليمان أمير البصرة قاعد في منظرة له فقال: يا غلام ائتني بإبراهيم بن شبيب بن شيبة من بين القوم. فجئت فدخلت عليه فسألني عن قصتنا ومن أين أقبلنا؟ فصدقته الحديث. فقال: أنا أسبقكم إلى بره، يا غلام ائتني ببدرة دراهم. فجاء بها، فقال: ائتني بغلام فرّاش، فجاء فقال: احمل هذه البدرة مع هذا الرجل حتى تدفعها إلى من أمَرْنا.

ففرحت ثم قمت مسرعاً فلما أتيت الباب سلمت، فأجابني أبو عبد الله ثم خرج إلي، فلما رأى الفرّاش والبدرة على عنقه كأني سفّيت في وجهه الرماد، وأقبل علي بغير الوجه الأول فقال: ما لي ولك يا هذا؟ أتريد أن تفتنني؟ فقلت: يا عبد الله اقعد حتى أخبرك: إنه من القصة كذا وكذا، وهو الذي تعلم أحد الجبّارين ـ يعني محمد بن سليمان ـ ولو كان أمرني أن أضعها حيث أرى لرجعت إليه فأخبرته أني قد وضعتها. فالله الله في نفسك. فازداد علي غيظاً، وقام فدخل منزله وأصفق الباب في وجهي، فجعلت أقدم وأؤخر ما أدري ما أقول للأمير، ثم لم أجد بداً من الصدق، فجئت فأخبرته الخبر. فقال: حروري والله، يا غلام عليّ بالسيف. فجاء بالسيف فقال له: خذ بيد هذا الغلام حتى يذهب بك إلى هذا الرجل، فإذا أخرجه إليك فاضرب عنقه وائتني برأسه.

قال إبراهيم: فقلت أصلح الله الأمير، الله الله، فوالله لقد رأينا رجلاً ما هو من الخوارج، ولكني أذهب فآتيك به. وما أريد بذلك إلا افتداء منه. قال: فضمّنّيه. فمضيت حتى أتيت الباب فسلمت فإذا المرأة تحن وتبكي، ثم فتحت الباب وتوارت فأذنت لي فدخلت فقالت: ما شأنكم وشأن أبي عبد الله؟ فقلت: ما حاله؟ قالت: دخل فمال إلى الركى[1] فنزع منها ماء فتوضأ ثم سمعته يقول: اللهم اقبضني إليك ولا تفتنّي. ثم تمدد وهو يقول ذلك. فلحقته وقد قضى فهو ذاك ميت. فقلت: يا هذه إن لنا قصة عظيمة فلا تُحدثوا فيه شيئاً. فجئت محمد بن سليمان وأخبرته الخبر فقال: أنا أركب فأصلي على هذا.

قال: وشاع خبره بالبصرة فشهده الأمير وعامة أهل البصرة. رحمة الله عليه.

وممن تأخر عن هذه الطبقات

٥٧٠ ـ أبو الحسن البصري

أصله من مكة، وسكن البصرة، وإنما يعرف بالمكي.

أنبأنا محمد بن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال: كان أبو الحسن المكي يسف الخوص، وكان لا يملك إلا داراً، فلما ضعف عن سف الخوص باعها على شرط أن يكريه المشتري إياها، وأودع الثمن عند المشتري، وكان يأخذ منه في كل شهر خمسة دراهم لنفقته ويعطي المشتري أجرة الدار، فمات قبل أن ينفد الثمن، وكانت له جبة صوف بيضاء أقامت معه عشرين سنة شتاء وصيفاً ما لبس غيرها، وكانت في نهاية الحسن والنقاء والنظافة والصحة، وكان موته حوالي سنة خمسين وثلثمائة، وكانت جنازته عظيمة.

---

(١) رَكَا: حفر، والرَّكِيَّة: البئر.

ذكر المصطَفَين من عباد البصرة المجاهيل الأسماء.

٥٧١ ـ عابد

عن الحسن قال: احترقت أخصاص بالبصرة وبقي في وسطها خص لم يحترق وأمير البصرة يومئذ أبو موسى الأشعري. فخبر بذلك، فبعث إلى صاحب الخص فأتي به فإذا شيخ فقال: يا شيخ ما بال خصك لم يحترق؟ قال: إني أقسمت على ربي أن لا يحرقه! فقال أبو موسى: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في أمتي رجال طلس رؤوسهم، دنس ثيابهم، لو أقسموا على الله لأبرهم»(١).

٥٧٢ ـ عابد آخر

قال إبراهيم بن عبد الله بن المديني: قيل للحسن: ههنا رجل لم نره قط جالساً إلى أحد، إنما هو أبداً خلف سارية وحده. فقال الحسن: إذا رأيتموه فأخبروني به. قال: فمر به ذات يوم ومعهم الحسن فأشاروا له إليه، فقالوا: ذلك الرجل الذي أخبرناك. فقال: امضوا حتى آتيه. فلما جاءه قال: يا عبد الله أراك قد حُببت إليك العزلة، فما يمنعك من مخالطة الناس؟ قال: ما أشغلني عن الناس. قال: فتأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه؟ قال: ما أشغلني عن الحسن وعن الناس! قال له الحسن: فما الذي شغلك ـ يرحمك الله ـ عن الناس وعن الحسن؟ قال: إني أُمسي وأُصبح بين ذنب ونعمة، فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار للذنب والشكر لله على النعمة. فقال له الحسن: أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن، الزم ما أنت عليه.

٥٧٣ ـ عابد آخر

قال عطية بن سليمان: صليت الجمعة ثم انصرفتُ فجلست إلى يونس بن عبيد حتى صلينا العصر فقال: هل لكم في جنازة فلان؟ فمشينا إلى ناحية بني سعد فصلينا على الجنازة، ثم قال: هل لكم في فلان العابد نعوده؟ فأتينا رجلاً قد وقعت في فيه الخبيثةُ حتى أبدت عن أضراسه، فكان إذا أراد أن يتكلم دعا بعقب من ماء وبقطنة فيبل لسانه حتى يبتل ثم يتكلم بكلمات يحسن فيهن.

فلما دخلنا عليه دعا بالقدح ليفعل ما كان يفعل، فبينا هو يبل لسانه سقطت حدقتاه في القدح فأخذهما فمر بهما بيده ثم قال: إني لأجد فيهما دسماً وما كنت أظنه بقي فيهما. ثم استقبل القبلة فقال: الحمد لله الذي أعطانيهما وأمتعني بهما شبابي وصحتي حتى إذا أفنيت أيامي وحضر أجلي أخذهما مني ليبدلني بهما إن شاء الله خيراً منهما. فقال له يونس: قد كنا تهيأنا لنعزيك فنحن الآن نهنئك! فقال خيراً ودعا. ثم خرجنا من عنده.

٥٧٤ ـ عابد آخر

قال محمد بن عبد الرحمن عن الرجل الذي حدثه: أنهم كانوا بالبصرة في شدة قحط الناس فيها

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وإن كان ورد بصيغة «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه» وهو حديث صحيح أخرجه النسائي (٤٧٦٩) وغيره، وقد تقدم تخريجه مراراً.

وغلا سعرهم، واحتبس عنهم المطر، فخرجوا يستسقون، وخرجت اليهود والنصارى، فاعتزلت اليهود معهم التوراة، واعتزلت النصارى معهم الإنجيل، واعتزل المسلمون، كلهم يدعون وانصرفوا يومهم ذلك.

قال: فبينا أنا بعد ذلك أمشي في طريق المربد نظرت فإذا بين يدي فتى عليه أطمار تَقْبَلُهُ النفس فهو يمشي وأنا خلفه حتى خرج إلى الجبان، فدخل بعض تلك المساجد التي بالقرب من المقابر، ودخلت خلفه تَحُوْلُ بيني وبينه أركانُ المسجد، فصلى ركعتين ثم رفع يديه يدعو، وقال في دعائه: يا رب استغاث بك عبادك فلم تسقهم، يا رب الآن شمتت بنا اليهود والنصارى، أقسمت عليه يا رب إلا سقيتنا الساعة ولَمْ تردّني.

قال: فما برح يدعو حتى جاءت السحابة، ومطرنا، فخرج وخرجت في أثره لأعرف موضعه، فجاء إلى دار فيها أخصاص وأكواخ فيها سكان فدخل بيتاً منها فعرفت موضعه. فانصرفت عنه وهيأت دراهم في صرة، ثم جئت فاستأذنت عليه، فدخلت فإذا ليس في البيت إلا قطعة حصير ومطهرة فيها ماء، وإذا هو قاعد يعمل الخوص، فسلمت فرحب بي، وبشّ، فتحدثت ساعة ثم أخرجت الصرة وقلت: رحمك الله انتفع بهذه. فتبسم وقال: جزاك الله خيراً أنا في غنى عنها! فألححت عليه فجعل يدعو ويأبى أن يأخذها، فلما أكثرت عليه تنكّر لي وقال: حسبك الآن؛ ليس بي إليها حاجة. قال: فأقبلت عليه وقلت: رحمك الله إن لي عليك حقاً. قال: وما هو رحمك الله؟ قلت: كنت أسمع دعاءك حين خرجت إلى الجبان. قال: فاصفّر وجهه حتى أنكرتُه، وساءه ما قلت له. ثم خرجت من عنده.

فلما كان بعد ذلك بأيام أتيته فلما دخلت الدار جعل سكان الدار يصيحون بقيّم الدار: هو ذا هو قد جاء. فجاء إلي فتعلق بي وقال: يا عدو نفسه ما صنعت بذاك الفتى الذي جئته اليوم الأول؟ أي شيء أسمعته؟ قلت: لا تعجل حتى أخبرك بالحديث. [فأخبرته] فقال: إنك لما خرجت من عنده قام في الحال فأخذ حصيره ومطهرته وودَّعنا وخرج، ولم يعد إلينا إلى الساعة، لا ندري أين توجه؟

٥٧٥ ـ عابد آخر

عن مالك بن دينار قال: احتبس علينا المطر بالبصرة، فخرجنا يوماً بعد يوم نستسقي فلم نر أثراً لإجابة، فخرجت أنا وعطاء السليمي وثابت البناني ومحمد بن واسع وحبيب الفارسي وصالح المرّي وآخرون حتى صرنا إلى المصلى، بالبصرة فاستسقينا فلم نر أثراً لإجابة.

وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت في المصلّى؟ فلما أظلم الليل إذا بأسود دقيق الساقين عظيم البطن عليه مئزران من صوف، فجاء إلى ماء فتمسح ثم صلى ركعتين خفيفتين، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: سيدي إلى كم ترد عبادك فيما لا ينقصك؟ أنفد ما عندك؟ أقسمت عليك بحبك لي إلا ما سقيتنا غيثك الساعةَ الساعة.

فما أتمَّ الكلام حتى تغيمت السماء، وأخذتنا كأفواه القُرب، فما خرجنا حتى خضنا [في] الماء،

فتعجبنا من الأسود، فتعرضت له فقلت: أما تستحيي؟ ما قلت؟ قال: وما قلت؟ قلت قولك: بحبك لي، وما يدريك أنه يحبك؟ قال: تنحَّ عن همتي يا من اشتغل عنه بنفسه! أين كنتُ أنا حين خصني بتوحيده ومعرفته؟ أتراه بدأني بذلك إلا لمحبته لي؟ ثم بادر يسعى. فقلت: ارفق بنا. قال: أنا مملوك علي فرضٍ من طاعة مالكي الصغير. فدخل دار نحاس فلما أصبحنا أتيت النحاس فقلت له: عندك غلام تبيعنيه للخدمة؟ قال: نعم عندي مائة غلام. فجعل يخرج إلى واحداً بعد واحد وأنا أقول: غير هذا. إلى أن قال: ما بقي عندي أحد. فلما خرجنا إذا الأسود قائم في حجرة خربة فقلت: بعني هذا. قال: هذا غلام مشؤوم لا همة له إلا بالبكاء! فقلت: ولذلك أريده. فدعاه وقال لي: خذه بما شئت بعد أن تبرئني من عيوبه. فاشتريته بعشرين ديناراً، فلما خرجنا قال: يا مولاي لماذا اشتريتني؟ قلت: لنخدمك نحن. قال: ولِمَ ذاك؟ قلت: أليس أنت صاحبنا البارحة في المصلى؟ قال: وقد اطَّلعت على ذلك؟ فجعل يمشي حتى دخل مسجداً فصلى ركعتين ثم قال: إلهي وسيدي سرٌّ كان بيني وبينك أظهرتَه للمخلوقين، أقسمت عليك إلا قبضت روحي الساعة. فإذا هو ميت، فبقبره نستسقي، ونطلب الحوائج إلى يومنا هذا[1].

٥٧٦ ـ عابد آخر

قال حصين بن قاسم الوزان: كنا عند عبد الواحد وهو يعظ فناداه رجل من ناحية المسجد: كفَّ يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي! فلم يلتفت عبد الواحد ومرّ في الموعظة، فلم يزل الرجل يقول: كف يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي. وعبد الواحد يعظ ولا يقطع وموعظته حتى والله حشرج الرجل حشرجة الموت، ثم خرجت نفسه.

قال: فأنا والله شهدت جنازته يومئذ، فما رأيت بالبصرة يوماً أكثر باكياً من يومئذ.

٥٧٧ ـ عابد آخر

عن يزيد الرقاشي قال: دخلت على عابد بالبصرة، وإذا أهل بيته حوله فإذا هو مجهود قد أجهده الاجتهاد. قال: فبكى أبوه فنظر إليه ثم قال: أيها الشيخ، ما الذي يبكيك؟ قال: يا بني أبكي فقدك وما أرى من جهدك. قال: فبكت أمه. فقال: أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة ما الذي يبكيك؟ قال: يا بني أبكي فراقك وما أتعجل من الوحشة بعدك.

قال: فبكى أهله وصبيانه، فنظر إليهم ثم قال: يا معشر اليتامى بعد قليل، ما الذي يبكيكم؟ قالوا: يا أبانا نبكي فراقك وما نتعجل من اليتم بعدك! قال: فقال: أقعدوني أقعدوني، ألا أرى كلكم يبكي لدنياي؟ أما فيكم من يبكي لآخرتي؟ أما فيكم من يبكي لما يلقاه في التراب وجهي؟ أما فيكم من يبكي لمساءلة منكر ونكير إياي؟ أما فيكم من يبكي لوقوفي بين يدي الله ربي؟ قال: ثم صرخ صرخة فمات.

---

(١) المقصود: سؤال الله تعالى بصالح عمل هذا الرجل، لا سؤال صاحب القبر؟!.

٥٧٨ ـ عابد آخر

[عن] عبد الواحد بن زيد قال: خرجت إلى ناحية الحربية فإذا إنسان أسود مجذوم قد تقطعت كل جارحة له بالجذام، وعمي، وأقعد، وإذا صبيان يرمونه بالحجارة حتى أدموا وجهه، فرأيته يحرك شفتيه، فدنوت منه لأسمع ما يقول، فإذا هو يقول: يا سيدي إنك لتعلم أنك لو قرضت لحمي بالمقاريض ونشرت عظامي بالمناشير ما ازددت لك إلا حباً، فاصنع بي ما شئت.

٥٧٩ ـ عابد آخر

قال فضيل أبو حاتم: لما كان حريق عرماز، كان رجل في خص له يسف خوصاً، والنار قد أحدقت به فلم يضره. فقيل له في ذلك؟ فقال: إني عزمت على رب النار أن لا يحرقني بالنار.

قيل له: فاعزم عليه أن يطفئها؟ قال: ففعل. فلم تلبث النار أن طفئت.

٥٨٠ ـ عُبَّاد سبعةٌ

عن صالح المري قال: قدم علينا ابن السماك مرة فقال لي: أرني بعض عجائب عبَّادكم. فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له، فاستأذنَّا عليه فدخلنا، فإذا رجل يعمل خوصاً له فقرأت: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢] فشهق الرجل فإذا هو قد يبس مغشياً عليه.

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله، وذهبنا إلى آخر فاستأذنّا عليه فقال: ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا. فدخلنا فإذا رجل جالس في مصلى له فقرأت: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] فشهق شهقة بدر الدم من منخريه، ثم جعل يتشحط في دمه حتى يبس.

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله، حتى أدرته على ستة أنفس، كلٌّ نخرج من عنده وهو على هذه الحالة.

ثم أتيت به السابع فاستأذنت فإذا امرأة له من وراء الخص تقول: ادخلوا. فدخلنا فإذا شيخ فانٍ جالس في مصلاه فسلمنا فلم يعقل سلامنا. فقلت بصوت عال: إن للخلق غداً مقاماً. فقال الشيخ: بين يدي مَنْ ويحك؟ ثم بقي مبهوتاً فاتحاً فاه شاخصاً بصره، يصيح بصوت له ضعيف حتى انقطع. فقالت امرأته: اخرجوا عنه، فإنكم ليس تنتفعون به الساعة.

فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم؟ فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله عز وجل، وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتاً متحيراً لا يؤدي فرضاً فلما كان بعد ثالثة عقل.

٥٨١ ـ عابدان

[عن] ابن سماك قال: دخلت البصرة فقلت لرجل كنت أعرفه: دلني على عبّادكم. فأدخلني على رجل عليه لباس الشعر، طويل الصمت، لا يرفع رأسه إلى أحد. قال: فجعلت أستنطقه الكلام فلا يكلمني. فخرجت من عنده، فقال لي صاحبي: ههنا ابن عجوز هل لك فيه؟ قال: فدخلنا عليه فقالت العجوز: لا تذكروا لابني شيئاً من ذكر جنة ولا نار فتقتلوه علي، فإنه ليس لي غيره.

قال: فدخلنا على شاب عليه من اللباس نحو مما على صاحبه منكس الرأس طويل الصمت، فرفع رأسه فنظر إلينا ثم قال: أما إن للناس موقفاً لا بد أن يقفوه! قال: فقلت: بين يدي مَن رحمك الله؟ قال: فشهق شهقة فمات.

قال ابن السماك: فجاءت العجوز فقالت: قتلتم ولدي. قال: فكنت فيمن صلى عليه.

٥٨٢ ـ عابد آخر

قال أبو عبد الله خرزي: قلت لمحمد بن السماك: أخبرني عن أعجب شيء رأيته من الخائفين؟.

قال: اشتقت إلى عبّاد البصرة، فأتيت الربيع بن صبيح فنزلت عليه، ثم قلت له: هل تعرف ههنا أحداً من الخائفين؟ قال: نعم ههنا زاهد يقال إنه من الخائفين. قلت له: فبكِّر بنا إذا صلينا. قال: فبكرنا إلى بعض زوايا البصرة فدق باباً فخرجت عجوز فسلم عليها ثم قال: ما فعل ابنك؟ قالت: إن ابني قد نسي الدنيا. قال: أتأذنين لنا أن ندخل عليه؟ قالت: بشرط أن لا تذكروا له القيامة. قال: فأذنت لنا، فدخلنا فإذا شاب عليه مدرعة شعر، في عنقه طوق وسلسلة مشدودة بسارية البيت، فإذا قبر محفور وإذا هو جالس على شفير قبره ينظر في لحده، فقال الربيع: يا هذا أخوك محمد بن السماك المذكِّر أتاك زائراً. فالتفت إليه فقال: ما أنت قائل؟ فتلجلج لساني وهبتُ فجهدت الجهد أن أنطلق فما قدرت، فخرجنا يومئذ، ثم عدت في اليوم الثاني فإذا هو على حالته التي رأيناها أمس، فالتفت إلي فقال: ما أنت قائل؟ فتلجلج لساني، ثم قلت: إن للعباد مقاماً! قال: ويحك عند مَنْ؟ قلت: عند مالك الملوك. فشهق شهقة فإذا هو ميت في قبره.

من عقلاء المجانين بالبصرة

٥٨٣ ـ رجل لم يُعرف اسمه

قال أبو أحمد بن روح: حدثني بعض أصحابنا قال: رأيت مجنوناً بالبصرة قد نظر إلى جنازة فأنشأ يقول:

وصفَ الطبيبُ فهم بما وصفَ الطبيبُ يعالجونه
يرجون صحةَ جسمه هيهات مما يرتجونه

قال: ثم غلبه البكاء ومضى.

ذِكْرُ المصطَفَيات من عابدات البصرة

٥٨٤ ـ معاذة بنت عبد الله العدوية

وتكنى أم الصهباء: قال محمد بن فضيل: حدثنا أبي قال: كانت معاذة العدوية إذا جاء النهار

٥٨٤ ـ معاذة بنت عبد الله العدوية ـ رحمهما الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٥٤ سنة ٨٣هـ)، الكاشف (٢/ ٥١٧)، طبقات ابن سعد (٨/ ٤٨٣)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٤)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٢)، شذرات الذهب (١/ ١٢٢).

قالت: هذا يومي الذي أموت فيه. فما تنام حتى تمسي. وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها، فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم.

قال الحكم بن سنان الباهلي: حدثتني امرأة كانت تخدم معاذة العدوية قالت: كانت تحيي الليل صلاة فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول: يا نفس، النوم أمامك، لو قد مُتِّ لطالت رقدتك في القبر على حسرة أو سرور. قالت: فهي كذلك حتى تصبح.

قال عبد الرحمن بن عمرو الباهلي: وحدثتنا دلال ابنة أبي المدل قالت: حدثتني آسية بنت عمرو العدوية قالت: كانت معاذة العدوية تصلي في كل يوم وليلة ستمائة ركعة وتقرأ جزءها من الليل تقوم به. وكانت تقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور!.

[عن] الحسن بن علي بن مسلم الباهلي قال: سمعت أبا السوار العدوي يقول: بنو عدي أشد أهل هذه البلدة اجتهاداً، هذا أبو الصهباء لا ينام ليله ولا يفطر نهاره، وهذه امرأته معاذة ابنة عبد الله لم ترفع رأسها إلى السماء أربعين عاماً.

عن زهير السلولي عن رجل من بني عدي، عن امرأة منهم أرضعتها معاذة ابنة عبد الله قالت: قالت لي معاذة: يا بنية كوني من لقاء الله عز وجل على حذر ورجاء، وإني رأيت الراجي له محقوقاً بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه، ورأيت الخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم بكت حتى غلبها البكاء.

[عن] حماد بن سلمة قال: أنبأ ثابت البناني: أن صلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابن له، فقال: أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك. فحمل فقاتل حتى قتل، ثم تقدم فقتل فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: مرحباً؛ إن كنتن جئتن لتهنئتي فمرحباً بكن، وإن كنتن جئتن بغير ذلك فارجعن.

[عن] سلمة بن حسان العدوي قال: أنبأ الحسن: أن معاذة لم توسّد فراشاً بعد أبي الصهباء حتى ماتت.

[عن] عمران بن خالد قال: حدثتني أم الأسود بنت زيد العدوية ـ وكانت معاذة قد أرضعتها ـ قالت: قالت لي معاذة لما قتل أبو الصهباء وقتل ولدها: والله يا بنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربي عز وجل بالوسائل، لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة.

[عن] روح بن سلمة الوراق قال: سمعت عفيرة العابدة تقول: بلغني أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت. فقيل لها: مم بكيت ثم ضحكت؟ فمم البكاء ومم الضحك؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك، وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو في نفر والله ما رأيت لهم في الدنيا شبهاً فضحكت إليه، ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضاً. قال: فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة.

أدركت معاذةُ عائشة، وروت عنها، وروى عن معاذة الحسن البصري، وأبو قلابة، ويزيد الرشك.

٥٨٥ ـ حفصة بنت سيرين

عن عاصم الأحول قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به فنقول لها: رحمك الله، قال الله: ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠] وهو الجلباب. قال: فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠] فتقول: هو إثبات الجلباب.

[عن] هشام بن حسان قال: كانت حفصة تقول لنا: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب.

قال: قرأتِ القرآنَ وهي ابنة اثنتي عشرة سنة، وماتت وهي ابنة تسعين.

عن هشام: أن حفصة كانت تدخل في مسجدها فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم لا تزال فيه حتى يرتفع النهار وتركع، ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونومها، حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدها إلى مثلها.

عن مهدي بن ميمون قال: مكثت حفصة في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو لقائلة.

عن هشام: أن ابن سيرين كان إذا أُشكل عليه شيء من القراءة قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ؟.

[عن] هشام بن حسان: قال: كان الهذيل بن حفصة يجمع الحطب في الصيف فيقشره، ويأخذ القصب فيفلقه. قالت حفصة: وكنت أجد قرة، فكان إذا جاء الشتاء جاء بالكانون فيضعه خلفي وأنا في مصلاي، ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر وذاك القصب المفلق وقوداً لا يؤذي دخانه ويدفئني. نمكث بذلك ما شاء الله. قالت: وعند من يكفيه لو أراد ذلك.

قالت: وربما أردت أنصرف إليه فأقول: يا بني ارجع إلى أهلك. ثم أذكر ما يريد فأدعه.

قالت حفصة: فلما مات رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق، غير أني كنت أجد غصة لا تذهب. قالت: فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة «النحل» إذ أتيت على هذه الآية: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٥، ٦٠] قالت: فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد.

---

٥٨٥ ـ حفصة بن سيرين ـ رحمها الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٧١ سنة ١١٦هـ)، تاريخ الإسلام (٤/ ١٠٧)، طبقات ابن سعد (٨/ ٤٨٤)، العبر (١/ ١٢٣)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٠٩)، شذرات الذهب (١/ ١٢٢)، الكاشف (٢/ ٥٠٥)، تقريب التقريب (١/ ٧٤٥).

قال هشام: وكانت له لِقْحة، قالت حفصة: كان يبعث إليّ بحلبة بالغداة فأقول: يا بني إنك لتعلم أني لا أشربه، أنا صائمة. فيقول: يا أم الهذيل إن أطيب اللبن ما بات في ضروع الإبل، اسقيه من شئت.

عن هشام بن حسان قال: اشترت حفصة جارية أظنها سندية، فقيل لها: كيف رأيت مولاتك؟ فذكر إبراهيم كلاماً بالفارسية تفسيره: إنها امرأة صالحة، إلا أنها أذنبت ذنباً عظيماً فهي الليل كله تبكي وتصلي.

[عن] عبد الكريم بن معاوية قال: ذكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة، وكانت تصوم الدهر، وتفطر العيدين، وأيام التشريق.

عن هشام بن حسان قال: قد رأيت الحسن وابن سيرين، وما رأيت أحداً أرى أنه أعقل من حفصة.

عن هشام عن حفصة قال: كان لها كفنٌ مُعَدٌّ، فإذا حجّت وأحرمت لبسته، وكانت إذا كانت العشر الأواخر من رمضان قامت من الليل فلبسته.

عن هشام قال: حدثتني أم سليم بنت سيرين قالت: ربما نُوِّر لحفصة بنت سيرين بيتُها.

عن هشام قال: كانت حفصة بنت سيرين تسرج سراجها من الليل، ثم تقوم في مصلاها، فربما طفئ السراج فيضيء لها البيت حتى تصبح.

٥٨٦ ـ كريمة بنت سيرين، أخت حفصة

عن مهدي بن ميمون قال: مكثت كريمة بنت سيرين أخت حفصة بنت سيرين خمس عشرة سنة ما تخرج من مصلاها إلا لقضاء حاجة.

٥٨٧ ـ منيبة البصرية وابنتها

قال أبو عياش القطان: كانت امرأة بالبصرة متعبدة يقال لها منيبة، وكانت لها ابنة أشد عبادة منها، فكان الحسن ربما رآها وتعجب من عبادتها على حداثتها.

فبينا الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آت فقال: أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت؟ فوثب الحسن، فدخل عليها، فلما نظرت الجارية إليه بكت. فقال لها: يا [أختاه][1] ما يبكيك؟ قالت له: يا أبا سعيد التراب يُحثَىٰ على شبابي ولم أشبع من طاعة ربي! يا أبا سعيد انظر إلى والدتي وهي تقول لوالدي: احفر لابنتي قبراً واسعاً، وكفِّنها بكفن حسن، والله لو كنت أجهَّز إلى مكة لطال بكائي، كيف وأنا أجهَّز إلى ظلمة القبور ووحشتها؟ وبيت الظلمة والدود؟

(١) في المطبوع كله: «حبيبتي» ومع أن الرّكة والافتعال ظاهران على هذه القصّة فلم أرتضِ إثبات مثل هذه الكلمة ونسبتها إلى رجل كالحسن في مخاطبة أجنبية عنه!!.

٥٨٨ ـ رابعة العدوية

[عن] عبد الله بن عيسى قال: دخلت على رابعة العدوية بيتها فرأيت على وجهها النور، وكانت كثيرة البكاء، فقرأ رجل عندها آية من القرآن فيها ذكر النار، فصاحت ثم سقطت.

ودخلت عليها وهي جالسة على قطعة بوري خَلَقٍ، فتكلم رجل عندها بشيء، فجعلت أسمع وقع دموعها على البوري مثل الوكف، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا.

[عن] مسمع بن عاصم ورياح القيسي قالا: شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين ديناراً، فقال لها: تستعينين بها على بعض حوائجك. فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت: هو يعلم أني أستحيي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها؟.

[عن] محمد بن عمرو قال: دخلت على رابعة وكانت عجوزاً كبيرة بنت ثمانين سنة كأنها الشن تكاد تسقط، ورأيت في بيتها كراخة بواري ومشجب قصب فارسي طوله من الأرض قدر ذراعين، وستر البيت جلد، وربما كان بورياً، وحُب وكوز ولبد هو فراشها وهو مصلاها، وكان لها مشجب من قصب عليه أكفانها، وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة، وإذا مرت بقوم عرفوا فيها العبادة.

وقال لها رجل: ادعي [لي]. فالتصقت بالحائط وقالت: من أنا يرحمك الله؟ أطع ربك، وادعُه فإنه يجيب المضطرين.

[عن] سجف بن منظور قال: دخلت على رابعة وهي ساجدة، فلما أحست بمكاني رفعت رأسها فإذا موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها، فسلمت، فأقبلت علي فقالت: يا بني ألك حاجة؟ فقلت: جئت لأسلم عليك. قال: فبكت وقالت: سِتْرك اللهمّ سِتْرك. ودعت بدعوات، ثم قامت إلى الصلاة وانصرفت.

[عن] العباس بن الوليد قال: قالت رابعة: أستغفر الله من قلة صدقي في قولي: أستغفر الله!

[عن] أزهر بن مروان قال: دخل على رابعة رياح القيسي، وصالح بن عبد الجليل، وكلاب، فتذاكروا الدنيا فأقبلوا يذمّونها، فقالت رابعة: إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم! قالوا: ومن أين توهمت علينا؟ قالت: إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه.

روى أبو جعفر المديني، عن شيخ من قريش قال: قيل لرابعة: هل عملت عملاً ترين أنه يُقبل منك؟ قالت: إن كان فمخافتي أن يُردَّ علي.

[عن] جعفر بن سليمان قال: أخذ بيدي سفيان الثوري وقال: مرّ بنا إلى المؤدبة التي لا أجد من

---

٥٨٨ ـ رابعة العدوية ـ رحمها الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٣٢٧ سنة ١٣٥هـ)، الطبقات الكبرى للشعراني (٩٥)، وفيات الأعيان (١/ ٢٥٦)، تاريخ بغداد (٢/ ٤٠)، النجوم الزاهرة (١/ ٣٣)، البداية والنهاية (١٠/ ١٨٦)، جامع كرامات الأولياء (٢/ ١٠)، القشيرية (٨٦)، شذرات الذهب (١/ ١٩٣)، العبر (١/ ٢٧٨).

أستريح إليه إذا فارقتها، فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده وقال: اللهم إني أسألك السلامة! فبكت رابعة. فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أنت عرَّضتني للبكاء. فقال: وكيف؟ قالت: أما علمت أن السلامة من الدنيا تركُ ما فيها، فكيف وأنت متلطخ بها؟ وقال الثوري بين يدي رابعة: واحزناه! فقالت: لا تكذب؛ قل: واقلة حزناه، لو كنت محزوناً ما هنَّأك العيشُ.

[عن] جعفر بن سليمان قال: سمعت رابعة تقول لسفيان: إنما أنت أيام معدودة، فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم، فاعمل.

[عن] عبيس بن مرحوم العطار قال: حدثتني عبدة بنت أبي شوال ـ وكانت من خيار إماء الله، وكانت تخدم رابعة ـ قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دأبَها دهرَها حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة دعتني فقالت: يا عبدة لا تُؤْذِني بموتي أحداً، وكفِّنيني في جبتي هذه ـ جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون ـ.

قالت: فكفنّاها في تلك الجبة، وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عبدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه. فقلت: يا رابعة ما فعلت الجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنه والله نُزِع عني وأُبدلت به هذا الذي ترينه علي، وطُويت أكفاني وخُتم عليها ورُفعتُ في عليين ليكمل ليَ بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ قالت: وما هذا من كرامة الله عز وجل لأوليائه؟!.

قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى. قالت: قلت: وبم؟ وقد كنت عند الناس؟ أي أكثر منها! قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حالة أصبحت من الدنيا وأمست. قالت: فقلت: فما فعل أبو مالك؟ ـ تعني ضيغماً ـ. قالت: يزور الله متى شاء. قالت: قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخٍ بخٍ أعطي والله فوق ما كان يأمل.

قالت: قلت: فمريني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل. قالت: عليك بكثرة ذكره، أوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك.

قلت: اقتصرت ههنا على هذا القدر من أخبار رابعة؛ لأني قد أفردت لها كتاباً جمعت فيه كلامها وأخبارها.

٥٨٩ ـ عجردة العَمِيَّةُ

قال رجاء بن مسلم العبدي: كنا نكون عند عجردة العمية في الدار. قال: فكانت تحيي الليل صلاة، وربما قال: تقوم من أول الليل إلى السَّحَر، فإذا كان السَّحَر نادت بصوت لها محزون: إليك

قطع العابدون دجى الليالي بتبكير الدلج إلى ظلم الأسحار يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبكِ إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء، يا كريم. ثم تخرُّ ساجدة، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر، فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة.

[عن] عبد الرحمن بن عمرو الباهلي قال: حدثتني دلال بنت أبي المدل قالت: حدثتني أمي آمنة بنت يعلى بن سهيل قالت: كانت عجردة العمية تغشانا فتظل عندنا اليوم واليومين. قالت: فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنعت ثم قامت إلى المحراب، فلا تزال تصلي إلى السَّحَر، ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر.

قالت: فقلت لها ـ أو قال لها بعض أهل الدار ـ: لو نمت من الليل شيئاً؟. فبكت وقالت: ذِكْرُ الموت لا يَدَعني أنام.

[عن] جعفر بن سليمان قال: حدثني بعض نسائي ـ أمي أو غيرها من أهلي ـ قالت: رأيت عجردة العمية في يوم عيد عليها جبة صوف، وقناع صوف، وكساء صوف. قالت: فنظرت فإذا هي جلد وعظم. قالت: وسمعتهم يذكرون عنها أنها لم تفطر ستين عاماً.

٥٩٠ ـ حبيبة العدوية

عن عبد الله المكي أبي محمد قال: كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدّت عليها درعها وخمارها، فقالت: إلهي غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك.

فإذا كان السَّحَرُ قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهنَّى؟ أم رددتها عليَّ فأعزَّى؟ فوعزتك لهذا دأبي ودأبك أبداً ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني ما برحت من بابك، ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك.

٥٩١ ـ أم الأسود بنت زيد العدوية

قال أبو عبد الرحمن السلمي: كانت معاذة العدوية أرضعت أم الأسود. وقالت أم الأسود: قالت لي معاذة العدوية: لا تفسدي رضاعي بأكل الحرام، فإني جهدت جهدي حين أرضعتك حتى أكلت الحلال، فاجتهدي أن لا تأكلي إلا حلالاً؛ لعلك أن توفقي لخدمة سيدك والرضا بقضائه.

فكانت أم الأسود تقول: ما أكلت شبهة إلا فاتتني فريضة أو وِرْدٌ من أورادي.

٥٩٢ ـ مريم البصرية

كانت تخدم رابعة العدوية، وكانت إذا سمعت علوم المحبة طاشت، فحضرت بعض المذكّرين فتكلم في المحبة. فماتت في المجلس.

قال عبد العزيز بن عمير: قامت مريم البصرية المتعبدة من أول الليل فقالت: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]. ثم لم تَجُزْهُ حتى أصبحت.

وقالت مريم: ما اهتممت بالرزق، ولا تعبت في طلبه منذ سمعت الله عز وجل يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

٥٩٣ ـ عفيرة العابدة

قال روح بن سلمة الوراق لعفيرة العابدة: بلغني أنك لا تنامين بالليل؟ فبكت، ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً؟ قال: فأبكتني والله، وقلت في نفسي: أراني في شيء وأراك في شيء.

قال يحيى بن بسطام: دخلت مع نفر من أصحابنا على عفيرة، وكانت قد تعبدت وبكت حتى عميت، فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جنبه: ما أشد العمى على من كان بصيراً! [فسمعته][1] عفيرة فقالت له: يا عبد الله عمى القلب ـ والله ـ عن الله أشدُّ من عمى العين عن الدنيا، والله وددت أن الله وهب لي كنه محبته وأنه لم تبق مني جارحةٌ إلا أخذها.

[عن] عبد الوهاب بن صالح قال: سمعت محمد بن عبيد يقول: دخلنا على امرأة بالبصرة يقال لها عفيرة، فقيل لها: ياعفيرة ادعي الله لنا. فقالت: لو خرس الخاطئون ما تكلمت عجوزُكم، ولكن المحسنَ أمر المسيءَ بالدعاء، جعل الله قراكم من بيتي الجنة، وجعل الموت مني ومنكم على بال.

[عن] مالك بن ضيغم قال: سمعت عفيرة تقول: عصيتك بكل جارحة مني على حدتها، والله لئن أعنت لأطيعنك ما استطعت بكل جارحة عصيتك بها.

قال محمد بن الحسين: وحدثني سعيد العمي قال: قلت لعفيرة: أما تسأمين من طول البكاء؟ قال: فبكت، ثم قالت: يا بني كيف يسأم ذو داء من شيء يرجو أن له فيه من دائه شفاء؟ قال: ثم بكت. فقمت فخرجت وتركتها.

بلغني عن يحيى بن راشد أنه قال: كنا عند عفيرة العابدة، فقدم ابن أخ لها كانت طالت غيبته فبشرت به، فبكت، فقيل لها: ما هذا البكاء؟ اليوم يوم فرح وسرور! فازدادت بكاء، ثم قالت: والله ما أجد للسرور في قلبي مسكناً مع ذكر الآخرة، ولقد أذكرني قدومه يوم القدوم على الله، فمن بين مسرور ومثبور! ثم غُشي عليها.

٥٩٤ ـ عبيدة بنت أبي كلاب

[عن] شعيب بن محرز قال: حدثتني سلامة العابدة قالت: بكت عبيدة بنت أبي كلاب أربعين سنة حتى ذهب بصرها.

عن يحيى بن بسطام الأصغر قال: حدثني سلمة الأفقم ـ وكان ينزل الطفاوة ـ قال: قلت لعبيدة بنت أبي كلاب: ما تشتهين؟ قالت: الموت. قلت: ولِمَ؟ قالت: لأني والله في كل يوم أصبح أخشى أن أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة.

---

٥٩٣ ـ عفيرة العابدة ـ رحمهما الله ـ: ذكرها أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢١٨).

(١) في المطبوع: «فسمعت».

٥٩٤ ـ عبيدة بنت أبي كلاب ـ رحمهما الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٦٨ سنة ١٦٣).

[عن] عبد العزيز بن سلمان قال: اختلفت عبيدة وأبي إلى مالك بن دينار عشرين سنة. قال أبي: فما سمعتها تسأل مالكاً عن شيء قط إلا مرة، قالت: يا أبا يحيى متى يبلغ المتقي الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة؟ قال مالك: بخ بخ يا عبيدة إذا بلغ المتقي تلك الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة لم يكن شيء أحب إليه من القدوم على الله. قال: فصرخت عبيدة صرخة سقطت مغشياً عليها.

[عن] داود بن المحبر قال: سمعت البراء الغنوي يقول يوم ماتت عبيدة بنت أبي كلاب: ما خلَّفت بالبصرة أفضل منها.

[عن] عبد الله بن رشيد السعدي ـ وكان قد صَحْبِ عبد الواحد بن زيد ـ قال: رأيت الشيوخ والشباب والرجال والنساء من المتعبدين، فما رأيت امرأة ولا رجلاً أفضل ولا أحسن عقلاً من عبيدة بنت أبي كلاب.

[عن] عبيس بن مرحوم قال: حدثتني عبدة بنت أبي شوال قالت: رأيت رابعة في المنام فقلت: ما فعلت عبيدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى! قلت: وبِمَ وقد كنتِ عند الناس؟ أي أكثر منها. قالت: إنها لم تكن تبالي على ما أصبحت من الدنيا أو أمست.

٥٩٥ ـ عمرة امرأة حبيب العجمي

[عن] الحسين بن عبد الرحمن قال: حدثني بعض أصحابنا قال: قالت امرأة حبيب أبي محمد، وانتبهت ليلة وهو نائم؛ فأنبهته في السَّحَر وقالت له: قم يا رجل، فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدَّامنا ونحن قد بقينا.

[عن] مسلم بن إبراهيم قال: سمعت سهيلاً أخا حزم قال: كانت لحبيب أبي محمد امرأة يقال لها عمرة، فاشتكت عينها، فقيل لها: كيف تجدينك؟ قالت: وجع قلبي أشد من وجع عيني.

٥٩٦ ـ بردة الصريمية

كانت إذا قيل لها: كيف أصبحت؟ تقول: أصبحنا أضيافاً منتجعين بأرض غربة؛ ننتظر إجابة الداعي.

[عن] أشرس أبو شيبان ـ وكان عابداً من البكّائين ـ عن ثابت البناني: أن امرأة من الصدر الأول كان يقال لها بردة، وكانت تكثر البكاء حتى فسد بصرها. فقيل لها: اتقي الله، أما تخافين على بصرك أن يذهب؟ قالت: دعوني؛ فإن أكن من أهل النار فأبعدني الله وأبعد بصري، وإن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله عينين خيراً من عيني.

عن موسى بن سعيد ـ أو غيره ـ قال: قيل للحسن: يا أبا سعيد إن ههنا امرأة يقال لها بردة قد فسدت عيناها من البكاء! فدخل عليها فقال لها: يا بردة إن لبدنك عليك حقاً، وإن لبصرك عليك حقاً. قالت: يا أبا سعيد إن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله بصراً خيراً من بصري، وإن أكن من أهل النار فأبعد الله بصري.

عن عطاء بن المبارك قال: كانت بالبصرة امرأة جليلة متعبدة يقال لها بردة، وكانت تقوم الليل،

فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت لها حزين: هدأت العيون وغارت النجوم وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوت بك يا محبوبي؛ أفتراك تعذبني وحبك في قلبي؟ لا تفعل يا حبيباه.

قال القرشي: وقال محمد بن الحسين: حدثني شاذ بن فياض قال: حدثني رجل أدرك الحسن قال: كانت امرأة في زمن الحسن إذا سمعت القرآن صرخت، فربما تكلمت بما لا تريد. فقيل لها في ذلك؟ فقالت: ربما سمعت القرآن فأرى مُلك بني مروان قد حُوي لي. وكانت تبكي حتى يرحمها من رآها.

وذكر محمد بن الحسين: أن الحميدي حدثه قال: ذكر سفيان يوماً بردة فقال: رحمها الله؛ ما كان ههنا من أولئك النساء المجاورات أشد اجتهاداً منها، بكت حتى ذهب بصرها.

قال سفيان: كانت إذا سمعت صوت الصواعق صرخت، ولم تزل تصيح حتى يغشى عليها.

٥٩٧ ـ أم طلق

[عن] محمد بن سنان الباهلي قال: سمعت شعبة بن دخان يذكر أن أم طلق كانت تصلي في كل يوم وليلة أربعمائة ركعة، وتقرأ من القرآن ما شاء الله.

[عن] شيبة بن الأرقم قال: سمعت عاصماً الجحدري يقول: كانت أم طلق تقول: ما ملَّكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطاناً.

عن سفيان بن عيينة قال: قالت أم طلق لطلق: ما أحسن صوتك بالقرآن، فليته لا يكون عليك وبالاً يوم القيامة! فبكى حتى غشي عليه.

عن سلمة الأيهم قال: سمعت عاصماً الجحدري يقول: كانت أم طلق تقول: النفس مَلِك إن أتبعتها، ومملوك إن أتعبتها.

٥٩٨ ـ أمة الجليل بنت عمرو العدوية

قال أبو بكر بن عبيد: قرأت في كتاب محمد بن الحسين بخطه: حدثني حليم بن جعفر قال: حدثني مسمع بن عاصم قال: اختلف العابدون عندنا في الولاية؟ فقال بعضهم: إذا استحقها عبد لم يهم بشيء إلا ناله، في دين كان أو دنيا. وقال الآخر: الولي لا يعصي، غير أنه لا يدرك الشيء الذي يريده من الدنيا بهمته، ولا يدركه إلا بطلبه، كأنهم يقولون: يدعو فيجاب. وقال آخرون: المستحق للولاية لا يعرض لانتقاص حقه من الآخرة.

فتكلموا في ذلك بكلام كثير، فأجمعوا على أن يأتوا امرأة من بني عدي يقال لها أمة الجليل بنت عمرو العدوية، وكانت منقطعة جداً من طول الاجتهاد. فأتوها. قال مسمع: وأنا يومئذ مع أصحابنا فاستأذنوا عليها فأذنت، فعرضوا عليها اختلافهم وما قالوا. فقالت: ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا، ليس للولي في الدنيا حاجة. ثم أقبلت على كلاب فقالت: بنفسي أنت يا كلاب من حدثك أو أخبرك أن وليه له همٌّ غيره فلا تصدقه.

قال مسمع: فما كنت أسمع إلا الصارخ من نواحي البيت.

٥٩٩ ـ أم حيان السلمية

عن أبي خلدة قال: ما رأيت رجلاً قط ولا امرأة أقوى ولا أصبر على طول القيام من أم حيان السلمية، إن كانت لتقوم في مسجد الحي كأنها نخلة تصفقها الرياح يميناً وشمالاً.

[عن] مكي البصري قال: حدثتني سوادة السلمية قالت: كانت أم حيان تقرأ القرآن في كل يوم وليلة، وكانت لا تتكلم إلا بعد العصر، فإنها تأمر بالحاجة والشيء تريده.

٦٠٠ ـ أم إبراهيم العابدة

[عن] عبد المؤمن بن عبد الله القيسي قال: ضربت أم إبراهيم العابدة دابة فكسرت رجلها، فأتاها قوم يعزونها. فقالت: لولا مصائب الدنيا وردنا الآخرة مفاليس.

قال أبو موسى الشواء: كنت مع أم إبراهيم العابدة، فلما صرنا عند الجمار رأت الناس قد أقبلوا على الشراء والبيع، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: حبيبي أقبلوا على الدنيا وتركوك.

قال: ثم صاحت، واجتمع الناس فغطيتها بثوبي، ثم قلت للناس: أصابها شيء، وأوهمتهم أن بها علة. قال: ثم أقمت عليها حتى أفاقت فرفعت رأسها فقلت لها: يا أم إبراهيم أي شيء هذه الشهرة؟ فقالت: يا بطّال إذا كان هو يقسم الثناء فلمن يُتَصَنَّعُ؟

٦٠١ ـ بحرية العابدة

[عن] رباح بن أبي الجراح قال: رأيت بحرية العابدة تبكي وتقول: تركتك وأنا رطبة، وأتيتك وأنا حشفة، فاقبل الحشفة على ما كان منها.

وكان بها مسحة من جمال، وكان الجوع قد أضر بها ومكثت أربعين يوماً لم تأكل فيها شيئاً إلا شيئاً من حمَّص، وكانت مجتهدة، وكان لها مجلس تذكُّر فيه، وكانت إذا تكلمت اضطربت واقشعرت.

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: حدثتني عجوز من أهل البصرة قالت: سمعت بحرية تقول: إذا ترك القلبُ الشهواتِ ألف العلم، واتَّبعه، واحتمل كل ما يرد عليه.

٦٠٢ ـ أم الحريش

[عن] رباح بن الجراح قال: رأيت أم الحريش ـ وكانت من عبّاد الناس ـ وابتليت بزوج من الجُند، فكانت لا تأكل من طعامه، تعد لنفسها شيئاً تأكله، وكان ربما لم يقبل منها حتى تأكل معه، فكانت تقعد تريه أنها تأكل فتضع أصابعها خارج القصعة.

٦٠٣ ـ حسنة العابدة

عن محمد بن قدامة قال: بلغنا أن امرأة كان يقال لها «حسنة» تركت نعيم الدنيا، فأقبلت على

العبادة، فكانت تصوم النهار، وتحيي الليل، وليس في بيتها شيء، كلما عطشت خرجت إلى النهر فشربت بكفيها.

وكانت جميلة، فقالت لها امرأة: تزوجي! فقالت: هات رجلاً زاهداً لا يكلفني من أمر الدنيا شيئاً، وما أظنك تقدرين عليه، فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا، ولا أتنعم مع رجال الدنيا، فإن وجدت رجلاً يبكي ويبكيني، ويصوم ويأمرني، ويتصدق ويحضني عليها، فبها ونعمت، وإلا فعلى الرجال السلام.

٦٠٤ ـ زجلة العابدة مولاة معاوية

[عن] أحمد بن سهل الأزدي قال: دخل على زجلة العابدة نفرٌ من القراء فكلموها في الرفق بنفسها فقالت: ما لي وللرفق بها؟ فإنما هي أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً، والله يا إخوتاه لأصلين له ما أقلتني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت الماء عيناي. ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه؟

قال عباد بن عباد أبو عتبة الخواص: دخلنا على زجلة العابدة، وكانت قد صامت حتى اسوَدَّتْ، وبكت حتى عمشت، وصلت حتى أُقعِدَت، وكانت صلاتها قاعدة، فسلمنا عليها ثم ذكَّرناها شيئاً من العفو، أردنا أن نهون عليها الأمر هناك. فشهقت ثم قالت: علمي بنفسي قرح فؤادي، وكلم قلبي، والله لوددت أن الله لم يخلقني، ولم أك شيئاً مذكوراً. ثم أقبلت على صلاتها، وتركناها فخرجنا من عندها.

[عن] كليب بن عيسى بن أبي حجير قال: كانت زجلة لا ترفع بصرها إلى السماء، وكانت تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين.

قال كليب: وسمعت سعيد بن عبد العزيز يقول: ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة.

٦٠٥ ـ ٦٠٦ ـ غضنة وعالية

أبو الوليد العبدي قال: ربما رأيت غضنة وعالية تقوم إحداهما من الليل فتقرأ ﴿البقرة﴾ و﴿آل عمران﴾ و﴿النساء﴾ و﴿المائدة﴾ و﴿الأنعام﴾ و﴿الأعراف﴾ في ركعة.

٦٠٧ ـ مطيعة العابدة

[عن] محمد بن الحسين قال: حدثني صاحب لي من البصريين قال: بكت مطيعة أربعين عاماً، فعوتبت على كثرة البكاء! فقالت: لا أزال أبكي حتى أعلم على أي الحالين أنا عند الله؟.

[عن] محمد بن الحسين قال: دخلنا على مطيعة العابدة في الجبان بالبصرة فجعلنا نذاكرها شيئاً من الخير، فلا نستبين كثيراً من كلامها ـ من كثرة بكائها ـ فلما رأينا ذلك خرجنا من عندها وتركناها.

قال محمد: وسألت مطيعة قلتُ: منذ كم أنت ههنا في الجبان؟ فبكت ثم قالت: يا بني منذ أربع وخمسين سنة.

٦٠٨ ـ كردوية بنت عمرو البصرية

قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين: كانت كردوية تخدم شعوانة. فقيل لها: ما الذي أصابك من بركات خدمة شعوانة؟ قالت: ما أحببت الدنيا منذ خدمتها، ولا اهتممت لرزقي، ولا عظم في عيني أحد من أرباب الدنيا لطمع لي فيه، وما استصغرت أحداً من المسلمين قط.

٦٠٩ ـ راهبة

[عن] عثمان بن سودة الطفاوي ـ وكانت أمه من العابدات، يقال لها راهبة ـ قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذخري وذخيرتي، ويا من عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت، ولا توحشني في قبري.

قال: فماتت. فكنت آتيها في كل جمعة فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور. قال: فرأيتها ذات ليلة في منامي فقلت: يا أماه كيف أنت؟ قالت: أي بني إن للموت لكربة شديدة! وأنا بحمد الله لفي برزخ محمود نفترش فيه الريحان، ونتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور. فقلت: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قالت: لا تَدَعْ ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا، فإني لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلتَ من عند أهلك، يقال لي: يا راهبة هذا ابنك قد أقبل من أهله زائراً لك. فأُسَر بذلك، ويسر ذلك من حولي من الأموات.

٦١٠ ـ سلمى

[عن] خلف بن الوليد الجوهري قال: قالت سلمى ـ امرأة بصرية ـ: إلهي علمي بشدة عقوبتك ونكالك قطع عني لذاذة الدنيا ونعيمها، ومعرفتي بسعة رحمتك وسعت علي خُلُقي فيما بيني وبين عبادك.

٦١١ ـ مسكينة الطفاوية

[عن] إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا عمار الراهب ـ وكان والله من العاملين لله في دار الدنيا ـ قال: رأيت مسكينة الطفاوية في منامي وكانت من المواظبات على حلق الذكر، فقلت: مرحباً يا مسكينة مرحباً. فقالت: هيهات يا عمار ذهبت المسكنة وجاء الغنى الأكبر. قلت: هيه.! قالت: ما تسأل عمن أبيح الجنة بحذافيرها يظل منها حيث يشاء. قال: قلت: وبم ذاك يرحمك الله؟ قالت: بمجالس الذكر، والصبر على الحق. قال عمار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالأبلة، تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة. قال عمار: قلت: يا مسكينة ما فعل عيسى؟ فضحجت ثم قالت: كسي حلة البهاء، وطافت بأباريق حوله الخُدّامُ، ثم حلي وقيل: يا قارئ ارقَ، فلعمري لقد برأك الصيام. وكان عيسى قد صام حتى انحنى وانقطع صوته.

٦١٢ ـ غنضكة

عن يوسف بن بهلول قال: كانت امرأة بالبصرة يقال لها غنضكة العابدة تصلي عامة الليل، ثم

تقول: أعوذ بالله من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون! فإذا قضت صلاتها قالت: هذا الجهد مني وعليك التكلان.

ذِكْرُ المصطَفَيات من عابدات البصرة المعروفات بغيرهن

٦١٣ ـ امرأة أبي عمران الجوني

[عن] عويد بن أبي عمران الجوني قال: كانت أمي تقوم من الليل تصلي حتى تعصب ساقيها بالخرق، فيقول لها أبو عمران الجوني: دون هذا يا هذه! فتقول: هذا عند طول القيام في الموقف قليل. فيسكت عنها.

٦١٤ ـ امرأة رياح القيسي

قال أبو يوسف البزاز: تزوج رياح القيسي امرأة، فبنى بها، فلما أصبح قامت إلى عجينها.

فقال: لو نظرتِ إلى امرأة تكفيك هذا؟ فقالت: إنما تزوجت رياحاً القيسي ولم أرني تزوجت جباراً عنيداً! فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يا رياح. فقال: أقوم.

فقامت الربع الآخر، ثم نادته فقالت: قم يا رياح. فقال: أقوم. فلم يقم، فقامت الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح. فقال: أقوم. فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم، ليت شعري من غرّني بك يا رياح. قال: وقامت الربع الباقي.

[عن] عبد الله بن الحارث قال: زوّج شميط بن العجلان رياحاً القيسي امرأة، فبينا هو قاعد معها إذ نظرت إلى السماء فشهقت شهقة فخرت مغشياً عليها.

وقال رياح: اغتممت مرة في شيء من أمر الدنيا. فقالت: أراك تغتم لأمر الدنيا! غرني منكم شميط. ثم أخذت هدبة من مقنعتها فقالت: الدنيا أهون علي من هذه.

عن سيار قال: حدثني رباح قال: ذُكرت لي امرأة فتزوجتها، فكانت إذا صلت العشاء الآخرة تطيبت وتدخنت ولبست ثيابها ثم تأتيني فتقول: ألك حاجة؟ فإن قلت: نعم. كانت معي، وإن قلت: لا. قامت فنزعت ثيابها، ثم صفَّت بين قدميها حتى تصبح. قال رباح: ففحّتني والله.

٦١٥ ـ ابنة أم حسان الأسدية

عن سفيان الثوري قال: دخلت على بنت حسان الأسدية وفي جبهتها مثل ركبة العنز من أثر السجود. فقلت لها: يا ابنة أم حسان ألا تأتين عبد الله بن شهاب بن عبد الله؟ فلو رفعت إليه رقعة فلعله أن يعطيك من زكاة ماله ما تغيرين به بعض الحاجة التي أراها بك؟ فدعت بمعجر فاعتجرت به، وقال: يا سفيان قد كان لك في قلبي رجحان كثير، فقد أذهب الله برجحانك من قلبي! يا سفيان تأمرني أن أسأل الدنيا من لا يملكها؟ قال سفيان: وكان إذا جن عليها الليل دخلت محراباً لها وأغلقت عليها ثم نادت: إلهي خلا كل حبيب بحبيبه، وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سُخْنٍ يُسَخَّن من عصاك إلا جهنم، ولا عذاب إلا النار.

قال سفيان: فدخلت عليها بعد ثلاث فإذا الجوع قد أثر في وجهها. فقلت لها: يا بنت أم حسان إنك لن تؤتي أكثر مما أوتي موسى والخضر عليهما السلام، إذ أتيا أهل قرية استطعما أهلها!

فقالت: يا سفيان قل: الحمد لله. فقلت: الحمد لله. فقالت: اعترفت له بالشكر؟ قلت: نعم. قالت: وجب عليك من معرفة الشكر شكرٌ، وبمعرفة الشكرَيْن شكرٌ لا ينقضي أبداً.

قال سفيان: فقصر ـ والله ـ علمي وفَهَّ لسانه فوليت أريد الخروج. فقالت: يا سفيان كفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله، اعلم أنه لن تنقى القلوب من الردى حتى تكون الهموم كلها في الله هماً واحداً.

قال سفيان: فقصرت إلي والله نفسي.

٦١٦ ـ مملوكة لإبراهيم النخعي

قال أبو الأحوص عن مغيرة أو غيره: كانت مولاة لإبراهيم تعمد إلى اليوم الشديد الحر فتصومه. فقيل لها: إنك تعمدين إلى أشد الأيام حراً فتصومينه؟ فقالت: إن السعر إذا رخص اشتراه كل أحد.

٦١٧ ـ جارية عبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة

[عن] عبد الله بن الحسن القاضي العنبري قال: كانت عندي جارية أعجمية وضيئة، وكنت بها معجباً، فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبي فانتبهتُ فلم أجدها، فالتمستها فإذا هي ساجدة تقول: بحبك لي اغفر لي. فقلت: يا جارية لا تقولي بحبك لي! قولي: بحبي لك اغفر لي. فقالت: يا بطّال، حبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام، فأيقظ عيني وأنام عينك. فقلت: اذهبي فأنت حرة لوجه الله. قالت: يا مولاي أسأت إلي، كان لي أجران فصار لي أجر واحد.

٦١٨ ـ جارية خالد الورّاق

بلغنا عن خالد الوراق أنه قال: كانت لي جارية شديدة الاجتهاد، فدخلت عليها يوماً فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل. فبكت ثم قالت: يا خالد إني لأؤمل من الله تعالى آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثاً لكل مذنب، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟ قال: قلت: وما حسرة السباق؟ قالت: غداة الحشر إذا بعثر ما في القبور، وركب الأبرار نجائب الأعمال، فاستبقوا إلى الصراط، وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهداً أبداً، ولو حبا المجد حبواً! أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رفعت أعلام المحسنين، وجاز الصراطَ المشتاقون، ووصل إلى الله المحبون، وخلفت مع المسيئين المذنبين؟ ثم بكت وقالت: يا خالد انظر؛ لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأعمال، فإنه ليس بين الدارين دار يدرك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة، فويل لمن قصر عن خدمة سيده ومعه الآمال، فهلا كانت الأعمال توقظه إذا نام البطالون؟

٦١٩ ـ الماوردية

ذكر أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن في تاريخه قال: كانت عجوز صالحة زاهدة بالبصرة تعرف بالماوردية قاربت ثمانين سنة، بقيت خمسين سنة لم تفطر ولم تنم بالليل، ولم تأكل خبزاً ولا رطباً ولا تمراً، وإنما تطحن لها باقلاً، وتخبز لها خبزاً تقتات به، وتأكل التين اليابس دون الرطب، وتنال من الزيت والعنب واللحم الشيء اليسير، وكانت تكتب وتقرأ وتعظ النسوان، وكانت كثيرة الخير والبركة.

وتوفيت يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة ست وستين وأربعمائة، وتبع جنازتها أكثر الناس، ودفنت خارج البلد عند قبور الصالحين.

ذِكْر المصطَفَيات من عابدات البصرة المجهولات

٦٢٠ ـ عابدة

عن يعلى بن حكيم قال: قال سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت ولا أحرص عليه من أهل البصرة، ولقد رأيت جارية منهم ذات ليلة تعلقت بأستار الكعبة فجعلت تدعو وتبكي وتتضرع حتى ماتت.

٦٢١ ـ عابدة أخرى

[عن] عون بن أبي عمارة البصري قال: قال أبو محرز الطفاوي: شكوت إلى جارية لنا ضيق المكسب علي وأنا شاب؟ فقالت لي: يا بني استعن بعز القناعة عن ذل المطالب، فكثيراً ـ والله ـ ما رأيت القليل عاد سليماً.

قال أبو محرز: ما زلت بعد أعرف بركة كلامها في قنوعي.

٦٢٢ ـ عابدة أخرى

عن عبد الواحد قال: أتينا امرأة متعبدة في ناحية البصرة لنسلم عليها، فقيل لنا: لا تَصِلُون إليها. قلنا: ولِمَ ذاك؟ قالوا: قد غلقت عليها الباب منذ ثلاث تبكي. قلنا: ولِمَ ذاك؟ قالوا: قتلت نملة.

٦٢٣ ـ عابدة أخرى

عن سعيد بن عطارد قال: ذكرت لي امرأة بالبصرة متعبدة، فأتيتها فوجدتها تصلي فانصرفت.

فقالت: ما اسمك؟ فقلت: سعيد. قالت: يا سعيد، كل شيء شغلك عن الله فهو عليك شؤم. ثم أقبلت على صلاتها وتركتني.

٦٢٤ ـ عابدة أخرى

[عن] علي بن الحسن قال: كانت امرأة بالبصرة تقول لقلبها: فقدتك من قلب، ما أنساك! أصبحت لعظمة الله ناسياً! إلهي كيف لي بالقرب منك غداً وقاسي القلب منك بعيد؟

٦٢٥ ـ عابدة أخرى

عن صالح بن عبد الكريم قال: رأيت امرأة سوداء بالبصرة، والناس مجتمعون عليها، ثم قامت فدخلت داراً فدخلوا معها وأحدقوا بها، فدنوت منها فقلت: يا هذه أما تخافين العجب؟ فرفعت رأسها فنظرت إلي ثم قالت: كيف يعجب بعمله من لا يدري لعله قد رُدَّ عليه؟

٦٢٦ ـ عابدة أخرى

[عن] الحسين بن جعفر قال: سمعت أبي قال: صليت العيد في الجبان، ثم انفردت فإذا أنا بعجوز رافعة يديها وهي تقول: انصرف الناس ولم أُشعر قلبيَ اليأس، يا صاحب الصدقة ها أنا ذِهِ منصرفة، فليت شعري ما زودتني؟ رب ارحم ضعفي وكِبَرَ سني، خرجتُ أرجوك فلا تخيب حسن ظني بك. وهي تبكي فما انتفعت بنفسي يومي.

٦٢٧ ـ عابدة أخرى

[عن] حماد بن سلمة قال: خرجت في ليلة ظلماء ذات برد وريح ومطر ومعي شَوِي، قلت: أقسمه في جيراني. قال: فإذا أنا بامرأة قد خرجت وهي تقول: يا رفيق ارفق بنا.

قال: قلت: ما لك رحمك الله؟ قالت: يا حماد إنه دخل هذا المطر على يتامى تحت فرُشهم فقلت: يا رفيق ارفق بنا، فدخلت فوجدته أيبس مما كان. فقلت: هاكِ رحمك الله هذا الشيء؛ فأنفقيه على نفسك وعلى أيتامك. فقالت: إليك عني يا حماد، فإني إنما أسأل أجود الأجودين.

[عن] عفان بن مسلم قال: قال لي حماد بن سلمة: ألَحَّ المطر علينا سنة من السنين، وفي جواري امرأة من المتعبدات، لها بنات أيتام، فوكف السقف عليهم، فسمعتها تقول: يا رفيق ارفق بي. فسكن المطر؛ فأخذت صرة فيها عشرة دنانير وقرعت بابها. فقالت: [اللهم] اجعله حماد بن سلمة.

فقلت: أنا حماد، سمعتُكِ وقد تأذيت بالمطر فقلتِ: يا رفيق ارفق بنا، فما بلغ من رفقه بك؟ فقالت: سكّن المطر، وأدفأ الصبيان، وجفّف البيت.

قال: فأخرجت الدنانير وقلت: انتفعي بهذه. فإذا صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقها، قد خرجت علي وقالت: ألا تسكت يا حماد تعترض بيننا وبين ربنا ومولانا؟ ثم قالت: يا أماه قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا من بابه [ثم] ألصقت خدها بالتراب، ثم قالت: أما أنا وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتني. ثم قالت: يا حماد رد ـ عافاك الله ـ دنانيرك إلى الموضع الذي أخرجتها منه، فإنا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس المعاملين.

عن عبيد الله بن محمد القرشي قال: كانت امرأة من عباد أهل البصرة، وكان لها أولاد فأصابها مطر في بعض الليل، فوكف عليها البيت، فجعلت تنقل أولادها من موضع إلى موضع، فلا يزداد الوكف إلا شدة! فلما أذلقها ذلك قالت: يا رفيق ارفق بي.

قال: فما أصابها من ذلك المطر قطرة واحدة.

ومن المصطَفَيات من عاقلات المجانين بالبصرة

٦٢٨ ـ جارية

عن عبد الواحد قال: قال عتبة الغلام: خرجت من البصرة فإذا أنا بخباء أعراب قد زرعوا، وإذا أنا بخيمة، وفي الخيمة جارية مجنونة عليها جبة صوف عليها مكتوب: لا تباع ولا تشترى.

فدنوت فسلمت عليها فلم تردّ علي السلام، ثم وليت. فسمعتها تقول:

زهـد الـزاهـدون والـعـابـدونـا ... إذ لـمـولاهـم أجـاعـوا الـبـطـونـا
أسـهـروا الأعـيـنَ الـقـريـحـةَ فـيـه ... فـمـضـى لـيـلُـهـم وهـم سـاهـرونـا
حـيَّـرتـهـم مـحـبـةُ الله حـتـى ... عـلـم الـنـاسُ أن فـيـهـم جـنـونـا
هـم أِلـبَّـا ذَوُو عـقـول، ولـكـن ... قـد شـجـاهـم جـمـيـعُ مـا يـعـرفـونـا

قال: فدنوت إليها فقلت: لمن الزرع؟ فقالت: لنا إن سَلِم.

فتركتها وأتيت بعض الأخبية، فأرَخَتِ السماءُ كأفواه القِرب. فقلت: والله لآتينها فأنظر قصتها في هذا المطر. فإذا أنا بالزرع قد غرق، وإذا هي قائمة وهي تقول: والذي أسكن قلبي من طرف صفاء مودة محبته إن قلبي ليوقن منك بالرضا. ثم التفتت إلي فقالت: يا هذا إنه زرعه فأنبته، وأقامه فسَنْبَله وركّبه فشققه، وأرسل عليه غيثاً متغطمطاً[1] فسقاه، واطلع عليه فحفظه فلما دنا حصاده أهلكه. ثم رفعت رأسها نحو السماء فقالت: العباد عبادك، وأرزاقهم عليك، فاصنع ما شئت. فقلت لها: كيف صبرك؟ فقالت: اسكت يا عتبة:

إن إلـهـي لـغـنـي حـمـيـد ... فـي كـل يـوم مـنـه رزق جـديـد
الـحـمـد لله الـذي لـم يـزل ... يـفـعـل بـي أكـثـر مـمـا أريـد

قال عتبة: فوالله ما ذكرت كلامها إلا هيجتني.

انتهى ذِكْرُ أهل البصرة

---

(١) أي: كثيراً زاخراً ا.هـ. انظر اللسان (غ ـ ط ـ م ـ ط).

ذكر المصطَفَين
من أهل الأُبُلّة

٦٢٩ ـ عابد

قال أبو إسحاق الهروي: كنت مع ابن الخروطي بالبصرة فأخذ بيدي وقال: قم حتى نخرج إلى الأبلة. فلما قربنا ونحن نمشي على شاطئ الأبلة في الليل والقمر طالع، إذ مررنا بقصر لجندي فيه جارية تضرب بالعود، فوقفنا في فناء القصر نستمع، وفي جانب القصر الآخر في ظل القمر فقير بخرقتين واقف، فقالت الجارية:

كل يوم تتلوّن غير هذا بك أجمل

فصاح الفقير وقال: أعيديه؛ فهذا حالي مع الله تعالى! فنظر صاحب الجارية إلى الفقير فقال لها: اتركي العود وأقبلي عليه، فإنه صوفي. فأخذت تقول. والفقير يقول: هذا حالي مع الله تعالى. والجارية تردد إلى أن زعق الفقير زعقة خر مغشياً عليه، فحركناه فإذا هو ميت! فقلنا: مات الفقير.

فلما سمع صاحب القصر بموته نزل فأدخله القصر، فاغتممنا وقلنا: هذا يكفنه من غير وجهه. فصعد الجندي وكسر كل ما كان بين يديه، فقلنا: ما بعد هذا إلا خير. ومضينا إلى الأبلة وبتنا وعرفنا الناس.

فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر، وإذا الناس مقبلون من كل وجه إلى الجنازة كأنما نودي في البصرة، حتى خرج القضاة والعدول وغيرهم، وإذا الجندي يمشي خلف الجنازة حافياً حاسراً حتى دفن.

فلما همّ الناس بالانصراف قال الجندي للقاضي والشهود: اشهدوا أن كل جارية لي حرة لوجه الله تعالى، وكل ضياعي وعقاري حبسٌ في سبيل الله، وفي صندوقٍ لي أربعة آلاف دينار وهي في سبيل الله.

ثم نزع الثوب الذي كان عليه فرمى به وبقي بسراويله، فقال القاضي: عندي مئزران من وجههما تقبلهما؟ فقال: شأنك. فحملهما إليه فاتزر بواحد واتشح بالآخر، وهام على وجهه، فكان بكاء الناس عليه أكثر من بكائهم على الميت.

ذكر المصطَفَيات من عابدات الأُبُلّة

٦٣٠ ـ شعوانة

قال معاذ بن الفضل ـ أبو عون ـ: بكت شعوانة حتى خفنا عليها العمى، فقلنا لها في ذلك؟ فقالت: أعمى والله في الدنيا من البكاء أحب إلي من أن أعمى في الآخرة من النار.

قال مالك بن ضيغم: كان رجل من أهل الأبلة يأتي أبي كثيراً فيذكر له شعوانة وكثرة بكائها فقال له أبي يوماً: صف لي بكاءها؟ فقال: يا أبا مالك أصف لك: هي والله تبكي الليل والنهار لا تكاد تفتر قال: ليس عن هذا أسألك، كيف تبتدئ بالبكاء؟ قال: نعم يا أبا مالك تسمع الشيء من الذكر فترى الدموع تنحدر من جفونها كالقطر. قال: فمجاري الدموع من المآق الذي على الأنف أكثر أم مؤخر العين مما يلي الصدغ؟ قال: يا أبا مالك إن دموعها أكثر من أن يعرف هذا من هذا، ما هي إلا أن تسمع الذكر فتجيء عيناها بأربع نجوماً متبادرة جداً.

فبكى أبي وقال: ما أرى الخوف إلا قد أحرق قلبها كله. ثم قال: كان يقال إن كثرة الدموع وقلتها على قدر احتراق القلب، حتى إذا احترق القلب كله لم يشأ الحزين أن يبكي إلا بكى، والقليل من التذكرة يحزنه.

قال مالك بن ضيغم: وقال لي أبي يوماً: انطلق مع منبوذ حتى تأتي هذه المرأة الصالحة فتنظر إليها - يعني شعوانة - فانطلقت أنا وأبو همام إلى الأبلة، ثم غدونا عليها، فدخلنا فسلم عليها منبوذ وقال: هذا ابن أخيك ضيغم. فرحبت بي وتحفّت وقالت: مرحباً بابن من لم نره ونحن نحبه، أما والله يا بني إني لمشتاقة إلى أبيك، وما يمنعني من إتيانه إلا أني أخاف أن أشغله عن خدمة سيده، وخدمة سيده أولى به من محادثة شعوانة.

قال: ثم قالت: ومن شعوانة؟ وما شعوانة؟ أمة سوداء عاصية.

قال: ثم أخذت في البكاء، فلم تزل تبكي حتى خرجنا وتركناها.

قال يحيى بن بسطام: كنت أشهد مجلس شعوانة كثيراً، فكنت أرى ما تصنع بنفسها، فقلت لصاحب لي يقال له عمران بن مسلم: لو أتيناها إذا خلت. قال: فانطلقنا أنا وهو إلى الأبلة، فاستأذنّا عليها فأذنت لنا، فإذا منزل رث الهيئة، أثر الجدب عليه بيّن. فقال لها صاحبي: لو رفقت بنفسك فقصرت عن هذا البكاء شيئاً كان أقوى لك على ما تريدين؟! قال: فبكت ثم قالت: والله لوددت أني أبكي حتى تنفد دموعي، ثم أبكي الدماء حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم، وأنى لي البكاء؟ قال: فلم تزل تردد ذلك حتى انقلبت حدقتاها، ثم مالت ساقطة مغشياً عليها، فقمنا فخرجنا وتركناها على تلك الحال.

قال روح بن سلمة: قال لي مضر: ما رأيت أحداً أقوى على كثرة البكاء من شعوانة، ولا سمعت صوتاً قط أحرق لقلوب الخائفين من صوتها إذا هي نشجت ثم نادت: يا موتى، وبني الموتى، وأخوة الموتى.

قال محمد: وقلت لأبي عمر الضرير: أتيت شعوانة؟ قال: قد شهدت مجلسها مراراً ما كنت أفهم ما تقول من كثرة بكائها. قلت: فهل تحفظ من كلامها شيئاً؟ قال: ما حفظت من كلامها شيئاً أذكره الساعة إلا شيئاً واحداً. قلت: وما هو؟ قال: سمعتها تقول: من استطاع منكم أن يبكي فليبك، وإلا فليرحم الباكي، فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسه.

عن الحارث بن المغيرة قال: كانت شعوانة تنوح بهذين البيتين:

يؤمِّل دنيا لتبقى له ... فوافى المنيةَ قبل الأمل
حثيثاً يُرَوّي أصولَ الفسيل ... فعاش الفسيلُ ومات الرجل

قال الحسن بن يحيى: كانت شعوانة تردد هذا البيت فتبكي وتُبكي النسَّاك معها، تقول:

لقد أمِن المغرورُ دارَ مَقامه ... ويوشك يوماً أن يخاف كما أمِن

عن فضيل بن عياض قال: قدمت شعوانة فأتيتها فشكوت إليها وسألتها أن تدعو بدعاء. فقالت: يا فضيل أما بينك وبين الله ما إن دعوته استجاب لك؟ قال: فشهق الفضيل وخر مغشياً عليه.

عن محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال: كانت شعوانة قد كمدت حتى انقطعت عن الصلاة والعبادة، فأتاها آتٍ في منامها فقال:

أذري جفونَك إما كنت شاجيةً ... إن النياحةَ قد تَشفي الحَزينينا
جدِّي وقومي وصومي الدهرَ دائبة ... فإنما الدُّؤبُ من فعل المطيعينا

فأصبحت، فأخذت في الترنم والبكاء، وراجعت العمل.

قال إبراهيم بن عبد الملك: قدمت شعوانة وزوجها مكة فجعلا يطوفان، فإذا أكل أو أعيا جلس وجلست خلفه، فيقول هو في جلوسه: أنا العطشان من حبك لا أروى. وتقول هي بالفارسية: أنبت لكل داء دواء في الجبال، ودواء المحبين في الجبال لم ينبت. رضي الله عنها.

٦٣١ - خشَّة الأُبُلِّيّة

قال يعقوب بن محمد: قالت خشة الأبلية: إن الذنوب أقلّ في جودك من أن لا تغفرها، فمن ثَمّ خلا قلبي من الذنوب لمحبتك. رضي الله عنها.

من عقلاء المجانين بالأبلة

٦٣٢ - ريحانة

قال أبو القاسم بن سعيد: سمعت صالحاً المُرّي يقول: رأيت ريحانة المجنونة فسلمت عليها فقالت لي: يا صالح اسمع:

بوجهك لا تعذبني فإني ... أؤمل أن أفوز بخير دار
وأنت مجاور الأبرار فيها ... ولولا أنت ما طاب المزار

عن الربيع قال: بتُّ أنا ومحمد بن المنكدر وثابت البناني عند ريحانة المجنونة بالأبلة، فقامت أول الليل وهي تقول:

قام المحبُّ إلى المؤمَّل قومة ... كاد الفؤادُ من السرور يطير

فلما كان جوف الليل سمعتها تقول أيضاً:

لا تـأنـسـن بـمـن تـوحـشـك نـظـرتُـه فـتُـمـنَـعَـن مـن الـتـذكـار فـي الـظـلام
واجـهـد وكِـدّ وكـنْ فـي الـلـيـل ذا شـجَـنٍ يَـسـقـيـكَ كـأسَ وِدادِ الـعـزِّ والـكَـرَمِ

قال: ثم نادت: واحرباه واسلباه. فقلت: مم ذا؟ فقالت:

ذهـب الـظـلامُ بـأنـسـه وبـإلـفـه لـيـت الـظـلام بـأنـسـه يـتـجـدد

انتهى ذِكر أهل الأبلة عليهم السلام

ذِكْرُ المصطفَين من عبّاد عبّادان رضي الله عنه

قال أبو بكر المروزي: سمعت عبد الصمد يقول: قال لي بشر بن الحارث: عبَّادان ميدان العباد.

قال المروزي: وقال لي أبو عبد الله بن حنبل: ما زال العبّاد يأتونها، وقد رأيت بها هداباً العابد.

قال محمد بن نعيم بن الهيصم: سمعت بشر بن الحارث قال: من أراد الزهد والعمل فليأت عبادان، وددت أني في زاوية من زوايا عبادان في عافية، حرسها الله تعالى.

٦٣٣ ـ سعيد بن عطارد رضي الله عنه

قال إسحاق بن عباد: سمع سعيد بن عطارد ضجة في مسجد أبي عاصم بالليل، فقام فقال: تذهب بهذا الدرهم السوق تلقيه في هذه الجياد لعل الله عز وجل يتجاوز به.

قال عبد الصمد: كان سعيد بن عطارد بكّاء. رضي الله عنه.

٦٣٤ ـ عابد من بني سعد

قال أبو عاصم العباداني: كان رجل من بني سعد يقدم علينا في أول ما اتُّخِذَت عبادان، فكانت إذ ذاك وَبيئةً، قال: فكان يصلي الليل والنهار لا يكاد يفتر، فإذا كان السَّحَرُ احتبى واستقبل البحر، فجعل يبكي وينوح على نفسه.

قال: فإذا أحس بإنسان أمسك. قال: فخرجت ذات ليلة إلى الساحل فإذا أنا بصوته وإذا هو يبكي ويقول في بكائه:

ألا يـا عـيـنُ ويـحـكِ أسـعـديـنـي بـطـولِ الـدمـع فـي ظـلـم الـلـيـالـي
لـعـلـك فـي الـقـيـامـة أن تـفـوزي بـخـيـر الـدهـر فـي تـلـك الـعـلالـي

قال: فلما أحسَّ أمسك، فرجعت وتركته.

٦٣٥ ـ عابد آخر

قال سلم بن زرعة بن حماد أبو المرضي ـ شيخ بعبادان له عبادة وفضل ـ: ملح الماء عندنا منذ نيّفٍ وستين سنة، وكان ههنا رجل من أهل الساحل له فضل. قال: ولم يكن في الصهاريج شيء، وحضرت المغرب فهبطت لأتوضأ للصلاة من النهر ـ وذلك في رمضان وحر شديد ـ فإذا أنا به وهو

يقول: سيدي أَرَضيت عملي حتى أتمنى عليك؟ أم رضيت طاعتي حتى أسألك؟ سيدي غسالة الحمَّام لمن عصاك كثير! سيدي لولا أني أخاف غضبك لم أذق الماء، ولقد أجهدني العطش!.

قال: ثم أخذ بكفيه فشرب شرباً صالحاً. فتعجبت من صبره على ملوحته! فأخذت من الموضع الذي أخذ فإذا هو بمنزلة السكر فشربت حتى رويت.

قال أبو المرضي: فقال لي هذا الشيخ يوماً: رأيت فيما يرى النائم كأن رجلاً يقول لي: قد فرغنا من بناء دارك، لو رأيتها قرت عيناك، وقد أمرنا بنجدها والفراغ منها إلى سبعة أيام، واسمها السرور، فأبشر بخير. فلما كان اليوم السابع ـ وهو يوم الجمعة ـ بكَّر للوضوء، فنزل في النهر وقد مد فزلق فغرق، فأخرجناه بعد الصلاة فدفناه.

قال أبو المرضي: فرأيته بعد ثالثة في النوم وهو يجيء إلى القنطرة وهو يكبر وعليه حلل خضر فقال لي: يا أبا المرضي أنزلني الكريم دار السرور فما أعدَّ لي فيها! فقلت: صف لي. فقال: هيهات! يعجز الواصفون عن أن تنطق ألسنتهم بما فيها، فاكتسب مثل الذي اكتسبت، وليت أن عيالي يعلمون أن قد هيئ لهم منازل معي، فيها كل ما اشتهت أنفسهم، نعم وإخواني وأنت معهم إن شاء الله. ثم انتبهت.

٦٣٦ ـ عابد آخر

قال العطار: سمعت بشر بن الحارث يقول: رأيت رجلاً على ساحل عَبَّادان قد قَطَع الجذامُ يديه ورجليه، وقد ذهب بصره، فجعلت أنظر إليه وأقول في نفسي: مجذوم مكفوف! قال: فصاح وقال: من ذا المتكلف الذي يدخل بيني وبين مولاي؟ قال بشر: فأدبني قوله.

٦٣٧ ـ عابد آخر

قال علي بن سعيد العطار: مررت بعبادان بمكفوف مجذوم وإذا الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه. فقلت: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفتح من عيني ما أغلق من عينك.

قال: بينما أنا أردد الحمد إذ صرخ، فبينا هو يتخبط نظرت إليه فإذا هو مقعد فقلت: مكفوف [و] يُصرع؟ مقعد [و] مجذوم! قال: فما استتممت حتى صاح: يا متكلف ما دخولك فيما بيني وبين ربي؟ دعه يفعل بي ما شاء. ثم قال: وعزتك وجلالك لو قطعتني إرباً إرباً؛ أو صببت علي البلاء صبّاً ما ازددت لك إلا حباً. رضي الله عنه.

٦٣٨ ـ عابد آخر

قال عابد بعبَّادان: مكثت ستة أيام لم أطعم شيئاً. قال: قلت: أجرب نفسي على الصبر. فلما كانت الليلة السابعة دخل في قلبي من ذلك سرور، ورأيت أني قد صبرت وعملت شيئاً، فإذا بقائل يقول: لم تبلغ كنه الصابرين، إنما الصابرون المستقلّون لأعمالهم، الخائفون عليها من فسادها، الوجِلون من ردها عليهم، فأولئك هم الصابرون.

٦٣٩ ـ عابد آخر

قال أحمد بن محمد البزاز: كنت بعبادان وكانت ليلة عاشوراء، فدخلت إلى دار السبيل فرأيت فقيراً جالساً يأكل خبز الشعير وملحاً جريشاً، فاحترق قلبي عليه، وكان معي ألف دينار للتفرقة بعبادان فسألت عنه؟ فقيل: هو أفضل مَنْ ههنا في الزهد ومنازلة الفقر. فقلت في نفسي: أعطيه الدنانير التي معي؛ فإني لا أعرف المستحقين.

فلما أصبحنا قصدته وسلمت عليه وجلست إليه، وباسطني وباسطته، فقلت له: رأيت الشيخ البارحة يأكل خبز الشعير وملحاً جريشاً، وأعلم أنه كان صائماً، فحملت إليه شيئاً ليتحكم فيه.

وقدَّمت إليه الكيس، وقلت له: هو ألف دينار. فشدَّد النظر وقال: خذه؛ فإن هذا جزاء من أفشى سره إلى الناس.

٦٤٠ ـ عابد آخر

قال أبو الخير الأسود المعروف بالعسقلاني: كان بعبادان رجل زنجي مفلفل الشعر يأوي الخربات، فحملت معي شيئاً، وطلبته فلما رفع بصره تبسم وأشار بيده إلى الأرض، فرأيت حولي حيث أرى دراهم ودنانير تلمعان. ثم قال لي: هات ما معك. فناولته، وهربت، وهالني أمره.

٦٤١ ـ عابد آخر

قال عبد الله بن محمد: كتب إلي إسحاق بن موسى الأنصاري يذكر أن عباد بن كليب حدثهم قال: كنت بعبادان فرأيت شاباً من قريش عليه جبة صوف فسمعته يقول: إن لله عباداً يستروحون إلى الغموم. فقلت: يرحمك الله تلبس الصوف؟ فقال: إنما أنا عبد فإذا أعتقت لبست. فذكرت ذلك لشريك. فقال: ما أكره الصوف لمثل هذا، ما خرج هذا الكلام إلا من كنز.

٦٤٢ ـ عابد آخر

قال بحر أبو يحيى العابد: رأيت عابداً بعبادان يبكي عامة الليل والنهار، فقلت له: يا أخي كم تبكي؟ فازداد بكاء، ثم قال لي: فما أصنع إذا لم أبك؟ فما أصنع إذا لم أبك؟ وغشي عليه.

ومن عابدات عبَّادان

٦٤٣ ـ عابدة

قال صالح بن عبد الله: خرجنا من عبادان منذ نحو من ستين سنة، فلما صرنا عند الجبل في بعض تلك السكك ومعنا قارئ لنا فقرأ، فإذا امرأة على سطح، فصرخت ثم سقطت من السطح فحُملت، فأدخلت داراً، ثم ما برحنا حتى ماتت.

قال: ونودي في أهل البصرة، فما رأيت يوماً أحسن ولا أكثر جمعاً من ذلك اليوم.

انتهى ذِكْرُ أهل عبَّادان

٦٤٤ ـ ذكر مجنون بمهرجان قذق

أبو همام ـ إسرائيل بن محمد القاضي ـ قال: كان بمهرجان قذق رجل يقال له سابق، وكان معتوهاً ذاهب العقل قد توحش، فكان مأواه الخربات والغياض والمقابر، قال: وكنت أحب أن أكلمه وأسمع جوابه. فقيل لي يوماً: هو في المقابر. فقمت حافياً فدخلت المقابر فإذا أنا به منكس رأسه في قبر، فلم يعلم حتى سلمت، فرفع رأسه فقال: وعليكم السلام.

قال: وهِبْتُه فانقطعتُ ولم أتكلم، فرأى ذلك فيَّ فقال: يا إسرائيل خف الله خوفاً لا يشغلك عن الرجاء فإنك إن ألزمت قلبك الرجاء، شغلته عن الخوف، وفرَّ إلى الله ولا تفر منه، فإنه مدركك ولن تعجزه، ولا تطع المخلوق في معصية الخالق، واعلم أن لله تعالى يوماً تشخص فيه القلوب والأبصار، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء.

قال: ثم قام فتخطى حائطاً ومضى في الخرابات. فقلت للذي يحفر القبور: إذا جاء فأتني فأعلمني.

فمكث شهراً أو أكثر. قال: وأتاني الرجل فقال: قد دخل الساعة المقابر. فقمت إليه في غير نعل ولا رداء، فلما بصر بي ولّى وأسرعت فقلت: يا سابق لا أعود إليك بعد اليوم. فوقف فقلت: علمني كلمات أدعو بهن؟ فقال: إن آخَذَ الكلام للقلوب ما جاء من القلوب، وإن أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس. ثم قال: قل اللهم اجعل نظري عبرة، وسكوتي فكرة، وكلامي ذكراً. ثم ولّى مسرعاً.

ذكر من اصطُفِي من أهل تُسْتَر

٦٤٥ ـ سهل بن عبد الله

ابن يونس التستري: يكنى أبا محمد رضي الله عنه: قال العباس بن أحمد: سمعت سهل بن عبد الله يقول: آلة الفقير ثلاثة أشياء: حفظ سره، وأداء فرضه، وصيانة فقره.

قال أبو بكر الجوزي: سمعت سهل بن عبد الله يقول: ليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيب الله، ولا يجتنب الآثام إلا صدِّيق مقرب، وأما أعمال البر فيعملها البر والفاجر.

أخبرنا محمد قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا بكر محمد بن المنذر يقول: قال سهل بن عبد الله: من دق الصراط عليه في الدنيا عُرِّض عليه في الآخرة، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الآخرة.

قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سلمة: سمعت سهل بن عبد الله يقول: استجلب حلاوة

---

٦٤٥ ـ سهل بن عبد الله التستري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٢/ ٣٦٢ سنة ٢٨٣)، الحلية (١٠/ ١٨٩)، طبقات الصوفية للسلمي (٢٠٦)، طبقات ابن الملقن (٢٢٢)، العبر (٢/ ٧٠)، شذرات الذهب (٢/ ١٨٢)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٩).

الزهد بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس، وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الذكر، واستفتح باب الحزن بطول الفكر، وتزين لله بالصدق في كل الأحوال، وإياك والتسويف فإنه يغرق الهلكى، وإياك والغفلة فإن فيها سواد القلب، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر.

قال أبو حفص بن شاهين: قرأت على جعفر بن محمد الثقفي: سمعت سهل بن عبد الله يقول: أول الحجاب الدعوى، فإذا أخذوا في الدعوى حرموا.

قال أبو بكر أحمد بن محمد السائح: سمعت القاسم بن محمد صاحب سهل يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى، ولا طريق أقرب إليه من الافتقار.

قال علي بن سالم: سمعت سهل بن عبد الله، وقيل له: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص، لأنه لها فيه نصيب.

قال محمد بن الحسن بن الصباح: سمعت سهل بن عبد الله يقول: أمسِ قد مات، واليومُ في النزع، وغَدٌ لم يولَد.

قال أبو العباس الخواص ـ جارنا بالدور ـ: كنت عند سهل بن عبد الله، وكنت أحب شيئاً من أمره الذي كان يسره، وقد كنت سألت جماعة من أصحابه: من أين يقتات؟ فلم يقف أحد منهم على شيء فيخبرني به، فجئت ليلة إلى مسجده وهو قائم يصلي، فوقفت طويلاً وهو لا يرجع، حتى جاءت شاة فزحمت باب المسجد وأنا أراها، فلما سمع سهل حركة الباب ركع وسجد وسلم وخرج إلى باب المسجد ففتحه، وقدم الشاة إليه، ومسح يده عليها، وقد كان أخرج معه قدحاً أخذه من طاق في المسجد، فحلب وشرب ثم مسح يده عليها، وكلمها بالفارسية، فذهبت في الصحراء، ودخل هو إلى المسجد، وقام في محرابه.

قال محمد بن الحسن بن الصباح: قال سهل بن عبد الله التستري: من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء، ويجيء الرجل فيقول: يا فلان أي شيء تقول في رجل حلف على امرأته بكذا وكذا؟ فيقول: طلقت امرأته. ويجيء آخر فيقول: بم تقول في رجل حلف على امرأته بكذا وكذا؟ فيقول: ليس يحنث بهذا القول. وليس هذا إلا لنبي أو لعالم فاعرفوا لهم ذلك.

أسند سهل عن خاله محمد بن سوار، ولقي ذا النون، وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل: ثلاث وسبعين رضي الله عنه.

ومن المصطَفَين من أهل شيراز

٦٤٦ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي

ولد في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة، وتفقه على جماعة، منهم أبو الطيب الطبري، ودخل

---

٦٤٦ ـ أبو إسحاق الشيرازي ـ رحمه الله ـ: ابن الجوزي في تاريخه (١٦/ ٢٢٨ سنة ٤٧٦)، تاريخ ابن كثير (١٢/ ١٢٤)، تاريخ ابن الأثير (٨/ ٤٣٢)، تاريخ نيسابور رقم (٢٧٧)، شذرات الذهب (٣/ ٣٤٩)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ٨٨)، وفيات الأعيان (١/ ٢٦)، العبر (٣/ ٢٨٣).

بغداد في سنة خمس عشرة وأربعمائة، وسمع الحديث من البرقاني، وأبي علي بن شاذان، ورأى رسول الله ﷺ في منامه، فقال له: يا شيخ. فكان يفرح ويقول: سماني رسول الله ﷺ شيخاً.

وقال: كنت أعيد كل درس مائة مرة، وإذا كان في المسألة بيت يُستَشْهَد به حفظت القصيدة كلها لأجله، وكان عاملاً بالعلم، وصابراً على خشونة العيش.

وقال يوماً لبعض أصحابه [وقد أعطاه قرصَيْن]: وكلتك في أن تشتري لي دبساً بهذا القرص على وجه الآخر.

فمضى واشترى، وجاء به، وشكّ: بأي القرصين اشترى؟ فما أكل الشيخ، وقال: لا أدري هل اشتريت بالقرص الذي وكلتك فيه أم بالآخر؟

وكان يوماً يمشي ومعه بعض أصحابه فعرض في الطريق كلب فزجره الصاحب، فنهاه أبو إسحاق وقال: لم طردته عن الطريق؟ أما علمت أن الطريق بيني وبينه مشترك.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: شاهدت شيخنا أبا إسحاق لا يخرج شيئاً إلى فقير إلا أحضر النية. ولا يتكلم في المسألة إلا قدم الاستعانة بالله، وإخلاص القصد في نصرة الحق دون التحسن للخلق، ولا صنف مسألة إلا بعد أن صلى ركعات، فلا جرم شاع اسمه، وانتشرت تصانيفه شرقاً وغرباً؛ هذه بركات الإخلاص..

وتوفي أبو إسحاق في سنة ست وسبعين وأربعمائة، ورئي في المنام وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج، فقيل له: ما هذا البياض؟ فقال: شرف الطاعة. قيل: والتاج؟ قال عز العلم. رضي الله عنه.

من المصطَفَين من أهل كرمان

٦٤٧ ـ شاه بن شجاع الكرماني

يكنى أبا الفوارس، كان من أبناء الملوك فتزهدّ. رضي الله عنه.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول: كان شاه بن شجاع حاد الفراسة. وقيل: ما أخطأت فراسته.

وكان يقول: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمّر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعوّد نفسه أكل الحلال لم تُخطِ له فراسة.

قال ابن الحشا: قال شاه الكرماني: من صحبك ووافقك على ما يحب، وخالفك فيما يكره، فإنما يصحب هواه، ومن صحب هواه فهو يطلب راحة الدنيا.

قال أبو علي الأنصاري: سمعت شاه بن شجاع الكرماني يقول: لأهل الفضل فضل ما لم يروه، فإذا رأوه فلا فضل لهم، ولأهل الولاية ولاية ما لم يروها، فإذا رأوها فلا ولاية لهم.

---

٦٤٧ ـ شاه الكرماني ـ رحمه الله ـ: ابن الجوزي في تاريخه (١٢/ ١٢٦ سنة ٢٩٩)، الحلية (١٠/ ٢٣٧)، طبقات السلمي (١٩٢)، القشيرية (٢٩)، طبقات ابن الملقن (٢٤٤ و٣٦٠)، جامع كرامات الأولياء (٢/ ٣٦).

صحب شاه بن شجاع أبا تراب النخشي، وأبا عبيد البسري وغيرهما، ولا نعلمه أسند حديثاً.
وحكى السلمي عن عبد الله بن محمد الرازي قال: أظنه مات بعد سبعين ومائتين رضي الله عنه.

من المصطَفين من أهل أرجان

٦٤٨ ـ عابدة

قال عبد ربه الخواص: قالت كان بأرجان امرأة فارسية تقول: يا مولاي تدبرت حكمتك في خلقك، فإذا العدل منك يقصمهم، ثم رجعت بعدُ إلى معرفتي بسعة رحمتك، فعلمت أن عفوك يسعهم، مولاي أخرت الخاطئين فلم تعجل عليهم بالعقوبة، فلقد أطمعهم حسن إنظارك لهم في حسن عفوك عن جرائم الخاطئين، وما يمنعهم من ذلك وقد تقدم إلى الأمم إحسانك قبل ذلك؟ قال: وكانت تنوح على نحو هذا الكلام وتبكي. رضي الله عنها.

ومن المصطَفين من أهل سجستان

٦٤٩ ـ أبو داود السجستاني

واسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق: كان من أكبر أئمة المحدثين وعلمائهم بالنقل وعِلَله، ولم يسبقه أحد إلى مثل تصنيفه «كتاب السنن» وعرضه على أحمد بن حنبل فاستحسنه.
وقال إبراهيم الحربي: أُلين الحديثُ لأبي داود كما أُلين الحديدُ لداود، وجمع مع علمه الورع والتقوى.

قال أبو بكر بن راشد: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مائة ألف حديث، وانتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب ـ يعني كتاب السنن ـ جمعت فيه أربعة آلاف وثمان مائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه، ويكفي الإنسانَ لدينه من ذلك أربعةُ أحاديث؛ أحدها: قوله ﷺ: «الأعمال بالنيات» والثاني: قوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» والثالث: قوله ﷺ: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه» والرابع: قوله ﷺ: «الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ، وبين ذلك أمور مشتبهات» الحديث(١).

عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقري قال: أخبرني محمد بن بكر بن عبد الرزاق في كتابه قال: كان لأبي داود السجستاني كم واسع وكم ضيق، فقيل له: يرحمك الله ما هذا؟ قال: الواسع للكتب، والآخر لا يُحتاج إليه.

عن إبراهيم عن علقمة قال: كان عبد الله يشبه النبي ﷺ في هديه ودله، وكان علقمة يشبه بعبد

---

٦٤٩ ـ أبو داود السجستاني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٢/ ٢٦٨ سنة ٢٧٥)، تاريخ بغداد (٩/ ٥٥)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٠٣)، الجرح والتعديل (٤/ ١٠١)، طبقات الحنابلة (١/ ١٥٩)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٤)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩١)، العبر (٢/ ٥٤)، طبقات السبكي (٢/ ٢٩٣)، تاريخ ابن كثير (١١/ ٥٤)، تهذيب التهذيب (٤/ ١٦٩)، شذرات الذهب (٢/ ١٦٧)، تهذيب ابن عساكر (٦/ ٢٤٦).

(١) كلها أحاديث صحاح: انظرها في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي محققة مخرجة مشروحة.

الله. وقال جرير بن عبد الحميد: كان إبراهيم يشبه بعلقمة، وكان منصور يشبه بإبراهيم. وقال غير جرير: كان سفيان يشبه منصور. وقال عمر بن أحمد: قال أبو علي القوهستاني: كان وكيع يشبه بسفيان، وكان أحمد بن حنبل يشبه بوكيع، وكان أبو داود يشبه بأحمد بن حنبل رضي الله عنهم.

قال أبو بكر بن أبي داود: سمعت أبي يقول: الشهوة الخفية حب الرياسة.

كتب أبو داود عن العراقيين، والخراسانيين، والشاميين، والبصريين، والجزريين وغيرهم، وسمع من مسلم بن إبراهيم، وسليمان بن حرب وخلق لا يُحصون، وكتب عنه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً.

وأصله من سجستان، ثم سكن البصرة، وقدم بغداد مراراً. وتوفي بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين.

من المصطَفَين من أهل ديبل

٦٥٠ ـ أبو عبد الله الديبلي

قال محمد بن منصول الطوسي: سمعت أبا عبد الله الديبلي يقول: كلمني بعض إخواني مرة أن أشتري لعيالي داراً، فاشتريت لهم داراً، وكان الله تعالى قد وهب لي طي الأرض، فقص جناحي، فبعث إلي بعض إخواني: الْقَنا الليلة في موضع كذا وكذا على مسافة من الأرض، فبعثت إليهم قد: قص جناحي فادعوا لي. فبعثوا إلي صلة من الموضع الذي انقصَّ، فرجعت فحرقت الصك، فردَّ الله علي ما كان ذهب مني.

ذِكْرُ المصطَفَين من عُبَّاد البحرين

٦٥١ ـ خليفة العبدي

قال هلال بن دارم: كان خليفة العبدي جاراً لنا بالبحرين، فكان يقوم إذا هدأت العيون فيقول: اللهم إليك قمت أبتغي ما عندك من الخيرات. ثم يعمد إلى محرابه لا يزال يصلي حتى يطلع الفجر.

قال: وحدثتني عجوز كانت تكون معه في الدار قالت: كنت أسمعه يدعو في السجود يقول: هب لي إنابة إخبات، وإخبات منيب، وزيّنّي في خلقك بطاعتك، وحببني لديك بحسن خدمتك، وأكرمني إذا وفد إليك المتقون، فأنت خير مسؤول، وخير معبود، وخير مشكور، وخير محمود.

وقالت: كنت أسمعه إذا دعا في السَّحَر يقول: قام البَطالون وقمت معهم، قمنا إليك ونحن متعرضون لجودك، فكم من ذي جرم عظيم قد صفحت له عن جرمه، وكم من ذي كرب عظيم قد فرجت له عن كربه، وكم من ذي ضر كثير قد كشفت له عن ضره، فبعزتك ما دعانا إلى مسألتك بعد ما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذي عرَّفتنا من جودك وكرمك، فأنت المؤمل لكل خير، والمرجو عند كل نائبة.

قال بكر بن مصادر: قال خليفة العبدي ـ وكان ممن ينظر بنور الله وينطق بحكمته ـ: أصبح الخلق على خطر من الله عظيم، وهم عن ذاك معرضون! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال: وكان خليفة قد أخلقه الدؤوب والكلال.

قال يحيى بن بسطام: قال ضيغم: صلى خليفة العبدي حتى انشقت قدماه.

٦٥٢ ـ عابد آخر

قال إبراهيم بن عيسى اليشكري: دخلت على رجل بالبحرين قد اعتزل الناس وتفرغ لنفسه فذاكرته شيئاً من أمر الآخرة وذكر الموت. قال: فجعل والله يشهق حتى خرجت نفسه وأنا أنظر إليه قال: فدخل الناس عليه فقالوا: يا عبيد الله ما أردت إلى هذا؟ لعلك أن تكون ذاكرته بشيء من أمر الموت! قال: قلت: أجل والله لقد كان ذلك. قال: فبكى رجل من جيرانه وقال: رحمك الله لقد خفت أن يقتلك ذكر الموت، حتى والله لقد قتلك! قال: ثم جهزناه ودفناه. رضي الله عنه.

٦٥٣ ـ عابد آخر

قال مسمع: سمعت عابداً من أهل البحرين يقول في جوف الليل، ونحن على بعض السواحل: قرة عيني، وسرور قلبي، ما الذي أسقطني من عينك يا مانح العصم. قال: ثم صرخ وبكى، ثم نادى: طوبى لقلوب ملأتها خشيتك، واستولت عليها محبتك، فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك والاجتهاد في خدمتك، وخشيتك قاطعة لها عن كل معصية خوفاً لحلول سخطك، ثم بكى وقال: يا إخوتاه! ابكوا على خوف فوت الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة.

ذكر المصطَفَيات من عابدات البحرين

٦٥٤ ـ منيفة بنت أبي طارق

قال مسمع بن عاصم المسمعي: كانت بالبحرين امرأة عابدة يقال لها منيفة، فكانت إذا هجم الليل عليها قالت: بخ بخ يا نفس قد جاء سرور المؤمن. فتتحزم وتلبس وتقوم إلى محرابها، فكأنها الجذع القائم حتى تصبح، فإذا أصبحت وأمكنت الصلاة فإنما هي في صلاة حتى ينادى بالعصر، فإذا صلت العصر هجعت إلى غروب الشمس. هذا دأبها، قيل لها: لو جعلت هذه النومة في الليل كان أهدأ لبدنك! فقالت: لا والله لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدنيا.

قال أبو سفيان: فحدثني رجل من أهلها قال: فمكثت كذلك أربعين سنة ثم ماتت.

قال أبو سفيان: فحدثني رجل من البحرين يقال له عامر بن مليك قال: رأيت منيفة بعد موتها في منامي فقلت: يا منيفة ما حال الناس هناك؟ فأقبلت عليَّ وقالت: عن أي حالهم تسأل؟ الدار واحدة لأهل الطاعة يتعالون فيها بالأعمال، ولا تسأل عن حال أهل النار! قال: فبكيت والله من قولها: لا تسأل عن حال أهل النار. ثم وليت، فأتبعتني صوتاً: يا عامر عليك بالجد والاجتهاد لعلك أن تجري في مساعي السابقين غداً. قال عامر: فمرضت والله من هذه الرؤيا شهراً.

قال أبو سيار: وحدثني عامر بن مليك البحراني عن أمه قالت: بت ذات ليلة عند منيفة ابنة أبي طارق، فما زادت على هذه الآية من أول الليل إلى آخره ترددها وتبكي وتقول: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

٦٥٥ ـ ماجدة القرشية

قال المنهال بن يحيى البصري: حدثني إياس بن حمزة ـ رجل من أهل البحرين ـ قال: قالت امرأة من قريش يقال لها ماجدة، كانت تسكن البحرين: طوى أملي طلوعُ الشمس وغروبها، فما من حركة تسمع ولا من قدم توضع إلا ظننت أن الموت في أثرها.

وكانت تقول: سكان دار أوذنوا بالنقلة وهم حيارى يركضون في المهلة كأن المراد غيرهم! أو التأذين ليس لهم، والمعني بالأمر سواهم! آه من عقول ما أنقصها! ومن جهالة ما أتمها! بؤساً لأهل المعاصي ماذا غُرُّوا به من الإمهال والاستدراج؟!.

وكانت تقول: بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم، ولو نصبوا الآجال وطووا الآمال خفت عليهم الأعمال.

وكانت تقول: لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضا الرحمن إلا بتعب الأبدان لله والقيام لله بحقه في المنشط والمكره.

وكانت تقول: كفى المؤمنين طولُ اهتمامهم بالمعاد شغلاً.

وكانت تقول: لو رأت أعينُ الزاهدين ثوابَ ما أعد الله لأهل الإعراض عن الدنيا لذابت أنفسهم شوقاً إلى الموت لينالوا من ذلك ما أملوا من تفضله تعالى. رضي الله عنها.

ذكر المصطَفَيات من عابدات البحرين المجهولات الأسماء

٦٥٦ ـ عابدة

عن عبد الواحد بن زيد قال: رأيت امرأة بالبحرين تنشج على الآخرة نشيجاً، كلما نشجت نشجة قلت: نفسها خارجة معها. قال: فحرصت على أن أجاريها شيئاً من الخير، فلم أقدر على ذلك فكان أول ما حفظت عنها وآخره أن قالت: تشاغل أيها المرء بنفسك، فوالله ما هممت قط بموعظة أعظ بها غيري إلا حال تقصيري فيما بيني وبين ذلك، ولئن كان المرء لا يعظ أحداً حتى يتعظ، لقد أمكن إبليس من نفسه يقوده حيث يشاء، والله ما أنا بحامدة لنفسي في ذلك، ولودَّ إبليس أنه قدر على ذلك من جميع الخلق كما قدر عليه مني، فلم يكن أحد يحض على طاعة الله، ولكن مُرْ أيها المرء بالبر وإن لم تستطعه، واحذر أن تنهى عن الشر وتأتيه.

من المصطَفَين من أهل اليمامة

٦٥٧ ـ يحيى بن أبي كثير

مولى لطيّ: كان من أهل البصرة فتحول إلى اليمامة، ويكنى أبا نصر. كذا قال البخاري.

---

٦٥٥ ـ ماجدة القرشية ـ رحمها الله ـ: الطبقات الكبرى للشعراني (٩٥).

٦٥٧ ـ يحيى بن أبي كثير ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٢٧٤)، الحلية (٣/ ٦٦)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٧)، طبقات ابن سعد (٥/ ٥٥٥)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٧٩)، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٠٢)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢٦٨)، الجرح والتعديل (٦/ ١٨٨٧).

قال البخاري: قال موسى: سمعت وهيباً يقول: سمعت أيوب يقول: ما بقي على وجه الأرض مثل يحيى بن أبي كثير.

قال مسدد: سمعت عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال: سمعت أبي يقول: لا يأتي العلمُ براحة الجسد.

[قال] مسدد: حدثنا عبد الله بن يحيى بن كثير قال: سمعت أبي يقول: ميراث العلم خيرٌ من الذهب، والنفس الصالحة خيرٌ من اللؤلؤ.

قال حميد الكندي: سمعت يحيى بن أبي كثير يقول: تعلُّمُ الفقه صلاةٌ، وقراءة القرآن ودراسته صلاةٌ.

قال الأوزاعي: حدثني يحيى بن أبي كثير قال: العالم من يخشى الله عز وجل.

قال يحيى بن عبد الله: أنبأ يحيى بن أبي كثير قال: يقول الناس: فلان الناسك، وإنما الناسك الورعُ.

عن أبي عمرو، عن يحيى بن أبي كثير قال: ما صلح منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله.

قال الوليد: سمعت الأوزاعي يقول: قال يحيى بن أبي كثير: إن ذِكرَكَ حسناتِك ونسيانَك سيئاتِك غِرةٌ.

عن الأوزاعي عن يحيى أنه قال له رجل: إني أحبك. قال: قد عرفت ذلك من نفسي.

قال عامر بن يساف: كان يحيى بن أبي كثير حسن اللباس، حسن الهيئة، ومات ولم يترك إلا ثلاثين درهماً كفّنوه بها.

أسند يحيى عن أنس، وابن أبي أوفى وغيرهما من الصحابة، وتوفي سنة تسع وعشرين ومائة.

قال أبو نعيم الفضل بن دُكَين: وقال ابن المديني: سنة ثنتين وثلاثين ومائة.

٦٥٨ ـ عابدة من البحرين أو اليمامة

عن ابن يسار ـ يعني مسلماً ـ قال: قدمت البحرين أو اليمامة في تجارة فإذا أنا بالناس مقبلين ومدبرين نحو منزل، فقصدت إليه، فإذا أنا بامرأة جالسة في مصلى لها، عليها ثياب غليظة وإذا هي كئيبة محزونة قليلة الكلام، وإذا كل ما رأيت ولدها وخوَلُها وعبيدها والناس إليها بالبياعات والتجارات. فقضيت حاجتي، ثم أتيتها فودعتها فقالت: حاجتنا إليك أن تأتينا إن عدت إلينا لحاجة فتُنزل بنا حاجتك. قال: فانصرفت فلبثت حيناً، ثم إني توجهت إلى بلدها في حاجة، فلما قدمتها لم أر دون منزلها شيئاً مما كنت رأيت، فأتيت منزلها فلم أر أحداً، فأتيت فاستفتحت، فإذا أنا بضحك امرأة وكلامها، ففتح لي، فدخلت، فإذا بها جالسة في بيت، وإذا عليها ثياب حسنة رقيقة، وإذا الضحك الذي سمعت ضحكها وكلامها، وإذا امرأة معها في بيتها فقط، فاستنكرت وقلت: لقد رأيتك

على حالين فيهما عجب: حالك في قَدمتي الأولى وحالك هذه! قالت: لا تعجب؛ فإن الذي رأيت من حالي الأولى أني كنت فيما رأيت من الخير والسعة، وكنت لا أصاب بمصيبة في ولد ولا في خَوَل ولا مال ولا أوجّه في تجارة إلا سلمت، ولا يبتاع لي شيء إلا أربح فيه، فتخوفت أن لا يكون لي عند الله عز وجل خير، فكنت مكتئبة لذلك، وقلت: لو كان لي عند الله خير ابتلاني! فتوالت عليَّ المصائب في ولدي الذي رأيت، وخولي، ومالي، فما بقي لي منه شيء، ورجوت أن يكون الله عز وجل قد أراد بي خيراً فابتلاني وذكرني ففرحت لذلك وطابت نفسي. قال: فانصرفت، فلقيت عبد الله بن عمر فأخبرته خبرها. فقال: أرى والله هذه ما فاتها أيوب النبيﷺ إلا بقليل، لكني قد تخرق مطرفي هذا، أو كلمة نحوها، فأمرت به أن يُصلَح، فلم يُعمل كما كنت أريد، فأحزنني ذلك.

انتهى ذِكْرُ أهل البحرين

ذكر المصطَفَين
من أهل الدينور

٦٥٩ ـ ممشاد الدينوري رضي الله عنه

قال أبو بكر الرازي: قال ممشاد: طريق الحق بعيد، والصبر مع الحق شديد.

وقال: ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك، وعن ذكر من لا يغفل عن ذكرك.

وقال: صحبةُ أهل الصلاح تورث في القلب الصلاح، وصحبةُ أهل الفساد تورث فيه الفساد.

صحب ممشاد يحيى الجلاء ونظراءه من المشايخ، وتوفي في سنة تسع وتسعين ومائتين رضي الله عنه.

٦٦٠ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن سهل الصائغ الدينوري

قال ممشاد: خرجت ذات يوم إلى الصحراء فبينما أنا مار إذا أنا بنسر قد فتح جناحه، فتعجبت منه، فاطلعت فإذا بأبي الحسن الصائغ الدينوري قائم يصلي والنسر يظله.

قال أبو عثمان المغربي: لم أر فيمن رأيت من المشايخ أكثر هيبة من أبي الحسن الصائغ.

أسند أبو الحسن الحديث، وتوفي بمصر سنة ثلاثين وثلاث مائة.

٦٦١ ـ أبو جعفر الدينوري رضي الله عنه

قال أبو بكر الكتاني: رأيت كأن القيامة قد قامت، فأول من خرج من عند الله عز وجل أبو جعفر الدينوري وكتابه بيمينه وهو يضحك، ثم خرج إبراهيم الخواص بعده وكتابه بيمينه وهو يدرس القرآن.

من المصطَفَين من أهل همذان

٦٦٢ ـ يوسف بن أيوب الهمذاني رضي الله عنه

قدم بغداد بعد الستين والأربعمائة، وتفقه على أبي إسحاق الشيرازي حتى برع في الفقه والنظر، ثم

---

٦٥٩ ـ ممشاد الدينوري ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ٣٥٣)، طبقات السلمي (٣١٦)، القشيرية (٢٣)، طبقات ابن الملقن (٢٨٨)، جامع كرامات الأولياء (٢/ ٢٦٨).

٦٦٠ ـ أبو الحسن الدينوري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٤/ ٢٢ سنة ٣٣٠)، شذرات الذهب (٢/ ٣٣٠) ابن كثير في تاريخه (١١/ ٢٠٤).

٦٦٢ ـ يوسف الهمذاني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٨/ ١٥ سنة ٤٨٨هـ)، تاريخ ابن كثير (١٢/ ٢١٨)، تاريخ ابن الأثير (١١/ ٨٠)، العبر (٤/ ٩٧)، جامع كرامات الأولياء (٢/ ٢٨٩).

اشتغل بالتعبد فاجتمع في رباطه بشر وخلق زائد على الحد من المنقطعين إلى الله تعالى.

وكان يقول: دخلت جبل زر لزيارة عبد الله الخوني فوجدت ذلك الجبل كثير المياه والشجر معموراً بالأولياء، على رأس كل عين واحد من الرجال مشتغل بالمجاهدة، فطفت عليهم ولا أعلم في ذلك الجبل حجراً لم تصبه دمعتي.

ثم عاد يوسف، ودخل بغداد في سنة ست وخمسمائة ووعظ بها، ووقع له القبول التام، فقام إليه رجل متفقه يقال له ابن السقاء، فآذاه في مسألة! فقال له: اجلس؛ فإني أجد من كلامك رائحة الكفر، ولعلك تموت على غير دين الإسلام.

فاتفق بعد مدة أن ابن السقاء خرج إلى بلاد الروم وتنصَّر، وقام يومئذ إلى يوسف شابان فقيهان فقالا له: إن كنت تتكلم على مذهب الأشعري؛ وإلا فلا تتكلم. فقال: اجلسا، لا متعكما بشبابكما. فماتا ولم يبلغا الشيخوخة.

من المصطَفَين من أهل قزوين

٦٦٣ ـ والان بن عيسى

أبو مريم القزويني رضي الله عنه: روى السري بن يحيى بعبادان، عن والان بن عيسى أبي مريم، عن رجل من أهل قزوين كان من الصالحين قال: غرني القمرُ ليلة، فخرجت إلى المسجد فصليت ما قضى الله لي، وسَبَّحت ودعوت، فغلبتني عيناي، فرأيت جماعة أعلم أنهم ليسوا من الآدميين؛ بأيديهم أطباق عليها أرغفة ببياض الثلج، فوق كل رغيف در أمثال الرمّان، فقالوا: كل. قلت: أريد الصوم. قالوا: يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل. فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لأحتمله، فقيل لي: دعه نغرسه لك شجراً ينبت لك خيراً من هذا. فقلت: أين؟ فقيل: في دار لا تخرب، وثمر لا يتغير، وملك لا ينقطع، وثياب لا تبلى، فيها رضى وغنى وقرة العين أزواج وضيئات مرضيات راضيات، لا يَغِرن ولا يُغَرن، عليك بالانكماش فيما أنت فيه، فإنما هي غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار.

فما مكث إلا جمعتين حتى توفي.

قال السري بن يحيى: فرأيته في الليلة التي توفي فيها وهو يقول لي: لا تعجب من شيء غُرس لي يوم حدثتك وقد حمل. قلت: حمل بماذا؟ قال: لا تسأل بما لا يقدر على صفته أحد، لم يُرَ مثل الكريم إذا حلَّ به مطيع. رضي الله عنه.

ذكر المصطَفَين من أهل أصبهان

٦٦٤ ـ محمد بن يوسف بن معدان

أبو عبد الله الأصبهاني رضي الله عنه: كان ابن المبارك يسميه عروس الزهاد. يحيى بن سعيد

---

٦٦٤ ـ محمد بن يوسف بن معدان ـ رحمه الله ـ: الحلية (٨/ ٢٢٥)، الجرح والتعديل (٨/ ١٢١)، تاريخ ابن الجوزي (٩/ ١٠٠ سنة ١٨٤)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ١٨٥).

قال القطان: ما رأيت رجلاً أفضل من محمد بن يوسف الأصبهاني. وسمعت ابن مهدي يقول: ما رأيت مثل محمد بن يوسف الأصبهاني.

قال يحيى بن سعيد القطان: كنت إذا نظرت إلى محمد بن يوسف رأيت رجلاً كأنه قد عاين الموت.

قال الدورقي: وسمعت رجلاً من أهل أصبهان يحدث عن عبد الرحمن بن مهدي قال: كتب أخو محمد بن يوسف إلى محمد بن يوسف يشكو إليه جور العمال؟ فكتب إليه: يا أخي بلغني كتابك تذكر ما أنتم فيه، وإنه ليس ينبغي لمن عمل بالمعصية أن ينكر العقوبة، وما أرى ما أنتم فيه إلا شؤم الذنوب!.

قال عطاء بن مسلم الحلبي: كان محمد بن يوسف الأصبهاني يختلف إلي عشرين سنة لم أعرفه، يجيء إلى الباب فيقول: رجل غريب يسأل! حتى رأيته يوماً في المسجد، فقيل لي: هذا محمد بن يوسف الأصبهاني، فقلت: هذا يختلف إلي منذ عشرين سنة لم أعرفه.

قال أبو حاتم: بلغني عن ابن المبارك قال: قلت لابن إدريس: أريد الثغر، فدلني على أفضل رجل به. فقال: عليك بمحمد بن يوسف الأصبهاني. فقلت: فأين يسكن؟ قال: المصيصة ويأتي السواحل.

فقدم عبد الله بن المبارك المصيصة فسأل عنه فلم يُعْرف، فقال ابن المبارك: من فضلك لا تعرف.

قال يوسف بن زكريا: كان محمد بن يوسف لا يشتري زاده من خباز واحد، ولا من بقال واحد، وقال: لعلهم يعرفوني فيُحابُوني، فأكون ممن يعيش بدينه!!.

قال سعيد بن عبد الغفار: قلت لمحمد بن يوسف: أوصني. فقال: إن استطعت أن لا يكون شيء أهم إليك من ساعتك فافعل.

قال أيوب بن معمر: حدثوني بالبصرة: أن محمد بن يوسف كان يأوي بالليل إلى دار امرأة. قالت: فكان يدخل بعد العشاء ثم يخرج عند طلوع الفجر فلا ينصرف إلى العشاء. قالت: وكان يدخل بيتاً في الدار ويردّ على نفسه الباب. قالت: فذهبت ليلة فاطلعت في البيت فرأيت عنده سراجاً يُزهِر قالت: ولم يكن في البيت سراج قالت: ففطن محمد أنّا اطلعنا عليه، فخرج من الغد ولم يعد إلينا.

قال عبد الرحمن بن مهدي: رأيت محمد بن يوسف في الشتاء والصيف، فلم يكن يضع جنبه.

روى محمد بن أبي رجاء، ومحمد بن قتيبة أو أحدهما: أن محمد بن يوسف خرج في جنازة بالمصيصة فنظر إلى قبر أبي إسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين، وبينهما موضع قبر. فقال: لو أن رجلاً مات فُدِفن بينهما.

قال: فما أتت عليه إلا عشرة أيام أو نحوها حتى دفن في الموضع الذي أشار إليه.

أدرك محمد بن يوسف التابعين؛ فروى عن يونس بن عبيد الأعمش، وقد روى عن الثوري والحمادَين، وصالح المري وغيرهم، إلا أنه لم يكد يسند حديثاً، إنما كان يرسل الحديث شغلاً بالتعبد عن الرواية.

وتوفي سنة أربع وثمانين ومائة ولم يكمل له أربعون سنة.

٦٦٥ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى الأصبهاني

كانت عبادته تشبه عبادة الملائكة؛ قليلة يقوم إلى قريب الفجر، ثم يركع ويتمها ركعتين، وليلة يركع إلى قريب الفجر، ثم يسجد ويتمها ركعتين، وليلة يسجد إلى قريب الفجر، ثم يركع ويتمها ركعتين، ثم يدعو في آخر الليل لجميع الناس، ولجميع الحيوان والبهائم والوحش، ويقول في اليهود والنصارى: اللهم اهدهم. ويقول في التجار: اللهم سلِّم تجاراتهم.

وصحب معروفاً الكرخي، وتوفي سنة تسع وأربعين ومائتين.

٦٦٦ ـ أبو عبيد الله محمد بن يوسف البناء

كان يفتي الناس بالأجرة، فيأخذ منها دانقاً لنفقته ويتصدق بالباقي، ويختم كل يوم ختمة، ولقي ستمائة شيخ، وكتب الحديث الكثير.

وبلغني عن أبي علي بن شاذان قال: سمعت أبا جعفر محمد بن قتادة يقول: سمعت محمد بن يوسف يقول: كنت بمكة، فكنت أدعو الله عز وجل وأقول: يا رب إما أن تُدخل قلبي المعرفة أو اقبضني إليك، فلا حاجة لي في الدنيا والحياة بلا معرفة.

قال: فرأيت في النوم كأن قائلاً يقول: إن أردت هذا فصمْ شهراً، ولا تكلمْ أحداً من الناس فيه، ثم ادخل قبة زمزم وسل الحاجة. ففعلت ذلك، وختمت كل يوم ختمة، فلما انقضى الشهر على ذلك دخلت قبة زمزم ورفعت يدي ودعوت الله عز وجل، وسألته الحاجة، فسمعت من البئر هاتفاً يقول: يا ابن يوسف اختر أيما أحب إليك: العلم مع الغنى والدنيا؟ أم المعرفة مع الفقر والقلب؟ فقلت: المعرفة مع الفقر والقلب. فسمعت من البئر: قد أُعطِيْتَ، قد أُعطِيْتَ.

وكان محمد بن يوسف من المتدينين الأتقياء، توفي في سنة ست وثمانين ومائتين.

٦٦٧ ـ أبو جعفر أحمد بن مهدي بن رستم

قال محمد بن حيان: كان أحمد بن مهدي ذا مال كثير نحو ثلثمائة ألف درهم، فأنفقه كله على العلم، وذُكِر أنه لم يُعرف له فراش أربعين سنة.

---

٦٦٥ ـ أبو إسحاق الأصفهاني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٢/ ٢٤ سنة ٢٤٩)، الحلية (٢/ ١٣٣ و١٠/ ٣٩٣).

٦٦٦ ـ أبو عبيد الله البناء ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٢/ ٤١٠ سنة ٢٨٦)، وفيه: «أبو عبد الله» لا «أبو عبيد الله».

٦٦٧ ـ أبو جعفر بن رستم ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ٢٨٤ سنة ٣١٧)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٦٣)، وفيه: أحمد بن مهدي بن رميم ا.هـ. تاريخ أصبهان (١/ ٨٥)، الحلية (١٠/ ٣٩٦).

قال أحمد بن مهدي: جاءتني امرأة ببغداد ليلة من الليالي فذكرت أنها من بنات الناس، وأنها امتحنت بمحنة، وأسألك بالله أن تسترني. فقلت: وما محنتك؟ فقالت: أُكرهت على نفسي، وأنا حبلى، وذكرتُ للناس أنك زوجي، وأن ما بي من الحبل منك، فلا تفضحني، استرني سترك الله. فسكتُّ عنها، ومضتْ، فلم أشعر حتى وضعت وجاء إمام المحلة في جماعة الجيران يهنئوني بالولد، فأظهرت لهم التهلل، وَوَزِنْتُ في اليوم الثاني دينارين ودفعتهما إلى الإمام فقلت: أبلغ هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود، فإنه سبق ما فرق بيني وبينها. فكنت أدفع كل شهر دينارين وأوصله إليها بيد الإمام وأقول: هذه نفقة المولود. إلى أن أتى على ذلك سنتان، ثم توفي المولودِ فجاءني الناس يعزوني، فكنت أظهر لهم التسليم والرضا، فجاءتني المرأة ليلة من الليالي بعد شهر ومعها تلك الدنانير التي كنت أبعث بها بيد الإمام فردَّتْها وقالت: سترك الله كما سترتني. فقلت: هذه الدنانير كانت صلة مني للمولود، وهي لك، فإنك ربيته، فاعملي فيها ما تريدين.

أسند أبو جعفر الحديث الكثير.

٦٦٨ ـ علي بن سهل بن الأزهر أبو الحسن الأصبهاني

كان من المترَفين فتزهّد، فكان يبقى الأيام الكثيرة لا يأكل.

قال أبو حامد أحمد بن عبد الله بن رسته ـ وكان من أصحاب علي بن سهل ـ: قال علي بن سهل: استولى علي الشوق فألهاني عن الأكل.

قال أبو بكر محمد بن عبد الله الطبري: سمعت علي بن سهل بن الأزهر يقول: المبادرة إلى الطاعات من علامات التوفيق، والتقاعد عن المخالفات من علامات حسن الرعاية، ومراعاة الأسرار من علامات التيقظ، وإظهار الدعاوى من رعونات البشرية، ومن لم تصح مبادي إرادته لا يسلم في منتهى عواقبه.

قال أحمد بن عبد الله: سمعت أبي وغيره من أصحاب علي بن سهل أنه كان يقول: ليس موتي كموتكم بأعلال وأسقام، إنما هو دعاء وإجابة؛ أُدعى فأجيب، فكان كما قال، كان يوماً قاعداً في جماعة فقال: لبيك. ووقع ميتاً.

قال أبو جعفر الأصبهاني: قال علي بن سهل بن أزهر ـ أستاذي رحمة الله عليه ـ: إني لا أموت كما يموت أحدكم، يمد رجلاً ويرفع أخرى، إنما يُصاح بي: يا علي بن سهل! فأقول: لبيك.

فبينا هو جالس ذات يوم قال: لبيك. وتمدد فإذا هو ميت ـ أو كما قال ـ.

قلت: كان علي بن سهل من أحسن الناس إشارة، وكان يكاتب الجنيد، فيقول الجنيد: ما أشبه كلامه بكلام الملائكة، وتوفي سنة سبع وثلثمائة.

---

٦٦٨ ـ علي بن سهل ابن الأزهر ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ١٩٢ سنة ٣٠٧)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٣١).

٦٦٩ ـ عابد أصبهاني

عن عبد الواح بن زيد قال: خرجنا أنا وفرقد السبخي ومحمد بن واسع ومالك بن دينار نزور أخاً لنا بأرض فارس، فلما جاوزنا «مهرمز» إذا نحن برجل مجذوم متفطر قيحاً ودماً. فقال له بعضنا: يا هذا لو دخلت هذه المدينة فتداويت وتعالجت من بلائك هذا؟ فرفع طرفه إلى السماء، ثم قال: إلهي أتيت بهؤلاء ليسخطوني عليك؟ لك الكرامة والعتبى بأن لا أخالفك أبداً.

ذِكْرُ المصطَفَين من أهل الري

٦٧٠ ـ جرير بن عبد الحميد بن جرير الرازي

قال علي بن المديني: كان جرير بن عبد الحميد الرازي صاحب ليل، وكان له رسن يقولون: إذا أعيا تعلق به. يريد أنه كان يصلي.

قال سفيان بن عيينة: قال لي ابن شبرمة: عجباً لهذا الرازي ـ يعني جرير بن عبد الحميد ـ عرضت عليه مائة درهم في الشهر من الصدقة فقال: يأخذ المسلمون كلهم مثل هذا؟ قلت: لا.

قال: فلا حاجة لي فيها.

ولد جرير سنة عشر ومائة، وفيها مات الحسن، ورأى أيوب السختياني، وسمع من مغيرة وحسين، ومنصور بن المعتمر، في خلق كثير، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة.

٦٧١ ـ المعلى بن منصور الرازي

قال يحيى بن معين: كان المعلى بن منصور الرازي يوماً يصلي فوقع على رأسه كور الزنابير فما التفت ولا انفتل حتى أتم صلاته، فنظروا فإذا رأسه قد صار هكذا من شدة الانتفاخ.

٦٧٢ ـ أبو إسحاق الدولابي

صاحب كرامات: قال محمد بن منصور الطوسي: جئت مرة إلى معروف الكرخي فعضَّ أنامله وقال: هاه لو لحقت أبا إسحاق الدولابي! كان هنا الساعة يسلم علي فذهبت أقوم فقال لي: اجلس؛ لعله قد بلغ منزله بالري.

٦٧٣ ـ أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي

كان من كبار الحفاظ، وسادات أهل التقوى.

---

٦٧٠ ـ جرير الرازي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٩/ ١٥٨ سنة ١٨٨)، التاريخ الكبير (٢/ ٢١٤)، الجرح والتعديل (٢/ ٥٠٥)، طبقات ابن سعد (٧/ ٣٨١)، تهذيب التهذيب (٢/ ٧٥)، العبر (١/ ٢٩٩)، ميزان الاعتدال (١/ ٣٩٤).

٦٧١ ـ المعلى بن منصور الرازي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ٢٤٦ سنة ٢١١)، الجرح والتعديل (٣/ ٣٣٤)، شذرات الذهب (٢/ ٧٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ٣٤١)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٥٠)، العبر (١/ ٣٥٧).

٦٧٣ ـ أبو زرعة الرازي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٢/ ١٩٣ سنة ٢٦٤)، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٢٦)، تاريخ ابن كثير (١٢/ ٢٦٤)، شذرات الذهب (٢/ ٢١٧)، العبر (٤/ ١٩٢)، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٨ برقم ٤٤٧٧)، الجرح والتعديل (٥/ برقم ١٥٤٣)، الكاشف (٢/ برقم ٣٦١٦).

[عن] عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: ما جاور الجسرَ أحفظُ من أبي زرعة.

أبو عبد الله محمد بن مسلم بن واره يقول: كنت عند إسحاق بن إبراهيم، فقال رجل من أهل العراق: سمعت أحمد بن حنبل يقول: صح من الحديث سبعمائة ألف حديث وكسر، وهذا الفتى - يعني أبا زرعة - قد حفظ ستمائة ألف.

[عن] محمد بن إسحاق الصاغاني قال في حديث ذكره من حديث الكوفة فقال: هذا أفادنيه أبو زرعة. فقال له بعض من حضر: يا أبا بكر أبو زرعة من أولئك الحفاظ الذين رأيتهم، وذكر جماعة من الحفاظ منهم الفلاس. فقال: أبو زرعة أعلاهم؛ لأنه جمع الحفظ مع التقوى والورع، وهو يُشبَّه بأحمد بن حنبل.

قال أبو العباس محمد بن جعفر بن حمدويه الرازي: سئل أبو زرعة الرازي عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مائتي ألف حديث: هل حنث؟ فقال: لا. ثم قال أبو زرعة: أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]. وفي المذاكرة ثلثمائة ألف.

[عن] أحمد بن سعيد الدارمي قال: صلى أبو زرعة الرازي في مسجده عشرين سنة بعد قدومه من السفر، كان يومٌ من الأيام قدم عليه قوم من أصحاب الحديث، فنظروا فإذا في محرابه كتابة، قالوا له: كيف تقول في الكتابة والمحاريب؟ فقال: قد كرهه قوم ممن مضى. قالوا له: هو ذا في محرابك كتابة أَوَ ما علمت به؟ قال: سبحان الله، رجل يدخل على الله تعالى ويدري ما بين يديه.

قال أبو جعفر التستري: حضرنا أبا زرعة وكان في السوق، وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين، وقوله عليه السلام: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»(١) فاستحيوا من أبي زرعة وهابوا أن يلقنوه، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث فقال محمد بن مسلم: أنبأنا الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد بن جعفر بن صالح ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة وهو في السَّوْق: حدثنا بندار قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي غريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله»(٢) وتوفي رحمه الله.

أسند أبو زرعة عن خلاد بن يحيى، وأبي نعيم، وقبيص، وخلق كثير، وجالس أحمد بن حنبل وذاكره. وكان أحمد إذا ذاكره يترك الشغل ويشتغل بمذاكرته.

وتوفي بالري آخر يوم من ذي الحجة سنة أربع وستين ومائتين، وكان مولده سنة مائتين.

قال أحمد بن محمد، أبو العباس المرادي: رأيت أبا زرعة في المنام فقلت: يا أبا زرعة ما فعل الله بك؟ فقال: لقيت ربي عز وجل فقال لي: يا أبا زرعة إني أوتى بالطفل فآمر به إلى الجنة، فكيف بمن حفظ السنن على عبادي؟ تبوأ من الجنة حيث شئت.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣١١٦) وتمامه: «دخل الجنة».

٦٧٤ ـ يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي

يكنى أبا زكريا: نزيل الري، ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها وبها مات، وكانوا ثلاثة أخوة: إسماعيل ويحيى وإبراهيم، فإسماعيل أكبرهم سناً، ويحيى أوسطهم، وإبراهيم أصغرهم، وكانوا كلهم زهاداً.

قال محمد بن محمود السمرقندي: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: الكلام الحسن حسن، وأحسن من الحسن معناه، وأحسن من معناه استعماله، وأحسن من استعماله ثوابه، وأحسن من ثوابه رضا من يُعمل له.

قال: وسمعت يحيى يقول: إلهي حجتي حاجتي، وعدتي فاقتي، وسيلتي إليك نعمتك علي، وشفيعي إليك إحسانك إلي.

[عن] طاهر بن إسماعيل قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همة.

عن أبي عمران قال: سمعت يحيى بن معاذ يدعو: اللهم لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان ويهرب منك بالقلوب، يا أكرم الأشياء علينا لا تجعلنا أهون الأشياء عليك.

[عن] الحسن بن علويه يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: عمل كالسراب، وقلب من التقوى خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع في الكواعب الأتراب؟ هيهات! أنت سكران بغير شراب، ما أكملك لو بادرت أملك، ما أجلّك لو بادرت أجلك! ما أقواك لو خالفت هواك!.

[عن] محمد بن إسماعيل بن موسى قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: كيف أمتنع بالذنب من الدعاء؟ ولا أراك تمتنع بذنبي من العطاء؟.

قال أبو بكر بن طاهر: كان ليحيى بن معاذ أخ يقال له إسماعيل، وكان أكبر منه، فقال رجل: مع من يريد أن يعيش أخوك يحيى وقد هجر الخلق؟ قال: فذكر ذلك ليحيى؟ فقال له يحيى: ألا قلت له: مع من هجرهم فيه؟.

[عن] الحسن بن علويه الدامغاني قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: ذنب أفتقر به إليه أحبُّ إلي من طاعة أفتخر بها عليه.

[عن] عبد الله بن سهل قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه.

[عن] الحسن بن علويه قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: على قناطر الفتن جاوزوا إلى خزائن المنن. وسمعته يقول: إلهي كيف أفرح وقد عصيتك؟ وكيف لا أفرح وقد عرفتك؟ وكيف أدعوك وأنا خاطئ؟ وكيف لا أدعوك وأنت كريم؟.

---

٦٧٤ ـ يحيى بن معاذ الرازي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٢/١٤٨)، الحلية (١٠/٥١).

[عن] جامع بن أحمد قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: ليكن بيتك الخلوة، وطعامك الجوع، وحديثك المناجاة، فإما أن تموت بدائك أو تصل إلى دوائك.

[عن] مكحول بن الفضل النسفي قال: قال يحيى بن معاذ: مصيبتان [على العبد] لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما في ماله عند موته! قيل: ما هما؟ قال: يؤخذ منه كله، ويُسأل عنه كله!.

[عن] عبد الله بن سهل قال: قال يحيى بن معاذ: الكيّس من عمال الله يلهج بتقويم الفرائض، والجاهل يُعنى بطلب الفضائل، وتقويم الأعمال في تصحيح العزائم.

[عن] الحسن بن علويه قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: هلم يا ابن آدم إلى دخول جوار الله تعالى بلا عمل ولا نصب ولا عناء، أنت بين ما مضى من عمرك وما بقي، فالذي مضى تصلحه بالتوبة والندم، وليس شيئاً عملته بالأركان، فإذا أنت إنما هو أمرٌ نويته، وتمتنع فيما بقي من الذنوب، وامتناعك إنما هو شيء نويته وليس شيئاً عملته بالأركان، فإذا أنت نجوت بغير عمل مع القيام بالفرائض، وهذا ليس بعمل، وهو أكبر الأعمال؛ لأنه عمل القلب، والجزاء لا يكون إلا على عمل القلب.

[عن] الحسن بن علويه قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السَّحَرِ، ومجالسة الصالحين.

وسمعته يقول: إذا كنت لا ترضى عن الله [فـ] كيف تسأله الرضا عنك؟.

[عن] الحسن بن علي بن يحيى قال: قال يحيى بن معاذ: لولا أن العفو من أحب الأشياء إليه ما ابتلى بالذنب أكرمَ الخلق عليه.

[عن] عبد الله بن سهل الرازي قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم! ثم قال يحيى: هذا استغفَر اللهَ وقلبُه فاجرٌ، وهذا سكت وقلبه ذاكرٌ.

[عن] أحمد بن عبد الجبال المالكي قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء.

[عن] السري بن سهل قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الناس ثلاثة: رجل شغله معاده عن معاشه، ورجل شغله معاشه عن معاده، ورجل مشتغل بهما جميعاً، فالأولى درجة الفائزين، والثانية درجة الهالكين، والثالثة درجة المخاطرين.

[عن] الحسن بن علويه قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من ربه العفو.

[عن] عبد الله بن صالح قال: قال يحيى بن معاذ: الزاهدون غرباء الدنيا، والعارفون غرباء الآخرة.

[عن] محمد بن الحسين بن المعلى البلخي قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: يا ابن آدم طلبت الدنيا طلب من لا بد له منها، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له إليها، والدنيا قد كُفيتَها وإن لم تطلبها، والآخرة بالطلب منك تنالها، فاعقل شأنك!.

[عن] عبد الله بن سهل الرازي قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب. وسمعته يقول: يا ابن آدم لا يزال دينك متمزقاً ما دام قلبك بحب الدنيا متعلقاً.

وسمعته يقول: وقيل له: من أي شيء دوام غمك؟ قال: من شيء واحد. قيل: ما هو؟ قال: خلقني ولا أدري لِمَ خلقني[1]!.

وسمعته يقول: لا يفلح من شممت منه رائحة الرياسة.

وسمعته يقول: من سعادة المرء أن يكون خصمه فَهِماً، وخصمي لا فهم له. قيل له: ومن خصمك؟ قال: نفسي؛ تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم بشهوة ساعة.

وسمعته يقول: للتائب فخر لا يعادله فخر: فرح الله بتوبته.

قال أبو العباس بن حكمويه الرازي: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: لا تستبطئ الإجابة إذا دعوت وقد سدَدْتَ طرقاتها بالذنوب.

وسمعته يقول: إلهي إن كانت ذنوبي عظمت في جنب نهيك فإنها قد صغرت في جنب عفوك.

وسمعته يقول: لو سمع الخلق صوت النياحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء لتساقطت القلوب منهم حزناً، ولو رأت العقول بعيون الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس شوقاً، ولو أدركت القلوب كنه المحبة لخالقها لانخلعت مفاصلها ولهاً، ولطارت الأرواح إليه من أبدانها دهشاً، سبحان من أغفل الخليقة عن كنه هذه الأشياء، وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأنباء!.

[عن] الحسن بن علي قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الليل طويل فلا تقصره بمنامك، والنهار نقي فلا تدنسه بآثامك.

[عن] عبد الله بن سهل قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: حفت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها، وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء، إن صبّر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية، وإن جزعت نفسه مما يلقى طالت به علة الضنا.

[عن] عبد الله بن محمد بن وهب قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: ألا إن العاقلَ المصيبَ من عمل ثلاثاً: ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى ربه قبل أن يلقاه.

وسمعته يقول: الدنيا خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها، والآخرة دار عمران، وأعمرُ منها قلب من يطلبها.

وسمعته يقول: أخوك من عرّفك العيوب، وصديقك من حذّرك من الذنوب.

---

(١) الجهل هنا بالمصير: إلى الجنة هو؟ أم إلى النار؟ وليس هو الجهل بمهمة الوجود في الحياة!! لأنها من أصول الدين: عبادة الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وسمعته يقول: عجبت ممن يحزن على نقصان ماله كيف لا يحزن على نقصان عمره؟.

وسمعته يقول: على قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل الخلق بأمرك.

قال محمد بن محمود السمرقندي: سمعت يحيى بن معاذ يقول: إن قال لي يوم القيامة: عبدي، ما غرك بي؟ قلت: إلهي بِرُّك بي.

وسمعته يقول، وسئل: أرِنا عارفاً؟ قال: وأين أنتم فأريكم؟ عجباً لقوم عموا عن العرفاء يطلبون الخلفاء.

وسمعته يقول: استسلم القوم عندما فهموا.

وسمعته يقول: من قوة اليقين تركُ ما يُرى لما لا يُرى.

وسمعته يقول: أيها المريدون إن اضطررتم إلى طلب الدنيا فاطلبوها ولا تحبوها، وأشغلوا بها أبدانكم، وعلقوا بغيرها قلوبكم، فإنها دار ممر، وليست بدار مقر، الزاد منها، والمَقيل في غيرها.

وسمعته يقول: رضي الله عن قوم فغفر لهم السيئات، وغضب على قوم فلم يقبل منهم الحسنات.

وسمعته يقول: يا ابن آدم، ما لك تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت؟ وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت؟.

وسمعته يقول: التوحيد في كلمة واحدة: ما تصور في الأوهام فهو بخلافه.

وسمعته يقول: طاعة لا حاجة بي إليها لا تمنعني مغفرة لا غناء بي عنها.

وسمعته يقول: هو ألقاهم في الذنب يوم سمّى نفسه العفو الغفور.

وسمعته يقول: ذنب أفتقر به إليه أحب إلي من عمل أدِلُّ به عليه.

وسمعته يقول: إلهي كيف لا أرجوك تغفر لي ذنباً رجاؤك ألقاني فيه؟ وسمعته يقول: إن الحكيم يشبع من ثمار فِيه.

وسمعته يقول: كيف أحب نفسي وقد عصتك؟ وكيف لا أحبها وقد عرفتك؟

وسمعته يقول: إن وضع علينا عدله لم تبق لنا حسنة، وإن أتى فضله لم تبق لنا سيئة.

وسمعته يقول: إن غفرتَ فخيرُ راحمٍ، وإن عذَّبت فغيرُ ظالم.

وسمعته يقول: إلهي ضيعت بالذنب نفسي، فارددها بالعفو علي.

وسمعته يقول: إلهي ارحمني لقدرتك علي، أو لحاجتي إليك.

وسمعته يقول: مسكين مَنْ علمُه حجيجهُ، ولسانه وفهمه القاطعُ لعذره.

وسمعته يقول: ذنوب مزدحمة على عاقبة مبهمة. ثم قال: إلهي سلامة إن لم تكن كرامة.

وسمعته يقول: وسئل ما العبادة؟ فقال: حرفةٌ حانوتُها الخلوةُ، وربحها الجنة.

وسمعته يقول: يا ما من رباني في الطريق ينعمه ـ وأشار لي في الورود إلى كرمه ـ معرفتي بك دليلي عليك، وحبي لك شفيعي إليك.

وسمعته يقول: يا من أعطانا خير ما في خزائنه: الإيمانُ به قبل السؤال، لا تمنعنا عفوك مع السؤال.

وسمعته يقول: إلهي إن إبليس لك عدو وهو لنا عدو، وإنك لا تغيظه بشيء هو أنكأ له من عفوك، فاعف عنا يا أرحم الراحمين.

وسمعته يقول: يا من يغضب على من لا يسأله: لا تمنع من قد سألك.

وسمعته يقول: لا تقع للمؤمن سيئة إلا وهو خائف أن يؤخذ بها، والخوف حسنة فيرجو أن يعفى عنها، والرجاء حسنة.

وسمعته يقول: إلهي لا تنس لي دلالتي عليك وإشارتي بالربوبية إليك، رفعت إليك يداً بالذنوب مغلولة، وعيناً بالرجاء مكحولة، فاقبلني لأنك مِلِك لطيف، وارحمني لأني عبد ضعيف.

وسمعته يقول: هذا سروري بك خائفاً، فكيف سروري بك آمناً؟ هذا سروري بك في [هذه] المجالس، فكيف سروري بك في تلك المجالس، هذا سروري بك في دار الفناء، فكيف يكون سروري بك في دار البقاء؟.

قال عبد الله بن سهل: سمعت يحيى بن معاذ يقول: من أحب زينة الدنيا والآخرة فلينظر في العلم، ومن أحب أن يعرف الزهد فلينظر في الحكمة، ومن أحب أن يعرف مكارم الأخلاق فلينظر في فنون الآداب، ومن أحب أن يستوثق من أسباب المعاش فليستكثر من الإخوان، ومن أحب أن لا يؤذَى فلا يؤذِيَنَّ، ومن أحب رفعة الدنيا والآخرة فعليه بالتقوى.

وسمعته يقول: من خان الله عز وجل في السر هتك سره في العلانية.

قال أبو محمد الإسكاف: سمعت يحيى بن معاذ يقول: لست آمركم بترك الدنيا؛ آمركم بترك الذنوب؛ ترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة، وأنتم إلى إقامة الفريضة أحوج منكم إلى الحسنات والفضائل.

يقول الحسن بن علويه: سمعت يحيىٰ بن معاذ يقول: لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثُه، ويوم حشره ميزانُهُ.

قال الحسن بن علويه: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها لا يفيق إلا في عسكر الموتى نادماً بين الخاسرين.

قال محمد بن محمود السمرقندي: سمعت يحيى بن معاذ يقول، وقال له بعض الملحدين: أخبرني عن الله ما هو؟ قال: إله واحد. قال: كيف هو؟ قال: ملك قادر. قال: أين هو؟ قال: بالمرصاد. قال: ليس عن هذا سألتك؟ قال يحيى: فذاك إذاً صفة المخلوقين، وأما صفة الخالق فما أخبرتك به.

سمع يحيى بن معاذ من إسحاق بن إبراهيم الرازي، ومكي بن إبراهيم البلخي، وعلي بن محمد الطنافسي، وتوفي بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين. والسلام.

٦٧٥ ـ إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخوَّاص

يكنى أبا إسحاق: أصله من «سُرَّ من رأى» لكنه أقام بالري، ومات بها.

قال جعفر بن محمد الخلدي في كتابه: سمعت إبراهيم الخواص يقول: سلكت البادية إلى مكة سبعة عشر طريقاً فيها طريق من ذهب، وطريق من فضة.

أبو مسلم السقاء قال: سمعت بعض أصحابنا يحكي عن إبراهيم الخواص أنه قال: كان لي وقت فترة، فكنت أخرج كل يوم إلى شط نهر كبير كان حواليه الخوص، وكنت أقطع شيئاً من ذلك وأسُفُّه قِفافاً، وأطرحه في ذلك النهر فأتسلى بذلك وكأني كنت مطالَباً به، فجرى وقتي على ذلك أياماً كثيرة، فتفكرت يوماً وقلت: أمضي خلف ما أطرحه في الماء من القفاف لأنظر أين تذهب؟ فمضيت على شاطئ النهر ساعات، ولم أعمل ذلك اليوم، فإذا عجوز قاعدة على شط النهر تبكي، قلت: ما لك تبكين؟ فقالت: لي خمسة من الأيتام مات أبوهم فأصابني الفقر والشدة، فأتيت يوماً هذا الموضع فجاء على رأس الماء قِفاف من الخوص فأخذتها وبعتها وأنفقت عليهم، وأتيت اليوم الثاني والثالث والقفاف تجيء على رأس الماء، فكنت آخذها وأبيعها، واليوم ما جاءت! قال إبراهيم: فرفعت يدي إلى السماء وقلت: اللهم لو علمتُ أن لي خمسة من العيال لزدت في العمل. وقلت للعجوز: لا تغتمِّي؛ فإني الذي كنت أعمل ذلك. فمضيت معها، فكانت فقيرة فقمت بأمرها وبأمر عيالها سنين. أو كما قال.

قال محمد بن زياد المقيم بكلواذى ـ وكان قد بكى حتى ذهبت عيناه ـ: سألت إبراهيم الخواص: عن أعجب ما رآه في البادية؟ فقال: كنت ليلة من الليالي في البادية فنمت على حجر فإذا أنا بشيطان قد جاء وقال: قم من ها هنا. فقلت: اذهب. فقال: إني أرفسك فتهلك. فقلت: افعل ما شئت. فرفسني فوقعت رجله علي كأنها خرقة! فقال: أنت ولي الله، من أنت؟ قلت: أنا إبراهيم الخواص. قال: صدقت. ثم قال: يا إبراهيم معي حلال وحرام، فأما الحلال فرمان من الجبل المباح، وأما الحرام فحِيتانٌ، مررت على صيادَين وهما يصطادان فتخاونا، فأخذت الخيانة، فكل أنت الحلال ودع الحرام.

قال حامد الأسود: كنت مع إبراهيم الخواص في سفر فدخلنا إلى بعض الغياض فلما أدركنا الليل إذا بالسباع قد أحاطت بنا، فجزعت لرؤيتها وصعدت إلى شجرة، ثم نظرت إلى إبراهيم وقد استلقى على قفاه، فأقبلت السباع تلحسه من قرنه إلى قدميه، وهو لا يتحرك، ثم أصبحنا وخرجنا إلى منزل آخر وبتنا في مسجد فرأيت بقَّة وقعت على وجه إبراهيم فلسعته، فقال: أخ.

---

٦٧٥ ـ إبراهيم الخوّاص ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ٢٦ سنة ٢٩١)، الحلية (١٠/ ٣٢٥)، القشيرية (٣١)، طبقات ابن الملقن (١٦)، تاريخ بغداد (٦/ ٧)، طبقات السلمي (٢٨٤)، جامع كرامات الأولياء (١/ ٢٣٣).

فقلت: يا أبا إسحاق أي شيء هذا التأوه؟ أين أنت من البارحة؟ فقال: ذاك حال كنت فيه بالله، وهذا حال أنا فيه بنفسي.

قال علي بن محمد الحلواني: كان إبراهيم الخواص جالساً في مسجد الري وعنده جماعة إذ سمع ملاهي من الجيران، فاضطرب من ذلك من كان في المسجد وقالوا: يا أبا إسحاق ما ترى؟ فخرج إبراهيم من المسجد نحو الدار التي فيها المنكر فلما بلغ طرف الزقاق إذا كلب رابض فلما قرب منه إبراهيم نبح عليه وقام في وجهه. فرجع إبراهيم إلى المسجد، وتفكر ساعة، ثم قام مبادراً وخرج فمر على الكلب فبصبص الكلب له، فلما قرب من باب الدار خرج إليه شاب حسن الوجه وقال: أيها الشيخ لِمَ انزعجتَ؟ كنتَ وجهتَ ببعض من عندك فأبلغ كل ما تريد، وعلي عهد الله وميثاقه لا شربت أبداً. وكسر جميع ما كان عنده من الشراب وآلته، وصحب أهل الخير، ولزم العبادة.

ورجع إبراهيم إلى مسجده، فلما جلس سئل عن خروجه في أول مرة ورجوعه؟ ثم خروجه في الثانية؟ وما كان من أمر الكلب؟ فقال: نعم، إنما نبح علي الكلب لفساد كان قد دخل علي في عقد بيني وبين الله لم أنتبه له في الوقت، فلما رجعت إلى الموضع ذكرتُه، فاستغفرت الله عز وجل منه، ثم خرجت الثانية فكان ما رأيتم، وهكذا كل من خرج لإزالة منكر فتحرك عليه شيء من المخلوقات فلفساد عقدٍ بينه وبين الله عز وجل، فإذا وقع الأمر على الصحة لم يتحرك عليه شيء.

قال أبو بكر بن محمد بن عبد الله الأنصاري: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص يقول: من لم يصبر لم يظفر، وإن لإبليس وثاقين ما أُوثِق بنو آدم بأوثق منهما: خوف الفخر والطمع.

قال الأزدي: سمعت إبراهيم الخواص يقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السَّحَر، ومجالسة الصالحين.

وقال: على قدر إعزاز المرء اللهَ يُلبسه الله من عزه، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين.

قال جعفر بن محمد الخلدي: سمعت إبراهيم الخواص يقول: من لم تبكِ الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه.

قال خير النساج: سمعت إبراهيم الخواص وقد رجع من سفره، وكان غاب عني سنين، فقلت له: ما الذي أصابك في سفرك؟ فقال: عطشت عطشاً شديداً حتى سقطت من شدة العطش، فإذا أنا بماء قد رُشّ على وجهي، فلما أحسست ببرده فتحت عيني، فإذا برجل حسن الوجه والزي، وعليه ثياب خضر على فرس أشهب فسقاني حتى رويت، ثم قال: ارتدف خلفي. وكنت بالحاجر، فلما كان بعد ساعة قال: أي شيء ترى؟ قلت: المدينة. فقال: انزل، واقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام، وقل: أخوك الخضر يسلم عليك[1].

وقد رويت لنا هذه الحكاية من طريق آخر، وفيها: قل له: رضوان يقرأ عليك السلام كثيراً.

---

(١) موضوع الخضر عليه السلام اختلف فيه العلماء كثيراً حول وجوده وموته؟ وحول صحة المرويات عن لقائه من بعض الصالحين؟ انظر «الحذر في أمر الخضر» للأستاذ رمضان يوسف.

قال عمر بن سفيان المنبجي قال: اجتاز بنا إبراهيم الخواص فقلت له: حدثني بأعجب ما رأيت في أسفارك. قال: لقيني الخضر فسألني الصحبة؟ فخشيت أن يفسد علي سر توكلي بسكوني إليه، ففارقته[1].

قال محمد بن عبد الله الرازي: مرض إبراهيم الخواص بالري في مسجد الجامع وكان به علة القيام، وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل ويعود إلى المسجد فيركع ركعتين، فدخل مرة ليغتسل فخرجت روحه، وتوفي وسط الماء.

قلت: كان الخواص من أقران الجنيد والثوري، وصحب أبا عبد الله المغربي، ولا نعرف له مسنداً، وتوفي في جامع الري سنة إحدى وتسعين ومائتين، ويقال: سنة أربع وثمانين، وتولى أمره في غسله ودفنه يوسف بن الحسين الرازي.

٦٧٦ ـ يوسف بن الحسين الرازي

يكنى أبا يعقوب: قال محمد بن موسى الرازي: سمعت بن الحسين يقول: علم القوم أن الله يراهم، واستحيَوا من نظره أن يراعوا شيئاً سواه.

وقال: يتولد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنّة.

قال فارس البغدادي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: على قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر حبك لله عز وجل يحبك الخلق، وعلى قدر شغلك بأمر الله يشغل الخلق بأمرك.

قال أبو الحسن علي بن إبراهيم البغدادي: سمعت أبا عبد الله الخناقاباذي يقول: حضرنا يوسف ابن الحسين الرازي وهو يجود بنفسه، فقيل له: يا أبا يعقوب قل شيئاً! فقال: اللهم إني نصحت خلقك ظاهراً، وغششت نفسي باطناً، فهب لي غشي لنفسي لنصحي لخلقك. ثم خرجت روحه.

قال أبو الحسين علي إبراهيم الرازي: حكى لي أبو خلف الوزان عن يوسف بن الحسين: أنه رئي في المنام فقيل له: ماذا فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني. فقيل: بماذا؟ قال: بكلمة أو كلمات قلتها عند الموت؛ قلت: اللهم إني نصحت الناس قولاً، وخنت نفسي فعلاً فهب خيانة فعلي لنصح قولي.

سمع يوسف بن الحسين من أحمد بن حنبل، وذي النون وغيرهما، وتوفي سنة أربع وثلثمائة.

---

(١) لا شك أنها رواياتُ حكاياتٍ تحتاج إلى الكثير من النظر!! أولاً ـ في صحة وقوعها وثبوته. ثانياً ـ في حياة الخضر ذاتها؛ إذ هي مختلف فيها، والأكثر على أنه غير حي. ثالثاً ـ في التعالي على الخضر ـ إن سلم ما سبق ـ وهو فوق المذكور منزلةً يقيناً!!

٦٧٦ ـ يوسف الرازي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ١٧١ سنة ٣٠٤)، تاريخ بغداد (١٤/ ٣١٤)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١٨٦)، طبقات السلمي (١٨٥)، الحلية (١٠/ ٢٣٨)، طبقات ابن الملقن (٣٧٩)، العبر (٢/ ١٢٨)، القشيرية (٢٩)، شذرات الذهب (٢/ ٢٤٥).

٦٧٧ ـ أبو عثمان: سعيد بن إسماعيل الحيري

ولد بالري، إلا أنه خرج إلى نيسابور مع شيخه شاه بن شجاع يزوران أبا حفص النيسابوري فزوجه أبو حفص ابنته، وتوطن نيسابور، ومات بها.

قال أبو عمرو بن نجيد: كنت أختلف إلى أبي عثمان مدة في وقت شبابي، وكنت قد حظيت عنده، فقُضي من القضاء: أني اشتغلت بشيء مما يشتغل به الفتيان، فنقل ذلك إلى أبي عثمان، وانقطعت عنه بعد ذلك، وكنت إذا رأيته في الطريق اختفيت، فدخلت يوماً سكة من السكك فخرج علي أبو عثمان من عطفة فلم أجد عنه محيصاً، فتقدمت إليه وأنا دهش متَشوِّر[1]. فقال لي: يا أبا عمرو لا تثقن بمودة من لا يحبك إلا معصوماً!.

قال محمد بن حمدويه الحافظ: سمعت أمي تقول: سمعت مريم امرأة أبي عثمان تقول: كنا نؤخر اللعب والضحك والحديث إلى أن يدخل أبو عثمان في ورده من الصلاة، فإنه كان إذا دخل الخلوة لم يحس بشيء من الحديث وغيره.

قال محمد بن نعيم الضبي: سمعت أمي تقول: سمعت مريم امرأة أبي عثمان تقول: صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتنمتها فقلت: يا أبا عثمان أي عملك أرجى عندك؟ فقال: يا مريم لما ترعرت وأنا بالري كانوا يريدونني على التزويج فأمتنع، فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حباً أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسّل به إليك أن تتزوج بي.

قلت: ألك والد؟ قالت: نعم، فلان الخياط في موضع كذا وكذا. فراسلت أباها أن يزوجها مني، ففرح بذلك، وأحضرت الشهود فتزوجتها، فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء شوهاء الخلق.

فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي. وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك، وأزيدها براً وإكراماً إلى أن صارت بحيث لا تدعني أخرج من عندها، فتركت حضور المجالس إيثاراً لرضاها، وحفظاً لقلبها، ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة، وكأني في بعض أوقاتي على الجمر! وأنا لا أبدي لها شيئاً من ذلك، إلى أن ماتت فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي.

قال أبو عمرو بن حمدان: سمعت أبا عثمان الحيري يقول: من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

قال ابن حمدان: وقرأت بخط أبي: سمعت أبا عثمان يقول: الخوف من الله يوصلك إليه، والعجب يقطعك عنه، واحتقار الناس في نفسك مرض لا يداوى.

---

٦٧٧ ـ أبو عثمان الحيري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ١٦٩ سنة ٢٩٨)، تاريخ بغداد (٩/ ٩٩)، الحلية (١٠/ ٢٤٤)، العبر (٢/ ١١)، شذرات الذهب (٢/ ٢٣٠)، طبقات السلمي (١٧٠)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٦٩).

(١) قال ابن منظور في اللسان (٤/ ٤٣٦): التشوير: أن تُشَوِّر الدابةُ تنظرُ كيف شوارُها؟ أي: كيف سَيْرتُها.

وقال أبو عثمان: حق لمن أعزه الله بالمعرفة أن لا يذل نفسه بالمعصية.

قال أبو الحسين الوراق: سمعت أبا عثمان يقول، وقد سئل عن الصحبة؟ فقال: الصحبة مع الله عز وجل بحسن الأدب، ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول ﷺ باتباع سنته، ولزوم ظاهر الحكم، والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة، والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخلق، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر والانبساط ما لم يكن إثماً، والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم، والرحمة عليهم، ورؤية نعمة الله عليك إذ عافاك مما ابتلاهم به.

قال محمد بن أحمد بن يوسف: سمعت أبا عثمان يقول: الذكر الكثير أن تذكر في ذِكرك أنك لا تصل إلى ذكره إلا به وبفضله.

قال عبد الكريم بن هوران: سمعت أبا عثمان السلمي يقول: سمعت عبد الله بن محمد الشيرازي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته.

قال أبو عمرو بن مطر: حضرت مجلس أبي عثمان الخيري فخرج، ثم قعد على موضعه الذي كان يقعد فيه للتذكير، فسكَتَ حتى طال سكوته، فناداه رجل: ترى أن تقول في سكوتك شيئاً؟ فأنشا يقول:

وغير تقيّ يأمر الناسَ بالتقى طبيبٌ يداوي والطبيبُ مريض

فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج.

قال عبد الله الرازي: لما تغيرت الحال على عثمان وقت وفاته، مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه، ففتح أبو عثمان عينه وقال: يا بني؛ خلافُ السنة في الظاهر من رياءٍ في باطن القلب الباطن.

أسند أبو عثمان عن حمدون القصار، وتوفي يوم الثلاثاء لعشر بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين.

انتهى ذكر أهل الري

ومن عبّاد دامغان

٦٧٨ ـ فاطمة بنت عمران

كانت كثيرة الاجتهاد.

قال الحسن بن علي: قدم علينا أبو محمد الرملي فلقي فاطمة فقال: هذه زاهدةُ وقتِها. وكانت مستجابة الدعوة، مقيمة على تعهد الفقراء إلى أن ماتت.

ذكر المصطَفَين من أهل بسطام

٦٧٩ ـ أبو يزيد البسطامي

واسمه طيفور بن عيسى بن سروشان، وكان سروشان مجوسياً فأسلم، وكان لعيسى ثلاثة أولاد: أبو يزيد وهو أوسطهم، وآدم، وهو أكبرهم، وعلي وهو أصغرهم، وكانوا كلهم عبّاداً زهاداً.

قال إبراهيم الهروي: سمعت أبا يزيد البسطامي يقول: غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء: توهمت أني أذكره، وأعرفه، وأحبه، وأطلبه. فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري، ومعرفته تقدمت معرفتي، وطلبه لي أولاً حتى طلبته.

قال منصور: وسمعت أبا عمران موسى بن عيسى يقول: سمعت أبي يقول: قال أبو يزيد: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد علي من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لتعبت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد.

وقال أبو يزيد: لا يعرف نفسه من صحبته شهوته.

[عن] إبراهيم الهروي قال: سمعت أبا يزيد البسطامي، وسئل ما علامة العارف؟ قال: أن لا يفتر من ذِكْره، ولا يمل من حقه، ولا يستأنس بغيره.

وقال: إن الله أمر العباد ونهاهم، فأطاعوا، فخلَعَ مِنْ خِلَعه، فاشتغلوا بالخِلَع عنه، وإني لا أريد من الله إلا الله.

وقال منصور: وسمعت موسى بن عيسى يقول: سمعت عمي يقول: سمعت أبا يزيد يقول: لو صَفَتْ لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء.

[عن] إبراهيم الهروي قال: سمعت أبا يزيد يقول: هذا فرحي بك وأنا أخافك؛ فكيف فرحي بك إذ أمنتك؟. وسئل: بما نالوا المعرفة؟ قال: بتضييع ما لَهُم، والوقوف مع ما له.

وقال: اطلع الله على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً، فأشغلهم بالعبادة.

[عن] العباس بن حمزة قال: صليت خلف أبي يزيد البسطامي الظهر، فلما أراد أن يرفع يديه ليكبر لم يقدر إجلالاً لاسم الله، وارتعدت فرائصه حتى كنت أسمع تقعقع عظامه، فهالني ذلك.

عن أبي موسى عن أبي يزيد البسطامي قال: ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير؛ بل إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير.

---

٦٧٩ ـ أبو يزيد البسطامي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٢/ ١٦٦ سنة ٢٦١)، الحلية (١٠/ ٣٣)، طبقات السلمي (٦٧)، وفيات الأعيان (١/ ٢٤٠)، ميزان الاعتدال (١/ ٤٨١)، تاريخ ابن كثير (١١/ ٣٥)، شذرات الذهب (٢/ ١٤٣)، طبقات ابن الملقن (٢٤٥)، العبر (٢/ ٢٣).

قال: وقال أبو يزيد: لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالاً لله أن أذكره.

قال: وقال أبو يزيد: إن في الطاعات من الآفات ما لا يحتاجون إلى أن يطلبوا في المعاصي.

قال: وقال أبو يزيد: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر.

قال: وقال أبو يزيد: أشد المحجوبين عن الله ثلاثة بثلاثة، أولهم: الزاهد بزهده، والثاني: العابد بعبادته، والثالث: العالم بعلمه. ثم قال: مسكين الزاهد، لو علم أن الله عز وجل سمى الدنيا كلها قليلاً فكم مَلَك من الدنيا؟ وفي كم زهد مما ملك؟ وأما العابد فلو رأى مِنَّةَ الله عليه في العبادة عرف عبادته في المنة، وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله عز وجل من العلم سطرٌ واحد من اللوح المحفوظ، فكم علم هذا العالم من ذلك السطر؟ وكم عمل مما علم؟.

قال: سمعت أبا يزيد يقول: ما ذكروه إلا بالغفلة، ولا خدموه إلا بالفترة.

وقال: أكثر الناس إشارةً إليه أبعدُهُم منه.

وسأله رجل: من أصحب؟ فقال: من لا تحتاج أن تكتمه شيئاً مما علمه الله منك.

قال عبيد بن عبد القاهر: قال أبو يزيد: غبت عن الله عز وجل ثلاثين سنة، وكانت غيبتي عنه ذكري إياه، فلما خنست عنه وجدته في كل حال. فقال له رجل: ما لك لا تسافر؟ قال: لأن صاحبي لا يسافر، وأنا معه مقيم. فقال السائل: إن الماء القائم قد كُرِه الوضوءُ منه!. فقال أبو يزيد: لم يروا بماء البحر بأساً، هو الطهور ماؤه، الحِلُّ ميتته. ثم قال: قد ترى الأنهار تجري؛ لها دوي وخرير، حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به سكن خريرها وحدّتها، ولم يحس بها ماء البحر، ولا ظهرت فيه زيادة، ولا إن خرجت منه استبان فيه.

قال قاسم الحداد: خرج أبو يزيد البسطامي في بعض سياحته فوقف على دجلة فالتقى به الشيطان، فحول وجهه ثم قال: وعزتك إنك تعلم أني ما عبدتك قط لهذا[1]، فلا تحجبني به عنك.

[قال] عبد الصمد بن محمد عن أبي يزيد: أنه صعد ليلة سور بسطام فلم يزل يدور على السور إلى وقت طلوع الفجر، يريد أن يقول: لا إله إلا الله. فيغلبه ما يريد عليه من هيبة الاسم فلا يستطيع أن يطلق بها لسانه، فلما كان وقت طلوع الفجر نزل فبال الدم.

قال الحسن بن علويه: قال أبو يزيد: قعدت ليلة في محرابي، فمددت رجلي، فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك فينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب.

قال الحسن بن علي: قال أبو يزيد: أبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه.

قال عبيد: قال أبو يزيد: طلقت الدنيا ثلاثاً بتاتاً لا رجعة لي فيها، وصرت إلى ربي وحدي فناديته بالاستغاثة: إلهي أدعوك دعاء من لم يبقَ له غيرك. فلما عرف صدق الدعاء من قلبي، واليأس

(١) أي: للتفاخر والرياء وطلب ثناء الناس.

من نفسي، كان أول ما ورد علي من إجابة هذا الدعاء: أن أنساني نفسي بالكلية، ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم.

قال أبو الحسن المروزي: سمعت امرأة أبي يزيد تقول: سمعت أبا يزيد يقول: دعوت نفسي إلى الله فأبت عليّ واستعصت، فتركتُها، ومضيتُ إلى الله عز وجل.

قال أبو موسى الديبلي: سمعت أبا يزيد يقول: الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه، وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبني! فقيل له: لِمَ؟ قال: لعله أن يقول لي فيما بين ذلك: يا عبدي، فأقول: لبيك. فقوله لي: «عبدي» أعجب إلي من الدنيا وما فيها. ثم بعد ذلك يفعل بي ما يشاء.

قال علي بن المثنى: سمعت عمي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد يقول: رأيت رب العزة تبارك وتعالى في المنام، فقلت: يا بار خدا(١)؛ كيف الطريق إليك؟ قال: اترك نفسك ثم تعالَ.

قال أبو موسى الديبلي: سمعت رجلاً يسأل أبا يزيد فقال: دلّني على عمل أتقرب به إلى ربي عز وجل؟ فقال: أحبب أولياء الله تعالى ليحبوك، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه، فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيغفر لك.

قال عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد: كان أبو يزيد يعظ نفسه، فيصيح عليها فيقول: يا مأوى كل سوء، المرأة إذا حاضت طهرت بثلاثة أيام أو أكثره بعشرة، أنت يا نفس قاعدة منذ عشرين وثلاثين سنة بعدُ ما طهرتِ! فمتى تطهرين؟ إن وقوفك بين يدي طاهر ينبغي أن يكون طاهراً.

قال أبو موسى الديبلي: سمعت أبا يزيد يقول: عرج قلبي إلى السماء، فطاف ودار، ورجع(٢)، فقلت: بأي شيء جئت معك؟ قال: المحبة والرضا.

عن أبي موسى الديبلي، عن أبي يزيد قال: نظرت فإذا الناس في الدنيا متلذذون بالنكاح والطعام والشراب، وفي الآخرة بالمنكوح والملذوذ، فجعلت لذتي في الدنيا ذِكر الله عز وجلّ وفي الآخرة النظر إلى الله عز وجل.

قال أبو موسى الديبلي: قلت لأبي يزيد: من أصحب؟ قال: من إذا مرضت عادك، وإذا أذنبت تاب عليك، ومن يعلم منك ما يعلمه الله منك.

[عن] جعفر بن علي الترمذي: أن أحمد بن خضرويه قال: رأيت رب العزة في منامي فقال لي: يا أحمد، كلُّ الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني.

ذكر أبو نعيم الأصبهاني: أنه لا يُعرَف لأبي يزيد حديثٌ مسند أصلاً إلا حديث واحد؛ رواه أبو الفتح الحمصي بإسناد له عن أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله»(٣).

---

(١) أي: يا الله. (٢) المقصود: التفكر والتأمل والتدبّر.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية كما في «الجامع الصغير» للإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ ورمز لضعفه (١/ ٣٣٦ برقم ٢٤٩٣).

قال أبو نعيم: وهو مركَّب على أبي يزيد، وليس من حديثه، والحمل فيه على الحمصي، فقد عثر منه على غير حديث ركَّبه.

قلت: وهذا الحديث الذي أشار إليه أبو نعيم هو الذي ذكره له أبو عبد الرحمن السلمي، ووجدت أنا لأبي يزيد ثلاثة أحاديث أخر مسندة، منها حديثان لا يثبتان فلم أذكرهما، والثالث قريب الحال؛ فاقتصرت عليه.

قال أبو موسى الديبلي ـ ابن أخت أبي يزيد البسطامي ـ: أنبأ أبو يزيد البسطامي ـ يعني طيفور بن عيسى ـ قال: أنبأ محمد بن منصور الطوسي، قال: أخبرنا سفيان بن عيينة عن محمد بن سوقة، عن نافع بن جبير ـ عم أم سلمة ـ قالت: ذكر رسول الله ﷺ الجيش الذي يُخسَف بهم، فقالت أم سلمة: لعل فيهم المُكْرَه! قال: «إنهم يبعثون على نياتهم»[1].

توفي أبو يزيد سنة إحدى وستين ومائتين، وله ثلاث وسبعون سنة.

٦٨٠ ـ أبو محمد البسطامي

قال أبو بكر محمد بن ثوابة المعبر: كنت [صاعداً][2] إلى الجبل في باب حلوان أيام الشتاء وعلي دثار وسروالان، أحدهما مبطن، على غاية مما يكون من الشدة، فلقيني رجل عليه خرقتان لا يتوارى بغيرهما، فعارضته مراراً ويروغ مني، فقلت له: لأي شيء تفر مني؟ أنا سبع! فقال: لو لقيني سبعون سبعاً كان أهون علي من لقائك. فقلت: أنا أمر كذا، وأنت تمضي كذا، قل لي شيئاً، ومر في ودائع الله تعالى. فقال: تسمع؟ فقلت: نعم. فأنشأ يقول:

إذا مـا عـدَتِ النفسُ ... عن الحق زجرناها
وإن مالت إلى الدنيا ... عن الأخرى منعناها
تخادعُنا ونخدعُها ... وبالصبر غلبناها
لها خوفٌ من الفقر ... وفي الفقر أنخناها

قال: فجئت إبراهيم بن شيبان بعد أربعة أيام أو خمسة، وقد فرقت جميع ما علي من الدثار. فلما دخلت عليه قال: من لقيت؟ فوصفت له. فقال: أبو محمد البسطامي في ذلك اليوم خرج من عندنا. وقال: أي شيء جرى بينك وبينه؟ فحدثته فأمر ابنه إسحاق فكتبها.

انتهى ذِكْرُ أهل بسطام

(١) أخرجه بلفظه أبو داود (٤٢٨٩)، وانظر البخاري (٧١٣٥)، والنسائي (٢٨٧٩)، للاطلاع على أصل هذا الحديث ورواياته.

(٢) في المطبوع: «مصاعداً».

ذِكْرُ المصطَفَين من أهل نيسابور

٦٨١ - يحيى بن يحيى النيسابوري

يكنى أبا زكريا: انظر البخاري أبو بكر المروزي: ذكر أبو عبد الله أحمد بن حنبل يوماً ابن المبارك فقال: ما رفعه الله إلا بخبيئة كانت له، ما أخرجت خراسان مثل ابن المبارك، ولا بعد ابن المبارك مثل يحيى بن يحيى.

قال المروزي: سمعت بعض الخراسانية يقول: إن يحيى بن يحيى شرب شربة دواء، فقالت له امرأته: لو قمت فترددت في الدار؟ فقال يحيى: ما أدري ما هذه المشية؟ أنا أحارب نفسي منذ أربعين سنة.

انظر البخاري أبو علي الحسن بن علي بن بندار الزنجاني: كان يحيى بن يحيى يحضر مجلس مالك فانكسر قلمه، فناوله المأمون قلماً من ذهب أو مقلمة ذهب، فامتنع عن قبوله! فقال له المأمون: ما اسمك؟ قال: يحيى بن يحيى النيسابوري. فقال: تعرفني؟ قال: نعم، أنت المأمون ابن أمير المؤمنين. قال: فكتب المأمون على ظهر جزئه: ناولت يحيى بن يحيى النيسابوري قلماً في مجلس مالك فلم يقبله.

فلما أفضت الخلافة إليه بعث إلى عامله بنيسابور، وأمره أن يولي يحيى بن يحيى القضاء، فبعث إليه يستدعيه. فقال بعض الناس: إنه يمتنع من الحضور، وليته أذن للرسول، فأنفذ إليه كتاب المأمون فقرئ عليه، فامتنع من القضاء، فرد إليه ثانياً، وقال: إن أمير المؤمنين يأمرك بشيء وأنت من رعيته وتأبى عليه؟ فقال: قل لأمير المؤمنين: ناولتني قلماً وأنا شاب فلم أقبله! فتجبروني الآن على القضاء وأنا شيخ؟ فرفع الخبر إلى المأمون.

قال: قد علمت امتناعه، ولكن ولِّ القضاء رجلاً تختاره. فبعث إليه العامل في ذلك، فاختار رجلاً فوُلِّي القضاء، ودخل على يحيى وعليه سواد فضم يحيى فراشاً كان جالساً عليه كراهية أن يجمعه وإياه. فقال: أيها الشيخ ألم تخترني؟ قال: إنما قلت: اختاروه. وما قلت لك: تقلد القضاء.

روى يحيى بن يحيى عن مالك، والليث بن سعد وغيرهما، وتوفي في يوم الأربعاء سلخ صفر سنة ست وعشرين ومائتين.

٦٨٢ - إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم

أبو يعقوب الحنظلي، ويقال له: ابن راهويه، أحد أئمة الإسلام، رحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام، وعاد فاستوطن نيسابور.

---

٦٨١ - يحيى النيسابوري - رحمه الله -: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ١١٣ سنة ٢٢٦)، تاريخ بغداد (١٢/ ٣٢٩)، الجرح والتعديل (٩/ ١٩٧)، شذرات الذهب (٢/ ٥٩)، التاريخ الكبير (٨/ ٣١٠).

٦٨٢ - إسحاق ابن راهويه - رحمه الله -: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ٢٥٩ سنة ٢٣٨)، التاريخ الكبير (١/ ٣٧٩)، تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٧).

[عن] محمد بن أسلم الطوسي قال: حين مات إسحاق الحنظلي: ما أعلم أحداً كان أخشى لله من إسحاق، وكان أعلم الناس، ولو كان سفيان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق.

قال محمد بن عبد السلام: فأخبرت بذلك محمد بن يحيى الصفار فقال: والله لو كان الحسن البصري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق في أشياء كثيرة.

[عن] الحسن بن عبد الصمد قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: أحفظ سبعين ألف حديث كأنها نصب عيني.

قال أبو عبد الرحمن الجوزجاني: سمعت أحمد بن حنبل ـ وذكر إسحاق ـ فقال: لا أعلم ولا أعرف لإسحاق بالعراق نظيراً.

[عن] أبو داود الخفاف قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يعبر الجسر مثل إسحاق.

[عن] الفضل بن عبد الله الحميري قال: سألت أحمد بن حنبل عن رجال خراسان؟ فقال: أما إسحاق بن راهويه فلم يُر مثله.

قال أبو يحيى الشعراني: ما رأيت بيد إسحاق كتاباً قط، ما كان يحدث إلا حفظاً، وقال: كنت إذا ذاكرت إسحاق العلم وجدته فيه فرداً، فإذا جئت إلى أمر الدنيا رأيته لا رأي له.

أسند إسحاق عن جرير بن عبد الحميد، وإسماعيل بن عليه، وسفيان بن عيينة، ووكيع، في خلق لا يُحصَون، وتوفي بنيسابور ليلة النصف من شعبان؛ سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

٦٨٣ ـ محمد بن رافع بن أبي يزيد أبو عبد الله النيسابوري القشيري

قال زكريا بن دلويه: بعث طاهر بن عبد الله إلى محمد بن رافع بخمسة آلاف درهم على يد رسوله، فدخل عليه بعد صلاة العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل، فوضع الكيس بين يديه فقال: بعث الأمير طاهر بهذا المال إليك لتنفقه على أهلك. فقال: خذ، خذ، لا أحتاج إليه، فإن الشمس قد بلغت رءوس الحيطان، إنما تغرب بعد ساعة، وقد جاوزت الثمانين، إلى متى أعيش؟ فرد المال ولم يقبل. فأخذ الرسول المال وذهب، فدخل عليه ابنه فقال: يا أبة ليس لنا الليلة خبز. قال: فذهب بعض أصحابه خلف الرسول ليرد المال إلى حضرة صاحبه فزعاً من أن يذهب ابنه خلف الرسول فيأخذ المال.

قال زكريا: ربما يخرج إلينا محمد بن رافع في الشتاء الشاتي وقد لبس لحافه الذي يلبسه بالليل.

كان محمد بن رافع رفيق أحمد بن حنبل، وقد حدث عن عبد الرزاق، ومحمد بن إسماعيل بن أبي فديك، ووهب بن جرير وغيرهم، وأخرج البخاري ومسلم عنه في الصحيحين، وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين.

---

٦٨٣ ـ محمد بن رافع القشيري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ٣٣٦ سنة ٢٤٥)، الجرح والتعديل (٧/ ٢٥٤)، تهذيب التهذيب (٩/ ١٦١)، شذرات الذهب (٢/ ١٠٩)، العبر (١/ ٤٤٥).

٦٨٤ ـ أبو حفص النيسابوري

واسمه عمرو بن سلم، وقيل: عمرو بن سلمة.

وهو من أهل قرية على باب نيسابور يقال لها كورداباذ.

قال الخلدي: سمعت الجنيد ـ وذكر عنده أبو حفص النيسابوري ـ فقال: كان رجلاً من أهل الحقائق، ولو رأيته لاستغنيت، وقد يتكلم من طور بعيد، كان من أهل العلم البالغين، ولقد قال له يوماً رجل من أصحابه: كان من مضى لهم الآيات الظاهرة وليس لك من ذلك شيء. فقال له: تعالَ. فجاء به إلى سوق الحدادين، إلى [كُور][1] محمى عظيم فيه حديدة فأدخل عظيمة يده فأخذها فبردت في يده. فقال له: يجزيك؟ فأعظم ذلك وأكبره ثم مضى.

قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الرازي: دخلت مع أبي حفص على مريض، فقال المريض: آه. فقال: ممن؟ فسكت. فقال: مع من؟. أبو عثمان قال: دخل أبو حفص النيسابوري على مريض، فقال المريض: آه. فقال: ممن؟فسكت المريض. فقال أبو حفص: مع من؟ فقال له المريض: كيف أكون؟ وماذا أقول؟ فقال له أبو حفص: لا يكون أنينك شكوى، ولا سكوتك تجلداً، ولكن بين ذلك.

قال محمش الجلاب: صحبت أبا حفص اثنتين وعشرين سنة ما رأيته ذكر الله عز وجل على حد الغفلة والانبساط، ما كان يذكر إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة، وكان إذا ذكر الله تعالى تغيرت عليه حاله حتى كان يرى ذلك منه جميع من حضره.

وقال مرة ـ وقد ذكر الله تعالى وتغيرت عليه حاله، فلما رجع قال ـ: ما أبعد ذكرنا من ذكر المحققين! فما أظن أن محقاً يذكر الله على غير غفلة ثم يبقى بعد ذلك حياً إلا الأنبياء؛ فإنهم أُيِّدُوا بقوة، وخواص الأولياء بقوة ولاياتهم.

قال السلمي: وسمعت جدي يقول: كان أبو حفص إذا غضب تكلم في حسن الخلق حتى يسكن غضبه، ثم يرجع إلى حديثه.

قال محفوظ بن أحمد: قال أبو حفص: حرست قلبي عشرين سنة، ثم حرسني قلبي عشرين سنة، ثم وردت حالة صرنا فيها محروسين جميعاً.

قال السلمي: وسئل أبو حفص: من الولي؟ قال: من أُيِّد بالكرامات، وغُيِّب عنها.

وقال: ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح.

---

٦٨٤ ـ عمرو بن سلم النيسابوري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٢/ ٢٠٣ سنة ٢٦٥)، وفيه: «ابن مسلم» وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٠)، تاريخ ابن كثير (١١/ ٣٨)، الحلية (١٠/ ٢٢٩)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٣٥)، شذرات الذهب (٢/ ١٥٠)، العبر (٢/ ٣١)، طبقات السلمي (١١٥)، وفيه: عمرو بن سلم، ويقال: عمرو بن سَلَمة وهو الأصح إن شاء الله ا.هـ. القشيرية (٢٢).

(١) كُور: مِجْمَرةُ الحدّاد ا.هـ. وفي المطبوع: «كؤر» بهمز!!.

وقال: لا تكن عبادتك لربك سبباً لأن تكون معبوداً[(١)].

قال أبو علي الثقفي: كان أبو حفص يقول: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعدَّه في ديوان الرجال.

قال أبو أحمد بن عيسى: سمعت أبا حفص يقول: حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن، لأن النبي ﷺ قال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»[(٢)].

وسئل: من الرجال؟ قال: القائمون مع الله بوفاء العهود، قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

قال أبو محمد المرتعش: سمعت أبا حفص النيسابوري يقول: ما استحق اسم السخاء من ذَكَر العطاءَ، ولا من لَمَحَهُ بقلبه، وإنما يستحقه من نسيه حتى كأنه لم يُعْطِ.

قال أبو عثمان النيسابوري: خرجنا جماعة مع أستاذنا أبي حفص النيسابوري إلى خارج نيسابور، فجلسنا، فتكلم علينا الشيخ، فطابت أنفسنا، ثم بصرنا بأيل قد نزل من الجبل حتى برك بين يدي الشيخ، فأبكاه ذلك بكاء شديداً، فلما هدأ الشيخ سألناه فقلنا له: يا أستاذ تكلمت علينا وطابت قلوبنا، فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك! فأحببنا أن نعرف فقه ذلك؟ فقال: نعم؛ رأيت اجتماعكم حولي وقد طابت قلوبكم، فوقع في قلبي لو أن شاة ذبحتها ودعوتهم عليها! فما تحكَّم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي، فخيل لي أني مثل فرعون الذي سأل ربه أن يجري له النيل، فأجراه له. قلت: فما يؤمنني أن يكون الله تعالى يعطيني كل حظ لي في الدنيا، وأبقى في الآخرة فقيراً لا شيء لي؟ فهذا الذي أزعجني.

توفي أبو حفص سنة سبعين ومائتين، ويقال: سنة سبع وستين، ويقال: أربع وستين، ويقال: خمس وستين، ولا نعرف له مسنداً؛ إلا أنه قد رافق أحمد بن خضرويه البلخي وغيره من العباد.

٦٨٥ ـ علي بن شعيب السقّاء

حج نيفاً وخمسين حجة، أحرم في كل حجة من نيسابور، وكان يصلي في البادية عند كل ميل ركعتين، ثم يقول: قال الله عز وجل: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨] وهذه منافع حجي.

---

(١) بأن تتعالى على مَنْ حولك ممن يجاورك لتَدُلَّه على الله تعالى؛ فتدلّه على نفسك بتعظيمها وتقديسها، وتصوِّر أن تعظيمهم لك تعظيمٌ لله تعالى ولدينه... فتَهلَك وتُهلِك!.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٣/ ٢١٠) و(٤/ ٢٤)وابن شيبة في مصنفه (٢/ ٨٦) وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣٠). عن أبي هريرة، وهو ضعيف كما قال الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ في الجامع الصغير (٢/ ٣٧١ برقم ٧٤٤٧).

٦٨٦ ـ أبو صالح: حمدون بن أحمد بن عمارة القصار

قال عبد الله بن مبارك: قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق.

وقال: كفايتك تساق إليك من غير تعب ولا نصب، وإنما التعب في الفضول.

قال عبد الله بن مبارك: سفَّه رجل على حمدون، فسكت حمدون عنه وقال: يا أخي لو نقصتني كل نقص لم تنتقصني كنقصي عندي. ثم قال: سفَّه رجل على إسحاق الحنظلي فاحتمله وقال: لأي شيء تعلمنا العلم؟.

قال عبد الله الحجام: قال حمدون: إذا رأيت سكراناً فتمايلْ لئلا تنعى عليه فتُبتلى بمثل ذلك.

قال السلمي: وقال حمدون: من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال.

وقال: لا تُفشِ على أحد ما تحب أن يكون مستوراً منك.

وقال: من استطاع منكم أن لا يعمى عن نقصان نفسه فليفعل.

أسند حمدون عن إبراهيم الزراد عن ابن نمير، وصحب أبا تراب النخشي، وتوفي سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور.

٦٨٧ ـ أبو بكر: عبد الله بن محمد بن زيد بن واصل النيسابوري

جمع بين علم الحديث والفقه والتقوى، وسمع من محمد بن يحيى الذهلي، والحسن بن محمد الزعفراني، وعباس الدوري، في خلق كثير، وكان من الحفاظ المتقنين.

كان الدارقطني يقول: ما رأينا في مشايخنا أحفظ منه للأسانيد والمتون، وكان أفقه المشايخ.

قال أبو بكر النيسابوري: أعرف من أقام أربعين سنة لم ينم الليل، ويتقوت كل يوم بخمس حبات، ويصلي صلاة الغداة على طهارة عشاء الآخرة. ثم قال: أنا هو، وهذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمن، أي شيء أقول لمن زوّجني؟ ثم يقول في إثر هذا: ما أراد إلا الخير.

توفي أبو بكر النيسابوري في شهر ربيع الآخر من سنة أربع وعشرين وثلثمائة.

ذكر [المصطَفَيات][1] من عابدات نيسابور

٦٨٨ ـ فاطمة النيسابورية

قال محمد بن الحسن بن علي بن خلف: سمعت ابن ملوك ـ وكان شيخاً كبيراً، رأى ذا النون المصري ـ قال: وسألته: مَن أجلُّ من رأيتَ؟ قال: ما رأيت أجل من امرأة رأيتها بمكة يقال لها فاطمة

---

٦٨٦ ـ حمدون القصار ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٢/ ٢٤٦ سنة ٢٧١)، الأنساب للسمعاني (١٠/ ١٦٤)، الحلية (١٠/ ٢٣١)، طبقات السلمي (١٢٣)، القشيرية (٢٤)، تاريخ الإسلام (١٦/ ٥٨).

(١) في المطبوع: «المصطفين».

النيسابورية، وكانت تتكلم في فهم القرآن، وتعجبت منها، فسألت ذا النون عنها؟ فقال لي: هي ولية من أولياء الله عز وجل وهي أستاذي. فسمعتها تقول: من لم يكن الله عز وجل منه على بال فإنه يتخطى في كل ميدان، ويتكلم بكل لسان، ومن كان الله منه على بال أخرسه إلا عن الصدق، وألزمه الحياء منه والإخلاص.

قال: وقالت فاطمة: الصادق المقرَّب في بحر تضطرب عليه أمواج، يدعو ربه دعاء الغريق يسأل ربه الخلاص والنجاة.

وقالت فاطمة: من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص.

قال السلمي: كانت فاطمة النيسابورية من قدماء نساء خراسان، أتى إليها أبو يزيد البسطامي، وسألها ذو النون عن مسائل، وكانت مجاورة بمكة، وربما دخلت إلى بيت المقدس، ثم رجعت إلى مكة.

وقال أبو يزيد البسطامي: ما رأيت في عمري إلا رجلاً وامرأة، والمرأة فاطمة النيسابورية، ما أخبرتها عن مقام من المقامات إلا وكان الخبر لها عياناً.

وقال لها ذو النون: عظيني. ـ وقد اجتمعا ببيت المقدس ـ قالت له: الزم الصدق، وجاهد نفسك في أفعالك.

ماتت فاطمة بمكة في طريق العمرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

٦٨٩ ـ عائشة بنت أبي عثمان: سعيد بن إسماعيل الحيري النيسابوري

قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي: كانت عائشة بنت أبي عثمان من أزهد أولاد أبي عثمان وأورعهم وأحسنهم حالاً ووقتاً، وكانت مجابة الدعوة، سمعت ابنتها أم أحمد بنت عائشة تقول: قالت لي أمي: لا تفرحي بفانٍ، ولا تجزعي من ذاهب، وافرحي بالله عز وجل، واجزعي من سقوطك من عين الله عز وجل.

وسمعتها تقول: قالت لي أمي: الزمي الأدب ظاهراً وباطناً، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً، ولا أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً.

وقالت عائشة: من استوحش من وحدته فذاك لقلَّة أنسه بربه.

وقالت: من تهاون بالعبد فهو من قلة معرفته بالسيد، فمن أحب الصانع أحب صنعته.

ماتت عائشة سنة ست وأربعين وثلثمائة.

انتهى ذِكْرُ أهلِ نيسابور بحمد الله ومنِّهِ

ذكر المصطَفَين من أهل طوس

٦٩٠ ـ محمد بن أسلم: أبو الحسن الطوسي

قال أبو عبد الله محمد بن القاسم الطوسي، خادم ابن أسلم: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: لم أسمع بعالم منذ خمسين سنة كان أشد تمسكاً بأثر النبي ﷺ من محمد بن أسلم.

قال أبو عبد الله: وكتب إلي أحمد بن نصر: أن اكتب إليّ بحال محمد بن أسلم؛ فإنه ركن من أركان الإسلام.

قال أبو عبد الله: وقال لي محمد بن أسلم: يا أبا عبد الله ما لي ولهذا الخلق؟ كنت في صلب أبي وحدي، ثم صرت في بطن أمي وحدي، ثم دخلت الدنيا وحدي، ثم يُقبَض روحي وحدي، ثم أدخل في قبري وحدي، ثم يأتيني منكر ونكير فيسألاني وحدي، فإن صرت إلى خير صرت وحدي، ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي، وإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدي، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي؛ فما لي وللناس؟ ثم تفكر ساعة، فوقعت عليه الرعدة حتى خشيت أن يسقط، وصحبته نيفاً وعشرين لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة، ولا يسبِّح ولا يقرأ حيث أراه، ولم يكن أحد أعلم بسره وعلانيته مني.

وسمعته يحلف كذا كذا مرة: لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملَكاي لفعلت، ولكني لا أستطيع ذلك خوفاً من الرياء.

وكان يدخل بيتاً ويغلق بابه، ويُدخل معه كوزاً من ماء فلم أدر ما يصنع؟ حتى سمعت ابناً له صغيراً يحكي بكاءهَ. فنهته أمه! فقلت لها: ما هذا البكاء؟ فقالت: إن أبا الحسن يدخل هذا البيت فيقرأ القرآن، ويبكي، فيسمعه الصبي فيحكيه.

وكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه واكتحل، ولا يُرى عليه أثر البكاء.

وكان يصل قوماً ويعطيهم ويكسوهم، فيبعث إليهم ويقول للرسول: انظر أن لا يعلموا من بعثه إليهم؟ ويأتيهم هو بالليل فيذهب به إليهم، ويخفي نفسه فربما بليت ثيابهم ونفذ ما عندهم ولا يدرون من الذي أعطاهم؟ ولا أعلم منذ صحبته وصل أحداً بأقل من مائة درهم؛ إلا أن لا يمكنه ذلك، وكنت أخبز له، فما نخلت له دقيقاً إلا أن أعصيه. وكان يقول لي: اشتر شعيراً أسود قد تركه الناس فإنه يصير إلى الكنيف، ولا تشتري لي إلا ما يكفيني يوماً بيوم.

وكان يقول: والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت نفساً تصلي إلى القبلة شراً عندي من نفسي.

ودخلت عليه قبل موته بأربعة أيام بنيسابور، فقال: يا أبا عبد الله تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير، قد نزل بي الموت، وقد منَّ الله علي أنه ليس عندي درهم يحاسبني الله عليه، وقد علم ضعفي، فإني لا أطيق الحساب، فلم يدع عندي شيئاً يحاسبني عليه. ثم قال: أغلق الباب ولا

---

٦٩٠ ـ محمد بن أسلم ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ٣٠٢ سنة ٢٤٢)، الحلية (٩/ ٢٣٨)، النجوم الزاهرة (٢/ ٣٠٨)، تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٨)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٨٢)، الجرح والتعديل (١/ ٢٠٣).

تأذن لأحد علي حتى أموت، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثاً غير كسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ فيه، وكتبي.

وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهماً فقال: هذا لابني، أهداه إليه قريب له، ولا أعلم شيئاً أحل له منه لأن النبي ﷺ قال: «أنت ومالك لأبيك»[1] فكفِّنوني، منها فإن أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتي لبدي، وغطوا علي بكسائي، وتصدقوا بإنائي، أعطوه مسكيناً يتوضأ منه. ثم مات اليوم الرابع.

سمع أبو الحسن بن أسلم من أصحاب الأعمش، وأصحاب الثوري، والأوزاعي في آخرين. وتوفي، فصلى عليه ألف ألف تقريباً.

٦٩١ ـ أبو العباس: أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي

أصله من طوس، لكنه سكن بغداد، ومات بها.

قال جعفر بن محمد بن نصير: سمعت أبا العباس بن مسروق يقول: قدم علينا شيخ فكان يتكلم علينا بكلام حسن، وكان عذب اللسان جيد الخاطر، فقال لنا في بعض كلامه: كل ما وقع لكم في خواطركم فقولوا لي. فوقع في قلبي أنه يهودي، وكان الخاطر يقوى، ولا يزول، فذكرت ذلك للحريري، فكبر عليه ذلك! فقلت: لا بد من أن أخبر الرجل بذلك. فقلت له: تقول كل ما وقع في خاطركم فقولوه لي؟ إنه يقع لي أنك يهودي؟ فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: صدقت! أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. وقال: قد مارست جميع المذاهب، فأنتم على الحق، وحسن إسلامه.

قال أبو سعيد بن عطاء: إن الجنيد رأى فيما يرى النائم قوماً من الأبدال فسأل: هل ببغداد أحد من الأولياء؟ فقالوا: نعم؛ أبو العباس بن مسروق. قال: فقلت متعجباً: أبو العباس بن مسروق؟ فقالوا: نعم؛ أبو العباس بن مسروق من أهل الأنس بالله عز وجل.

[عن] علي بن عبد الله بن جهضم قال: أخبرنا المفيد، قال: سمعت أحمد بن مسروق يقول: كانت والدتي إذا كان يوم الجمعة تبكي، تعلم أني لا أنصرف من الجمعة إلا عليلاً لما قد سمعته من الشيوخ، وكنت أنظر إلى شيوخي فتكون رؤيتي لهم قُوْتي من الجمعة إلى الجمعة.

[عن] جعفر بن محمد بن نصير قال: سئل ابن مسروق ما التوكل؟ قال: اعتماد القلب على الله.

قال السلمي: وقال ابن مسروق: من راقب الله في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه.

وقال: أنت في هدم عمرك منذ خرجت من بطن أمك.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٩١).

٦٩١ ـ أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ١٠٧ سنة ٢٩٨)، الحلية (١٠/ ٢١٣)، تاريخ بغداد (٥/ ١٠٠)، ميزان الاعتدال (١/ ٧)، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٧)، لسان الميزان (١/ ٢٩٢)، طبقات السلمي (٢٣٧)، القشيرية (٢٠).

أسند ابن مسروق الكثير، وروى عن محمد بن بكار، وشيبان بن فروخ وخلق كثير، وصحب البرجلاني، ومحمد بن منصور الطوسي، والحارث المحاسبي، وسرياً السقطي.

وتوفي في صفر سنة ثمان وتسعين ومائتين، ودفن في مقابر باب حرب، وبلغ أربعاً وثمانين سنة.

انتهى ذِكْرُ أهل طوس بحمد الله ومنه

ذِكْرُ المصطَفَين من أهل هراة

٦٩٢ - إبراهيم بن طهمان

ولد بهراة، ونشأ بنيسابور، ورحل في طلب العلم، وكان حسن الخُلُق، سخياً، واسع النفس، مطعمَ الطعام كلَّ من أتاه من أهل العلم.

قال أبو زرعة: سمعت أحمد بن حنبل - وذكر عنده إبراهيم بن طهمان، وكان متكئاً من علة فاستوى جالساً - وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيُتَّكأ. ثم قال أحمد: حدثني رجل من أصحاب ابن المبارك قال: رأيت ابن المبارك في المنام، ومعه شيخ مهيب فقلت: من هذا معك؟ قال: أما تعرف هذا؟ هذا سفيان الثوري، فقلت: من أين أقبلتم؟ قال: نحن نزور في كل يوم إبراهيم بن طهمان. قلت: فأين تزورونه؟ قال: دار الصديقين؛ دار يحيى بن زكريا.

أسند إبراهيم بن طهمان عن جماعة من التابعين كعبد الله بن دينار، وأبي الزبير، وأبي حازم وغيرهم، وأقام بمكة، حتى توفي بها في سنة ثلاث وستين ومائة.

قال المسعودي: سمعت مالك بن سليمان يقول: مات إبراهيم بن طهمان سنة ثلاث وستين بمكة ولم يخلف مثله.

٦٩٣ - أبو عبيد: القاسم بن سلّام

كان أبوه عبداً رومياً لرجل من هراة، وولد أبو عبيد بهراة، ورحل في طلب العلم، فسمع من إسماعيل بن جعفر، وشريك، وإسماعيل بن عياش، وهشيم، وسفيان بن عيينة، وإسماعيل بن علية، ويزيد بن هارون، في خلق كثير.

---

٦٩٢ - إبراهيم بن طهمان - رحمه الله -: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٦٥ سنة ١٦٣)، تاريخ الطبري (٨/ ١٤٩)، وتاريخ بغداد (٦/ ١٠٥)، تهذيب التهذيب (١/ ١١٧ برقم ٢٠٣)، تهذيب الكمال (٢/ ١٠٨ برقم ١٨٦)، تاريخ البخاري الكبير (١/ ٢٩٤)، الجرح والتعديل (٢/ ١٠٧)، تاريخ ابن معين (٢/ ١٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢١٣)، ميزان الاعتدال (١/ ٣٨)، الكاشف (١/ ٨٣).

٦٩٣ - القاسم بن سلام - رحمه الله -: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ٩٥ سنة ٢٢٤)، تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠)، طبقات ابن سعد (٧/ ٣٥٥)، التاريخ الكبير (٧/ ١٧٢)، الجرح والتعديل (٧/ ١١١)، تاريخ ابن الأثير (٦/ ٥٠٩)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٥٧)، وفيات الأعيان (٤/ ٦٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤١٧)، العبر (١/ ٣٩٢)، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٧١)، معرفة القراء الكبار (١/ ١٤١)، الكاشف (٢/ ٣٩٠)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ٢٩١)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣١٥)، شذرات الذهب (٢/ ٥٤).

وكان عالماً بالقراءات، واللغة، والغريب، وصنف الكتب الكثيرة في فنون، وكان ذا فضل، ودين، وورع، وجود.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: عرضت كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد على أبي فاستحسنه، وقال: جزاه الله خيراً.

[عن] ابن عرعرة قال: كان طاهر بن عبد الله ببغداد فطمع في أن يسمع من أبي عبيد، وطمع في أن يأتيه في منزله. فلم يفعل أبو عبيد حتى كان هو يأتيه، فقدم علي بن المديني وعياش العنبري فأرادا أن يسمعا «غريب الحديث» فكان يحمل كل يوم كتابه، ويأتيهما في منزلهما، فيحدثهما به.

قال أبو بكر ابن الأنباري: كان أبو عبيد يقسم الليل أثلاثاً: فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويضع الكتب ثلثه.

قال أبو حاتم: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: مثل الألفاظ الشريفة والمعاني الظريفة مثل القلائد اللائحة في الترائب الواضحة.

سمعت إسحاق بن إبراهيم الحظلي يقول: أبو عبيد أوسعنا علماً، وأكثرنا أدباً، وأجمعنا جمعاً، وإنا نحتاج إلى أبي عبيد، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا.

قال ثعلب: لو كان أبو عبيد في بني إسرائيل لكان عجباً.

قال أحمد بن كامل القاضي: كان أبو عبيد القاسم بن سلام فاضلاً في دينه وعلمه، ربانياً متفنناً في أصناف علوم الإسلام، من القرآن والفقه والعربية والأخبار، حسن الرواية، صحيح النقل، لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أمره ودينه.

قال عبد الله بن طاهر: كان الناس أربعة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه.

[عن] إبراهيم الحربي قال: أدركت ثلاثة لن يُرى مثلهم أبداً؛ تعجز النساء أن يلدن مثلهم، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام، ما مثَّلته إلا بجبل نُفِخَتْ فيه روح، ورأيت بشر بن الحارث، ما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً، ورأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء، ويمسك عما شاء.

أقام أبو عبيد ببغداد مدة طويلة، ثم ولي القضاء بطرسوس، ثم خرج إلى مكة في سنة تسع عشرة ومائتين وأقام بها، وتوفي بها في سنة ثلاث وعشرين، وقيل: أربع وعشرين ومائتين؛ وهو ابن سبع وستين سنة.

٦٩٤ ـ إبراهيم بن علي الخراساني الهروي

قال إبراهيم الخواص: نزلت إلى مشرعة الساج من بغداد، وكان الماء مداً والريح تلعب

بالموج، فرأيت رجلاً بين الموج يمشي على الماء، فسجدت وجعلت بيني وبين الله تعالى: أن لا أرفع رأسي حتى أعلم من الرجل؟ فلم أطل في السجود حتى حركني وقال لي: قم؛ ولا تعاود، فأنا إبراهيم بن علي الخراساني.

قال عبد الله الخياط: قال إبراهيم الخراساني: احتجت يوماً إلى الوضوء فإذا أنا بكوز من جوهر، وسواك من فضة رأسه أَلْيَنُ من الخز، فأمسكت بالسواك، وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت.

قال أبو سعيد الخراز: قال لنا إبراهيم الهروي: بينما أنا في بعض سياحاتي وقد بقيت أياماً كثيرة لم أر فيها أحداً من الناس، ولا طائراً، ولا ذا روح، وكنت في تلك الحال مستقلاً بلا طعام ولا شراب، فوقع في نفسي أني في معنى، فخرج علي شخص مع الخاطر لا أدري من أين خرج؟ فقال لي: يا إبراهيم، ذلك المرائي تعرفه؟ قلت: أنا هو. قال: وكان إلى جنبي شجرة فقال لي: قل لهذه الشجرة: تحمل دنانير. قلت: احملي دنانير. فلم تحمل. ثم قال لها: احملي. فإذا بشماريخ دنانير معلقة، فاشتغلت أنظر إليها، ثم التفتُّ فلم أر الشخص، وذهبت الدنانير من الشجرة.

قال أبو سعيد: وسمعته يقول: بينما رجل في مسير له في يوم صائف إذ عدل إلى «شعب» فأصاب فيه مغارة، قال: فدخلت فيها، فما لبثت أن دخل علي ثعبان كأنه النخلة فتطوق في شق المغارة، فجعل ينظر إليّ، فقلت في نفسي: لعلي رِزْقٌ له! وهالني أمره، فما لبث أن خرج من المغارة، ثم أقبل إليّ وفي فيه رغيف حواري قد ذهبت منه عضة، فوضعه عند رأسي، ورجع إلى موضعه فتطوق فيه. فقمت فأكلت الرغيف، فلما برد النهار خرجت فسرت فلقيني رفقة، فقالوا: من أين جئت؟ قلت: من هذا الشعب. قالوا: هل رأيت ما رأينا؟ قلت: وما هو؟ قالوا: اعترض علينا في الرفقة ثعبان وقام على ذَنَبه، ونفخ، وكان معنا إنسان ظريف فيه أدب فقال: أظن هذا جائعاً. فرمى إليه رغيفاً حواري فأخذه الثعبان ومضى. فقلت: أنا أكلت الرغيف. ومضيت وخليتهم.

انتهى ذِكْرُ أهل هراة

ذِكْرُ المصطَفَين من أهل مرو

٦٩٥ ـ عبد الله بن المبارك

يكنى أبا عبد الرحمن، كان أبوه تركياً عند رجل من التجار من بني حنظلة، وكانت أمه تركية خوارزمية، ولد سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل: تسع عشرة.

قال الحسن: كانت أم ابن المبارك تركية، وكان الشبه لهم بيّناً فيه، وكان ربما خلع قميصه فلا

---

٦٩٥ ـ عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٩/ ٥٨ سنة ١٨١)، الحلية (٨/ ١٦٢)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨)، التاريخ الكبير (٥/ ٢١٢)، الجرح والتعديل (٥/ ١٧٩)، تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٢)، وفيات الأعيان (٣/ ٣٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٧٤)، العبر (١/ ٢٨٠)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢)، شذرات الذهب (١/ ٢٩٥).

أرى على صدره وجسده كثير شعر، وأخبرني غير واحد من أهله أنه ما دخل الحمام[1] قط.

قال: وكانت دار ابن المبارك بمرو كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعاً في خمسين ذراعاً، فكنتَ لا تحب أن ترى في داره صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجلاً له مروءة وقدر بمرو إلا رأيته في داره، يجتمعون في كل يوم [حِلَقاً][2] يتذاكرون، حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه. فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل في دار صغيرة، وكان يخرج إلى الصلاة، ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه، ولا يأتيه كثير أحد، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش ها هنا مع الذي كنت فيه بمرو؟ فقال: إنما فررت من مرو من الذي تراك تحبه، وأحببت ما ها هنا للذي أراك تكرهه لي، فكنت بمرو لا يكون أمر إلا أتوني فيه، ولا مسألة إلا قالوا: اسألوا ابن المبارك، وأنا ها هنا في عافية من ذلك.

قال: وكنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه، ودفعوه، فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا. يعني حيث لم نعرف ولم نوقَّر.

قال: وبينا هو بالكوفة يُقرأ عليه كتاب «المناسك»، انتهى إلى حديث وفيه: قال عبد الله: وبه نأخذ. فقال: من كتب هذا من قولي؟ قلت: الكاتب الذي كتبه. فلم يزل يحكه بيده حتى دُرِس، ثم قال: ومن أنا حتى يكتب قولي؟.

قال الحسن: وكنا على باب سفيان بن عيينة يوماً وأصحابَ الحديث وهم يرون أن عنده بعض هؤلاء الكبار يحدثه. فقال رجل: أعياني أن أرى رجلاً يسوي بين الناس في علمه. فقال له آخر: هذا عبد الله بن المبارك. قال: نعم؛ هات غيره، أتعرف غيره؟ فلما قدمت الكوفة ذكرت لابن المبارك قول الرجل وأنه فلان، ولم أعلمه أنهم سموه. فقال: أفلا قالوا: الفضيل بن عياض؟.

قال الحسن: ورأيت في منزل ابن المبارك حماماً طيارة. فقال ابن المبارك: قد كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام فليس ننتفع بها اليوم. قلت: ولِمَ ذلك؟ قال: اختلطت بها حمامٌ غيرُها، فتزاوجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك.

قال الحسن: وصحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكل وحده.

قال: وزوّج النضر بن محمد ولدَه دَعيَّ بن المبارك، فلما جاء قام ابن المبارك ليخدم الناس، فأبى النضر أن يدعه، وحلف عليه حتى جلس.

قال عبيد بن جناد: قال عطاء بن مسلم: يا عبيد رأيت عبد الله بن المبارك؟ قلت: نعم. قال: ما رأيت مثله، ولا يُرى مثله.

---

(١) أي حمام: السوق، لا أنه لم يغتسل!!

(٢) في المطبوع «خلقاً» بالخاء.

[عن] عبد الرحمن بن مهدي قال: ما رأت عيناي مثل سفيان، ولا أقدِّم على عبد الله بن المبارك أحداً.

[عن] عبد الرحمن بن عبيد الله قال: كنا عند الفضيل فنعي إليه ابن المبارك! فقال: رحمه الله، أما إنه ما خلَّف بعده مثله.

[عن] عبد الرحمن بن مهدي قال: ما رأت عيناي أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك.

[عن] نعيم بن حماد قال: كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ[1]؟

[عن] شقيق بن إبراهيم قال: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لَمْ تجلس معنا؟ قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين. قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس، فإذا كانت سنة مائتين فالبعدُ من كثير من الناس أقرب إلى الله، وفرَّ من الناس كفرارك من أسد، وتمسك بدينك يسلم لك.

[عن] الحسين بن الحسن المروزي قال: قال عبد الله بن المبارك: كن محباً للخمول كراهية الشهرة، ولا تظهر من نفسك أنك تحب الخمول فترفع نفسك! فإن دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد، لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة.

[عن] أشعث بن شعبة المصيصي قال: قدم هارون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر الخشب فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم الرقة؛ يقال له عبد الله بن المبارك. فقالت: هذا والله المُلك، لا مُلك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَطٍ وأعوان.

[عن] سويد بن سعيد قال: رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم فاستقى منها، ثم استقبل الكعبة فقال: اللهم إن ابن أبي الموالي، حدثنا عن محمد بن المنكدر، عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «ماء زمزم لما شُرِب له»[2] وهذا أشربه لعطش القيامة. ثم شربه.

قال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب «الرقاق» فكأنه بقرة منحورة من البكاء، لا يجترئ أحد منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيء.

قال سفيان: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك فما أقدر أن أكون؛ ولا ثلاثة أيام.

[عن] عمران بن موسى الطرسوسي قال: جاء رجل فسأل سفيان الثوري عن مسألة؟ فقال له: من أين أنت؟ قال: من أهل المشرق. قال: أوَليس عندكم أعلم أهل المشرق؟ قال: ومن هو يا أبا

---

(١) يقصد: مدارسة الحديث والأسانيد والروايات، لا أنه يحادث النبيﷺ أو يراه!! والأثر الذي بعده يزيد المسألة وضوحاً.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢)، والدارقطني (٢/ ٢٨٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٧)، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ.

عبد الله؟ قال: عبد الله بن المبارك. قال: وهو أعلم أهل المشرق؟ قال: نعم؛ وأهل المغرب.

قال ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه.

[عن] حبان بن موسى قال: عوتب ابن المبارك فيما يُفرق من المال في البلدان، ولا يفعل في أهل بلده كذلك؟ فقال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق؛ طلبوا الحديث؛ وأحسنوا الطلب، فاحتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أغنَّاهم بثُّوا العلم لأمة محمد ﷺ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بثِّ العلم.

[عن] عبد الله بن ضريس قال: قيل لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن إلى متى تكتب هذا الحديث؟ فقال: لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كتبتها بعد.

[عن] الحسين بن الحسن المروزي قال: سمعت ابن المبارك يقول: أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها. قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله عز وجل.

[عن] قطن بن سعيد قال: ما أفطر ابن المبارك؛ ولا رئي نائماً قط.

[عن] علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت ابن المبارك يقول: لأن أرد درهماً من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف؛ ومائة ألف، حتى بلغ ستمائة ألف.

[عن] عبد الله بن خُبيق قال: قيل لابن المبارك: ما التواضع؟ قال: التكبر على الأغنياء.

[عن] عياش بن عبد الله قال: قال عبد الله بن المبارك: لو أن رجلاً أبقى مائة شيء ولم يبق شيئاً واحداً لم يكن من المتقين، ولو تورع عن مائة شيء ولم يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعاً، ومن كان فيه خلة من الجهل كان من الجاهلين. أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام لما قال: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] فقال الله تعالى ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]؟

قال علي بن الحسن: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: لا يقع موقعَ الكسب على العيال شيء. ولا الجهادُ في سبيل الله عز وجل.

قال عبد الله بن عمر السرخسي: قال لي ابن المبارك: ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله عز وجل.

قال سليمان بن داود: سألت ابن المبارك من الناس؟ قال: العلماء، قلت: فمن الملوك؟ قال: الزُّهاد. قلت: فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة وأصحابه. قلت: فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم.

قال فضيل بن عياض: سئل ابن المبارك: من الناس؟ قال: العلماء. قال: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قال: فمن السَّفلة: قال: الذي يأكل بدينه.

قال أحمد بن جميل المروزي: قيل لعبد الله بن المبارك: إن إسماعيل بن علية قد ولي الصدقات. فكتب إليه ابن المبارك:

يا جاعلَ العلم له بازياً ... يصطاد أموالَ المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين
فصرتَ مجنوناً بها بعد ما ... كنتَ دواء للمجانين!
أين رواياتك في سردها ... عن ابن عونٍ وابن سيرين؟
أين رواياتك والقول في ... لزوم أبواب السلاطين؟
إن قلتَ أُكرهتُ [فذا باطل][1] ... زلَّ حمارُ العلم في الطين

فلما قرأ الكتاب بكى واستعفى.

قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سمعت أبي يقول: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن؟ فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم. فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم: ما أَمَرَكَ عيالُك أن تشتري لهم من المدينة من طُرَفها؟ فيقول: كذا. ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا إلى مكة فقضوا حوائجهم، قال لكل رجل منهم: ما أَمَرَكَ عيالُك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا. فيشتري لهم، ويخرجهم من مكة.

فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مرو، فإذا وصلوا إلى مرو جصّص[2] أبوابهم ودُورهم.

فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرَّته بعد أن كتب عليها اسمه.

قال أبي: أخبرني خادمه أنه عمل آخر سفرة سافرها دعوة، فقدم إلى الناس خمسة وعشرين خواناً فالوذجاً.

قال: وبلغنا أنه قال للفضيل بن عياض: لولاك وأصحابك ما اتَّجرت.

قال أبي: وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم.

قال محمد بن عيسى: كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث. قال: فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب وكان مستعجلاً، فخرج في النفير، فلما قفل من غزوته، ورجع إلى الرقة سأل عن الشاب؟ فقالوا: إنه محبوس لِدَينٍ ركبه. فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ قالوا: عشرة آلاف درهم. فلم يزل يستقصي حتى دُلَّ على صاحب المال، فدعا به ليلاً، ووزن له عشرة آلاف درهم، وحلّفه: أن لا يخبر أحداً ما دام عبدُ الله حياً. وقال: إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس.

وأدلج عبد الله، وأُخرج الفتى من الحبس، وقيل له: عبد الله بن المبارك كان ها هنا، وكان

(١) في المطبوع: «فماذا كذا» والتصحيح من مصادر الترجمة.

(٢) أي: وضع عليها علامة ليعرفها.

يذكرك، وقد خرج. فخرج الفتى في أثره، فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال: يا فتى أين كنت؟ لم أرك في الخان؟ قال: نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوساً بدين. قال: وكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل وقضى ديني، ولم أعلم به حتى أُخرجت من الحبس. فقال له عبد الله: يا فتى احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك. فلم يخبر ذلك الرجلُ أحداً إلا بعد موت عبد الله.

قال سلمة بن سليمان: جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فسأله أن يقضي ديناً عليه، فكتب إلى وكيل له. فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل: كم الدين الذي سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك؟ قال: سبعمائة درهم. فكتب إلى عبد الله: إن هذا الرجل سألك أن تقضي سبعمائة درهم، فكتبت له بسبعة آلاف، وقد فنيت الغلّات. فكتب إليه عبد الله: إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضاً قد فني، فأجرِ له ما سبق به قلمي.

وقد رويت لنا هذه الحكاية أبسط من هذا: فأخبرنا المُحَمَّدان ـ ابن ناصر وابن عبد الباقي ـ قالا: أنبأنا أحمد قال: أنبأنا أحمد بن عبد الله قال: أنبأنا أبي قال: نبأ محمد بن أحمد بن إبراهيم قال: أنبأنا علي بن محمد بن روح قال: سمعت المسيب بن واضح يقول: كنت عند عبد الله بن المبارك جالساً إذ كلموه في رجل يقضي عنه سبعمائة درهم ديناً. فكتب إلى وكيله: إذا جاءك كتابي هذا وقرأته فادفع إلى صاحب هذا الكتاب سبعة آلاف درهم. فلما ورد الكتاب على الوكيل، وقرأه التفت إلى الرجل فقال: أي شيء قضيَّتُك؟ فقال: كلموه أن يقضي عني سبعمائة درهم ديناً. فقال: قد أصبتُ في الكتاب غلطاً، ولكن اقعد موضعك حتى أجري عليك من مالي، وأبعث إلى صاحبي فأوامره فيك.

فكتب إلى عبد الله بن المبارك: أتاني كتابك وقرأته وفهمت ما ذكرت فيه؛ وسألت صاحب الكتاب؛ فذكر أنه كلَّمك في سبع مائة درهم، وها هنا سبعة آلاف! فإن يكن منك غلط فاكتب إليَّ حتى أعمل على حسب ذلك. فكتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا وقرأته وفهمت ما ذكرتُ فيه فادفع إلى صاحب الكتاب أربعة عشر ألفاً. فكتب إليه: إن كان على هذا الفعال تفعل فما أسرع ما تبيع الضيعة! فكتب إليه عبد الله بن المبارك: إن كنت وكيلي فأنفذ ما آمرك به، وإن كنت أنا وكيلك فتعال إلى موضعي حتى أصير إلى موضعك فأنفذ ما تأمرني به، [فإن] ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من فاجأ من أخيه المسلم فرحةً غفر الله له» فأحببت أن أفاجئه فرحة على فرحة.

قال معاذ بن خالد: تعرفت إلى إسماعيل بن عياش بعبد الله بن المبارك، فقال إسماعل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وجعلها في عبد الله بن المبارك، ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص، وهو الدهرَ صائمٌ.

قال عبد الله بن حبيق: قال رجل لابن المبارك: أوصني؟ فقال: اعرف قدرك.

قال سعيد بن يعقوب الطالقاني: قال رجل لابن المبارك: هل بقي من ينصح؟ قال: فقال: وهل تعرف من يَقْبَل؟.

قال عبدة بن سليمان: كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدو، فلما

التقى الصفّان خرج رجل من العدو فدعا إلى البِراز، فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، فازدحم عليه الناس وكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو ملثّم وجهه بكمّه، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنّع علينا؟.

قال أبو وهب: مر ابن المبارك برجل أعمى فقال: أسألك أن تدعو الله أن يرد بصري. قال: فدعا الله، فرد عليه بصره وأنا أنظر.

قال الحسن بن عرفة: قال لي ابن المبارك: استعرت قلماً بأرض الشام، فذهب عليَّ[1] أن أرده إلى صاحبه، فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت يا أبا علي إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه.

قال شريح بن مسلمة: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين.

قال أبو بكر بن عبد الله بن حسن: قال ابن المبارك: طلبنا العلم للدنيا فدلّنا على ترك الدنيا.

قال أحمد بن الزبرقان: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره، فينبغي لنا أن نُكرهها.

عن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيراً ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا نصلي، ولئن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج!.

قال: فكنا في بعض مسيرتنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذ طُفِئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح، فمكث هينهة، ثم جاء بالسراج، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع. فقلت في نفسي: بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذَكَرَ القيامةَ.

قال المروزي: وسمعت أبا عبد الله ابن حنبل قال: ما رفع اللهُ ابنَ المبارك إلا بخبيئة كانت له.

قال المروزي: وأخبرت عن داود بن رشيد قال: كان ابن المبارك عند أبي الأحوص، فجاء رسول فلان الهاشمي ـ بعض الولاة ـ فقال: يقرئك السلام ويقول: يا أبا الأحوص هذا شهر رمضان وقد وسَّعنا على عيالنا، وهذه ألف درهم توسع بها عليهم في هذا الشهر. قال أبو الأحوص: فعل الله به، وفعل به. وقال: قل له: يدعها عنده، حتى إذا احتجنا إليها بعثنا فأخذناها.

قال: وانسلَّ ابن المبارك إلى منزله، فجاء بألف فقال: يا أبا الأحوص هذه الألف تنفقها، فإني لا آمن أن يكون قد بلغ أهلك فيخاصمونك، وهذه من وجه أرجو أن تكون أطيب. فقبلها.

قال الحسن بن الربيع: سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصير يقول له: يا أبا عبد

---

(١) أي نسيت أو غفلتُ عن ردّه لصاحبه.

الرحمن قل: لا إله إلا الله. فقال له: يا نصير قد ترى شدة الكلام عليّ؛ فإذا سمعتني قلتها فلا تردَّها علي حتى تسمعني قد أحدثت بعدها كلاماً، فإنما كانوا يستحبّون أن يكون آخر كلام العبد ذلك.

أدرك ابن المبارك جماعة من التابعين منهم: هشام بن عروة، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وسليمان التيمي، وحميد الطويل، وعبد الله بن عون، وخالد الحذاء، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وموسى بن عقبة، في آخرين.

وروى عن كبار الأئمة كالثوري، وشعبة، والأوزاعي، والحمّادَين في نظرائهم، وكان أحد أئمة المسلمين.

وتوفي بـ«هيت» منصرفاً من الغزو لثلاث عشرة خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

قال محمد بن فضيل بن عياض: رأيت عبد الله بن المبارك في المنام فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه. قلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم. قلت: فأي شيء صنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة، وكلمتني امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحور العين.

٦٩٦ ـ أبو عبد الله: محمد بن نصر المروزي الفقيه

لبث مع أمه ثلاثين شهراً، أبوه مروزي، وولد هو ببغداد، ونشأ بنيسابور، واستوطن سمرقند، وكان عالماً بالحديث والفقه.

قال أبو محمد الثقفي عبد الله بن محمد: سمعت جدي يقول: جالست أبا عبد الله المروزي أربع سنين فلم أسمعه طول تلك المدة يتكلم في غير العلم.

قال أبو بكر أحمد بن إسحاق: ما رأيت أحسن صلاة من أبي عبد الله المروزي، ولقد بلغني أن زنبوراً قعد على جبهته فسال الدم على وجهه ولم يتحرك.

قال محمد بن نصر: خرجت من مصر ومعي جارية لي، فركبت البحر أريد مكة، فغرقت وذهب مني ألفا جزء، وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي ما رأينا فيها أحداً، وأخذني العطش فلم أقدر على الماء، فأُجهدت فوضعت رأسي على فخذ جاريتي مستسلماً للموت، فإذا رجل قد جاءني ومعه كوز. فقال لي: هاه. فأخذت وشربت وسقيت الجارية، ثم مضى، فما أدري من أين جاء؟ ولا أين ذهب؟.

أسند المروزي عن عبدان، ويحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وخلق كثير يطول ذكرهم.

وكان مولده في سنة ثنتين ومائتين، وتوفي سنة أربع وتسعين.

---

٦٩٦ ـ محمد بن نصر المروزي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ٥٤ سنة ٢٩٤)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٨٩)، تاريخ بغداد (٣/ ٣١٥)، شذرات الذهب (٢/ ٢١٦).

٦٩٧ ـ عبد الله بن أحمد: أبو محمد الرباطي المروزي

لبث مع أمه خمس سنين، وهو الذي يقال له ابن شبويه، سافر مع أبي تراب النخشبي، وكان الجنيد يمدحه ويقول: هو رأس فتيان خراسان.

[عن] مصعب بن أحمد بن مصعب قال: قدم أبو محمد المروزي إلى بغداد يريد مكة، وكنت أحب أن أصحبه، فأتيته واستأذنته في الصحبة؟ فلم يأذن لي في تلك السنة، ثم قدم سنةً ثانية وثالثة، فأتيته فسلّمت عليه، وسألته؟ فقال: أعزمُ؛ على شرط: يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر. فقلت: أنت الأمير. فقال: لا؛ بل أنت. فقلت: أنت أسن وأولى. فقال: لا تعصني. فقلت: نعم. فخرجت معه، وكان إذا حضر الطعام يؤثرني، فإذا عارضته بشيء قال: ألم أشرط عليك أن لا تخالفني؟ فكان هذا دأبنا حتى ندمت على صحبته لما يُلحق نفسه من الضرر.

فأصابنا في بعض الأيام مطر شديد ونحن نسير فقال لي: يا أبا أحمد اطلب الميل. ثم قال لي: اقعد في أصله. فأقعدني في أصله، وجعل يديه على الميل وهو قائم قد حنا علي، وعليه كساء قد تجلل به يظلني من المطر حتى تمنيت أني لم أخرج معه لما يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخل مكة. رحمة الله عليه.

٦٩٨ ـ عبد الله بن المنير المروزي

لبث في بطن أمه ما شاء الله، قال: يحيى بن بدر القرشي: كان عبد الله بن منير يوم الجمعة قبل الصلاة بقزوين، فإذا كان في وقت صلاة الجمعة يرونه في مسجد آمل، فكان الناس يقولون: إنه يمشي على الماء. فقيل له: يا أبا محمد إنك تمشي على الماء؟ قال: أما المشي على الماء فلا أدري، ولكن إذا أراد الله عز وجل جمع حافتي النهر حتى يعبر الإنسان.

قال: وكان عبد الله بن منير إذا قام من المجلس يخرج إلى البرية مع قوم مع أصحابه، يجمع شيئاً مثل الأشنان وغيره، فيدخل السوق، فيبيع ذلك، فيتعيَّش به.

قال: فخرج يوماً مع أصحابه فإذا هو بالأسد رابض على الطريق، فقيل له: هذا الأسد؟ فقال لأصحابه: قفوا. ثم تقدم هو وحده إلى الأسد، فلا ندري ما قال له؟ فمرّ الأسد، فقال لأصحابه: مروا.

انتهى ذكر أهل مرو

---

٦٩٧ ـ أبو محمد الرباطي المروزي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ١٨ سنة ٢٩٠)، تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٤)، تاريخ ابن كثير (١١/ ٩٧).

٦٩٨ ـ عبد الله بن المنير المروزي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٢/ ١٨٢ سنة ٢٨٢).

ذكر المصطَفَين من أهل بلـخ

٦٩٩ ـ الضّحّاك بن مُزاحِم الهلالي

يكنىٰ أبا القاسم، حملت به أمه سنتين، وكان يعلّم ولا يأخذ أجراً، أصله من الكوفة، ثم أقام ببلخ. قال قبيصة بن قيس العنبري: كان الضحاك بن مُزاحم اذا أمسى بكى. فيُقال له: ما يُبكيك؟ فيقول: لا أدري ما صَعَد اليومَ من عملي؟ توفي الضّحّاك سنة ثِنْتَين، وقبل: سنة خمس ومئة.

٧٠٠ ـ عطاء بن أبي مُسْلم

حملت به أمه ثلاث سنين. وفي اسم أبيه قولان، أحدهما: ميسرة. والثاني. عبد الله، وفي كنية عطاء قولان، أحدهما: أبو عثمان، والثاني أيوب. وأصله من بلخ، وكان من أهل العلم والصلاح.

[عن] عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: كنا نغازي عطاء الخراساني، فكان يحيي الليل كله صلاة، فإذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو في فسطاطه يُسمعنا: يا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، يا يزيد بن يزيد، يا هشام بن الغاز يا فلان بن فلان، قوموا فتوضؤا وصلوا فإن قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شرب الصديد ومقطعات الحديد، الوحى الوحى! النجاء النجاء! ثم يُقبل على صلاته.

قال عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: حدثني عمي ـ يزيد بن يزيد بن جابر ـ عن عطاء الخراساني أنه كان يقول: إني لا أوصيكم بدنياكم، أنتم بها مستوصون، وأنتم عليها حراص، وإنما أوصيكم بآخرتكم، فخذوا من دار الفناء لدار البقاء، واجعلوا الدنيا كشيء فارقتموه، فوالله لتفارقنها، واجعلوا الموت كشيء ذقتموه، فوالله لَتَذُوقُنَّهُ، واجعلوا الآخرة كشيء نزلتموه، فوالله لتنزلنها، وهي دار الناس كلهم، ليس من الناس أحد يخرج لسفر إلا أخذ له أهبته، فمن أخذ لسفره الذي يصلحه اغتبط، ومن خرج إلى سفر لم يأخذ له أهبته ندم، فإذا ضَحِيَ لم يجد ظلاً، وإذا ظَمِيَ لم يجد ماء يتروّى به، وإنما سفر الدنيا منقطع، وأكيس الناس من قام يتجهز لسفر لا ينقطع.

[عن] يزيد بن سمرة: أنه سمع عطاء الخراساني يقول: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام.

[عن] الأوزاعي قال: حدثني عطاء الخراساني قال: ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة، وبكت عليه يوم يموت.

عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: إن أوثق عملي في نفسي نشري للعلم.

---

٦٩٩ ـ الضحاك بن مزاحم ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٠٠ سنة ١٠٥)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٠٠ و٧/ ٣٦٩)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٢٢٣)، التاريخ الكبير (٤/ ٣٣٢)، الجرح والتعديل (٢/ ١/ ٤٥٨)، تاريخ الإسلام (٤/ ١٢٥)، تقريب التهذيب (١/ ٤٠٨)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨)، شذرات الذهب (١/ ١٢٤)، العبر (١/ ١٢٤)، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٥).

٧٠٠ ـ عطاء بن أبي مسلم الخراساني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٣٣١ سنة ١٣٥)، تاريخ الإسلام (٥/ ٢٧٩)، التاريخ الكبير (٦/ ٤٧٤)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٣٤)، العبر (١/ ١٨٢)، ميزان الاعتدال (٣/ ٧٣)، طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٩)، شذرات الذهب (١/ ١٩٢).

[عن] عمر بن أبي خليفة قال: سمعت عطاء الخراساني، وصلى معنا المغرب فأخذ بيدي حين انصرفنا، فقال: ترى هذه الساعة ما بين المغرب والعشاء، فإنها ساعة الغفلة، وهي صلاة الأوابين. أسند عطاء عن ابن عمر، وابن عباس، وأنس، وأبي هريرة، في آخرين. وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائة.

٧٠١ - إبراهيم بن أدهم يكنى أبا إسحاق

[عن] يونس بن سليمان البلخي قال: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، فخرج إبراهيم يوماً في الصيد مع الغلمان والخدم والجنائب والبزاة، فبينا إبراهيم في ذلك وهو على فرسه يُركضه إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العبث؟: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] اتق الله؛ وعليك بالزاد ليوم الفاقة!. قال: فنزل عن دابته، ورفض الدنيا، وأخذ في عمل الآخرة.

قال: بشير بن المنذر قال: كنت إذا رأيت إبراهيم بن أدهم كأنه ليس فيه روح، لو نفخته الريح لوقع، قد اسودّ متدرع بعباء.

قال إبراهيم بن بشار: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما كان لي مؤونة قط على أصحابي ولا على غيرهم إلا في شيء واحد. فقلت: أي شيء يا أبا إسحاق؟ فقال: ما كنت أُحسِنُ أكري نفسي في الحصادين، فيحتاجون إلى أن يكروني، ويأخذون لي الأجرة، فهذه كانت مؤونتي عليهم.

قال ابن بشار: ومضيت مع إبراهيم بن أدهم إلى مدينة يقال لها طرابلس ومعي رغيفان ما لنا شيء غيرهما، وإذا سائلٌ يسأل، فقال لي: ادفع إليه ما معك. فتلبثت. فقال لي: ما لك؟ أعطه، فأعطيته وأنا متعجب من فعله! فقال لي: يا أبا إسحاق إنك تلقى غداً ما لم تلقه قط، واعلم أنك تلقى ما أسلفت، ولا تلقى ما خلفت! فمهّد لنفسك؛ فإنك لا تدري متى يفجؤك أمر ربك؟ قال: فأبكاني كلامه وهوَّن علي الدنيا. فلما نظر إلي أبكي، قال: هكذا فكُنْ.

قال ابن بشار: وخرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن، فقعدنا تستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا، فأكلناها وحمدنا الله عز وجل، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبتيه. فقال بكفيه في الماء فملأهما، ثم قال: باسم الله. وشرب الماء، ثم قال: الحمد لله. ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه ثم قال: يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا عليه بالسيوف أيامَ الحياة! فقلت: يا أبا إسحاق طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم. فتبسم وقال: من أين لك هذا الكلام؟

قال ابن بشار: مررنا مع إبراهيم بن أدهم بمقبرة فتقدم إلى قبر فوضع يده عليه، ثم قال:

---

٧٠١ - إبراهيم بن أدهم - رحمه الله -: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٤٠ سنة ١٦٠)، تقريب التهذيب (١/ ٣١)، الحلية (٧/ ٣٦٧)، طبقات السلمي (٢٧)، القشيرية (٩)، شذرات الذهب (١/ ٢٥٥)، فوات الوفيات (١/ ٣)، تاريخ الكبير (١/ ٢٠٠)، تهذيب التهذيب (١/ ١٠٢)، طبقات ابن الملقن (٥).

رحمك الله يا فلان. ثم تقدم إلى آخر فقال مثل ذلك، فعل ذلك بسبعة من القبور، ثم قام قائماً بين تلك القبور فنادى: يا فلان، يا فلان ـ بأعلى صوته ـ لقد متم وخلفتمونا ونحن بكم سريعاً لاحقون. ثم بكى وغرق في فكره، ثم رجع بعد ساعة، فأقبل إلينا بوجهه ودموعه تنحدر كاللؤلؤ الرطب وقال: إخوتي، عليكم بالمبادرة والجد والاجتهاد، سارعوا وسابقوا فإن نعلاً فقدت أختها سريعةُ اللحاق بها.

قال شقيق بن إبراهيم قال: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذ مر به رجل، فقال إبراهيم: أليس هذا فلاناً؟ فقيل: نعم. فقال لرجل: أدرِكه، فقل له: قال لك إبراهيم: لِمَ لمْ تسلم؟ فقال له، فقال: والله إن امرأتي وضعت وليس عندي شيء، فخرجت شبه المجنون. قال: فرجعت إلى إبراهيم فقلت له؟ فقال: إنا لله، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هذا الأمر؟ وقال: يا فلان ايت صاحب البستان، فاستسلف منه دينارين، فادخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار الآخر إليه. فدخلت السوق فأوقرت بدينار من كل شيء وتوجهت إليه فدققت الباب، فقالت امرأته: من هذا؟ قلت: أنا، أردت فلاناً. قالت: ليس هو ههنا. قلت: فمُري بفتح الباب وتنحَّي. قال: ففتحت الباب فأدخلت ما على البعير وألقيته في صحن الدار، وناولتها الدينار. فقالت: على يدي مَنْ بُعث هذا؟ فقلت: قولي: على يد أخيك إبراهيم بن أدهم. فقالت: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم. قال شقيق: وقلت لإبراهيم: يا إبراهيم تركت خراسان. فقال: ما تهنيت بالعيش إلا في بلاد الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: هو موسوس، ومن يراني يقول: هو جمَّال[1]، ثم قال لي: يا شقيق لم ينبل عندنا من نبل بالحج والجهاد، إنما نبل من كان يعقل ما يدخل جوفه ـ يعني الرغيفين ـ من حلّه، يا شقيق ماذا أنعم الله على الفقراء؟ لا يسألهم يوم القيامة لا عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم؟ إنما يسأل هؤلاء المساكين ـ يعني الأغنياء ـ.

قال أحمد بن داود: مر يزيد بإبراهيم بن أدهم وهو ينظر[2] كرماً، فقال: ناوِلْنا من هذا العنب. قال: ما أذن لي صاحبه. قال: فقلب السوط فجعل يقنع رأسه. فطأطأ إبراهيم رأسه وقال: اضرب رأساً طالما عصى الله عز وجل! فأعجز الرجل عنه.

قال علي بن بكار: كنا جلوساً بالمصيصة وعندنا إبراهيم بن أدهم، فقدم رجل من خراسان فقال: أيكم إبراهيم بن أدهم؟ فقال القوم: هذا. قال: إن إخوتك بعثوني إليك. فلما سمع ذكر إخوته قام فأخذ بيديه فنحّاه فقال: ما جاء بك؟ فقال: أنا مملوكك، معي فرس وبغلة وعشرة آلاف درهم بعث بها إليك إخوتك. فقال: إن كنت صادقاً فأنت حر، وما معك لك، اذهب فلا تخبر أحداً. فذهب.

قال يحيى بن الكدير بن أسود الكلابي من أهل عسقلان: كان إبراهيم بن أدهم أجيراً في بستان لي سنة أبتذله فيما يبتذل الأجير، فزارني إخوان لي في بستاني، فقلت لإبراهيم: ايتنا برمان حلو.

---

(١) أي: يصطنع الفعل الجميل ليحمده الناس!! أو هي «الحمال» والله أعلم.

(٢) أي: يحرس.

فجاء برمان لم نحمده. فقلت له: أنت في هذه البستان منذ سنة لا تعرف موضع الجيد الحلو من الحامض؟ قال: فأي موضع هو من البستان؟ فوصفته له، فأنكرت أمره، وإذا رجل قد أقبل على نجيب يسأل عن إبراهيم بن أدهم؟ فأخبر بمكانه عندي، فنزل إليه، فرأيته قد قبَّل يديه وعظَّمه. فقال له إبراهيم: ما جاء بك؟ فقال: مات بعض مواليك فجئتك بميراثه ثلاثين ألف ردهم. فقال: ما لكم واتباعي؟ فقال الرجل: قد تعنَّيت من بلخ فاقبلها مني. فقال للرجل: ابسط إزارك، وصُبّ عليه ما معك. ففعل، فقال إبراهيم: اقسمه ثلاثة أقسام. فقسمه. فقال: ثلث لك لعنائك من بلخ إلى ها هنا، وثلث اقسمه على المساكين ببلخ، وثلث أنت يا يحيى اقسمه في مساكين أهل عسقلان.

قال: أبو سليمان الداراني: صلى إبراهيم بن أدهم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد.

عن مخلد بن الحسين قال: ما انتبهت من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر الله، فأغتمُّ، ثم أتعزى بهذه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

[عن] عبد الملك بن سعد الدمشقي قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أعربنا الكلام فما نلحن، ولحنًا في الأعمال فما نُعرب.

[عن] عبد الله بن الفرج العابد قال: اطلعت على إبراهيم بن أدهم بالشام في بستان وهو نائم وعند رأسه أفعى في فيها طاقة نرجس تذب عنه.

[عن] موسى بن طريف قال: ركب إبراهيم بن أدهم البحر، فأخذتهم ريح عاصف، فأشرفوا على الهلكة، فلف إبراهيم رأسه في عباءة ونام. فقالوا له: ما ترى ما نحن فيه من الشدة؟ فقال: ليس ذا شدة. قالوا: ما الشدة؟ قال: الحاجة إلى الناس. ثم قال: اللهم أريتنا قدرتك فأرنا عفوك. فصار البحر كأنه قدح زيت.

[عن] خلف بن تميم قال: كنت عند أبي رجاء الهروي في مسجده فأتى رجل على فرس فنزل فسلم عليه وودعه. فأخبرني أبو رجاء عنه أنه كان مع إبراهيم بن أدهم في سفينة في غزاة في البحر، فعصفت عليهم الريح، وأشرفوا على الغرق، فسمعوا في البحر هاتفاً يهتف بأعلى صوته: تخافون وفيكم إبراهيم؟

[عن] إبراهيم بن عبد الله بن محمد البلخي، عن إبراهيم بن أدهم قال: وجدت يوماً راحة فطاب قلبي لحسن صنيع الله بي، فقلت: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من المحبين لك ما سكنت به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك، فلقد أضرَّ بي القلق! قال إبراهيم: فرأيت الله تعالى في النوم، فوقفني بين يديه وقال لي: يا إبراهيم ما استحييت مني؟ تسألني أن أعطيك ما تسكن به قلبك قبل لقائي؟ وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيبه؟ أم هل يستريح الحِبُّ إلى غير من اشتاق إليه؟ فقلت: يا رب تهت في حبك فلم أدرِ ما أقول.

اقتصرنا من أخبار إبراهيم على هذا القدر؛ لأنا قد وضعنا كتاباً جمعنا فيه أخباره، فكرهنا الإعادة في التصانيف.

وقد روى إبراهيم عن جماعة من التابعين: كأبي إسحاق السبيعي، وأبي حازم، وقتادة، ومالك

ابن دينار، وأبان، والأعمش وغيرهم، وقد روى عن خلق من تابعي التابعين إلا أنه شافه بعض من روى عنه، وأرسل الرواية عن بعض، وتوفي بالجزيرة، فحمل إلى صور فدُفِن هنالك.

٧٠٢ ـ داود البلخي

لبث مع أمه أربعين شهراً. [عن] إبراهيم بن أدهم قال: لقيت أسلم بن زيد الجهني فقلت له: إنّي صحبت رجلاً من الكوفة إلى مكة، فرأيته إذا مشى يصلي ركعتين، ثم يتكلم بكلام خفيٍّ بينه وبين نفسه، فإذا جفنة من ثريد عن يمينه وكوز ماء، وكان يأكل ويطعمني. فبكى وقال: يا بني ذاك أخي داود، ومسكنه من قرى بلخ بقرية يقال لها «المازرة الطيِّبة»، وإنها تفاخر البقاع بكينونة داود فيها، يا غلام: ما قال لك وما علَّمك؟ قلت: علَّمني اسم الله الأعظم. قال: وما هو؟ قلت: إنه يتعاظم علي أن أنطق به، فإنني سألت به مرة، فإذا برجل آخذ بحجرتي فقال: سل تُعْطَه. فراعني ذلك وفزعت فزعاً شديداً، فقال: لا روع عليك؛ أنا أخوك الخضر، إنَّ أخي داود علَّمك اسم الله الأعظم، فإياك أن تدعو به على رجل بينك وبينه نزع فتهلكه هلاك الدنيا والآخرة، ولكن ادع الله أن يثبت به قلبك، ويشجع به جُبْنَك، ويقوي به ضعفك، ويؤنس به وحشتك، ويُؤمِن به روعتك.

٧٠٣ ـ شقيق بن إبراهيم البلخي

لبث في بطن أمه ستة وثلاثين شهراً، يكنى أبا علي: [عن] أحمد بن عبد الله الزاهد قال: قال علي بن محمد بن شقيق: كان لجدي ثلثمائة قرية، ولم يكن له كفن يكفَّن فيه، قدَّم ذلك كله بين يديه، وثيابه وسيفه إلى الساعة معلّق يتبرّكون به، وكان قد خرج إلى بلاد الترك لتجارة وهو حَدَثٌ فدخل إلى بيت أصنامهم، فقال لعاملهم: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهذا الخلق خالقٌ ليس كمثله شيء؛ رازقُ كل شيء. فقال له الخادم: ليس يوافق قولَك فعلُكَ! فقال له شقيق: كيف؟ قال: زعمت أن لك خالقاً قادراً على كل شيء، وقد تعنيت إلى ها هنا لطلب الرزق؟ قال شقيق: فكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع فتصدق بجميع ما ملك وطلب العلم.

قال أبو عبد الله: سمعت شقيق بن إبراهيم يقول: خرجت من ثلثمائة ألف درهم وكنت مرابياً، ولبست الصوف عشرين سنة وأنا لا أعلم، حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فقال لي: يا شقيق ليس الشأن في أكل الشعير، ولا لباس الصوف والشعر، الشأن في المعرفة، وأن تعبد الله فلا تشرك به. فقلتُ: فسّرْ لي هذا؟ قال: يكون جميع ما تعمله لله خالصاً. ثم تلا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال محمد بن أبي عمران: سمعت حاتماً الأصم يقول: كنا مع شقيق البلخي ونحن مصافُّوا

---

٧٠٢ ـ داود البلخي ـ رحمه الله ـ: ذكره أبو نُعيم في الحلية (١٠/ ٤٤).

٧٠٣ ـ شقيق البلخي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٧٠ سنة ١٥٣)، الحلية (٨/ ٥٨)، الجرح والتعديل (٤/ ٣٧٣)، شذرات الذهب (١/ ٣٤١)، العبر (١/ ٣١٥)، طبقات السُّلَمي (٦١)، القشيرية (١٦)، وَفَيات الأعيان (١/ ٢٨٣)، فوات الوَفَيات (١/ ٢٤٠)، ميزان الاعتدال (١/ ٤٤٩)، طبقات ابن الملقن (١٢)، و(٤٠١).

الترك في يوم لا أرى فيه إلا رؤوساً تندر، وسيوفاً تقطَع، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين: يا حاتم كيف ترى نفسك في هذا اليوم؟ تراها مثلها في الليلة التي زُفَّت إليك امرأتك؟ فقلت: لا والله. فقال: لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثلها في الليلة التي زفت فيها امرأتي. قال: ثم نام بين الصفين ودَرَقَتُه تحت رأسه، حتى سمعت غطيطه.

[عن] حاتم الأصم: قال لي شقيق البلخي: اصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها، واحذر أن تحرقك. [عن] حاتم قال: سمعت شقيقاً يقول: مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن تحمل شوكاً، ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكاً وهو يطمع أن يحصد تمراً، هيهات! كل من عمل حسناً فإن الله لا يجزيه إلا حسناً، ولا ينزل الأبرار منازل الفجار.

أسند شقيق عن عباد بن كثير وغيره، وصحب إبراهيم بن أدهم.

٧٠٤ ـ حاتم الأصم

واختلفوا في اسم أبيه، فقيل: حاتم بن عنوان، وقيل: حاتم بن يوسف، وقيل: حاتم بن عنوان ابن يوسف: يكنى. أبا عبد الرحمن، وهو مولى للمثنى بن يحيى المحاربي، صحب شقيقاً.

[عن] محمد بن أبي عمران قال: سمعت حاتماً الأصم، وسأله رجل: على ما بنيت أمرك هذا في التوكل على الله؟ قال: على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه.

[عن] رباح بن الهروي قال: مر عاصم بن يوسف بحاتم الأصم وهو يتكلم في مجلسه، فقال: يا حاتم كيف تصلي؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشي بالسكينة، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأسلم بالسنة، وأسلمها بالإخلاص إلى الله عز وجل، وأخاف أن لا تقبل مني. قال: تكلم فأنت تحسن تصلّي.

[عن] عبد الله بن سهل قال: سمعت حاتماً الأصمَّ يقول: اختلفت إلى شقيق ثلاثين سنة، فقال لي يوماً: أي شيء تعلمت؟ فقلت: رأيت رزقي من عند ربي فلم أشتغل إلا بربي، ورأيت أن الله تعالى وكل بي ملكين يكتبان علي كل ما تكلمت به فلم أنطق إلا بالحق، ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري والرب تعالى ينظر إلى باطني، فرأيت مراقبته أولى وأوجب، فسقطتْ عني رؤية الخلق، ورأيت أن لله مستحثاً يدعو الخلق إليه، فاستعددت له؛ متى جاءني لا أحتاج يقتلني ـ يعني ملك الموت ـ فقال لي: يا حاتم ما خاب سعيك.

[عن] الحسن بن علي العابد قال: سمعت حاتماً يقول: لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه، وكلامك يعرض على الله تعالى فلا تحترز؟.

---

٧٠٤ ـ حاتم الأصمّ ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ٢٥٣ سنة (٢٣٧)، تاريخ بغداد (٨/ ٢٤١)، الحلية (٨/ ٧٣)، القشيرية (٢٠)، شذرات الذهب (٢/ ٨٧)، طبقات ابن الملقن (١٧٨)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ١٨٠)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٦٠)، العبر (١/ ٤٢٤).

قال أبو تراب النخشبي: سمعت حاتماً يقول: لي أربع نسوة وتسعة من الأولاد، ما طمع الشيطان أن يوسوس لي في شيء من أرزاقهم.

[عن] حامد اللفاف قال: سمعت حاتماً الأصم يقول: ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر. قال: وقال رجل لحاتم: ما تشتهي؟ قال: أشتهي عافية يوم إلى الليل. فقيل له: أليست الأيام كلها عافية؟ قال: إن عافية يومي أن لا أعصي الله فيه. قال: وقال حاتم: تعهد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك.

عن علي بن الموفق قال: سمعت حاتماً يقول: لقينا الترك وكان بيننا جولة، فرماني تركيّ بوَهَق[1] فقلبني عن فرسي، ونزل عن دابته، فقعد على صدري، وأخذ بلحيتي هذه الوافرة، وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني! فوحقِّ سيّدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكِّينه، إنما كان قلبي عند سيدي أنظر ماذا ينزل به القضاء منه؟. فقلت: سيدي قضيت علي أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين، إنما أنا لك وملكك. فبينا أنا أخاطب سيدي وهو قاعد على صدري آخذٌ بلحيتي ليذبحني إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه، فسقط عني، فقمت أنا إليه فأخذت السكين من يده فذبحته، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات.

أسند حاتم الحديث، ولا أعرف له إلا ما أخبرنا به محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا محمد بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن محمد بن أحمد المؤذن قال: حدثنا محمد بن الحسين بن علي قال: حدثنا محمد بن علويه قال: حدثنا ابن الحارث قال: حدثنا حاتم الأصم قال: حدثنا سعيد بن عبد الله الماهياني قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان قال: حدثنا مالك، عن الزهري، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «صلِّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار، وسلِّم إذا دخلت بيتك يكثرْ خير بيتك»[2].

٧٠٥ ـ أحمد بن الخضر

وهو المعروف بابن خضرويه البلخي، يكنى أبا حامد، صحب أبا تراب النخشبي وحاتماً الأصم، ورحل إلى يزيد وأبي حفص النيسابوري. وقال أبو حفص: ما رأيت أحداً أكبر همة ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه.

محمد بن الفضل قال: قال أحمد بن خضرويه: القلوب جوالة إما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحشّ.

محمد بن حامد الترمذي قال: أحمد بن خضرويه: الصبر زاد المضطرين، والرضا درجة العارفين. قال: وقال رجل لأحمد بن خضرويه: أوصني. فقال: أمت نفسك حتى تحييها. قال:

---

(١) الوَهَق: الحبل في أُنشُوطة فتؤخذ به الدابّة أو الإنسان. أَنْشَطَ الحبلَ: عَقَدَهُ.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٧٣) وأبو نُعيم في الحلية (٨/ ٨٣).

٧٠٥ ـ أحمد بن الخضر ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ٢٧٥ سنة ٢٤٠)، الحلية (١٠/ ٤٢)، تاريخ بغداد (٤/ ١٣٧)، طبقات السُّلَمي (١٠٣)، القشيرية (٢١)، طبقات ابن الملقن (٣٧)، الوافي بالوفيات (٦/ ٣٧٣).

وقال أحمد: لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رقَّ أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة لم تظفر بك الشهوة.

قال: وسئل أحمد: أي الأعمال أفضل؟ فقال: رعاية السر عن الالتفات إلى شيء غير الله عز وجل.

[عن] محمد بن حامد قال: كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع الأخير، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسئل عن مسألة؟ فدمعت عيناه وقال: يا بُني: باب كنت أدقه خمساً وتسعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة، لا أدري أيُفتح لي بالسعادة أو بالشقاوة؟ أنى لي أوان الجواب؟وكان قد ركبه من الدين سبعمائة دينار، وحضره غرماؤه فنظر إليهم فقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فأدِّ عني. فدق داقٌّ الباب وقال: هذه دار أحمد بن خضرويه؟ فقالوا: نعم. قال: أين غرماؤه؟ قال: فخرجوا فقضى عنه ثم خرجت روحه.

أسند أحمد بن خضرويه عن محمد بن عبدة المروزي، وتوفي سنة أربعين ومائتين.

٧٠٦ ـ محمد بن الفضل بن العباس: أبو عبد الله البلخي

قال أبو بكر محمد بن عبد الله الرازي: سمعت محمد بن الفضل يقول: العجب ممن يقطع الأودية والمفاوز والقفار ليصل إلى بيته وحرمه لأن فيه آثار أنبيائه؛ كيف لا يقطع نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه لأن فيه آثار مولاه؟ [عن] الحسن بن علويه قال: قال محمد بن الفضل: أنزل نفسك منزلة من لا حاجة له فيها ولا بد له منها، فإن من ملك نفسه عز، ومن ملكته ذل.

[عن] إبراهيم الخواص قال: قال لي محمد بن الفضل: ما خطوت أربعين سنة خطوة لغير الله عز وجل، وما نظرت أربعين سنة في شيء أستحسنه حياءً من الله عز وجل، وما أمليت على مَلَكَيّ ثلاثين سنة شيئاً، ولو فعلت ذلك لاستحييت منهما.

أسند محمد بن الفضل عن قتيبة بن سعيد، وصحب أحمد بن خضرويه وغيره، وانتقل إلى سمرقند، فمات بها في سنة تسع عشرة وثلثمائة.

٧٠٧ ـ أبو بكر الورّاق

واسمه محمد بن عمر، ويقال له الحكيم، وأصله من تِرْمِذ، لكنه أقام ببلخ. قال أبو بكر بن أجيد البلخي: سمعت أبا بكر الوراق يقول: لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك المقدور، ولو قيل: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل، ولو قيل: ما غايتك؟ قال: الحرمان. [عن] غيلان السمرقندي قال: دخل رجل على أبي بكر الوراق فقال: إني أخاف من فلان. فقال: لا تخف منه فإن قلب من

---

٧٠٦ ـ محمد بن الفضل ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ٣٠٣ سنة ٣١٩)، الحلية (١/ ٢٣٢)، القشيرية (٢٧)، طبقات السلمي (٢١٢)، شذرات الذهب (٢/ ٢٨٢)، تاريخ ابن كثير (١/ ١٦٧)، النجوم الزاهرة (٣/ ٢٣)، طبقات ابن الملقن (٦٥)، العبر (٢/ ١٧٦)، الوافي بالوفيات (٤/ ٣٢٢).

٧٠٧ ـ أبو بكر الورّاق ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ٢٣٥)، القشيرية (٢٩)، طبقات السلمي (٢٢١)، طبقات ابن الملقّن (٣٧٤).

تخافه بيد من ترجوه. [عن] محمد بن حامد قال: قلت لأبي بكر الوراق: علمني شيئاً يقربني إلى الله، ويقربني من الناس؟ فقال: أما الذي يقربك من الله فمسألته، وأما الذي يقربك من الناس فترك مسألتهم. أسند أبو بكر الوراق الحديث عن موسى بن حزام الترمذي.

٧٠٨ ـ عابد بلخي

لم يعرف اسمه، قال عبد الوهاب: بينا أنا جالس في الحدادين ببلخ إذ مر رجل فنظر إلى النار في الكور فسقط، فقمنا فنظرنا إليه فإذا هو قد مات.

٧٠٩ ـ عابدة بلخية رضي الله عنها

قال أبو بلال الأسود: خرجت حاجاً فلما صرت في بعض الطريق إذا أنا بامرأة ليس معها زاد ولا إداوة، فقلت لها: من أين أنت؟ قالت: من بلخ. فقلت لها: ما أرى معك زاداً ولا ما تحملين فيه الزاد؟ فقالت لي: خرج معي من بلخ عشرة دراهم وقد بقي بعضها. فقلت لها: إذا نفذت ما تصنعين؟ فقالت: علي هذه الجبة أبيعها وآخذ دونها، وأنفق ما بين ذلك. قلت: إذا فني ما تصنعين؟ قالت: أبيع هذا الخمار وآخذ دونه وأنفق ما بين ذلك.

قلت: فإذا فني ما تصنعين؟ قالت: يا بطَّال أسأله فيعطيني. قلت: ألا سألته قبل ذلك؟ قالت: ويحك إني أستحيي أن أسأله شيئاً من الدنيا ومعي فضل من عَرَضها. قلت: اعقبي على هذا الحمار عقبة. فقالت: دعه. فتركته معها، وتخلفت لحاجة، فلما قضيت حاجتي أسرعت في أثرها، فإذا أنا بالحمار واقف والخرج مملوء[1] حواري لم أر بحسنه فطلبتها بعد ذلك فما رأيتها.

انتهى ذكر أهل بلخ بحمد الله ومنّه

ذكر المصطَفَين من أهل ترمذ

٧١٠ ـ علي بن رزين: أبو الحسن

خراساني، أصله من ترمذ، ويقال: من هراة، كان أستاذ أبي عبد الله المغربي. كان علي بن رزين قد صحب الحسن البصري فيما يُذكر ـ والله أعلم ـ، وكان يدخل إلى قرميسين[2] فيما بلغني فيكتب عنه، وشاع في الناس ذكره أنه يشرب في كل أربعة أشهر شربة ماء، فسأله رجل من أهل قرميسين عن هذا؟ فقال: نعم وأي شيء في هذا؟ سألت الله عز وجل أن يكفيني مؤونة بطني فكفاني. عاش علي بن رزين مائة وعشرين سنة، وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين، ودفن على جبل الطور، ودفن إلى جانبه صاحبه أبو عبد الله المغربي.

٧١١ ـ محمد بن علي بن الحسين الترمذي

(١) في المطبوع زيادة: «مملوء فرآني حواري...».

٧١٠ ـ علي بن رزين ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ١٠٢ سنة ٢٢٥).

(٢) هي قرية في فارس ا.هـ. معجم البلدان (٤/ ٤٥٢).

٧١١ ـ محمد بن علي الترمذي ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ٢٣٣).

يكنى أبا عبد الله، من كبار مشايخ خراسان، له التصانيف المشهورة، وكان يقول: ما صنفت شيئاً لينسب إلي، لكن كنت إذا اشتد علي وقتي أتسلى بمصنفاتي. [عن] منصور بن عبد الله قال: قال محمد بن علي الترمذي: ليس في الدنيا حمل أثقل من البر، لأن من بَرّك فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك. [عن] الحسن بن علي قال: سمعت محمد بن علي الترمذي يقول: من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل. قال أبو الحسين الفارسي: سمعت محمد بن علي الترمذي يقول: المؤمن بِشْرُه في وجهه، وحزنه في قلبه، والمنافق حزنه في وجهه، وبِشْره في قلبه. وقال: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظرة إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع عنك نعمته، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه. أسند محمد بن علي عن محمد بن رزام الأيلي.

نتهى ذكر أهل ترمذ بحمد الله ومَنّه

ذكر المصطَفَين من أهل بخارى

٧١٢ ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري

يكنى أبا عبد الله: قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدو أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتّاب. قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوماً، فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له: يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم! فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل فنظر فيه، ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني فأحكم كتابه وقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة. فلما طعنت في سن ست عشرة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، ثم خرجت مع أمي وأخي إلى مكة فلما حججت رجع أخي، وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت كتاب التاريخ عند قبر رسول الله ﷺ في الليالي المقمرة.

قال أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البخاري: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم من أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر.

قال السعداني: سمعت بعض أصحابنا يقول: قال محمد بن إسماعيل: أخرجت هذا الكتاب ـ يعني الصحيح ـ من زهاء ستمائة ألف حديث.

---

٧١٢ ـ الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٢/ ١١٣ سنة ٢٥٦)، تاريخ بغداد (٢/ ٤)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١)، العبر (٢/ ١٢)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥٥)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٦٧)، وفيات الأعيان (٤/ ١٨٨)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٠٦)، طبقات السبكي الكبرى (٢/ ٢١٢)، تاريخ ابن كثير (١١/ ٢٤)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٧)، شذرات الذهب (٢/ ١٣٤).

قال محمد بن يوسف الفربري: قال محمد بن إسماعيل: ما وضعت في كتاب «الصحيح» حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. قال بكر بن منير: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه فلان، فاجتمع التجار إليه بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم. فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم، وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا ـ يعني الذين طلبوا أول مرة ـ ففعل وقال: لا أحب أن أنقض نيتي.

قال مسبح بن سعيد: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان في أول ليلة من رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم، فيقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكان يقرأ في السَّحَر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السَّحَر في كل ثلاث ليال، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة.

قال علي بن محمد بن منصور: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، فرفع إنسان من لحيته قذاة فطرحها على الأرض، فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض.

قال محمد بن أبي حاتم: كنت أرى أبا عبد الله يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري ناراً ويُسرج، ثم يخرج أحاديث، فيعلّم عليها ثم يضع رأسه. وكان يصلي في وقت السَّحَرِ ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة.

قال بكر بن منير: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً.

قلت: فضائل البخاري كثيرة، وحفظه للحديث حفظ غزير قد شهد له الأكابر به؛ حتى قال أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل. وكان نحيف الجسم، ليس بالطويل، ولا بالقصير، ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، وذلك لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين، وقبره بخرتنك.

٧١٣ ـ عابد بخاري

قال إبراهيم بن أحمد الخواص: سلكت البادية ستة عشر طريقاً على غير الجادة، فأعجب ما رأيت فيها رجلٌ ليس له يدان ولا رجلان، وعليه من البلاء أمر عظيم، وهو يزحف زحفاً، فتحيرت منه، وسلمت عليه، فقال لي: وعليك السلام يا إبراهيم. قال: فقلت له: بمَ عرفتني ولمْ ترني قبلها؟ فقال: الذي جاء بك عرّف بيني وبينك. فقلت: صدقت، إلى أين تريد؟ فقال: إلى مكة. قلت: ومن أين أنت؟ قال: من بخارى. فبقيت متعجباً أنظر إليه، فنظر إلي شزراً وقال: يا إبراهيم تعجب من قوي يحمل ضعيفاً ويرفق به؟ ثم دمعت عيناه وأرسل الدموع. فقلت: لا يا حبيبي. فتركته على حاله ومضيت أنا. فلما دخلت مكة رأيته يطوف وهو يزحف زحفاً.

انتهى ذِكْرُ أهل بخارى

ومن المصطَفَين من فرغانة

٧١٤ ـ أبو بكر بن إسماعيل الفرغاني

قال محمد بن داود: ما رأيت في الفقراء أحسن من أبي بكر بن إسماعيل الفرغاني، وكان ممن يُظهر الغنى في الفقر، يلبس قميصين أبيضين، ورداء، وسراويل، ونعلاً لطيفة، وعمامة، وفي يده مفتاح كبير حسن، وليس له بيت، ينطرح في المساجد، ويطوي الخمس والست دائماً.

ومن المصطَفَين من نخشب

٧١٥ ـ أبو تراب النخشبي

واسمه عسكر بن الحصين، ويقال عسكر بن محمد بن حصين: قال أبو عبد الله الجلاء: لقيت ستمائة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعة أولهم أبو تراب. قال أبو علي الحسن بن خيران الفقيه: مر أبو تراب النخشبي بمزيِّن فقال له: تحلق رأسي لله عز وجل؟ فقال له: اجلس. فجلس.

ففيما يحلق رأسه مر به أمير من أهل بلده فسأل حاشيته فقال لهم: أليس هذا أبا تراب؟ قالوا: نعم. فقال: أي شيء معكم من الدنانير؟ فقال له رجل من خاصته: معي خريطة فيها ألف دينار. فقال: إذا قام فأعطه واعتذر إليه، وقل له: لم يكن معنا غير هذه. فجاء الغلام إليه فقال له: إن الأمير يقرأ عليك السلام وقال لك: ما حضر معنا غير هذه الدنانير. فقال له: ادفعها إلى المزين. فقال المزين: أي شيء أعمل بها؟ فقال: خذها. فقال: لا والله ولو أنها ألفا دينار ما أخذتها. فقال له أبو تراب: مُرَّ إليه فقل له: إن المزين ما أخذها، فخذها أنت فاصرفها في مهماتك.

قال أبو عبد الله الجلاء: قدم أبو تراب مرّة إلى مكة، فقلت له: يا أستاذ أين أكلت؟ قال: جئتَ بفُضولك، أكلتُ أكلةً بالبصرة، وأكلتُ أكلةً بالنِّباج، وأَكلةً عندكم.

قال إسماعيل بن نجيد: كان أبو تراب يقول: بيني وبين الله عز وجل عهد: أن لا أمدَّ يدي إلى حرام إلا قصرت يدي عنه.

قال منصور بن عبد الله: سمعت أبا تراب النخشبي يقول: ألفت القلوبُ الإعراض عن الله عز وجل بصحبتها الوقيعة في الأولياء.

قال أبو العباس الشرقي: كنا مع أبي تراب النخشبي في طريق مكة فمرض فعدل عن الطريق إلى ناحية، فقال له بعض أصحابه: أنا عطشان. قال: فضرب برجله فإذا عين من ماء زلال. فقال الفتى: أحب أن أشربه في قدح. فضرب بيده الأرض فناوله قدحاً من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب، وسقانا، وما زال القدح معنا إلى مكة. قال: فقال لي يوماً: ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي

---

٧١٥ ـ أبو تراب النخشبي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ٣٣٤ سنة ٢٤٥)، تاريخ بغداد (١٢/ ٢١٧)، الحلية (١٠/ ٤٥)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ٣٤٦)، طبقات السلمي (١٤٦) طبقات ابن الملقن (٣٥٥)، القشيرية (٢٢) شذرات الذهب (٢/ ١٠٨)، تاريخ أصبهان (٢/ ١٤٦).

يكرم الله عز وجل بها عباده؟ فقلت: ما رأيت أحداً إلا وهو يُعطىٰ الإيمان بها. فقال: إنما سألتك من طريق الأحوال؟ قلت: ما أعرف لهم قولاً فيه. فقال: بلى قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق، وليس الأمر كذلك، إنما الخدع في حال السكون إليها، فأما من لم يعرج [عن][1] الملك في اعتناق الحقائق فتلك مرتبة الربانيين.

أسند أبو تراب عن محمد بن نمير ويعمر بن حماد وغيرهما.

وتوفي بالبادية؛ نهشته السباع في سنة خمس وأربعين ومائتين.

من المصطَفَين من أهل منجوران وهي قرية ببلخ

٧١٦ ـ علي بن محمد المنجوراني

قال أحمد بن سهل: مات أبو علي المنجوراني فخرجنا نعزي ابنه علي بن محمد، فلما رجعنا من دفن أبيه نزع ثيابه، ودخل الماء في نهر، وقال: اشهدوا أني لا أملك اليوم شيئاً مما ورثت عن أبي، لأنه يتخالج في صدري، فإن واسيتموني بقميص حتى أخرج من الماء فعلتم! قال: وكان لنا صديقاً مؤانساً، فألقوا إليه قميصاً فخرج من الماء. وكان أبوه ترك مالاً لا يحصى.

ذكر المصطَفَين من عبَّاد خُراسان والمشرق الذين لم تُعرف بلادهم ولا أسماؤهم

٧١٧ ـ عابد

قال صالح بن عبد الكريم: أتى رجل من إخوان فضيل من أهل خراسان فجلس إلى فضيل في المسجد الحرام فحدثه قال: فقام الخراساني يطوف، فسرقت منه دنانير، ستين أو سبعين، قال: فخرج الخراساني يبكي، فقال له فضيل: ما لَكَ؟ قال: سرقت الدنانير. قال: عليها تبكي؟ قال: لا. قال الخراساني: مثلتني وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرفت على إدحاض حجته فبكيت رحمة له.

٧١٨ ـ عابد آخر

قال صالح بن أحمد: جئت يوماً إلى المنزل فقيل لي: قد وجه أبوك أمس في طلبك. فقلت: وجهت في طلبي؟ فقال: جاءني رجل أمس كنت أحب أن تراه، بينا أنا قاعد في نحر الظهيرة إذا أنا برجل يسلّم بالباب وكأن قلبي ارتاح، فقمت ففتحت الباب، فإذا أنا رجل عليه فروة وعلى أم رأسه خرقة، ما تحت فروته قميص ولا معه ركوة ولا جراب ولا عكاز، قد لوّحته الشمس، فقلت: ادخل. فدخل الدهليز فقلت: من أين أقبلت؟ قال: من ناحية المشرق، أريد بعض هذه السواحل، ولولا مكانك ما دخلت هذا البلد، إلا [أني] نويت السلام عليك. قال: قلت: على هذه الحال؟ قال: نعم، ما الزهد في الدنيا؟ قلت: قصر الأمل. قال: وجعلت أعجب منه، فقلت في نفسي: ما عندي ذهب ولا فضة. فدخلت البيت فأخذت أربعة أرغفة وخرجت إليه، فقلت: ما عندي ذهب ولا فضة وإنما

---

(١) في المطبوع: «على» والمقصود: من لم يلتفت ويُعرض عن الله تعالى. . . .

هذا من قُوْتي. قال: أَوَيَسُرُّك أن أقبل ذلك يا أبا عبد الله؟ قلت: نعم. فأخذها فوضعها تحت حضنه وقال: أرجو أن تكفيني هذه زادي إلى الرقة، أستودعك الله. فلم أزل قائماً أنظر إليه إلى أن خرج. وكان يذكره كثيراً.

٧١٩ ـ عابد آخر

قال أحمد بن علي الأخميمي: كنا ذات يوم عند ذي النون، وقد ذكر كرامات الله عز وجل لأوليائه، فقال بعض من حضره: أنت رأيت منهم أحداً يا أبا الفيض؟ فقال ذو النون: كان عندي فتى من أهل خراسان أعجمي بقي عندي في المسجد سبعة أيام لا يطعم الطعام، وكنت أعرض عليه الطعام فيأبى، فبينا نحن جلوس ذات يوم دخل سائل يطلب شيئاً، فقال له الخراساني: لو قصدت الله عز وجل دون خلقه أغناك! فقال السائل: ما لي هذا المكان. فقال له الخراساني: أي شيء تريد؟ فقال: ما سد فاقتي وستر عورتي. فقام الخراساني إلى المحراب وصلى ركعتين، ثم أتاه بثوب جديد وطبق فيه فاكهة وأعطاه السائل. قال ذو النون: فقلت له: يا عبد الله لك هذا الجاه عند الله عز وجل وأنت منذ سبعة أيام لم تطعم شيئاً؟ فجثا على ركبتيه وقال: يا أبا الفيض، كيف نبسط الألسن بالمسألة والقلوبُ ممتلئة بأنوار الرضا عنه؟قال ذو النون: فقلت له: فالراضون لا يسألون شيئاً؟ فقال: منهم من يسأل من باب الإدلال، ومنهم من يملؤه غنى به، ومنهم من يستخرج المسألة منه عطفُه على غيره. ثم أقيمت الصلاة فصلى معنا العشاء الآخرة، وأخذ ركوته وخرج من المسجد كأنه يريد الطهارة. فلم أره بعد ذلك. رضي الله عنه وأرضاه.

٧٢٠ ـ عابد من وراء النهر

قال عبد الله بن الفرج: حدثني إبراهيم بن أدهم بابتدائه كيف كان، قال: كنت يوماً في مجلس لي له منظرة إلى الطريق، فإذا أنا بشيخ عليه إطار[1]، وكان يوماً حاراً فجلس في فيء القصر ليستريح فقلت للخادم: اخرج إلى هذا الشيخ فأقرئه مني السلام وسَلْهُ أن يدخل إلينا، فقد أخذ بمجامع قلبي. فخرج إليه، فقام معه، فدخل إلي فسلّم، فرددت عليه السلام واستبشرت بدخوله، وأجلسته إلى جانبي، وعرضت عليه الطعام، فأبى أن يأكل. فقلت له: من أين أقبلت؟ فقال: من وراء النهر. فقلت: أين تريد؟ قال: الحج إن شاء الله. قال: وكان ذلك أول يوم من العشر أو الثاني. فقلت: في هذا الوقت؟ قال: يفعل الله ما يشاء. فقلت: فالصحبة؟ فقال: إن أحببت ذلك. حتى إذا كان الليل قال لي: قم. فلبست ما يصلح للسفر، وأخذ بيدي وخرجنا من بلخ، فمررنا بقرية لنا، فلقيني رجل من الفلاحين، فأوصيته ببعض ما أحتاج إليه، فقدم إلينا خبزاً وبيضاً، وسألنا أن نأكل؟ فأكلنا، وجاء بماء فشربنا، ثم قال: باسم الله قم. فأخذ بيدي فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج فمررنا بمدينة بعد مدينة، فجعل يقول: هذه مدينة كذا، وهذه مدينة كذا، هذه الكوفة. ثم

(١) قال ابن سلّام في الغريب (٤/ ٤١٤): كل شيء محيطٌ بشيء فهو إطار له ا.هـ. وهو: إطار وأُطُرة كما في اللسان (٤/ ٢٥). وهو غطاء الرأس الذي يُسمّى في الجزيرة العربية «غِطار» أو «حطّة» كما في الشام.

إنه قال لي: الموعد ها هنا، في مكانك هذا في الوقت الفلاني ـ يعني من الليل ـ حتى إذا كان الوقت إذا به قد أقبل فأخذ بيدي وقال: باسم الله. باسم الله. قال: فجعل يقول: هذا منزل كذا، هذا منزل كذا، وهذا منزل كذا، وهذه «فيدور»، هذه المدينة. وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج. فصرنا إلى قبر رسول الله ﷺ فزرناه ثم فارقني، وقال لي: الموعد في الوقت من الليل في المصلى. حتى إذا كان الوقت خرجت فإذا به في المصلى فأخذ بيدي ففعل كفعله في الأولى والثانية حتى أتينا مكة في الليل، ففارقني، فقبضت عليه فقلت: الصحبة؟ فقال: إني أريد الشام. فقلت: أنا معك. فقال لي: إذا انقضى الحج فالموعد ها هنا عند زمزم. حتى إذا انقضى الحج إذا أنا به عند زمزم، فأخذ بيدي فطفنا بالبيت، ثم خرجنا من مكة ففعل كفعله الأول والثاني والثالث، فإذا نحن ببيت المقدس، فلما دخل المسجد قال لي: عليك السلام؛ أنا على المقام ههنا إن شاء الله تعالى. ثم فارقني فما رأيته بعد ذلك ولا عرّفني اسمه. قال إبراهيم: فرجعت إلى بلدي أسير سير الضعفى منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى بلخ، فكان أول أمري. قلت: قد انتهينا بحمد الله ومنّه إلى نهاية المشرق، ونحن نعود إلى مركزنا وهو مدينة السلام بغداد، فنرتقي إلى ديار الشام والمغرب. والله الموفق.

من المصطَفَين من أهل عكبراء

٧٢١ ـ عبيد الله بن محمد بن بطة

أبو عبد الله، وكان عالماً عابداً: قال القاضي أبو حامد أحمد بن محمد اللؤلؤي: لما رجع أبو عبد الله بن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة، فلم يُرَ يوماً منها في السوق، ولا رُئي مفطراً إلا في يومي الأضحى والفطر، وكان أمّاراً بالمعروف، ولم يبلغه خبر منكر إلا غيره. أو كما قال.

قال أحمد بن علي قال: أخبرني القطيعي: توفي أبو عبيد الله بن بطة في المحرم سنة سبع وثمانين وثلثمائة، وكان شيخاً صالحاً، مستجاب الدعوة.

---

٧٢١ ـ أبو عبد الله بن بطة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٤/ ٣٩٠ سنة ٣٨٧)، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧).

ذكر المصطَفَين

من أهل الموصل

٧٢٢ ـ المُعَافَى بن عمران

أبو مسعود الأزدي: جمع العلم والتقوى والورع. قال علي بن خشرم: سمعت بشراً الحافي، وقال له رجل: ألا أراك عاشقاً للمعافى بن عمران؟ فقال: ما لي لا أعشقه، وكان الثوري يسميه الياقوتة. وقال: حضرته يوماً فنعي إليه ابناه، فما حلَّ حبوته [و] قال: ظالمين أو مظلومين؟ قيل: مظلومين. فحل حبوته وخر ساجداً، ثم رفع رأسه وقال: كيف كانت قصتهما؟.

[عن] بشر بن الحارث قال: قتل للمعافى بن عمران ابنان في وقعة الموصل، فجاء إخوانه يعزونه من الغد، فقال لهم: إن كنتم جئتم لتعزوني فلا تعزوني، ولكن هنئوني. قال: فهنئوه. قال: فما برحوا حتى غدَّاهم وغلفهم بالغالية.

[عن] يعقوب بن يوسف قال: قال بشر: كان المعافى صاحب كمد، أصيب بابنين له قتلا، وأصيب بماله، فما رئي عليه أثر حزن ولا سمع في داره صوت.

[عن] محمد بن مودود الموصلي قال: قيل لمعافى بن عمران: ما ترى في الرجل يقرض الشِّعر ويقوله؟ قال: هو عمرك فأَفْنِه بما شئت.

[عن] بشر بن الحارث قال: سمعت المعافى بن عمران يقول: عزُّ المؤمن استغناؤه عن الناس، وشرفه قيامه بالليل. [عن] مرداد بن جميل قال: سأل عمرو بن إسماعيل ـ رجل من أصحاب الحديث ـ المعافى بن عمران فقال له: يا أبا عمران أي شيء أحب إليك: أسهر وأصلي؟ أو أكتب الحديث؟ فقال: كتابة حديث واحد أحب إلي من صلاة ليلة.

أسند المعافى عن مغيرة بن زياد، وأسامة بن زيد، وصالح بن أبي الأخضر، والثوري، وابن أبي ذئب، ومالك، وابن جريج، ومسعر، والليث بن سعد وغيرهم، وأكثر ملازمة الثوري، وتأدب بآدابه، وصنف كتباً في السنن، والزهد، والأدب، وتوفي في سنة أربع وثمانين ومائة. وقيل: خمس وثمانين. وقيل: ست. والله أعلم.

---

٧٢٢ ـ المعافى بن عمران ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٩/ ١٠١ سنة ١٨٤)، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٢٦)، الجرح والتعديل (٨/ ٣٩٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٩٩)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٨)، التاريخ الكبير (٨/ ٦٠)، شذرات الذهب (١/ ٣٠٨)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٧)، العبر (١/ ٢٩١)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٣٤).

٧٢٣ ـ فتح بن محمد بن وشاح الأزدي الموصلي

ويكنى أبا محمد بن الوليد قال: سمعت فتح بن محمد الأزدي يقول في جوف الليل: رب أجعتني وأعريتني، وفي ظلم الليل أجلستني، فبأي وسيلة أكرمتني هذه الكرامة؟ وكان يبكي ساعة ويفرح ساعة. قال المعافى بن عمران: دخلت على فتح الموصلي فرأيته قاعداً في الشمس وصبية له عريانة وابن له مريض، فقلت له: ايذن لي حتى أكسو هذه الصبية. قال: لا. قلت: ولم؟ قال: دعها حتى يرى الله عز وجل ضرها وصبري عليها فيرحمني. قال: فتجاوزت إلى الصبي، فقعدت عند رأسه فقلت: حبيبي ألا تشتهي شيئاً حتى أحمله؟ قال: ومن أنت؟ قلت: معافى بن عمران. فرفع رأسه إلى السماء، وقال: مني الصبر ومنك البلاء. قال أبو غسان المؤذن: خرجنا حجاجاً فأردنا غسل ثيابنا بمكة فأرشدنا إلى رجل له صلاح من أهل فارس، يغسل للناس ثيابهم ويتجر على الضعفاء فيغسل ثيابهم بغير أجرة، فأتيناه فقال: ممن أنتم؟ قلنا: من أهل الموصل. قال: تعرفون فتحاً؟ قلنا: نعم. قال: ما فعل؟ قلنا: مات. قال: فتوجع عليه وأظهر حزناً، فقلنا: كيف تعرفه وأنت رجل من أهل فارس وهو بالموصل؟ قال: رأيت في منامي عدة ليال أن: إيت فتحاً الموصلي فإنه من أهل الجنة. فخرجت من فارس حتى أتيت الموصل، فسألت عنه؟ فقيل لي: هو على الشطّ. فأتيته فإذا رجل ملتف بكسائه وقد ألقى شصاً له في الماء، فسلمت عليه فردّ عليّ، فقلت له: أتيتك زائراً. قال: فلف الشص وقام، فدخلنا المسجد وغربت الشمس وصلينا وتفرق الناس، فأتى بطعام فأكلنا، ثم نودي بالعشاء الآخرة، فصلينا وتفرق الناس، وقام فتح في صلاته ورميت بنفسي، فإذا رجل قد دخل علينا المسجد فسلم وصلى إلى جنب فتح ركعتين، وقعد فسلم عليه فتح وسأله، فقال له الرجل: متى عهدك بأبي السري؟ قال: ما لي به عهد منذ أيام. قال: فقم بنا إليه فإنه معتلٌّ. قال: فخرجنا من المسجد وأنا أنظر إليهما، حتى مضيا إلى دجلة يمشيان على الماء، فقعدت أنظر رجوعهما، فجاء أحدهما في آخر الليل، فإذا هو فتح، فدخلت عليه المسجد، فرميت نفسي كأني نائم، فلما أسفر الصبح وصلينا وتفرق الناس قمت إليه، فقلت: يا أبا محمد قد قضيت من زيارتك وطراً، وقد رأيت الرجل الذي أتاك البارحة وما كان منكما، فجعل يعارضني. فلما علم أني قد علمت الخبر أخذ عليّ العهود: أن لا أُعلِم بذلك أحداً ما علمتُ أنه حي. وقال لي: ذاك الخضر وأبو السري حمزة الخولاني، وهو رجل صالح في هذه القرية، وأشار بيده إليها، وقال: اجعل طريقك عليه فالقَه وسلِّم عليه. فمضيت إليه وسلمت عليه. ذكر المعافى بن عمران: أنه لم يلق أحداً أعقل من فتح هذا. وقال أبو نصر التمار: توفي في سنة سبعين ومائة رحمة الله عليه.

٧٢٤ ـ فتح بن سعيد الموصلي: يكنى أبا نصر

وقد يشتبه هذا بالذي قبله إذا قيل: فتح الموصلي، وهما اثنان معروفان عند أهل العلم، وإذا

---

٧٢٣ ـ فتح الموصلي: أبو محمد ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٣٣٤ سنة ١٧٠)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٤٩).

٧٢٤ ـ فتح الموصَلي: أبو نصر ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ٦١ سنة ٢٢٠)، تاريخ بغداد (١٢/ ٣٨١)، وانظر سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠).

فرق بينهما بالكنية أو باسم الأب تباينا. وقد حكي عن هذا نحو الحكاية التي حكيناها عن الأول في حق أولاده، ويحتمل أن يكون عن الأول.

قال أبو بكر بن عفان: سمعت بشر بن الحارث يقول: بلغني أن بنتاً لفتح الموصلي عريت، فقيل له: ألا تطلب من يكسوها؟ فقال: لا أدعها حتى يرى الله عز وجل عريها وصبري عليها. قال: فكان إذا كان ليالي الشتاء جمع عياله وقال بكسائه عليهم، ثم قال: اللهم أفقرتني وأفقرت عيالي، وجوعتني وجوعت عيالي، وأعريتني وأعريت عيالي؛ فبأي وسيلة توسلتها إليك، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبائك، فهل أنا منهم حتى أفرح؟

[عن] إبراهيم بن نوح الموصلي قال: رجع فتح الموصلي إلى أهله بعد العتمة وكان صائماً فقال: عشوني. فقالوا: ما عندنا شيء نعشيك به. قال: فما لكم جلوسٌ في الظلمة؟ قالوا: ما عندنا شيء نسرج ولا سراج؟ [فقال: اللهم] بأي يد كانت مني؟ فما زال يبكي إلى الصباح.

قال أبو بكر بن عفان: سمعت بشر بن الحارث يقول: بلغني عن فتح الموصلي أنه كان يتجزأ بفلس في اليوم يشتري به نخالة.

[عن] إبراهيم بن عبد الله قال: صُدِعَ فتح الموصلي، ففرح وقال: يا رب ابتليتني ببلاء الأنبياء، فشُكْرُ هذا أن أصلي الليلة أربعمائة ركعة.

قال بشر بن حارث: قال فتح الموصلي: من أدام النظر بقلبه ورثه ذلك الفرح بالمحبوب، ومن آثره على هواه ورثه ذلك حبه إياه، ومن اشتاق إليه وزهد فيما سواه ورعى حقه وخافه بالغيب ورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم.

قال أبو جعفر ابن أخت بشر بن الحارث: كنت يوماً واقفاً ببابنا إذ أقبل شيخ ثائر الشعر ملتف بالعباء، فقال لي: بشر في البيت؟ قلت: نعم. فقال: ادخل فقل: فتحٌ بالباب. فدخلت فقلت: يا خال شيخ في عباءٍ قال لي: قل لبشرٍ: فتحٌ بالباب.

قال: فخرج مسرعاً فصافحه واعتنقه، فقال له الشيخ: يا أبا نصر إني ذكرتك البارحة فاشتقت إلى لقائك. قال: فدفع إليّ درهماً فقال: خذ بأربعة دوانيق خبزاً، ويكون جيداً، وبدانقين تمراً.

قال الشيخ: قلْ له: يكون شهريزاً. فجئته به، فقال الشيخ: قل له يأكل معنا. فقال: كل معنا فأكلت معهم، فلما أكلنا أخذ ما فضل في طرف العباء ومضى، فخرج خالي معه يشيعه إلى حرب. فلما رجع قال لي: يا بني تدري من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا فتح الموصلي.

قال محمد بن الصلت: كنت عند بشر بن الحارث فجاء رجل فسلم على بشر، فقام بشر إليه فقمت لقيامه، فمنعني، فلما سكن الرجل أخرج بشر درهماً صحيحاً وقال: اخرج واشتر خبزاً وزبداً وتمراً برنياً. قال: فخرجت واشتريت وحملته، فوضعته بين يديه، فأكل الرجل وحمل الباقي وقام فخرج، فلما خرج قال لي بشر: يا بني تدري لِمَ منعتك عن القيام له؟ قلت: لا. قال: لأنه لم يكن بينك وبينه معرفة فكان قيامك لقيامي، فأردت أن لا يكون قيامك إلا لله خالصاً، وتدري لماذا دفعت إليك الدرهم وقلت: اشتر كذا وكذا؟ قلت: لا. قال: إن طيب الطعام يستخرج خالص الشكر لله

تعالى، وتدري لِمَ حمل الباقي؟ قلت: لا. قال: عندهم إذا صح التوكل لم يضر الحمل، وهذا فتح الموصلي جاءنا زائراً.

عن أحمد بن أبي الحواري أنه قال: سمعت شيخاً من أصحاب فتح الموصلي قال: كانت لفتح الموصلي بضاعة عند أخ له يعمل بها في البر والبحر، فبعث فتح فاستردها وأنفقها وقال: رأيت قلبي يميل إليها فكرهت أن تكون ثقتي سواه.

[عن] إبراهيم بن موسى قال: رأيت فتحاً الموصلي يوم عيد وقد رأى على الناس الطيالس والعمائم. قال: فقال لي: يا إبراهيم إنما ترى ثوباً وجسداً يأكله الدود غداً، هؤلاء أنفقوا خزائنهم على بطونهم وظهورهم ويقدمون على ربهم مفاليس.

[عن] عبد الله بن الفرج قال: قال فتح الموصلي: كبرت عليّ خطاياي، وكثرت حتى لقد آيستني من عظيم عفو الله عز وجل. قال: ثم قال: و[أنّى] آيَسُ منك وأنت الذي جدت على السَّحَرةِ بعد أن غدوا كفرة فجرة؟ و[أنّى] آيَسُ منك وأنت ولي كل نعمة؟ و[أنّى] آيَسُ منك وأنت المؤمل لكل فضل ومعروف؟ و[أنّى] آيَسُ منك وأنت المغيث عند الكرب؟ ولم يزل يقول: [أنّى] آيَسُ منك، حتى سقط مغشياً عليه[1].

[عن] عمران بن موسى الطرسوسي قال: مر فتح الموصل بصبيين مع أحدهما كسرة عليها عسل ومع الآخر كسرة عليها كامخ. فقال الذي معه الكامخ للذي معه العسل: أطعمني من خبزك. قال: إن كنت كلباً لي أطعمتك. قال: نعم. فأطعمه من خبزه، وجعل في فمه خيطاً وجعل يقوده! فقال فتح: لو رضيت بخبزك ما كنت كلباً لهذا! قال أبو موسى: فهكذا الدنيا.

[عن] عثمان بن عمارة قال: غبت غيبة، فلما قدمت لقيت فتحاً الموصلي في حانوت سالم الدورقي. فقال لي: يا بصري أي شيء رأيت في غيبتك؟ فقلت: رأيت عجائب كثيرة وأخباراً مختلفة. فصاح صيحة. فقلت: أنت تصيح من الخبز، فكيف لو شاهدت القيامة؟ أو شاهدت صاحب القيامة؟ فشهق شهقة ووثب من الحانوت فخر مغشياً عليه، فحملناه فأدخلناه الحانوت، فما زال مغشياً عليه إلى العصر، فلما صليت العصر تنفس، ثم فتح عينيه.

[عن] رياح بن الجراح العبدي قال: جاء فتح الموصلي إلى منزل صديق له يقال له عيسى التمار فلم يجده في المنزل، فقال للخادمة: أخرجي إليّ كيس أخي. فأخرَجَتْه، فأخذ منه درهمين، وجاء عيسى إلى منزله فأخبرته الجارية بمجيء فتح وأخذِهِ الدرهمين. فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة. فنظر فإذا هي صادقة فعُتِقت.

[عن] محمد بن عبد الرحمن بن حبيب الطفاوي قال: دخلت على فتح الموصلي وهو يوقد بالآجرّ، وكان فتح رجلاً من العرب، وكان شريفاً زاهداً.

---

(١) ما بين معقوفتين ورد في المطبوع «وإني» وهذا يأسٌ ممنوع مذموم، وقد آثرنا ما ترى لاستقامة المعنى في العقد والرجاء والعبودية.

[عن] عبد الله بن الفرج العابد قال: كان بالموصل رجل نصراني يكنى أبا إسماعيل، قال: فمر ذات ليلة برجل وهو يتهجد على سطحه وهو يقرأ ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] قال: فصرخ أبو إسماعيل صرخة غشي عليه، فلم يزل على حاله تلك حتى أصبح، فلما أصبح أسلم، ثم أتى فتحاً الموصلي فاستأذنه في صحبته؟ فكان يصحبه ويخدمه. قال: وبكى أبو إسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وعشي من الأخرى، فقلت له ذات يوم: حدثني ببعض أمر فتح الموصلي. قال فبكى ثم قال: أخبرك عنه: كان والله كهيئة الروحانيين، معلق القلب بما هناك، ليست له في الدنيا راحة. قلت: على ذاك. قال: شهدت العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعد ما تفرق الناس ورجعت معه، فنظر إلى الدخان يفور من نواحي المدينة، فبكى ثم قال: قد قرّب الناس قربانهم، فليت شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشياً عليه. فجئت بماء فمسحت به وجهه، فأفاق ثم مضى حتى دخل بعض أَزِقَّة المدينة فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: قد علمتَ طول غمي وحزني وترددادي في أزقة الدنيا، فحتى متى تحبس أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشياً عليه، فجئت بماء فمسحت على وجهه فأفاق. فما عاش بعد ذلك إلا أياماً حتى مات رحمه الله.

قال إبراهيم بن موسى: رأيت فتحاً الموصلي في يوم عيد أضحى وقد شم ريح القتار، فدخل إلى زقاق فسمعته يقول: تقرب المتقربون بقربانهم وأنا أتقرب إليك بطول حزني، يا محبوب كم تتركني في أزقة الدنيا محبوساً؟ ثم غشي عليه، وحُمل فدفناه بعد ثلاث.

[عن] إسماعيل بن هشام، عن بعض أصحاب فتح الموصلي قال: دخلت عليه يوماً وقد مد كفيه يبكي، حتى رأيت الدموع من بين أصابعه تنحدر، فدنوت منه لأنظر إليه فإذا دموعه قد خالطتها صفرة. فقلت: بالله يا فتح بكيت الدم؟ فقال: لولا أنك حلفتني بالله عز وجل ما أخبرتك، بكيت دماً. فقلت: على ماذا بكيت الدموع؟ وعلى ماذا بكيت الدم؟ فقال: بكيت الدموع على تخلُّفي عن واجب حق الله عز وجل، وبكيت الدم على الدموع خوفاً أن تكون ما صحت لي الدموع. قال الرجل: فرأيت فتحاً بعد موته في المنام. فقلت: ما صنع الله بك؟ فقال: غفر لي. قلت: فما صنع في دموعك؟ فقال: قربني ربي عز وجل، وقال لي: يا فتح؛ الدمع على ماذا؟ قلت: يا رب على تخلفي عن واجب حقك. قال: فالدمَ لم بكيتَ؟ فقلت: يا رب على دموعي خوفاً أن لا تصح لي. فقال لي: يا فتح ما أردت بهذا كله؟ وعزتي لقد صعد إليّ حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة. أدرك فتح عيسى بن يونس وأقرانه، وأسند عن عيسى، وتوفي سنة عشرين ومائتين.

٧٢٥ ـ سباع الموصلي

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت المَضاء يقول لسباع الموصلي: يا أبا محمد إلى أي شيء أفضى بهم الزهد؟ قال: إلى الأنس به.

٧٢٦ ـ أحمد الموصلي

عن أحمد الميموني ـ من ولد ميمون بن مهران ـ قال: قدم علينا أحمد الموصلي فأتيته فقال لي: يا أحمد إن تعمل فقد عمل العاملون قبلك، وإن تعبد فقد تعبد المتعبدون قبلك، أولئك الذين قربوا الآخرة، وباعدوا الدنيا، أولئك الذين وَلِيَ اللهُ إقامتهم على الطريق، فلم يأخذوا يميناً ولا شمالاً، فلو سمعت نغمة من نغماتهم المختمرة في صدورهم المتغرغرة في حلوقهم لغيبت عليك عيشك، ولطردت عنك البطالة أيام حياتك.

ذكر المصطَفَيات من عابدات الموصل

٧٢٧ ـ ألوف الموصلية

قال أبو سليمان: خطب رجل امرأة من أهل الموصل يقال لها ألوف، فقالت للرسول: قل له: ما يسرني أنك لي عبد وجميع ما تملكه لي، وأنك شغلتني عن الله عز وجل طرفة عين!.

٧٢٨ ـ رقية

[عن] عبد الله بن عمر بن عبيد الله المعمري قال: أنبأنا جدي قال: سمعت فتحاً الموصلي يقول: سمعت امرأة متعبدة عندنا تقول: إلهي وسيدي ومولاي لو أنك عذبتني بعذابك كله لكان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب، ولو نعمتني بنعيم أهل الجنة كلهم كانت لذة حبك في قلبي أكثر. قلت: هذه العابدة هي رقية.

[عن] منصور بن محمد قال: قالت رقية الموصلية: إني لأحب ربي حباً شديداً، فلو أمر بي إلى النار ما وجدت للنار حرارة مع حبه، ولو أمر بي إلى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبه، لأن حبه هو الغالب عليّ.

[عن] محمد بن كثير المصيصي قال: قالت رقية العابدة ـ وكانت بالموصل ـ: حرام على قلب فيه رهبانية المخلوقين أن يذوق حلاوة الإيمان، شغلوا قلوبهم بالدنيا عن الله عز وجل، ولو تركوها لجالت في الملكوت ورجعت إليهم بطُرَف الفوائد.

وكانت تقول: تفقهوا في مذاهب الإخلاص، ولا تفقَّهوا فيما يؤديكم إلى الركوب على القلاص.

٧٢٩ ـ أمية بنت أبي المورع

قال أبو الوليد: رياح بن أبي الجراح العبدي: ما رأيت قط مثل أمية بنت أبي المورع الموصلية، وكانت من الخائفين، وكانت إذا ذكرت النار قالت: أُدْخِلُوا النار، وأكلوا من النار، وشربوا من النار، وعاشوا. ثم تبكي، وكان بكاؤها أطول من ذلك، وكانت كأنها حبة على مقلى، وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت دماً، وما رأيت أحداً أشد خوفاً ولا أكثر بكاء منها.

---

٧٢٦ ـ أحمد الموصلي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن كثير (١٣/ ١١١)، شذرات الذهب (٥/ ٩٩).

٧٣٠ ـ موافقة

ويقال موفقة: قال أبو عبد الله الحصري: سمعت فتحاً الموصلي يقول: مرت بي امرأة متعبدة يقال لها: موافقة، فعثرت فسقط ظفر إبهامها، فضحكت، فقيل لها: يا موافقة يسقط إبهامك وتضحكين؟ فقالت: إن حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

قال عبد الله بن حبيق: مرت بفتح الموصلي امرأة يقال لها: «موفَّقة»، فعثرت فسقط ظفر إبهامها فضحكت، فقيل لها: يا موفقة سقط ظفر إبهامك وتضحكين؟ فقالت: والله إن حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه. وقد روي أن هذه القصة جرت لامرأة فتح الموصلي؛ قال زيد بن أبي الزرقاء: عثرت امرأة فتح الموصلي فانقطع ظفرها، فضحكت! فقيل لها: فأين ما تجدينه من حرارة الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

٧٣١ ـ راهبة الموصلية

قال أحمد بن أبي الحواري: حدثتني امرأتي رابعة قالت: دخلت على أخت لي عاتق بالموصل، فقالت لي: هل تدرين ما معنى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]؟ قالت: قلت: لا. قالت: القلبُ السليم الذي يلقى الله عز وجل وليس فيه شيء غير الله عز وجل. قال أحمد: حدثت بهذا أبا سليمان. فقال: ليس هذا كلام الراهبة، هذا كلام الأنبياء.

انتهى ذِكْرُ أهل الموصل بحمد الله ومنّه

ذِكْرُ المصطَفَين من أهل الرقة

٧٣٢ ـ ميمون بن مهران

يكنى أبا أيوب: مولى بني نصر، وقيل مولى الأزد ولد سنة أربعين، عن جعفر عن ميمون بن مهران قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: [مَنْ] مواليك؟ قلت: كانت أمي مولاة للأزد، وكان أبي مكاتباً من لبني نصر. فقال لي عمر: يا ميمون أنت مولى للأزد.

قال خلف بن حوشب: تكارينا مع ميمون بن مهران دواب إلى مكان. فقال ميمون: لولا أن الدواب بكِراءٍ لمررنا على آل فلان. قال جعفر بن برقان: قال ميمون بن مهران: يا جعفر قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره.

قال أبو المليح عن ميمون: لا تضرب المملوك في كل ذنب، ولكن احفظ ذلك له، فإذا عصى الله عز وجل فعاقبه على معصية الله، وذكِّره الذنوب التي أذنب بينك وبينه.

قال أبو المليح: ما رأيت أحداً أفضل من ميمون بن مهران، قال له رجل يوماً: يا أبا أيوب أي

٧٣٢ ـ ميمون بن مهران ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٨٤ سنة ١١٧)، الحلية (٤/ ٨٢)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٧١)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٧٧)، الجرح والتعديل (٨/ ٢٣٣)، العبر (١/ ١٤٧)، تاريخ الإسلام (٥/ ٨)، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٨)، بداية ابن كثير (٩/ ٣١٤)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٩٠)، شذرات الذهب (١/ ١٥٤).

شيء تشتكي؟ أراك مصفرّاً؟ قال: نعم لما يبلغني في أقطار الأرض. [عن] عبد الملك الميموني قال: سمعت أبي يقول: سمعت عمي عمر يقول: ما كان أبي يكثر الصيام ولا الصلاة، ولكنه كان يكره أن يعصي الله عز وجل. قال: وسمعت أبي يقول: وددت أن إصبعي قطعت من ها هنا وأني لم أَلِ. فقلت: ولا لعمر؟ قال: لا لعمر ولا لغيره. قال أبو المليح: سمعت ميموناً يقول: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل تائب، ورجل يعمل في الدرجات. [عن] جعفر بن برقان قال: سمعت ميمون بن مهران يقول: إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب محيت من قلبه، فترى قلب المؤمن مجلواً مثل المرآة، ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره، وأما الذي يتتابع في الذنوب فإنه كلما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء، فلا يزال ينكت في قلبه حتى يسودّ قلبه فلا يبصر الشيطان من حيث يأتيه.

قال: وسمعت ميمون بن مهران يقول: لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، حتى يعلم من أين مطعمه؟ ومن أين ملبسه؟ ومن أين مشربه؟ أمن حِلٍّ ذلك؟ أم من حرام؟.

قال أبو المليح عن ميمون: الصبر صبران، والذِّكْرُ ذِكران: فذِكْرُ اللهِ عز وجل باللسان حسنٌ، وأفضل منه أن تذكر الله عز وجل عندما تشرف عليه من معاصيه، والصبر عند المصيبة حسن، وأفضل منه أن تُصَبِّر نفسك على ما تكره من طاعة الله عز وجل وإن ثقل عليك. قال ميمون: وأدركت من لم يتكلم إلا بحق أو يسكت، وقد أدركت من لم يكن يتكلم بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس إلا بما يَصعد، وقد أدركت من لم يملأ عينيه من السماء فرقاً من ربه عز وجل، ولو أن بعض من أدركت نُشِر حتى يعاينكم ما عرف منكم شيئاً إلا قبلتكم.

[عن] عيسى بن كثير الأسدي قال: مشيت مع ميمون بن مهران حتى إذا أتى باب داره ومعه ابنه عمرو، فلما أردت أن أنصرف، قال له عمرو: يا أبة ألا تعرض عليه العشاء؟ قال: ليس ذلك من نيتي. أسند ميمون عن ابن عمر، وابن عباس، وغيرهما. وتوفي في سنة سبع عشرة ومائة.

٧٣٣ ـ حنّاذ القلاء

قال حذيفة المرعشي: مررت بالرقة بأصحاب السويق، ورجل يبيع السويق عليه بتة(١) وهو مقبل على غلامين، وعلى رأسه كمة دنسة، فقلت: لو ألقيت هذه الكمة. فقال: أصبت قلبي يصلح عليها. قلت: أراك مقبلاً على الغلامين؛ أفمنِ حبهما؟ قال: إني أُجِل الله عز وجل أن أشغل قلبي بحب أحد مع حبه، ولكن أرحمهما.

[عن] حذيفة العابد ـ صاحب يوسف بن أسباط ـ قال: لما اصطلح الروم والعرب قلت: فما أصنع الآن في الرباط؟ فخرجت حتى أتيت الرقة فجئت إلى قوم قلائين، فقلت: أعمل معكم فتنظرون إلى عمل فتجزون من الكراء بقدر ما أستحقه. قالوا: نعم.

(١) البَتُّ: الطَّيلَسان من خَزٍّ ونحوه.

فجعلت أعمل معهم، وكان ثَمَّ شيخٌ جالس بين يديه زنبيل سويق يبيع، على رأسه قلنسوة سوداء مخرقة وفرو مخرق، وبين يديه صبيان يلعبان ويقتتلان، وهو متشاغل بهما يزجرهما وينهاهما. قال: فقلت له: إني أحسبك تحبهما. قال: لا والله ما أحبهما، ولكن أرحمهما، وما أحد أحب إلي من الله عز وجل. قال: فأعجبني قوله، وأنست به، وكان ثَمَّ شباب يَرْفُث بعضهم على بعض، فقلت له: ألا تنهى هؤلاء! الشباب؟ فقال: إني لأُجلُّ الله عز وجل أن أذكره عند مثل هؤلاء(١). قال: فأعجبتني مقالته، فقلت: كيف حبك لمدحة الناس؟ قال: ما أحب أن لي ملء بيت دنانير وأنه يقع في قلبي حب مدحة الناس لي. فقلت: فما هذه القلنسوة على رأسك؟ قال: وجدت قلبي يصلح عليها. قال حذيفة: فلم أر أحداً إن شاء الله كان أصدق منه. قيل له: أين كان من يوسف بن أسباط؟ قال: ما كان يوسف بن أسباط يصلح إلا شاكرداً(٢) لذلك. قال أبو عمر: فذكرت ذلك لبعض الرَّقيين. فقال: ذاك حنَّاذ القلاء.

٧٣٤ ـ توبة بن الصُّمَّة

قال عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا: حدثني رجل من قريش: ذكر أنه من ولد طلحة بن عبيد الله، قال: كان توبة بن الصمة بالرقة وكان محاسباً لنفسه، فحسب فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتا! ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب؟ كيف؛ وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب! ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت. فسمعوا قائلاً يقول: يا لكِ رَكضةٌ إلى الفردوس الأعلى. رضي الله عنه.

٧٣٥ ـ إبراهيم بن داود القصار: أبو إسحاق الرَّقي

قال أبو بكر بن شاذان: سمعت إبراهيم القصار يقول: المعرفة إثبات الرب عز وجل خارجاً عن كل موهوم. وقال إبراهيم: الأبصار قوية والبصائر ضعيفة. وقال: من اكتفى بغير الكافي افتقر من حيث استغنى. وقال: الكفايات تصل إليك بلا تعب، والأشغال والتعب في الفضول. وقال: أضعف الخلق من ضَعُف عن رد شهواته، وأقوى الخلق من قوي على ردها. [عن] إبراهيم بن أحمد بن المولد يقول: سأل رجل إبراهيم القصار فقال: هل يبدي المحب حبه؟ أو هل ينطق به؟ أو هل يطيق كتمانه؟ فأنشأ يقول متمثلاً:

ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم ... بكتمان عينٍ دمعُها الدهرَ يذرف
حملتم جبال الحب فوقي وإنني ... لأعجز عن حمل القميص وأضعف

قال السلمي: إبراهيم بن داود من جلة مشايخ الشام، من أقران الجنيد، وابن الجلاء عمر، وصحبه أكثر مشايخ الشام، وكان مُلازماً للفقر، مجرداً فيه، محباً لأهله. توفي سنة ست وعشرين وثلثمائة.

---

(١) لا شك أن الواجب النهيُ عن المنكر في مثل هذه المواطن، والتزام النصّ أولى وأفضل من التذرع بمثل ذلك.

(٢) التلميذ أو الخادم.

٧٣٤ ـ توبة بن الصُّمَّة ـ رحمه الله ـ: ذكره البيهقي في الشعب (١/ ٥٣٣) وابن حبان في الثقات (٨/ ١٥٦).

٧٣٥ ـ إبراهيم القصار ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ٣٧٤ سنة ٣٢٦).

ذكر المصطفَيات من عابدات الرقة

٧٣٦ ـ عابدة

[عن] عبيد الله بن عبد الخالق قال: سبى الروم نساء مسلمات، فبلغ الخبر الرقة وبها هارون الرشيد أمير المؤمنين، فقيل لمنصور بن عمار: لو اتخذت مجلساً بالقرب من أمير المؤمنين، فحرّضت الناس على الغزو؟ ففعل، فبينا هو يذكرهم ويحرض إذا نحن بخرقة مصرورة مختومة قد طرحت إلى منصور، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة، ففك الكتاب، فقرأه، فإذا فيه: إني امرأة من أهل البيوتات من العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات، وسمعت تحريضك الناس على الغزو، وترغيبك في ذلك، فعمدت إلى أكرم شيء من بدني وهما ذؤابتاي فقطعتهما وصررتهما في هذه الخرقة المختومة، وأناشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيدَ فرس غازٍ في سبيل الله، فلعل الله العظيم أن ينظر إلي على تلك الحال نظرة فيرحمني بها.

قال: فبكى وأبكى الناس، وأمر هارون أن ينادَى بالنفير، فغزا بنفسه، فأنكى فيهم، وفتح الله عليهم.

قلت: هذه امرأة حسنُ قصدها، وغلطت في فعلها، لأنها جهلت أن ما فعلت منهيٌّ عنه، فليُنظَر إلى قصدها[1].

٧٣٧ ـ عابدة أخرى

من أهل الشام: نقل عنها مثل هذه؛ بلغنا عن أبي قدامة الشامي قال: كنت أميراً على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان فدعوت الناس إلى الغزو ورغبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثم تفرق الناس، وركبت فرسي وسرت إلى منزلي، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادي: يا أبا قدامة. فقلت: هذه مكيدة من الشيطان! فمضيت ولم أجب. فقالت: ما هكذا كان الصالحون! فوقفت، فجاءت ودفعت إلي رقعة وخرقة مشدودة، وانصرفتْ باكية.

فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب: إنك دعوتنا إلى الجهاد ورغبتنا في الثواب، ولا قدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما فيّ ـ وهما ضفيرتاي ـ وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك، لعل الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي.

فلما كانت صبيحة القتال فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل، فتقدمت إليه وقلت: يا فتى أنت

---

(١) النظر إلى شعر الأجنبية حرام، إلا الشعر البائن المنفصل فلا يحرم عند الحنابلة ا.هـ. كشاف القناع (١/ ٨٢).
وفي ردّ المحتار لابن عابدين (٦/ ٦٩٠) «كل عضو لا يجوز النظر إليه قبل الانفصال: لا يجوز بعده. وقال: بحرمة قطعها شعرَ رأسها كلياً (٦/ ٧٢٧) وأجازه في البحر الرائق (٨/ ٢٣٣) لضرورة. وسبب الحرمة: التشبّه بالرجال ا.هـ. والحكم قريب منه عند الحنابلة كما في الإنصاف للمرداوي (١/ ١٢٣).
وعند الشافعية: يكره حلقُها شعرَها إلا لضرورة. ا. هـ. «مغني المحتاج (٤/ ٢٩٧)». أقول: انتقاد الحافظ ابن الجوزي لفعل هذه المرأة: من باب حرمة أو كراهة حلقها شعرَها. ا.هـ.

غلام غر راجل ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها، فارجع عن موضعك هذا. فقال: أتأمرني بالرجوع وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥ ـ ١٦]؟.

فحملته على هجين كان معي: فقال: يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم. فقلت: أهذا وقت قرض؟ فما زال يلح علي حتى قلت بشرط: إن منّ الله بالشهادة أكون في شفاعتك! قال: نعم. فأعطيته ثلاثة أسهم، فوضع سهماً في قوسه، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة. ورمى به فقتل رومياً، ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك يا أبا قدامة. فقتل رومياً، ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك سلامَ مودِّع.

فجاءه سهم فوقع بين عينيه، فوضع رأسه على قربوس سرجه. فتقدمت إليه وقلت: لا تَنْسَها.

فقال: نعم، ولكن لي إليك حاجة: إذا دخلت المدينة فأْتِ والدتي، وسلم خرجي إليها وأخِبْرها؛ فهي التي أعطتك شعرها لتقيد به فرسك، وسلِّم عليها، فإنها العام الأول أصيبت بوالدي، وفي هذا العام بي. ثم مات.

فحفرت له ودفنته، فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذَفَتْه الأرض فألقته على ظهرها! فقال أصحابي: إنه غلام غر، ولعله خرج بغير إذن أمه. فقلت: إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا. فقمت وصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل، فسمعت صوتاً يقول: يا أبا قدامة اترك وليَ اللهِ.

فما برحت حتى نزلتْ عليه طيورٌ بِيْضٌ فأكلته، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته، فلما قرعتُ الباب خرجت أخته إليّ، فلما رأتني عادت وقالت: يا أماه هذا أبو قدامة ليس معه أخي، فقد أُصِبنا في العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي.

فخرجت أمه إلي فقالت: أمعزياً أم مهنئاً؟ فقلت: ما معنى هذا؟ فقالت: إن كان مات فعزني، وإن كان استشهد فهنئني. فقلت: لا؛ بل مات شهيداً. فقالت: له علامة فهل رأيتها؟ قلت: نعم؛ لم تقبله الأرض، ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه، فدفنتُها. فقالت: الحمد لله. فسلمت إليها الخرج ففتحته، فأخرجت منه مسحاً وغلاً من حديد، وقالت: إنه كان إذا جنَّه الليل لبس هذا المسح وغل نفسه بهذا الغل وناجى مولاه، وقال في مناجاته: احشرني من حواصل الطيور. فقد استجاب الله دعاءه.

انتهى ذِكْرُ أهل الرقة بحمد الله ومنّه

ذِكْرُ المصطَفَين من أهل الشام

من الطبقة الأولى من التابعين ومن بعدهم

٧٣٨ ـ عمرو بن الأسود السكوني

عن حكيم وضمرة بن حبيب قالا: قال عمر بن الخطاب: من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله ﷺ فلينظر إلى هدي عمرو بن الأسود.

عن يحيى بن جابر الطائي قال: قال عمرو بن الأسود: لا ألبس مشهوراً أبداً، ولا أملأ جوفي من طعام بالنهار أبداً حتى ألقاه.

عن ابن عياش عن شرحبيل: أن عمرو بن الأسود كان يدع كثيراً من الشبع مخافة الأشر، وكان إذا خرج من بيته إلى المسجد قبض يمينه على شماله مخافة الخيلاء.

قال أبو بكر بن عبد الله الغساني ـ عن المشيخة: إن عمرو بن الأسود [كان] يشتري الحلة بمائتين، ويصبغها بدينار، ويخمرها النهار كله، ويقوم فيها الليل كله.

أسند عمرو عن معاذ، وعبادة، والعرباض، في آخرين.

٧٣٩ ـ أبو عبد الله الصنابحي

واسمه عبد الرحمن بن عسيلة: عن محمود بن الربيع قال: كنا عند عبادة بن الصامت فأقبل الصنابحي، فقال عبادة: من سره أن ينظر إلى رجل كأنما رقي به فوق سبع سموات فعمل ما عمل على ما رأى فلينظر إلى هذا.

أسند الصنابحي عن أبي بكر الصديق، ومعاذ، وعبادة في آخرين.

٧٤٠ ـ يزيد بن الأسود

يكنى أبا الأسود الجرشي: عن سليم بن عامر الخبائري أن الشام قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فناداه

---

٧٣٨ ـ عمرو بن الأسود السكوني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٥/ ١٩٠ سنة ٤١)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٢)، الحلية (٥/ ١٥٥)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٩٤)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤)، الجرح والتعديل (١/ ٣/ ٢٢٠).

٧٣٩ ـ أبو عبد الله الصنابحي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٥/ ٢٠٨ سنة ٤٣)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢/ ١٩٩).

٧٤٠ ـ يزيد بن الأسود ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٣٤ سنة ٦٤)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٤)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢١٣)، تاريخ ابن كثير (٨/ ٣١٤)، التاريخ الكبير (٨/ ٣١٨)، الجرح والتعديل (٢/ ٤/ ٢٥٠)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ١٦١).

الناس، فأقبل يتخطى، فأمره معاوية فصعد المنبر، فقعد عند رجليه، فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك إلى الله. فرفع يديه ورفع الناس، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبَّت لها ريح فسقَتْنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم.

عن علي بن أبي جملة قال: أصاب الناسَ قحطٌ بدمشق، وعلى الناس الضحاك بن قيس الفهري، فخرج بالناس يستسقي، فقال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فلم يجبه أحد، ثم قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فلم يجبه أحد، ثم قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فلم يجبه أحد. ثم قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ عزمت عليه إن كان يسمع كلامي إلا قام! فقام وعليه برنس فاستقبل الناس بوجهه، ورفع جانبي برنسه على عاتقيه، ثم رفع يديه، ثم قال: اللهم يا رب إن عبادك تقربوا إليك فاسقِهم.

قال: فانصرف الناس وهم يخوضون الماء. فقال: اللهم إنه قد شهرني فأرحني منه. قال: فما أتت عليه جمعة حتى قُتِل الضحاك.

٧٤١ ـ شرحبيل بن السمط بن الأسود: أبو يزيد الكندي

قال بكر بن سوادة: كان رجل يعتزل الناس، إنما هو وحده، فجاءه أبو الدرداء فقال: أنشدك الله عز وجل ما يحملك على أن تعتزل الناس؟ قال: إني أخشى أن أُسلَب ديني وأنا لا أشعر.

فحدثت بذلك رجلاً من أهل الشام فقال: ذاك شرحبيل بن السمط.

قلت: ذكر محمد بن سعد شرحبيل بن السمط في التابعين بعد يزيد بن الأسود، وقد قال البخاري: له صحبة.

٧٤٢ ـ كعب الأحبار بن ماتع

يكنى أبا إسحاق: وهو من حِمْيَر؛ من آل ذي رعين، كان يهودياً فأسلم، وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام، فسكن حمص.

[عن] عبد الله بن بريدة قال: قال كعب الأحبار: ما كرم عبد على الله عز وجل إلا زاد البلاء عليه شدة، وما أعطى رجلٌ زكاةً فنقصت من ماله، ولا حبسها فزادت في ماله، ولا سرق سارق إلا حُسِب له من رزقه.

عن عبد الله بن شقيق قال: قال كعب: إن لـ:«سبحان الله»، و«الحمد لله»، و«لا إله إلا الله»،

---

٧٤١ ـ شرحبيل بن السمط ـ رحمه الله ـ: الكاشف (١/ ٤٨٢)، تقريب التهذيب (١/ ٢٦٥)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٨٣)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٤٤٥).

٧٤٢ ـ كعب الأحبار ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٥/ ٣٨ سنة ٣٢)، طبقات ابن سعد الكبرى (٧/ ٤٤٥)، الكاشف (٢/ ١٤٨).

و«الله أكبر»، دوياً حول العرش كدوي النحل، يذكّرن بصاحبهن، والعمل الصالح في الخزائن.

عن عبد الله بن الحارث، عن كعب قال: ما استقر لعبد ثناء في الأرض حتى يستقر في السماء.

عن أبي العوام، عن كعب الأحبار، قال: جاء رجلان فوقفا بباب المسجد فدخل أحدهما ولم يدخل الآخر، وقال: مثلي لا يدخل بيتَ الله وقد عصيته! فأوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: إنني قد جعلته صدّيقاً بِإِزْرَائِهِ على نفسه.

عن يزيد بن قودر، عن كعب أنه قال: مؤمن عالم أشد على إبليس وجنوده من مائة ألف مؤمن عابد، لأن الله يعصم به من الحرام.

عن عبد الله بن شقيق العقيلي، عن كعب قال: لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحبُّ إلي من أن أتصدق بوزني ذهباً، والذي نفس كعب بيده ما بكى عبد من خشية الله حتى تقع قطرة من دموعه إلى الأرض فتمسه النار أبداً حتى يعود قطر السماء الذي وقع إلى الأرض من حيث جاء، ولن يعود أبداً.

عن علقمة بن مرثد، عن كعب قال: من يعبد الله عز وجل حيث لا يراه أحد يعرفه: خرج من ذنوبه كما يخرج من ليلته.

عن الأعمش، عن زياد عن كعب قال: المتخلّق إلى أربعين يوماً، ثم يعود إلى خُلُقِه الذي هو خُلُقُه[١].

عن كرز بن وبرة قال: بلغني أن كعباً قال: إن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يصلّون بالليل في بيوتهم كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء.

أسند كعب عن عمر بن الخطاب، وصهيب، وعائشة. وتوفي بحمص سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان.

٧٤٣ ـ يزيد بن مرثد: أبو عثمان الهمداني

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: قلت ليزيد بن مرثد: ما لي أرى عينيك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله عز وجل أن ينفعني به. قال: يا أخي إن الله عز وجل قد توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتواعدني أن يسجنني إلا في الحمّام لكنت حرياً أن لا تجف لي عين.

قال: فقلت له: فهكذا أنت في خلواتك؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسىٰ الله عز وجل أن ينفعني به. قال: والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي فيحول بيني وبين ما أريد، وإنه ليوضع الطعام بين يدي فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله، حتى تبكي امرأتي ويبكي صبياننا، ما

(١) أي: الذي يَتَصَنَّعُ للناس فيُظهر ما ليس فيه...

٧٤٣ ـ يزيد بن مرثد ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٩١ سنة ٨٩)، التاريخ الكبير (٤/ ٢/ ٣٥٧)، الجرح والتعديل (٩/ ٢٨٨)، تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٠).

يدرون ما أبكانا؟ ولربما أضجر ذلك امرأتي فتقول: يا ويحها ما خُصَّتْ به من طول الحزن معك في الحياة الدنيا، ما تقر لي معك عين.

عن الوضين بن عطاء قال: أراد الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد، فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة وقلبها فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجاً، وأخذ بيده رغيفاً وعرقاً، وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف، وجعل يمشي في الأسواق ويأكل. فقيل للوليد: إن يزيد قد اختُلِط. وأُخبر بما فعل فتركه.

أسند يزيد بن مرثد عن معاذ، وأبي الدرداء، وغيرهما.

٧٤٤ ـ عبد الله بن مُحَيْرِيز

أبو محيريز: عن بشير بن صالح قال: دخل ابن محيريز حانوتاً بدانق وهو يريد أن يشتري ثوباً، فقال رجل لصاحب الحانوت: هذا ابن محيريز فأحسن بيعَه. فغضب ابن محيريز وخرج، وقال: إنما نشتري بأموالنا، لسنا نشتري بديننا.

عن رجاء بن حيوة قال: أتانا نعي ابن عمر ونحن في مجلس ابن محيريز، فقال ابن محيريز: والله إن كنت لأعد بقاء ابن عمر أماناً لأهل الأرض.

وقال رجاء بن حيوة بعد موت ابن محيريز: وأنا والله إن كنت لأعد بقاء ابن محيريز أماناً لأهل الأرض.

وعن ضمرة عن رجاء قال: كان ابن محيريز يجيء بالكتاب إلى عبد الملك فيه النصيحة فيقرئه إياه، ثم لا يُقِرّه في يده.

[عن] أيوب بن سويد قال: أنبأنا أبو زرعة: أن عبد الملك بن مروان بعث إلى ابن محيريز بجارية، فترك ابن محيريز منزله فلم يكن يدخله، فقيل له: يا أمير المؤمنين تغيّب ابن محيريز عن منزله. قال: ولم؟ قيل: من أجل الجارية التي بعثت بها إليه. قال: فبعث عبد الملك فأخذها.

عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال: كان ابن محيريز إذا مُدِح قال: وما يدريك؟ وما علمك؟.

وعن ضمرة، عن عمر بن عبد الرحمن بن محيريز قال: كان جدي ابن محيريز يختم في كل سبع.

عن عبد الله بن عوف القارئ قال: لقد رأيتنا بـ«رودِس»[(١)] وما في الجيش أحدٌ أكثر صلاة من ابن محيريز في العلانية، ثم أقصر عن ذلك حين شُهِر وعُرِف.

وعن ضمرة، عن الأوزاعي، قال: كان ابن زكريا يقدم فلسطين فيلقى ابن محيريز فتتقاصر إليه نفسه لما يرى من فضل ابن محيريز.

---

٧٤٤ ـ عبد الله بن محيريز ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٩٠ سنة ٨٩)، الحلية (٥/ ١٣٨)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢١)، تاريخ ابن كثير (٩/ ١٨٥)، العبر (١/ ١١٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٤)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٧).

(١) الجزيرة اليونانية في البحر الأبيض المتوسط المشهورة.

[عن] عبد الواحد بن موسى قال: سمعت ابن محيريز يقول: اللهم إني أسألك ذكراً خاملاً.

عن خالد بن دريك قال: كانت في ابن محيريز خصلتان ما كانتا في أحد ممن أدركت في هذه الأمة: كان أبعد الناس أن يسكت عن حق بعد أن يتبين له، يتكلم فيه، غضب من غضب، ورضي من رضي، وكان من أحرص الناس أن يكتم من نفسه أحسن ما عنده.

[عن] عبد الله بن المبارك عن طليق قال: سمعت أن ابن محيريز يقول: من مشى بين يدي أبيه فقد عقَّه، إلا أن يمشي فيميط له الأذى عن طريقه، ومن دعا أباه باسمه أو بكنيته فقد عقّه، إلا أن يقول: يا أبَهْ.

أسند ابن محيريز عن أبي سعيد الخدري، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي محذورة، وفضالة بن عبيد وغيرهم. وتوفي في ولاية الوليد بن عبد الملك.

٧٤٥ ـ أبو مُسْلِم الخولاني

واسمه عبد الله بن ثُوَب، طرحه الأسود العنسي المتنبي باليمن في النار فلم تضره، فكان يشبَّه بالخليل عليه السلام.

عن شرحبيل بن مسلم الخولاني قال: تنبأ الأسود بن قيس العنسي باليمن فأرسل إلى أبي مسلم فقال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع! قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع.

قال: فأمر بنار عظيمة فأُجِّجت، وطرح فيها أبو مسلم فلم تضره. فقال له أهل مملكته: إن تركت هذا في بلادك أفسدها عليك. فأمره بالرحيل، فقدم المدينة وقد قُبِض رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر، فقام إلى سارية من سواري المسجد يصلي فبصر به عمر بن الخطاب، فقال: من أين الرجل؟ قال: من اليمن. قال: فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار فلم تضره؟ قال: ذاك عبد الله بن ثوب. قال: نشدتك بالله عز وجل أنت هو؟ قال: اللهم نعم. قال: فقبَّل ما بين عينيه، ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن. عليه السلام.

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم: أبو مسلم الخولاني، فإنه لم يكن يجالس أحداً يتكلم في شيء من أمر الدنيا إلا تحول عنه، فدخل ذات يوم المسجد فنظر إلى نفر قد اجتمعوا فرجا أن يكونوا على ذكر الله تعالى، فجلس إليهم، وإذا بعضهم يقول: قدم غلامي

---

٧٤٥ ـ أبو مسلم الخولاني ـ رحمه الله ـ: الكاشف (٢/ ٤٦٠)، تقريب التهذيب (١/ ٢٩٨) و(١/ ٦٧٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٤٦)، و(١٢/ ٢٣٥)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٨)، تاريخ ابن معين (٤/ ٤٢٤)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٢)، الحلية (٢/ ٢٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٦)، تاريخ ابن كثير (٨/ ١٤٦)، شذرات الذهب (١/ ٧٠).

فأصاب كذا وكذا. وقال آخر: جهزت غلامي. فنظر إليهم وقال: سبحان الله أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ [هو] كمثل رجل أصابه مطر غزير وابلٌ فالتفت فإذا هو بمصراعَيْن عظيمين، فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب هذا المطر؟ فدخل فإذا البيت لا سقف له! جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير، فإذا أنتم أصحاب دنيا.

قال: وقال له قائل، حين كبر ورقّ: لو قصرت عن بعض ما تصنع؟ فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة ألستم تقولون لفارسها: دعها وارفق بها! حتى إذا رأيتم الغاية لم تَسْتَبْقُوا منها شيئاً؟ قالوا: بلى. قال: فإني قد أبصرت الغاية، وإن لكل ساعة غاية، وغاية كل ساعة الموت، فسابق ومسبوق.

قال أبو بكر بن أبي مريم: حدثني عطية بن قيس: أن ناساً من أهل دمشق أتوا أبا مسلم الخولاني في منزله وهو غاز بأرض الروم، فوجدوه قد احتفر في فسطاطه جوبة، ووضع في الجوبة نطعاً، وأفرغ فيه ماء يتصلق فيه وهو صائم، فقالوا له: ما يحملك على الصيام وأنت مسافر وقد رخص لك في الفطر في السفر؟ فقال: لو حضر قتال لأفطرت وتقويت للقتال، إن الخيل لا تجري إلى الغايات وهي بدن، إنما تجري وهي ضمر، إن بين أيدينا أياماً لها نعمل.

عن شُرَحبيْل بن مسلم: أن رجلين أتيا أبا مسلم الخولاني في منزله، فقال بعض أهله: هو في المسجد. فأتياه فوجداه يركع، فانتظرا انصرافه وأحصيا ركوعه، فأحصى أحدهما أنه ركع ثلثمائة، والآخر أربعمائة قبل أن ينصرف، فقالا له: يا أبا مسلم كنا قاعدين خلفك ننتظرك، قال: أما إني لو علمت مكانكما لانصرفت إليكما، وما كان لكما أن تحفظا علي صلاتي، فأقسم لكما إن كثرة السجود خير ليوم القيامة.

قال حميد: قال أبو مسلم الخولاني: ما عملت عملاً أبالي من رآه إلا أن يخلو الرجل بأهله أو يقضي حاجة غائط.

[عن] محمد بن زياد عن أبي مسلم: أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال: أجيزوا باسم الله. قال: ويمر بين أيديهم. قال: فيمرون بالنهر الغَمْر، فربما لم يبلغ من الدواب إلا إلى الركب، أو بعض ذلك أو قريباً من ذلك، فإذا جازوا قال للناس: هل ذهب لكم من شيئ؟ من ذهب له شيء فأنا له ضامن. قال: فألقى بعضهم مخلاة عمداً، فلما جازوا قال الرجل: مخلاتي وقعت في النهر. قال له: اتبعني. فإذا المخلاة تعلقت ببعض أعواد النهر.

عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: قالت امرأة أبي مسلم ـ يعني الخولاني ـ: يا أبا مسلم ليس لنا دقيق. قال: عندك شيء؟ قالت: درهم بعنا به غَزْلاً. قال: ابغينيه وهاتي الجراب. فدخل السوق فوقف على رجل يبيع الطعام، فوقف عليه سائل فقال: يا أبا مسلم تصدق علي. فهرب منه فأتى حانوتاً آخر فتبعه السائل فقال: يا أبا مسلم. فهرب منه فأتى حانوتاً آخر فتبعه السائل فقال: تصدق علي. فلما أضجره أعطاه الدرهم، ثم عمد إلى الجراب فملأه نجارة النجارين مع التراب، ثم أقبل إلى باب منزله، فنقر الباب وقلبه مرعوبٌ من أهله، فلما فتحت الباب رمى بالجراب وذهب، فلما فتحته

إذا هي بدقيق حواري، فعجنت وخبزت، فلما ذهب من الليل الهوي جاء أبو مسلم فنقر الباب، فلما دخل وضعت بين يديه خواناً وأرغفة، فقال: من أين لكم هذا؟ قالت له: يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئت به. فجعل يأكل ويبكي.

عن عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف من المسجد إلى منزله كبر على باب منزله فتكبر امرأته، فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته، فإذا بلغ إلى باب بيته كبر فتجيبه امرأته، فانصرف ذات ليلة، فكبر عند باب داره فلم يجبه أحد، فلما كان في الصحن كبر فلم يجبه أحد، فلما كان في باب بيته كبر فلم يجبه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه، ثم أتته بطعامه قال: فدخل، فإذا البيت ليس فيه سراج، وإذا امرأته جالسة منكسة تنكت بعود معها. فقال لها: ما لك؟ فقالت: أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم، فلو سألته فأخدمنا وأعطاك؟ فقال: اللهم من أفسد عليّ امرأتي فَأَعْمِ بصره. قال: وقد جاءتها امرأة قبل ذلك، فقالت: زوجك له منزلة من معاوية، فلو قلت له: يسأل معاوية أن يخدمه ويعطيه عشتم! قال: فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها، فقالت: ما لسراجكم طفئ؟ قالوا: لا. فعرفت ذنبها، فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي، وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها: يرد عليها بصرها. قال: فرحمها أبو مسلم؛ فدعا الله عز وجل لها فردّ عليها بصرها.

[عن] الحسن قال: قال أبو مسلم الخولاني ـ وكان ذا أمثال ـ أرأيتم نفساً إذا أكرمتها وودعتها ونعمتها ذمتني غداً عند الله، وإن أنا أهنتها وأنصبتها وأعملتها مدحتني عند الله غداً؟ قالوا: من تيك يا أبا مسلم؟ قال: تيك والله نفسي.

عن شرحبيل بن مسلم، عن أبي مسلم الخولاني: أنه كان إذا وقف على خربة قال: يا خربة أين أهلك؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم، وانقطعت الشهوة، وبقيت الخطيئة، ابن آدم! تَرْكُ الخطيئة أهونُ من طلب التوبة.

قال أبو بكر بن أبي الأسود: قال أبو مسلم الخولاني: ما طلبت شيئاً من الدنيا قط فولي لي، حتى لقد ركبت مرة حماراً، فلم يمش، فنزلت عنه وركبه غيري فعدا. قال: فأريت في منامي كأن قائلاً يقول لي: لا يحزنك ما زوي عنك من الدنيا، وإنما يفعل ذلك بأوليائه وأحبائه وأهل طاعته. قال: فسري عني.

عن شرحبيل بن مسلم، عن عمير بن سيف: أنه سمع أبا مسلم الخولاني يقول: لأن يولد لي مولود يحسن الله عز وجل نباته حتى إذا استوى على شبابه ـ وكان أعجب ما يكون إلي ـ قبضه مني، أحبُّ إلي من أن تكون لي الدنيا وما فيها.

عن عثمان بن أبي العاتكة قال: كان من أمر أبي مسلم الخولاني [أنه كان يعلّق](١) سوطاً في مسجده ويقول: أنا أولى بالسوط من الدواب، فإذا دخلته فترة مشق ساقَه سوطاً أو سوطين، وكان يقول: لو رأيت الجنة عياناً ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندي مستزاد.

(١) في المطبوع: «أن علق سوطاً».

[عن] بلال بن كعب قال: ربما قال الصبيان لأبي مسلم الخولاني: ادع الله أن يحبس علينا هذا الطائر؟ فيدعو الله عز وجل فيحبسه، فيأخذوه بأيديهم.

أدرك أبو مسلم أبا بكر، وعمر. وأسند عن معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وتوفي في خلافة يزيد بن معاوية ـ كذا قال محمد بن سعد ـ. وقال البخاري: توفي في خلافة معاوية.

ومن الطبقة [الثانية](١)

٧٤٦ ـ رجاء بن حَيْوَة: أبو المقدام الكندي

عن مطر الوراق قال: ما رأيت شامياً أفضل من رجاء بن حيوة.

قال أبو أسامة: كان ابن عون إذا ذَكر من يعجبه ذَكر رجاء بن حيوة.

قال ابن عون: ثلاثة لم أر مثلهم كأنهم التقوا فتواصوا: ابن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام.

قال عبيد بن السائب: أنبأ أبي قال: ما رأيت أحداً أحسن اعتدالاً في صلاته من رجاء بن حيوة.

عن عبد الرحمن بن عبد الله: أن رجاء بن حيوة قال لرجلين وهو يعظهما: انظرا الأمر الذي تحبان أن تلقيا الله عز وجل عليه فخذا فيه الساعة، وانظرا الأمر الذي تكرهان أن تلقيا الله عز وجل عليه فدعاه الساعة.

أسند رجاء عن عبد الله بن عمرو، وأبي الدرداء، وأبي أمامة، ومعاوية، وجابر.

وكان يصحب الخلفاء، ويأمرهم بالمعروف، فلما مات عمر بن عبد العزيز انقطع عن صحبتهم، فسأله يزيد بن عبد الملك أن يصحبه؟ فأبى، واستعفاه. فقيل له: نخاف عليك من هؤلاء! فقال: يكفينيهم الذي تركتهم له.

٧٤٧ ـ عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: كان عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية خلاً لعبد الملك بن مروان، فلما مات عبد الملك بن مروان وتصدع الناس عن قبره وقف عليه فقال: أنت عبد الملك الذي كنت تعدني فأرجوك، وتوعدني فأخافك، أصبحت وليس معك من ملكك غير ثوبيك، وليس لك منه غير أربعة أذرع في عرض ذراعين! ثم انكفأ إلى أهله واجتهد في العبادة حتى صار كأنه شن بال، فدخل عليه بعض أهله فعاتبه في نفسه وإضراره! فقال للقائل: أسألك عن شيء تصدقني عنه؟ قال: نعم. قال: أخبرني عن حالتك التي أنت عليها أترضاها للموت؟ قال: اللهم لا. قال: أفعزمت

---

(١) في المطبوع: «الثالثة»!!.

٧٤٦ ـ رجاء بن حيوة ـ رحمه الله ـ: الحلية (٥/ ١٧٠)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٤٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ١١١)، العبر (١/ ١٣٨)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٣٠٤)، تهذيب التهذيب (١/ ١/ ١٩٠)، الجرح والتعديل (٢/ ١/ ٥٠١)، شذرات الذهب (١/ ١٤٥)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٤).

٧٤٧ ـ عبد الرحمٰن بن يزيد بن معاوية ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٦/ ٢٩٠ سنة ٨٩)، تاريخ الإسلام (٤/ ١٤٥)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣٠٠)، الجرح والتعديل (٥/ ٢٩٩).

على انتقال منها إلى غيرها؟ قال: ما انتصحت رأيي في ذلك. قال: أفتأمن من أن يأتيك الموت على حالك التي أنت عليها؟ قال: اللهم لا. قال: حالٌ ما أقام عليها عاقل. ثم انكفأ إلى مصلاه. روى عبدُ الرحمن عن ثوبان.

٧٤٨ ـ خالد بن معدان الكلاعي

يكنى أبا عبد الله: عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان قال: إياكم والخطران، فإنه قد تنافق يد الرجل من سائر جسده. قيل: وما الخطران؟ قال: ضرب الرجل بيده إذا مشى.

عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان قال: ما من عبد إلا وله أربع أعين: عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فيبصر بهما ما وُعد بالغيب. قال: وهما[1] غيب، فآمن الغيبُ بالغيب، وإذا أراد الله بعبد غير ذلك تركه على ما هو عليه، ثم قرأ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

عن عبد الله بن واقد، عن أم عبد الله، عن أبيها قال: خُلقت القلوب من طين، وإنها تلين في الشتاء.

[عن] صفوان بن عمرو قال: كان خالد بن معدان إذا عظمت حلقته قام فانصرف. قلت لصفوان: ولم كان يقوم؟ قال: كان يكره الشهرة.

أسند خالد بن معدان عن أبي عبيدة، ومعاذ، وعبادة، وأبي ذر وغيرهم.

قال محمد بن سعد: أنبأ يزيد بن هارون قال: مات خالد وهو صائم، قال ابن سعد: وتوفي سنة ثلاث ومائة، وقال عفير بن معدان: توفي خالد سنة أربع ومائة. والسلام.

٧٤٩ ـ عبادة بن نُسَيٍّ الكندي

توفي سنة ثمان عشرة ومائة. عن رجاء قال: كان بين رجل وبين عبادة بن نُسي منازعة فأسرع إليه الرجل فلقي رجاءُ بن حيوة عبادةَ، فقال: بلغني أن فلاناً كان منه إليك؛ فأخبرني؟ فقال: لولا أن تكون غيبة مني لأخبرتك بما كان منه.

٧٥٠ ـ عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي

كان صاحب غزو؛ من أهل دمشق: عن الأوزاعي قال: لم يكن بالشام رجل يفضل على عبد

---

٣٤٨ ـ خالد بن معدان ـ رحمه الله ـ: الحلية (٥/ ٢١٠)، تاريخ الإسلام (١٠٩/٤)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٢٣٠)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٥١)، العبر (١/ ١٢٦)، تهذيب التهذيب (١١٨/٣)، تذكرة الحفاظ (٨٧/١)، طبقات ابن سعد (٤٥٥/٧).

(١) أي: العينان اللذان في القلب؛ فأمرهما مغيّب عن صاحبهما أن يعاينهما.

٧٤٩ ـ عبادة بن نُسَيٍّ الكندي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٩٠ سنة ١١٨)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٣)، طبقات ابن سعد (٤٥٦/٧)، التاريخ الكبير (٦/ ٩٥)، الجرح والتعديل (٩٦/٦)، تهذيب التهذيب (١١٣/٥)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٦١).

٧٥٠ ـ عبد الله بن أبي زكريا ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٨٦)، الجرح والتعديل (٧/٥)، الحلية (١٤٩/٥)،=

الله بن أبي زكريا. قال: عالجت لساني عشرين سنة قبل أن يستقيم لي.

قال علي بن أبي جملة: قال عبد الله بن أبي زكريا الدمشقي: عالجت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة قبل أن أقدر منه على ما أريد. قال: وكان لا يدع أحداً يغتاب في مجلسه أحداً؛ يقول: إن ذكرتم الله أعنّاكم، وإن ذكرتم الناس تركناكم.

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: أن عبد الله بن أبي زكريا كان يقول: لو خيِّرت بين أن أُعمَّرَ مائة سنة في طاعة الله أو أن أُقبَضَ في يومي هذا أو في ساعتي هذه لاخترت أن أقبض شوقاً إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الصالحين من عباده.

قال الوليد بن سليمان الدمشقي: سمعت أبي يذكر قال: كان عبد الله بن أبي زكريا إذا خاض جلساؤه في غير ذكر الله كأنه ساهٍ، وإذا خاضوا في ذكر الله كان من أحسنَ الناس استماعاً.

أسند عبد الله عن عبادة بن الصامت، وأبي الدرداء في آخرين، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة.

ومن الطبقة [الثالثة][1]

٧٥١ ـ بلال بن سعد

قال عبد الله بن المبارك: كان محل بلال بن سعد بالشام ومصر كمحل الحسن بالبصرة.

قال الأوزاعي: سمعت بلال بن سعد يقول: واحزناه على أني لا أحزن! قال الأوزاعي عن بلال ابن سعد قال: إن الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا أهلها، وإذا أظهرت فلم تغيَّر ضرت العامة.

عن الأوزاعي قال: سمعت بلالاً يقول: لا تكن ولياً لله تعالى في العلانية وعدوَّه في السر.

قال: وسمعت بلالاً يقول في مواعظه: يا أهل الخلود ويا أهل البقاء، إنكم لم تخلقوا للفناء وإنما خلقتم للخلود والأبد، ولكنكم تُنقلون من دار إلى دار.

عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال: إن الله يغفر الذنوب، ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يَقِفَهُ عليها يوم القيامة وإن تاب.

[عن] سعيد بن عمرو قال: قال بلال بن سعد: ذِكْرُكَ حسناتك ونسيانُك سيئاتك غِرّةٌ.

[عن] الأوزاعي قال: هلك ابنٌ لبلال بن سعد، فجاء رجل يدّعي عليه ببضعة وعشرين ديناراً. فقال له بلال: ألك بينة؟ قال: لا. قال: فلك كتاب؟ قال: لا. قال: فتحلف؟ قال: نعم. قال:

= تهذيب التهذيب (٥/ ٢١٨)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٦٤)، تهذيب الكمال (رقم ٦٨٣)، تذهيب التهذيب (٢/ ٤٥/ ١)، تاريخ ابن الجوزي (٧/ ١٨١ سنة ١١٧).

(١) في المطبوع «الرابعة»!!

٧٥١ ـ بلال بن سعد ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٠)، الحلية (٥/ ٢٢١)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٦١)، التاريخ الكبير (٢/ ١٠٨)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٩٨)، تهذيب الكمال (رقم ١٦٧)، تهذيب التهذيب (١/ ٥٠٣)، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٣٤)، تاريخ ابن كثير (٩/ ٣٤٨)، تهذيب ابن عساكر (٣/ ٣١٨).

فدخل منزله فأعطاه الدنانير، فقال: إن كنت صادقاً فقد أديت عن ابني، وإن كنت كاذباً فهي عليك صدقة.

قال الأوزاعي: سمعت بلال بن سعد يقول: رب مسرور مغبون يأكل ويشرب ويضحك وقد حق له في كتاب الله عز وجل أنه من وَقود النار.

قال الأوزاعي: سمعت بلال بن سعد يقول: أخ لك كلما لقيك ذكَّرك بحظك من الله خيرٌ لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً.

قال الأوزاعي: سمعت بلال بن سعد يقول: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر: مَنْ عصيتَ؟.

قال سعيد بن عبد العزيز: قال بلال بن سعد: الذِّكْرُ ذِكْران: ذكر الله عز وجل باللسان حَسَنٌ جميل، وذِكْر الله: أحلّ وحرّم أفضلُ.

قال الضحاك بن عبد الرحمن: سمعت بلال بن سعد يقول: يا أولي الألباب ليتفكر متفكِّر فيما يبقى له وينفعه، أمَّا ما وكلكم الله عز وجل به فتضيعون؟ وأمّا ما تكفل لكم به فتطلبون؟ ما هكذا نعت الله عباده المؤمنين! أذَوُو عقولٍ في طلب الدنيا وبُلْهٍ عما خلقتم له؟ فكما ترجون الله بما تؤدون من طاعته فكذلك أشفقوا من عذاب الله بما تنتهكون من معاصيه.

قال: وسمعت بلال بن سعد يقول: عبادَ الله، اعلموا أنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال، وفي دار زوال لدار مقام، وفي دار نصب وحزن لدار نعيم وخلد، ومن لم يعمل على اليقين فلا يتعنَّ، عبادَ الرحمن: هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئاً من أعمالكم تقبل منكم؟ أو شيئاً من أعمالكم غُفِر لكم؟.

عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال: أدركتهم يشتدون بين الأغراض، ويضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل كانوا رهباناً.

أسند بلال عن أبيه سعد بن تميم السكوتي، وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وجابر بن عبد الله في آخرين.

٧٥٢ ـ عمير بن هانئ

أبو الوليد الشامي: قال البخاري: سمع من ابن عمر، وزعم آل عمير أنه أدرك ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال سعيد بن عبد العزيز قال: قلت لعمير بن هانئ: أرى لسانك لا يفتر من ذكر الله عز وجل، فكم تسبِّح كل يوم؟ قال: مائة ألف إلا أن تخطئ الأصابع.

---

٧٥٢ ـ عمير بن هانيء ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢١)، التاريخ الكبير (٦/ ٥٣٥)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٧٨)، تاريخ ابن الأثير (٥/ ١٢٣)، تهذيب الكمال (١٠٦٢)، تذهيب التهذيب (رقم ١١٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٤٩)، شذرات الذهب (١/ ١٧٣).

٧٥٣ ـ أبو عبد رب واسمه عبيدة بن المهاجر

عن ابن جابر: أن أبا عبد رب كان من أكثر أهل دمشق مالاً، فخرج إلى أذربيجان في تجارة، فأمسى إلى جانب مرعى ونهر فنزل به. قال: فسمعت صوتاً يكثر حمد الله عز وجل في ناحية، فاتّبعتُه فرأيت رجلاً في حفير من الأرض، ملفوفاً في حصير، فسلمت عليه وقلت: من أنت؟ قال: رجل من المسلمين. فسألته أن يقوم معي إلى المنزل، فأبى، فانصرفت وقد تقاصرت إلي نفسي ومقتُّها أني لم أخلف بدمشق رجلاً في العين يكاثرني، وأنا ألتمس الزيادة فقلت: اللهم إني أتوب إليك من سوء ما أنا فيه. فبت ولم يعلم إخواني بما قد أجمعت عليه، فلما كان السَّحَر رحلوا، فركبت دابتي وضربتها إلى دمشق فقلت: ما أنا بصادق التوبة إن مضيت في متجري. قال ابن جابر: فلما قدم تصدق بصامت ماله، وجهز به في سبيل الله عز وجل. قال ابن جابر: فحدثني بعض إخواني، قال: ماكستُ صاحب عباء بدانق من عباء أعطيته ستة، وهو يقول: سبعة. فلما أكثرت قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل دمشق. قال: ما تشبه شيخاً وفد علي أمس يقال له: «أبو عبد رب» اشترى مني سبعمائة كساء سبعة بسبعة، ما سألني أن أضع له درهماً، وما زال يفرقها بين فقراء الجيش، فما دخل إلى منزله منها بكساء. قال ابن جابر: وكان أبو عبد رب تصدق بصامت ماله، وباع عقدة فتصدق بها، إلا داراً بدمشق، ثم باعها بمال وفرقه، ثم مات فما وجدوا من ثمنها إلا قدر الكفن. وكان يقول: والله لو أن نهركم هذا سال ذهباً وفضة من شاء خرج إليه فأخذ، ما خرجت إليه. ولو قيل: من مسَّ هذا العود مات لسرني أن أقوم إليه شوقاً إلى الله عز وجل وإلى رسوله. أسند أبو عبد رب عن معاوية بن أبي سفيان. والسلام.

ومن الطبقة [الرابعة](١)

٧٥٤ ـ أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني

قال بقيّة: خرجنا إلى أبي بكر بن أبي مريم نسمع منه في ضيعته، وكانت كثيرة الزيتون، فخرج علينا نبطي من أهلها، فقال لي: من تريدون؟ فقلنا: نريد أبا بكر بن أبي مريم. فقال: الشيخ؟ فقلنا: نعم. فقال: ما في هذه القرية شجرة من زيتون إلا وقد قام إليها ليلته جمعاء.

قال يزيد بن هارون: كان أبو بكر من العبّاد المجتهدين، فحضره الموت وهو صائم، فلم يزل يجهد حتى قشروا له تفاحة، فأفطر عليها.

وقيل لامرأته: ألا تفلّين ثيابه؟ قالت: أية ساعة أفلّيها؟ ما يلقيها عنه ليلاً ولا نهاراً. تقول: لاشتغاله بالصلاة.

---

(١) في المطبوع: «الخامسة».

٧٥٤ ـ أبو بكر الغساني ـ رحمه الله ـ: تهذيب التهذيب (٦/ ٢٦)، لسان الميزان (٣/ ٣٥٧)، خلاصة تهذيب الكمال (رقم ٢١٢).

قال الحسن بن علي بن مسلم السكوني: كان لأبي بكر بن أبي مريم في خديه مسلكان من الدموع.

قال يزيد بن عبد ربه: عدت أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع فقلت له: رحمك الله لو جرعت جرعة ماء! فقال بيده: لا. ثم جاء الليل، فقال: أُذِّن؟ فقلت: نعم. فقطرنا في فمه قطرة ماء ثم مات.

أسند أبو بكر عن عبد الله بن بسر وغيره.

٧٥٥ ـ حسان بن عطية يكنى أبا بكر

عن الأوزاعي قال: ما رأيت أحداً أكثر عملاً منه في الخير. يعني حسان بن عطية.

عن الأوزاعي قال: كان حسان بن عطية يتنحى إذا صلى العصر في ناحية المسجد، فيذكر الله عز وجل حتى تغيب الشمس.

قال الأوزاعي: عن حسان بن عطية قال: من أطال قيام الليل يهون عليه طول القيام يوم القيامة.

قال الأوزاعي: حدثني حسان قال: يعذب الله الظالم بالظالم ثم يدخلهما النار جميعاً. وحدثني حسان قال: إن العبد إذا عمل سيئة وقف الملَك فلم يكتبها ثلاث ساعات، فإن لم يستغفر كتبت، وإن استغفر لم تكتب، وإن الرجل إذا سافر يوم الجمعة دعي عليه: أن لا يصاحَب في سفره ولا يُعان في حاجته، وركعتان يستنّ فيهما العبد خيرٌ من سبعين ركعة لا يستن فيها.

أسند حسان عن أنس، وشداد بن أوس، وأرسل عن ابن مسعود، وأبي ذر، وحذيفة في خلق كثير.

٧٥٦ ـ أمية الشامي

عن سفيان بن عيينة قال: كان أمية رجلاً من أهل الشام يقوم فيصلي هناك مما يلي باب بني سهم، فينتحب ويبكي حتى يعلو صوته، وحتى تسيل دموعه على الحصى. قال: فأرسل إليه الأمير: إنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك وارتفاع صوتك، فلو أمسكت قليلاً! فبكى ثم قال: إن حزن يوم القيامة ورَّثني دموعاً غزاراً، فأنا أستريح إلى ذَرِّيها أحياناً.

وكان أمية يقول: ألا إن المطيع لله مَلِك في الدنيا والآخرة. وكان يدخل الطواف فيأخذ في البكاء والنحيب، وربما سقط مغشياً عليه.

---

٧٥٥ ـ حسان بن عطية ـ رحمه الله ـ: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٦)، الحلية (٦/ ٧٠)، تاريخ الإسلام (٥/ ٦٠)، تهذيب ابن عساكر (٤/ ١٤٤)، التاريخ الكبير (٣/ ٣٣)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٣٦)، تهذيب الكمال (٢٥٢)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٥١).

٧٥٦ ـ أمية الشامي ـ رحمه الله ـ: ذكره ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٢٣١) و(٦/ ٤٦٣) والبخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٤٢) والمزني في تهذيب الكمال (٦/ ٤٢).

ومن الطبقة الخامسة

٧٥٧ ـ أبو سليمان الداراني

واسمه عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي؛ وداريا قرية من قرى دمشق، وقيل ضيعة إلى جنب دمشق.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان عبد الرحمن بن أحمد العنسي يقول: مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوفُ من الله، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، وإن الجوع عنده في خزائن مدخرة، ولا يعطي إلا من أحب خاصة، ولأن أدَعَ من عشائي لقمةً أحبُ إليَّ من أن آكلها وأقوم أول الليل إلى آخره.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، وما أحب البقاء في الدنيا لتشقيق الأنهار ولا لغرس الأشجار.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: سمعت أبا جعفر يبكي في خطبته يوم الجمعة، فاستقبلني الغضب وحضرتني نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله إذا نزل. قال: فتفكرت أن أقوم إلى الخليفة، فأعظه والناس جلوس يرمقوني بأبصارهم! فيعرض لي تزيّن، فَيأمرُ بي [إلى السجن]، فأقتل على غير تصحيح، فجلست وسكتُّ.

قال أحمد: وسمعت أبا سليمان يقول: كنت بالعراق أعمَلُ، وأنا بالشام أعرف. قال أحمد: فحدثت به ابنه سليمان فقال: إنما معرفة أبي بالله تعالى بالشام لطاعته بالعراق، ولو ازداد لله بالشام طاعة لازداد لله معرفة.

قال ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: كل ما شغَلَك عن الله عز وجل من أهل ومال أو ولد فهو عليك مَشُومٌ.

قال مسعود بن أبي جميل: سمعت أبا سليمان يقول: إنما عصى اللهَ عز وجل من عصاه لهوانهم عليه، ولوكَرُموا عليه لحجزَهم عن معاصيه. قال أحمد بن أبي الحواري: سمعتُ أبا سليمان يقول: كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان: من أي وجه أزال العاقل اللائمة عمن أساء إليه؟ قلت: لا أدري! قال: من أنه قد علم أن الله تعالى هو الذي ابتلاه به.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: كنت ليلة باردة [أدعو الله] في المحراب، فأفلقني البرد، فخبأت إحدى يدي من البرد، وبقيت الأخرى ممدودة، فغلبتني عيني،

---

٧٥٧ ـ أبو سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ١٤٥ سنة ٢٠٥)، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٨)، الحلية (٩/ ٢٥٤)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ٢٥٥)، الجرح والتعديل (٥/ ٢١٤)، طبقات السلمي (٧٥)، شذرات الذهب (٢/ ١٣)، القشيرية (١٩).

فهتف بي هاتف: يا أبا سليمان قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها ما أصابها. فآليت: لا أدعو إلا ويداي خارجتان.

قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان الداراني: يا أحمد إني محدثك بحديث فلا تحدِّث به أحداً حتى أموت: نمت ذات ليلة عن وردي فإذا أنا بحوراء تنبهني وتقول: يا أبا سليمان تنام وأنا أُربَّى لك في الخدور منذ خمسمائة عام؟. قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: بينا أنا ساجد إذ ذهب بي النوم، فإذا أنا بها ـ يعني الحوراء ـ قد ركضتني برجلها فقالت: حبيبي أترقد عيناك والملَك يقظانُ ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم؟ بؤساً لعين آثرت لذة النوم على لذة مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراغ، ولقي المحبون بعضهم بعضاً، فما هذا الرقاد؟ حبيبي وقرة عيني، أترقد عيناك وأنا أُرَبَّى لك في الخدور منذ كذا وكذا؟ فوثبتُ فزعاً وقد عرقت استحياء من توبيخها إياي، وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي.

يقول أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: ما ضرك ما غرك إذا أعقبك ما سرك.

قال موسى بن عمران: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورقّ، وإذا شبعت ورَوِيَت عَمِيَ القلبُ.

قال موسى بن عمران: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: ما يسرني أن لي من أول الدنيا إلى آخرها أنفقه في وجوه البر وأني أغفل عن الله عز وجل طرفة عين.

عن أحمد بن أبي الحواري قال: قال أبو سليمان الداراني: لو أن الدنيا كلها في لقمة ثم جاءني أخ لي لأحببت أن أضعها في فيه.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة، لأن الآخرة كريمة، والدنيا لئيمة.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: من حسَّن ظنه بالله عز وجل؛ ثم لا يخاف اللهَ فهو مخدوع.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: أرجو أن أكون قد رزقت من الرضا طرفاً لو أدخلني النار لكنت بذلك راضياً.

قال محمد بن هشام: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: يوحي الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام: اسلب عبدي ما رزقته من لذة طاعتي، فإن افتقدها فرُدَّها عليه، وإن لم يفتقدها فلا تردها عليه أبداً.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول في مناجاته: إنك إن طالبتني بسِرّي طالبتك بكرمك، وإن أخذتني بذنوبي أتيتك بتوحيدك، وإن أسكنتني النار بين أعدائك لأخبرنَّهم بحبي لك.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: كنت أنظر إلى الأخ من إخواني بالعراق فأعمل على رؤيته شهراً. وسمعته يقول: إنما الأخ الذي تعظك رؤيته قبل أن يعظك بكلامه.

قال أحمد بن أبي الحواري: بات أبو سليمان ذات ليلة، فلما انتصف الليل قام ليتهيأ، فلما أدخل يده في الإناء بقي على حالته حتى انفجر الصبح، وكان وقت الإقامة، فخشيت أن تفوته الصلاة فقلت: الصلاةَ يرحمك الله. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم قال: يا أحمد أدخلت يدي في الإناء فعارضني معارض من سري: هب أنك غسلت بالماء ما ظهر منك فبماذا تغسل قلبك؟ فبقيت متفكراً حتى قلت: بالغموم والأحزان فيما يفوتني من الأنس بالله عز وجل.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: ما يسر العاقل أن الدنيا له منذ خلقت إلى أن تفنى، يتنعم فيها حلالاً لا يسأل عنه يوم القيامة وأنه حجب عن الله عز وجل ساعة واحدة! فكيف بمن حجب أيام الدنيا وأيام الآخرة؟.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: ربما مثل لي رأسي بين جبلين من نار، وربما رأيتني أهوي فيها حتى أبلغ قرارها، وكيف تُهَنِّيءُ الدنيا من كانت هذه صفته؟ وسمعته يقول: إنما ارتفعوا بالخوف، فإن ضيَّعوا نزلوا، وينبغي لعاقل وإن بلغ أعلى درجة أن يفزع قلبه بأسفل درجة من ذكر الموت والمقابر والبعث.

وقلت لأبي سليمان: إني قد غبطت بني إسرائيل! قال: بأي شيء ويحك؟ قلت: بثمانمائة سنة بأربعمائة سنة، حتى يصيروا كالشنان البالية وكالأوتار. قال: ما ظننت إلا أنك قد جئت بشيء، لا والله لا يريد الله عز وجل منا أن تيبس جلودنا على عظامنا، ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده، هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما نال ذاك في عمره.

وسمعت أبا سليمان ـ وذُكر له رجل ـ فقال: لقد وقع على قلبي، ولكن صف لي حاله. فقلت: إنه نشأ في الصوف والقرآن وأكل المَلَّة. فقال: قد كنت أحب أن يكون ممن وجد طعم الدنيا، ثم تركها، لأنه إذا وجد طعمها ثم تركها لم يغترَّ بها، وإذا كان ممن لم يجد طعمها لم آمن عليه إذا وجد طعمها أن يرجع إليها.

وسمعت أبا سليمان يقول: لَأَهلُ الطاعة في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو بلهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

وسمعت أبا سليمان يقول: لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على لذّة ما فاته من الطاعة فيما مضى كان ينبغي له أن يبكيه حتى يموت.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: ما عمل داود عليه السلام عملاً قط كان أنفع له من خطيئته، ما زال منها خائفاً هارباً حتى لحق بربه عز وجل.

قال: ورأيت أبا سليمان أراد أن يلبِّي فغشي عليه، فلما أفاق قال: يا أحمد بلغني أن الرجل إذا حج من غير حِلِّه فقال: لبيك اللهم لبيك. قال له الرب: لا لبيك ولا سعديك حتى تردّ ما في يديك. فما يؤمنني أن يقال لي هذا؟ ثم لبَّى.

وسمعت أبا سليمان يقول: أقمت عشرين سنة لم أحتلم، فدخلت مكة فأحدثت بها حدثاً، فما أصبحت حتى احتلمت، فقلت له: فأي شيء كان ذلك الحدث؟ قال: تركت صلاة العشاء في المسجد الحرام في الجماعة، والاحتلامُ عقوبة.

وسمعته يقول: حيل بيني وبين قيام الليل ـ قال أحمد: كان الذكر يغلب عليه ـ وإني لأمرض فأعرف الذنب الذي أمرض به.

وسمعته يقول: ما حجوا ولا رابطوا ولا جاهدوا إلا فراراً من البيت(١)، وما يرون ما تقرّ به أعينهم إلا في البيت.

قال أحمد بن أبي الحواري: قال أبو سليمان: لو اجتمع الخلق جميعاً على أن يضعوني كاتّضاعي عند نفسي ما قدروا على ذلك.

قال أحمد بن أبي الحواري: قال أبو سليمان الداراني: من صَفّىٰ صُفِّي له، ومن كَدَر كُدِر عليه.

أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا علي بن خلف قال: أنبأ أبو عبد الرحمن السلمي قال: أنبأنا عبد الله بن محمد الرازي قال: أنبأنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي قال: سمعت أبا سليمان يقول: من أحسن في نهاره كوفيء في ليله، ومن أحسن في ليله كوفيء في نهاره، ومن صدق في ترك الشهوة ذهب الله بها من قلبه، والله أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تُركت له.

قال الجنيد: قال أبو سليمان الداراني: ربما يقع في قلبي النكتةُ من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة(٢).

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: ـ وقد دخلت عليه وهو يبكي، فقلت له ـ: ما يبكيك؟ فقال لي: يا أحمد ولِمَ لا أبكي، وإذا جن الليل ونامت العيون، وخلا كل حبيب بحبيبه، وافترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وقطرت في محاريبهم، أشرف الجليل سبحانه، فنادى جبريل عليه السلام: بعيني من تلذذ بكلامي، فلم لا ينادي فيهم ما هذا البكاء؟ هل رأيتم حبيباً يعذب أحبابه؟ أم كيف يجمل بي أن أعذب قوماً إذا جنّهم الليل تملقوني، فبي حلفت إذا وردوا عليَّ القيامة لأكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا إلي وأنظر إليهم.

قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان: ليس العبادة عندنا أن تصفَّ قدميك وغيرك

---

(١) لعل المراد: البيات في النار ـ والعياذ بالله. والبيت الثانية: لتقرّبهم من الله تعالى والله أعلم.

(٢) أقول: هذه المقولة من هذا الإمام الجليل ينبغي ألا يغيب عنها رُوّاد السلوك والتربية، ففيها الحفظ من الخطأ، وفيها الرفعة عن الزلل، وبها يكون السير إلى الله تعالى إرشاداً وتوجيهاً ووظائفَ ورياضاتٍ صحيحاً سليماً منضبطاً موصِلاً إلى الهدف منه. وما كل ما يعتري التصوّف والتزكية من أخطاء وتيهٍ وركام وضياع إلا بسبب تحكيم الهوى والوَجْد واللذة النفسية، والعصمة من ذلك تكون بتحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسول ﷺ على كل ما يرد على القلب من أفكار وخواطر، وعلى الإنسان من نصائح وتوجيهات. فلقد كان الطريق واضحاً ـ وما زال ـ فهل من مشمّر يبغي بعلمه وسيره رضا مولاه سبحانه وتعالى فيتحرّى مراضيه ـ سبحانه ـ في أوامره ونواهيه، في وحيه وكلمته؟؟ ويطّرح كل ما سواه، إذ لا خير في لذّة نفسية حصادُها خروجٌ عن أمر الله تعالى ومرضاته.

يفتُّ لك، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبّد، ولا خير في قلب يتوقع قرع الباب: يتوقع إنساناً يجيئه يعطيه شيئاً.

قال: وقلت لأبي سليمان: سهرت ليلة في ذكر النساء إلى الصباح. قال: فتغير وجهه، وغضب علي، وقال: ويحك أما استحييت منه؟ يراك ساهراً في ذكر النساء؟ ولكن كيف تستحي ممن لا تعرف؟. قال: وسمعت أبا سليمان يقول: إذا لذت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد، وإذا لذَّ لك السجود فلا تركع ولا تقرأ، الزم الأمر الذي يُفتح لك فيه.

وسمعت أبا سليمان يقول: من كان يومه مثل أمسه فهو في نقصان. وسمعت أبا سليمان يقول: ما أُتِي من أُتِيَ من إبليس وقارون وبلعم إلا أن أصل نياتهم غشٌ، فرجعوا إلى الغش الذي في قلوبهم، واللهُ أكرمُ من أن يمنَّ على عبد بصدق ثم يسلبه إياه.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: إذا ذكرت الخطيئة لم أحب الموت وقلت: أبقى لعلّي أتوب.

قال أبو عمران ـ موسى بن عيسى الجصاص ـ: قال أبو سليمان: رُدَّ سبيلَ العُجب بمعرفة النفس، وتخلص إلى إجمام القلب بقلة الخلطاء، وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الخوف، واستجلب نور القلب بدوام الحزن، والتمس باب الحزن بدوام الفكرة، والتمس وجوه الفكرة في الخلوات، وتحرز من إبليس بمخالفة هواك، وتزين لله بالإخلاص والصدق في الأعمال، وتعرض للعفو بالحياء منه والمراقبة، واستجلب زيادة النعم بالشكر، واستدم النعم بخوف زوالها، ولا عمل كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس، ولا قوة كرد الغضب،ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغار الدنيا، ولا معرفة كمعرفة النفس، ولا نعمة كالعافية من الذنوب، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا زهد كقصر الأمل، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا تقوى كاجتناب المحارم، ولا عدم كعدم العقل، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة النفس، ولا ذل كالطمع، ومن لم يحسن رعاية نفسه أسرع به هواه إلى الهلكة، ولا ينفع الهالك نجاة المعصوم، ومرارة التقوى اليوم حلاوة في ذلك اليوم، والهالك من هلك في آخر سفره وقد قارب المنزل، والخاسر من أبدى للناس صالح عمله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: وسأله رجل فقال: يا أبا سليمان ما أقرب ما تُقُرِّب به إليه؟ فبكى ثم قال: مثلي يُسأل عن هذا؟ أقرب ما تُقُرِّب به إليه أن يَطَّلِع من قلبك على أنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو.

وسمعت أبا سليمان يقول: ربما أقمت في الآية الواحدة خمس ليال، ولولا أني أدع الفكر فيها ما جُزتها أبداً، ولربما جاءت الآية من القرآن تطيّر العقل، فسبحان الذي رده إليهم.

قال أحمد: وقلت لأبي سليمان: إن فلاناً وفلاناً لا يقعان على قلبي. قال: ولا على قلبي، ولكن لعلنا أُتينا من قلبي وقلبك، فليس فينا خير، وليس نحب الصالحين.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: إذا اعتقدت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت، وعادت بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علماً.

قلت: سمع أبو سليمان الداراني الحديث الكثير، ولقي سفيان الثوري وغيره، ولكنه اشتغل بالتعبد عن الرواية، إلا أنني وجدت له ثلاثة أحاديث مسندة: الحديث الأول قال أبو سليمان الداراني: سمعت علي بن الحسن بن أبي الربيع الزاهد يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يذكر عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى قبل الظهر أربعاً غفر له ذنوب يومه ذلك»[(١)].

قال الخطيب: لا أحفظ لأبي سليمان حديثاً مسنداً غيره.

الحديث الثاني ـ قال أبو سليمان الداراني: أنبأ علي بن الحسن بن أبي الربيع قال: حدثنا إبراهيم ابن أدهم قال: سمعت محمد بن عجلان يذكر، عن أبيه، عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «من تواضع لله عز وجل رفعه الله»[(٢)].

الحديث الثالث ـ قال أبو سليمان الداراني: حدثني شيخ بساحل دمشق يقال له علقمة بن يزيد ابن سويد الأزدي قال: حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث قال: وفدت على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي، فلما دخلنا عليه وكلَّمنا أعجبه ما رأى من سَمْتنا وزِيِّنا. فقال: «ما أنتم؟» قلنا: مؤمنون، فتبسم وقال: «إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟» قال سويد: قلنا: خمس عشرة خصلة: خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها؟» قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله، وملائكته ورسله والبعث بعد الموت. قال: «وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟» قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول: لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا. قال: «وما الخمس التي تخلقتم بها أنتم في الجاهلية؟» قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضا بمُرِّ القضاء، والصبر عند شماتة الأعداء. فقال النبي ﷺ: «علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء». ثم قال ﷺ: «وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرون خصلة: إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه تزولون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون». قال أبو

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١١٦٠)، والترمذي (٤٢٧)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٨٧)، بمعناه عن أم حبيبة رضي الله عنها وأخرجه الخطيب في تاريخه (١٠/ ٢٤٨) عن أنت رضي الله عنه.

(٢) هو بمعناه عند أحمد (٣/ ٧٦)، بلفظ: «من تواضع لله درجة رفعه الله، يجعله في علّيين، ومن تكبّر على الله درجة وضعه الله، يجعله في أسفل السافلين» وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٢٠) عن جرير، والبيهقي في الشعب (٦/ ٢٧٦) والخطيب في تاريخه (٢/ ١١٠) عن عمر، والحكيم الترمذي في النوادر (٤/ ٢٢٢) عن محمد بن علي رضي الله عنهم، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٢٩) عن عمر وأخرجه (٨/ ٤٦) عن أبي هريرة، وقال: ولا أعرف له طريقاً غيره.

سليمان: وقال لي علقمة بن يزيد: فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيته وعملوا بها، ولا والله يا أبا سليمان ما بقي من أولئك النفر ولا من أولادهم أحد غيري. قال: وما بقي إلا أيام قلائل ثم مات رحمه الله(١).

توفي أبو سليمان الداراني سنة خمس ومائتين، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: سنة خمس عشرة. والأول أصح.

٧٥٨ ـ عبد العزيز بن عمير

أصله من خراسان، لكنه سكن دمشق: قال أحمد بن محمد بن أبي موسى الأنطاكي قال: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت عبد العزيز بن عمير يقول: ترى نور الجلال عليهم وأثر الخدمة بين أعينهم. ثم قال عبد العزيز: إن الرجل لينقطع إلى بعض ملوك أهل الدنيا فيُرى أثرُه عليه، فكيف بمن ينقطع إلى الله عز وجل كيف لا يرى أثره عليه؟.

قال أحمد بن وديع: سمعت عبد العزيز بن عمير يقول: الصيام سجن المؤمن عن الدنيا.

قال أبو خزيمة: سمعت عبد العزيز بن عمير يقول: النفس أمَّارة بالسوء، فإذا جاء العزم من الله عز وجل كانت هي التي تنازعك إلى الخير.

٧٥٩ ـ مروان بن محمد

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت مروان بن محمد يقول: إني أخبرك بشيء يا أحمد ما كلمت به أحداً قط قبلك: ما أنا لشيء أخوف مني من أن يختم لي بكفر.

ومن الطبقة [السادسة]

٧٦٠ ـ مُضاء بن عيسى

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت مضاء بن عيسى يقول: خف الله يلهمك، واعمل له لا يلجئك إلى دليل.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت مضاء بن عيسى يقول: إذا وصلوا إليه لم يرجعوا عنه، إنما رجع من رجع من الطريق(٢).

قال قاسم الجوعي: سمعت مضاء بن عيسى يقول: من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه، ومن أحب شيئاً آثره على غيره.

أسند مضاء عن شعبة. وسمع من غيره رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٧٩) وذكره العمادي في الروضة الريّا فيمن دُفن بداريا (٩٧).

٧٥٨ ـ عبد العزيز بن عمير ـ رحمه الله ـ: ذكره البيهقي (٤/ ٣٦٦) وابن أبي الدنيا في الأولياء (٢٥و٤٧).

٧٥٩ ـ مروان بن محمد ـ رحمه الله ـ: انظر تاريخ ابن الجوزي (٧/ ٣٢٠ سنة ١٣٢).

٧٦٠ ـ مضاء بن عيسى ـ رحمه الله ـ: الحلية (٩/ ٣٢٤)، معجم البلدان (٢/ ٧٤٣).

(٢) أي: لم يكملوا سيرهم إلى الله تعالى، بل انقطعوا عن السير إلى الله تعالى بالهوى والملذات فتاهوا.

٧٦١ ـ أبو كريمة العبدي

قال عيسى بن الهذيل: سمعت أبا كريمة ـ وكان من عبّاد أهل الشام ـ يقول: ابن آدم ليس لما بقي من عمرك ثمن.

٧٦٢ ـ بشير الطبري

سكن الشام قال: أبو عمرو الكندي: أغارت الروم على جواميس لبشير الطبري نحواً من أربعمائة جاموس، فركبت معه أنا وابن له، فلقينا عبيده الذين كانت معهم الجواميس معهم عصيهم فقالوا: يا مولانا ذهبت الجواميس! فقال: وأنتم أيضاً اذهبوا معها؛ فأنتم أحرار لوجه الله تعالى. فقال له ابنه: يا أبة أفقرتنا. قال: اسكت؛ إن ربي اختبرني؛ فأردت أن أزيده.

ومن الطبقة [السابعة]

٧٦٣ ـ القاسم بن عثمان الجوعي

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت القاسم الجوعي الكبير يقول: شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع ففقدوا لذاذة الطعام والشراب والشهوات ولذات الدنيا لأنهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة، فقطعتهم عن كل لذة، وإنما سُمِّيتُ قاسماً الجوعي لأن الله تعالى قوَّاني على الجوع، فلو تركت ما تركت ولم أوتَ بالطعام لم أبال، رضتْ نفسي حتى لو تركت شهراً وما زاد لم تأكل ولم تشرب لم تبال، أنا عنها راض أسوقها حيث شئت، اللهم أنت فعلت بي ذلك فأتمه علي.

قال أحمد بن عبد الله الحافظ: كان القاسم يقول: حب الرياسة أصل كل موبقة، وقليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة، ورأس الأعمال الرضا عن الله عز وجل، والورع عماد الدين، والجوع مخُّ العبادة، والحصن الحصين ضبطُ اللسان.

قال سعيد بن عبد العزيز الحلبي: سمعت قاسماً الجوعي يقول: أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: دخلت دمشق على كَتَبَة الحديث فمررت بحلقة قاسم الجوعي، فرأيت نفراً جلوساً حوله وهو يتكلم عليهم، فهالني منظرهم، فتقدمت إليه فسمعته يقول: اغتنموا من زمانكم خمساً: إن حضرتم لم تُعرفوا، وإن غبتم لم تُفتقدوا، وإن شهدتم لم تُشاوَروا، وإن قلتم شيئاً لم يُقبل قولكم، وإن عملتم شيئاً لم تُعطوا به. أوصيكم بخمس أيضاً: إن ظُلمتم فلا تَظلموا، وإن مُدحتم فلا تفرحوا، وإن ندمتم فلا تجزعوا، وإن كُذبتم فلا تغضبوا، وإن خانوكم فلا تخونوا. قال: فجعلت هذا فائدتي من دمشق.

أسند قاسم عن سفيان بن عيينة وغيره.

---

٧٦١ ـ أبو كريمة الطبري ـ رحمه الله ـ: ذكره أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٤١).

٧٦٣ ـ القاسم بن عثمان الجوعي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ٣٠٢ سنة ٢٤٢)، الحلية (٩/ ٣٢٣)، طبقات ابن الملقن (٢٨٠) و(٣٩٣) و(٣٩٧).

٧٦٤ ـ أحمد بن أبي الحواري

يكنى أبا الحسن. واسم أبي الحواري: ميمون، سكن دمشق، وكان له ابن يقال له: عبد الله من الزهاد، وأخ يقال له: محمد يشبهه في الورع والزهد. وأبوه أبو الحواري من أهل الورع أيضاً. فبيتهم بيتُ الورع والزهد.

وكان الجنيد يقول: أحمد بن أبي الحواري ريحانةُ الشام.

[عن] يحيى بن معين، وذكر أحمد بن أبي الحواري فقال: أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به.

قال محمود بن خالد، وذكر أحمد بن أبي الحواري فقال: ما أظنه بقي على وجه الأرض مثله.

[عن] العباس بن حمزة قال: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: من أحب أن يُعرف بشيء من الخير أو يُذكر به فقد أشرك في عبادته، ومن عبد على المحبة: لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه. وقال: إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية آية فيحار عقلي فيها، فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن؟ أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلَوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا.

[عن] العباس بن حمزة قال: قال أحمد بن أبي الحواري: كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

أسند أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غياث، وأبي معاوية، ووكيع ونظرائهم. وتوفي في سنة ثلاثين ومائتين.

٧٦٥ ـ محمد بن سمرة السائح

قال يوسف بن أسباط: كتب إلي محمد بن سمرة السائح بهذه الرسالة: أي أخي، إياك وتأمير التسويف على نفسك وإمكانه من قلبك، فإنه محل الكلال وموئل التلف، وبه تقطع الآمال وفيه تنقطع الآجال، فإنك إن فعلت ذلك أَدَلْتَه من عزمك فاجتمع وهواك عليك، فغلبا واسترجعا من بدنك من السآمة ما قد ولّى عنك، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من بدنك بنافعة، وبادر يا أخي، فإنك مبادَر بك، وأسرع فإنك مسروع بك، وجدّ فإن الأمر جد، وتيقظ من رقدتك، وانتبه من غفلتك، وتذكر ما أسلفت، وقصرت، وأفرطت، وجنيت، وعملت، فإنه مُثْبَتٌ مَحصي، وكأنك بالأمر قد بغتك فاغتبطت بما قدمت وندمت على ما فرطت، فعليك بالحياء والمراقبة والاعتزال وقلة الملاقاة، فإن السلامة في ذلك موجودة. وفقنا الله وإياك لأرشد الأمور، ولا قوة بنا وبك إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد نبينا وعلى آله الطاهرين.

---

٧٦٤ ـ أحمد بن ميمون: ابن أبي الحواري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ١٥٤ سنة ٢٣٠)، تقريب التهذيب (١/ ١٨)، الحلية (١٠/ ٥).

٧٦٦ ـ أبو عباد الشامي

[عن] إبراهيم بن منصور بن عمار قال: سمعت أبي يقول: قال لي رجل بالشام: يا أبا السري عندنا رجل من العبّاد من أهل واسط العراق لا يأكل إلا من كد يديه، وقد دبرت من سف الخوص صفحة يديه، ولو رأيته لوقذك النظر إليه، فهل لك أن تمضي بنا إليه؟ قلت: نعم. فأتيناه فدققنا عليه بابه، فخرج إلى الباب فسمعته يقول: اللهم إني أعوذ بك ممن جاء ليشغلني عما أتلذذ به من مناجاتك. ثم فتح الباب فدخلنا فإذا رجل ترى به الآخرة، وإذا قبر محفور ووصيته قد كتبها في الحائط، وكساؤه قد أعده لكفنه. فقلت: أي موقف لهذا الخلق؟ فقال: بين يدي من؟ قال: ثم صاح وخرّ لوجهه. ثم أفاق من غشيته، فقال له صاحبي: يا أبا عباد هذا أبو السري منصور بن عمار. فقال لي: مرحباً يا أخي ما زلت إليك مشتاقاً، أُعلِمُك أن بي داء قد أعيا المتطببين قبلك قديماً، فهل لك أن تتأتى له برفقك، وتلصق عليه بعض مراهمك لعل الله أن ينفع بك؟ قال: قلت: وكيف يعالج مثلي مثلَك وجُرحي أنغل من جرحك؟ قال: وإن كان كذلك، فإني مشتاق إلى ذلك. قال: قلت: إن كنت تمسكت باحتفار قبرك في بيتك وبوصية رسمتها بعد وفاتك وبكفن أعددته ليوم موتك، فإن لله عز وجل عباداً اقتطعهم خوفُهُ عن النظر إلى قبورهم. قال: فصاح صيحة ووقع في قبره، وجعل يفحص برجليه، وبال، فعرفت ذهاب عقله. فخرجت إلى طحّان على بابه فقلت: ادخل فأعنّا على هذا الشيخ، فاستخرجناه من قبره وهو في غشيته، فقال لي الطحّان: ويحك ما صنعت؟ فخرجت وتركته صريعاً، فلما كان الغد عدت إليه، فإذا بسلخ في وجهه، وإذا بشريط قد شد به رأسه لصداع وجده. فلما رآني قال: يا أبا السري المعاودةَ رحمك الله! فقلت له: أين بلغت أيها المتعبد من أحزانك بالله؟ لكأني أنظر إلى آكل الفطير والصابر على خبز الشعير، يأكل ما اشتهى ويسعى عليه بلحم طير، ويُسقى من الرحيق المختوم! فشهق شهقة، فحركته فإذا هو قد فارق الدنيا.

٧٦٧ ـ علي بن الفتح الحلبي

قال أبو زرعة الدمشقي: خرج علي بن الفتح الحلبي يوم النحر، فرأى الناس يتقربون إلى الله تعالى. فقال: يا رب أرى الناس يتقربون إليك بألوان الذبائح وإني تقربت إليك بحزني. ثم غشي عليه فأفاق، ثم قال: إلهي، إلى متى ترددني في دار الدنيا محزوناً؟ فاقبضني إليك. فوقع من ساعته ميتاً.

٧٦٨ ـ علي بن عبد الحميد الغضائري

[عن] محمد بن الحسن اليقطيني، ومحمد بن إبراهيم، يقولان: سمعنا علي بن عبد الحميد الغضائري يقول: دققت على السري بن مغلس بابه فسمعته يقول: اللهم من شغلني عنك فاشغله بك عني.

فكان من بركة دعائه أني حججت من حلب ماشياً على قدمي أربعين عاماً، وكان يعد من الأبدال. أسند الغضائري الحديث عن سوار بن عبد الله.

---

٧٦٨ ـ علي الغضائري ـ رحمه الله ـ: تاريخ بغداد (١٢/٢٩)، تاريخ ابن الجوزي (١٣/٢٥١ سنة ٣١٣)، شذرات الذهب (٢/٢٦٦)، وفيه: الغضائري: نسبة إلى الغضار وهو الإناء الذي يؤكل فيه ا.هـ.

٧٦٩ ـ جابر الرحبي

قال أبو جعفر الخصاف: حدثني جابر الرحبي قال: أكثر علي أهل الرحبة؛ ينكرون علي ما يعطي الله عز وجل أولياءه، فخرجت إلى خارج فركبت السبع ودخلت إلى الرحبة، وأنا أقول: أين الذين يكذبون أولياء الله عز وجل؟ فكفوا عني بعد ذلك.

وقال أبو جعفر الخصاف: قال لي جابر يوماً وأنا أماشيه: مُرَّ بنا نتسابق، مُرَّ أنت هكذا حتى أَمُرَّ أنا هكذا. قال: فمررت أنا على الجسر. فلما حصلت على الجسر التفتُّ فإذا هو يمشي على الماء! فلما التقينا قلت: من[1] يحسن مثل هذا؟ أمشي أنا على الجسر وتمشي أنت على الماء! قال: فقال: وقد رأيتني؟ قلت: نعم. قال: أنت رجل صالح.

٧٧٠ ـ أبو عبيد البسري

وبسرى فوق دمشق.

عن محمد ـ غلام أبي عبيد ـ قال: ودعت أبا عبيد حين أردت الحج. فقال لي: معك شيء؟ قلت: لا، ليس معي غير هذه الركوة. فقال: إذا أردت شيئاً أو جعت أو عطشت فصلِّ ركعتين، واجعلها على يمينك، فإذا سلمت رأيت كل ما تحب. قال: فجئت إلى بعض المنازل وليس فيه ماء، والناس يصيحون: العطش. فقلت في نفسي: قد قال أبو عبيد ما قال وهو صادق. فأخذت الركوة فرميت بها في مصنع وصليت ركعتين، فما سلمت إلا والرياح تذهب بها وتجيء على رأس الماء، فنزلت فأخذت الركوة، ثم صحت بالناس فجاءوا واستقوا حتى رووا.

قال أبو بكر بن معمر: سمعت ابن أبي عبيد البسري يحدث عن أبيه: أنه غزا سنة من السنين، فخرج في السرية، فمات المهر الذي كان تحته وهو في السرية، فقال: يا رب أعرنا إياه حتى نرجع إلى بسرى ـ يعني قريته ـ. فإذا المهر قائم. قال: فلما غزا ورجع إلى بسرى، قال: يا بُنيَّ خذ السرج عن المهر. قال: قلت: يا أبة هو عرِقٌ. فقال لي: يا بني هو عارية. فلما أخذت السرج وقع المهر ميتاً.

قال أبو زرعة: كان أبو عبيد البسري بعرفة وإلى جانبه ابنه. فقال له: يهنئك الفارس. فقال له: يا أبة وأي فارس؟ فقال له: ولد لك الساعة غلام. فلما صرنا إلى بسرى وجدت زوجتي قد ولدت غلاماً يوم عرفة.

[عن] عبد الله ـ غلام لأبي عبيد ـ قال: كنت معه يوماً قاعداً بدمشق أنا وجماعة من إخوانه، إذ مر رجل على دابة وخلفه غلام له يعدو، وقدامه بيده غاشية، فلما حاذى أبا عبيد قال: اللهم أعتقني

---

٧٦٩ ـ جابر الرحبي ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ١٦٦).

(١) في المطبوع: «من لا يحسن..».

٧٧٠ ـ أبو عبيد البسري ـ رحمه الله ـ: ذكره أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣١٨) وابن القيسراني في المؤتلف والمختلف (٣٤).

وأرحني منه. ثم قال: ادع الله عز وجل لي. فقال أبو عبيد: اللهم أعتقه من النار ومن الرق.

فعثرت الدابة بمولاه فسقط إلى الأرض، فالتفتَ إلى العلام وقال له: أنت حر لوجه الله عز وجل. قال: فرمى بالغاشية إليه. وقال: يا مولاي أنت لم تعتقني، وإنما أعتقني هؤلاء. فصحب أصحابنا وتوفي بينهم.

قال ابن أبي حسان: قال لي أبو عبيد البسري يوماً: يا أبا حسان ما غمّي ولا أسفي إلا أن يجعلني مما عفا عنه. فقلت: يا أخي، الخلق على العفو تذابحوا! فقال: أجل، ولكن أي شيء أقبح بشيخ مثلي يوقف غداً بين يدي الله عز وجل، فيقال له: شيخَ سوء كنت، اذهب فقد عفوت عنك؟ إنما أنا أمَلي في الله عز وجل أن يهب لي كل من أحبَّني.

٧٧١ ـ أبو بكر الهلالي

قال محمد بن علي الصوري: سمعت أبا القاسم ـ الحسن بن عبد الله بن أحمد بن هاشم الشيخ الصالح ـ قال: سمعت أبا بكر الهلالي يقول: من عني بمجاهدة الأسرار اشتغل عن الحكايات والأخبار.

وسمعته يقول: رموا بهممهم إلى أعلى الفضائل، وضيعوا الفرائض، فلا إلى هممهم وصلوا، ولا قاموا بقليل ما به وكلوا، ومن قام بقليل ما وكل به أؤتمن على الكثير، ومن لم يقم بقليل ما وكل به لم يؤتمن على قليل ولا كثير.

وسمعته يقول ـ وأشار إلى شجرة في منزله فقال ـ: هذه الشجرة ما نظرت إليها نظرة فرجع طرفي إلا بعقوبة أو توبيخ في سري، يقال لي: تكون بين أيدينا وتنظر إلى سوانا؟.

وسمعته يقول: كنت أتمنى على الله أن يريني أبا العباس الخضر عليه السلام. فلما كان بعد مدة إذا أنا بالباب يُدَق عليّ. فقلت: من هذا؟ فقال لي: أنا الذي تتمنّاني على الله عز وجل؛ أنا الخضر. فقلت له: الذي طلبناك له قد وجدناه. ارجع إلى حال سبيلك[1].

(١) الشك واردٌ على أصل الحكاية، لأنه ليس من أخلاق العارفين طرد الضيف، فكيف إذا كان ـ كما يُدّعى ـ الخضر؟!

ذكر المصطَفَين

من عُبَّاد بيت المقدس

٧٧٢ ـ إدريس بن أبي خولة الأنطاكي

[عن] عمر بن واصل، عن سهل بن عبد الله قال: مرض رجل من أولياء الله عز وجل مرضاً مشكلاً، فكان الناس إذا رأوه قالوا: به جنّة. فأُكثر عليه القول، فلما عظم كلام من تكلم في أمره قالوا له: نعالجك؟ فقال لهم: يا قوم اعلموا أن لي طبيباً إن سألته داوى كل عليل، لكني أنا لا أسأله أن يداويني. فقيل له: ولِمَ ذاك وأنت تحتاج إلى الدواء؟ فقال: أخشى إن برأت من هذه العلة طغيت. فقيل له: فإن لنا مجنوناً؛ فسل طبيبك هذا أن يداويه. فقال: نعم إيتوني به. فأتوه برجل في عنقه غل عظيم، ويداه [مشدودتان][1] إلى عنقه في قيد ثقيل، قد استمكنت منه العلة. فقال لهم: خلوني معه.

فعمد جهال القوم إلى يده فحلّوها، وأدخلوه معه في البيت الذي كان فيه، وأغلقوا عليه الباب وهم يظنون أن سيفضي إليه بمكروه، فلما كان بعد ساعة صاحوا به فأجابهم، وخرج إليهم وكلمهم كلام عاقل وهو يبكي بكاء شديداً. فقالوا له: خبرنا بقصتك؟ وما كان؟ فقال: دخلت على هذا الرجل وأنا على ما قد علمتم من علتي لا أعقل شيئاً كما رأيتموني، فقربني منه وأدناني، وجعل يده على صدري والأخرى على رأسي، فأحسست بطعم البرء يدب في جسمي حتى زال ما بي. فقالوا له: ادخل معنا إليه فسله يدعو الله عز وجل لنا، فدخل مع القوم إليه، فلم يجدوه في البيت، وستره الله عز وجل عنهم، فمن عقل منهم عظمت ندامته وكثر أسفه. قال سهل: وهذا الرجل من بيت المقدس يقال له: إدريس بن أبي خولة الأنطاكي.

٧٧٣ ـ عبد العزيز المقدسي

قال أبو بكر بن شاذان: سمعت عبد العزيز المقدسي يقول ـ وكان من الأبدال ـ: لما بلغت الحلم أخذت على نفسي أن أروّضها وأمنعها من الآثام، واستوفقت الله تعالى فوفقني، واستعنت به فأعانني، ولقد حاسبت نفسي من يوم بلوغي إلى يومي هذا، فإذا زلاتي لا تجاوز ستة وثلاثين زلة! ولقد استغفرت الله عز وجل لكل زلة مائة ألف مرة، وصليت لكل زلة ألف ركعة، ختمت في كل ركعةٍ منها ختمة، وإني مع ذلك غير آمن سطوة ربي عز وجل أن يأخذني بها، وأنا على خطر قبول التوبة.

ذكر المصطَفَين من العبّاد المقدِسيِّين المجهولي الأسماء

٧٧٤ ـ عبّاد ثلاثةٌ

[عن] بشر بن بشار المجاشعي ـ وكان من العابدين ـ قال: لقيت عبّاداً ثلاثة ببيت المقدس،

---

(١) في المطبوع: «مشدودة».

فقلت لأحدهم: أوصني؟ قال: ألقِ نفسك مع القدر حيث ألقاك، فهو أحرى أن يفرّغ قلبك ويُقلّ همك، وإياك أن تسخط ذلك فيحل بك السخط وأنت منه في غفلة لا تشعر به.

وقلت للآخر: أوصني؟ قال: ما أنا بمستوص فأوصيك. قلت: على ذاك عسى الله عز وجل أن ينفع بوصيتك. قال: أما إذ أبيت إلا الوصية فاحفظ عني: التمس رضوانه في ترك مناهيه؛ فهو أوصل لك إلى الزلفى لديه. قال: فقلت للآخر: أوصني؟ فبكى واستحر سفحاً للدموع، ثم قال: أي أخي لا تبتغ من أمرك تدبيراً غير تدبيره فتهلك فيمن هلك، وتضل فيمن يضل.

٧٧٥ ـ عبَّاد سبعة

[عن] أحمد بن محمد الصوفي قال: قال لي أستاذي أبو عبد الله بن أبي شيبة: كنت ببيت المقدس وكنت أحب أن أبيت في المسجد، وما كنت أترك، فلما كان في بعض الأيام بصُرتُ في الرواق بحصر قائمة، فلما أن صليت العتمة وراء الإمام أتيت الحصر فاختبأت وراءها، وانصرف الناس والقوَّام، ثم خرجت إلى الصحن، فلما سمعت غلق الأبواب وقعت عيني على المحراب، فنظرت إليه وقد انشق ودخل منه رجل وثاني وثالث إلى أن تم سبعة، واصطفَّ القوم وزال عقلي، فلم أزل واقفاً في موضعي شاخصاً زائل العقل إلى أن انفجر الصبح، فخرج القوم على الطريق الذي دخلوا.

٧٧٦ ـ عابد آخر

[عن] كلاب بن جري قال: رأيت شاباً ببيت المقدس قد عمش من طول البكاء، فقلت له: يا فتى كم تكون العين سليمة على هذا البكاء؟ قال: فبكى ثم قال: كما شاء ربي فلتكن، وإذا شاء سيدي فلتذهب فليستْ أكرمَ عليّ من بدني، إنما أبكي رجاء السرور والفرح في الآخرة، وإن تكن الأخرى فهو والله شقاء الدهر، وحزن الأبد، والأمر الذي كنت أخافه وأحذره على نفسي، وإني احتسبت على الله عز وجل غفلتي عن نفسي وتقصيري عن حظي، ثم غشي عليه.

٧٧٧ ـ عابد آخر

قال عبّاد بن عبّادَ ـ أبو عتبة الخواص ـ قال: رأيت شيخاً في مسجد بيت المقدس كأنه قد احترق بالنار، عليه مِدْرَعةٌ سوداء، وعمامة سوداء، طويل الصمت، كريه المنظر، كثير الشعر، شديد الكآبة. فقلت: رحمك الله لو غيرت لباسك هذا، فقد علمت ما في البياض! فبكى ثم قال: هذا أشبه بلباس أهل المصيبة، فإنما أنا وأنت في الدنيا في حِداد، وكأني بي وبك قد دُعينا. قال: فما تم كلامه حتى غشي عليه.

٧٧٨ ـ عابد آخر

قال أبو مدرك ـ عثمان بن وكيع العبدي ـ: جاء رجل إلى بيت المقدس فمد كساءه في ناحية المسجد، فكان فيه الليل والنهار، طُعَيْمُه خلف ذلك الكساء الذي قد مده. قال: فيبيت ليله أجمع يصلي، فإذا طلع الفجر(١) مدَّ بصوتٍ له: عند الصباح يغبِط القومُ السرى. قال: وكان يقال له: ألا ترفق بنفسك؟ فيقول: إنما هي نفسي أبادرها أن تخرج.

---

(١) صاح وتكلّم.

٧٧٩ ـ عابد آخر

قال ذو النون: نظرت إلى رجل في بيت المقدس قد استفرغه الولَهُ، فقلت له: ما الذي أثار منك ما أرى؟ قال: ذهب الزهّاد والعبّاد بصفو الإخلاص، وبقيت في كدر الانتقاص، فهل من دليل مرشد؟ أو من حكيم موقظ؟

٧٨٠ ـ عابد آخر

قال سمنون: كنت ببيت المقدس في برد شديد، وعلي جبة وكساء، وأنا أجد البرد والثلج يسقط، فرأيت شاباً عليه خرقتان في الصحن يمشي، فقلت: يا حبيبي لو استترت ببعض هذه الأروقة فيكنُّك من البرد؟ فقال لي: يا أخي سمنون:

ويحسن ظني أنني في فنائه ... وهل أحد في كنِّه يجد البردا

ومن عقلاء المجانين ببيت المقدس

٧٨١ ـ شاب

بلغنا عن أبي الجوال المغربي قال: كنت ببيت المقدس جالساً مع رجل صالح، وإذ قد طلع علينا شاب والصبيان حوله يقذفونه بالحجارة ويقولون: مجنون! فدخل المسجد وهو ينادي: اللهم أرحني من هذه الدار. فقلت له: هذا كلام حكيم؛ فمن أين لك هذه الحكمة؟ فقال: من أخلص له في الخدمة أورثه طرائف الحكمة، وأيده بأسباب العصمة، وليس بي جنون وولق[1]؛ بل قلق وفَرَق. ثم جعل يقول:

هجرتُ الورى في حب من جاد بالنِّعم ... وعِفت الكَرى شوقاً إليه فلم أنَم
وموَّهت دهري بالجنون عن الوَرى ... لأكتم ما بيَ من هواه فما انكتَم
فلما رأيتُ الشوقَ والحُبَّ بائحاً ... كشفتُ قناعي ثم قلتُ: نعم نعم
فإن قيل: مجنونٌ فقد جنَّنَني الهوى ... وإن قيل: مِسقام فما بي من سَقَم
وحقّ الهوى والحب والعهد بيننا ... وحرمة روح الأنس في حندس[2] الظلم
لقد لامني الواشون فيك جَهالةً ... فقلتُ لطرفي: أفصحِ العذرَ فاحتشم
فعاتبهم طرفي بغير تكلُّم ... وأخبرهم أن الهوى يورث السُّقَم
فبالحِلم يا ذا المنِّ لا تبعدَنَّني ... وقرِّب مزاري منك يا بارئ النَّسَم

فقلت له: أحسنت، لقد غلط من سماك مجنوناً. فنظر إلي وبكى وقال: أو لا تسألني عن القوم كيف وصلوا فاتصلوا؟ فقلت: بلى أخبرني؟ فقال: طهروا له الأخلاق، ورضوا منه بيسير الأرزاق،

(١) الوَلَقُ والألَق: الكذب والاستمرار عليه. كما في الغريب لابن قتيبة (٢/ ٩٥) والنهاية لابن الأثير (٥/ ٢٢٥).

(٢) حِندِس: الليل المظلم، والظُّلمة الشديدة.

وهاموا من محبته في الآفاق، وائتزروا بالصدق، وارتدوا بالإشفاق، وباعوا العاجل الفاني بالآجل الباقي، وركضوا في ميدان السباق، وشمروا تشمير الجهابذة الحذّاق، حتى اتصلوا بالواحد الرزاق، فشردهم في الشواهق، وغيبهم عن الخلائق، لا تؤويهم دار، ولا يقرهم قرار، فالنظر إليهم اعتبار، ومحبتهم افتخار، وهم صفوة الأبرار، ورهبان أخيار، مدحهم الجبار، ووصفهم النبي المختار. إن حضروا لم يُعرَفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن ماتوا لم يشهدوا. ثم أنشأ يقول:

كنْ من جميع الخلق مستوحشاً ... من الورى تسري إلى الحق
واصبر فبالصبر تُنال المُنى ... وارضَ بما يجري من الرزق
واحذر من النطق وآفاته ... فآفة المؤمن في النطق
وجِدَّ في السير ممراً كما ... شمّر أهل السبق للسبق
أولئك الصفوة ممن سما ... وخيرة الله من الخلق

قال: فأُنسيت الدنيا عند حديثه، ثم ولى هارباً فأنا متأسِّف عليه.

ذِكْرُ المصطَفَيات من عابدات بيت المقدس

٧٨٢ ـ طافية

عن عطاء الخراساني قال: كانت امرأة عابدة يقال لها طافية تأتي بيت المقدس تتعبّد فيه، وكان وهب بن منبه يقول: يا طافية ما أشد العمل عليك؟ فتقول: ما أجدُني أجدُ شيئاً أشدَّ علي من طول الفكر. قال: وكيف ذلك؟ قالت: إني إذا تفكرت في عظمة الله عز وجل وأمر الآخرة طاش عقلي وأظلم علي بصري، واستَرْخَتْ لذلك مفاصلي. فقال لها وهب بن منبه: إذا أنت وجدت ذاك فافزعي إلى قراءة القرآن في المصحف.

٧٨٣ ـ لبابة

[عن] محمد بن رَوح قال: قالت لبابة المتعبِّدة في بيت المقدس: إني لأستحي منه أن يراني مشتغلة بغيره.

[عن] محمد بن روح قال: قالت لبابة المتعبِّدة: ما زلت مجتهدة في العبادة حتى صرت أستروح بها، وإذا تعبت من لقاء الخلق آنسني بذكره، وإذا أعياني الخلق روّحني التفرغ لعبادة الله عز وجل والقيام إلى خدمته. وقال لها رجل: هو ذا أريد الحج فماذا أدعو بالموسم؟ فقالت: سلِ الله تعالى شيئين: أن يرضى عنك ويبلغك منزل الراضين عنه، وأن يجعل ذِكْرَكَ فيما بين أوليائه.

ذِكْرُ المصطَفَيات من المجهولات الأسماء

٧٨٤ ـ عابدة

عن أبي جعفر السائح قال: رأيت عجوزاً في بيت المقدس تقول: حججت ماشية اثنتي عشرة حجة ما ركبت فيها، أشتري كل سنة بأربعة دراهم سقطاً، فيكون زادي في ذهابي ومنصرفي.

قال: فقلت لها: في بيت المقدس مثلك من المتعبِّدات؟ قال: فذكرت نسوة يفعلن مثل ما تفعل.

قالت: فإذا رجعنا حملنا مغازلنا إلى المسجد، فلا نخرج منه إلا لحدَث أو لحاجة. قلت: وكم بقي اليوم مَن [على] هذه الصفة؟ قالت: نحو من عشرة. قلت: فمن أعبدَكُنَّ؟ قالت: امرأة من قريش ما نراها تكلم أحداً، إنما هي في الصلاة قائمة وراكعة وساجدة يأتيها أهلها بما يصلحها.

٧٨٥ ـ عابدة أخرى

عن أبي سليمان الداراني قال: حدثني سعيد الإفريقي قال: كنت ببيت المقدس مع أصحاب لي في المسجد، فإذا أنا بجارية عليها درع شَعْرٍ وخمار من صوف، فإذا هي تقول: إلهي وسيدي ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله! وأوحش خلوةَ من لم تكن أنيسه؟. فقلت: يا جارية ما قطع الخلق عن الله عز وجل؟ قالت: حب الدنيا، إلا أن لله عز وجل عباداً أسقاهم من حبه شربة فولهت قلوبهم، فلم يحبوا مع الله عز وجل غيره. ثم قالت تنشد:

تزوَّد قريناً من فِعالك إنما ... قرينُ الفتى في القبر ما كان يعمل
ألا إنما الإنسانُ ضيفٌ لأهله ... يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

٧٨٦ ـ عابدة أخرى

عن أبي جعفر السائح قال: رأيت امرأة في بيت المقدس في متعبَّد لها، عليها مدرعة من شَعْرٍ وخمار من شَعْرٍ، وسوار من حديد، وكان لها سلسلة تعلّق بها نفسها بالليل. فقلت لها: منذ متى أخذت فيما أنت فيه؟ قالت: منذ ثماني سنين. قال: ورأيت نسوة كثيرة عليهم مدارع صوف وخُمُر، معتكفات في المسجد لا يتكلمن بالنهار.

٧٨٧ ـ عابدة أخرى

[عن] عثمان الرجاني قال: خرجت من بيت المقدس أريد بعض القرى في حاجة، فلقيتني عجوز عليها جبّة صوف، وخمار صوف، فسلمت عليها، فردت علي السلام، ثم قالت: يا فتى من أين أقبلت؟ فقلت: من هذه القرية. قالت: وأين تريد؟ قلت: إلى بعض القرى في حاجة. قالت: كم بينك وبين أهلك ومنزلك؟ قلت: ثمانية عشر ميلاً. قالت: ثمانية عشر ميلاً في حاجة! إن هذه لحاجة مهمة! قلت: أجل. قالت: فما اسمك؟ قلت: عثمان. فقالت: يا عثمان ألا سألت صاحب القرية أن يوجه إليك بحاجتك ولا تتعنّى؟ ـ قال: ولم أعلم الذي أرادت ـ قلت: يا عجوز ليس بيني وبين صاحب القرية معرفة؟ قالت: يا عثمان وما الذي أوحش بينك وبين معرفته؟ وقطع بينك وبين الاتصال به؟ فعرفت الذي أرادت فبكيتُ، فقالت: من أي شيء تبكي؟ من شيء كنت فعلته ونسيته؟ أو من شيء أُنسيتَه وذكرته؟ قلت: لا، بل من شيء كنت أنسيته وذكرته. قالت: يا عثمان احمد الله عز وجل الذي لم يتركك في حيرتك، أتحب الله عز وجل؟ قلت: نعم. قالت: فاصدقني. قلت: إي والله إني لأحب الله عز وجل. قالت: فما الذي أفادك من طرائف حكمته إذ أوصلك إلى محبته؟ قال: فبقيت

لا أدري ما أقول؟ فقالت: يا عثمان لعلك ممن يحب أن يكتم المحبة؟ قال: فبقيت بين يديها لا أدري ما أقول؟ فقالت: يأبى الله عز وجل أن يدنس طرائف حكمته وخَفِيِّ معرفته ومكنونَ محبته بممارسة قلوب البطالين. قلت: رحمك الله لو دعوت الله عز وجل أن يشغلني من محبته؟ فنفضت يديها في وجهي. فأعدت القول أقتضي الدعاء. فقالت: يا عبد الله امض لحاجتك، فقد علم المحبوب ما ناجاه الضمير من أجلك. ثم ولّت وقالت: لولا خوف السلب لبحثُ بالعجب. ثم قالت: أوّه من شوق لا يبرأ إلا بك، ومن حنين لا يسكن إلا إليك، فأين لوجهي الحياء منك؟ وأين لعقلي الرجوع إليك؟ قال عثمان: فوالله ما ذكرت ذلك إلا بكيت وغُشي علي.

ذكر المصطَفَين من أهل جبلة

٧٨٨ ـ مالك بن القاسم الجبلي

[عن] عبد العزيز الأهوازي قال: قال لي سهل بن عبد الله: مخالطة الولي للناس ذلّ، وتفرده عزّ، قلما رأيت ولياً لله إلا منفرداً، إن عبد الله بن صالح كان رجلاً له سابقة جليلة وموهبة جزيلة، وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد حتى أتى مكة فطال مقامه فيها، فقلت له: لقد طال مقامك بها؟ فقال لي: لم لا أقيم بها ولم أر بلداً ينزل فيه من الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد؟ فأحببت أن أكون فيه مقيماً والملائكة تغدو فيه وتروح، وإني أرى فيه أعاجيب كبيرة، وأرى الملائكة يطوفون به على صور شتى لا يقطعون ذلك، ولو قلت كلَّ ما رأيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين. فقلت له: أسألك إلا خبرتني بشيء من ذلك؟ فقال: ما من ولي لله تعالى صحّت ولايته إلا وهو يحضر في هذا البلد في كل ليلة جمعة لا يتأخر عنه، فمقامي ها هنا لأجل من أراه منهم، ولقد رأيت رجلاً يقال له: مالك بن القاسم ـ جبلي ـ وقد جاء ويده غمرة، فقلت له: إنك قريب العهد بالأكل؟ فقال لي: أستغفر الله فإنني منذ أسبوع لم آكل، ولكن أطعمت والدتي وأسرعت لألحق صلاة الفجر. وبينه وبين الموضع الذي جاء منه سبعمائة فرسخ، فهل أنت مؤمن بذلك؟ فقلت: نعم. فقال: الحمد لله الذي أراني مؤمناً موقناً.

٧٨٩ ـ إبراهيم الجبلي

[عن] عبد الواحد بن محمد بن أبان الفارسي قال: لقيت إبراهيم الجبلي بمكة بعد رجوعه إلى وطنه وتزويجه بابنة عمه، وكان قد قطع البادية حافياً، فحدثني أنه لما رجع إلى بلده وتزوج شُغِف بابنة عمه شغفاً شديداً حتى ما كان يفارقها لحظة. قال: فتفكرت ليلة في كثرة ميلي إليها وشغفي بها فقلت: ما يحسن بي أن أرِدَ القيامة وفي قلبي هذه؟ فتطهرت وصليت ركعتين وقلت: سيدي ردّ قلبي إلى ما هو أولى. فلما كان من الغد أخذتها الحمّى، وتوفيت يوم الثالث، ونويت الخروج حافياً من وقتي إلى مكة.

ذِكْرُ المصطَفَين
من أهل العواصم والثغور

٧٩٠ - [الإمام] أبو عمرو الأوزاعي

واسمه عبد الرحمن بن عمرو، والأوزاع بطن من همدان، كذلك ذكره محمد بن سعد. وقال البخاري في تاريخه: الأوزاع: قرية بدمشق إذا خرجت من باب الفراديس. ولد سنة ثمان وثمانين، وسكن بيروت، وبها مات.

[عن] يحيى بن عبد الملك بن أبي عتبة، قال: كتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد، فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يُسار بك في كل يوم وليلة؛ فاحذر الله والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به. والسلام.

[عن] عباس بن الوليد قال: أخبرني أبي قال: سمعت الأوزاعي يقول: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوماً فيوماً وساعة فساعة، ولا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا وتقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم إلى يوم؟.

عن ضمرة، عن الأوزاعي قال: الناس عندنا أهلُ العلم.

عن الهقل بن زياد عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته: أيها الناس، تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة، فإنكم في دارِ الثواءُ فيها قليلٌ، وأنتم فيها مؤجّلون، خلائف من بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها، فهم كانوا أطولَ منكم أعماراً وأمد أجساماً وأعظم آثاراً، فخدّدوا الجبال، وجابوا الصخور، ونقّبوا في البلاد مؤيَّدين ببطش شديد وأجسام كالعماد، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مددهم، وعفت آثارهم، وأخْوَتْ منازلهم، وأنستْ ذكرهم، فما تحس منهم من أحد، ولا تسمع لهم رِكزاً، كانوا بلهو الأمل آمنين لبياتِ قوم غافلين أو لصباحِ قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بياتاً من عقوبة الله عز وجل فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين، وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمة، وزوال نعمة، ومساكن خاوية، فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشى، وأصبحتم من بعدهم في أجل منقوص ودنيا مقبوضة في زمان قد ولّى عفوه، وذهب رخاؤه، فلم تبق منه إلا حمة شر، وصبابة

---

٧٩٠ - الإمام الأوزاعي - رحمه الله -: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ١٩٦ سنة ١٥٧)، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، الحلية (٦/ ١٣٥)، تاريخ الإسلام (٦/ ٢٢٥)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٧٨)، ميزان الاعتدال (٢/ ٥٨٠)، العبر (١/ ٢٢٦)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٨)، التاريخ الكبير (٥/ ٣٢٦)، الجرح والتعديل (١/ ١٨٤)، وفيات الأعيان (٣/ ١٢٧)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ١١٥)، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨)، شذرات الذهب (١/ ٢٤١).

كدر، وأهاويل عبر، وعقوبات غِيَر، وأرسال فتن، وتتابع زلازل، ورذالة خَلْف، بهم ظهر الفساد في البر والبحر، فلا تكونوا أشباهاً لمن خدعه الأمل، وغرّه بطول الأجل، وتبلغ بالأماني! نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى نذره وانتهى، وعقل سُراه فمهَّد لنفسه.

عن موسى بن أعين قال: قال لي الأوزاعي: يا أبا سعيد كنا نمزح ونضحك، فأما إذ صرنا يُهتَدى بنا ما أرى يسعنا التبسم.

[عن] بشر بن الوليد قال: رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع.

[عن] عبد الملك بن محمد قال: كان الأوزاعي لا يكلم أحداً بعد صلاة الفجر حتى يذكر الله، فإن كلمه أحد [بعدُ] أجابه.

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: بلغني أن نصرانياً أهدى إلى الأوزاعي جرة عسل، وقال له: يا أبا عمرو، تكتب لي إلى والي بعلبك؟ فقال: إن شئتَ رددتَ الجرة وكتبتُ لك، وإلا قبلتُ الجرة ولم نكتبْ لك. قال: فرد الجرة وكتب له. فوضع عنه ثلاثين ديناراً.

عن أبي أيوب الزيادي، عن الأوزاعي. قال: العافية عشرة أجزاء، تسعة منها صمت، وجزء منها الهرب من الناس.

[عن] مروان بن محمد قال: قال الأوزاعي: من أطال قيام الليل هوّن عليه موقفه يوم القيامة.

قال أحمد: قال لي مروان: ما أحسب الأوزاعي أخذه إلا من هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦، ٢٧].

قال أبو حفص عمرو بن أبي سلمة، عن الأوزاعي: من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير، ومن علم أن منطقه من عمله قلَّ كلامه.

[عن] يوسف بن موسى القطان يحدث أن الأوزاعي قال: رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا عبد الرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قلت: بفضلك يا رب. فقلت: يا رب أمتني على الإسلام. فقال: وعلى السنة.

[عن] المعافى بن عمران، عن الأوزاعي قال: كان يقال: يأتي على الناس زمان أقلُّ شيء في ذلك الزمان أخٌ مؤنس، أو درهم من حلال، أو عمل في سنة.

[عن] مسلمة بن علي، عن الأوزاعي قال: كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله بشيء كأنما على رؤوسهم الطير مقبلين على أنفسهم، حتى لو أن حميماً لأحدهم غاب عنه حيناً ثم قدم ما التفت إليه، فلا يزالون كذلك حتى يكون قريباً من طلوع الشمس، ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيتحلقون، وأول ما يفيضون فيه أمر معادهم وما هم صائرون إليه، ثم يتحلقون إلى الفقه والقرآن.

أسند الأوزاعي عن محمد بن علي بن الحسين، ويحيى بن أبي كثير، والزهري، ومحمد بن المنكدر، وأبي الزبير وغيرهم. وتوفي ببيروت سنة سبع وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر، وهو ابن سبعين سنة، كذلك قال محمد بن سعد، وقال علي بن المديني: وتوفي الأوزاعي سنة إحدى وخمسين ومائة.

عن يزيد بن مذكور قال: رأيت الأوزاعي في منامي فقلت: يا أبا عمرو دُلَّني على أمر أتقرب به إلى الله تعالى؟ فقال لي: ما رأيت ـ ما رأيت هناك ـ درجةً أرفع من درجة العلم. فقلت: ثم مَنْ بعدها؟ قال: درجة المحزونين.

٧٩١ ـ أبو إسحاق الفزاري

واسمه إبراهيم بن محمد بن الحارث. كان صاحب سُنَّة وغزو.

[عن] الفضيل بن عياض قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وإلى جنبه فرجة، فذهبت لأجلس فيها. فقال: هذا مجلس أبي إسحاق الفزاري. فقلت لأبي أسامة(١): أيهما كان أفضل؟ فقال: كان فضيل رجلَ نفسه، وكان أبو إسحاق رجلَ عامة.

[عن] محمد بن هارون ـ أبو نشيط ـ قال: قال أبو صالح ـ يعني الفراء ـ: لقيت الفضيل بن عياض، فعزاني في أبي إسحاق وقال: لربما اشتقت إلى المصيصة ما بي فضل الرباط إلا [أن] أرى أبا إسحاق.

قال أبو صالح: سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول: إن من الناس من يُحسَن عليه الثناء، وما يساوي عند الله جناح بعوضة.

[عن] عباد الغنوي عن أبي إسحاق الفزاري قال: من قال: الحمد لله على كل حال فإن كانت نعمة كان لها كفاء، وإن كانت مصيبة كان لها عزاء.

قال أبو يحيى: سمعت أبا عبيد يقول لما مات أبو إسحاق الفزاري: بكى عطاء، ثم قال: ما دخل على الإسلام من موت أحد ما دخل عليه من أبي إسحاق.

أسند الفزاري عن عبد الملك بن عمير، وإسماعيل بن أبي خالد، وعطاء بن السائب، والأعمش، وهشام بن عروة، في خلق كثير من التابعين.

وحدث عن الفزاري سفيانُ الثوري والأوزاعي.

وتوفي بالمصيصة سنة ثمان وثمانين ومائة، وقيل خمس وثمانين.

٧٩٢ ـ عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السَّبِيعي

من همدان، يكنى أبا عمرو وهو من الكوفة تحول إلى الثغر، فنزل [الحَدَث](٢).

---

٧٩١ ـ أبو إسحاق الفزاري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ١٥٦ سنة ١٨٨)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ٢٠٠)، التاريخ الكبير (١/ ٢١-٣٢١)، الحلية (٨/ ٢٥٣)، تهذيب التهذيب (١/ ١٥١)، العبر (١/ ٢٩٠)، تاريخ ابن الأثير (٦/ ١٧٤).

٧٩٢ ـ عيسى بن يونس ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٩/ ١٩٥ سنة ١٩١)، تاريخ بغداد (١١/ ١٥٢)، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٣٧)، التاريخ الكبير (٦/ ٤٠٦)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٩١)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٨).

(١) النصّ كما في الحلية (٨/ ٢٥٤): حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق، سمعتُ إبراهيم بن سعيد الجوهري، سمعتُ أبا أسامة، سمعت الفضيل... فأبو أسامة هو الراوي عن الفضيل، والذي سأله هو إبراهيم بن سعيد الجوهري.

(٢) في تهذيب الكمال (٢٣/ ٦٣ و١٧٥): سكن ناحية الشام بالحدث وهي ثغر. وقال في تاريخ بغداد (١١/ ١٥٥): «سكن الثغر، وكان ثبتاً في الحديث». ومثله في الكبرى لابن سعد (٧/ ٤٨٨). أقول: والذي في المطبوع=

عن جعفر بن يحيى بن خالد قال: ما رأينا في القراء أحداً مثل عيسى بن يونس، أرسلنا إليه فأتانا بالرقة، فاعتل قبل أن يرجع، فقلت: يا أبا عمرو قد أُمر لك بعشرة آلاف. فقال: هي! فقلت: هي خمسون ألفاً. قال: لا حاجة لي فيها. فقلت: لم؟ أما والله لأهنئنكها، هي والله مائة ألف. قال: لا والله لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسُنَّة ثمناً، ألا كان هذا قبل أن ترسلوا إلي؟ فأما على الحديث فلا والله ولا شربة ماء ولا هليلجة.

قال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وذكر ورع عيسى بن يونس قال: قدم فأمر له بمائة ألف، أو قال: بمال، فلم يقبل، وتدري ابن كم كان عيسى؟ أراد أنه كان حَدَث السن.

قال محمد بن المنكدر: حجّ الرشيد فدخل الكوفة، فركب الأمين والمأمون إلى عيسى بن يونس، فحدثهما، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها، فظن أنه استقلّها، فأمر له بعشرين ألفاً. فقال عيسى: لا والله ولا إهليلجة؛ ولا شربة ماء على حديث رسول الله ﷺ، ولو ملأت لي هذا المسجد ذهباً إلى السقف.

قال الحداني: قال ابن المبارك لرجل: اكتب نفَس هذا الشيخ ـ يعني عيسى بن يونس ـ.

رأى عيسى بن يونس جده أبا إسحاق إلا أنه لم يسمع منه شيئاً، وسمع من إسماعيل بن أبي خالد، وهشام بن عروة، والأعمش، وخلق كثير، وتوفي بالحدث من أرض الثغر في شعبان سنة سبع وثمانين، وقيل: ثمان وثمانين ومائة. وقيل: إحدى وتسعين.

٧٩٣ ـ يوسف بن أسباط

من قرية يقال لها الشيح. قال عبد الله بن حبيق: قال لي يوسف بن أسباط: عجبت كيف تنام عين مع المخافة! أو يغفل قلب مع اليقين بالمحاسبة؟ من عرف وجوب حق الله عز وجل على عباده لم تستحل عيناه أبداً إلا بإعطاء المجهود من نفسه! خلق الله تعالى القلوب مساكن الذكر فصارت مساكن للشهوات، الشهوات مفسدة للقلوب، وتلف للأموال، وإخلاق للوجوه، ولا يمحو الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق.

قال شعيب بن حرب: سمعت يوسف بن أسباط يقول: الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا.

قال موسى بن طريف: سمعت يوسف بن أسباط يقول: لي أربعون سنة ما حك في صدري شيء إلا تركته.

= «الحديث» وهي الحدث كما أثبتناها، وكما سيأتي آخر الترجمة، وهي: موضع بقرب مرعش من الثغور الجزرية ا.هـ. معجم ما استعجم للبكري (١/ ٤٢٩) وقال في معجم البلدان (١/ ٣٥١): الحدث قلعةٌ حصينة في الثغور الشامية. وقال أيضاً (٢/ ٢٧٧): قلعة حصينة بين ملطية وسمساط ومرعش من الثغور؟ ويقال لها: الحمراء، وقلعتها على جبل يُقال له «الأحيدب». ا.هـ.

٧٩٣ ـ يوسف بن أسباط ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ٨١ سنة ١٩٩)، التاريخ الكبير (٨/ ٣٨٥)، الجرح والتعديل (٩/ ٢١٨)، الحلية (٨/ ٢٣٧)، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٦٢)، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦).

قال ابن حبيق: وقال ابن بشار: قال لي يوسف بن أسباط: تعلموا صحة العمل من سقمه، فإني تعلمته في اثنتين وعشرين سنة.

قال ابن حبيق: وقال يوسف: خرجت من «شيح» راجلاً حتى أتيت «المصيصة»، وجرابي على عنقي، فقام ذا من حانوته يسلم علي، وذا يسلم، فطرحت جرابي، ودخلت المسجد أصلي ركعتين فأحدقوا بي، واطلع رجل في وجهي، فقلت في نفسي: كم بقاء قلبي على هذا؟ فأخذت جرابي ورجعت بعرقي وعنائي إلى «شيح» فما رجع إليَّ قلبي إلى سنتين.

قال عبد الله بن حبيق: قال يوسف بن أسباط: إني أخاف أن يعذب اللَّهُ الناسَ بذنوب العلماء.

وقال: الأشياء ثلاثة: حلال بيِّن، وحرام بيِّن، وشبهات بين ذلك، فالمؤمن إذا لم يجد الحلال تناول من الشبهات ما يقيمه.

قال ابن حبيق: وسمعت يوسف بن أسباط يقول: كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكُّلَ رجل لا يصيبه إلا ما كتب له.

وسمعت يوسف يقول: لي أربعون سنة ما ملكت قميصين. وسمعته يقول: لا يقبل الله عز وجل عملاً فيه مثقال حبة من رئاء.

وكان يوسف يقول: اللهم عرفني نفسي، ولا تقطع رجاءك من قلبي.

قال ابن حبيق: وقال أبو جعفر الحذاء: كتبت إلى يوسف بن أسباط أشاوره في التحويل إلى الحجاز؟ فكتب إلي: أما ما ذكرت من تحويلك إلى الحجاز فليكن همك خبزك، وما أرى موضعك إلا أضبط للخبز من غيره، وما أحسب أحداً يفر من شر إلا وقع في أشر منه، وإنما يطيب الموضع بأهله، فقد ذهب من يؤنَس به ويُستراح إليه، وإذا علم الله منك الصدق رجوتُ أن لا يضيع لك؛ وإن كان الصدق قد رُفع من الأرض.

قال حذيفة المرعشي: كتب إلي يوسف بن أسباط: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله، والعمل بما علمك الله عز وجل، والمراقبة حيث لا يراك أحدٌ إلا الله عز وجل، والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة، ولا تنفع الندامة عند نزوله، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، وشمر للسباق غداً، فإن الدنيا ميدان المتسابقين، ولا تغترّ بمن أظهر النسك، وتشاغل بالوصف، وترك العمل بالموصوف، واعلم يا أخي أنه لا بد لي ولك من المقام بين يدي الله عز وجل، يسألنا فيه عن الدقيق الخفي وعن الجليل الجافي، ولست آمن أن يسألني وإياك عن وساوس الصدور، ولحظات العيون، وإصغاء الأسماع، وما عسى أن يعجز مثلي عن صفته، واعلم أنه مما وُصف به منافقو هذه الأمة أنهم خالطوا أهل الدنيا بأبدانهم، وطابقوهم عليها بأهوائهم، وخضعوا لما طمعوا من نائلهم، وداهن بعضُهم بعضاً في القول والفعل، فأشرٌ وبطرٌ قولُهم، ومُرٌّ خبيثٌ فعلُهم، تركوا باطن العمل بالتصحيح فحرمهم الله تعالى بذلك الثمن الربيح، واعلم يا أخي أنه لا يجزي من العمل القول، ولا

من البذل العِدَةُ، ولا من التقوى ولا من التوقّي التلاوم، وقد صرنا في زمان هذه صفة أهله! فمن كان كذلك فقد تعرض للمقت وصُدَّ عن سواء السبيل. وفقنا الله عز وجل وإياك لما يحب ويرضى.

قال عبد الله بن حبيق: سمعت يوسف بن أسباط يقول: يرزق الصادق ثلاث خصال: الحلاوة والملاحة والمهابة.

قال المسيب بن واضح: قدم ابن المبارك فاستأذن على يوسف فلم يأذن له، فقلت له: ما لك لم تأذن له؟ قال: إني إن أذنت له أردت أن أقوم بحقه ولا أفي به.

قال ابن حبيق: قال يوسف بن أسباط: إذا رأيت الرجل قد أشر وبطر فلا تعظه، فليس للعظة فيه موضع.

قال القرقساني: أتى يوسف بن أسباط بباكورة ثمرة فقبّلها، ثم وضعها بين يديه وقال: إن الدنيا لم تخلق لينظر إليها، وإنما خلقت لينظر بها إلى الآخرة.

قال أبو جعفر الحذاء: سألت شعيب بن حرب عن يوسف بن أسباط؟ فقال: ما أقدم عليه أحداً من هذه الأمة، البِرُّ عشرةُ أجزاء؛ تسعة منها في طلب الحلال، وسائر البر في جزء واحد، وقد أخذ يوسف التسعة وشَرَكَ الناسَ في العاشر.

[عن] تميم بن سلم قال: قلت ليوسف بن أسباط: ما غاية الزهد؟ قال: لا تفرح بما أقبل، ولا تأسف على ما أدبر. قلت: فما غاية التواضع؟ قال: أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحداً إلا رأيت أنه خير منك.

[عن] عبد الله بن حبيق عن أبيه قال: قال لي يوسف بن أسباط: خرجت سَحَراً لأؤذن، فإذا علي ليل، فقعدت، فإذا أسود مقبل وفي يده حجر يريد أن يضربني، ووراءه شيء أبيض بيده حجر يريد أن يصرفه عني، فصرفه. فقلت: هذان شيطانان يريدان أن يرياني أني رجل صالح. فقلت: كلاكما شيطانان. فطارا.

أدرك يوسف بن أسباط حبيب بن حسان، ومحل بن خليفة، والسري بن إسماعيل، وعابد بن شريح، والثوري في آخرين.

وقالت زوجته: كان يقول: أشتهي من ربي ثلاث خصال. قلت: وما هن؟ قال: أشتهي أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم، ولا يكون علي دين، ولا على عظمي لحم. قالت: فأُعطي ذلك كله. ولقد قال لي في مرضه: أَبَقِيَ عندك نفقة؟ فقلت: لا. قال: فماذا ترين؟ قلت: أَخرِجْ هذه الخابية للبيع. فقال: يعلم الناس بحالنا، ويقولون ما باعوها إلا وثَمَّ حاجة شديدة. فأخرج إلي شيئاً كان أهداه إليه بعض إخوانه فباعه بعشرة دراهم، وقال: اعزلي منها درهماً لحنوطي وأنفقي باقيها. فمات وما بقي غير الدرهم. وتوفي يوسف بن أسباط قبل المائتين بسنة.

٧٩٤ ـ مخلد بن الحسين

يكنى أبا محمد: كان من أهل البصرة فتحول فنزل المصيصة.

[عن] عبدة بن عبد الله قال: قال مخلد بن الحسين: ما تكلمت بكلمة أريد أن أعتذر منها منذ خمسين سنة.

[عن] محمد بن بشير الدعّاء قال: ذكر عند مخلد بن الحسين أخلاقٌ من أخلاق الصالحين فقال:

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمُقعَد

[عن] سنيد بن داود قال: حدثنا مخلد بن الحسين قال: ما ندب الله تعالى العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالي بأيهما ظفر: إما غلواً فيه وإما تقصيراً عنه.

أسند مخلد عن هشام بن حسان، وتوفي بالمصيصة سنة إحدى وتسعين ومائة. والله أعلم.

٧٩٥ ـ علي بن بكار البصري

يكنى أبا الحسن، سكن المصيصة مرابطاً وكان فقيهاً.

[عن] موسى بن طريف قال: كانت الجارية تفرش لعلي بن بكار، فيلمسه بيده ويقول: والله إنك لطيب، والله إنك لبارد، والله لا علوتك الليلة، فكان يصلي الغداة بوضوء العتمة.

قال أبو الحسن بن أبي الورد: قال رجل: أتينا علي بن بكار فقلنا له: حذيفة المرعشي يقرأ عليك السلام. فقال: عليكم وعليه السلام، إني لأعرفه يأكل الحلال منذ ثلاثين سنة، ولأن ألقى الشيطان أحب إلي من أن ألقاه!. قلت له في ذلك؟ فقال: أخاف أن أتصنع له فأتزين لغير الله فأسقط من عين الله عز وجل.

[عن] يوسف بن مسلم قال: بكى علي بن بكار حتى عمي، وكان قد أثرت الدموع في خديه.

[عن] فيض بن إسحاق قال: جئت إلى علي بن بكار وأنا أريد الخروج فقلت: أوصني. فقال: اتق الله، والزم بيتك، وأمسك لسانك، واترك مخالطة الناس تنزل عليك الحكمة من فوقك.

[عن] يحيى زكريا قال: كنا عند علي بن بكار فمرت سحابة. فسألته عن شيء؟ فقال: اسكت؛ أما تخشى أن تكون فيها حجارة؟!.

قال أبو عبد الله: خرج أبو إسحاق الفزاري وعلي بن بكار يحتطبان، فأبطأ علي بن بكار على أبي إسحاق، فدار أبو إسحاق في الجبل خلفه فجاء فنظر إليه وهو متربع وفي حجره رأس سبع وهو

---

٧٩٤ ـ مخلد بن الحسين ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٩/ ١٩٦ سنة ١٩١)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٧٢)، التاريخ الكبير (٤/ ١/ ٤٣٧)، الجرح والتعديل (٨/ ٣٤٧)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٩)، الحلية (٨/ ٢٦٦)، العبر (١/ ٣٠٨)، الكاشف (٣/ ١٢٧).

٧٩٥ ـ علي بن بكار ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ٧٩ سنة ١٩٩)، الحلية (٩/ ٣١٧)، التاريخ الكبير (٦/ ٢٦٢)، الجرح والتعديل (٦/ ١٧٦).

نائم يذب عنه، فقال له أبو إسحاق: ما قعودك ههنا؟ فقال: لجأ إلي فرحمته، فأنا أنتظره لينتبه فألحقك.

وقد بلغنا عن علي بن بكار أنه طعن في بعض مغازيه، فخرجت أمعاؤه على قربوس سرجه فردها إلى بطنه، وشدها بالعمامة، وقاتل حتى قتل ثلاثة عشر علجاً.

أسند علي بن بكار عن هشام بن حسان، وأبي إسحاق الفزاري، وأبي خلدة في آخرين.

وصحب إبراهيم بن أدهم، وتوفي بالمصيصة سنة تسع وتسعين ومائة.

٧٩٦ ـ حذيفة بن قتادة المرعشي

قال عبد الله بن خبيق: قال حذيفة: إن لم تخش أن يعذبك الله على أفضل عملك فأنت هالك.

وقال حذيفة: لو نزل عليَّ مَلَك من السماء يخبرني أني لا أرى النار بعيني، وأني أصير إلى الجنة إلا أني أقف بين يدي ربي تعالى يسائلني ثم أصير إلى الجنة، لقلت: لا أريد الجنة ولا أقف ذلك الموقف. ولو جاءني رجل فقال لي: والله الذي لا إله إلا هو، ما عملك عملَ من يؤمن بيوم الحساب! لقلت له: يا هذا لا تكفِّر عن يمينك فإنك لم تحنث.

وسمعت حذيفة يقول: إني لأستغفر الله من كلامكم إذا خرجتم من عندي خمسين مرة.

قال ابن خبيق: وقال لي حذيفة: إنما هي أربعة: عيناك، ولسانك، وهواك، وقلبك، فانظر عينيك لا تنظر بهما إلى ما لا يحل لك، وانظر لسانك لا تقل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك، وانظر قلبك لا يكن فيه غل ولا دغل[1] على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تهوى شيئاً، فما لم تكن فيك هذه الأربع الخصال فالرماد على رأسك.

[عن] موسى بن المعلى قال: قال حذيفة: يا موسى، ثلاث خصال إن كن فيك لم ينزل من السماء خير إلا كان لك فيه نصيب: يكون عملك لله عز وجل، وتحب للناس ما تحب لنفسك، وهذه الكسرة تحرَّ فيها ما قدرت.

عن عبد الله بن عيسى الرقي قال: قال لي حذيفة: هل لك أن أجمع لك الخير كله في حرفين؟ قلت: ومن لي بذلك؟ قال: مداراة الخبز من حلِّه، وإخلاص العمل لله عز وجل حسبُكَ.

يوسف بن أسباط قال: سمعت حذيفة بن قتادة المرعشي يقول: لو أصبت من يبغضني على حقيقة في الله لأوجبتُ على نفسي حبه.

[عن] يوسف بن أسباط قال: قال لي حذيفة المرعشي: ما أصيب أحد بمصيبة أعظم من قساوة قلبه.

قال يوسف: وقال حذيفة: كان يقال: إذا رأيتم الرجل قد جلس وحده فانظروا لأي شيء جلس؟ فإن كان جلس ليُجلَس إليه فلا تجلسوا إليه.

عن بشر بن الحارث قال: سمعت المعافىٰ بن عمران يقول: كان عشرة ممن مضى من أهل

---

٧٩٦ ـ حذيفة بن قتادة المرعشي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٠/ ١٦٢ سنة ٢٠٧)، الحلية (٨/ ٢٦٧).

(١) الدَّغَل: الخداع كما في النهاية (د ـ غ ـ ل: ٢/ ١٢٣).

العلم ينظرون في الحلال النظر الشديد لا يدخلون بطونهم إلا ما يعرفون من الحلال، وإلا استفُّوا التراب، منهم حذيفة المرعشي.

[عن] الفيض بن إسحاق قال: ذكر عند حذيفة المرعشي الوحدة وما يكره منها. فقال: إنما يكره ذلك للجاهل، فأما عالم يعرف ما يأتي فلا. وقال: ما أعلم من أعمال البر أفضل من لزومك بيتك، ولو كانت لك حيلة لهذه الفرائض لكان ينبغي لك أن تحتال لها.

[عن] عبد الله بن حبيق قال: قال حذيفة المرعشي: إياكم وهدايا الفجار والسفهاء، فإنكم إن قبلتموها ظنوا أنكم قد رضيتم فعلهم.

[عن] بشر بن الحارث قال: كتب حذيفة إلى يوسف بن أسباط: يا أخي إني أخاف أن يكون بعض محاسننا أضرَّ علينا في القيامة من مساوئنا.

قال: وكتب إليه أيضاً: لا، حتى تكون في موضع إذا جئت إلى البقّال فقلتَ: أعطني مطهرتك قال: هات كساءك.

[عن] ابن أبي الدرداء قال: قلت لحذيفة: أوصني! قال: انظر خبزك من أين تأكل؟ ولا تجالس من يرخص لك ويعطيك. ثم قال: إن أطعت الله في السر أصلح قلبك، شئت أو أبيت.

[عن] نبهان بن المغلس قال: أخبرني حذيفة بن قتادة المرعشي قال: كنت في المركب فكُسِر بنا، فوقعت أنا وامرأة على لوح من ألواح المركب فمكثنا سبعة أيام. فقالت المرأة: أنا عطشى! فسألت الله تعالى أن يسقينا، فنزلت علينا من السماء سلسلة فيها كوز معلق فيه ماء، فشربت، [ثم] رفعت رأسي إلى السلسلة فرأيت رجلاً جالساً في الهواء متربعاً فقلت: من أنت؟ قال: من الإنس. قلت: فما الذي بلغك هذه المنزلة؟ قال: آثرت مراد الله عز وجل على هواي فأجلسني كما تراني.

لا نحفظ لحذيفة مسنداً، وكان مشغولاً بالرعاية عن الرواية. وقد صحب الثوري، وتوفي سنة سبع ومائتين.

٧٩٧ ـ أبو معاوية الأسود

واسمه اليمان: نزل طرسوس. قال أحمد بن وديع: قال أبو معاوية الأسود: إخواني كلهم خير مني. قيل له: وكيف ذلك يا أبا معاوية؟ قال: كلهم يرى الفضل لي على نفسه، ومن فضلني على نفسه فهو خير مني.

قال أحمد بن فضيل العتكي: غزا أبو معاوية الأسود، فحصر المسلمون حصناً فيه علج لا يرمي بحجر ولا نشاب إلا أصاب. فشكوا إلى أبي معاوية؟ فقرأ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. ثم قال: استروني منه. فلما وقف قال: أين تريدون بإذن الله؟ قالوا: المذاكير. قال: يا رب سمعت ما سألوني فأعطني ما سألوني، باسم الله. ثم رمى فمر السهم حتى إذا قرب من الحائط ارتفع حتى أخذ العلجُ مذاكيرَه فوقع. فقال: شأنكم به.

---

٧٩٧ ـ أبو معاوية الأسود ـ رحمه الله ـ: الحلية (٨/ ٢٧١).

[عن] جعفر بن محمد بن الحسين بن زيد بن مسلم الرامهرمزي قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا معاوية الأسود يقول ـ وهو على سور طرسوس، من جوف الليل ـ يبكي ويقول: ألا من كانت الدنيا من أكبر همه طال في القيامة غداً همه، ومن خاف ما بين يديه ضاق في الدنيا ذرعه.

ومن خاف الوعيد لهى من الدنيا عما يريد، يا مسكين إن كنت تريد لنفسك الجزيل فأقلل نومك بالليل إلا القليل، اقبل من اللبيب الناصح إذا أتاك بأمر واضح، لا تهتمن بأرزاق من تخلف، فلستَ أرزاقَهم تُكَلَّف، وطِّن نفسك للمقال إذا وقفت بين يدي رب العزة للسؤال، قدم صالح الأعمال، ودع عنك كثرة الأشغال، بادر ثم بادر قبل نزول ما تحاذر، إذا بلغ روحك التراقي، وانقطع عنك من أحببت أن تلاقي، كأني بها وقد بلغت الحلقوم، وأنت في سكرات الموت مغموم، وقد انقطعت حاجتك إلى أهلك، وأنت تراهم حولك، وبقيت مرتهناً بعملك، الصبرُ ملاك الأمر، وفيه أعظم الأجر، فاجعل ذكر الله من جُلِّ شأنك، واملك فيما سوى ذلك لسانك.

ثم بكى أبو معاوية بكاء شديداً، ثم قال: أوّه من يوم يتغير فيه لوني، ويتلجلج فيه لساني، ويجفّ فيه ريقي، ويقلُّ فيه زادي!. فقيل له: يا أبا معاوية من قال هٰذا الكلام؟ فقال: لحكيم.

قال أبو حمزة ـ نصير بن الفرج الأسلمي، وكان خادماً لأبي معاوية الأسود ـ: كان أبو معاوية قد ذهب بصره، فكان إذا أراد أن يقرأ فتَّش المصحف وفتحه فيرد الله عليه بصره، وإذا أطبق المصحف ذهب بصره.

عن أبي الزاهرية قال: قدمت طرسوس، فدخلت على أبي معاوية الأسود وهو مكفوف البصر، وفي منزله مصحف معلق. فقلت: رحمك الله مصحف وأنت لا تبصر؟ قال: تكتم علي يا أخي حتى أموت؟ قال: قلت: نعم. قال: إني إذا أردت أن أقرأ القرآن فتح لي بصري.

[عن] عبد الرحمن بن عبد الله قال: استطال رجل على أبي معاوية الأسود فقال له رجل: مه. فقال أبو معاوية: دعه يشتفي. ثم قال: اللهم اغفر الذنب الذي سلطت عليَّ به هذا.

قال أبو موسى المغازلي: كنت أسمع أبا معاوية الأسود إذا قام من الليل يستقي الماء، يقول: ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا، جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

[عن] يحيى بن معين قال: رأيت معاوية الأسود وهو يلتقط الخرق من المزابل فيلفقها ويغسلها، فقيل له: يا أبا معاوية إنك تُكسَىٰ. فقال: ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا، جبر الله عز وجل لهم بالجنة كل مصيبة. قال أبو علي: فرأيت يحيى يبكي. لا نعرف لأبي معاوية مسنداً.

٧٩٨ ـ سليمان الخوّاص

[عن] مضاء بن عيسى قال: مر سليمان الخواص بإبراهيم بن أدهم وهو عند قوم قد أضافوه وأكرموه فقال: نعم الشيء هذا يا إبراهيم إن لم تكن تكرمة على دين![1].

٧٩٨ ـ سليمان الخوّاص ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٣٤٣ سنة ١٦٠)، الحلية (٨/ ٢٧٦).

(١) أي: هذا كرم لك منهم جيد إن لم يكن بسبب صلاحك، وإلا فإنه يُعدُّ من الأكل بالدين إن كان قصدَك. نسأل الله العافية والسلامة.

قال أحمد بن وديع: قال سليمان الخواص: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخه.

قال يزيد بن سعيد: دخل سعيد بن عبد العزيز على سليمان الخواص فقال له: أراك في ظلمة. قال: ظلمة القبر أشد من هذا! قال: أراك وحدك! قال: إن للصاحب على الصاحب حقاً فخفت أن لا أقوم بحق صاحبي. قال: فأخرج سعيد صرة فيها شيء، فقال له: تنفق هذا وأنا أحلف لك بين يدي الله تعالى أنه حلال. قال: لا حاجة لي فيها. فقال له: يرحمك الله ما ترى ما الناس فيه؟ [خذه وأرجو منك][(١)] دعوةً.! قال: فصرخ سليمان صرخة ثم قال: ما لك يا سعيد فتنتني بالدنيا وتفتنني بالدين؟ ما لي والدعاء؟ من أنا؟ فخرج سعيد فأخبر بما كان الأوزاعيَّ. فقال الأوزاعي: دعوا سليمان، لو كان سليمان من الصحابة كان مثلاً.

لا نعلم لسليمان مسنداً، كان مشغولاً بالعبادة.

٧٩٩ ـ سلم بن ميمون الخواص

من أهل طبرية. وبها مات: قال إسماعيل بن أبي سلمة: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وكأن منادياً ينادي: ألا فلْيَقُم السابقون. فقام سفيان الثوري، ثم نادى الثانية: ألا فلْيَقُم السابقون، فقام سلم الخواص، ثم نادى الثالثة: ألا فلْيَقُم السابقون. فقام إبراهيم بن أدهم.

قال أحمد بن ثعلبة: سمعت سلماً الخواص يقول: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة. فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعتِهِ من رسول الله ﷺ. قال: فجاءت حلاوة قليلة، ثم قلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعتِهِ من جبريل يخبر به النبي ﷺ، فازدادت الحلاوة. قال: ثم قلت لها: اقرئيه كأنك سمعتِهِ منه حين يتكلم به. فجاءت الحلاوة كلها.

قال قاسم الجوعي: جئت سلماً الخواص فقدم إلي نصف بطيخة ونصف رغيف وقال لي: كلْ يا قاسم، نزلت على أخ لي فقدم لي نصف خيارة ونصف رغيف وقال لي: كل يا سلم فإن الحلال لا يحتمل السرف، ومَنْ درى من أين يكسب درىٰ كيف ينفق؟ أسند سلم عن مالك بن أنس وابن عيينة وأقرانهما.

٨٠٠ ـ أبو عبيدة الخواص واسمه عباد بن عباد

وقد اشتهر بأبي عبيدة، وإنما هو أبو عتبة، كذلك ذكره البخاري وغيره[(٢)].

---

(١) في المطبوع والمنتظم «رحمك الله: ما ترى ما الناس فيه دعوة»، وفي الحلية كلام نحوه لكنه غير واضح أيضاً!! فرمّمنا النص بما ترى.

٧٩٩ ـ سَلَم الخوّاص ـ رحمه الله ـ: ذكره في الحلية (٧/ ٧ و١٨) وترجم له في الجرح والتعديل (٤/ ٢٦٧) ولسان الميزان (٣/ ٦٦) والمجروحين (١/ ٣٤٥).

٨٠٠ ـ أبو عبيدة الخواص ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢٥٩ سنة ١٦٢)، تاريخ بغداد (١١/ ١٠١) وانظر سنن الدارمي (١/ ١٦٦).

(٢) انظر التاريخ الكبير (٦/ ٤٠) والجرح والتعديل (٦/ ٨٣) و(٩/ ١٧٧).

قال أبو موسى الصوري: كتب بن عباد الخواص إلى إخوانه يعظهم: إنكم في زمان قد رق فيه الورع، وقل فيه الخشوع، وحمل العلم مفسدوه؛ فأحبوا أن يعرفوا بحمله، وكرهوا أن يعرفوا بإضاعة العمل به، فنطقوا فيه بالهوى ليزينوا ما دخلوا فيه من الخطر، فذنوبهم ذنوب لا يستغفر منها، وتقصيرهم تقصير لا يعترف به، أحبوا الدنيا وكرهوا منزلة أهلها؛ فشاركوهم في العيش وزايلوهم بالقول. .

قال أبو عبيد العسقلاني: رأيت أبا عبيدة الساحلي لم يضحك أربعين سنة. فقيل له: لم لا تضحك؟ فقال: كيف أضحك أنا وفي أيدي المشركين من المسلمين أحد؟!.

[عن] عبد الأعلى بن سليمان قال: رأيت أبا عبيدة الخواص على سرته خرقة، وعلى رقبته خرقة وهو يمشي في طريق البصرة، وهو يقول: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه.

[عن] أحمد بن الحواري قال: دخل عباد الخواص على إبراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين، فقال له: يا شيخ عظني؟ فقال: بم أعظك أصلحك الله؟ بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ما يعرض على رسول الله ﷺ من عملك!. فبكى حتى سالت الدموع من لحيته.

[عن] عن بشر بن الحارث قال: رأيت على جبال عرفة رجلاً قد ولع به الولَهُ وهو يقول:

سبحان من سَجَدْنا بالعيون له ... على شَبا[1] الشوك والمحمَّى من الإبر
لم نبلغ العشر من مِعْشار نعمته ... ولا العُشَير ولا عُشراً من العُشر
هو الرفيع فلا الأبصار تُدركه ... سبحانه من مليك نافذ القدر
سبحان من هو أُنسي إذا خلوتُ به ... في جوف ليلي، وفي الظلماء والسَّحَر
أنت الحبيب وأنت الحِبُّ يا أملي ... من لي سواك؟ ومن أرجوه يا ذخري

ثم أنشد أيضاً:

كم قد زللتُ فلم أذكرك في زللي ... وأنت يا سيدي في الغيب تذكرني
كم أكشف الستر جهلاً عند معصيتي ... وأنت تلطف بي حقاً وتسترني
لأبكينَّ بدمع العين من أسف ... لأبكين بكاء الولِهِ الحَزِن

قال: ثم غاص في خلال الناس فلم أره، فسألت عنه؟ فقيل: هذا أبو عبيدة الخواص منذ سبعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله عز وجل.

[عن] عقبة بن فضالة قال: سمعت أبا عبيدة الخواص بعد ما كبروا هو آخذ بلحيته يبكي ويقول: قد كبرت فأعتقني.

أسند عباد عن الأوزاعي، وأبي بكر بن أبي مريم، وغيرهما.

---

(١) شَبا الشوكِ: طرفُه وحدُّه كما في النهاية (٢/ ٤٤٢).

٨٠١ ـ أبو يوسف الغسولي

قال جنيد: سمعت سرياً يذكر أن أبا يوسف الغسولي كان يلزم الثغر ويغزو، وكان إذا غزا مع الناس ودخلوا بلاد الروم أكل أصحابُه من ذبائح الروم ومن فواكههم، وكان أبو يوسف لا يأكل! فيقال له: يا أبا يوسف تشك أنه حلال؟ فيقول: هو حلال. فيقال له: فكلْ من الحلال. فيقول: إنما الزهد في الحلال.

[عن] حرمي بن يونس قال: سمعت أبا يوسف الغسولي يقول: أنا أتفقه في مطعمي من ستين سنة.

قال المروزي: وسمعت بعض المشيخة يقول: سمعت أبا يوسف الغسولي يقول: إنه ليكفيني في السنة اثنا عشر درهماً، في كل شهر درهم، وما يحملني على العمل إلا ألسنة هؤلاء القراء؛ يقولون: أبو يوسف من أين يأكل؟ قال المروزي: وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: أبو يوسف الغسولي قد خلف ابن إدريس. يعني: في الورع.

٨٠٢ ـ أحمد بن عاصم الأنطاكي

يكنَى أبا علي، ويقال: أبا عبد الله: من متقدمي مشائخ الثغور، وكان يقال له «جاسوس القلوب».

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: أخبرنا أحمد بن عاصم الأنطاكي قال: إذا صارت المعاملة إلى القلب استراحت الجوارح.

قال: وسمعته يقول: هاه! غنيمة باردة، أصلح فيما بقي يُغفر لك ما قد مضى.

وسمعته يقول: ما أغبط أحداً إلا من عرف مولاه، وأشتهى أن لا أموت حتى أعرفه معرفة العارفين الذين يستحبّونه لا معرفة التصديق.

قال أحمد بن عبد الله: سمعت أبي يقول: سمعت خالي عثمان بن محمد بن يوسف يقول: سمعت أبي يقول: قال أحمد بن عاصم: أنفع اليقين ما عظَّم في عينيك ما به أيقنت، وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فات، وألزمك الفكر في بقية عمرك وخاتمة أمرك، وأنفع الصدق أن تقر لله عز وجل بعيوب نفسك، وأنفع الحياء أن تستحيي أن تسأله ما تحب وتأتي ما يكره، وأنفع الصبر ما قواك على خلاف هواك، وأفضل الجهاد مجاهدتك نفسك لتردها إلى قبول الحق، وأوجب الأعداء منك مجاهدةً أقربهم منك دنواً، وأخفاهم عنك شخصاً، وأعظم لك عداوة وهو إبليس. قلت: فما ترى في الأنس بالناس؟ قال: إن وجدت عاقلاً مأموناً فأْنس به، واهرب من سائرهم كهربك من السباع. قلت: فما أفضل ما أتقرب به إلى الله عز وجل؟ قال: ترك معاصيه

---

٨٠١ ـ أبو يوسف الغسولي ـ رحمه الله ـ: انظر الحلية (٧/ ٣٧٠).

٨٠٢ ـ أحمد بن عاصم الأنطاكي ـ رحمه الله ـ: الحلية (٩/ ٢٨٠)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ٣١٨)، الجرح والتعديل (٢/ ٦٦)، القشيرية (٢٣)، طبقات ابن الملقن (٤٦)، معجم البلدان (٢/ ٦٢٥)، ميزان الاعتدال (١/ ١٠٦).

الباطنة. قلت: فما بال الباطنة أولى من الظاهرة؟ قال: لأنك إذا اجتنبت الباطنة بطلت الظاهرة والباطنة. قلت: فما أضر الطاعات لي؟ قال: ما نسيت بها مساوئك، وجعلتها نصب عينيك إدلالاً بها وأمناً.

قال: وسمعته يقول: استكثر من الله عز وجل لنفسك قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر، واستقلل من نفسك لله عز وجل كثير الطاعة إزراءً على النفس وتعرضاً للعفو، واستجلب شدة التيقظ بشدة الخوف، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة، واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس، وسدَّ سبيل العجب بمعرفة النفس، واطلب راحة البدن بإجمام القلب، وتخلص إلى إجمام القلب بقلة الخلطاء، وتعرض لرقة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر، وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة، وأحذرك «سوف».

قلت: لأحمد بن عاصم كلام كثير انتخبنا منه ما ذكرنا، ولا نعلم له مسنداً.

٨٠٣ ـ أبو عبد الله النِّباجِيّ

واسمه سعيد بن يزيد: قال محمد بن أبي الورد: قال أبو عبد الله النباجي: من خطرت الدنيا بباله لغير القيام بأمر الله حجب عن الله.

وقال ابن أبي الورد: صلى أبو عبد الله النباجي يوماً بأهل طرسوس، فصيح: النفيرُ! فلم يخفف الصلاة، فلما فرغوا قالوا: أنت جاسوس. قال: ولم؟ قالوا: صيح بالنفير وأنت في الصلاة فلم تخفف! قال: ما حسبت أن أحداً يكون في الصلاة فيقع في سمعه غير ما يخاطبه الله عز وجل.

[عن] الحسين بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله النباجي قال: قال لي قائل في منامي: أو يحسن بالحر المريد أن يتذلل للعبيد، وهو واجد عند مولاه كل ما يريد؟.

[عن] أحمد بن أبي الحواري عن أبي عبد الله النباجي قال: إن في خلق الله عز وجل خلقاً يستحيون من الصبر، لو يعلمون أقداره تلقَّفوها تلقفاً.

[عن] أحمد بن محمد بن بكر القرشي قال: سمعت أبا عبد الله النباجي يقول: اطلبوا النظر في الرضا عن الله عز وجل، وتساءلوا عنه بينكم، إنكم إن ظفرتم منه بشيء علوتم به الأعمال كلها.

قال: وسمعته يقول: لا تستكثروا الجنة للمؤمن، فإنه قد وافى بأعظم قدر عنده من الجنة: معرفة الله والإيمان به. وسمعته يقول: الذي جعل اللهُ عز وجل المعرفةَ[1] عنده يتنعم مع الله عز وجل في كل أحواله.

قال أبو عبيد الله الإمام: سمعت أبا عبد الله النباجي يقول: إذا كان عندك ما أعطى الله عز وجل نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً ﷺ [و] لا تراه شيئاً، وإنما تريد ما أعطى الله نمرود وفرعون وهامان فمتى تفلح؟ لا نعرف للنباجي مسنداً، وإنما كان مشغولاً بالزهد والتعبّد، وقد حكى عن الثوري والفضيل وغيرهما.

---

٨٠٣ ـ أبو عبد الله النِّبَاجِيّ ـ رحمه الله ـ: طبقات السلمي تعليق (هـ) ص (٩٨)، ونِباج: قرية من بادية البصرة على النصف من طريق مكة.

(١) أي: الذي يكرمه الله تعالى بمعرفته... إلخ.

٨٠٤ ـ عبد الله بن خبيق بن سابق

أبو محمد: أصله من الكوفة، ثم سكن أنطاكية، واستفاد من يوسف بن أسباط.

[عن] محمد بن المسيب الأرغياني قال: أخبرنا عبد الله بن خبيق قال: أنت لا تطيع من يحسن إليك فكيف تحسن إلى من يسيء إليك؟

[عن] عمر بن عبد الله الهجري قال: سمعت عبد الله بن خبيق يقول: لا تغتمّ إلا من شيء يضرك غداً، ولا تفرح بشيء لا يسرك غداً، وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فاتك، وألزمك الفكرة في بقية عمرك. أسند ابن خبيق عن يوسف بن أسباط وغيره.

٨٠٥ ـ أبو الحارث الأولاسي

واسمه فيض بن الخضر: كان شاباً يغنيّ في أول أمره، وقال: بينا أنا في غفلتي رأيت عليلاً مطروحاً على قارعة الطريق، فدنوت منه فقلت: هل تشتهي شيئاً؟ قال: نعم رماناً. فجئته برمان فلما وضعته بين يديه رفع بصره، وقال: تاب الله عليك. فما أمسيت حتى تغير قلبي عما كنت عليه، وخرجت إلى الحج وأنا أسير بالليل إذا بقوم يشربون، فلمّا رأوني ذهلوا فأجلسوني وعرضوا علي الطعام والشراب. فقلت: أحتاج إلى البول. فذهبت فوقعت في غابة فإذا سبع! فقلت: اللهم إنك تعلم ما تركت؟ ومماذا خرجت؟ وفيماذا خرجت؟ فاصرف عني شر هذا السبع. فولى السبع، ودخلت مكة فلقيت بها من انتفعت به، منهم إبراهيم بن سعد العلوي.

[عن] الحسن بن خلف قال: قال لي أبو الحارث الأولاسي ـ فيض بن الخضر ـ: رأيت إبليس له جمة شعر، فأقبلت أتملقه وأقول: ويحك ما أنا في هذا الخلق؟ خلّني وربي. فقال: هيهات هيهات، كيف أخليك وفيك وفي أبيك هلكت[1]، لا، أو تهلكوا معي. قال: فأخذت برأسه فجعلته على حجر وأخذت بحلقه أخنقه ثم قلت: كيف أقدر على قتله وقد أخّره الله عز وجل إلى يوم القيامة؟ ولكن أرفق به، فجعلت أتملقه وهو يأبى. فقلت له: دلني على ما ينفعني؟ فقال: أدلك على السكر والحملان والجوذابات[2] والدنانير والدراهم أن تكثر منها. فقلت له: يا ملعون أنا أسألك أن تدلني على شيء ينفعني في أمر آخرتي، تدلني على الدنيا! وما أصنع أنا بهذا؟ وما حاجتي إليه؟ فقال: من ههنا صار رأسي وحلقي في يدك تقلبه كيف شئت وتلعب به. قلت: أفدتني علماً، لا جرم إني لأرجو أن لا أنال منها شيئاً إلا ما لا غنى بي عنه. فقال: إن تركتك فاصعد العقبة وسأستعين عليك بولد جنسك الذين زينت في أعينهم ما قبح في عينك فأجابوني إليه، فبهم أستعين عليك فيأتوك من مأمنك.

توفي أبو الحارث بطرسوس سنة سبع وتسعين ومائتين.

---

٨٠٤ ـ عبد الله بن خبيق ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ١٦٨).

٨٠٥ ـ أبو الحارث الأولاسي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ٩٨ سنة ٢٩٧) الحلية (١٠/ ١٥٦).

(١) وفي أبيك: أي: آدم ـ عليه السلام.

(٢) كذا هي، ولم أتبين معناها؟!

٨٠٦ ـ أبو الخير التيناتي

أصله من المغرب، وسكن تينات، وهي قرية من قرى أنطاكية. ويقال له الأقطع، لأنه كان مقطوع اليد. وكان سبب ذلك أنه كان في جبال أنطاكية وحواليها يطلب المباح، وينام بين الجبال، وأنه عاهد الله تعالى أن لا يأكل من ثمر الجبال إلا ما طرحته الريح، فبقي أياماً لم تطرح إليه الريح شيئاً، فرأى يوماً شجرة كِمَّثْرَىٰ فاشتهى منها فلم يفعل، فأمالتها الريح إليه فأخذ واحدة، واتفق أن لصوصاً قطعوا هنالك الطريق وجلسوا يقتسمون، فوقع عليهم السلطان فأخذهم وأُخذ معهم فقطعت أيديهم وأرجلهم، وقطعت يده، فلما هموا بقطع رجله عرفه رجل فقال للأمير: أهلكت نفسك، هذا أبو الخير. فبكى الأمير وسأله أن يجعله في حِل؟. ففعل وقال: أنا أعرف ذنبي.

[عن] منصور بن عبد الله قال: قال أبو الخير: الدعوى رعونة لا يحتمل القلب إمساكها، [فيُلْقِيها][(١)] إلى اللسان فتنطق بها ألسنة الحمقى. قال: وسمعته يقول: دخلت مدينة الرسول ﷺ وأنا بفاقة فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذوقاً، فتقدمت إلى القبر فسلمت على النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله. وتنحَّيت فنمت خلف المنبر، فرأيت في النوم النبي ﷺ وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، وعلي بن أبي طالب بين يديه. فحركني عليّ وقال لي: قم؛ قد جاء رسول الله ﷺ، فقمت إليه وقبلت بين عينيه، فدفع إلي رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وإذا في يدي نصف رغيف.

[عن] إبراهيم بن محمد المراغي قال: سمعت أبا الخير التيناتي يقول: بقيت بمكة سنة فأصابني ضر وفاقة، فكلما أردت أن أخرج إلى المسألة هتف بي هاتف يقول: الوجه الذي يسجد لي تبذله لغيري؟.

أخبرنا المحمدان بن عبد الملك وابن ناصر قال: أنبأنا أحمد بن الحسن بن خيرون قال: قرأت على أبي الحسين علي بن محمود الصوفي: أخبركم علي بن المثنى، وأخبرنا أبو بكر العامري قال: أنبأنا علي بن أبي صادق قال: أنبأنا ابن باكويه قال: أخبرني إبراهيم بن أحمد المراغي قالا: سمعنا أبا الخير التيناتي الأقطع يقول: ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين، وخدمة الفقراء الصادقين.

[عن] محمد بن الفضل قال: خرجت من أنطاكية ودخلت تينات، ودخلت على أبي الخير الأقطع على غفلة منه بغير إذن فإذا هو ينسج زنبيلاً بيديه، فتعجبت، فنظر إلي وقال: يا عدو نفسه، ما الذي حملك على هذا؟ فقلت: هيجان الوجد لما بي من الشوق إليك. فضحك ثم قال لي: اقعد، لا تعد إلى شيء من هذا بعد اليوم. ثم قال: استر علي في حياتي. ففعلت.

قال ابن باكويه: وسمعت إبراهيم بن محمد السباك بـ «رُها» يقول: كنا نطلع على أبي الخير التيناتي من الخوخة وهو يسفُّ الخوص بيديه، فإذا خرج رأيناه أقطع.

---

٨٠٦ ـ أبو الخير التيناتي ـ رحمه الله ـ: الحلية (١٠/ ٣٧٧)، طبقات السلمي (٣٧٠)، القشيرية (٢٦)، معجم البلدان (٢/ ٦٨)، تاريخ ابن الجوزي (١٤/ ٩٦ سنة ٣٤٣)، تاريخ ابن كثير (١١/ ٢٢٨).

(١) في المطبوع: «فَلْيُلْقِها».

قال أبو الحسن البغراسي: قال لي أبو الخير التيناتي: إياك وكثرة السفر فإنه يقسي القلب ويُذهب بالدِّين.

أبو بكر المصري قال: سمعت بعض أصحابنا ـ فقيراً يعرف بالأنصاري ـ يقول: دخلت على أبي الخير فناولني تفاحتين فجعلتهما في جيبي وقلت: لا أتناولهما، وأتبرك بهما لموضع الشيخ عندي. فكانت تجري علي فاقات لا أتناولهما، فأجهدتني الفاقة، فأخرجت واحدة فأكلتها، وأدخلت يدي لأخرج الثانية إذا التفاحتان مكانهما، فما زلت آكل منهما حتى دخلت الموصل، فجزت على خراب فإذا بعليل ينادي من الخراب: يا ناس أشتهي تفاحة. ولم يكن وقت التفاح، فأخرجت التفاحتين فناولتهما إياه فأكل وخرجت روحه من وقته. فعلمت أن الشيخ أعطاني من أجل ذلك العليل.

صحب أبو الخير التيناتي أبا عبد الله بن الجلاء وغيره من المشايخ، ولا نعلمه أسند شيئاً من الحديث، وتوفي بعد الأربعين وثلاثمائة.

ذِكْرُ المصطَفَين من عبّاد الثغور المجهولي الأسماء

٨٠٧ ـ عابد طرسوسي

قال أبو سليمان المغربي: كنت أحمل الحطب من الجبل وأتقوت منه، وكان طريقي فيه التوقي والتحري، قال: فرأيت جماعة من البصريين في النوم، منهم الحسن ومالك بن دينار وفرقد السبخي، فسألتهم عن علم حالي؛ فقلت: أنتم أئمة المسلمين دلوني على الحلال الذي ليس لله فيه تبعة ولا للخلق فيه منّة؟ فأخذوا بيدي فأخرجوني من طرسوس إلى مرج فيه خبازي فقالوا لي: هذا الحلال الذي ليس لله عز وجل فيه تبعة ولا للمخلوق فيه منّة. قال: فمكثت آكل منه نصف سنة، ثلاثة أشهر في دار السبيل، وكنت آكله نياً ومطبوخاً فصار لي حديث، فقلت: هذه فتنة.

فخرجت من دار السبيل فكنت آكله ثلاثة أشهر أُخَر، فأوجدني الله عز وجل قلباً طيباً حتى قلت: إن كان أهل الجنة بهذا القلب الذي لي فهم والله في شيء طيب، وما كنت آنس بكلام الناس، فخرجت يوماً من باب قلمية إلى صهريج يعرف بالمدنف فجلست عنده، فإذا أنا بفتى قد أقبل من ناحية «لامش» يريد «طرسوس»، وقد بقي معي قطيعات من ثمن الحطب الذي كنت أجيء به من الجبل فقلت: أنا قد قنعت بهذا الخُبّازي، أعطي هذه القطع هذا الفقير، إذا دخل طرسوس اشترى بها شيئاً وأكله، فلما دنا مني أدخلت يدي إلى جيبي حتى أخرج الخرقة فإذا أنا بالفقير قد حرك شفتيه، وإذا كل ما حولي من الأرض ذهبٌ يتّقد حتى كاد يخطف بصري، ولبسني منه هيبة، فجاوز ولم أسلم عليه من هيبته. قال الشيخ أبو بكر: وزادني أبو الفرج ابن أبان في هذه الحكاية قال: فقلت له: فرأيتَه بعد ذلك؟ فقال: نعم، خرجت يوماً خارج طرسوس إذا بالفتى جالس تحت برج من الأبرجة وبين يديه ركوة فيها ماء، فسلمت عليه ثم استدعيت منه موعظة، فمد رجله فقلب الماء، ثم قال لي: كثرة الكلام تنشف الحسنات كما أنشفت الأرضُ هذا الماء! قم يكفيك.

٨٠٨ ـ عابد آخر

علي بن الحسن بن موسى قال: قال رجل: لأمتحنن أهل البلاء. قال: فدخلت على رجل بطرسوس وقد أكلت الآكلة أطرافه. فقلت له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت والله وكل عرق وكل

عضو يألم على حِدَته من الوجع، وإن ذلك لبعين الله أحبُّه إلي أحبُّه إلى الله، وما قدر ما أخذ ربي مني؟ وددت أن ربي قطع مني الأعضاء التي اكتسبت بها الإثم، وأنه لم يبق مني إلا لساني يكون له ذاكراً. قال: فقال له رجل: متى بدأت بك هذه العلة؟ فقال: الخلق كلهم عبيد الله وعياله، فإذا نزلت بالعباد علة فالشكوى إلى الله، ليس يُشتَكى إلى العباد.

٨٠٩ ـ عابد مصّيصي

[عن] علي بن الحسن قال: كان رجل بالمصيصة ذاهب نصفه الأسفل لم يبق منه إلا روحه في بعض جسده، ضرير على سرير مثقوب، فدخل عليه داخل فقال له: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال: ملِكُ الدنيا، منقطع إلى الله عز وجل، ما لي إليه من حاجة إلا أن يتوفاني على الإسلام.

٨١٠ ـ عابد من أهل بيروت

قال أبو عبد الرحمن الأزدي: كنت أدور على حائط بيروت، فمررت برجل متدلي الرجلين في البحر وهو يكبر، فاتكأت على الشرافة التي إلى جنبه فقلت: يا شاب ما لك جالسٌ وحدك؟ قال: اتق الله ولا تقل لي إلا حقاً، ما كنت قط وحدي منذ ولدتني أمي، إن معي ربي حيث ما كنت، ومعي ملكان يحفظان علي، وشيطان ما يفارقني، فإذا عرضت لي حاجة إلى ربي عز وجل سألته إياها ولم أسأله بلساني، فجاءني بها.

ومن المصطَفَيات من عابدات الثغور

٨١١ ـ زينب الطبرية

قال هارون بن الحسن: سمعت سلماً الخوّاص يقول: كانت عندنا جارية يقال لها زينب، وكانت تحسن خدمة مولاها، فذهبت أسلم عليها، فقالت: يا أبا محمد كنت منذ ليال قائمة أخدم مولاي فغلبتني عيني فسمعت قائلاً يقول:

صلاتك نور والعباد رقود قومي فصلّي للغفور الودود

قال: وخرجت يوماً في حاجة فعثرتْ فانقطع إصبع من أصابعها قال: فاجتمعنا رجالاً ونساء نعزيها في إصبعها. فقالت: يا إخوتي وأخواتي أنساني لذةُ ثوابها وجعَها، فوهب الله لي ولكم الرضا والعفو عما مضى، قوموا حتى نخدم مَن الطريقُ عليه غداً.

ذكر المصطَفَين من عُبَّاد أهل الشام المجهولي الأسماء

٨١٢ ـ عابد يقال له الديلمي

قال محمد بن المبارك الصوري: سمعت الوليد بن مسلم يقول: غزا المسلمون غزوة فيهم الديلمي، فأسرته الروم وصلبوه على الدقل، فلما رآه المسلمون مصلوباً حملوا على الروم حملة

---

٨١١ ـ زينب الطبرية ـ رحمها الله ـ: ذكرها ابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١١٩).

فأخذوا المركب الذي فيه الشيخ فأنزلوه عن الدقل. فقال لهم: أعطوني ماء أصبُّ علي. فقالوا: لم تصب عليك؟ فقال: إني جنب، لأنهم لما صلبوني أخذتني نعسة رأيت نفسي كأني على نهر فيه وصائف فمددت يدي إلى واحدة منهن فافترعتها فأصابتني جنابة!.

٨١٣ ـ عابد آخر

عن معروف الكرخي قال: رأيت رجلاً في البادية شاباً حسن الوجه، له ذؤابتان حسنتان، وعلى رأسه رداء قصب، وعليه قميص كتان، وفي رجله نعل طاق. قال معروف: فتعجبت منه في مثل ذلك المكان! ومن زِيّه! فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك السلام ورحمة الله يا عم. فقلت: الفتى من أين؟ فقال: من مدينة دمشق. قلت: ومتى خرجت منها؟ قال: ضحوة النهار. قال معروف: فتعجبت! وكان بينه وبين الموضع الذي رأيته فيه مراحل كثيرة؛ فقلت له: وأين المقصد؟ فقال: مكة. فعلمت أنه محمول، فودعته ومضى ولم أره، حتى مضت ثلاث سنين، فلما كان ذات يوم وأنا جالس في منزلي أتفكر في أمره وما كان منه إذا بإنسان يدق الباب فخرجت إليه فإذا أنا بصاحبي، فسلمت عليه وقلت: مرحباً وأهلاً. وأدخلته المنزل فرأيته منقطعاً والهاً تالفاً عليه زرمانقة[(١)]، حافياً حاسراً فقلت: هيه، أي شيء الخبر؟ فقال: يا أستاذ لاطفني حتى أدخلني الشبكة ورماني، فمرة يلاطفني ومرة يهددني، ويجيعني مرة ويكرمني أخرى، فليته وقفني على بعض أسرار أوليائه، ثم ليفعل بي ما شاء! قال معروف: فأبكاني كلامه فقلت له: فحدثني ببعض ما جرى عليك منذ فارقتني. فقال: هيهات أن أبديه وهو يريد أن نخفيه، ولكن بَدِياً ما فعل، في طريقي إليك ـ مولاي وسيدي ـ ثم استفرغه البكاء فقلت: وما فعل بك؟ قال: جوعني ثلاثين يوماً ثم جئت إلى قرية فيها مقثأة[(٢)] قد نبذ منها المدود وطرح، فقعدت آكل منه، فبصر بي صاحب المقثأة، فأقبل إلي يضرب ظهري وبطني، ويقول: يا لص ما خرب مقثأتي غيرك، منذ كم أنا أرصدك حتى وقعت عليك؟ فبينا هو يضربني إذ أقبل فارس نحوه مسرعاً إليه وقلب السوط في رأسه، وقال: تعمد إلى ولي من أولياء الله عز وجل فتقول له: يا لص؟ فأخذ صاحب المقثأة بيدي فذهب بي إلى منزله، فما أبقى من الكرامة شيئاً إلا عمله، واستحلّني، وجعل مقثأته لله عز وجل ولأصحاب معروف. فقلت له: صف لي معروفاً. فوصف لي، فعرفتك بما قد كنت شاهدته من صفتك. قال معروف: فما استتمَّ كلامه حتى دق صاحب المقثأة الباب ودخل إلي وكان موسراً فأخرج جميع ماله وأنفقه على الفقراء، وصحب الشاب سنة، وخرجا إلى الحج، فماتا بالربذة.

٨١٤ ـ عابد آخر

قال داود بن رشيد: حدثني الصبيح والمليح ـ شابان كانا يتعبدان بالشام ـ سُمِّيا الصبيح والمليح لحسن عبادتهما ـ قالا: جعنا أياماً، فقلت لصاحبي، أو قال لي: اخرج بنا إلى الصحراء، لعلنا نرى

(١) الزُرمانقة: جبة صوف، ولا أحسبها عربيةً، أراها عبرانية ا.هـ ابن سلاّم في الغريب (٤/ ١٠١).

(٢) المَقْثَأَةُ: موضع القِثَّاء وهو الخيار، واحدته: قِثَّاءة ا.هـ اللسان (١/ ١٢٨: ق ـ ث ـ أ).

رجلاً نعلمه بعض دينه، لعل الله عز وجل أن ينفعنا به. فلما أصحرنا استقبلنا أسود على رأسه حزمة حطب، فدنونا منه فقلنا له: يا هذا من ربك؟ فرمى الحزمة عن رأسه وجلس عليها وقال: لا تقولا لي من ربك؟ ولكن قولا لي: أين محل الإيمان من قلبك؟ فنظرت إلى صاحبي ونظر إلي صاحبي، ثم قال: سلا، سلا، فإن المريد لا تنقطع مسائله! فلما رآنا لا نحير جواباً قال: اللهم إن كنت تعلم أن لك عباداً كلما سألوك أعطيتهم فحول حزمتي هذه ذهباً، فرأيناها قضبان ذهب تلتمع، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أن لك عباداً الإخمالُ أحب إليهم من الشهرة فردها حطباً، فرجعت والله حطباً، ثم حملها على رأسه ومضى، فلم نجترئ أن نتبعه.

٨١٥ ـ عابد آخر

عن عبد السلام بن حرب قال: ذكر الحسن بن حي رجلاً من أهل الشام فذكر عبادته، قال له خلف بن حوشب: فكيف كانت رقته؟ قال: ذهبت رقته، أما رأيت الثكلى تكمد؟.

٨١٦ ـ عابد آخر

قال بكر العابد: كان عابد من أهل الشام قد حمل على نفسه في العبادة. فقالت له أمه: يا بني عملت ما لم يعمل الناس، أما تريد أن تهجع؟ فأقبل يردد عليها ويقول: ليتكِ كنتِ لي عقيماً، إن لبنيك في القبر حبساً طويلاً.

٨١٧ ـ عابد آخر

أبو بكر الكتاني وجماعة من المشايخ قالوا: كان لأبي جعفر الدينوري أخ يكون بالشام، وكان لا يقيم في قرية ولا بمدينة أكثر من ليلة أو يوم ثم يخرج، فدخل إلى قرية فاعتلَّ فيها سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم يكلمه أحد، فمات، فأصبح القوم في اليوم الثامن فوجدوه ميتاً فغسلوه، وحنطوه، وكفنوه، وصلوا عليه، وحملوه ليدفنوه، فجاء الناس من كل قرية إليهم وقالوا: سمعنا صائحاً يصيح: من أراد أن يحضر جنازة ولي من أولياء الله عز وجل فليحضر قرية كذا وكذا. قال: فصلوا عليه ودفنوه، فلما كان من الغد وجدوا الكفن والحنوط مصروراً في محرابهم ومعه كتاب فيه مكتوب: لا حاجة لنا في كفنكم هذا، يقيم بين أظهركم ولي من أولياء الله عز وجل سبعة أيام، ولا عدتموه، ولا عللتموه، ولا أطعمتموه، ولا سقيتموه، ولا كلمتموه؟ قال الكتاني: فجعل أهل تلك القرية فيها بيتاً للضيافة.

ومن عقلاء مجانين الشام

٨١٨ ـ عابد

[عن] عبد الواحد بن زيد قال: خرجت إلى الشام في طلب العبّاد، فجعلت أجد الرجل بعد الرجل شديد الاجتهاد؛ حتى قال لي رجل: قد كان ها هنا رجل من النحو الذي تريد، ولكنا فقدنا من عقله، فلا ندري: يريد أن يحتجب من الناس بذلك؟ أم هو شيء أصابه؟ قلت: وما أنكرتم منه؟ قال:

إذا كلمه أحد قال: الوليد وعاتكة. لا يزيده عليه. قال: قلت: فكيف لي به؟ قال: هذه مدرجته. فانتظرته فإذا برجل واله، كريه الوجه، كريه المنظر، وافر الشعر، متغير اللون، وإذا الصبيان حوله وخلفه وهو ساكت يمشي، وهم خلفه سكوت يمشون وعليه أطمار دنسة. قال: فتقدمت إليه فسلمت عليه، فالتفت إلي فرد علي السلام. فقلت: يرحمك الله إني أريد أن أكلمك. فقال: الوليد وعاتكة. قلت: قد أُخبرت بقصتك. فقال: الوليد وعاتكة.

ثم مضى حتى دخل المسجد ورجع الصبيان الذين كانوا يتبعونه فاعتزل إلى سارية، فركع فأطال الركوع ثم سجد، فدنوت منه فقلت: رحمك الله، رجل غريب يريد أن يكلمك ويسألك عن شيء، فإن شئت فأطل وإن شئت فأقصر، فلست ببارح حتى تكلمني؟ قال: وهو في سجوده، يدعو ويتضرع، ففهمت عنه، وهو يقول: سترك سترك! قال: فأطال السجود حتى سئمت فدنوت منه فلم أسمع له نَفَساً ولا حركة. قال: فحركته فإذا هو ميت كأنه قد مات من دهر طويل.

قال: فخرجت إلى صاحبي الذي دلني عليه فقلت: تعال فانظر إلى الذي زعمت أنك أنكرت من عقله. وقصصت عليه قصته. قال: فهيأناه ودفنّاه.

(١) لا شك أن التعبّد لا يعني مخالفة سنن المصطفى ﷺ في الملبس والمنظر والاحتفال بالسائل!!

ذكر المصطفيات
من عابدات الشام

٨١٩ ـ أم الدرداء

واعلم أن أم الدرداء اثنتان: فالكبرى تسمى خيرة بنت أبي حدرد، زوجة أبي الدرداء، لها صحبة ورواية عن النبي ﷺ، ويقال: إنها ماتت قبل أبي الدرداء. وأم الدرداء الصغرى: اسمها هجيمة بنت حيي الوصابية ـ قبيلة من حمير ـ وهي زوجة أبي الدرداء أيضاً. ويقال فيها جهيمة، وهي التي خطبها معاوية بعد موت أبي الدرداء فأبت أن تتزوجه.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: الكبرى لها صحبة، وروت عن النبي ﷺ ثلاثة أحاديث، والصغرى لا صحبة لها، روت عن أبي الدرداء، وكلتاهما زوجة أبي الدرداء.

وقال أبو القاسم الطبري: يروي عن الصغرى: إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، وزيد بن أسلم، وطلحة بن عبد الله بن كريز، وصفوان بن عبد الله بن صفوان، وعثمان بن حيان الدمشقي، وسالم بن أبي الجعد، ويونس بن ميسرة بن حلبس.

قلت: وكان لأبي الدرداء بنت تسمى الدرداء، وليست من هذه ولا من هذه، بل من امرأة أخرى على ما ذكر محمد بن سعد.

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث صفوان بن عبد الرحمن قال: قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء، فقالت: أتريد الحج العام؟ فقلت: نعم. قالت: فادع لنا بخير؛ فإن النبي ﷺ كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكَّلٌ كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل». قال: فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك يرويه عن النبي ﷺ. أخرجه مسلم في كتاب الدعاء(١).

وأخرج متصلاً به ـ ليدل على أن الحديث من روايتها عن أبي الدرداء ـ من حديث طلحة بن عبد الله بن كريز، قال: حدثتني أم الدرداء قالت: حدثني سيدي ـ يعني أبا الدرداء ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: ولك بمثل»(٢).

---

٨١٩ ـ أم الدرداء الصغرى ـ رحمها الله ـ: تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٤ برقم ٩٠٨٠)، التقريب (١/ ٧٥٤ برقم ٨٧٧١)، وتهذيب الكمال (٣٥/ ٣٥٢ برقم ٧٩٧٤)، والكاشف (٢/ ٥٢٣)، والتقريب أيضاً (١/ ٧٥٦)، طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٤)، تاريخ ابن معين (٣/ ١٤٧).

(١) أخرج الحديثين مسلمٌ (٢٧٣٢ و٢٧٣٣) وابن ماجه (٢٨٩٥) وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢١).

قال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي: قال ابو بكر البرقاني: وهذه أم الدرداء الصغرى التي روت هذا الحديث، وليس لها صحبة ولا سماع من النبي ﷺ، وإنما هو من مسند أبي الدرداء.

فأما أم الدرداء الكبرى فلها صحبة، وليس لها في الكتابين حديث. والله أعلم.

قلت: فإذ قد كشفنا عن هاتين الكنيتين على ما يوجبه النظر في النقل، فالأخبار التي نوردها عن الصغرى لا عن الكبرى. والله أعلم.

قال عبد الله بن أحمد: حدثتني خديجة ـ أم محمد ـ وكانت تجيء إلى أبي تسمع منه ويحدثها ـ قالت: حدثنا إسحاق الأزرق قال: حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله قال: كنا نجلس إلى أم الدرداء فنذكر الله عندها فقالوا: لعلنا قد أمللناك؟ قال: تزعمون أنكم قد أمللتموني؟ فقد طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئاً أشفى لصدري ولا أحرى أن أصيب به الذي أريد من مجالس الذكر.

عن عون بن عبد الله قال: كنا نأتي أم الدرداء فنذكر الله عندها. قال: فاتكأت ذات يوم. فقيل لها: لعلنا أن نكون قد أمللناك يا أم الدرداء؟ فجلست فقالت: زعمتم أنكم قد أمللتموني؟ فقد طلبت العبادة بكل شيء فما وجدت أشفى لصدري ولا أحرى أن أدرك منه ما أريد من مجالسة أهل الذكر.

عن إبراهيم بن أبي عبلة قال: قلت لأم الدرداء ادعي لنا. قالت: أَوَ بلغت أنا ذلك؟.

عن ميمون بن مهران قال: ما دخلت على أم الدرداء في ساعة صلاة إلا وجدتها مصلية.

[عن] يونس بن ميسرة بن حلبس قال: كنا نحضر أم الدرداء وتحضرها نساء متعبِّدات يقمن الليل كله، حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام.

[عن] شيخ من بني تميم قال: حدثني هزان قال: قالت لي أم الدرداء: يا هزان هل تدري ما يقول الميت على سريره؟ فقلت: لا. قالت: فإنه يقول: يا أهلاه ويا جيراناه وياحملة سريراه، لا تغرنكم الدنيا كما غرتني، ولا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي! فإن أهلي لا يحملون عني من وزري شيئاً، ولو حاجّوني عند الجبار لحجُوني. ثم قالت أم الدرداء: الدنيا أَسْحَرُ لقلوب العابدين من هاروت وماروت، وما آثرها عبد قط إلا أضرعت خده.

عن أبي عمران الأنصاري قال: كنت أقود دابة أم الدرداء فيما بين بيت المقدس ودمشق فقالت لي: يا سليمان أسمعُ الجبال وما وعدها الله عز وجل فأرفعُ صوتي بهذه الآية: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧].

[عن] سعيد بن عبد العزيز قال: أشرفت أم الدرداء على وادي جهنم ومعها إسماعيل بن عبيد الله فقالت: يا إسماعيل اقرأ. فقرأ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] فخرّت أم الدرداء على وجهها وخرّ إسماعيل على وجهه، فما رفعا رؤوسهما حتى ابتلّ ما تحت وجوههما من دموعهما.

عن خالد بن ذكوان قال: أخبرتني أمي أن ابنة لأبي الدرداء توفيت، فصلت عليها أم الدرداء، ثم رجعت فدعت بالمِجمَر فوضعته تحت ثيابها ثم ناولَتْنِيه.

وقال يحيى بن معين: ماتت الدرداء قبل أم الدرداء، فلما دفنتها قالت: اذهبي إلى ربك وأذهب إلى ربي. فدخلت المسجد.

عن ميمون بن مهران قال: خطب معاوية أم الدرداء فأبت أن تزوّجه، وقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال النبي ﷺ: «المرأة في آخر أزواجها» أو قال: «لآخر أزواجها» ـ أو كما قال ـ ولست أريد بأبي الدرداء بدلاً[1].

عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء قالت: إنما الوجل في قلب ابن آدم كاحتراق السُّعفة، أما تجد لها قشعريرة؟ قال: بلى. قالت: فادع الله إذا وجدت ذلك، فإن الدعاء يستجاب عند ذلك.

٨٢٠ ـ عثامة

عن محمد بن سليمان: أن عثامة كُفَّ بصرها. وكانت متعبدة.

قال الجروي: حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عبد العزيز قال: ما نعلم أحداً أحنث في مشي فمشى إلا عثامة، فإنها حنثت فمشت إلى مكة فأنفقت خمسمائة دينار.

[عن] محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء: أن أمه عثامة كُفَّ بصرها، فدخل عليها ابنها يوماً وقد صلى، فقالت: أصليتم أي بني؟ قال: نعم. فقالت:

عثامُ مالكِ لاهِيَه حلَّت بدارك داهية
ابكي الصلاةَ لوقتها إن كنت يوماً باكية
وابكي القرآنَ إذا تُلي قد كنت يوماً تالية
تتلينه بتفكر ودموعُ عينِك جارية
فاليوم لا تتلينه إلا وعندك تاليه
لهفي عليك صبابةً ما عشت طول حياتيه

٨٢١ ـ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر

[عن] عن علي بن أبي جملة قال: سمعت أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تقول: أف للبخل، لو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته.

سعيد بن مسلمة بن هشام الأموي قال: كانت أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تبعث إلى نسائها فيجتمعن ويتحدثن عندها، وهي قائمة تصلي، ثم تنصرف إليهن فتقول: أحب حديثكم، فإذا قمت في صلاتي لهوت عنكن ونسيتكن.

قال: وكانت تكسوهن الثياب الحسنة، وتعطيهن الدنانير وتقول: الكسوة لكنّ، والدنانير اقسمنَها بين فقرائكن. وكانت تقول: جعل لكل قوم نهمة في شيء، وجعلت نهمتي في البذل والإعطاء، والله

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢١) والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٢٨) وانظر كشف الخفاء (٢/ ٣٩٢).

لَلصِّلةُ والمواساة أحبُّ إلي من الطعام الطيب على الجوع، ومن الشراب البارد على الظمأ!.

وكانت تقول: وهل يُنال الخير إلا باصطناعه؟ وكانت تقول: ما حسدت أحداً قط على شيء، إلا أن يكون ذا معروف؛ فإني كنت أحب أن أشركه في ذلك.

[عن] أحمد بن سهل قال: حدثني منصور ـ مولى بني أمية ـ قال: كانت أم البنين تعتق في كل جمعة رقبة، وتحمل على فرس في سبيل الله عز وجل.

قال محمد: وحدثني يوسف بن الحكم قال: حدثني مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان قال: دخلت عزة على أم البنين. فقالت لها: يقول كُثَيِّرُ:

قضى كلُّ ذي دَينٍ ـ علمتُ ـ غريمَه وعزة ممطول مُعَنّى غريمُها

ما كان هذا الدَّينُ يا عزة؟ فاستحيتْ. فقالت: علي ذلك. قالت: كنت وعدته قبلة فتحرجت منها.

فقالت أم البنين: أنجزيها له وإثمها علي[1]!.

قال محمد: وقال لي يوسف بن الحكم: حدثني رجل من بني أمية يكنى أبا سعيد قال: بلغني أن أم البنين أعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة، وكانت إذا ذكرتها بكت وقالت: ليتني خرست ولم أتكلم بها.

قال يوسف: وحدثني سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك قال: حدثتني امرأة من أهلي قالت: سمعت أم البنين تقول: ما تحلى المتحلون بشيء أحسن عليهم من عظم مهابة الله في صدورهم.

٨٢٢ ـ عبدة أخت أبي سليمان الداراني

قال أبو سليمان: وصفت لأختي عبدة قنطرة من قناطر جهنم، فأقامت يوماً وليلة في صيحة واحدة ما تسكت، ثم انقطع عنها بعد، فكلما ذكرت لها صاحت. قلت: من أي شيء كان صياحها؟ قال: مثّلت نفسَها على القنطرة وهي تكفأ بها.

وقد روى أحمد بن الحواري عن أبي سليمان أنه قال: سمعت أختي تقول: الفقراء كلهم أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة والرضا بفقره.

وذكر أبو عبد الرحمن السلمي: أنه كان لأبي سليمان أختان: عبدة وآمنة، قال: وكانتا من العقل والدين بمحل عظيم.

٨٢٣ ـ رابعة بنت إسماعيل زوجة أحمد ابن أبي الحواري

كذا نَسَبَها أبو بكر بن أبي الدنيا، وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي: أن رابعة العدوية تشارك

---

(١) لا شك أنها فتوى جهالةٍ لا قيمة لها وقد ندمت عليها صاحبتُها كما في الخبر بعده.

٨٢٣ ـ رابعة بنت إسماعيل ـ رحمها الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ١٤٦ سنة ٢٢٩).

هذه في اسمها واسم أبيها، وعموم ما يأتي في الحديث عن زوجة أحمد أنها رايعة بالباء، والعدوية بصرية وهذه شامية.

وقد أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا أبو الغنائم بن النرسي قال: رابعة بالباء بنقطة من تحتها: بصرية، ورايعة بالياء باثنتين من تحتها: شامية.

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لرابعة ـ وهي امرأتي وقد قامت بليل ـ: قد رأينا أبا سليمان وتعبّدنا معه، ما رأينا من يقوم من أول الليل. فقالت: سبحان الله مثلك يتكلم بهذا؟ إنما أقوم إذا نوديت. قال: وجلست آكل وجعلت تذكرني. فقلت لها: دعينا يهنينا طعامنا. قالت: ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة.

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: قالت لي رابعة: أي أخي أعلمت أن العبد إذا عمل بطاعة الله أطلعه الجبار على مساوئ عمله فيتشاغل به دون خلقه؟.

عن أحمد بن أبي الحواري قال: كانت لرابعة أحوال شتى، فمرة يغلب عليها الحب، ومرة يغلب عليها الأنس، ومرة يغلب عليها الخوف، فسمعتها تقول في حال الحب:

حبيب ليس يعدله حبيب ... ولا لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي ... ولكن عن فؤادي ما يغيب

وسمعتها في حال الأنس تقول:

ولقد جعلتُكَ في الفؤاد محدِّثي ... وأبحت جسمي من أراد جلوسي[(١)]
فالجسم مني للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وسمعتها في حال الخوف تقول:

وزادي قليل ما أراه مبلِّغي ... أَلِلزّاد أبكي أم لطول مسافتي؟
أتحرقني بالنار يا غايةَ المُنى ... فأين رجائي فيك؟ أين محبتي؟

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: إني لأضن باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسي، وإني لأرى ذراعي قد سمن فأحزن. قال: وربما قلت لها: أصائمة أنت اليوم؟ فتقول: ما مثلي يفطر في الدنيا. قال: وربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبي على رؤيتها ما لا يتحرك مع مذاكراتي أصحابنا من أثر العبادة. وقالت لي: لست أحبك حب الأزواج، إنما أحبك حب الإخوان، وإنما رغبت فيك رغبةً في خدمتك، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل مِلكي ومالي مثلك ومثل إخوانك.

قال أحمد: وكانت لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها علي، فكانت إذا طبخت قدراً قالت: كُلْها يا سيدي فما نضجت إلا بالتسبيح. وقالت لي: لست أستحلُّ أن أمنعك نفسي وغيري، اذهب فتزوج.

---

(١) بمعنى: أنَّ جسمها وجسدها حاضرٌ مع محدِّثها، أما قلبها فمشغول بذكر المولى سبحانه وتعالى. ولا داعي لتحميل الكلام أقبح وجوهه إذا أمكن حملُه على وجه حسن مستاغ، لأن الأصل في المسلم خوفُ الله تعالى والتزام أحكامه.

قال: فتزوجت ثلاثاً، وكانت تطعمني اللحم وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك. وكنت إذا أردت جماعها نهاراً قالت: أسألك بالله لا تفطرني اليوم، وإذا أردتها بالليل قالت: أسألك بالله لما وهبتني لله الليلة!.

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف، ولا رأيت جراداً إلا ذكرت الحشر.

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: قالت لنا رابعة: نحُوا عني ذلك الطست، فإنما عليه مكتوب: مات أمير المؤمنين هارون الرشيد. قال أحمد: فنظروا فإذا هو مات ذلك اليوم.

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون، وربما رأيت الحور العين يستترن مني بأكمامهن. وقالت بيدها على رأسها.

قال أحمد: ودعوت رابعة فلم تجبني، فلما كان بعد ساعة أجابتني وقالت: إنما منعني من أن أجيبك أن قلبي قد كان امتلأ فرحاً بالله، فلم أقدر أن أجيبك.

٨٢٤ ـ أم هارون

[عن] عبد العزيز بن عمير قال: قالت أم هارون ـ وكانت من الخائفين العابدين[1] ـ: قد أنزلت الدنيا منزلتها. وكانت تأكل الخبز وحده. قالت: بأبي الليل لما أطيبه، إني لأغتم بالنهار حتى يجيء الليل، فإذا جاء الليل قمت أوله، فإذا جاء السَّحَر دخل الرَّوحُ قلبي.

قال أحمد بن أبي الحواري: وخرجت أم هارون من قريتها تريد موضعها، فصاح صبي بصبي: خذوه. فسقطت أم هارون فوقعت على حجر فدميت، فظهر الدم من مقنعتها.

قال: وقال أبو سليمان: من أراد أن ينظر إلى صعق صحيح فلينظر إلى أم هارون. وقال أبو سليمان: ما كنت أرى أنه يكون بالشام مثلها.

قال أحمد بن أبي الحواري: وقالت لي رابعة: ما دهنت أم هارون رأسها منذ عشرين سنة. فإذا كشفنا رؤوسنا كان شعرُها أحسنَ من شعورنا.

وبالإسناد قال أبو بكر القرشي: وبلغني عن القاسم الجوعي قال: مرضت أم هارون فأتينا نعودها أنا وصاحب لي، فدخلنا عليها وهي على طرف الدرجة فسألناها عن حالها؟ فقلت لها: أم هارون أيكون من العبّاد من يشغله خوفُ النيران عن الشوق إلى الجنان؟ فقالت: آه! وسقطت عن الدرجة مغشياً عليها. قال قاسم: وكانت أم هارون تأتي بيت المقدس من دمشق كل شهر مرَة على رجليها. فدخلتُ عليها، فقالت: يا قاسم كنت أمشي ببَيسان فإذا قد عرض لي هذه الكلب الأسد فمشى نحوي، فلما قرب مني نظرت إليه فقلت: تعال يا كلب، إن كان لك رزق فكل. فلما سمع كلامي أقعى، ثم ولى راجعاً.

(١) كذا هي في المطبوع، والصحيح لغةً «الخائفات العابدات».

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: قلت لأم هارون: أتحبين الموت؟ قالت: لا. قلت: ولم؟ قالت: لو عصيت آدمياً ما أحببت لقاءه، فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته؟.

٨٢٥ ـ ثويبة بنت بهلول

[عن] ابن أبي الحواري قال: سمعت ثويبة بنت بهلول، وكانت زاهدة دمشق، تقول: قرةَ عيني ما طابت الدنيا والآخرة إلا بك فلا تجمع علي فقدك والعذاب.

٨٢٦ ـ حمادة الصوفية

[عن] علي بن أبي الحُرّ قال: دخلت أنا وخشيش الموصلي من باب الجابية وفي يدي كتاب جاءني من حمادة الصوفية. فقرأت فيه: أبلغ كل محزون بالشام عني السلام. فانتحب خشيش على رؤوس الناس.

٨٢٧ ـ البيضاء بنت المفضل

[عن] أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أسماء الرملية ـ وكانت من العابدات ـ تقول: سألت البيضاء بنت المفضل فقلت: يا أختي هل للمحب لله دلائل يعرف بها؟ قالت: يا أختي والمحب للسيد يخفى؟ لو جهد المحب للسيد أن يخفى ما خفي. قلت: صفيه لي. قالت: لو رأيت المحب لله عز وجل لرأيت عجباً عجيباً من والِهٍ ما يقر على الأرض، طائر مستوحش، أنسه في الوحدة، قد مُنِع الراحة، طعامه الحب عند الجوع، وشربه الحب عند الظمأ، لا يمل من طول الخدمة لله تعالى.

٨٢٨ ـ آمنة الرملية

[عن] جعفر بن محمد ـ صاحب بشر ـ قال: اعتلَّ بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية من الرملة. فإنها لعنده إذ دخل أحمد بن حنبل يعوده، فقال: من هذه؟ فقال: هذه آمنة الرملية، بلغها علتي فجاءت من الرملة تعودني. قال: فسلها تدعو لنا. فقالت: اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما. قال أحمد: فانصرفت، فلما كان من الليل طرحت إلي رقعة مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: «قد فعلنا، ولدينا مزيد».

ذِكْرُ المصطَفَيات من عابدات الشام المجهولات الأسماء

٨٢٩ ـ مولاة لأبي أمامة ـ شامية

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثتني مولاة أبي أمامة قالت: كان أبو أمامة يحب الصدقة ويجمع لها، ولا يرد سائلاً ولو ببيضة، ولو بتمرة أو بشيء مما يؤكل، فأتاه سائل ذات يوم وقد أقفر من ذلك كله وما عنده إلا ثلاثة دنانير، فسأله فأعطاه ديناراً، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً، قالت: فغضبت وقلت: لم تترك لنا شيئاً! قالت: فوضع رأسه للقائلة. قالت: فلما نودي الظهر أيقظته فتوضأ ثم راح إلى مسجده. قالت: فرققت عليه وكان صائماً، فاقترضت ما جعلت له عشاء وسرجت له سراجاً وجئت إلى فراشه لأمهد له، فإذا بذهب فعددتها فإذا ثلاثمائة

دينار. قالت: قلت: ما صنع الذي صنع إلا ولقد وثق بما خلَّف.

فأقبل بعد العشاء فلما رأى المائدة والسراج تبسم وقال: هذا خير من غيره. قالت: فقمت على رأسه حتى تعشّى، فقلت: رحمك الله خلَّفت هذه النفقة في سبيل مضيعة، ولم تخبرني فأرفعها؟ قال: وأي نفقة؟ ما خلفت شيئاً! قالت: فرفعت الفراش. فلما أن رآه فرح واشتد تعجبه. قالت: فقمت فقطعت زناري وأسلمت. قال ابن جابر: فأدركتها في مسجد حمص وهي تعلم النساء القرآن والسنن والفرائض، وتفقههن في الدين.

٨٣٠ ـ عابدة أخرى

[عن] أحمد بن أبي الحواري يقول: بينا أنا ذات يوم في بلاد الشام في قبة من قباب المقابر ليس عليها باب، إلا كساء قد أسبلته، فإذا أنا بامرأة تدق الحائط، فقلت: من هذا؟ قالت: امرأة ضالة، دلني على الطريق رحمك الله! قلت: عن أي الطريق تسألين؟ فبكت ثم قالت: عن طريق النجاة! قلت: هيهات، إن بيننا وبين طريق النجاة عقاباً، وتلك العقاب لا تنقطع إلا بالسير الحثيث، وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة من أمر الدنيا والآخرة. قال: فبكت بكاءً شديداً، ثم قالت: يا أحمد سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تنقطع، وحفظ عليك فؤادك فلم يتصدع. ثم خرت مغشياً عليها. فقلت لبعض النساء: انظرن أي شيء حال هذه الجارية؟ فقمن إليها ففتشنها فإذا وصيتها في جيبها: كفنوني في أثوابي هذه، فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي، وإن كان غير ذلك فبعداً لنفسي. وحركوها فإذا هي ميتة. فقلت: لمن هذه الجارية؟ قالوا: جارية قرشية كانت تشكو إلينا وجعاً بجوفها، فكنّا نصفها لمتطببي الشام، فكانت تقول: خلوا بيني وبين الطبيب الراهب ـ تعني أحمد بن أبي الحواري ـ أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي، لعله يكون عنده شفائي.

٨٣١ ـ عابدة أخرى

[عن] محمد بن سعد التيمي قال: رأيت جارية سوداء في بعض مدن الشام وبيدها خوص تسفه، وهي تقول مع سَفِّها:

لك علم بما يجنّ فؤادي ... فارحم اليوم ذلتي وانفرادي

فقلت: يا سوداء ما علامة المحب؟ فإذا رجل قد صرع بالقرب منها! فنظرتْ إلي وإلى الرجل وقالت: يا بطّال، علامة المحب الصادق لله في حبه أن يقول لهذا المجنون: قم فيقوم! فإذا الرجل قد قام، وإذا الجنية تقول لها على لسانه: وحقِّ صدقِ حبك لربك لا رجعتُ إليه أبداً.

انتهى ذِكْرُ أهل الشام بحمد الله ومنّه

ومن المصطَفَين من أهل عسقلان

٨٣٢ ـ آدم بن أبي إياس العسقلاني

واسم أبي إياس: ناهية، وقال البخاري: هو آدم بن عبد الرحمن بن محمد. ويكنى أبا الحسن، مولى، أصله من خراسان، ومنشؤه ببغداد، وبها طلب العلم، وكتب عن شيوخها، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة والحجاز والشام، واستوطن عسقلان، فعُرِف بالعسقلاني، وكان من الصالحين؛ متمسكاً بالسنة.

قال أبو علي المقدسي: لما حضرت آدمَ بن أبي إياس الوفاةُ ختم القرآن وهو مسجًّى، ثم قال: بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع، كنتُ آملك لهذا اليوم، كنت أرجوك!. ثم قال: لا إله إلا الله. ثم قضى نحبه.

أسند آدم عن شعبة، والليث بن سعد، وخلق كثير، وتوفي سنة عشرين ومائتين.

---

٨٣٢ ـ آدم بن أبي إياس العسقلاني ـ رحمه الله ـ: التاريخ الكبير (٣/ ٣٤٣) ذكر من روى عنهم البخاري في الصحيح للجرجاني (٩٦) (الكاشف (١/ ٢٣٠).

ذكر المصطفين
من أهل مصر

٨٣٣ ـ حيوة بن شريح

أبو يزيد النجيبي: وقال أبو زرعة: سمع من عقبة بن مسلم، وروى عنه الليث.

قال خالد بن الفزر: كان حيوة بن شريح دعّاء من البكائين، وكان ضيق الحال جداً. فجلست إليه ذات يوم وهو متخل وحده يدعو. فقلت: رحمك الله لو دعوت الله عز وجل فوسع عليك في معيشتك؟ قال: فالتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً، فأخذ حصاة من الأرض فقال: اللهم اجعلها ذهباً. قال: فإذا هي والله تبرة في كفه، ما رأيت أحسن منها. قال: فرمى بها إلي وقال: ما خير في الدنيا إلا الآخرة. ثم التفت إلي فقال: هو أعلم بما يصلح عباده. فقلت: ما أصنع بهذه؟ قال: استنفقها. فهِبتُه والله أن أُرادّه.

٨٣٤ ـ سليم بن عتر

عن الحارث بن يزيد: أن سليم بن عتر كان يقرأ القرآن كل ليلة ثلاث مرات.

٨٣٥ ـ الليث بن سعد

يكنى أبا الحارث، مولى لقيس، ولد سنة ثلاث وتسعين، واستقل بالفتوى والكرم بمصر.

قال أبو صالح: كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا. فقلنا: ليس يشبه صاحبنا! قال: فسمع مالك كلامنا فأدخلنا عليه فقال لنا: من صاحبكم؟ قلنا: الليث بن سعد. فقال: تشبهوني برجل كتبنا إليه في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا وثياب جيراننا فأنفذ إلينا ما صبغنا به ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا، وبعنا الفضلة بألف دينار؟.

قال محمد بن موسى الصائغ: سمعت منصور بن عمار يقول: تكلمت في جامع مصر يوماً فإذا رجلان قد وقفا على الحلقة فقالا: أجب الليث. فدخلت عليه فقال: أنت المتكلم في المسجد؟

---

٨٣٣ ـ حيوة بن شريح ـ رحمه الله ـ: التاريخ الكبير (٣/ ١٢٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٨٥)، تاريخ ابن الأثير (٦/ ٣٥)، شذرات الذهب (١/ ٢٤٣)، الجرح والتعديل (٣/ ٣٠٦).

٨٣٤ ـ سليم بن عتر ـ رحمه الله ـ: تاريخ الإسلام (٣/ ١٥٦)، الجرح والتعديل (١/ ٢/ ٢١١)، شذرات الذهب (١/ ٨٣).

٨٣٥ ـ الليث بن سعد ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٩/ ١٢ سنة ١٧٥)، الحلية (٧/ ٣١٨)، تاريخ بغداد (١٣/ ٣)، التاريخ الكبير (٧/ ٢٤٦)، الجرح والتعديل (٧/ ١٧٩)، طبقات ابن سعد (٧/ ٥١٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٤)، العبر (١/ ٢٦٦)، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٢٣)، وفيات الأعيان (٧/ ١٢٧).

قلت: نعم: قال: رد علي الكلام الذي تكلمت به. فأخذت في ذلك المجلس بعينه، فرقّ، وبكى حتى رحمته. ثم قال: ما اسمك؟ قلت: منصور. قال: ابن من؟ قلت: ابن عمار. قال: أنت أبو السري؟ قلت: نعم. قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك. ثم قال: يا جارية. فجاءت فوقفت بين يديه فقال لها: جيئي بكيس كذا وكذا. فجاءت بكيس فيه ألف دينار فقال: يا أبا السري خذ هذا إليك، وصنْ هذا الكلام أن تقف به على أبواب السلاطين، ولا تمدحن أحداً من المخلوقين بعد مدحتك لرب العالمين، ولك علي في كل سنة مثلها. فقلت: رحمك الله، إن الله قد أحسن إلي وأنعم. قال: لا تردّ علي شيئاً أَصِلُك به! فقبضتها وخرجت. قال: لا تبطئ علي. فلما كان في الجمعة الثانية أتيته فقال لي: اذكر شيئاً. فتكلمت، فبكا، وكثر بكاؤه، فلما أردت أن أقوم قال: انظر ما في ثني هذه الوسادة. وإذا خمسمائة دينار. فقلت: عهدي بصلتك بالأمس. قال: لا تردن علي شيئاً أَصِلُك به، متى رأيتك؟ قلت: الجمعة الداخلة. قال: كأنك فَتَّتَ عضواً من أعضائي. فلما كانت الجمعة الداخلة أتيته مودعاً فقال لي: خذ في شيء أذكُرك به. فتكلمت، فبكا، وكثر بكاؤه. ثم قال لي: يا منصور انظر ما في ثني الوسادة. فإذا ثلثمائة دينار قد أعدّها للحج. ثم قال: يا جارية هاتي ثياب إحرام منصور، فجاءت بإزار فيه أربعون ثوباً.

قلت: رحمك الله أكتفي بثوبين. فقال لي: أنت رجل كريم، ويصحبك قوم فأعطهم. وقال للجارية التي تحمل الثياب معه: وهذه الجارية لك.

قال سليم بن منصور: سمعت أبي يقول: دخلت على الليث بن سعد يوماً فإذا على رأسه خادم، فغمزه فخرج، ثم ضرب الليث بيده إلى مصلاه فاستخرج من تحته كيساً فيه ألف دينار، ثم رمى بها إلي. ثم قال: يا أبا السري لا تُعلم ابني فتهون عليه.

قال الحسن بن عبد العزيز: قال لي الحارث بن مسكين: اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرة فاستغلَوها! فاستقالوه، فأقالهم، ثم دعا بخريطة فيها أكياس فأمر لهم بخمسين ديناراً، فقال له الحارث ابنه في ذلك؟ فقال: اللهم غفراً؛ إنهم كانوا قد أمّلوا فيها أملاً فأحببت أن أعوضهم عن أملهم بهذا.

قال سعيد الآدم: مررت بالليث بن سعد فتنحنح لي فرجعت إليه، فقال لي: يا سعيد خذ هذا الفُنداق[1]، فاكتب لي فيه من يلزم المسجد ممن لا بضاعة له ولا غلة. قال: فقلت: جزاك الله خيراً يا أبا الحارث. وأخذت منه الفنداق ثم صرت إلى المنزل، فلما صليت أوقدت السراج وكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قلت: فلان بن فلان. ثم قلت: فلان. فبينا أنا على ذلك إذ أتاني آت فقال: ها الله يا سعيد! تأتي إلى قوم عاملوا الله عز وجل سراً فتكشفهم لآدمي؟ مات الليث، ومات شعيب بن الليث، أليس مرجعهم إلى الله الذي عاملوه؟ قال: فقمت ولم أكتب شيئاً. فلما أصبحت أتيت الليث ابن سعد فلما رآني تهلل وجهه فناولته الفنداق، فنشره فأصاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. ثم ذهب ينشره. فقلت له: ما فيه غير ما كتبت! فقال لي: يا سعيد وما الخبر؟ فأخبرته بصدقٍ عما كان. فصاح

(١) لعلها: السجل أو نحوه مما يُكتب فيه.

صيحة، فاجتمع عليه الخلق فقالوا: يا أبا الحارث أليس خيراً؟ فقال: ليس إلا خيراً. ثم أقبل علي فقال: يا سعيد تبيَّنْتَها وحُرِمتُها! صدقت: مات الليث أليس مرجعهم إلى الله؟.

قال علي بن محمد: سمعت مقدام بن داود يقول: سعيد الآدم هذا يقال إنه من الأبدال، وقد كان رآه مقدام.

قال عبد الملك بن يحيى بن بكير: سمعت أبي يقول: وصل الليث بن سعد ثلاثة أنفس بثلاثة آلاف دينار: احترقت دار ابن لهيعة فبعث إليه بألف دينار، وحج فأهدى إليه مالك بن أنس رطباً على طبق، فرد إليه على الطبق ألف دينار، ووصل منصور بن عمار بألف دينار، وقال: لا يسمع بهذا ابني فتهون عليه، فبلغ ذلك شعيب بن الليث فوصله بألف دينار إلا ديناراً، وقال: إنما نقصتك هذا الدينار لئلا أساوي الشيخ في العطية.

قال محمد بن رمح: كان دخل الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينار، وما وجب لله تعالى عليه زكاة قط.

قال سليم بن منصور: سمعت أبي يقول: كان الليث بن سعد يستغلّ[1] في كل سنة خمسين ألف دينار، فيحُوْل عليه الحَول وعليه دين.

أسند الليث عن خلق كثير من التابعين كعطاء، ونافع، وأبي الزبير، والزهري. وقيل: إنه أدرك نيفاً وخمسين تابعياً.

وتوفي يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان من سنة خمس وسبعين ومائة، ودفن بعد الجمعة.

٨٣٦ ـ المفضل بن فضالة القتباني

وقتبان من اليمن، قاضي مصر، سمع عقيل بن خالد ـ كذا ذكره البخاري.

قال ابن رغبة: كان مفضل بن فضالة قاضياً علينا، وكان مجاب الدعوة، وكان مع ضعفه طويل القيام، وحدثني من أثق به: أنه دعا الله عز وجل أن يُذهب عنه الأمل. فذهب عنه، فلم يصبر! فدعا الله أن يرده عليه.

ومن الطبقة التي تلي هؤلاء

٨٣٧ ـ عبد الله بن وهب مولى لقريش

قال أحمد بن سعيد الهمداني: دخل ابن وهب الحمام فسمع قارئاً يقرأ: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى

---

(١) أي: تبلغ غلّته وما يربحه من تجارته... ا.هـ.

٨٣٦ ـ المفضل بن فضالة القتباني ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن كثير (١٠/ ١٧٩)، الحلية (٨/ ٣٢١)، الجرح والتعديل (٨/ ٣١٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٣٢).

٨٣٧ ـ عبد الله بن وهب ـ رحمه الله ـ: طبقات ابن سعد (٧/ ٥١٨)، العبر (١/ ٣٢٢)، ميزان الاعتدال (٢/ ٢٥١)، الجرح والتعديل (٥/ ١٨٩)، تهذيب التهذيب (٦/ ٧١)، شذرات الذهب (١/ ٣٤٧)، وانظر: المنتظم (٥/ ٣٠ ـ ٣١).

ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٧] فسقط مغشياً عليه، فغُسلت عنه النورة وهو لا يعقل.

قال خالد بن خداش: قرىء على عبد الله بن وهب كتاب «أهوال القيامة» فخرَّ مغشياً عليه. فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام، وذلك بمصر سنة سبع وتسعين ومائة.

أسند ابن وهب عن الأئمة كالثوري، ومالك، وشعبة.

٨٣٨ ـ أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي

قال أبو الوليد بن أبي الجارود: كان أبو يعقوب البويطي جاري. قال: فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلي.

قال الربيع: كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفتيه، يذكر الله عز وجل ـ أو نحو ما قال ـ.

قال الربيع بن سليمان: رأيت البويطي على بغل في عنقه غل، وفي رجليه قيد، وبين الغل والقيد سلسلة حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: والله لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قومٌ في حديدهم، ولئن أُدْخِلْتُ إليه لأصدقنه. يعني الواثق.

أسند البويطي عن عبد الله بن وهب والشافعي وغيرهما. وكان قد جمع بين الفقه والتقوى وامتُحِن فلم يُجب.

قال علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى المصري: حدثنا أبي قال: حُمِل البويطي من مصر أيام الفتنة والمحنة بالقرآن إلى العراق، فأرادوه على الفتنة فامتنع، فسجن ببغداد، وقيِّد وأقام مسجوناً إلى أن توفي في السجن والقيد ببغداد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. وقال غيره: سنة أحدى وثلاثين.

٨٣٩ ـ ذو النون المصري ابن إبراهيم، أبو الفيض

أصله من النوبة، وكان من قرية من قرى صعيد مصر يقال لها إخميم، نزل مصر، ويقال: اسمه الفيض، ويقال: ثوبان، وذو النون لقب. وكان أبوه إبراهيم مولى لإسحاق بن محمد الأنصاري، كان له أربعة بنين: ذو النون، وذو الكفل، وعبد الباري، والهميسع.

قال ابن الجلاء: لقيت ستمائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة: أحدهم ذو النون.

قال أبو بكر محمد بن خلف المؤدب: رأيت ذا النون المصري على ساحل البحر، فلما جنّ الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال: سبحان الله! ما أعظم شأنكما، بل شأن خالقكما أعظم منكما

---

٨٣٨ ـ يوسف البويطي ـ الإمام ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ١٧٤ سنة ٢٣١)، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٩٩).

٨٣٩ ـ ذو النُّون المصري ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١١/ ٣٤٤ سنة ٢٤٦)، تاريخ بغداد (٨/ ٣٩٣)، الحلية (٩/ ٣٣١)، طبقات ابن الملقن (٢١٨)، طبقات السُّلَمي (١٥)، القشيرية (١٠)، وفيات الأعيان (١/ ١٢٦)، شذرات الذهب (٢/ ١٠٧)، تاريخ ابن كثير (١٠/ ٣٤٧).

ومن شأنكما!. فلما تهوّر الليل لم يزل ينشد هذه الأبيات إلى أن طلع عمود الصباح:

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا
قد وجدت لي سكَناً ليس في هواه عَنا
إن بعُدتُ قرَّبني أو قرُبت منه دنا

يوسف بن الحسن يقول: سمعت ذا النون يقول: بصحبة الصالحين تطيب الحياة، والخير مجموع في القرين الصالح إن نسيت ذكرك، وإن ذكرت أعانك.

قال إسرافيل: حضرت ذا النون في الحبس، وقد دخل الجلواز(١) بطعام له فقام ذو النون فنفض يده. فقيل له: إن أخاك جاء به. فقال: إنه على يدي ظالم.

قال: وسمعت رجلاً سأل ذا النون فقال: رحمك الله ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟ فقال له: ذكر المقام، وقلة الزاد، وخوف الحساب، ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم والعرض على الله أمامهم، وقراءة كتبهم بين أيديهم، والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار؟ ثم قال: مثّلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم. قال: وسمعت رجلاً يسأل ذا النون: متى تصح عزلة الخلق؟ فقال: إذا قويت على عزلة النفس.

قال يوسف بن الحسين: قلت لذي النون في وقت مفارقتي له: من أجالس؟ قال: عليك بصحبة من تذكّرك اللهَ عز وجل رؤيتُه، وتقع هيبته على باطنك، ويزيد في عملك منطقه، ويزهدك في الدنيا عمله، ولا تعصي الله ما دمت في قربه، يعظك بلسان فعله، ولا يعظك بلسان قوله.

وسمعت ذا النون يقول: سقم الجسد في الأوجاع، وسقم القلوب في الذنوب، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب.

وسمعته يقول: من لم يعرف قدر النعم سُلِبها من حيث لا يعلم.

قال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: ما خلع الله عز وجل على عبد من عبيده خلعة [أكمل] من العقل، ولا قلده قلادة أجمل من العلم، ولا زينه بزينة أفضل من الحلم، وكمال ذلك كله التقوى.

قال عبد القدوس بن عبد الرحمن: سمعت ذا النون يقول: إلهي لو أصبت موئلاً في الشدائد غيرك، أو ملجأ في النوازل سواك لحقَّ لي أن لا أعرض إليه بوجهي عنك، ولا أختاره عليك لقديم إحسانك إلي وحديثه، وظاهر منتك علي وباطنها، ولو تقطعت في البلاء إرباً إرباً أو انصبَّت علي الشدائد صبّاً صبّاً ولا أجد مشتكًى لبثّي غيرك ولا مفرجاً لما بي سواك، فيا وارث الأرض ومن عليها، ويا باعث جميع من فيها ورِّث أملي فيك مني أملي [وبلغ همّي فيك منتهى وسائلي](٢).

---

(١) الجِلْواز: الشرطي، سُمّي بذلك لشدته وعُنفه. كما في الفائق للزمخشري (٢/ ٧٢).

(٢) في المطبوع: «وبلغ همّتي فيك منتهى وسائلي» ا.هـ، والتصحيح من «الحلية» (٩/ ٣٥١).

قال محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري: سمعت ذا النون يقول: احذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعاً. قلت: فكيف ذلك؟ قال: لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه. ثم قال: تعلق الناس بالأسباب، وتعلق الصّدّيقون بولي الأسباب.

ثم قال: علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطايا، ومن علامة تعلق قلب الصدِّيق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به. ثم قال: ليكن اعتمادك على الله عز وجل في الحال، لا على الحال مع الله. ثم قال: اعقل، فإن هذا من صفة التوحيد.

قال محمد بن أحمد بن سلمة: سمعت ذا النون يقول وقد سألته عند الفراق أن يوصيني؟ فقال: لا يشغلنَّك عيوب الناس عن عيب نفسك، لست عليهم برقيب. ثم قال: إن أحب عباد الله إلى الله عز وجل أعقلهم عنه، وإنما يستدل على تمام عقل الرجل وتواضعه في عقله بحسن استماعه للمحدث إن كان به عالماً، وسرعة قبوله للحق وإن كان ممن هو دونه، وإقراره على نفسه بالخطأ إذا جاء منه.

قال سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون يقول: من ذكر الله على حقيقة نسي في جنبه كل شيء، ومن نسي في جنب الله كل شيء حفظ الله عز وجل عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء. قال: وسمعته يقول: أكثر الناس إشارة إلى الله في الظاهر أبعدُهم من الله.

قال: وسمعته يقول: إلهي إن كان صَغُر في جنب طاعتك عملي فقد كَبُر في جنب رجائك أملي.

وسئل عن الآفة التي يُخدَع بها المريد عن الله عز وجل؟ فقال: برؤية الكرامات. قيل: فبم يخدع قبل وصوله إلى هذه الدرجة؟ قال: بوطء الأعقاب وتعظيم الناس له.

قال: وسمعته يقول: من ذبح حنجرة الطمع بسيف اليأس، وردم خندق الحرص ظفر بكيمياء الخدمة، ومن استقى بحبل الزهد على دلو المعروف استقى من جُبّ الحكمة، ومن سلك أودية الكمد جنى حياة الأبد، ومن حصد عشب الذنوب بمنجل الورع أضاءت له روضة الاستقامة، ومن قطع لسانه بشفرة الصمت وجد عذوبة الراحة، ومن تدرع درع الصدق قوي على مجاهدة عسكر الباطل، ومن فرح بمدحة الجاهل ألبسه الشيطان ثوب الحماقة.

قال أبو عثمان ـ سعيد بن عثمان ـ: سمعت ذا النون يقول: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته.

قال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: دوام الفقر إلى الله تعالى مع التخليط أحبُّ إليّ من دوام الصفاء مع العجب.

قال محمد بن عبد الملك: سمعت ذا النون يقول: ما أعز الله وجل عبداً بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه، وما أذل الله عز وجل عبداً بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه.

قال هلال بن العلاء: قال ذو النون: من تطأطأ لَقَطَ رطباً، ومن تعالى لقي عطباً.

قال سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون يقول: لا تثقن بمودة من لا يحبك إلا معصوماً.

وقال: من صحبك ووافقك على ما تحب وخالفك فيما تكره فإنما يصحب هواه، ومن صحب هواه فإنما هو طالب راحة الدنيا.

وسمعته يقول: كل مطيع مستأنس، وكل عاص مستوحش، وكل محب ذليل، وكل خائف هارب، وكل راج طالب.

قال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: أنت ملك مقتدر وأنا عبد مفتقر، أسألك العفو تذللاً فأعطنيه تفضلاً. وسمعته يقول: من المحال أن يحسُن منك الظنُّ ولا يحسُن منه المنُّ.

أبو عثمان ـ سعيد بن عثمان الخياط ـ يقول: سمعت ذا النون يقول: لم أر شيئاً أبعث لطلب الإخلاص مثل الوحدة، لأنه إذا خلا لم ير غير الله، فإذا لم ير غير الله لم يحركه إلا حكم الله، ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص.

قال الفتح بن شخرف: دخلت على ذي النون عند موته فقلت له: كيف تجدك؟ قال:

أموت وما ماتت إليك صبابتي ... ولا رويت من صدق حبك أوطاري
مناي المنى كل المنى أنت لي مُنى ... وأنت الغنى كل الغنى عند إقتاري
وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتي ... وموضع آمالي ومكنون إضماري
تضمّن قلبي منك ما لك قد بدا ... وإن طال سري فيك أو طال إظهاري
وبين ضلوعي منك ما لا أبثه ... ولم أبدِ باديه لأهل ولا جار
سرائر لا يخفى عليك خفيُّها ... وإن لم أبح حتى التنادي بأسراري
فهب لي نسيماً منك أحيا بروحه ... وجُدْ لي بيسر منك يطرد إعساري
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن ... من العلم في أيديهم عشر معشار
وعلمتهم علماً فباتوا بنوره ... وبانت لهم منه معالمُ أسرار
معاينة للغيب حتى كأنها ... لما غاب عنها منه حاضرة الدار
وأبصارهم محجوبة وقلوبهم ... تراك بأوهام حديداتِ إبصار
جمعت لهم الهمّ المفرّق والتقى ... على قدرٍ، والهمّ يجري بمقدار
ألست دليل القوم إن هم تحيروا؟ ... وعصمة من أمسى على جُرُف هار

قال الفتح بن شخرف: فلما ثقل قلت له: كيف تجدك؟ فقال:

وما لي سوى الإطراق والصمت حيلةٌ ... ووضعي على خدي يدي عند تِذكاري
وإن طرقتني عَبرةٌ بعد عبرةٍ ... تجرَّعتُها حتى إذا عيل تصباري
أفضت دموعاً جمَّة مستهلة ... أطفي بها حَرّاً تضمن أسراري
فيا منتهى سؤل المحبين كلهم ... أَبِحْني محلَّ الأنس مع كل زوّار
ولست أبالي فائتاً بعد فائت ... إذا كنت في الدارين يا واحدي جاري

أسند ذو النون أحاديث كثيرة من مالك، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، وابن لهيعة وغيرهم، وتوفي بالجيزة، وحمل في مركب إلى الفسطاط خوفاً عليه من زحمة الناس على الجسر، ودفن في مقابر أهل المعافر، وذلك في يوم الإثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة من سنة ست وأربعين ومائتين.

٨٤٠ ـ الحسن بن الخليل بن مرة

[عن] أحمد بن صالح قال: سمعت عبد الله بن وهب ـ وذكر الحسن بن الخليل بن مرة ـ فقال: ذاك رجل صدق قد شغلته العبادة.

قال الحسن بن محمد بن باذا: وحدثنا عبد الله بن صالح قال: ما رأيت بمصر من أُفضِّله على الحسن بن الخليل في زهده وورعه، ولقد رأيته يحمل دقيقاً في جراب للناس بأجرة يتقوّت بها؛ في كل جمعة يحمل يوماً، ثم زاد أمره فلم يكن يدّخر لوقت يأتي، وعليه مدرعة قيمتها أقلُّ من درهم، وأجمع أهل مصر أنه مستجاب الدعوة.

قال الحسين: وسمعت محمد بن رمح يقول: أتيت الحسن بن الخليل لأسمع منه شيئاً فإذا هو يقرأ سورة ﴿ق﴾ ويبكي، ثم غشي عليه، فتركته وقمت. وكان قد شغلته العبادة عن الحديث. وعدت إليه غير مرة فلم يكن فيه فضل، وكان مصفرَّ اللون كثيرَ البكاء.

قال الحسين: وحدثنا يحيى بن بكير قال: اعتلَّ الحسن بن الخليل فجاء الليث بن سعد يعوده ونحن معه فقرأ على رأسه، ثم قمنا من عنده فقال: هذا أعبدُ مَن رأيت.

[عن] موسى بن هارون قال: رأيت الحسن بن الخليل بن مرة بعرفات وكلمته، ثم رأيته يطوف بالبيت قلت: ادع الله لي أن يقبل حجي. فبكى ودعا لي، ثم أتيت مصر فقلت: إن الحسن كان معنا بمكة. فقالوا: ما حج العام! وقد كان يبلغني أنه يمر إلى مكة في كل ليلة، فما كنت أصدق، حتى رأيته فعاتبني وقال: شهرتني، ما كنت أحب أن تحدث بها عني، فلا تعذ بحقي عليك.

٨٤١ ـ محمد بن عمرو الغزي

قال أبو زرعة: كان يأتي على محمد بن عمرو الغزي ثمانية عشر يوماً لا يذوق فيها ذواقاً، ولا طعاماً ولا شراباً، ما رأيت بمصر أصلح منه.

[عن] إبراهيم بن أبي أيوب قال: حدثنا محمد بن عمرو الغزي، وكان يأكل في شهر رمضان أكلتين من غير تكلّف، يأكل في كل خمسة عشر يوماً مرة.

أسند الغزي عن الوليد بن مسلم، وعثمان بن سعيد، وعطاف بن خالد في آخرين.

---

٨٤٠ ـ الحسن بن الخليل بن مرة ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٣١٢ سنة ١٦٩).

٨٤١ ـ محمد بن عمرو الغزي ـ رحمه الله ـ: الجرح والتعديل (٨/ ٣٣)، اللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ٣٨١).

٨٤٢ ـ أبو علي: الحسن بن أحمد

المعروف بابن الكاتب، من كبار الصالحين من مشايخ المصريين: قال أحمد بن علي بن جعفر: سمعت أبا علي الكاتب يقول: إذا انقطع العبد إلى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيده الله عز وجل الاستغناء به عمن سواه. وكان يقول: قال الله عز وجل: من صبر علينا وصل إلينا.

وكان يقول: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه.

قال أبو القاسم المصري: قال أبو علي ابن الكاتب: إن الله عز وجل يرزق العبد حلاوة ذكره، فإن فرح به وشكره آنسه بقربه، وإن قصّر في الشكر أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته.

صحب أبو علي ابنُ الكاتب أبا علي الروذباري وغيره، وتوفي بعد الأربعين والثلاثمائة، والله أعلم.

ذِكْرُ المصطَفَين من عبَّاد مصر المجهولي الأسماء

٨٤٣ ـ عابد

قال يوسف بن الحسين: كنت قاعداً بين يدي ذي النون وحوله ناس، وهو يتكلم عليهم، والناس يبكون، وشاب يضحك. فقال له ذو النون: ما لك أيها الشاب؟ الناس يبكون وأنت تضحك؟.

فأنشأ يقول:

كلهم يعبدون من خوف النار ... ويرون النجاة حظاً جزيلا
ليس لي في الجنان والنار رأي ... أنا لا أبتغي بحبي بديلاً

فقيل له: فإذا طردك فماذا تفعل؟ فأنشأ يقول:

فإذا لم أجد من الحب وصلاً ... رُمْتُ في النار منزلاً ومقيلا
ثم أزعجت أهلها ببكائي ... بكرة في ضرامها وأصيلا
معشر المشركين نوحوا عليَّ ... أنا عبد أحببت مولى جليلا
لم أكن في الذي ادَّعيت محقاً ... فجزاني به العذابَ الطويلا

قال يوسف بن الحسين: كان شاب يحضر مجلس ذي النون ابن إبراهيم المصري مدة، ثم انقطع عنه زماناً، ثم حضر عنده وقد اصفرّ لونه ونحل جسمه وظهرت آثار العبادة والاجتهاد عليه فقال ذو النون: يا فتى، ما الذي أكسبتك خدمة مولاك واجتهادك من المواهب التي منحك بها فوهبها لك واختصك بها؟ فقال الفتى: يا أستاذ وهل رأيت عبداً اصطنعه مولاه من بين عبيده واصطفاه وأعطاه مفاتيح الخزائن ثم أسرَّ إليه سراً: أيحسن أن يفشي ذلك السر؟ ثم أنشأ يقول:

---

٨٤٢ ـ الحسن بن أحمد ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٤/ ٩٤ سنة ٣٤٣)، الحلية (٢٠/ ٣٦٠)، القشيرية (٣٥)، طبقات السُّلَمي (٣٨٦)، تارين ابن كثير (١١/ ٢٢٨)، حسن المحاضرة (١/ ٢٩٤).

مـن شـاوروه فـأبـدى الـسـر مـجـتـهـداً   لـم يـأمـنـوه عـلـى الأسـرار مـا عـاشـا
وبـاعـدوه فـلـم يـسـعـد بـقـربـهـم   وأبـدلـوه مـن الإيـنـاس إيـحـاشـا
لا يـصـطَـفـون مـذيـعـاً بـعـضَ سـرِّهـم   حـاشـا وِدادهـم مـن ذالـكـم حـاشـا

٨٤٤ ـ عابد آخر

[عن] عبد الملك بن هاشم قال: قلت لذي النون: صف لنا من خيار مَن رأيت؟ فذرفت عيناه وقال: ركبنا مرة البحر نريد جدة، معنا فتى من أبناء نيف وعشرين سنة قد أُلبس ثوباً من الهيبة، فكنت أحب أكلمه فلم أستطع، فبينا نراه مصلياً نراه قارئاً ونراه مسبِّحاً، إلى أن رقد ذات يوم ووقعت في المركب تهمة، فجعل الناس يفتش بعضهم بعضاً إلى أن بلغوا إلى الفتى النائم. فقال صاحب الصرة: لم يكن أحد أقرب إلي من هذا الفتى النائم! فلما سمعت ذلك قمت فأيقظته، فما كلمني حتى توضأ للصلاة، وصلى أربع ركعات، ثم قال: يا فتى ما تشاء؟ فقلت: إن تهمة وقعت في المركب، وإن الناس لم يزل يفتش بعضهم بعضاً حتى بلغوا إليك. فالتفت إلى صاحب الصرة فقال: أكما يقول؟ فقال: نعم لم يكن أحد أقرب إلي منك! فرفع الفتى يديه يدعو وخفت على أهل المركب من دعائه، فيخيل إلينا أن كل حوت في البحر قد خرجت وفي فم كل حوت درة، فقام الفتى إلى جوهرة في فِيْ حوتٍ فأخذها فألقاها إلى صاحب الصرة وقال: في هذه عوض مما ذهب منك، وأنت في حِلّ.

وقد رويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر: قال يوسف بن الحسين: لما استأنست بذي النون المصري قلت: أيها الشيخ ما كان بدو شأنك؛ وما أنت فيه؟ قال: كنت شاباً صاحب لهو ولعب، ثم إني تبت وتركت ذلك كله، وخرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام ومعي بُضَيْعة، فركبت في المركب مع تجار من مصر، وركب معنا شاب صبيح كأنه يشرق وجهه، فلما توسطنا فقد صاحب المركب كيساً فيه مال، فأمر بحبس المركب وفتش من فيه وأتعبهم، فلما وصلوا إلى الشاب ليُفتش، وثب وثبة من المركب حتى جلس على موج من أمواج البحر، وقام له الموج سرير على مثال، وهو جالس عليه ننظر إليه من المركب. ثم قال: يا مولاي إن هؤلاء اتهموني! وإني أقسم يا حبيب قلبي أن تأمر كل دابة في هذا المكان أن تخرج رؤوسها وفي أفواهها جوهر. قال ذو النون: فما تمَّ كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب وحواليه قد أخرجت رؤوسها وفي فم كل واحدة منها جوهر مضيء يتلألأ ويلمع، ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر، وجعل يتبختر على متن الماء ويقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤ و٥] حتى غاب عن عيني.

٨٤٥ ـ عابد آخر

قال حكيم من الحكماء: مررت بعريش من مصر وأنا أريد الرباط، فإذا أنا برجل في مظلة قد ذهبت عيناه ويداه ورجلاه، وبه أنواع البلاء وهو يقول: الحمد لله حمداً يوافي محامد خلقك بما أنعمت عليّ، وفضّلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً. فقلت: لأنظرن أشيء عَلِمَهُ؟ أم ألهمه الله إلهاماً؟ فقلت: على أي نعمة من نعمه تحمده؟ أم على أي فضيلة تشكره؟ فوالله ما أرى شيئاً من البلاء إلا وهو بك! فقال: ألا ترى ما قد صنع بي؟ فوالله لو أرسل السماء علي ناراً فأحرقتني، وأمر الجبال

فذكدتني، وأمر البحار فغرقتني ما ازددت له إلا حمداً وشكراً! وإن لي إليك حاجة: بُنَيَّةٌ لي كانت تخدمني وتتعاهدني عند إفطاري انظر هل تحسُّ بها؟ ـ وقال عبد الوهاب: بني كان لي ـ فقلت: والله إني لأرجو أن يكون لي في قضاء حاجة هذا العبد الصالح قربة إلى الله عز وجل. فخرجت أطلبها بين تلك الرمال فإذا السبع قد أكلها! فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، من أين آتي هذا العبد الصالح أخبره بموت ابنته؟ فأتيته فقلت له: أنت أعظم عند الله منزلة أم أيوب عليه السلام؟ ابتلاه الله في ماله وولده وأهله وبدنه حتى صار عَرَضاً للناس؟ فقال: لا بل أيوب. قلت: فإن ابنتك التي أمرتني أن أطلبها أصبتها وإذا السبع قد أكلها! فقال: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا وفي قلبي منها شيء. فشهق شهقة فمات.

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، من يعينني على غسله ودفنه؟ فإذا أنا بركب يريدون الرباط، فأشرت إليهم فأقبلوا إلي فأخبرتهم بالذي كان من أمره فغسّلناه وكفّناه ودفنّاه في مظلته تلك، ومضى القوم، وبتُّ ليلتي في مظلته آنساً، به حتى إذا مضى من الليل قدر ثلثه إذا أنا به في روضة خضراء، وإذا عليه حلتان خضراوان، وهو قائم يتلو القرآن. فقلت: ألست صاحبي بالأمس؟ فقال: بلى. فقلت: فما صيَّرك إلى ما أرى؟ قال: وردت من الصابرين على درجة لم ينالوها إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء.

٨٤٦ ـ عابد آخر

قال عمرو بن عثمان المكي: لقيت رجلاً بين قرى مصر يدور. فقلت: ما لي أراك لا تقر بمكان؟ قال: وكيف يقر مطلوب؟ فقلت له: أوَ ليس أنت في قبضته في كل مكان؟ قال: بلى، ولكن أخاف أن أستوطن الأوطان فيأخذني على غرة الاستيطان مع المغرورين.

٨٤٧ ـ عابد آخر

قال أبو بكر المصري: خرجت من عينونة أريد الرملة، فبينا أنا أمشي إذا بفقير يمشي حافي القدمين حاسر الرأس، وعليه خرقتان: متزر بإحداهما مرتد بالأخرى، ليس معه زاد ولا ركوة، فقلت في نفسي: لو كان مع هذا ركوة وحبل فإذا وَرَدَ الماءَ توضأ وصلى كان خيراً له.

فلحقت به ـ وقد اشتدت الهاجرة ـ فقلت له: يا فتى لو جعلت هذه الخرقة التي على كتفيك على رأسك تتوقى بها الشمس كان خيراً لك؟ فسكت ومشى، فلما كان بعد ساعة قلت له: أنت حاف، أي شيء ترى في نعل تلبسها ساعة وأنا ساعة؟ فقال: أراك كثير الفضول، ألم تكتب الحديث؟ قلت: بلى. قال: فلم تكتب عن النبي ﷺ: «إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[(١)]. فسكت ومشى. وعطشت وأنا على ساحل البحر فالتفت إلي فقال: أنت عطشان؟ فقلت: لا. فمشى ساعة وقد كظني العطش ثم التفت إلي فقال: أنت عطشان؟ فقلت: نعم، وما تقدر أن تعمل في مثل هذا

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧ ـ ٢٣١٨)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٠٣ برقم ١٦٠٤)، وأحمد (١/ ٢٠١)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٦٦ برقم ٢٢٩)، الطبراني في الكبير (٣/ ١٢٨).

الموضع؟ فأخذ الركوة مني ودخل البحر وغرف الماء وجاءني به، وقال: اشرب. فشربت ماء أعذب من ماء النيل وأصفى لوناً وفيه حشيش، فقلت في نفسي: هذا ولي الله، ولكني أدعه حتى إذا وافينا المنزل سألته الصحبة. فوقف وقال: أيما أحب إليك تمشي أو أمشي؟ فقلت: إنْ تقدَّم فاتني، ولكن أتقدم أنا وأجلس في بعض المواضع، فإذا جاء سألته الصحبة. فقال: يا أبا بكر إن شئت تقدم واجلس، وإن شئت تأخر فإنك لا تصحبني. ومضى وتركني، فدخلت المنزل، وكان لي به صديق، وعندهم عليل فقلت لهم: رشوا عليه من هذا الماء. فرشوا عليه فبرأ، وسألتهم عن الشخص؟ فقالوا: ما رأيناه.

٨٤٨ ـ عابد آخر

قال عبد العزيز بن عمير: كان في خرابات القبائل بمصر رجل مجذوم، وكان شاب من أهل مصر يختلف إليه ويتعاهده ويغسل خِرَقه ويخدمه، فتقرّأ فتى من أهل مصر، فقال للذي كان يخدمه: إنه بلغني أنه يعرف اسم الله الأعظم، فأنا أحب أن أجيء معك إليه. فأتاه فسلم عليه وقال: يا عم إنه بلغني أنك تعرف اسم الله الأعظم، فلو سألته أن يكشف ما بك؟ فقال: يا ابن أخي، هو الذي أبلاني، فأنا أكره أن أُرادَّه!!.

ومن عقلاء المجانين بمصر

٨٤٩ ـ رجل من أصحاب ذي النون

قال أبو الحسن الفارسي: بلغنا أن رجلاً من أصحاب ذي النون أصيب بعقله، فكان يطوف ويقول: آه أين قلبي؟ أين قلبي؟ من وجد قلبي؟ من وجد قلبي؟ والصبيان قد أولعوا به يرمونه من كل جانب.

فُقضي أنه دخل يوماً بعض سكك مصر وقد هرب من الصبيان، فجلس يستريح ساعة إذ سمع بكاء صبي تضربه والدته، ثم أخرجته من الدار، وأغلقت دونه الباب، فجعل الصبي يلتفت يميناً وشمالاً لا يدري أين يذهب؟ وإلى أين يقصد؟ فلما سكن ما به عاد ناكصاً على عقبيه حتى رجع إلى باب دار والدته فوضع رأسه على عتبة الدار فذهب به النوم، ثم انتبه فجعل يبكي ويقول: يا أماه من يفتح لي الباب إذا أغلقت عني بابك؟ ومن يدنيني من نفسه إذا طردتني من نفسك؟ ومن الذي يربيني بعد أن غضبتِ علي؟ قال: فرحمته أمه، فقامت فنظرت من خَلَل الباب فوجدت ولدها تجري الدموع على خديه متمعكاً في التراب، ففتحت الباب وأخذته حتى وضعته في حجرها وجعلت تقبله وتقول: يا قرة عيني ويا عزيز نفسي، أنت الذي حملتني على نفسك، وأنت الذي تعرضت لما حلّ بك، لو كنت أطعتني لم تلق مني مكروهاً. قال: فتواجد الفتى وصاح حتى اجتمع عليه الخلق فقالوا: ما الذي أصابك؟ فقال: قد وجدت قلبي، قد وجدت قلبي! فلما بصر بذي النون قال: يا أبا الفيض قد وجدت قلبي في سكة كذا وكذا عند فلانة، وسماها. ثم لم يزل إذا تواجد يقول ذلك.

ذكر المصطَفَيات من عابدات مصر

٨٥٠ ـ فاطمة بنت عبد الرحمن بن عبد الغفار الحراني

قال علي بن أبي سعيد ـ عبد الرحمن ـ بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى المصري: أنبأنا أبي قال: فاطمة بنت عبد الرحمن تكنى أم محمد، مولدها ببغداد، وقدم بها [أبوها] إلى مصر وهي حدَثة، سمعت من أبيها، وطال عمرها حتى جاوزت الثمانين، وكانت تعرف بالصوفية؛ لأنها أقامت تلبس الصوف ولا تنام إلا في مصلاها بلا وطاء فوق ستين سنة.

توفيت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة.

٨٥١ ـ أم أيمن بنت علي

امرأة أبي علي الروذباري، واسمها عزيزة: قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين: سمعت بعض أصحابنا يقول: كانت عزيزة امرأة أبي علي تقول: كيف لا أرغب في تحصيل ما عندك وإليك مرجعي؟ وكيف لا أحبك وما لقيت خيراً إلا منك؟ وكيف لا أشتاق إليك وقد شوقتني إليك؟.

وحكي عنها أنها قالت: لا ينتفع العبد بشيء من أفعاله كما ينتفع بطلب قُوْته من حلال.

قال: وخرجت يوماً من مصر وقت خروج الحاج، والجمال تمر بها وهي تبكي وتقول: واضعفاه. وتنشد على إثره وتقول:

فقلت: دعوني واتِّباعي رِكابكم ... أكنْ طوعَ أيديكم كما يفعل العبد

وما بال رغمي لا يهون عليهم ... وقد علموا أن ليس لي منهم بدّ

وتقول: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف ترى حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت؟

٨٥٢ ـ تحية النوبية

قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسن السلمي: سمعت المالبني الصوفي يقول: دخلت على تحية زائراً، فسمعتها من داخل البيت وهي تناجي وتقول في مناجاتها: يا من يحبني وأحبه.

فدخلت إليها وسلمت عليها وقلت: يا تحية هَبي أنك تحبين الله تعالى، فمن أين تعلمين أنه يحبك؟ فقالت: نعم إني كنت في بلد النوبة وأبواي كانا نصرانيين، وكانت أمي تحملني إلى الكنيسة وتجيء بي عند الصليب وتقول: قبّلي الصليب. فإذا هممت بذلك أرى كفاً تخرج فترد وجهي حتى لا أقبّله. فعلمت أن عنايته بي قديمة.

---

٨٥٠ ـ فاطمة بنت عبد الرحمٰن ـ رحمها الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ٢٤٤ سنة ٣١٢)، وانظر تاريخ بغداد لترجمة أبيها (١/ ٢٤٨).

من المجهولات الأسماء

٨٥٣ ـ عابدة

قال أبو عبد الله ـ محمد بن شجاع الصوفي ـ: كنت بمصر أيام سياحتي فتاقت نفسي إلى النساء، فذكرت ذلك لبعض إخواني فقال لي: ههنا امرأة صوفية لها ابنة مثلها جميلة قد ناهزت البلوغ. قال: فخطبتها وتزوجتها، فلما دخلت إليها وجدتها مستقبلة القبلة تصلي. قال: فاستحييت أن تكون صبية في مثل سنها تصلي وأنا لا أصلي! فاستقبلت القبلة وصليت ما قدر لي حتى غلبتني عيني فنمت في مصلاي ونامت في مصلاها، فلما كان في اليوم الثاني كان مثل ذلك أيضاً، فلما طال علي قلت: يا هذه ألاجتماعنا معنى؟ قال: فقالت لي: أنا في خدمة مولاي ومن له حق فما أمنعه. قال: فاستحييت من كلامها وتماديت على أمري نحو الشهر، ثم بدا لي في السفر، فقلت لها: يا هذه. قالت: لبيك. قلت: إني قد أردت السفر. قالت: مصاحباً بالعافية. فقمت فلما صرت عند الباب قامت فقالت لي: يا سيدي كان بيننا في الدنيا عهد لم يُقْضَ بتمامه؛ عسى في الجنة إن شاء الله. فقلت لها: عسى. فقالت لي: أستودعك الله خير مستودع. قال: فتودعت منها وخرجت.

قال: ثم عدت إلى مصر بعد سنين فسألت عنها؟ فقيل لي: هي على أفضل مما تركتها عليه من العبادة والاجتهاد.

انتهى ذِكْرُ أهل مصر

ذِكْرُ المصطَفَين من عبَّاد الإسكندرية

٨٥٤ ـ أسلم بن زيد الجهني

قال إبراهيم بن أدهم: لقيت رجلاً بالإسكندرية يقال له أسلم بن زيد الجهني. فقال: من أنت يا غلام؟ فقلت: شاب من أهل خراسان. قال: ما حملك على الخروج من الدنيا؟ فقلت: زهداً فيها ورجاء ثواب الله تعالى. فقال: إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر. فقال له رجل ممن كان معه: وأي شيء الصبرُ؟ فقال: إن أدنى منازل الصبر أن يروّض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس. قال: قلت: ثم مه؟ قال: إذا كان محتملاً للمكاره أورث الله عز وجل قلبَه نوراً. قلت: فماذا النور؟ قال: سراج يكون في قلبه يفرق بين الحق والباطل والمتشابه. ثم قال: يا غلام إياك إذا صحبت الأخيار وجاريت[1] الأبرار أن تغضبهم عليك، لأن الله تعالى يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم، وذلك أن الحكماء هم العلماء، هم الراضون عن الله إذا سخط الناس. يا غلام احفظ عني واعقل واحتمل، ولا تعجل: إياك والبخل! قلت: وما البخل؟ قال: أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون الرجل ضنيناً بماله، وأما عند أهل الآخرة فهو الذي يضن بنفسه عن الله، ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله أورث الله قلبه الهدى والتقى، وأعطي السكينة والوقار والحلم الراجح والعقل الكامل.

---

٨٥٤ ـ أسلم الجهني ـ رحمه الله ـ: ذكره البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٠٢).

(١) كذا هي، والمعنى: شابهتَ. ولعلها «جاورت».

٨٥٥ ـ عابد آخر

قال العباس بن يوسف الشكلي: دخلت الإسكندرية فسألت: هل بها أحد من الزهاد؟ فقالوا: فتى قد كان يصوم النهار ويقوم الليل فإذا أفطر أفطر على الشهوات، فرأى رؤيا هالته فأخذ في التقلل وصار فطره في خمسة عشر يوماً مرة. فقلت: فعلى أي شيء يفطر إذا أفطر؟ فقيل لي: على شيء من الكُسب[1] وتمرات يعجنها فهي فطره من الوقت إلى الوقت. فقلت: فما الرؤيا التي رآها؟ قالوا: رأى فتى وقف عليه فقال له:

تجوَّع فإن الجوع يورث أهله ... مصادر بِرٍّ خيرُها الدهرَ دائمُ
ولا تك ذا بطن رغيب وشهوة ... فتصبح في الدنيا وقلبك هائم

٨٥٦ ـ عابدة

عن حجاج بن ريان قال: دخلت أنا وابن أبي رفاعة مسجد الإسكندرية، فإذا أنا بامرأة قد اعتزلت عن النساء، وجعلت حولها حظيرة من حجارة، فتقدم إليها ابن أبي رفاعة فقال لها: ما لي أراك قد اعتزلت النساء، وجعلت حولك هذه الحجارة؟ فقالت: يا أبا عبد الرحمن كلمة من هذه، وكلمة من هذه، وقد ذهب الصيام! قال: فالتفت إلي ابن أبي رفاعة فقال: أترى هذه سمعت من مالك ابن أنس شيئاً؟ يعني أن الله تعالى هو الذي بصّرها.

[ذِكْرُ] المصطَفَين من أهل أيلة

٨٥٧ ـ أبو صخر يزيد بن أبي سمية الأيلي

قال محمد بن عمر: كان أبو صخر من العبّاد، وكان يصلي ليله أجمع ويبكي، وكانت معه في الدار امرأة يهودية ساكنة تبكي رحمة له، فقال ليلة في دعائه: اللهم إن هذه اليهودية قد بكت رحمة لي، ودينها مخالف لديني فأنت أولى برحمتي!.

وكان يوافي الموسم في كل عام مع محمد بن المنذر، وصفوان بن سليم، ويزيد بن خصيفة، وأبي حازم، فيلقون عمر بن ذر فيقص عليهم ويذكرهم أمر الآخرة، فلا يزالون كذلك حتى ينقضي الموسم، ثم لا يلتقون بعدُ إلا في كل موسم.

ذِكْرُ المصطَفَين من أهل المغرب

٨٥٨ ـ أبو عبد الله المغربي

واسمه محمد بن إسماعيل. قال إبراهيم بن شيبان: سمعت أبا عبد الله المغربي يقول: ما رأيت ظلمة منذ سنين كثيرة. قال إبراهيم: وذلك أنه كان يتقدمنا بالليل المظلم ونحن نتبعه وهو حاف

---

(١) الكُسْبُ: عُصارة الدُّهن.

٨٥٨ ـ أبو عبد الله المغربي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (١٣/ ١٢٨ سنة ٢٩٩)، الحلية (١٠/ ٣٣٥) طبقات السلمي (٢٤٢)، طبقات ابن الملقن (١٠٩)، جامع كرامات الأولياء (١/ ١٠١)، تاريخ ابن كثير (١١/ ١١٧).

حاسر، وكان إذا عثر أحدنا يقول يميناً وشمالاً، ونحن لا نرى ما بين أيدينا، فإذا أصبحنا نظرنا إلى رجله كأنها رجل عروس خرجت من خدرها.

وكان يقعد لأصحابه يتكلم عليهم فما رأيته انزعج إلا يوماً واحداً: كنا على الطور وهو قد استند إلى شجرة خرّوب وهو يتكلم علينا. فقال في كلامه: لا ينال العبدُ مرادَه حتى [يُفرد][(١)] فرداً بفرد. فانزعج واضطرب ورأيت الصخور قد تدكدكت، وبقي في ذلك ساعات فلما أفاق كأنه نشر من تِبر.

قال إبراهيم بن شبيان: سمعت أبا عبد الله المغربي يقول: أفضل الأعمال عمارة الأوقات في الموافقات. وقال: أعظم الناس ذلاً فقيرٌ داهنَ غنياً وتواضع له.

أسند أبو عبد الله المغربي الحديث عن عمرو بن أبي غيلان، وتوفي على جبل الطور في سنة تسع وتسعين، وقيل: تسع وسبعين ومائتين، وأوصى أن يدفن إلى جانب أستاذه علي بن رزين.

وعاش كل واحد منهما عشرين ومائة سنة، فهما على جبل الطور، وكان المغربي أستاذ إبراهيم الخواص.

ذِكْرُ المصطَفَين من عبَّاد المغرب المجهولي الأسماء

٨٥٩ ـ عابد

قال سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون قال: بينا أنا سائر في بلاد المغرب إذا أنا برجل على عريش من البلوط وعنده عين ماء تجري، فأقمت عليه يوماً وليلة أريد أن أسمع كلامه، فأشرف علي بوجهه، فسمعته يقول: شهد قلبي لله بالنوازل، وكيف لا يشهد قلبي بذلك؟ هيهات هيهات لقد خاب لديك المقصرون! سيدي ما أحلى ذكرك، أليس قَصَدَك مؤمِّلوك فنالوا ما أملوا؟ وجِدتَ لهم بالزيادة على ما طلبوا؟ فقلت له: يا حبيبي إني مقيم عليك منذ يوم وليلة أريد أن أسمع كلامك. فقال لي: قد رأيتك يا بطال حين أقبلت، ولكن ما ذهب روعك من قلبي إلى الآن. فقلت له: ولِمَ ذلك؟ وما الذي أفزعك مني؟ فقال: بطالتك يوم عملك، وتركك الزاد ليوم معادك، ومقامك على المظنون. فقلت له: يا حبيبي ما ها هنا فتية تستأنس بهم؟ فقال: بلى، ها هنا فتية متفرقون في رؤوس الجبال. قلت: فما طعامهم في هذا المكان؟ قال: أكلهم الفلق من خبز البلوط، ولباسهم الخرق من الثياب، قد يئسوا من الدنيا، ويئست الدنيا منهم، أعطوا المجهود من أنفسهم، فلما دبرت المفاصل من الركوع، وقرحت الجباه من السجود، وتغيرت الألوان من السفر ضجُّوا إلى الله عز وجل بالاستغاثة.

٨٦٠ ـ عابد آخر

قال يوسف بن الحسين: قال ذو النون: وُصف لي رجل بالمغرب، وذكر لي من حكمته وكلامه ما حملني على لقائه، فرحلت إليه إلى المغرب، فأقمت على بابه أربعين صباحاً على أن يخرج من

(١) في المطبوع: «ينفرد» ولعلها: «يُفرد فرداً» بمعنى: إفراد الله الواحد الأحد ـ سبحانه ـ بطلب القلب والعمل، فيكون قلبُه واحداً طالباً إلهاً فرداً سبحانه. والله أعلم.

منزله إلى المسجد ويقعد، فكان يخرج وقت كل صلاة يصلي، ويرجع كالوالِه لا يكلم أحداً، فقلت له يوماً: يا هذا إني مقيم ها هنا منذ أربعين صباحاً لا أراك تكلمني! فقال لي: يا هذا لساني سَبُعٌ إن أطلقته أكلني. فقلت له: عظني رحمك الله بموعظة أحفظها عنك. قال: وتفعل؟ قلت: نعم إن شاء الله، قال: لا تحب الدنيا، وعُدَّ الفقر والغنى والبلاء من الله نعمة، والمنع من الله عطاء، والوحدة مع الله أنساً، والذل عزاً، والطاعة حرفة، والتوكل معاشاً، والله تعالى لكل شديدة عدة.

ثم مكث بعد ذلك شهراً لا يكلمني، فقلت له: رحمك الله إني أريد الرجوع إلى بلدي، فإن رأيت أن تزيدني في الموعظة؟ فقال: اعلم أن الزاهد في الدنيا قُوْته ما وجد، ومسكنه حيث أدرك، ولباسه ما ستر [في] الخلوة مجلسه والقرآن حديثه، والله الجبار العزيز أنيسه، والذكر رفيقه، والصمت جُنَّته، والخوف سجيته، والشوق مطيته، والنصيحة نهمته، والصبر وساده، والصدِّيقون إخوانه، والحكمة كلامه، والعقل دليله، والجوع أُدُمُه، والبكاء دأبه، والله عز وجل عدته. قلت: بما تتبين الزيادة من النقصان؟ قال: عند المحاسبة للنفوس.

٨٦١ ـ عابدة من أهل إفريقية

قال محمد بن حفص: مررت على أخ لي من أهل مصر ونحن بالثغر، فأخرج إلي شِكالاً. فقال: انظر من أي شيء هذا الشِّكال؟ فنظرت فإذا شِكال من شعر، كأنه من صفائه وشدة سواده قد دهن بالدهن. فقلت: هذا عندي من أعراف الخيل العتاق الكرام. فقال: لا ـ والله ـ ولكنه من شعر امرأة من أهل إفريقية جعلت منه شكالاً، ثم أرسلت به إلي فقالت: اجعله شِكال فرس غاز في سبيل الله عز وجل، فإني طالما تمتعت به في غير طاعة الله!.

قلت: إنما يُنظَر إلى ذُلِّ هذه المرأة لله تعالى وقصدها؛ لا إلى صورة فعلها؛ لأنها جهلت أن هذا الفعل لا يجوز.

ذِكْرُ المصطَفَين
من عُبَّاد الجبال

الجبال على ضربين: جبال مُسمَّاة معروفة، وجبال غير مُسمَّاة. فنبدأ بالمعروفة.

ذِكْرُ المصطَفَين من عُبَّاد جبل اللكام

وهم قسمان: من يعرف اسمه، ومن لا يعرف ـ فمن المعروفين:

٨٦٢ ـ إسحاق بن إبراهيم الجمال

كان ينزل جبل اللكام: قال عبد الله بن محمد الزنجاني: دخلت جبل اللكام فغلطت فوقعت على شيخ متَّزر بجلدٍ، متشح بمسح، فقال: الله أكبر، جني أم إنسي؟ قلت: بل إنسي. قال: ضللت الطريق؟ قلت: نعم. قال: فعلمني كليمات، ودفع إلي عصا وقال: خذ هذه العصا فإنها تدلك على الطريق، فإذا بلغت مرادك فألقِ العصا. فمشيت قليلاً فإذا أنا على باب أنطاكية فألقيت العصا، فلا أدري كيف كان ذلك؟ فرآني قوم فقالوا: من أين؟ قلت: من اللكام، ضللت الطريق فوقعت على شيخ فدلني وعلمني كلمات وقال لي: منذ ثلاثين سنة ما رأيت إنسياً. قالوا: نعم، كان ها هنا أخوان يقطعان الطريق فوقعا على هذا الشيخ فدعا لهما فتابا، فليس اليوم في هذه النواحي أصلح منهما. وهذا الشيخ إسحاق بن إبراهيم الجمال.

القسم الثاني: من لا يُعْرَف اسمُه من عُبَّاد جبل اللكام

٨٦٣ ـ عابد

قال أبو سليمان الداراني: مررت في جبل اللكام في جوف الليل فسمعت رجلاً يقول في دعائه: يا سيدي وأملي ومؤملي، ومن به تم عملي أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك، وأعوذ بك من قلب لا يشتاق إليك، وأعوذ بك من دعاء لا يصل إليك، وأعوذ بك من عين لا تبكي عليك. فعلمت أنه عارف، فقلت له: يا فتى إن للعارفين مقامات، وللمشتاقين علامات! قال: وما هي؟ قلت: كتمان المصيبات، وصيانة الكرامات. فقال لي: عظني. فقلت: اذهب فلا تُرِدْ غيره، ولا تردَّ خيره، ولا تبخل بشيئه عنه. قال: زدني. قلت: هبّ فلا تُرِدْ الدنيا، واتخذ الفقر غنى، والبلاء من الله عز وجل شفاء، والتوكل معاشاً، والجوع حرفة، واتخذ الله لكل شدة عدة. فَصُعِقَ صعقة فتركته.

٨٦٤ ـ عابد آخر

قال جعفر بن محمد سهل السامري: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا سائر في جبل اللكام مررت على واد كثير الأشجار والنبات، فبينما أنا واقف أتعجب من حسن زهرته ومن خضرة العشب في

جنباته إذ سمعت صوتاً أهطل مدامعي وهيج بلابل حزني، فاتبعت الصوت حتى وقفني بباب مغار في سفح ذلك الوادي، فإذا الكلام يخرج من جوف المغار، فاطلعت فيه فإذا أنا برجل من أهل التعبد والاجتهاد.

فسمعته يقول: سبحان من أخرج قلوب المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوي البصائر فهي لا تعتمد إلا عليه، سبحان من أورد حياض المودة نفوس أهل المحبة فهي لا تحن إلا إليه. ثم أمسك. فقلت: السلام عليك يا حليف الأحزان وقرين الأشجان. فقال: وعليك السلام، ما الذي أوصلك إلى مَن قد أفرده خوفُ المسألة عن الأنام، واشتغل بمحاسبة نفسه من التنطع في الكلام؟ قلت: أوصلني إليك الرغبةُ في التصفح والاعتبار. فقال: يا فتى إن الله عز وجل عباداً قدح في قلوبهم زنداً: الشغف ونار الومق،[1] فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح في الملكوت، وتنظر إلى ما ذخر لها في حجب الجبروت.

قلت: صفهم لي؟ قال: أولئك قوم آووا إلى كنف رحمته. ثم قال: يا سيدي بهم فألحقني، ولأعمالهم فوفقني. قلت: ألا توصيني بوصية؟ قال: أحبَّ اللهَ عز وجل شوقاً إلى لقائه، فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه. وأنشأ يقول:

قد كان لي دمعٌ فأفنيته ... وكان لي جفن فأدميتُه
وكان لي جسم فأبليتُه ... وكان لي قلب فأضنيتُه
وكان لي يا سيدي ناظر ... أرى به الجوَّ فأعميته
عبدك أضحى سيدي مُوثَقاً ... لو شئتَ قبل اليوم داويتَه

٨٦٥ ـ عابد آخر

قال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: مررت برجل بجبل اللكام وهو ساجد يقول في سجوده: إلهي، بك عرفتك؛ فما حاجتي إلى غيرك.

٨٦٦ ـ عابد آخر

قال أبو إبراهيم الزهري: كنت جائياً من المصيصة، فمررت باللكام، فأحببت أن أراهم ـ يعني المتعبدين ـ هناك، فقصدتهم ووافيت صلاة الظهر، وأحسبه رآني فيهم إنسان عرفني. فقلت له: فيكم رجل تدلوني عليه؟ فقالوا: هذا الشيخ الذي يصلي بنا. فحضرت معهم صلاة الظهر والعصر. فقال له ذلك الرجل: هذا رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف وجده أبو أمه سعد بن معاذ. قال: فبشَّ بي وسلم علي كأنه قد كان يعرفني. قال: فقلت له: من أين تأكل؟ فقال لي: أنت مقيم عندنا؟ قلت: أما الليلة فأنا عندكم.

قال: ثم مضيت معه فجعل يحدثني ويؤانسني حتى جاء إلى كهف جبل فقعدت ودخل فأخرج

---

(١) الوَمْقُ: الحُبُّ، تقول: وَمِقَهُ، كوَرِثَه. وَمْقاً: أحبّه. وتَوَمّق: تَوَدّدَ.

قعباً يسع رطلاً ونصفاً، وقد أتى عليه الدهور، فوضعه وقعد يحدثني حتى إذا كادت الشمس تغرب اجتمعت حواليه ظباء فاعتقل منها ظبية فحلبها حتى ملأ ذلك القدح، ثم أرسلها. فلما سقط القرص حساه. ثم قال: ما هو غير ما ترى، وربما احتجت إلى الشيء من هذا فتجتمع حولي هذه الظباء فآخذ حاجتي وأرسلها.

قلت: أبو إبراهيم اسمه: أحمد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، معروف بالعلم والزهد، وكان أحمد بن حنبل إذا رآه قام قائماً.

٨٦٧ ـ عابد آخر

قال أبو صالح الدمشقي: كنت أدور في جبل اللكام أطلب الزهّاد والعبّاد، فرأيت رجلاً عليه مرقعة جالساً على حجر مطرقاً إلى الأرض، فقلت له: يا شيخ ما تصنع ها هنا؟ قال: أنظر وأرعى. فقلت له: ما أرى بين يديك إلا الحجارة، فما الذي تنظر وترعى؟ قال: فتغير لونه ثم نظر إلي مغضباً وقال: أنظر خواطر قلبي، وأرعى أوامر ربي! وبحق الذي أظهرك علي إلا جزت عني. فقلت: كلمني بشيء أنتفع به حتى أمضي. فقال: من لزم الباب أُثبِت في الخدم، ومن أكثر ذِكر الذنوب أكثر من الندم، ومن استغنى بالله أمن العدم. ثم تركني ومضى.

٨٦٨ ـ عابد آخر

قال سري السقطي: مكثت أربعين سنة أسأل الله عز وجل أن يريني ولياً من أوليائه، قال: فلم أر أحداً.

فخرجت إلى الثغر وصعدت جبل اللكام، فبينما أنا أمشي في المحجة إذ رأيت قوماً جلوساً نحو ثلاثين نفساً مرضى، عليهم ثيابٌ خلقان، فسلمت عليهم ووقفت فقلت: لأي شيء أنتم جلوس في هذا القفر؟ قالوا: نحن من هذه المدينة التي في أسفل الجبل، إذا كان رأس كل شهر في مثل هذا اليوم في مثل هذا الموضع نجلس، فإذا كان الظهر أقبل علينا رجل من هذا الموضع فنقوم إليه فيدعو الله لنا. فقعدت معهم. قال: فلما أن كان الظهر أقبل رجل أسمر شديد السمرة عليه مئزر صوف، فقرأ على كل واحد، قال: فلحقته فقلتُ له: قف عليَّ يرحمك الله أكلمك. فالتفت إلي وقال: يا سري لا تعامل غيره فتسقط من عينه!.

٨٦٩ ـ عابد آخر

بلغنا عن بعض السلف أنه قال: مضيت إلى جبل اللكام فما رأيت أعبد من شاب أصفر اللون، كان يصفّ قدميه فيصلي ركعتين من أول الليل إلى آخره، فيختم فيها القرآن، ثم يجلس فيعتذر إلى الصباح.

٨٧٠ ـ ومن عقلاء المجانين بجبل اللكام

بلغنا عن ذي النون المصري قال: وصف لي رجل من أهل المعرفة في جبل اللكام، فقصدته، فلقيني جماعة من المتعبِّدين فسألتهم عنه؟ فقالوا: يا ذا النون تسأل عن المجانين؟ فقلت: وما الذي

رأيتم من جنونه؟ قالوا: نراه في أكثر أوقاته هائماً ساهياً يُكلّم فلا يجيب، ويَتكلم فلا نفقه ما يقول، وينوح في أكثر أوقاته على نفسه ويبكي! فقلت في نفسي: ما أحسن أوصاف هذا المجنون. ثم قلت لهم: دلوني عليه. فقالوا: إنه يأوي في الوادي الفلاني. فانطلقت إلى الوادي فأشرفت على واد وعر، فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا أنا بصوت محزون شجٍ من وجد قلبٍ وهو يقول:

يا ذا الذي أَنِسَ الفؤادُ بذكره ... أنت الذي ما إن سواه أريد
تفنى الليالي والزمان بأسره ... وهواك غضٌّ في الفؤاد جديد

قال ذو النون: فاتبعت الصوت فإذا أنا بفتى حسن الوجه حسن الصوت، وقد ذهبت تلك المحاسن وبقيت رسومها، نحيل قد اصفرّ واحترق، وهو شبيه بالواله الحيران، فسلمت عليه، فرد السلام وبقي شاخصاً يقول:

أعميتَ عيني عن الدنيا وزينَتِها ... فأنت والروح شيء غيرُ مفترِق
إذا ذكرتك وافى مقلتي أرَقٌ ... من أول الليل حتى مطلق الفلق
وما تطابقت الأجفان عن سِنَةٍ ... إلا رأيتك بين الجفن والحدق

ثم قال: يا ذا النون ما لك وطلب المجانين؟ قلت: أَوَ مجنون أنت؟ قال: قد سميت به. فقلت: مسألة؟ فقال: سل. قلت: أخبرني ما الذي حبب إليك الانفراد، وقطعك عن المؤانسين، وهيمك في الأودية؟ قال: حبي له هيمني، وشوقي إليه هيجني، ووجدي به أفردني. ثم قال: يا ليت شعري يا فتى إلى متى تتركني مقلقلاً في محبتي؟ فقلت: أخبرني أين محل الحب منك؟ وأين مسكن الشوق فيك؟ فقال: مسكن الحب سواد الفؤاد. قلت: فما الذي تجد في خلوتك؟ قال: الحق سبحانه. قلت: كيف تجده؟ قال: بحيث لا حيث.

ثم قال: يا ذا النون أعجبك كلام المجانين؟ قلت: إي والله وأشجاني. ثم قلت له: ما صِدْقُ وجدانك للحق تعالى؟ فصرخ صرخة ارتجّ لها الجبل. ثم قال: يا ذا النون هكذا موت الصادقين. ثم سقط إلى الأرض ميتاً! فتحيرت في أمره، لا أدري ما أصنع به، وإذا به قد غاب عني فلا أدري أين ذهب؟.

ذِكْرُ المصطَفَين من عُبَّاد جبل لبنان

وهم على ضربين: معروف ومجهول، فنبدأ بالمعروف

٨٧١ ـ علي الجرجرائي

كان من أُستاذِيّ بشر الحافي، وكان ينزل جبل لبنان.

قال القاسم بن القاسم: بلغني أن بشراً الحافي لقي علياً الجرجرائي بجبل لبنان على عين ماء. قال: فلما أبصرني قال: بذنب مني لقيت اليوم إنسياً! فعدوت خلفه وقلت: أوصني؟ فالتفت إلي وقال: أمستوصٍ أنت؟: عانق الفقر، وعاشر الصبر، وعادِ الهوى، وعَفِ الشهوات، واجعل بيتك أحلى من لحدك يوم تنقل إليه، على هذا طاب المسير إلى الله عز وجل.

ذِكْرُ المصطَفَين من المجهولي الأسماء من عبّاد جبل لبنان

٨٧٢ ـ عابد

قال محمد بن حسان: بينا أنا أدور في جبل لبنان إذ خرج علي شاب قد أحرقته السموم والرياح، عليه طمر رثٌّ، وقد سقط شعر رأسه على حاجبيه، فلما نظر إلي ولى هارباً مستوحشاً. فقلت له: يا أخي، موعظة لعل الله عز وجل أن ينفعني بها؟ فالتفت إلي وهو مار فقال: يا أخي، احذر الحق فإنه غيور، ولا يحب أن يرى في قلب عبده سواه.

٨٧٣ ـ عابد آخر

قال إبراهيم بن الجنيد: حدثني أبو فروة السائح قال: بينا أنا أسيح في جبل لبنان إذ جن الليل علي وأنا في بعض أوديته، فإذا بصوت محزون وهو يقول: يا من آنسني بقربه، وأوحشني من خلقه، وكان عند مسرتي: ارحم اليوم عبرتي. فدنوت منه فإذا شيخ قد سقط حاجباه على عينيه، فلما أحس بي نفر وقال: إنسيٌّ أنت؟ قلت: إنسي. قال: إليك عني، فمنك فررت.

٨٧٤ ـ عابد آخر

قال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا أسير على جبل لبنان في جوف الليل إذا أنا بعريش من ورق البلوط، وإذا شاب قد أخرج رأسه من العريش بوجه أحسن من القمر. فقال: شهد لك قلبي في النوازل بمعرفة درجة الفضل لك، وكيف لا يشهد لك قلبي بذلك ولا يحسن بقلبي أن يألف غيرك؟ هيهات! لقد خاب لديك المقصرون عنك. ثم أدخل رأسه في عريشه وفاتني كلامه، فلم أزل واقفاً إلى أن طلع الفجر، ثم أخرج رأسه فنظر إلى القمر فقال: إلهي أشرقت بنورك السموات، وأنارت بنورك الظلمات، وحجبت جلالك عن العيون فوصلت به معارف القلوب. ثم قال: بالتجائي إليك في حزني انظر إليَّ نظرةَ من ناديته فأجاب. فوثبتُ إليه فسلمت عليه، فرد علي السلام. فقلت: رحمك الله أسألك عن مسألة؟ قال: لا. قلت: ولم ذاك؟ قال: ما خرج روعك من قلبي. قلت: حبيبي وما الذي أفزعك مني؟ قال: بطالتك في يوم شغلك، وتركك الزاد ليوم معادك، ووقوفك على الظنون يا ذا النون. فوقعت مغشياً علي، فما أفقت إلا بحَرِّ الشمس، ثم رفعت رأسي فلم أره ولا العريش. فقمت فسرتُ وفيّ منه حسرة.

٨٧٥ ـ عابد آخر

عن أبي الحارث الأولاسي قال: بلغني أن بجبل لبنان رجلاً تطوى له الأرض من يومه إلى بيت المقدس، ووصف لي مكانه فصرت إليه، فإذا هو رجل قد ألبس سلامة، فسألته: من أين المطعم؟ فدعا بظبية كانت قريباً منه في الجبل فجاء بها إلى صخرة فيها نقرة، فحلبها وسقاني من اللبن.

ومن عقلاء المجانين بجبل لبنان

٨٧٦ ـ شيبان المصاب

قال محمد بن أحمد بن سلمة: حدثني سالم قال: بينا أنا سائر مع ذي النون في جبل لبنان إذ

قال لي: مكانك يا سالم حتى أعود إليك. فغاب عني في الجبل ثلاثة أيام وأنا أنتظره، إذا هاجت علي النفس أطعمتها من نبات الأرض وسقيتها من ماء الغدران، فلما كان بعد الثالث رجع إلي متغير اللون ذاهب العقل، فقلت له بعد أن رجعتْ إليه نفسُه: يا أبا الفيض أَسَبُعٌ عارَضَكَ؟ فقال: لا؛ دعني من تخويف البشرية، إني دخلت كهفاً من كهوف هذا الجبل فرأيت رجلاً أبيض الرأس واللحية أشعث أغبر نحيفاً نحيلاً كأنما أخرج من قبره، ذا منظر مهول وهو يصلي، فسلمت عليه بعد ما سلم، فرد علي السلام، وقام إلى الصلاة فما زال راكعاً وساجداً حتى صلى العصر واستند إلى حجر حذاء المحراب يسبِّح، لا يكلمني، فبدأته بالكلام فقلت له: رحمك الله توصيني بشيء؟ ادع الله عز وجل لي بدعوة. فقال: يا بني آنسك الله تعالى بقربه. ثم سكت. فقلت: زدني. فقال: يا بني من آنسه الله بقربه أعطاه أربع خصال: عزاً من غير عشيرة، وعلماً من غير طلب، وغنى من غير مال، وأنساً من غير جماعة.

ثم شهق شهقة فلم يفق إلا بعد ثلاثة أيام حتى توهمت أنه ميت، فلما كان بعد ثلاثة أيام قام فتوضأ من عين ماء إلى جنب الكهف وقال لي: يا بني كم فاتني من الفرائض؟ صلاة أو صلاتان أو ثلاث؟ قلت: قد فاتتك صلاة ثلاثة أيام بلياليهن فقال:

إن ذِكرَ الحبيبِ هيَّج شوقي ... ثم حُبُّ الحبيب أذهب عقلي

وقد استوحشت من ملاقاة المخلوقين، وقد أنست بذكر رب العالمين، انصرفْ عني بسلام. فقلت له: يرحمك الله وقفت عليك ثلاثة أيام رجاء الزيادة. وبكيت! فقال: أحبب مولاك، ولا تُرِدْ بحبه بدلاً، فالمحبون لله تعالى هم تيجان العباد، وعَلَم الزهاد، وهم أصفياء الله وأحباؤه.

ثم صرخ صرخة فحركته، فإذا هو قد فارق الدنيا! فما كان إلا هُنيةً وإذا بجماعة من العبّاد منحدرين من الجبل حتى واروه تحت التراب. فسألت: ما اسم هذا الشيخ؟ قالوا: شيبان المصاب. قال سالم: فسألت أهل الشام عنه؟ فقالوا: كان مجنوناً خرج من أذى الصبيان. قلت: تعرفون من كلامه شيئاً؟ قالوا: نعم، كلمة واحدة كان يغني بها إذا ضجر: إذا بك لم أُجَنّ يا حبيبي فبمن؟ قال سالم: فقلت: عُمِّي ـ والله ـ عليكم.

٨٧٧ ـ عباس المجنون

عن ابن المبارك قال: ضعدت جبل لبنان، فإذا برجل عليه جبة صوف مفتقة الأكمام، عليها مكتوب: لا تباع ولا تشترى، قد ائتزر بمئزر الخشوع، واتشح برداء القنوع. فلما رآني اختفى وراء شجرة، فناشدته بالله، فظهر، فقلت: إنكم معاشر العبّاد تصبرون على الوحدة، وتقاسون هذه القفار الموحشة. فضحك ووضع كمه على رأسه وأنشأ يقول:

يا حبيب القلوب من لي سواكا؟ ... ارحم اليوم مذنباً قد أتاكا

أنت سؤلي ومنيَتي وسروري ... قد أبى القلبُ أن يحب سواكا

ليس سؤلي من الجنان نعيمٌ ... غير أني أريدها لأراكا

قال: ثم غاب عني، فتعاهدت ذلك الموضع سنة لأقع عليه فلم أره، فلقيني غلام أبي سليمان

الداراني فسألته عنه وأعطيته صفته؟ فبكى وقال: واشوقاه إلى نظرة أخرى منه. فقلت: من هو؟ قال: ذاك عباس المجنون، يأكل في كل شهر أكلتين من ثمار الشجر ونبات الأرض، يتعبّد منذ ستين سنة.

ومن عُبَّاد جبل الطور

٨٧٨ ـ عابد

قال سهل بن عيسى الجبلي: كنت عند إبراهيم بن شيبان فسألوه عن وصف العارف؟ فقال: كنت على جبل الطور مع شيخي أبي عبد الله المغربي ومعنا نحو من سبعين رجلاً، أقل أو أكثر. فأتانا ذات يوم شاب عليه أثر الخشوع، فكنا إذا صلينا قام فصلى معنا، وإذا تجارينا العلم قعد يستمع إلينا، فبينا نحن ذات يوم قعود تحت شجرة في مكان فيه عشب، وكانت أيام الربيع، فتكلم الشيخ علينا في علوم المعارف فرأيت الشاب يتنفس، فاحترق ما بين يديه من العشب، ثم غاب فلم أره بعد ذلك. فقال الشيخ: هذا هو العارف، وهذا وصفه.

ومن عبّاد جبال بيت المقدس

٨٧٩ ـ عابد

قال محمد بن أحمد النيسابوري: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا في بعض جبال بيت المقدس سمعت صوتاً وهو يقول: ذهبت الآلام عن أبدان الخدَّام، وولهت بالطاعة عن الشراب والطعام، وألفت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلَّام. فتبعت الصوت فإذا شاب أمرد قد علا وجهَه اصفرارٌ يميل ميل الغصن إذا ميَّلته الريح، وعليه شملة قد اتزر بها، وأخرى قد اتشح بها، فلما رآني توارى عني بالشجر. فقلت له: أيها العالم، الجفاء ليس من أخلاق المؤمنين! فكلمني وأوصني. فخر ساجداً وجعل يقول: هذا مقام من لاذ بك واستجار بمعرفتك، وألف محبتك، فيا إله القلوب وما تحويه من جلال عظمتك احجبني عن القاطعين لي عنك. قال ذو النون: ثم غاب عني فلم أره.

ومن عابدات جبال بيت المقدس

٨٨٠ ـ عابدة

قال محمد المبارك الصوري: بينما أنا أجول في بعض جبال بيت المقدس إذا أنا بشخص منحدر من جبل، فإذا هي امرأة عليها مدرعة من صوف وخمار من صوف، فسلمت، فردت فقالت: يا هذا من أين أقبلت؟ فقلت: رجل غريب. قالت: يا سبحان الله، وهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الغرباء ومحدث الفقراء؟ فبكيت، فقالت: مم بكاؤك، ما أسرع ما وجدت طعم الدواء؟ فقلت: أو لا يبكي العليل إذا وجد طعم العافية؟ قالت: لا. قلت: لم؟ قالت: لأنه ما خدم القلبَ خادمٌ هو أحب إليه من البكاء، ولا خدم البكاء خادم هو أحب إليه من الشهيق والزفير في البكاء. قلت: علمني رحمك الله فإني أراك حكيمة. فأنشأت تقول:

دنياك غرّارة فذَرْها فإنها مركب جَمُوح

دون بلوغ المجهول منها ... مُنْيَتَه نفسُه تطيح
لا تركب الشرَّ واجتنبه ... فإنه فاحش قبيح
والخيرَ فاقدم عليه ترشد ... فإنه واسع فسيح

فقلت: زيديني. فقالت: أحبب ربك شوقاً إلى لقائه، فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه.

ومن عقلاء(١) المجانين

مجنونة في جبل من جبال بيت المقدس يقال لها:

٨٨١ ـ زهراء الوالهة

قال محمد بن سلمة: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا في بعض أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتاً يقول: يا ذا الأيادي التي لا تحصى، ويا ذا الجود والبقاء متِّع بصر قلبي من الجولان في بساتين جبروتك، واجعل همتي متصلة بجود لطفك يا لطيف، وأعذني من مسالك المتحيرين بجلال بهائك يا رؤوف، واجعلني لك في جميع الحالات خادماً وطالباً، وكن لي يا منور قلبي وغاية طلبي في الفضل صاحباً. قال ذا النون: فطلبت الصوت حتى ظهر لي، فإذا امرأة كأنها العود المحترق، وعليها درع من الصوف، وخمار من الشعر أسود قد أضناها الجهد وأفناها الكمد، وذوبّها الحب، وقتلها الوجد.

فقلت لها: السلام عليك. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون. فقلت: لا إله إلا الله! كيف عرفت اسمي ولم تريني؟ قالت: كشف عن سري الحبيب فرفع عن قلبي حجاب العمى فعرفني اسمك! فقلت: ارجعي إلى مناجاتك. فقالت: أسألك يا ذا البهاء أن تصرف عني شر ما أجد فقد استوحشت من الحياة. ثم خرت ميتة، فبقيت متحيراً متفكراً، فأقبلت عجوز كالوالهة فنظرت إليها ثم قالت: الحمد لله الذي كرّمها. قلت: من هذه؟ فقالت: ألم تسمع بزهراء الوالهة؟ هذه ابنتي تُوهِم الناسَ منذ عشرين سنة أنها مجنونة، وإنما قتلها الشوق إلى ربها.

ومن عُبَّاد جبال المغرب

٨٨٢ ـ عابد

عن ذي الكفل أخي ذي النون قال: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا في جبال المغرب إذ وقعت على رجل عابد في رأس جبل، فسلمت عليه، فأطرق إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال: وعليكم السلام. قال ذو النون: فقلت له: ما مقامك في هذا المكان؟ فقال: معي بُضيعة قد هربت بها من الأسواق، وقد جئت بها لأدفنها في هذا المكان. قلت: وما بضاعتك هذه؟ قال: عقد توحيدي، وخالص ضمير مكنوني. قلت: لو أنست بالناس؟ قال: منهم هربت، وقد قصدت إلى من قصده غيري من الراجين، فوجدوه مؤنساً. ثم رفع طرفه نحو السماء، ثم قال: أنت أنت. قال ذو النون: فرفعت طرفي في موضع رفع طرفه ورددت طرفي فلم أره.

---

(١) الصحيح لغةً: «عاقلات».

من عُبَّاد جبال الإسكندرية

٨٨٣ ـ عابد

قال جعفر بن النعمان الرازي: قال إبراهيم بن أدهم ذات يوم: يا أهل الشام تعجبون مني؟ وإنما العجب من الرجل الإسكندراني، فإني طلبته في جبال الإسكندرية حتى وقعت عليه بعد ثمانية أيام وهو يصلي كأنه مدهوش، ثم حانت منه التفاتة إلي فقال لي: من أنت؟ قلت: رجل أعرابي. قال: هل عندك حديث تحدثنا به؟ قال: فحدثته بخمسة أحرف فغشي عليه وأنا أنظر، ثم أفاق فقال: خذ أنت ها هنا حتى آخذ أنا ههنا. فطلبته بعدُ فلم أقدر عليه.

ومن عُبّاد جبل المقطَّم

٨٨٤ ـ عابد

قال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون المصري يقول: وُصِف لي رجل في جبل المقطّم، فقصدتُه، فرأيت رجلاً متعبداً، فمكثت معه أربعين يوماً لا أكلمه، ثم استخرت الله تعالى يوماً في كلامه، وسألت الله أن يوفقه لي. فقلت: أيها الشيخ فيم المناجاةُ؟ فقال: في التقوى والمراقبة. فقلت: زدني. فقال: فرَّ من الخلق ولا تستأنسْ بهم.

فقلت له: زدني؟ فقال: إن لله عباداً نظروا إلى باطن الدنيا لمّا نظر الخلقُ إلى ظاهرها، فأماتوا منها ما خشَوا أن يميتهم، إنهم قومٌ صافَوْه بالعقول ودقّقوا له الفِطَن، فسقاهم كأساً من محبته، فهم في عطشهم أَرْوِياء، وفي رِيِّهم عِطاشٌ. قال: فقلت له: زدني؟ فقال: إنهم أقوياء في توكّلهم.

ومن عبّاد جبل الأقرع

٨٨٥ ـ عابد

قال بشر بن الحارث: كنت ماراً في جبال الشام فأتيت على جبل يقال له الأقرع، فإذا أنا بشاب قد نحل جسمه ورق جلده، وعليه ثوب من صوف، فسلمت عليه فرد علي. فقلت في نفسي: أقول له عظني وأبلغ. فقال لي قبل أن أكلمه فأجاب عن سري: عظ نفسك بنفسك، وفكّ نفسك من حبسك، ولا تشتغل بموعظة غيرك من جنسك، واذكر الله في الخلوات يقك السيئات، وعليك بالجد والاجتهاد. ثم بكى وجعل يقول: شغلت النفوس بالقليل الفاني، ونحبت[1] الأبدان بالتسويف والأماني. ثم قال: يا بشر ـ وما رآني وما عرفني قبل ذلك ـ إن لله عباداً خالط قلوبهم الحزن، فأسهر ليلهم وأظمأ نهارهم، وأبكى عيونهم، كما وصفهم ربهم في كتابه: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

---

(١) كذا هي في المطبوع، ولعلها: «نُهبت» أو نحوها.

ذِكْرُ المصطَفَين من عبَّاد جبال الشام المجهولي[1] الأسماء

٨٨٦ ـ حميد بن جابر، الأمير الشامي

قال إبراهيم بن بشار: كنت يوماً ماراً مع إبراهيم بن أدهم في صحراء إذ أتينا على قبر مسنم فترحم عليه وبكى، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غارقاً في بحار الدنيا، ثم أخرجه الله عز وجل منها فاستنقذه، لقد بلغني أنه سُرَّ ذات يوم بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره وفتنته. قال: ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله. قال: فرأى رجلاً واقفاً على سريره وبيده كتاب فناوله ففتحه فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرن فانياً على باق، ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذاتك وشهواتك، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أن بعده هُلكاً، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يوثق له بغد، فسارع إلى أمر الله عز وجل فإن الله قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. قال: فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله عز وجل وموعظة. فخرج من ملكه لا يُعلم به، وقصد هذا الجبل فتعبد فيه، فلما بلغتني قصته وحُدِّثت بأمره قصدته فسألته، فحدثني ببدو أمره، وحدثته ببدو أمري، فما زلت أقصده حتى مات ودفن ههنا، فهذا قبره. رحمه الله.

٨٨٧ ـ عابد آخر

قال بشر بن الحارث: استقبلني رجل في طريق الشام وعليه عباءة قد عقدها مستوفزاً كأنه وحشي، فقلت له: رحمك الله من أين جئت؟ قال لي: جئت من عنده. فقلت: وإلى أين تذهب؟ فقال: إليه. فقلت له: ففيمَ النجاة رحمك الله؟ قال: في التقوى والمراقبة لمن أنت له مبتغٍ. قلت: فأوصني؟ قال: لا أراك تقبل! قلت: أرجو أن أقبل إن شاء الله. قال: فرّ منهم ولا تأنَس بهم، واستوحش من الدنيا فإنها تعرضك للعطب. ثم قال: من عرف الدنيا لم يطمئن إليها، ومن أبصر ضررها أعدَّ لها دواءها، ومن عرف الآخرة ألحَّ في طلبها، ومن توهمها اشتاق إلى ما فيها فهان عليه العمل.

ثم قال: فكيف لو توهمتَ مَنْ يملكُها ومَن زخرَفها ومَن قال لها: كوني، فكانت، وتزيّني، فتزينت؟ والتشوق إلى مالكها أولى بقلوب المشتاقين، وأطيب لعيش المستأنسين.

ثم قال: قد أنسوا بربهم فالأمر فيما بينهم وبينه سليم، صافوه بالعقول، ودققوا له الفطن، فسقاهم من كأس حبه شربة فظلوا في عطشهم أرواياء، وفي ريهم عطاشاً.

ثم قال: يا هذا أتفهم ما أقول، وإلا فلا تتبعني؟ قلت: بلى رحمك الله إني أفهم جميع ما قلت. قال: الحمد لله الذي فهّمك.

قال: ورأيت في وجهه السرور ثم قال: خذ إليك: نَعم، هُمُ الذين لا يُمْلُون كاساته من تُحَفِه، فالحكمة إلى قلوبهم سائلة متواصلة، لأنهم الأكياس الذين لم تدنسهم المطامع، ولم تقطعهم عن الله

---

(١) في المطبوع «المجهولة».

عز وجل القواطع، ليوث في تعززهم، أغنياء في توكلهم، أقوياء في تقلبهم، قد قطعتهم الخشية، وولهتهم الغربة، نعيمهم اليقين، وروحهم السكون، ألين الخلق عريكة، وأشده حياء، وأشرفه مطلباً، لا يركنون إلى الدنيا جزعاً، ولا يتطاولون ولا يتماوتون، فهم صفوة الله عز وجل من خلقه، وضَنَائِنُ من خالص عباده. ثم قال لي: إن القلوب الحية من دون هذا لها مقنع، نفعنا الله وإياك بما علمنا، وسلمنا وإياك بما علمنا، السلام عليك ورحمة الله. قال بشر: فطلبت إليه [مصاحبته]، فأبى علي وقال: لست أنساك فلا تنسني. ثم مضى وتركني. قال بشر: فلقيت عيسى بن يونس فحدثته بقصته. فقال لي: لقد أنس بك ذلك الرجل الصالح، إنه رجل من خيار الناس يأوي في الجبل، وإنما يدخل إلى المدينة في كل جمعة لصلاة الجمعة، ويبيع في ذلك اليوم حطباً يكفيه إلى الجمعة الأخرى، وعجباً له كيف كلمك؟ لقد حفظت عنه كلاماً حسناً.

٨٨٨ ـ عابد آخر

قال ابن مسروق: سمعت سرياً يقول: بينا نحن نسير في بلاد الشام ملنا عن الطريق ناحية جبل عليه عابد، فقال رجل من القوم: إنا قد ملنا عن الطريق، وها هنا عابد فميلوا بنا إليه نسأله، لعل الله عز وجل يوفقه يكلمنا. فملنا إليه فوجدناه يبكي. قال سري: فقلت له: ما أبكى العابد؟ قال: ما لي لا أبكي وقد توعرتِ الطرقُ وقلَّ السالكون فيها؟ وهجرت الأعمال وقل الراغبون فيها؟ وقلَّ الحقُّ ودرس هذا الأمر فلا أراه إلا في لسان كل بطَّال ينطق بالحكمة، ويفارق الأعمال، قد افترش الرخصة، وتمهد التأويل، واعتلَّ بزلل العاصين؟! ثم صاح صيحة وقال: كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا، وانقطعت عن روح ملكوت السماء؟.

ثم جعل يقول: واغماه من فتنة العلماء! واكرباه من حيرة الأَدِلاَّء! وجال جولة ثم قال: أين الأبرار من العلماء؟ بل أين الأخيار من الزهاد؟ ثم بكى وقال: شغلهم والله ذكر طول الوقوف وهمّ الجواب عن ذكر الجنة والنار والثواب. ثم قال: أنا أستغفر الله من شهوة الكلام، تنحُّوا عني. فخليناه يبكي وقد مُلِئنا منه غماً وهماً.

٨٨٩ ـ عابد آخر

قال محمد بن أحمد الشمشاطي: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا سائر بين جبال الشام إذا بشيخ على تَلعة من الأرض قد تساقطت حاجباه على عينيه كبراً، فتقدمت إليه فسلمت عليه فردَّ علي السلام، ثم جعل يقول: يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريباً، ويا من قصده الزاهدون فوجدوه حبيباً، ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه مجيباً، ثم أنشأ يقول:

وله خصائص مصطَفون لحبِّه ... اختارهم في سالف الأزمان
اختارهم من قبل فطرة خلقه ... فهم ودائعُ حكمة وبيان

٨٩٠ ـ عابد آخر

قال أبو عثمان سعيد بن الحكم: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا أسير في بلاد الشام فإذا أنا بعابد قد خرج من بعض الكهوف، فلما نظر إلي استتر بين تلك الأشجار، ثم قال: أعوذ بك سيدي ممن يشغلني عنك، يا حبيب التوابين، ومعين الصادقين، وغاية أمل المحبين. ثم صاح: واغماه من طول

البكاء وطول الحزن! واكرباه من طول المكث في الدنيا! ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع إليه، فلا شيء ألذ عندهم من ذكره والخلوة بمناجاته. ثم مضى وهو يقول: قَدُّوس قُدُّوس. قُدُّوس.

فناديته: أيها العابد قف لي. فوقف وهو يقول: اقطع عن قلبي كل علاقة، واجعل شغله بك دون خلقك.

فسلمت عليه، ثم سألته أن يدعو الله لي. فقال: خفف الله عليك مؤن نَصَبِ السير إليه، وأدَّاك إلى رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة. ثم سعى بين يدي كالهارب من السبع.

ومن عابدات جبال الشام

٨٩١ ـ عابدة

قال عبد الملك بن هاشم: سمعت ذا النون يقول: كنت سائراً في بعض جبال الشام فإذا أنا بكوخ فقصدته، فإذا أنا بعجوز قد عميت من البكاء، فدنوت منها فسلمت وقلت: يا عجوز حدثيني ما الغنى؟ قالت: الزهد في الدنيا. قلت: فما الزهد في الدنيا؟ قالت: ترك طلب المفقود حتى يُفقَدَ الموجود.

ذكر المصطَفَين من عبّاد جبال غير معروفة المكان

٨٩٢ ـ عابد في جبل

عن مسعر: أن عابداً كان يتعبد في جبل، يؤتى بقُوته كل يوم قرصين. قال سفيان: وقال غير مسعر: كان يأتيه طير أبيض. قال: فأتاه ذات يوم بقوته فجاءه سائل فأعطاه أحد القرصين، ثم أتاه سائل آخر فكسر القرص الثاني نصفين فأعطاه النصف وبقي النصف لنفسه، ثم قال: والله ما هذا النصف بالذي يغني عن هذا شيئاً، ولا هذا النصف بالذي يكفيني، ولأن يشبع واحد خير من أن يجوع اثنان. فسلم القرص كله للسائل وبات طاوياً، فأتي في منامه فقيل له: سل؟ فقال: أسأل المغفرة. فقيل له: هذا شيء قد أعطيته فسل؟. قال: أسأل أن يُغاث الناس. قال: وكان عام جدب فأغيثوا.

٨٩٣ ـ عابد آخر على جبل

[قال] أبو الهيثم عن عبد الله بن غالب أنه حدثه قال: خرجت إلى الجزيرة فركبت السفينة فأرفت بنا إلى ناحية قرية عادية في سفح جبل خراب ليس فيها أحد. قال: فخرجت فطوفت في ذلك الخراب أتأمل آثارهم وما كانوا فيه، إذ دخلت بيتاً يشبه أن يكون مأهولاً. قال: فقلت: إن لهذا البيت لشأناً. قال: فرجعت إلى أصحابي فقلت: إن لي إليكم حاجة؟. قالوا: وما هي؟ قلت: تقيمون علي ليلة. قالوا: نعم. قال: فدخلت ذلك البيت، فقلت: إن يكن له أهل فسيأوون إليه إذا جاء الليل. فلما أن جاء الليل سمعت صوتاً قد انحطّ من رأس الجبل، يسبِّح الله ويحمده ويكبره، فلم يزل الصوت يدنو كذلك حتى دخل البيت. قال: ولم أر في ذلك البيت شيئاً إلا جرة ليس فيها شيء، ووعاء ليس فيه طعام، فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم انصرف إلى ذلك الوعاء فأكل منه طعاماً، ثم حمد الله تعالى، ثم أتى تلك الجرة فشرب منها شراباً، ثم قام فصلى حتى أصبح.

فلما أصبح أقام الصلاة فصليت معه فقال: رحمك الله دخلت بيتي بغير إذني؟ قال: قلت: رحمك الله لم أرد إلا الخير. وقلت: رأيتك أتيت هذا الوعاء فأكلت منه طعاماً وقد نظرت قبل ذلك فلم أر فيه شيئاً؟! وأتيت تلك الجرة فشربت منها شراباً وقد نظرت قبل ذلك فلم أر فيها شيئاً؟! قال: أجل، ما من طعام أريده من طعام الناس إلا أكلته من هذا الوعاء، ولا شراب أريده من شراب الناس إلا شربته من هذه الجرة.

قال: قلت: وإن أردت السمك الطري؟ قال: وإن أردت السمك الطري. فقلت: رحمك الله إن هذه الأمة لم تؤمر بالذي صنعت، أُمِرَتْ بالصلاة في الجماعة، وعيادة المريض، واتّباع الجنائز. فقال: ههنا قرية فيها كل ما ذكرت وأنا منتقل إليها. قال: فكاتَبَني حيناً ثم انقطع عني كتابه فظننت أنه مات. وكان عبد الله بن غالب لما مات وجد من قبره ريح المسك.

٨٩٤ ـ عابد آخر على جبل

قال محمد بن الحسين: حدثني أحمد بن سهل قال: حدثني أبو فروة السائح، وكان والله من العاملين لله عز وجل بمحبته، قال: بينا أنا أطوف في بعض الجبال إذ سمعت صدى جبل فقلت: إن ها هنا لأمراً ما! فاتبعت الصوت فإذا أنا بهاتف يهتف: يا من آنسني بذكره وأوحشني من خلقه، وكان لي عند مسرتي ارحم اليوم عبرتي، وهب لي من معرفتك ما أزداد به تقرباً إليك، يا عظيم الصنيعة إلى أوليائه اجعلني اليوم من أوليائك المتقين.

قال: ثم سمعت صرخة ولم أر أحداً! فأقبلت نحوها فإذا أنا بشيخ مغشيٍّ عليه قد بدا بعض جسده، فغطيته ثم لم أزل عنده حتى أفاق. فقال: من أنت رحمك الله؟ قلت: رجل من بني آدم. قال: إليكم عني فمنكم هربت. قال: ثم بكى وقام، فانطلق وتركني. فقلت: رحمك الله دلني على الطريق. فأومأ بيده إلى السماء.

٨٩٥ ـ عابد آخر على جبل

قال محمد بن أبي عبد الله الخزاعي: حدثني رجل من أهل الشام: أنه دخل كهف جبل في ناحية عن طريق الناس، فإذا هو بشيخ مكتوب على وجهه، وإذا هو يقول: إن كنت تطيل جهدي في دار الدنيا وتطيل شقائي في الآخرة فلقد أهملتني وأسقطتني من عينك أيها الكريم. قال: فسلمت. فرفع رأسه فإذا دموعه قد بلَّت الأرض. فقال: ألم تكن الدنيا لكم واسعة وأهلها لكم أناساً؟ فلما رأيت من عقله ما رأيت قلت له: رحمك الله اعتزلت الناس واغتربت في هذا الموضع؟ فقال: وأنت يا أخي، فحيثما ظننت أنه أقرب لك إلى الله عز وجل فابتغ إلى ذلك سبيلاً، فلن يجد مبتغوه من غيره عوضاً. قال: قلت: فالمطعم؟ قال: أقل ذلك عند الحاجة إليه إذا أردنا ذلك: فنبت الأرض وقلوب الشجر. قال: فقلت: ألا أخرجك من هذا الموضع فآتي بك أرض الريف والخصب؟ قال: فبكى ثم قال: إنما الريف والخصب حيث يطاع الله عز وجل، وأنا شيخ كبير أموت الآن، لا حاجة لي بالناس.

٨٩٦ ـ عابد آخر في جبل

قال أبو حفص عمر بن عبد الله المؤذن: قال قاسم الجوعي: خرجت حاجاً على طريق الشام، فبينا أنا أسير في الليل إذ غلطت الطريق، فسمعت صيحة فإذا أنا بجماعة قد مسهم من الغلط مثل الذي

مسّني، وقد وقفوا على رجل من المتعبدين في جبل وهو يبكي ويقول في بكائه: أترى بكائي نافعي عندك ومنقذَ رقبتي من حكمك؟ أتراك آخذاً من نفسي بحقك وموبخها على رؤوس الأشهاد بما ضيعت من أمرك؟ ثم صاح: أَوَّهْ لكشف سترك عني! أَوَّهْ لوقوفي بين يديك يا سيداه! فقال له بعض القوم: إنا غلطنا الطريق. فقال: وأنا أيضاً قد غلطت الطريق، فمن لي ولكم بالاستقامة على وجهها؟ ثم قال: يا دليل الأدلاء دلّني ودلّهم ولا تحيرني وإياهم. قال: فكشف لنا عن الطريق فسلكناها وتركناه واقفاً في صومعته.

٨٩٧ ـ عابد آخر في جبل

بلغنا عن أبي الحارث أحمد بن الحارث الأولاسي أنه قال: رأيت رجلاً على رأس جبل، كأنه شن بالٍ شاخصاً ببصره نحو السماء لا يفتر عن الذكر، فسألته المقام معه؟ فقال: إن أطقت ما طُوّقت فأقم وإلا فامض عني. قلت: وما هو؟ قال: يكون الذهب والفضة عندك كالحصى والمدر، والسباع والهوام كالطير والأنعام، وخوفك من جنسك كخوفك من السباع، وخوفك من صحبتهم على دينك كخوفك من الشيطان، فلعلك تنال ما تريد، ومتى كان الذهب والفضة أكبر في قلبك فإنك ستميل إلى الأكبر، ومتى هِبْتَ السباع أوشك أن تبعد إلى الأمن، ومتى أنست بالمخلوقين أوشك أن تهرب من الوحشة.

وثلاثة أشياء هن تمام الأمر: أن تعلم أنك مبتلى لا محالة، وأن لك رزقاً مقسوماً، وكذلك أجل معلوم، والثالث: أن تقصر الأمل، فهنالك لا تبالي أين حللت من البلاد؟ ولا من شاهدت من العباد؟ فتقدم إن شئت على بصيرة، وإلا فتأخر على علم بضعف وعجز. قلت: صف لي ما يزيد في صبري. قال: تعلم أن الله عز وجل ناظر إليك، فقد روي في بعض الأخبار: بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي، وما يكابد المكابدون في طلب مرضاتي. فإذا علمت أن صبرك يرضي مولاك صبرت. قلت: فما السبيل إلى الرضا؟ قال: علم القلب بأن المولى عادل في قضائه غير متهم فيما حكم. قلت: فما معنى الرضاء؟ قال: سرور القلب بمر القضاء؟ ثم قال: لا تنم إلا نوم يقظان، وكيف يأمن من لم يأته الأمان؟ وبادر قبل الفوت، واستعن على تصفية الطعمة بالقلة، والتمس الصمت بقلة الخلطاء، واتبع قول الرسول ﷺ وقول السلف، ولا تميلن إلى محدثات الأمور، فكل محدثة بدعة، واعلم أن الله يراك فاتّقه، وقم له بالقسط على نفسك، وتفرد بالفرد إذا كنت له عبداً، وتجرد من الهموم الشاغلة، واجعل الهمَّ واحداً تُرَوَّح في العاجلة والآجلة.

٨٩٨ ـ عابد آخر في جبل

بلغنا عن بعض السلف أنه قال: رأيت في بعض الجبال شاباً أصفر اللون غائر العينين، مرتعش الأعضاء، لا يستقر على الأرض، كأن به وخز الأَسِنَّة، ودموعه تتحادر، فقلت له: من أنت؟ فقال: آبق من مولاه. قلت: فتعود وتعتذر! فقال: العذر يحتاج إلى إقامة حجة؛ فكيف يعتذر المقصِّر؟ فقلت: تتعلق بمن يشفع فيك. فقال: كل الشفعاء يخافون منه؟ قلت: فمن هو؟ قال: مولاي رباني

صغيراً فعصيته كبيراً، شرط لي فوفاني، وضمن لي فأعطاني، فخنته في ضماني، وعصيته وهو يراني، فواحيائي من حسن صنعه وقبيح فعلي؟!. فقلت: أين هذا المولى؟ فقال: أين توجهت لقيت أعوانه، وأين استقرت قدُمك ففي داره. فقلت: ارفق بنفسك فربما أحرقك هذا الخوف! فقال: الحريق بنار خوفه ـ لعله يرضى ـ أحق وأولى. ثم أنشأ يقول:

لم يُبقِ خوفُك لي دمعاً ولا جلَداً ... لا شك أني بهذا ميت كمَدا

عبد كئيب أتى بالعجز معترفاً ... وناره تحرق الأحشاء والكبدا

ضاقت مساكنُه في الأرض من وجَل ... فهب له منك لطفاً إن لقيك غدا

فقلت: يا غلام، الأمر أسهل مما تظن. فقال: هذا من فتنة البطالين، هبه تجاوز وعفا، أين آثار الإخلاص والصفاء؟ ثم صاح صيحة، فخرجت عجوز من كهف الجبل، عليها ثياب رثة. فقالت: من أعان على البائس الحيران؟ فقلت: يا أمة الله دعوته إلى الرجاء؟ فقالت: قد دعوتُه إلى ذلك. فقال: الرجاء بلا صفاء شرك. قلت: من أنت منه؟ قالت: والدته. فقلت: أقيم عندك أعينك عليه؟ فقالت: خلِّه ذليلاً بين يدي قاتله عساه يراه بعين معين فيرحمه! فلم أدر مماذا أعجب: من صدق الغلام في خوفه؟ أو من قول العجوز وصدقها؟.

انتهى ذِكْرُ عبَّاد الجبال بحمد الله ومنه

ذِكْرُ المصطَفَين من عُبَّاد الجزائر

٨٩٩ ـ عابد

قال عبيد الله بن أبي نوح: لقيتُ رجلاً من العبّاد في بعض الجزائر منفرداً، فقلت له: يا أخي ما تصنع ها هنا وحدك؟ أما تستوحش؟ قال: الوحشة في غير هذا الموضع أعمّ. قلت: مذ كم أنت ها هنا؟ قال: منذ ثلاثين سنة. قلت: فمن أين المطعم؟ قال: من عند المنعم. قلت: فها هنا في القُرْب منك شيء تعول عليه إذا احتجت إليه من المطعم رجعت إليه؟ قال: ما أكرثك[1] بما قد كُفيتَه وضُمِن لك! قلت: أخبرني بأمرك. قال: ما لي أمر غير ما ترى، غير أني أظل في هذا الليل والنهار متكلاً على كرم من لا تأخذه سنة ولا نوم. قال: ثم صاح صيحة أفزعني، فوثبت، وسقط مغشياً عليه، فتركته على تلك الحال ومضيت.

٩٠٠ ـ عابد آخر

بلغنا عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: ركبنا في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة، فإذا فيها رجل يعبد صنماً، فقلنا له: من تعبد؟ فأومأ إلى الصنم. فقلنا: إن معنا في المركب من يسوي مثل هذا! ليس هذا بإله يعبد! قال: فأنتم لمن تعبدون؟ قلنا: الله عز وجل. قال: وما الله؟ قلنا: الذي في

---

(١) اكترث للشيء: حزن له، وامرأة كريثٌ وكارثٌ، وكلُّ ما أثقلك فقد أكرثك، كرثني الأمرُ وقَرَثني: أَهَمَّني ا.هـ. لسان العرب (٢/ ١٨٠: ك ـ ر ـ ث).

السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه. فقال: كيف علمتم به؟ قلنا: وجَّه هذا الملك إلينا رسولاً كريماً فأخبرنا بذلك. قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: لما أدى الرسالة قبضه الله. قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى ترك عندنا كتاب المِلِك.

قال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حساناً. فأتيناه بالمصحف فقال: ما أعرف هذا. فقرأنا عليه سورة من القرآن، فلم نزل نقرأ ويبكي حتى ختمنا السورة، فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى، ثم أسلم وحملناه معنا، وعلمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن، فلما جنَّ علينا الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا، فقال لنا: يا قوم هذا الإله الذي دللتموني عليه إذا جنَّ عليه الليل ينام؟ قلنا: لا يا عبد الله، هو عظيم قيوم لا ينام. قال: بئس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام! فأعجبنا كلامه. فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابي: هذا قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه فقال: ما هذه؟ قلنا: تنفقها. قال: لا إله إلا الله! دللتموني على طريق ما سلكتموها، أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنماً من دونه ولم يضيعني، يضيعني وأنا أعرفه! فلما كان بعد أيام قيل لي: إنه في الموت. فأتيته فقلت: هل من حاجة؟ فقال: قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي. قال عبد الواحد: فحملتني عيني فنمت عنده، فرأيت مقابر عبادان روضة وفيها قبة وفي القبة سرير عليه جارية لم نر أحسن منها، فقالت: سألتك بالله إلا ما عجلت به فقد اشتد شوقي إليه. فانتبهت فإذا به قد فارق الدنيا فغسلته وكفنته وواريته، فلما جنّ الليل نمت فرأيته في القبة مع الجارية وهو يقرأ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

ذِكْرُ المصطَفَين من عبَّاد السواحل

٩٠١ ـ عابد بسيراف

قال سعيد بن ثعلبة الوراق: بينا أنا ذات ليلة مع رجل من العابدين على الساحل بسيراف فأخذ في البكاء، فلم يزل يبكي حتى خفنا طلوع الفجر، ولم يتكلم بشيء. ثم قال: جرمي عظيم، وعفوك كثير، فاجمع بين جرمي وعفوك يا كريم. قال: فتصارخ الناس من كل ناحية.

٩٠٢ ـ عابد آخر

قال أحمد بن فارس: حدثني أبو بكر الكتاني قال: كنت أنا وأبو سعيد الخراز، وعباس بن المهتدي، وآخر، نسير بالشام على ساحل البحر، إذا شاب يمشي معه محبرة ظننا أنه من أصحاب الحديث. فقال له أبو سعيد: يا فتى على أي طريق تسير؟ فقال: ليس أعرف إلا طريقين: طريق الخاصة وطريق العامة، فأما طريق العامة [فـ] الذي أنتم عليه، وأما طريق الخاصة فباسم الله، وتقدم إلى البحر ومشى حيالنا على الماء فلم نزل نراه حتى غاب عن أبصارنا.

٩٠٣ ـ عابد آخر

قال عباد ـ أبو عتبة الخواص ـ: حدثني رجل من الزهاد ممن يسيح في الجبال قال: لم تكن لي همة في شيء من الدنيا ولا لذة إلا في لقياهم ـ يعني الأبدال والزهاد ـ قال: فبينا أنا ذات يوم على

ساحل من سواحل البحر ليس يسكنه الناس ولا ترقى إليه السفن إذا أنا برجل قد خرج من تلك الجبال، فلما رآني هرب وجعل يسعى، واتبعته أسعى خلفه فسقط على وجهه، وأدركته، فقلت: ممن تهرب رحمك الله؟ فلم يكلمني. فقلت: إني أريد الخير فعلّمني. فقال: عليك بلزوم الحق حيث كنت، فوالله ما أنا بحامد لنفسي فأدعوك إلى مثل عملها. ثم صاح صيحة فسقط ميتاً. فمكثت لا أدري كيف أصنع به؟ قال: وهجم الليل علينا فتنحَّيت فنمت ناحية عنه، فرأيت في منامي أربعة نفر هبطوا عليه من السماء على خيل فحفروا له وكفنوه، وصلوا عليه ثم دفنوه، فاستيقظت فزعاً للذي رأيت، فذهبت عني وسنة[1] النوم بقية الليل، فلما أصبحت انطلقت إلى موضعه فلم أره فيه، فلم أزل أطلب أثره وأنظره حتى رأيت قبراً جديداً، فظننت أنه القبر الذي رأيت في منامي.

٩٠٤ ـ عابد آخر

قال أبو عبد الرحمن المغازلي: قال رجل ببلاد الشام في بعض تلك السواحل: لو بكى العابدون على الإشفاق حتى لم يبق في أجسادهم جارحة إلا أدت ما فيها من الدم والودَك دموعاً جارية، وبقيت الأبدان يَبَساً خالية تتردد فيها الأرواح إشفاقاً ووَجلاً من يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت: لكانوا محقوقين بذلك. ثم غشي عليه.

٩٠٥ ـ عابد آخر

قال إسرافيل: سمعت ذا النون يقول: سمعت بعض المتعبِّدين بساحل بحر الشام يقول: إن لله تعالى عباداً عرفوه بيقين من معرفته فشمروا وقصدوا إليه، احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب، صحبوا الدنيا بالأشجان، وتنعموا فيها بطول الأحزان، فما نظروا إليها بعين راغب، ولا تزودوا منها إلا كزاد الراكب، خافوا البيات فأسرعوا، ورجوا النجاة فأزمعوا، بذلوا مهج أنفسهم في رضا سيدهم، نصبوا الآخرة نصب أعينهم، وأصغوا إليها بآذان قلوبهم، فلو رأيتهم رأيت قوماً ذُبلاً شفاهُهم، خمصاً بطونهم، حزينة قلوبهم، ناحلة أجسامهم، باكية أعينهم، لم يصحبهم التعليل والتسويف، وقنعوا من الدنيا بقُوات طفيف، لبسوا من اللباس أطماراً بالية، وسكنوا من البلاد قَفراً خالية، وهربوا من الأوطان، واستبدلوا الوحدة من الأخدان، فلو رأيتهم لرأيت قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر، وفصل الأعضاءَ منهم بخناجر التعب، خمصاً لطول السُّرى، شعثاً لفقد الكَرى، قد وصلوا الكَلال بالكَلال، وتأهبوا للنُّقلة والارتحال.

٩٠٦ ـ عابد آخر

قال محمد بن إبراهيم الأخرم: خرجت من مصر وأنا على ساحل البحر، فرأيت امرأة خرجت من برية، فقلت: إلى أين يا أمة الله؟ قالت: إلى صومعة ها هنا لي فيها ابن. فمشيت معها فسمعت صوتاً من صومعة يقول:

---

(١) الوَسَنُ مُحرَّكة وبهاء «وَسَنة» شدَّة النوم، أو أوّله، أو النعاس ا.هـ. القاموس المحيط (و ـ س ـ ن).

ومشتاق وليس له قرار ... نَفورٌ ليس يملكه العِذار
ومؤنس قلبه ليلٌ طويل ... يلذ به ويوحشه النهار
قضى وطَراً به فأفاد علماً ... فنُهْمته التعبُّد والفرار
ألا صبراً على دنياك صبراً ... فكل أمورها فيها اعتبار

فقلت لها: منذ كم صار ابنك ها هنا؟ قالت: منذ وهبته منه وقبله منّي.

٩٠٧ ـ جماعة من العبَّاد في السواحل

عن عبد الرحمن بن زيد قال: لم أر مثل قوم رأيتهم: هجمنا مرة على نفر من العباد في بعض سواحل البحر، فتفرقوا حين رأونا، فبتنا تلك الليلة وأرفينا في تلك الجزيرة، ما كنت أسمع عامة الليل إلا الصراخ والتعوذ من النار. فلما أصبحنا طلبناهم واتّبعنا آثارهم فلم نر منهم أحداً.

ذِكْرُ المصطَفَيات من عابدات السواحل

٩٠٨ ـ عابدة

قال محمد بن جعفر القنطري: قال ذو النون: بينا أنا أسير على ساحل البحر إذ بصُرت بجارية عليها أطمار شعر، وإذا هي ذابلة ناحلة، فدنوت منها لأسمع ما تقول، فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الرياح فاضطربت الأمواج فصرخت، ثم سقطت إلى الأرض، فلما أفاقت نحبت ثم قالت: يا سيدي بك تفرد المتفردون في الخلوات، ولعظمتك سبحت النينان[(١)] في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك اصطفقت الأمواج المتلاطمات، أنت الذي سجد لك سواد الليل، وضوء النهار، والفلك الدوار، والبحر الزخار، والقمر النوار، وكل شيء عندك بمقدار.

يا مؤنس الأبرار في خلوتهم ... يا خير من حطّت به النزّال

فقلت: زيدينا من هذا. فقالت: إليك عني. ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت:

أحبك حبّين حبَّ الوداد ... وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حبّ الوِداد ... فحبٌّ شُغِلت به عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له ... فكَشْفُك للحجب حتى أراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فإذا أنا [بها][(٢)] قد فارقت الدنيا! فبقيت أتعجب مما رأيت منها؟ فإذا أنا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر، فاحتملنها فغيبنها عني فغسلنها، ثم أقبلن بها في أكفانها فقلن لي: تقدم فصلِّ عليها. فتقدمت فصليت عليها وهن خلفي، ثم احتملنها ومضين.

---

(١) نون: يطلق على الحوت، وجمعه نِيْنانٌ: حيتان.

(٢) في المطبوع «هي».

٩٠٩ ـ عابدة أخرى

قال محمد بن أحمد السوسي الشمشاطي: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا أسير على شاطئ النيل إذا أنا بجارية تدعو وتقول: يا من هو عند ألسن الناطقين، ويا من هو عند قلوب الذاكرين، ويا من هو عند فكر الحامدين: قد علمتَ ما كان مني يا أمل المؤملين. ثم صرخت وخرت مغشياً عليها.

ذِكْرُ المصطَفَين من عُبَّاد البوادي والفَلَوات

٩١٠ ـ أبو حبيب البدوي

عن الثوري قال: أتيت أبا حبيب البدوي أُسلِّم عليه، ولم أكن رأيته، فقال لي: أنت سفيان الثوري الذي يقال؟ قال: قلت: نعم نسأل الله تعالى بركة ما يقال. قال: فقال لي: يا سفيان ما رأينا خيراً قط إلا من ربنا. قلت: أجل. قال: فما لنا نكره لقاء من لم نر خيراً قط إلا منه؟. ثم قال: يا سفيان مَنْعُ الله عز وجل إياك عطاءٌ منه لك، وذاك أنه لم يمنعك من بخل ولا عدم، وإنما منعُه نظرٌ منه واختبارٌ، يا سفيان إن فيك لأنساً ومعك شغلاً.

قال: ثم أقبل على غنيمته وتركني

٩١١ ـ شيبان الراعي

عن محمد بن حمزة الربضي قال: كان شيبان الراعي إذا أجنب وليس عنده ماء دعا ربه فجاءت سحابة فأظلته فاغتسل منها، وكان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه، فيجيء فيجدها على حالتها لم تتحرك.

قال زيد بن العباس: لما حج هارون الرشيد قيل له: يا أمير المؤمنين قد حج شيبان العامَ. قال: اطلبوه لي. فطلبوه فأتوه به فقال له: يا شيبان عظني. قال: يا أمير المؤمنين أنا رجل ألكن لا أفصح بالعربية، فجئني بمن يفهم كلامي حتى أكلمه. فأتي برجل يفهم كلامه فقال له بالنبطية: قل له: يا أمير المؤمنين إن الذي يخوِّفك قبل أن تبلغ المأمن أنصح لك من الذي يؤمِّنك قبل أن تبلغ الخوف.

فقال: قل له: أي شيء تفسير هذا؟ قال: قل له: الذي يقول لك: يا هذا اتق الله عز وجل فإنك رجل من هذه الأمة، استرعاك الله عليها وقلدك أمورها وأنت مسئول عنها فاعدل في الرعية واقسم بالسوية، وانفر في السرية، واتق الله في نفسك، هذا الذي يخوفك فإذا بلغت المأمن أمنت، هو أنصح لك ممن يقول: أنتم أهل بيت مغفور لكم، وأنتم قرابة نبيكم وفي شفاعته، فلا يزال يؤمنك حتى إذا بلغت الخوف عطبت. قال: فبكى هارون حتى رحمه مَن حوله. ثم قال: زدني. قال: حسبك. ثم خرج.

---

٩١١ ـ شيبان الراعي ـ رحمه الله ـ: تاريخ ابن الجوزي (٨/ ٢١٩ سنة ١٨٥) والحلية (٨/ ٣١٧).

قال عبد الله بن عبد الرحمن: حج سفيان الثوري مع شيبان الراعي فعرض لهم سبع، فقال له سفيان الثوري: أما ترى هذا السبع؟ قال: فقال: لا تخف. قال: فلما سمع السبع كلام شيبان بصبص، فأخذ شيبان أذنه فعركَها فبصبص وحرك ذَنَبه.

قال سفيان: ما هذه الشهرة؟ قال: أوَ هذه شهرة؟ لولا مكان الشهرة ما وضعت زادي إلا على ظهره.

قال سيار: قرأ رجل على شيبان الراعي: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]. قال: فذهب على وجهه فلم يُر سنةً، فلما كان بعد الحَوْل لقيه رجل فقال له: من أين؟ فقال: من ذلك الحساب الدقيق: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

ذِكْرُ المصطَفَين
من عُبَّاد البوادي والفلوات المجهولي الأسماء

٩١٢ ـ عابد

عن سعيد بن أبي عَروبة قال: حج الحَجَّاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء، فقال لحاجبه: انظر من يتغدّى معي، وأسأله عن بعض الأمر؟ فنظر نحو الجبل فإذا هو بأعرابي بين شملتين من شَعر، نائم، فضربه برجله وقال: إيت الأمير! فأتاه فقال له الحجاج: اغسل يديك وتغدَّ معي. فقال: إنه دعاني من هو خير منك فأجبته. قال: ومن هو؟ قال: الله تبارك وتعالى، دعاني إلى الصوم فصمت. قال: في هذا الحرِّ الشديد؟ قال: نعم، صمت ليوم أشد حراً من هذا اليوم! فقال: فأفطر وصم غداً! قال: إن ضمنت لي البقاء إلى غد. قال: ليس ذاك إلي. قال: فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه؟ قال: إنه طعام طيب! قال: لم تطيبه أنت ولا الطباخ، إنما طيبته العافية.

٩١٣ ـ عابد آخر

قال سعيد بن سالم: نزلَ روح بن زِنباع منزلاً بين مكة والمدينة في حر شديد، فانقضَّ عليه راع من جبل، فقال: يا راعي هلم إلى الغداء. قال: إني صائم. قال: وإنك لتصوم في هذا الحر الشديد؟ قال: أفأدع أيامي تذهب باطلاً؟ قال روح: لقد ضننت بأيامك يا راعِ إذ جاد بها روح بن زنباع.

٩١٤ ـ عابد آخر

قال السري بن يحيى: حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير قال: خرجت مع أبي فكنا في أرض فلاة، فرُفع لنا سواد فظنناه شجرة، فلما دنونا إذا رجل قائم يصلي، فانتظرناه لينصرف فيرشدنا إلى القرية التي نريد، فلما لم ينصرف قال له أبي: إنا نريد قرية كذا وكذا فأومِ لنا قِبَلَها بيدك.

قال: ففعل. قال: فإذا له حوض محوض يابس ليس فيه ماء وإذا قربة يابسة. فقال له أبي: إنا نراك بأرض فلاة وليس عندك ماء، أفنجعل في قربتك من هذا الماء الذي عندنا؟ فأومأ: أن لا. فلم نبرح حتى جاءت سحابة فمطرت فامتلأ حوضه ذلك، فلما أن دخلنا القرية ذكرناه لهم، فقالوا: نعم، ذاك فلان لا يكون في موضع إلا سُقي. قال: فقال أبي: كم من عبد الله عز وجل صالح لا نعرفه.

٩١٥ ـ عابد آخر

قال أحمد بن أبي الحواري: حججت أنا وأبو سليمان [الداراني] فبينا نحن نسير إذ سقطت السطيحة[1] مني، وكان برد عظيم، فلما افتقدت السطيحة قلت: بقينا بلا ماء، فأخبرت أبا سليمان،

(١) السَّطِيحُ: المَزادة، وهي وعاء يوضع فيه الماء ونحوه.

فقال: سلِّم وصلِّ على محمد ﷺ وقل: يا رادَّ الضالة ويا هادياً من الضلالة رد الضالة. فإذا بواحد ينادي: من ذهبت له سطيحة؟ فأخذتها منه، فقال لي أبو سليمان: لا يتركنا بلا ماء. فبينا نحن نسير إذا برجل عليه طمران رثّان وقد تدرعنا بالفراء من شدة البرد، وهو يرشح عرقاً! فقال له أبو سليمان: ألا ندثرك ببعض ما معنا؟ فقال الرجل: يا دارانيّ الحر والبرد خلقان لله تعالى إن أمرهما أن يغشياني أصاباني، وإن أمرهما أن يتركاني تركاني، يا دارانيّ تصف الزهد وتخاف من البرد؟ أنا أسيح في هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انتفضت ولا ارتعدت، يلبسني في البرد فيحاً من محبته، ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته. ثم ولّى وهو يقول: يا دارانيّ تبكي وتصيح وتستريح إلى الترويح؟ فكان أبو سليمان يقول: لم يعرفني غيره.

٩١٦ ـ عابد آخر

قال الأصمعي: حدثنا شبيب بن شيبة قال: كنا بطريق مكة وبين أيدينا سُفْرة لنا نتغدى في يوم قائظ، فوقف علينا أعرابي ومعه جارية له زنجية، فقال: يا قوم أفيكم أحد يقرأ كلام الله عز وجل حتى يكتب لنا كتاباً؟ قال: قلت له: أصب من غدائنا حتى نكتب لك ما تريد.

قال: إني صائم. فعجبنا من صومه في البرية! فلما فرغنا من غدائنا دعونا به فقلنا: ما تريد؟ فقال: أيها الرجل إن الدنيا قد كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها، وإني أردت أن أعتق جاريتي هذه لوجه الله عز وجل، ثم ليوم العقبة، تدري ما يوم العقبة؟ قول الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ [البلد: ١١، ١٣] اكتب ما أقول لك، ولا تزيدن علي حرفاً: هذه فلانة خادم فلان قد أعتقها لوجه الله عز وجل ليوم العقبة. قال شبيب: فقدمت البصرة وأتيت بغداد فحدثت بهذا الحديث المهدي. فقال: مائة نسمة تعتق على عهد الأعرابي.

٩١٧ ـ عابد آخر

قال بهيم العجلي: ركب معنا شاب من بني مرة من أهل البدو في البحر، فجعل يبكي الليل والنهار، فعاتبه أهل المركب على ذلك؟ وقالوا: إرفق بنفسك قليلاً! فقال: إن أقلّ ما ينبغي أن يكون لنفسي عندي أن أبكيها، وأبكي عليها أيام الدنيا لعلمي بما يمر عليها غداً. قال: فما بقي في المركب أحد إلا بكى.

٩١٨ ـ عابد آخر

من بني تيم الله: قال مسكين بن دينار: كان في بني تيم الله شيخ متعبّد يجتمع إليه فتيان الحي ونسّاكهم. قال: فيذكرهم، فإذا أرادوا أن يتفرقوا قال: يا إخوتاه قوموا قيام قوم قد يئسوا من المعاودة لمجلسهم خوفاً من خطفات الموكّل بالنفوس! . قال: فيَبكي والله ويُبكي.

٩١٩ ـ عابد آخر

قال الأصمعي: كنت بالبادية أعلِّم القرآن، فإذا أنا بأعرابي بيده سيف يقطع الطريق، فلما دنا مني ليأخذ ثيابي قال لي: يا حضري، ما أدخلك البدو؟ قلت: أعلم القرآن. قال: وما القرآن؟ قلت: كلام الله. قال: ولله كلامٌ؟ قلت: نعم. قال: فأنشدني منه بيتاً؟ فقلت: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] قال: فرمى بالسيف من يده، وقال: أستغفر الله، رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض؟! ثم لقيته بعد سنة في الطواف فقال: ألست صاحبك بالأمس؟ قلت: بلى. قال: فأنشدني بيتاً آخر؟ فقلت: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] قال: فوقف وبكى وجعل يقول: ومن ألجأه إلى اليمين؟ فلم يزل يرددها حتى سقط ميتاً.

٩٢٠ ـ عابد آخر

قال الأصمعي: قال أعرابي: إني لَبِمَضَلَّةٍ من الأرض إذ بصرت بأعرابي قد افترس الأسدُ ابنه ونفر به بعيره فدق فخذه، وذلك بعد أن نازل الأسد فَجَدَلَهُ(١) فسمعته يقول: لله درك من مصيبة جللت فلطفت، وكبرت فصغرت، لئن كنت أحللت قلبي ترحاً لقد أورثتني فرحاً، وكيف لا تكونين كذلك وقد زوي بك عني عظيم، وقد أورثتني صبراً جسيماً؟ فقلت: اللهِ يا أعرابي ما رأيت أربط منك جأشاً ولا أصعب منك مِراساً! فقال: يا هذا إن الصبر والجزع ضدان أحدهما بصيرة بنَجْدة والآخر تهوُّرٌ بغِرَّةٍ، وليس بحزم تتبعُ ما فات تطلبه وعزت أوبته. ثم أنشأ يقول:

وكذا أشتهي لحادث رَيبِ الدهـ ... ـر إذ كاد أن يكون عظيماً

٩٢١ ـ عابد آخر

قال عبد الرحمن بن أبي نوح: ذُكر لي عن رجل من العرب فهمٌ وخيرٌ، فقصدت له في بعض البوادي حتى أصبته يسنو(٢) على بعير له. فقلت: قل لي كلاماً أحفظه عنك يرحمك الله. قال: لا تطلق لسانك! فإن الفعل أولى بك من القول. قلت: رحمك الله إن دليل العمل القولُ ومفتاحه المعرفة. فأُعجب بقولي. ثم أقبل علي فقال: يا أخي إن الشفقة لم تزل بالمؤمن حتى أوفدته على خير حال، وإن الغفلة لم تزل بالفاجر حتى أسلمته إلى شر حال، وما خير عمر امرئ لا يدري ما عاقبة أمره؟ وما خير عيش لا يكمل ما حفظ منه؟ ولئن كانت الرغبة في الدنيا هي المستولية على قلوبنا كما استولت على أبداننا لقد خبنا غداً في القيامة وخسرنا!.

---

٩١٩ ـ عابد: انظر قصته مع الأصمعي في تفسير النسفي ـ رحمه الله ـ [الذاريات: ٢٣] (٥/ ٩٠)، طبع المكتبة الأموية، بيروت دمشق، ومكتبة الغزالي بحماه.

(١) جَدَلَهُ وجَدَّلَه: صرعه.

(٢) سَنَتِ النارُ: علا ضوؤُها. والمعنى: يركب على بعير له. وقد يكون المعنى من وَسَن يسنو: إذا اشتدّ نومه، أو نعاسه، أو إذا نام كما مر قبل صفحات ـ وكلاهما محتَمل.

٩٢٢ ـ عابد آخر

[عن] يحيى بن معاذ قال: كنت في سياحتي، فبينا أنا في بعض الفلوات إذ لاح لي كوخ من قصب، فقصدت نحوه فإذا أنا بشيخ مبتلى، قد أكل الدودُ لحمَه، فوقع له في قلبي رحمة، فقلت له: يا شيخ أتحب أن أسأل الله تعالى أن يبرئك؟ قال: فرفع رأسه وهو أعمى فنظر إلي وقال: يا يحيى بن معاذ الرازي وإن لك عنده هذه الدالَّة فلمَ لا تسأله أن يبغض إليك شهوة الرمان؟ قال يحيى: وكنت قد اعتقدت مع الله عز وجل ترك الشهوات ما خلا الرمان، فلم أقدر على تركه لحبي له، ثم نظر إلي وقال لي: يا يحيى بن معاذ احذر أن تتعرض لأولياء الله فتُفتَضح عندهم.

٩٢٣ ـ عابد آخر

قال أبو القاسم النصر آباذي: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: بقي إبراهيم سنة في البادية ما أكل ولا شرب ولا اشتهى شيئاً. فقال: عارضتني نفسي أن لي عند الله عز وجل رتبة، فلم أشعر أنْ كلمني رجل عن يميني فقال: يا إبراهيم ترائي الله في سرك؟ فنظرت إليه فقلت: قد كان ذلك. فقال: بحمد الله كم لي ههنا لم آكل ولم أشرب ولم أشته شيئاً وأنا زمِنٌ مطروح؟ قلت: الله أعلم. قال: ثمانين يوماً، وأنا أستحي من الله عز وجل أن يقع لي خاطركَ، ولو أقسمْتُ على الله عز وجل أن يجعل هذا الشجر ذهباً لجعله. فكانت بركة رؤيته تنبيهاً لي ورجوعاً إلى حالتي الأولى.

٩٢٤ ـ عابد آخر حجازي

قال أبو عبد الرحمن المغازلي: دخلت على رجل مبتلى بالحجاز فقلت: كيف تجدك؟ قال: أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به، وأجد نعمه علي أكثر من أن أحصيها!. قلت: أتجد لما أنت فيه ألماً شديداً؟ فبكى ثم قال: سلَّى نفسيَ [عن] ألم ما بي: ما وعد عليه سيدي أهلَ الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير. قال: ثم غشي عليه. فمكث ملياً، ثم أفاق فقال: إني لأحسب أن لأهل الصبر غداً في القيامة مقاماً شريفاً لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء، إلا ما كان من الرضا عن الله تعالى.

٩٢٥ ـ عابد آخر

قال الخلدي: خرجت سنة من السنين إلى البادية فبقيت أربعة وعشرين يوماً لم أطعم فيها طعاماً، فلما كان بعد ذلك رأيت كوخاً وفيه غلام فقصدت الكوخ فرأيت الغلام قائماً يصلي، فقلت في نفسي: بالعشي يجيء إلى هذا طعامٌ فآكل معه. فبقيت تلك الليلة والغد وبعد غد، ثلاثة أيام لم يجئه أحد بطعام، ولا رأيت أحداً، فقلت: هذا شيطان ليس هذا من الناس! فتركته وانصرفت، فلما كان بعد أشهر، [وبينما] أنا قاعد في منزلي إذا داقٌّ يدقُّ الباب. قلت: من هذا؟ ادخل. فدخل الغلام وقال لي: يا جعفر أنت كما سُمِّيت: جَاعٌ فَرّ.

ذِكْرُ المصطَفَيات من عابدات العرب وأهل البادية

٩٢٦ ـ خنساء بنت عمرو النخعية

عن عبد الرحمن بن مغراء الدوسي، عن رجل من خزاعة قال: لما اجتمع الناس بالقادسية دعت خنساء بنت عمرو النخعية بنيها الأربعة فقالت: يا بَنيَّ إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم والله ما نَبَتْ بكم الدار ولا أقحمتكم السَّنَة، ولا أرداكم الطمع، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا غيرت نسبكم، ولا أوطأت حريمكم، ولا أبحت حماكم، فإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا لقتال عدوكم مستنصرين الله، مستبصرين، فإذا رأيتم الحرب قد أبدت ساقها وقد ضربت رواقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا خميسها[1]، تظفروا بالمغنم والسلامة، والفوز والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فانصرف الفتية من عندها وهم لأمرها طائعون، وبنصحها عارفون، فلما لقوا العدو شدَّ أولُهم وهو يقول:

يا إخوتا إن العجوز الناصحة ... قد أشربتنا إذ دعتنا البارحة
نصيحةً ذات بيان واضحة ... فباكروا الحرب الضَّروس الكَالحة
فإنما تلقون عند الصائحة ... من آل ساسانَ كلاباً نابحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة ... فأنتم بين حياة صالحة
أو ميتة تورث غُنماً رابحة

ثم شدَّ الذي يليه وهو يقول:

والله لا نعصي العجوز حرفا ... قد أمرتنا حَدْباً وعطفا
منها وبِراً صادقاً ولطفاً ... فباكروا الحرب الضروس زحفا
حتى تكُفُّوا آل كسر كَفًّا ... وتكشفوهم عن حماكم كشفا
إنا نرى التقصير عنهم ضعفا ... والقتل فيهم نَجْدة وعُرفا

ثم شدَّ الذي يليه وهو يقول:

لست لخنساءَ ولا للأخزم ... ولا لعمرو ذي السَّناء الأقدم
إن لم تزر في آل جمعِ الأعجم ... جمعِ أبي ساسان جمعِ رستم
بكل محمود اللقاء ضيغم ... ماضٍ على الهول خضم خضرم
إما لقهر عاجل أو مغنم ... أو لحياة في السبيل الأكرم
نفوز فيها بالنصيب الأعظم

٩٢٦ ـ خنساء بنت عمرو النخعية ـ رحمها الله ـ: انظر تاريخ ابن الجوزي (٤/ ١٧٤).

(١) اقصدوا معاركها، وقاتلوا جنودها، والخميس: الجيش.

ثم شدَّ الذي يليه وهو يقول:

إن العجوز ذات حزم وجلَد والنظر الأوفق والرأي السَّدَد
قد أمرتنا بالصواب والرَّشَد نصيحة منها، وبِراً بالولد
فباكروا الحرب نَماءً في العدد إما لقهر واحتياز للبلد
أو ميتةٍ تورث خُلداً للأبد في جنة الفردوس في عيش رغَد

فقاتلوا جميعاً حتى فتح الله عز وجل للمسلمين، وكانوا يعطون ألفين فيجيئون بها فيصبُّونها في حجرها فتقسم ذلك بينهم حفنة حفنة، فما يغادر واحد من عطائه درهماً.

٩٢٧ ـ منفوسة بنت زيد الفوارس

قال الأصمعي: حدثني رجل من بني ثُعَل قال: كنت ببعض نواحي نجد فُرفعت لي قُبَّة من أدم، فقصدتها فإذا أصوات نساء معولات، فدنوت منهن وسألتهن عن شأنهن؟ فقلن: منفوسة بنت زيد الفوارس أصيبت بابنها، وإذا هو في حِجرها وهي تقول: والله لتقدمك أمامي أحب إلي من تأخرك ورائي، ولصبري عنك أجدى من جزعي عليك، وما حظ مصيبة تحلُّ من التلف محلك، وتورث من العطَب مثل مضجعك، ولئن كان فراقك حسرة إنَّ تَوُقعَ أجرك لخيرة.

ثم قالت: لله در عمرو بن معدي كرب حيث يقول:

وإنا لقوم لا تفيض دموُعنا على هالك منّا وإن قصم الظهرا

٩٢٨ ـ عاتكة المخزومية

قال إبراهيم بن محمد المخزومي: بكت امرأة من بني مخزوم يقال لها عاتكة حتى ذهب بصرها، فعوتبت في ذلك وقيل لها: ما بعد ذهاب البصر شيء؟ فقالت: ما ينبغي للمخوّف بالنار أن تجفّ له دمعة حتى يعرف موقع الأمان من ذلك! فلم تزل على ذلك البكاء حتى ماتت عليه.

٩٢٩ ـ منيرة السدوسية

وبالإسناد: حدثنا أبو بكر القرشي قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثني عبد الله بن محمد بن حميد بن أبي الأسود قال: حدثني أبو سلمة ـ رجل من بني سدوس ـ قال: كانت لنا عجوز في الحي لم ندركها نحن، أدركها أشياخنا يقال لها: منيرة، فكانت تقول إذا جاء الليل: قد جاء الهول، قد جاءت الظلمة، قد جاء الخوف، ما أشبه هذا بيوم القيامة! ثم تقوم فلا تزال تصلي حتى تصبح.

٩٣٠ ـ طلحة العدوية

وبالإسناد: حدثنا القرشي قال: حدثنا عبد الله بن عيسى الطفاوي قال: أرسلني أبي إلى طلحة العدوية، فدخلنا عليها وبين يديها زنبيلان أحدهما فيه زبيب ونبق وباقلى، فقيل لي: إنها تسبِّح به وتأكل منه أحياناً.

٩٣١ ـ أم سالم الراسبية

وبالإسناد: حدثنا القرشي قال: قال محمد بن الحسين: حدثني أبو سمير ـ رجل من الأزد ـ قال: أتيت أم سالم الراسبية بين الظهر والعصر، فاستأذنت عليها، فأذنت لي، فدخلت عليها وإذا هي تصلي قائمة فلم تنفتل من صلاتها ولم تلتفت إلي، حتى نودي بصلاة العصر فخرجت فصليت، ثم دخلت عليها فقالت: إذا كانت لك حاجة فلا تأتني في هذا الوقت، فإن الذي يدع الصلاة في هذا الوقت فإنما يضيّع حظَّ نفسه.

٩٣٢ ـ أم نهار العدوية

عن عتبة بن صالح الهلالي قال: شهدت أعرابية بالجفر ـ جفر بني عدي ـ يقال لها أم نهار العدوية واقفة على قبر رجل ونحن ندفنه، فقالت: أيها الناس إنكم من الله عز وجل في نعمة ستر، ومن الناس بمحل تزكية، فإياكم ومصاداة زخاريف الرخاء فإنها ليست من صفة الألبّاء، فأجلُوا شماذير الغفلة عن قلوبكم، وتأملوا أهل هذه العرصات الخرس، والربوع الصموت، وأرجعوها صوراً بوهمكم، تتنسمون روح الحياة، فنادوهم يسمعوا، واسألوهم يخبروا، فاحيوا بموتهم، وتيقظوا لغفلاتهم، وخذوا خوفكم من أمنهم، وحذركم من غرورهم، وانظروا بهم إلى أثر البلى في أجسامكم، والخراب في مساكنكم، وكيف حكم فيهم التراب إذ ولي الحكم فيهم، فأبدلهم بالنطق خرساً، وبالسمع صمماً، وبالحركات سكوناً! رحم الله امرءاً أبصر فتدبَّر، واتَّعظ فاعتبر، وعمل ليوم الحساب، وخشي وقت العقاب. ثم قالت:

الموت يُفني ولا يُبقي على أحد ... ما أحسب الموت يبقي جدة الأبد
يا موتُ كم من كريم قد فَجِعت به ... من أقربيه ومن أهل ومن ولد

ثم قالت: تغمدكم الله بالرحمة، وبلغ بكم شرف الهمة.

٩٣٣ ـ عاتكة الغنوية

وبالإسناد: حدثنا القرشي قال: ذكر محمد بن الحسين قال: حدثني عبيد الله بن محمد التيمي قال: حدثني جليس لنا كان يقال له ضرار الطفاوي، قال: لقيتني امرأة من غِنى، عابدة، يقال لها عاتكة. فقالت: يا ضرار توسل إلى مولاك بجميع ما يمكنك من الوسائل، فإنك تجد ذلك لك موفراً عند حلول الأمور الجلائل، وانقطع إليه في حوائجك لديه يأت لك عليها على غير تعب منك ولا نصب، واعلم أنه لن ينال المطيعون في الدنيا لذة أحلى في صدورهم من الازدياد لله في طاعته بقربه، ولحلاوة ساعة من مطيع ألذ في قلوب المريدين من جميع ما أخرج إلى الدنيا من زهرة ولذة، ولن يجد المريدُ فَقْدَ شيء تركه رجاء ثواب الله، فجِدَّ أي أخي قبل أن لا يمكنك الجِدُّ، وبادر قبل فوات المبادرة، فإن الدنيا لا تطيب لعارفها، وإنما تورطها أهل الغرة، وعما قليل فسوف يعلمون. قال: [ثم] أمسكت فقامت.

٩٣٤ ـ عليلة بنت الكميت

قال أبو خالد القرشي: استأذنًا على عليلة بنت الكميت ـ وكانت من العابدات ـ قال: وذلك وقت الظهر. فقالوا: هي تصلي، فلم نزل ننتظرها إلى العصر فلما صلت العصر أذنت لنا، فدخلنا عليها فقلنا: رحمك الله لم نزل قعوداً منذ الظهر ننتظرك! قالت: سبحان الله قعوداً لم تصلوا بين الظهر والعصر؟ قلنا: لا. قالت: ما ظننت أن أحداً لا يصلي بين الظهر والعصر.

قال: وانقبضت عنّا انقباضاً شديداً.

٩٣٥ ـ هنيدة

قال عامر بن أسلم الباهلي، عن أبيه: كانت لنا جارية في الحي يقال لها هنيدة فكانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه، فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها فتقول لهم: قوموا فتوضؤوا وصلوا فستغتبطون بكلامي هذا. فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت، فرأى زوجها في منامه: إن كنت تحب أن تُزوَّجها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات، فأُتِي أكبر ولده في منامه فقيل له: إن كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتهما من الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما.

قال: فلم يزل ذلك دأبه حتى مات، فكانوا يَدْعَون القوَّامين.

ذِكْرُ المصطَفَيات من عابدات العرب وأهل البادية المجهولات الأسماء

٩٣٦ ـ عابدة من بني عبد القيس

عن أبي بكر الهذلي قال: كانت عجوز من بني عبد القيس متعبدّة، فكانت تقول: عاملوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تطيقوا فعلى قدر ستره، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه.

عن أبي بكر الهذلي قال: كانت عجوز في عبد القيس متعبدة، فكان إذا جاء الليل تحرمت، ثم قامت إلى المحراب، وكانت تقول: المحب لا يسأم من خدمة حبيبه! فإذا جاء النهار خرجت إلى القبور، فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانهاالمقابر؟ فقالت: إن القلب القاسي إذا جفا لم يليِّنه إلا رسوم البلى، وإني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة، وإلى تلك الأجسام المتغيرة، وإلى تلك الأكفان الدسمة! فيا له من منظر كريه لو أشربه العباد قلوبَهم ما أنكل مرارته للأنفس وأشد إتلافه للأبدان.

٩٣٧ ـ عابدة أخرى

قال الأصمعي: مات ابن لأعرابية فما زالت تبكي حتى خدّ الدمع في خدها، ثم استرجعت فقالت: اللهم إنك قد علمت فرط حُنُوِّ الوالدين على ولدهما فلذلك لم تأمرهما ببِرِّه، وقد علمت قدر عقوق الولد لوالديه من أجل ذلك حضضته على طاعتهما، وألزمته برهما، وقد كان ولدي من البر بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما، فأجْزِه/ بذلك مني صلاة، ولقِّه سروراً ونضرة.

فقال لها أعرابي: نِعم ما دعوت له، لولا أنك شِبْتِهِ من الجزع بما لا يجدي عليه! فقالت: إذا

وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفُه، ولا في القدرة منعه، والله ولي عذري بفضله، فقد قال عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

٩٣٨ ـ عابدة أخرى

[قال] أبو عبد الرحمن القرشي، عن رجل من بني ثعلب، قال: شهدت امرأة من أهل البادية توصي ابناً لها وأراد سفراً فقالت: يا بني أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك، وإياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن وتفرق بين المحبين، ومثِّل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالاً ثم اتخذه إماماً، واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء فقد استجاد الحُلَّة إزارَها ورداءَها.

٩٣٩ ـ عابدة أخرى

قال الصَّلت بن حكيم: حدثني ابن السماك: أن نفراً وردوا على عجوز في بعض البوادي يسألونها بيع شاة؟ فقالت: ما كنت لأبيعِ ابن السبيل شيئاً، ولكن خذوها على ما عند الله! ثم بكى أبو العباس ـ يعني ابن السماك ـ وقال: رحمها الله فَقِهت في بَدوها.

٩٤٠ ـ عابدة أخرى

قال أبو بكر الشيرازي: تهت في بادية العراق أياماً كثيرةً فلم أجد شيئاً أرتفق به، فلما كان بعد أيام رأيت في الفلاة خَباء شَعر مضروباً فقصدته فإذا بيت وعليه ستر مسبل، فسلمت فردت عليَّ عجوز من داخل الخباء، وقالت: يا إنسان من أين أقبلت؟ قلت: من مكة قالت: وأين تريد؟ قلت: الشام. فقالت: أرى شبح إنسان بطّال! ألا لزمت زاوية تجلس فيها إلى أن يأتيك اليقين؟ ثم تنظر هذه الكسرة من أين تأكلها؟ ثم قالت: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم فقالت: اقرأ علي آخر سورة ﴿الفرقان﴾ فقرأتها فشهقت وأغمي عليها، فلما أفاقت بعد هُوِيّ قرأت هي الآيات فأخذت مني قراءتها أخذاً شديداً، ثم قالت: يا إنسان اقرأها ثانية. فقرأتها فلحقها مثل ما لحقها في الأول، وصبرت أكثر من ذلك ولم تفق، فقلت: أستكشف حالها ماتت أم لا؟ فتركت البيت على حاله ومشيت أقل من نصف ميل، فأشرفت على واد فيه أعراب، فأقبل إلي غلامان معهما جارية، فقال أحد الغلامين: يا إنسان أتيت البيت في الفلاة؟ قلت: نعم. قال: وتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: قتلت العجوز ورب الكعبة! فمشيت مع الغلامين حتى أتينا البيت فدخلت الجارية فكشفت عنها فإذا هي ميتة. ! فأعجبني خاطر الغلام فقلت للجارية: من هذان الغلامان؟ فقالت: هذان جعافرة وهذه أختهم منذ ثلاثين سنة ما تستأنس بكلام الناس، إذا نزلنا تواري بيتها في الفلاة تأكل في كل ثلاثة أيام أكلة وشربة.

٩٤١ ـ عابدة أخرى

عن هشام ـ يعني ابن حسان ـ: قال: خرجنا حجاجاً فنزلنا منزلاً في بعض الطريق، فقرأ رجل كان معنا هذه الآية: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] فسمعت امرأةً، فقالت: أعد رحمك الله. فأعادها. فقالت: خلفتُ لي في البيت سبعةَ أعبُد أشهدكم أنهم أحرار، لكل باب واحدٌ منهم.

٩٤٢ ـ عابدة أخرى

قال مسمع: قالت امرأة من العرب ذات عقل ودين: سبحانك إلهي: إمهالك المذنبين أطمعهم في حسن عفوك عنهم. سبحانك إلهي: لم يزل قلبي يشهد برضاك لمن نال عفوك. سبحانك إلهي، تفضلاً منك وامتناناً على خلقك.

٩٤٣ ـ عابدة أخرى

قال ابن عائشة: نظرتْ أعرابيةٌ إلى فتى حسن الوجه بَضِّهِ، فقالت: إني لأرى وجهاً ما غضَّنه بَدَدُ وضوء السَّحَر.

٩٤٤ ـ عابدة أخرى

قال الأصمعي: قال أعرابي: خرجت في ليلة ظلماء فإذا أنا بجارية كأنها علَم، فأردتها. فقالت: ويلك أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟ فقلت: إيها والله ما يرانا إلا الكواكب! فقالت: وأين مُكَوكِبُها؟

٩٤٥ ـ عابدة أخرى

قال محمد بن سلام الجمحي: سمعت خارجة بن زياد ـ رجلاً من بني سليم ـ يذكر قال: هويت امرأة من الحي فكنت أتبعها إذا خرجت إلى المسجد، فعرفت ذلك منّي، فقالت لي ذات ليلة: ألك حاجة؟ قلت: نعم. قالت: وما هي؟ قلت: مودتك. قالت: دعْ ذلك ليوم التغابن! قال: فأبكتني والله فما عدت إلى ذلك.

٩٤٦ ـ عابدة أخرى

بلغنا عن أبان بن تغلب أنه قال: رأيت أعرابية تمرِّض ابناً لها، وهو لما به[1]، فلما فاظ أغمضته ثم تنحَّت عن مقعدها عند رأسه، ورجعت إلى مجلسها تجاهه، فقالت: يا فلان ما حق من ألبس العافية وأسبغت عليه النعمة، وأُطيلت له النظرة أن يعجز عن التوثق لنفسه قبل حل عقدته والحلول بعقوبته، والحيال بينه وبين نفسه؟ قال: فأجابها أعرابي: إنا لم نزل نسمع أن الجزع إنما هو للنساء فلا يَجْزَعَنَّ رجل بمصيبة بعدك، ولقد كرم صبرك، وما أشبهت النساء! فأقبلت عليه بوجهها ثم قالت: ما ميز رجل بين الصبر والجزع إلا أصاب بينهما منهجين بعيدي التفاوت في حاليهما، أما الصبر: فحسَنُ العلانية محمودُ العاقبة، وأما الجزع فغير معوَّض مع مأثمه، ولو كانا رجلين في صورة كان أولاهما بالغلبة وحسن الصورة مع كرم الطبيعة في عاجله من الدين وآجله من الثواب، وكفى ما وعد الله عز وجل فيه لمن ألهمه إياه.

انتهى ذكر أهل البوادي

(١) أي: لا يعي لما نزل به من الآلام والذهول.

ذكر المصطَفَين من العبّاد الذين لم يُعرف لهم مستقرٌ وإنما لُقُوا في أماكن

ذكر المصطَفَين ممن لُقِيَ منهم في طريق مكة

٩٤٧ ـ عابد

قال أبو يوسف عبيد الله بن أبي نوح ـ وكان من العابدين ـ: صحبت شيخاً في بعض طريق مكة فأعجبتني هيئته، فقلت: إني أحب أن أصحبك. قال: أنت وما أحببت. قال: فكان يمشي بالنهار، فإذا أمسى أقام في منزلٍ كان أو غيره، قال: فيقوم الليل يصلي، وكان يصوم في شدة ذلك الحر، فإذا أمسى عمد إلى جريب معه فأخرج منه شيئاً فألقاه إلى فيه مرتين أو ثلاثاً. وكان يدعوني فيقول: هلم فأصب من هذا. فأقول في نفسي: والله ما هذا بمجزيك أنت، فكيف أشركك فيه؟ فلم يزل على ذلك، ودخلتْ له في قلبي هيبة عندما رأيت من اجتهاده وصبره. قال: فبينا نحن في بعض المنازل إذ نظر إلى رجل يسوق حماراً فقال لي: انطلق فاشتر ذلك الحمار. فانطلقت وأنا أقول في نفسي: والله ما معي ثمنه ولا أعلم معه ثمنَه فكيف أشتريه؟ قال: فأتيت صاحب الحمار فساومته به فأبى أن ينقصه من ثلاثين ديناراً. قال: فجئت إليه وقلت: قد أبى أن ينقصه من ثلاثين ديناراً! قال: خذه، واستخر الله. قلت: الثمن؟ قال: سمِّ الله ثم أدخل يدك في الجراب فخذ الثمن فأعطه. قال: فأخذت الجراب ثم قلت: باسم الله. وأدخلت يدي فيه فإذا صرة فيها ثلاثون ديناراً لا تزيد ولا تنقص. قال: فدفعتها إلى الرجل وأخذت الحمار، وجئت به فقال لي: اركب. فقلت له: أنت أضعف مني فاركب أنت. قال: فلم يرادَّني الكلام، وركب فكنت أمشي مع حماره فحيث أدركه الليل أقام، فإنما هو راكع وساجد حتى أتينا عسفان، فلقيه شيخ فسلم عليه، ثم خَلَوا فجعلا يبكيان، فلما أرادا أن يتفرقا قال صاحبي للشيخ: أوصني. قال: نعم، ألزم التقوى قلبك وانصب ذكر المعاد أمامك. قال: زدني. قال: استقبل الآخرة بالحسنى من عملك، وباشر عوارض الدنيا بالزهد من قلبك، واعلم أن الأكياس هم الذين عرفوا عيب الدنيا حين عمي على أهلها، والسلام عليكم ورحمة الله. قال: ثم افترقا، فقلت لصاحبي: من هذا الشيخ رحمك الله؟ فما رأيت أحسن كلاماً منه! فقال: عبد من عبيد الله. قال: فخرجنا من عسفان حتى أتينا مكة، فلما انتهينا إلى الأبطح نزل عن حماره، وقال لي: اثبت مكانك حتى أنظر إلى بيت الله نظرة ثم أعود إليك إن شاء الله. قال: فانطلق وعرض لي رجل فقال: تبيع الحمار؟ قلت: نعم. قال: بكم؟ قلت: بثلاثين ديناراً. قال: قد أخذته منك. قلت: يا هذا والله ما هو لي وإنما هو لرفيق لي وقد ذهب إلى المسجد ولعله أن يجيء الآن! قال: فإني لأكلمه إذ طلع الشيخ، فقمت إليه فقلت: إني قد بعت الحمار بثلاثين ديناراً. قال: أما إنك لو كنت استزدته لزادك إن شاء الله، فأما إذا بعت فأوجر[1]. فأخذت من الرجل ثلاثين ديناراً ودفعت الحمار إليه وجئت بالدنانير، فقلت: ما أصنع بها؟ قال: هي لك فأنفقها. قلت: لا حاجة لي بها. قال: فألقِها في الجراب. قال: فألقيتها في الجراب. قال: فطلبنا منزلاً بالأبطح فنزلناه فقال: أبغني دواة وقرطاساً.

(١) كذا في المطبوع: ولعلها «فأَجِز».

فأتيته بدواة وقرطاس. قال: فكتب كتابين ثم شدهما إلي وقال: انطلق به إلى عبَّاد بن عبَّاد وهو نازل في موضع كذا وكذا فادفعه إليه، وأقرئه مني السلام ومن المسلمين. ثم دفع الآخر إلي وقال: ليكن هذا معك فإذا كان يوم النحر فاقرأه إن شاء الله. قال: فأخذت الكتاب فأتيت به عباد بن عباد وهو قاعد يحدث وعنده خلق كثير، فسلمت ثم قلت: رحمك الله، كتاب بعض إخوانك إليك. فأخذ الكتاب فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: يا عبَّاد فإني أحذرك الفقر يوم يحتاج الناس إلى الذخر، فإن فقر الآخرة لا يسده غنى، وإن مصاب الآخرة لا تجبر مصيبته أبداً، وأنا رجل من إخوانك وأنا ميت الساعة إن شاء الله فاحضرني لتلِيْني، وتولَّ الصلاة علي وإدخالي حفرتي، وأستودعك الله وجميع المسلمين، واقرأ السلام على رسول الله ﷺ وعليكم جميعاً السلام ورحمة الله. قال: فلما قرأ عبّاد الكتاب قال: يا هذا أين هذا الرجل؟ قلت: بالأبطح. قال: فمريض هو؟ قلت: لا، تركته الساعة صحيحاً. قال: فقام وقام الناس معه حتى دخل عليه، فإذا هو مستقبل القبلة ميت مسجًّى، عليه عباءة. فقال لي عَبّاد: وهذا صاحبك؟ قلت: نعم، تركته الساعة صحيحاً؟ قال: فجلس يبكي عند رأسه ثم أخذ في جَهازه، وصلى عليه ودفنه. قال: واحتشد الناس في جنازته، فلما كان يوم النحر قلت: والله لأقرأن الكتاب كما أمرني. ففتحته فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: وأنت يا أخي فنفعك الله بمعروفك يوم يحتاج الناس إلى صالح أعمالهم، وجزاك عن صحبتنا خيراً، فإن صاحب المعروف تجده لجَنبه يوم القيامة مضطجعاً، وإن حاجتي إليك إذا قضى الله نسُكك أن تنطلق إلى بيت المقدس فتدفع ميراثي إلى وارثي، والسلام عليك ورحمة الله. قال: فقلت في نفسي: كل أمرك رحمك الله عَجَبٌ! وهذا من أعجب أمرك؟ كيف آتي بيت المقدس ولم تسم لي أحداً، ولم تصف لي موضعاً، ولا أدري إلى من أدفعه؟ قال: وخلف قدحاً وجرابه ذلك وعصاً كان يتوكأ عليها، قال: وكفناه في ثوبي إحرامه ولففنا العباء فوق ذلك. قال: فلما انقضى الحج قلت: والله لأنطلقن. حتى أتيت بيت المقدس، فدخلت المسجد، وثمّ حلق قوم فقراء مساكين. قال: فبينا أنا أدور لأتصفح الناس، لا أدري عمن أسأل، إذ ناداني رجل من بعض تلك الحلق باسمي: يا فلان. فالتفتُّ إليه فإذا شيخ كأنه صاحبي قال: هات ميراث فلان. قال: فدفعت إليه العصا والقدح والجراب، ثم وليت راجعاً قال: فوالله ما خرجت من المسجد حتى قلت لنفسي: تضرب من مكة إلى بيت المقدس وقد رأيت من الشيخ الأول ما رأيت، ورأيت من هذا الشيخ الثاني ما رأيت، ولا تسأل هؤلاء القوم: أي شيء قصتهم؟ وتسألهم عن أمرهم؟ ومن هم؟ قال: فرجعت ومن رأيي أن لا أفارق هذا الشيخ الآخر حتى يموت أو أموت!. قال: فجعلت أدور الحلق وأجهد على أن أعرفه أو أقع عليه فلم أقع عليه. قال: وجعلت أسأل عنه، وأقمت أياماً ببيت المقدس أطلبه وأسأل عنه؟ فلم أجد أحداً يدلُّني عليه، فرجعت منصرفاً إلى العراق.

٩٤٨ ـ عابد آخر

قال محمد بن سهل بن عسكر البخاري: كنت أمشي في طريق مكة إذ رأيت رجلاً مغربياً على بغل، وبين يديه منادٍ ينادي: من أصاب هميان له ألف دينار؟ قال: وإذا إنسان أعرج عليه أطمار رَثَّة خُلْقان يقول للمغربي: أي شيء علامة الهميان؟ قال: كذا وكذا، وفيه بضائع لقوم، وأنا أعطي من

مالي ألف دينار. فقال الفقير: من يقرأ الكتابة؟ قال ابن عسكر: فقلت: أنا.

فقال: اعدلوا بنا ناحية من الطريق. فعدلنا فأخرج الهميان فجعل المغربي يقول: حبتان لفلانة ابنة فلان بخمسمائة دينار، وحبة لفلانة بمائة دينار، وجعل يعدد فإذا هو كما قال، فحل المغربي همیانه وقال: خذ ألف الدينار التي وعدت على وجادة الهميان. فقال الأعرج: لو كانت قيمة الهميان الذي أعطيتك عندي بَعرَتين ما كنت تراه، فكيف آخذ منك ألف دينار على ما هذا قيمته؟ وقام ومضى ولم يأخذ منه شيئاً.

٩٤٩ ـ عابد آخر

قال أبو الحسن اللؤلؤي ـ وكان خيراً فاضلاً ـ: كنت في البحر فانكسر المركب وغرق كل ما فيه، وكان في وطائي لؤلؤ قيمته أربعة آلاف دينار، وقربت أيام الحج وخفت الفوات، فلما سلم الله عز وجل روحي ونجاني مشيت، فقال لي جماعة كانوا في المركب: لو توقفت عسى يجيء من يخرج شيئاً فيخرج لك من رَحلك شيئاً؟ فقلت: قد علم الله عز وجل ما مَرَّ مني، وكان في وطائي شيء قيمته أربعة آلاف دينار وما كنت بالذي أوثره على وقفة بعرفة. فقالوا: وما الذي ورثك هذه المنزلة؟ فقلت: أنا رجل مولع بالحج، أطلب الربح والثواب، حججت في بعض السنين وعطشت عطشاً شديداً فأجلست عديلي في وسط المحمل، ونزلت أطلب الماء والناس معطشون أيضاً، فلم أزل أسأل رجلاً رجلاً ومجمعاً: أمعكم ماء؟ والناس شرع واحد حتى صرت في ساقة القافلة بميل أو ميلين فمررت بمصنع مصهرج وإذا رجل فقير جالس في أرض المصنع وقد غرز عصاه في أرض المصنع، والماء ينبع من موضع العصا وهو يشرب، فنزلت إليه وشربت حتى رويت وجئت إلى القافلة والناس قد نزلوا، فأخرجت قربة ومضيت فملأتها ورجعت، فلما رآني الناس والقربة على كتفي مملوءة فكأنه نودي فيهم: أن الماء وراءكم فتبادروا إليه بالقرب. فلما روي الناس عن آخرهم وسارت القافلة جئت لأنظر فإذا البركة ملأى تلتطم بأمواجها والناس يرمون الدِّلاء ويرتجزون عليه، فموسم يحضره مثل هؤلاء يقولون: اللهم اغفر لمن حضر الموقف ولجماعة المسلمين، أوثر عليه أربعة آلاف دينار؟ لا والله، ولا الدنيا بأسرها. وتركَ اللؤلؤ وجميع ما فيه، قال الشيخ: فبلغني أن قيمة ما كان غرق له خمسون ألف دينار.

٩٥٠ ـ عابد آخر

لُقي بين الثعلبية والخزيمية: قال إبراهيم بن المهلب ـ أبو الأشهب السائح ـ: رأيت بين الثعلبية والخزيمية غلاماً قائماً يصلي عند بعض الأميال، قد انقطع عن الناس، فانتظرته حتى قطع صلاته، ثم قلت له: ما معك مؤنس؟ قال: بلى. قلت: وأين هو؟ قال: أمامي، وخلفي، ومعي، وعن يميني، وعن شمالي وفوقي.

فعلمت أن عنده معرفة. قلت: أما معك زاد؟ قال: بلى. قلت: وأين هو؟ قال: الإخلاص لله عز وجل، والتوحيد، والإقرار بنبيه ﷺ، وإيمان صادق، وتوكُّل واثق. قلت: هل لك في مرافقتي؟ قال: الرفيق يشغل عن الله عز وجل، ولا أحب أن أرافق أحداً فأشتغل به عنه طرفة عين، فيقطعني عن

بعض ما أنا عليه. قلت: أما تستوحش في هذه البرية وحدك؟ قال: إن الأنس بالله عز وجل قطع عني كل وحشة حتى لو كنت بين السباع ما خفتها، ولا استوحشت منها. قلت: فمن أين تأكل؟ فقال: الذي غذاني في ظُلَم الأحشاء والأرحام صغيراً قد تكفل برزقي كبيراً. قلت: ففي أي وقت تجيئك الأسباب؟ قال: لي حد معلوم ووقت مفهوم إذا احتجت إلى الطعام أصبته في أي موضع كنت، وقد علم ما يصلحني وهو غير غافل عني. قلت: ألك حاجة؟ قال: نعم. قلت: وما هي؟ قال: إن رأيتني فلا تكلمني ولا تُعلم أحداً أنك تعرفني. قلت: لك ذلك، فهل حاجة غيرها؟ قال: نعم. قلت: وما هي؟ قال: إن استطعت أن لا تنساني في دعائك عند الشدائد إذا نزلت بك فافعل. قلت: كيف يدعو مثلي لمثلك وأنت أفضل مني خوفاً وتوكلاً؟ قال: لا تقل هذا، إنك قد صليت لله عز وجل وصمت قبلي، ولك حق الإسلام ومعرفة الإيمان. قلت: فإن لي أيضاً حاجة؟ قال: وما هي؟ قلت: ادع الله لي. فقال: حجب الله طرفك عن كل معصية، وألهم قلبك الفكر فيما يرضيه حتى لا يكون لك همٌّ إلا هو. قلت: يا حبيبي متى ألقاك؟ وأين أطلبك؟ فقال: أما في الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائي فيها، وأما الآخرة فإنها مجمع المتقين، فإياك أن تخالف الله فيما أمرك وندبك إليه، وإن كنت تبتغي لقائي فاطلبني مع الناظرين إلى الله تبارك وتعالى في زمرتهم. قلت: وكيف علمت ذاك؟ قال: بِغَضّ طرفي له عن كل محرم، واجتنابي فيه كل منكر ومأثم، وقد سألته أن يجعل جنتي النظر إليه. ثم صاح وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري.

٩٥١ ـ عابد آخر

قال صالح بن عبد الكريم: رأيت غلاماً أسود في طريق مكة عند ميل يصلي فقلت له: عبد أنت؟ قال: نعم. قلت: فعليك ضريبة؟ قال: نعم. قلت: أفلا أكلم مولاك أن يضع عنك؟ قال: وما الدنيا كلها فأجزع من ذلّها؟ قال: فاشتريته وأعتقته. فقعد يبكي وقال لي: أعتقتني؟ قلت: نعم.

قال: أعتقك الله يوم القيامة. وقعد يبكي ويقول: اشتد علي الأمر. فناولته دنانير فأبى أن يأخذها. قال: فحججت بعد ذلك بأربع سنين، فسألت عنه؟ فقالوا: غاب عنا فمذ غاب قحطنا، وصار إلى جُدّة.

٩٥٢ ـ عابد آخر

قال جعفر الخلدي: حججت سنة من السنين فصحبني بعض الصوفية، وكان ممن يشار إليه بالعلم والمعرفة، فأضافنا الطريق إلى جبل، وكنا جماعة فاستسقيناه ماء ولم يكن في القِرب ماء، فأخذ ركوة وأومأ بها إلى الجبل فسمعت خرير الماء بأذني حتى امتلأت الركوة فسقى الجماعة، وكانت عيني إلى الموضع فلا أرى للماء أثراً ولا شقاً في الجبل. قال أبي: فسألت جعفراً عن هذا؟ فقال: كرامة الله عز وجل لأوليائه.

٩٥٣ ـ عابد آخر

قال محمد بن المبارك الصوري: خرجنا حجاجاً فإذا نحن بشاب ليس معه زاد ولا راحلة، فقلت: حبيبي، في مثل هذا الطريق بلا زاد ولا راحلة؟ فقال لي: تحسن تقرأ؟ قلت: نعم. فقرأت:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] فشهق شهقة خر مغشياً عليه، ثم أفاق فقال: ويحك تدري ما قرأت؟ كافٌ من كافٍ، وهاء من هادٍ، وعينٌ من عليم، وصادٌ من صادقٍ، فإذا كان معي كافٍ وهادٍ وعليمٌ وصادقٌ ما أصنع بزاد وراحلة؟ ثم ولّى وهو يقولُ:

يا طالبَ العلم ها هنا وهنا ... ومَعدِن العلم بين جنبيكا
إن كنت ترجو الجنانَ تسكنها ... فمثِّل العرضَ نُصْب عينيكا
إن كنت ترجو الحِسانَ تخطبها ... فأسبلِ الدمعَ فوق خدَّيكا
وقمْ إذا قام كلُّ مجتهد ... وادعُه كيما يقول: لبَّيْكا

٩٥٤ ـ عابد آخر

وبالإسناد: قال عمر بن بحر: وسمعت أبا الفيض يقول: كنت في تيهِ بني إسرائيل أريد الحج، فرأيت غلاماً أمرد على المحجة يؤم البيت العتيق بلا زاد ولا راحلة، فقلت لرفيقي: إن كان مع هذا الغلام يقين وإلا هلك! فلحقته فقلت: يا فتى. فقال: لبيك. فقلت: في مثل هذا الموضع، في هذا الوقت، بلا زاد ولا راحلة؟ قال: فنظر إلي ثم قال: يا شيخ ارفع رأسك، انظر هل ترى غيره؟ فقلت: يا حبيبي اذهب إلى حيث شئت.

٩٥٥ ـ عابد آخر

قال ذو النون: حججت سنة إلى بيت الله الحرام فضللت عن الطريق، ولم يكن معي ماء ولا زاد فأشرفت على الهلَكة، فلاحت لي أشجار كثيرة ومحراب، فطرحت نفسي في ظل شجرة.

فلما غربت الشمس إذا أنا بشاب متغير اللون نحيل يؤم المحراب، فركل برجله رَبوة من الأرض فظهرت عين تبضُّ بماء عذب، فشرب وتوضأ وقام في محرابه، فقمت إلى العين فشربت ماء عذباً وتوضأت وقمت أصلي بصلاته، حتى برق عمود الصبح، فلما رأى الصبح وثب قائماً على قدميه ونادى بأعلى صوته: ذهب الليل بما فيه، وأقبل النهار بدواهيه، ولم أقض من خدمتك وطراً! آه! خسر من أتعب لغيرك بدنَه، وألجأ إلى سواك همه. فلما أراد أن يمضي ناديته: بالذي منحك لذيذ الرغب، وأذهب عنك ملال التعب إلا خفضت لي جناح الرحمة، فإني غريب أريد البيت الحرام، وقد ضللت!؟ فقال: يا بطّال! وهل قطع بوفده دون البلوغ إليه؟ ثم قال: اتبعني. فرأيت الأرض تُطوى من تحت أرجلنا حتى رأيت المحجة وسمعت ضجة. فقال: ها قومك. ثم أنشأ يقول:

من عاملَ الله بتقواه ... وكان في الخلوة يرعاه
سقاه كأساً من صفا حُبّه ... يسلُبُه لذَّةَ دنياه
فأبعدَ الخلقَ وأقصاهم ... وانفرد العبدُ بمولاه

ومن المصطفَين الذين لُقُوا عند الإحرام

٩٥٦ ـ عابد

قال عبد الله بن الجلاء: كنت بذي الحليفة وأنا أريد الحج والناس يحرمون، فرأيت شاباً قد صبّ عليه الماء يريد الإحرام وأنا أنظر إليه. فقال: يا رب أريد أن أقول: لبيك اللهم لبيك، وأخشى أن تجيبني: لا لبيك ولا سعديك!.

وبقي يردد هذا القول مراراً كثيراً وأنا أتسمع عليه، فلما أكثر قلت له: ليس لك بد من الإحرام، فقل؟ فقال: يا شيخ أخشى إن قلت: لبيك اللهم لبيك أجابني بـ: لا لبيك ولا سعديك. فقلت له: أحسن ظنك وقل معي: لبيك اللهم لبيك. فقال: لبيك اللهم، وطوّلَها، وخرجت نفسه مع قوله «اللهم»، فسقط ميتاً.

ذِكْرُ المصطفَين من العبّاد الذين لُقُوا بعرفة

٩٥٧ ـ عابدان

عن ثابت البناني قال: إنا لوقوف بجبل عرفة فإذا شابان عليهما العباء القطواني، نادى أحدهما صاحبه: يا حبيب. فأجابه الآخر: لبيك أيها المحب. قال: ترى الذي تحابينا فيه وتوادّدنا فيه معذِّبَنا غداً في القيامة؟ قال: فسمعنا منادياً، سَمِعَتْه الآذان ولم تره الأعين، يقول: لا، ليس بفاعل.

٩٥٨ ـ عابد آخر

قال يحيى بن كامل القرشي: أخبرني سفيان الثوري قال: سمعت أعرابياً وهو متعلق بعرفة، وهو يقول: إلهي من أولى بالزلل والتقصير مني وقد خلقتني ضعيفاً؟ من أولى بالعفو عني منك وعلمك فيّ سابق، وأمرُكَ بي محيط؟ أطعتك بإذنك والمنّة لك علي! وعصيتك بعلمك والحجة لك! فأسألك بوجوب حجتك وانقطاع حجتي، وبفقري إليك وغناك عني أن تغفر لي وترحمني؟ إلهي لم أحسن حتى أعطيتني، ولم أُسِيءْ حتى قضيت عليّ، اللهم إنا أطعناك بنعمتك في أحب الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا الله، ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك بك، فاغفر لي ما بينهما، اللهم سِرّي إليك مكشوف، وأنا إليك ملهوف، إذا أوحشتني الغربة آنسني ذِكرُك، وإذا صببتَ عليَّ الهمومَ لجأت إليك استجارةً بك، علماً بأن أزِمَّة الأمور بيدك، وأن مصدرها عن قضائك.

٩٥٩ ـ عابد آخر

قال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان الداراني فقال لي: يا أحمد، لي أيام ما بكيت، فقلت له: حدثني محمود بن خلف: أنه رأى رجلاً عشية عرفة على رأس جبل، فلما دنا الانصرافُ سمعه يقول: الأمانَ الأمانَ قد دنا الانصراف، فليت شعري ما صنعتَ في حاجة المساكين؟ قال: فبكى حتى جعلت الدموع تَثِبُ من عينيه ولا تسيل على خده.

٩٦٠ ـ عابد آخر

قال أبو الأديان: ما رأيت خائفاً إلا رجلاً واحداً: كنت بالموقف فرأيت شاباً مطرِقاً منذ وقف الناس إلى أن سقط الفرض فقلت: يا هذا ابسط يديك بالدعاء. فقال لي: ثَمَّ وحشة. فقلت له: فهذا يوم العفو عن الذنوب. قال: فبسط يده، ففي بسط يده وقع ميتاً.

٩٦١ ـ عابدة لُقَيَتْ بعرفة

قال عبد الله بن داود الواسطي: بينا أنا واقف بعرفات إذ أنا بامرأة وهي تقول: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فما له من هادٍ. فقلت: امرأة ضالة. فنزلت عن بعيري وقلت لها: يا هذه ما قصتك؟ فقالت: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] فقلت في نفسي: حرورية لا ترى كلامنا! فقلت لها: من أين أنت؟ فقرأت ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]. فأركبتها بعيري، وقفلت بها أريد رحال المقدسيين، فلما توسطت قلت لها: يا هذه لمن أُصَوِّت؟ فقرأت ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] فناديت: يا زكريا، يا يحيى، يا داود. فخرج إليّ ثلاثة فتيان من بين الرجال فقالوا: أمنا وربِّ الكعبة ضلَّت منذ ثلاث، وأنزلوها، وأكرموني. فقلت لهم: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: ما تكلمت منذ ثلاثين سنة مخافة أن تزل.

قلت: هذه امرأة صالحة المقصد إلا أنها لقلة علمها لم تدرِ أن هذا الفعل منهي عنه، لأنها استعملت القرآن فيما لم يوضع له. قال ابن عقيل: لا يجوز أن يُجعل القرآنُ بدلاً من الكلام لأنه استعمال له في غير ما وضع له، كما لو أراد استعمال المصحف في الوزن به أو توسُّده. قال: ويكره الصمت إلى الليل لأن النبي ﷺ نهى عن صمت يوم إلى الليل.

ذِكْرُ المصطَفَين من عبَّادٍ لُقُوا في الطواف

٩٦٢ ـ عابد

قاسم بن عثمان يقول: رأيت في الطواف رجلاً لا يزيد على قوله: إلهي قضيت حوائج المحتاجين، وحاجتي لم تُقضَ! فقلت له: ما لك لا تزيد على هذا الكلام؟ فقال: أحدِّثك: كنا سبعة أنفس من بلدان شتى، ترافقنا وغزونا أرض العدو، فاستؤسرنا كلنا، فاعتُزِل بنا بطريقٍ إلى موضع لتُضرَبَ رقابنا، فنظرت إلى السماء فإذا سبعة أبواب مفتوحة في السماء، عليها سبع جوار من الحور العِين، على كل باب جارية، فقُدِّم رجل منا فضُربت عنقه، فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت إلى الأرض، حتى ضُربت أعناق الستة، وبقيت أنا وبقي باب واحد، فلما قدمت لتضرب رقبتي استوهبني بعضُ رجاله فوهبني له، فسمعتها وهي تقول: أي شيء فاتك يا محروم؟ وأَغلقت الباب. فأنا يا أخي متحسر على ما فاتني. قال قاسم الجوعي: أراه أفضلهم، لأنه رأى ما لم يَرَوا وتُرِك يعمل على الشوق.

٩٦٣ ـ عابد آخر

قال عمار بن عثمان: سمعت هدّاباً يقول: رأيت رجلاً يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول في بكائه:

تمنّ على ذي العرش ما شئت إنه غني كريم لا يخيِّب سائلا

قال: ثم شهق شهقة حتى ظننت أن نفسه ستخرج. قال: فقلت له: ما شأنك رحمك الله؟ قال: أعظم الشأن شأني، إني نُدبت إلى أمر فقصّرت عنه. قال: ثم غشي عليه.

٩٦٤ ـ عابد آخر

عن محمد بن صالح قال: بينا أنا في الطواف إذ نظرت إلى أعرابي بدوي متعلق بأستار الكعبة، وقد شخَص بصره نحو السماء، وهو يقول: يا خير من وفد الأنام إليه. ذهبت أيامي، وضعفت قوتي، وقد وردتُ إلى بيتك المعظم المكرم بذنوب كثيرة لا تسعها الأرض ولا تغسلها البحار، مستجيراً بعفوك منها، وحططت رَحلي بفنائك، وأنفقت مالي في رضاك، فماذا الذي يكون من جزائك يا مولاي؟ ثم أقبل على الناس بوجهه فقال: يا معشر الناس ادعوا لمن وكزته الخطايا وغمرته البلايا.

ارحموا أسيرَ ضُرٍّ وغريبَ فاقة، سألتكم بالذي عمتكم الرغبة إليه: إلا سألتم الله تعالى أن يهب لي جرمي ويغفر لي ذنوبي. ثم عاود فتعلق بأستار الكعبة وقال: إلهي وسيدي: عظيم الذنب مكروب، وعن صالح الأعمال مردود، وقد أصبحتُ ذا فاقة إلى رحمتك يا مولاي؟ قال محمد بن صالح: ثم رأيته بعرفات وقد وضع يساره على أم رأسه يصرخ ويبكي ويشهق ويقول: إلهي وسيدي ومولاي أضحكت الأرض بالزهر، وأمطرت السماء بالرحمة، والذي أعطيت الموحدين؛ إن نفسي لواثقة لي ولهم منك بالرضا، وكيف لا يكون كذلك، وأنت حبيب من تحبّب إليك؟ وقرة عين من لاذ بك وانقطع إليك؟ يا مولاي حقاً حقاً أقول: لقد أمرت بمكارم الأخلاق فاجعل وفودي إليك عتق رقبتي من النار.

٩٦٥ ـ عابد آخر

قال إبراهيم الخواص: رأيت شاباً في الطواف متزراً بعباءة، متشحاً بأخرى كثير الطواف والصلاة، فوقع في قلبي محبته ففُتح علي بأربعمائة درهم، فجئت بها إليه وهو جالس خلف المقام فوضعتها على طرف عبائه وقلت له: يا أخي اصرف هذه القُطَيعات في بعض حوائجك. فقام وبدّدها في الحصا وقال: يا إبراهيم اشتريت هذه الجلسة من الله تعالى بسبعين ألف دينار عينٍ تريد أن تخدعني عن الله عز وجل بهذا الوسخ؟ قال إبراهيم: فما رأيت أعز منه وهو ينظر، وأذل مني وأنا أجمعها من بين الحصى. ثم قام وذهب.

٩٦٦ ـ عابد آخر

قال أبو عبد الله بن طاهر: رأيت في الطواف شيخاً أعجمياً والناس يتضرَّعون ويدعون وهو

ساكت. فقلت له: ألا تدعو؟ فمد يده ورفع بها شيبته قال: يا خداه[1]: شيخٌ! ولم يزد على ذلك.

ومن عقلاء المجانين الذين لُقُوا في الطواف

٩٦٧ ـ ولهان المجنون

قال أبو عبد الله المغربي: كنت في الطواف فرأيت ولهان المجنون وهو يقول: حبك قتلني، وشوقك أيقظني، والاتصال بك أسقمني، فعُدِمتُ قلباً يحب غيرك، وثُكِلتُ خواطرَ أَنِسَتْ بسواك.

ذِكْرُ المصطَفَيات من عابدات رُئِينَ في الطواف

٩٦٨ ـ عابدة

قال مالك بن دينار: بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجُوَيرِيَة متعبِّدة، فإذا هي تقول: يا رب كم شهوة قد ذهبت لذتها وبقيت تبعتها! يا رب ما كان لك عقوبة ولا أدب إلا النار؟! قال: فوالله ما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر. قال مالك: فوضعت يدي على رأسي، ثم صرخت، وجعلت أقول: ثكلت مالكاً أمُّه وعدمته، جويرية منذ الليلة قد بطَّلته.

٩٦٩ ـ عابدة أخرى

عن محمد بن يزيد بن حبيش قال: قال وهيب بن الورد: بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول: يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات، يا رب سبحانك: وعزتك إنك لأرحم الراحمين، يا رب مالك عقوبة إلا النار؟! فقالت صاحبة لها كانت معها: يا أُخَيَّة دخلت بيت ربك اليوم؟ قالت: والله ما أرى هاتين القدمين ـ وأشارت إلى قدميها ـ أهلاً للطواف حول بيت ربي، فكيف أراهما أهلاً أطأُ بهما بيت ربي؟ وقد علمتُ حيث مشَتا وإلى أين مشَتا؟

٩٧٠ ـ عابدة أخرى

عن الحسن قال: رأيت بدوية دخلت الطواف فقالت: يا حسَنَ الصحبة: جئتك من بعيد، أقبلت أسألك سترك الذي لا تخرقه الرماح ولا تُزيله الرياح.

٩٧١ ـ عابدة أخرى

عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: دخل قوم حُجَّاج ومعهم امرأة تقول: أين بيت ربي؟ فيقولون: الساعةَ ترينَه. فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك أما ترينه؟ فخرجت تشتدّ وتقول: بيت ربي! بيت ربي! حتى وضعت جبهتها على البيت، فوالله ما رُفعت إلا ميتة.

٩٧٢ ـ عابدة أخرى

قال إبراهيم بن مسلم المخزومي: وقفت امرأة متعبدة في جوف الليل فتعلقت بأستار الكعبة، ثم

---

(١) خداه: «الله» بالفارسية.

بكت وقالت: يا كريم الصحبة، ويا حسن المعونة، أتيتك من شقة بعيدة متعرضة لمعروفك الذي وسع خلقك، فأنلني من معروفك معروفاً تغنيني به عن معروف من سواك، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة. قال: ثم صرخت صرخة سقطت لوجهها، فحملت مغشياً عليها.

٩٧٣ ـ عابدة أخرى

عن سعيد الأزرق الباهلي أنه قال: دخلت الطواف ليلاً، فبينا أنا أطوف وإذا بامرأة في الحجر ملتزمة للبيت قد علا نشيجها، فدنوت منها وهي تقول: يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الأوهام والظنون، ولا تغيره الحوادث، ولا يصفه الواصفون، يا عالماً بمثاقيل الجبال ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل، وأشرق عليه النهار، لا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره: أسألك أن تجعل خير عمري آخرَه، وخيرَ عملي خواتِمَه، وخير أيامي يوم ألقاك، وخير ساعاتي مفارقة الأحياء من دار الفناء إلى دار البقاء التي تكرم فيها من أحببت من أوليائك، وتهين فيها من أبغضت من أعدائك، أسألك إلهي عافيةً جامعةً لخير الدنيا والآخرة مَنّاً منك عليّ وتطوُّلاً يا ذا الجلال والإكرام. ثم صرخت، وغشي عليها.

٩٧٤ ـ عابدة أخرى

قال محمد بن زيد: سمعت ذا النون يقول: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فبينا أنا في الطواف إذا أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة يبكي ويقول في بكائه: كتمت بلائي من غيرك، وبحت بسري إليك، واشتغلت بك عمن سواك، عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك؟ ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك؟ ثم أقبل على نفسه، فقال: أمهلك فما ارعويت، وستر عليك فما استحييت، وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت، ثم قال: عزيزي ما لي إذا قمت بين يديك ألقيت علي النعاس ومنعتني حلاوة الخدمة؟ لِمَ قُرَّةَ عيني؟ لِمَهْ؟ ثم أنشأ يقول:

روَّعتَ قلبي بالفراق فلم أجد ... شيئاً أمرَّ من الفراق وأوجعا
حسب الفراق بأن يفرّق بيننا ... ولطالما قد كنت منه مفزّعا

قال: فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفياً، فلما أحس بي تجلَّل بخمار كان عليه ثم قال: يا ذا النون غضّ بصرك فإني حرام. فعلمت أنها امرأة! فقلت: والله قد شغلني قولك عن كثير مما كنت فيه. فقالت: ولَم، عافاك الله؟ أما علمت أن لله عباداً لا يشغلهم سواه ولا يميلون إلى ذكر غيره؟

٩٧٥ ـ عابدة أخرى

عن ذي النون المصري قال: كنت في الطواف فسمعت صوتاً حزيناً، وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول:

أنت تدري يا حبيبي ... مَن حبيبي؟ أنت تدري

ونحول الجسم والدمع يبوحان بسِرِّي
يا عزيزي قد كتمت الحب حتى ضاق صدري

قال ذو النون: فشجاني ما سمعت حتى انتحبت وبكيت، ثم قالت: إلهي وسيدي ومولاي، بحبك لي إلا ما غفرت لي. قال: فتعاظمني ذلك وقلت: يا جارية أما يكفيك أن تقولي: بحبي لك، حتى تقولي بحبك لي؟ فقالت: إليك عني يا ذا النون، أما علمت أن لله عز وجل قوماً يحبهم قبل أن يحبوه؟ أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له؟ فقلت: من أين علمت أني ذو النون؟ فقالت: يا بطّال جالت القلوب في ميدان الأسرار فعرفتك! ثم قالت: انظر من خلفك. فأدرت وجهي، فلا أدري: السماءُ اقتلعتها أم الأرض ابتلعتها.

٩٧٦ ـ عابدة أخرى

قال أبو عبد الملك: رأيت امرأة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: اللهم إني أستعديك على نفسي.

٩٧٧ ـ عابدة أخرى

قال أبو الأشهب السائح: بينا أنا في الطواف إذا بجُوَيْرِية قد تعلقت بأستار الكعبة وهي تقول: يا وحشتي بعد الأنس، ويا ذلي بعد العز، ويا فقري بعد الغنى. فقلت لها: ما لك؟ أذَهب لك مال؟ أو أصبت بمصيبة؟ قالت: لا، ولكن كان لي قلب ففقدته! قلت: هذه مصيبتك؟ قالت: وأي مصيبة أعظم من فقد القلوبِ وانقطاعها عن المحبوب؟ فقلت لها: إن حسن صوتك قد عطل على من سمع الكلامَ الطواف؟ فقالت: يا شيخ، البيت بيتك أم بيته؟ قلت: بل بيته. قالت: فالحرم حرمُك أم حرمه؟ فقلت: بل حرمه. قالت: فدعنا نتدلل عليه على قدر ما استزارنا إليه.

ثم قالت: بحبك لي إلا رددت عليّ قلبي. قال: فقلت: من أين تعلمين أنه يحبك؟ فقالت: جيَّش من أجلي الجيوش، وأنفق الأموال وأخرجني من دار الشرك وأدخلني في التوحيد، وعرَّفني نفسه بعد جهلي إياه، فهل هذا إلا لعناية؟ قلت: كيف حبك له؟ قالت: أعظم شيء وأجله، قلت: وتعرفين الحب؟ قالت: فإذا جهلت فأي شيء أعرف؟ إنه الحلو المجتنى ما اقتصر، فإذا أفرط عاد خبلاً[1] قاتلاً، أو فساداً معطلاً، وهو شجرة غرسُها كريهٌ، ومجناها لذيذٌ. ثم ولّت، وأنشأت تقول:

وذي قلقٍ لا يعرف الصبرَ والعزا لهُ مقلةٌ عَبرى أضرَّ بها البُكا
وجسم نحيل من شجى لاعِجِ الهوى فمن ذا يداوي المستهامَ من الضَّنا؟
ولا سيما والحبُّ صعبٌ مَرامه إذا عطفت منه العواطفُ بالفنا

(١) الخَبَل ـ بسكون الباء ـ الفساد. وبفتحها: الجنون ا.هـ. مختار الصحاح (خ ـ ب ـ ل).

٩٧٨ ـ عابدة أخرى

قال الجنيد: حججت على الوحدة فجاورت بمكة، فكنت إذا جنّ الليل دخلت الطواف، فإذا أنا بجارية تطوف وتقول:

أبى الحبُّ أن يخفى وكم قد كتمتُه ... فأصبح عندي قد أناخ وطنَّبا
إذا اشتدَّ شوقي هام قلبي بذكره ... وإن رُمت قرباً من حبيبي تقرّبا
ويبدو، فأفنى ثم أحيا به لَهُ ... ويسعدني حتى ألذَّ وأطربا

قال: فقلت لها: يا جارية أما تتقين الله تعالى؟ في مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام؟ فالتفتتْ إليّ وقالت: يا جنيد:

لولا التُّقى لم ترَني ... أهجُرُ طيبَ الوَسَنِ
إن التُّقى شرَّدني ... كما ترى عن وطني
أفِرُّ من وَجدي به ... فحبُّه هيَّمني

ثم قالت: يا جنيد تطوف بالبيت؟ أم بربِّ البيت[1]؟ فقلت: أطوف بالبيت. فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار! ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة ... إليك وهم أقسى قلوباً من الصخر
وتاهوا فلم يدروا مِن التِّيهِ من هم ... وخلوا محل القرب في باطن الفكر
فلو أخلصوا في الوُدِّ غابت صفاتهم ... وقامت صفات الود للحق بالذِّكر

قال الجنيد: فغشي علي من قولها، فلما أفقت لم أرها.

من المصطَفَين الذين لَقُوا عند المقام

٩٧٩ ـ عابد

قال أيوب بن محمد اليمامي: حدثني أبو عبد الرحمن العجلي: أنه رأى رجلاً قائماً خلف المقام يصلي، فافتتح القرآن فلم يزل يقرأ حتى أتى على آخر القرآن، ونودي النداء الأول فجلس فسلم، ثم قام فركع ركعة، قال: حسبتها وِتْرَهُ، ثم قال وهو يرى أنه لا يسمعه أحد: عند ورود المنهل يغبِط الركبُ الدُّلجة. قال: ثم تنحّى من مكانه فاختلط بالناس.

من المصطَفَين الذين لَقُوا بين مكة والمدينة

٩٨٠ ـ عابد

قال الخلدي: حج عبد الله الأقطع على فرد قدمٍ. قال: فلما بلغتُ بين المسجدين وقع في سري

---

(١) المقصود: هل تراقب الله تعالى في طوافك بالبيت؟ أم تكتفي بامتثال الأمر بالطواف مع ذهول عن مراقبة ربّ البيت ـ سبحانه وتعالى ـ؟.

أنه لم يحج مثلي! فإذا أنا بمُقعَد يحبو فوقفت عليه أعجب منه! فقال لي: ما لك تتعجب من قوي يحمل ضعيفاً.

ذِكْرُ المصطَفَين ممن لُقِيَ في طريق الغزاة

٩٨١ ـ عابد

قال عبد الله بن قيس ـ أبو أمية الغفاري ـ: كنا في غزاة لنا فحضر عدوهم، فصيح في الناس فهم يثوبون إلى مصافِّهم، إذا رجل أمامي، رأس فرسي عند عجز فرسه، وهو يخاطب نفسه ويقول: أي نفسُ ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟ فقلتِ لي: أهلك وعيالك، فأطعتك ورجعت؟ ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟ فقلتِ: أهلك وعيالك فأطعتك ورجَعت؟ والله لأعرضنك اليوم على الله، أخذك أو تركك. فقلت: لأرمقنه اليوم، فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في أوائلهم، ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في حُماتهم، ثم إن الناس حملوا فكان في أوائلهم، ثم حمل العدو وانكشف الناس فكان في حماتهم. قال: فوالله ما زال ذلك دأبه حتى رأيته صريعاً، فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة.

٩٨٢ ـ عابد آخر

عن شقيق قال: خرجنا في غزاة لنا في ليلة مُخْوِفة، فإذا رجل نائم فأيقظناه، فقلنا: تنام في مثل هذا المكان؟ فرفع رأسه فقال: إني لأستحيي من ذي العرش أن يعلم أني أخاف شيئاً دونه! ثم ضرب برأسه فنام.

٩٨٣ ـ عابد آخر

قال أبو غالب: صَحِبَنا شيخٌ في بعض المغازي، فكان يحيي الليل حيث كان على ظهر دابته أو على الأرض، وكان إذا نظر إلى الفجر قد لمع ضوؤه نادى: يا إخوتاه عند بلوغ الماء يفرح الواردون بتعجيل الرَّواح، هنالك تنقطع كل همّة.

٩٨٤ ـ عابد آخر اسمه سعيد

قال عباس بن يوسف: قال ميسرة الخادم: غزونا في بعض الغزوات فصادفنا العدو، فإذا بفتى إلى جانبي مقنع في الحديد، فحمل على الميمنة حتى ثَنَاها، وحمل على الميسرة حتى ثَنَاها، وحمل على القلب حتى ثناه، ثم أنشأ يقول:

أحسِنْ بمولاك سعيدُ ظنّا ... هذا الذي كنت له تمنّى
تنحَّ يا حورَ الجِنان عنّا ... ما لكَ قاتَلْنا ولا قُتِلْنا
لكن إلى سيدنا اشتقنا ... قد علم السرَّ وما أعلنَّا

قال: فحمل، فقاتل، فقتل منهم عدداً، ثم رجع إلى مصافّه فتكالب عليه العدو، فإذا به قد حمل على الناس وأنشأ يقول:

قد كنت أرجو ـ ورجائي لم يخب ـ أن لا يضيع اليوم كدّي والتعب
يا من مَلا تلك القصورَ باللعب لولاك ما طابت ولا طاب الطرَب

فحمل فقتل منهم عدداً، ثم رجع إلى مصافّه فتكالب عليه العدو، فحمل الثالثة وأنشأ يقول:

يا لعبةَ الخُلد قفي ثم اسمعي ما لكِ قاتلنا فكفّي واربَعي
ثم ارجعي إلى الجنان فأسرعي لا تطمعي، لا تطمعي، لا تطمعي

قال: فحمل فقاتل حتى قتل.

ذِكْرُ المصطَفَين من عُبَّاد لُقُوا في طريق سفر وطريق سياحة

٩٨٥ ـ عابد

عن ابن جابر: أن أبا عبد رب كان أكثر أهل دمشق مالاً، فخرج إلى أذربيجان في تجارة، فأمسى إلى جانب مرعى ونهر فنزل به، قال أبو عبد رب: فسمعت صوتاً يكثر حمد الله في ناحية، فاتبعته فرأيت رجلاً في حفير من الأرض ملفوفاً في حصير، فسلمت عليه وقلت: من أنت يا عبد الله؟ قال: رجل من المسلمين. قلت: وما حالك هذه؟ قال: حال نعمة يجب عليّ حمدُ الله عز وجل فيها. قال: فقلت: وكيف؟ وإنما أنت في حصير؟ قال: وما لي لا أحمد الله أن خلقني فأحسن خلقي، وجعل مولدي ومنشئي في الإسلام، وألبسني العافية في أركاني، وستر علي ما أكره نشره؟ فمن أعظم نعمة ممن أمسى في مثل ما أنا فيه؟ قلت: رحمك الله، إن رأيت أن تقوم معي إلى المنزل، فإنا نُزولٌ على النهر ها هنا. قال: ولِمَهْ؟ قال: قلت: لتصيب من الطعام، ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير. قال: فأبى. قال الوليد: فحسبت أنه قال: إن لي في أكل العشب كفاية.

قال أبو عبد رب: فأردته أن يتبعني فأبى وقال: ما لي به من حاجة. فانصرفت وقد تقاصرت إلي نفسي، فذكر أنه رجع من تجارته وتصدق بماله.

٩٨٦ ـ عابد آخر

قال ذو النون: رأيت رجلاً في البرية يمشي حافياً وهو يقول: المحب مجروح الفؤاد لا راحة له. فسلمت عليه فقال: وعليك السلام يا ذا النون. فقلت: عرفتني قبل هذا؟ قال: لا. قلت: فمن أين لك هذه الفراسة؟ فقال: ممن يملكها، ليست مني، هو الذي نوّر قلبي بالفراسة حتى عرفني إياك من غير معرفة سبقت لي، يا ذا النون قلبي عليل وجسمي مشغول، وأنا سائح في البرية أسير فيها منذ عشرين سنة ما أعرف بيتاً، ولا يكنني سقف يسترني من الشمس إذا كظَّت، ويحفظني من الرياح إذا هبت، فصفْ لي بعض ما أنا فيه إن كنت وصّافاً؟ فقلت: القلب إذا كان عليلاً جالت الأحزان والأسقام فيه، ليس للقلب مع ذلك دواء. فصرخ صرخة ثم قال: ما لي وللشكوى؟ ثم قال: ما صحبت صاحباً منذ صحبته! أصحبك اليوم. فقلت: قم بنا. فقمنا جميعاً نسير بلا زاد، فلما أوغلنا في البرية وطوينا ثلاثاً قال لي: قد جعتَ؟ قلتُ: نعم. قال: فأقسمْ عليه حتى يطعمك. قلت: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا سألته شيئاً، إن شاء أطعم وإن شاء ترك! فتبسم وقال: إمضِ الآن.

فلقد أفيض علينا من أطايب الأطعمة ولذيذ الأشربة حتى دخلنا مكة سالمين. ثم فارقني وفارقته. فكان ذو النون كلما ذكره بكى وتأسف على صحبته.

٩٨٧ ـ عابد آخر

قال ذو النون: بينا أنا سائر في بعض الطرق فإذا فتى حسن الوجه، أثر التهجد بين عينيه.

فقلت: حبيبي من أين قدمت؟ فقال: من عنده. فقلت: وإلى أين؟ فقال: إلى عنده. قال: فعرضت عليه النفقة، فنظر إلي مغضباً! ثم ولّى وأنشأ يقول:

وكـــافــــر بـــالله أمـــوالُـــه ... تـــزداد أضـــعـــافـــاً عـــلـــى كـــفـــره
ومـــؤمـــنٌ لـــيـــس لـــه درهـــمٌ ... يـــزداد إيـــمـــانـــاً عـــلـــى فـــقـــره
لا خـيـر فـيـمـن لـم يـكـن عـاقـلاً ... يـمـد رجـلـيـه عـلـى قـدْرِه

٩٨٨ ـ عابد آخر

عن طاهر المقدسي قال: خرجت من عسقلان أريد غزة في طلب البُدَلاء، فإذا أنا بفتىً عليه أطمار رَثّة ماراً على ساحل البحر. قال: فكأني لم أعبأ به. فالتفت إلي فقال:

لا [تَـنْـأَ][1] عـنـي بـأن تـرى خِـلَـقـي ... فـإنـمـا الـدرُّ داخـل الـصـدف
عـلـمـي جـديـد ومـلـبـسـي خَـلِـق ... ومـنـتـهـى الـلـبـس مـنـتـهـى الـصـلـف

٩٨٩ ـ عابد آخر

قال محمد بن الحسين الآجري: حدثني بعض أصحابنا عن أبي الفضل الشكلي قال: رأيت شاباً في بعض الطريق، وعليه خِلَق فكأني لم أحفَل به، فالتفت إلي ثم قال:

لا [تَـنْـأَ] عـنـي بـأن تـرى خِـلَـقـي ... فـإنـمـا الـدرّ داخـل الـصَّـدَف
عـلـمـي جـديـد ومَـلْـبَـسـي خَـلِـق ... ومـنـتـهـى الـلـبـس مـنـتـهـى الـصـلـف

قال: فجعلت ألوذ به وأنست به.

٩٩٠ ـ عابد آخر

بلغنا عن محمد بن رافع قال: أقبلت من بعض بلاد الشام، فبينا أنا في بعض الطريق رأيت فتى عليه جبّة من صوف، وبيده ركوة، فقلت: أين تريد؟ فقال: لا أدري. قلت: فمن أين جئت؟ قال: لا أدري. فظننته موَسوَساً فقلت: من خلقك؟ فاصفرَّ حتى خلته صبغ بالزعفران، ثم قال: خلقني من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. فقلت: رحمك الله أنا من إخوانك وممن يأنس إلى أمثالك فلا تنقبض مني! فقال: كيف لا؟ إني والله أود لو جاز لي تركُ الجماعات حتى أنفرد في شاهق منيف صعب المرتقى، أو في غار موحش لعلي أجد قلبي ساعةً يسلو عن الدنيا وأهلها؟ فقلت: وما

(١) في المطبوع «لا تنب» والتصحيح من الحلية (٤/ ٤٢٥).

جَنت عليك الدنيا حتى استحقّت هذا البغض منك؟ فقال: جناياتها العمى عن جناياتها. فقلت: هل من دواء أتعالج به من هذا العمى الذي قد حجب عني ما يراد بي؟ قال: ما أراك تقدر على العلاج فاستعمل من الدواء أيسره. قلت: صف لي دواء لطيفاً. قال: فما داؤك؟ قلت: حب الدنيا. فتبسم وقال: أي قرحة أعظم من هذه؟ ولكن اشرب السموم الطرية والمكاره الصعبة. قلت: ثم ماذا؟ قال: مُرُّ الصبر الذي لا جزع فيه، والتعب الذي لا راحة فيه. قلت: ثم ماذا؟ قال: الوحشة التي لا أُنس فيها، والفُرقة التي لا اجتماع معها. قلت: ثم ماذا؟ قال: السلو عما تريد، والصبر عما تحب، فإن أردت فاستعمل هذا، وإلا فتأخر واحذر الفتن كأنها قطع الليل المظلم! قلت: فدلني على عمل يقرب إلى الله عز وجل؟ فقال: يا أخي قد نظرت في جميع العبادات فلم أر أنفع من الفرار من الناس وترك مخالطتهم، يا أخي رأيت القلوب عشرة أجزاء، فتسعة مع الناس وجزء مع الدنيا، فمن قوي على الانفراد حاز تسعة أجزاء من القلب. ثم غاب عني فلم أره.

ذِكْرُ المصطَفَيات من عابدات لُقينَ في طريق السياحة

٩٩١ ـ عابدة

قال ذو النون المصري: بينا أنا سائر في البادية إذ رأيت امرأة متعبِّدة، فلما أن دنت مني سلمت علي، فرددت عليها السلام، فقالت: من أين أقبلت؟ فقلت: من عند حكيم لا يوجد مثله! فصاحت وقالت: ويحك كيف فارقته وهو أنيس الغرباء؟ فأوجع قلبي كلامُها فبكيت، فقالت لي: مم بكاؤك؟ قلت: وقع الدواء على الداء، فأسرع في نجاحه. قالت: فإن كنت صادقاً فلم بكيت؟ قلت: والصادق لا يبكي؟ قالت: لا، لأن البكاء راحة القلب وهذا نقص عند ذوي العقول يا بطّال! قلت: علميني شيئاً ينفعني الله به؟. قالت: ويحك، ما أفادك الحكيم من الفوائد ما تستغني به عن طلب الزوائد؟ فقلت: إن رأيت أن تعلميني شيئاً فعلت؟ فقالت: اخدم مولاك شوقاً إلى لقائه، فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه، وإنه تعالى سقاهم في الدنيا من محبته كأساً لا يظمئون بعدها أبداً. ثم أقبلت تبكي وتقول: سيدي إلى كم تَدَعْنى في دار لا أجد فيها من يساعدني على بلائي؟ ثم مضت وهي تقول:

إذا كان داءُ العبد حبَّ مليكه ... فَمَنْ دونه يرجو طبيباً مداوياً؟

قلت: وقد رويت لنا هذه الحكاية بألفاظ أخر:

أنبأنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أنبأنا القاضي أبو القاسم عبد الواحد بن محمد البجلي قال: أنبأنا جعفر بن محمد الخلدي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: سمعت ذا النون المصري قال: بينا أنا في بعض مسيري لقيتني امرأة فقالت لي: من أين أقبلت؟ قلت: رجل غريب. فقالت لي: ويحك وهل توجد مع الله أحزان الغربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء؟ فبكيت. فقالت لي: ما يبكيك؟ قلت: وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع في نجاحه! قالت: إن كنت صادقاً فلم بكيت؟ قلت: والصادق لا يبكي؟ قالت: لا. قلت: ولم؟ قالت: إن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلبُ شيئاً أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت

الدمعة استراح القلب، وهذا ضعف عند الأولياء يا بطّال! فبقيت متعجباً من كلامها، فقالت لي: ما لك؟ قلت: تعجباً من هذا الكلام! قالت: وقد أُنسِيْتَ القرحة التي سألت عنها؟ قلت: لا، علميني شيئاً ينفعني الله به. قالت: وما أفاد الحكيم في مقامك هذا من الفوائد ما تستغني به عن طلب الزوائد؟ قلت: لا، ما أنا بمستغنٍ عن طلب الزوائد. قالت: صدقت، أحبب ربك واشتق إليه فإن له يوماً يتجلى فيه على كرسي كرامته لأوليائه وأحبائه فيذيقهم من محبته كأساً لا يظمئون بعدها أبداً. قال: ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول: سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحداً يساعدني على البكاء أيام حياتي، ثم تركتني ومضت.

٩٩٢ ـ عابدة أخرى

قال ذو النون: رأيت امرأة بنحو أرض البجة. قال: فناديتها، فقالت: وما للرجال أن يكلموا النساء؟ لولا ضعف عقلك لرميتك بشيء، فقلت لها: بالله كيف تعرفين الزيادة؟ قالت: بتفقد الأحوال. انصرف. قال: فما ناطقتها بعد ذلك.

٩٩٣ ـ عابدة أخرى

قال ذو النون بن إبراهيم: كنت في تيه بني إسرائيل ومعي صاحب لي، فرأيت امرأة عليها مدرعة من شعر وخمار من صوف، وفي كفها عكاز من حديد فقلت: السلام عليك ورحمة الله. فقالت: وعليك السلام، ما للرجال وخطاب النساء عافاك الله؟ فقلت: أخوك ذو النون المصري. فقالت: مرحباً حياك الله بالسلام. قلت: ما تصنعين ها هنا؟ قالت: كلما أتيت إلى بلدة يُعصى فيها الحبيب ضاق عليَّ ذلك البلد، فأنا أطلب بقعة طاهرة أخر عليها ساجدة أناجيه بقلب ذاب من شدة الشوق إلى لقائه. فقلت: ما سمعت أحداً يذكر الحبيب أحسن من ذكرك، فأي شيء المحبةُ؟ قالت: سبحان الله أنت الحكيم الواعظ وتسألني؟ أول المحبة يبعث على الكد الدائم، حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفا جرَّعهم من محبته لذيذ الكؤوس. ثم صرخت وخرت مغشياً عليها، فأفاقت وهي تقول:

أحبك حبَّين حبُّ الرضا ... وحبٌ لأنك أهلٌ لذاكا
فأما الذي هو حب الرضا ... فذِكْرٌ شُغِلت به عن سواكا
وأما الذي أنت أهلٌ له ... فكشفُك للحجب حتى أراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

٩٩٤ ـ عابدة أخرى

قال ذو النون المصري: بينا أنا أسير في جبال أنطاكية فإذا أنا بجارية كأنها مجنونة وعليها جبة من صوف، فسلمت عليها، فردت علي السلام، ثم قالت: ألست ذا النون المصري؟ قلت: عافاك الله كيف عرفتني؟ فقالت: عرفتك بمعرفة حب الحبيب. ثم قالت: أسألك عن مسألة؟ قلت: سلي. فقالت: أي شيء السخاء؟ قلت: البذل والعطاء. قالت: هذا سخاء في الدنيا، فما السخاء في الدين؟ قلت: المسارعة إلى طاعة الله تعالى. قالت: فإذا سارعت إلى طاعة الله فهو أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد

منه شيئاً، ويحك يا ذا النون إني أريد أن أطلب منه شهوة منذ عشرين سنة، فأستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء: إذا عمل طلب الأجر! ولكن أعمل تعظيماً لهيبته وعز جلاله. ومرّت وتركتني.

٩٩٥ ـ عابدة أخرى

قال ذو النون المصري: بينما أنا أسير في تيه بني إسرائيل إذا أنا بجارية سوداء قد استلبها الولَه من حب الرحمن، شاخصة ببصرها نحو السماء. فقلت: السلام عليك يا أختاه. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون. فقلت لها: من أين عرفتني يا جارية؟ فقالت: يا بطّال إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ثم أدارها حول العرش، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فعرفت روحي روحك في ذلك الجَوَلان. قلت: إني لأراك حكيمة، علميني شيئاً مما علمك الله عز وجل؟ فقالت: يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله، ويبقى القلب مصفى ليس فيه غير الرب عز وجل، فبعد ذلك يقيمك لي على الباب، ويوليك ولاية جديدة، ويأمر الخُزَّان لك بالطاعة. فقلت: يا أختاه زيديني؟ فقالت: يا أبا الفيض خذ من نفسك لنفسك، وأطع الله عز وجل إذا خلوت يُجِبْك إذا دعوت.

ذِكْرُ المصطَفَين من عُبَّاد لم يعرفوا باسم ولا مكان

٩٩٦ ـ عابد

عن شقيق قال: كنت في زرع لي إذ أقبلت سحابة ترهياً قال: فسمعت فيها صوتاً: أمطري زرع فلان. قال: فأتيت الرجل فسألته: ما تصنع بزرعك؟ قال: أبذر ثلثه، وآكل ثلثه، وأتصدق بثلثه[1].

٩٩٧ ـ عابد آخر

قال مضر القاري: كان رجل من العبّاد قلما ينام من الليل. قال: فغلبته عينه ذات ليلة فنام عن جزئه، فرأى فيما يرى النائم كأن جارية وقفت عليه، كأن وجهها القمر المستتمُ قال: ومعها رَقٌّ فيه كتاب. فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قلت: نعم. قالت: فاقرأ هذا الكتاب. قال: فأخذته من يدها ففتحته فإذا فيه مكتوب:

ألـهـتـك لـذَّةُ نـومـةٍ عـن خـيـرِ عـيـش   مـع الـخـيـرات فـي غُـرَف الـجـنـان
تـعـيـش مـخـلَّـداً لا مـوت فـيـهـا   وتَـنَـعَّـمُ فـي الـجـنـان مع الـحـسـان

---

(١) ورد في السنة المطهرة عن المصطفى ﷺ قصة تفيد ما أفاده هذا الخبر هنا، فقد روى مسلم (٢٩٨٤) وأحمد (٢/ ٢٩٦)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٤٢ برقم ٣٣٥٤)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «بينا رجلٌ بفلاةٍ من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: اسقِ حديقة فلانٍ، فتنحّى ذلك السَّحابُ فأفرغ ماءه في حرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كلَّه، فتتبّع الماءَ فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقته يحوّل الماءَ بمِسحاته، فقال: عبدَ الله ما اسمك؟ قال: عبدُ الله، لمَ تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعتُ صوتاً يقول: اسقِ حديقة فلان ـ لاسمك ـ فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها: فأتصدّق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأردّ فيها ثلثه».

تَـيَـقـظ مــن مـنـامـك، إنَّ خـيــراً مــن الــنــوم الــتــهــجُّــدُ بــالــقــرآن

قال: فوالله ما ذكرتها قط إلا ذهب عني النوم.

٩٩٨ ـ عابد آخر

عن البختري بن حارثة قال: دخلت على عابد مرة فإذا بين يديه نار قد أجَّجها وهو يعاتب نفسه، فلم يزل يعاتبها حتى مات.

٩٩٩ ـ عابد آخر

عن رياح القيسي قال: كان عندنا رجل يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة حتى أُقعِدَ من رجليه.

وكان يصلي جالساً ألف ركعة، فإذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة ويقول: عجبت للخليقة كيف أَنِسَتْ بسواك؟ بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبهم بذكر سواك!؟.

١٠٠٠ ـ عابد آخر

عن ميمون بن سياه قال: كنت أنا وخالد الربعي ونفر من أصحابنا نذكر الله، فوقف علينا رجل أسود فقال: هل ذكرتم الموت فيما كنتم فيه؟ قلنا: إنا لنذكره كثيراً وما ذكرناه يومنا هذا. قال: فبكى وقال: لقد أغفلتم ما لا يُغفِلُكم، ونسيتم ما تحصى عليكم الأنفاس لقدومه عليكم! قال: ثم مالَ ليسقط، وسانده رجل من القوم فخرجت نفسه وإنا لننظر إليه. قال: فنظرنا فلم نجد أحداً يعرفه، قال: فغسلناه وحنّطناه وكفنّاه ودفنّاه.

١٠٠١ ـ عابد آخر

قال أسلم بن عبد الملك ـ وكان شيئاً عجيباً ـ: صحب رجل رجلاً شهرين فلم يره نائماً بليل ولا نهار، فقال له: ما لي لا أراك تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أَطْرَنَ نومي، ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت في غيرها!.

١٠٠٢ ـ عابد آخر

قال عبد الله بن داود: حدثني رجل منذ خمسين سنة أو نحو خمسين سنة قال: كان مملوك لامرأة فكان يصلي الليل كله، فقالت له: ليس تدعنا ننام الليل؟ فقال لها: لك النهار ولي الليل، إذا ذكرت النار طار نومي، وإذا ذكرت الجنة طال حزني.

١٠٠٣ ـ عابد آخر

قال شعيب بن حرب: صحبني رجلان في سفينة، فأخذ أحدهما حبة من حنطة فألقاها في فيه، فقال له صاحبه: مَهْ أيَّ شيء صنعت؟ قال: سهوت. قال: لأن تأكلني السباع أحب إلي من أن أصحب رجلاً يسهو عن الله عز وجل!. قال: ثم قال: يا ملاّح قرِّب. قال: فخرج. قال شعيب: فسمعنا زئير الأسد من الغيضة فما ندري ما حال الرجل؟. قال شعيب: فالتفتَ إليَّ صاحبه فقال: إن هذا صاحبي منذ أربعين سنة أو نيِّف وأربعين سنة ما رأى عليَّ زلة قبلها.

١٠٠٤ ـ عابد آخر

عن أيوب الحمّال قال: كان فتى ينتحل التوكل، وكان عزيزاً عند الأخذ من الناس، وكان إذا احتاج إلى قُوته وجده موضوعاً. فقيل له: احذر لا يكون الشيطان يخدعك! فقال: أنا إلى الله تعالى ناظر، ومنه آخذ ما رزقني، فإن كان عدوي قد سُخِّر لي فلا فرّج الله عنه، وأي شيء أحسن مني؟ يخدمني عدوي وأنا أسكن إلى الله عز وجل لا إليه؟.

١٠٠٥ ـ عابد آخر

قال ممشاد الدينوري: رأيت في بعض أسفاري شيخاً توسَّمت فيه الخير، فقلت له: يا سيدي كلمةً تزودني بها؟ قال: همتك فاحفظها، فإن الهمّة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال.

١٠٠٦ ـ عابد آخر

قال حيدرة بن عبيد: دخلنا على رجل من العباد نعوده فقلنا له: كيف تجدك؟ فقال: ذنوب كثيرة ونفس ضعيفة، وحسنات قليلة، وسفرة طويلة، وغاية مُهولة. قال: فقلنا: ما معك من الزاد لما ذكرت؟ قال: معي الأمل في السيد الكريم. ثم قال: اللهم لا تقطع بمُؤَمِّلِكَ في تلك الغمَرات، وارحمْه في تلك الحيرة والحسرات إذا انخلعت القلوب يوم الندامات. وجعل يتشهّد حتى مات.

١٠٠٧ ـ عابد آخر

عن أبي عبد الله الدينوري: أنه كان يوماً جالساً فدخل عليه فقير عليه آثار الضُّر، قال: فطالبتني نفسي أن أجيئه بشيء، فهممت أن أرهن نعلي، فمنعتني نفسي وقالت: كيف تتم لك طهارة مع الحفا؟ فقلت: أرهن ركوتي. فمنعتني أيضاً وقالت: بأي شيء تتوضأ؟ فهممت أن أرهن منديلي فمنعتني وقالت: تبقى مكشوف الرأس؟ فقلت: وما في ذلك؟ وجعلت أراجعها في ذلك، فقام الفقير فشد وسطه وأخذ عصاه بيده، ثم التفت إلي وقال: يا خسيس، احفظ منديلك فإني خارج! فاعتقدت مع الله عز وجل: أني لا آكل الخبز حتى ألقاه. فقيل: إنه أقام ثلاثين سنة لم يأكل الخبز.

ذِكْرُ المصطَفَيات من العابدات اللواتي لم يُعرفنَ باسم ولا مكان

١٠٠٨ ـ عابدة

عن الوليد بن مسلم قال: كانت امرأة من التابعين تقول: اللهم أقبل بما أدبر من قلبي، وافْتَح ما أُقفل منه حتى تجعله هشّاً مرتاحاً لذِكرك.

١٠٠٩ ـ عابدة أخرى

وبالإسناد: حدثنا أبو بكر القرشي قال: حدثنا الحارث بن محمد التيميمي قال: حدثنا علي بن محمد القرشي، عن جويرية بنت أسماء: أن إخوة ثلاثة من بني قطيعة شهدوا يوم تُسْتَر فاستشهدوا. فخرجت أمهم يوماً إلى السوق لبعض شأنها، فتلقَّاها رجل قد حضر أمر تستر فعرفته فسألته عن بنيها؟

فقال: استشهدوا. فقالت: أمقبلين أم مدبرين؟ فقال: مقبلين. فقالت: الحمد لله، نالوا الفوز، وحاطوا الذِّمار، بنفسي هم وأبي وأمي.

١٠١٠ ـ عابدة أخرى

عن القاسم بن معن: أنه أتته امرأة فقالت: أنا امرأة فلان، ما أتيك حتى خفت أن يضيق علي أن لا آتيك. فقال القاسم لبعض أصحابه: بقي من ذلك المال شيء؟ قال: مائتا درهم. قال: ادفعه إليها. فأخذته وانصرفت، وقال له: إذا جاءني شيء فأذكرنيها. قال: فجاءه مال ففرقه فذكرها، وقد بقي منه سبعمائة درهم. فقال: اذهب به إليها وسل عنها أهل المسجد الذي خلف منزلها والمسجد الذي دونه، ففعل فأخبر بعفافٍ عنها، وعن بنات لها. قال: فأتيتها فقلت: رسول القاسم بن معن. فقالت: مرحباً بالقاسم وبرسوله، حاجتك؟ قلت: هذه السبعمائة درهم أرسل بها إليك القاسم. فقالت: أقرئه السلام وقلْ له: قد أخذنا تلك المائتين فنحن نغزل منها ونبيع وقد عشنا بها واستغنينا فلا حاجة لنا في هذه. فأتيت القاسم فأخبرته فقال: ويحك ألا سَيَّبْتَها في باب الدار؟ وقال بيّده هكذا. ثم حول وجهه إلى القبلة وقال: اللهم إن بلوتني بخلَف فاجعله هكذا.

١٠١١ ـ عابدة أخرى

قال أبو جعفر السائح: بلغنا عن امرأة متعبدة كانت تصلي الضحى مائة ركعة كل يوم، وكانت تقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] بالنهار عشرة آلاف مرة، وكانت تصلي بالليل لا تستريح، وكانت تقول لزوجها: قم ويحك إلى متى تنام؟ قم يا غافل قم يا بطّال، إلى متى أنت في غفلتك؟ أقسمت عليك أن لا تكسب معيشتك إلا من حلال، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي! بِرَّ أمك، صِلْ رَحِمَك، لا تقطعهم فيقطع الله بك.

١٠١٢ ـ عابدة أخرى

قال الحسين بن جعفر: سمعت أبي قال: صليت العيد في الجبان ثم تفردت، فإذا أنا بعجوز رافعة يديها وهي تقول: انصرف الناس ولم أُشعِرْ قلبي اليأس يا صاحب الصدقة، ها أنا ذِهِ منصرفة فليت شعري ما زودتني! رب ارحم ضعفي وكبر سني، خرجت أرجوك فلا تخيب ظني بك. وهي تبكي فما انتفعت بنفسي يومي كله.

١٠١٣ ـ عابدة أخرى

[قال] أبو عياش القطان: بلغنا أنه كان ملك كثير المال، وكانت له ابنة لم يكن له ولد غيرها، وكان يحبها حباً شديداً، وكان يلهيها بصنوف اللهو، فمكث كذلك زماناً، وكان إلى جانب الملك عابد، فبينا هو ليلة يقرأ إذ رفع صوته وهو يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] فسمعت الجارية قراءته فقالت لجواريها: كفوا. فلم يكفوا، وجعل العابد يردد الآية والجارية تقول لهم: كفوا. فلم يكفوا. فوضعت يدها في جيبها فشقت ثيابها، فانطلقوا إلى أبيها فأخبروه بالقصة. فأقبل إليها فقال: يا حبيبتي ما حالك منذ الليلة؟ ما يبكيك؟ وضمّها إليه، فقالت:

أسألك بالله يا أبة، لله عز وجل دار فيها نار وقودها الناس والحجارة؟ قال: نعم. قالت: وما يمنعك يا أبة أن تخبرني؟ والله لا أكلت طيباً ولا نمت على لين حتى أعلم أين منزلي في الجنة أو النار؟.

١٠١٤ ـ عابدة أخرى

قال سعيد أبو عثمان ـ ثقة من أهل العلم ـ: نظر رجل إلى امرأة فقال: ما رأيت مثل هذا الحسن وهذه النضارة، وما ذاك إلا من قلة الحزن؟! فقالت: يا عبد الله، والله إني ليذبحني الحزن ما يشركني فيه أحد. قال: وكيف؟ قالت: ذبح زوجي شاة مضحّياً، ولي صبيّان يلعبان، فقال أكبرهما للأصغر: أريك كيف صنع أبي بالشاة؟ فعلقه فذبحه فما شعرنا به إلا متشحّطاً، فلما استعلت الضجة هرب الغلام ناحية الجبل فرهقه ذئب، فأكله، ونحن لا نعلم، واتبعه أبوه يطلبه فمات عطشاً، فأفردني الدهر! قال: فكيف صبرك؟ قالت: لو رأيت في الجزع مَدركاً ما اخترت عليه.

١٠١٥ ـ عابدة أخرى

قال أبو بكر بن عبيد: حدثني عبيد الله بن محمد: أنه سمع امرأة من المتعبدات تقول ـ وبكت ـ: والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً إلى الله وحباً للقائه. قال: قلت لها: أَفَعَلَىٰ ثقةٍ أنت من عملك؟ قالت: لا والله، ولكن لحبي إياه وحسن ظني به، أفتراه يعذبني وأنا أحبه؟

١٠١٦ ـ عابدة أخرى

عن الحسن بن جعفر: أنه سمع أباه يقول: مررت بدار فإذا أنا بعجوز مكفوفة تبكي وتقول: يا حليم تقرب الناس إليك بالأعمال يدعونك بها، فكيف أدعوك بالذنوب ولا عمل أرضاه؟ يا رب هب لي من حلمك ما تكفيني به وتنجيني من عذابك. قال: فوقفت عليها فوعظتها وقلت: هل لك ولد؟ قالت: لا. قلت: من معك في دارك؟ قالت: سبحان الله! معي من أناجيه، فهل علي وحشة معه وهو أنيسي؟ قال: فأبكتني. فقلت لها: ما معاشك؟ قالت: دع عنك ما لا تحتاج إليه، بلغت السن فما أحوجني إليك ولا إلى غيرك، أما تقرأ القرآن: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]. ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فقلت: إيذني لي في زيارتك. فقالت: أعزم عليك إن فعلت أو ذكرت لي اسماً. ثم أجافت الباب.

١٠١٧ ـ عابدة أخرى

عن العباس بن سهم: أن امرأة من الصالحات أتاها نعيُ زوجها وهي تعجن، فرفعت يدها من العجين، وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء[1]!.

---

(١) أي: الورثة.

١٠١٨ ـ عابدة أخرى

وبالإسناد عن ابن روح عن بعض أهل العلم: أن امرأة أتاها نعي زوجها والسراج يقِدُ فأطفأت السراج وقالت: هذا زيت قد صار لنا فيه شريك.

١٠١٩ ـ عابدة أخرى

[عن] عبد الملك بن شبيب: عن رجل من ولد عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: دخلت على امرأة وأنا أقرأ سورة «هود» فقالت لي: يا عبد الرحمن هكذا تقرأ سورة «هود»؟ والله إني فيها منذ ستة أشهر وما فرغت من قراءتها.

١٠٢٠ ـ عابدة أخرى

قال أبو الوليد القاضي: سمعت امرأة تقول: فقدتُك من قلبٍ أصبحتَ قاسياً! ولعظمة الله ناسياً! كيف تقر عيني وقد أخبرني أن قاسي القلب مني بعيد؟

١٠٢١ ـ عابدة أخرى

قال سري السقطي: بلغني أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت: اللهم إن إبليس عبد من عبيدك، ناصيته بيدك، يراني من حيث لا أراه، وأنت تراه من حيث لا يراك، اللهم إنك تقدر على أمره كله، وهو لا يقدر من أمرك على شيء، اللهم إن أرادني بشر فأرده، وإن كادني فكده، أدرأ بك في نحره، وأعوذ بك من شره. ثم بكت حتى ذهبت إحدى عينيها، فقيل لها: اتقي الله لا تذهب الأخرى!. فقالت: إن كانت عيني من عيون أهل الجنة فسيبدلني بها ما هو أحسن منها، وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدهما الله تعالى!.

١٠٢٢ ـ عابدة أخرى

عن بكر بن عبد الله المزني قال: كانت امرأة متعبدة، فكانت إذا أمست قالت: يا نفس: الليلة ليتلك لا ليلة لك غيرها، فاجتهدي. فإذا أصبحت قالت: يا نفس اليوم يومك لا يوم لك غيره فاجتهدي.

ذِكْرُ المصطَفَيات من بُنَيّات صغار تكلّمن بكلام العابدات الكبار

١٠٢٣ ـ صبيّةٌ

[عن] زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدِ أسلم، قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعسُّ المدينة إذ عَيِيَ فاتكأ إلى جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت لها: يا أماه أو ما علمت ما كان من عَزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته يا بنية؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى: أن لا يُشاب اللبن بالماء. فقالت لها: يا بنية قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر! فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء.

١٠٢٤ ـ صبية أخرى

[عن] عفان بن مسلم قال: قال لي حماد بن سلمة: ألح علينا المطر سنة من السنين وفي جواري امرأة من المتعبدات لها بنات أيتام، فوكف السقف عليهم، فسمعتها تقول: يا رفيق ارفق بي.

فسكن المطر فأخذت صرة فيها دنانير وقرعت بابها، فقالت: اللهم اجعله حماد بن سلمة. قلت: أنا حماد بن سلمة، وأخرجت الدنانير وقلت لها: انتفعي بهذه. فإذا صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقها قد خرجت علي وقالت: ألا تسكت يا حماد؟ تعترض بيننا وبين ربنا؟ ثم قالت: يا أماه قد علمنا أنّا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه! ثم ألصقت خدها على التراب وقالت: أما أنا وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتني! ثم قالت: يا حماد رد دنانيرك عافاك الله إلى الموضع الذي أخرجتها منه، فإنا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس العاملين.

١٠٢٥ ـ صبية أخرى

[عن] بشر بن الحارث يقول: أتيت باب المعافى بن عمران فدققت الباب فقيل: من ذا؟ فقلت: بشر الحافي، فقالت له بنية له من داخل: لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك هذا الاسم.

١٠٢٦ ـ صبية أخرى

[عن] عبد الله بن محمد بن وهب قال: كان ليحيى بن معاذ ابنة صغيرة السن جداً، فطلبت من أبيها شيئاً؟ فقال لها: يا بنتي اطلبي ذاك من الله. فقالت: يا أَبَهْ أوما أستحيي من الله أن أتقدم إليه في شيء يؤكل؟

١٠٢٧ - صبية أخرى

قال أبو العباس بن مسروق: كنت باليمن فرأيت صياداً يصطاد السمك على بعض السواحل، وإلى جنبه ابنة له، فكلما اصطاد سمكة فتركها في دوخلة معه ردت الصبية السمكة إلى الماء، فالتفت الرجل فلم ير شيئاً، فقال لابنته: أي شيء عملت بالسمك؟ فقالت: يا أبي أليس سمعتك تروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله عز وجل» فلم أحب أن نأكل شيئاً غفل عن ذكر الله تعالى. فبكى الرجل ورمى الصنارة.

١٠٢٨ - صبية أخرى

بلغنا أن أمير بلدة حاتم الأصم اجتاز على باب حاتم فاستسقى ماء، فلما شرب رمى إليهم شيئاً من المال، فوافقه أصحابه، ففرح أهل الدار سوى بنية صغيرة فإنها بكت، فقيل لها: ما يبكيك؟ قالت: مخلوق نظر إلينا فاستغنينا، فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وتعالى؟

١٠٢٩ - بنيات جماعة

قال خزيمة أبو محمد: قال بنات رجل لأبيهن: يا أبه لا تطعمنا إلا الحلال، فإن الصبر على الجوع أيسر من الصبر على النار. فبلغ ذلك سفيان الثوري، فقال: ما لهن رحمهن الله؟

١٠٣٠ - ذكر المصطَفَين من عُبّاد الجنّ

[عن] سهل بن عبد الله قال: كنت ناحية ديار «عاد» إذ رأيت مدينة من حجر منقور، في وسطها قصر من حجارة، منقورة سقوفه وأبوابه تأويه الجن، فدخلت معتبراً، فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة، فلم أتعجب من عظم خلقه كتعجبي من طراوة جبته، فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: يا سهل إن الأبدان لا تُخلِق الثياب وإنما تُخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحت، وإن هذه الجبة علي منذ سبعمائة سنة بها لقيت عيسى بن مريم ومحمداً ﷺ فآمنت به. فقلت له: من أنت؟ قال: أنا الذي نزلت فيّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١].

[عن] سلمة بن شبيب قال: عزمت على النقُلة إلى مكة فبعت داري، فلما فرغتها وسلمتها وقفت على بابها فقلت: يا أهل الدار جاورناكم فأحسنتم جوارنا جزاكم الله خيراً، وقد بعنا الدار ونحن على النقلة إلى مكة فعليكم السلام ورحمة الله. قال: فأجابني من الدار مجيب فقال: وأنتم جزاكم الله خيراً ما رأينا منكم إلا خيراً، ونحن على النقلة أيضاً، فإن الذي اشترى الدار رافضيٌّ يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

[عن] سري بن إسماعيل يذكر عن يزيد الرقاشي: أن صفوان بن محرز المازني كان إذا قام إلى تهجده من الليل قام معه سكان داره من الجن، فصلوا بصلاته واستمعوا لقراءته. قال السري فقلت ليزيد: وأنى عَلِم؟ قال: كان إذا قام سمع لهم ضجة فاستوحش لذلك فنودي: لا تُرَعْ أبا عبد الله، فإنما نحن إخوانك نقوم للتهجد كما تقوم، فنصلي بصلاتك. قال: فكأنه أنس بعد ذلك إلى حركتهم.

[عن] يحيى بن عبد الرحمن العصري قال: حدثتني امرأة خليد عن خليد قال: كنت قائماً أصلي فقرأت هذه الآية ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فرددتها مراراً، فناداني منادٍ من ناحية البيت: كم تردد هذه الآية؟ فلقد قتلت بها أربعة نفر من الجن لم يرفعوا رؤوسهم إلى السماء حتى ماتوا من تردادك هذه الآية! قالت: فوله خليد بعد ذلك ولهاً شديداً، وأنكرناه حتى كأنه ليس الذي كان.

[عن] مهدي بن ميمون قال: كان واصل مولى أبي عيينة جاراً لي، وكان يسكن في غرفة، فكنت أسمع قراءته من الليل، وكان لا ينام من الليل إلا يسيراً، قال: فغاب غيبة إلى مكة، وكنت أسمع القراءة من غرفته على نحو من صوته كأني لا أنكر من الصوت شيئاً. قال: وباب الغرفة مغلق، فلم يلبث أن قدم من سفره فذكرت له ذلك! فقال: وما أنكرت من ذلك؟ هؤلاء سكان الدار يصلون بصلاتنا ويسمعون لقراءتنا. قال: قلت: أفتراهم؟ قال لا، ولكني أحس بهم وأسمع تأمينهم عند الدعاء، وربما غلب علي النوم فيوقظوني.

قال القرشي: وحدثني خلف قال: كان فتى من أهل الكوفة متعبداً يقال له عرفجة، وكان يحيي الليل صلاة. قال: فاستزاره بعض إخوانه ذات ليلة فاستأذن أمه في زيارته فأذنت له، قالت العجوز: فلما كان الليل إذا أنا في منامي برجال قد وقفوا علي فقالوا: يا أم عرفجة! لم أذنت لإمامنا الليلة؟.

قال أبو عمران التمار: غدوت يوماً قبل الفجر إلى مسجد الحسن الحفري، فإذا باب المسجد مغلق، وإذا الحسن جالس يدعو، وإذا ضجة في المسجد وجماعة يؤمِّنون على دعائه، فجلست على باب المسجد حتى فرغ من دعائه، ثم قام فأذّن وفتح باب المسجد، فدخلت فلم أجد في المسجد أحداً، فلما أصبح وتفرق من عنده قلت له: يا أبا سعيد إني والله رأيت عجباً! قال: وما رأيت؟ فأخبرته بالذي رأيت وسمعت. فقال: أولئك جن من أهل نصيبين يجيئون يشهدون معي ختم القرآن كل ليلة جمعة، ثم ينصرفون.

[عن] محمد بن عبد العزيز بن سلمان العابد قال: كان أبي إذا قام من الليل يتهجد سمعت في الدار جلبة شديدة واستسقاء للماء كثيراً. قال: فنرى أن الجن كانوا يتيقظون لتهجده فيصلون معه.

[عن] سري السقطي قال: بدوت يوماً من الأيام وأنا حدَث فطاب وقتي وجنَّ علي الليل، وأنا بفناء جبل لا أنيس به، فناداني منادٍ من جوف الجبل: لا تدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوس من مخافة فوت المحبوب. قال: فتعجبت وقلت: جني يناديني أم إنسي؟ قال: بل جني مؤمن بالله عز وجل ومعي إخواني. قال: قلت: فهل عندهم ما عندك؟ قال: نعم، وزيادة. قال: فناداني الثاني منهم: لا تذهب من البدن الفترة إلا بدوام الغربة. قال: فقلت في نفسي: ما أبلغ كلامهم. فناداني الثالث منهم: من أنس به في الظلام لا يبقى له اهتمام. قال: فصُعِقت، فما أفقت إلا برائحة الطيب، فإذا أترجة على صدري فشممتها فأفقت، فقلت: وصية يرحمكم الله جميعاً؟ فقالوا جميعاً: أبى الله أن تحيا به إلا قلوب المتقين، فمن طمع في غير ذلك فقد طمع في غير مطمع، ومن تبع طبيباً مريضاً دامت علته. وودَّعوني ومضوا، وقد أتى عليَّ حينٌ ولا أزال أرى بركة كلامهم موجودة في خاطري.

وبلغني عن أبي الفتح محمد بن محمد الخزيمي قال: قال أبو علي الدقاق: كنت بنيسابور مقيماً للوعظ فظهر بي رمد، فاشتقت إلى أولادي فرأيت ليلة من الليالي في المنام كأن شخصاً دخل علي فقال: أيها الشيخ ما يمكنك الرجوع بهذه السرعة، فإن جماعة من شباب الجن يحضرون مجلسك ويستمعون منك، وهم بعد في بدو الإرادة، فما لم ينتهوا إلى إرادتهم لا يمكنك أن تفارقهم؟ فلعل الله عز وجل أن يحييهم. فأصبحت وكأنه ما بعيني رمد.

١٠٣١ ـ ومن متعبِّدات الجنّ

[عن] صالح بن عبد الكريم قال: كنت أحب أن ألقى شيئاً من الجن فأكلمه، فرأيت امرأة فتعلقت بها فقلت: عظيني. قالت: اكتب: تقول غزالة: اشتغل بأولى الأمور بك، ولا تغفل عن ساعة إن فاتتك لم تدركها.

آخر كتاب صفة الصفوة

والحمد لله وحده، وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه. كتبه لنفسه، ثم لمن شاء الله بعده فقيرُ رحمة ربه إبراهيم بن يحيى بن حسن بن طرخان بن تميم العسقلاني الخبيلي، عفا الله عنهم بكرمه، في مدة آخرها يوم الخميس بين الصلاتين بالقاهرة المحروسة بالوراقين، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من سنة سبع وسبعين وستمائة، أحسن الله خاتمتها.

والحمد لله وحده، وسلام على عباده الذين اصطفى

معجم البلدان التي وُزِّعَتْ عليها الطبقاتُ في كتاب «صِفَة الصفوة»

ـ أ ـ

(الأُبُلَّة): بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها ـ وقيل بفتح أوله وثانيه وهي ـ: بلدة على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، قال الأصمعي: جنات الدنيا ثلاث: غُوطة دمشق، ونهر بلخ، ونهر الأبلة[١] ا.هـ.

(أَرَّجان): بفتح أوله وتشديد الراء، وعامة الروم يسمونها «أرغان» وهي مدينة عظيمة كبيرة كثيرة الخير، بينها وبين شيراز ستون فرسخاً، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخاً.

(الإسكندرية): قال أهل السير: بنى الإسكندر ثلاث عشرة مدينة، وسمّاها كلّها باسمه، ثم تغيّرت أساميها بعده، وصار لكل واحدة منها اسمٌ جديد، والمقصود هنا: الإسكندرية العظمى التي ببلاد مصر، فتحت سنة عشرين من الهجرة في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على يد عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ بعد قتال وممانعة[٢] ا.هـ.

(أصفهان ـ أصبهان): منهم من يفتح الهمزة ـ وهم الأكثر ـ وكسرها آخرون، وهي: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها. وكانت مدينة أصبهان بالموضع المعروف بـ«جَيّ» وهو الآن يُعرف بـ «شهرستان» وبـ«المدينة»، وسمّيت «اليهودية» لأن «بختنصّر» أسكن يهود بيت المقدس بها، فمدينة أصبهان اليوم هي «اليهودية». وفتحت في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ بعد فتح «نهاوند» سنة (١٩هـ)، وذلك في سنة (٢٣ ـ ٢٤) في خلافة عمر[٣] ا.هـ.

(أَيْلة): مدينة على ساحل بحر القُلْزم (الأبيض المتوسط) مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. وهي مدينة «العقبة» الأردنية اليوم، وأيْلة اسم جبل بين مكة والمدينة[٤] ا.هـ.

ـ ب ـ

(البَحْرَين): كان اسماً لسواحل نجد بين (قطر والكويت) وكانت «هجر» قصبته، وهي «الهفوف» اليوم، وقد تُسمّى «الحسا»، ثم أُطلق على هذا الإقليم «الأحساء» حتى نهاية العهد العثماني، وانتقل اسم «البحرين» إلى جزيرة كبيرة تواجه هذا الساحل من الشرق كانت تسمَّى «أُوال»، وهي «إمارة

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٧٦ ـ ٧٨/ مادة أ ـ ب ـ ل).

(٢) المصدر نفسه (١/ ١٨٢ ـ ١٨٣ و١٨٨).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٠٦ ـ ٢١٠).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣)، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة ـ د. شُرّاب (٤٠).

البحرين» اليوم، وجُلُّ ما يُحدَّد بالبحرين في كتب السيرة: هو من شرق المملكة العربية السعودية[١] ا.هـ.

(بُخَارى): أعظم مدن ما وراء النهر وأجلُّها، بينها وبين «مرو» اثنتا عشرة مرحلة، فتحت في عهد معاوية ـ رحمه الله ـ سنة (٥٣هـ)[٢] ا.هـ.

(البَرْقَة): بَرْقَة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، اسم مدينتها «انطابلس» افتتحها عمرو بن العاص صلحاً. وهناك «برقة» وهي من قرى «قُم» من نواحي الجبل. وهناك «برقة حَوْز» محلّة أو قرية مقابل مدينة واسط[٣] ا.هـ.

(بِسْطام): بلدة كبيرة بـ«قوس» على جادة الطريق إلى «نيسابور» بعد «دامغان» بمرحلتين، فتحت صلحاً سنة (١٨ أو ١٩هـ) في خلافة عمر ـ رضي الله ـ، فتحها نُعَيم بن مُقَرّن[٤] ا.هـ.

(البَصْرَة): هما بَصرتان، العظمى بالعراق، وأخرى بالمغرب، مُصِّرت «بَصرةُ» العراق في عهد الفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ سنة (١٤هـ) قبل الكوفة بستة أشهر[٥] ا.هـ.

وأما «بَصْرَةُ» المغرب فهي مدينة في أقصاه قرب «السوس» وقد خربت، وكانت تعرف بـ«الحمراء» و«بصرة الكتّان»[٦] ا.هـ.

(بَغْداد): بنيت في أواخر أيام التابعين، بناها ثاني خلفاء بني العباس: أبو جعفر المنصور المتوفي سنة (١٥٨هـ). قال عنها ياقوت: أم الدنيا، وسيدةُ البلاد، وسمّاها المنصور «مدينة السلام» ويسمّى ما بناه المنصور منها «الزوراء»[٧] ا.هـ.

(بَلْخ): مدينة مشهورة بخراسان، قيل: كانت تسمّى «الإسكندرية» قديماً، وهي إحدى المدن التي بناها الإسكندر ـ كما تقدم في ترجمة الإسكندرية ـ. وبينها وبين «تِرْمِذ» اثنا عشر فرسخاً، ويقال لجيحون: نهر بَلْخ؛ بينهما نحو عشرة فراسخ، افتتحها الأحنف بن قيس من قبل عبد الله بن عامر بن كريز في أيام عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ[٨] ا.هـ.

(بَيْرُوْت): مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام، تُعدُّ من أعمال «دمشق»، بينها وبين «صيداء»

---

(١) المعالم الأثيرة (٤٤)، ومعجم البلدان (١/ ٣٤٦).
(٢) معجم البلدان (١/ ٣٥٣).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٤٢١ ـ ٤٢٢).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٤٣٠ ـ ٤٤٠).
(٦) المصدر نفسه (١/ ٤٤٠ ـ ٤٤١).
(٧) نفسه (١/ ٤٥٦ ـ ٤٦٧)، الأمصار ذوات الآثار للذهبي (١٧١) تحقيق قاسم علي سعد، طبع دار البشائر الإسلامية، وانظر تاريخ بغداد (١/ ٦٦).
(٨) معجم البلدان (١/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠).

ثلاثة فراسخ، ولم تزل «بيروت» في أيدي المسلمين على أحسن حال حتى نزل عليها «بغدوين» الأفرنجي ـ الذي ملك القدس ـ في جمعه، وحاصرها حتى احتلّها عنوة في يوم الجمعة ١١ شوال سنة ٥٠٣هـ. واستنقذها صلاح الدين منهم سنة ٥٨٣هـ، ثم أعادوا احتلالها[١] ا.هـ.

ـ ت ـ

(تَرْمِذ): تَرْمِذ: اختلفوا في ضبطها؛ (بتثليث حركة التاء وتثليث حركة الميم مع تسكين الراء) والمتداول على لسان أهلها: فتح التاء وكسر الميم، وهي مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر «جيحون» من جانبه الشرقي[٢] ا.هـ.

(تُسْتَر): بضم التاء الأولى وفتح الثانية، وسكون السين: مدينة من أعظم مدن «خُوْزُسْتَان» تتبع أعمال مدينة «سوق الأهواز» التي غلب عليها اسم «الأهواز»، فُتحت في عهد الفاروق، بقيادة أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنهما ـ[٣] ا.هـ.

ـ ج ـ

(جَبَلَة): هو اسم مواضع منها: جَبَلَة: هضبة حمراء بنجد، وجبلة: جبل طويل لعُرينة، وعَرَيْنة: حيّ من بُجَيلة حلفاء في بني كلاب، وهو اسم لموضع بالحجاز أيضاً، وجبلة: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال «حلب» قرب «اللاذقية»: لما فرغ عُبادة بن الصامت من «اللاذقية» سنة (١٧هـ) ورد على بلدة تبعد عن «جبلة» فرسخين ففتحها عنوة، ثم خربت، فأنشأ معاوية «جبلة»، وكانت حصناً للروم، جلوا عنه عند فتح المسلمين «حمص» و«جبلة» هذه تُسمّى «جبلة الشام» تمييزاً لها عن غيرها. وجَبَلة أيضاً: حصن في آخر وادي الستارة بتهامة، ووادي الستارة بين وادي بطن «مَرّ» و«عُسفان» عن يسار الذاهب إلى «مكة». وجَبَلة أيضاً: قرية لبني عامر بن عبد القيس بالبحرين[٤] ا.هـ.

(الجزائر): جمع جزيرة: اسم عَلَمٍ لمدينة على ضفة البحر بين «إفريقية» و«المغرب»[٥] ا.هـ.

ـ خ ـ

(خُراسان): هي بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق «أَزَاذْوار» قَصَبة «جوَين» و«بَيْهَق» وآخر حدودها مما يلي الهند «طخارستان» و«غزنة» و«سجستان» و«كرمان» وتشتمل على أمهات من البلاد، منها: «نيسابور» و«هراة» و«مَرْو» و«بلخ» و«طالقان» و«نَسا» و«أبيورد» و«سرخس»، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحاً في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ سنة (٣١هـ) بقيادة عبد الله بن عامر بن كُرَيز[٦] ا.هـ.

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٥٢٥).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٦ ـ ٢٧).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٣٠ ـ ٣١).
(٤) معجم البلدان (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ١٣٢).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٣٥٠).

- د -

(دامغان): بلد كبير بين «الرّي» و«نيسابور» وبينها وبين «بسطام» مرحلتان[١] ا.هـ.

(الدَّيْبُل): مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند، وهي تفضي مياهُ «لَهُور» و«مُوْلتان» فتصَبّ في البحر الملح[٢] ا.هـ.

(الدِّيْنَوَر): مدينة من أعمال الجبل قرب «قَرْميسين»، وبين «الدينور» و«همذان» نيّف وعشرون فرسخاً، ومن «الدينور» إلى «شَهْرَزور» أربع مراحل[٣] ا.هـ.

- ر -

(الرَّقَّة): مدينة مشهورة على «الفرات» بينها وبين «حرّان» ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي، ويقال لها: «الرَّقَّة البيضاء» صالحهم عياض بن غَنْم سنة (١٧هـ).

وكان بالجانب الغربي للفرات مدينةٌ تسمّى «رقّة واسط».

وهناك «الرَّقَّة السوداء» وهي قرية كبيرة، وهي متصلة بالرقة البيضاء. و«الرَّقَّة» أيضاً مدينة من نواحي «قوهستان»[٤] ا.هـ.

(الرَّيّ): مدينة شهيرة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، بينها وبين «نيسابور» ١٦٠ فرسخاً، وإلى «قزوين» ٢٧ فرسخاً، وعلى جانب هذه المدينة جبلٌ أقرعُ[٥] لا ينبت فيه شيء. فتحت سنة (١٩هـ)، في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ[٦] ا.هـ.

- س -

(سِجِسْتان): هو اسم لصقع كبير يقع بين «خراسان» و«كَرْمان» و«مُكْران» و«السِّنْد» وبينها وبين «هراة» ثمانون فرسخاً[٧] ا.هـ.

(سِيْراف): مدينة جليلة على ساحل بحر فارس، بين «سيراف» و«البصرة» إذا طاب الهواء سبعة أيام بحراً، ومن «سيراف» إلى «شيراز» ستون فرسخاً[٨] ا.هـ.

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٤٣٣).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٤٩٥).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٤٥).
(٤) المصدر نفسه (٣/ ٥٩ ـ ٦٠).
(٥) أقول: ولعله «جبل الأقرع» الذي ذكره الحافظ ابن الجوزي في كتابه هذا ونسب إليه بعض العبّاد؟! لأني لم أجد جبلاً بهذا الاسم.
(٦) المصدر نفسه (٣/ ١١٦ ـ ١٢٢).
(٧) المصدر نفسه (٣/ ١٩٠ ـ ١٩٢).
(٨) المصدر نفسه (٣/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

- ش -

(الشام): كان اسم الشام الأول «سُورَى»، وحدّها: من «الفرات» إلى «العريش» المتاخم للديار المصرية، وعرضها: من جَبَلَيْ طيءٍ من نحو القبلة إلى بحر الروم، ومن أشهر مدنها: منبج ـ حلب ـ حماة ـ حمص ـ دمشق ـ البيت المقدس ـ المعرّة ـ أنطاكية ـ طرابلس ـ عكار ـ صور ـ عسقلان وغير ذلك، وهي خمسة أجناد: جُند قنسرين ـ جند دمشق ـ جند الأردن ـ جند فلسطين ـ جند حمص. ومن ثغورها: المصيصة ـ طرسوس ـ أذَنة ـ أنطاكية. قال عمرو بن العاص: قُسم الخير عشرة أعشار، فجعل تسعة أعشار في الشام، وعشر في سائر الأرض، وقسم الشر عشرة أعشار، فجعل عُشْرٌ بالشام، وتسعة أعشار في سائر الأرض[(١)]. ا.هـ.

(شِيْراز): هو قصبة بلاد فارس، وهي مدينة بنيت بعد الإسلام، قيل: أول من بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل (ابن عم الحجّاج الثقفي) وهي في وسط بلاد فارس، بينها وبين «نيسابور» (٢٢٠) فرسخاً[(٢)] ا.هـ.

- ط -

(الطَّائِف): هي بلاد «ثَقيف»؛ بينها وبين مكة المكرمة ١٢ فرسخاً، وكانت تُسمّى «وَجّاً» تقع شرق مكة مع مَيْلٍ قليلٍ إلى الجنوب، على مسافة (٩٩) كيلاً، وترتفع عن سطح البحر (١٦٣٠) متراً[(٣)] ا.هـ.

(طَرَسُوْس): مدينة أحدثها خادم للرشيد اسمه «سليمان» سنة نيّف وتسعين ومائة، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وبينها وبين «أَذَنة» ستة فراسخ، وعلى «طرسوس» سُوْرَان وخندق واسع، ولها ستة أبواب، ويشقّها نهر «البَرَدان»[(٤)] ا.هـ.

(طُوْس): مدينة بـ«خراسان» تبعد عن «نيسابور» نحو عشرة فراسخ، وهي تشتمل على مدينتين «الطابران» و«توقان» فتحت «طوس» في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ وبها قبر علي بن موسى الرضا وهارون الرشيد ـ رحمهما الله ـ.

وهناك قرية ببخارى تسمّى «طوس» أيضاً[(٥)] ا.هـ.

- ع -

(عَبَّادان): موضع تحت البصرة قرب البحر الملح، فيه قوم منقطعون، عليهم وقف يُعطَون بعضه، وأكثر موادّهم من النذور، وأصلها كان لحُمران بن أبان مولى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) المصدر نفسه (٣/ ٣١١ ـ ٣١٥).

(٢) المصدر نفسه (٣/ ٣٨٠).

(٣) المصدر نفسه (٤/ ٨ ـ ١٢)، والمعالم الأثيرة (١٧٠).

(٤) المصدر نفسه (٤/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٥) معجم البلدان (٤/ ٤٩ ـ ٥٠).

فأقطع عبّادَ بن حُصَين الحَبطي قسماً منها، فنُسبت إليه، وذلك أن أهل البصرة يلحقون الألف والنون بالاسم إذا أرادوا تسمية موضع أو نسبته إلى رجل أو صفة، فيقولون عن أرض عبّاد: عبادان. وعن قرية منسوبة لزياد بن أبيه: زيادان، وكذلك بلالان، ونحو ذلك[(١)] ا.هـ.

(عَسْقَلان): مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين «غزة» وبين «جِبْرين» ويقال لها: «عروس الشام» وكذلك يقال لدمشق أيضاً، افتتح «عسقلان» معاوية في خلافة الفاروق ـ رضي الله عنه ـ و«عسقلان» أيضاً: قرية من قرى «بَلْخ» أو محلّة من محالّها[(٢)] ا.هـ.

(عُكْبَرا): ويُمَدّ ويُقصر، وهي بليدة من نواحي «دُجَيل» قرب «صُرَيفين» و«أوانا»، وبينها وبين «بغداد» عشرة فراسخ، والنسبة إليه: عكبري وعكبراوي[(٣)] ا.هـ.

ـ ف ـ

(فَرْغَانة): مدينة واسعة متاخمة لبلاد «تُرْكستان»، بينها وبين «سمرقند» ٥٠ فرسخاً[(٤)] ا.هـ.

ـ ق ـ

(قَزْوِين): مدينة شهيرة تبعد عن «الرّيّ» سبعة وعشرين فرسخاً، فتحت صلحاً في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ سنة (٢٢هـ) على يد البرّاء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ وقد أسلم أهلها كلهم[(٥)] ا.هـ.

ـ ك ـ

(كرمان): بفتح أوله ـ وقد يُكسر ـ وتسكين ثانيه: ولاية مشهورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين «فارس» و«مكران» و«سجستان» و«خراسان»، وجّه عمر ـ رضي الله عنه، عثمان بن العاص ـ رضي الله عنه ـ إليها، ثم فتحت في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ و«كرمان»: مدينة ـ أيضاً ـ بين «غزّنة» و«بلاد الهند» وهي من أعمال «غزنة». وبنيسابور محلّة يقال لها: «مربّعة الكرمانية»[(٦)] ا.هـ.

(الكُوْفَة): المدينة المشهور بأرض «بابل» من سواد العراق، ويسمّيها قومٌ «خدّ العذراء» مُصّرت في خلافة الفاروق ـ رضي الله عنه ـ سنة (١٧)[(٧)] ا.هـ.

ـ م ـ

(المدينة المنورة): هي مدينة المصطفى ﷺ، ومن أسمائها: طَيْبَة ـ طَابَة ـ مسكينة ـ مَجْبورة ـ

---

(١) المصدر نفسه (٤/ ٧٤).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ١٢٢).

(٣) المصدر نفسه (٤/ ١٤٢).

(٤) المصدر نفسه (٤/ ٢٥٣).

(٥) المصدر نفسه (٤/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤).

(٦) المصدر نفسه (٤/ ٤٥٤ ـ ٤٥٦).

(٧) المصدر نفسه (٤/ ٤٩٠).

يَنْدَد ـ يَثْرِب ـ الدار والإيمان ـ العذراء ـ الجابرة ـ المجبورة ـ المحبَّبة ـ المحبوبة ـ وقد سماها النبي ﷺ «طابة»؛ فقد روى جابر بن سَمُرة: أنهم كان يقولون «المدينة» و«يثرب» فقال ﷺ: «إن الله سمّاها طابة»، وكرِه لنا النبي ﷺ تسميتها «يثرب» فقال: «من قال للمدينة «يثرب» فليستغفر الله، هي طابة، هي طابة، هي طابة»[١] ا.هـ.

(مَرْو): هي مَرْوُ الرُّوذ، ومَرْو الشاهجان، أما الأولى: فهي قريبة من الثانية، بينهما خمسة أيام، تقع على نهر عظيم، وتُعدّ تابعةٌ لها.

أما مَرْو الشاهجان: فهي مرو العظمى، وهي أشهر مدن «خراسان» وقصبتها، والنسبة إليها «مَرْوَزي» على غير قياس، ونسبة الثوب «مَرْوي» على القياس. وبين «مرو» و«نيسابور» سبعون فرسخاً، ومنها إلى «سرخس» ثلاثون فرسخاً[٢] ا.هـ.

(مِصْر): فتحها عمرو بن العاص في خلافة الفاروق ـ رضي الله عنهما ـ وسكنها خلقٌ من الصحابة، وكثُر العلمُ بها في زمن التابعين[٣] ا.هـ.

(المَصِّيصَة): هي مدينة على شاطىء «جيحان» من ثغور الشام بين «أنطاكية» وبلاد الروم، تقارب «طرسوس»، وكانت من ثغور الإسلام، وقد رابط بها الصالحون قديماً، والمصيصة أيضاً: قرية من قرى دمشق قرب «بيت لَهْيا»[٤] ا.هـ.

(المَغْرِب): بلاد واسعة شاسعة، حدّها من مدينة «مليانة» آخر حدود إفريقية إلى آخر «جبال السوس» التي وراءها «البحر المحيط» وتدخل فيه جزيرة الأندلس[٥] ا.هـ.

(المَقْدِس): هي «بيت المقدس»، و«البيت المقدَّس»، و«بيت القدس»، و«القدس»، وكانت تسمّى «إيلياء». فيها: المسجد الأقصى ـ وقبة الصخرة ـ والصخرة، وكنيسة القيامة ـ فتحها الفاروق عمر صلحاً سنة (١٧هـ). والمسجد الأقصى بني بعد المسجد الحرام بأربعين سنة، فقد روى الشيخان وأحمد عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله ﷺ أيّ المساجد وُضع في الأرض أولُ؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أيّ؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة»[٦] ا.هـ.

(مَكَّة المُكَرَّمة): بيت الله الحرام، مهبط الوحي، ومعدن التوحيد، ومن أسماءها: مكة ـ بكَّة ـ النسَّاسة ـ أُمّ رُحْم ـ أمّ القرى ـ معاد ـ الحاطمة ـ الرأس ـ الحَرَم ـ صلاح ـ البلد الأمين ـ العرش ـ

---

(١) المعالم الأثيرة، د. شُرّاب (٢٢٤).
(٢) الأمصار ذوات الآثار للذهبي (٢١١)، معجم البلدان (٥/ ١١٢).
(٣) معجم البلدان (٥/ ١٣٧)، الأمصار ذوات الآثار (١٦٧).
(٤) معجم البلدان (٥/ ١٤٤ ـ ١٤٥).
(٥) المصدر نفسه (٥/ ١٦١).
(٦) المصدر نفسه (٥/ ١٨١ ـ ١٨٨).

القادس: لأنها تقدّس (تطهر) من الذنوب ـ المقدسة ـ الناسّة ـ البّاسة: لأنها تبسُّ (تحطِّم) الملحدين، وسمّاها الله تعالى: ﴿أم القرى﴾ و﴿البلد الأمين﴾[١] ا.هـ.

(مَنْجُوران): قرية قريبة من «بَلْخ» بينهما فرسخان[٢] ا.هـ.

(المَوْصِل): إحدى قواعد الإسلام الكبرى، وهي باب العراق، ومفتاح «خراسان»، ومنها يُقصَد إلى «أذربيجان»، وبين «الموصل» و«بغداد» أربعة وسبعون فرسخاً[٣] ا.هـ.

- ن -

(نَخْشَب): من مدن ما وراء النهر: بين «جيحون» و«سمرقند» وهي مدينة «نَسَف» أيضاً، وبينها وبين «سمرقند» ثلاث مراحل[٤] ا.هـ.

(نَهْرُ عيسى): منسوب إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس، وهي كورة وقرىً كثيرة في غربي «بغداد»[٥] ا.هـ.

(نَيسَابُوْر): مدينة عظيمة، فتحها المسلمون في خلافة عثمان رضي الله عنه بقيادة القائد عبد الله بن عامر بت كُرَيز سنة (٣١هـ) صلحاً، وقيل: إنها فتحت في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ على يد الأحنف بن قيس، فانتفضت في خلافة عثمان، فأرسل إليها ابن عامر[٦] ا.هـ.

- هـ -

(هَرَاة): مدينة شهيرة من أمهات مدن «خراسان». وقد دمّرها التتار سنة (٦١٨هـ)[٧] ا.هـ.

(هَمَذَان): فُتحت بعد سنة أشهر من استشهاد الفاروق ـ رضي الله عنه ـ فتحها المغيرة بن شعبة سنة (٢٤هـ). وقيل: سنة (٢٣هـ)، وهي من مدن «الجبل». وبلاد الجبل: تسمّيها العامة «عِراق العجم» تقع قرب «أذربيجان» و«خراسان» و«العراق» و«خوزستان» وأعظم مدن «الجبال» أو «الجبل» أصبهان، وهمذان، والدينور، وقَرمِيْسين، وقزوين، والرّي[٨] ا.هـ.

- و -

(وَاسِط): هي عدة مواضع، أعظمها واسط الحجّاج، وهي مدينة متوسطة بين «البصرة» و«الكوفة» تبعد عن كل منهما (٥٠) فرسخاً.

---

(١) المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (٥٥ ـ ٦٨)، معجم البلدان (٥/ ١٦٦ ـ ١٧٢).
(٢) معجم البلدان (٥/ ٢٠٨).
(٣) معجم البلدان (٥/ ٢٢٣ ـ ٢٢٥).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٢٧٦).
(٥) المصدر نفسه (٥/ ٣٢١ ـ ٣٢٢).
(٦) المصدر نفسه (٥/ ٣٣١ ـ ٣٣٢).
(٧) المصدر نفسه (٥/ ٣٩٦).
(٨) المصدر نفسه (٢/ ٩٩) و(٥/ ٤١٠) وما بعدها.

وهناك «واسط نجد» و«واسط الحجاز» و«واسط الجزيرة» و«واسط اليمامة» و«واسط العراق»، هذا، وقد شرع الحجاج في بناء «واسط العراق» سنة (٨٤) وفرغ منها سنة (٨٦)، وهناك «واسط» قرية متوسطة بين «بطن مَرّ» و«وادي نخلة»، وهناك «واسط بَلْخ» و«واسط حلب» و«واسط الخابور» قرب «قرقيسيا» و«واسط بغداد» تبعد عنها ثلاثة فراسخ، و«واسط الرقة» و«واسط» من منازل بني قشير، و«واسط مكة» و«واسط الأندلس» بُلَيدة قرب «قبْرة»، و«واسط» قرية شرقي دجلة الموصل، و«واصل اليمن»... وغير ذلك[1] ا.هـ.

- ي -

(اليَمَامة): كان فتحُها وقتلُ مسيلمة الكذاب في خلافة الصديق ـ رضي الله عنه ـ سنة (١٢هـ)، بقيادة القائد البطل خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ عنوة ثم صولحوا، وبين «اليمامة» و«البحرين» عشرة أيام، وهي معدودة من «نجد»[2] ا.هـ.

(اليَمَن): قال الأصمعي: حدود اليمن: بين «عُمان» إلى «نجران» و«بحر العرب» إلى «عَدن» إلى «الشَّمَر»، واليمن قسمان: «تهائم» و«نُجود» فالتهائم قصبتها «زَبِيْد»، ومن أهم مدنها «تَعِز» و«عَدَن» و«ظَفار» و«الجَنَد». و«النجود»: قصبتها «صنعاء»، ومن أهم بلادها: «نَجْران» و«مَأرِب» و«حَضْرَمَوْت»[3] ا.هـ. انتهى فهرس البلدان

---

(١) معجم البلدان (٥/ ٣٤٧ ـ ٣٥٣).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٤٤١ ـ ٤٤٧).

(٣) المصدر نفسه (٥/ ٤٤٧)، وصبح الأعشى (٥/ ٨)، والإعلان بالتوبيخ (٦٦٤)، والأمصار ذوات الآثار (١٨١).

فهرس أعلام الكتاب حسب رقم الترجمة[(١)]

(١) اعتمدنا في ترتيب الفهرس هذا: الترتيب الألفبائي حسب الحرف الأول فالثاني وهكذا. وبالنسبة للأعلام المبدوءة بـ(أب ـ أم ـ ابن ـ ابنة ـ أخ ـ أخت) فقد أسقطنا هذه الألفاظ في ترتيبنا واعتمدنا الاسم الذي بعدها، فمثلاً أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ تجده في الباء فالكاف فالراء، وكذلك أبو الدرداء: في الدال فالراء.. إلخ. ومن البداهة أن نذكر أن (ال) التعريف قد أسقطت أيضاً في الترتيب، وقد ذكرنا الأعلام المشهورة بلقبٍ أو كنيةٍ ما في موضعين، الأول في ترتيب لقبها أو كنيتها والثاني حسب اسمها العَلَم.

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق

١ ـ الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ـ تحقيق د. الجوابرة ـ دار الراية ـ الرياض.
٢ ـ الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان: لابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبع الرسالة.
٣ ـ أخبار أصبهان: لأبي نعيم الأصبهاني، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
٤ ـ أخبار القضاة، لوكيع، تحقيق عبد العزيز المراغي، طبع عالم الكتب، بيروت.
٥ ـ أخبار مكة للفاكهي ـ تحقيق د. دهيش ـ دار خضر ـ بيروت.
٦ ـ أُسْد الغابة: لابن الأثير، تحقيق معوّض وعبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧ ـ الاستيعاب: لابن عبد البر، تحقيق معوّض وعبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨ ـ الإصابة: لابن حجر، تحقيق معوّض وعبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩ ـ أعلام النساء: كحالة، الرسالة، بيروت.
١٠ ـ الإكمال لابن ماكولا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١١ ـ إنباه الرواة عن أنباه النحاة، للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة.
١٢ ـ الأنساب: للسمعاني، نشر أمين دمج، بيروت.
١٣ ـ أنساب الأشراف: للبلاذري، تحقيق حميد الله، دار المعارف، مصر.
١٤ ـ الأولياء: لابن أبي الدنيا ـ تحقيق بسيوني زغلول ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت.
١٥ ـ البداية والنهاية: لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.
١٦ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة البابي الحلبي.
١٧ ـ تاريخ الإسلام: للذهبي، نشر القدسي.
١٨ ـ تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٩ ـ تاريخ الثقات: للعجلي، بترتيب الهيثمي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠ ـ التاريخ الصغير: للبخاري، تحقيق إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب.
٢١ ـ تاريخ الطبري: للطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.
٢٢ ـ التاريخ الكبير: للبخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن.
٢٣ ـ تاريخ الموصل: لابن إياس، تحقيق علي حبيبة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
٢٤ ـ تاريخ واسط: لأسلم الواسطي، تحقيق كوركيس عواد، طبع دار المعارف.
٢٥ ـ تاريخ ابن معين: رواية الدوري، تحقيق أحمد نور سيف، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى.
٢٦ ـ تذكرة الحفاظ: للذهبي، تحقيق المعلمي، حيدآباد الدكن، الهند.
٢٧ ـ تقريب التهذيب: لابن حجر، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة.
تقريب التهذيب: لابن حجر، تحقيق عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية، بيروت، وأشرت إليها عند اعتمادها.
٢٨ ـ التمهيد: لابن عبد البر ـ تحقيق العلوي والبكري ـ وزارة الأوقاف المغربية ـ المغرب.
٢٩ ـ تهذيب الأسماء واللغات: للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٠ ـ تهذيب بدران: لتاريخ ابن عساكر، تصوير دار المسيرة، بيروت.
٣١ ـ تهذيب التهذيب: لابن حجر، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن.
تهذيب التهذيب: لابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، بتحقيق عبد القادر عطا، وقد أشرت إليها عند اعتمادها.
٣٢ ـ تهذيب الكمال: للمزي، تحقيق عواد، الرسالة، بيروت.
٣٣ ـ الثقات: لابن حبان، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن.
٣٤ ـ الجامع الصغير: للسيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار خدمات القرآن.
٣٥ ـ الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم، تحقيق المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن.
٣٦ ـ حُسْنُ المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
٣٧ ـ حلية الأولياء: للأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٨ ـ خلاصة تهذيب الكمال: للخزرجي، تحقيق عبد الوهاب فايد، مكتبة القاهرة، مصر.
٣٩ ـ دلائل النبوة: لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق قلعه جي وعباس، دار ابن كثير ـ دمشق ـ والتراث ـ مصر ـ.

٤٠ ـ دلائل النبوة: للبيهقي، تحقيق قلعه جي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤١ ـ دول الإسلام: للذهبي، تحقيق شلتوت وإبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤٢ ـ الرسالة القشيرية: للقشيري، طبع بولاق سنة ١٢٨٤هـ.
٤٣ ـ الروض الباسم في شمائل المصطفى أبي القاسم: للمناوي، تحقيق د. محمد عادل الكيالي، دار البشائر بدمشق.
٤٤ ـ الروضة الرّيّا فيمن دُفن بداريا ـ للعمادي ـ تحقيق كوشك ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق.
٤٥ ـ الزهد: لأحمد، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٦ ـ سنن ابن ماجه: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
٤٧ ـ سنن أبي داود: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
٤٨ ـ سنن الترمذي: (الجامع الصحيح): تحقيق الشيخ أحمد شاكر وزملاءه.
٤٩ ـ سنن الدارقطني: تحقيق مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، وقد أشرنا إليها عند اعتمادها.
٥٠ ـ سنن الدارمي: تحقيق زمرلي والعلمي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٥١ ـ السنن الكبرى: للبيهقي، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن.
٥٢ ـ سنن النسائي (الصغرى): تحقيق أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية الثانية، حلب، .
٥٣ ـ سير أعلام النبلاء: للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الرسالة.
٥٤ ـ السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق الأبياري وشلبي والسقا، البابي الحلبي، مصر.
٥٥ ـ السيرة النبوية: للذهبي، د. بشار عواد، الرسالة.
٥٦ ـ شذرات الذهب: لابن العماد، نشر القدسي.
٥٧ ـ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، تصوير بيروت.
٥٨ ـ شرح صحيح مسلم: للنووي، طبع دار المعرفة بتحقيق مأمون شيحا.
٥٩ ـ الشمائل المحمدية: للترمذي، بتحقيق الدعاس، طبع حمص.
٦٠ ـ صحيح ابن خزيمة: تحقيق د. الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
٦١ ـ صحيح البخاري: تحقيق وترقيم زهوة وعناية ـ طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٦٢ ـ صحيح مسلم ـ تحقيق زهوة وعناية ـ ترقيم فؤاد عبد الباقي ـ طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٦٣ ـ طبقات ابن سعد الكبرى: دار صادر، بيروت.
٦٤ ـ طبقات الأولياء: لابن الملقن، تحقيق شريبة، دار المعرفة، بيروت.

٦٥ ـ طبقات الحفاظ: للسيوطي، تحقيق علي محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٦ ـ طبقات الحنابلة: لأبي يعلى، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧١هـ.

٦٧ ـ طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي، تحقيق الطناحي والحلو، عيسى البابي الحلبي، مصر.

٦٨ ـ طبقات الشعراني الكبرى: طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٩ ـ طبقات الصوفية، للسُّلمي، تحقيق شريبة، دار الكتاب النفيس، دمشق.

٧٠ ـ العبر: للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧١ ـ غاية النهاية: للجزري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢ ـ فتح الباري: لابن حجر، بترقيم عبد الباقي طبع دار الفكر.

٧٣ ـ فتوح البلدان: للبلاذري. تحقيق د. المنجد، طبع النهضة المصرية، القاهرة.

٧٤ ـ فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم: للأصفهاني، تحقيق صالح العقيل، دار البخاري، المدينة المنورة.

٧٥ ـ فوات الوفيات: لابن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

٧٦ ـ القاموس المحيط: للفيروزآبادي، دار الفكر المحققة في مجلد واحد.

٧٧ ـ الكاشف: للذهبي، تحقيق عطية والموشي، دار الكتب العلمية.

٧٨ ـ الكامل: لابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٩ ـ كتاب المنتظم: لابن الجوزي، دراسة في منهجه وموارده: حسن عيسى عبد الحكيم، عالم الكتب، بيروت.

٨٠ ـ اللباب في تهذيب الأنساب: لابن الأثير، دار صادر، بيروت.

٨١ ـ لسان الميزان: لابن حجر، حيدرآباد الدكن، الهند.

٨٢ ـ مجمع الزوائد: للهيثمي، طبعة القدسي.

مجمع الزوائد: للهيثمي تحقيق درويش، الفكر، وقد أشرت إليها عند الرجوع إليها.

٨٣ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: لسبط ابن الجوزي، حيدرآباد الدكن، الهند.

٨٤ ـ المستدرك: للحاكم، طبعة حيدرآباد الدكن، ومصورة دار الكتب العلمية عنها، وقد اعتمدنا رقم الجزء والصفحة للطبعة الهندية المثبتة على هامش طبعة دار الكتب العلمية.

٨٥ ـ مسند الإمام أحمد: مؤسسة قرطبة بمصر والتراث، بيروت.

٨٦ ـ مصنفِ ابن أبي شيبة ـ تحقيق كمال الحوت ـ دار الرشد ـ الرياض.

٨٧ ـ مصنف عبد الرزاق ـ تحقيق د. الأعظمي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٨٨ ـ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة: د. محمد شرّاب، دار القلم، دمشق.

٨٩ ـ معجم أبي يعلىٰ ـ تحقيق الأثري ـ إدارة العلوم الأثرية ـ فيصل آباد ـ الهند.

٩٠ ـ المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق طارق وعبد المحسن، دار الحرمين، القاهرة.

٩١ ـ معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت.

٩٢ ـ المعجم الصغير: للطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٣ ـ المعجم الكبير: للطبراني، تحقيق السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٤ ـ معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مصطفى الخطيب، الرسالة.

٩٥ ـ معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، طبع دار الفكر، المحققة في مجلد واحد.

٩٦ ـ معرفة القرّاء الكبار: للذهبي، تحقيق د. عواد، الرسالة.

٩٧ ـ المفردات في غريب القرآن: للأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق.

٩٨ ـ المنتظم: لابن الجوزي، تحقيق محمد ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٩ ـ المنتقى: لابن الجارود، تحقيق عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

١٠٠ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: للهيثمي، تحقيق الأستاذ سليم أسد، دار الثقافة.

١٠١ ـ الموطأ: للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

١٠٢ ـ ميزان الاعتدال: للذهبي، تحقيق البجاوي، طبع المعرفة، بيروت.

١٠٣ ـ نوادر الأصول: للحكيم الترمذي ـ تحقيق د. عميرة ـ دار الجيل ـ بيروت.

١٠٤ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لابن تغري بردى، دار الكتب المصرية، القاهرة.

١٠٥ ـ الوافي بالوفيات: لابن أيبك الصفدي، سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية.

١٠٦ ـ وَفَيات الأعيان لابن خلّكان، دار صادر، بيروت.

الفهرس العام لمحتويات الكتاب

ذكر المشهورين بالعلم والزهد والتعبّد من أصحاب رسول الله ﷺ

من الطبقة الثالثة ممن شهد الخندق من المهاجرين والأنصار ممن شهد الخندق وما بعدها

ذِكْرُ المصطَفيات من عابدات بغداد

ذِكْرُ المصطَفيات من العابدات البغداديات المجهولات الأسماء

ذِكْرُ من اصْطفِيَ من أهل المدائن

ذِكْرُ المصطَفَين من أهل واسط

ذكر المصطَفَين من أهل الكوفة من التابعين ومن بعدهم:

من الطبقة الأولى

ومن الطبقة السابعة من أهل البصرة

وممن تأخر عن هذه الطبقات

ذكر المصطَفَين من عباد البصرة المجاهيل الأسماء

من عقلاء المجانين بالبصرة

ذِكْرُ المصطَفَيات من عابدات البصرة